

محاضرات
الأستاذ المحقق
الشيخ جعفر السبحاني

سيد المرسلين ﷺ

دراسة تحليلية شاملة للشخصية والسيرة المحمدية في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية

بقلم

جعفر الهادي

الجزء ٢-١

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بسم الله الرحمن الرحیم

سیدالمرسلین صلی الله علیه و آله

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

جامعه مدرسین حوزه علمیه قم، دفتر انتشارات اسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی، جعفر ،۱۳۰۸ -
عنوان و نام پدیدآور : سیدالمرسلین صلی‌الله علیه و آله/ تالیف جعفر السبحانی.
مشخصات نشر : [قم]: الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم، موسسه النشر الاسلامی، ۱۴۱۲ق= .۱۳۷۰ -
فروست : موسسه النشرالاسلامی التابعه لجماعه المدرسین بقم المشرفه؛ ۳۹۰، ۳۹۱.
شابک : دوره ۰-۳۹۶-۴۷۰-۹۶۴ ؛ :۲۸۰۰۰ ریال: ج.۱-۸۱-۷۱۶-۴۷۰-۹۶۴ ؛ :۴۵۰۰۰ ریال (ج.۱، چاپ دوم)
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : ج.۱ (چاپ دوم: ۱۴۲۷ق. = ۱۳۸۵).
یادداشت : کتابنامه.
شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفترانتشارات اسلامی
رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/س۲س۹ ۱۳۷۰
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۱-۱۱۴۶

الجزء الاول

[المقدمات]

[مقدمة الناشر]

بسم اللّه الرحمن الرحیم لم تزل السیرة المحمّدیـة العطرة فی جمیع أبعادها موضع اهتمام الامـة الاسـلامیّة من لدن بزوغ فجر الاسـلام العظیم، و منذ الأیام الأولی من البعثة النبویة الشریفة.

و لا ـ غرو فقـد کـان الرسول الأکرم محمّـد بن عبـد اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یجسـد بسـیرته المثلی قیم الـدین و یمثل بأخلاقه السامیة أخلاق القرآن، و یعکس بمواقفه الرشیدة و بإدارته الحکیمة لشؤون الامة طریقة الاسلام فی إداره دفة الحیاة.

هـذا مضافا إلی أنه کـان القـدوة التی أمر اللّه تعـالی المسـلمین بالاقتـداء بهـا، و اقتفاء أثرها، کما أنه کان الظاهرة الفریـدة الباهرة فی الأـدب الرفیع و الانسانیـة الشـفافة و العاطفـة الصادقـة و الرحمـة و اللطف، و غیرهـا ممّـا کانت تفتقر بیئـة ظهور الاسـلام الاولی إلیه و تتعطش إلی مثله.

من هنا أخذ المسـلمون یهتمّون بکل حرکات الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـکناته، و یتأمّلون فی جمیع أعماله و تصـرّفاته فاذا رأوا منه خلقـا بـادروا إلی تکراره فی سـلوکهم، و اذا شاهـدوا منه عملا أسـرعوا إلی فعله فی حیاتهم، و عمـدوا فی المال إلی تسـجیل کل صغیرة و کبیرة فی هذا المجال، و ضبط کل دقیقة و جلیلة فی هذا الصعید.

و فعلا کانت هذه السیرة الطیّبة العطرة المقدّسة هی المنهج العملی للمسلمین، و هی سرّ تقدّمهم، و هی رمز عظمتهم و سموّهم، و علوّ شأنهم و شأوهم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴

و لا تزال هذه السيرة المشرفة اليوم قادرة على أن تكون ضوء المسيرة، و مشعل الطريق، و منهج العمل و مفتاح الانتصار فى معركتنا ضدّ قوى الشرّ و الطغيان.

و حيث إن امورا أقحمت فى هذه السيرة، كما أنّ تطور الزمن و كيفية الدراسات اقتضيا إخراج دراسات فى مجال السيرة تتناول البعد الذاتى و الرسالىّ و السياسىّ و القيادىّ و العسكرىّ لسيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله بالتحقيق و التحليل، و تتناسب مع حاجة العصر و لغته، لهذا رأت مؤسسة النشر الإسلامى أن تقدّم للجيل الحاضر خاصة و للمسلمين عامة هذه الدراسة القيامة فى سيرة خاتم الأنبياء محمّد صلّى اللّه عليه و آله لا تسأمها بكثير من هذه المواصفات.

و الدراسة هى مجموعة محاضرات للاستاذ المحقّق الشيخ جعفر السبحانى الذى عرف فى الأوساط الاسلامية بتحقيقاته العميقة فى الكتاب و السنّة و العقيدة و التاريخ.

و فى الوقت الذى تقوم به المؤسسة- و للّه الحمد- بطبع هذه الدراسة القيامة و نشرها بعد مقابلتها تقدّم جزيل شكرها و امتنانها لسماحة الاستاذ الألمعى الشيخ جعفر الهادى لما بذله من جهود وافرة من تعريبها و استخراج النصوص من مصادرها سائلة اللّه سبحانه له و لسماحة الشيخ المحاضر و لها المزيد من التوفيق، كما و تدعو المولى عزّ و علا أن يتقبّل منا جميعا و أن تشملنا شفاعة الرسول الأعظم و آله الأطهار عليهم السّلام فى يوم الحشر إنه خير موفّق و معين.

مؤسسة النشر الاسلامى

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵

[مقدمة المترجم]

السيرة المحمّدية مدرسة الأجيال

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» القرآن الكريم

النبىّ الأكرم «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله اسوة للمسلمين ... اسوة يقتدون بها فى جميع مناحى حياتهم: الفردية و الاجتماعية، و السياسية ... اسوة إلى الأبد ... فى كل زمان و مكان، فى كل عصر و مصر، لجميع المسلمين من كل لون و لغة.

و لكن كيف يتأسّى المسلمون- فى مختلف الأجيال و الأدوار- برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كيف يقتدون بسيرته المثلى، و يهتدون بهديه العظيم؟

إنّ هذا لا يتسنّى إلّا إذا كانت حياة رسول الإسلام بجميع خصوصياتها، و تفاصيلها، و فى جميع مجالاتها و نواحيها، مدوّنة مسجّلة، بل و محلّلة تحليلا دقيقا و عميقا.

من هنا فان الضرورة تقضى بوجود تاريخ مدوّن، مشفوع بالتحليل الدقيق، و الدراسة الموضوعية لشخصية و سيرة سيد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله فى كافة مجالاتها الشخصية و الرسالية و السياسية و العسكرية.

حقا إن فى حياة رسول الإسلام العظيم «محمّد بن عبد اللّه» صلّى اللّه عليه و آله- كما هو واضح لمن تتبع و تصفح- امورا دقيقة، و لكن بالغة العظمة فى مداليلها و معانيها، بالغة الأهميّة فى معطياتها و دروسها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶

فرسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلم هو خاتم الأنبياء، و رسالته و شريعته خاتمة الرسالات و الشرائع و نهضته هى النهضة الكبرى التى مهّد لها الأنبياء السابقون، و قد فتحت هذه النهضة الالهية صفحة جديدة فى حياة البشرية، و غيّرت مسار التاريخ الإنسانى

تغييرا جذريا، و أسست حضارة كبرى لا تزال أمواجها- رغم مرور أربعة عشر قرنا- حية نابضة، فاعلة، تهز الضمائر، و تتفاعل مع العقول.

و لهذا فإنّ السيرة المحمّدية مشحونة بالمناهج و الدروس، زاخرة بالبصائر و العبر، بقدر ما هى مليئة بالدقائق و الحقائق، و اللطائف و الاسرار.

حقا إن حياة النبى صلّى اللّه عليه و آله بحاجة إلى تعمق جديد كلما تجدّد الزمن، و كلما تقدمت العلوم و المعارف، و تطورات الحياة، و انفتحت أمام البشرية آفاق جديدة فى شتى الأصعدة و المجالات.

و لا شك أنّ هذه المهمة ليست عملا بسيطا و مهمّة سهلة، و خاصة مع ما عليه الكثير من المصادر التاريخية الاولى من تصحيف او تحريف او تشويه للحقائق، او تغيير للامور.

فان هذه المهمة تحتاج- فى ما تحتاج إليه- إلى ثلاثة أشياء أساسية:

۱- عقلية متفتحة، متدبرة، نافذة متأنية.

۲- جهود كبيرة، و تتبع واسع، و تمييز للصحيح عن السقيم، و الدخيل عن الاصيل.

۳- معرفة بجوانب تتصل بالسيرة المحمّدية اتصالا وثيقا كالمعرفة بمكانة سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله فى القرآن الكريم.

فمع توفّر هذه الشروط يمكن الحصول على صورة نقيّة، و مفيدة للسيرة المحمّدية المباركة، صورة تتفق مع روح القرآن، و تلتقى مع الواقع، و تصلح للاتساء، و الاقتداء، و الاهتداء و الاقتفاء.

و لقد توفرت هذه الشروط- و للّه الحمد- فى استاذنا العلامة الحجّة المحقّق سماحة الشيخ جعفر السبحانى، حفظه اللّه.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷

فهو المعروف بسلسلته القرآنية «مفاهيم القرآن» التى تكشف عن إحاطة كبيرة بكتاب اللّه العزيز، و إلمام قليل النظير بمفاهيمه.

كما عرف بأعماله الفكرية الناضجة المتنوعة الكاشفة عن عقلية متفتحة، واعية و معاصرة.

و لهذا كان خير من قام فى عصرنا الحاضر بدراسة السيرة المحمّدية الطاهرة العبقة، فكان هذا العمل التاريخى المبارك الذى توفّرت فيه المستلزمات الثلاثة الآنفة الذكر: العقلية المتفتحة، و المعرفة الواسعة بالقرآن الكريم و خاصة فى ما يتّصل بالرّسول الأكرم، إلى جانب التتبع الواسع و الاستقصاء الكبير لمواقع العبرة و الاسوة فى حياة خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين.

و لا أجدنى- فى هذا التقديم العابر- بحاجة إلى ذكر نقاط القوة الكثيرة فى هذه الدراسة المستوعبة لشخصية و حياة رسول الإسلام، بل أرى أن يحاول القارئ الكريم بنفسه الاطلاع على ذلك حتى لا يفوته شيء ممّا لا يفوّت، و سيقف بنفسه أيضا على جسامة ما بذل فى هذه الدراسة من جهد، و روعة ما ضمّنت من تحليل، و أهمية ما احتوته من حقائق.

و فى الختام اسأل اللّه العلى القدير ان يتقبل منا جميعا هذا الجهد، و يجعله ذخرا ليوم لا ينفع فيه مال و لا بنون، انه خير معين.

قم جعفر الهادى ۳۰ شعبان ۱۴۰۹ هجرية

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹

مقدّمة المحاضر

التاريخ فى أعظم حماساته

* مختبر «الحياة» العظيم.

* «لقد عمّرت مع أولهم الى آخرهم!».

* حياة العظماء، و الخالدين.

* عند ما يلتقى العالم الحاضر بالعالم الغابر.

* التاريخ بين التسجيل

* أخطاء المستشرقين العجيبة.

(۱) يحاول الإنسان دائما أن ينظر إلى كل قضيّة من القضايا من نافذة الحس، و إن يدرسها من خلال المنظار الحسى المادى، لأنّ أوثق المعلومات لديه هى تلك التى تتألف من هذه «المعلومات الحسية» و لهذا فإن المسائل التى تحظى بأدلة حسّية اكثر تكسب فى العادة قسطا اكبر من ثقة الانسان، و تصديقه.

و على هذا الاساس عمد العالم اليوم الى تأسيس آلاف المختبرات الضخمة للتحقيق فى شتى القضايا العلمية، و يعكف العلماء فى هذه المختبرات على دراسة و تحليل الامور المتنوعة باسلوب خاص و طريقة معينة.

و لكن هل يمكن- ترى- أن تدخل المسائل و القضايا الاجتماعية فى نطاق التجربة المختبرية، و تخضع للمجهر و الميكرسكوب، ليمكن الحكم فى هذه المجالات من خلال ذلك؟!

فمثلا؛ هل يمكن أن نعرف عن طريق التجارب المختبرية ما يؤدّى إليه

سيد المرسلين ،ج١،ص:١٠

الاختلاف و التشرذم فى المجتمع الواحد، و ما يصيب شعبا من الشعوب أو أمة من الامم من هذا الطريق؟

أم هل يمكن تقييم ما تنتهى إليه جهود المستعمرين، أو ما يؤول إليه الظلم و الحيف، من خلال تجربة حسية؟

أم هل يمكن الوقوف على نتائج «الاختلاف الطبقىّ»، و «التمييز العنصرىّ» فى المجتمع عن طريق التجربة المختبرية؟

(۱) فى الاجابة على كل هذه الاسئلة يجب أن نقول: كلا مع الاسف.

و ذلك لأنّه لا توجد للقضايا الاجتماعية- رغم أهميتها القصوى- مثل هذه المختبرات، و حتى لو أمكن توفير مثل هذه المختبرات المناسبة لتحليل و تقييم و دراسة القضايا الاجتماعية، فان إنشاءها و إيجادها يكلّف نفقات باهضة، و تستدعى جهودا عظيمة.

و لكنّ الأمر الذى فى مقدوره أن يقلّل من حجم هذا النقص إلى حدّ كبير هو أننا نملك اليوم شيئا يسمى ب: «تاريخ الماضين» و الذى يشرح لنا ما كان عليه البشر- أفرادا و جماعات- طوال آلاف السنين من الحياة على هذه الارض، كما و يعكس مختلف الذكريات و الخواطر عنهم، من انتصارات و هزائم،

و نجاحات و انتكاسات، و يوقفنا بالتالى على كل ما وقع فى حياة الامم و الشعوب من حوادث مرة او حلوة.

إنّ التاريخ يذكر لنا: كيف وجدت الحضارات المشرقة و المدنيات العظمى فى العالم، و كيف سلكت- بعد مدة- طريق السقوط و الانقراض، حتى أنها قد محيت عن صفحة الوجود بالمرّة، و اصبحت خبرا بعد أثر، و بالتالى ما هى العوامل التى كانت وراء سيادة الشعوب ثم اندحارها.

إنّ حياة الماضين و تاريخهم يحتفظ لنا فى صفحاته بقسط كبير و مهمّ جدا من هذه الحوادث، و لهذا صح أن يقال: «التاريخ مختبر الحياة العظيم»، فبمعونة التاريخ يمكن تقييم مختلف القضايا الاجتماعية، و دراستها و استخلاص النتائج و العبر المفيدة منها.

سيد المرسلين ،ج١،ص:١١

(۱) و إنّ من حسن الحظ أننا لم نكن أول من حطّ قدمه على هذا الكوكب، فهذه الارض بسهولها و شعابها العريضة، و تلك السماء بنجومها و كواكبها الساهرة شهدتا ملايين الملايين من البشر الذين سكنوا الارض من قبلنا، و شهدتا افراحهم و اتراحهم، همومهم و غمومهم، حروبهم، و مصالحاتهم، و كل ما رافق و اكتنف حياتهم من حبّ و بغض و ظلمات و أنوار، و ارتقاء و هبوط، إلى غير

ذلک من شئون و شجون الحیاة البشریة التی یزخر بها تاریخ الشعوب و الاقوام و الامم.
صحیح أنهم قد اختلفوا مع الکثیر من أسرار حیاتهم، و غابوا جمیعا- أشخاصا و أسرارا- فی بحر من النسیان و انسدل علیهم الستار، إلّا أن قسطا ملفتا للنظر و جملة یعتد بها من تلک الامور إما أنها قد دوّنت بأیدی أصحابها، أولا تزال طبقات الارض و بطون التلال تحتفظ بها فی ثنایاها و طیاتها، کما و لا تزال ذات الاطلال الصامتة- فی ظاهرها- تشکل أضخم متحف، و اغنی معرض، و اکبر مختبر، یعید لنا شریط التاریخ و یحکی وقائعه و أحداثه، و یشرح رموزه و أسراره.
إنّ مطالعة تلکم الصفحات من تاریخ الامم الغابرة فی الکتب، او فی الاطلال العظیمة، أو فی ما یعثر علیه المنقّبون فی بطون التلال، و ثنایا الارض تعلّمنا امورا کثیرة، و تضیف إلی عمرنا عمرا جدیدا و زمنا اضافیا، لا یستهان به و ذلک بما تقدم لنا من الخبرة و العبرة، و الهدی و البصیرة.
أ لیست حصیلة العمر ما هی إلّا ما استفاده المرء من تجارب؟ أ لا یجعل التاریخ خلاصة أفضل التجارب تحت تصرفنا؟
(۲) و لقد اشار الإمام امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی وصیة لولده الی هذه الحقیقة حیث قال:
«أی بنیّ! إنّی و إن لم اکن عمّرت عمر من کان قبلی، فقد نظرت فی أعمالهم و فکّرت فی أخبارهم و سرت فی آثارهم حتی عدت کأحدهم بل کأنّی بما انتهی إلیّ من امورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلی آخرهم» «۱».

---

(۱). نهج البلاغة، قسم الرسائل. رقم ۳۱.
سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۲
(۱) و لکنّ المؤسف أن کتب التاریخ الموجودة الآن تعانی من نقص کبیر من حیث الاشارة الی العبر و الدروس الاجتماعیة المفیدة، لأن هذه المصنفات لم تدوّن لأجل هذا الغرض، و لهذا اغفل فیها- فی الاغلب- کل ما هو مؤثر فی کشف الحقائق التاریخیة، و إبراز العلل الکامنة وراء الحوادث المتنوعة و الوقائع المختلفة، و بالتالی فقد تجاهلت تلک الکتب و الدراسات ما هو المفتاح الطبیعیّ لحلّ الرموز الکبری فی مسیرة التاریخ البشری، و اعتنت- بدلا عن ذلک- بالقضایا التافهة.
لقد تصدّی کثیر من المؤرّخین لتدوین و تسجیل القضایا التاریخیة، تارة بهدف التسلیة و اخری بدافع إبراز الفضل لأقوامهم او طوائفهم، و اظهار تفوقها علی الاقوام و الطوائف الاخری، و ثالثة بدافع الحب و البغض، او التعصب لهذا أو ذاک و لهذا عجزت هذه المؤلفات و الکتب عن حل أیة مشکلة، و تبدید أیة حیرة، بل هی تزید المرء ضلالا إلی ضلال، و حیرة الی حیرة!
و لکن رغم کل هذا یستطیع اولو النباهة و البصیرة، و اصحاب الفهم و التحقیق ان یتوصلوا- من خلال مطالعة هذه المؤلفات التاریخیة علی ما فیها من عیوب و نقائص، و مع ما فیها من أساطیر عن الشعوب المختلفة- إلی ما یساعدهم علی کشف الکثیر من اسرار و خلفیات القضایا و الامور المتعلقة بالشعوب الماضیة، تماما کما یفعل الطبیب الحاذق، او القاضی البارع الذی یمکنهما من خلال الوقوف علی القرائن الجزئیة المتفرقة، التوصّل إلی اکتشاف نوع «المرض» أو حالة «المتهم» الحقیقیة، و ما یعانی منه فی واقعه النفسی.
(۲) إنّ أعظم صفحات التاریخ قیمة هی تلک التی تعکس لنا حیاة العظماء و سیرة الرجال الخالدین، و تبحث عنها بصدق و امانة و موضوعیة.
إنّ لحیاتهم أمواجا خاصة، کما أنها زاخرة بانواع الحوادث.
لقد کانوا عظماء حقا، و کذلک کان کل ما یرتبط بهم، و من ذلک تاریخهم، إنه شیء عظیم یستحق التأمّل و التدبر، فهو یتسم بلمعان یلفت الأنظار، و یخلب
سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۳
الالباب و إنّه غنی بالعظات و العبر، زاخر بالبصائر و الدروس و الی درجة لا توصف.

إنهم معجزة الخليقة بلا ريب، و إن حياتهم لهى- فى الحقيقية- ملحمة التاريخ الكبرى، و ساحة البطولات الخالدة، و مسرح الحماسات العظمى، الحية النابضة على مر العصور، و الايام.

لقد كان اولئك العظماء يعيشون فى الاغلب على خط الثورات و التغييرات الاجتماعية الاول (و بعبارة أصح) كانت الثورات و التحولات الاجتماعية تجد مصداقيتها فى حياتهم و تتجسد فى مواقفهم، و لهذا كانوا يشكلون- فى واقع الأمر- حلقة الاتصال بين الدنياوات المختلفة المتناقضة، و كانت حياتهم الحافلة بالاحداث شاهدة للألوان المختلفة و المشاهد المثيرة المتنوعة.

(۱) و على رأس اولئك الرجال التاريخيين و العظماء الخالدين رسول الإسلام العظيم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانه لم تتسم حياة أحد- من حيث و فرة الاحداث، و عظمة الأمواج، كما اتسمت به حياته صلّى اللّه عليه و آله و لا اتصفت شخصية بمثل ما اتصف به ذلك النبى العظيم.

فلم يستطع احد سواه أن يؤثّر فى بيئته، ثم فى جميع العالم، و ينفذ إلى أعماق الاعماق بمثل السرعة و السعة التى حصلت له صلى اللّه عليه و آله.

و لم يوجد أىّ واحد منهم قط من مجتمعة المنحطّ المتخلّف، حضارة بتلك العظمة و الشموخ، كما فعله رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله- و تلك حقيقة يقرّبها كل مؤرخى الشرق و الغرب.

إنّ مطالعة عميقة لسيرة و حياة هذا الإنسان العظيم، قادرة على أن تعلمنا الكثير الكثير، و أن توقفنا على مشاهد متنوّعة فى غاية النفع و منتهى الفائدة.

إن مشاهد عجيبة مثل الأيام الاولى من بناء الكعبة المعظمة، و استيطان اسلاف النبى الكريم «مكة» و هجوم عسكر الفيل الفاشل لهدم بيت اللّه المعظم، و الاحداث و الملابسات المرافقة لمولد النبى صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴

كما و إن مشاهد محزنة مثل وفاة «عبد اللّه» و «آمنة» والدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى مطلع حياته الشريفة بتلك الكيفية المؤلمة.

و مشاهد عظيمة و مهيبة و حافلة بالاسرار مثل الايام الاولى من نزول الوحى، و ما جرى فى جبل «حراء» و ما تبعه من مواقف الاستقامة و المقاومة التى ابداها و اتخذها رسول اللّه و اصحابه المعدودون طيلة ثلاثة عشر عاما، فى سبيل نشر الدين الاسلامى فى مكة، و مكافحة الوثنية و الجاهلية.

و كذا مشاهد مثيرة و ساخنة و حماسية مثل وقائع السنة الاولى من الهجرة المباركة و ما عقبتها من حوادث و مواقف.

(۱) و لقد الّفت حول حياة رسول الإسلام أعظم قادة البشرية على الاطلاق كتب و رسائل و دراسات كثيرة بحيث لو أتيح لنا أن نجمعها فى مكان واحد لشكلت مكتبة عظيمة و ضخمة.

و يمكن القول- بشكل قاطع- بأنه ليس ثمة من عظيم استقطب اهتمام التاريخ و المؤرخين و المفكرين العالميين الكبار، كما ليس ثمة شخصيّة من شخصيّات العالم كتب حولها المؤلفون و الباحثون هذا القدر الهائل من المؤلفات و المصنفات، و الرسائل و الكتب، كما حصل لرسول الإسلام محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۲) إلّا أن أكثر هذه الكتب و المؤلفات تعانى من أحد إشكالين: إما أن الكتاب جاء على نسق التسجيل المجرد للحوادث، أو النصوص التاريخية، من دون أن يتصدى فيه مؤلفه لتحليلها، و دراسة خلفياتها و نتائجها، و إصدار الحكم اللازم فيها، بل إن البعض قد تجنب عن بيان علل الوقائع الإسلامية و اسبابها، و ثمارها و معطياتها كذلك.

أو أن المؤلّف- فى بعضها الآخر- عمد إلى طائفة من الآراء الحدسية، و الاجتهادات الباطلة، العارية عن الدليل و اثبتها فى مؤلّفه على أنها الحكم الحق،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۵

و خلط هذه الاحكام مع بيان الحوادث، و من ثم اخرج كتابه ذاك الى الجمهور المتعطش الى تاريخ الإسلام، على أنّه التاريخ المحقّق، الممحّص.

(۱) إن الإشكال الذى يرد على الطائفة الاولى هو: أن الهدف من التاريخ ليس هو مجرّد تسجيل الحوادث التاريخية و ضبطها و تدوينها، إنما هو كتابة صفحات التاريخ، و قضاياه و أحداثه من المصادر الصحيحة الموثوق بها، و إبراز عللها و اسبابها، و ثمارها و نتائجها، و التاريخ بهذا الشكل أعظم كنز تركه الأقدمون لنا، و مثل هذا النوع من الدراسة التاريخية لم تدوّن- أو أنه قلّما دوّنت- حول أعظم قادة البشر، محمّد صلّى اللّه عليه و آله فقد تجنب اكثر كتاب السيرة النبوية عن اظهار الرأى فى الحوادث، او القيام باى تحليل للوقائع، بحجة الحفاظ على اصول الحوادث و نصوصها.

(۲) فى حين أنّ هذا العذر، و هذه الحجة غير كافية لتبرير هذا الموقف، لأنه كان فى مقدور اولئك المؤرخين- للحفاظ على ما ذكروه- أن يؤلفوا نوعين من الكتب، نوعا يختص بسرد الوقائع و النصوص التاريخية على ما هى عليه من دون ابداء رأى، او تحليل و دراسة، و نوعا آخر يعتنى بذكر الحوادث و القضايا التاريخية مع تحليلها و دراستها بصورة موضوعية صحيحة أو ان يتم كلا الأمرين فى كتاب واحد بأن تفرز الحوادث التاريخية عن التحليل و الرأى.

(۳) على كل حال قلما نجد بين قدماء الكتّاب المسلمين من تصدى للسيرة النبوية المحمّدية الطاهرة بهذه الصورة، و قلما يوجد هناك كتاب يتناول حياة خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين بالتحليل المذكور.

بل لا بدّ من القول بان السيرة النبوية الطاهرة ليست هى وحدها التى حرمت من مثل هذا النمط من التأليف و الكتابة، بل شمل هذا الحرمان اكثر الحوادث التاريخية التى وقعت على مر العصور الإسلامية فهى إدراجات فى الكتب من دون دراسة موضوعية و تقييم دقيق.

(۴) نعم إن أول من فتح هذا الطريق على وجه عامة المؤلفين و الكتاب هو:

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۶

العلامة المغربى «ابن خالدون» «۱» فقد أسس فى مقدمته المعروفة باسم مقدمة ابن خالدون نمط التاريخ التحليلى بنحو من الانحاء.

(۱) و أما الطائفة الثانية من تلك الكتب فهى و إن الفت على نمط التاريخ التحليلى و اتسمت بصفة التحقيق و الدراسة و لكن حيث ان بعضهم لم يتجشم عناء التتبع و الاستقصاء، أو أنه اعتمد فى تحليله للحوادث على المصادر غير المتقنة و غير الصحيحة، فقد تورط فى أخطاء فضيعة محيّرة، و أكثر مؤلفات المستشرقين- التى لم تكتب فى الأغلب بهدف التوصل الى الحقيقة- من هذا النمط، و من هذه القماشة.

و لقد دأب فى هذه الدراسة- بعد ملاحظة هذه الاشكالات- على ان يقدم إلى القراء جهد امكانه كتابا يخلو عن عيوب و نقائص كلتا الطائفتين.

(۲)

مزايا هذا الكتاب:

قد لا يكون من الضرورى بيان مزايا هذا الكتاب، و استعراض امتيازاته فى مقدمته، فذلك أمر ينبغى أن يقف عليه القارئ الكريم بنفسه ضمن مطالعته لهذه الدراسة، إلّا انه إلفاتا لنظر القارئ نشير الى مزيتين هامتين هما:

(۳) أولا: أنّنا عمدنا فى هذا الكتاب الى تناول و بيان الحوادث و الوقائع المهمة التى تنطوى على قدر، اكبر من الفائدة، و العبرة، و

أعرضنا صفحا عن ذكر الاحداث الجزئية، و الوقائع الصغيرة مثل الكثير من السرايا.

ثم إننا أخذنا الحوادث التاريخية هذه من المصادر الأصيلة، و الأولية، التى دوّنت فى القرون الإسلامية المشرقة الاولى، فقد استخلصنا الحادثة من مجموعة تلك المصادر، ثم أشرنا إلى مصدر أو مصدرين من المصادر التى ذكرت الحادثة

---

(١) هو القاضى عبد الرحمن بن محمّد الحضرمى المالكى المتوفى عام ٨٠٨ هج، و مقدمته و تاريخه- على ما فيهما من أخطاء فضيعة فى التحليل معدود ان من الكتب الجيدة المفيدة، و هما مبتكران فى نوعهما.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۷

بصورة اكثر تفصيلا و دقة.

و ربما يظن بعض القرّاء الكرام أننا اكتفينا فى نقل الحوادث و الوقائع بمراجعة مصدر أو مصدرين ممّا ذكرناه فى أقصى الصفحة (أى الهامش) فى حين أن الواقع هو غير هذا، فنحن قد راجعنا حتى فى نقل الحوادث الصغيرة مهما صغرت، اكثر المصادر الأصيلة المعروفة، و بعد التحقق و التشبث منها لخصناها و ذكرناها فى هذا الكتاب.

و لو أننا أشرنا- فى جميع الحوادث و الوقائع- الى جميع المصادر التى مررنا بها لاستأثر جدول المصادر بقسم كبير من صفحات هذا الكتاب، و هو أمر من شأنه أن يبعث على الملل عند القرّاء، فلكى لا يحسّ القرّاء بأىّ تعب أو ملل من جانب، و لأجل أن نحافظ على وثائقية الكتاب و أصالة أبحاثه و إتقانها من طرف آخر اكتفينا بذكر القدر اللازم من المصادر و تجنبنا تحشيدها بتلك الصورة المملّة.

(١) و أما المزية الثانية: فإننا أشرنا- ضمن الدراسات اللازمة- إلى الاعتراضات و الاشكالات، بل و أحيانا إلى مواطن الاساءة التى قام بها المستشرقون المغرضون و أجبنا على جميع الانتقادات و الاعتراضات غير المبرّرة و غير الصحيحة بأجوبة مقنعة و قاطعة و صحيحة، و جرّدناهم من الاسلحة التى شهروها فى وجه الإسلام و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- كما يقول المثل، و تلك حقيقة يقف عليها القارئ الكريم بنحو أجلى فى محلّها.

و على هذا الاساس عمدنا إلى ذكر رأى المؤلّفين الشيعة (فى المسائل المختلف فيها بين المؤرخين الشيعة و المؤرخين السنة) مع ذكر المصادر و الشواهد التاريخية الواضحة و المبرهنة عليه، و أزحنا كل ما يدور حول ذلك الرأى من شبهة أو إشكال، و يستهدف إنكار صحته و حقانيته.

إننا إذ نقدّم هذه الدراسة التحليليّة لشخصية و حياة خاتم الأنبياء محمّد صلّى اللّه عليه و آله إلى القراء الكرام نأمل أن يهتم بها عامّة المسلمين و خاصة المثقفين و الشّباب منهم بوجه خاصّ، و يتناولوا هذه السيرة العطرة بالمطالعة المتأنّية و التأمل

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۸

و التدبر، و نأمل أن يستطيع شبابنا المؤمن المتحمّس من أن يرسم خريطة حياته و حياة مجتمعه فى ضوء ما يستلهمه و يستوحيه من سيرة و حياة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله، فى هذه الحقبة البالغة الخطورة. و اللّه ولىّ التوفيق.

جعفر السبحانى ۲۶/ جمادى الآخرة/ ۱۳۹۲

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۹

سيّد المرسلين فى ضوء القرآن الكريم

اشارة

لقد سلّط القرآن الکریم الضوء علی رسول الإسلام محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی آیات کثیرة تناولت بیان أسمائه و نشأته و صفاته و خصاله، و بشارات الأنبیاء السابقین به و عصمته و امیّته و رسالته و خاتمیته و جهوده العظیمة التی بذلها فی سبیل ابلاغ مهمته، و الخطابات الخاصة الالهیة الموجّهة إلیه و ما یتوجب علی المؤمنین تجاهه فی حیاته و بعد وفاته، و ما یتوجب علیهم تجاه أهل بیته و عترته، و لکی تکون هذه الرؤیة القرآنیة الشاملة الدقیقة هی القاعدة الاساسیة فی دراسة الشخصیة و السیرة المحمّدیة العظیمة آثرنا ادراج طائفة منها

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰

فی مقدمة هذا الکتاب.

* وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. (آل عمران/ ۱۴۴).

* مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ. (الفتح/ ۲۹).

* وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ. (الصف/ ۶).

* ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولی وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی وَ وَجَدَکَ عائِلًا فَأَغْنی. (الضحی/ ۴/ ۸).

* أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ.

(الانشراح/ ۱- ۴).

* وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَ حِکْمَةٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ. (آل عمران/ ۸۱).

* الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ. (الأعراف/ ۱۵۷).

* الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ. (البقرة/ ۱۴۶).

* الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ. (الأنعام/ ۲۰).

* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ کَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ.

(الأعراف/ ۱۵۸).

* هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمَّا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ. (الجمعة/ ۲).

* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَیْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً. (النساء/ ۱۱۳).

* وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ.

(العنکبوت/ ۴۸).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱

* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ. (العلق/ ۱- ۵).

* ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری. (النجم/ ۲- ۱۷).

* وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ. (الحاقۀ/ ۴۴- ۴۷).

* وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ. (یس/ ۶۹).

* وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ.
(الصافات/ ۳۶- ۳۷).

* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ. (الحاقۀ/ ۴۰).

* وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. (التکویر/ ۲۴).

* سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى. (الاعلی/ ۶).

* فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (البقرۀ/ ۱۳۷).

* وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. (المائدۀ/ ۶۷).

* وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا. (التوبۀ/ ۷۴).

* إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. (الحجر/ ۹۵).

* وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا. (الاسراء/ ۷۳- ۷۴).

* أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر/ ۳۶).

* وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا. (الطور/ ۴۸).

* تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ (آل عمران/ ۱۰۸).

* اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ. (العنکبوت/ ۴۵).

* وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ. (الاحزاب/ ۲).

* وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. (الشعراء/ ۲۱۴).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲

* فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ. (الحجر/ ۹۴).

* قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الحج/ ۴۹).

* وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. (المؤمنون/ ۷۳).

* تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً. (الفرقان/ ۱).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً. (الفرقان/ ۵۶).

* وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ. (الأنفال/ ۳۳).

* لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ. (التوبۀ/ ۱۲۸).

* بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ. (التوبۀ/ ۱۲۸).

* وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ. (الأنبیاء/ ۱۰۷).

* إِنَّكَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ. (الحج/ ۶۷).

* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. (الشعراء/ ۱۹۳).

* إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ. (البقرۀ/ ۱۱۹).

* كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. (البقرۀ/

(۱۵۱).

* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ. (آل عمران/ ۱۶۴).

* هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. (الفتح/ ۲۸- ۲۹).

* یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً وَ داعِیاً إِلَی اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِیراً.

(الاحزاب/ ۴۶).

* وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً. (سبأ/ ۲۸).

* قُلْ إِنَّما أَعِظُکُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنی وَ فُرادی ثُمَّ تَتَفَکَّرُوا ما بِصاحِبِکُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِیرٌ لَکُمْ بَیْنَ یَدَیْ عَذابٍ شَدِیدٍ.

(سبأ/ ۴۶).

* فَفِرُّوا إِلَی اللَّهِ إِنِّی لَکُمْ مِنْهُ نَذِیرٌ مُبِینٌ. (الذاریات/ ۵۰).

* وَ أَرْسَلْناکَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً. (النساء/ ۷۸).

* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَیْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً. (النساء/ ۱۱۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳

* إِنَّا أَوْحَیْنا إِلَیْکَ کَما أَوْحَیْنا إِلی نُوحٍ وَ النَّبِیِّینَ مِنْ بَعْدِهِ. (النساء/ ۱۶۳).

* لکِنِ اللَّهُ یَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَیْکَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِکَةُ یَشْهَدُونَ وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً.

(النساء/ ۱۶۶).

* ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ. (الاحزاب/ ۴۰).

* قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً. (الاعراف/ ۱۵۸).

* وَ لا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ. (یونس/ ۶۵).

* فَلَعَلَّکَ تارِکٌ بَعْضَ ما یُوحی إِلَیْکَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ أَنْ یَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ کَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَکٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِیرٌ وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ وَکِیلٌ. (هود/ ۱۲).

* وَ کُلًّا نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ وَ جاءَکَ فِی هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِکْری لِلْمُؤْمِنِینَ. (هود/ ۱۲۰).

* وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَأَمْلَیْتُ لِلَّذِینَ کَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ عِقابِ.

(الرعد/ ۳۲).

* لا تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلی ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ. (الحجر/ ۸۸).

* وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّکَ یَضِیقُ صَدْرُکَ بِما یَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ کُنْ مِنَ السَّاجِدِینَ وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتَّی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ. (الحجر/- ۹۹).

* وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُکَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُ فِی ضَیْقٍ مِمَّا یَمْکُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ الَّذِینَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

(النحل/- ۱۲۸).

* فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً. (الکهف/ ۶).

* فَاصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ. (طه/ ۱۳۰).

* وَ إِنْ یُکَذِّبُوکَ فَقَدْ کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ إِبْراهِیمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ مَدْیَنَ وَ کُذِّبَ مُوسی فَأَمْلَیْتُ لِلْکافِرِینَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ نَکِیرِ.

(الحجّ/ ۴۲- ۴۴).

* وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَ نَصِيراً. (الفرقان/ ۳۱).

* لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. (الشعراء/ ۳).

* وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. (النحل/ ۱۲۷).

* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ. (الروم/ ۶۰).

* وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ. (لقمان/ ۲۳).

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۴

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (فاطر/ ۴).

* سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الأسراء/ ۱).

* فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ. (فاطر/ ۸).

* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ. (فاطر/ ۲۵).

* فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ. (يس/ ۷۶).

* وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. (الصافات/ ۱۷۱- ۱۷۲).

* وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ.

(الصافات/ ۱۷۳- ۱۷۵).

* وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. (الصافات/ ۱۷۸- ۱۷۹).

* فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ. (ص/ ۱۷).

* أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر/ ۳۶).

* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. (المؤمن/ ۵۵).

* وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. (الانعام/ ۵۲).

* وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً.

(الكهف/ ۲۸).

* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ. (النور/ ۶۲- ۶۳).

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۵

حِجابٍ. ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِيماً. (الاحزاب/ ۵۳).

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(الحجرات/ ۱- ۵).

* وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ.

(الحجرات/ ۷).

* وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ. (القلم/ ۴).

* وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ. (الحجر/ ۸۸).

* وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. (الشعراء/ ۲۱۵).

* لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ.

(التوبة/ ۱۲۹).

* فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.

(آل عمران/ ۱۵۹).

* لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً.

(الاحزاب/ ۲۱).

* قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(آل عمران/ ۳۱).

* فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً. (النساء/ ۶۵).

* إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً.

(الاحزاب/ ۵۶).

* إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. (الكوثر/ ۱- ۲).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶

* إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. (الاحزاب/ ۳۳). «۱»

---

(۱) و لقد بحث سماحة الاستاذ العلامة المحقّق الشيخ جعفر السبحانى صاحب هذه المحاضرات حول جميع هذه الآيات و نظائرها فى دراسة عميقة و شاملة فى الجزء السابع من موسوعته «مفاهيم القرآن».

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷

(۱)

۱ شبه الجزيرة العربية

اشارة

أو مهد الحضارة الإسلامیة الجزیرة العربیّة هی فی الحقیقة شبه جزیرة کبیرة و تقع فی الجنوب الغربی من آسیا، و تبلغ مساحتها ثلاثة ملایین کیلومتر مربع، أی ضعف مساحة إیران، و ستة أضعاف فرنسا، و عشرة أضعاف إیطالیا، و ثمانین ضعف سویسرة.

و یحدّ شبه الجزیرة- هذا الذی هو اشبه ما یکون بمستطیل غیر متوازی الاضلاع- من الشمال فلسطین و صحراء الشام، و من المشرق الحیرة و دجلة و الفرات و الخلیج الفارسی، و من الجنوب المحیط الهندی و خلیج عمان، و من المغرب البحر الأحمر.

و علی هذا یحاصر هذه الجزیرة من المغرب و الجنوب البحر، و من الشمال و الشرق الصحراء، و الخلیج.

(۲) و قد جرت العادة بتقسیم هذه المنطقة من القدیم إلی ثلاثة اقسام:

۱- القسم الشمالی و الغربی و یسمی بالحجاز.

۲- القسم المرکزی و الشرقی و یسمی بصحراء العرب.

۳- القسم الجنوبی و یسمی بالیمن.

و تشکّل داخل شبه الجزیرة هذا صحاری کبیرة، و مناطق شاسعة رملیة حارّة، و غیر قابلة للسکنی تقریبا، و من جملة هذه الصحاری صحراء «بادیة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸

سماوة» التی تسمی الیوم بصحراء «النفوذ» و صحراء اخری واسعة الاطراف تمتد إلی الخلیج الفارسیّ یطلق علیها الیوم اسم «الربع الخالی» و قد کان یسمی قسم من هذا الصحاری سابقا بالأحقاف، و یسمی القسم الآخر بالدهناء.

(۱) و علی أثر هذه الصحاری تشکل ثلث مساحة شبه الجزیرة هذا أراضی خالیة من الماء و العشب و غیر قابلة للسکنی، اللهم إلّا بعض ما یحصل من المیاه، بسبب تساقط الامطار، فی قلب الصحاری فیتجمع حولها بعض القبائل العربیة بعض الوقت، و یرعون فیها ابلهم و انعامهم ردحا قلیلا من الزمن.

و أمّا حالة المناخ فی شبه الجزیرة العربیة، فالهواء فی الصحاری و الأراضی المرکزیة (الوسطی) حار و جاف جدا، و فی السواحل مرطوب، و فی بعض النقاط معتدل، و بسبب رداءة الطقس هذه لا یتجاوز عدد سکانه خمسة عشر ملیون نسمة.

(۲) و توجد فی هذه الجزیرة سلسلة جبال تمتد من الجنوب الی الشمال، و یقارب ارتفاع أعلی قممها ۲۴۷۰ مترا.

و قد کانت معادن الذهب و الفضة و الاحجار الکریمة تشکل مصادر الثروة فی شبه الجزیرة هذا منذ القدیم، و کان سکانها یعتنون- من بین الأنعام و الحیوانات- بتربیة الابل و الفرس اکثر من غیرهما، و من بین الطیور بالحمام و النعامة اکثر من الطیور الاخری.

بید أن اکبر مصدر للثروة فی الجزیرة العربیة الیوم یأتی عن طریق استخراج النفط.

و تعتبر مدینة «الظهران» الذی یسمیه الاوربیون بالدهران المرکز النفطی الرئیسی فی هذه الجزیرة، و یقع هذا البلد فی ناحیة الاحساء التی تقع فی المنطقة الشرقیة من الجزیرة العربیة علی حدود الخلیج الفارسی.

(۳) و لکی یتعرف القارئ الکریم علی الأوضاع فی شبه الجزیرة العربیة هذا بنحو اکثر تفصیلا فاننا نعمد إلی شرح الاقسام الثلاثة المذکورة:

(۴) ۱- «الحجاز» و هی المنطقة التی تشکل القسم الشمالی و الغربی من الجزیرة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹

العربیة و تمتد أراضیها علی ساحل البحر الاحمر ابتداء من فلسطین و حتی حدود الیمن.

و الحجاز بعد هذا منطقة جبلیة، و ذات صحار قاحلة، و اراض حجریة، و صخریة، یکثر فیها الحصی.

و لقد كانت هذه المنطقة- فى التاريخ- اكثر شهرة من غيرها، و من المعلوم أنّ هذه الشهرة جاءت بسبب جملة من العوامل المعنوية و الدينية، فهى الآن تضمّ بين جوانحها بيت اللّه الحرام «الكعبة المعظمة»، قبلة ملايين المسلمين، و مهوى افئدتهم.

و قد كانت البقعة التى تقوم عليها بنية «الكعبة المعظمة» تحظى منذ سنوات مديدة قبل بزوغ الإسلام باحترام العرب و غيرهم، و لهذا حرّموا القتال حول الكعبة تعظيما لها، حتى إذا جاء الإسلام أقرّ للكعبة و لما حولها، مثل ذلك الاحترام، و التعظيم أيضا.

و من أهمّ مدن الحجاز: «مكة» و «المدينة» و «الطائف»، و كان للحجاز منذ القديم ميناءان هما: ميناء «جدة» الذى يستخدمه أهل مكة، و ميناء «ينبع» الذى يستخدمه أهل المدينة، فى سدّ الكثير من احتياجاتهم و يقع هذان الميناءان على ساحل «البحر الاحمر».

(۱)

مكة المعظمة:

اشارة

و هى من أشهر مدن العالم و أكثر المدن الحجازية سكانا، و ترتفع عن سطح البحر بما يقارب ۳۰۰ مترا.

و اذ تقع مدينة «مكة» بين سلسلتين من الجبال لذلک فانها لا ترى من بعيد، و يقطنها اليوم حوالى (۱۵۰) ألفا من السكان.

(۲)

تاريخ مكة:

يبدأ تاريخ «مكة المكرمة» من زمن النبى إبراهيم الخليل عليه السّلام، فقد

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰

أسكن هذا النبى ولده «اسماعيل» مع أمه «هاجر» فى ارض مكة، فنشأ اسماعيل هناک، و تزوج من القبائل التى سكنت على مقربة من تلک المنطقة.

ثم إن إبراهيم عليه السّلام بنى و بأمر من اللّه تعالى البيت الحرام «الكعبة».

و تقول بعض الروايات الصحيحة إن الكعبة بنيت على يد النبىّ نوح عليه السّلام و أن ابراهيم عليه السّلام جدّد بناءها.

و هكذا نشأت و بعد هذا تأسست مدينة مكة.

و تتكون نواحى «مكة» من أراض سبخة شديدة الملوحة بحيث لا تكون قابلة للزراعة اصلا، حتى أن بعض المستشرقين يذهب إلى أنه لا يوجد أية منطقة فى العالم فى رداءة أوضاعها الجغرافية و المحيطية و الطبيعية مثل هذه المنطقة.

(۱)

المدينة المنوّرة:

و هى مدينة تقع فى شمال مكة و تبعد عنها ب: ۹۰ فرسخا تقريبا، و تحيط بها بساتين و مزارع و نخيل وافرة، و أرضها أكثر صلاحية لغرس الاشجار و الزرع.

و كانت المدينة المنورة تسمى قبل الإسلام ب «يثرب»، و بعد أن هاجر إليها رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله سمّيت بمدينة

الرسول، ثم اطلقت عليها لفظة «المدينة» مجردة تخفيفا.

و يحدثنا التاريخ أن العمالقة كانوا أول من سكن هذه الديار، ثم خلف العمالقة طائفة اليهود، و الأوس و الخزرج الذين سمّى المسلمون منهم بالأنصار فى ما بعد.

(۲) هذا و قد سلمت الحجاز- على عكس سائر المناطق- من طمع الطامعين و غزو الغزاة و الفاتحين، و لم نشاهد فيها أى شىء من آثار حضارة الامبراطوريتين العظيمتين آنذاك قبل الإسلام: الروم و الفرس، و ذلك لأنها إذ كانت تتألّف من أراض قاحلة مجدبة غير قابلة للسكنى و العيش لم تحظ باهتمام أحد من اولئك الفاتحين حتى يفكر فى تسيير العساكر، و تحبيش الجيوش لفتحها ليعود بعد تحمّل آلاف المشاكل التى تستلزمها عملية الاستيلاء على أراضى تلك المنطقة

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۱

خالى الوفاض صفر اليدين.

(۱) و للوقوف على هذه الحقيقة اقرأ القصة التالية التى نقلها «ديودرس».

عند ما دخل ديمتريوس القائد اليونانى الكبير «بطرا» (و هى مدينة قديمة من مدن الحجاز) بهدف فتح جزيرة العرب خاطبه سكان تلك المدينة قائلين:

لما ذا تحاربنا أيها الملك ديمتريوس و نحن من سكان الصحارى التى لا تسدّ فيها خلّة، ترانا نقطن فى هذه البقاع القاحلة فرارا من العبودية. اقبل هدايانا، و ارجع الى حيث كنت، سنكون من أوفى الاصدقاء لك، و لكنك اذا رغبت فى حصرنا حرمت كل هناءة، و رأيت عجزك عن اكراهنا على تبديل طرق حياتنا التى تعوّدناها منذ نعومة أظفارنا، و إذا قدرت على أسر بعضنا أيقنت أنك لن تجد واحدا ممن أسرت يستطيع أن يألف حياة غير التى ألفناها.

هنا لك رأى ديمتريوس أن يقبل هديتهم و ان يرضى بالمآب «۱».

(۲) ۲- المنطقة الوسطى و الشرقية، التى تسمى ب «صحراء العرب» و منطقة «نجد» التى هى جزء من هذه المنطقة أرض مرتفعة يقوم فيها بضع قرى صغيرة معدودة.

و لقد أصبحت الرياض التى اتخذها السعوديون عاصمة لهم بعد استيلائهم من المراكز المهمة فى هذه الناحية من الجزيرة.

(۳) ۳- المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، و التى تسمى ب «اليمن» و تمتد طولا- من الشمال الى الجنوب حوالى (۷۵۰) كيلومترا و من الغرب الى الشرق حوالى (۴۰۰) كيلومترا.

و تقدر مساحة هذا البلد بستين الف ميل مربع تقريبا، و لكنها كانت- قبل ذلك- أوسع من هذا القدر، و قد كان قسم منها (و هو عدن) خلال النصف الاول من القرن الأخير تحت الانتداب البريطانى، و من هنا ينتهى شمالا الى نجد، و جنوبا الى عدن، و غربا الى البحر الأحمر و شرقا الى صحراء الربع

---

(۱) حضارة العرب: تأليف غوستاف‌لوبون ص ۹۱- ۹۲ ترجمة عادل و عبتر.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲

الخالى «۱».

(۱) و من مدن اليمن المعروفة مدينة «صنعاء» التاريخية العريقة، و من موانئها المشهورة ميناء «الحديدة» التى تقع على البحر الأحمر.

و منطقة اليمن من اكثر مناطق الجزيرة العربية خصوبة و بركة، و لها تاريخ مشرق و عريق فى المدنية و الحضارة، فقد كانت اليمن مقرا لملوك تبّع، الذين حكموا اليمن سنينا مديدة و كانت اليمن قبل الإسلام مركزا تجاريا مهما، و كانت فى الحقيقة ملتقى طرق الحجاز، اشتهرت فى العصور القديمة بمعادن الذهب، و الفضة، و الحديد، و النحاس، و كانت تصدر الى خارج البلاد.

(۲) و لا تزال اثار الحضارة الیمنیة القدیمة باقیة الی الآن.

و لقد قام أهل الیمن الاذکیاء باقامة أبنیة و عمارات عالیة و جمیلة بهممهم العالیة فی عصور کان البشر یفقد فیها الوسائل الثقیلة، و الاجهزة المعقدة.

کان ملوک الیمن یحکمون البلاد دون أی منازع، إلّا أنهم رغم ذلک لم یکونوا یمتنعون عن تنفیذ ما رسمه حکماء الیمن و رجالهم من انظمة و قوانین للحکم و ادارة البلاد آنذاک.

و لقد سبقوا الآخرین فی الزراعة و الفلاحة، و قد نظموا لإحیاء الأراضی و زراعتها، نظاما دقیقا للریّ طبقوا بنوده بدقة، و لهذا کانت بلادهم تعدّ- آنذاک- من البلدان الراقیة المتقدمة من هذه الناحیة.

(۳) فها هو «غوستاف‌لوبون» المؤرخ الفرنسی المعروف یکتب حول الیمن قائلا:

إنّ بلاد العرب السعیدة من أغنی بقاع العالم «۲».

(۴) و یکتب الادریسیّ المؤرخ المعروف الذی کان یعیش فی القرن الثانی عشر حول «صنعاء» قائلا: کانت صنعاء مقر ملوک الیمن، و عاصمة جزیرة العرب، و انه کان لملوکها قصر متین شهیر و کانت تشتمل علی بیوت مصنوعة من الحجارة

---

(۱) لقد انقسمت الیمن مؤخرا الی یمن شمالیة و اخری جنوبیة لکل واحد منها نظام حکم خاصّ و حکومة خاصّة.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۴.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۳

المنحوتة «۱».

(۱) هذه الآثار العجیبة التی عثر علیها المستشرقون و علماء الآثار فی تنقیباتهم الأخیرة تثبت حضارة عجیبة للیمن فی عصورها القدیمة و ذلک فی مختلف نواحیها مثل «مأرب» و «صنعاء» و «بلقیس».

ففی مدینة مأرب (و هی مدینة سبأ المعروفة) کانت تقوم قصور ضخمة و صروح عالیة ذوات أبواب و سقوف مزینة بالذهب، و کانت تحتوی علی أوان و صحون من الذهب و الفضة، و أسرّة کثیرة مصنوعة من المعدن و الفلز «۲».

و من آثار «مأرب» التاریخیة السدّ المعروف باسم ذلک البلد و الذی لا تزال اطلاله باقیة، و هو السدّ الذی تهدّم بسبب السیل الذی وصفه القرآن الکریم بالعرم.

فقد جاء فی سورة سبأ الآیة ۱۵- ۱۹ قوله تعالی:

«لَقَدْ کانَ لِسَبَإٍ فِی مَسْکَنِهِمْ آیَةٌ جَنَّتانِ عَنْ یَمِینٍ وَ شِمالٍ کُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّکُمْ وَ اشْکُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَیِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ سَیْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَیْهِمْ جَنَّتَیْنِ ذَواتَیْ أُکُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَیْ‌ءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِیلٍ. ذلِکَ جَزَیْناهُمْ بِما کَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِی إِلَّا الْکَفُورَ. وَ جَعَلْنا بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ الْقُرَی الَّتِی بارَکْنا فِیها قُریً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِیهَا السَّیْرَ سِیرُوا فِیها لَیالِیَ وَ أَیَّاماً آمِنِینَ. فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَیْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِیثَ وَ مَزَّقْناهُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبَّارٍ شَکُورٍ» «۳».

---

(۱) نزهة المشتاق فی اختراق الآفاق علی ما فی حضارة العرب، ص ۵۵.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۴.

(۳) للوقوف علی المزید من المعلومات عن الیمن قدیما و حدیثا، راجع الکتب المؤلفة حول جغرافیة العالم الإسلامی.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۵

(۱)

۲ العرب قبل الإسلام

اشارة

لمعرفهٔ أوضاع العرب قبل الإسلام يمكن الرجوع الى المصادر التاليهٔ:

۱– التوراهٔ على ما فيها من تحريفات.

۲– كتابات اليونانيين و الروميين فى القرون الوسطى.

۳– الكتابات التاريخيهٔ التى كتبها علماء الإسلام و مؤلفوه.

۴– الآثار القديمهٔ التى عثر عليها المستشرقون فى تنقيباتهم و التى استطاعت عن أن تكشف النقاب عن طائفهٔ لا يستهان بها من الحقائق فى هذا الصعيد.

إلّا انه مع وجود كل هذه المصادر و المراجع لا تزال هناك نقاط كثيرهٔ عن تاريخ العرب فى القرون البعيدهٔ تعانى من الغموض.

و لكن حيث أنّ دراسهٔ أوضاع العرب قبل الإسلام هى من باب المقدمهٔ فى هذا الكتاب، و الهدف الاساسى إنما هو دراسهٔ السيرهٔ النبويهٔ الطاهرهٔ، من هنا نكتفى فى هذا الفصل باستعراض النقاط الخاصهٔ و الواضحهٔ من حياهٔ العرب قبيل الإسلام على اننا يمكننا أن نقف على وصف دقيق لحالهٔ العرب خاصهٔ قبيل بزوغ الإسلام من خلال مصدرين اسلاميين اساسيين هما:

۱– القرآن الكريم.

۲– ما ورد عن الإمام على عليه السّلام فى نهج البلاغهٔ.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۶

فقد وردت فى هذين المصدرين تصريحات و نصوص صريحهٔ تكشف عن ما كان عليه العرب فى الجاهليهٔ من سوء الأحوال و الاوضاع و الاخلاق فى جميع الاصعدهٔ و الابعاد، و سنشير إلى أبرز هذه النصوص و نقف عندها بعض الشىء، و لكننا نستعرض قبل ذلك شيئا من تاريخ العرب فى القرون البعيدهٔ فنقول:

(۱) إن من المسلّم أن شبه الجزيرهٔ العربيهٔ كان منذ أقدم العصور موطنا لقبائل كثيرهٔ انقرض بعضها بمرور الايام، و فى ثنايا الاحداث، بيد ان هناك ثلاث قبائل قد تشعّبت عنها أفخاذ و فروع تحظى بشهرهٔ اكثر من بين من سكنوا هذه المنطقهٔ.

و هذه القبائل الامّ هى:

(۲) ۱– العرب البائدهٔ: و إنما سميت بالبائدهٔ لأنها أبيدت بالعذاب الالهى السماوىّ أو الأرضىّ بسبب عصيانها و تمردها، و هلكت شيئا فشيئا، و لم يبق على وجه الارض من نسلهم أحد!

و لعلهم كانوا هم المعنيون بقوم «عاد» و «ثمود» الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم مرارا.

(۳) ۲– القحطانيّون: و هم أبناء يعرب بن قحطان الذين كانوا يقطنون فى «اليمن» و سائر المناطق الجنوبيهٔ من الجزيرهٔ العربيهٔ و يسمّون بالعرب الاصلاء، و هم اليمنيون اليوم، و منهم قبائل الأوس و الخزرج و هما قبيلتان كبيرتان كانتا تقطنان المدينهٔ المنورهٔ إبان ظهور الإسلام.

و قد كان للقحطانيين حكومات كثيرهٔ، كما كانت لهم جهود كبرى فى تعمير أرض اليمن و احيائها، و قد تركوا من ورائهم حضارات و مدنيّات لا يستهان بها.

و توجد الآن كتابات تقرأ بصورهٔ علميهٔ توضح إلى حدّ كبير تاريخ القحطانيين و كل ما يقال عن مدنيّهٔ العرب و حضارتهم قبل الإسلام تعود فى الحقيقهٔ إلى هذه الطائفهٔ و خاصهٔ من سكن منهم ارض اليمن.

(۴) ۳– العدنانيون: و هم أبناء اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السّلام،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۷

و سوف يأتى ذكر جذور هذه الطبقة فى الابحاث القادمة. و خلاصة ذلك: أن إبراهيم الخليل عليه السّلام امران يسكن ولده الرضيع اسماعيل مع زوجته «هاجر» أم اسماعيل فى ارض مكة، فخرج بهما ابراهيم عليه السّلام من «فلسطين» و هبط بهما فى ذلك الوادى العميق الخالى عن الماء و العشب «مكة» ثم ان يد العناية الالهية امتدت إلى تلك العائلة المهاجرة، و جادت عليها بعين «زمزم» الذى جلب الرواء و الحياة الى تلك المنطقة القاحلة الضامئة.

ثم تزوج إسماعيل من قبيلة «جرهم» التى خيّمت بالقرب من مكة، و اصاب من هذا الزواج عددا كبيرا من الابناء، و الاحفاد، و أحفاد الاحفاد كان من جملتهم «عدنان» الذى ينتهى نسبه الى النبى اسماعيل عبر عدد من الآباء و الجدود.

ثم تشعّبت ذرية إسماعيل الى بطون و أفخاذ، و عشائر و قبائل عديدة، كان من بينها قبيلة قريش التى حظيت بشهرة اكبر، و منها عشيرة بنى هاشم التى انحدر منها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما ستعرف ذلك بالتفصيل، عما قريب.

(۱)

أخلاق العرب و تقاليدهم العامة:

و المراد منها هو الأخلاق و الآداب الاجتماعية التى كانت سائدة فى ذلك.

المجتمع، و قد سادت بعض هذه الاخلاق و العادات و التقاليد فى المجتمع العربى عامة.

و يمكن تلخيص ما كان العرب يتمتعون به من أخلاق و صفات حسنة عامة فى ما يلى:

لقد كان العرب زمن الجاهلية و بخاصة ولد «عدنان» أسخياء بالطبع، يكرمون الضيف، و قلّما يخونون فى الامانة، لا يغتفرون نقض العهود، و لا يتهاونون مع من يتنكر للمواثيق، يضحون فى سبيل المعتقد، و يتحلون بالصراحة الكاملة، و ربما وجد فيهم من تمتع بذكاء لامع، و ذاكرة خارقة يحفظ بها الأشعار و القصائد الطوال، و الخطب المفصلة.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۸

هذا الى جانب براعتهم فى فن الشعر و الخطابة بحيث لم يسبقهم فى ذلك غيرهم و الى جانب انهم كانوا مضرب المثل فى الشجاعة و الجرأة، و المهارة فى الفروسية و الرمى.

يرون الفرار و الادبار فى الحرب عارا لازما، و صفة ذميمة يلام صاحبها بسببها اشد اللوم.

(۱) و لكن فى مقابل ذلك كله كانوا يعانون من مفاسد أخلاقية تغطى على كل كمال عندهم، و تنسى كل فضيلة.

و لو لا تلك الكوة المباركة التى فتحت عليهم من عالم الغيب، لطويت صفحة حياتهم الإنسانية على القطع و اليقين.

يعنى لو لم تبزغ شمس الإسلام فى أواسط القرن السادس الميلادى، و لم تسطع أشعتها الباعثة على الحياة، على عقولهم و قلوبهم لما رأيت اليوم من العرب العدنانيين أى أثر، و لتكرّرت مقولة العرب البائدة مرة اخرى!

(۲) لقد حوّل فقدان القيادة الرشيدة، و غياب الثقافة الصحيحة حياة العرب، من جانب، و انتشار الفساد و الفحشاء من جانب آخر إلى حياة حيوانية مزرية حتى أن صفحات التاريخ تروى لنا أخبارا و قصصا مفصلة عن حروب دام بعضها خمسين عاما، و بعضها الآخر مائة عام قد نشبت بين الاطراف العربية لأسباب طفيفة و دوافع تافهة جدا.

لقد أدى عدم سيادة النظام و القانون على الحياة العربية، و عدم وجود حكومة قوية مسيطرة على الاوضاع، توقف البغاة و المتمردين عند حدودهم، إلى أن يعيش العرب- آنذاك- فى صورة القبائل الرحّل، و يرحلوا فى كل سنة الى منطقة معينة من الصحراء التماسا للعشب و الماء لانفسهم و لا نعامهم، فاذا عثروا على ماء و عشب أو شىء من آثار الحياة نزلوا عنده، و أنزلوا رحالهم بجواره، فاذا سمعوا عن وجود مكان افضل استأنفوا رحلتهم الصحراوية التماسا لحياة اكثر بركة، و عطاء، و أوفر خصبا و أمنا.

(۳) هذه الحيرة و هذا الضياع و عدم الاستقرار كان ناتجا من أمرين:

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۹

الأوّل: سوء الاوضاع الجغرافية و رداءة الأحوال الطبيعية للجزيرة العربية، و خاصة من حيث الماء و المناخ و المراعى.

و الآخر: الحروب و المصادمات الدموية الكثيرة، و اضطراب الأحوال الاجتماعية، التى كانت تلجئ جماعات كثيرة إلى التنقل الدائم و الرحيل عن الأوطان و مغادرتها، و عدم الاستقرار فى منطقة معينة.

(۱)

هل كان للعرب حضارة قبل الإسلام؟

يستنتج مؤلف كتاب «حضارة العرب» من دراسته لأوضاع العرب الجاهلية أن العرب كانوا أصحاب حضارة عريقة سبقت الإسلام بقرون.

فالقصور الصخمة التى أقاموها فى مختلف نقاط و مناطق الجزيرة العربية، و العلاقات التجارية التى كانت لهم مع أرقى شعوب الأرض، شواهد قوية على تمدنهم و حضارتهم الغابرة، لأن قوما أنشئوا لمدن العظيمة- قبل الرومان بقرون كثيرة- و كانت علاقاتهم بارقى و اكبر شعوب الأرض وثيقة، لا يمكن عدهم همجا، و شعبا بلا حضارة.

ثم إنه يستدل- فى موضع آخر من كتابه- على حضارة العرب الغابرة بآدابهم و وحدة و كمال لغتهم اذ يقول:

«و لو كان التاريخ صامتا إزاء حضارة لقطعنا- مع ذلك- بوجودها قبل ظهور «محمّد» بزمن طويل، و يكفى لتمثّلها أن نذكر أنه كان للعرب آداب ناضجة و لغة راقية.

و الحق أنّ الآداب و اللغة من الامور التى لا تأتى عفوا، و هى تتخذ دليلا على ماض طويل، و ينشأ عن اتّصال امة بأرقى الامم اقتباسها لما عند هذه الامم الراقية من التمدن إذا كانت أهلا لذلك».

(۲) و قد خصص المؤلف المذكور صفحات عديدة فى كتابه لإثبات حضارة عريقة و عظيمة للعرب قبل الإسلام معتمدا فى ذلك على ثلاث امور:

۱- وجود لغة راقية.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۰

۲- وجود علاقات مع الامم الراقية.

۳- وجود قصور و أبنية ضخمة، و فخمة فى اليمن كما يصفها المؤرخان المسيحيان المعروفان «هيردوتس» و «ارتميدور» اللذان كانا يعيشان قبل المسيح بقرون، و قدامى المؤرخين المسلمين كالمسعودى «۱».

(۱) لا كلام فى أنه كانت هناك فى بعض مناطق الجزيرة العربية بعض حضارات، و لكن الأدلة التى استند إليها المؤلف المذكور لا يمكن ان تكون شاهدا و دليلا على وجود الحضارة فى جميع نقاط الجزيرة العربية أبدا.

صحيح أن تكامل اللغة يسير جنبا الى جنب مع غيره من مظاهر المدنيّة، و لكن لا يمكن ان نعتبر اللغة العربية لغة مستقلة و غير مرتبطة باللغات الاخرى اى العبرانية و السريانية و الآشورية و الكلدانية، لأن جميع هذه اللغات- حسب ما يؤيده و يؤكده المتخصصون فى علم اللغات- كانت ذات يوم- متحدة الأصل، و قد تشعبت من لغة واحدة، و فى هذه الحالة يحتمل أن تكون اللغة العربية قد حققت تكاملها عبر اللغة العبرانية أو الآشورية، و بعد تكاملها أصبحت لغة مستقلة، أى ان الآخرين أسهموا فى تكميلها.

(۲) كما أنه لا- شك أنّ وجود علاقات تجارية مع الامم و الشعوب الراقية هو الآخر دليل على الحضارة و المدنية إلّا أنه هل كانت جميع مناطق الجزيرة العربية تملك مثل هذه العلاقات، أم إن اكثرها كانت محرومة من ذلك؟

هذا من جهة.

و من جهـة اخرى فان وجود علاقات بين حكومتين فى الحجاز و هما: «الحيرة و غسان» و بين حكومتى «الفرس» و «الروم» لا يدل أبدا على وجود حضارة فى المنطقتين الحجازيتين إذ أن جميع هـذه الحكومات كانت متصـفة بالعمالـة، فان الكثير من البلاد الافريقيـة هى اليوم من مستعمرات الدول الاوربية و مع ذلك لا توجد فيها أية مؤشرات و لا أية مظاهر من الحضارة الغربية الواقعية.

---

(۱) حضارة العرب: ۷۸- ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱

(۱) طبعا لا- يمكن إنكار حضارة «سبأ و مأرب اليمن» العجيبـة لأنه مضافا إلى ما جاء حول هـذه الحضارة فى التوراة، و ما نقل عن «هيردوتس» و غيره، كتب المؤرخ المعروف «المسعودى» عن مأرب يقول: إن أرض سبأ كانت من أخصب أراضـى اليمن و أثراها و أغدقها، و اكثرها جنانا و غيطانا و أفسحها مروجا، بين بنيان و جسد مقيم و شجر موصوف و مساكب للماء متكاثفة، و أنهار متفرقة، و كانت مسيرة اكثر من شـهر للراكب المجدّ على هذه الحال، و فى العرض مثل ذلك، و انّ الراكب أو المارّ كان يسير فى تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهى الى آخرها لا يرى جهة الشمس، و لا يفارقه الظل لاستتار الارض بالعمارة و الشجر و استيلائها عليها و احاطتها بها، فكان أهلها فى اطيب عيش و ارفهه، و أهنا حال و ارغـده، و فى نهاية الخصب و طيب الهواء و صـفاء الفضاء، و تدفّق المياه و قوة الشوكة، و اجتماع الكلمة، و نهاية المملكة ... فذلّت لهم البلاد، و اذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض» «۱».

(۲) و خلاصـة القول أن هـذه الـدلائل لا تـدل على وجود حضارة فى كل مناطق الجزيرة العربيـة و خاصـة منطقة الحجاز التى لم تذق طعم الحضـارة أبـدا، حتى أن «غوسـتاف‌لوبون» نفسه يعترف بهـذه الحقيقـة إذ يقول: «ان جزيرة العرب نجت من غزو الأـجنبى خلا ما أصاب حـدودها الشـمالية، و إن عظماء الفاتحين من مصـريين و أغارقـة و رومان و فرس و غيرهـم ممن انتهبوا العالـم لم ينالوا شـيئا من جزيرة العرب التى أوصدت دونهم أبوابها» «۲»

و على فرض صـحة كل ما قيل عن وجود حضارة شاملـة فى جميع مناطق الجزيرة العربيـة فانه يجب القول بان القـدر المسلّم فى هـذا المجال هو انه لم يبق أى اثر من هذه الحضارات فى منطقة الحجاز، إبان طلوع الإسلام، و بزوغ شمسه، و هى حقيقة يصرح بها القرآن الكريم اذ يقول تعالى: «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» «۳».

---

(۱) مروج الذهب: ج ۲ ص ۱۶۱ و ۱۶۲.

(۲) حضارة العرب: ص ۹۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲

و ينبغى هنـا أن نقف عنـد القرآن الكريم قليلا- كما وعـدنا بـذلك- فانه خير مرآة تعكس أحوال العرب و أوضاعهم بدقـة متناهيـة و بشمولية ما وراءها شمولية.

ملامح المجتمع الجاهلى العربى فى منظور القرآن:

اشارة

إن القرآن يكشف إجمالا ـ عن أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله بعث إلى قوم لم يبعث إليها احد قبله اذ يقول: «وَ لكِنْ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» «۱».

و يقول فى آيهٔ اخرى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» «۲».

و من المعلوم أن المقصود فى هاتين الآيتين و نظائرهما هم قريش و القبائل القريبهٔ إليها.

على أن أشمل وصف قرآنىّ لأوضاع المجتمع العربى الجاهلى و أحواله هو قول اللّه تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَهٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» «۳».

فإنّ هذه الآيهٔ تصوّر حياهٔ العرب تصويرا مرعبا، اذ تصوّرهم اولا و كأنهم قد سقطوا فى قعر بئر الجاهليهٔ، و الضلال و الشقاء فلا ينقذهم شىء من قعر التردى و السقوط الّا التمسّک بحبل اللّه، حبل الإيمان و القرآن.

و تصوّرهم ثانيا و كأنهم على شفير جهنم يوشكون أن يسقطوا فيه و يهووا فى نيرانه، و ليست تلک النار إلّا نيران العداوات و الحروب التى لو لم يقض عليها الإسلام بتعاليمه لأحرقت حياهٔ العرب جميعا.

هذه هى صورهٔ سريعهٔ عما كان عليه العرب فى الجاهليهٔ من جهل و سقوط.

و امّا تفصيل ذلک فيمكن الوقوف عليه بمراجعهٔ الآيات الاخرى التى

---

(۱) القصص: ۴۶.

(۲) السجدهٔ: ۳.

(۳) آل عمران: ۱۰۳.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۳

تعرضت لذكر عادات العرب و أخلاقهم، و أفعالهم و تقاليدهم، بصورهٔ مفصلهٔ، و ها نحن نشير هنا إلى تلكم العادات و الاخلاق الفاسدهٔ على ضوء تلک الآيات على نحو الاختصار تاركين التوسع فى ذلک إلى مجال آخر.

لقد اتصف المجتمع العربى الجاهلى قبل الإسلام و شاعت فيه أخلاق و عادات من أبرزها ما يلى:

۱- الشرک فى العبادهٔ:

صحيح أن العرب فى الجاهليهٔ كانت- كما يكشف القرآن ذلک لنا- موحّدهٔ فى جملهٔ من الامور و المجالات كالخالقيهٔ و التدبير و الذات «۱» إلّا أنهم كانوا- فى الأكثر- مشركين فى العبادهٔ، بل قد ذهبوا فى هذا السبيل الباطل إلى أحطّ المستويات فى اتّخاذ المعبودات و الوثنيهٔ.

و إلى ذلک يشير قوله تعالى: «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ» «۲».

و قوله تعالى: «أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناهَ الثَّالِثَهَ الْأُخْرى» «۳».

و غير ذلک من الآيات التى تشير إلى ما كان يعبده الجاهليّون من أوثان و أصنام و مبلغ ما وصلوا إليه من انحطاط، و اسفاف و انحراف فى هذا المجال.

۲- إنكار المعاد:

كـان المشـركون و الجـاهليون يرفضون الاـعتراف بالمعـاد الـذى يعنى عودة الإنسـان إلى الحيـاة. فى عـالم آخر للحسـاب و الجزاء، و يصفون من يخبر عن ذلك

---

(۱) نعم يسـتفاد من آية واحدة أنّه كان هناك اتجاه نادر بين العرب فى الجاهلية ينسب الظواهر الطبيعية إلى الطبيعة و الدهر يقول اللّه تعالى: «وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» (الجاثية ۲۴).

(۲) الأنعام: ۱۰۰.

(۳) النجم: ۱۹ و ۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴

اليوم بالجنون او الكذب على اللّه!!

يقول تعالى: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَـدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيـدٍ، أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ» «۱».

۳- هيمنة الخرافات:

لقد كانت حياة العرب الجاهلية مليئة بالخرافات التى كان منها تحريمهم الأكل من أنعام أربعة ذكرها القرآن مندداً بهذه البدعة اذ قال: «ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ» «۲».

أمّا (البحيرة) بوزن فعيلـة بمعنى مفعولة من البحر و هو الشق، فهى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن آخرها انثى- و قيل ذكر- بحروا اذنها و شقوها ليكون ذلك علامة و تركوها ترعى، و لا يستعملها أحد فى شيء.

و أمّا (السائبة) على وزن فاعلة بمعناها أو بمعنى مفعولة فهى الناقة إذا نتجت اثنى عشر بطنا- و قيل عشرة- فهى تهمل و لا تركب. و لا تمنع عن ماء، و لا يشرب لبنها إلا ضيف.

و أمّا (الوصيلة) بوزن فعيلة بمعنى فاعلة او بمعنى مفعولة فهى الشاة تنتج سبعة أبطن او تنتج عناقين عناقين.

و أمّا (الحامى) بوزن فاعل من الحمى بمعنى المنع فهو الفحل من الإبل الـذى يسـتخدم للقاح الأناث، فاذا ولـد من ظهره عشـرة أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحمل عليه، و لا يمنع من ماء و مرعى «۳»

و الظاهر ان هذا المذهب تجاه هذه الانواع من الانعام كان بدافع الاحترام

---

(۱) سبأ: ۷ و ۸.

(۲) المائدة: ۱۰۳.

(۳) راجع مجمع البيان: ج ۳ ص ۲۵۲ و ۲۵۳ فى تفسير الآية.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵

و الشـكر لما وهب أصـحابها من النعم و البركات، غير أن هـذا العمل- كان فى حقيقته- نوعا من الإيـذاء و الإضـرار بهـذه الحيوانات، لأنهم كانوا يهملونها و يحرمونها من العنايـة اللازمـة فكانت تشـقى بقية حياتها، و تقاسـى من الحرمان، مضافا إلى ما كان يصـيبها من التلف و الضياع، و ما يلحق ثروتهم و النعم التى و هبها اللّه لهم من هذا الطريق من الضرر و الخسارة.

و الأسوأ من كل ذلك أنهم- كما يستفاد من ذيل الآية- كانوا ينسبون هذه المبتدعات المنكرات و هذا المنع و الحظر إلى اللّه سبحانه و تعالى، اذ يقول سبحانه:

«وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» و قد أعلم اللّه فی مطلع الآية أنه لم يحرّم من هذه الاشياء شيئا، و أنهم ليكذبون على اللّه بادّعائهم أن هذه الأشياء من فعل اللّه أو أمره.

و قد أشار القرآن إلى هذه الخرافات التی كانت تكبّل عقول الناس فی ذلك المجتمع اذ يقول: «وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی كانَتْ عَلَيْهِمْ» «۱».

۴- الفساد الاخلاقی:

كان المجتمع الجاهلی العربی يعانی من فساد ذريع فی الاخلاق و قد أشار القرآن الكريم الی اثنين من أبرز وسائل الفساد و مظاهره هما: القمار (الذی كانوا يسمّونه بالميسر و انما اشتق من اليسر لأنه اخذ مال الرجل بيسر و سهولة من غير كدّ و لا تعب) و الخمر.

و قد بلغ شغفهم بالخمر أنهم أعرضوا عن قبول الإسلام و اعتناقه لأنه يحرّم تناول الخمر و شربه، كما نقرأ ذلك فی قصة الاعشی عما قريب.

يقول القرآن فی هذا الصعيد: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما» «۲».

و قد استطاع القرآن الكريم عبر مراحل أربع أن يستأصل هذه العادة البغيضة

---

(۱) الأعراف: ۱۵۷ و راجع المحبر ص ۳۳۰- ۳۳۲.

(۲) البقرة: ۲۱۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶

التی كانت قد تجذرت بشكل عجيب فی نفوس ذلك القوم، حتی اصبحت السمة البارزة لحياتهم و أصبح التغنّی بالخمرة، و وصفها الطابع الغالب لآدابهم، و اللون البارز الذی يصبغ قصائدهم و اشعارهم.

على أن الفساد الأخلاقی فی المجتمع الجاهلی العربیّ قبل الإسلام لم يكن ليقتصر على معاقرة الخمر، و مزاولة الميسر بل تعدى إلى ألوان اخرى ذكرها القرآن الكريم فی ثلاثة عشر موضعا، حيث عدّ منها الزنا، و اللواط، و القذف، و إكراه الفتيات على البغاء و ما شاكل ذلك «۱».

۵- وأد البنات و إقبارهن:

و يشير القرآن الكريم أيضا إلى عادة جاهلية سيئة اخرى كانت رائجة بين قبائل العرب الجاهلية قاطبة و هی دفن البنت حية.

فقد شجب القرآن الكريم هذه العادة البغيضة و هذا العمل اللاانسانی و نهی عنه بشدة فی اربعة مواضع، إذ قال تعالى: «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» «۲». و قال تعالى: «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً» «۳».

و قد اتی جد «الفرزدق» «صعصعة بن ناجية بن عقال» رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عدّ من اعماله الصالحة فی الجاهلية أنه فدی مائتين و ثمانين موؤدة فی الجاهلية، و أنقذهنّ من الموت المحتّم باشترائهنّ من آبائهن بأمواله.

و قد افتخر «الفرزدق» بإحياء جدّه للموءودات فی كثير من شعره اذ قال:

و منّا الذی منع الوائدات‌و أحیا الوئید فلم یوأد «۴»

(۱) راجع للوقوف علی ذلک سورة النساء: ۱۵ و ۱۶. و سورة النور: ۲ و ۳ و غیرها. و راجع المحبر: ص ۳۴۰.

(۲) التکویر: ۸ و ۹.

(۳) الإسراء: ۳۱.

(۴) بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۵ و ۴۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷

۶- تصوراتهم الخرافیة حول الملائکة:

و ممّا أشار إلیه القرآن الکریم تصورات العرب الجاهلیة حول الملائکة، فقد کانوا یعتقدون أن الملائکة من الإناث و أنهن بنات اللّه، اذ یقول تعالی:

«فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّکَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِکَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ. أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْکِهِمْ لَیَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ أَصْطَفَی الْبَناتِ عَلَی الْبَنِینَ. ما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ» «۱».

۷- کیفیة الانتفاع من الانعام:

إذا کانت العرب الجاهلیة تمتنع من تناول لحوم الأنعام الاربعة المذکورة آنفا و تجتنب عن استعمال ألبانها و شعورها و أصوافها. إلا أنها کانت فی المقابل تتناول الدم، و المیتة و الخنزیر، و تأکل من الحیوانات و الأنعام التی تقتلها بصورة قاسیة، و بالتعذیب و الأذی، و ربما کانت تعتبر ذلک نوعا من العبادة، و یعرف ذلک من الآیة التالیة التی نزلت تنهی بشدة عن أکل هذه اللحوم، و تحرّم تناولها، اذ یقول سبحانه: «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّیَةُ وَ النَّطِیحَةُ وَ ما أَکَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَکَّیْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِکُمْ فِسْقٌ» «۲».

فقد حرم اللّه فی هذه الآیة اکل:

۱- المیتة.

۲- الدم.

۳- لحم الخنزیر.

۴- ما ذکر اسم غیر اللّه علیه.

۵- التی تموت خنقا، و هی المنخنقة.

(۱) الصافّات: ۱۴۹- ۱۵۴.

(۲) المائدة: ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸

۶- التى تضرب حتى تموت، و هى الموقوذة.

۷- التى تقع من مكان عال فتموت و هى المتردية.

۸- التى تموت نطحا من حيوان آخر و هى النطيحة.

۹- ما افترسه سبع إلا اذا ذكى قبل موته.

۱۰- و ما ذبح أمام الاصنام.

۸- الاستقسام بالازلام:

فقد كان تقسيم لحم الذبيحة يتم عن طريق الأزلام، و الأزلام جمع (زلم) بوزن (شرف) و هى عيدان و سهام تستخدم فى ما يشبه القرعة لتقسيم لحم الذبيحة.

فقد كان يشترى عشرة أنفار معيرا ثم يذبحونه، ثم يكتبون على سبعة منها أسهما مختلفة من الواحد الى السبعة و لا يكتبون على ثلاثة منها شيئا، ثم يجعلونها فى كيس ثم يستخرجونها واحدة بعد اخرى، كل واحدة باسم أحدهم فيأخذ كل واحد منهم من الذبيحة ما خرج له من السهم، و هكذا يقتسمون الذبيحة بينهم «۱»، فنهاهم اللّه عن ذلك بقوله: «وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ» لأنه ضرب من القمار الذى ينطوى على مفاسد الميسر و القمار.

۹- النسىء:

كان العرب الجاهليون يعتقدون حرمة الاشهر الحرم (و هى أربعة المحرم و رجب و ذو القعدة و ذو الحجة) فكانوا يتحرجون فيها من القتال، و جرت عادة العرب على هذا من زمن إبراهيم و اسماعيل عليهما السّلام.

الّا أن سدنة الكعبة أو رؤساء العرب كانوا يعمدون أحيانا، و لقاء مبالغ يأخذونها، أو جريا مع أهوائهم، الى تأخير الاشهر الحرم، و هو الأمر الذى عبّر

---

(۱) راجع للوقوف على تفصيل هذه الطريقة بلوغ الارب: ج ۳ ص ۶۲ و ۶۳، و المحبر: ص ۳۳۲- ۳۳۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹

عنه القرآن الكريم بالنسىء ثمّ نهى عنه و عدّه كفرا اذ قال: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ» «۱».

و قد ذكرت كتب التاريخ و السير كيفية النسىء و تأخير الأشهر الحرم، الذى كان يتم بصور مختلفة منها: أن جماعة ما لو كانت ترغب فى استمرار الغارة و القتال و لم تطق تأخير النضال مدة الاشهر الحرم كانت تطلب من سدنة الكعبة، لقاء ما تقدمه لهم من هدايا و اموال، تجويز الغارة و القتال فى شهر محرم، و تحرم القتال فى شهر صفر بدله ليتم عدد الأشهر الحرم (و هى اربعة). و هذا هو معنى قوله تعالى: «لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ» و كانوا إذا أحلّوا القتال و الغارة فى المحرم من سنة حرّموه فى المحرم من السنة التالية، و هذا هو معنى قوله تعالى:

«يُحِلُّونَهُ عاماً، وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً».

۱۰- الربا:

و ممّـا يشير إليه القرآن الكريم من المفاسد الشائعة، و الأعمال المنكرة فى المجتمع العربى الجاهلى قبل الإسلام: «الربا» الذى كان يشكل العمود الفقرى فى اقتصاد ذلك المجتمع.

و قد حارب القرآن الكريم هذه العادة المقيتة، و هذا الفساد الاقتصادى حربا شعواء، إذ قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ» «۲».

و العجيب أنهم كانوا يبرّرون هذا العمل اللاإنسانى بقولهم «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا» «۳» فاذا كان البيع حلالا و هو اخذ و عطاء فليكن الرّبا كذلك حلالا، فإنه أخذ و عطاء أيضا، مع أن «الرّبا» من ابشع صور الاستغلال، و قد ردّ

---

(۱) التوبة: ۳۷.

(۲) البقرة: ۲۷۸ و ۲۷۹.

(۳) البقرة: ۵/ ۲۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰

سبحانه على هذه المقالة بقوله تعالى: «وَ أَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا» «۱» ففى البيع و الشراء يتساوى الطرفان فى تحمل الضرر المحتمل، بينما لا يتضرر المرابى فى النظام الربوى أبدا و إنّما يلحق الضرر بمعطى الربا دائما، و لهذا تنمو المؤسسات الربوية، و يعظم رصيدها، و ثروتها يوما بعد يوم فيما يزداد الطرف الآخر بؤسا و فقرا، و لا يحصل من جهوده المضنية إلا على ما يسدّ جوعته، و يقيم اوده، لا اكثر، كل ذلك نتيجة لهذا الاسلوب الاقتصادى غير العادل.

صور من الوضع الجاهلى

ما قدمناه كان أبرز المفاسد الاخلاقية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التى أشار إليها القرآن الكريم، و أما التاريخ فملىء بالصور و القصص التى تحكى عن تردى حالة العرب الجاهلية و سقوطها الفضيع فى قعر الفساد فى جميع المناحى و الجهات.

و إليك فى ما يلى نماذج و صور معدودة تكفى للوقوف على الحالة العامة فى ذلك المجتمع نقتبسها لك من أصح المصادر و اوثقها:

(۱) و ها نحن نقدم قصة «أسعد بن زرارة» التى تسلط الضوء على ما كان عليه الوضع الجاهلى فى اكثر مناطق الحجاز، فقد قدم «أسعد بن زرارة» و «ذكوان بن عبد قيس»- و هما من الأوس و كان بين الاوس و الخزرج حرب قد بقوافيها دهرا طويلا، و كانوا لا يضعون السلاح لا بالليل و لا بالنهار، و كان آخر حرب بينهم «يوم بعاث» و قد انتصر فيها الأوس على الخزرج- مكة فى عمرة رجب يسألون الحلف على الاوس، و كان اسعد بن زرارة صديقا لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال: انه كان بيننا و بين قومنا حرب و قد جئناك نطلب الحلف عليهم، فقال له عتبة: إن لنا شغلا لا نتفرّغ لشىء. قال سعد: و ما شغلكم و أنتم فى حرمكم و أمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعى أنّه رسول اللّه سفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا و أفسد

---

(۱) البقرة: ۲۷۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱

شبّاننا، و فرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد اللّه بن عبد المطلب من أوسطنا شرفا، و أعظمنا بيتا.

(١) و كان أسعد و ذكوان، و جميع الاوس و الخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير و قريظة و قينقاع، أن هذا أوان نبيّ يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب، فلما سمع ذلك أسعد وقع فى قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس فى الحجر، و إنّهم لا يخرجون من شعبهم إلّا فى الموسم، فلا تسمع منه و لا تكلمه فانه ساحر يسحرك بكلامه، و كان هذا فى وقت محاصرة بنى هاشم فى شعب أبى طالب، فقال له «أسعد»:

فكيف أصنع و أنا معتمر لا بدّ لى أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع فى اذنيك القطن، فدخل «أسعد» المسجد و قد حشا اذنيه بالقطن، (٢) فطاف بالبيت و رسول اللّه جالس فى الحجر مع قوم من بنى هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان فى الشوط الثانى قال فى نفسه: ما أجد أجهل منى؟ أ يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا اتعرّفه حتى ارجع الى قومى فاخبرهم، (٣) ثم أخذ القطن من اذنيه و رمى به، و قال لرسول اللّه: أنعم صباحا، فرفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رأسه إليه و قال: قد أبدلنا اللّه به ما هو احسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم، قال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمّد؟ قال: إلى شهادة ألّا إله إلّا اللّه، و انى رسول اللّه، و أدعوكم الى: «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» «١».

---

(١) الأنعام: ١٥١ و ١٥٢.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٥٢

(١) فلما سمع «أسعد» هذا قال له: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنك رسول اللّه، يا رسول اللّه بأبى أنت و أمى ... «١».

إن الامعان فى مفاد هاتين الآيتين يغنينا عن دراسة شاملة و واسعة لاوضاع العرب الجاهلية لأن هاتين الآيتين تكشفان عن الأمراض الاخلاقية التى كانت تكتنف حياة العرب الجاهلية، و لهذا تلا رسول اللّه الآيات التى تشير إلى هذه الادواء و الأمراض ليلفت نظر «سعد» إلى أهداف رسالته الكبرى.

(٢)

العقيدة و الدين فى الجزيرة العربية:

عند ما رفع «إبراهيم الخليل» لواء التوحيد فى البيئة الحجازية، و أعاد بناء الكعبة المعظمة و رفع قواعدها بمعونة ابنه «اسماعيل»، تبعه فى ذلك طائفة من الناس ممن أنار اللّه به قلوبهم، الّا انه من غير المعلوم إلى ایّ مدى استطاع ذلك النبى العظيم أن يعمّم دين التوحيد و يبسط لواءه على الجميع، و يؤلف صفوفا متراصة، و جبهة عريضة قوية من الموحدين، غير ان من المعلوم انه اصبحت تلك المنطقة مسرحا للوثنية و لعبادة الاشياء المختلفة مع الايام فقد كانت الطبقة المثقفة من العرب تعبد الكواكب و القمر، فهذا هو المؤرخ العربى الشهير الكلبى الذى توفى عام ٢٠۶ هجرية يكتب فى هذا الصدد قائلا كان «بنو مليح» من خزاعة يعبدون الجن و كانت «حمير» تعبد الشمس، و «كنانة» تعبد القمر، و «تميم» الدبران، و «لخم» و «جذام» المشترى، و «طى» سهيلا، و «قيس» الشعرى، و «أسد» عطاردا.

(٣) أما الدهماء و الذين كانوا يشكلون اغلبية سكان الجزيرة فقد كانوا يعبدون- مضافا إلى الصنم الخاص بالقبيلة أو العائلة- ثلاثمائة و ستين صنما، و كانوا ينسبون أحداث كل يوم من أيام السنة إلى واحد منها.

و قد دخلت عبادة الأصنام و الأوثان فى مكة بعد «إبراهيم الخليل»

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۸ و ۹، اعلام الورى: ص ۳۵- ۴۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳

عليه السّلام على يد «عمرو بن لحى»، و لكنها لم تكن فى بداية أمرها بتلك الصورة التى وصلت إليها فى ما بعد فقد كانوا يعتبرونها فى بداية الأمر شفعاء إلى اللّه و وسطاء بينه و بينهم، و لكنهم تجاوزوا هذا الحد فى ما بعد حتى صاروا يعتقدون شيئا فشيئا بانها اصحاب قدرة ذاتية مستقلة، و أنها بالتالى آلهة و أرباب.

(۱) و كانت الاصنام المنصوبة حول الكعبة تحظى باحترام جميع الطوائف العربية، و لكن الاصنام الخاصة بالقبائل فقد كانت موضع احترام جماعة خاصة فقط، و لأجل أن تبقى حرمة هذه الأصنام و الأوثان الخاصة محفوظة لا يمسها أحد بسوء كانوا ينشئون لها أماكن و بيوت خاصة، و كانت سدانة هذه البيوت و المعابد تنتقل من جيل إلى آخر بالوراثة.

أما الاصنام العائلية فقد كانت العوائل تقتنيها للعبادة كل يوم و ليلة، فاذا أراد احدهم السفر كان آخر ما يصنعه فى منزله هو ان يتمسح به أيضا.

و كان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها، و اتخذه ربّا و جعل ثلاثة أثافىّ لقدره، و إذا ارتحل تركه.

(۲) و كان من شغف أهل مكة و حبّهم للكعبة و الحرم أنه كان لا يسافر منهم أحد إلّا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، و حبا له فحيثما حلّوا نصبوه و طافوا به كطوافهم بالكعبة صبابة بها، و يمكن أن تكون هذه هى «الأنصاب» التى فسرت بالاحجار العادية غير المنحوتة و تقابلها الأوثان، و هى الاحجار المنحوتة:

على هيئة خاصة، و أما «الأصنام» فهى المعمولة من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان.

(۳) لقد بلغ خضوع العرب أمام الاصنام و الأوثان حدا عجيبا جدا، فقد كانوا يعتقدون بأنهم يستطيعون كسب رضاها بتقديم القرابين إليها، و كانوا بعد نحر الهدايا يلطخون وجوه الاصنام و رءوسها بدماء تلك الهدايا، و كانوا يستشيرونها فى مهام امورهم، و جلائل شئونهم، فاذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذى تصدّوا له و معرفة عاقبته أخير هو أم شر استقسم لهم أمين القداح بقدحى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴

(الأمر و النهى) و هى قطع كتب على بعضها (افعل) و على بعضها الآخر (لا تفعل) فيمدّ أمين القداح يده و يجيل القداح و يخرج واحدا فان طلع الآمر فعل أو الناهى ترك.

(۱) و خلاصة القول، ان الوثنيّة كانت العقيدة الرائجة فى الجزيرة العربية، و قد تفشّت فيهم فى مظاهر متنوعة و متعددة، و كانت الكعبة المعظمة- فى الحقيقة- محطّ أصنام العرب الجاهلية و آلهتهم المنحوتة، فقد كان لكل قبيلة فى هذا البيت صنم، و بلغ عدد الاصنام الموضوعة فى ذلك المكان المقدس (۳۶۰) صنما فى مختلف الاشكال و الهيئات و الصور، بل كان النصارى أيضا قد نقشوا على جدران البيت و أعمدته صورا لمريم و المسيح و الملائكة، و قصّة ابراهيم.

و كان من جملة تلك الأصنام: «اللات» و «العزّى» و «مناة» التى كانت تعتبرها قريش بنات اللّه و يختص عبادتها بقريش.

و كانت «اللات» تعتبر أمّ الآلهة، و كان موضعها بالقرب من «الطائف» و كانت من الحجر الابيض، و أما «مناة» فكانت فى عقيدتهم إلهة المصير و ربّة الموت و الاجل و كان موضعها بين «مكة» و «المدينة».

(۲) و لقد اصطحب «ابو سفيان» معه يوم «احد»: «اللات» و «العزّى».

و يروى انه مرض ذات يوم «أبو احيحة» و هو رجل من بنى أميّة، مرضه الذى مات فيه، فدخل عليه ابو لهب يعوده، فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك يا ابا احيحة؟ أمن الموت تبكى و لا بد منه؟ قال: لا و لكنى اخاف ان لا تعبد العزى بعدى! قال ابو لهب: و اللّه ما عبدت حياتك (اى لأجلك) و لا تترك عبادتها بعدك لموتك!! فقال أبو احيحة: الآن علمت ان لى خليفة «۱».

(۳) و لم تکن هذه هی کل الأصنام التی کانت تعظّمها و تعبدها العرب بل کانت لقریش أصنام فی جوف الکعبة و حولها و کان اعظمها «هبل»، کما انه لم یکن لکل قبیلة صنم خاص فحسب بل کانت کل عائلة تعبد صنما خاصا بها

---

(۱) الأصنام للکلبی: ص ۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵

مضافا إلی صنم القبیلة و کانت المعبودات تتراوح بین الکواکب، و الشمس، و القمر، و الحجر، و الخشب، و التراب، و التمر، و التماثیل المنحوتة المختلفة فی الشکل، و الهیکل، و الاسم، المنصوبة فی الکعبة أو فی سائر المعابد.

لقد کانت الاصنام جمیعها أو أغلبها معظّمة عند العرب، یتقربون عندها بالذبائح و یقرّبون لها القرابین، و جرت عادة بعض القبائل آنذاک أن تختار من بین أفرادها کل سنة شخصا فی مراسیم خاصة ثم تذبحه عند أقدام اصنامها، و تقبر جسده علی مقربة من المذبح.

(۱) هذا العرض المختصر یکشف لنا کیف أن أرض الجزیرة العربیة برمتها کانت قد اصبحت مسرحا للاصنام و مستودعا ضخما للاوثان، و کیف تحولت هذه البقعة من العالم ببیوتها و ازقتها و صحاریها و حتی بیت اللّه المحرم کانت قد تحولت الی مخزن للنصب المؤلّهة، و التماثیل المعبودة، و یتجلی هذا الأمر من قول شاعرهم الذی اسلم و راح یستنکر ما کان علیه من عبادة الاصنام المتعددة الخارجة عن الاحصاء و العدّ، اذ قال:

أ ربّا واحدا أم ألف ربأدین إذا تقسّمت الامور

عزلت اللات و العزی جمیعاکذلک یفعل الجلد الصبور

فلا عزّی أدین و لا ابنتیهاو لا صنمی بنی عمرو أزور

و لا غنما أزور و کان ربّالنا فی الدهر إذ حلمی یسیر

و لکن أعبد الرحمن ربّیلیغفر ذنبی الربّ الغفور «۱» و قد حدثت بسبب الاختلاف و التعددیة فی عبادة الاصنام و الاوثان المؤلّهة السخیفة الباطلة، تناقضات، و صراعات، و حروب و مناحرات، قد جرت بالتالی- ویلات و ماس و خسائر مادیة و معنویة کبری علی تلک الجماعة المتوحشة، الضالة. سید المرسلین ج۱ ۵۵ العقیدة و الدین فی الجزیرة العربیة: ..... ص : ۵۲

---

(۱) بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۲۴۹ و جاء البصیر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶

(۱)

عقیدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت:

و عن مصیر الإنسان و حالته ما بعد الموت هذه المشکلة الفلسفیة العویصة کانت رؤیة العرب و نظرتهم تتلخص فی ما یلی:

عند ما یموت الانسان تخرج روحه من جسده علی هیئة طائر شبیه بالبوم یسمی عندهم ب «الهامّة و الصدی» ثم یبقی هذا الطائر قریبا من جسد المیت ینوح نوحا مقرحا و موحشا، و عند ما یواری المیت یبقی هذا الطائر مقیما عند قبره إلی الابد!

و ربما وقف علی جدار منزل المیت أحیانا لتسقّط أخبار عائلته و الاطلاع علی أحوالهم!!

قال شاعرهم فی ذلک:

سلّط الموت و المنون علیهمفلهم فی صدی المقابر هام و إذا کان المرء قد مات بموتة غیر طبیعیة کما لو قتل- مثلا- فإن ذلک

الحیوان ینادی باستمرار: «اسقونی ... اسقونی» ای اسقونی بسفک دم القاتل و اراقته؛ و لا یسکن عن هذا النواح و النداء الخاص الا بعد الانتقام و الثأر من قاتله.

قال احدهم فی ذلک:

فیا ربّ إن أهلک و لم تروها متی‌بلیلی امت لا قبر أعطش من قبری «۱»

(۲) من هنا بالضبط تتجلی الحقیقة للقارئ و یعلم جیدا کیف أن تاریخ العرب ما قبل الإسلام و تاریخهم ما بعد الإسلام ما هو الّا تاریخان علی طرفی نقیض:

فذلک تاریخ جاهلیة، و وثنیة و إجرام، و هذا تاریخ علم و وحدانیة و انسانیة و ایمان، و شتان ما بین وأد البنات، و بین رعایة الایتام، و بین السلب و النهب و الاغارة و بین المواساة و الایثار، و بین عبادة الاوثان و الاصنام الصماء العمیاء

---

(۱) بلوغ الارب. ج ۲ ص ۳۱۱ و ۳۱۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷

و التقرب الی اللّه الواحد القادر.

(۱)

الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسیاتها:

المخلّفات الفکریة و الثقافیة، و ما یترکه أی شعب من الشعوب من قصص و حکایات افضل وسیلة للتعرف علی خلفیاته النفسیة و الأخلاقیة، ذلک لأنّ الآداب بما فیها الشعر و القصة، و الخطبة و الحکایة، و المثل و الکنایة مرآة صادقة تعکس المستوی الفکری لأیّة جماعة، و تعتبر خیر مقیاس لتمدّنها، و حضارتها، و أفکارها و نفسیاتها، تماما کما تحکی اللوحات الفنیة عن حیاة عائلة، أو منظر طبیعی جمیل، أو اجتماعات صاخبة، أو مشاهد قتالیة.

إن القصائد و الأمثال العربیة التی کانت رائجة آنذاک تستطیع- قبل کل شیء- أن تکشف عن الوجه الحقیقی لتاریخهم و نمط حیاتهم و سلوکهم، و لهذا السبب لا یجوز لأی مؤرخ واقعی یسعی الی الحصول علی صورة کاملة عن تاریخ شعب من الشعوب أن یتجاهل الترکة الفکریة و الأدبیة و الثقافیة لذلک الشعب سواء أ کان شعرا أم نثرا، أمثالا أم حکما، قصصا أم أساطیر.

و من حسن الحظ أنّ مؤرخی الإسلام اثبتوا و سجلوا باتقان ما اثر من العرب ممّا یرتبط بآدابهم فی العصر الجاهلی بقدر ما اتیح لهم ذلک.

(۲) و قد کان ابو تمام «حبیب بن اویس» (المتوفی عام ۲۳۱ هجریة) و الذی یعتبر من کبار أدباء الشیعة، و له قصائد رائعة فی مدح آل الرسول، ممن اعتنی عنایة بالغة بهذه الناحیة، حیث جمع فی کتاب واحد طائفة کبیرة جدا من الشعر الجاهلی مفصلة فی عشرة ابواب هی:

۱- الحماسة.

۲- المراثی.

۳- الادب.

۴- النسیب.

۵- الهجاء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸

۶- الاضافات.

۷- الصفات.

۸- السیر.

۹- الملح.

۱۰- مذمة النساء.

و قد تناول هذا الدیوان التاریخی القیم عدد کبیر من أدباء المسلمین و علمائهم بشرح ابیاته، و تفسیر غوامضها، و بیان اغراضها، و مقاصدها.

کما ترجم أصل الدیوان إلی لغات اجنبیة عدیدة جاء ذکر طائفة منها فی کتاب «معجم المطبوعات» «۱».

(۱)

مکانة المرأة عند العرب الجاهلیة:

إن الباب العاشر من هذا الدیوان خیر وسیلة لمعرفة ما کانت علیه المرأة فی العصر الجاهلی من الحرمان، و أقوی دلیل علی أنها کانت تعیش- فی ظل ذلک العهد- فی أسوأ الحالات و أشد الظروف و اتعسها.

هذا مضافا إلی أن الآیات القرآنیة التی تنزلت و هی تشجب بعنف معاملة الجاهلیین للعنصر النسائی، و قسوتهم علی الأنثی، هی الاخری افضل شاهد علی مدی الانحطاط الاخلاقی و التدهور السلوکی الذی انحدروا إلیه فی هذا المجال.

إن القرآن الکریم یصف عادة وأد البنات بقوله: «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ» «۲» أی لیسأل یوم القیامة عن البنات اللاتی وئدن و هنّ أحیاء.

إن القرآن الکریم بهذه العبارة الموحیة إنما یتحدث- فی الحقیقة- عن عادة وأد البنات بمرارة، و یشجبها بشدة حتی أنه یعتبرها جریمة نکراء لا تمر- فی الآخرة- بدون حساب شدید، و سؤال خاص.

---

(۱) معجم المطبوعات: ص ۲۹۷، و قد اشتهر هذا الدیوان ببابه الأول: «الحماسة» فسمی دیوان الحماسة

(۲) التکویر: ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹

حقا انه لأمر یکشف عن مدی القسوة التی کان علیها قلوب تلک الجماعة.

إنها قسوة تغشی کل عواطف المرء فلا یعود یسمع معها نداء الضمیر، و لا یحسّ معها بوخز الوجدان، انه لا یعود یسمع معها حتی صراخ بنته الجمیلة البریئة، و استغاثاتها المؤلمة و هی تری بام عینیها حفیرتها، و تحس بیدی والدها القاسی، و هو یدفعها إلی تلک الحفرة و یدفنها حیة!

إنها قسوة تکشف عن أسوأ و أحطّ درجات الانحطاط الخلقی، و التقهقر الإنسانی.

(۱) و بنو تمیم هی أول قبیلة أقدمت علی هذه الجریمة النکراء، و کان السبب أن «بنی تمیم» امتنعوا من دفع ضریبة الاتاوة التی کانت علیهم إلی الملک، فجرّد إلیهم النعمان بن المنذر حاکم العراق آنذاک جیشا کبیرا لضرب هذا التمرد، و انتصر علی «بنی تمیم» فی المال و غنم منهم الغنائم و سبی منهم الفتیات و النساء، فوفدت وفود «بنی تمیم» علی النعمان بن المنذر و کلّموه فی الذراری و النساء، فحکم النعمان بان یجعل الخیار فی ذلک الی النساء، فأیة امرأة اختارت زوجها ردّت علیه، فاختلفن فی الخیار، فاختار بعضهنّ العودة الی الاهل و الآباء، و اختارت بنت لقیس بن عاصم سابیها علی زوجها مما أثار هذا الموقف و الاختیار غیظ والدها العجوز «قیس بن عاصم» فنذر من ذلک الحین أن یدس کل بنت تولد له. و هکذا سنّ لقومه الوأد، و اخذت بقیة القبائل بهذه العادة البغیضة الوحشیة

إرضاء لغيرتهم و ظلّوا يمارسونها اعواما متمادية «۱».

و إليك واحدة من القصص المأساوية في هذا المجال:

(۲) قيل لما وفد «قيس بن عاصم» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سأله بعض الانصار عما يتحدث به في الموؤدات، فاخبر انه ما ولدت له بنت إلّا وأدها، قال:

كنت اخاف العار و ما رحمت منهن إلّا بنيّة كانت ولدتها امها و أنا في سفر، فدفعتها الى أخواتها، و قدمت أنا من سفرى فسألتها عن الحمل، فاخبرت أنها

(۱) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۲ و ۴۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۰

ولدت ولدا ميتا، و كتمت حالها، حتى مضت على ذلك سنون، و كبرت الصبية، و ينعت، فزارت امها ذات يوم، فدخلت فرأيتها و قد ضفرت شعرها و جعلت في قرونها جدادا و نظمت عليها و دعا، و البستها قلادة من جزع فقلت لها: من هذه الصبية؟ و قد اعجبنى جمالها فبكت امها، و قالت: هذه ابنتك، فامسكت عنها حتى غفلت امها ثم اخرجتها يوما فحفرت لها حفرة و جعلتها فيها و هى تقول: يا ابت ما تصنع؟ اخبرنى بحقك!! و جعلت اقلّب عليها التراب، و هى تقول: أنت مغط عليّ بهذا التراب، أنت تاركى وحدى، و منصرف عنى، و جعلت اقذف عليها حتى واريتها، و انقطع صوتها، فتلك حسرتها في قلبى، فدمعت عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: «إن هذه لقسوة، و من لا يرحم لا يرحم» «۱».

و قد ذكر ابن الاثير في كتابه «اسد الغابة» في مادة: قيس: ان النبى صلّى اللّه عليه و آله سأل قيسا عن عدد البنات اللاتى وأدهنّ في الجاهلية: فاجاب قيس بانه وأد اثنتى عشرة بنتا له «۲».

و روى عن ابن عباس أنه قال: كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة، فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة و اذا ولدت ولدا حبسته «۳».

(۱)

المرأة و مكانتها الاجتماعية عند العرب:

كانت المرأة عندهم تباع و تشترى كالمتاع، و كانت محرومة من جميع الحقوق الاجتماعيّة و الفردية، حتى حق الارث.

و قد كان المثقفون من العرب يعدّون النساء من الحيوانات، و لهذا كانوا يعتبرونهن جزء من أثاث البيت و يعاملونهن معاملة الرياش و الفراش حتى سار

(۱) حياة محمّد: تأليف محمّد على سالمين، ص ۲۴ و ۲۵.

(۲) راجع اسد الغابة: ج ۴ ص ۲۲۰، و جاء في بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۴۳ أنه وأد بضع عشرة بنتا.

(۳) بلوغ الارب: ج ۳ ص ۴۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱

فيهم المثل المعروف: «و انما امّهات الناس اوعية».

كما أنهم غالبا ما كانوا يقتلون بناتهم في اليوم الاول من ميلادهن خشية الفقر تارة، و دفعا للعار و الشنان تارة اخرى.

و قد كان هذا القتل يتمّ إما بذبحهن أو إلقائهنّ من شاهق، أو إغراقهنّ في الماء، أو الدفن و هن أحياء كما سبق.

(۱) و قد تعرض القرآن الكريم- الذى يعدّ من وجهة نظر المستشرقين الكتاب و المصدر التاريخى العلمى الوحيد الذى لم تنله يد التحريف- تعرّض لذكر قصة من هذا النوع ضمن آيات من سورة النحل حيث قال: «وَ إذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» «۱».

هذا و المؤسف أكثر هو ما كان عليه وضع الزواج فى الجاهلية، حيث لم يكن يستند الى اى قانون، و لم يخضع لأىّ واحد من النظم المعقولة، بل كان وضعا عديم النظير فى ذلك الزمان، فلم يكن لعدد الزوجات- مثلا- حد معلوم، او قاعدة ثابتة.

كما انهم كلما أرادوا التخلص من مهر الزوجة عمدوا إلى ايذاءها بقسوة، حتى تتخلى هى بنفسها عن حقها، و كان اقترافها لأىّ عمل مناف للعفة هو الآخر سببا لسقوط حقها فى المهر بالمرة.

(۲) و لطالما استغلّ بعض الاشخاص هذا القانون الجائر للتخلص من مهور زوجاتهم فاتهموهن بالخيانة الزوجية!!

و من قبيح ما كانوا يفعلون ان يتزوج الرجل بزوجة أبيه بعد تطليقها، أو وفاته و ربما تناوب الأبناء على امرأة أبيهم واحدا بعد واحد، فقد كان الرجل من العرب الجاهلية إذا مات عن المرأة أو طلّقها قام أكبر بنيه، فان كان يحبّ أن يتزوجها طرح ثوبه عليها، و إن لم يكن يريد التزوج بها تزوّج بها بعض اخوته بمهر

---

(۱) النحل: ۵۸ و ۵۹.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۶۲

جديد «۱».

و قد ابطل الإسلام هذه العادة الفاسدة حيث قال اللّه تعالى: «وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا» «۲».

و قد ذكرت كتب التاريخ و السيرة طائفة ممن فعلوا هذا نعرض عن ذكر أسماءهم.

كما ذكرت تلك الكتب انواعا اخرى من المناكح الفاسدة الشنيعة التى أبطلها الإسلام «۳».

ثم إن المطلّقة لم يكن لها الحق- فى زمن الجاهلية- فى ان تتزوج برجل آخر بعد انقضاء عدّتها إلا إذا اذن لها الزوج الأول الذى كان غالبا ما يأخذ مهرها فى الزواج الثانى فى قبال الاذن.

و ربما منع اولياؤها من أن تتزوج بزوجها الأول الذى طلّقها، ثم خطبها بعد انقضاء العدة إذا رضيت به و رغبت فيه، أو أن تتزوج بمن أرادت و احبّت- بعد انقضاء العدّة- أصلا، حميّة جاهلية.

و كان الرجل يرث امرأة ذى قرابته إذا مات عنها، تماما كما يرث ما خلّف من أمتعة المنزل، زاعما بانه أحق بها من غيره، فيعضلها (يمنعها من الزواج) او تردّ إليه صداقها، و فى رواية؛ إن كانت جميلة تزوجها، و ان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها، و قد نهى اللّه تعالى عن ذلك، و أبطل تلك العادات اذ قال تعالى: «وَ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» «۴».

---

(۱) المحبر: ص ۳۲۶ و ۳۲۷.

(۲) النساء: ۲۲، و كانوا يسمّون من يتزوج زوجة أبيه الضيزن، و كان هذا الزواج يسمّى فى الجاهلية «نكاح المقت» و يسمى الولد منه: مقتىّ. (راجع بلوغ الارب: ج ۲ ص ۵۳ و مجمع البيان للطبرسى: ج ۳ ص ۲۶).

(۳) المحبر: ۳۳۷- ۳۴۰.

(۴) البقرة: ۲۳۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۳

و قال سبحانه: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا یَحِلُّ لَکُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ کَرْهاً وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَیْتُمُوهُنَّ» «۱».

و قال تعالی: «وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لا تُمْسِکُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» «۲».

و خلاصة القول؛ إن المرأة کانت فی العهد الجاهلیّ بشرّ حال، و یکفی لتلخیص ما قلناه انه لما خطب احدهم الی رجل ابنته، و ذکر له المهر و الصداق قال: إنّی و إن سیق إلیّ المهر ألف و عبدان (ای عبید و ممالیک) و ذود (و هو من الابل من الثلاث الی العشر) عشر، أحبّ أصهاری إلیّ القبر و قال شاعرهم، فی ذلک.

لکلّ أبی بنت یراعی شئونهاثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل یراعیها و خدر یکنهاو قبر یواریها و أفضلها القبر «۳» کما ان العرب کانت مصفقة و متفقة علی توریث البنین دون البنات «۴».

(۱)

مقارنة بسیطة:

و لو لاحظت أیها القارئ الکریم الحقوق التی قررها الإسلام فی مجال (المرأة) لاذعنت- حقا- بأن هذه الاحکام و المقررات و هذه الخطوات المؤثرة التی خطاها النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فی سبیل اصلاح حقوق المرأة، و تحسین اوضاعها، هی بذاتها شاهد حق، و دلیل صدق علی حقانیّته، و صدق ارتباطه بعالم الوحی.

فایة رعایة و لطف بالمرأة و حقوقها و أی اهتمام بشأنها و کرامتها أعلی و اکثر من ان یوصی النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله مضافا الی ما جاء فی آیات و احادیث کثیرة تؤکّد علی حقوق المرأة و توصی أتباع هذا الدین بالرحمة بهن و احترامهن فی

---

(۱) النساء: ۱۹.

(۲) البقرة: ۲۳۱.

(۳) بلوغ الارب: ج ۲ ص ۹.

(۴) المحبر: ص ۲۳۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴

خطبته الشهیرة فی (حجة الوداع) بالمرأة، و یؤکد علی ذلک اشد تأکید انه یقول صلّی اللّه علیه و آله:

«أیها النّاس إنّ لنسائکم علیکم حقا، و لکم علیهنّ حقا ... فاتقوا اللّه فی النّساء و استوصوا بهنّ خیرا، فانهنّ عندکم عبوان ... أطعموهنّ ممّا تأکلون، و ألبسوهنّ ممّا تلبسون» «۱».

(۱)

العرب و الرّوح القتالیة:

من الناحیة النفسیة یمکن القول بان عرب الجاهلیة کانوا النموذج الکامل للإنسان الحریص، الموصوف بالطمع الشدید، الفویّ التعلق بالمادیات.

لقد كانوا ينظرون الى كل شیء من زاوية منافعه و مردوداته المادية، كما أنهم كانوا دائما يرون لأنفسهم فضيلة و ميزة على الآخرين. كانوا يحبّون الحرية حبا شديدا، و لذلك كانوا يكرهون كل شیء يقيّد حريتهم.

(۲) يقول ابن خالدون عنهم: «إنهم (ای العرب الجاهلية) بطبيعة التوحّش الذی فيهم اهل انتهاب و عيث، ينتهبون ما قدروا عليه ... و كان ذلك عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم، و عدم الانقياد للسياسة و هذه الطبيعة منافية للعمران و مناقضة له».

و يضيف قائلا: «فطبيعتهم انتهاب ما فی أيدی الناس، و ان رزقهم فی ظلال رماحهم و ليس عندهم فی أخذ اموال الناس حدّ ينتهون إليه، بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه» «۲».

لقد كانت الاغارة و كان النهب و القتال من العادات المستحكمة عند القوم، و من الطبائع الثانوية فی نفوسهم، و قد بلغ ولعهم و شغفهم بكل ذلك و نروعهم

---

(۱) وردت هذه العبارات فی مصادر مختلفة مع شیء طفيف من الاختلاف، راجع تحف العقول: ص ۳۳ و ۳۴.

(۲) مقدّمة ابن خالدون: ص ۱۴۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۵

الشديد إليه، أن أحدهم- كما يقال- سأل النبیّ صلّى اللّه عليه و آله بعد أن سمع منه وصف الجنة و ما فيها من نعيم: و هل فيها قتال؟ و لما سمع الجواب بالنفی قال: اذن لا خير فيها!!

اجل لقد سجل التاريخ للعرب ما يقرب من (۱۷۰۰) وقعة و حربا، امتد أمد بعضها الى مائة سنة أو اكثر، يعنی أن أجيالا كثيرة كانت تتوارث الحرب، و تستمر فی قتال الخصم، و ربّ حرب دامية طويلة الأمد اندلعت بسبب قضيّة تافهة «۱».

(۱) لقد كان العربی فی العهد الجاهلی يعتقد بأن الدم لا يغسله إلا الدم، و قضية «الشنفری» التی هی اشبه بالأساطير لغرابتها يمكن أن تعكس مدى «العصبية الجاهلية» التی كانت سائدة آنذاک.

فالشنفری يهان على يد رجل من «بنی سلامان» فيعزم على الانتقام منه، و ذلك بأن يقتل مائة من تلك القبيلة، و بعد التربّص الطويل يغتال تسعا و تسعين، و يبقى مشرّدا حتى تغتاله جماعة من اللصوص عند بئر فتفعل جمجمته- بعد مقتله- فعلتها، اذ تتسبّب بعد مرور سنين- فی قتل رجل من قبيلة- «بنی سلامان» و بذلك يكتمل العدد الذی حلف على قتلهم من تلك القبيلة، و ذلك عند ما يمر رجل من «بنی سلامان» على تلك المنطقة فيهب طوفان شديد يلقی بجمجمة «شنفرة» على ذلك الرجل فتصيبه فی رجله بشدة، فيموت بما لحقه من ألم و جراحة «۲».

---

(۱) العرب قبل الإسلام: ص ۳۱۹ و ۳۲۰، هذا و تعتبر حرب داحس و الغبراء من أيام العرب التاريخية قبل الإسلام، و قد نشأت بسبب سباق بين فرسين هما داحس و الغبراء (و هو فرسين لقيس بن زهير من بنی عبس) و فرسين آخرين (لحذيفة الغدر) انتهى الى التنازع فی السباق و ازداد التنافر بين المتسابقين و انجرّ الى طعن أحدهما الآخر، و أن تتهيأ على اثر ذلك مقدمات حرب طويلة بين قبيلتی الرجلين و حلفائهما استمرت من عام ۵۶۸ م الى عام ۶۰۸ م و موت كثيرين.

(راجع تاريخ العرب و آدابهم ص ۴۷ و الكامل لابن الأثير: ج ۱ ص ۲۰۴).

(۲) تاريخ العرب: ج ۱ ص ۱۱۱، و راجع أيضا بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۱۴۵ و ۱۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۶

(۱) و لقد بلغ انس العرب الجاهلية بالقتال و سفك الدماء أن جعلوا القتل و السفك للدماء من مفاخر الرجال!!

و يبدو ذلك جليا لمن يقرأ قصائدهم الملحمية التى تفوح منها رائحة الدم، و يخيّم عليها شبح الموت، تلك القصائد التى يمدح فيها الشاعر نفسه او قبيلته بما أراقوه من دماء!!، و ما ازهقوه من ارواح و ما سبوه من نساء!!، و أيتموه من أطفال!!

و نجد فى البيت الشعرىّ التالى مدى انزعاج الشاعر العربىّ الجاهلى لما اصاب قبيلته من نكسة و ذل و هزيمة فى ميدان القتال، اذ يقول:

فليت لى بهمو قوما إذا ركبواشنّوا الإغارة ركبانا و فرسانا و يصف القرآن الكريم هذه الحالة بقوله: «وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها» «۱».

(۲)

الاخلاق العامة فى المجتمع الجاهلى العربى:

و مهما يكن من امر فان عوامل مختلفة كالجهل و ضيق ذات اليد، و جشوبة العيش، و عدم وجود قانون صحيح يحكم الحياة الاجتماعية، و حالة البداوة الموجبة للتوحش، و الكسل و البطالة و غير ذلك من الرذائل الاخلاقية كانت قد حوّلت جوّ الجزيرة العربية إلى جوّ فاسد قاتم، حتى أن امورا يندى لها الجبين قد اخذت طريقها الى حياة تلك الجماعة و راحت تتخذ شيئا فشيئا صفة العادات المتعارفة!!

لقد كانت الغارات و عمليات النهب، و القمار، و الربا، و الاسر، و السبى من الأعمال و الممارسات الرائجة فى حياة العرب الجاهلية، و كان شرب الخمر و معاقرتها بلا حدود هو الآخر من الأعمال القبيحة الشائعة لديهم، و لقد ترسّخت هذه العادة القبيحة فى حياتهم الى درجة انها صارت جزء من طبيعتهم، و حتى أن

---

(۱) آل عمران: ۱۰۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷

شعراءهم خصّصوا مساحات كبيرة فى قصائدهم لامتداح الخمرة و وصفها و كانت الحانات مفتوحة فى وجه الناس طيلة الوقت تستقبل الزبائن، و قد نصبت عليها رايات.

فها هو شاعرهم يقول:

إذا متّ فادفنّى إلى جنب كرمةتروّى عظامى بعد موتى عروقها

و لا تدفننى فى الفلاة فإنّنى أخاف إذا ما متّ أن لا أذوقها «۱» لقد بلغت معاقرة الخمر من الرواج فى الحياة العربية الجاهلية بحيث اصبحت لفظة «التجارة» تعادل فى عرفهم بيع الخمور، و الاتجار بها.

(۱) و لقد كانت الأخلاق تفسر عند العرب الجاهلية بنحو آخر عجيب، فانهم مثلا كانوا يمدحون الشجاعة و المروءة و الغيرة، و لكنهم كانوا يقصدون من «الشجاعة» القدرة على الإغارة و سفك الدماء، و كثرة عدد القتلى فى الحروب!! كما أن الغيرة كانت تعنى عندهم وأد البنات حتى أن هذا العمل الوحشىّ كان يعدّ عندهم من أعلى مظاهر الغيرة، و كانوا يرون الوفاء و الوحدة فى نصرة الحليف حقا أو باطلا و هكذا فان اكثر القصص التى نقلت عن شجاعتهم و شغفهم بالحرية كانت الشجاعة و الشغف بالحرية فيها تتلخص و تتجسّد فى الاغارة و الانتقام.

انهم كانوا يعشقون- فى حياتهم- المرأة و الخمرة و الحرب ليس غير.

(۲)

النزوع الى الخرافة و الاساطير فى المجتمع الجاهلى:

و لقد بيّن القرآن الكريم اهداف البعثة المحمّدية المقدسة بعبارات موجزة، و ممّا يلفت النظر- اكثر من أىّ شىء- ما ذكره تعالى فى الكتاب العزيز حول أهم هذه الاهداف و الغايات العليا إذ قال: «وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ» «۲».

---

(۱) تفسير مفاتيح الغيب: ج ۲ ص ۲۶۲ طبعة مصر ۱۳۰۵.

(۲) الأعراف: ۱۵۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸

(۱) فلا بدّ أن نعرف ما ذا كانت تلك الأغلال و السلاسل التى كانت عرب الجاهلية ترزح تحتها حتى قبيل بزوغ فجر الإسلام؟
لا ريب أنّها لم تكن من جنس الأغلال و السلاسل الحديدية، و لم يكن المقصود منها ذلك أبدا، فما ذا كانت إذن يا ترى؟
أجل إن المقصود من هذه الاغلال هى الأوهام و الخرافات التى كانت تقيّد العقل العربى عن الحركة، و تعيقه عن النمو و التقدم، و لا شك أن مثل هذه السلاسل و الأغلال التى تقيّد الفكر البشرى و تمنعه من التحليق و التسامى، اثقل بكثير من الاغلال و القيود الحديدية و اضرّ على الإنسان منها بدرجات و مراتب، لأنّ الأغلال الحديديّة توضع عن الأيدى و الأرجل بعد مضى زمان، و يتحرر الإنسان منها، بعد حين، ليدخل معترك الحياة بعقلية سليمة مبرّأة من الأوهام و الخرافات، و قد زالت عنه ما تركته تلك الحدائد من جروح و آلام.
(۲) أما السلاسل و الاغلال الفكرية (و نعنى بها الاوهام و الاباطيل و الخرافات) التى قد تهيمن على عقل الإنسان و تكبّل شعوره فانها طالما رافقت الإنسان الى لحظة وفاته، و اعاقته عن المسير و الانطلاق، دون ان يستطيع التحرر منها، و التخلص من آثارها، و تبعاتها، اللهم اذا استعان على ذلك بالتفكير السليم، و الهداية الصحيحة.
فبالتفكير السليم و فى ضوء العقل البعيد عن أىّ و هم و خيال يمكنه التخلص من تلك الاغلال و القيود الثقيلة، و أما بدون ذلك فإن أى سعى للإنسان فى هذا السبيل سيبوء بالفشل.
(۳) إن من أكبر مفاخر نبى الإسلام أنه كافح الخرافات، و أعلن حربا شعواء على الأساطير، و دعا إلى تطهير العقل من أدران الأوهام و التخيلات، و قال: لقد جئت لاخذ بساعد العقل البشرى، و أشد عضده، و احارب الخرافه مهما كان مصدرها. و كيفما كان لونها و أيّا كانت غايتها، حتى لو خدمت أهدافى، و ساعدت على تحقيق مقاصدى المقدسة.
إنّ ساسة العالم الذين لا تهمهم إلّا إرساء قواعد حكمهم و سلطانهم على

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۹

الشعوب لا- يتورعون عن التوسل بأية وسيلة، و الاستفادة من اية واقعة فى سبيل تحقيق مآربهم حتى أنهم لا يتأخرون عن التذرع بترويج الخرافات و الأساطير القديمة بين الشعوب للوصول إلى سدة الحكم، أو البقاء فيها ما امكنهم ذلك. و لو اتفق أن كانوا رجالا موضوعيين و منطقيين فانهم فى هذه الحالة دافعوا عن تلك الخرافات و الأوهام و الاساطير التى لا تنسجم مع اى مقياس عقلى بحجة الحفاظ على التراث القومى، او احترام راى اكثرية الشعب، او ما شابه ذلك من الحجج المرفوضة.
(۱) و لكنّ رسول الإسلام لم يكتف بإبطال المعتقدات الخرافية التى كانت تلحق الضرر به، و بمجتمعه، بل كان يكافح و يحارب بجميع قواه كل اسطورة أو خرافة شعبية او فكرة فاسدة باطلة، تخدم غرضه، و تساعد على تحقيق التقدم فى دعوته و يسعى إلى أن يجعل الناس يعشقون الحقيقة لا ان يعبدوا الخرافات، و يكونوا صحايا الاساطير و الأوهام، و إليك واحدا من هذه المواقف العظيمة على سبيل المثال لا الحصر.

لمّا مات إبراهيم بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو ابنه الوحيد، حزن عليه النبى حزنا شديدا فكانت تنحدر الدموع منه على غير اختيار، و اتفق ان انكسفت الشمس فى ذلك اليوم أيضا، فذهب المولعون بالخرافة فى ذلك المجتمع (العربى) على عادتهم إلى ربط تلك الظاهرة بموت إبراهيم و اعتبار ذلك دليلا على عظمة المصاب به فقالوا: انكسفت الشمس لموت ابن رسول اللّه، فصعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنبر و قال: «أيّها الناس انّ الشمس و القمر آيتان من آيات اللّه يجريان بامره، و مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته، فاذا انكسفا، أو أحدهما صلّوا».

ثم نزل من المنبر فصلى بالناس صلاة الكسوف و هى ما تسمى بصلاة الآيات «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹۱ ص ۱۵۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۰

(۱) ان فكرة انكساف الشمس لموت ابن صاحب الرسالة و ان كان من شأنها ان تقوّى من موقع النبى فى قلوب الناس، و تخدم بالتالى غرضه، و تساعد على انتشار دعوته، و تقدمها، إلا أنه صلّى اللّه عليه و آله رفض أن يحصل على المزيد من النفوذ فى قلوب الناس من هذا الطريق.

على أن محاربة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله للخرافات و الاساطير التى كانت نموذجا بارزا من محاربته للوثنية، و تأليه المخلوقات و عبادتها، لم تكن من سيرته فى عهد الرسالة بل كان ذلك دأبه فى جميع أدوار حياته، حتى يوم كان صبيا يدرج، فانه كان يحارب الاوهام و الخرافات، و يعارضها فى ذلك السن أيضا.

تقول حليمة السعدية مرضعة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لما تمّ له (اى لمحمّد) ثلاث سنين قال لى يوما: «يا امّاه مالى لا أرى أخوىّ بالنّهار»؟

قلت له: يا بنىّ إنهما يرعيان غنيمات، قال: «فما لى لا أخرج معهما»؟ قلت له:

تحبّ ذلك؟ قال: نعم.

فلما أصبح دهّنته و كحّلته و علّقت فى عنقه خيطا فيه جزع يمانية (و هى من التمائم الباطلة كانت تعلّق على الشخص فى أيام الجاهلية لدفع الآفات عنه)، فنزعها، و قال لى: «مهلا يا اماه فإنّ معى من يحفظنى» «۱».

(۲)

الخرافات فى عقائد العرب الجاهلية:

كانت عقائد جميع الامم و الشعوب العالمية يوم بزوغ شمس الإسلام ممزوجة بألوان من الخرافات و الأساطير.

فالاساطير اليونانية و الساسانية كانت تخيّم على افكار الشعوب التى كانت تعدّ فى ذلك اليوم من أرقى الشعوب و المجتمعات.

على انه لا- تزال خرافات كثيرة تسود و الى الآن فى المجتمعات الشرقية المتقدمة، و لم تستطع الحضارة الراهنة أن تزيلها من حياة الناس و معتقداتهم.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۹۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۱

إن تنامى الخرافة «يرتبط ارتباطا وثيقا بالمستوى العلمى و الثقافى فى كل مجتمع، فبقدر ما يكون المجتمع متخلفا من الناحية الثقافية و العلمية تزداد نسبة وجود الخرافة و مقدار نفوذها فى عقول الناس و نفوسهم.

(۱) لقد سجل التاریخ عن سکّان شبه الجزیرة العربیة طائفة هائلة و کبیرة من الاوهام و الخرافات، و قد جمع السیّد محمود الآلوسی اکثرها فی کتابه «بلوغ الارب فی معرفة احوال العرب»، مرفقا کل ذلک بما حصل علیه من الشواهد الشعریة و غیرها «۱».

و من یتصفح هذا الکتاب یقف علی رکام هائل من الخرافات التی کانت تملأ العقل العربی الجاهلی آنذاک و تعشعش فی نفوسهم، و قد کانت هذه السلسلة الرهیبة من الأوهام هی السبب فی تخلّف هذا الشعب عن بقیة الشعوب و الامم الاخری.

و لقد کانت هذه الخرافات من أکبر السدود فی طریق تقدم الدعوة الإسلامیة، و لهذا اجتهد النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله بکل طاقاته فی محو و ازالة آثار الجاهلیة التی لم تکن سوی تلک الأوهام و الاساطیر و الخرافات.

فعند ما وجّه «معاذ بن جبل» الی الیمن اوصاه بقوله:

«و امت أمر الجاهلیّة إلّا ما سنّه الإسلام و أظهر أمر الإسلام کلّه صغیره و کبیره» «۲».

(۲) لقد وقف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمام جماهیر کبیرة من العرب الذین کانت عقولهم ترزح تحت الافکار و المعتقدات الخرافیة ردحا طویلا من الزمن یعلن عن نهایة عهد الأفکار و الاوهام الجاهلیة اذ قال: «کلّ ماثرة فی الجاهلیّة تحت قدمیّ» «۳».

---

(۱) بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۲ ص ۲۸۶- ۳۶۹.

(۲) تحف العقول: ص ۲۵.

(۳) السیرة النبویة: ج ۳ ص ۴۱۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۲

(۱)

نماذج من الخرافات فی المجتمع الجاهلی:

اشارة

و للوقوف علی مدی أهمیة التعالیم الإسلامیة و قیمتها نلفت نظر القارئ الکریم الی نماذج من هذه الخرافات، و من أراد التوسع راجع المصدر المذکور.

(۲)

۱- الاستسقاء باشعال النیران:

کانت العرب إذا أجدبت، و أمسکت السماء عنهم، و أرادوا أن یستمطروا عمدوا الی السلع و العشر (و هما أشجار سریعة الاشتعال) فحزموهما، و عقدوهما فی أذناب البقر، و أضرموا فیها النیران و أصعدوها فی جبل وعر، و اتبعوها یدعون اللّه تعالی، و یستسقونه، و انما یضرمون النیران فی أذناب البقر تفاؤلا- للبرق بالنار ... و کانوا یسوقونها نحو المغرب من دون الجهات الاخری، و کانت هذه الثیران و الابقار اذا صاحت من وجع الاحتراق ظنّت العرب بان ذلک هو الرعد!!! و قد قال شاعرهم فی ذلک:

یا (کحل) قد أثقلت أذناب البقربسلع یعقد فیها و عشر

فهل تجودین ببرق أو مطر؟ (۳)

۲- ضرب الثور اذا عافت البقر:

كانوا إذا أوردوا البقر فتمتنع من شرب الماء، ضربوا الثور ليقتحم الماء، بعده و يقولون: إن الجنّ تصدّ البقر عن الماء، و أن الشيطان يركب قرنى الثور، و لا يدع البقر تشرب الماء، و لذلک كانوا يضربون وجه الثور.

و قد قال فی هذا شاعرهم:

كذاك الثور يضرب بالهراوىإذا ما عافت البقر الظماء و قال آخر:

فإنى إذا كالثور يضرب جنبهإذا لم يعف شربا و عافت صواحبه «۱»

---

(۱) عافت أی كرهت شرب الماء.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۷۳

و قال ثالث:

فلا تجعلوها كالبقير و فحلهايكسّر ضربا و هو للورد طائع

و ما ذنبه إن لم ترد بقراتهو قد فاجأتها عند ذاک الشرائع

(۱)

۳- كیّ صحيح الإبل ليبرأ السقيم:

اذا كان يصيب الإبل مرض او قرح فی مشافرها و اطرافها عمدوا إلى بعير صحيح من تلک الإبل فكووا مشفره و عضده و فخذه يرون أن ذلک إن فعلوه ذهب العرّ و القرح و المرض عن إبلهم السقيمة، و لا يعرف سبب ذلک.

و قد احتمل البعض أنهم إنما كانوا يفعلون ذلک وقاية للصحاح من الإصابة بالعرّ الذى أصاب غيرها، أو أنه نوع من المعالجة العلمية، و لكن لما ذا ترى كانوا يعمدون إلى بعير واحد من بين كل تلک الابل، فلا بد من القول بأن هذا الفعل كان ضربا من الاعمال الخرافية التى كانت سائدة فی ذلک المجتمع الجاهلی قبل الإسلام.

و قد قال شاعرهم عن ذلک:

و كلّفتنى ذنب امرئ و تركتهكذى العرّ يكوى غيره و هو راتع و قال آخر:

كمن يكوى الصحيح يروم برآبه من كل جرباء الإهاب و قال ثالث:

فالزمتنى ذنبا و غيرى جرّهحنا نيل لا تكون الصحيح بأجربا

(۲)

۴- حبس ناقة عند القبر اذا مات كريم:

إذا مات منهم كريم عقلوا ناقته او بعيره عند القبر الذى دفن فيه ذلک الكريم، فعكسوا عنقها، و أداروا رأسها الى مؤخّرها و تركوها فی حفيرة لا تطعم و لا تسقى حتى تموت، و ربما احرقت بعد موتها و ربما سلخت و ملئ جلدها ثماما، و كانوا يزعمون أن من مات و لم يبل عليه (اى لم تعقل ناقة عند قبره هكذا)

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۷۴

حشر ماشيا، و من كانت له بليۀ (اى ناقۀ عقلت هكذا) حشر راكبا على بليّته.

و قد قال أحدهم فى هذا الصدد:

اذا متّ فادفنّى بحرّاء ما بهاسوى الأصرخين أو يفوّز راكب

فإن أنت لم تعقر علىّ مطيّتىفلا قام فى مال لك الدهر حالب و قال آخر و هو يوصى ولده بان يفعلوا له ذلك:

أ بنىّ لا تنس البليّۀ إنهالأبيك يوم نشوره مركوب

(۱)

۵- عقر الإبل على القبور:

كانوا إذا مات أحدهم ضربوا قوائم بعير بالسيف عند قبره، و قيل انهم كانوا يفعلون ذلك مكافأۀ للميت المضياف على ما كان يعقره من الإبل فى حياته و ينحره للاضياف.

و قد ابطلت الشريعۀ المقدسۀ هذه العادۀ الباطلۀ فى ما أبطلته فقد جاء فى الحديث «لا عقر فى الإسلام».

و قد قال أحدهم حول العقر هذا:

قل للقوافل و الغزاۀ اذا غزواو الباكرين و للمجدّ الرائح

إن الشجاعۀ و السماحۀ ضمّناقبرا بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر بهكوم الجلاد و كل طرف سابح

و أنضح جوانب قبره بدمائهافلقد يكون اخادم و ذبائح

۶- نهيق الرجل إذا اراد دخول القريۀ (التعشير):

(۲) و من خرافاتهم أن الرجل منهم كان إذا اراد دخول قريۀ فخاف وباءها او جنّها وقف على بابها قبل ان يدخلها فنهق نهيق الحمار، ثم علّق عليه كعب ارنب كأنّ ذلك عوذۀ له، و رقيۀ من الوباء و الجن و يسمون هذا النهيق التعشير.

قال شاعرهم:

و لا ينفع التعشير أن حمّ واقعو لا زعزع يغنى و لا كعب ارنب

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۷۵

و قال الآخر:

لعمرى إن عشّرت من خيفۀ الردىنهاق حمير أننى لجزوع

۷- تصفيق الضالّ فى الصحراء ليهتدى:

(۱) فقد كان الرجل منهم اذا ضلّ فى فلاۀ قلب قميصه و صفق بيديه، كأنه يومئ بهما الى انسان مهتدى.

قال أعرابى فى ذلك:

قلبت ثیابی و الظنون تجول بی‌و یرمی برجلی نحو کل سبیل

فلأیا بلائی ما عرفت حلیلتی‌و أبصرت قصدا لم یصب بدلیل

۸- الرتم:

(۲) و ذلک أن الرجل منهم کان اذا سافر عمد الی خیط فعقده فی غصن شجرة او فی ساقها فاذا عاد نظر إلی ذلک الخیط فإن وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه و ان لم یجده أو وجده محلولا قال: قد خانتنی. و ذلک العقد یسمی «الرتم».

قال شاعرهم فی ذلک:

خانته لما رأت شیبا بمفرقه‌و غرّه حلفها و العقد للرتم و قال الآخر:

لا تحسبنّ رتائما عقدنّهاتنبیک عنها بالیقین الصادق و قال ثالث:

یعلل عمرو بالرتائم قلبه‌و فی الحیّ ظبیّ قد أحلّت محارقه

فما نفعت تلک الوصایا و لا جنت‌علیه سوی ما لا یحبّ رتائمه

۹- وطی المرأة القتیل الشریف لبقاء ولدها:

فقد کانت العرب تقول: ان المرأة المقلاة و هی التی لا یعیش لها ولد، إذا وطئت القتیل الشریف عاش ولدها.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۷۶

قال احدهم:

تظلّ مقالیت النساء یطأنه‌یقلن أ لا یلقی علی المرء مئزر

۱۰- طرح السنّ نحو الشمس اذا سقطت:

(۱) و من تخیّلات العرب و خرافاتهم أن الغلام منهم اذا سقطت له سن أخذها بین السبابة و الابهام و استقبل الشمس اذا طلعت و قذف بها و قال: یا شمس ابدلینی بسنّ احسن منها و لتجر فی ظلمها إیاتک، او تقول إیاؤک، و هما جمیعا شعاع الشمس.

قال احدهم و هو یصف ثغر معشوقته:

سقته إیاة الشمس إلّا لثاته‌أسفّ و لم تکرم علیه باثمد أی کأن شعاع الشمس اعارته ضوءها.

هذا و قد أشار شاعرهم الی هذا الخیال (او قل الخرافة المذکورة) اذ قال:

شادن یحلو إذا ما ابتسمت‌عن أقاح کاقاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته‌بردا أبیض مصقول الاثر

۱۱- تعلیق النجاسة علی الرجل وقایة من الجنون:

و من تخیّلات العرب أنهم کانوا إذا خافوا علی الرجل الجنون، و تعرّض الارواح الخبیثة له نجّسوه بتعلیق الاقذار کخرقة الحیض و

عظام الموتى قالوا:

و أنفع من ذلك أن تعلّق عليه طامت عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك. و انشدوا فى ذلك:

فلو أن عندى جارتين و راقياو علّق أنجاسا علىّ المعلق و قالت امرأة و قد نجّست ولدها فلم ينفعه ذلك و مات:

نجّسته لا ينفع التنجيسو الموت لا تفوته النفوس

۱۲- دم الرئيس يشفى:

فقد كانت العرب تعتقد أنّ دم الرئيس يشفى من عضة الكلب الكلب.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۷۷

قال الشاعر:

بناة مكارم و اساة جرحدماؤهم من الكلب الشفاء و قال آخر:

أحلامكم لسقام الجهل شافيةكما دماؤكم تشفى من الكلب

۱۳- شق البرقع و الرداء يوجب الحب المتقابل:

و من أوهامهم و تخيلاتهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا احب امرأة و احبّته فشق برقعها و شقّت رداءه صلح حبهما و دام، فان لم يفعلا ذلك فسد حبهما، قال فى ذلك احدهم:

و كم شققنا من رداء محبّرو من برقع عن طفلة غير عانس

اذا شق برد شق بالبرد برقعدواليك حتى كلّنا غير لابس

نروم بهذا الفعل بقيا على الهوىو الف الهوى يغوى بهذى الوساوس

(۱)

۱۴- معالجة المرضى بالامور العجيبة:

و من مذاهبهم الخرافية فى معالجة المرضى إذا بثرت شفة الصبى حمل منخلا على رأسه و نادى بين بيوت الحىّ: الحلأ الحلأ، الطعام الطعام، فتلقى له النساء كسر الخبز، و اقطاع التمر و اللحم فى المنخل ثم يلقى ذلك للكلاب فتأكله، فيبرأ من المرض فان أكل صبىّ من الصبيان من ذلك الذى ألقاه للكلاب تمرة او لقمة أو لحمة بثرت شفته.

فقد رويت عن امرأة أنها انشدت:

ألا حلأ فى شفة مشقوقهفقد قضى منخلنا حقوقه و من أعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علة الواحد منهم، و ظنّوا أنّ به مسّا من الجن لانه قتل حية، أو يربوعا، أو قنفذا، عملوا جمالا من طين و جعلوا عليها جوالق و ملأوها حنطة و شعيرا و تمرا، و جعلوا تلك الجمال فى باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس و باتوا ليلتهم تلك، فاذا اصبحوا نظروا إلى تلك

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۷۸

الجمال الطين فاذا رأوا انها بحالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها و ان رأوها قد تساقطت و تبدّد ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الدية

و استدلوا على شفاء المريض و فرحوا و ضربوا الدفّ.

قال بعضهم:

قالوا و قد طال عنائى و السقماحمل الى الجن جمالات و ضمّ

فقد فعلت و السقام لم يرمفبالذى يملك برئى اعتصم و قال آخر:

فيا ليت أن الجن جازوا حمالتىو زحزح عنى ما عنانى من السقم

اعلّل قلبى بالّذى يزعمونهفيا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم و من مذاهبهم فى هذا المجال أن الرجل منهم كان إذا ظهرت فيه القوباء (و هو مرض جلدى) عالجها بالريق.

قال احدهم:

يا عجبا لهذه الفليقةهل تذهبّن القوباء الريقة

۱۵– خرافات فى مجال الغائب:

كانوا إذا غمّ عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عاديـة (أى مظلمـة بعيدة القعر) أو جاءوا إلى حصن قديم و نادوا فيه: يـا فلان أو يا أبا فلان (ثلاث مرات)، و يزعمون انه إن كان ميتا لم يسـمعوا صوتا، و إن كان حيا سـمعوا صوتا ربّما توهموه و هما، أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم فى ذلك:

دعوت أبا المغوار فى الحفر دعوةفما آض صوتى بالذى كنت داعيا «۱»

أظن أبا المغوار فى قصر مظلمتجرّ عليه الذاريات السوافيا و قال آخر:

و كم ناديته و الليل ساجبعادىّ البئار فما أجابا

---

(۱) آض أى عاد و رجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۷۹

و من ذلـك أن الرجـل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: (أرى من احبّه) فإن كان غائبا توقع قـدومه، و إن كان بعيـدا توقّع قربه، و قال أحدهم:

إذا اختلجت عينى أقول لعلّهافتاة بنى عمرو بها العين تلمع و قال آخر:

إذا اختلجت عينى تيقّنت إنّنىأراك و إن كان المزار بعيـدا و كانوا إذا لا يحبّون لمسافر أن يعود إليهم أوقـدوا نارا خلفه و يقولون فى دعائهم «أبعده اللّه و أسحقه و أوقد نارا إثره» قال بعضهم:

صحوت و أوقدت للجهل ناراورد عليك الصباما استعارا

۱۶– عقائدهم العجيبة فى الجنّ و تأثيره:

كانت العرب فى الجاهلية تعتقد فى الجن و تأثير هذا الكائن فى شتى مجالات حياتهم اعتقادات عجيبة و فى غاية الغرابة.

فتارة تستعيذ بالجن، و قد استعاذ رجل منهم و معه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادىمن شرّ ما فيه من الأعادى

فلم يجرنا من هزبر عادى

و عن الاستعاذة بالجنّ قال اللّه سبحانه فى القرآن: «وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً» «۱».

و من ذلك اعتقادهم بهتاف الجن. و لهم فى هذا المجال أساطير خرافية مذكورة فى محلّها.

و من هـذا القبيـل اعتقـادهم بـالغول، فقـد كانت تزعم العرب فى الجاهليـة أن الغيلان فى الفلوات (و هى من جنس الشـياطين) تتراءى للناس، و تغول تغولا اى تتلوّن تلونا فتضلّهم عن الطريق، و تهلكهم، و من هذا القبيل أيضا اعتقادهم بالسعالى!!

---

(۱) الجن: ۶.

و قد قال أحدهم فى ذلك:

و ساحرة عينىّ لو أنّ عينهارأت ما الاقيه من الهول جنّات

أبيت و سعلاة و غول بقفرةإذا الليل و أرى الجن فيه أرنت

۱۷- تشاءمهم بالحيوانات و الطيور و الاشياء:

و من مذاهبهم الخرافية تشاءمهم بأشياء كثيرة و حالات عديدة:

فمن ذلك؛ تشاءمهم بالعطاس.

و تشاءمهم بالغراب حتى قالوا: فلان أشأم من غراب البين، و لهم فى هذا المجال أبيات شعرية كثيرة منها قول أحدهم:

ليت الغراب غـداة ينعب دائباكـان الغراب مقطّع الأوداج و كـذا تشاءمهم و تطيّرهم بالثور المكسور القرن و الثعلب. إلى غير ذلك من التخيلات و الأوهام و الخرافات و الاساطير، و الاعتقادات العجيبـة، و التصورات الغريبـة التى تزخز بها كتب التاريـخ المخصـصة لبيان أحوال العرب قبل الإسلام و حتى ابان قيام الحضارة الإسلامية.

(۱)

مكافحة الإسلام لهذه الخرافات:

و لقد كافح الإسلام جميع هذه الخرافات بطرق مختلفة، و اساليب متنوعة.

أما بالنسبـة إلى ما كانوا يفعلونه بالحيوانات (۲) فمضافـا إلى أنّ أىّ شـىء من هـذه الأعمال لا ينسـجم مع العقل و المنطق و العلم لأن المطر و الغيث لاـ ينزل من السـماء باسعال النيران، و ضـرب الثيران لاـ يؤثر فى البقر، كمـا لا ينفع كىّ البعير الصـحيح فى شـفاء الإبل السقيمة، و تعتبر هذه الاعمال نوعا من تعذيب الحيوانات و قد نهى الإسلام بشدة عن تعذيب الحيوانات و ايذائها، باى شكل كان.

(۳) فقد روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «للدّابة على صاحبها ستّ خصال:

۱- يبدأ بعلفها إذا نزل.

۲- و يعرض عليها الماء إذا مرّ به.

۳- و لا يضرب وجهها فإنها تسبّح بحمد ربّها.

۴- و لا يقف على ظهرها إلا فى سبيل اللّه عزّ و جلّ.

۵- و لا یحمّلها فوق طاقتها.

۶- و لا یکلّفها من المشی إلا ما تطیق «۱».

کما روی أنه نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن أن توسم البهائم فی وجهها، و أن تضرب فی وجوهها فانها تسبّح بحمد ربها.

و من هنا ندرک ان التعالیم فی مجال الرفق بالحیوان، و حمایته، علی النقیض من العادات الجاهلیة السائدة فی البیئة العربیة آنذاک.

و اما بالنسبة الی التمائم و الأشیاء التی کانت تعلّقها العرب علی أعناق و صدور رجالها، و أولادها، من الأحجار و الخرز، و عظام الموتی، و معالجة المرضی و المصابین و غیرهم بها أحیانا فقد حاربها الإسلام، بعد أن أبطلها کما ابطل الافاعیل التی سبق أن ذکرناها قبل هذا.

فلما جاءت جماعات من الأعراب إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سألوه عن الرّقی و القلائد التی کانوا یتداوون بها أو یسترقونها بدلا عن التداوی بالعقاقیر و الأدویة قائلین یا رسول اللّه: أ نتداوی؟

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «تداووا فإنّ اللّه لم یضع داء إلا وضع له دواء» «۲».

بل نجد النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یأمر سعد بن أبی وقاص عند ما اصیب بمرض فی فؤاده أن یعالج نفسه عند طبیب إذ قال له لما عاده و عرف بحاله: «إنک رجل مفود، ائت الحارث بن کلدة أخا ثقیف فإنه رجل یتطبّب» «۳».

---

(۱) من لا یحضره الفقیه: ج ۲ ص ۲۸۶، و راجع للوقوف علی أحادیث حقوق الحیوان کتاب الشؤون الاقتصادیة: ص ۱۳۰- ۱۵۹ أیضا.

(۲) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۷۸.

(۳) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۷۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۲

(۱) هذا مضافا إلی أنه وردت أحادیث کثیرة تصرّح ببطلان التمائم السحریّة التی لا تنفع و لا تضرّ أبدا، و ها نحن نشیر فی ما یلی إلی نموذجین من هذه الأحادیث:

۱- یقول أحدهم: دخلت علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بابن لی قد اعلقت علیه من العذرة (و هی قلادة سحریة جاهلیة) فقال: علام تدغرن أولادکنّ بهذا العلاق، علیکنّ بهذا العود الهندیّ» و کان صلّی اللّه علیه و آله یقصد عصارة هذا العود «۱».

۲- روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام أنه قال: «إنّ کثیرا من التمائم شرک» «۲».

هذا مضافا إلی أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أوصیاءه الکرام- بارشادهم الناس إلی ما ینبغی أن یتداووا به من العقاقیر و الأدویة و ما أعطوه من تعالیم قیمة کثیرة فی هذا المجال ممّا جمعه المحدثون الکبار تحت عنوان: «طبّ النبی» و «طب الرضا» و ... و- قد وجهوا ضربة قویة اخری إلی تلک الأوهام و التخیّلات، و الخرافات و الاساطیر التی کان یعانی منها المجتمع العربی الجاهلی قبل الإسلام «۳».

و أما الغول، و الطیرة، و التشاؤم، و الهامّیة و النوء فقد حاربها النبی بصراحة اذ قال: صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «لا هامّة و لا نوء و لا طیرة، و لا غول» «۴».

و قال (ص) «العیافة و الطیرة و الطرق من الجبت» «۵».

---

(۱) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۸۴.

(۲) سفینة البحار: ج ۱ مادة رقی.

(۳) و قد فتح المحدّثون من الفریقین أبوابا خاصّا لأحادیث الطبّ النبویّ فی کتب الحدیث أیضا.

(۴) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۱۹۶ و ۱۹۷ الفصل الرابع باب نفی مزاعم الجاهلیة، قال مؤلف التاج: الهامّة طائر أو البوم إذا سقط فی مکان تشاءم أهله، أو دابّة تخرج من رأس القتیل أو من دمه فلا تزال تصیح حتی یؤخذ بثاره، و النوء نجم یأتی بالمطر و آخر یأتی بالریح (حسب عقیدة الجاهلیة)!!

(۵) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۲۰۱. قال مؤلّف التاج العیافة زجر الطّیر و التفاؤل بأسمائها و أصواتها کالتفاؤل بالعقاب علی العقاب، و بالغراب علی الغربة، و بالهدهد علی الهدی، و کذا بأفعالها، و کیفیة طیرانها فکانت العرب تزجر الطیر و تثیره فما اخذ منها ذات الیمین تبرکوا به-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۳

و عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا أنه قال: «إنّ الرقی و التمائم و التوله شرک» «۱».

و عن أحدهم قال: قلت یا رسول اللّه امورا کنّا نصنعها فی الجاهلیة، کنّا نأتی الکهّان، قال: فلا تأتوا الکهان، قلت: کنّا نتطیّر قال: ذاک شیء یجده أحدکم فی نفسه فلا یصدّنکم».

إن وجود النهی الشدید و المکرّر فی الأحادیث الکثیرة عن الطیرة و التشاؤم، و الزجر و العیافة و التمائم و التولة و الهامّة و النوء و الغول، و الکهانة، و ایذاء الحیوانات و کیهنّ، و تعذیبهن، و ما شابه ذلک یدل بوضوح و قوة علی مدی رسوخ هذه العادات الباطلة فی الحیاة العربیّة الجاهلیة، یکشف عن مبلغ اعتقادهم بها، و نزوعهم إلیها و هو بالتالی یکشف عن مغزی قوله تعالی: «وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ» «۲» فأیّة سلاسل و أغلال أثقل و أسوأ عاقبة و أشدّ وطئة، من هذه الأغلال ... أغلال الخرافة و الوهم، و سلاسل التخیلات و الاساطیر؟!!

(۱)

أوضاع العرب الاجتماعیة قبیل ظهور الإسلام:

إن اولی خطوة خطاها البشر باتّجاه النمط الاجتماعی کانت عند ما أقبل علی تأسیس و إقامة الحیاة القبلیة، فالقبیلة تتکون من اجتماع عدة عوائل و اسر مترابطة فیما بینها بوشائج القربی و النسب تحت زعامة شیخ القبیلة، و بهذا یتحقق

- و تیمّنوا و ما تیاسر منها تشاء موابه (کما فی بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۲۱۲ تحت عنوان کیفیة الزجر عند العرب).

و «الطرق»: الضرب بالحصی (للاستدلال علی امور غیبیّة باعتقاد الجاهلیین). و الجبت هو الباطل.

(۱) التاج الجامع للأصول: ج ۳ ص ۲۰۳. قال مؤلّف الجامع: «التولة»: نوع من السحر یحبّب الرجل إلی زوجته، و هو من عمل المشرکین (أی فی الجاهلیة).

(۲) سورة الأعراف: ۱۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۸۴

أبسط نمط من أنماط الحیاة الاجتماعیة.

(۱) و قد کانت الحیاة العربیة- آنذاک- من هذا القبیل، فکل مجموعة من العوائل المترابطة نسبیا تتجمع فی شکل قبیلة، و تشکل بذلک مجتمعا صغیرا یخضع فیه الجمیع لأوامر رئیس القبیلة و زعیمها، و لقد کان الجامع بین افراد القبیلة هو الرابطة القومیة، و الوشیجة النسبیة، و کانت هذه القبائل تختلف فی عاداتها و رسومها، و تقالیدها و أعرافها، اختلافا کبیرا، و إذ کانت کل قبیلة تعتبر القبائل الاخری غریبة عنها لذلک کانت لا تقیم للآخرین وزنا و لا قیمة، و لا تعترف لهم بای حق أو حرمة.

و لهـذا كانت ترى الإغارة على الآخرين و قتلهم، و نهب أموالهم، و سـلب ممتلكاتهم و سبى نسائهم من حقوقها القانونيـة المشـروعة، اللّهم إلّا أن يكون بين القبيلة، و القبيلة الاخرى حلف أو معاهدة.

هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت القبيلـة التى تتعرض للإغارة من جانب قبيلة اخرى ترى من حقها أن تردّ الصاع صاعين، فتقتل كل أفراد القبيلة المغيرة، لأن الدّم- فى نظرهم- لا يغسله الا الدّم!!!

و لقـد تبـدلت أخلاقيـة العرب هـذه بعـد انضوائهم تحت لواء الإسـلام الحنيف، بل تحوّلوا من نمط الحكومـة القبلية المتخلفة و النظام العشائرى الضـيّق هذا، إلى حكومة عالميّة، و اسـتطاع رسول الإسـلام صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ان يؤلف من القبائل العربية المتفرقة أمّة واحدة.

(۲) و لا شك أن تأليف امـة واحـدة من قبائل و جماعات اعتادت طوال سـنين مديـدة من التاريخ على التناحر و التنازع، و التخاصم و التقاتـل، و التهاجم و الإغارة فى ما بينها، و استمرأت سـفك الـدماء، و إزهاق الارواح، و ذلك فى مـدة قصـيرة، عمل عظيم جـدا، و معجزة اجتماعيـة لا نظير لها، لأن مثل هـذا التحوّل العظيم إذا اريد له أن يتمّ عبر التحوّلات و التطورات العاديّة لاحتاج الى تربية طويلة الامد، و وسائل لا تحصى كثرة.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۸۵

(۱) يقول «توماس كارليل» فى هـذا الصدد: لقد اخرج اللّه العرب بالإسـلام من الظلمات إلى النور، و أحيى به منها امة خاملة لا يسـمع لها صوت و لا يحسّ فيها حركة، حتى صار الخمول شـهرة و الغموض نباهة و الضـعة رفعة و الضـعف قوة، و الشـرارة حريقا، و شـمل نوره الأنحـاء و عمّ ضوؤه الأرجـاء مـا هو إلا قرن بعـد إعلان هـذا الـدين حتى أصبح للعرب (المسـلمين) قـدم فى الهنـد و اخرى فى الاندلس «۱».

و الى هـذه الحقيقـة يشـير أيضا مؤلف تاريـخ اللغات الساميـة الشـهير «رينان» قائلا: «لا مكان لبلاد العرب فى تاريـخ العالم السياسـىّ و الثقافى و الـدينىّ قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الـذى صار به العرب أمّـة فاتحة مبدعة و لم يكن لجزيرة العرب شأن فى القرون الاولى من الميلاد، حين كانت غارقة فى دياجير ما قبل التاريخ» «۲».

(۲) أجل إن هـذه القبائل العربيـة الجاهليـة المختلفـة المتناحرة لم تكن تعيش أية حضارة، و لم تمتلك أية تعاليم و قوانين، و أنظمة و آداب قبل مجىء الإسـلام، لقد كانت محرومة من جميع المقومات الاجتماعية التى توجب التقدم و الرقى، و لهذا لم يكن من المتوقع ابدا ان تصل إلى تلك الذرى الرفيعة من المجد و العظمة، و لا أن تنتقل من نمط الحياة القبلية الضيقة الى عالم الانسانية الواسع، و افق الحضارة الرحيب بمثل هذه السرعة التى وصلت إليه، و الزمن القصير الذى انتقلت فيه.

إنّ مثل الشعوب و الامم البشرية مثل المبانى و العمارات تماما.

فكما أن البناء القوى الراسخ يحتاج الى موادّ إنشائية قوية معدّة باتقان و محضّرة باحكام حتى يستطيع البناء المصنوع من هذه الموادّ، و المؤسـس بعنايـة و هندسـة متقنـة من الوقوف فى وجه الأعاصـير، و الأمطار الغزيرة كذلك يحتاج كيان كل امة رشـيدة من الامم إلى اسس و قواعد محكمة (و هى الأصول و الآداب الكاملة، و الأخلاق الإنسانية العالية) لتستطيع من البقاء و التقدم.

---

(۱) الخطط الاستعمارية لمكافحة الإسلام: ص ۳۸، و الإسلام العلم و الحديث: ص ۳۳.

(۲) حضارة العرب: ص ۸۷.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۸۶

(۱) و لهذا السبب لا بد من التأمل فى أمر و سرّ هذه الظاهرة العجيبة و لا بد أن نتساءل:

كيف تحقق ذلك التطور العظيم، و ذلك التحول العميق للعرب الجاهلية، و من اين نشأ؟؟
كيف امكن ان تتحول جماعة متشتتة، متعادية، متناحرة، متباغضة، فى ما بينها، بعيدة عن النظم الاجتماعية، بمثل هذا السرعة الى أمّة متآلفة متآخية متعاونة متسالمة متحابة، و تشكل دولة قوية كيانا سياسيا شامخا أوجب أن تخضع لها دول العالم و شعوبه، و تطيعها، و تحترم مبادئها و اخلاقها و آدابها آنذاك.
(٢) حقا لو كان فى مقدور العرب أن يحرزوا ذلك التقدم الهائل بفعل عامل ذاتى فلما ذا لم تستطع عرب اليمن الذين كانوا يمتلكون شيئا كبيرا من الثقافة و الحضارة، و الذين عاشوا الانظمة الملكية سنينا عديدة، بل و ربّت فى احضانها ملوكا و قادة كبارا، أن تصل الى مثل هذه النهضة العظيمة الشاملة، و تقيم مثل هذه الحضارة العريضة الخالدة.
لما ذا لم تستطع العرب الغساسنة الذين كانوا يجاورون بلاد الشام المتحضرة، و يعيشون تحت ظلّ حضارة «الروم» أن يصلوا الى هذه الدرجة من الرشد؟
(٣) لما ذا لم تستطع عرب الحيرة الذين كانوا- و إلى الامس القريب- يعيشون فى ظلّ الامبراطورية الفارسية أن ينالوا مثل هذا الرقى و التقدم؟ و حتى لو وصلوا الى هذه الدرجة من التقدم و حققوا هذه القفزة فانه لم يكن أمرا يثير العجب لأنهم كانوا يعيشون فى أحضان مدنيات كبرى، و يتغذون منها، و لكن الذى يثير الدهشة، و العجب هو أن تستطيع عرب الحجاز من تحقيق هذه النهضة الباهرة، و يرثوا الحضارة الإسلامية العظمى و هم الذين كانوا يفتقرون إلى أبسط مقوّمات الحضارة الذاتية، و لم يكن لهم عهد بأىّ تاريخ حضارىّ مشرق، بل كانوا كما عرفت يرزحون تحت أغلال الوهم و التخيّل، و يسيرون فى ظلمات الخرافات و الأساطير.
سيد المرسلين ،ج ١،ص:٨٧
(١)

دول الحيرة و غسّان:

على العموم كانت المناطق ذات المناخ الجيّد من الجزيرة العربية حتى آخر قرن قبل الإسلام تحت سيطرة ثلاث دول كبرى هى: «ايران»، «الروم»، «و الحبشة».
فالشرق و الشمال الشرقى من هذه المنطقة كانت تحت حماية «ايران».
و الشمال الغربى كان تابعا للروم.
و المناطق المركزية و الجنوب كانت تحت نفوذ «الحبشة».
و على أثر مجاورة هذه المناطق للدول المتحضّرة المذكورة، و ما كان بينها من نزاع و تنافس دائمين ظهرت فى المناطق الحدودية للجزيرة العربية دول شبه متحضرة، و شبه مستقلة كان كل واحدة منها تابعة فى حضاراتها لدولة متمدنة عظمى تجاورها.
و قد كانت دول «غسان»، و «الحيرة» «و كنده» من هذه الدول شبه المستقلة و شبه المتمدنة، و كانت كل واحدة منها تابعة لاحدى الدول العظمى آنذاك: «ايران»، «الروم»، «الحبشة».
(٢) الحيرة: يتبيّن من الآثار و الأخبار أنه هاجرت- فى أوائل القرن الثالث بعد الميلاد- بعض الطوائف العربية، و ذلك فى نهايات الحكم الأشكنانى، إلى الأراضى المجاورة للفرات، و سيطروا على قسم من أراضى العراق، و قد أوجدت هذه الجماعة المهاجرة القرى و القلاع هناك، شيئا فشيئا، و أحدثت المدن التى من أهمّها: «الحيرة» التى كانت تقع على حافة صحراء بالقرب من مدينة الكوفة الحالية.
و قد كانت هذه المدينة- و كما يظهر من اسمها- فى بداية أمرها قلعة (لأن الحيرة تعنى فى اللغة السريانية: الدير و ما يشبهه) يسكنها العرب ثم تطورت شيئا فشيئا الى مدينة.

(۳) و قد ساعد مناخها الجميل، و المياه الوافرة التى تأتى إليها من الفرات، و جودة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۸

الأحوال الطبيعية الاخرى إلى أن تجتذب إليها أصحاب الصحراء، و سكان البوادى، و القفار، كما و استطاعت هذه المدينة و بفضل مجاورتها للحضارة الفارسية إن تكتسب من ثقافتها و مدنيتها ما أفاض عليها لونا من الحضارة و المدنية، و قد بنيت بالقرب من «الحيرة» قصور مثل «الخورنق» الذى أضاف إلى هذه المدينة جمالا و بهاء خاصّين، و قد تعرّف العرب الساكنون فى هذه المنطقة على الخط و الكتابة، و يمكن ان تكون الكتابة و القراءة قد سرتا منها الى بقية مناطق الحجاز و مدنها «۱».

(۱) و لقد كان ملوك «الحيرة» و أمراؤها من اللخميين العرب يؤيّدون من قبل الدولة الإيرانية بقوة، و سبّب هذا التأييد، و الحماية الايرانية لأمراء الحيرة و ملوكها كان يكمن فى أن ملوك إيران- آنذاك- كانوا يريدون أن تكون الحيرة سدّا، و حاجزا بينهم و بين عرب البادية، يدفعون بهم خطر الغزاة من أهل الصحارى على الحدود الإيرانية.

و لقد سجّل التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء؛ و قد نظم «حمزة الاصفهانى» فهرستا بأسمائهم، و جدولا بأعمارهم و مدد حكوماتهم، و من كان يعاصرهم من ملوك بنى ساسان الإيرانيين «۲».

و مهما يكن الأمر فإن دولة اللخميين العرب كانت من أكبر الحكومات العربية شبه المتحضرة فى منطقة الحيرة، و كان آخر ملوك هذه السلسلة هو «النعمان بن المنذر» صاحب القصة التاريخية التى تتضمن خلعه من الحكم، و قتله بواسطة الملك الايرانى: «خسرو برويز» «۳».

(۲) غسّان: فى أوائل القرن الخامس أو اوائل القرن السادس الميلادى هبط جماعة من المهاجرين اليمنيين فى الشمال الغربى- أقصى نقاط الجزيرة العربية- و فى جوار الإمبراطوريّة الروميّة، و أسسوا دولة الغساسنة، و قد كانت هذه الدولة

---

(۱) فتوح البلدان للبلاذرى: ص ۴۵۷.

(۲) سنىّ ملوك الأرض: ص ۷۳- ۷۶.

(۳) الأخبار الطوال: ص ۱۰۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۸۹

تحت حماية الروم، و كان ملوكها ينصبون من جانب إمبراطوريات «قسطنطينية» مباشرة، تماما كما كان ملوك «الحيرة» ينصبون من جانب ملوك ايران.

و لقد كانت دولة الغساسنة متحضرة نوعا ما، و حيث أن مراكز حكمها كانت قريبة من ناحية إلى «دمشق» و مجاورة ل: «بصرى» مركز القسم الرومى من الجزيرة العربية من ناحية اخرى، لذلك تأثرت بحضارة الروم تأثرا كبيرا و بالغا.

و لقد كان الغساسنة متحالفين مع الروميين بسبب ما كان بينهم و بين ملوك الحيرة اللخميين العرب و الايرانيين من الاختلاف و النزاع، و لقد حكم فى دولة الغساسنة تسعة أو عشرة من الأمراء و الملوك تباعا.

(۱)

الدين فى أرض الحجاز:

لقد كان الدين الرائج فى الحجاز هو الوثنية، و عبادة الاصنام.

نعم كانت هناك أقليّات دينية يهودية تقطن فى يثرب (المدينة فيما بعد) و خيبر، كما انه كان هناك من يتبع المسيحية و هم سكّان نجران، البلد الحدودى لليمن و الحجاز.

و كـان الـدين الرائـج فى المنـاطق الشـمالية من الحجاز (إى الشام حاليا) هو المسـيحية بسـبب مجاورة هـذه المناطق للروم و خضوعها للسيادة الرومية.

و لو أننا اسـتثنينا من الحجاز هذه المناطق الحساسة الثلاث لما وجدنا فى بقية مناطق الحجاز إلّا الوثنية فى أشـكال مختلفة، و اعتقادات متنوعـة، اللّهم إلّا بضع افراد كان عـددهم لا يتجاوز عـدد أصابع اليـد ممن يسـمّون بالاحناف كانوا على دين التوحيـد، و كان عددهم بالنسبة إلى الاكثرية الساحقة من العرب الوثنيين قليلا جدّا «۱».

(۲) فمنذ زمن النبى «إبراهيم» الخليل و ابنه «اسماعيل» عليهما السّلام دخل

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۲۲ و ۱۲۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹۰

التوحيـد، و دخلت بعض التعاليم الأخلاقيـة و الدينيـة إلى أرض الحجاز، و كان الحـج و أداء مناسـكه احتراما للكعبة الشـريفة هو أحد هـذه التعاليم و السـنن التى دخلت مع «الخليل» إلى هـذه المنطقـة، ثم إن رجلا من قبيلـة «خزاعة» يسـمى «عمرو بن لحى» الذى كانت زعامـة مكـة قـد عهدت إليه، أدخل عبادة الاوثان فى مكة فى ما بعد، و ذلك عند ما سافر هذا الخزاعى إلى بلاد الشام فوجد قوما من العمالقة يعكفون على تماثيل جميلة النقش و المنظر يعبدونها، و يؤلّهونها، فقال لهم:

ما هذه الأصـنام التى أراكم تعبدون قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، و نستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أ فلا تعطوننى منها صنما فاسير به إلى أرض العرب فيعبـدوه فأعطوه صـنما، و هكذا اسـتحب عملهم، و جلب معه الى مكة صـنما جميل النقش و النحت يدعى «هبل» فنصبه و دعا الناس إلى عبادته، و تعظيمه.

و هكذا دخلت الوثنية إلى «مكة» المكرمة، و اصبحت عبادة الاوثان و الاصنام عبادة رائجة فى تلك الديار «۱».

(۱) و اشهر اصنام العرب هى:

۱- هبل و كانت أعظم اصنام العرب التى فى جوف الكعبة.

۲- اساف.

۳- نائلة و كانت هى و اساف على موضع زمزم ينحرون عندهما.

۴- اللات و كانت لثقيف بالطائف.

۵- العزّى و كانت بنخلة الشامية، و كانت لقريش و بنى كنانة.

۶- منات و كانت للاوس و الخزرج و من ذهب مذهبهم من أهل يثرب.

۷- عميانس و كان بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم و حروثهم.

۸- سعد.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۷۸- ۸۱، و العمالقة هم طائفة من العرب عاشوا و سادوا ثمّ بادوا قبل الإسلام.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۹۱

۹- ذو الخلصة و كانت لدوس و خثعم و بجيلة.

۱۰- مناف «۱».

و لقـد كانت هـذه هى أشـهر أصـنام العرب علاوة على الأصـنام الاخرى غير المعروفـة التى كانت تختصّ بطائفة دون اخرى، أو بعائلة دون عائلة.

(۱)

العلم و الثقافة فی الحجاز:

کان أهل الحجاز یوصـفون بالامّیین، و الامیّ هو من لم یتعلم القراءة و الکتابة فهو کمن ولدته أمه، أو هو باق فی عدم العلم بالقراءة و الکتابة علی الحالة التی ولد فیها من أمه.

و لأجل أن نعرف مـدی ما کان علیه العلم و الثقافة عند العرب من القیامة یکفی أن نعلم بأن عدد الذین کانوا یعرفون القراءة و الکتابة بین قریش الی ما قبل ظهور الإسلام لم یکن یتجاوز (۱۷) شخصا فی مکة و (۱۱) نفرا فقط من بین الأوس و الخزرج فی المدینة «۲».

إذا لاحظنا هـذا التخلف و الانحطاط فی مجال العلم و الثقافة فی البیئة العربیـة الجاهلیـة یتضح لنا مدی تأثیر الإسـلام، و ادرکنا عظمة التعـالیم الإسـلامیة فی جمیع الحقول الاعتقادیـة و الاقتصادیـة و الأخلاقیـة و الثقافیـة، و لا بـدّ فی تقییم الحضارات أن نطالع و نـدرس الحلقة السابقة، ثم نقیم الحلقة التالیة فی ضوء ذلک، و فی هذه الصورة نقف علی عظمة تلک الحضارة الحقیقیة «۳».

---

(۱) راجع الأصنام للکلبی، و المحبر: ص ۳۱۵- ۳۱۹.

(۲) فتوح البلدان: ص ۴۵۷- ۴۵۹.

(۳) للوقوف علی معلومـات أوسع و اکثر حول عقائـد مختلفـة طوائف المجتمع العربی الجـاهلی، و ثقافتهـا و تقالیـدها راجع الکتـابین التالیین:

ألف: «بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب» تألیف السید محمود الآلوسی المتوفی عام ۱۲۷۰ هجری قمری.

باء: «المفصّل فی تاریخ العرب قبل الاسـلام» تألیف الاستاذ جواد علی، و هذا الکتاب اخرج فی (۱۰) مجلدات، و قد بحث فیها کل ما یرتبط بحیاة العرب فی العهد الجاهلی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۲

الإمام علیّ یصف العهد الجاهلیّ:

و قـد وصف الإمـام علیّ أمیر المؤمنین علیه السّـلام تلـک الحالـة فی خطبه، و حیث أنه عاصـر ذروة ذلک الوضع المأساوی و وصـفه وصفا دقیقا لذلک ینبغی أن نقف عند کلامه قلیلا لیتبین لنا جیدا ما کان علیه العرب إبّان عهد الرسالة الإسلامیة المبارکة:

قال علیه السّلام فی الخطبة (الثانیة) من نهج البلاغة:

«... و أشـهد أنّ محمّـدا عبده و رسوله أرسله بالدین المشـهور و العلم المأثور و الکتاب المسـطور و النّور الساطع، و الضـیاء اللامع، و الأمـر الصـادع إزاحـة للشـبهات و احتجاجا بالبیّنات و تحـذیرا بالآیات، و تخویفا بالمثلات «۱» و النـاس فی فتن انجـذم «۲» فیها حبل الـدّین، و تزعزعت سواری «۳» الیقین و اختلـف النجر «۴»، و تشـتّت الأمـر وضاق المخرج، و عمی المصـدر فالهـدی خامل، و العمی شامل، عصـی الرّحمن و نصر الشیطان و خذل الإیمان فانهارت دعائمه، و تنکّرت معالمه و درست «۵» سبله و عفت شرکه «۶» أطاعوا الشـیطان فسـلکوا مسالکه، و وردوا مناهله «۷» بهم سـارت أعلامـه، و قام لواؤه فی فتن داسـتهم بأخفافها «۸» و وطئتهم بأظلافهـا «۹» و قامت علی سـنابکها «۱۰» فهم فیهـا تئهـون حـائرون جـاهلون مفتونـون فی خیر دار و شـرّ جیران نومهم سـهود و کحلهم دموع بـأرض عالمها ملجم و جاهلها مکرم.

و قال فی الخطبة (التاسعة و الثمانین) أیضا:

«أرسله صلّى اللّه عليه و آله على حين فترة من الرّسل و طول هجعة من الامم و اعتزام «١١» من الفتن و انتشار من الامور و تلظّ «١٢» من الحروب و الدّنيا

(١) المثلات: العقوبات.

(٢) انجذم: انقطع.

(٣) السوارى: الدعائم.

(۴) النجر: الأصل.

(۵) درست: انطمست.

(۶) الشرك: الطرق.

(٧) المنهل: مورد النهر.

(٨) الخف: هو للبعير كالقدم للإنسان.

(٩) الظلف: للبقر و الشاة كالخفّ للبعير و القدم للإنسان.

(١٠) السنابك: طرف الحافر.

(١١) اعتزم الفرس: اذا مرّ جامحا.

(١٢) تلظّ: تلهّب.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٩٣

كاسفة النّور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها و إياس من ثمرها و اغورار «١» من مائها قد درست منار الهدى و ظهرت أعلام الرّدى فهى متجهّمة «٢» لأهلها عابسة فى وجه طالبها ثمرها الفتنة و طعامها الجيفة «٣» و شعارها الخوف و دثارها السيف».

و قال فى الخطبة (السادسة و العشرين): «إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين و أمينا على التّنزيل و انتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار منيخون «۴» بين حجارة خشن «۵» و حيّات صمّ «۶» تشربون الكدر و تأكلون الجشب «٧» و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة و الآثام بكم معصوبة «٨»».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (الثالثة و الثلاثين): «إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس احد من العرب يقرأ كتابا و لا يدّعى نبوة فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم «٩» و بلّغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم «١٠» و اطمأنّت صفاتهم».

و قال فى الخطبة (الخامسة و التسعين) أيضا:

«... بعثه صلّى اللّه عليه و آله و النّاس ضلال فى حيرة و حاطبون فى فتنة قد استهوتهم الأهواء و استزلّتهم الكبرياء و استخفّتهم «١١» الجاهليّة الجهلاء حيارى فى زلزال من الأمر و بلاء من الجهل فبالغ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى النّصيحة و مضى على الطّريقة و دعا إلى الحكمة و الموعظة الحسنة».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (السادسة و التسعين) أيضا:

«... مستقرّه خير مستقرّ و منبته أشرف منبت فى معادن الكرامة و مماهد «١٢» السّلامة قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار و ثنّيت إليه أزمّة الأبصار دفن

(١) اغورار الماء: ذهابه.

(٢) تجهّمه: استقبله بوجه كريه.

(۳) إشارة الی أکل العرب للمیتة من شدة الاضطرار.

(۴) منیخون: مقیمون.

(۵) الخشن: جمع خشناء من الخشونة.

(۶) الصمّ: التی لا تسمع لعدم انزجارها بالاصوات.

(۷) الجشب: الطعام الغلیظ.

(۸) معصوبة: مشدودة.

(۹) بوّأهم محلّهم: أنزلهم منزلتهم.

(۱۰) القناة: العود کنایة عن القوة.

(۱۱) استخفّتهم: طیّشتهم.

(۱۲) الممهد: ما یبسط فیه الفراش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۴

اللّه به الضّغائن و أطفأ به الثّوائر «۱» ألّف به إخوانا و فرّق به أقرانا اعزّ به الذّلة و أذلّ به العزّة کلامه بیان و صمته لسان».

و قال علیه السّلام فی الخطبة (۱۵۱) أیضا:

«... أضاءت به صلّی اللّه علیه و آله البلاد بعد الضّلالة المظلمة و الجهالة الغالبة و الجفوة الجافیة و النّاس یستحلّون الحریم و یستذلّون الحکیم یحیون علی فترة «۲» و یموتون علی کفرة».

و قال فی الخطبة (۱۹۸): «... ثمّ إنّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالحقّ حین دنا من الدّنیا الانقطاع و أقبل من الآخرة الاطّلاع «۳» و اظلمت بهجتها بعد إشراق و قامت بأهلها علی ساق و خشن منها مهاد «۴» و أزف «۵» منها قیاد فی انقطاع من مدّتها و اقتراب من أشراطها «۶» و تصرّم «۷» من أهلها و انفصام «۸» من حلقتها و انتشار «۹» من سببها و عفاء «۱۰» من أعلامها و تکشّف من عوراتها و قصر من طولها».

و قال علیه السّلام فی الخطبة (۲۱۳): «ارسله بالضّیاء و قدّمه فی الاصطفاء فرتق «۱۱» به المفاتق «۱۲» و ساور «۱۳» به المغالب و ذلّل به الصّعوبة و سهّل به الحزونة «۱۴» حتّی سرّح الضّلال عن یمین و شمال».

و قال فی الخطبة (۱۹۱): «و اشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ابتعیه و النّاس یضربون فی غمرة «۱۵» و یموجون فی حیرة قد قادتهم أزمّة الحین «۱۶» و استغلقت علی أفئدتهم أقفال الرّین» «۱۷».

---

(۱) الثائرة: العداوة.

(۲) علی فترة: علی خلوّ من الشرائع.

(۳) الاطّلاع: الإتیان.

(۴) خشونة المهاد: کنایة عن شدّة آلام الدنیا.

(۵) ازف: قرب.

(۶) الشرط: العلامة.

(۷) التصرّم: التقطّع.

(۸) الانفصام: الانقطاع.

(۹) انتشار الأسباب: تبدّدها حتی لا تضبط.

(۱۰) عفاء الأعلام: اندراسها.

(۱۱) رتق: سدّ به الفتق.

(۱۲) المفاتق: مواضع الفتق.

(۱۳) ساور: ثاوب.

(۱۴) الحزونهٔ: غلظ فی الارض.-

(۱۵) الغمرهٔ: الماء الکثیر.

(۱۶) الحین: الهلاک.

(۱۷) الرین: التغطیه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۵

فاطمهٔ الزهراء تصف الوضع الجاهلی:

و قد وصفت السیّدهٔ فاطمهٔ الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم العهد الجاهلی بمثل ذلک اذ قالت فی خطبتها أمام أبی بکر و المسلمین «۱»:

«فبلّغ (ای رسول اللّه) بالرّسالهٔ صادعا بالنّذارهٔ «۲» مائلا علی مدرجهٔ المشرکین ضاربا ثبجهم «۳» آخذا بأکظامهم داعیا إلی سبیل ربّه بالحکمهٔ و الموعظهٔ الحسنهٔ یکسر الأصنام و ینکث الهام «۴» حتی انهزم الجمع و ولّوا الدّبر حتی تفرّی اللیل عن صبحه و اسفر الحق عن محظه «۵» و نطق زعیم الدین و خرست شقاشق «۶» الشّیاطین و أطاح وشیظ «۷» النّفاق و انحلّت عقد الکفر و الشّقاق و فهتم بکلمهٔ الاخلاص فی نفر من البیض الخماص و کنتم علی شفا حفرهٔ من النّار مذقهٔ «۸» الشّارب و نهزهٔ «۹» الطامع و قبسهٔ العجلان «۱۰» و موطئ الأقدام تشربون الطرق «۱۱» و تقتاتون القدّ «۱۲» و الورق أذلّهٔ خاسئین تخافون ان یتخطّفکم النّاس من حولکم فأنقذکم اللّه تعالی بمحمّد بعد اللّتیا و الّتی بعد أن منی ببهم «۱۳» الرجال و ذؤبان العرب و مردهٔ أهل الکتاب «۱۴» کلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها اللّه، أو نجم «۱۵» قرن الشّیطان أو فغرت «۱۶» فاغرهٔ من المشرکین، قذف أخاه فی لهواتها «۱۷» فلا ینکفیء «۱۸» حتّی یطأ صماخها بأخمصه».

---

(۱) شرح نهج البلاغهٔ لابن ابی الحدید و بلاغات النساء و غیرهما.

(۲) النذار: الأنذار.

(۳) الثبج: الکاهل.

(۴) الهامهٔ: الرأس.

(۵) المحض: الخالص.

(۶) الشقشقهٔ: شیء یشبه الرئهٔ یخرج من فم البعیر إذا هاج.

(۷) الوشیظ: الأتباع و الخدم.

(۸) المذقهٔ: شربهٔ من اللبن الممزوج بالماء.

(۹) النهزهٔ: الفرصهٔ.

(۱۰) قبسهٔ العجلان: الشعلهٔ من النار التی یأخذها الرجل العاجل.

(۱۱) الطرق: الماء الذی خوضته الابل و بوّلت فیه.

(۱۲) القد: قطعة جلد غیر مدبوغ.

(۱۳) البهمة: الشجاع الذی لا یهتدی من أن یؤتی.

(۱۴) المارد: العاتی.

(۱۵) نجم: طلع.

(۱۶) فغرت: فتحت.

(۱۷) اللهاة: اللحمة المشرفة علی الحلق فی أقصی الفم.

(۱۸) ینکفئ: یرجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۶

جعفر بن ابی طالب یصف العهد الجاهلی:

و یشهد بذلک أیضا ما قاله جعفر بن أبی طالب عند النجاشی ملک الحبشة عند ما أراد مبعوثا قریش استعادتهما إلی مکة:

أیّها الملک، کنّا قوما أهل جاهلیّة، نعبد الاصنام، و نأکل المیتة، و نأتی الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسیء الجوار و یأکل القوی منّا الضعیف، فکنّا علی ذلک، حتی بعث اللّه إلینا رسولا منّا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا الی اللّه لنوحّده و نعبده، و نخلع ما کنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحدیث و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الکفّ عن المحارم و الدّماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور، و أکل مال الیتیم، و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد اللّه وحده لا نشرک به شیئا، و أمرنا بالصّلاة و الزّکاة و الصیام قالت: فعدّد علیه امور الاسلام حتی قال:

و صدّقناه، و آمنّا به و اتّبعناه علی ما جاء به من اللّه فعبدنا اللّه وحده فلم نشرک به شیئا و حرّمنا ما حرّم علینا و أحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علینا قومنا فعذّبونا و فتنونا عن دیننا لیردّونا إلی عبادة الأوثان من عبادة اللّه تعالی، و أن نستحلّ ما کنا نستحلّ من الخبائث «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۳۵ و ۳۳۶. و الحدیث عن أمّ سلمة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۹۷

(۱)

۳ إمبراطوریّتا الروم و إیران إبّان عهد الرّسالة

اشارة

للوقوف علی أهمیة النهضة الإسلامیة المبارکة التی تحققت علی یدی النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد ارساله من جانب اللّه تعالی و قیمتها، تکتسب دراسة بیئتین اجتماعیّتین اهمیة قصوی، و تانک البیئتان هما:

۱- بیئة نزول القرآن الکریم، أی البیئة التی ظهر فیها الإسلام، و ترعرع و نمی.

۲- البیئة العالمیة (خارج الجزیرة العربیة)، و یعرف ذلک بدراسة عقائد الناس و أفکارهم فی اکثر مناطق العالم- یومذاک- مدنیة و حضاره، و مطالعة آدابهم و أخلاقهم و تقالیدهم، و أعرافهم، و مدنیّاتهم التی کانت تعتبر أفضل لأفکار و المدنیّات، و أرقی الحضارات، و الأوضاع آنذاک.

و لقد کانت بیئتا: الامبراطوریة الرومانیة، و الإمبراطوریة الإیرانیة ألمع نقطة فی ذلک الیوم- کما یدلنا التاریخ علی ذلک. و لا بدّ

استكمالا لهذا البحث من دراسة الأوضاع فى هاتين الإمبراطوريتين، فى مناطقها، و من نواحيها المختلفة، لنقف من هذا الطريق على قيمة الحضارة التى اتى بها الإسلام، و نعرف ذلك بوجه أفضل.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٩٨

أوضاع الروم ابان عهد الرسالة:

اشارة

(١) ان أوضاع الروم لم تكن بأقل سوء من أوضاع منافستها «ايران» فالحروب الداخلية من جانب و المعارك الخارجية المستمرة مع «ايران» و صراعها الدائم المستمر مع الاخيرة على منطقة «ارمينية» و غيرها كل ذلك كان يهيء الناس فى تلك البلاد للقبول بثورة جديدة يضع حدا لمآسيهم و محنهم.

و لقد كان للاختلافات و المنازعات الطائفية و المذهبية نصيب الاكبر و الأوفر فى توسيع رقعة هذه الاختلافات، و المنازعات.

فالحرب لم تتوقف أبدا بين الوثنيين و المسيحيين و لم تنطفئ شرارتها يوما أبدا.

فكان إذا غلب رجال الكنيسة على دست الحكم و أخذوا بمقاليده ما رسوا أشدّ أنواع الضغط و الاضطهاد بحقّ خصومهم و منافسيهم الأمر الذى كان يساعد على إيجاد أقلية ناقمة من جهة، كما و يمكن اعتبار ذلك عاملا مساعدا من جهة اخرى على تهئة الشعب الرومانى لاحتضان الدعوة الإسلامية، و تقبلها.

لقد كان حرمان طوائف كثيره و مختلفة ناشئا من ممارسات رجال الكنيسة الخشنة و مواقفهم المتزمتة.

هذا مضافا إلى أن اختلاف القساوسة و الرهبان النصارى فيما بينهم من جهة، و تعدّد المذاهب من جهة اخرى كان يعمل على التقليل من هيبة الامبراطورية الرومانية و جرّها إلى الضعف و الوهن المتزائد يوما بعد يوم.

(٢) هذا بغضّ النظر عن أن البيض و الصفر من سكّان الشمال و المشرق كانوا يفكّرون فى السيطرة على المناطق الغنية من اوربة، و ربما ألحق أحدهما بالآخر خسائر فادحة و باهضة فى الصراعات و المصادمات التى كانت تقع بينهما. و كان هذا هو نفسه السبب فى أن تنقسم الامبراطورية الرومية الى معسكرين: المعسكر (او القسم الشرقى) و المعسكر (او القسم الغربى).

و يعتقد المؤرخون أن أوضاع الروم السياسية، و الاجتماعية و الاقتصادية فى القرن السادس كانت مضطربة، و متدهورة جدا، حتى أنهم لا يرون فى غلبة

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٩٩

الروم و تفوّقها على إيران شاهدا على قدرتها العسكرية، و تفوّقها النظامى، بل يرون أن هزيمة إيران كانت بسبب الفوضى التى كان سائدة آنذاك فى جهاز الحكم الايرانى.

إن هاتين الدولتين اللتين كانتا تتربّعان على عرش السيادة و السياسة العالمية فى مطلع ظهور الإسلام كانتا تعيشان حالة سيئة من الفوضى، و الهرج و المرج، و من البديهىّ أنّ مثل هذه الأوضاع كان من شأنها أن توجد حالة من التهيّؤ الكبير و الظمأ الشديد إلى دين صحيح يضع حدّا و نهاية لتلك الحالة، و يعيد تنظيم حياتهم.

(١)

ظاهرة الجدل العقيم فى المجتمع الرومى:

المتعارف أن یعمـد جماعة من البطّالین و الفسـقة إلی طرح سلسـلة من القضایا و المسائل الخاویة و النقاش حولها بهدف التوصّل إلی أغراض فاسدة، فیستهلکون بذلک أوقات الناس، و یهدرون أعمارهم علی منحر الجدل العقیم.

و هی حالة لها مصادیق کثیرة و شواهد عدیدة فی کثیر من بلاد المشرق، و لسنا بصدد التوسّع فیه فعلا.

و قـد کانت «الروم» تعانی یومئذ من مثل هذه الحالة اکثر من ای مکان آخر. سیـد المرسـلین ج ۱ ۹۹ ظاهرة الجدل العقیم فی المجتمع الرومی: ..... ص : ۹۹

د کان ملوک الروم و رجال الحکم و السیاسة تبعا لمذاهب دینیة کنسیّة- یعتقدون بأن المسیح ذو طبیعتین و مشیئتین، و لکن طائفة اخری من النصاری و هم «الیعقوبیة» کانوا یقولون بانه: ذو طبیعة و مشیئة واحدة.

و قـد وجهت هـذه المسألـة الباطلـة نفسـها، و الجـدل الواهی حولها ضـربة شدیـدة الی وحدة الروم و من ثم اسـتقلالها، و احدثت فی صفوفها انشـقاقا عمیقا حیث کانت السـلطات الحاکمة تضطر الی الدفاع عن معتقداتها، و لذلک کانت تضطهد معارضیها، و تلاحقهم و هذا الاضطهاد و الضغط الروحیّ سبّب فی لجوء البعض الی الدولة الایرانیة، کما کان هؤلاء هم الذین ترکوا المقاومة عند

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۰

مواجهة الجیش الإسلامی، و القوا السلاح، و استقبلوا جنود الإسلام بالاحضان.

(۱) کـانت الروم تمرّ آنـذاک بظروف اشبه مـا تکون بظروف القرون الاوربیـة الوسـطی التی ینقـل عنهـا «فلامـاریون» الفلکیّ الشـهیر القضایا التالیة التی تدل علی المستوی الفکریّ و الثقافیّ لاوربة فی القرون الوسطی:

لقـد کان کتاب «المجموعة اللاهوتیة» المظهر الکامل للفلسـفة المدرسـیة فی القرون الوسـطی، و قد بقی هذا الکتاب یدرّس فی أوربة خلال أربعمائة سنة ککتاب رسمی و معترف به.

و قد کان من الأبحاث المطروحة فی هذا الکتاب البحث حول عدد الملائکة التی یمکنها ان تسـتقر علی رأس إبرة؟! أو عدد الفراسخ بین العین الیسری و العین الیمنی للاب الخالد؟! الی غیر ذلک من القضایا التافهة!!

(۲) إن الامبراطوریـة الرومیـة السیئة الحـظ فیمـا کـانت تعانی من الحروب الخارجیـة الکثیرة، کـانت تعـانی کـذلک من النزاعـات و الاختلافـات الداخلیـة- التی کـانت- علی الاغلب- تتصف بالصـبغة المذهبیـة و الطائفیـة- و کانت تـدفع بالبلاد إلی حافـة الهاویـة، و تزیدها قربا إلیها یوما بعد یوم.

و لما رأی الیهود (و هی الزمرة الشـریرة المتآمرة علی الشـعوب دائما) تصاعد الاضـطهاد و الضـغط الذی یمارسه الامبراطور المسیحی الرومی خطّطت لاسـقاط ذلک النظام، فاحتلت مدینـة انطاکیـة ذات مرة، و مثلت بأسـقف أنطاکیة الاکبر فصـلموا اذنه، و جدعوا أنفه، فانتقمت حکومة الروم لهذه الجنایة بعد مدة، و قتلت الیهود فی انطاکیة فی مذبحة عامة.

و قد تکرّرت هذه الجرائم الفضیعة و هذه المذابح، و المذابح الانتقامیة المضادة بین الیهود و النصاری عدة مرات، و ربما سرت موجة الروح الانتقامیة أحیانا الی خارج البلاد، فمثلا اشتری الیهود من ایران ذات مرة ثمانین الف مسیحی ثم حزوا رءوسهم انتقاما و تشفیا.

(۳) من هـذا یسـتطیع القـارئ الکریـم أن یقف علی الصورة القاتمـة للوضع السیئ و المتردّی الـذی کان علیه العالم إبان بزوغ شـمس الإسلام، و یذعن- مع

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۱

المـذعنین- بأن التعالیم الإسـلامیة الرفیعـة التی انقـذت العالم من ذلک الوضع المأساوی لم تکن أبدا ولیدة الفکر البشـریّ و ان نسیم الوحدة، الناعشة، و نغمة السلام التی یهدف إلیه الإسلام و یسعی إلی تحقیقه و اقراره فی الحیاة البشریة لیس لها من مصدر إلا الغیب، اذ کیف یمکن القول بأن الإسلام الذی یعترف حتی للحیوانات بحق العیش و الحیاة نابع من تلک البیئة المغرقة فی القسوة و الوحشیة، و ناشئ من ذلک المحیط المفحم بروح الانتقام و التشفی.

لقد أبطل الإسلام جميع تلك المجادلات العقيمة و المناقشات التافهة حول مشيئة عيسى و شخصيته، و قال فى نعته و وصفه:

«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ» «١».

إن هـذه الآيـة انهت الكثير من أبحاث رجال الكنيسـة الباطلة الخاوية حول «الروح» و «المسيح» و دمه، و شخصـيته، و حقيقته، كما ان الإسلام بفضل التعاليم الرفيعة، و احياء السجايا و الملكات الفاضلة انقذ البشرية من المنازعات، الفارغة، و المذابح الفضيعة.

(١)

أوضاع إيران إبان عهد الرسالة:

اشارة

إن ما دفعنا إلى دراسة أوضاع الإمبراطورية الرومية هو نفسه يحتم علينا أيضا دراسة اوضاع إيران يومذاك.

لقد صادف ظهور الإسـلام و بعثة الرسول الكريم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (٦١١ ميلادية) عهد السلطان الإيرانى خسرو برويز (٥٩٠- ٦٢٨ م)، و فى عهد «خسـرو برويز» هذا هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من مكة الى المدينة (الجمعة ١٦ جولاى ٦٢٢)، و صارت هذه الواقعة مبدأ للتاريخ الإسلامى.

فى هذه الأيام كانت الدولتان العظيمتان (الروم الشرقية و ايران

---

(١) المائدة: ٧٥.

سيد المرسلين ،ج١،ص:١٠٢

الساسانية) تسيطران على معظم مناطق العالم المتحضـر، و لم تزل هاتان الدولتان فى نزاع مسـتمر و صراع دائم على مناطق النفوذ حتى بعد ظهور الإسلام.

(١) فقد بدأت حروب ايران و الروم الطويلة من عهد السـلطان الايرانى أنوشـيروان (٥٣١- ٥٨٩ م) و استمرّت الى عهد الملك «خسرو برويز» و استغرقت اربعا و عشرين عاما من الزمان «١».

و قد سـبب تحمل «ايران» و «الروم» للخسائر الكبرى، فى الارواح و الثروات خلال هذه المعارك الطويلة فى إضـعاف تينك الدولتين، و تعطيل و شلّ قواهما بحيث لم يبق منهما إلّا شبح دولتين لا اكثر.

و لكى نقف على الوضع العـام فى ايران آنـذاك من جهاته المختلفـة، و ابعاده المتنوعـة و بصورة أفضل، يجب ان نلقى نظرة فاحصـة على وضع الحكومات التى توالت على سدة القيادة الايرانية بعد حكم «انوشيروان» و حتى بداية دخول المسلمين فى ايران.

(٢)

البذخ و الترف فى البلاط الساسانى:

كانت حياة الملوك الساسانيين تتسم عموما بالبذخ و الترف، و التشريفات الطويلة العريضة، و كان البلاط الساسانى الفخم جدا يخلب ببريقه، بريق العيون، و يسحر الافئدة و العقول.

و كـان للايـرانيين فى عهـد الساسـانيين لواء يعرف ب: «درفش كاويـانى» اى العلم الكاويـانى نسـبة إلى كـاوه و هو بطل قومى إيرانى

اسطوری، و قد کانوا یحملونه معهم فی الحروب، او ینصبونه فوق قصورهم اثناء احتفالات الساسانیین الکبری، و قد کان هذا اللواء موشحا و مزینا بأغلی أنواع المجوهرات بلغت قیمتها التقدیریة- حسب قول بعض الکتاب: «۰۰۰ /۲۰۰ /۱» درهما (او ما یعادل

(۱) تاریخ علوم و ادبیات در ایران ص ۳ و ۴ و ایران در زمان ساسانیان ص ۲۶۷ (باللغة الفارسیة).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۳

۰۰۰ /۳۰ پوند).

(۱) و قد بلغت مجموعة المجوهرات و الاشیاء الثمینة و التصاویر و الرسوم المحیرة للعقول التی کانت تکتضّ بها قصور الساسانیین من حیث الاهمیة و القیامة حدا سحرت العیون و خلبت الالباب.

و لو أننا أردنا أن نقف علی عجائب ما فی تلک القصور، و ما کانت تحتوی علیه من غرائب الاشیاء لکفانا أن نلقی نظرة واحدة إلی السجّادة البیضاء و الکبیرة التی کانت مفروشة فی احدی صالات بعض تلک القصور، و هی السجّادة التی کانت تدعی بالفارسیة ب «بهارستان کسری» و هو بساط کانوا یعدّونه للشتاء إذا ذهبت الریاحین، فکانوا إذا أرادوا الشرب و تعاطی الخمر فرشوه، و شربوا علیه فکأنهم فی ریاض و کان هذا البساط ستینا فی ستین أرضه بذهب و وشیه بفصوص، و ثمره بجوهر و ورقه بحریر» «۱»!!

و قیل أیضا أن هذا البساط کان مائة و خمسین ذراعا فی سبعین ذراع و کان منسوجا من خیوط الذهب و المجوهرات الغالیة جدا!!

و قد کان «خسرو برویز» أکثر الملوک الساسانیین میلا إلی الترف، و البذخ، و اتخاذ الزینة، و قد بلغت عدد نسائه و جواریه عدة آلاف.

(۲) یقول حمزة الاصفهانی فی کتاب «سنیّ ملوک الارض» واصفا حالة الترف و البذخ التی کان یعیشها کسری برویز: ثلاثة آلاف امرأة، و اثنا عشر.

و جاء فی تاریخ الطبری: أن «کسری «۲» برویز» کان قد جمع من الأموال ما لم یجمع أحد من الملوک، و کان أرغب الناس فی الجواهر و الأوانی «۳».

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۳۰.

و جاء فی تاریخ الطبری: کانت هذه السجّادة ستین ذراعا فی ستین ذرعا، بساطا واحدا مقدار جریب فیه طرق کالصور، و فصوص کالأنهار و خلال ذلک کالدّیر و فی حافاته کالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات فی الربیع من الحریر علی قضبان الذهب، و نواره بالذهب و الفضّة!!

(۲) سنیّ ملوک الأرض و الأنبیاء: ص ۴۲۰.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۱ ص ۶۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۴

(۱)

الوضع الاجتماعی فی ایران:

لم یکن الوضع الاجتماعی فی عهد الساسانیین بأفضل من الوضع السیاسی آنذاک أبدا، فقد بلغ الاختلاف الطبقی الذی کان سائدا فی ایران منذ زمن بعید اشدّه و اقوی درجاته، و أسوأ حالاته فی العهد الاختلاف الساسانی.

فطبقة النبلاء و الکهنة کانت تتمیز علی بقیة الطبقات تمیزا کاملا، فهم یختصون بجمیع المناصب الاجتماعیة الحساسة و العلیا، بینما حرم الکسبة و المزارعون و بقیة أبناء الشعب من کافة الحقوق الاجتماعیة، و لم یکن لهم من واجب و دور فی النظام إلا دفع الضرائب الثقیلة و المشارکة فی الحروب.

(۲) یکتب أحد الکتّاب الإیرانیین و هو الاستاذ سعید نفیسی فی هذا الصعید قائلا:

ان ما کان یثیر روح النفاق بین الایرانیین اکثر هو سیاسة التمایز الطبقی القاسی جدا الذی کان الساسانیون یتبعونها فی التعامل مع الشعب، و کان لها جذور فی العهود و الحضارات السابقة، و لکنها بلغت ذروتها فی العهد الساسانی بالذات!!

ففی الدرجة الاولی کان للعائلات السبع من النبلاء، ثم للطبقات الخمس امتیازات خاصة حرمت منها عامة أبناء الشعب.

فالملکیة کانت محصورة- تقریبا فی تلک العائلات السبع مع العلم أن الشعب فی العهد الساسانی، کان یقارب عدد نفوسه مائة و أربعین ملیونا فی حین لا یبلغ عدد کل واحد من تلک العائلات الممتازة و المتمیّزة فی شئونها مائة ألف شخص، فیکون مجموعها سبع مائة ألف «۱».

و إذا افترضنا أنّ حراس الحدود و أمراءهم و الملاک الذین کانوا یتمتعون هم الآخرون بشیء من حق الملکیة کان یبلغ عددهم أیضا سبع مائة ألف أیضا فیکون حق التملک و المالکیة حینئذ خاصا بملیون و نصف من مجموع مائة

---

(۱) تاریخ اجتماعی ایران: ج ۲ ص ۶- ۲۴ (باللغة الفارسیة).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۵

و اربعین ملیونا، فقد کانت تلک الزمرة القلیلة هی التی تملک، و أما الآخرون و هم الاکثریة الساحقة فقد کانوا محرومین من هذا الحق الطبیعی الموهوب لهم من جانب اللّه أساسا و أصلا.

(۱) لقد کان الکسبة و الفلاحون الذین کانوا محرومین من جمیع الحقوق، و الامتیازات و لکنّهم کانوا یتحمّلون نفقات حیاة البذخ و الرفاهیة التی کان یرفل فیها النبلاء و الأشراف و الطبقات العلیا، لا یأملون خیرا وراء استمرار هذه الاوضاع، و دوامها، و لهذا کثیرا ما کان المزارعون و الفلاحون و الطبقات الدنیا من الشعب یغادرون أعمالهم، و مزارعهم و یلجئون إلی الأدیرة فرارا من الضرائب الباهضة و الاتاوات القاصمة للظهور، المبددة للثروات «۱».

یقول مؤلف کتاب «ایران فی عهد الملوک الساسانیین» «۲».

إن حروب إیران- الروم الطویلة بدأت من عهد حکومة الملک الإیرانی انوشیروان (۵۳۱- ۵۸۹ م).

و خلاصة القول أنه کان فی الامبراطوریة الساسانیة یملک أقلیة صغیرة تقلّ نسبتها عن ۵/ ۱٪ (واحد و نصف بالمائة) من مجموع الشعب کل شیء بینما کان اکثر من (۸۹٪) من الشعب الإیرانی محرومین من حق الحیاة تماما کالعبید.

(۲)

حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!:

فی العهد الساسانی کان ابناء الاغنیاء و البیوتات الرفیعة هم وحدهم الذین یتمتعون بحق التعلم، بینما کان عامة جماهیر الشعب، و الطبقات الوسطی و الدنیا محرومین من تحصیل العلوم و اکتسابها.

و قد کانت هذه المنقصة بادیة و واضحة فی عصور ایران التاریخیة جدا بحیث ذکرها الشعراء الکبار فی ملاحمهم و دواوینهم الملکیة المعروفة بالرغم من ان

(۱) ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ۷۰ و ۷۱.

(۲) إيران فى عهد الساسانيين: ص ۴۲۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۶

الهدف من تلك الملاحم و الدواوين كان هو الحماسة، و التفاخر بالبطولات و تحبيش العواطف، بعد مدح الملوك و الأمراء.

(۱) فها هو «الفردوسى» «۱» الشاعر الملحمى الفارسى المعروف، بل اشهر شعراء ايران قد ذكر فى شاهنامته (و هى الملحمة الشعرية التى يذكر فيها أمجاد ملوك الفرس فى قرابة ستين ألف بيت) قصة فى هذا الصدد تعتبر أفضل شاهد على ما قلناه.

و قد وقعت هذه القصة فى زمن «أنوشيروان»، أى فى الوقت الذى كانت الامبراطورية الساسانية تمرّ فيه بعهدها الذهبى.

و هذه القصة تشهد بأن اكثرية الشعب فى عهد هذا الملك أيضا كانت محرومة من حق التعلم، و ممنوعة عن اكتساب الثقافة.

(۲) يقول الفردوسى: لقد أبدى حذّاء استعداده لتحمّل نفقات الجيش الإيرانى- فى حربه مع الروم- بدفع ما يحتاجون إليه من ذهب و فضة.

و مع أن السلطة فى عهد «انوشيروان» كانت بحاجة ماسة إلى مساعدات مالية كبيرة إذ كان يتعين عليها أن تجهّز ما يقرب من ثلاثمائة الف مقاتل قد اصيبوا بالمجاعة و قلة العتاد، بحيث أدى ذلك إلى وقوع بعض الاعتراضات، و الى ظهور الفوضى فى الجنود، ممّا أدى بدوره إلى قلق الملك الإيرانى «أنوشيروان».

و التخوف من مضاعفات هذه الحالة، و آثاره السيئة فى قتاله للروم، و لذلك بادر إلى استدعاء وزيره المحنك «بزرجمهر» للتشاور معه فى المخلص من ذلك الوضع المحرج، ثم امره بالتوجه إلى منطقة «مازندران» و جمع الاموال اللازمة من سكانها.

(۳) و لكن «بزرجمهر» حذّر الملك من مغبّة هذا العمل، و أضاف بأن هذا من شأنه أن يضاعف من الخطر ثم اقترح جمع الاموال اللازمة عن طريق القروض الشعبية فاستحسن «انوشيروان» اقتراحه و أمره باتخاذ الترتيبات اللازمة على

(۱) راجع للتعرف السريع على شخصية هذا الشاعر: الموسوعة العربية الميسرة: ص ۱۲۸۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۰۷

التوفيرسل الوزير مندوبين له الى المدن الإيرانية ليكلم التجار و اصحاب الثروة فى الأمر.

(۱) فيبدى الحذّاء المذكور استعداده لتحمل كل نفقات الجيش لوحده الّا انه اشترط ذلك بان يسمحوا لولده الوحيد الراغب فى تحصيل العلم جدا ان يتعلم.

فاستحقر الوزير شرطه و وعده بالانجاز، و السماح لولده بالتعلم و تحصيل العلم، ثم عرض الأمر على الملك انوشيروان و هو يأمل فى ان يتجاوب الملك مع رغبة الحذّاء و طلبه الصغير اذا ما قيس بما سيعطيه من اموال طائلة فى تلك الاوضاع الحرجة.

و لكن الملك استشاط غضبا لهذا الطلب، و نهر الوزير قائلا: دع هذا، ما أسوأ ما تطلبه، ان هذا لا يمكن ان يكون، لان ابن الحذّاء بخروجه من وضعه الطبقى يهدم التقليد الطبقىّ المتبع، فينفرط بذلك عقد الدولة، و يكون ضرر هذا المال علينا اكثر من نفعه، و شره اكثر من خيره.

(۲) ثم إنّ الفردوسى يعمد إلى شرح المنطق الميكافيلى حكاية عن لسان انوشيروان اذ يقول ناظما ذلك فى ابيات «۱»:

و إذا اصبح ابن الحذّاء عالما كاتبا عارفا فعند ما يجلس ولدنا على مسند الحكم و السلطنة و احتاج الى كاتب، فانه سيضطر إلى الاستعانة بابن ذلك الحذّاء- الكاتب- (و هو من عامة الشعب و من ابناء الطبقة الدنيا و فى حين جرت عادتنا الى الآن على أن نستعين بابناء الاشراف و النبلاء لا أبناء الطبقة الدنيا)!!!

و إذا حصل ابن الحذّاء و بائع الاحذیة علی العلم و المعرفة أعاره العلم و المعرفة حینئذ عیونا بصیرة، و آذانا سمیعة فیری حینئذ ما یجب أن لا یراه،

---

(۱) و إلیک هذه الأبیات باللغة الفارسیة:

چو بازارگان بچه گردد دبیرهنرمند و با دانش و یاد گیر

چو فرزند ما برنشند به تخت‌دبیری ببایدش پیروز بخت

هنر باید از مرد موزه فروش‌سپارد بدو چشم بینا و گوش

بدست خردمند مرد نژادنماند جز از حسرت و سرد باد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۸

و یسمع ما یجب أن لا یسمعه، و حینئذ لا یبقی لأبناء الملوک إلا الحسرة و التأسف «۱».

(۱) و هکذا یعید الملک دراهم الحذّاء المسکین إلیه رافضا طلبه و یعود الحذاء خائبا و هو یتوسل بما یتوسل به المستضعفون و المحرومون المظلومون و هو الدعاء و الضراعة الی اللّه فی اللیل و فی هذا قال الفردوسی: عاد مبعوث الملک بدراهم الحذاء إلیه فاصیب الحذاء لذلک بغمّ شدید ثم لما جن اللیل تضرع الحذاء الی اللّه و شکا إلیه الملک طالبا عدالته «۲».

و العجیب هو أن یصف البعض هذا السلطان بالعادل و هو الذی لم یعالج أسوأ مشکلة فی المجتمع الإیرانی أیام حکمه و سلطانه و هی المشکلة الثقافیة، بل تسبب فی أن یصاب الشعب الإیرانی بالمزید من المشاکل الاجتماعیة و غیرها.

فقد وأد و دفن فی القبور احیاء ما یقرب من ثمانین الف انسان (أو مائة الف کما قیل) فی حادثة واحدة، و هی فتنة مزدک، حتی أنه ظنّ انه قد قضی علی جذور تلک الفتنة و هو لا یعلم أنها لم تستأصل لأن مثل هذه الأسالیب القمعیة انما تقضی فقط علی المسبّب دون السبب، و تکافح المجرم لا الجرم.

(۲) لقد کان السبب الحقیقی وراء تلک الفتنة هو الظلم الاجتماعی، و الاختلاف الطبقیّ، و احتکار الثروة، و المنصب علی أیدی طبقة خاصّة و حرمان الاکثریة الساحقة من الشعب و غیر ذلک من المفاسد و کان علیه لو أراد الاصلاح أن یعالج هذه الامور لیأتی علی المشکلة من أساسها، و لکنه بدل ذلک کان یرید- بالقهر و القمع و فی ظلّ الحراب و السیاط- أن یظهر الناس انفسهم بمظهر الراضی و عن السلطة، الموافق علی تصرفاتها، و أحوالها و أوضاعها السیئة!!!

و من هنا نعرف بطلان الحدیث المرویّ عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

---

(۱) راجع شاهنامه (باللغة الفارسیة) و تاریخ اجتماعی ایران: ص ۶۱۸.

(۲)

فرستاده برگشت و شد با درم‌دل کفشگر زان درم پر ز غم

شب آمد، غمی شد ز گفتار شاه‌خروش جرس خواست از بارگاه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۰۹

الذی قال فیه: «ولدت فی زمن الملک العادل» و یقصد به انوشیروان «۱».

(۱)

صفحة سوداء من جرائم خسرو برویز:

و من جرائم الملک خسرو برویز و مظالمه المنکرة ما فعله بوزیره الشهیر «بزرجمهر» الذی خدم البلاط الشاهنشاهی الایرانیّ ثلاثة عشر عاما و کان ذلک موجبا لشهرته فی البلاد و حسن صیته بین الناس.

فقد عمد هذا الملک الی سجن الوزیر المذکور، و النکایة به، و قد کتب الی الوزیر المسجون رسالة یقول فیها: إنّ حظّک من العلم و المعرفة أنه عرضک للقتل!!

فاجابه «بزرجمهر» بقوله: «فقد انتفعت بعلمی ما دام قد حالفنی الحظ، و حیث عاکسنی الآن، فانّنی أصبر و أنتفع بصبری، فإذا فاتنی فعل خیر کثیر فاننی سعید لأنّنی لم أرتکب کذلک شرّا کثیرا و اذا ما سلبنی منصب الوزارة فانی فی الوقت نفسه قد استرحت کذلک من غم الحیف بالناس، فلا ابالی بما أنا فیه».

(۲) و لما بلغت هذه الرسالة الی الملک «برویز» استشاط غضبا، و أمر بقطع شفتی الوزیر، و جدع أنفه، و عند ما عرف الوزیر بهذا الأمر الظالم قال: أجل أن شفتی تستحقان اکثر من هذا.

فسأله خسرو برویز: و لما ذا؟ فقال: لأنهما وصفتاک عند العامة و الخاصة بما لا تستحق من الأوصاف، و اعطتاک ما لیس فیک من الخصال، فامالتا إلیک القلوب، و رغّبتا فیک النفوس، و الافئدة، و اشاعتا عنک أمجادا لم تستحقها، یا أسوأ الملوک و أظلم الحکام، تقتلنی الآن بسوء الظن بعد أن کنت علی یقین من وفائی، و صدقی، و اخلاصی، و سلامتی، فمن بعد هذا یأمل فی عدلک، و من بعد هذا یثق بقولک؟!

---

(۱) راجع فی هذا المجال: تذکرة الموضوعات لابن الجوزی، اللئالی المصوغة فی الأحادیث الموضوعة للسیوطی، و کذا مجمع الزوائد للهیثمی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۰

(۱) فازداد «خسرو برویز» لسماع هذه الکلمات الساخنة غضبا علی غضب، و أمر من فوره بقتل الوزیر، فضرب عنقه فی التوّ «۱».

و تلک هی معاملة ذلک الملک الموصوف زورا بالعادل مع اقرب مقربیه، و اکثر معاونیه إخلاصا، و وفاء له فکیف کانت تری معاملته مع سائر أفراد الرعیة و بقیة أفراد الشعب؟؟

(۲)

حکم التاریخ فی الملوک الساسانیین:

لقد اتخذ الحکام الساسانیّون فی عهودهم و حکوماتهم سیاسة خشنة قاسیة، و قد أخضعوا الناس بسلطانهم بالسیف و العنف.

کانوا یفرضون علی الناس ضرائب ثقیلة و أتاوات باهضة قاصمة للظهور، و لهذا السبب کان عامة الشعب الایرانی غیر راضین علی حکمهم و سیرتهم، و لکنهم خوفا علی نفوسهم، ما کانوا یتمکنون من الاعلان عن استیائهم هذا بل لم یکن لأرباب الفکر و الرأی، و العارفین بالامور شأن و لا قیمة فی البلاط الشاهنشاهی.

لقد بلغ الاستبداد لدی الحکام الساسانیین حدا لم یستطع معه أحد من إظهار رأیه، و لم یجرا احد علی إبداء أیة ملاحظة فی شأن من الشؤون.

لقد بلغت القوة بخسروبرویز حدا عجیبا وصفه الثعالبی بقوله:

قیل لخسرو برویز (کسری) دعونا فلانا الوالی فتباطأ عن الامتثال، فأمر الملک من فوره قائلا ان کان یصعب علیه مجیئه ببدنه کله، فاننا

يكفينا شيء منه، فليؤتى برأسه فحسب «۲».

(۱) يـذكر الفردوسـى الشـاعر الملحمى هـذه القصـة فى شاهنامته المعروفـة عنـد ذكر وقائع انوشـيروان اثناء حربه مع الروم (ج ۶، ص ۲۵۷- ۲۶۰).

(۲) ايران در عهد ساسانيان: ص ۳۱۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۱

(۱)

الفوضى فى الحكومة الساسانية:

و ممّا يجب ان لا نغافل عن ذكره هو ما تعرضت له الحكومـة الساسانية فى اواخر عهدها من الفوضـى الادارية، و تفاقم الهرج و المرج فى جهازها الحكومى.

فقـد دبّ الصـراع و النزاع و نشب التنافس الحاد بين الأمراء، و الاعيان و قادة الجيش فى ذلك العهد و ذهب كل فريق يختار أميرا من أبناء العائلة المالكة، و يقوم بتصفية الطائفة الاخرى التى اختارت أميرا آخر.

و عند ما فكّر العرب المسلمون فى فتح إيران كانت العائلة الساسانية المالكة قد بلغت ذروة الضعف و الانقسام.

و ممّا يـدل على ذلك تعاقب ما يقرب من (۱۴) ملكا على مسـند الحكم و السـلطان خلال مـدّة اربعة اعوام من مقتل الملك «خسـرو برويز» و جلوس شيرويه مجلسه و حتى آخر ملك من ملوك بنى ساسان.

(۲) و هـذا يعنى أن حكومة إيران انتقلت خلال مدة لا تتجاوز اربعة اعوام من يد الى يد اخرى (۱۴ مرة)!! و من الواضح ما يلحق بآية دولة و مملكة تتعرض ل (۱۴) انقلاب يقتل فيه ملك، و يحل محله ملك آخر فى مثل هذه المدة القصيرة.

فقـد كـان كـل حـاكم يتسلّم زمام الحكم و يسـتولى على عرش السـلطان يعمـد إلى قتل و اغتيال كل من كان يطمع فى العرش، و لا يتورع فى سبيـل إرسـاء قواعـد حكمه من ارتكـاب كـل مـا يراه ضـروريا، فكـان الأـب يقتـل ابنه، و الابن يقتل أباه، و ربما يقتل الاخ إخوته، و الزوجة زوجها و هكذا ...

فقد قتل «شيرويه» أباه «۱» للحصول على مقعد الحكم و السـلطان، كما أباد اربعين شـخصا من أبناء الملك «خسـرو برويز» اى إخوته!! «۲».

(۳) و كان «شـهربراز» يقتل كل من لا يثق به، و قد أدّى هذا إلى أن يقضـى على كل أبناء سـلالته من الأمراء الساسانيين ممّن كان قد تسنّم عرش السلطان

(۱) الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۹۶.

(۲) تاريخ اجتماعى ايران: ج ۲ ص ۱۵- ۱۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۲

و الملوكية قبله، رجلا كان ذلك أم امرأة، صغيرا كان أم كبيرا، لكيلا يبقى فى الوجود من يطمع فى السلطان أو يدّعيه!!

و صـفوة القول: أن الفوضـى السياسـية بلغت فى أواخر العهـد الساسانى حـدا بحيث كانوا يجلسون فيه الأطفال و الصبيان و النساء على اريكه الحكم، ثم يثورون عليهم و يقتلونهم بعد ايام أو أشهر و يحلون محلّهم أشخاصا آخرين!!

و على هذا فإن الدولة الساسانية رغم قوتها الظاهرية كانت آخذة فى الانحطاط و الانحلال و سائرة نحو التمزق و الفناء.

(۱)

الفوضى الدينية فى ايران الساسانيين:

لقد كان أهم عامل للفوضى التى كانت تعانى منها الاوضاع فى العهد الساسانى هو الاختلاف فى المعتقدات الدينية التى كانت سائدة آنذاك.

فحيث أن «اردشير بن بابك» مؤسس السلسلة الساسانية كان ابن مؤبد (و هو رجل دين زردشتى) و قيّما على بيت ناز و قد تمكن من السلطان بفضل الموابدة فانه اجتهد فى الترويج لدين آبائه فى ايران.

و فى عهد الساسانيين كان الدين الرسمى و الشائع فى أوساط الشعب الإيرانى هو الدين الزرادشتى، و لما كانت السلالة الساسانية قد توصلت الى الحكم بواسطة الموابدة- كما أسلفنا- لذلك كان الموابدة و القيمون على بيوت النار (و نعنى بهم رجال الدين الزرادشتى) يحظون بمكانة كبرى لدى البلاط الساسانى إلى درجة أنهم أصبحوا يشكّلون فى أواخر العهد الساسانى أقوى طبقة، و أشد الاجنحة نفوذا فى المجتمع الإيرانى آنذاك.

(۲) و لقد كان الحكام الساسانيّون دائما ممّن رشحهم للحكم الموابدة و رجال الدين الزردشتى المجوسى، و لذلك كان الحكام يأتمرون بأوامرهم، و لو أن أحدا منهم خالف الموابدة عارضوه أشدّ المعارضة، و سحبوا عنه تأييدهم و دعمهم، و لهذا اجتهد الملوك الساسانيون فى كسب رضا الموابدة، و العناية بهم اكثر من غيرهم من الطبقات، و قد تسبّبت عناية اولئك الملوك بالموابدة و حمايتهم لهم فى تزايد

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۳

عددهم، يوما بعد يوم.

و قد كان الساسانيون يستغلون رجال الدين المجوس أكبر استغلال لتثبيت قواعد حكمهم، و تقوية مواقعهم فى السلطان و لذلك أقاموا فى مختلف مناطق القطر الإيرانى العريض بيوت النار، (و هى معابد المجوس) جاعلين فى كل واحد من هذه المعابد ثلة كبيرة من الموابدة كسدنة.

(۱) فقد كتب المؤرخون يقولون: ان «خسرو برويز» شيّد بيتا للنار عظيما و وكل به (۱۲ الف) هيربد (و هو منصب خاص و رتبة خاصة فى نظام القيادة الدينية المجوسية) لينشدوا فيه الاناشيد الدينية، و يؤدوا الطقوس و الشعائر المجوسية!! «۱».

و على هذا الاساس كان الدين المجوس دين البلاط، و كان رجاله فى خدمة الملوك.

هذا و قد اجتهد الموابدة- بكل ما فى وسعهم- فى إبقاء الطبقات الكادحة و المحرومة من ابناء الشعب الإيرانى فى حالة من الركود و الجمود و حالة عدم الاحساس بالآلام و الرضا بالأمر الواقع.

و لقد تسببت الصلاحيات الواسعة و الحريات المطلقة المخولة إلى الموابدة فى ابتعاد الناس عن الدين المجوسى و النفور منه، فجماهير الشعب كانت تبحث لنفسها عن غير ما يتدين به الأشراف من عقيدة و دين.

يقول مؤلف كتاب «تاريخ اجتماعى ايران» و قد سعى الشعب الإيرانى- فى المال- الى ان يتخلص من ضغوط الاشراف و الموابدة و اضطهادهم، و لهذا ظهر بين الزردشتيين فى قبال الدين الرسمى «المزدية الزردشتية» الذى كان دين البلاط كما عرفنا، و كان يدعى: بهدين (اى الدين الافضل) مذهبان آخران «۲».

(۲) اجل و بسبب ضغوط الاشراف و تشددات الموابدة فى العهد الساسانى ظهرت فى ايران مذاهب مختلفة الواحد تلو الآخر، و قد

حاول «مزدک» و من قبله «مانی» ان یوجدا بأنفسهما تحولا فی الاوضاع الدینیة و فی العقائد و المؤسسات،

---

(۱) تاریخ تمدن ساسانی: ج ۱ ص ۱ (بالفارسیة).

(۲) تاریخ اجتماعی ایران: ج ۲ ص ۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۴

ألّا أنهما منیا بالفشل فی هذا السبیل «۱».

(۱) فحوالی سنة (۴۹۷ میلادیة) قام «مزدک»، و ألغی المالکیة الانحصاریة (الخاصة)، و نسخ عادة تعدد الزوجات، و نظام الحریم و کان ذلک فی مقدمة برامجه الاصلاحیة، و قد لقیت أفکاره هذه تأییدا قویا من قبل الطبقات المحرومة المسحوقة التی فجرت بقیادة «مزدک» ثورة کبری، و انقلابا هائلا فی المجتمع الإیرانی.

و لقد کانت هذه الثورات و الانتفاضات الشعبیة لأجل أن یتوصل الناس إلی حقوقهم المشروعة، الممتوجه لهم من قبل اللّه خالقهم و بارئهم.

و لقد قوبل مذهب «مزدک» باعتراض شدید من قبل الموابدة، و امراء الجیش، و جرّ إلی فتنة کبیرة، و الی تردی الاوضاع فی ایران آنذاک.

کما ان المذهب الزردشتی قد فقد- فی أواخر العهد الساسانی- حقیقته بصورة کاملة، و وصل الأمر بعبادة النار و تقدیسها إلی درجة أنهم کانوا یحرّمون الدقّ علی حدیدة محماة اکتسبت لون النار و لهیبها بمجاورتها لها.

و بکلمة واحدة؛ لقد کانت اکثر المعتقدات الزردشتیة المجوسیة تتألف من الخرافات و الأساطیر، و قد أعطت حقائق هذا الدین- فی هذا العهد- مکانها لحفنة من الشعائر الجوفاء، و الطقوس الفارغة، التی أضاف إلیها الموابدة سلسلة من التشریفات الطویلة العریضة تثبیتا لمواقعهم، و دعما لمکانتهم فی المجتمع الإیرانی یومئذ.

(۲) لقد بلغت سیطرة الخرافات و الاساطیر البعیدة عن العقل و المنطق علی هذه العقیدة، و رسوخها فی هذا الدین حدا أقلق حتی رجال الدین الزردشتی انفسهم أیضا، و قد کان بین الموابدة أنفسهم من أدرک منذ البدایة تفاهة الطقوس و الشعائر الزردشتیة الجوفاء، فتخلی عنها.

---

(۱) المذهب المانوی هو المذهب الزردشتی الخلیط بالمسیحیة، فقد اخترع مانی من مسلک قومی و آخر اجنبی مذهبا جدیدا ثالثا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۱۵

هذا من جانب

(۱) و من جانب آخر کان قد انفتح علی الشعب الإیرانی منذ أیام الملک «أنوشیروان» فما بعد طریق التفکیر، و التأمل، و التحقیق، و ممّا قد قوّی هذا الأمر ما حصل من اتصالات بین العقائد الزردشتیة و المعتقدات المسیحیة و غیرها من العقائد و الادیان و ما تحقق من تلاقح بینها نتیجة تسلل الثقافة الیونانیة و الهندیة، و غیرها إلی الوسط الإیرانی، و تسبب کل ذلک فی یقظة الشعب الإیرانی، و لذلک اصبح یعانی من هذه الخرافات و الاساطیر التی کانت الدیانة الزردشتیة تعج بها اکثر من أی وقت مضی.

و علی أیة حال فان الفساد الذی ظهر فی أوساط رجال الدین الزردشت، و تطرق الخرافات و الاساطیر الواهیة الکثیرة الی المعتقدات الزردشتیة تسبّب فی حصول مزید من التشتت و الاختلاف و التشرذم فی آراء الشعب الإیرانی و عقیدته.

و مع ظهور هذا الاختلاف و علی أثر انتشار المذاهب المتنوعة ظهر روح الشک و التردد لدی الطبقة المفکرة و المثقفة، و سرت منهم إلی بقیة الاصناف و الفئات ممّا أدی ذلک إلی أن یفقد جماهیر الشعب ثقتها و ایمانها القطعی، و اعتقادها الکامل السابق بتلک

المعتقدات.

و هكذا استشرى الهرج و المرج و عمّت الفوضى و اللادينية كل مناطق ايران و المجتمع الإيرانى، كما رسم «برزويه» الطبيب الشهير فى العهد الساسانى حيث صوّر نموذجا كاملا عن الاختلاف الاعتقادى و التشرذم الفكرى، و بالتالى اضطراب الأوضاع الإيرانية فى العهد الساسانى، فى مقدمة «كليلة و دمنة».

(۲)

الحروب الإيرانية الرومية:

لقد انقذ «بزرجمهر»- الوزير الإيرانى الشهير الذى كان يحتل مكان الصدارة فى حكومة «انوشيروان» و كان موصوفا بالتدبير و الكفاءة العالية- ايران من الاخطار التى احدقت بها فى اكثر الاحايين، و لكن علاقته بالسلطان

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۶

(انوشيروان) كانت تتأثر احيانا بسعاية الساعين و وشاية الوشاة الذين كانوا يوغرون صدر الملك ضدّه فيستصدرون منه قرارا بحبسه و سجنه.

(۱) و قد أوغر هؤلاء السعاة و الواشون أنفسهم صدر «انوشيروان» ضد امبراطور الروم، و ألّبوه عليه، و شجّعوه على توسيع رقعة نفوذه، و توسيع حدود بلاده و اضعاف سيطرة منافسه الخطير، متجاهلا وثيقة «الصلح الخالد» التى عقدها مع الروم و اتفق فيها الجانبان على عدم التعرض بعضهم لبعض.

و أدى هذا التحريض بأنوشيروان إلى مهاجمة الروم، و اشتعلت على اثرها نيران الحرب، و استطاع جنود. ايران ان يفتحوا سورية (و قد كانت مستعمرة رومية) فى مدة قصيرة تقريبا، و حرق انطاكية و نهب آسيا الصغرى.

و بعد عشرين عاما من القتال و سفك الدّماء، و الكرّ و الفر بين الروم و ايران و بعد أن فقد الجانبان قدراتهم و طاقاتهم فى تلك المعارك الطاحنة، و بعد الخسائر العظيمة التى تحمّلهما الطرفان اضطرّا الى عقد وثيقة الصلح مرة ثانية، و حدّدوا حدود بلادهما، و مناطق نفوذهما كما كانت عليه فى السابق شريطة أن تدفع دولة الروم كل عام ما يعادل (عشرين الف) دينار الى دولة ايران.

(۲) و من الواضح الذى لا يخفى و لا يحتاج الى البيان أن حروبا طويلة الآمد تدور رحاها بعيدا عن مركز الدولة من شأنها ان تأتى بالنتائج السيئة و التبعات الثقيلة على اقتصاد الشعب المحارب، و صناعته و توجه إلى هذه الجوانب ضربات قوية، لا تزول آثارها إلّا بعد زمان طويل خاصة مع ملاحظة الوسائل و الأدوات فى تلك العصور.

و مهما يكن فان هذه الحروب، و هذه الحملات المكلفة هيأت المقدمات الموجبة لسقوط الحكومة الإيرانية الحتمى.

فان آثار هذه المعارك لم تزل بعد إلّا و قد نشبت حرب اخرى دامت سبعة اعوام فان «تى باريوس» امبراطور الروم بعد ان تسنم عرش السلطان هدد بحملاته الكبيرة استقلال الدولة الإيرانية بدافع الانتقام.

و فى الأثناء- و قبل ان يتضح موقف الطرفين و موقعهما فى تلك المعارك من

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۷

الهزيمة أو الانتصار- مات «انوشيروان» و خلفه فى إدارة البلاد ابنه «خسرو برويز».

(۱) و قد حمل هذا الأخير على الروم أيضا، و ذلك عام (۶۱۴) بحجج معينة، و فتح فى أول حملة من حملاته: بلاد الشام و فلسطين و إفريقية و نهب اورشليم، و أحرق كنيسة القيامة و مزار السيّد المسيح (عليه السّلام) و هدم المدن، و دمرها.

و قد انتهت هذه الحرب بعد مقتل تسعين الف من النصارى لصالح الإيرانيين.

فى مثل هذه المرحلة التى كان فيها العالم المتحضر آنذاك يحترق- فى نيران الحروب و الظلم، بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالرسالة الاسلامية، و بلغ نداؤه المحيى للنفوس و العقول سمع البشرية، و قام يدعو الناس إلى الصلح و السلم، و الى النظم و الامن.

(۲) و لقد أدّى انهزام الروميين المتدينين، المؤمنين باللّه على أيدى المجوس الكفار، عبدة النار، الى ان يتفاءل اهل مكة الوثنيون بهذا الحدث، و يحدّثوا (و يمنّوا) أنفسهم بالانتصار على المسلمين المؤمنين باللّه عما قريب، و انطلقوا يرد دون هذه الامنية أمام المسلمين و هم يحاولون بها إضعاف معنويّاتهم، و زعزعة إيمانهم، الأمر الذى أقلق المسلمين.

و لم يتخذ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم موقفا تجاه هذه الظاهرة انتظارا لما سينزل به عليه الوحى الى ان نزلت آيات فى هذا المجال هى الآيات الاولى من سورة الروم التى تقول: «الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِی بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» (۱).

(۳) و قد تحقّقت نبوءة القرآن هذه حول الروم فى عام (۶۲۷ ميلادية) حيث

---

(۱) الروم: ۱- ۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۸

استولى «هرقل» على «نينوى» فى حملة واحدة.

و على أيّة حال كانت الدولتان المتنافستان تطويان الدقائق و الساعات الأخيرة من حياتهما فيما تستعدّان من ناحية اخرى لتجميع القوى، و التهيؤ لشن حملات جديدة، و خوض حروب و معارك اخرى و لكن حيث أن الارادة الالهية كانت قد تعلقت بأن يسطع على تلك المنطقتين نور التوحيد و تنتعش نفوس الروميين و الفرس الذابلة الميتة بنسائم الإسلام الناعشة، و اشعته الهادية، لذلك لم يلبث أن قتل «خسرو برويز» على يدى ابنه «شيرويه» الذى لم يدم سلطانه بعد اغتياله لأبيه اكثر من ثمانية أشهر، ثم سادت ايران بعد «شيرويه» فوضى شاملة خلال اربعة اشهر، حيث تناوب على مسند الحكم حكام و امراء عديدون أربعة منهم من النساء، إلى أن أنهى الجيش الاسلامىّ بحملاته الناجحة هذه الاوضاع، و وضع نهاية لهذا الصراع السياسى الحادّ الذى استمرّ خمسين عاما و الذى ساعد بدوره على تقدم الفتوحات الإسلامية.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۱۹

(۱)

۴ أسلاف رسول الإسلام (ص)

اشارة

(۲)

۱- بطل التوحيد: إبراهيم الخليل عليه السّلام

اشارة

إن الهدف من استعراض حياة النبىّ العظيم إبراهيم الخليل عليه السّـلام هو التعريف بأجداد النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أسلافه، لانتهاء نسبه الشريف إلى النبىّ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السّـلام، و حيث ان لهاتين الشخصيتين العظيمتين و بعض أسلاف النبىّ العظام نصيب هامّ فى تاريخ العرب و الإسلام، لهذا ينبغى الحديث عن أحوالهم بصورة مختصرة، خاصّة أنّ حوادث التاريخ الإسلامى ترتبط ارتباطا كاملا- كحلقات سلسلة واحدة- بالحوادث السابقة، او المقارنة لبزوغ الإسلام.

(۳) فعلى سبيل المثال تعتبر كفالة «عبد المطلب» لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته له، و جهود «ابى طالب» و دفاعه الطويل عن النبىّ، و عظمة الهاشميين و سموّ مقامهم و اخلافهم، و جذور معاداة الأمويين لهم، الاسس و القواعد الموضوعية لحوادث التاريخ الإسلامى، و لهذا كان لا بدّ من تخصيص فصل كامل فى التاريخ الإسلامى لهذه الابحاث.

إنّ فى حياة حامل راية التوحيد النبىّ «إبراهيم الخليل» عليه السّلام نقاطا مشرقة و بارزة جدا.

فجهاده العظيم فى سبيل ارساء قواعد التوحيد و اقتلاع جذور الوثنية ممّا

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۲۰

لا ينسى.

و هكذا حواره اللطيف و الزاخر بالمعانى مع عبدة النجوم و الكواكب فى عصره و الذى ذكره القرآن الكريم لمعرفتنا، افضل و اسمى درس توحيدى لطلاب الحقيقة و بغاة الحق.

(۱)

مولد إبراهيم:

لقد ولد بطل التوحيد فى بيئة مظلمة كانت تسربلها ظلمات الوثنية، و عبادة البشر ... فى بيئة كان الإنسان فيها يخضع لأصنام نحتها بيديه، كما يخضع لكواكب و نجوم.

لقد ولد حامل لواء التوحيد: «إبراهيم الخليل» عليه السّـلام فى «بابل» الذى يعدّها المؤرخون إحدى عجائب الدنيا السبع، و يذكرون حولها قصصا و امورا كثيرة تنبئ عن عظمتها و أهمية حضارتها، فيقول «هيرودتس» المؤرخ المعروف- مثلا-: لقد كانت بابل بنية بشكل مربّع طول كل ضلع من اضلاعه الاربعة (۱۲۰ فرسخا) و محيطه (۴۸۰ فرسخا) «۱».

إنّ هذا الكلام مهما كان مبالغا فيه إلّا أنه على كل حال يكشف عن حقيقة لا تقبل الإنكار، إذا ما ضمّ إلى ما كتبه الآخرون عن تلك المدينة التاريخية.

(۲) غير اننا لا نرى من تلك المدينة اليوم و من مناظرها الجميلة، و قصورها الرائعة، إلّا تلّا من التراب فى منطقة بين «دجلة» و «الفرات»، فالموت يخيّم على كل تلك المنطقة، اللّهم الا عند ما يكسر علماء الآثار بتنقيباتهم جدار الصمت أحيانا، بحثا عن آثار تلك المدينة، و يستخرجون بقاياها الموقوف على معالم من حضارة اصحابها و سكانها.

لقد فتح رائد التوحيد و مرسى اركانه «إبراهيم الخليل» عليه السّلام عينيه

---

(۱) قاموس الكتاب المقدّس، مادّة بابل.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۲۱

فى دولة «نمرود بن كنعان».

و كان نمرود هذا رغم أنه يعبد الصنم يدّعى الالوهيّة و يأمر الناس بعبادته.

(۱) و قد یبد و هذا الأمر عجیبا جدا فکیف یمکن ان یکون الشخص عابد صنم و مع ذلک یدّعی الالوهیة فی الوقت نفسه، إلّا أن القرآن الکریم یذکر لنا نظیر هذه المسألة فی شأن «فرعون مصر»، و ذلک عند ما هزّ النبی موسی بن عمران علیه السّلام قواعد العرش الفرعونی بمنطقه القویّ، و حجته الصاعقة، فاعترض أنصار فرعون و ملأوه علی هذا الأمر، و خاطبوا فرعون بلهجة معترضة قائلین:

«أ تَذَرُ مُوسی وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ» «۱».

(۲) و من الواضح جدّا أن «فرعون» کان یدعی الالوهیة فهو الذی کان یقول:

«أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» «۲» و هو القائل: «ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي» «۳» و لکنه کان فی الوقت نفسه عابد صنم و وثنیا.

بید أنّ هذه الازدواجیة لیست بأمر غریب عند الوثنیین، و لا یمنع مانع فی منطقهم أن یکون الشخص نفسه وثنیا یعبد الصنم، و مع ذلک یدّعی أنه إله و یدعو الناس إلی عبادته فیکون الها معبودا، یعبد الها أعلی منه، لأن المقصود من المعبود و الاله لیس هو خالق الکون بل هو من یتفوّق علی الآخرین بنحو من أنحاء التفوق و یمتلک زمام حیاتهم بشکل من الإشکال.

هذا و التاریخ یحدثنا أن العوائد فی بلاد الروم کانت تعبد کبارها و مع ذلک کان اولئک الکبار المعبودین انفسهم یتخذون لأنفسهم معبودا أو معبودات اخری.

(۳) إن أکبر وسیلة توسّل بها «نمرود» فی هذا السبیل هو استقطاب جماعة من الکهنة و المنجمین الذین کانوا یعدّون الطبقة العالمة و المثقّفة فی ذلک العصر.

فقد کان خضوع هذه الطبقة یمهّد لاستعمار الطبقة المنحطة و غیر الواعیة من الناس.

هذا مضافا إلی أنه کان یناصر «نمرود» بعض من ینتسب إلی «الخلیل»

---

(۱) الأعراف: ۱۲۷.

(۲) النازعات: ۲۴.

(۳) القصص: ۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۲۲

علیه السّلام بوشیجة القربی مثل «آزر» الذی کان یصنع التماثیل، و کان عارفا بأحوال النجوم و الفلک أیضا، و کان هذا هو الآخر أحد العراقیل التی کانت تمنع الخلیل من انجاح مهمته، لأنه مضافا إلی مخالفة الرأی العام له، کان یواجه مخالفة أقاربه أیضا.

(۱) لقد کان نمرود غارقا فی عالم خیالی عند ما دقّ المنجمون فجأة أول ناقوس للخطر و قالوا له: سوف تنهار حکومتک، و یتهاوی عرشک و سلطانک علی ید رجل یولد فی تلک البیئة، الأمر الذی أیقظ أفکاره النائمة، فتساءل من فوره: و هل ولد هذا الرجل؟ فقیل له: لا، انه لم یولد بعد. فأمر من فوره بعزل الرجال عن النساء (و ذلک فی اللیلة التی انعقدت فیها نطفة ابراهیم الخلیل علیه السّلام عدو نمرود، و هادم ملکه، و مزیل سلطانه و هی اللیلة التی حددها و تکهن بها المنجمون و الکهنة من انصار نمرود) و مع ذلک کان جلاوزة «نمرود» یقتلون کل ولید ذکر، و کان علی القوابل ان یسجّلن اسماء المواليد فی مکتبه الخاص.

و لقد اتفق أن انعقدت نطفة «الخلیل» فی نفس اللیلة التی منع فیها ای لقاء جنسی بین الرجال، و ازواجهم.

لقد حملت أم إبراهیم به کما حملت أمّ موسی به، و امضت فترة حملها فی خفاء و تستر، ثم لجأت بعد وضع ولیدها العزیز الی غار بجبل علی مقربة من المدینة حفاظا علیه، و راحت تتفقده بین حین و آخر من اللیل و النهار، قدر المستطاع.

و قد أرضی هذا الاسلوب الظالم «نمرودا» و أراح باله بمرور الزمن، اذ أیقن بانه قد قضی به علی عدو عرشه، و هادم سلطانه، و تخلص منه.

(۲) لقد قضی «إبراهیم» علیه السّلام ثلاثة عشر عاما فی ذلک الغار الذی کان یتصل بالعالم الخارجی عبر باب ضیّق، ثم أخرجته أمه

من ذلك الغار بعد ثلاثة عشر عاما، و دخل «إبراهيم» فى المجتمع، فاستغرب المجتمع النمرودى وجوده و انكروه «۱».

(۱) تفسير البرهان: ج ۱ ص ۵۳۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۳

(۱) لقد خرج «إبراهيم» من الغار، مؤمنا باللّه بفطرته، و قوّى توحيده الفطرى، بمشاهدة الأرض و السماء، و النظر فى سطوع الكواكب و النجوم و التأمل فى ما يجرى فى عالم النبات من نمو و حركة إلى غير ذلك ممّا يجرى فى عالم الطبيعة العجيب.

لقد واجه إبراهيم عليه السّلام بعد خروجه من الغار جماعة من الناس بهرتهم أحوال الكواكب و عظمة أمرها، ففقدوا عقولهم تجاه هذه الظاهرة، كما راى جماعة اخرى أحطّ فكريّا من سابقتها يعبدون اصناما منحوتة، بل واجه ما هو اسوأ بكثير من أعضاء الطوائف و الجماعات الضالة اذ رأى رجلا يستغل جهل الناس و غبائهم و يدعى الالوهية و يفرض عليهم عبادته و الخضوع له!!

لقد كان إبراهيم عليه السّلام يرى أنّ عليه أن يهيّىء نفسه لخوض المعركة فى هذه الجبهات الثلاث المختلفة، و قد نقل القرآن الكريم قصة نضال النبىّ «إبراهيم» عليه السّلام فى هذه الاصعدة و الجبهات الثلاث و سننقل لك فى ما يأتى و باختصار ما ذكره القرآن فى هذا المجال.

(۲)

إبراهيم و مكافحته للوثنية:

كانت ظلمات الوثنية قد خيّمت على منطقة بابل (موضع ولادة الخليل) برمتها.

فالآلهة المدّعاة، و المعبودات (السماوية و الارضية) الباطلة قد سحرت عقول مختلف فئات الشعب، فبعضها فى نظرهم هى أرباب القدرة و السلطة، و بعضها الآخر وسيلة الزلفى و التقرب الى اللّه إلى غير ذلك من التصورات السخيفة فى هذا الصعيد.

و حيث أن طريقة الأنبياء فى هداية البشرية و ارشادهم هى الاستدلال بالبراهين، و الاحتجاج بالمنطق، لانهم إنما يتعاملون مع قلوب الناس و عقولهم، و يبتغون ايجاد حكومة تقوم على أساس الإيمان و اليقين. و مثل هده الحكومة لا يمكن اقامتها بالسيف او بالنار و الحديد. لهذا يبدءون حركتهم بالتوعية الفكرية.

إن علينا أن نفرق بين الحكومات التى يريد الأنبياء تأسيسها، و حكومة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۴

الفراعنة و النماردة.

(۱) ان هدف الطائفة الثانية هو: الرئاسة و الزعامة، و الحفاظ عليها بكل وسيلة ممكنة فى حياتهم، و ان تلاشت و تهاوت من بعدهم. و لكن الأنبياء و الرسل يريدون حكومة تبقى قائمة فى جميع الحالات و ماثلة فى جميع الاوقات، فى الخلوة و الجلوة، فى وقت الضعف، و فى وقت القوة، فى حياتهم و بعد مماتهم ... انهم يريدون أن يحكموا على القلوب لا على الابدان، و هذا الهدف لا يتحقق ابدا عن طريق القوة و استخدام العنف و القهر!! انما يتحقق عن طريق الحجة و البرهان.

(۲) لقد بدأ النبى «إبراهيم» عمله بمكافحة ما كان عليه أقرباؤه الذين كان فى طليعتهم و على رأسهم «آزر» و هو الوثنية و عبادة الاصنام، و لكنه لم ينته من هذه المعركة و لم يحرز انتصارا كاملا فى هذه الجبهة بعد إلّا و واجه عليه السّلام جبهة اخرى، و كانت هذه الجماعة أعلى مستوى من افراد الجماعة السابقة فى الفهم و الثقافة. لان هذه الجماعة- على خلاف أقرباء إبراهيم قد نبذت عبادة الأوثان و الأصنام «۱»، و المعبودات الارضية الحقيرة، و توجهت بعبادتها و تقديسها الى الكواكب و النجوم و الاجرام السماوية.

و لقد بيّن «الخليل» عليه السّلام فى حواره العقائدى مع عبّاد الاجرام السماوية، و مكافحته لمعتقداتهم الفاسدة، سلسلة من الحقائق الفلسفية و العلمية التى لم يصل إليها الفكر البشرى يومذاك، و ذلك ببيان بسيط مدعوم بأدلة لا تزال الى اليوم موضع اعجاب كبار العلماء، و رواد الفلسفة و الكلام.

و الأهم من ذلك- فى هذا المجال- أن القرآن الكريم نقل أدلة «إبراهيم الخليل» عليه السّلام باهتمام خاص و عناية بالغة و لهذا ينبغى لنا أن نتوقف عندها قليلا، و هذا ما سنفعله فى هذه الصفحات.

---

(۱) ترتبط آية ۷۴ من سورة الأنعام بحواره عليه السّلام مع الوثنيين، بينما ترتبط الآيات اللاحقة لها بعبدة الأجرام السماوية.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۵

حوار الخليل مع عبدة الكواكب:

(۱) ذات ليلة وقف إبراهيم عليه السّلام عند ابتداء مغيب الشمس يتطلع فى السماء- و هو ينوى هداية الناس- و بقى ينظر الى النجوم و الكواكب من أول الغروب من تلك الليلة الى الغروب من الليلة التالية، و خلال هذه الساعات الأربع و العشرين حاور و جادل ثلاث فرق، من عبدة النجوم و ابطل عقيدة كل فرقة منها بأدلة محكمة، و براهين متقنة قوية.

فعند ما أقبل الليل و خيّم الظلام على كل مكان و هو يخفى كل مظاهر الوجود و معالمه فى عالم الطبيعة ظهر كوكب «الزهرة» من جانب الافق و هو يتلألأ.

فقال إبراهيم لعباد هذا الكوكب- و هو يتظاهر بموافقتهم جلبا لهم، و مقدمة للدخول معهم فى حوار-: «هذا ربى».

و عند ما افل ذلك الكوكب و غاب عن الانظار قال: «لا احب الآفلين».

و بمثل هذا المنطق الجميل أبطل عقيدة عبدة الزهرة، و اظهر خواءها و فسادها.

(۲) ثمّ إنه عليه السّلام نظر الى كوكب القمر المنير الذى يسحر القلوب بنوره وضوئه، فقال- متظاهرا بموافقة عبدة القمر-: «هذا ربى» ثم ردّ باسلوب منطقى محكم تلك العقيدة أيضا، عند ما امتدت يد القدرة المطلقة و لملمت أشعة القمر من عالم الطبيعة، و عندها اتّخذ ابراهيم عليه السّلام هيئة الباحث عن الحقيقة و من دون أن يصدم تلك الفرق المشركة و يجرح مشاعرها اذ قال: «لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» «۱» لأن القمر قد أفل أيضا كما أفل سابقه فهو كغيره أسير نظام علوىّ لا يتخلف، و ما كان كذلك لا يمكن ان يعدّ ربا يعبد، و يتوجه إليه بالتقديس و التضرع.

(۳) و لما ولّى الليل و أدبر، و اكتسحت الشمس الوضاءة باشعتها حجب

---

(۱) الأنعام: ۷۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۶

الظلام، و بثت خيوطها الذهبية على الوهاد و السهول، و التفت عبدة الشمس الى معبودهم، تظاهر ابراهيم بالاقرار بربوبيتها اتباعا لقواعد الجدل و المناظرة و لكن افول الشمس و غروبها اثبت هو الآخر بطلان عبادتها أيضا بعد أن اثبت خضوعها للنظام الكونى العام، فتبرأ «الخليل» عليه السّلام من عبادتها بصراحة.

و عندئذ أعرض عليه السّلام عن تلك الطوائف الثلاث و قال: «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۱».

لقد کان المخاطبین فی کلام إبراهیم علیه السّلام هم الذین یعتقدون بأن تدبیر الکائنات الارضیة، و منها الإنسان، قد انیطت إلی الاجرام السماویة و فوضت إلیها!!

(۱) و هذا الکلام یفید أن الخلیل علیه السّلام لم یقصد المطالب الثلاث التالیة:

۱- اثبات الصانع (الخالق).

۲- توحید الذات و أنه واحد غیر متعدد.

۳- التوحید فی الخالقیة، و أنه لا خالق سواه.

بل کان ترکیزه علیه السّلام علی التوحید فی «الربوبیة» و «التدبیر» و ادارة الکون، و انه لا مدبّر و لا مربی للموجودات الأرضیة إلّا اللّه سبحانه و تعالی، و من هنا فانه علیه السّلام فور إبطاله لربوبیة الاجرام السماویة قال: «وجّهت وجهی للّذی فطر السماوات و الأرض ...» و هو یعنی ان خالق السماوات و الأرض هو نفسه مدبرها و ربها، و انه لم یفوّض أی شیء من تدبیر الکون،- لا کله و لا بعضه- الی الاجرام السماویة، فتکون النتیجة: أن الخالق و المدبر واحد لا أن الخالق هو اللّه و المدبر شیء آخر.

(۲) و لقد وقع المفسرون، و الباحثون فی معارف القرآن فی خطأ، و التباس عند التعرض لمنطق «إبراهیم» علیه السّلام و شرح حواره هذا، حیث تصوروا أن الخلیل علیه السّلام قصد نفی «ألوهیة» هذه الأجرام یعنی الالوهیة التی تعتقد بها

---

(۱) الأنعام: ۷۹.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۲۷

جمیع شعوب الأرض و یکون هذا الکون الصاحب آیة وجوده.

(۱) بینما تصوّر فریق آخر ان «إبراهیم» کان یقصد نفی «الخالقیة» عن هذه الأجرام السماویة، لأنه من الممکن ان یخلق إله العالم کائنا کامل الوجود و الصفات ثم یفوض إلیه مقام الخالقیة فی حین أن هذین التفسیرین غیر صحیحین، بل کان هدف الخلیل علیه السّلام- بعد التسلیم بوجود إله واجب الوجود، و توحیده، و وحدانیة الخالق- البحث فی قسم آخر من التوحید، الا و هو التوحید «الربوبی»، و بالتالی اثبات أن خالق الکون هو نفسه مدبر ذلک الکون أیضا، و عبارة: «وجّهت وجهی ...» أفضل شاهد علی هذا النوع من التفسیر.

من هنا کان الترکیز الأکبر فی بحث ابراهیم علی مسألة «الربّ» و «الربوبیة» فی صعید الاجرام کالقمر و الزهرة و الشمس «۱».

(۲) هذا و استکمالا للبحث الحاضر لا بدّ من توضیح برهان النبیّ «ابراهیم» علیه السّلام.

لقد استدل «ابراهیم» فی جمیع المراحل الثلاث بافول هذه الاجرام علی أنها لا تلیق بتدبیر الظواهر الارضیة و بخاصة الإنسان.

و هنا ینطرح سؤال: لما ذا یعتبر افول هذه الاجرام شاهدا علی عدم مدبّریتها؟

إن هذا الموضوع یمکن بیانه بصور مختلفة، کل واحدة منها تناسب طائفة معینة من الناس.

ان تفسیر منطق «الخلیل» علیه السّلام و اسلوبه فی إبطال مدبّریه الاجرام السماویة و ربوبیّتها بأشکال و صور مختلفة أفضل شاهد علی أن للقرآن الکریم أبعادا مختلفة و أن کل بعد منها یناسب طائفة من الناس.

---

(۱) لقد بیّنا مراتب التوحید من وجهة نظر القرآن الکریم فی کتابنا «معالم التوحید فی القرآن الکریم» و أثبتنا هناک أنّ التوحید فی الذات غیر التوحید فی الخالقیة، و أن هذین النوعین من التوحید غیر التوحید فی الربوبیة، و هی غیر المراتب الاحری للتوحید، فراجع الکتاب المذکور تقف علی هذه الحقیقة.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۲۸

(۱) و إلیک فی ما یلی التفاسیر المختلفة لهذا الاستدلال:

(۲) الف: إن الهدف من اتخاذ الربّ هو أن يستطيع الكائن الضعيف فى ظل قدرة ذلك الرب من الوصول الى مرحلة الكمال و لا بدّ ان يكون لمثل هذا الربّ ارتباط قريب مع الموجودات المراد تربيتها بحيث يكون واقفا على أحوالها، غير منفصل عنها، و لا غريب عليها.

و لكن كيف يستطيع الكائن الذى يغيب ساعات كثيرة عن الفرد المحتاج إليه فى التربية و يحرم ذلك الفرد من فيضه و بركته، ان يكون ربا للموجودات الأرضية و مدبرا لها؟!

من هنا يكون افول النجم، و غروبه، الذى هو علامة غربته و انقطاعه عن الموجودات الارضية خير شاهد على أن للموجودات الأرضية ربّا آخر، منزها عن تلك النقيصة عاريا عن ذلك العيب.

(۳) باء: انّ طلوع الأجرام السماوية و غروبها و حركتها المنظمة دليل على أنها جميعا خاضعة لمشيئة فوقها، و انها فى قبضة القوانين الحاكمة عليها، و الخضوع لقوانين منظمة هو بذاته دليل على ضعف تلك الموجودات، و مثل هذه الموجودات الضعيفة لا يمكن أن تكون حاكمة على الكون، أو شىء من الظواهر الطبيعية، و أما استفادة الموجودات الارضية من نور تلك الاجرام وضوئها فلا يدل أبدا على ربوبية تلك الأجرام، بل هو دليل على أن تلك الأجرام تؤدّى وظيفة تجاه الموجودات الأرضية بأمر من موجود أعلى.

و بعبارة اخرى: إن هذا الأمر دليل على التناسق الكونى، و ارتباط الكائنات بعضها ببعض.

(۴) جيم: ما هو الهدف من حركة هذه الموجودات؟ هل الهدف هو أن تسير من النقص إلى الكمال أو بالعكس؟

و حيث أن الصورة الثانية غير معقولة، و على فرض تصورها لا معنى لأن يسير المربّى و المدبر للكون من مرحلة الكمال الى النقص و الفناء، يبقى الفرض. الاول و هو بنفسه دليل على وجود مربّ آخر يوصل هذه الموجودات القوية فى ظاهرها

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۲۹

من مرحلة الى مرحلة، هو- فى الحقيقة- الربّ الذى يبلغ بهذه الموجودات و ما دونها إلى الكمال.

(۱)

طريقة الأنبياء فى الحوار و الجدال:

لقد اسلفنا فى ما سبق أن «ابراهيم»- بعد خروجه من الغار- واجه صنفين منحرفين عن جادة التوحيد هما:

۱- الوثنيون.

۲- عبدة الاجرام السماوية.

و لقد سمعنا حوار «ابراهيم» عليه السّلام و جداله مع الفريق الثانى، و علينا الآن أن نعرف كيف حاور الوثنيين و عبدة الاصنام؟

(۲) إن تاريخ الأنبياء و الرسل يكشف لنا عن أنهم كانوا يبدءون دعوتهم من انذار الاقربين ثم يوسعون دائرة الدعوة لتشمل عامة الناس كما فعل رسول الإسلام فى بدء دعوته حيث بدأ بانذار عشيرته الاقربين لما امره اللّه تعالى بذلك اذ قال: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» «۱». و بذلك أسّس دعوته على إصلاح اقربائه و عشيرته.

و لقد سلك «الخليل» عليه السّلام نفس هذا المسلك أيضا إذ بدأ عمله الاصلاحى باصلاح اقربائه.

و لقد كان لآزر بين قومه مكانة اجتماعية عليا فهو- مضافا إلى معلوماته فى الصناعة و غيرها- كان منجما ماهرا، و ذا كلمة مسموعة و رأى مقبول فى بلاط «نمرود» فى كل ما يخبر به من أخبار النجوم، و كل ما يستخرجه و ما يستنبطه من الامور الفلكية و يذكره من تكهنات.

(۳) لقد ادرك «ابراهيم» انه بجلبه لآزر (عمّه) يستطيع ان يسيطر على اوساط الوثنيين، و يجردهم من ركيزة هامة من كبريات

ركائزهم، و لهذا بادر الى منع

---

(۱) الشعراء: ۲۱۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۰

عمّه آزر- و بافضل الاساليب- عن عبادة الاوثان، بيد أن بعض الأسباب أوجبت أن لا يقبل «آزر» بنصائح «ابراهيم» عليه السّلام، و المهم لنا فى هذا المجال هو ان نتعرف على كيفية دعوة الخليل و على اسلوب حواره مع «آزر».

ان الامعان فى الآيات التى تنقل حوار «ابراهيم» عليه السّلام مع «آزر» توضح لنا أدب الأنبياء، و اسلوبهم الرائع فى الدعوة و الارشاد، و لنقف عند حوار ابراهيم و دعوته، ليتضح لنا ذلك.

يقول القرآن الكريم عن ذلك: «إِذْ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً: يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً سَوِيًّا. يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا. يا أَبَتِ إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحْمنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطانِ وَلِيًّا».

(۱) فاجابه «آزر» قائلا: «أَ راغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا».

و لكن «ابراهيم» بسعة صدره و عظمة روحه تجاهل ردّ «آزر» العنيف ذلك و أجابه قائلا: «سلام عليك سأستغفر لك ربّى» «۱».

و أىّ جواب أفضل من هذا البيان و أىّ لغة ألين من هذه اللغة و احبّ الى القلب، و اكثر رحمة و لطفا.

(۲)

هل كان آزر والد إبراهيم؟

ان الظاهر من الآيات المذكورة و كذا الآية (۱۱۵) من سورة «التوبة» و الآية (۱۴) من سورة الممتحنة هو: أنّ «آزر» كان والد إبراهيم عليه السّلام.

و قد كان إبراهيم يسميه أبا فى حين كان «آزر» وثنيا، فكيف يصح ذلك و قد اتفقت كلمة علماء الشيعة عامة على كون والد النبىّ الكريم «محمّد»

---

(۱) مريم: ۴۲- ۴۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۱

صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جميع الأنبياء مؤمنين باللّه سبحانه موحدين اياه تعالى.

و لقد ذكر الشيخ المفيد رضوان اللّه عليه فى كتابه القيم «أوائل المقالات» «۱» ان هذا الأمر هو موضع اتفاق علماء الشيعة الامامية كافة بل وافقهم فى ذلك كثير من علماء السنة أيضا.

و فى هذه الصورة ما هو الموقف من ظواهر الآيات المذكورة التى تفيد ابوّة «آزر» لإبراهيم، و ما هو الحل الصحيح لهذه المشكلة (۱) يذهب أكثر المفسّرين إلى أن لفظة «الأب» و ان كانت تستعمل عادة فى لغة العرب فى «الوالد»، إلّا أن مورد استعمالها لا ينحصر فى ذلك.

بل ربما استعملت- فى لغة العرب و كذا فى مصطلح القرآن الكريم- فى:

(العمّ) أيضا. كما وقع ذلك فى الآية التالية التى استعملت فيها لفظة الأب بمعنى العم اذ يقول سبحانه:

«إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهک و إله آبائک إبراهيم و اسماعيل و إسحاق إلها واحدا و نحن له مسلمون» «۲»

فإنّ ممّا لا ريب فيه أن «اسماعيل» كان عما ليعقوب لا والدا له، فيعقوب هو ابن اسحاق، و اسحاق هو أخو اسماعيل.

و مع ذلک سمّى أولاد يعقوب «اسماعيل» الذى كان (عمّهم) أبا.

(۲) و مع وجود هذين الاستعمالين (استعمال الاب فى الوالد تارة، و فى العم تارة اخرى) يصبح احتمال كون المراد بالاب فى الآيات المرتبطة بهداية «آزر» هو العمّ أمرا واردا، و بخاصة إذا ضممنا الى ذلک قرينة قوية فى المقام و هى:

اجماع العلماء الذى نقله المفيد رحمه اللّه على طهارة آباء الأنبياء و اجدادهم من رجس الشرک و الوثنية.

و لعل السبب فى تسمية النبى «ابراهيم» عمّه بالأب هو أنه كان الكافل

---

(۱) أوائل المقالات: ص ۱۲ باب القول فى آباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(۲) البقرة: ۱۳۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۲

لإبراهيم ردحا من الزمن، و من هنا كان «ابراهيم» ينظر إليه بنظر الأب، و ينزله منزلة الوالد.

(۱)

القرآن ينفى ابوّة «آزر» لإبراهيم:

و لكى نعرف رأى القرآن الكريم فى مسألة العلاقة بين «آزر» و «ابراهيم» عليه السّلام نلفت نظر القارئ الكريم الى توضيح آيتين:

(۲) ۱- لقد أشرقت منطقة الحجاز بنور الايمان و الإسلام بفضل جهود النبيّ «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تضحياته الكبرى، و آمن اكثر الناس به عن رغبة و رضا، و علموا بأن عاقبة الشرک، و عبادة الاوثان و الاصنام هو الجحيم و العذاب الاليم.

إلّا أنهم رغم ابتهاجهم و سرورهم بما وفقوا له من إيمان و هداية، كانت ذكريات آبائهم و امهاتهم الذين مضوا على الشرک و الوثنية تزعج خواطرهم و تثير شفقتهم، و اسفهم.

و كان سماع الآيات التى تشرح أحوال المشركين فى يوم القيامة يحزنهم و يؤلمهم، و بغية ازالة هذا الالم الروحى المجهد طلبوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يستغفر لآبائهم و امهاتهم كما فعل «إبراهيم» فى شأن «آزر» فنزلت الآية فى مقام الردّ على طلبهم ذاک، اذ قال سبحانه:

«ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ. وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» «۱».

إنّ ثمت قرائن كثيرة تدل على أنّ محادثة النبيّ «إبراهيم» و حواره مع «آزر» و وعده بطلب المغفرة له من اللّه سبحانه قد انتهى إلى قطع العلاقات،

---

(۱) التوبة: ۱۱۳ و ۱۱۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۳

و التبرّى منه فى عهد فتوّة «إبراهيم»، و شبابه، أى عند ما كان «إبراهيم» لا يزال فى مسقط رأسه «بابل» و لم يتوجه بعد الى فلسطين و مصر و أرض الحجاز.

إننا نستنتج من هذه الآية أن «إبراهيم» قطع علاقته مع «آزر»- فى أيام شبابه- بعد ما أصرّ «آزر» على كفره، و وثنيته، و لم يعد يذكره الى آخر حياته.

(۱) ۲- لقد دعا «إبراهيم» عليه السّلام فى اخريات حياته- أى فى عهد شيخوخته- و بعد أن فرغ من تنفيذ مهمته الكبرى (تعمير الكعبة) و اسكان ذريته فى أرض مكة القاحلة، دعا و بكل اخلاص و صدق جماعة منهم والداه، و طلب من اللّه إجابة دعائه، إذ قال فى حين الدعاء:

«رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ» «۱».

إن هذه الآية تفيد بصراحة- أن الدعاء المذكور كان بعد الفراغ من بناء الكعبة المعظمة، و تشييدها، يوم كان إبراهيم يمر بفترة الشيخوخة، فاذا كان مقصوده من الوالد فى الدعاء المذكور هو «آزر» و انه المراد له المغفرة الالهية كان معنى ذلك أن «ابراهيم» كان لم يزل على صلة ب «آزر» حتى أنه كان يستغفر له فى حين أن الآية التى نزلت ردا على طلب المشركين أوضحت بأن «إبراهيم» كان قد قطع علاقاته ب «آزر» فى أيّام شبابه، و تبرّأ منه، و لا ينسجم الاستغفار مع قطع العلاقات.

إن ضمّ هاتين الآيتين بعضهما الى بعض يكشف عن أنّ الذى تبرّأ منه «ابراهيم» فى أيام شبابه، و قطع علاقاته معه، و اتخذه عدوا هو غير الشخص الذى بقى يذكره، و يستغفر له الى اخريات حياته «۲».

(۲)

إبراهيم محطّم الأصنام:

لقد حلّ موسم العيد، و خرج أهل بابل المغفّلين الجهلة إلى الصحراء للاستجمام، و لقضاء فترة العيد، و إجراء مراسيمه، و قد أخلوا المدينة.

---

(۱) إبراهيم: ۴۱.

(۲) مجمع البيان: ج ۳ ص ۳۲۱، و الميزان: ج ۷ ص ۱۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۴

و لقد كانت سوابق «إبراهيم»، و تحامله على الأصنام، و استهزاؤه بها قد أوجدت قلقا و شكا لدى أهل بابل، و لهذا طلبوا منه- و هم الذين يساورهم القلق من موقفه تجاه اصنامهم- الخروج معهم إلى الصحراء، و المشاركة فى تلك المراسيم، و لكن اقتراحهم هذا بل إصرارهم واجه رفض إبراهيم الذى رد على طلبهم بحجة المرض اذ قال: «إنّى سقيم» و هكذا لم يشترك فى عيدهم، و خروجهم و بقى فى المدينة.

(۱) حقا لقد كان ذلك اليوم يوم ابتهاج و فرح للموحد و المشرك، و أمّا للمشركين فقد كان عيدا قديما عريقا يخرجون للاحتفال به، و اقامة مراسيمه و تجديد ما كان عليه الآباء و الاسلاف الى الصحراء حيث السفوح الخضراء و المزارع الجميلة.

و كان عيدا لإبراهيم بطل التوحيد كذلك، عيدا لم يسبق له مثيل، عيدا طال انتظاره، و افرح حضوره و حلوله، فها هو إبراهيم يجد المدينة فارغة من الاغيار، و الفرصة مناسبة للانقضاض على مظاهر الشرك و الوثنية، و حدث هذا فعلا.

فعند ما خرج آخر فريق من اهل بابل من المدينة، اغتنم «إبراهيم» تلك الفرصة و دخل و هو ممتلئ ايمانا و يقينا باللّه فى معبدهم حيث الأصنام و الأوثان المنحوتة الخاوية، و أمامها الأطعمة الكثيرة التى احضرها الوثنيون هناك بقصد التبرك بها، و قد لفتت هذه الأطعمة نظر «الخليل» عليه السّلام، فأخذ بيده منها كسرة خبز، و قدمها مستهزء الى تلك الاصنام قائلا: لما ذا لا تأكلون من هذه

الاطعمة؟

(۲) و من المعلوم أن معبودات المشركين الجوفاء هذه لم تكن قادرة على فعل اى شيء أو حركة مطلقا فكيف بالاكل.

لقد كان يخيم على جوّ ذلك المعبد الكبير سحابة من الصمت القاتل و لكنه سرعان ما اخترقته اصوات المعول الذى اخذ «إبراهيم» يهوى به على رءوس تلك التماثيل الجامدة الواقفة بلا حراك، و ايديها.

لقد حطم «الخليل» عليه السّلام جميع الاصنام و تركها ركاما من الاعواد المهشمة، و المعدن المتحطم، و اذا بتلك الاصنام المنصوبة فى اطراف ذلك الهيكل

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۳۵

قد تحولت الى تلة فى وسط المعبد.

غير ان «ابراهيم» ترك الصنم الأكبر من دون ان يمسه بسوء، و وضع المعول على عاتقه، و هو يريد بذلك ان يظهر للقوم بأن محطم تلك الأصنام هو ذلك الصنم الكبير، إلّا أن هدفه الحقيقى من وراء ذلك كان امرا آخرا سنبينه فى ما بعد.

(۱) لقد كان «إبراهيم» عليه السّلام يعلم بأنّ المشركين بعد عودتهم من الصحراء، و من عيدهم سيزورون المعبد، و سوف يبحثون عن علة هذه الحادثة، و أنهم بالتالى سوف يرون ان وراء هذا الظاهر واقعا آخر، اذ ليس من المعقول ان يكون صاحب تلك الضربات القاضية هو هذا الصنم الكبير الذى لا يقدر أساسا على فعل شيء على الاطلاق.

و فى هذه الحالة سوف يستطيع «إبراهيم» عليه السّلام أن يستفيد من هذه الفرصة فى عمله التبليغى، و يستغل اعتراضهم بأن هذا الصنم الكبير لا يقدر على شيء أبدا، لتوجيه السؤال التالى إليهم: اذن كيف تعبدونه؟!!

فمنذ أن اخذت الشمس تدنو الى المغيب و يقترب موعد غروبها، و تتقلص اشعتها و تنكمش من الرّوابى و السهول، أخذ الناس يؤوبون إلى المدينة أفواجا افواجا.

(۲) و عند ما آن موعد العبادة، و توجّهوا إلى حيث اصنامهم، واجهوا منظرا فضيعا و امرا عجيبا لم يكونوا ليتوقّعونه!!

لقد كان المشهد يحكى عن ذلة الآلهة و حقارتها، و هو أمر لفت نظر الجميع شيبا و شبّانا، كبارا و صغارا.

و لقد كانت تلك اللحظة لحظة ثقيلة الوطأة على الجميع بلا استثناء.

فقد خيّم سكوت قاتل مصحوب بحنق و مضض على فضاء ذلك المعبد المنكود الحظ.

إلا أن أحدهم خرق ذلك الصمت الرهيب و قال: من الذى ارتكب هذه الجريمة، و من فعل هذا بآلهتنا؟!

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۳۶

و لقد كانت آراء «إبراهيم» و مواقفه السلبية السابقة ضد الاصنام و تحامله الصريح عليها تبعثهم على اليقين بأن «إبراهيم» و ليس سواه هو الذى صنع ما صنع بآلهتهم و اصنامهم.

و لأجل ذلك تشكلت فورا محكمة برأسها «نمرود» نفسه و أخذوا يحاكمون «ابراهيم» و أمه!!

(۱) و لم يكن لامه من ذنب إلا أنها أخفت ابنها، و لم تعلم السلطات بوجوده ليقضوا عليه، شأنه شأن غيره من المواليد الذين قضت تلك السلطة الظالمة عليهم حفاظا على نفسها و كيانها.

و لقد أجابت أم إبراهيم على هذا السؤال بقولها: أيها الملك فعلت هذا نظرا منى لرعيّتك، فقد رأيتك تقتل أولاد رعيّتك فكان يذهب النسل فقلت: إن كان هذا الذى يطلبه دفعته إليه ليقتله و يكف عن قتل أولاد الناس، و إن لم يكن ذلك فبقى لنا ولدنا.

(۲) ثم جاء دور مساءلة إبراهيم عليه السّلام فسأله قائلا: «من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم» فقال إبراهيم: «فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون».

و قد كان «إبراهيم» عليه السّلام يهدف من هذه الاجابة اللامبالية المصحوبة بالسخرية و الازدراء هدفا آخر، و هو ان «إبراهيم» عليه

السّـلام کان علی یقین بأنهم سـیقولون فی معرض الاجابة علی کلامه هذا: إنک تعلم یا إبراهیم ان هذه الأصنام لا تقدر علی النطق، و فی هذه الصورة یستطیع «إبراهیم» أن یلفت نظر السلطات التی تحاکمه الی نقطة اساسیة.

و قد حدث فعلا ما کان یتوقعه «إبراهیم» علیه السّلام لما قالوا له و قد نکسوا علی رءوسهم: «لقد علمت ما هؤلاء ینطقون» فقال إبراهیم ردا علی کلامهم هـذا الـذی کـان یعکس حقـارة تلـک الاصـنام و الأوثان و تفاهـة شأنها: «أ فتعبـدون من دون اللّه ما لا ینفعکم و لا یضرّکم افّ لکم و لما تعبدون من دون اللّه أ فلا تعقلون».

(۳) إلّا أنّ تلک الزمرة المعاندة التی ران علی قلوبها الجهل و التقلید الأعمی لم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۷

یجـدوا جوابا لإبراهیم الذی أفحمهم بمنطقه الرصـین الّا أن یحکموا باعدامه حرقا، فأوقدوا نارا کبیرة و ألقوا بإبراهیم علیه السّـلام فیها إلّا أن العنایة الالهیة شـملت إبراهیم الخلیل علیه السّـلام، و حفظته من اذی تلک النار، و حولت ذلک الجحیم الذی اوجده البشـر، الی جنینة خضراء نضرة اذ قال: «یا نار کونی بردا و سلاما علی إبراهیم» «۱».

(۱)

العبر القیامة فی هذه القصة:

مع ان الیهود یعتبرون أنفسهم فی مقدمة الموحّدین، لم ترد هذه القصة فی توراتهم الحاضرة رغم کونها معروفة بینهم، بل تفرّد القرآن الکریم من بین الکتب السماویة بذکرها لأهمیتها.

من هنا فإننا نـذکر بعض النقاط المفیـدة، و الـدروس المهمـة فی هـذه القصـة التی یهدف القرآن من ذکرها و ذکر امثالها من قصـص الأنبیاء و الرسل.

---

(۱) و قد ذکر تفاصیل هذه القصة فی الآیات ۵۱ الی ۷۰ من سورة الأنبیاء و ها نحن ندرج کل هذه الآیات هنا:

«وَ لَقَـدْ آتَیْنـا إِبْراهِیمَ رُشْـدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ کُنَّا بِهِ عالِمِینَ. إِذْ قالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ ما هـذِهِ التَّماثِیلُ الَّتِی أَنْتُمْ لَها عاکِفُونَ. قالُوا وَجَـدْنا آباءَنا لَها عابِدِینَ قـالَ لَقَـدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبـاؤُکُمْ فِی ضَـلالٍ مُبِینٍ. قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِینَ قالَ بَلْ رَبُّکُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِی فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلی ذلِکُمْ مِنَ الشَّاهِـدِینَ وَ تَاللَّهِ لَأَکِیـدَنَّ أَصْـنامَکُمْ بَعْـدَ أَنْ تُوَلُّوا مُـدْبِرِینَ فَجَعَلَهُمْ جُـذاذاً إِلَّا کَبِیراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ.

قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِینَ. قالُوا سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ. قالُوا:

فَأْتُوا بِهِ عَلی أَعْیُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْـهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هـذا بِآلِهَتِنا یا إِبْراهِیمُ. قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا فَسْـئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِـهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُکِسُوا عَلی رُؤُسِـهِمْ لَقَـدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ یَنْطِقُونَ. قالَ: أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُکُمْ شَـیْئاً وَ لا یَضُـرُّکُمْ. أُفٍّ لَکُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ. قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ. قُلْنا یا نارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاماً عَلی إِبْراهِیمَ. وَ أَرادُوا بِهِ کَیْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَخْسَرِینَ».

و للوقوف علی تفاصیل و خصوصیات ولادة إبراهیم علیه السّلام و تحطیمه للأصنام راجع کتاب الکامل لابن الأثیر: ج ۱ ص ۵۳– ۶۲، و بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۴– ۵۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۳۸

(۱) ۱– إن هذه القصة خیر شاهد علی شجاعة «إبراهیم الخلیل» علیه السّلام و بطولته الفائقة.

فعزم ابراهيم على تحطيم الاصنام، و محق و هدم كل مظاهر الشرك و الوثنية المقيتة لم يكن امرا خافيا على النمروديين لانه عليه السّلام كان قد أظهر شجبه لها، و اعلن عن استنكاره لعبادتها و تقديسها من خلال كلماته القادحة فيها، و استهزائه بها، فقد كان عليه السّلام يقول لهم بكل صراحة بانه سيتخذ من تلك الاصنام موقفا ما اذا لم يتركوا عبادتها و تقديسها، فقد قال لهم يوم ارادوا ان يخرجوا الى الصحراء لمراسيم العيد: «وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ» «۱».

و لقد كان موقف الخليل عليه السّلام ينم عن شجاعة كبرى فقد قال الإمام الصادق عليه السّلام فى هذا الصدد:

«و منها (اى و ممّا تحلّى به النبىّ ابراهيم) الشجاعة و قد كشفت (قضية) الاصنام عنه، و مقاومة الرجل الواحد الوفا من أعداء اللّه عزّ و جلّ تمام الشجاعة» «۲».

(۲) ۲- ان ضربات «إبراهيم» القاضية و ان كانت فى ظاهرها حربا مسلحة، و عنيفة ضد الاصنام إلا أن حقيقة هذه النهضة- كما يستفاد من ردود «إبراهيم» على أسئلة الذين حاكموه، و استجوبوه- كانت ذات صبغة تبليغية دعائية.

فان «إبراهيم» لم يجد وسيلة لإيقاظ عقول قومه الغافية، و تنبيه فطرهم الغافلة، إلا تحطيم جميع الاصنام، و ترك كبيرها و قد علق القدوم على عاتقه ليدفع بقومه إلى التفكير فى القضية من اساسها و حيث أن العمل لم يكن اكثر من مسرحية إذ لا يمكن أن يصدق أحدهم بأن تلك الضربات القاضية كانت من صنع ذلك الصنم الكبير و فعله حينئذ يستطيع إبراهيم أن يستثمر فعله هذا فى دعوته، و يقول انّ هذا الصنم الكبير لا يقدر- و باعترافكم- على فعل أىّ شىء

---

(۱) الأنبياء: ۵۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۶۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۳۹

مهما كان صغيرا و حقيرا فكيف تعبدونه اذن؟!

(۱) و لقد استفاد «إبراهيم» من هذه العملية فعلا، و توصل الى النتيجة التى كان يتوخاها، فقد ثابوا الى نفوسهم بعد ان سمعوا كلمات «إبراهيم» عليه السّلام، و استيقظت ضمائرهم و عقولهم و وصفوا انفسهم بالظلم بعد أن تبيّن لهم الحق و بطل ما كانوا يعبدون اذ قال تعالى: «فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» «۱» و هذا بنفسه يفيد بأن سلاح الأنبياء القاطع فى بدء عملهم الرسالى كان هو: سلاح المنطق و الاستدلال ليس إلا، غاية الأمر أن هذا كان يؤدى فى كل دورة بما يناسبها من الوسائل، و إلّا فما قيمة تحطيم عدد من الأصنام الخشبية بالقياس إلى مخاطرة النبىّ «ابراهيم الخليل» بنفسه و حياته، و بالقياس الى الاخطار التى كانت تتوجه إليه نتيجة هذا العمل الصارخ.

إذن فلا بد ان يكون وراء هذه العملية الخطيرة هدف كبير و خدمة عظمى تستحق المخاطرة بالنفس، و يستحق المرء امتداح العقل له اذا عرّض حياته للخطر فى سبيلها.

(۲) ۳- لقد كان إبراهيم يعلم جيدا بأن هذا العمل سيؤدى بحياته، و سيكون فيه حتفه، فكانت القاعدة تقتضى أن يسيطر عليه قلق و اضطراب شديدان، فيتوارى عن اعين الناس، أو يترك المزاح، و السخرية بالأصنام على الأقل، و لكنه كان على العكس من ذلك رابط الجأش، مطمئن النفس، ثابت القدم، فهو عند ما دخل فى المعبد الذى كانت فيه الأصنام تقدم بقطعة من الخبز الى الاصنام و دعاها ساخرا بها، الى الاكل، و ثم ترك الأصنام بعد اليأس منها تلّا من الخشب المهشم، و اعتبر هذا الأمر مسألة عادية لا تستأهل الوجل و الخوف، و كأنه لم يفعل ما يستتبع الموت المحقّق و يستوجب الاعدام المحتّم.

فهو عند ما يأخذ مكانه امام هيئة القضاة يقول معرضا بالاصنام: فعله كبير الأصنام فاسئلوه و لا شك أن هذا التعريض و السخرية بالاصنام إنما هو موقف من

(١) الأنبياء: ۶۴.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:١۴٠

لا- يوجس خيفـة، و لا- يشـعر بوجل من عمله، بل هو فعل من قـد هيّأ نفسه لكل الاخطار المحتملـة، و اسـتعد لكل النتائـج مهما كانت خطيرة.

(١) بل الأعجب من هذا كله دراسة وضع «إبراهيم» نفسه حينما كان فى المنجنيق و قد تيقّن أنه سيكون وسط ألسـنة اللهب بعد هنيئة، و تلتهمه النار المستعرة تلك النار التى جمع اهل «بابل» لها الحطب الكثير تقربا الى آلهتهم، و كانوا يعتبرون ذلك العمل واجبا مقدسا ... تلك النار التى كان لهيبها من القوة بحيث ما كانت الطيور تستطيع من التحليق على مقربة منها.

فى هذه اللحظة الخطيرة الحساسة جاءه جبرئيل و اعلن عن اسـتعداده لانقاذه و تخليصه من تلك المهلكة الرهيبة قائلا له: هل لك إليّ من حاجة؟

فقال «إبراهيم»: أما إليك فلا، و أما إلى ربّ العالمين فنعم «١».

ان هذا الجواب يجسّد ايمان «إبراهيم» العظيم، و روحه الكبرى.

(٢) لقـد كـان «نمرود» الـذى جلس يراقب تلـك النار من عـدة فراسـخ، ينتظر بفارغ الصبر لحظـة الانتقام، و كان يحب ان يرى كيف تلتهم ألسنة النار «إبراهيم». فما أرهب تلك اللحظات!

لقـد اشـتغل المنجنيق، و بهزّة واحدة القى بإبراهيم عليه السّـلام فى وسط النار غير أن مشـيئة اللّه، و ارادته النافذة تدخلت فورا لتخلص خليل اللّه و نبيه العظيم، فحوّلت تلك النّار المحرقـة التى أو قدتها يد البشـر الى روضة خضـراء و جنينة زاهرة ادهشت الجميع حتى أنّ «إبراهيم» التفت إلى «آزر» و قال- من دون ارادته-:

«يا آزر ما اكرم إبراهيم على ربّه» «٢».

(٣) إن انقلاب تلـك النّار الهائلـة الى روضـة خضـراء لإبراهيم قـد تمّ بأمر اللّه المسبب للأسـباب و المعطل لها متى شاء، المعطى لها آثارها، و السالب عنها ذلك، متى اراد.

(١) عيون أخبار الرضا: ص ١٣۶، و أمالى الصدوق: ص ٢٧۴، و بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٣۵.

(٢) تفسير البرهان: ج ٣ ص ۶۴.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:١۴١

اجـل إن اللّه الـذى منـح الحرارة للنّار و الاضاءة للقمر، و الاشـعاع للشـمس لقادر على سـلب هـذه الآثار و انتزاعها من تلك الاشـياء و تجريدها، و لهذا صحّ وصفه بمسبب الاسباب، و معطلها.

غير ان جميع هذه الحوادث الخارقة و الآيات الباهرة لم تسـتطع ان توفر لإبراهيم الحرية الكاملة فى الدعوة و التبليغ، فقد قررت السـلطة الحاكمـة و بعـد مشاورات و مداولات إبعاد «إبراهيم» و نفيه، و قد فتح هذا الأمر صـفحة جديدة فى حياة ذلك النبىّ العظيم، و تهيأت بذلك اسباب رحلته الى بلاد الشام و فلسطين و مصر و ارض الحجاز.

(١)

هجرة الخليل عليه السّلام:

لقد حكمت محكمة «بابل» على «إبراهيم» بالنفى و الإبعاد من وطنه، و لهذا اضطرّ عليه السّلام ان يغادر مسقط رأسه، و يتوجه صوب فلسطين و مصر، و هناك واجه استقبال العمالقة الذين كانوا يحكمون تلك. البقاع و ترحيبهم الحار به و نعم بهداياهم التى كان من جملتها جارية تدعى «هاجر».

و كانت زوجته «سارة» لم ترزق بولد الى ذلك الحين، فحركت هذه الحادثة عواطفها و مشاعرها تجاه زوجها الكريم إبراهيم و لذلك حثته على نكاح تلك الجارية عله يرزق منها بولد، تقرّبه عينه و تزدهر به حياته.

فكان ذلك، و ولدت «هاجر» لإبراهيم ولدا ذكرا سمى باسماعيل، و لم يمض شىء من الزمان حتى حبلت سارة هى أيضا و ولدت- بفضل اللّه و لطفه- ولدا سمى باسحاق «۱».

(۲) و بعد مدة من الزمان أمر اللّه تعالى «إبراهيم» بان يذهب بإسماعيل و أمه «هاجر» إلى جنوب الشام (أى ارض مكة) و يسكنهما هناك فى واد غير معروف الى ذلك الحين ... واد لم يسكنه أحد بل كانت تنزل فيه القوافل التجارية

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۸ و ۱۱۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۲

الذاهبة من الشام الى اليمن، و العائدة منها الى الشام، بعض الوقت ثم ترحل سريعا، و أما فى بقية أوقات السنة فكانت كغيرها من أراضى الحجاز صحراء شديدة الحرارة، خالية عن أى ساكن مقيم.

(۱) لقد كانت الاقامة فى مثل تلك الصحراء الموحشة عملية لا تطاق بالنسبة لامرأة عاشت فى ديار العمالقة و ألفت حياتهم و حضارتهم، و ترفهم و بذخهم.

فالحرارة اللاهبة و الرياح الحارقة فى تلك الصحراء كانت تجسّد شبح الموت الرهيب امام ابصار المقيمين.

و إبراهيم نفسه قد انتابته كذلك حالة من التفكير و الدهشة لهذا الأمر، و لهذا فإنّه فيما كان عازما على ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ذلك الواد قال لزوجته «هاجر» و عيناه تدمعان: «إن الذى أمرنى أن اضعكم فى هذا المكان هو الذى يكفيكم».

ثمّ قال فى ضراعة خاصة: «رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» «۱».

و عند ما انحدر من ذلك الجانب من الجبل التفت إليهما و قال داعيا: «رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِی بِوادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «۲».

إن هذا السفرة و الهجرة و إن كانت فى ظاهرها امرا صعبا، و عملية لا تطاق، إلا أن نتائجها الكبرى التى ظهرت فى ما بعد أوضحت و بيّنت أهميّة هذا العمل، لأنّ بناء الكعبة، و تأسيس تلك القاعدة العظمى لأهل التوحيد، و رفع راية التوحيد فى تلك الربوع، و خلق نواة نهضة، عميقة، دينية، انبثقت على يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و شعّت من تلك الديار إلى أنحاء العالم، كل ذلك كان من ثمار تلك الهجرة.

---

(۱) البقرة: ۱۲۶

(۲) إبراهيم: ۳۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۳

(۱)

عين زمزم كيف ظهرت؟

لقد غادر «إبراهيم» عليه السّلام أرض مكة تاركا زوجته و ولده «إسماعيل» بعيون دامعة، و قلب يملئوه الرضا بقضاء اللّه و الامل بلطفه و عنايته.

فلم تمض مدة إلا و نفد ما ترك عندهما من طعام و شراب، و جف اللبن فى ثديى «هاجر»، و تدهورت أحوال الرضيع «إسماعيل»، و كانت دموع الام الحزينة تنحدر على حجره، و هى تشاهد حال وليدها الذى قد أخذ العطش و الجوع منه مأخذا.

فانطلقت من مكانها فجأة تبحث عن الماء حتى وصلت إلى جبل «الصفا» فرأت من بعيد منظر ماء عند جبل «مروة»، فاسرعت إليه مهرولة، غيران الذى رأته و ظنته ماء لم يكن الّا السراب الخادع، فزادها ذلك جزعا و حزنا على وليدها ممّا جعلها تكرر الذهاب و الاياب الى الصفا و المروة أملا فى أن تجد الماء و لكن بعد هذا السعى المتكرر، و الذهاب و الاياب المتعدد بين الصفا و المروة عادت الى وليدها قانطة يائسة.

(۲) كانت أنفاس الرضيع الظامئ و دقّات قلبه الصغير قد تباطأت بل و اشرفت على النهاية، و لم يعد ذلك الرضيع الظامئ قادرا على البكاء و لا حتى على الانين.

و لكن فى مثل هذه اللحظة الحرجة الصعبة استجاب اللّه دعاء خليله و حبيبه «إبراهيم»، اذ لاحظت هاجر الماء الزلال و هو ينبع من تحت اقدام «اسماعيل».

فسرت تلك الام المضطربة- التى كانت تلاحظ وليدها و هو يقضى اللحظات الاخيرة من حياته، و كانت على يقين بانه سرعان ما يموت عطشا، و جهدا- سرورا عظيما بمنظر الماء، و برق فى عينيها بريق الحياة، بعد ان اظلمت الدنيا فى عينيها قبل دقائق، فشربت من ذلك الماء العذب، و سقت منه رضيعها الظامئ، و تقشعت بلطف اللّه و عنايته و بما بعثه من نسيم الرحمة الربانية كل غيوم اليأس، و سحب القنوط التى تلبدت و خيمت على حياتها.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۴۴

(۱) و لقد ادى ظهور هذه العين التى تدعى بزمزم فى ان تتجمع الطيور فى تلك المنطقة و تحلق فوق تلك البقعة التى لم يعهد أن حلّقت عليها الطيور، و ارتادتها الحمائم، و هذا هو ما دفع بجرهم و هى قبيلة كانت تقطن فى منطقة بعيدة عن هذه البقعة ان تتنبه إلى ظهور ماء فيها لما رأت تساقط الطيور و تحليقها، فأرسلت واردين ليتقصيا لها الخبر و يعرفا حقيقة الأمر، و بعد بحث طويل و كثير، انتهيا الى حيث حلت الرحمة الالهية، و عند ما اقتربا إلى «هاجر» و شاهدا بام عينيهما «امرأة» و «طفلا» عند عين من الماء الزلال الذى لم يعهداه من قبل عادا من فورهما من حيث أتيا، و أخبرا كبار القبيلة بما شاهداه، فاخذت الجماعة تلو الجماعة من تلك القبيلة الكبيرة قد إلى البقعة المباركة، و تخيم عند تلك العين لتطرد عن «هاجر» و ولدها مرارة الغربة، و وحشة الوحدة، و قد سبب نمو ذلك الوليد المبارك و رشده فى رحاب تلك القبيلة فى ان يتزوج إسماعيل هذا من تلك القبيلة، و يصاهرهم، و بذلك يحظى بحمايتهم له، و ينعم بدفاعهم و رعايتهم و محبتهم له.

فانه لم يمض زمان حتى أختار «إسماعيل» زوجة من هذه القبيلة، و لهذا ينتمى ابناء «إسماعيل» الى هذه القبيلة من جهة الام.

(۲)

تجديد اللقاء:

كان إبراهيم عليه السّلام بعد أن ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ارض «مكة» بأمر اللّه، يتردد على ولده بين فينة و اخرى.

و فى احدى سفراته و لعلّها السفرة الاولى دخل «مكة» فلم يجد ولده «إسماعيل» فى بيته، و كان ولده الذى أصبح رجلا قويا، قد تزوج

بامرأة من جرهم.

فسأل «إبراهيم» زوجته قائلاـ اين زوجك؟ فقالت: خرج يتصيّد، فقال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندى شيء و ما عندى أحد، فقال لها إبراهيم: «اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولى له: فليغيّر عتبة بابه».

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۵

و ذهب إبراهيم عليه السّلام منزعجا من معاملة زوجة ابنه «إسماعيل» له و قد قال لها ما قال.

(۱) و لمّا جاء إسماعيل عليه السّلام وجد ريح ابيه فقال لامرأته: هل جاءك احد؟ قالت: جاءنى شيخ صفته كذا و كذا كالمستخفّة بشأنه، قال: فما ذا قال لك: قالت: قال لى أقرئى زوجك السلام و قولى له: فليغيّر عتبة بابه!!

فطلقها و تزوج اخرى، لأن مثل هذه المرأة لا تصلح ان تكون زوجة و شريكة حياة «۱»

و قد يتساءل أحد: لما ذا لم يمكث إبراهيم عليه السّلام هناك قليلا ليرى ولده إسماعيل بعد عودته من الصيد، و قد قطع تلك المسافة الطويلة، و كيف سمح لنفسه بان يعود بعد تلك الرحلة الشاقة من دون ان يحظى برؤية ابنه العزيز؟!

يجيب ارباب التاريخ على ذلك بان إبراهيم انما استعجل فى العودة من حيث اتى لوعد اعطاه لزوجته سارة بأن يعود إليها سريعا، ففعل ذلك حتى لا يخلف. و هذا من اخلاق الأنبياء.

ثمّ إن «إبراهيم» سافر مرة اخرى إلى أرض مكة بأمر اللّه، و ليبنى الكعبة التى تهدمت فى طوفان «نوح»، ليوجّه قلوب المؤمنين الموحدين إلى تلك النقطة.

(۲) إن القرآن الكريم يشهد بأن أرض «مكة» قد تحولت إلى مدينة بعد بناء الكعبة قبيل وفاة إبراهيم عليه السّلام، لأن إبراهيم دعا بعيد فراغه من بناء الكعبة قائلا:

«رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ» «۲» على حين دعا عند نزوله مع زوجته، و ابنه إسماعيل فى تلك الأرض قائلا:

«رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً» «۳».

و هذا يكشف عن ان مكة تحولت الى مدينة عامرة فى حياة الخليل

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۲ نقلا عن قصص الأنبياء.

(۲) إبراهيم: ۳۵.

(۳) البقرة: ۱۲۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۶

عليه السّلام، بعد ان كانت صحراء قاحلة، و واد غير ذى زرع.

(۱) و لقد كان من المستحسن استكمالا لهذا البحث أن نشرح هنا كيفية بناء الكعبة المعظمة، و نستعرض التاريخ الاجمالى لذلك، بيد أننا لكى لا نقصر عن الهدف المرسوم لهذا الكتاب اعرضنا عن ذلك و عمدنا إلى ذكر بعض التفاصيل عن أبرز و اشهر أجداد رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فى التاريخ.

(۲)

۲- قصىّ بن كلاب:

إن أسلاف الرّسول العظيم صلّى اللّه عليه و آله هم على التوالى: عبد اللّه، عبد المطّلب، هاشم، عبد مناف، قصىّ، كلاب، مرّة، كعب،

لؤىّ، غالب، فهر، مالك، النضر، كنانة، خزيمة، مدركة، إلياس، مضر، نزار، معدّ، عدنان «۱».

من المسلّم أنّ نسب النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله إلى عدنان هو ما ذكر، فلا خلاف فيه، إنما وقع الخلاف فى عدد، و اسماء من هم بعد عدنان إلى إسماعيل عليه السّلام، و لذلك لم يجز التجاوز عنه لحديث رواه ابن عباس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اذ قال: «إذا بلغ نسبى إلى عدنان فأمسكوا» «۲» هذا مضافا إلى أن النبىّ نفسه كان اذا عدّد أجداده فبلغ إلى عدنان أمسك، و نهى عن ذكر من بعده الى إسماعيل، و قد روى عنه صلّى اللّه عليه و آله أنه قال: كذب النسّابون.

و لهذا فإننا نكتفى بذكر من اتفق عليه، و نعمد الى الحديث عن حياة كل واحد منهم.

(۳) و لقد كان كل من ذكرنا أسماءهم هنا معروفين، و مشهورين فى تاريخ

---

(۱) التاريخ الكامل: ج ۲ ص ۲- ۲۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۱۰۵ عن مناقب ابن شهرآشوب، و كشف الغمّة: ج ۱ ص ۱۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۷

العرب، بيد أن حياة طائفة منهم ترتبط بتاريخ الإسلام، و لهذا فاننا نقف عند حياة «قصىّ» و من لحقه إلى والد النبىّ «عبد اللّه» و نعرض عن ذكر حياة غيرهم من أجداده و أسلافه صلّى اللّه عليه و آله ممّن لا علاقة له بهذه الدراسة «۱».

(۱) أمّا «قصىّ» و هو الجدّ الرابع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فامّه «فاطمة» التى تزوجت برجل من بنى كلاب و رزقت منه بولدين هما: «زهرة» و «قصى» إلّا أن زوج فاطمة قد توفى، و هذا الاخير لم يزل فى المهد، فتزوجت بزوج آخر يدعى ربيعة، و سافرت معه الى الشام، و بقى «قصىّ» يحظى برعاية أبوية من ربيعة حتى وقع خلاف بين قصىّ و قوم ربيعة، و اشتد ذلك الخلاف حتى انتهى إلى طرده من قبيلتهم، ممّا أحزن ذلك امّه، و اضطرت الى إرجاعه الى «مكة».

و هكذا اتت به يد القدر إلى «مكة»، و سبّبت قابلياته الكامنة التى برزت فى تلك المدينة فى تفوقه على أهل مكة و بخاصة قريش.

و سرعان ما احتلّ قصىّ هذه المقامات العالية، و شغل المناصب الرفيعة، مثل حكومة «مكة» و زعامة قريش، و سدانة الكعبة المعظمة، و صار رئيس تلك الديار دون منازع.

و لقد ترك (قصىّ) من بعده آثارا كثيرة و عديدة منها تشجيع الناس على بناء المساكن و البيوت حول الكعبة المعظمة، و تأسيس مكان للشورى ليجتمع فيه رؤساء القبائل العربية من اجل التداول فى الامور و حل المشاكل يدعى بدار الندوة.

و قد توفى «قصىّ» فى القرن الخامس الميلادى و خلف من بعده ولدين هما:

«عبد الدار» و «عبد مناف».

(۲)

۳- عبد مناف:

و هو الجدّ الثالث لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اسمه «المغيرة» و لقبه

---

(۱) لقد بحث ابن الأثير فى الكامل حول حياتهم فراجع: ج ۲ ص ۱۵- ۲۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۸

«قمر البطحاء»، و كان أصغر من اخيه «عبد الدار» إلا أنه كان يحظى بمكانة خاصة عند الناس دون أخيه، و كان شعاره التقوى، و دعوة الناس الى حسن السيرة و صلة الرحم، بيد انه مع ما كان له من المكانة القوية لم ينافس اخاه «عبد الدار» فى المناصب العالية التى كان

يشغلها.

فقد كانت الزعامة لاخيه عبد الدار حسب وصيّة أبيهما «قصىّ».

و لكن بعد وفاة هذين الأخوين وقع الخصام و التنازع بين أبنائهما على المناصب، و انتهى ذلك بالصراع الطويل إلى اقتسام المناصب و المقامات، و تقرر ان يتولى ابناء عبد الدار سدانة الكعبة، و زعامة دار الندوة، و يتولى ابناء عبد مناف سقاية الحجيج و ضيافتهم و وفادتهم.

و قد بقى هذا التقسيم المتفق عليه سارى المفعول الى زمن ظهور الإسلام «۱».

(۱)

۴- هاشم:

اشارة

و هو الجدّ الثانى لنبى الإسلام و اسمه «عمرو» و لقبه «العلاء» و هو الذى ولد مع «عبد شمس» توأمين، و أخواه الآخران هما: «المطلب» و «نوفل».

هذا و ثمة خلاف بين أرباب السير و كتاب التاريخ فى: أن هاشما و عبد شمس كانا توأمين، و أن هاشما ولد و اصبع واحدة من اصابع قدمه ملصقة بجبهة «عبد شمس» و قد نزعت بسيلان دم، فتشاءم الناس لذلك «۲» يقول الحلبى فى سيرته: فكانوا يقولون: سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اى بين بنى العباس

---

(۱) لم تكن هناك مناصب للكعبة يوم اسّست و رفع قواعدها بل حدث كل ذلك تدريجا بحكم المقتضيات و التطوّرات، و كانت هذه المناصب التى استمرت الى زمن ظهور الإسلام عبارة عن:

۱- سدانة الكعبة.

۲- سقاية الحجيج.

۳- رفادتهم و ضيافتهم.

۴- زعامة المكيين و قيادة جيشهم. و لم يكن هذا الأخير منصبا ذا صبغة دينية.

(۲) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۴۹

(و هم من أولاد هاشم) و بين بنى أميّة (و هم من أولاد عبد شمس) «۱».

(۱) و كأنّ كاتب السيرة قد تجاهل الحوادث المحزنة و المؤسفة التى وقعت بين بنى أميّة و ابناء على عليه السّلام فى حين أن تلك الحوادث الدامية التى تسببها بنو أميّة و اهرقت فيها دماء ذرية رسول اللّه و عترته الطاهرة، اقوى شاهد على تلك العداوة بين هاتين الطائفتين، و لكننا لا ندرى لما ذا تجاهل ذكرها مؤلف السيرة الحلبية و لم يشر إليها مطلقا؟!

ثم ان من خصوصيات أبناء «عبد مناف» حسبما يستفاد من الأدب الجاهلى، و ما جاء فيه من أشعار، أنهم توفوا فى مناطق مختلفة.

فهاشم- مثلا- توفى فى «غزة» و عبد شمس مات فى مكة، و نوفل فى ارض العراق، و المطلب فى ارض اليمن «۲».

(۲) و كان من سجايا هاشم و اخلاقه الفاضلة أنه كان كلّما هلّ هلال شهر ذى الحجة قام صبيحته، و أسند ظهره الى الكعبة المشرفة، و

خطب قائلا:

«یا معشر قریش إنكم سادة العرب و أحسنها وجوها، و أعظمها احلاما (ای عقولا) و أوسط العرب (أی أشرفها) أنسابا، و أقرب العرب بالعرب أرحاما.

یا معشر قریش إنكم جیران بیت اللّه تعالی اكرمكم اللّه تعالی بولایته، و خصكم بجواره، دون بنی إسماعیل، و انه یاتیكم زوّار اللّه یعظمون بیته فهم أضیافه و أحق من اكرم أضیاف اللّه انتم، فاكرموا ضیفه و زوّاره، فانهم یأتون شعثا غبرا من كل بلد علی ضوامر كالقداح، فاكرموا ضیفه و زوّار بیته، فو ربّ هذه البنیة لو كان لی مال یحتمل ذلك لكفیتكموه، و أنا مخرج من طیب مالی و حلاله ما لم یقطع فیه رحم، و لم یؤخذ بظلم، و لم یدخل فیه حرام، فمن شاء منكم ان یفعل مثل ذلك فعل، و أسألكم بحرمة هذا البیت أن لا یخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوّار بیت اللّه و تقویتهم إلا طیبا لم یؤخذ ظلما، و لم یقطع فیه رحم، و لم یؤخذ غصبا» «۳».

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۵.

(۳) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۰

(۱) و لقد كانت زعامة «هاشم» و قیادته نافعة للمكیین من جمیع النواحی، و كان لها تأثیر كبیر فی تحسین أوضاعهم.

و لقد سبّب كرمه و ما قام به من إطعام واسع فی سنوات الجدب القاسیة فی تخفیف شدة الوطأة عن أهل مكة، و بالتالی ادی الی عدم احساسهم بالقحط، و آثار الجدب.

كما أنّ من خطواته البارزة و اعماله النافعة جدا لتحسین الحالة التجاریة للمكیین هو ما عقده مع أمیر «غسان» من المعاهدة، الأمر الذی دفع بأخیه «عبد شمس» إلی أن یعاهد أمیر الحبشة، و بأخویه الآخرین «المطلب» و «نوفل» الی ان یعاهدا أمیر الیمن و ملك ایران تكون القوافل التجاریة بموجب تلك المعاهدات للجانبین فی أمان، من العدوان و التعرض.

و قد أزالت هذه المعاهدات الكثیر من المشاكل، و كانت وراء ازدهار التجارة فی «مكة المكرمة» حتی عهد بزوغ شمس الإسلام.

ثم ان من أعمال «هاشم» و خطواته النافعة تأسیسه لرحلتی قریش اللتین یتحدث عنهما القرآن الكریم اذ یقول: «رحلة الشتاء و الصیف» و هما رحلة إلی الشام، و كانت فی الصیف، و رحلة الی الیمن، و كانت فی الشتاء، و قد استمرت هذه السیرة حتی ما بعد ظهور الإسلام أیضا.

(۲)

امیّة بن عبد شمس یحسد هاشما:

و لقد حسد «أمیّة بن عبد شمس» أبن أخی هاشم عمّه «هاشما» علی ما حظی به من المكانة و العظمة، و النفوذ الی قلوب الناس و جذبها نحوه بسبب خدماته و أیادیه، و ما كان یقوم به من بذل و انفاق، و حاول جاهدا ان یقلده و یتشبه بهاشم فی سلوكه و لكنه رغم كل ما قام به من جهود و محاولات لم یستطع أن یتشبه به و یتخذ سیرته، و كما لم یستطع بایقاعه و طعنه به ان یقلل من شأنه بل زاده رفعة و عظمة.

لقد كان لهیب الحسد فی قلب «أمیّة» یزداد اشتعالا یوما بعد یوم، حتی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۱

دفع به الی ان یـدعو عمّه «هاشـما» للـذهاب إلی کـاهن من کهنـۀ العرب للمنـافرۀ عنـده فتکون الرئاسـۀ و الزعامـۀ لمن یمـدحه ذلک الکاهن، و کانت عظمۀ «هاشم» و سموّ مقامه تمنع من منافرۀ ابن اخیه (امیّۀ) إلّا أنه رضی بالمنافرۀ هذه تحت اصرار (امیّۀ) بشرطین:

۱- أن یعطی المغلوب خمسین من النیاق سود الحدق تنحر بمکۀ.

۲- جلاء المغلوب عن مکۀ عشر سنین.

(۱) و من حسن الحظّ أن ذلک الکاهن نطق بمـدح «هـاشم» بمجرد أن وقعت عینـاه علیه فقال: «و القمر الباهر، و الکوکب الزاهر، و الغمام الماطر ... لقـد سـبق هاشم امیّـۀ إلی الماثر» الی آخر کلامه. و هکـذا قضـی لهاشم بالغلبۀ فأخذ الابل فنحرها و أطعمها و اضـطر أمیۀ الی الجلاء عن مکۀ و العیش بالشام عشر سنین «۱».

و قـد اسـتمرت آثار هـذا الحسـد التاریخی إلی ۱۳۰ عاما بعـد ظهور الإسـلام، و تسـببت فی جرائم و فجـائع کـبری عدیمـۀ النظیر فی التاریخ.

ثم ان القصۀ السابقۀ مضافا الی انها تبین مبدأ العداوۀ بین الأمویین و الهاشـمیین تبیّن أیضا علل نفوذ الامویین فی البیئۀ الشامیۀ، و یتبین أن علاقات الأمویین العریقۀ بأهل هذه المنطقۀ هی التی مهّدت لقیام الحکومۀ الأمویۀ فی تلک الدیار.

(۲)

هاشم یتزوّج ...

کـانت «سـلمی» بنت «عمرو الخزرجی» امرأۀ شـریفۀ فی قومها، قـد فارقت زوجها بطلاق، و کانت لا ترضـی بالزواج من أحـد، ولـدی عودۀ «هاشم» من بعض أسـفاره نزل فی یثرب أیاما فخطبها إلی والدها، فرغبت سـلمی فیه لشـرفه فی قریش، و لنبله و کرمه، و رضیت بالزواج منه بشرطین: أحدهما أن لا تلد ولدها

---

(۱) الکامل لابن الاثیر: ج ۲ ص ۱۰، و السیرۀ الحلبیۀ: ج ۱ ص ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۲

إلّا فی اهلها، و حسب هـذا الاتفاق بقیت «سـلمی» مع زوجها «هاشم» فی مکۀ بعض الوقت حتی اذا ظهر علیها آثار الحمل رجعت الی: «یثرب» و هناک وضعت ولدا اسموه «شیبۀ». و قد اشتهر فی ما بعد به «عبد المطلب».

(۱) و کتب المؤرخون فی علـۀ تسـمیته بهـذا الاـسم بـأن هاشـما لمـا أحسّ بقرب انصـرام حیـاته قال لاخیه «المطلب»: یا أخی أدرک عبدک شیبۀ و لذلک سمّی شیبۀ بن هاشم: «عبد المطلب».

و قیل أن أحد المکیین مرّ علی غلمان یلعبون فی زقاق من ازقۀ یثرب، و ینتضـلون بالسـهام، و لما سـبق أحدهم الآخرین فی الرمی قال مفتخرا: «أنا ابن سـیّد البطحاء» فسأله الرجل عن نسبه و ابیه فقال: أنا شیبۀ بن هاشم بن عبد مناف، فلما قدم الرجل مکۀ اخبر «المطلب» أخی «هاشم» بما سـمعه و رآه، فاشـتاق «المطلب» الی ابن أخیه فذهب الی المدینۀ، و لما وقعت عیناه علی ابن اخیه «شـیبۀ» عرف شـبه أخیه هـاشم، و توسّم فیه ملامحه، ففاضت عیناه بالـدموع، و تبادلا قبلات الشوق، و المحبـۀ، و أراد أن یاخـذه معه الی «مکـۀ» و کانت أمه تمانع من ذلک، و لکن ممانعتها کانت تزیـد من عزم العمّ علی أخـذه الی «مکۀ» و اخیرا تحققت امنیۀ العم فقد اسـتطاع «المطلب» أن یحصل علی اذن أمه، فاردفه خلفه و توجّه حدب «مکۀ» تدفعه رغبۀ طافحۀ الی إیصاله إلی والده هاشم.

(۲) و فعلت شـمس الحجاز. و اشعتها الحارقۀ فعلتها فی هذه الرحلۀ فقد غیّرت لون وجه شیبۀ و أبلت ثیابه، و لهذا ظنّ أهل «مکۀ» عند دخوله مع عمه «مکـۀ» أنه غلام اقتناه «المطلب» فکان یقول بعضـهم لبعض: هـذا عبد المطلب، و کان المطلب ینفی هذا الأمر، و یقول:

إنما هو ابن أخى هاشم و ما هو بعبدى، و لكن ذلك الظن هو الآخر فعل فعلته، و عرف «شيبة» بعبد المطلب «۱».

و ربما يقال: أن سبب شهرته بهذا الاسم هو انه تربى و ترعرع فى حجر عمّه

(۱) الكامل لابن الاثير: ج ۲ ص ۶، و تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۸ و ۹، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۳

«المطلب» و كانت العرب تسمى من يترعرع فى حجر أحد و ينشأ تحت رعايته عبدا لذلك الشخص تقديرا لجهوده و تثمينا لرعايته. (۱)

۵- عبد المطّلب:

اشارة

عبـد المطّلب بن هاشم و هو الجدّ الأول للنبى صلّى اللّه عليه و آله كان رئيس قريش و زعيمها المعروف، و كانت له مواقف بارزة، و أعمال عظيمـة فى حياته، و حيث أن ما وقع من الحوادث فى أيام حكمه يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الإسـلام و لهذا يتعين علينا دراسـة بعض تلكم الحوادث و الوقائع. سيد المرسلين ج۱ ۱۵۳ ۵ - عبد المطلب: ..... ص : ۱۵۳

شـك أن المرء مهما تمتع بنفسـية قويـة فانه سـيتأثر- فى المال- ببيئته و عاداتها، و تقاليـدها، التى تصـبغ فكره، بصـبغة خاصـة، و تطبع عقليته بطابع معين.

بيـد أن هنـاك بين الرجـال من يقـاوم تأثير العوامل البيئيـة بمنتهى الشـهامة و الشـجاعة، و يصون نفسه من التلوث بشـىء من أدرانها و أقذارها.

و بطل حـديثنا هنا هو احـد النماذج الصادقة لأولئك الرجال العظماء لان فى حياته صـفحات مشـرقة عظيمة، و سـطورا لامعة تنبئ عن نفسيته القوية، و شخصيته الشامخة.

(۲) فان الذى يعيش ثمانين عاما فى وسط اجتماعى تسود فيه الوثنية، و معاقرة الخمر، و الربا، و قتل الأنفس البريئة، و الفحشاء حتى ان هـذه الامـور كـانت من العـادات و التقاليـد الشائعـة، و لكنه مع ذلـك لم يعـاقر الخمر طوال حيـاته، و كـان ينهى عن القتل و الخمر و الفحشاء، و يمنع عن الزواج بالمحارم، و الطواف بالبيت المعظم عريانا، و كان ملتزما بالوفاء بالعهـد، و اداء النذر بلغ الأمر ما بلغ، لهو- حقا- نموذج صادق من الرجال الذين يندر وجودهم، و يقال نظيرهم فى المجتمعات.

أجل إن شخصية اودعت يد المشيئة الربانية بين حناياها نور النبى الاكرم أعظم قائد عالمى، يجب ان يكون إنسانا طاهر السلوك، نقىّ الجيب منزها عن أى نوع من أنواع الانحطاط، و الفساد.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۵۴

(۱) هذا و يسـتفاد من بعض قصـصه و كلماته القصار أنه كان أحد الرجال المعدودين الذين كانوا يؤمنون باللّه و اليوم الآخر فى تلك البيئة المظلمة، و كان يردّد دائما: «لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه، و تصـيبه عقوبة ... و اللّه ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه، و يعاقب فيها المسـىء باساءته» «۱» اى ان الظلوم شأنه فى الدنيا أن تصـيبه عقوبة، فاذا خرج و لم تصـبه العقوبة فهى معدّة له فى الآخرة.

و لقـد كـان «حرب بن أميّـة» من أقربـائه، و كان من اعيان قريش و وجوهها أيضا، و كان يجاور يهوديا فاتفق أن وقع بينه و بين حرب

نزاع فی بعض اسواق تهامـة، تبودلت بینهمـا فیه کلمـات جارحـة، و انتهی ذلـک إلی مقتـل الیهودی بتحریـک من «حرب»، و لما علم «عبـد المطّلب» بـذلـک قطع علاقته بحرب، و سعی فی اسـتحصال دیـة الیهودیـة المقتول من «حرب» و دفعها إلی اولیاء القتیل، و هذه القصة تکشف عن حبّ عبد المطلب للمستضعفین و المظلومین و حبه للحق و العدل.

(۲)

حفر زمزم:

منذ أن ظهرت عین زمزم نزل عندها قبیلة جرهم التی کانت بیدها رئاسة مکة طوال سـنین مدیدة، و کانت تستفید من میاه تلک العین، و لکن مع ازدهـار أمر التجـارة فی «مکـة»، و اقبـال النـاس علی الشـهوات و المفاسـد آل الأمر إلی جفاف تلک العین، و نضوب مائها بالمرة «۲».

و یقال: أن قبیلة «جرهم» لما واجهت تهدیدا من جانب قبیلة خزاعة

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴.

(۲) لا ـ ریب أنّ تفشی الـذنوب و المعاصـی بین النـاس من عوامـل نزول البلایـا و الکوارث و لا یبعـد أن تکون الأعمال المخزیـة من موجبات الجدب و القحط و المجاعات، و هذه الحقیقة مضافا الی انطباقها علی القواعد الفلسـفیة ممّا صرح به القرآن الکریم و السـنّة الشریفة، راجع سورة الاعراف؛ الآیة ۹۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۵

و اضـطرت إلی مغـادرة تلـک الـدیار، و ایقن زعیمها «مضاض بن عمرو» بانه سـرعان ما یفقـد زعامته، و یزول حکمه و سـلطانه بفعل هجوم العدو، امر بان یلقی الغزالان الذهبیان، و السـیوف الغالیة الثمن التی کانت قد اهدیت الی الکعبة، فی قعر بئر زمزم، ثم یملأ البئر بـالتراب و یعفی اثره إعفـاء کاملا حتی لا یهتـدی خصومه إلی مکانه ابـدا، حتی اذا عادت إلیه زعامته و عاد الی مکـة استخرج ذلک الکنز الـدفین، و اسـتفاد منه. ثم نشب القتـال بین «جرهم» و «خزاعـة» و اضـطرت «جرهم» و کثیر من ابنـاء اسـماعیل الی مغـادرة «مکة المکرمة»، و التوجه إلی ارض الیمن، و لم یرجع أحد منهم الی «مکة» ابدا.

(۱) و وقعت زعامـة مکـة منذ هذا التاریخ بید «خزاعة» حتی بزغ نجم قریش فی سـماء مکة بوصول قصـیّ بن کلاب (الجدّ الرابع لنبی الإسلام) إلی سدة الزعامة و الرئاسة، ثم بعد مدة انتهی امر الزعامة الی «عبد المطلب» فعزم علی أن یحفر بئر «زمزم» من جدید، و لکنه لم یعرف بموقع البئر معرفة کاملة حتی اذا عثر علیه بعد بحث طویل قرّر ان یهیء هو و ولده «حارث» مقدمات ذلک.

و حیث أنه «یوجـد فی المجتمع دائمـا من یتحجّـج و یجـادل- بسـبب سـلبیته- لیمنع من أی عمـل ایجـابی مفیـد، انـبری منـافسوا «عبد المطلب» إلی الاعتراض علی قراره هـذا و بالتالی التفرد باعادة حفر بئر زمزم، لکیلا یذهب بفخر هذا العمل العظیم، و قالوا له: «إنها بئر أبینا اسـماعیل، و ان لنا فیها حقا فاشرکنا معک» و لکن «عبد المطلب» رفض هذا الطلب لبعض الاسباب، فقد کان «عبد المطلب» یرید ان یتفرد بحفر زمزم، و یسبّل ماءها لیسقی منها جمیع الحجیج دون مانع و لا منازع، و یحول بذلک دون المتاجرة به و لم یکن لیتسنی له ذلک إلّا إذا قام بحفر زمزم بوحده دون مشارکة من قریش.

(۲) و قد آل هذا الأمر الی النزاع الشدید فتقرر أن یتحاکموا الی کاهن من کهنة العرب و عقلائهم و القبول بما یقضی به، فتوجه «عبد المطلب» و منـافسوه الی ذلـک الکـاهن و قطعوا الصـحاری القاحلـة بین الحجاز و الشام، و فی منتصف الطریق أصابهم جهـد و عطش شدیدان، و لمّا تیقّنوا بالهلاک، و قرب الوفاة اخذوا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۶

یفکرون فی کیفیة الدفن اذا هلکوا و ماتوا، فاقترح «عبد المطلب» ان یبادر کل واحد إلی حفر حفرته حتی إذا أدرکه الموت دفنه الآخرون فیها، فاذا استمر بهم العطش و هلکوا یکون الجمیع (ما عدا من بقی منهم علی قید الحیاة) قد اقبروا، و لم تغد أبدانهم طعمة للوحوش و الطیور فأیّد الجمیع هذا الاقتراح «۱»، و احتفر کل واحد منهم حفیرة لنفسه، و جلسوا ینتظرون الموت بوجوه واجمة، و عیون ذابلة، و فجأة صاح عبد المطلب: «و اللّه إن إلقاءنا بأیدینا هکذا للموت لا نضرب فی الأرض و نبتغی لأنفسنا لعجز» و حثهم علی البحث عن الماء فی تلک الصحراء بصورة جماعیة عسی ان یجدوا ما ینقذهم من الموت، فرکب عبد المطلب و رکب مرافقوه، و اخذوا یبحثون عن الماء یائسین غیر مصدّقین، و لم یمض شیء حتی ظهرت لهم عین ماء عذبة انقذتهم من الموت المحتم، و عادوا من حیث جاءوا و هم یقولون لعبد المطلب: «قد و اللّه قضی لک علینا یا عبد المطلب، و اللّه لا نخاصمک فی زمزم أبدا، إن الذی سقاک هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذی سقاک زمزم، فارجع إلی سقایتک راشدا و تنازلوا له لینفرد بحفر زمزم و یکون إلیه أمره دون منازع، و لا شریک» «۲».

(۱) فعمد «عبد المطلب» و ولده الوحید الحارث الی حفر البئر، و نشأ من ذلک تل هائل من التراب حول البئر، و فجأة عثر «عبد المطلب» علی الغزالین المصاغین من الذهب، و السیوف المرصعة المهداة الی الکعبة، فشبّ نزاع آخر بین «قریش» و بین «عبد المطلب» علی هذه الاشیاء، و اعتبرت «قریش» نفسها شریکة فی هذا الکنز، و تقرر ان یلجئوا إلی القرعة لحل هذا المشکلة، فخرجت القرعة باسم «عبد المطلب»، و صار جمیع ذلک الکنز إلیه دون «قریش»، و لکن عبد المطلب خصّ بتلک الاشیاء الکعبة فصنع من السیوف بابا للکعبة، و علق الغزالین الذهبیّین فیها.

---

(۱) و لعلّ احجام الآخرین من الإدلاء بالاقتراح و هو الیأس المطلق من تحصیل الماء.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۱ ص ۲۰۶، و السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۴۲- ۱۴۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۷

(۱)

التفانی فی سبیل الوفاء بالعهد و النذر:

رغم ان العرب الجاهلیین کانوا غارقین فی الفساد الأخلاقی فانهم کانوا یتحلون ببعض الصفات الحسنة، و الخصال المحبّبة.

و للمثال کان نقض العهود من أقبح الافعال فی نظرهم، فاذا عقدوا عهودا مع القبائل العربیة أوثقوها بالأیمان، المغلظة المؤکدة، و التزموا بها إلی الاخیر، و ربما نذروا النذور الثقیلة و اجتهدوا فی اداءها مهما کلف ذلک من مشقة و ثمن.

و لقد أحسّ «عبد المطلب» عند حفر بئر زمزم بالضعف فی قریش لقلة اولاده، و لهذا نذر اذا رزقه اللّه تعالی عشرة بنین أن یقدم أحدهم قربانا للکعبة و لم یطلع احدا علی نذره هذا.

(۲) و لم یمض زمان الّا و بلغ عدد ابنائه عشرة، و بذلک حان أوان وفائه بنذره الذی نذر، و هو ان یذبح احدهم قربانا للکعبة.

و لا شک ان تصور مسألة کهذه فضلا عن تنفیذه کان امرا فی غایة الصعوبة علی عبد المطلب، و لکنه کان فی نفس الوقت یخشی ان یعجز عن تحقیق هذا الأمر فیکون من الناقضین للعهد، التارکین لاداء النذر، و من هنا قرر أن یشاور أبناءه فی هذا الأمر، و بعد ان یکسب رضاهم و موافقتهم یختار احدهم للذبح بالقرعة «۱».

و تمت عملیة القرعة، فاصابت «عبد اللّه» والد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاخذ عبد المطلب بید ابنه، و توجّه من فوره إلی

حیث یذبحه فیه.

و لما علمت قریش رجالها و نساؤها بقصة النذر المذکور و ما آلت إلیه عملیة القرعة حزن الناس و الشباب خاصة لذلک حزنا شدیدا و بکوا و ضجوا، و قال أحدهم لیتنی ذبحت مکان هذا الشاب.

---

(۱) هـذه القضـیة ذکرها کثیر من المؤرخین و کتّاب السـیرة، و هـذه القصّـة إنّما هی جدیرة بالاهتمام من جهة أنها تجسّد مدی إیمان «عبد المطلب» و قوّة عزمه، و صلابة إرادته، و تبین جیّدا کم کان مصرّا علی الوفاء بعهوده و التزاماته.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۸

(۱) فاقترحت قریش علی عبد المطلب بان یفدی «عبد اللّه»، و اظهروا استعدادهم لدفع الفدیة إذا جاز ذلک، فتحیّر «عبد المطلب» تجاه تلک المشاعر الساخنة، و الاعتراضات القویة، و راح یفکّر فی عدم الوفاء بنذره، و یفکر فی نفس الوقت فی الحصول علی مخلص معقول من هذه المشکلة، فقال له أحدهم: لا تفعل و انطلق إلی أحد کهنة العرب عسی أن یجد لک حلا.

فوافق «عبد المطلب» و اکابر قریش علی هذا الاقتراح، و توجهوا بأجمعهم نحو «یثرب» قاصدین ذلک الکاهن، و لما قدموا علیه سألوه فی ذلک فاستمهلهم یوما واحدا، و لما کان الیوم الثانی دخلوا علیه فقال لهم: کم دیة المرء عندکم؟

قالوا: عشر من الابل.

فقال: ارجعوا إلی بلادکم، و قرّبوا عشرا من الإبل و اضربوا علیها و علی صاحبکم «أی عبد اللّه» القداح فان خرجت القرعة علی صاحبکم فزیدوا عشرا، حتی یرضی ربکم، و إن خرجت علی الإبل فانحروها فقد رضی ربکم و نجا صاحبکم و کانت عنه فداء.

(۲) فهدّأ اقتراح الکاهن لهیب المشاعر الملتهبة لدی الناس، لأن نحر مئات الابل کان أسهل علیهم من أن یشاهدوا شابا مثل «عبد اللّه» یتشحط فی دمه.

و لهذا فانهم فور عودتهم إلی «مکة» بادروا إلی اجراء القرعة فی مجمع کبیر من الناس و زادوا عشرا عشرا حتی اذا بلغ عدد الإبل مائة خرجت القداح علی الإبل، و نجا «عبد اللّه» من الذبح، فأحدث ذلک فرحة کبیرة لدی الناس، بید أن «عبد المطلب» طلب أن تعاد عملیة القرعة قائلا: «لا و اللّه حتی أضرب ثلاثا»، و أنما أراد ذلک لیستیقن ان ربه قد رضی عنه، و لکن فی کل مرة کانت القداح تخرج علی الإبل المائة فنحرت الابل ثم ترکت لا یمنع عنها انسان و لا سبع «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۵۳، و بحار الانوار: ج ۱۶ ص ۷۴، و قد نقل عن النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: «أنا ابن الذبیحین» یقصد بالأول جدّه إسماعیل علیه السّلام و الثانی أباه «عبد اللّه» الذی کاد أن ینحر و لکنه نجا من الذبح کما نجا جدّه إسماعیل علیه السّلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۵۹

(۱)

حادثة عام الفیل:

اشارة

عند ما یحدث أمر عظیم فی أمّة من الامم و خاصة إذا کان ذا جذور دینیة او ذا مدلولات قومیة أو سیاسیة فانه سرعان ما یتحول-بفعل اعجاب الناس عامة به- الی مبدأ للتاریخ.

فقيام النبى موسى يعتبر مبدأ للتاريخ عند اليهود، و مولد السيّد المسيح يعتبر مبدأ للتاريخ عند النصارى، و الهجرة النبوية الشريفة تعتبر مبدأ للتاريخ عند المسلمين.

و هذا يعنى أن كل أمّة من الامم تقيس حوادثها من حيث الزمان بذلك الحدث الذى تعتبره بداية تاريخها.

و أحيانا تتخذ الامم و الشعوب بعض الحوادث مبدأ للتاريخ مع انها تملك مبدأ سياسيا للتاريخ، كما نلاحظ ذلك فى بلاد الغرب و شعوبه، فقد اتخذت الثورة الفرنسية، و ثورة اكتوبر الشيوعية مبدأ للتاريخ فى فرنسا، و الاتحاد السوفياتى، بحيث اصبح يقاس بهما كل ما وقع من الحوادث بعدهما.

(۲) و لكن الشعوب غير المتحضرة التى لم تمتلك مثل تلك الثورات و الحركات السياسية و الدينية كان من الطبيعى أن تتخذ الحوادث الخارقة للعادة مبدأ لتاريخها بدلا من الثورات و التحوّلات الاجتماعية، و هذا ما حدث عند العرب و قبل الإسلام.

فانهم- بسبب حرمانهم من حضارة صحيحة- اتخذوا من بعض الوقائع المفجعة و المرة- كالحرب و الزلزال، و المجاعة و القحط او الحوادث غير الطبيعية، الخارقة العادة مبدأ لتاريخهم.

و لهذا نجد مبادئ متعددة للتاريخ عند العرب، آخرها: ضجة عام الفيل و هجوم «أبرهة» على «مكة» بهدف الكعبة المشرفة، التى صارت فى ما بعد مبدأ للتاريخ تؤرخ- بقية الحوادث و الوقائع اللاحقة.

و نظرا لأهمية هذا الحدث التاريخى العظيم الذى وقع عام ۵۷۰ و اتفقت فيه

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۰

ولادة النبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله فاننا نتناول هذه القصة بالعرض و التحليل:

(۱)

ما هى عوامل هذه الحادثة؟

لقد ذكرت قصة أصحاب الفيل فى القرآن بصورة مختصرة، و سوف ننقل- هنا- الآيات التى نزلت حول هذه القصة بعد حوادثها.

يكتب المؤرخون عن علة هذه الحادثة ان ملك اليمن «تبان أسعد» والد ذى نواس بعد ان أرسى قواعد حكمه مر فى احدى رحلاته على يثرب (المدينة)، و قد كانت ل «يثرب» فى ذلك الوقت مكانة دينية مرموقة فقد قطنها جماعة من اليهود «۱»، و بنوا فيها عددا من المعابد و الهياكل، فأكرم اليهود مقدم ملك اليمن، و دعوه إلى دينهم ليستطيعوا فى ظل حكمه حماية أنفسهم من أذى المسيحيين الروميين، و المشركين العرب.

و لقد تركت دعوتهم و ما رافقها من اساليب مؤثرة اثرها فى نفس ذلك الامير و اختار اليهودية، و اجتهد فى بثها و نشرها. ثم ملك من بعده ابنه «ذو نواس» الذى جدّ فى بث اليهودية و التحق به جماعة خوفا.

بيد أن اهل نجران الذين كانوا قد دانوا بالمسيحية قبل ذلك امتنعوا من تغيير دينهم و ترك المسيحية و اعتناق اليهودية، و قاوموا «ذى نواس» مقاومة شديدة، فشق ذلك على ملك اليمن، و اغضبه فتوجه احد قادته الى نجران على رأس جيش كبير لتأديب المتمردين من أهلها فعسكر هذا الجيش على مشارف نجران، و احتفر قائده خندقا كبيرا، و اوقد فيه نارا عظيمة، و هدّد المتمردين بالاحراق بالنار.

و لكن أهل نجران الذين احبّوا المسيحية و اعتنقوها برغبة كبيرة اظهروا شجاعة كبرى، و استقبلوا الموت حرقا، و غدوا طعمة للنيران.

(۲) يقول المؤرخ الإسلامىّ «ابن الاثير الجزرى» بعد ذكر هذه القصة: لما قتل

---

(۱) وفاء الوفا: ج ۱ ص ۱۵۷، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۱ و ۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۱

«ذو نواس» من قتل فى الاخدود لاجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له «دوس» فقدم على «قيصر» فاستنصره على «ذى نواس» و جنوده و اخبره بما فعل بهم، فقال له قيصر: بعدت بلادك عنا، و لكن سأكتب الى النجاشى ملك الحبشة و هو على هذا الدين و قريب منكم، فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره، فارسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا، و أمّر عليهم رجلا يقال له «أرياط» و فى جنوده «ابرهة الأشرم» فساروا فى البحر حتى نزلوا بساحل اليمن، و جمع «ذو نواس» جنوده فاجتمعوا و كتب الى زعماء قومه من اهل اليمن يدعوهم الى الاجتماع لمقاتلة عدوّهم، فلم يجيبوه، فانهارت حكومته أمام حملة جيش الحبشة، و سيطر الاحباش على ارض اليمن، و جعل «أبرهة» اميرا عليها من قبل «النجاشى» بعد مقتل «ارياط» على يد «أبرهة» فى صراع على السلطة «۱».

و هذه القصة هى التى تعرف فى القرآن الكريم بقصة «اصحاب الاخدود» و قد جاء ذكرها فى سورة البروج اذ يقول اللّه تعالى: «قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ. وَ هُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَ ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» «۲».

و قد ذكر المفسرون هذه القصة فى شأن نزول هذه الآيات بصورة مختلفة «۳».

(۱) ثم ان «ابرهة» الذى اسكره الانتصار و الغلبة على منافسه، و تمادى فى الشهوات بنى فى صنعاء كنيسة عظيمة تقرّبا الى ملك الحبشة، و ارضاء له ثم كتب كتابا الى «النجاشى» ملك الحبشة يقول فيه: «إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، و لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب».

---

(۱) الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۳، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱- ۳۷.

(۲) البروج: ۴- ۹.

(۳) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ۴۶۴- ۴۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۲

(۱) و قد أدى معرفة العرب بما جاء فى هذا الكتاب إلى ردّة فعل شديدة لديهم، الى درجة أن امرأة من قبيلة «بنى افقم» تسللت ذات ليلة الى تلك الكنيسة و أحدثت فيها، فأثار هذا العمل الذى كان يدل على مدى ازدراء العرب بكنيسة «أبرهة» و احتقارهم لها، غضب «أبرهة»، هذا من جانب و من جانب آخر كان «ابرهة» كلما زاد فى تزيين تلك الكنيسة زاد ذلك من حقد العرب، و حنقهم عليه، و احتقارهم لكنيسته، فتسبب كل ذلك فى أن يحلف أبرهة على السير إلى الكعبة و هدمها، فسيّر لذلك جيشا عظيما، و قدّم أمامه الفيلة المقاتلة، و خرج متوجها صوب مكة و هو يعتزم هدم الكعبة بيت اللّه الحرام!!

فلما عرف زعماء العرب بغايته، و ادركوا خطورة ذلك العمل و ايقنوا بان استقلال العرب و سيادتهم تتعرض لخطر السقوط، لم يمنعهم ما عاهدوه من قوة «ابرهة» و انتصاراته بل خرج بعضهم الى حربه فقاتلوه بكل شجاعة و بسالة مدفوعين بدافع الغيرة و الحفاظ على الشرف المهدّد بالخطر.

(۲) فقد خرج «ذو نفر» و هو من أشراف أهل اليمن و ملوكهم، و دعا قومه و من أجابه من سائر العرب الى حرب «أبرهة» و لكن سرعان ما تغلّب «ابرهة» عليه بجيشه الكبير، ثم خرج له بعد ذلك «نفيل بن حبيب» و بقى يقاتله مدة طويلة فهزمه «ابرهة» و اخذ له اسيرا، فطلب «نفيل» العفو منه فاشترط عليه أن يدلّه على طريق مكة ليعفو عنه، فدلّه نفيل حتى الطائف، و اوكل الدلالة على بقية الطريق الى شخص آخر يدعى «ابو رغال» فدلّه أبو رغال على الطريق حتى أرض «المغمّس» و هى منطقة قريبة من «مكة» فنزل «أبرهة» و جيشه بالمغمّس، فارسل أبرهة رجلا من الحبشة- على عادته- الى ضواحى «مكة» فاستولى على أموال قريش من الإبل و الغنم فساق إليه فى جملة ذلك مائتى بعير لعبد المطلب، ثم أمر رجلا آخر يدعى «حناطة» ليدخل «مكة» و يبلغ أهلها عنه ما جاء من اجله، و هو هدم البيت المحرّم الكعبة المعظمة، و قال له: سل عن سيد اهل هذا البلد و شريفها، ثم قل له: ان الملك يقول لك: «إنى لم آت

لحربکم، انما جئت لهدم هذا البیت، فان تعرّضوا دونه بحرب فلا حاجة لی فی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۳

دمائکم» فإن هو لم یرد حربی فأتنی به.

(۱) فدخل «حناطة» مکة و لما سأل عن سید قریش و شریفها، و قد کانت قبائل قریش المختلفة قد تجمعت فی اطراف البلد جماعات جماعات تتذاکر فی امر «ابرهة» و ما یجب اتخاذه من موقف تجاهه.

فدلّوه علی بیت «عبد المطلب»، و لما دخل علی «عبد المطلب» أبلغه مقالة «أبرهة» فقال له عبد المطلب: «و اللّه ما نرید حربه، و ما لنا بذلک من طاقة، هذا بیت اللّه الحرام، و بیت خلیله إبراهیم علیه السّلام، فان یمنعه منه فهو بیته و حرمه، و ان یخلی بینه و بینه فو اللّه ما عندنا دفع عنه»؟

فسرّ «حناطة» رسول ابرهة بمنطق عبد المطلب و مقالته التی کانت تحکی عن قوة ایمانه، و عن روحه المسالمة فطلب منه أن یصحبه الی «أبرهة»، قائلا:

فانطلق معی إلیه، فانه قد امرنی ان آتیه بک.

(۲)

عبد المطّلب یذهب الی معسکر أبرهة:

فتوجه عبد المطلب هو و جماعة من ولده إلی معسکر ابرهة، فاعجب «أبرهة» بوقار رئیس قریش و هیبته إعجابا شدیدا، و بهر به حتی أنه نزل له من تخته اجلالا، و اخذ بیده، و اجلسه الی جنبه، فسأله عن طریق مترجمه متأدبا: ما الذی اتی به و ما ذا یرید؟ فاجابه عبد المطلب قائلا: حاجتی أن یردّ الملک علیّ مائتی بعیر أصابها لی.

فقال «أبرهة» لترجمانه: قل له: قد کنت اعجبتنی حین رأیتک، ثم قد زهدت فیک حین کلمتنی، أ تکلمنی فی مائتی بعیر أصبتها لک، و تترک بیتا هو دینک و دین آبائک قد جئت لهدمه، لا تکلمنی فیه؟!

فقال له عبد المطلب: إنی أنا رب الإبل، و ان للبیت ربا سیمنعه، فقال «أبرهة» مغترا بنفسه: ما کان لیمتنع منی.

ثم أمر بان ترد الابل إلی أصحابها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۴

(۱)

انتظار قریش:

و لقد انتظرت قریش عودة «عبد المطلب» من معسکر «أبرهة» بفارغ الصبر لتعرف نتیجة ما دار بینه و بین أبرهة، و عند ما عاد «عبد المطلب» اخبرهم الخبر، و امرهم بالخروج معه من مکة، و التحرز فی رءوس الجبال من معرّة الجیش فخرجوا الی الشعاب، و الجبال، ثم لما کان اللیل نزل عبد المطلب مع جماعة من قریش الی الکعبة و اخذ بحلقة بابها یدعون اللّه و یستنصرونه علی أبرهة و جنده و قال «عبد المطلب» مناجیا اللّه سبحانه: «اللّهم أنت أنیس المستوحشین و لا وحشة معک فالبیت، بیتک و الحرم حرمک و الدار دارک و نحن جیرانک تمنع عنه ما تشاء و رب الدار أولی بالدار» ثم قال:

لا همّ إن «۱» العبد یمنع رحله فامنع حلالک «۲»

لا یغلبنّ صلیبهمو محالهم عدوا محالک «۳» و قال أیضا:

یا ربّ لا أرجو لهم سواکایا ربّ فامنع منهمو حماکا

إن عدوّ البيت من عاداكاامنعهم أن يخربوا فناكا ثم انه ترك حلقة الباب، و لجأ الى الجبل لينظروا ما سيجرى.

(۲) و فى الصباح و عند ما كان «أبرهة» و جنده يستعدون للتوجه الى «مكة»، و اذا بأسراب من الطيور تظهر من جهة البحر يحمل كل واحد منها ثلاثة احجار، حجر فى منقاره، و حجرين فى رجليه، فاظلم سماء الجيش بتحليق تلك الطيور فوق رءوس الجند، و تركت تلك الاحجار الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها اثرها العجيب فقد رجمت تلك الطيور جنود «ابرهة» بتلك الاحجار بامر اللّه، فكانت لا تصيب منهم أحدا إلّا تحطم راسه، و تمزق لحم بدنه، و هوى صريعا،

---

(۱) لاهم أصلها: اللّهم و العرب تحذف الالف و اللام و تكتفى بما بقى.

(۲) الحلال جمع حلة و هى جماعة البيوت.

(۳) المحال: القوّة و الشدّة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۵

و هلك من توه، فاصابت واحدة من تلك الاحجار رأس «ابرهة» نفسه فارتعدت فرائصه و ايقن بغضب اللّه و سخطه عليه، فنظر الى جنوده و هم أشلاء مبثوثون هنا و هناك على الأرض كورق الشجر فى فصل الخريف، فصاح بمن لم يزل على قيد الحياة من جنده بامرهم بأن يتهيّا و العودة الى اليمن، من حيث أتوا، فاخذ بقية الجند طريق اليمن هاربين، غير أن هذه البقية قد هلكت شيئا فشيئا فى أثناء الطريق حتى أن أبرهة نفسه بعد أن لم يصل الى صنعاء إلا بعد ان تفرّق لحم بدنه، و سقطت اعضاؤه و جوارحه و مات بصورة عجيبة.

(۱) و قد دوّى صوت هذه الواقعة العجيبة و الرهيبة فى العالم آنذاك، و قد ذكرها القرآن الكريم فى سورة الفيل اذ يقول تعالى: «أ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ. أ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

و ما ذكرناه هنا- فى هذه الصفحات- ليس هو فى الحقيقة إلّا خلاصة ما ورد فى كتب التاريخ الإسلامى، و صرح به القرآن الكريم «۱».

و استكمالا لهذا البحث نعمد هنا إلى دراسة نظرية المفسر المصرى الكبير الشيخ «محمّد عبده» و العلامة المعروف الدكتور «هيكل» وزير الثقافة المصرى السابق فى هذا المجال.

(۲)

كلمة حول المعجزة:

لقد أوجد التقدم العلمىّ الأخير فى مختلف مجالات العلوم الطبيعية و الفضائية، و ما استلزم ذلك من تهافت طائفة كثيرة من الفرضيات، ضجة عجيبة فى الغرب، فمع أن جميع تلك التطورات كانت مجرد تطورات علمية تجرى فى مجال المسائل الطبيعية أو الفلكية، و لم يكن لها اية صلة بالمعتقدات الدينية

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۳- ۶۲، و الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۰- ۲۶۲، و بحار الأنوار: ج ۵ ص ۱۳۰- ۱۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۶

فإنّ هذا التحول و التطور و تلك الكشوف أوجدت شكا عجيبا لدى بعض الناس انسحب على جميع المعارف و المعتقدات الدينية الموروثة على وجه الاطلاق!

(۱) و السرّ فی ذلک هو أن العلماء رأوا بأن الفرضیات القدیمة، التی بقیت تسیطر علی الأوساط العلمیة لمدة طویلة من الزمان، قد اصبحت الیوم عرضة للبطلان و السقوط تحت مطارق التجربة و بواسطة الاختبارات العلمیّة، و التحقیقات المختبریة، فلم یعد- بعد هذا- مجال للقول بفرضیة الافلاک التسعة التی طلع بها «بطلمیوس»، و لا بفرضیة مرکزیة الارض، و لا غیرها من عشرات الفرضیات، فقالوا فی أنفسهم: و من أین تری لا تکون بقیة المعلومات و المعارف الدینیة من هذا القبیل؟!

و قد تفاقم هذا النوع من الشک فی قلوب جماعة من العلماء بالنسبة الی جمیع المعتقدات و المعارف الدینیة و نمی بشکل قویّ فی فترة قصیرة، و عمّ الاوساط العلمیة کأیّ مرض!!

(۲) هذا مضافا إلی أنّ محاکم التفتیش و تشدّد الکنیسة و أربابها کان لها النصیب الاکبر فی ظهور هذه الحالة بل فی نموّها، و اطرادها، لأن الکنیسة کانت تقضی علی العلماء الذین نجحوا فی اکتشاف القوانین العلمیة تحت التعذیب و الاضطهاد القاسی بحجة أنها تخالف الکتاب المقدس، و تعارض مقرّرات الکنیسة!!

و ممّا لا یخفی أنّ مثل هذه الضغوط، و هذا الاضطهاد و التعجرف ما کان لیمرّ من دون حدوث ردة فعل، و قد کان من المتوقع منذ البدایة أن العلماء فی الغرب لو اتیحت لهم الفرصة لانتقموا من الدین، بسبب سوء تصرف الکنیسة، و سوء معاملتهم لهم خاصة، و للناس عامة.

(۳) و قد حدث هذا فعلا فکلّما تقدم العلم خطوة، و اطّلع العلماء علی العلاقات السائدة بین الکائنات الطبیعیة، و اکتشفوا المزید من الحقائق الکونیة، و العلل الطبیعیة لکثیر من الحوادث و الظواهر المادیة، و کذا علل الأمراض، قلّ اعتناؤهم بالقضایا المیتافیزیقیة، و ما یدور حول المبدأ و المعاد و الافعال الخارقة للعادة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۷

کمعاجز الأنبیاء، و ازداد عدد المنکرین لها و الشاکین فیها، و المترددین فی قبولها یوما بعد یوم!!

(۱) لقد تسبّب الغرور العلمیّ الذی أصیب به العلماء فی الغرب فی أن ینظر بعض اولئک العلماء الی جمیع القضایا الدینیة بعین الازدراء و التحقیر، و أن یمتنعوا حتی عن التحدث فی المعاجز التی یخبر بها التوراة و الانجیل، و یعتبروا عصی موسی علیه السّلام، و یده البیضاء، و نفخة المسیح علیه السّلام التی کانت تشفی المرضی و تحیی الموتی من الأساطیر، و راحوا یتساءلون- فی عجب و استنکار-:

و هل یمکن أن تتحول قطعة من الخشب الیابس إلی أفعی، أو ثعبان، أو هل یمکن ان تعود الحیاة إلی میّت بکلمات من الدعاء؟

(۲) لقد تصور العلماء الذین أسکرتهم فتوحاتهم العلمیة، أنهم ملکوا مفاتیح جمیع العلوم، و وقفوا علی جمیع العلاقات بین الکائنات الطبیعیة و الظواهر الکونیة، و من هنا تصوّروا أنه لا توجد أیة علاقة بین قطعة الخشب و الثعبان، او بین جملة من الدعاء و التفاتة من بشر و عودة الروح الی الموتی، و لهذا أخذوا ینظرون الی هذه الامور بعین الشک و الترديد، و ربما بعین الانکار و الرفض المطلق!!

و قد سری هذا النوع من التفکیر الی اوساط بعض العلماء المصریین الذین تأثروا بهذا الاتجاه اکثر من غیرهم، مع بعض التعدیل فی ذلک الموقف، و شیء من الاختلاف فی النظرة المذکورة، و لهذا اتبعوا تلک السیرة فی تحلیل الوقائع و الحوادث التاریخیة و العلمیة من هذا النوع، و السرّ فی تأثر بعض علماء مصر بهذه النظرة قبل و اکثر من غیرهم هو احتکاک هذه الجماعة بالأفکار الواردة من الغرب قبل غیرهم، و من هذه المنطقة سرت بعض النظریات و الآراء الغربیة الی البلاد الإسلامیة الاخری.

(۳) لقد اختار هؤلاء طریقا خاصا قصدوا به الحفاظ علی حرمة الکتاب العزیز، و الاحادیث القطعیة و مکانتها من جهة، و کسب نظر العلماء المادیین الطیعیین الی انفسهم من جهة اخری، أو ارادوا ان لا یختاروا ما لا یمکن التوفیق بینه و بین القوانین العلمیة الطبیعیة و تطبیقه علیها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۶۸

(۱) لقد وجد هؤلاء من جهة أن القرآن الكريم يخبر عن سلسلة من المعجزات و الخوارق التى لا يمكن تفسيرها بالعلوم العادية المتعارفة، لأن العلم لا يستطيع أن يدرك العلاقة بين العصا الخشبية اليابسة و الثعبان، و من جهة اخرى كان القبول بالنظريات التى لا يمكن إثباتها بالحسّ و التجربة أمرا فى غاية الصعوبة لهم.

و لهذا السبب، و فى خضمّ الصراع بين هذين العاملين: العلم و العقيدة، اختار هؤلاء الكتاب و العلماء نهجا يستطيعون به وضع نهاية لهذا الصراع، و التنازع، فيحافظون على ظواهر القرآن و الأحاديث من جانب، و يتجنبون القول بما يخالف منطق العلم من جانب آخر، و يتلخص هذا النهج فى تفسير جميع المعاجز و جميع خوارق العادة التى جرت على أيدى الأنبياء بالموازين العلمية الحاضرة الرائجة فى هذا العصر بصورة تبدو و كأنها امور طبيعية، و بهذا يكونون قد حافظوا على مكانة القرآن الكريم و الاحاديث القطعية المسلّمة، و لم يتفوهوا بما يخالف العلم الحديث و يتعارض مع معطياته.

(۲) و نحن هنا نذكر من باب النموذج و المثال: التفسير الذى ذكره العلامة المصرى المعروف «محمّد عبده» لقصة اصحاب الفيل و ما جرى لهم:

فهو يقول عند تفسيره لسورة الفيل:

«فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض، و ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بارجل هذه الحيوانات، فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامّه فاثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم و تساقط لحمه، و أن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعدّ من أعظم جنود اللّه فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، و أن هذا الحيوان الصغير- الذى يسمونه الآن بالميكروب- لا يخرج عنها» «۱».

---

(۱) راجع تفسير فى ظلال القرآن: ج ۳۰ ص ۲۵۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۶۹

(۱) و قال أحد الكتاب مؤيدا هذا الاتجاه بقوله: «إن الطير المستعمل فى الكتاب العزيز يراد منه مطلق ما يطير، و يشمل الذباب و البعوض أيضا»

و لا بدّ- قبل دراسة هذه الأقوال- أن نستعرض مرة اخرى الآيات النازلة فى اصحاب «الفيل».

يقول اللّه تعالى: «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

إن ظاهر هذه الآيات يفيد أن جيش أبرهة اصيب بالغضب و السخط الالهى، و ان هلاكه و فناءه كان بهذه الأحجار التى حملتها تلك الطيور، و ألقت بها على رءوس الجند و أبدانهم.

إن الأمعان فى مفاد هذه الآيات يعطى أن موتهم كان بسبب هذه الاسلحة غير الطبيعية (الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها، القوية الهدامة بفعلها و أثرها).

و على هذا فانّ أى تفسير يخالف ظاهر هذه الآيات لا يمكن الذهاب إليه و حمل الآيات عليه ما لم يقم على صحته دليل قطعى.

(۲)

نقاط تقتضى التأمل فى التفسير المذكور:

(۳) ۱- إنّ التفسير المذكور لا يستطيع كذلك أن يجعل كل تفاصيل هذه الحادثة أمرا طبيعيا، بل هناك جوانب فى تلك الواقعة التاريخية العجيبة لا بد من تفسيرها بالعوامل و الاسباب الغيبية، لأنه مع فرض أن هلاك الجند و تلاشى أجسادهم تم بواسطة

میكروب: «الحصبة» و «الجدرى»، و لكن من الذى ارشد تلك الطيور الى تلك الاحجار الصغيرة الملوثة بميكروب الحصبة و الجدرى، فتوجهت بصورة مجتمعة الى تلك الاحجار الخاصة بدل التوجه إلى الحبّ و الطعام، ثم كيف بعد حمل تلك الأحجار بمناقيرها و أرجلها حلّقت فوق معسكر «أبرهة» و رجمت جنده كما لو أنّها جيش منظّم موجّه؟؟

هل يمكن اعتبار كل ذلك أمرا عاديا، و حدثا طبيعيا؟

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۷۰

ترى لو أننا فسّرنا طرفا من هذه الحادثة العظيمة و العجيبة بالعوامل الغيبية، و بارادة اللّه النافذة فهل تبقى مع ذلك أية حاجة الى أن نفسّر جانبا من هذه الحادثة بتفسير طبيعى مألوف، و نركض وراء التوجيهات الباردة، لنجعلها امرا مقبولا.

(۱) ۲- إنّ الكائنات الدقيقة، او ما يسمى الآن ب «الميكروب» لا شك انها عدوة لمطلق الإنسان، و ليست بصديقة لهذا أو ذاك، و مع ذلك كيف توجهت الى جنود «ابرهة» و قتلتهم دون غيرهم، و كيف نسيت المكيين بالمرة؟!

انّ التاريخ المدوّن يثبت لنا أن جميع الضحايا فى هذه الواقعة العظيمة كانوا من جند «ابرهة» و لم يلحق فيها: أىّ أذى- إطلاقا- بقريش، و غيرهم من سكان الجزيرة العربية، فى حين أن الحصبة و الجدرىّ من الأمراض المعدية، التى تنقلها العوامل الطبيعية كالرياح و غيرها من منطقة إلى اخرى، و ربما تهلك اهل قطر باجمعهم.

فهل مع هذا يمكن أن نعدّ هذه الحادثة حدثا طبيعيا عاديا؟!

(۲) ۳- ان اختلاف هذا الفريق فى تحديد نوعية الميكروب، يضفى على هذا الادعاء مزيدا من الإبهام، و يجعله أقرب الى البطلان.

فتارة يقولون: انّه ميكروب الوباء و تارة اخرى يقولون: انّه داء الحصبة و الجدرى، فى حين اننا لم نجد مستندا صحيحا لهذا الخلاف، و مبررا وجيها لهذا الاختلاف، اللّهم إلّا ما احتمله «عكرمة» من بين المفسرين، و عكرمة هو نفسه موضع نقاش بين العلماء و الّا لما ذهب «ابن الاثير». من بين المؤرخين و ارباب السير الى ذكر هذا الرأى فى صورة الاحتمال الضعيف، و القيل، ثم عاد فردّ هذا القول فورا «۱».

و الأعجب من الجميع ما أعطاه مؤلف كتاب «حياة محمّد» الدكتور هيكل وزير المعارف المصرى السابق من تفسير، عند ذكر قصة الفيل.

---

(۱) الكامل: ج ۱ ص ۲۶۳.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۷۱

(۱) فهو بعد ذكر تلك القصة سرد آيات سورة الفيل، و مع أنه اتى بقول اللّه تعالى «و أرسل عليهم طيرا أبابيل» قال عن هلاك جنود أبرهة: «و لعلّ جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر، و أصابت العدوى أبرهة نفسه» «۱» فاذا كان الذى جاء بهذا الميكروب هو الريح، فلما ذا حلّقت طيور الأبابيل على رءوس جيش أبرهة، و ألقت بالأحجار الصغيرة على رءوسهم و دون غيرهم، و أى أثر كان لهذه الاحجار فى هلاك أولئك الجنود و موتهم؟

فالحق هو: أن لا يتبع هذا النمط من التفكير، و أن لا نسعى لتفسير معجزات الأنبياء- الكبرى بمثل هذه التأويلات و التفسيرات، بل إن طريق المعجزات و الإعجاز أساسا يختلف عن طريق العلوم الطبيعية التى تتحدد دائرتها بمعرفة العلاقات العادية بين الظواهر الطبيعية، و لهذا يجب علينا أن لا- نعمد- ارضاء لهوى جماعة ممّن لا يمتلكون أية معلومات دينية، و ليست لديهم أية معرفة بهذا النوع من القضايا- الى التنازل عن أسسنا الدينية المسلّمة، فى حين لا توجد أية حاجة ملزمة إلى مثل ذلك التنازل و الاعتذار!.

(۲)

نقطتان هامّتان:

و هنا لا بد من أن نذكّر بنقطتين هنا:

(۳) الاولى: يجب ان لا يظن أحد- خطأ- أننا بما قلناه هنا نريد تصحيح كل ما تلوكه ألسن الناس، و تنسبه الى الأنبياء العظام، أو إلى عباد اللّه الكرام، من دون أن يكون له أى سند صحيح أو وجه معقول بل و ربما اتّسم بطابع الخرافة فى بعض الاحيان و الموارد.

بل مقصودنا هو: أن نثبت- و طبقا للمصادر الصحيحة و القطعية المتوفرة- أن الأنبياء كانوا يقومون- لاثبات ارتباطهم بما وراء هذه الطبيعة- بأعمال خارقة للعادة، خارجة عن الناموس الطبيعىّ المألوف، تعجز العلوم الطبيعية الرائجة عن

---

(۱) حياة محمّد لمحمّد حسين هيكل: ص ۱۰۲ و ۱۰۳.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۷۲

إدراك عللها، و أسبابها.

فهدفنا هو الدفاع عن هذه الطائفة من المعاجز.

(۱) الثانية: إننا لا نقول مطلقا: أنّ وجود المعجزة هو تخصيص لقانون العلية العامّ، بل اننا فى الوقت الذى نحترم فيه هذا القانون المسلّم نعتقد بأن لجميع حوادث هذا العالم عللا خاصة و اسبابا معينة، و أنه من المستحيل أن يوجد شىء بعد عدمه من دون علة، بيد أننا نقول ان لهذه الطائفة من الظواهر و الوقائع (أى المعاجز) عللا غير طبيعية، و ان هذه العلل ميسّرة و متاحة لأنبياء اللّه و رسله و الرجال الإلهيين خاصة، و ليس فى مقدور أحد- لم يستطع لا عن طريق الحس و لا عن طريق التجربة أن يكتشف هذه العلل- أن يتنكّر لها، و ينكرها، بل ان جميع الاعمال الخارقة التى يقوم بها أنبياء اللّه ناشئة عن علل لا يمكن تفسيرها بالعلل الطبيعية المألوفة، و لو أنها خضعت للتفسير و التوجيه لخرجت عن كونها معجزة، و لم يصدق فى حقها عنوان الاعجاز.

و لكى نقف على حقيقة هذا الأمر، و نعرف مدى بطلان المذهب المذكور (مذهب تفسير الخوارق و المعاجز بالتفسير المادى و المألوف المحض) ينبغى أن نتبسط قليلا فى شرح مسألة الاعجاز و نبحث فى مدى علاقتها بقانون العلية العام.

(۲)

بحث علمىّ حول المعجزة فى خمس نقاط:

اشارة

إن الحديث العلمىّ عن المعجزة لا بدّ أن يتركّز على عدة نقاط أساسية هى:

۱- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟

۲- هل الإعجاز يهدم القوانين العقلية المسلّمة؟

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير عادية فقط؟

۴- كيف تدل المعجزة على صدق ادعاء النبوة؟

۵- كيف و بما ذا نميز المعجزة عن الخوارق الاخرى؟

إنّ الاجابة على هذه الأسئلة كفيلة بتوضيح حقيقة المعجزة، و بيان مدى بطلان الاتجاه المذكور نعنى: تفسير المعاجز بالتفسير المادى الطبيعى.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۷۳

على أننا- نظرا لضيق المجال- سنختصر الجواب على هذه الأسئلة، و على من أراد التوسع أن يرجع إلى كتب الكلام و العقيدة.

۱- ما هی المعجزة و ما هو تعریفها؟

لقد عرّف علماء العقیدة المعجزة بتعاریف مختلفة أتقنها و أكملها هو: انّ المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالدعوی، و التحدّی، مع عدم المعارضة، و مطابقة الدعوی «۱».

و یعنی الشرط الأول (أی كون المعجزة أمرا خارقا للعادة) أن كل ظاهرة من الظواهر الطبیعیة الحادثة مرتبطة بعلة حتما، فلا یمكن صدورها من دون علة، و هذا الكون مشحون بالعلل التی یكتشفها البشر شیئا فشیئا و تدریجا عبر وسائله العادیة أو العلمیّة، و لكنّ المعجزة مع كونها ظاهرة واقعیة و لهذا فهی كغیرها مرتبطة بعلة، بید أنها تختلف عن غیرها من الظواهر فی أنّ من غیر الممكن كشف عللها من الطریق العادیة أو بواسطة التجارب و التحقیقات العلمیة، و لا یمكن تفسیرها و تبریرها بالعلل العادیة أو بما یكتشفه العلم من العلل لمثل هذه الحوادث، و المقصود من خرق العادة هو أن تقع المعجزة علی خلاف ما عهدناه و تعوّدنا علیه فی الظواهر الاخری و عللها، مثل إشفاء المرضی من دون علاج و دواء كما هو المعهود، و اخراج الماء من صخرة صماء من دون حفر أو تنقیب كما هو المألوف، و تحویل العصا الی أفعی من دون تبییض و تفریخ و توالد و تناسل، بل بمسح من ید، أو بعبارة من لسان، او بضرب من عصا!!

من هنا نكتشف أن كل ظاهرة یقف الناس العادیّون بالطرق العادیة أو العلماء خاصة بالطرق العلمیة علی عللها و أسبابها لا تكون معجزة لأنّه فی هذه

---

(۱) راجع للوقوف علی هذا التعریف: كشف المراد فی شرح تجرید الاعتقاد للعلامة الحلّی شرحا و المحقق نصیر الدین الطوسی متنا: ص ۲۱۸، و أیضا شرح تجرید الاعتقاد للعلامة القوشجی:

ص ۴۶۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۴

الصورة لم یقع أی شیء علی خلاف العادة، و المألوف لیدل علی مزیة فی الأنبیاء.

فان مثل هذه الظاهرة التی یكون لها علة عادیة یعرفها جمیع الناس، أو سبب علمی خاص یعرفها علماء و متخصّصو ذلك العلم یمكن أن یقوم بایجاد أمثالها جمیع الناس، فلا یكون حینئذ معجزة.

و لا یعنی هذا- و كما اسلفنا- أنّ المعجزة لا تنتهی الی أیة علة، أصلا، بل هی تستند إلی علة غیر متعارفة و غیر عادیة، و لمزید التوضیح سنبحث فی هذا المجال عند الاجابة علی السؤال الثالث.

و یقصد من الشرط الثانی (أی كون الاعجاز مقرونا بالدعوی) أن یدّعی صاحب المعجزة النبوة و السفارة من جانب اللّه تعالی، و یأتی بالمعجزة دلیلا علی صحة دعواه هذه، إذ فی غیر هذه الصورة لا یكون الأمر الخارق للعادة معجزة بل یطلق علیه فی الاصطلاح الدینی لفظ «الكرامة» كما كان لمریم بنت عمران التی كلما دخل علیها زكریا المحراب و جد عندها رزقا فاذا سألها من أین لها ذلك؟

قالت: هو من عند اللّه «۱».

و یعنی الشرط الثالث أن یكون الاعجاز مقرونا بدعوة الناس الی الإتیان بمثله، و عجز الناس عن هذه المعارضة، و عدم قدرتهم علی الاتیان بمثله مطلقا إذ فی هذه الصورة یتضح أنّ النبی یعتمد علی قوة إلهیة غیر متناهیة، قوة خارجة عن حوزة البشر العادی.

و اما الشرط الرابع فیعنی أن الأمر الخارق للعادة إنّما یكون عملا- إعجازیا، و یستحق وصف المعجزة الدالّة علی ارتباط الآتی بها بالمقام الالهیّ، إذا وافق الأمر الواقع ما یدعی أنه قادر علی الإتیان به.

فلو قال: سأجعل هذا البئر الجاف الفارغ من الماء، یفیض بالماء باشارة اعجازیة، ثم یقع ما قاله كان هذا الأمر معجزة حقا، و أما إذا

قال: سأجعل هذا

(۱) راجع سورة آل عمران: ۳۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۷۵

الماء القليل الموجود فى البئر يفيض ماء، بالإعجاز، و لكن جفّ ذلك البئر على عكس ما قال، لم يكن ذلك إعجازا، بل كان تكذيبا لمدعيها.

هذا هو خلاصة ما يمكن أن يقال حول تعريف المعجزة و الاعجاز و هو يساعد على فهم طبيعة العمل الإعجازىّ.

۲- هل الاعجاز يهدم القوانين العقلية المسلّمة؟

اشارة

و بهـذا يتضـح جواب السؤال المطروح فى هـذا المجال و هو أن يقال: إن قانون العليّـة (أى: ارتباط كل معلول حادث بعلة) ممّا ارتكز عليه الذهن البشـرى و قبله العلم و الفلسفة، و لذلك فاننا نلاحظ: كلّما وقف الإنسان على ظاهرة مهما كانت- بحث عن علّتها فورا فاذا رأى حية- مثلا- عرف بان علتها الطبيعية هى أن تبيض حيّة، ثم خروج حيّة من البيض بعد سلسـلة من التفاعلات فكيف يمكن القبول بالمعـاجز مع أنهـا لاـ تنشأ عن مثل هـذا العلل و لا تمرّ بمثل هـذه المقـدمات و المراحل و التفاعلات الطبيعيّـة، مثل انقلاب العصا إلى ثعبان، أو نبوع الماء من الصخر من دون حفر أو تنقيب.

أ ليس هذا هدم، أو تخصيص لذلك القانون العقلىّ المسلّم العام؟

فان الجواب على هـذا السؤال هو ان مثل هـذا السؤال لا يطرحه إلّا الّذين يحصـرون العلل و العلاقات بين الاشـياء فى العلل و العلاقات المادية الطبيعية.

و لكن الحق هو أنّ أيّة ظاهرة مادية يمكن أن يكون لها نوعان من العلل:

۱- العلة العادية التى تخضع للتجربة.

۲- العلة غير العادية التى لا يعرفها الناس و لم تكن متعارفة و لا تخضع للتجربة العلمية.

و هذا يعنى أنه لا توجد أية ظاهرة فى هذا العالم بدون علة.

و توضيح هذا أن أصل وجود الحية و نبوع الماء من الصخرة و تكلم الطفل- مثلا- أمر ممكن، و لا يعدّ من المحالات، لأنها لو كانت من المحالات لما تحقق وجودها أبدا.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۷۶

نعم أنها بحاجة إلى علة لكى تتحقق، و العلة- سواء فى المعاجز أو غيرها- يمكن أن تكون إحدى الامور التالية:

أ- العلة الطبيعية العادية

و هى ما ألفناها و أعتدنا عليها مثل ظهور شجرة من نواة بعد سلسلة من التفاعلات.

ب- العلة الطبيعية غير العادية و غير المعروفة

و هـذا يعنى أنه قـد يكون لظاهرة معينـة نوعان من العلل، و طريقان للتحقق و الوجود أحدهما معروف و معلوم، و الآخر مجهول و غير معلوم، و الأنبياء بحكم اتصـالهم بـالعلم و القـدرة الالهيـة، يمكن أن يقفـوا على هـذا النوع من العلـل- عن طريق الوحى- و يوجـدوا

الظاهرة.

ج- تأثیر النفوس و الارواح:

فانّ بعض الظواهر یمکن أن تکون ناشئة من تأثیر أرواح الأنبیاء و نفوسهم القویة، کما نلاحظ ذلک فی مجال المرتاضین الهنود الذین یبلّغون درجة یستطیعون معها أن یقوموا بما یعجز عنه الأفراد العادیّون، و ذلک بفضل الریاضات النفسیة التی یخضعون لها. و هو ما یسمی بالیوجا أحیانا، و قد کتبت حوله کتب و دراسات «۱».

و قد أشار الی هذا جملة من علماء الإسلام و فلاسفته منهم الفیلسوف الإسلامی الشهیر صدر الدین الشیرازی حیث یقول:

«لا عجب أن یکون لبعض النفوس قوة إلهیة تکون بقوتها کأنها نفس العالم فیطیعها العنصر طاعة بدنها لها، فکلّما ازدادت النفس- تجردا و تشبّها بالمبادئ القصوی ازدادت قوة و تأثیرا فی ما دونها.

و إذا صار مجرد التصوّر و التوهم سببا لحدوث هذه التغیّرات فی هیولیّ البدن لأجل علاقة طبیعیّة، و تعلّق جبلّی لها إلیه، لکان ینبغی أن تؤثر فی بدن الغیر و فی هیولیّ العالم مثل هذا التأثیر، لأجل مزید قوة شوقیة، و اهتزاز علوی للنفس

(۱) راجع کتاب الطاقة الانسانیة لأحمد حسین.

و محبة إلهیة لها، فیؤثر نفسه فی إصلاحها، و إهلاک ما یضرّها و یفسدها» «۱».

د- العلل المجردة عن المادة:

فیمکن ان تکون للظواهر علل مجردة عن المادة کالملائکة، بان تقوم الملائکة بأمر من اللّه سبحانه بتدمیر قریة، او تقوم بمعجزة بعد طلب النبیّ منها ذلک.

و الملائکة مظاهر القدرة الالهیة فی الکون، و هی التی تدبّر امور الکون بأمر اللّه تعالی کما یقول القرآن الکریم: «فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً» «۲» و هی بالتالی جنود اللّه فی السماوات و الأرض «وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ» «۳».

فلا بد من ارجاع الظواهر الطبیعیة الواقعة الی أحد هذه العوامل الاربعة، و لا یمکن أبدا حصر العلة فی العلة الطبیعیة العادیة المعروفة کما تصور منکروا الاعجاز، بل یمکن أن تکون کل واحدة من هذه العلل سببا لحدوث الظاهرة الطبیعیة، فاذا لم نشاهد علة ظاهرة من الظواهر لم یجز لنا أن نبادر- فورا- إلی تصوّر أنها ناشئة من غیر علة.

و یجب ارجاع معاجز الأنبیاء الی إحدی الطرق الاخیرة، و القول بأن الأنبیاء استخدموا- فی ایقاع الخوارق و المعاجز- إما العلل المادیة غیر المعروفة للعرف، و العلم، و أما نفوسهم القویة التی حصلت لهم بفعل الجهاد الروحیّ العظیم و الریاضات النفسیة الشدیدة فهی علة تلک الأفعال الخارقة للعادة.

کما و یمکن ان تکون جمیع تلک الافعال العجیبة ناشئة عن جملة من العلل و العوامل الغیبیة المدبّرة للکون بامر اللّه و مشیئته.

إذن فلا تتحقق المعجزة بدون علة کما یتصوّر، و لا یهدم الاعجاز القوانین العقلیة المسلّمة.

(۱) راجع المبدأ و المعاد: ص ۳۵۵ و ۳۵۶ لصدر المتألهین المشهور بصدر الدین الشیرازی، و شرح المنظومة للحکیم السبزواری: ص ۳۲۷ قال السبزواری ناظما:

یطیعه العنصر طاعة الجسدللنفس فالکل کجسمه یعدّ

(۲) النازعات: ۵.

(۳) الفتح: ۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۸

۳- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير معروفة فقط؟

قد يتصور البعض أن المعاجز تصدر عن علل مجردة عن المادة فقط نافين أن تكون لها أيّة علل مادية معروفة او غير معروفة، في حين لا يصح هذا السلب الكلي، اذ ما اكثر الخوارق التي تنشأ عن امور عادية و عبر سلسلة من التفاعلات الطبيعية.

فعند ما يرقد مرتاض هندي ليمرّ عليه تراكتور من دون ان تحدث في جسمه أية جراحات أو اصابات فان هناك امورا مادية كثيرة دخلت في هذا الأمر الخارق مثل: وقوع هذا الحدث في اطار الزمان الخاص، و المكان الخاص، و مثل جسم المرتاض، و ما كنة الحراثة.

فان جميع هذه الاشياء المادية اثرت في ظهور هذا العمل الخارق.

و هكذا عند ما تنقلب عصا الكليم عليه السّلام إلى حيّة على نحو الاعجاز فان العصا شيء مادي و هكذا الحال في غيره من الموارد.

و لهذا لا يمكن ان نتجاهل تأثير العوامل و الامور المادية في ظهور الامور غير العادية، و ننكر دخالتها بمثل هذا الإنكار.

و هذه هي اكثر النظريات اعتدالا في هذا المجال.

و في مقابل ذلك التفريط «۱» أفرط آخرون اذ قالوا: ان جميع المعاجز و الخوارق ناشئة من علل مادية غير معروفة.

و حتى ما يقوم به المرتاضون يعود الى هذه العوامل الطبيعية التي لا يعرفها و لا يقف عليها حتى النوابغ من الناس فضلا عن العاديين، لأن العوامل الطبيعية على نوعين: المعروفة و غير المعروفة، و الناس يستفيدون في حياتهم اليومية- في الأغلب- من القسم الاول، بينما يستخدم الأنبياء و المرتاضون تلك العوامل الطبيعية غير المعروفة التي وقفوا عليها و ادركوها دون غيرهم.

---

(۱) أي حصر علل الخوارق و المعاجز في العوامل المجرّدة و نفي تأثير العلل الماديّة على نحو الاطلاق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۷۹

و السبب في وصفنا هذه النظرية بالافراط و التطرّف هو عدم وجود دليل لا ثباته، بل يمكن ان يقال ان مثل هذا الموقف ناشئ عن الانهزامية تجاه العالم المادي، أو انه لارضاء الماديين، و النافين لما لا يدخل في إطار العالم المادي فان الماديين يرفضون أي عالم آخر غير الطبيعة و آثارها و علاقاتها و خواصها، و حيث أن ارجاع المعجزات إلى العلل المجردة عن المادة يخالف منطق الماديين، و يضادّ اتجاههم و تصورهم لهذا عمد أصحاب هذه النظرية (نظرية إرجاع المعاجز و الخوارق إلى علل طبيعية غير معروفة و غير عادية) إلى مثل هذا التفسير إقناعا للماديين، و ارضاء لهم فقالوا: ان جميع الخوارق و المعاجز ناشئة من علل طبيعية و مادية على الإطلاق، غاية ما في الأمر أنها علل غير معروفة، شأنها شأن كثير من العوامل الطبيعية المجهولة.

و نحن بدورنا نترك هذه النظرية في دائرة الاجمال و بقعة الإمكان، لعدم الدليل لا على طبقها و لا على خلافها.

۴- كيف تدلّ المعجزة على صحّة ادّعاء النبوّة؟

إن صفحات التاريخ مليئة بذكر من ادّعوا النبوّة خداعا و كذبا، و استثمارا للناس، مستغلّين سذاجة الاغلبية الساحقة من جانب، و انجذابهم الفطري إلى قضايا التوحيد و الايمان من جانب آخر.

فكيف و بما ذا يميّز النبيّ الصادق عن مدّعي النبوة؟؟

إن المعجزة هی إحدی الطرق التی تدل علی صحة ادّعاء النبوة.

و إنما تدلّ المعجزة علی صدق ادّعاء النبوّة، و ارتباط النبیّ بالمقام الربوبی لأن اللّه الحکیم لا یمکن أن یزوّد الکاذب فی دعوی النبوة بالمعجزة، لأن فی تزوید الکاذب تغریرا للناس الذین یعتبرون العمل الخارق دلیلا علی ارتباط الآتی بها بالمقام الربوبیّ.

و الی هذا أشار الإمام جعفر الصادق علیه السّلام بقوله فی جواب من سأله عن علة اعطاء اللّه المعجزة لانبیائه و رسله:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۰

«لیکون دلیلا علی صدق من أتی به، و المعجزة علامة للّه لا یعطیها إلا انبیاءه و رسله، و حججه، لیعرف به صدق الصادق من کذب الکاذب» «۱».

۵- بما ذا نمیز المعاجز عن غیرها من الخوارق؟

لا شکّ فی أنّ السحرة و المرتاضین یقومون بأفعال خارقة للعادة مثیرة للعجب و الدهشة حتی ان البسطاء ربما یذهب بهم الاندهاش إلی حدّ الاعتقاد بأن القائمین بهذه الخوارق مزوّدون بقوی غامضة غیبیة لا یتوصل إلیها البشر.

فکیف یمکن اذن أن نمیّز بین المعاجز و تلک الخوارق و العجائب؟

إن التمییز بین هذه و تلک یمکن أن یتم اذا لا حظنا العلائم الفارقة بین المعجزة و غیر المعجزة من الاعمال الخارقة للعادة، کاعمال السحرة و المرتاضین (اصحاب الیوجا) و نظائرهم.

و هذه الفوارق هی عبارة عن الامور التالیة:

۱- إن القوة الغامضة الحاصلة لدی المرتاضین و السحرة ناشئة بصورة مباشرة من التعلم و التحصیل عند اساتذة تلک العلوم، و ذلک طیلة سنین عدیدة من الزمان.

بینما لا یرتبط الاعجاز بالتعلّم و التلمّذ أبدا، و التاریخ خیر شاهد علی هذا الکلام.

۲- إن أفعال السحرة و المرتاضین العجیبة قابلة للمعارضة و المقابلة بأمثالها، و ربما بما هو اقوی منها، علی عکس الإعجاز، فالمعجزات غیر قابلة لأن تعارض و تقابل بمثلها ابدا.

۳- المرتاضون و السحرة لا یتحدّون أحدا بأفعالهم و لا یطلبون معارضة أحد لهم و إلا لافتضحوا و کبتوا.

بینما یتحدی الأنبیاء و الرسل بمعاجزهم جمیع الناس و یدعونهم لمعارضتهم

---

(۱) علل الشرائع: ج ۱ ص ۱۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۱

و الاتیان بمثل معاجزهم لو قدروا، و استطاعوا.

فهذا هو القرآن الکریم ینادی بأعلی صوته علی مر العصور: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هـذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً» «۱».

و ذلک لأن أفعال السحرة الخارقة مهما کانت فانها تستند الی الطاقة البشریة المحدودة، و لا تتجاوزها بینما یعتمد الأنبیاء و الرسل العنصر الغبی، و الإرادة الإلهیة.

۴- إن أفعال السحرة و المرتاضین الخارقة للعادة امور محدودة و مقتصرة علی ما تعلّموها و تمرنوا علیها، بینما لا تکون معاجز الأنبیاء و الرسل مقتصرة علی امور خاصة، فهم لا یعجزون عن الاتیان بکل ما یطلبه الناس منهم، طبعا حسب شرائط خاصة مذکورة فی محلها فی أبحاث الاعجاز «۲».

فتلك معاجز موسى المتعددة الابتدائية، و المقترحة، و معاجز المسيح عليه السّلام المتنوعة خير مثال على هذا الأمر.

۵- إن اصحاب المعاجز يقصدون من معاجزهم دائما دعوة الناس إلى أهداف إنسانية عالية و غايات إلهية سامية و بالتالى هداية المجتمع البشرى إلى المبدأ و المعاد، و الأخلاق الفاضلة فيما لا يهدف المرتاضون و السحرة إلا تحقيق مآرب دنيوية حقيرة، و نيل مكاسب مادية رخيصة.

هذا مضافا إلى أن الأنبياء و الرسل أنفسهم يختلفون عن السحرة و المرتاضين

---

(۱) الاسراء: ۸۸.

(۲) مثل أن لا يكون ما يطلبه الناس محالا عقليا كرؤية اللّه، و مثل أن لا يكون ما سيأتى لهم به دليلا على ارتباطه بالمقام الربوبى، كما لو طلبوا منه أن تكون له جنّة من تخيل و أعناب و بيت من ذهب، لأنّ هذه الامور لا تكون دليلا على النبوّة إذ نلاحظ أنّ كثيرا من الناس يملكون هذه و ليسوا مع ذلك بأنبياء.

و أن لا يكون المقترحون من ذوى اللجاج و العناد الذين لا يقصدون من طلب المعاجز إلا الهزل و الاستهزاء و التنزّه. و أن لا تكون نتيجة المعجزة هلاكهم كما لو طلبوا ان ينزّل عليهم نارا من السماء تحرقهم لأن فى ذلك نقضا للغرض.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۸۲

فى نفسيّتهم العالية، و أخلاقهم الفاضلة و تاريخهم المشرق، و صفاتهم النبيلة على العكس من السحرة و المرتاضين.

هذه هى أهمّ العلامات الفارقة بين المعاجز التى تدل على نبوة الأنبياء، و الخوارق التى يقوم بها المرتاضون و السحرة.

و بعد أن تبيّن كل هذا اتضح أنّ الخوارق الالهية التى هى من مقولة المعاجز أيضا تختلف عن الامور العادية فى أن عللها لا تنحصر فى العلل المادية غير المعروفة فضلا عن الامور المادية المعروفة، بل ربما تكون مستندة الى العلل المجرّدة، فليس من الصحيح ان نسعى لتفسير الخوارق الالهية مثل: «قصة الفيل» التى أهلك اللّه تعالى فيها جيش «أبرهة» العظيم بأحجار صغيرة من سجيل رمتها طيور الأبابيل بالعلل المادية المعروفة كما فعل من أشرنا إلى أسمائهم فى مطلع هذا البحث «۱».

و لهذا عدل «سيد قطب» عن رأيه الذى كان قد أبداه فى ما سبق فى أمثال هذه الامور، اذ قال:

ان الطريق الأمثال فى فهم القرآن و تفسيره أن ينفض الانسان من ذهنه كل تصوّر سابق، و أن يواجه القرآن بغير مقرّرات تصوّرية أو عقلية أو شعورية سابقة، و أن يا بنى مقرّراته كلها حسبما يصور القرآن و الحديث حقائق هذا الوجود، و من ثم لا يحاكم القرآن و الحديث لغير القرآن، و لا ينفى شيئا يثبته القرآن و لا يؤوله، و لا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله، و ما عدا المثبت و المنفى فى القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله و تجربته.

نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن ... و هم مع ذلك يؤوّلون نصوصه هذه لتوائم مقررات سابقة فى عقولهم و تصورات سابقة فى أذهانهم لما ينبغى أن تكون عليه حقائق الوجود «۲».

---

(۱) أى الاستاذ الشيخ محمّد عبده و الاستاذ محمّد حسين هيكل.

(۲) و هنا قال سيّد قطب فى هامش هذا الكلام ما نصّه «و ما ابرئ نفسى أننى فيما سبق من مؤلّفاتى-

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۸۳

فاما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، و يعتسفون نفى هذه التصورات لمجرد أن العلم لم يصل الى شىء منها فهم مضحكون حقا! فالعلم لا يعلم اسرار الموجودات الظاهرة بين يديه و التى يستخدمها فى تجاربه، و هذا لا ينفى وجودها طبعا! فضلا عن أن العلماء الحقيقيين اخذت جماعة كبيرة منهم تؤمن بالمجهول على طريق المتدينين أو على الأقل لا ينكرون ما لا يعلمون، لأنهم بالتجربة وجدوا

أنفسهم- عن طريق العلم ذاته- أمام مجاهيل فيما بين ايديهم ممّا كانوا يحسبون انهم فرغوا من الاحاطة بعلمه فتواضعوا تواضعا علميا نبيلا- ليس فيه سمة الادعاء، و لا طابع التطاول على المجهول كما يتطاول مدّعو العلم، و مدّعو التفكير العلمى، ممن ينكرون حقائق الديانات و حقائق المجهول «١».

ثم يقول فى موضع آخر من تفسيره ناقدا لموقف الاستاذ عبده من قصة الفيل التى هى احدى الخوارق حيث حفظ اللّه تعالى بيته المعظم على نحو خارق للعادة:

و يرى الذين يميلون الى تضييق نطاق الخوارق و الغيبيات، و الى رؤية السنن الكونية المألوفة تعمل عملها، أن تفسير الحادث بوقوع وباء الجدرى و الحصبة اقرب و اولى، و ان الطير تكون هى: الذباب و البعوض تحمل الميكروبات فالطير هو كل ما يطير.

ثم ينقل كلام الاستاذ «عبده» الذى ذكرناه بنصه مع قوله: هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة، و ما عدا ذلك فهو ممّا لا يصح قبوله إلّا بتأويل إن صحت روايته، و ممّا تعظم به القدرة ان يؤخذ من استعز بالفيل- و هو اضخم حيوان من ذوات الاربع جسما- و يهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر و لا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا اكبر و اعجب و أبهر.

- و فى الأجزاء الاولى من هذه الظلال قد انسقت الى شيء من هذا و ارجو أن أتداركه فى الطبعة التالية اذا وفق اللّه».

(١) فى ظلال القرآن: ج ٢٩ ص ١٥١- ١٥٣.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۴

ثم يقول: و نحن لا نرى أن هذه الصورة التى افترضها الاستاذ الإمام- صورة الجدرى أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم- أدلّ على قدرة، و لا اولى بتفسير الحادث، فهذه كتلك فى نظرنا من حيث إمكان الوقوع، و من حيث الدلالة على قدرة اللّه، و تدبيره، و يستوى عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس، المعهودة المكشوفة لعلمهم، هى التى جرت، فأهلكت قوما أراد اللّه اهلاكهم، أو أن تكون سنة اللّه قد جرت بغير المألوف للبشر، و غير المعهود المكشوف لعلمهم فحقّقت قدره ذاك.

ثم يقول: لقد كان اللّه سبحانه يريد بهذا البيت «١» أمرا، كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس و أمنا و ليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة فى ارض حرة طليقة لا يهيمن عليها احد من خارجها و لا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة فى محضنها، و يجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الانظار فى جميع الأجيال، ليضربها مثلا لرعاية اللّه لحرماته و غيرته عليها.

فمما يتناسق مع جوّ هذه الملابسات كلها أن يجيء الحادث غير مألوف و لا معهود بكل مقوماته و بكل اجزائه، و لا داعى للمحاولة فى تغليب صورة المألوف من الأمر فى حادث هو فى ذاته و بملابساته مفرد فذ.

و بخاصة ان المألوف فى الجدرى و الحصبة لا يتفق مع ما روى من آثار الحادث بأجسام الجيش و قائده فإن الجدرى أو الحصبة لا يسقط الجسم عضوا عضوا، و أنملة انملة، و لا يشق الصدر عن القلب!!

ثم ان «سيد قطب» يشير إلى علل تفسير هذه الحادثة الخارقة للعادة بالتفسير المادى العادى الطبيعى، و المدرسة العقلية التى كان الاستاذ «عبده» على رأسها، و ضغط الفتنة بالعلم التى تركت آثارها فى تلك المدرسة، و نحن نكتفى بهذا القدر بالمناسبة، و إشعارا بما يمكن أن يجنيه مثل هذا الاتجاه على مقولات الدين و مفاهيمه و مقرراته عن الأحداث الكونية و التاريخية و الانسانية

---

(١) أى الكعبة المشرّفة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۵

و الغيبية «١».

هذا و يجد ربنا ان ننقل هنا ما قاله صاحب تفسير مجمع البيان فى هذا الصدد فى شأن حادثة الفيل استكمالا لهذا البحث و تأكيدا

لمعجزته هذا الحدث.

قال صاحب المجمع: و كان هذا من اعظم المعجزات القاهرات، و الآيات الباهرات فى ذلك الزمان، اظهره اللّه تعالى ليدل على وجوب معرفته، و فيه ارهاص لنبوة نبينا صلّى اللّه عليه و آله لأنه ولد فى ذلك العام، و فيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة و الملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فانه لا يمكن نسبة شيء ممّا ذكره اللّه تعالى من أمر اصحاب الفيل إلى طبع و غيره كما نسبوا الصيحة و الريح العقيم و الخسف و غيرهما ممّا أهلك اللّه تعالى به الامم الخالية، إذ لا يمكنهم أن يروا فى اسرار الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار معدّة مهيّأة لهلاك أقوام معينين قاصدات إيّاهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم، و تدمّر عليهم، لا يتعدّى ذلك إلى غيرهم و لا يشك من له مسكة عن عقل و لب ان هذا لا يكون الا من فعل اللّه تعالى مسبب الاسباب و مذلّل الصعاب، و ليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا صلّى اللّه عليه و آله لما قرأ هذه السورة على أهل مكة لم ينكروا ذلك بل اقروا به و صدّقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه، و اعتنائهم بالردّ عليه و كانوا قريبى عهد بأصحاب الفيل، فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة و أصل لانكروه، و جحدوه، و أنهم قد أرّخوا بذلك كما أرّخوا ببناء الكعبة، و موت قصيّ بن كعب و غير ذلك.

و قد اكثر الشعراء ذكر الفيل و نظّموه و نقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله (اميّة) بن ابى الصلت:

إن آيات ربّنا بيّنات‌ما يمارى فيهنّ إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمّس حتى‌ظلّ يحبو كأنه معقور

---

(۱) فى ظلال القرآن: ج ۳۰ ص ۲۵۱– ۲۵۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۸۶

و قال عبد اللّه بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس‌أنت حبست الفيل بالمغمّس

من بعد ما همّ بشيء مبلس‌حبسته فى هيئة المكركس «۱» و قال ابن قيس الرقيات فى قصيدة:

و استهلّت عليهم الطير بالجندل حتى كأنّه مرجوم «۲» (۱) ما ذا بعد هزيمة الأحباش؟

لقد استوجب مقتل أبرهة و تحطّم جيشه و هلاكهم، و بالتالى هزيمة أعداء الكعبة المشرفة، و أعداء قريش، أن يتعاظم شأن المكيين، و شأن الكعبة الشريفة فى نظر العرب، فلا يجرأ أحد– بعد ذلك– فى أن يحدّث نفسه بغزو مكة، و الإغارة على قريش، أو أن يفكر فى التطاول على الكعبة المعظمة صرح التوحيد الشامخ، فقد اخذ الناس يقولون فى انفسهم: إنّ اللّه أهلك أعداء بيته المعظم بمثل ذلك الاهلاك احتراما لبيته و تعظيما لشأن قريش، و قلّما كان يتصور أحد أن ما وقع كان لاجل المحافظة على الكعبة فقط، اى من دون أن يكون لمكانة قريش و منزلتهم و شأنهم دخل فى ذلك، و يشهد بذلك أن قريشا تعرضت مرارا لحملات متكررة من غزاة ذلك العصر دون أن يصابوا بمثل ما اصيب به جند «ابرهة» الذى قصد الكعبة بالذات و يواجهوا ما واجهه، من الردع و الكبت.

(۲) إنّ هذا الفتح و الظفر الذى نالته قريش من دون تعب و نصب، و من دون إراقة أية دماء من أبنائها، أحدثت فى نفوس القرشيين حالات جديدة خاصة، فقد زادت من غرورهم و حميّتهم، و عنجهيتهم، و اعتزازهم بعنصرهم، فأخذوا يفكرون فى تحديد شئون الآخرين، و التقليل من وزنهم، اعتقادا منهم بانهم الطبقة الممتازة من العرب دون سواهم. كما أنها دفعتهم الى أن يتصوّروا أنهم وحدهم موضع عناية الأصنام (الثلاثمائة و الستين) فهم وحدهم الذين تحبّهم

---

(۱) المنكّس.

(۲) تفسير مجمع البيان للطبرسى: ج ۱۰ ص ۵۴۳ فى تفسير سورة الفيل.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۸۷

تلك الاصنام، و تحميهم و تدافع عنهم!!

(۱) و لأجل هذا تمادوا فى لهوهم، و لعبهم، و توسعوا فى ممارسة اللذة و الترف حتى أنهم أظهروا ولعا شديدا بالخمر، فكانوا يحتسونها فى كل مناسبة، و ربما مدّوا موائد الخمر فى فناء الكعبة، و أقاموا مجالس سمرهم و أنسهم إلى جانب أصنامهم الخشبية، و الحجرية، التى كان لكل قبيلة من العرب بينها صنم أو اكثر، و يقضون فيها اسعد لحظات حياتهم- حسب تصوّرهم، و هم يتناقلون فيها كل ما سمعوه من أخبار و قصص حول «مناذرة» الحيرة و «غساسنة» الشام و قبائل اليمن، و هم يتصورون أن هذه الحياة الحلوة اللذيذة هى من بركة تلك الاصنام و الاوثان، فهى التى جعلت عامة العرب تخضع لقريش، و جعلت قريشا افضل من جميع العرب!!

(۲)

أوهام قريش تتفاقم!!

إنّ أخطر ما يمرّ به إنسان فى حياته هو أن يصفو عيشه من المشاكل، ردحا من الزمن و يحس لنفسه بنوع من الحصانة الوهمية، فعندها تجده يخص الحياة بنفسه و يستأثر بكل شىء فى الوجود و لا يرى لغيره من أبناء نوعه و جنسه من البشر اى حق فى الحياة، و لا أىّ شأن و قيمة تذكر، و ذلك هو ما يصطلح عليه بالاستكبار و الاستعلاء، و الاحساس بالتفوق، و الغطرسة.

و هذا هو بعينه ما حصل لقريش بعد اندحار جيش «ابرهة» و هلاكه، و هلاك جنده بذلك الشكل العجيب الرهيب.

فقد عزمت قريش منذ ذلك اليوم- و بهدف إثبات تفوقها و عظمتها للآخرين-، على أن تلغى أى احترام لأهل الحلّ لانهم كانوا يقولون: ان جميع العرب محتاجون الى معبدنا، و قد رأى العرب عامة كيف اعتنى بنا آلهة الكعبة، خاصة، و كيف حمتنا من الاعداء!!

(۳) و من هنا بدأت قريش تضيّق على كل من يدخل مكة من أهل الحل للعمرة او الحج، و تتعامل معهم بخشونة بالغة، و ديكتاتورية شديدة ففرضت على

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۱۸۸

كل من يريد دخول مكة للحج أو العمرة أن لا يصطحب معه طعاما من خارج الحرم، و لا يأكل منه، بل عليه أن يقتنى من طعام أهل الحرم، و يأكل منه، و أن يلبس عند الطواف بالبيت من ثياب أهل مكة التقليدية القومية، أو يطوف عريانا بالكعبة إن لم يكن فى مقدوره شراؤها و اقتناؤها، و من كان يرفض الخضوع لهذا الأمر، من رؤساء القبائل و زعمائها، كان عليه أن ينزع ثيابه- بعد انتهائه من الطواف- و يلقيها جانبا، و لا يحق لأحد ان يمسها أبدا لا صاحبها و لا غيرها «۱».

(۱) اما النساء فكان يجب عليهن اذا أردن الطواف أن يطفن عراة على كل حال، و ان يضعن خرقة على رءوسهن و يردّدن البيت التالى فى اثناء الطواف:

اليوم يبدو بعضه أو كلّهو بعد هذا اليوم لا احلّه ثم إنه لم يكن يحق لأىّ يهودى أو مسيحى- بعد هزيمة «ابرهة» الذى كان هو أيضا مسيحيا- أن يدخل مكة إلّا أن يكون أجيرا لمكىّ، و حتى فى هذه الصورة كان يجب عليه أن لا يتحدّث فى شىء من أمر دينه و من أمر كتابه.

لقد بلغت النخوة و العصبية بقريش حدا جعلتهم يتركون بعض مناسك الحج التى كان يجب الإتيان بها خارج الحرم!!

(۲) لقد أنفوا منذ ذلك اليوم أن يأتوا بمناسك عرفة «۲» كما يفعل بقية الناس فتركوا الوقوف بعرفة، و الافاضة منها مع أن آباءهم (من ولد إسماعيل) كانوا يقرّون أنها من المشاعر و الحج، و كانت هيبة قريش و عظمتها الظاهرية رهن- برمتها- بوجود الكعبة بين ظهرانيها، و بوظائف الحج و مناسكه هذه، اذ كان يجب على الناس فى كل عام أن يأتوا إلى هذا الوادى الخالى عن الزرع و هذه

الصحراء اليابسة لأداء المناسک، إذ لو لم يكن فى هذه النقطة من الأرض أى مطاف أو مشعر لما رغب احد حتى فى العبور بها فضلا عن المكث فيها عدة ايام و ليال.

---

(۱) و كانت تسمّى عندهم «اللّقى».

(۲) الكامل فى التاريخ: ج ۱ ص ۲۶۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۸۹

لقد كان ظهور مثل هذا الفساد الاخلاقى و هذا الموقف المتعصّب من الآخرين أمرا لا بدّ منه بحسب المحاسبات الاجتماعية.

فالبيئة المكيّة لا بد أن تغرق فى الفساد و الانحراف حتى يتهيأ العالم لانقلاب أساسىّ و نهضة جذرية.

إن كل ذلک الانفلات الاخلاقى و الترف و الانحراف كان يهىء الارضية و يعدّها لظهور مصلح عالمى، أكثر فاكثر.

و لهذا لم يكن غريبا أن يغضب «أبو سفيان» فرعون مكة و طاغيتها على «ورقة بن نوفل» حكيم العرب الذى تنصر فى اخريات حياته و اطلع على ما فى الانجيل، كلما تحدّث عن اللّه و الأنبياء و يقول له: «لا حاجة الى مثل هذا الاله و هذا النبى، تكفينا عناية اصنامنا»!! (۱)

عبد اللّه والد النبىّ:

اشارة

يوم فدى «عبد المطلب» ولده «عبد اللّه» بمائة من الابل نحرها، و أطعم الناس فى سبيل اللّه، لم يكن يمض من عمر «عبد اللّه» اكثر من اربعة عشر ربيعا، و قد تسبّبت هذه الواقعة فى أن يكتسب «عبد اللّه» شهرة خاصة بين عشيرته مضافا الى شهرته الكبرى بين قريش، و أن يحظى بمكانة كبيرة عند أبيه:

«عبد المطلب» بنحو خاص، لأن ما يكلّف الانسان غاليا، و يتحمل فى سبيله عناء اكثر لا بدّ أن يحظى لديه بمكانة اكبر، و يحبّه محبة تفوق المتعارف.

و من هنا كان «عبد اللّه» يتمتع باحترام يفوق الوصف بين أبناء عشيرته و أفراد عائلته و أقربائه.

(۲) ثم إن «عبد اللّه» يوم كان يتوجه برفقة والده إلى المذبح كان يعانى من مشاعر و أحاسيس متناقضة و متضادة، فهو من جانب كان يكنّ لوالده احتراما كبيرا و حبا شديدا، و لهذا لم يكن يجد بدا من طاعته، و الانصياع لمطلبه، بينما كان من جانب آخر يعانى من قلق، و اضطراب شديدين على حياته التى كان يرى كيف تعبث بها يد القدر، و تكاد تقضى عليها كما يقضى الخريف على

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۰

أوراق الشجر.

(۱) كما أن «عبد المطلب» نفسه كان هو الآخر تتجاذبه قوتان متضادتان: قوة الايمان و العقيدة من جانب، و قوة العاطفة و المحبة الأبوية من جانب آخر، و قد أوجدت هذه الواقعة فى نفسى هاتين الشخصيتين آثارا مرّة يصعب زوالها، بيد أن تلک المشكلة حيث عولجت بالطريقة التى ذكرناها و نجا «عبد اللّه» من الموت المحقق فكر «عبد المطلب» فورا فى ان يغسل عن قلب «عبد اللّه» تلک المرارة القاسية بزواج «عبد اللّه» بآمنة، و بذلک يقوّى من عرى حياته التى بلغت درجة الانصرام، بأقوى السبل، و أمتن الوسائل.

و من هنا توجّه «عبد المطلب» الى بيت «وهب بن عبد مناف»- فور رجوعه من المذبح آخذا بيد ولده عبد اللّه- و عقد لولده على

«آمنة بنت وهب» التی کانت تعرف بالعفة، و الطهر، و النجابة، و الکمال.

کما أنه عقد لنفسه- فی ذات المجلس- علی «دلالة» ابنة عم آمنة، و رزق منها «حمزة» عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و المشابه له فی السن «۱».

(۲) غیر أن الاستاذ المؤرخ «عبد الوهاب النجار» المدرس بقسم التخصص فی الازهر الذی صحح «التاریخ الکامل» لابن الاثیر، و علّق علیه بملاحظات و هوامش مفیدة شکک فی صحة هذه الروایة، و استغربها، و قال: لا أظن أنه یصح شیء فی هذه الروایة، إذ المعقول أن یتریث «عبد المطلب» بعد ذلک المجهود المضنی حتی یریح نفسه ثم یذهب لیخطب لابنه «۲».

و لکنّنا نعتقد بأن المؤرخ المذکور لو نظر إلی المسألة من غیر هذه الزاویة لسهل علیه التصدیق بهذه الروایة.

ثم أن «عبد المطّلب» عیّن موعدا للزفاف، و عند حلول ذلک الموعد تمّت مراسم الزفاف فی بیت «آمنة» طبقا لما کان متعارفا علیه فی قریش، و لبث

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۷ و المذکور فی هذا المصدر «هالة».

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴ قسم الهامش.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۱

«عبد اللّه» مع «آمنة» ردحا من الزمن حتی سافر الی الشام للتجارة، و عند عودته توفّی اثناء الطریق کما ستعرف.

(۱)

دور الأیادی المشبوهة فی تاریخ الإسلام:

لا شک أنّ التاریخ سجّل فی صفحاته کل ما یتعلق بالشعوب و الاقوام من نقاط مضیئة أو مظلمة، کقصص للعبرة و العظة.

و لکن الحب و البغض تارة و التساهل و البدعة تارة اخری وحب اظهار المقدرة و ابراز القوة الأدبیة تارة ثالثة و غیر ذلک من العوامل و الاسباب عملت عملها فتدخلت- فی جمیع الأدوار و العصور- فی صیاغة التاریخ، و خلطت الغث بالسمین و الحقیقة بالخرافة، و تلک هی مشکلة کبری تقع فی طریق المؤرخ الذی یرید عرض حوادث التاریخ فی أمانة و استقامة، و لذلک یجب علیه أن یمیز الحق عن الباطل، و الصدق عن الکذب من خلال الأخذ بالموازین العلمیة، و الممارسة الکاملة للتاریخ. و لقد کان للعوامل المذکورة تأثیر أیضا فی تدوین التاریخ الإسلامی، فالأیادی المریبة المشبوهة عملت علی تحریف الحقائق فی هذا المجال، بل و ربما عمد بعض الاصدقاء- بهدف تعظیم شأن النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله- الی نسبة بعض الامور التی یظهر علیها آثار الاختلاق و الافتعال إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو منها براء.

(۲) فقد جاء فی التاریخ أن نور النبوّة کان یسطع فی جبین «عبد اللّه» والد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله دائما «۱»، کما نقرأ أن «عبد المطلب» کان یأخذ بید ولده «عبد اللّه» فی سنین الجدب و القحط، و یصعد الجبل و یستسقی متوسّلا الی اللّه بالنور الذی کان بیّنا فی جبین «عبد اللّه» «۲» فهذا هو ما کتبه و سجّله کثیر من علماء الشیعة و السنة فی مؤلفاتهم، و نحن لا نملک أی دلیل علی عدم صحته.

و لکن هذه القصة وقعت أساسا لبعض الاساطیر التی لا یمکن ان نقبل بها مطلقا

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۹.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۹۲

و إلیک فیما یأتی ما الحق بهذه القضیة التاریخیة الثابتة.

(۱)

قصّة فاطمة الخثعمیّة:

اشارة

و «فاطمـة» هذه هی أخت «ورقة بن نوفل» الذی کان من حکماء العرب و کهّانهم، و کان له معرفة کبیرة بالإنجیل. و قد ضـبط التاریخ حدیثه مع خدیجة فی بدء بعثة الرسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سوف نشیر إلیه فی محله من هذا الکتاب.

و کانت «فاطمة» اخت «ورقة» قد سمعت من أخیها عن نبوة رجل من احفاد «اسماعیل»، و لهذا ظلّت تنتظر، و تبحث.

و ذات یوم و عنـد ما کان «عبـد المطلب» متوجها الی بیت آمنـة بنت وهب بعد قفوله و منصـرفه من المذبح و هو آخذ بید «عبد اللّه»، شاهدت «فاطمة الخثعمیة»- التی کانت تقف علی مقربة من منزلها- النور الساطع من جبین «عبد اللّه»، و الذی کانت تنتظره مدة طویلة و تبحث عنه بشوق، فقالت: این تذهب یا عبد اللّه؟ لک مثل الإبل التی نحرت عنک، وقع علیّ الآن.

فقال: أنا مع أبی و لا استطیع خلافه و فراقه!! «۱».

ثم تزوج «عبد اللّه» بآمنة فی نفس ذلک الیوم، و قضی معها لیلة واحدة.

ثم فی الغد من ذلک الیوم أتی المرأة «الخثعمیة» التی عرضت نفسـها علیه، و أبدی استعداده لتنفیذ رغبتها، و لکن «الخثعمیة» قالت له: لیس لی بک الیوم حاجة، فلقد فارقک النور الذی کان معک أمس!! «۲».

(۲) و قیل: إنه لمّا عرضت تلک المرأة «الخثعمیة» علی «عبد اللّه» ما عرضت أجابها «عبد اللّه» بالبداهة ببیتین من الشعر هما:

أمّا الحرام فالممات دونهو الحلّ لا حل فاستبینه

فکیف بالأمر الذی تبغینهیحمی الکریم عرضه و دینه

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۵۶ النصّ و الهامش.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۱۹۳

و لکن لم تمر ثلاثـة من زواجه بآمنـة، و اقـامته عنـدها حتی دعته نفسه إلی ان یأتی الخثعمیـة، و عرض نفسه علیها قائلا: هل لک فیما کنت اردت؟ فقالت:

لقد رأیت فی وجهک نورا فاردت ان یکون لی فأبی اللّه الّا أن یجعله حیث اراد فما صنعت بعدی؟

قال: زوّجنی أبی «آمنة بنت وهب»!! «۱».

(۱)

علائم الاختلاق فی هذه القصة!

لقد غفل مختلق هذه القصة عن امور کثیرة عند صیاعته لها، و لم یستطع اخفاء آثار الاختلاق عنها.

فلو کان یکتفی بالقول- مثلا- بان «فاطمة» صادفت «عبد اللّه» ذات یوم فی زقاق من الأزقة، أو سوق من الاسواق، و شاهدت نور النبیّ

ساطعا من طلعته فكفرت فى الزواج به رغبة فى ذلك النور لكان من الممكن التصديق بهذه القصة، بيد أن نص القصة جاء بصورة لا يمكن القبول بها للأسباب التالية:

(۲) ۱- ان هذه القصة تفيد أنّ المرأة «الخثعمية» عند ما عرضت نفسها على «عبد اللّه»، كان يد «عبد اللّه» فى يد والده «عبد المطلب»، فكيف يمكن ان تعرض تلك الفتاة نفسها عليه و تبين مطلوبها له و يدور بينهما ما يدور، و لا يحس عليهما عبد المطلب؟!

ثم لم تستح من عظيم قريش «عبد المطلب» الذى لم يثنه عن طاعة اللّه تعالى شىء حتى مقتل ولده و ذبحه.

و لو قلنا أن مطلبها كان حلالا مشروعا فان ذلك لا ينسجم مع البيتين من الشعر اللّذين ردّ بهما «عبد اللّه» طلبها.

(۳) ۲- و الأصعب من ذلك قصة عبد اللّه نفسه. فان ولدا مثل «عبد اللّه» يحترم والده الى درجة الاستعداد لأن يذبح وفاء لنذر والده، كيف يمكن أن يتفوّه فى

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷، و الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۴

حضرة والده بما نقل عنه؟!

ترى أ يمكن لشاب نجا لتوّه من السيف و الذبح، و لا- يزال يعانى من آثار الصدمة الروحية أن يستجيب لرغبات امرأة، أو يبدى استعداده و رضاه القلبىّ لذلك لو لا وجود والده معه؟!!

ترى هل كانت تلك المرأة جاهلة بالظروف، لا تقدّر الاحوال، و لا تعرف الوقت المناسب لطرح مطلبها، أو أنّ مختلق هذه القصة غفل عن نقاط الضعف البارزة هذه؟!!

(۱) ثم إن ممّا يفضح هذه القصة و يظهر بطلانها ما جاء فى الصورة الثانية لها، فان عبد اللّه- كما لا حظنا جابه طلب تلك المرأة ببيتين من الشعر و قال ما حاصله بأن الموت أسهل عليه من ارتكاب هذا الفعل الحرام الذى يأتى على دين الرجل و شرفه، فكيف يجوز لمثل هذا الشاب الطاهر الغيور أن يقع فريسة لتلك الأهواء، و الرغبات الرخيصة الفاسدة، و الحال انه لم ينقض من زواجه اكثر من ثلاث ليال، و تدفعه غريزته الجنسية إلى أن يبادر الى بيت المرأة الخثعمية.

إنّ ما جاء به «عبد اللّه» دعوة تلك المرأة، و ما جاء فى ذينك البيتين من الشعر اللذين يطفحان بالغيرة، و الإباء، لخير دليل على طهارة «عبد اللّه» و عفته، و تقواه، و ترفعه عن الآثام و الادران، و ابتعاده عن الانجاس و الادناس.

و قد علّق الاستاذ العلامة «النجار» على هذه الاسطورة بقوله: «ليس من المعقول أن يذهب عبد اللّه يبغى الزنا فى الساعة التى تزوج فيها، و دخل فيها على امرأته».

و لكن الاستاذ «النجار» أخطأ فى تشكيكه فى النور النبوىّ الساطع فى جبين «عبد اللّه» حيث قال معقبا على كلامه السابق: «و لكنها مسألة النور فى وجهه يريدون إثباتها و رسول اللّه غنى عن هذا كله» «۱».

فان ذلك ممّا رواه جميع المؤرخين بلا استثناء، فلا داعى و لا وجه للتشكيك فيه!

---

(۱) هامش الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۵

طهارة النبىّ من دنس الآباء و عهر الامهات:

و ینبغی هنا- و بالمناسبة- ان نشیر الی مسألة مهمة فی تاریخ النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله ألا و هی طهارة النسب النبوی من دنس الآباء و دناءتهم و عهر الامّهات و فسادهن فلا یکون فی اجداده وجدّاته سفاح، و زنا.

و هذا ممّا اتفق علیه المسلمون، بعد ان دلّ علیه العقل اذ لو لم یکن النبیّ منزها عن دناءة الآباء و عهر الامّهات لتنفر عنه الطباع و لم یرغب احد فی متابعته، و الانقیاد لاوامره و نواهیه.

و لقد صرح رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله بذلک فی احادیث رواها السنة و الشیعة.

فقد جاء عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«نقلت من الاصلاب الطاهرة الی الارحام الطاهرة نکاحا لا سفاحا» «۱».

و جاء أیضا انه صلّی اللّه علیه و آله قال:

«لم یزل اللّه ینقلنی من الأصلاب الحسیبة الی الأرحام الطاهرة» «۲».

و قال الإمام امیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام:

«و أشهد انّ محمّدا عبده و رسوله و سیّد عباده کلما نسخ اللّه الخلق فرقتین جعله فی خیرهما لم یسهم فیه عاهر، و لا ضرب فیه فاجر» «۳»

و قال الإمام الصادق علیه السّلام فی هذا الصدد عند تفسیر قول اللّه تعالی:

«وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ»: «۴»

«فی أصلاب النبیّین، نبی بعد نبی، حتی اخرجه من صلب ابیه عن نکاح غیر سفاح من لدن آدم» «۵».

و قد صرح علماء الإسلام من الفریقین بهذا الأمر، و اشترطوه فی النبیّ.

---

(۱) کنز الفوائد: ج ۱ ص ۱۶۴.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴۳.

(۳) نهج البلاغة: الخطبة ۲۱۵ طبعة عبده.

(۴) الشعراء: ۲۱۹.

(۵) تفسیر مجمع البیان عند تفسیر الآیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۱۹۶

قال المحقق نصیر الدین الطوسی فی تجرید الاعتقاد: و یجب فی النبیّ العصمة ... و عدم السهو، و کل ما ینفّر عنه من دناءة الآباء و عهر الامّهات ... «۱».

و قد وافقه علی هذا العلامة القوشجی الاشعری فی شرح التجرید «۲».

و قال العلامة المتکلم المقداد السیوری فی اللوامع الالهیة: و یجب أن لا یکون مولودا من الزنا و لا فی آبائه دنیّ و لا عاهر «۳».

(۱)

وفاة عبد اللّه فی «یثرب»:

لقد بدأ «عبد اللّه» بالزواج فصلا جدیدا فی حیاته، و أضاء ربوعها بوجود شریکة للحیاة فی غایة العفة و الکمال هی زوجته الطاهرة «آمنة» و بعد مدة من هذا الزواج المبارک توجه فی رحلة تجاریة- و بصحبة قافلة- الی الشام بهدف التجارة.

دقت أجراس الرحيل، و تحركت القافلة التجارية و فيها عبد اللّه، و بدأت رحلتها من «مكة» صوب الشام، و هى مشدودة بمئات القلوب و الافئدة.

و كانت «آمنة» تمر فى هذه الايام بفترة الحمل، فقد حملت من زوجها «عبد اللّه».

و بعد مضىّ بضعة أشهر طلعت على مشارف مكة بوادر القافلة التجارية و هى عائدة من رحلتها، و خرج جمع كبير من أهل مكة لاستقبال ذويهم المسافرين العائدين.

ها هو والد «عبد اللّه» ينتظر – فى المنتظرين – ابنه «عبد اللّه»، كما ان عيون عروسة ولده «آمنة» هى الاخرى تدور هنا و هناك تتصفح الوجوه و تبحث عن زوجها الحبيب «عبد اللّه» فى شوق لا يوصف.

---

(۱) كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد: ص ۳۴۹ تحقيق الشيخ حسن زاده الآملى.

(۲) راجع: شرح القوشجى لتجريد الاعتقاد: ص ۳۵۹.

(۳) اللوامع الإلهية: ص ۳۱۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۷

(۱) و لكن و مع الأسف لا يجدان أثرا من «عبد اللّه» بين رجال القافلة!!

و بعد التحقيق يتبين أن «عبد اللّه» قد تمرّض أثناء عودته فى يثرب، فتوقف هناك بين اخواله لكى يستريح قليلا، فاذا تماثل للشفاء عاد إلى أهله فى «مكة».

و كان من الطبيعى أن يغتم هذان المنتظران «عبد المطلب و آمنة» لهذا النبأ، و تعلو وجهيهما آثار الحزن، و القلق و تنحدر من عيونهما دموع الأسى و الاسف.

فأمر «عبد المطّلب» اكبر ولده: «الحارث» إلى أن يتوجّه الى «يثرب»، و يصطحب معه «عبد اللّه» الى مكة.

و لكنه عند ما دخل يثرب عرف بأن أخاه: «عبد اللّه» قد توفى بعد مفارقة القافلة له بشهر واحد، فعاد الحارث الى مكة، فاخبر والده «عبد المطلب»، و كذا زوجته العزيزة «آمنة» بذلك، و لم يخلف «عبد اللّه» من المال سوى خمسة من الابل، و قطيع من الغنم، و جارية تدعى «أم أيمن» صارت فيما بعد مربية النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۱».

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷ و ۸، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۵۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۱۹۹

(۱)

۵ مولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

اشارة

كانت سحب الجاهلية الداكنة تغطّى سماء الجزيرة العربية، و تمحى الاعمال القبيحة و الممارسات الظالمة، و الحروب الدامية، و النهب و السلب، و وأد البنات، و قتل الاولاد، كل فضيلة أخلاقية. فى البيئة العربية و كان المجتمع العربىّ قد اصبح فى منحدر عجيب من الشقاء، ليس بينهم و بين الموت الّا غشاء رقيق و مسافة قصيرة!!

فى هذا الوقت بالذات طلع عليهم شمس السعادة و الحياة فاضاءت محيط الجزيرة الغارق فى الظلام الدامس، و ذلك عند ما اشرقت

بیئة الحجاز بمولد النبیّ المبارک «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و بهذا تهیأت المقدمات اللازمة لنهضة قوم متخلف طال رزوحه تحت ظلام الجهل، و التخلف، و طالت معاناته لمرارة الشقاء. فانه لم یمض زمن طویل الّا و ملأ نور هذا الولید المبارک ارجاء العالم و اسس حضارة انسانیة عظمی فی کل المعمورة.

(۲)

فترة الطفولة فی حیاة العظماء:

ان جمیع الفصول فی حیاة العظماء جدیرة بالتأمل، و قمینة بالمطالعة، فربما تبلغ العظمة فی شخصیة احدهم من السعة، و السموّ بحیث تشمل جمیع فصول حیاته

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۰

بدء من الطفولة، بل و فترة الرضاع فتکون حیاته و شخصیته برمتها سلسلة متواصلة من حلقات العظمة.

إن جمیع الأدوار، و الفترات فی حیاة العظماء، و النوابغ و قادة المجتمعات البشریة، و روّاد الحضارات الانسانیة و بناتها تنطوی فی الأغلب علی نقاط مثیرة و حساسة و علی مواطن توجب الاعجاب.

إن صفحات تاریخهم و حیاتهم منذ اللحظة التی تنعقد فیها نطفهم فی أرحام الامهات، و حتی آخر لحظة من أعمارهم ملیئة بالاسرار، زاخرة بالعجائب.

فنحن کثیرا ما نقرأ عن اولئک العظماء فی أدوار طفولتهم أنها کانت تقارن سلسلة من الامور العجیبة، و المعجزة.

و لو سهل علینا التصدیق بهذا الأمر فی شأن الرجال العادیین من عظماء العالم لکان تصدیقنا بأمثالها فی شأن الأنبیاء و الرسل أسهل من ذلک بکثیر، و کثیر.

(۱) إن القرآن الکریم ذکر فترة الطفولة فی حیاة النبیّ موسی علیه السّلام فی صورة محفوفة بکثیر من الأسرار، فهو یقول ما خلاصته: ان مئات من الاطفال قتلوا و ذبحوا بامر من فرعون ذلک العصر منعا من ولادة موسی و نشوئه.

و لکن ارادة اللّه شاءت ان یولد الکلیم، و ظلت هذه المشیئة تحفظه من کید الکائدین و لهذا لم یعجز اعداؤه عن القضاء علیه او إلحاق الاذی به فحسب، بل تربی فی بیت فرعون أعدی اعدائه.

یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد: «وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلَیْکَ مَرَّةً أُخْری. إِذْ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّکَ ما یُوحی أَنِ اقْذِفِیهِ فِی التّابُوتِ فَاقْذِفِیهِ فِی الْیَمِّ فَلْیُلْقِهِ الْیَمُّ بِالسّاحِلِ یَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّةً مِنِّی وَ لِتُصْنَعَ عَلی عَیْنِی».

ثمّ یقول: «إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی مَنْ یَکْفُلُهُ فَرَجَعْناکَ إِلی أُمِّکَ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لا تَحْزَنَ» «۱».

---

(۱) طه: ۳۷- ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۱

(۱) ثمّ إن القرآن الکریم یذکر قصة ولادة المسیح، و یصور طفولته و نشأته بشکل أعجب اذ یقول:

«وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا. قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ لِأَهَبَ لَکِ غُلاماً زَکِیًّا. قالَتْ أَنّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ وَ لَمْ أَکُ بَغِیًّا. قالَ کَذلِکِ قالَ رَبُّکِ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آیَةً لِلنّاسِ وَ رَحْمَةً مِنّا وَ کانَ أَمْراً مَقْضِیًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَکاناً قَصِیًّا. فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلی جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ یا لَیْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هذا وَ کُنْتُ نَسْیاً مَنْسِیًّا. فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلّا تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا. وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا. فَکُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً فَإِمّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ

لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا. يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا. وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» «۱».

(۲) فإذا كان أتباع القرآن و التوراة و الانجيل يشهدون بصحة هذه المطالب حول ولادة هذين النبيين العظيمين من اولى العزم لموسى و عيسى عليهما السّلام، و يقرون بصدقها، فلا يصحّ فى هذه الصورة أن نستغرب وقوع أمثالها فى شأن رسول الإسلام، و نتعجب من الحوادث العجيبة التى سبقت أو رافقت ميلاده المبارك، و نعتبرها امورا سطحية لا تدل على شيء.

فنحن نقرأ فى الكتب التاريخية و فى كتب الحديث عن وقوع حوادث عجيبة

---

(۱) مريم: ۱۶- ۳۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۲

يوم ولادة النبيّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله مثل: ارتجاس إيوان كسرى، و سقوط اربع عشرة شرفة منه، و انخماد نار فارس التى كانت تعبد، و انجفاف بحيرة ساوة، و تساقط الاصنام المنصوبة فى الكعبة على وجوهها، و خروج نور معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أضاء مساحة واسعة من الجزيرة، و الرؤيا المخيفة التى رآها انوشيروان و مؤبدوه، و ولادة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مختونا مقطوع السرّة، و هو يقول: «اللّه اكبر، و الحمد للّه كثيرا، سبحان اللّه بكرة و أصيلا».

و قد وردت جميع هذه الامور فى المصادر التاريخية الأولى، و الجوامع الحديثية المعتبرة «۱».

(۱) و مع ملاحظة ما ورد فى حق موسى و عيسى و نقلنا بعضه هنا، لا يبقى أيّ مجال للشك فى صحة هذه الحوادث.

نعم ينبغى أن نسأل هنا: ما ذا كانت تهدف هذه الحوادث غير العادية؟

و فى الاجابة على هذا السؤال يجب ان نقول:

إن هذه الحوادث الخارقة و العجيبة كانت تهدف إلى أمرين:

(۲) الأول- أن تدفع بالجبابرة، و الوثنيين و عبدة الاصنام إلى التفكير فيما هم فيه فيسألوا أنفسهم: لما ذا انطفأت نيرانهم التى طالما بقيت مشتعلة تحرسها اعيان السدنة و الكهنة؟

لما ذا سبّبت هزة خفيفة فى ارتجاس ايوان كسرى العظيم المحكم البنيان، و لم يحدث لبيت عجوز فى نفس ذلك البلد شيء؟

لما ذا تهاوت الاصنام المنصوبة فى الكعبة و حولها، و انكبّت على وجوهها بينما بقيت غيرها من الاشياء على حالها لم يصبها شيء ابدا؟

لو كانوا يفكرون فى تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشّر بعصر جديد ... عصر انتهاء فترة الوثنية و زوال مظاهر السلطة الشيطانية

---

(۱) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۵، بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۴۸- ۳۳۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۶۷- ۷۸ و غيرها.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۳

و اندحارها؟

الثانى: ان هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم، و انه ليس وليدا عاديا، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، و الوقائع الغريبة، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء- كما عرفت- و

تخبر بها تواريخ الشعوب و الملل المسيحية و اليهودية.

(۱) و اساسا لا يلزم ان تكون تلك الحوادث سببا للعبرة و وسيلة للاتعاظ يوم وقوعها، بل يكفى ان تقع حادثة فى احدى السنين، ثم يعتبر بها الناس بعد أعوام عديدة، و قد كانت حوادث الميلاد النبوىّ من هذه المقولة، لأن الهدف منها كان هو ايجاد هزة فى ضمائر اولئك الناس الذين كانوا قد غرقوا فى اوحال الوثنية، و الظلم، و الانحراف الاخلاقى حتى قمة رءوسهم، و عشعشت الجهالة و الغافلة فى اعماقهم حتى النخاع.

إن الذين عاشوا فى عصر الرسالة، أو من اتى من بعدهم عند ما يسمعون نداء رجل نهض- بكل قواه- ضدّ الوثنية، و الظلم، ثم يطالعون سوابقه، و يلاحظون الى جانب ذلك ما وقع ليلة ميلاده من الحوادث العظيمة التى تتلاءم مع دعوته، فانهم و لا شك سيعتبرون تقارن هذين النوعين من الحوادث دليلا على صحة دعواه، و صدق مقاله فيصدّقونه، و ينضوون تحت لوائه.

إن وقوع أمثال هذه الحوادث الخوارق عند ميلاد الأنبياء مثل «إبراهيم» و «موسى» و «المسيح» و «محمّد» صلّى اللّه عليه و عليهم اجمعين لا يقل اهمية عن وقوعها فى عصر رسالتهم و نبوتهم، فهى جميعا تنبع من اللطف الإلهى، و تتحقق لهداية البشرية، و جذبها إلى دعوة سفرائه و رسله.

(۲)

فى أىّ يوم ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟

لقد اتّفق عامّة كتّاب السيرة على أن ولادة النبىّ الكريم كانت فى عام الفيل سنة ۵۷۰ ميلادية.

لأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحل الى ربه عام (۶۳۲) ميلادية عن (۶۲)

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۴

أو (۶۳) عاما، و على هذا الأساس تكون ولادته المباركة قد وقعت فى سنة (۵۷۰) ميلادية تقريبا.

كما أنّ اكثر المحدثين و المؤرخين يتفقون على أنه صلّى اللّه عليه و آله ولد فى شهر ربيع الأول.

انما وقع الخلاف فى يوم ميلاده، و المشهور بين محدثى الشيعة أنه كان يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر.

و المشهور بين أهل السنة أنه صلّى اللّه عليه و آله ولد فى يوم الاثنين الثانى عشر من ذلك الشهر «۱».

(۱)

أىّ هذين القولين هو الصحيح؟

ان من المؤسف جدا أن يعانى التقويم الدقيق لميلاد رسول الإسلام العظيم صلّى اللّه عليه و آله و وفاته بل مواليد و وفيات اكثر قادتنا و ائمتنا لمثل هذا الارتباك، و ان لا تكون اوقاتها و تواريخها محددة معلومة على وجه التحقيق و اليقين!.

و لقد تسبب هذا الارتباك فى أن لا تستند اكثر احتفالاتنا و ماتمنا إلى تاريخ قطعى، فى حين نجد أن علماء الإسلام كانوا يهتمون- عادة- بتسجيل الوقائع التى حدثت على مدار القرون الإسلامية فى نظم خاص و عناية كبيرة، و لكننا لا ندرى ما الذى منع من تسجيل مواليد هذه الشخصيات العظيمة و وفياتهم على نحو دقيق، و صورة قطعية؟!

على أن مثل هذه المشكلة يمكن حلها بدرجة كبيرة بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السّلام، فان اى مؤرخ لو أراد أن يكتب عن حياة شخصيّة من الشخصيات و أراد أن يلمّ بكل تفاصيلها و دقائقها لم يسمح لنفسه بان يفعل ذلك من دون ان يراجع ابناء او اقرباء تلك الشخصية التى يزمع ترجمتها و الكتابة عنها.

(۱) و قد ذکر المقریزی فی «الامتاع» ص ۳ جمیع الاقوال المذکورة فی یوم میلاد النبی و شهره و عامه، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۵

(۱) و لقد مضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خلّف من بعده ذریة و قربی و هم الذین یطلق علیهم اهل البیت.

و اهل بیته یقولون: لو کان صحیحا و حقا ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أبونا وجدنا، و قد نشأنا فی بیته و ترعرعنا فی حجره فاننا نقول انه قد ولد یوم کذا و توفی یوم کذا فهل یبقی بعد ذلک مجال لأن نتجاهل قولهم و رأیهم، و نختار ما یقوله الآخرون من الأبعدین، و قدیما قالوا: أهل البیت ادری بما فی البیت؟ «۱».

(۲)

فترة الحمل:

المعروف أن النور النبوی الشریف استقر فی رحم آمنة- الطاهر فی أیام التشریق و هی الیوم الحادی عشر و الثانی عشر و الثالث عشر من شهر ذی الحجة «۲»، و لکن هذا الأمر لا ینسجم مع الرأی المشهور بین عامة المؤرخین من کون ولادة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فی شهر ربیع الأول، اذ فی هذه الصورة یجب ان نعتبر مدة حمل «آمنة» به صلّی اللّه علیه و آله إما ثلاثة أشهر و اما سنة و ثلاثة اشهر، و کلا الأمرین خارجان عن الموازین العادیة فی الحمل، کما أنه لم یعدّه احد من خصائص النبیّ صلّی اللّه علیه و آله «۳».

(۳) و لقد عالج المحقق الکبیر الشهید الثانی (۹۱۱- ۹۶۶ ه) هذا الإشکال بالنحو التالی إذ قال:

إن ذلک مبنیّ علی النسیء الذی کانوا یفعلونه فی الجاهلیة، و قد نهی اللّه تعالی عنه، و قال: «إنّما النسیء زیادة فی الکفر».

و توضیح هذا هو أن أبناء «إسماعیل» کانوا تبعا لاسلافهم یؤدون مناسک الحج فی شهر ذی الحجة، و لکنهم رأوا- فی ما بعد- أن یحجّوا فی کل شهر عامین

---

(۱) و من هنا لا بد من الاعتراف بان ما ینقله و یکتبه الامامیة من تفاصیل تتعلق بحیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هی أقرب من غیرها الی الحقیقة لأنها مأخوذة عن اقربائه و ابنائه علیهم السّلام.

(۲) الکافی: ج ۱ ص ۴۳۹ أبواب التاریخ باب مولد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و وفاته.

(۳) قد ذکر الطریحی فقط فی مجمع البحرین فی مادة شرق قولا بهذا لم یسم قائله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۰۶

یعنی ان یحجوا فی ذی الحجة عامین و فی المحرم عامین و فی صفر عامین و هکذا.

و هذا یعنی أن الحج یعود کل اربعة و عشرین سنة فی موضعه الطبیعی (ای شهر ذی الحجة).

(۱) و قد جری العرب المشرکون علی هذه الطریقة حتی صادفت أیام الحج شهر ذی الحجة فی السنة العاشرة من الهجرة النبویة فحج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلک السنة حجة الوداع، فنهی فی خطبة له عن هذه الفعلة (التی تسمی بالنسیء بمعنی تأخیر الحج عن موضعه و موعده) فقال: «ألا و إنّ الزّمان قد استدار کهیئته یوم خلق السّماوات و الأرض السّنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متوالیات: ذو القعدة و ذو الحجة، و محرّم، و رجب الذی بین جمادی و شعبان» «۱».

و قد أراد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک أن الأشهر الحرم رجعت الی مواضعها، و عاد الحج الی ذی الحجة و بطل النسیء.

و نزل فی هذه المناسبة قول اللّه تعالی: «إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ یُضَلُّ بِهِ الَّذِینَ کَفَرُوا یُحِلُّونَهُ عاماً وَ یُحَرِّمُونَهُ عاماً» «۲».

(۲) من هنا تنتقل أیام التشریق کل سنتین من مواضعها، علی ما عرفت، و حینئذ لا منافاة بین القول بأن نور النبیّ انتقل إلی رحم أمه

«آمنة بنت وهب» فى أيام التشريق، و بين ما اجمع عليه عامة المؤرخين من أنه ولد فى شهر ربيع الأول. و انما تكون المنافاة بين هذين الأمرين إذا كان المراد من أيام التشريق هو اليوم الحادى عشر، و الثانى عشر، و الثالث عشر من شهر ذى الحجة خاصة، و لكن قلنا أن ايام التشريق كانت تنتقل من شهر الى آخر باستمرار، فيلزم أن يكون عام حمل امّه به، و عام ولادته أيام الحج الواقعة فى شهر جمادى الاولى، و حيث أنه صلّى اللّه عليه و آله ولد فى شهر ربيع الأول فتكون مدة حمل «آمنة» به عشرة أشهر تقريبا.

(۱) مجمع البيان: ج ۵ ص ۲۹.

(۲) التوبة: ۳۷.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۲۰۷

(۱)

مؤاخذات و إشكالات على هذا البيان:

إن النتيجة التى توصّل إليها المرحوم «الشهيد الثانى» ليست صحيحة، كما أن المعنى الذى ذكره للنسىء لم يقل به من بين المفسرين إلا مجاهد، و اما الآخرون فقد فسّروه بنحو آخر فلا يكون التفسير الذى مرّ قويا، و ذلك:

(۲) اوّلا: لأن «مكة» كانت مركزا لجميع الاجتماعات كما كانت معبدا للعرب جميعا، و لا يخفى أنّ تغيير الحج فى كل سنتين مرة واحدة من شأنه أن يسبب الالتباس لدى الناس و يوقعهم فى الخطأ و الاشتباه، و بالتالى يتعرّض ذلك الاجتماع العظيم، و تلك العبادة الجماعية الى خطر الزوال.

و لهذا يستبعد ان ترضى قريش و المكيون بان يخضع ما هو وسيلة لعزتهم و افتخارهم للتغيير و التبدل الذى من عواقبه ان يتعرض وقته و موعده للنسيان، فيذهب ذلك الاجتماع، و يزول من الاساس.

(۳) ثانيا: إذا أخضعنا ما قاله «الشهيد الثانى» لمحاسبة دقيقة فان كلامه يستلزم ان تكون ايام التشريق و الحج فى السنة التاسعة من الهجرة واقعة فى شهر ذى القعدة لا جمادى الاولى فى حين أن امير المؤمنين عليّا عليه السّلام كلّف فى هذه السنة بالذات بأن يقرأ سورة البراءة على المشركين فى ايام الحج، و المفسرون و المحدثون متفقون على أنه عليه السّلام تلاها عليهم فى العاشر من شهر ذى الحجة ثم امهلهم اربعة اشهر ابتداء من شهر ذى الحجة لا ذى القعدة «۱».

(۴) ثالثا: ان النسىء يعنى أنّ العرب حيث لم يكن لديهم مصدر صحيح للرزق بل كانوا يعيشون فى الاغلب، على النهب و الغارة لهذا كان من الصعب عليهم ترك الحرب، فى الاشهر الحرم الثلاث (و هى ذو القعدة و ذو الحجة، و المحرم) لهذا ربما طلبوا من سدنة الكعبة بأن يسمحوا لهم بالقتال فى شهر المحرم، ثم يتركون

(۱) و لقد قام العلامة المجلسى فى بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۵۳ بهذه المحاسبة، و ان لم يشر الى الإشكال الذى أوردناه فليراجع.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۲۰۸

الحرب فى شهر صفر، و هذا هو معنى النسىء فلم يكن نسىء و تأخير للشهر الحرام فى غير شهر محرّم، و فى الآية نفسها اشارة الى هذا المطلب: «يحلّونه عاما و يحرّمونه عاما».

و الذى نراه فى حل هذه المشكلة هو: أن العرب كانوا يحجّون فى وقتين: أحدهما شهر ذى الحجة، و الثانى شهر رجب، و قد كانوا يؤدّون كل مناسك الحج فى هذين الوقتين على السواء، فيمكن أن يكون المقصود من حمل «آمنة» برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ايام التشريق هو شهر رجب فإذا اعتبرنا يوم ولادته هو السابع عشر من شهر ربيع الاول كانت مدة حمل «آمنة» به ثمانية أشهر و

اياما.

الاحتفال بذكرى المولد النبوى:

و ينبغى ان يحتفل المسلمون جميعا بمولد النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يقيموا المهرجانات الكبرى فى هذه المناسبة الشريفة التى كانت مبدأ الخير و البركة، و منشأ السعادة و الكرامة للبشرية جمعاء، و أية مناسبة احرى بالاحتفال و الاحتفاء من هذه المناسبة؟

على ان اقامة مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تكريم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو أمر مطلوب و محبوب فى الشريعة المقدسة. فقد قال اللّه تعالى:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۱».

و عزّر بمعنى كرّم و بجّل كما فى اللغة «۲» و هو لا يختص بزمان دون زمان، فعلى المسلمين فى كل وقت و زمان ان يعظّموا شأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يكرّمونه، سواء فى حياته أو بعد مماته، لما له من فضل عظيم على الناس، و لما

(۱) الأعراف: ۱۵۷.

(۲) راجع مفردات الراغب: مادّة عزر.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۰۹

له من منزلة عند اللّه تعالى.

كيف لا و الاحتفال بميلاده لا يعنى سوى ذكر أخلاقه العظيمة، و سجاياه النبيلة، و الاشادة بشرفه و فضله و هى امور مدحه القرآن الكريم بها اذ قال سبحانه: «وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» «۱» و قال تعالى أيضا: «وَ رَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ» «۲» و غير ذلك من الآيات المادحة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فان الاحتفال بميلاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الذى يتحقق بذكر صفاته و أخلاقه و الاشادة به خير مصداق لرفع ذكره، الذى فعله اللّه بنحو ما.

و لو كان رفع ذكر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، أمرا غير جائز و لا صحيح، بل فعلا قبيحا لما فعله اللّه، فيكفى فى حسنه و صحته بل و مشروعيته و مطلوبيته ان اللّه تعالى فعله بالنسبة لنبيه صلّى اللّه عليه و آله.

و هل يكون الاحتفال بمولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و اظهار السرور و الشكر للّه تعالى بمقدم نبيه المبارك عبادة للنبىّ كما يزعم البعض اذ يقول:

«الذكريات التى ملأت البلاد باسم الاولياء هى نوع من العبادة لهم و تعظيمهم» «۳».

و الحال ان العبادة فى مفهومها الاصطلاحى الموجب للشرك و الكفر ليس إلّا الخضوع لمن يعتقد بالوهيته و تعظيمه بهذه النية «۴» و اين هذا من ذكر فضائل النبى فى يوم مولده و الابتهاج بمقدمه و الشكر للّه على ولادته.

ثم ان تعظيم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ينطلق من كونه عبدا مطيعا للّه تعالى، ادى رسالته بصدق و اخلاص، و جسّد بسلوكه و سيرته كل مكارم الاخلاق أصدق تجسيد فالاحتفال بمولده الكريم احتفال بالقيم السامية، و شكر للّه على منّه، و اظهار للحب الكامن فى النفوس ليس إلّا.

و الزعم بانه محرّم لكونه بدعة، او لأنه لا يخلو عن اشتماله على منكرات

(۱) القلم: ۴.

(۲) الانشراح: ۴.

(۳) فتح المجید: ص ۱۵۴، ثمّ نقل عن کتاب قرّة العیون ما یشابه هذا المضمون.

(۴) راجع مفاهیم القرآن فی معالم التوحید: ص ۴۰۴- ۴۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۰

و محرمات کالرقص و الغناء فهو مرفوض، مردود لان الکلام انما هو حول اصل الاحتفال مجردا عن المحرمات و المنکرات.

ان الاحتفاء و الاحتفال بمولد خاتم النبیین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انما هو تکریم لمن کرّمه اللّه تعالی، و امر بتکریمه، و حث علی احترامه و حبه، و مودته، و انه بالتالی اداء شکر للّه تعالی علی تلک الموهبة العظیمة، و تلک العطیّة المبارکة حیث منّ سبحانه علی البشریة عامة و علی المسلمین خاصة بأن شرف الارض بمولود عظیم نعمت الارض ببرکة شخصیته و خلقه، و اشرقت بنور رسالته و دعوته، فایة نعمة تری اولی بالشکر من هذه، و أی شکر اجمل و افضل من الاحتفاء بمولد هذا النبیّ العظیم صلّی اللّه علیه و آله، و ذکر فضائله، و مناقبه، للتعرف علیها، و الاقتداء بها، و تشدید الحب له بسببها، و الابتهال الی اللّه فی یوم میلاده، و طلب التوفیق الالهی لمتابعته، و السیر علی نهجه، و الدفاع عن رسالته، و الذبّ دون دینه، بعد الشکر للّه تعالی علی موهبته هذه؟؟

هذا و لقد درج المسلمون فی العصور الإسلامیة الاولی علی الاحتفال بذکری المولد النبویّ و أنشئوا القصائد الرائعة فی مدحه، و ذکر خصاله و مکارم اخلاقه، و اظهروا السرور بمولده و الشکر للّه تعالی بلطفه، و تفضله به صلّی اللّه علیه و آله علی البشریة.

قال الإمام الدیار بکری فی تاریخ الخمیس فی هذا الصدد:

لا یزال أهل الإسلام یحتفلون بشهر مولده علیه السّلام و یعملون الولائم، و یتصدقون فی لیالیه بانواع الصدقات و یظهرون السرور، و یزیدون فی المبرات و یعتنون بقراءة مولده الکریم، و یظهر علیهم من برکاته کل فضل عمیم «۱».

أجل ینبغی علی المسلمین ان یحتفلوا بمقدم نبیهم الکریم و لا یعبئوا بما قاله البعض حیث قال: «الذکریات التی ملأت البلاد باسم الاولیاء هی نوع من

---

(۱) تاریخ الخمیس فی أحوال أنفس نفیس: ج ۱ ص ۲۲۳ نقلا عن المواهب اللدنیة: ج ۱ ص ۲۷ للقسطلانی. سید المرسلین ج۱ ۲۱۱

الاحتفال بذکری المولد النبوی: ..... ص : ۲۰۸

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۱

العبادة لهم و تعظیمهم» «۱».

فهذا القول مغالطة صریحة، ان لم یکن نابعا عن الغافلة و الجهل بعد ان تبین حقیقة الاحتفال و اقامة الذکریات احتفاء بالمولد النبویّ «۲».

(۱)

مراسم تسمیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

حلّ الیوم السابع من المیلاد المبارک، فعقّ عبد المطلب عن النبیّ بکبش شکرا للّه تعالی و دعا جماعة لیشترکوا فی الاحتفال الذی حضره عامة قریش لتسمیة النبیّ، و سمّاه «محمّدا»، و عند ما سألوه عما حمله علی أن یسمی هذا الولید المبارک «محمّدا» و هو اسم لم یعرفه العرب إلا نادرا أجاب قائلا: أردت أن یحمد فی السماء و الأرض «۳».

و الی ذلک یشیر حسان بن ثابت بقوله:

فشقّ له من اسـمه ليجلّه‌فذو العرش محمود و هذا محمّد «۴» و من المسلّم أن هذا الاختيار لم يكن ليتم من دون دخالة للإلهام الالهى، لأن اسم «محمّد» و إن كان موجودا عند العرب إلّا أنه قلّ من كان قد تسـمى بهذا الاسم، فحسب ما استقصاه بعض المؤرخين لم يتسم به الى ذلك اليوم من العرب إلّا ستة عشر شخصا كما يقول شاعرهم:

إن الذين سموا باسم محمدمن قبل خير الخلق ضعف ثمان «۵» و لا يخفى أن ندرة المصاديق لأى لفظ من الالفاظ أو اسم من الأسماء من شأنهـا أن تقلّل فرص الاشـتباه فيه، و حيث أن الكتب السـماوية كـانت قـد أخبرت عن اسم النـبى الخـاتم صـلّى اللّه عليه و آله و صفاته، و علائمه الروحية و الجسمية، لذلك يجب أن تكون علائمه صلّى اللّه عليه و آله واضحة جدا جدا

---

(۱) هوامش الفتح المجيد.

(۲) راجع للتوسّع: معالم التوحيد فى القرآن الكريم.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۲۰، و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۷۸ و ۷۹.

(۵) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۸۲ ثمّ يذكر صاحب السيرة اولئك الأشخاص فى بيتين آخرين.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۲

حتى لا يتطرق إليها التباس أو اشـتباه، و قد كان من علائمه صـلّى اللّه عليه و آله اسـمه الشريف، فيجب أن تكون مصاديقها قليلة جدا حتى يزيـل ذلك أى عروض للشك و الترديـد فى تشـخيص النبىّ الاكرم صـلّى اللّه عليه و آله خاصـة إذا ضـمّت إليه بقيـة أوصافه و علائمه، و خصوصياته.

(۱)

خطأ المستشرقين:

لقد ذكر القرآن الكريم اسمين او عدة أسماء للنبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله.

ففى سورة آل عمران و محمّد و الأحزاب و الفتح فى الآيات ۱۴۴ و ۲ و ۴۰ و ۲۹ «۱» سماه «محمّدا» «۲».

و فى سورة الصف الآية ۶ «۳» دعاه «أحمد».

و العلة فى تسميته بهذين الاسمين أن امّه «آمنة» سمّته «أحمدا» قبل أن يسميه جده، كما هو مذكور فى التاريخ.

و على هذا فان ما ذكره بعض المستشـرقين- فى معرض الاعتراض- بأن الإنجيل- حسب تصريح القرآن الكريم فى سورة الصف الآية ۶- بشّر بنبى اسـمه «أحمـد» لا «محمّـد» كلام لا اساس له و لا مبرر، لأن القرآن الكريم الـذى سـمى نبيّنا ب: «أحمـد» سـماه فى عدة مواضع ب: «محمّد» فإذا كان المصدر فى تعيين اسم النبى هو: القرآن الكريم، فان القرآن سمّاه بكلا الاسمين، فى موضع باسم

---

(۱) يعتقد البعض أنّ هذا ليس اسما للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله بل هو من الحروف المقطعة فى القرآن.

(۲) قال تعالى: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ».

و قال تعالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ آمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ».

و قال سبحانه: «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ».

و قال عزّ و جلّ: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ».

(۳) اذ قال سبحانه: «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ».

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۳

«محمّد»، و فى موضع آخر باسم «احمد».

(۱)

«أحمد» كان من أسماء النبىّ المشهورة:

كلّ من كان له ادنى إلمام بتاريخ النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علم أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يدعى باسمين فى الناس منذ صغره أحدهما:

«محمّد» الذى سمّاه به جده «عبد المطلب»، و الآخر «أحمد» الذى سمته به أمه «آمنهٔ».

و هذه حقيقهٔ من حقائق التاريخ الإسلامى، و قد روى المؤرخون هذا الأمر، و يمكن للقارئ الكريم أن يقرأه فى السيرة الحلبيهٔ «۱».

و لقد أنشأ عمّه «أبو طالب»- الذى انيطت إليه كفالته بعد وفاة عبد المطلب، فبقى يقوم بهذه المهمهٔ طوال اثنين و أربعين عاما بكل حرص و رغبهٔ، و لم يمتنع فى هذا السبيل عن بذل كل ما استطاع من غال و رخيص أنشأ فى ابن أخيه أبياتا سمّاه فى بعضها «محمّد» و فى بعضها الآخر «أحمد»، و هذا يكشف عن انه صلّى اللّه عليه و آله كان معروفا آنذاك بكلا الاسمين.

(۲) و إليك فيما يأتى بعض هذه الأبيات التى سمى فيها «أبو طالب» النبى باسم احمد:

-۱

إن يكن ما أتى به أحمد اليومسناء و كان فى الحشر دينا ۲-

و قوله لأحمد أنت امرؤخلوف الحديث ضعيف النسب ۳-

و إن كان أحمد قد جاءهمبحق و لم يأتهم بالكذب ۴-

أرادوا قتل أحمد ظالموهو ليس بقتلهم فيهم زعيم ۵-

ألا إنّ خير الناس نفسا و والداإذا عدّ سادات البريهٔ أحمد ۶-

فلسنا و بيت اللّه نسلم أحمدالعزّاء من عض الزمان و لا كرب «۲» و قد سمى «أبو طالب» النبى صلّى اللّه عليه و آله فى أبيات اخرى بأحمد

---

(۱) السيرة الحلبيهٔ: ج ۱ ص ۸۲ و ۸۳.

(۲) ديوان أبى طالب عليه السّلام.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۱۴

أيضا قد ذكرها كبار المحققين من المؤرخين و المحدثين و نسبوها الى أبى طالب و لكنها غير موجودهٔ فى ديوانه «۱».

كما و أنه قد سمّاه غير ابى طالب فى أبياته بأحمد ممّا يدل على أنه كان مشتهرا بهذا الاسم فى ذلك الزمان، و تلك الابيات كثيرهٔ تفوق حدّ الحصر و الاحصاء لكنّنا ننقل نماذج منها هنا:

قال حسان بن ثابت فى رثائه للنبى صلّى اللّه عليه و آله:

مفجعهٔ قد شفّها فقد أحمدفظلّت لآلاء الرسول تعدّد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدهاعلى طلل القبر الذى فيه أحمد «۲» و قال فى رثائه أيضا:

صلّى الا له و من يحيق بعرشهو الطّيبون على المبارك احمد «۳» و قال فى رثاء جعفر بن أبى طالب الطيّار:

فمن كان أو يكون كأحمدنظام الحق او نكال لملحد «۴»

و قال حسّان و هو یذکر معجزة من معاجز النبی صلّی اللّه علیه و آله:

ففی کفّ أحمد قد سبّحت‌عیون من الماء یوم الظمأ «۵» و قال کعب بن مالک:

فهذا نبیّ اللّه أحمد سبّحت‌صغار الحصی فی کفّه بالترنّم «۶» و قال «ورقة بن نوفل» یوم أخبرته خدیجة بنزول الوحی علی النبی صلّی اللّه علیه و آله:

---

(۱) مثل قوله:

لعمری لقد کلفت وجدا بأحمدو أحببته حب الحبیب المواصل

زعمت قریش أن أحمد ساحرکذبت و ربّ الراقصات إلی الحرم راجع دیوان أبی طالب، و سیرة ابن هشام: ج ۱ ص ۲۷۲، و شرح النهج لابن ابی الحدید: ج ۱۴ ص ۷۹ و غیرها.

(۲) ابن هشام فی سیرته: ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۶، و ابن سعد فی طبقاته: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۳) ابن هشام فی سیرته: ج ۲ ص ۶۶۷ و ۶۶۶، و ابن سعد فی طبقاته: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۴) شاعر عهد الرسالة: تحقیق محمّد عزت نصر اللّه.

(۵) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴۱۳ و ۴۱۵.

(۶) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴۱۳ و ۴۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۵ فإن یک حقا یا خدیجة فاعلمی‌حدیثک إیانا فاحمد مرسل «۱» و قالت عاتکة بنت عبد المطلب ترثی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

یا عین جودی ما بقیت بعبرةسحّا علی خیر البریة أحمد «۲» و قال العباس فی مناسبة تزویج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بخدیجة:

أحمد سیّد الوری‌خیر ماش و راکب «۳»

(۱)

فترة الرّضاع فی حیاة النبی صلّی اللّه علیه و آله:

لم یرتضع ولید قریش المبارک «محمّد» من امّه سوی ثلاثة أیام، ثم حظیت بفخر إرضاعه- بعد ذلک- امرأتان هما:

(۲) ۱- «ثویبة» مولاة «أبی لهب»، و قد أرضعته أربعة أشهر فقط، و کان النبی صلّی اللّه علیه و آله و زوجته الوفیة: «خدیجة بنت خویلد» یقدّران هذا العمل لها حتی آخر لحظات حیاتها «۴».

و «ثویبة» هذه کانت قد أرضعت قبل ذلک «حمزة» عم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و «أبا سلمة بن عبد اللّه المخزومی» أیضا فکانوا إخوة من الرضاعة «۵».

و قد بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد مبعثه، من یشتریها من «أبی لهب» لیعتقها فابی «۶».

و کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یکرمها کلما دخلت علیه، و کان یبعث إلیها بالصّلة إلی أن بلغه خبر وفاتها عند منصرفه من وقعة «خیبر» فسأل عن ابنها فقیل: مات قبلها، فسأل عن قرابتها، فقیل: لم یبق منهم أحد «۷».

(۳) ۲- «حلیمة السعدیة» بنت ابی ذؤیب التی کانت من قبیلة سعد بن بکر بن هوازن، و کان أولادها عبارة عن: «عبد اللّه»، «أنیسة»، «شیماء»، و قد

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۵.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۳۲۶.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۷۲.

(۴) تاریخ الخمیس فی احوال انفس نفیس: ج ۱ ص ۲۲۲.

(۵) السیرة النبویة: ج ۳ ص ۹۶.

(۶) الكامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۲۷۱.

(۷) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۲۲- ۲۲۵ نقلا عن سیرة مغلطای و غیره.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۶

قامت آخر أولادها و هی «الشیماء» بحضانة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا:

و قد كان من عادة العرب یومذاك هو أن یدفعوا أولادهم الرضعاء إلی المراضع اللائی كنّ یعشن فی البوادی لینشئوا فی تلك البیئات المعروفة بطیب هوائها، و قلة رطوبتها، و عذوبة مائها ببنیة قویة، هذا مضافا إلی صیانتهم عن خطر الوباء الذی كان یهدد الأطفال فی «مكة»، و لأن ذلك كان له مدخل عظیم، و تأثیر بلیغ فی فصاحة المولود لسلامة لغة أهل القبائل الساكنة فی البوادی آنذاك.

(۱) و كانت مراضع بنی سعد من المشهورات بهذا الأمر بین العرب، فقد كانت نساء هذه القبیلة التی كانت تسكن حوالی «مكة» و نواحی الحرم یأتین «مكة» فی كل عام فی موسم خاص یلتمسن الرضعاء و یذهبن بهم إلی بلادهنّ حتی تتم الرضاعة.

و كان النبی صلّی اللّه علیه و آله قد تجاوز شهره الرابع لما قدمت نساء من بنی سعد «مكة» یلتمسن الرضعاء فی سنة جدب و قحط، و لهذا كنّ بحاجة شدیدة إلی مساعدة أشراف «مكة» و اعیانها.

(۲) و یقول بعض المؤرخین: أنه لم تقبل أیّة واحدة من تلك المراضع أن تأخذ «محمّدا» بسبب یتمه، و قد كان اغلبهن یردن أن تأخذن من یكون له أب حیّ حتی یغدق علیهنّ بالمساعدات و الصّلات، و حتی «حلیمة» هی الاخری أبت أخذه، و لكنّها أیضا لم تحصل علی طفل لهزال جسمها، فاضطرت الی أن تأخذ حفید «عبد المطلب» و قالت لزوجها: و اللّه لأذهبنّ الی ذلك الیتیم فلآخذنّه، فقال لها زوجها: لا علیك ان تفعلی، عسی اللّه ان یجعل لنا فیه بركة.

و لقد اصاب الزوجان فی ظنّهما هذا، فمنذ أن أبدت «حلیمة» استعدادها لخدمة ذلك الیتیم شملت الالطاف الالهیة كل مجالات حیاتها. «۱»

(۳) إن القسم الأول من هذه القصة لیس سوی اسطورة، لأن مكانة البیت

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۲ و ۱۶۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۷

الهاشمی الرفیعة، و شخصیة رجل عرف بكمال الجود و الاحسان، و بعون المحتاجین و المحرومین كانت سببا فی أن لا تعرض المرضعات عن اخذ «محمّد» فحسب، بل یتنازعن علی اخذه و لهذا لا یكون هذا القسم من التاریخ سوی اسطورة تكذبها الحقائق.

و اما علة عدم اعطاءه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الی غیر «حلیمة» من المرضعات فهی: أن ولید قریش لم یقبل أیّ ثدی من أثداء تلكم المرضعات، و لم یزل كذلك حتی قبل ثدی «حلیمة السعدیة»، فسرّ بذلك «عبد المطلب» و أهله سرورا عظیما، بعد أن حزنهم امتناعه عنهنّ قبل ذلك «۱».

قالت «حلیمة»: استقبلنی عبد المطلب فقال: من أنت، فقلت: أنا امرأة من بنی سعد، قال: ما اسمك؟ قلت: حلیمة، فتبسّم «عبد المطلب» و قال: بخ بخ سعد و حلم، خصلتان فیهما خیر الدهر، و عز الأبد «۲».

نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع:

و هنا ینبغی بالمناسبة أن نشیر الی نظرة الإسلام فی تأثیر الرضاع فی شخصیّة الإنسان.

فقد سبق الإسلام العلم الحدیث فی الکشف عن آثار اللبن فی تکوین الإنسان الخلقی و النفسیّ و العضوی سلبا و إیجابا.

و لهذا حثّ الإسلام علی استرضاع الام، کما حث علی اختیار المرضعات الصالحات و نهی عن استرضاع الیهودیة و المجوسیة و النصرانیة و المجنونة منعا من انتقال طباعهن إلی الطفل عن طریق الولید.

و استکمالا لهذا البحث نورد جملة من الأحادیث التی تصرح بهذه الحقیقة العلمیة الهامة:

۱- قال امیر المؤمنین علی علیه السّلام:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۴۲ و ۳۴۳.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۸۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۸

«تخیّروا للرضاع کما تخیّرون للنّکاح فان الرّضاع یغیّر الطباع» «۱».

۲- و عنه علیه السّلام أیضا:

«انظروا من یرضع أولادکم فإن الولد یشبّ علیه» «۲».

۳- عن الإمام ابی جعفر الباقر علیه السّلام انه قال:

«لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن یعدی، و إن الغلام ینزع إلی اللبن ...» «۳».

۴- و عنه علیه السّلام أیضا:

«استرضع لولدک بلبن الحسان و إیّاک و القباح فإنّ اللبن قد یعدی» «۴».

۵- و عن علی علیه السّلام انه قال:

«ما من لبن یرضع به الصبیّ أعظم برکة علیه من لبن امّه» «۵».

---

(۱) قرب الأسناد: ص ۴۵.

(۲) فروع الکافی: ج ۲ ص ۹۳.

(۳) وسائل الشیعة: ج ۱۵ ص ۱۸۸.

(۴) التهذیب: ج ۲ ص ۲۸۰.

(۵) روضة المتّقین: ج ۸ ص ۵۵۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۱۹

(۱)

۶ فترة الطفولة فی حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله

اشارة

إن صفحات التاريخ تشهد بأن حياة رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بداية طفولته و أوان صباه و إلى يوم بعثه بالرسالة كانت مشحونة بسلسلة من الحوادث العجيبة التى تعدّ بأجمعها من كراماته صلّى اللّه عليه و آله و تدل على أن حياة النبىّ لم تكن حياة عادية.

(۲) و ينقسم المؤلفون فى تفسير هذه الحوادث الى طائفتين:

(۳)

۱- الماديّون، و جماعة من المستشرقين:

فان العلماء الماديين الذين يحصرون الوجود فى نطاق المادة، و يعتبرون جميع الظواهر ظواهر مادية، و ينحتون لكل واحدة منها علة طبيعية، لا يهتمون بهذه الحوادث و لا يعيرونها أية أهمية، لامتناع و استحالة وقوع أمثال هذه الظواهر حسب النظرة المادية، و لهذا فكل ما يصادفونه فى ثنايا التاريخ من هذا الباب يعتبرونه من ولائد الخيال، و ممّا نسجته اوهام التابعين لذلك الدين، او الطريقة.

و قد تبعهم فى هذا الموقف جماعة من المستشرقين فرغم انهم يعتبرون انفسهم- حسب الظاهر- فى عداد الموحّدين، و المؤمنين باللّه، و بما بعد الطبيعة من عوالم الغيب، إلّا أنهم- لضعف إيمانهم و بسبب غرورهم العلمى، و غلبة النزعة المادية على أفكارهم و أذهانهم- اتبعوا- لدى تحليلهم لهذه الحوادث- المنهج المادىّ، فنحن

سيد المرسلين ،ج ۱،ص: ۲۲۰

نقرأ فى كتاباتهم مرارا و تكرارا زعمهم بان النبوة ما هى إلّا نبوغ بشرىّ، و أن النبىّ مجرد نابغة اجتماعية استطاع تغيير مسار الحياة البشرية بافكاره النيّرة!!

(۱) و لا شك أن مثل هذا التصوّر ينبع من طريقة التفكير المادى الذى يعتبر جميع الأديان من ولائد الفكر البشرى و افرازات الذهن الانسانى، فى حين ان علماء العقيدة اثبتوا فى: مباحث «النبوّة العامة» انّ النبوة عطية إلهية، و موهبة ربّانية هى فى الحقيقة منشأ جميع الالهامات و الارتباطات المعنوية، و مصدر لمناهج الأنبياء و برامجهم، ليست أبدا وليدة نبوغهم الإنسانى، و لا نسيجة فكرهم البشرى، و ليس لها مصدر إلّا الإلهام من الغيب، و لكن عند ما ينظر المستشرق المسيحى الى هذه القضايا من زاوية الفكر المادى و يريد تفسير جميع هذه الظواهر بالاسس العلمية التى كشف عنها التجربة ينتقد مثل هذه الحوادث ذات الطابع الاعجازى، و ربما انكرها من الاساس.

(۲) ۲- المؤمنون باللّه: الذين يعتقدون بأن العالم المادى بجميع خصوصياته و خواصه يخضع لتدبير عالم آخر، و أن ذلك العالم (اى عالم التجرد و ما وراء الطبيعة) هو المنظم لهذه الطبيعة، و هو المدبر لهذا الكون المادى.

و بعبارة اخرى إن عالم المادة ليس عالما مسيّبا، مستقلا عن غيره، و ان جميع الانظمة و القوانين الطبيعية و العلمية مسبّبة عن تأثيرات موجودات عليا، و بخاصة ناشئة عن إرادة اللّه الخالق، الذى اعطى للمادة وجودها، و أوجد القوانين و العلاقات الصحيحة بين أجزائها، و بنى بقاءها على سلسلة من النواميس الطبيعية.

إنّ هذا الفريق من الناس مع احترامهم للقوانين العلمية، و اذعانهم الصادق بما قاله العلماء فى صعيد العلاقات، و الروابط القائمة بين القوانين ممّا أثبته العلم و أكّده، يعتقدون بأن مثل هذه القوانين الطبيعية ليست امورا لا تقبل التغيير، و التبدل.

فهم يعتقدون بأن العالم الاعلى يمكنه- إذا أراد- أن يغيّر تلك القوانين لغايات خاصة، و ليس فى مقدوره ذلك فقط، بل فعل ذلك فى جملة من الموارد

سيد المرسلين ،ج ۱،ص: ۲۲۱

لأهداف عليا.

(۱) و بعبارهٔ اخرى: إنّ الافعال الخارقـهٔ للعادهٔ ليست ظواهر عاريـهٔ عن العلل، بل إنّ علتها غير طبيعيّـهٔ، و افتقاد العلهٔ الطبيعيهٔ (و خاصـهٔ العلهٔ الطبيعيهٔ غير المعروفهٔ) ليس دليلا على افتقاد مطلق العلهٔ.

و الخلاصهٔ؛ إن قوانين الخلقهٔ ليست بحيث لا يمكن تبدّلها، و تغيّرها بارادهٔ بارئها و خالقها.

إنهم يقولون: إنّ جميع خوارق العادهٔ، و جميع أفعال الأنبياء العجيبهٔ التى تتصف بصـفهٔ الاعجاز، و الخارجهٔ عن اطار القوانين الطبيعيهٔ، تتحقق من هذه الزاويهٔ.

إنّ هـذا الفريق من الناس لا يسـمحون لأنفسـهم بان يرفضوا الأعمال الخارقهٔ للعادهٔ، و الكرامات التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم، و الأحاديث، أو وردت فى المصادر التاريخيهٔ الصحيحهٔ المعتبرهٔ، أو يشكّوا فيها بحجهٔ أنها لا توافق الموازين الطبيعيهٔ، و القوانين العلميهٔ.

(۲) و ها نحن نشـير إلى قضـيتين عجيبتين وقعتا فى فترهٔ الطفولهٔ من حياهٔ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و مع اخذ ما قلناه بنظر الاعتبار لا يبقى أى مجال للترديد، أو الاستبعاد:

(۳) ۱- لقد نقل المؤرخون عن «حليمهٔ السعديهٔ» قولها بأنها لمّا تكفّلت إرضاع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أرادت أن ترضعه فى محضر امّها، ففتحت جيبها و أخرجت ثديها الايسر، و أخذت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فوضـعته فى حجرها، و وضـعت ثديها فى فمه، فترك النبى صـلّى اللّه عليه و آله ثـديها، و مال إلى ثـديها الأيمن، فاخـذت «حليمهٔ» ثديها الأيمن من يد النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وضـعت ثـديها الأيسر فى فمه و ذلك أنّ ثديها الأيمن كان جهاما (أى خاليا من اللبن و لم يكن يدرّ به)، و خافت «حليمهٔ» أن النبى صـلّى اللّه عليه و آله اذا مصّ الثـدى و لم يجد فيه شـيئا لا يأخذ- بعده- الأيسر. و لكن النبىّ أصـرّ على أخذ الثدى الأيمن، فلمّا مصّ صلّى اللّه عليه و آله الأيمن امتلأ فانفتح حتى ملأ شدقيه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۲

فادهش الجميع ذلك «۱».

(۱) ۲- و تقول «حليمهٔ» أيضا: إن البوادى أجدبت و حملنا الجهد على دخول البلد، فدخلت مكهٔ مع نساء بنى سعد فأخذت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعرفنا به البركهٔ و الزيادهٔ فى معاشنا و رياشنا حتى أثرينا، و كثرت مواشينا، و أموالنا «۲».

إنّ من المسلم أنّ حكم الماديين، او من يحذو حذوهم و يتبع منهجهم فى هذه المسائل يختلف عن حكم المؤمنين باللّه.

فان أتباع المنهج المادى اذ عجزوا عن تفسير هذا النوع من القضايا من زاويهٔ العلوم الطبيعيهٔ، نجدهم يبادرون الى اعتبار هذه الحوادث من نسج الخيال، و من ولائد الاوهام، و اما اذا كانوا اكثر تأدبا لقالوا: إن رسول الإسلام ليس بحاجهٔ إلى أمثال هذه المعاجز.

و نحن نقول: لا نقاش فى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله غنى عن هذه المعاجز إلّا أن عدم الحاجهٔ شىء، و الحكم بصحهٔ هذه الامور او بطلانها شىء آخر.

و أما المؤمن باللّه الـذى يردّ النظام الطبيعى، إلى مشـيئهٔ اللّه خالق الكون و ارادته العليا، و يعتقد بأن كل الحركات و الظواهر فى العالم الطبيعى مـن اصـغر اجزائه (الـذرهٔ) الى اكـبر موجـوداته (المجرهٔ) يجرى تحت تـدبيره، و نظـارته، فـانه بعـد التحقق من مصـادر هـذه الحوادث و التأكد من وقوعها ينظر إليها بنظر الاحترام، و أمّا إذا لم يطمئن إليها لم يرفضها رفضا قاطعا.

(۲) و لقـد ورد فى القرآن الكريم نظائر عديـدهٔ لهذه القصهٔ حول «مريم» أمّ عيسـى فالقرآن يخبرنا عن تساقط الرطب الجنىّ من جذع النخلهٔ اليابسهٔ كرامهٔ لوالدهٔ المسيح عند ما لجأت إليه مريم عند المخاض إذ يقول:

«... أَلَّا تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا. وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَهِٔ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا» «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۳۴۵ و ۳۴۶.

(۲) المناقب لابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۲۴.

(۳) مریم: ۲۴ و ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۳

إنه و ان کان الفرق بین «مریم» و «حلیمة» شاسعا و کبیرا من حیث الملکات الفاضلة و المکانة، و المنزلة، إلّا أن منزلة «مریم» علیها السّلام لو استوجبت مثل هذا اللطف الالهی، ففی المقام استوجب نفس مقام الولید العظیم، و مکانته عند اللّه تعالی أن تشمله العنایة الالهیة.

کما انه قد جاء فی القرآن الکریم حول مریم علیها السّلام امور اخری مشابهة.

ان عصمة هذه المرأة الطاهرة، و تقاها و طهرها البالغ کانت بحیث أن «زکریا» کلّما دخل علیها المحراب وجد عندها رزقا، فاذا سألها: من أین لک هذا قالت: هو من عند اللّه؟ «۱».

و علی هذا الأساس یجب أن لا نتردّد و لا نسمح لانفسنا بأن نشک فی مثل هذه الکرامات، أو نستبعدها.

(۱)

خمسة أعوام فی الصحراء:

أمضی ولید «عبد المطلب» فی قبیلة «بنی سعد» مدة خمسة أعوام، بلغ فیها أشده.

و خلال هذه المدة اخذته «حلیمة» إلی امّه مرتین أو ثلاث، و قد سلّمته إلی أمه فی آخر مرة.

و کانت المرّة الاولی من تلک المرات عند فطامه، و لهذا السبب أتت به صلّی اللّه علیه و آله «حلیمة» الی مکة و لکنها عادت به إلی الصحراء باصرار منها، و کان السبب وراء هذا الاصرار علی اصطحابها معها إلی البادیة هو أن هذا الولید قد أصبح مبعث خیر و رخاء، و برکة فی منطقتها، و قد دفع شیوع مرض الوباء فی «مکة» إلی ان تقبل امّه الکریمة بهذا الطلب «۲».

(۲) و أما المرة الثانیة من تلک المرات فکانت عند ما قدم جماعة من نصاری

---

(۱) «... وَ کَفَّلَها زَکَرِیَّا کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا، الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ یا مَرْیَمُ أَنَّی لَکِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». (آل عمران: ۳۷).

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۴۰۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۴

الحبشة الی الحجاز، فوقع نظرهم علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی «بنی سعد»، و وجدوا فیه جمیع العلائم المذکورة فی الکتب السماویة للنبی الذی سیأتی بعد عیسی المسیح علیه السّلام، و لهذا عزموا علی أخذه غیلة الی بلادهم لما عرفوا ان له شأنا عظیما، لینالوا شرف احتضانه و یذهبوا بفخره «۱».

(۱) و لا مجال لاستبعاد هذه القضیة لأن علائم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذکرت فی الانجیل حسب تصریح القرآن الکریم، فلا یبعد أن علماء النصاری قد تعرّفوا فی ذلک الوقت علی النبیّ من العلائم التی قرءوها و درسوها فی کتبهم.

یقول القرآن الکریم فی هذا المجال:

«وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَیِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِینٌ» «۲».

ثمّ انّ فی هذا الصعید آیات أخر صرّحت بجلاء بأن علائم رسول الإسلام فی الکتب السماویة الماضیة فی وضوح، و من غیر إبهام، و أن الامم السابقة کانت علی علم بهذا الأمر «۳».

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۶۷.

(۲) الصف: ۶.

(۳) «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ».

(الأعراف: ۱۵۷).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۵

(۱)

۷ العودة إلى أحضان العائلة

اشارة

لقـد خلقت يد القدرة الالهية كل فرد من أفراد النوع الانسانى لأمر معين، فهناك من خلق لاكتساب العلم و المعرفة، و هناك من خلق للاختراع و الاكتشاف، و ثالث خلق للسعى و العمل، و بعض للتدبير و السياسة و فريق للتدريس و التربية و هكذا.

و إن المربّين المخلصـين الـذين يهمّهم تقـدم الأفراد أو رقىّ مجتمعهم لا يعمـدون إلى نصب أحـد فى عمل من الاعمال و لا يعهدون إليه مسئولية من المسـئوليات إلّا بعـد اختبار سـليقته و مواهبه، بغيـة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب، اذ فى غير هـذه الحالة يتعرّض المجتمع لضـررين كبيرين: احـدهما: أن لاـ يوكـل إلى الفرد ما يسـتطيع القيام به، و الثانى: ان يبقى العمل الـذى قام به ناقصا، مبتورا.

(۲) و قد قيل فى المثل: لكل انسان موهبة، و السعيد هو من اكتشف تلكم المواهب، و اصابها.

و قـد ذكروا أن اسـتاذا كان ينصـح تلميـذا له كسولا، و يعدّد له مضارّ الكسل و التوانى، و يصف له حال من ترك الاشـتغال بالعلم، و ضيّع ربيع حياته فى البطالة و الغافلة.

و بينما الاستاذ ينصح تلميذه- و هو يسمع مواعظ استاذه- رأى تلميذه يرسم

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۶

بقطعة من الجص صورة على المنضدة، فادرك من فوره أن هذا الصبىّ لم يخلق للدرس و تحصـيل العلم، بل خلقته يد القدرة للرسم، فطلب منه أن يصـطحب أباه الى المدرسة فى اليوم القادم، ثم قال لوالد الصبىّ: إذا كان ولدك هذا كسولا فى التعلم، و التحصـيل فانه يمتلك ذوقا رفيعا فى الرسم، و رغبة كبيرة فى التصوير.

و قبل الوالـد نصـيحة المعلّم هذه و لم يمض زمان طويل إلّا و برع الصبى و غدى قمة فى هذا الفن، بعد أن تابع هوايته بشـغف و أكثر من ممارستها.

(۱) إن فترة الطفولـة و الصبا فى حيـاة الأشـخاص خير فرصـة لأوليـاء الأطفـال بـأن يختبروا مواهب أبنـائهم، و يتعرفوا عليها من خلال تصـرفاتهم، و أفكـارهم و ردودهم، لأـن حركـات الطفـل و أقواله الجميلـة و الحلوة خير مرآة لمـا ينطوى عليه من مواهب و قابليات و صفات لو توفّرت لها ظروف التربية الصحيحة لأمكن الاستفادة منها على أفضل صورة، و أحسن وجه.

إن مطالعة فاحصة لحياة النبىّ الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و أقواله و أفعاله الى وقت البعثة المباركة توقفنا على صورة كاملة لشخصيته صلّى اللّه عليه و آله و توضح لنا أهدافه العليا، على أن مطالعة صـفحات الطفولة فى حياته صـلّى اللّه عليه و آله فقط لا تكشف لنا عن مستقبله المشرق، بل ان دراسة الصورة الاجمالية لحياته و تاريخه إلى يوم مبعثه الشريف، و إعلانه عن نبوّته و قيادته للمجتمع، تخبرنا

عن ذلك المستقبل العظيم، و بالتالى عن هـذه الحقيقـة و هى أن هذه الشخصـية خلقت لأىّ عمل، و أن ادّعاء الرسالة و القيادة له هل ينسجم مع سوابقه التاريخية أم لا؟؟

هل تؤيّد تفاصيل حياته خلال أربعين سنة قبل الرسالة، و هل تؤيّد أفعاله و اقواله، و بالتالى: سلوكه مع الناس و معاشرته الطويلة مع الآخرين رسالته أم لا؟؟

(۲) من هنا نعمد الى عرض بعض الصفحات من حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أيامها و سنواتها الاولى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۷

لقد حافظت مرضعة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عليه خمس سنوات، و قامت فى هذه المدة برعاية شئونه خير قيام، و بالغت فى كفالته و العناية به، و فى خلال هـذه المـدة تعلّم النبى لغة العرب على احسن ما يكون، حتى انه صلّى اللّه عليه و آله كان يفتخر بذلك فى ما بعد اذ كان يقول:

أنا أعربكم (اى أفصحكم) ... و ارضعت فى بنى سعد» «۱».

ثم ان «حليمة» جاءت به إلى «مكة»، و بقى عند امّه الحنون ردحا من الزمن، و فى كفالة جده العظيم: «عبد المطلب» ردحا آخر منه، و كان هو السلوة الوحيدة لاقاربه و البقية الباقية من أبيه: «عبد اللّه» «۲».

(۱)

سفرة إلى يثرب:

منـذ أن فقـدت كنّـة «عبـد المطلب» و عروس ابنها: «آمنة» زوجها الشاب الكريم: «عبد اللّه» باتت ترقب الفرص لتذهب إلى «يثرب» و تزور قبر زوجها الحبيب الفقيد عن كثب، و تزور اقاربها فى يثرب فى نفس الوقت.

و ذات مرة فكّرت بأن تلك الفرصة قد سنحت، و أن ولدها «محمّدا» قد كبر، و يمكنه أن يشاركها فى حزنها، فتهيأت هى و أمّ ايمن للسفر، و اتجهت نحو يثرب برفقة «محمّد»، و لبثت هناك شهرا.

و لقـد انطوت (و بالاحرى حملت) هـذه السـفرة على بعض الآلام الروحيـة لوليـد قريش «محمّـد» لأنه صلّى اللّه عليه و آله راى فيها و لأوّل مرة البيت الذى توفى فيه والده العزيز، و دفن «۳» و كانت والدته قد حدّثته بامور عن والده إلى ذلك الحين.

و كانت لا تزال سحابة الحزن تخيّم على روحه الشريفة إذ فوجئ بحادثة مقرحة اخرى، و غشيه موج آخر من الحزن لأنه عند عودته من مكة فقد امّه

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۸۹.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۶۷.

(۳) كان البيت الذى يضمّ قبر «عبد اللّه» عليه السّلام لا يزال موجودا حتى قبيل توسعة الدائرة حول المسجد النبوى الطاهر، و لكنه ازيل بحجّة إيجاد تلك التوسعة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۲۸

العزيزة فى اثناء الطريق فى منطقه تدعى ب «الابواء» «۱».

(۱) إن هذه الحادثة قد عزّزت مكانة الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله فى عشيرته اكثر فأكثر، و جعلته يتمتع بمحبّة أزيد منهم، فهو الزهرة الوحيدة من تلك الجنينة المباركة، كما انه صار منذ ذلك الحين يتمتع بعناية أكبر من قبل جده «عبد المطلب» و لهذا كان يحبّه اكثر من أبنائه، بل و يؤثره عليهم جميعا.

و من ذلک أنه کان یمدّ فی فناء الکعبة المعظمة بساط لزعیم قریش «عبد المطلب» فیجلس هو علیه و یتحلّق حوله وجوه قریش و سادتها و أولاده فإذا وقعت عیناه علی بقیة عبد اللّه «محمّد» أمر بأن یفرّج له حتی یتقدم نحوه ثم یجلسه الی جنبه علی ذلک البساط المخصوص به «۲».

(۲) ان القرآن الکریم یذکّر النبی صلّی اللّه علیه و آله بفترة یتمه و یقول: «أ لم یجدک یتیما فآوی».

إن الحکمة وراء یتم ولید قریش لیست واضحة لنا تمام الوضوح، و لکننا نعلم إجمالا ـ بأن سیل هذه الحوادث المؤلمة احیانا، و المزعجة احیانا اخری لم یک خالیا عن حکمة معقولة و مصلحة رشیدة، بید أننا مع کل هذا یمکن لنا الحدس بأن اللّه تعالی أراد أن یذوق قائد العالم البشری و معلمه، و إمام الانسانیة و هادیها – و قبل ان یتسلم مهامه، و یزاول مسئولیاته العظمی و یبدأ قیادته – حلو الحیاة و مرّها، و یجرّب سراء العیش و ضرّاءه، حتی تتهیّأ لدیه تلک الروح الکبری الصبورة الصامدة، و یدّخر من تلک الحوادث الصعبة تجارب و دروسا، و یعدّ نفسه لمواجهة مسلسل الشدائد و المصاعب، و المشاق و المتاعب التی کانت تنتظره فی المستقبل.

(۳) و ربما أراد اللّه تعالی أن لا تکون فی عنق نبیّه طاعة لأحد، و لهذا أنشأه حرا خلیا من کل قید، منذ الایام الاولی من حیاته، یصنع نفسه بنفسه و یقیّض لها موجبات الرشد، و اسباب الرقیّ لیتضح أن نبوغه لیس نبوغا بشریا عادیا و مألوفا

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۰۵.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۶۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۲۹

و انه لم یکن لوالدیه ای دخل فیه و فی مصیره، و بالتالی فان عظمته الباهرة نابعة من مصدر الوحی، و لیست من العوامل العادیة و الاسباب المأنوسة المتعارفة.

(۱)

وفاة عبد المطّلب:

لقد جرت عادة الحیاة ان تتعرض للمرء باستمرار، و تستهدف سفینة حیاته کالأمواج المتلاحقة موجّهة ضرباتها القویة لروحه، و نفسه.

أجل هذه هی طبیعة الحیاة و سنتها مع أفراد النوع الانسانی من دون استثناء.

و لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمعزل عن هذه السنة المعروفة و هذه القاعدة الحیاتیة العامة.

فلم تکن أمواج الحزن تفارق قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لوفاة والدیه بعد حتی فاجأته مصیبة کبری.

إنه لم یکن یمض من عمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اکثر من ثمان سنوات إلا و فقد جدّه العظیم «عبد المطلب»، و قد اعتصرت وفاة «عبد المطلب» قلب رسول اللّه ألما و حزنا، و کان لها وقع شدید علی نفسه المبارکة، حتی أنه بکی لفقده بکاء شدیدا و ظلّت دموعه تجری من أجله إلی أن وری فی لحده، و لم ینس ذکره ابدا!! «۱».

(۲)

کفالة أبی طالب للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

سیکون لنا حدیث مفصّل حول شخصیّة أبی طالب فی فصل خاص «۲» و سنثبت هناک إیمانه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالوثائق و الأدلة القاطعة، و لکنّ من المناسب الآن أن نستعرض بعض الحوادث المرتبطة بفترة کفالته للنبی

(۱) کتب الیعقوبی فی تاریخه: ج ۲ ص ۱۰ و ۱۱ من تاریخه حول سیرة عبد المطلب، و أنه کان موحّدا لا وثنیا، و ذکر أن الإسلام أمضی الکثیر من سننه.

(۲) فی حوادث السنة العاشرة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۰

صلّی اللّه علیه و آله.

لقد تکفّل أبو طالب- و لأسباب خاصة- رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و تقبل تحمّل هذه المسئولیة بفخر و اعتزاز، و لأنّ أبا طالب- مضافا الی العلل المشار إلیها- کان أخا لوالد النبی من أمّ واحدة أیضا «۱» کما أنّه کان معروفا بجوده و کرمه، و من هنا أوکل «عبد المطلب» أمر کفالة النبی صلّی اللّه علیه و آله حفیده، إلیه، و سوف نقص علیک تدریجا سطورا ذهبیة من تاریخه، تمثل شاهد صدق علی خدماته القیامة، و أیادیه الجلیلة.

یقولون: إن النبی شارک و هو فی العاشرة من عمره جنبا إلی جنب مع عمّه فی حرب من الحروب «۲» و حیث أن هذه الحرب وقعت فی الأشهر الحرم لذلک سمّیت بحرب «الفجار» و قد وردت تفاصیل حروب «الفجار» فی التاریخ بشکل مسهب.

(۱)

سفرة إلی الشام:

لقد جرت العادة ان یسافر تجار قریش الی الشام کل سنة مرة واحدة

فعزم «ابو طالب» علی أن یشارک فی رحلة قریش السنویة هذه ذات مرة، و عالج مشکلة ابن اخیه «محمّد» الذی ما کان یقدر علی مفارقته بأنه قرر أن یترکه فی مکة فی خراسة جماعة من الرجال، و لکنه ساعة الرحیل واجه من ابن اخیه العزیز ما غیّر بسببه قراره المذکور فقد شاهد «محمّدا» و قد اغرورقت عیناه بالدموع لفراق کفیله الحمیم «ابی طالب»، فاحدثت ملامح «محمّد» الکئیبة طوفانا من المساعر العاطفیة فی قلب «أبی طالب» بحیث اضطرته إلی أن یرضی

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۷۹، و امهما هی فاطمة المخزومیة.

(۲) لقد کتب الیعقوبی فی تاریخه: ج ۱ ص ۱۵ طبعة النجف أنّ أبا طالب لم یشترک فی هذه الحرب قط، کما لم یسمح لبنی هاشم بالمشارکة فیها أیضا، لأنه کان ظلما و عدوانا، و قطیعة رحم و استحلالا للشهر للحرام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۱

بمشقة اصطحاب «محمّد» فی تلک الرحلة «۱».

(۱) لقد کانت سفرة النبی صلّی اللّه علیه و آله هذه التی قام بها بصحبة عمّه و کافله «ابی طالب» فی الثانیة عشرة من عمره، من اجمل و أطرف أسفاره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأنه صلّی اللّه علیه و آله عبر فیها علی: «مدین» و «وادی القری» و «دیار ثمود» و اطّلع علی مشاهد الشام الطبیعیة الجمیلة.

و لم تکن قافلة قریش التجاریة قد وصلت إلی مقصدها حتی حدثت فی منطقة تدعی «بصری» قضیة غیرت برنامج «ابی طالب» و تسببت فی عدوله عن المضی به فی تلک الرحلة و القفول الی مکة.

(۲) و إلیک فیما یلی مجمل هذه القضیة:

کان یسکن فی «بصری» من نواحی الشام راهب مسیحی یدعی «بحیرا» یتعبّد فی صومعته، یحترمه النصاری فی تلک الدیار.

و كانت القوافل التجارية إذا مرت على صومعته توقفت عندها بعض الوقت و تبركت بالحضور عنده.

و قد اتفق أن التقى هذا الراهب قافلة قريش التى كان فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلفت نظره شخصية «محمّد»، و راح يحدق فى ملامحه، و كانت نظراته هذه تحمل سرا عميقا ينطوى عليه قلبه منذ زمن بعيد و بعد دقائق من

(۱) و يذكر «أبو طالب» فى ابيات له قصّة هذه السفرة و ما جرى فيها من البدء إلى الختام نقتطف منها بعض الأبيات:

إنّ ابن آمنة النبى محمّداعندى يفوق منازل الأولاد

لما تعلّق بالزمام رحمتهو العيس قد قلّصن بالازواد

فارفضّ من عينىّ دمع ذارفمثل الجمان مفرّق الأفراد

راعيت فيه قرابة موصولةو حفظت فيه وصية الأجداد

و أمرته بالسير بين عمومةبيض الوجوه مصالت أنجاد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوالاقوا على شرك من المرصاد

حبرا فاخبرهم حديثا صادقاعنه و ردّ معاشر الحسّاد (تاريخ ابن عساكر: ج ۱ ص ۲۶۹- ۲۷۲ و ديوان ابى طالب: ص ۳۳- ۳۵).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۲

النظرات الفاحصة، و التحديق فى وجه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خرج عن صمته و انبرى سائلا: انشدكم باللّه أيّكم وليّه؟

فأشار جماعة منهم الى «أبى طالب» و قالوا: هذا وليّه.

فقال «أبو طالب»: إنه ابن أخى، سلنى عمّا بدا لك.

(۱) فقال «بحيرا»: إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده فى كتبنا و ما روينا عن آبائنا، هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه رحمة للعالمين. احذر عليه اليهود لئن رأوه و عرفوا منه ما أعرف ليقصدنّ قتله «۱».

هذا و قد اتفق اكثر المؤرخين على أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يتعدّ تلك المنطقة، و ليس من الواضح أن عمه «أبا طالب» بعثه الى مكة مع أحد، (و يستبعد أن يكون عمه قد رضى بمفارقته منذ أن سمع تلك التحذيرات من الراهب بحيرا)، أم أنه اصطحبه بنفسه إلى مكة، و انثنى عن مواصلة سفره الى الشام «۲».

و ربما قيل أنه تابع- بحذر شديد- سفره الى الشام مع ابن اخيه «محمّد».

(۲)

اكذوبة المستشرقين:

لقد آلينا على أنفسنا فى هذا الكتاب ان نشير إلى أخطاء المستشرقين و غلطاتهم بل و ربما أكاذيبهم، و اتهاماتهم الباطلة، و شبههم الواهية ليتضح للقراء الكرام الى أىّ مدى يحاول هذا الفريق إرباك أذهان البسطاء من الناس، و بلبلة عقولهم حول قضايا الإسلام!!

إن قضية اللقاء الذى تم- فى بصرى- بين النبى صلّى اللّه عليه و آله و الراهب «بحيرا» لم تكن سوى قضيه بسيطة، و حادثة عابرة و قصيرة، إلا أنها وقعت فى ما بعد ذريعة بأيدى هذه الزمرة (المستشرقون) فراحوا يصرّون أشدّ اصرار على أنّ

(۱) روى تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۳۲ و ۳۳، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۰- ۱۸۳ هذه القصّة بتفصيل أكبر و قد اختصرناها هنا تمشيا مع حجم هذا الكتاب.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۲ و ۱۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۳

ما أظهره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من تعالیم رفیعة سامیة بعد ۲۸ عاما، و استطاع بها أن یحیی بها تلک الامة المیّتة قد تلقاها من الراهب «بحیرا» فی هذه السفرة. و یقولون: إن «محمّدا» بما تمتع به من قوة ذاکرة، و صفاء نفس و دقة فکر، و عظمة روح وهبته ایاها ید القدر، أخذ من الراهب «بحیری» فی لقائه به، قصص الأنبیاء السالفین و الاقوام البائدة مثل عاد و ثمود، و کثیرا من تعالیمه الحیویة.

(۱) و لا ریب فی أن هذا الکلام لیس سوی تصور خیالی لا یتلاءم و لا ینسجم مع حیاته صلّی اللّه علیه و آله، بل و تکذبه الموازین العقلیة، و إلیک بعض الشواهد علی هذا:

(۲) ۱- لقد کان «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله باجماع المؤرخین امیّا، لم یتعلم القراءة و الکتابة، و کان عند سفره الی الشام، و لقائه ب «بحیرا» لم یتجاوز ربیعه الثانی عشر بعد، فهل یصدّق العقل- و الحال هذه- أن یستطیع صبی لم یدرس و لم یتعلّم القراءة و الکتابة و لم یتجاوز ربیعة الثانی عشر ان یستوعب تلک الحقائق من «التوراة» و «الإنجیل»، ثم یعرضها- فی سن الاربعین- علی الناس بعنوان الوحی الالهیّ و الشریعة السماویة؟!

إن مثل هذا الأمر خارج عن الموازین العادیة، بل ربما یکون من الامور المستحیلة لو أخذنا بنظر الاعتبار حجم الاستعداد البشری.

(۳) ۲- إن مدة هذا اللقاء کان أقل بکثیر من أن یستطیع محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی مثل تلک الفترة الزمنیة القصیرة أن یستوعب «التوراة» و «الانجیل»، لأن هذه الرحلة کانت رحلة تجاریة و لم یستغرق الذهاب و الایاب و الاقامة اکثر من أربعة أشهر، لأن قریشا کانت تقوم فی کل سنة برحلتین، فی الصیف إلی «الیمن»، و فی الشتاء إلی «الشام»، و مع هذا لا یظنّ أن تکون الرحلة برمتها قد استغرقت اکثر من اربعة أشهر، و لا یستطیع اکبر علماء العالم و اذکاهم من أن یستوعب فی مثل هذه المدة القصیرة جدا محتویات دینک الکتابین، فضلا عن صبی لم یدرس، و لم یتعلم القراءة و الکتابة من احد.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۳۴

هذا مضافا إلی أنه لم یکن یصاحب صلّی اللّه علیه و آله ذلک الراهب کل تلک الاشهر الاربعة بل ان اللقاء الذی وقع اتّفاقا فی أحد منازل الطریق لم یستغرق سوی عدة ساعات لا اکثر.

(۱) ۳- إن النص التاریخی یشهد بأن «ابا طالب» کان ینوی اصطحاب النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی الشام، و لم یکن مقصده الأصلی «بصری» بل إن «بصری» کان منزلا فی أثناء الطریق تستریح عنده القوافل التجاریة أحیانا، و لفترة جدا قصیرة.

فکیف یمکن فی مثل هذه الصورة ان یمکث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک المنطقة، و یشتغل بتحصیل علوم «التوراة» و «الانجیل» و معارفهما؟ سواء قلنا بأن «ابا طالب» أخذه معه الی الشام، أو عاد به من تلک المنطقة إلی مکة أو أعاده بصحبة أحد الی مکة؟!

و علی کل حال فان مقصد القافلة و مقصد «ابی طالب» لم یکن «بصری» لیقال: ان القافلة اشتغلت فیها بتجارتها، بینما اغتنم «محمّد» الفرصة و اشتغل بتحصیل معارف العهدین.

(۲) ۴- إذا کان محمّد صلّی اللّه علیه و آله قد تلقی امورا و معارف من الراهب المذکور اذن لاشتهر ذلک بین قریش حتما، و لتناقل الجمیع خبر ذلک بعد العودة إلی مکة.

هذا مضافا إلی أنّ النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه ما کان یستطیع أن یدعی أمام قومه فی ما بعد بأنه أمی لم یدرس کتابا، و لا تلمذ علی أحد، فی حین أن النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله افتتح رسالته بهذا العنوان، و لم یقل أحد، یا محمّد کیف تدعی بأنک لم تقرأ و لم تدرس عند احد و قد درست عند راهب «بصری» و تلقیت منه هذه الحقائق الناصعة و أنت فی الثانیة عشرة من عمرک؟

لقد وجّه مشرکوا مکة جمیع انواع الاتهام إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و بالغوا فی البحث عن أیّة نقطة ضعف فی قرآنه یمکن أن یتذرعوا بها لتفنید دعوته، حتی أنهم عند ما شاهدوا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذات مرة عند

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۵

«مروة» يجالس غلاما نصرانيا استغلوا تلك الفرصة و قالوا: لقد أخذ «محمّد» كلامه من هذا الغلام، و يروى القرآن الكريم مزعمتهم هذه بقوله:

«و لقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر لسان الّذى يلحدون إليه أعجمىّ و هذا لسان عربىّ مبين» «۱».

و لكن القرآن الكريم لم يتعرض لذكر هذه الفرية قط كما أن قريشا المجادلين المعاندين لم يتذرعوا بها أبدا، و هذا هو بعينه دليل قاطع و قوى على أن هذه الفرية من افتراءات المستشرقين فى عصرنا هذا، و من نسج خيالهم!! (۱) ۵- إن قصص الأنبياء و الرسل التى جاءت فى القرآن الكريم على وجه التفصيل تتعارض و تتنافى مع ما جاء فى التوراة و الانجيل.

فقد ذكرت قصص الأنبياء و احوالهم فى هذين الكتابين بصورة مشينة جدا، و طرحت بشكل لا ينفق مع المعايير العلمية و العقلية مطلقا، و ان مقايسة عاجلة بين هذين الكتابين من جانب و بين القرآن الكريم من جانب آخر تثبت بأن قضايا القرآن الكريم و معارفة لم تتخذ من ذينك الكتابين بحال، و لو أن النبىّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله قد اكتسب معارفه و معلوماته حول الأنبياء و الرسل من العهدين لجاء كلامه مزيجا بالخرافات و الأوهام «۲».

(۲) ۶- إذا كان راهب «بصرى» يمتلك كل هذه الكمية من المعلومات الدينية و العلميّة التى عرضها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلما ذا لم يحض هو بأى شىء من الشهرة، لما ذا ترى لم يربّ غير «محمّد» فى حين أن معبده كان مزار الناس و مقصد القوافل؟! (۳) ۷- يعتبر الكتاب المسيحيّون «محمّدا» صلّى اللّه عليه و آله رجلا أمينا صادقا، و الآيات القرآنية تصرح بأنه صلّى اللّه عليه و آله لم يكن على علم مسبق

---

(۱) النحل: ۱۰۳.

(۲) تتجلى هذه الحقيقة أكثر فاكثر إذا ما قارنّا بين مواضيع القرآن الكريم، بين ما جاء فى نصوص العهدين (التوراة و الإنجيل) و قد تصدى بعض الكتاب الإسلاميين لمثل هذه المقارنة، و قد تعرضنا لها أيضا فى بعض دراساتنا.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۶

أصلا بقصص الأنبياء و الامم السابقين، و أن معلوماته فى هذا الصعيد لم تحصل لديه إلا عن طريق الوحى.

فقد جاء فى سورة «القصص» الآية (۴۴) هكذا: «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

و جاء فى سورة «هود» الآية (۴۹) بعد نقل قصة نوح: «تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا».

إن هذه الآيات توضح أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يكن على علم أبدا بهذه الحوادث، و الوقائع.

و هكذا جاء فى الآية (۴۴) من سورة «آل عمران»: «ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

إن هذه الآية و غيرها من الآيات العديدة تصرح بأن هذه الأخبار الغيبيّة وصلت إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله عن طريق الوحى فقط، و هو لم يكن على علم بها مطلقا.

(۱)

نظرة إجماليّة إلى التوراة الحاضرة:

اشارة

إنّ هذا الكتاب السماوىّ تورّط فى تناقضات عجيبة فى بيان قصص الأنبياء و المرسلين لا يمكن نسبتها إلى الوحى مطلقا، و ها نحن نأتى هنا بنماذج فى هذا المجال من التوراة ليتضح لنا أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لو كان قد أخذ قضايا القرآن الكريم من ذلك الراهب فلما ذا لا يحتوى هذا الكتاب العظيم على تلك الأضاليل التى انطوى عليها «التوراة» و «الانجيل».

و إليك بعض ما جاء حول الأنبياء و المرسلين فى «التوراة» و «الانجيل» و نقارن ذلك بما جاء فى القرآن الكريم ليتضح مدى الفرق بين الكتابين (العهدين، و القرآن).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۷

(۱)

۱- داود عليه السّلام:

جاء فى التوراة: «إن داود رأى من على السطح امرأة تستحمّ، و كانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود و سأل عن المرأة، فقال واحد: إنها امرأة اوريّا فأرسل داود رسلا و أخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها و هى مطهّرة من طمثها ثم رجعت الى بيتها، و حبلت المرأة، فأرسلت و أخبرت داود و قالت: إنى حبلى، فأرسل داود إلى يؤاب يقول: اجعلوا أوريّا فى وجه الحرب الشديدة «۱»، و ارجعوا من ورائه فيضرب و يموت ... فلما سمعت امرأة أوريّا أنه قد مات اوريّا رجلها ندبت بعلها، و لمّا مضت المناحة أرسل داود و ضمّها إلى بيته و صارت له امرأة، و ولدت له ابنا، و امّا الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينىّ الرب»!! «۲».

هكذا تصف التوراة النبىّ الكريم داود، و ترميه بالزنا، و اكراه امرأة محصنة على خيانة زوجها!!

بينما يصف القرآن الكريم النبىّ داود عليه السّلام بأفضل الاوصاف اذ يقول (فى الآية ۱۵ و ۱۶ من سورة النمل):

«وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ ... وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ».

۲- النبىّ سليمان عليه السّلام:

تقول «التوراة» عن النبىّ العظيم سليمان عليه السّلام:

۱- «و داود الملك ولد سليمان من التى لاوريّا»!! «۳».

أى ان سليمان النبىّ الكريم- و العياذ باللّه- هو ابن زنا!!

---

(۱) أى فى مقدمة الجيش المحارب.

(۲) العهد القديم (التوراة): صموئيل، الثانى الاصحاح الحادى عشر ۳ إلى ۲۷.

(۳) إنجيل متّى: الاصحاح الأول ۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۸

۲- و أحبّ الملك سليمان نساء غريبة ... من الذين قال عنهم الرب لبنىّ إسرائيل: لا تدخلون إليهم، و هم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبّة، و كانت له سبع مائة من النساء السيدات، و ثلاث مائة من السرارى،

فأمـالت نسـاؤه قلبه و كان فى زمان شـيخوخهٔ سـليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهـهٔ اخرى، و لم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود ابيه، فذهب سـليمان وراء عشـتورت إلههٔ الصـيد ونين، و ملكوم رجس العمونيين، و عمل سـليمان الشرّ فى عينى الرب، و لم يتبع الرب تماما كداود أبيه، فغضب الرب على سليمان لأنّ قلبه مال عن الرب إله إسرائيل»!!! «۱».

إن سليمان- حسب هذه التعابير التوراتيهٔ- يعشق النساء الاجنبيات، و يتقرب إليهن بصنع أصنام لهنّ. و يعبدها معهن، و يرتكب الشرور التى أغضبت الرب!!

بينما يقول القرآن الكريم عن سليمان عليه السّلام «وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً» (النمل: ۱۶).

و يقول: «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِى بارَكْنا فِيها، وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ» (الأنبياء: ۸۱).

إنه نبى عظيم اختاره اللّه تعالى لوحيه، و أصطفاه لأداء رسالاته.

۳- يعقوب عليه السّلام:

إنّ «التوراهٔ» تصف النبى العظيم يعقوب عليه السّـلام بـأنه رجـل كـذّاب مخـادع، أخـذ النبوهٔ من أبيه بـالمكر و الخـداع، «فعنـد ما شاخ اسـحاق و كلّت عينـاه عن النظر دعـا عيسو ابنه الاـكبر، و طلب منه أن يصـطاد له صـيدا، و يصـنع له طعاما جيـدا حتى يباركه، و يعطيه النبوهٔ، و لكن يعقوب (ابن إسحاق من رفقهٔ

---

(۱) التوراهٔ: الملوك الأول الاصحاح ۱۱ العبارات ۱: ۱۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۳۹

زوجته الأـخرى) بادر إلى صـنع طعام لذيـذ لأبيه و تظاهر بأنه عيسو، لابسا ثياب عيسو، و قطعا من جلود جـديى المعزى على عنقه لأن عيسو كان مشـعرا و كان يعقوب املس الجسـد، فبارك اسـحاق ابنه يعقوب و منحه النبوهٔ، و بعـد ذلك قـدم عيسو من الصـيد، فعرف اسـحاق بانه خدع، و أن يعقوب أخذ منه النبوهٔ بالمكر، فارتعد اسحاق ارتعادا عظيما جدا و قال لعيسو متأسفا: قد جاء أخوك بمكر، و أخذ بركتك»!! «۱».

هذا هو حال يعقوب فى لسان «التوراهٔ» المحرفهٔ!!

و أما القرآن الكريم فانه يقول عن هذا النبىّ الطاهر:

«وَ وَهَبْنـا لَهُ إِسْحـاقَ وَ يَعْقُـوبَ كُلًّا هَـدَيْنا وَ نُوحـاً هَـدَيْنا مِنْ قَبْـلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُـلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُـفَ وَ مُوسـى وَ هـارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ» (الأنعام: ۸۴).

و يقول تعالى أيضا:

«وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْـحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَ الْأَبْصارِ. إِنَّا أَخْلَصْـناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْـطَفَيْنَ الْأَخْيارِ» (ص:
۴۵- ۴۷).

۴- إبراهيم عليه السّلام:

تقول «التوراهٔ» عن إبراهيم عليه السّـلام إنّه لمّا أراد أن يـدخل مصـر قال لزوجته سارهٔ: إنى قد علمت أنك امرأهٔ حسـنهٔ المنظر، فيكون

إذا رآک المصریون أنهم یقولون: هذه امرأته، فیقتلوننی، و یستبقونک، قولی إنک اختی، لیکون لی خیر بسببک و تحیا نفسی من أجلک.

و کذلک فعلت سارة و اخذت إلی بیت فرعون، فصنع إلی إبرام خیرا

---

(۱) سفر التکوین: الاصحاح السابع و العشرون: ۱ الی ۴۶، و قد ذکرنا هذه القصّة من التوراة بتلخیص.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۰

بسببها، و صار له غنم، و بقر، و حمیر، و عبید، و إماء، و اتن، و جمال، و لما عرف فرعون- فی ما بعد- ان سارة زوجة ابراهیم، و لیس اخته عاتبه قائلا: لما ذا لم تخبرنی إنها امرأتک، لما ذا قلت: هی اختی حتی أخذتها لی لتکون زوجتی و الآن هو ذا امرأتک، خذها و اذهب» «۱».

إن ابراهیم الخلیل علیه السّلام فی وصف التوراة رجل کذاب، یکذب و یحتال.

أما القرآن الکریم فیصف هذا النبی الجلیل بأعظم الأوصاف، و یعتبره أعظم الأنبیاء اذ یقول عنه انه:

۱- حنیف موحّد للّه: «وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً» (آل عمران: ۶۷).

۲- إمام الناس: «إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً» (البقرة: ۱۳۴).

۳- مسلم: «وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً» (آل عمران: ۶۷).

۴- حلیم: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ حَلِیمٌ» (التوبة: ۸۴).

۵- امة کاملة بمفرده: «إِنَّ إِبْراهِیمَ کانَ أُمَّةً» (النحل: ۱۲۰).

۶- أواه یخشی اللّه: «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوَّاهٌ» (التوبة: ۸۴).

۷- مصطفی: «لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الْأَخْیارِ» (ص: ۴۸).

۸- ذو قلب سلیم: «إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» (الصافات: ۴۸).

۵- المسیح علیه السّلام:

إن عیسی- حسب روایة الإنجیل- یحتقر أمه، و یزدری بها، فذات یوم جاء إخوته و أمه و وقفوا خارجا و أرسلوا یدعونه، و کان الجمع جالسا حوله، فقالوا له «هو ذا امّک و إخوتک خارجا یطلبونک، فأجابهم قائلا: من أمی و إخوتی؟ ثم نظر حوله إلی الجالسین و قال: ها امّی و إخوتی، لأنّ من یصنع مشیئة اللّه هو أخی و اختی و امّی»!! «۲»

---

(۱) سفر التکوین: الاصحاح الثانی عشر ۱- ۲۰.

(۲) إنجیل مرقس: الاصحاح الثالث ۳۱- ۳۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۱

إنه یقول هذا الکلام عن امّه التی وصفها القرآن الکریم بأن اللّه تعالی اصطفاها علی نساء العالمین «۱».

إنه یفضّل تلامیذه الذین لم یؤموا به فی قلوبهم ذرة من خردل، و الذین خذلوه لیلة الهجوم علیه من جانب الیهود «۲»- کما یقول الانجیل- علی أمه الصدّیقة.

کما إن الانجیل یقول: إن المسیح حوّل الماء الی الخمر فی عرس «۳» بل یقول إنه علیه السّلام: شرب الخمر «۴»، و الحال أن الإنجیل

يصرّح بحرمة الخمر فى مواضع عديدة.

هذا هو «عيسى» النبى الطاهر و حواريوه حسب رواية الانجيل!! «۵».

أما القرآن الكريم فيقول عنه غير ما يقوله «الانجيل» و إليك بعض ما جاء فى الكتاب العزيز حول «المسيح» عليه السّلام.

قال اللّه تعالى: «وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (البقرة: ۷۸).

و قال تعالى أيضا: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ» (النساء: (۱۷۱)

و يكفى فى عظمة المسيح عليه السّلام و علو شأنه انه عليه السّلام كلّم الناس فى المهد صبيا و قال: «إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ آتانِىَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِى نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِى مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِى بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوالِدَتِى وَ لَمْ يَجْعَلْنِى

---

(۱) آل عمران: ۴۲.

(۲) انجيل متّى: الاصحاح السابع و العشرون ۱- ۶ انظر كيف وافق يهوذا الاسخر يوطى و هو أحد الحواريين مع المتآمرين ضدّ المسيح، و أيضا راجع نفس السفر: الاصحاح السادس و العشرين، و راجع انجيل متّى: الاصحاح العاشر أيضا.

(۳) إنجيل يوحنا: الاصحاح الثانى ۱- ۱۱.

(۴) إنجيل لوقا: الاصحاح الأول ۱۵ و غيره.

(۵) على أنّ خرافات التوراة و الانجيل لا تنحصر فى ما ذكرناه هنا، و للتوسع راجع: أنيس الأعلام تأليف فخر الإسلام، و الهدى الى دين المصطفى للعلامة البلاغى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۴۲

جَبَّاراً شَقِيًّا. وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ» (مريم: ۳۰- ۳۴).

هذه هى مواقف القرآن الكريم من الأنبياء الكرام، و الرسل العظام، و تلك هى مواقف «التوراة» و «الانجيل» المشينة، المسيئة الى شخصيّة سفراء اللّه مبلّغى رسالاته، فكيف يعقل ان يكون القرآن الكريم مقتبسا من تلك الكتب و بينهما بعد المشرقين؟!

ثم لو أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان قد اطّلع على هذه القضايا و القصص قبل إخباره بنبوّته فلما ذا لم يرشح منها شيء فى أحاديثه قبل الرسالة و قد عاش بين قومه طويلا.

قال اللّه سبحانه فى معرض الردّ و الجواب على اقتراح المشركين على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بأن يأتى لهم بقرآن غير الذى جاء به: «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۱».

فالآية تؤكد على أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان لابثا فى قومه، و لم يكن تاليا لسورة من سور القرآن، أو آيا من آياته، فكل ما أخبر به هو ممّا أوحى به اللّه تعالى إليه بعد ان بعثه بالرسالة «۲».

---

(۱) يونس: ۱۶.

(۲) للتوسّع راجع مفاهيم القرآن: ج ۳ ص ۳۲۱- ۳۲۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۴۳

(۱)

۸ فترة الشباب فى حياة النبىّ الاكرم

اشارة

یجب ان یکون قادة المجتمع أقویاء شجعان، لا یرهبون أحدا، و لا یخافون شیئا، یمتلکون قوة روحیة کبری، و یتمتّعون بصبر عظیم. و إرادة قویة، صلبة.

فکیف یستطیع الضعفاء و الجبناء و المتردّدون، و ضعاف النفوس قیادة المجتمع، و الخروج به من المازق و المشاکل، و کیف یستطیعون أن یقاوموا اعداءهم و یحافظوا کیانهم و شخصیّتهم من عدوان هذا او ذاک؟!

إن لعظمة القائد الروحیة، و لقواه البدنیة و النفسیة تأثیرا عظیما و عجیبا فی أتباعه و أنصاره، فعند ما اختار الإمام امیر المؤمنین علیه السّلام أحد اصحابه المخلصین لولایة «مصر» کتب إلی أهل «مصر» المظلومین الذین ذاقوا الأمرین علی أیدی ولاتهم السابقین کتابا ذکر فیه شجاعة هذا الوالی الجدید، الروحیة و قدرته النفسیة الفائقة، و إلیک فیما یلی بعض الفقرات من ذلک الکتاب الذی یعکس الشروط و المواصفات الواقعیة فی القائد:

«أما بعد فقد بعثت إلیکم عبدا من عباد اللّه لا ینام أیّام الخوف، و لا ینکل عن الأعداء (ساعات الروع، أشدّ علی الفجار من حریق النّار، و هو مالک بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له و أطیعوا أمره فیما طابق الحق، فإنه سیف من

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۴۴

سیوف اللّه، لا کلیل الظبّة، و لا نابی الضریبة» «۱».

(۱)

رسول اللّه و قدرته الروحیّة:

لقد کانت آثار الشجاعة، و القوّة بادیة فی جبین عزیز قریش منذ طفولته و صباه، ففی الخامسة عشرة من عمره الشریف شارک فی حرب هاجت بین قریش من جهة، و قبیلة هوازن من جهة اخری، و تدعی «حرب الفجار»، و قد کان فی هذه الحرب یناول أعمامه النبل.

فها هو «ابن هشام» ینقل عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال: «کنت انبّل علی أعمامی» «۲».

إن مشارکته صلّی اللّه علیه و آله فی العملیات الحربیة فی مثل هذه السن تکشف عن شجاعته صلّی اللّه علیه و آله و قدرته الروحیة الکبری، و تساعدنا علی أن ندرک مغزی ما قاله أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب علیه السّلام فی حق النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله: «کنّا اذا أحمر البأس اتّقینا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلم یکن أحد منّا أقرب إلی العدوّ منه» «۳».

و سوف نشیر- و بعون اللّه عند ذکر جهاد المسلمین للکفار و المشرکین- إلی نظام العسکریة الاسلامیة، و کیفیة جهاد المسلمین و قتالهم لأعدائهم التی تمّت بأجمعها بتوجیه من النبی صلّی اللّه علیه و آله، و هو فی نفسه من الابحاث الشّیقة فی تاریخ الإسلام.

(۲)

حروب الفجار:

اشارة

إنّ الحدیث بتفصیل عن هذه الوقائع و عن تکتیکات هذه الحوادث التاریخیّة

(۱) نهج البلاغة: قسم الرسائل، الرقم ۳۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۶، و قد قال ابن الأثیر فی النهایة بعد نقل هذا الحدیث و ضبط الکلمة «انبل» مشدّدة «انبّل»: «إذا ناولته النبل یرمی» راجع مادّة نبل.

(۳) نهج البلاغة: فصل فی غریب کلامه الرقم ۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۵

خارج عن إطار هذه الدراسة، بید أننا- مع ذلک- نعمد إلی بیان أسباب هذه الحروب التی شارک فی إحداها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بناء علی روایة بعض المؤرخین و حوادثها علی نحو الاجمال بغیة اطلاع القارئ الکریم.

کانت العرب تقضی عامها کله بالقتال و الاغارة، و قد تسبب هذا الوضع فی اختلال حیاتهم، و اضطراب امورهم، و لأجل هذا کانوا یحرّمون القتال و یتوقفون عنه فی أربعة أشهر من کل عام (هی شهر رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم) لیتسنی لهم- فی هذه المدة- أن یقیموا أسواقهم، و یستغلّوها بالکسب و التجارة و البیع و الشراء «۱».

(۱) و لهذا کانت أسواق «عکاظ» و «مجنّة» و «ذو المجاز» تشهد طوال هذه الاشهر الحرام اجتماعات کبری و تجمعات حافلة و حاشدة، کان یلتقی فیها العدوّ و الصدیق جنبا الی جنب، یتبایعون، و یتفاخرون.

فقد کان شعراء العرب المشهورون یلقون قصائدهم فی هذه الاجتماعات الکبری، کما یلقی کبار خطباء العرب و فصحاؤهم خطبا قویة، و أحادیث فی غایة الفصاحة و البلاغة، و کان الیهود و النصاری و الوثنیون یعرضون معتقداتهم فی هذه المناسبات من دون خوف او وجل.

و لکن هذه الحرمة قد هتکت أربع مرات فی تاریخ العرب، و تقاتلت القبائل العربیة فیما بینها فی هذه الأشهر الحرم، و لهذا سمّیت تلک الحروب بحروب «الفجار»، و فی ما یلی نشیر إلیها علی نحو الاجمال:

(۲)

الفجار الأوّل:

و وقعت الحرب فیها بین قبیلتی «کنانة» و «هوازن» و جاء فی سبب نشوب

(۱) یستفاد من قوله تعالی فی الآیة ۳۶ من سورة التوبة: «إنّ عدّة الشّهور عند اللّه اثنا عشر شهرا فی کتاب اللّه یوم خلق السّماوات و الأرض منها أربعة حرم» أن تحریم القتال فی هذه الأشهر الأربعة کان ذا جذور دینیة، و کانت العرب الجاهلیة تحترم هذه الأشهر اتباعا لسنّة «إبراهیم الخلیل» علیه السّلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۴۶

هذه الحرب أن رجلا یدعی «بدر بن معشر» کان قد أعدّ لنفسه مکانا فی سوق «عکاظ» یحضر فیه، و یذکر للناس مفاخره فوقف ذات مرة شاهرا سیفه یقول:

أنا و اللّه أعزّ العرب فمن زعم أنه أعزّ منّی فلیضربها بالسیف.

فقام رجل من قبیلة اخری فضرب بالسیف ساقه فقطعها، فاختصم الناس و تنازعت القبیلتان، و لکنهما اصطلحتا من دون أن یقتل أحد «۱».

(۱)

الفجار الثّاني:

و كـان سـببه أن فتيـة من قريش قعـدوا إلى امرأة من «بنى عـامر» و هى جميلـة، عليهـا برقع، فقالوا لها: اسـفرى لننظر إلى وجهك، فلم تفعل، فقام غلام منهم، فجمع ذيل ثوبها إلى ما فوقه بشوكة فلما قامت انكشف جسمها، فضحكوا، فصاحت المرأة قومها، فأتاها الناس، و اشتجروا حتى كاد أن يكون قتال، ثم اصطلحوا، و انفضّوا بسلام.

(۲)

الفجار الثالث:

و سـببه أن رجلا من «كنانة» كان عليه دين لرجل من «بنى عامر»، و كان الكنانى يماطل، فوقع شـجار بين الرجل، و استعدى كل واحد منهما قبيلته، فاجتمع الناس، و تحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال، ثم اصطلحوا.

(۳)

الفجار الرابع:

و هى الحرب التى- قيل أنه- شارك فيها النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد ادّعى البعض أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يومذاك فى الخامسة عشرة، او الرابعة عشرة من عمره.

---

(۱) و لقد كان ممّا أزاله الإسلام و محاه هذا التفاخر الجاهلى المقيت، و ستعرف هذا فى الابحاث القادمة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۴۷

و قال بعض: انه كان فى العشـرين من عمره و حيث أن هذه الحرب قد استمرت أربع سنوات. لهذا يمكن أن تكون جميع هذه الاقوال صحيحة «۱».

(۱) و قيل فى سـببه: أن «النعمان بن المنـذر» ملك الحيرة كان يبعث الى سوق «عكاظ» فى كل عام بضاعة فى جوار رجل شـريف من أشـراف العرب، يجيرهـا له حتى تباع هناك، و يشترى بثمنها من أقمشـة «الطائف» الجميلـة المزركشـة ممّا يحتاج إليه، فأجارها «عروة الرجال الهوازنى» فى تلك السـنة، و لكن «البراض بن قيس الكنانى» انزعج لمبادرة «عروة» الى ذلك، فشـكاه عند «النعمان بن المنذر» و لم يجـد اعتراضه و شـكواه، فحسـد على «عروة» حسـدا شديـدا، فتربّص به حتى غـدر به فى أثنـاء الطريق، و بـذلك لطّخ يـده بـدم هوازنى.

(۲) و كانت قريش يومـذاك حليف كنانه، و قـد اتفق وقوع هـذا الأمر يوم كانت العرب مشـغولة بالكسب و التجارة فى سوق عكاظ، فأخبر رجل قريشا بمقتل الهوازنىّ على يـد الكنانىّ، و لهـذا عرفت قريش و حليفتها بنو كنانة بالأمر قبل هوازن، و أسـرعوا فى الخروج من «عكاظ» و توجهوا نحو الحرم (و الحرم هو اربعـة فراسـخ من كل جانب من مكـة، و كانت العرب تحرّم القتال فى هذه المنطقة) و لكن هوازن علمت بذلك فلاحقت قريشا و حليفتها فورا، و ادركتهم قبل الدخول فى الحرم فوقع بينهم قتال، و لما جنّ الليل كفّوا عن

الحرب فاغتنمت «قريش» و حليفتها فرصة الليل، و واصلت حركتها باتجاه الحرم المكى و بذلك نجت من خطر العدو.

و منذ ذلك اليوم كانت تخرج قريش و حليفتها من الحرم بين الفينة و الاخرى و تقاتل هوازن، و قد شارك النبى- صلّى اللّه عليه و آله فى بعض تلك الأيام مع أعمامه على النحو الذى مرّ بيانه.

و قد استمر الأمر على هذه الحال مدة أربع سنوات، حتى ان وضعت نهاية

---

(١) التاريخ الكامل: ج ١ ص ٣٥٨ و ٣٥٩، السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨۴ الهامش، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٥٩.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٢۴٨

لهذه الحرب الطويلة بدفع قريش لهوازن دية القتلى الذين كانوا يزيدون على قتلى قريش على يد هوازن «١».

و قد أسلفنا أن تحريم القتال فى الأشهر الحرم كانت له جذور دينية، و حيث أن حرب «الفجار» استمرت أربع سنوات فيمكن أن يكون لمشاركة النبى صلّى اللّه عليه و آله فيها وجها وجيها و هو الدفاع، خاصة انه لما سئل صلّى اللّه عليه و آله عن مشهده يومئذ فقال: «ما سرّنى أنّى أشهده، إنّهم تعدّوا على قومى عرضوا (اى قريش) عليهم (اى على هوازن) أن يدفعوا إليهم البرّاض صاحبهم (اى الذى قتل عروة) فأبوا» «٢».

و يحتمل أن تكون مشاركته صلّى اللّه عليه و آله فى غير الأشهر الحرم بناء على استمرار هذه الحروب مدة أربعة اعوام، و إنما سميت مع ذلك بالفجار لأن بدايتها وافقت الأشهر الحرم لا أنّها وقعت بتمامها فى الأشهر الحرم.

و بذلك لا يبقى مجال لأن تستبعد مشاركة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى بعض أيام تلك الحرب.

(١)

حلف الفضول:

لقد كان فى ما مضى ميثاق و حلف بين الجرهميين يدعى بحلف «الفضول»، و كان هذا الحلف يهدف الى الدفاع عن حقوق المظلومين، و كان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت اسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، و اسماؤهم- كما نقلها المؤرخ المعروف «عماد الدين ابن كثير»- هى عبارة عن:

«فضل بن فضالة»، و «فضل بن الحارث»، و «فضل بن وداعة» «٣»، و حيث أن الحلف الذى عقدته جماعة من قريش فيما بينها كان متحدا فى الهدف (و هو الدفاع عن حقوق المظلومين) مع حلف «الفضول» لذلك سمّى هذا الاتفاق

---

(١) سيره ابن هشام: ج ١ ص ١٨۴- ١٨٧، الأغانى: ج ٢٢ ص ۵۶- ٧۵.

(٢) الأغانى: ج ٢٢ ص ٧٣.

(٣) البداية و النهاية: ج ١ ص ٢٩٠.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٢۴٩

و هذا الحلف بحلف «الفضول» أيضا.

(١) فقبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين عاما دخل رجل من «زبيد» فى مكة فى شهر ذى القعدة، و عرض بضاعة له للبيع فاشتراها منه «العاص بن وائل»، و حبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدىّ قريشا، و طلب منهم أن ينصروه على العاص، و قريش آنذاك فى انديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعتهببطن مكة نائى الدار و النفر

و محرم أشعث لم يقض عمرتهيا للرّجال و بين الحجر و الحجر

إن الحرام لمن تمّت كرامتهو لا حرام لثوب الفاجر القـذر فأثارت هذه الأبيات العاطفية مشاعر رجال من قريش، و هيّجت غيرتهم، (۲) فقام «الزبير بن عبد المطّلب» و عزم على نصـرته، و أيّده فى ذلک آخرون، فاجتمعوا فى دار «عبد اللّه بن جدعان» و تحالفوا و تعاهدوا باللّه ليكوننّ يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدّى إليه حقه ما أمكنهم ذلک ثم مشوا إلى «العاص بن وائل» فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها إليه.

و قد أنشد الزبير بن عبد المطلب فى ذلک شعرا فقال:

إن الفضول تعاقدوا و تحالفواألّا يقيم ببطن مكّة ظالم

أمر عليه تعاقدوا و تواثقوافالجار و المعترّ فيهم سالم و قال أيضا:

حلفت لنعقدن حلفا عليهمو إن كنّا جميعا أهل دار

نسمّيه «الفضول» إذا عقدنايعزّبه الغريب لذى الجوار

و يعلم من حوالى البيت أنّاباة الضـيم نمنع كلّ عار «۱» (۳) و قد شارک رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، فى هذا الحلف الذى ضمن حقوق المظلومين و حياتهم، و قد نقلت عنه صلّى اللّه عليه و آله عبارات كثيرة يشيد فيها بذلک الحلف و يعتزّ فيها بمشاركته فيه و ها نحن ننقل حديثين منها فى

---

(۱) البداية و النهاية: ج ۱ ص ۲۹۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۰

هذا المقام.

قال صلّى اللّه عليه و آله:

«لقد شهدت فى دار عبد اللّه بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الإسلام لأجبت».

(۱) كمـا أن ابن هشام نقل فى سيرته أن النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول فى ما بعـد عن هـذا الحلف: «ما احبّ أنّ لى به حمر النعم».

و لقـد بقى هـذا الحلف يحظى بمكانة و احترام قويّين فى المجتمع العربى و الإسـلامى حتى أن الأجيال القادمة كانت ترى من واجبها الحفاظ عليه و العمل بموجبه، و يدل على هذا قضية وقعت فى عهد إمارة «الوليد بن عتبة» الأموى «۱» على المدينة.

فقـد وقعت بين الإمـام الحسـين بن على عليه السّـلام و بين أمير المدينـة هـذا منازعـة فى مال متعلّق بالحسـين عليه السّـلام، و يبـدو أن «الوليد» تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه، فقال له الإمام السبط الذى لم يرضخ لحيف قط، و لم يسكت على ظلم أبدا:

«أحلف باللّه لتنصـفنّى من حقّى، أو لآخـذنّ سـيفى ثمّ لأقومنّ فى مسـجد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول» «۲».

(۲) فاستجاب للحسين فريق من الناس منهم «عبد اللّه بن الزبير»، و كرّر هذه العبارة و أضاف قائلا: و أنا أحلف باللّه لئن دعا به لآخذنّ سيفى ثمّ لأقومنّ معه حتى ينصف من حقّه أو نموت جميعا.

و بلغت كلمـة الحسـين السـبط عليه السّـلام هـذه إلى رجال آخرين كالمسورة بن مخرمة بن نوفل الزهرى» و «عبد الرحمن بن عثمان» فقالا مثل ما قال «ابن الزبير»، فلما بلغ ذلک «الوليد بن عتبة» أنصف الحسين عليه السّلام من حقه حتى رضى «۳».

---

(۱) من قبل عمّه معاویة.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۲.

(۳) البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۲۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۱

(۱)

۹ من فترة الشباب الی مزاولة التجارة

اشارة

یحمل القادة الالهیون العظماء و أصحاب الرسالات السماویة علی کواهلهم مسئولیات کبری، و مهام عظمی تلازم- فی الأغلب- التعرض للمتاعب و المصاعب، و العذاب، و تحمل الأذی، بل و ربما التعرض للقتل و الاغتیال، و کلما کبرت الاهداف، عظمت المشاکل، و المتاعب.

و علی هذا الاساس، فان نجاح القادة الرسالیّین یتوقف علی مدی صبرهم و استقامتهم فی وجه الاتهامات و المضایقات، و فی وجه الأذی و العذاب، لأن الصبر و التحمل فی جمیع مراحل الجهاد و العمل هو الشرط الاساسیّ للوصول الی المقصود، و الی تحقیق الهدف المنشود و الغایة المطلوبة.

(۲) من هنا لیس لقائد حقیقی أن یخشی کثرة العدو، و لیس له ان ینسحب، أو یضعف لقلّة الاتباع و المؤیدین و بالتالی لیس له أن یقلق للنوائب فیخور عزیمته، او ترخو إرادته، مهما عظمت حلق البلاء و اشتدت، و مهما تزایدت، أو تواترت.

إنّنا نقرأ فی تاریخ الأنبیاء و قصصهم امورا یعسر علی الانسان العادیّ هضمها، و یصعب تصوّرها.

فعن نوح النبیّ علیه السّلام نقرأ أنه دعا قومه تسعمائة و خمسین عاما، و لم تنتج هذه الدعوة الطویلة المضنیة سوی قلة من المؤمنین و المؤیدین الذین لم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۲

یتجاوز عددهم الواحد و الثمانین، و هذا یعنی أنه لم یوفق فی کل اثنی عشر عاما إلا لهدایة شخص واحد.

إنّ إرادة الصبر، و قوّة التحمّل، و التصبر تظهر لدی الإنسان شیئا فشیئا، فلا بدّ أن تتلاحق حوادث صعبة، و لا بد أن یمرّ المرء بنوائب مزعجة حتی تأنس روحه بالامور الثقیلة، و القضایا الصعبة.

(۱) لقد قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شطرا من حیاته قبل البعثة فی رعی الغنم فی الصحاری و القفار، لیکون بذلک صبورا فی تربیة الناس الذین سیکلّف بقیادتهم و هدایتهم، و لیستسهل کل صعب فی هذا المجال.

إن ادارة المجتمع البشریّ من أصعب الامور التی تواجه القادة، و رجال الاصلاح. و المقدرة علی الإدارة هذه لا تسنح و لا تتهیّأ لأحد إلّا بعد مزاولة الامور الصعبة، و ممارسة الأعمال الشاقة، و ربما یکون قیام النبیّ صلّی اللّه علیه و آله برعی الغنم من هذا الباب، و لهذا جاء فی الحدیث.

«ما بعث اللّه نبیّا قطّ حتّی یسترعیه الغنم لیعلّمه بذلک رعیة النّاس» «۱».

لقد قضی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله شطرا من عمره الشریف فی هذا المجال، و ینقل کثیر من أرباب السیر و المؤرخین هذه العبارة عنه صلّی اللّه علیه و آله:

«ما من نبیّ إلّا و قد رعی الغنم» قیل: و أنت یا رسول اللّه؟

فقال: «أنا رعيتها لأهل مكّة بالقراريط» «۲».

(۲) إن شخصية عظيمة يفترض فيها أن تواجه- في المستقبل- أشخاصا عنودين كأبى جهل و أبى لهب، و أن تصنع ممن انحطت أفكارهم حتى أنهم سجدوا لكل حجر و مدر، أفرادا لا يخضعون لأى شيء سوى ارادة الحق و مشيئته، لا بدّ أن تتسلح قبل ذلك بسلاح الصبر، و تتجهز بأداة التحمل، و تتزود مسبقا بقدرة الاستقامة على طريق الهدف، و هذا لا يكون إلّا بتعويد النفس على هذه

---

(۱) سفينة البحار: مادّة نبأ.

(۲) السيرة النبوية لابن هشام: ج ۱ ص ۱۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۳

الصفات، و حملها على مشاق الاعمال:

(۱)

سبب آخر لرعى الغنم:

و يمكن أن نذكر هنا سببا آخر أيضا و هو ان رجلا حرّ النفس و العقل كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تجرى فى شرايينه و عروقه دماء الغيرة و الشجاعة كان يشق عليه ان يشاهد كل ذلك الظلم و الحيف الذى كان يمارسه طغاة مكة، و عتاة قريش و زعماؤها الظالمون القساة بحق الضعفاء، و المحرومين، و كذا كان يشق عليه ان يرى تظاهرهم بالعصيان و الفسوق فى حرم اللّه، و عند بيته المعظم.

إن اعراض سكّان مكة عن عبادة اللّه الواحد الحق، و طوافهم حول تلك الأصنام الخاوية هى- بلا ريب- أسوأ و اقبح ما يكون فى نظر الرجل الفاهم، و العاقل العالم، و اثقل ما يكون عليه.

من هنا رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يقضى ردحا من الزمن فى الصحارى و القفار و عند سفوح الجبال التى كانت يومئذ بعيدة بطبيعة الحال عن تلك المجتمعات الفاسدة و أحوالها و أوضاعها، ليستريح (أو يتخلص) بعض الشيء من آلامه الروحية الناشئة من رؤية تلك الأوضاع المزرية، و الأحوال المشينة.

(۲) على أنّ هذا الأمر لا يعنى أن للرجل المتقى أن يسكت على الفساد و الظلم، و يقرّ عليهما.

و يفرّق بين حياته و حياة الآخرين و يعتزل عنهم و يتخذ موقف اللامبالاة تجاه الأوضاع المنحرفة، و الاحوال الشاذة، بل ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لما كان مأمورا من جانب اللّه سبحانه بالسكوت و الانتظار، لانه لم تكن ظروف «البعثة» و الهداية قد توفرت و تهيأت بعد لذلك اتخذ صلّى اللّه عليه و آله مثل هذا الموقف.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۴

(۱)

سبب ثالث:

و لقد كان هذا العمل (أى الاشتغال برعى الاغنام فى البرارى و القفار و عند السهول و سفوح الجبال) فرصة جيدة لأن يتمكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من النظر فى خلق السماوات و التطلع فى النجوم و الكواكب و أحوالها و أوضاعها، و بالتالى الامعان فى الآيات الأنفسية و الآفاقية التى هى جميعا من آيات وجود اللّه تعالى، و من مظاهر قدرته و حكمته و علمه و إرادته.

ان قلوب الأنبياء و المرسلين مع أنها منوّرة بمصابيح المعرفة المشرقة و مضاءة بأنوار الايمان و التوحيد منذ بدء فطرتها، و خلقتها، و لكنهم مع ذلك لا يرون أنفسهم فى غنى عن النظر فى عالم الخلق، و التفكر فى الآيات الالهية، اذ من خلال هذا الطريق يصلون إلى أعلى مراتب الايمان، و يبلغون اسمى درجات اليقين، و بالتالى يتمكنون من الوقوف على ملكوت السماوات و الأرضين.

(۲)

اقتراح أبى طالب:

لقد دفع وضع (محمّد) المعيشى الصعب «أبا طالب» سيد قريش و زعيمها الذى كان معروفا بالسخاء و موصوفا بالشهامة، و علو الطبع، و إباء النفس إلى ان يفكر فى عمل لابن أخيه، كيما يخفف عنه وطأة ذلك الوضع.

و من هنا اقترح على ابن أخيه «محمّد» العمل و التجارة بأموال «خديجة بنت خويلد» التى كانت امرأة تاجرة، ذات شرف عظيم، و مال كثير، تستأجر الرجال فى مالها أو تضاربهم اياه بشىء تجعله لهم منه.

فقد قال أبو طالب للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله: يا ابن أخى هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بما لها اكثر الناس و هى تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت إليك، و فضّلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك.

(۳) و لكن إباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علوّ طبعه، منعاه من الإقدام

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۵۵

بنفسه على هذا الأمر من دون سابق عهد، و لهذا قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمّه: فلعلّها أن ترسل إلىّ فى ذلك، لأنّها تعرف بأنه المعروف بالأمين بين الناس.

فبلغ «خديجة» بنت خويلد، ما دار بين النبىّ و عمه «أبى طالب»، فبعثت إليه فورا تقول له: إنّى دعانى الى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظم أمانتك، و كرم أخلاقك، و أنا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك و ابعث معك غلامين يأتمران بأمرك فى السفر.

فاخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمّه بذلك فقال له ابو طالب: «إنّ هذا رزق ساقه اللّه إليك» «۱».

هل عمل النبى أجيرا لخديجة؟

(۱) و هنا لا بدّ من التذكير بنقطة فى هذا المجال و هى:

هل عمل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أجيرا فى أموال خديجة، أم أنه قد عمل فى تجارتها بصورة اخرى كالمضاربة، و ذلك بأن تعاقد النبى مع خديجة على أن يتاجر بأموالها على أن يشاركها فى ارباح تلك التجارة؟

انّ مكانة البيت الهاشمىّ، و إباء النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله، و مناعة طبعه، كل تلك الامور و الخصال توجب أن يكون عمل النبى فى أموال خديجة قد تمّ بالصورة الثانية (أى العمل فى تجارتها على نحو المضاربة لا الإجارة)، و تؤيّد هذا المطلب أمور هى:

(۲) أولا: انه لا يوجد فى اقتراح أبى طالب أيّة اشارة و لا أى كلام عن الإجارة، بل قد تحاور أبو طالب مع إخوته (أعمام النبىّ) فى هذه المسألة من قبل و قال:

«امضوا بنا إلى دار خديجة بنت خويلد حتى نسألها ان تعطى محمّدا مالا يتّجر به «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۲، السيرة الحلبية ج ۱ ص ۱۳۲ و ۱۳۳، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۲۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۶

(۱) ثانیا: ان المؤرخ الأقدم المعروف بالیعقوبی کتب تاریخه: ان النبی ما کان أجیرا لأحد قط «۱».

ثالثا: ان الجنابذی صرّح فی کتابه «معالم العترة» بأن «خدیجة» کانت تضارب الرجال فی مالها، بشیء تجعله لهم منه (ای من ذلک المال او من ربحه) «۲».

(۲) تهیّأت قافلة قریش التجاریة للسفر الی الشام، و فیها أموال «خدیجة» أیضا، فی هذا الاثناء جعلت «خدیجة» بعیرا قویا و شیئا من البضاعة الثمینة تحت تصرّف وکیلها (أی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله) و امرت غلامیها (میسرة و ناصح) اللذین قررت ان یرافقاه صلّی اللّه علیه و آله، بان یمتثلا أوامره، و یطیعاه، و یتعاملا معه بأدب طوال تلک الرحلة، و لا یخالفاه فی شیء «۳».

و أخیرا وصلت القافلة إلی مقصدها و استفاد الجمیع فی هذه الرحلة التجاریة أرباحا، إلا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ربح اکثر من الجمیع، کما أنه ابتاع أشیاء من الشام لبیعها فی سوق «تهامة».

ثم عادت تلک القافلة التجاریة إلی «مکة» بعد ذلک المکسب الکبیر، و الحصول علی الربح الوفیر.

و لقد تسنی لفتی قریش «محمّد» أن یمرّ- للمرة الثانیة فی هذه السفرة- علی دیار عاد و ثمود.

(۳) و قد حمله الصمت الکبیر الذی کان یخیّم علی دیار و اطلال تلک الجماعة العاصیة المتمردة فی نقلة روحانیة الی العوالم الاخری اکثر فاکثر، هذا مضافا إلی أن هذه الرحلة جدّدت خواطره و ذکریاته فی السفرة الاولی، فقد تذکّر یوم طوی مع عمه «ابی طالب» هذه الصحاری نفسها و هذه القفار ذاتها، و ما کان یحظی

---

(۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۲۱.

(۲) بحار الأنوار ج ۱۶ ص ۹ نقلا عن معالم العترة.

(۳) قالت خدیجة لهما: اعلما أننی قد أرسلت إلیکما أمینا علی أموالی و أنّه أمیر قریش و سیّدها، فلا ید علی یده، فإن باع لا یمنع و إن ترک لا یؤمر و لیکن کلامکما له بلطف و أدب و لا یعلو کلامکما علی کلامه بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۷

فیها من عمه من الحدب و العنایة.

(۱) و عند ما اقتربت قافلة قریش إلی «مکة»، و صارت عند مشارفها، التفت «میسرة» غلام خدیجة، الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قال: «یا محمّد لقد ربحنا فی هذه السفرة ببرکتک ما لم نربح فی اربعین سنة، فاستقبل بخدیجة و أبشرها بربحنا» فأخذ النبی باقتراح میسرة، و سبق القافلة العائدة فی الدخول الی مکة، و توجه نحو بیت «خدیجة» بینما کانت خدیجة جالسة فی غرفتها، فلما رأت النبی مقبلا علیها، نزلت من منظرتها و رکضت نحوه و استقبلته، و أدخلته فی غرفتها، فخبّرها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بما ربحوا، ببیان جمیل، و کلام بلیغ، فسرت «خدیجة» بذلک سرورا عظیما، ثم قدم «میسرة» فی الأثر، و دخل علیها، و أخبرها بکل ما رآه و شاهده من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلک السفرة من الکرامة و الخیر، و الخلق العظیم، و الخصال الکریمة، و من الامور التی کانت برمتها تدل علی عظمة شخصیته صلّی اللّه علیه و آله، و سمو خصاله «۱»، و من جملة ما حدثها به میسرة هو أنه لما وقع بین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بین رجل تلاح و جدال فی بیع قال له ذلک الرجل: احلف باللات و العزی، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما حلفت بهما قط، و إنی لأمرّ فاعرض عنهما «۲».

(۲) و حدثها أیضا بأنه لما مرّ ببصری نزلا فی ظل شجرة لیستریحا فقال راهب کان یعیش هناک لما رأی النبیّ یستریح فی ظل تلک الشجرة-: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبیّ» سأل عن اسمه، فأخبره میسرة باسمه فقال: «هو نبیّ و هو آخر الأنبیاء، إنه هو هو و

منزّل الانجیل، و قد قرأت عنه بشائر کثیرة» «۳».

---

(۱) الخرائج: ص ۱۸۶، بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۵.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۳۰ و فی بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۸: انه صلّی اللّه علیه و آله قال:
إلیک عنی ثکلتک امّک فما تکلّمت العرب بکلمة اثقل علیّ من هذه الکلمة.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۸، الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۳۰، الکامل لابن الأثیر: ج ۲ ص ۲۴ و ۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۸

(۱)

خدیجة زوجة الرّسول الاولی:

اشارة

حتی قبل ذلک الیوم لم تکن حالة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الاقتصادیة و وضعه المالی یحسد علیه، فقد کان بحاجة إلی مساعدة عمّه «أبی طالب» المالیة، و لم یکن شغله علی النحو الذی یکفی لضمان نفقاته، من جانب، و تمکینه من اختیار زوجة و شریکة حیاة و تکوین عائلة، من جانب آخر.

و لکن هذه السفرة إلی الشام و بخاصة علی نحو الوکالة و المضاربة فی أموال امرأة جلیلة، معروفة فی قریش (أعنی خدیجة) ساعدت و الی حدّ کبیر علی تثبیت وضعه الاقتصادی و تقویة بنیته المالیة.

و لقد اعجبت «خدیجة» بعظمة فتی قریش و سموّ أخلاقه، و مقدرته التجاریة حتی أنها أرادت أن تعطیه زیادة علی ما تعاقدا علیه، تقدیرا له، و اعجابا به، و لکنه اکتفی بأخذ ما تقرر فی البدایة ثم توجه إلی بیت عمه «أبی طالب» و قدّم کل ما أخذه من «خدیجة» الی عمه «أبی طالب» لیوسّع به علی أهله.

(۲) ففرح «أبو طالب» بما عاین من ابن اخیه، و بقیة أبیه «عبد المطلب»، و أخیه «عبد اللّه» و اغرورقت عیناه بالدموع، و سرّ بما حقق من نجاح و ما حصل علیه من ربح من تلک التجارة سرورا کبیرا، و استعدّ أن یعطیه بعیرین یسافر علیهما و یتاجر، و راحلتین یصلح بهما شأنه، لیتسنی له بأن یحصل علی ثروة و مال یعطیه لعمه لیختار له زوجة.

فی مثل هذه الظروف بالذات عزم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عزما قاطعا علی أن یتخذ لنفسه شریکة حیاة و یکوّن اسرة، و لکن کیف وقع الاختیار علی «خدیجة» التی سبق لها أن رفضت کل طلبات الزواج التی تقدم بها کبار الاثریاء و الشخصیات القرشیة مثل «عاقبة بن أبی معیط»، و «أبو جهل» و «أبو سفیان» للزواج بها؟؟!، و ما ذا کانت العلل التی جمعت هذین الشخصین غیر المشابهین، من حیث مستوی الحیاة، و الثراء؟ و کیف ظهرت تلک الرابطة القویة، و تلک العلاقة المعنویّة العمیقة، و الالفة و المحبة بینهما إلی درجة أنّ

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۵۹

«خدیجة» سلام اللّه علیها وهبت کل ثروتها للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله لینفقها فی نشر الإسلام، و إعلاء کلمة الحق، و إرساء قواعد التوحید، و بث الدین الجدید، و أصبحت تلک الدار المفخمة التی کانت تزینها الکراسی المرصّعة، و الستر المطرّزة، المصنوعة من أغلی الأقمشة الهندیة، و الإیرانیة، ملجأ للمسلمین، و ملتقی لانصار الرسالة؟!!

(۱) لا بـدّ من البحث عن جـذور هذه الحوادث فی تاریخ حیاة «خدیجة» نفسـها، فان من المسـلّم و البدیهیّ أن هذا النوع من الفداء، و التفانی و الإیثار لم یکن ثابتا لیتحقق ما لم یکن لها جذور معنویة و طاهرة.

إن صـفحات التاریـخ لتشـهد بأنّ هذا الزواج کان ناشـئا من إیمان «خدیجة» بتقوی عزیز قریش و فتاها الامین «محمّد» و طهره، و حبها الشدید لعفته و کرم أخلاقه، و لهذا قال النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فی حقها:

«أفضل نساء الجنة أربع: خدیجة ...» «۱».

إنها أول امرأة آمنت برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فقد قال علی أمیر المؤمنین علیه السّلام: فی خطبته التی یشیر فیها إلی غربة الإسلام فی مبدأ البعثة النبویة الشریفة:

«لم یجمع بیت واحد یومئذ فی الإسلام غیر رسول اللّه و خدیجة و أنا ثالثهما» «۲».

(۲) و یکتب «ابن الأثیر» قائلا: إنّ عفیف الکنـدی کان امرأ تاجرا قـدم مکـة أیام الحـج فرأی رجلا قام تجاه الکعبة یصـلّی ثم خرجت امراة تصلّی معه، ثم خرج غلام فقام یصلی معه، فمضی یسأل العباس عمّ النبیّ عن هؤلاء، و عن هذا الدین، فقال العباس:

---

(۱) خصال الصدوق: ج ۱ ص ۹۶ و غیره.

(۲) الکامل: ج ۲ ص ۳۷، شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید المعتزلی الشافعی: ج ۱۳ ص ۱۹۷- ۲۰۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۰

هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخی زعم أن اللّه ارسله، و هذه امرأته خدیجة آمنت به، و هذا الغلام علی بن أبی طالب آمن به، و أیم اللّه ما أعلم علی ظهر الأرض أحدا علی هذا الدین إلّا هؤلاء الثلاثة «۱».

و ینبغی هنا أن نعطی لمحة عن مکانة خدیجة فی الإسلام تکمیلا لهذه الدراسة.

خدیجة فی أحادیث الرسول صلّی اللّه علیه و آله:

لقـد اکتسبت «خدیجـة» بفضـل إیمانهـا العمیق بالرسالـة المحمدیـة، و تفانیها فی سبیل الاسـلام، و بسـبب حرصـها العجیب علی حیاة صاحب الرسالة و سلامته، و عملها المخلص علی انجاح مهمته، و مشارکتها الفعّالة، فی دفع عجلة الدعوة الی الإمام، و مشاطرتها للنبی فی اکثر ما تحمله من محن و أذی بصبر و استقامة وحب و رغبة.

لقـد اکتسبت خدیجـة بفضـل کل هـذا و غیره مکانـة سامیـة فی الإسـلام، حتی ان النبیّ ذکرها فی أحادیث کثیرة و أشاد بفضـلها، و مکانتها و شرفها علی غیرها من النساء المسلمات المؤمنات، و ذلک و لا شک ینطوی علی اکثر من هدف.

فمن جملـة الأهـداف التی ربما توخاها النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله من الاشادة بخدیجـة سـلام اللّه علیها الفات نظر المرأة المسـلمة الی القدوة التی ینبغی أن تقتدی بها فی حیاتها و سلوکها فی جمیع المجالات و الأبعاد، و الظروف، و الحالات.

هذا مضافا إلی ما یمکن أن تقدمه المرأة و هی نصف المجتمع (إن لم تکن اکثره أحیانا) من دعم جدّی للرسالة، مادیا کان أو معنویا.

و فیما یلی نأتی ببعض الأحادیث الشـریفة التی تعکس مکانـة خدیجة، و مقامها، و مدی إسـهامها فی نصـرة الإسـلام و دعم دعوته، و إرساء قواعده. سید المرسلین ج۱ ۲۶۰ خدیجة فی أحادیث الرسول صلی الله علیه و آله: ..... ص : ۲۶۰

عن أبی زرعة عن ابی هریرة یقول قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله]:

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۳ ص ۲۲۵ و ۲۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۱

أتانی جبرئیل علیه السّلام فقال یا رسول اللّه هذه خدیجة قد أتتک و معها آنیة فیها ادام أو طعام أو شراب، فاذا هی أتتک فاقرأ علیها السّلام من ربّها و منّی، و بشّرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فیه و لا نصب» «۱».

۲- عن عائشة قالت: ما غرت علی امرأة ما غرت علی خدیجة، و لقد هلکت قبل أن یتزوجنی بثلاث سنین، لما کنت اسمعه یذکرها، و لقد أمره ربه عزّ و جلّ ان یبشرها ببیت من قصب فی الجنة، و إن کان لیذبح الشاة ثم یهدیها الی خلائلها (ای خلیلاتها و صدیقاتها) «۲».

۳- و عن عائشة أیضا قالت ما غرت علی نساء النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم إلا علی خدیجة، و انی لم أدرکها، (قالت): و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم إذا ذبح الشاة فیقول: أرسلوا بها الی اصدقاء خدیجة قالت: «أی عائشة» فاغضبته یوما فقلت: خدیجة!! فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«انی قد رزقت حبّها» «۳».

۴- و من هذا القبیل ما کان یقوم به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع صاحبات خدیجة من الاحترام لهن و الاحتفال بهنّ:

فقد وقف صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی عجوز فجعل یسألها، و یتحفاها، و قال:

«ان حسن العهد من الایمان، انها کانت تأتینا أیام خدیجة» «۴»

۵- و روی عن انس قال کان النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] إذا اتی بهدیة قال: «اذهبوا بها إلی بیت فلانة فانها کانت صدیقة لخدیجة إنها کانت تحب خدیجة» «۵»

---

(۱) صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳، مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۸۴ و ۱۸۵ بطرق متعددة صحیحة علی شرط الشیخین.

(۲) صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۴، و مثلها فی صحیح البخاری: ج ۵ ص ۳۸ و ۳۹.

(۳) صحیح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۴، و مثلها فی صحیح البخاری: ج ۵ ص ۳۸ و ۳۹.

(۴) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۸، ص ۱۰۸.

(۵) سفینة البحار: ج ۱ ص ۳۸۰ (خدج).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۶۲

۶- روی مجاهد عن الشعبی عن مسروق عن عائشة قالت: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم لا یکاد یخرج من البیت حتی یذکر خدیجة فیحسن الثناء علیها، فذکرها یوما من الایام فادرکتنی الغیرة فقلت: هل کانت إلا عجوزا فقد أبدلک اللّه خیرا منها، فغضب حتی أهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: «لا و اللّه ما أبدلنی اللّه خیرا منها، آمنت بی إذ کفر الناس، و صدّقتنی و کذّبنی الناس و واستنی فی ما لها اذ حرمنی الناس و رزقنی اللّه منها أولادا إذ حرمنی أولاد النساء» قالت عائشة فقلت فی نفسی: لا أذکرها بسیئة ابدا «۱».

۷- عن یعلی بن المغیرة عن ابن ابی رواد قال: دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم علی خدیجة فی مرضها الذی ماتت فیه، فقال لها:

«یا خدیجة أ تکرهین ما أری منک، و قد یجعل اللّه فی الکره خیرا کثیرا، أ ما علمت أن اللّه تعالی زوّجنی معک فی الجنة مریم بنت عمران، و کلثم اخت موسی و آسیة امرأة فرعون ...» «۲».

۸- عن عکرمة عن ابن عباس قال خطّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أربع خطط فی الأرض و قال: أ تدرون ما هذا؟ قلنا: اللّه و رسوله أعلم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «أفضل نساء الجنة أربع: خدیجة بنت خویلد، و فاطمة بنت محمّد، و مریم بنت

عمران و آسیة بنت مزاحم امرأة فرعون» «۳».

۹- عن أنس جاء جبرئيل الى النبىّ صلّى اللّه عليه [و آله] و عنده خديجة فقال: إن اللّه يقرئ خديجة السلام فقالت: إن اللّه هو السلام، و عليك السلام، و رحمة اللّه و بركاته «۴».

۱۰- عن أبى الحسن الأول (الكاظم) عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى

(۱) اسد الغابة: ج ۵ ص ۴۳۸، و رواها مسلم أيضا: ج ۷ ص ۱۳۴، و كذا البخارى: ج ۵ ص ۳۹ و قد حذفا آخرها من: فغضب حتى ... الى آخر الرواية.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۷، و أسد الغابة: ج ۵ ص ۴۳۹.

(۳) الخصال للصدوق: ج ۱ ص ۹۶، كما فى بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲.

(۴) المستدرک على الصحيحين: ج ۳ ص ۱۸۱۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۳

اللّه عليه و آله: «إن اللّه اختار من النساء اربعا: مريم و آسية و خديجة و فاطمة» «۱».

۱۱- عن ابى اليقظان عمران بن عبد اللّه عن ربيعة السعدى قال أتيت حذيفة بن اليمان و هو فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسمعته يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

«خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الايمان باللّه و بمحمد (صلّى اللّه عليه و آله)» «۲».

۱۲- عن عروة قال قالت عائشة لفاطمة رضى اللّه عنها بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم: أ لا ابشرک أنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] يقول:

«سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، و فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم، و خديجة بنت خويلد و آسية» «۳».

۱۳- عن أبى عبد اللّه (الصادق) عليه السّلام قال: دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منزله، فاذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها و هى تقول: و اللّه يا بنت خديجة، ما ترين إلا أن لامک علينا فضلا، و أى فضل كان لها علينا؟! ما هى إلّا كبعضنا، فسمع صلّى اللّه عليه و آله مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بكت، فقال: ما يبكيک يا بنت محمّد؟! قالت: ذكرت امّى فتنقّصتها فبكيت، فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. ثم قال:

«مه يا حميراء، فان اللّه تبارک و تعالى بارک فى الودود الولود، و أن خديجة رحمها اللّه ولدت منّى طاهرا، و هو عبد اللّه و هو المطهّر و ولدت منّى القاسم، و فاطمة، و رقية، و أمّ كلثوم، و زينب، و أنت ممن أعقم اللّه رحمه فلم تلدى

(۱) الخصال: ج ۱ ص ۹۶، كما فى البحار: ج ۱۶ ص ۲.

(۲) المستدرک على الصحيحين: ح ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۶ و وردت روايات بمضمون ذيل الحديث فى صحيح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳.

(۳) المستدرک على الصحيحين: ح ۳ ص ۱۸۴- ۱۸۶ و وردت روايات بمضمون ذيل الحديث فى صحيح مسلم: ج ۷ ص ۱۳۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۴

شيئا» «۱».

أجل هذه هى «خديجة بنت خويلد» شرف و عقل، و حب عميق لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و وفاء و إخلاص، و تضحية بالغالى و الرخيص فى سبيل الإسلام الحنيف.

هـذه هى «خديجة» أول من آمنت باللّه و رسوله، و صدّقت محمّدا فيما جاء به عن ربه، من النساء، و آزره، فكان صـلّى اللّه عليه و آله لاـ يسـمع من المشـركين شـيئا يكرهه من ردّ عليه، و تكـذيب له الّا فرّج اللّه عنه بخديجـة التى كانت تخفف عنه «۲»، و تهـوّن عليه ما يلقى من قومه، بما تمنحه من لطفها، و عطفها، و عنايتها به صلّى اللّه عليه و آله، فى غاية الاخلاص و الودّ و التفانى.

و لهـذا كان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله يحبّها حبا شديـدا و يجلّها و بقدرها حق قدرها «۳»، و لم يفتأ يـذكرها، و لم يتزوج عليها غيرها حتى رحلت وفاء لها، و احتراما لشخصـها و مشاعرها، و كان يغضب إذا ذكرها احـد بسوء، كيف و هى التى آمنت به اذ كفر به الناس، و صدّقته اذ كذّبه الناس، و واسته فى ما لها اذ حرمه الناس.

و لهذا أيضا كان وفاتها مصـيبة عظيمة أحزنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دفعته إلى أن يسمّى ذلك العام الذى توفى فيه ناصـراه و حامياه، و رفيقا آلامه (زوجته هـذه: خديجة بنت خويلد و عمه المؤمن الصامد الصابر ابو طالب عليهما السّـلام) بعام الحداد، او عام الحزن «۴» و ان يلزم بيته و يقلّ الخروج «۵»،

---

(۱) الخصال: ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸، كما فى بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۳.

(۲) اعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج ۱ ص ۳۲۸.

(۳) اعلام النساء: ج ۱ ص ۳۳۰.

(۴) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۳۵، و قد روى عنه صلّى اللّه عليه و آله أنه قال بهذه المناسبة:

«اجتمعت على هـذه الامة مصـيبتان لا أدرى بأيهما أنا أشدّ جزعا» المصدر نفسه، و راجع تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۰۱ نقلا عن سيرة مغلطاى.

(۵) السيـرة الحلبيـة: ج ۱ ص ۳۴۷، المواهب اللدنيـة حسب نقل تاريـخ الخميس: ج ۱ ص ۳۰۲ و فيه إضافـة: و نـالت قريش منه ما لم تكن تنال.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۵

و أن ينزل صلّى اللّه عليه و آله عند دفنها فى حفرتها، و يدخلها القبر بيده، فى الحجون «۱».

عن ابن عباس فى حديث طويل فى زواج فاطمة الزهراء عليها السّـلام بعلى عليه السّـلام اجتمعت نساء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كان يومئذ فى بيت عائشة ليسألنّه أن يدخل الزهراء على (علىّ) عليه السّلام فاحدقن به و قلت:

فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول اللّه قد اجتمعنا لأمر لو أنّ «خديجة» فى الأحياء لقرّت بذلك عينها.

قالت أمّ سـلمة: فلما ذكرنا «خديجـة» بكى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ثم قال: «خديجـة و اين مثل خديجة، صدّقتنى حين كذّبنى النـاس و وازرتنى على دين اللّه و أعـانتنى عليه بمالها، إن اللّه عزّ و جلّ أمرنى أن ابشـر خديجـة ببيت فى الجنـة من قصب (الزمرّد) لا صخب فيه و لا نصب» «۲».

لقـد كـانت خديجـة من خيرة نسـاء قريش شـرفا، و اكثرهنّ مالا، و احسـنهن جمالا و أقواهنّ عقلا و فهما و كانت تـدعى فى الجاهلية بالطاهرة لشدة عفافها و صيانتها «۳» و يقال لها: سـيدة قريش «۴»، و كان لها من المكانـة و المنزلة بحيث كان كل قومها و سـراة أبناء جلدتها حريصين على الاقتران بها «۵»، و قـد خطبها- كما يحـدثنا التاريخ- عظماء قريش و بذلوا لها الأموال، و ممن خطبها «عاقبة بن ابى معيط» و «الصـلت بن ابى يهاب» و «ابو جهل» و «ابو سـفيان» فرفضـتهم جميعا، و اختارت رسول اللّه- و هى فى سن الأربعين و هو صلّى اللّه عليه و آله فى الخامسـة و العشـرين- و هى تمتلك تلكم الثروة الطائلة، و هو صـلّى اللّه عليه و آله لا يمتلك من حطام الدنيا إلّا الشيء اليسير اليسير، رغبة فى الاقتران به و لما عرفت فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمة و الصفات العالية، و هى ما كانت تبحث عنه فى حياتها و تتعشقه و اذا بتلك المرأة الغنية الثرية العائشة فى

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۱۳۱ نقلا عن كشف اليقين.

(۳) السيرة الحلبيّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

(۴) السيرة الحلبيّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

(۵) السيرة الحلبيّة: ج ۱ ص ۱۳۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۶

أفضل عيش تصبح فى بيت زوجها الرسول صلّى اللّه عليه و آله تلك الزوجة المطيعة الخاضعة، الوفية المخلصة، و تسارع الى قبول دعوته، و اعتناق دينه بوعى و بصيرة و ارادة منها و اختيار، و هى تعلم ما ينطوى عليه ذلك من مخاطر و متاعب، و تجعل كل ثروتها فى خدمة العقيدة و المبدأ، و تشاطر زوجها آلامه، و متاعبه، و ترضى بأن تذوق مرارة الحصار فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات و فى سنّ الرابعة أو الخامسة و الستين. و هى مع ذلك تواجه كل ذلك بصبر و ثبات «۱»، و دون أن يذكر عنها تبرّم او توجع.

هذا مضافا إلى أنها كانت تعامل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأدب تامّ يليق بمقام الرسالة و النبوة، على العكس من غيرها من بعض نساء النبيّ اللائى كن ربما يثرن سخطه و غضبه، و يؤذينه فى نفسه و أهله.

و إليك فيما يأتى بعض ما قاله عنها كبار الشخصيات، و المؤرخين ممّا يكشف عن عظيم مكانتها عند المسلمين أيضا، قال امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام:

«كنت أول من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حجج و ما على الأرض خلق يصلّى و يشهد لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما أتاه غيرى، و غير ابنة خويلد رحمها اللّه و قد فعل» «۲».

و قال محمّد بن اسحاق: كانت خديجة أول من آمن باللّه و رسوله و صدّقت بما جاء من اللّه، و وازرته على أمره فخفف اللّه بذلك عن رسول اللّه، و كان لا يسمع شيئا يكرهه من ردّ عليه و تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج اللّه ذلك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بها اذا رجع إليها تثبّته، و تخفّف عنه، و تهوّن

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ۱۴ ص ۵۹ قال: خديجة بنت خويلد و هى عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله محاصرة فى الشعب.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۲ و مثله فى روايات متعددة فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۴ ص ۱۱۹ و ۱۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۷

عليه امر الناس حتى ماتت رحمها اللّه «۱».

و عنه أيضا: أن «خديجة بنت خويلد» و «ابا طالب» ماتا فى عام واحد، فتتابع على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هلاك خديجة و ابى طالب و كانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، و كان رسول اللّه يسكن إليها «۲».

و قال أبو امامة ابن النقاش: ان سبق خديجة و تأثيرها فى اول الإسلام و مؤازرتها و نصرتها و قيامها للّه بمالها و نفسها لم يشركها فيه احد لا عائشة و لا غيرها من امهات المؤمنين «۳».

و قد جاء فى المنتقى: ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند ما امر بأن يصدع بالرسالة صعد على الصفا، و أخبر الناس بما أمره اللّه به فرماه أبو جهل قبحه اللّه بحجر فشجّ بين عينيه، و تبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل، فسمع علىّ و خديجة بذلك فراحا يلتمسانه صلّى اللّه عليه و آله و هو جائع عطشان مرهق، و مضت خديجة تبحث عنه فى كل مكان فى الوادى و هى تناديه بحرقة و

ألم، و تبكى و تنحب، فنظر جبرئيل إلى خديجة تجول فى الوادى فقال: يا رسول اللّه أ لا ترى إلى خديجة فقد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فاقرأها منى السلام و قل لها: إن اللّه يقرئك السلام، و يبشّرها أن لها فى الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه و لا صخب فدعاها النبى صلّى اللّه عليه و آله و الدماء تسيل من وجهه على الارض و هو يمسحها و يردّها، و بقى رسول اللّه و صلّى اللّه عليه و آله، و على و خديجة هناك حتى جنّ الليل فانصرفوا جميعا و دخلت به خديجة منزلها، فأقعدته على الموضع الذى فيه الصخرة و اظلّته بصخرة من فوق رأسه، و قامت فى وجهه تستره ببردها و أقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فاذا جاءت من فوق راسه صخرة وقته الصخرة، و اذا رموه من تحته وقته الجدران الحيّط، و إذا رمى من بين يديه وقته خديجة رضى اللّه عنها بنفسها، و جعلت تنادى يا معشر قريش ترمى الحرّة

---

(۱) بحار الانوار: ج ۱۶، ص ۱۰- ۱۲.

(۲) نفس المصدر.

(۳) تاريخ الخمس فى أحوال أنفس نفيس: ج ۱ ص ۲۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۸

فى منزلها؟ فلمّا سمعوا ذلك انصرفوا عنه، و أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و غدا إلى المسجد يصلّى «۱».

و لقد بلغ من خضوعها لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حبّها له أنها بعد أن تم عقد زواجها برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قالت له صلّى اللّه عليه و آله: «إلى بيتك، فبيتى بيتك، و أنا جاريتك» «۲».

و جاء فى السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: و لسبقها إلى الإسلام و حسن المعروف جزاها اللّه سبحانه فبعث جبرئيل الى النبى صلّى اللّه عليه و آله و هو بغار حراء و قال له: اقرأ عليها السّلام من ربها و منى، و بشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، فقالت: هو السلام و منه السلام و على جبرئيل السلام، و عليك يا رسول اللّه السلام و رحمة اللّه و بركاته، و هذا من وفور فقهها رضى اللّه عنها حيث جعلت مكان ردّ السلام على اللّه الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به و ما يليق بغيره، قال ابن هشام و القصب هنا اللؤلؤ المجوف، و ابدى السهيلى لنفى النصب لطيفة هى انه صلّى اللّه عليه و آله لما دعاها الى الايمان أجابت طوعا و لم تحوجه لرفع صوت و لا منازعة و لا نصب بل ازالت عنه كل تعب، و آنسته من كل وحشة، و هوّنت عليه كل عسير فناسب ان تكون منزلتها التى بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها و صورة حالها رضى اللّه عنها و اقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها، و تميزت أيضا بأنها لم تسؤه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم تغاضبه قط، و قد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها و بلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته «۳».

افتخار اهل البيت بخديجة عليها السّلام:

و ما يدل على سمو مقامها و علو منزلتها أن اهل البيت عليهم السّلام طالما

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۴۳

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۴ نقلا عن الخرائج و الجرائح ص ۱۸۶ و ۱۸۷.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۶۹ الهامش.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۶۹

افتخروا بأن خديجة منهم، و انهم من خديجة و قد كانوا يعتزون بها، و يشيدون بمكانتها:

فقد خطب معاوية بالكوفة حين دخلها و الحسن و الحسين عليهما السّلام جالسان تحت المنبر فذكر عليا عليه السّلام فنال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذه الحسن بيده و أجلسه ثم قام فقال:

«أيّها الذاكر عليّا أنا الحسن و أبى علىّ و أنت معاوية و أبوك صخر و أمى فاطمة و امّك هند وجدى رسول اللّه و جدّك عتبة بن ربيعة و جدتى خديجة وجدتك قتيلة فلعن اللّه أخملنا ذكرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قديما و حديثا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين «۱».

و قيل: ان «الحسين» عليه السّلام ساير «أنس بن مالك» فاتى قبر خديجة فبكى ثم قال: اذهب عنّى قال «أنس»؛ فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه فى الصلاة سمعته يقول:

يا ربّ يا ربّ أنت مولاهفارحم عبيدا إليك ملجاه

يا ذا المعالى عليك معتمدىطوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خادما أرقايشكو إلى ذى الجلال بلواه الى آخر الابيات «۲».

هكذا كان اهل البيت النبوى- اقتداء برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحترمون خديجة و يكرمونها لما كان لها من شخصية عظيمة و لما اسدته الى الإسلام و الى رسول الإسلام من خدمات لا تنسى على مرّ الدهور.

ان بيان و نقل الأحاديث و الروايات، و كذا الاقوال التى وردت فى شأن خديجة و الحديث عن شخصيتها و مكانتها و مدى إسهامها فى انجاح و نصرة الدعوة المحمدية خارج عن امكانية هذه الدراسة، و نطاقها، لذلك نكتفى بهذه الالماعة

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ۱۶، ص ۴۶ و ۴۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۴ ص ۱۹۳ نقلا عن عيون المحاسن.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷۰

العابرة تاركين الكلام باسهاب حولها إلى مجال آخر.

و لنعد إلى تبيّن الأسباب الظاهرية و الباطنية لزواجها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۱)

العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

إن الإنسان المادىّ الذى ينظر الى كل ما يحيط به من خلال المنظار المادى، و يفسره تفسيرا ماديا قد يتصور (و بالاحرى يظن) أن «خديجة» كانت امرأة تاجرة تهمّها تجارتها، و تنمية ثروتها، و لأنها كانت بحاجة ماسة الى رجل أمين قبل اى شىء، لذلك وجدت ضالتها فى محمّد الصادق الامين صلّى اللّه عليه و آله فتزوجت منه، بعد أن عرضت نفسها عليه و محمّد صلّى اللّه عليه و آله هو الآخر حيث انه كان يعلم بغناها و ثروتها، قبل بهذا العرض رغم ما كان بينه و بينها من فارق فى السن كبير.

و لكن التاريخ يثبت أن ثمة أسبابا و عللا معنويّة لا مادية هى التى دفعت بخديجة للزواج بأمين قريش و فتاها الصادق الطاهر.

و إليك فى ما يأتى شواهدنا على هذا الأمر:

(۲) ۱- عند ما سألت «خديجة» ميسرة عما رآه فى رحلته من فتى قريش «محمّد» فخبّرها ميسرة بما شاهد و رأى من «محمّد» فى تلك السفرة، و بما سمعه من راهب الشام حوله أحسّت «خديجة» فى نفسها بشوق عظيم و رغبة شديدة نحوه كانت نابغه من اعجابها

بمعنوية محمّد صلّى اللّه عليه و آله و كريم خصاله، و عظيم أخلاقه، فقالت من دون إرادتها: «حسبك يا ميسرة؛ لقد زدتنى شوقا إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله، اذهب فانت حر لوجه اللّه، و زوجتك و أولادك و لك عندى مائتا درهم و راحلتان» ثم خلعت عليه خلعة سنية «۱».

ثم إنها ذكرت ما سمعته من «ميسرة» لورقة بن نوفل و كان من حكماء

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۵۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷۱

العرب: فقال ورقة: «لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمّدا لنبىّ هذه الأمّة» «۱».

(۱) ۲- مرّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يوما بمنزل «خديجة بنت خويلد» و هى جالسة فى ملأ من نسائها و جواريها و خدمها و كان عندها حبر من أحبار اليهود، فلما مرّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله نظر إليه ذلك الحبر و قال: يا خديجة مرى من يأتى بهذا الشاب، فأرسلت إليه من أتى به، و دخل منزل «خديجة»، فقال له الحبر:

اكشف عن ظهرك فلما كشف له قال الحبر: هذا و اللّه خاتم النبوة فقالت له خديجة: لو رآك عمه و أنت تفتّشه لحلّت عليك منه نازلة البلاء و ان أعمامه ليحذرون عليه من أحبار اليهود:

فقال الحبر: و من يقدر على «محمّد» هذا بسوء، هذا و حق الكليم رسول الملك العظيم فى آخر الزمان، فطوبى لمن يكون له بعلا، و تكون له زوجة و أهلا فقد حازت شرف الدنيا و الآخرة.

فتعجّبت «خديجة»، و انصرف «محمّد» و قد اشتغل قلب «خديجة» بنت خويلد بحبه فقالت: أيها الحبر بم عرفت محمّدا انه نبى؟

قال: وجدت صفاته فى التوراة انه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه و امّه، و يكفله جدّه و عمه، و سوف يتزوج بامرأة من قريش سيدة قومها و أميرة عشيرتها، و أشار بيده الى خديجة فلما سمعت «خديجة» ما نطق به الحبر تعلق قلبها بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله فلما خرج من عندها قال: اجتهدى ان لا يفوتك «محمّد» فهو الشرف فى الدنيا و الآخرة «۲».

(۲) ۳- لقد كان ورقة بن نوفل (و هو عم خديجة و كان من كهّان قريش و قد قرأ صحف «شيث» عليه السّلام و صحف «إبراهيم» عليه السّلام و قرأ التوراة و الانجيل و زبور «داود» عليه السّلام) يقول دائما: سيبعث رجل من قريش فى آخر

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۹۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۳۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۰ و ۲۱ نقلا عن كتاب الأنوار لأبى الحسن البكرى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۷۲

الزمان يتزوج بامرأة من قريش تسود قومها (أو تكون سيدة قومها، و أميرة عشيرتها)، و لهذا كان يقول لها: «يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض و السماء» «۱».

(۱) هذه قضايا ذكرها بعض المؤرخين، و هى منقولة و مثبتة فى طائفة كبيرة من الكتب التاريخية، و هى بمجموعها تدل على العلل الحقيقة و الباطنية لرغبة خديجة فى الزواج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و إن هذه الرغبة كانت ناشئة من اعجاب «خديجة» بأخلاق فتى قريش الأمين، و نبله، و طهارته، و عظيم سجاياه و خصاله، و حبها لهذه الامور، و ليس هناك أى أثر فى علل هذا الزواج لامانة «محمّد» و كونه أصلح من غيره لهذا لسبب للقيام بتجارة «خديجة».

(۲)

کیف تمّت خطبة خدیجة؟

من المسلّم به أن اقتراح الزواج جاء من جانب «خدیجة» نفسها أولا، حتی أن ابن هشام «۲» نقل فی سیرته: ان «خدیجة» لما أخبرها میسرة بما اخبرها به بعثت إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقالت له: «یا ابن عم أبی قد رغبت فیک لقرابتک وسطتک [ای شرفک و مکانتک] فی قومک، و أمانتک و حسن خلقک، و صدق حدیثک» ثمّ اقترحت علیه أن تتزوج به.

و یعتقد اکثر المؤرّخین أن «نفیسة بنت علیّة» بلّغت رسالة «خدیجة» إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی النحو التالی:

قالت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یا محمّد ما یمنعک أن تتزوج ...

و لو دعیت الی الجمال و المال و الشرف و الکفاءة الّا تجیب؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: فمن هی؟

فقالت. خدیجة، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و کیف لی بذلک، فقالت: علیّ، فذهبت الی خدیجة فأخبرتها، فأرسلت خدیجة إلی رسول اللّه صلّی

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۱۸۹ و ۱۹۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۳

اللّه علیه و آله بوکیلها «عمرو بن اسد» «۱» لتحدید ساعة من اجل مراسم الخطبة فی محضر من الاقارب «۲».

(۱) فشاور النبی صلّی اللّه علیه و آله أعمامه و فی مقدمتهم «أبو طالب»، ثم عقدوا مجلسا فخما حضره کبار وجوه قریش، و رؤساؤها فخطب «أبو طالب»، و بعد ان حمد اللّه و اثنی علیه وصف ابن أخیه محمّدا بقوله:

«ثم إن ابن أخی هذا محمّد بن عبد اللّه لا یوزن به رجل إلّا رجح به شرفا و نبلا و فضلا و عقلا، و إن کان فی المال فإن المال ظلّ زائل، و أمر حائل و عاریة مسترجعة، و له فی خدیجة رغبة و لها فیه رغبة، و الصّداق ما سألتم عاجله و آجله من مالی، و محمّد من قد عرفتم قرابته».

و حیث أن «ابا طالب» تعرّض فی خطبته لذکر قریش، و بنی هاشم و فضیلتهم، و منزلتهم بین العرب، لذلک تکلّم «ورقة بن نوفل بن اسد» الذی کان من أقارب خدیجة «۳» و قال فی خطبة له: «لا تنکر العشیرة فضلکم، و لا یردّ أحد من الناس فخرکم و شرفکم و قد رغبنا فی الاتصال بحبلکم و شرفکم» «۴».

ثم اجری عقد النکاح و مهرها النبی صلّی اللّه علیه و آله أربعمائة دینار و قیل أصدقها عشرین بکرة «۵».

---

(۱) المعروف انّ والد خدیجة توفی فی حرب الفجار و لهذا قام بالایجاب من قبلها عمها عمرو بن اسد و لهذا لا یصح ما ذکره بعض المؤرخین من أنّ خویلد (والد خدیجة) امتنع من تزویجها لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی بدایة الأمر، ثم رضی بذلک نزولا عند رغبة خدیجة.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۶۴.

(۳) المعروف أنّ ورقة کان عمّا لخدیجة و لکن هذا موضع نقاش لأنّ «خدیجة بنت خویلد بن اسد» و ورقة بن نوفل بن اسد فیکونان أولاد عمومة أی أنّه ابن عم خدیجة و هی بنت عمّه. و لذلک جاء فی بعض المصادر وصفه ب «ابن عمّها» (تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۸۲) و راجع قبله السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱، ص ۲۰۳.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۶، مناقب آل أبی طالب: ج ۱ ص ۳۰، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۹، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۶۴.

(۵) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۴

(۱)

عمر خدیجة عند زواجها بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله:

المعروف المشهور أن خدیجة علیها السّلام تزوجت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هی فی سنّ الأربعین و أنها ولدت قبل عام الفیل بخمسة عشر عاما.

و ذکر البعض أقلّ من ذلک أیضا.

و ذکر أنها تزوجت قبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله برجلین أوّلهما «عتیق بن عائذ» ثم من بعده ابو هالة التمیمی اللذین توفی کل منهما بعید زواجه بخدیجة «۱».

---

(۱) ربما یشکّک فی أن تکون خدیجة علیها السّلام قد تزوجت قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأحد و هی التی امتنعت عن کل من خطبها و رام تزویجها من سادات قریش و اشرافها. راجع الاستغاثة: ج ۱، ص ۷۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۵

(۱)

۱۰ من الزواج الی البعثة

اشارة

تعتبر فترة الشباب من أهمّ و أخطر الفترات فی حیاة الإنسان ففی هذه الفترة تبلغ الغریزة الجنسیة نضجها و کمالها، و تصبح النفس البشریة لعبة فی أیدی الأهواء و یغلب طوفان الشهوة علی فضاء العقل، و یغطّی الظلام سماء التفکیر، و تشتد حاکمیة الغرائز المادیة، و تتضاءل شعلة العقل، و تتراءی أمام عیون الشباب بین الحین و الآخر، و صباح مساء صروح عظیمة من الآمال الخیالیة.

و لو ملک الإنسان- فی مثل هذه الفترة- شیئا من الثروة، لتحوّلت حیاته إلی مسألة فی غایة الخطورة فالغرائز الحیوانیة، و صحة المزاج من جهة و الامکانات المادیة و المالیة من جهة اخری تتعاضدان و تغرقان المرء فی بحر من الشهوات، و النزوات، و تهیّئان له عالما بعیدا عن التفکیر فی المستقبل.

(۲) و من هنا یصف المربّون العلماء تلک الفترة الحساسة بأنها الحدّ الفاصل بین الشقاء و السعادة، و الفترة التی قلما یستطیع شاب أن یرسم لنفسه فیها مسارا معقولا، و یختار لنفسه طریقا واضحا علی أمل الحصول علی الملکات الفاضلة، و النفسیة الرفیعة الطاهرة التی تحفظه عن أی خطر متوقع «۱». حقا إن کبح جماح

---

(۱) و الی هذه الحقیقة اشار الإمام جعفر الصادق علیه السّلام بقوله:

إنّ الفراغ و الشباب و الجدةمفسدة للمرء أی مفسدة

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۷۶

النفس، و زمّها و حفظها من الانزلاق فی مهاوی الشهوات، و النزوات فی مثل هذه الفترة لهو أمر جدّ عسیر، و لو أن الانسان حرم من تربیة عائلیة صحیحة مستقیمة کان علیه أن ینتظر مصیرا سیّئا، و مستقبلا فی غایة البؤس و الشقاء.

(۱)

فترة الشباب فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لیس من شک فی ان فتی قریش «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله کان یتمتع فی أیام شبابه بصحة جیدة، و قوة بدنیة عالیة، و کان شجاعا قویا، لأنّه صلّی اللّه علیه و آله قد تربی فی بیئة حرة بعیدة عن ضوضاء الحیاة، و فتح عینیه فی عائلة اتصف جمیع أفرادها و اعضائها بالشجاعة و الفروسیة، هذا من جانب، و من جانب آخر کان یمتلک ثروة «خدیجة» الطائلة فکانت ظروف الترف، و العیش الشهوانی متوفرة له بشکل کامل، و لکن کیف تری استفاد من هذه الامکانات المادیة هل مدّ موائد العیش و اللذة و شارک فی مجالس السهر و السمر و اللهو و اللعب. و اطلق العنان لشهوته، و فکر فی إشباع غرائزه الجنسیة کغیره من شباب ذلک العصر، و تلک البیئة الفاسدة.

أم أنّه اختار لنفسه منهجا آخر فی حیاته، و استفاد من کل تلک الإمکانات فی سبیل تحقیق حیاة زاخرة بالمعنویة، الأمر الذی تبدو ملامحه بجلاء لمن تتبع تلک الفترة الحساسة من تاریخه.

(۲) ان التاریخ لیشهد بأنه صلّی اللّه علیه و آله کان یعیش کما یعیش أی رجل رجل عاقل لبیب و فاضل رشید، و أنه طوی تلک السنوات الحساسة من حیاته کأحسن ما یکون، بعیدا عن العبث و الترف و الضیاع و الانزلاق إلی الشهوات و الانسیاق وراء التوافه.

بل ان التاریخ لیشهد بأنه کان اشد ما یکون نفورا من اللهو، و العبث، و الترف و المجون فقد کانت تلوح علی محیّاه دائما آثار التفکّر و التأمل، و کثیرا ما کان یلجأ الی سفوح الجبال او الکهوف و المغارات للابتعاد عن الجوّ الاجتماعی الموبوء فی مکة، یلبث هناک أیاما یتأمل فیها فی آثار القدرة الإلهیة،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۲۷۷

و فی عظمة الصنع الالهی، الرائع البدیع.

(۱)

احاسیسه و مشاعره الإنسانیة فی فترة الشباب:

و لقد وقعت فی احدی أسواق مکة ذات یوم حادثة هیّجت مشاعره الانسانیة و حرکت عواطفه و احاسیسه، فقد رأی مقامرا قد خسر بعیره و بیته، بل بلغ الأمر به أن استرقه منافسه عشرة أعوام.

و قد آلمت هذه القصة المأساویة فتی قریش «محمّد» بشدة، الی درجة أنّه لم یعد یحتمل البقاء فی «مکة» ذلک الیوم فغادرها من فوره و ذهب الی الجبال المحیطة بمکة ثم عاد بعد هزیع من اللیل.

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ینزعج بشدة لهذه المشاهد المحزنة و الاوضاع المأساویة، و کان یتعجب من ضعف عقول قومه، و انحطاط مدارکهم.

(۲) و لقد کان بیت «خدیجة» قبل زواج النبی صلّی اللّه علیه و آله بها ملاذا للفقراء و کعبة لآمال المساکین و المحرومین، و بعد أن تزوج النبی صلّی اللّه علیه و آله بها لم یطرأ علی وضع ذلک البیت أی تغییر من جهة الانفاق و البذل.

ففی سنین الجدب و القحط التی کانت تضرب مکة و ضواحیها بین الحین و الآخر ربما قدمت «حلیمة السعدیة» مکة لتزور ولدها

الرضاعی «محمّد» فکان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یکرمها و یحترمها، و یفرش رداءه تحت أقدامها، و یصغی لکلامها بعنایهٔ و لطف، وفاء لجمیلها، و عرفانا لعواطفها و امومتها.

فقد روی أن «حلیمهٔ» قدمت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکهٔ بعد تزوّجه خدیجهٔ، فشکت إلیه جدب البلاد و هلاک المواشی فکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «خدیجهٔ» فأعطتها بعیرا و اربعین شاهٔ، و انصرفت الی أهلها موفورهٔ، مسرورهٔ.

و روی أیضا انه استأذنت «حلیمهٔ» علیه ذات مرهٔ فلما دخلت علیه قال:

«امّی امّی» و عمد إلی ردائه فبسطه لها فقعدت علیه «۱».

---

(۱) السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۱ ص ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۸

(۱)

أولاد خدیجهٔ:

لا ریب فی أنّ وجود الأولاد فی الحیاهٔ العائلیّهٔ ممّا یقوّی أواصر الوشیجهٔ الزوجیهٔ، و یعمّق جذورها، و یمنح الجوّ العائلیّ بهاء، و رونقا، و جمالا خاصا.

و لقد أنجبت «خدیجهٔ» لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ستهٔ من الأولاد اثنین من الذکور، أکبرهما «القاسم» ثم «عبد اللّه» اللّذان کانا یدعیان ب: «الطاهر» و «الطیّب» و اربعهٔ من الإناث.

کتب ابن هشام یقول فی هذا الصدد: أکبر بناته رقیّهٔ ثم زینب ثم أمّ کلثوم، ثم فاطمهٔ.

فأما الذکور من أولاده صلّی اللّه علیه و آله فماتوا قبل البعثهٔ، و أما بناته فکلّهن أدرکن الإسلام «۱».

و رغم أن النبی صلّی اللّه علیه و آله قد عرف بصبره و جلده فی الحوادث و النوائب فربما انعکست احزانه القلبیهٔ فی قطرات دموعه الساخنهٔ المنحدرهٔ علی خدّیه الشریفتین فی موت أولاده.

و لقد بلغ به الحزن و الغم لموت ولده «إبراهیم» من زوجته ماریهٔ القبطیهٔ حدا لم یحدث لغیره من أولاده، إلّا أنّه رغم ذلک الحزن الآخذ من قلبه مأخذا لم یفتر لسانه عن حمد اللّه و شکره حتی أن اعرابیا اعترض علیه صلّی اللّه علیه و آله لما وجده یبکی علی ولده قائلا: او لم تکن نهیت عن البکاء اجابه بقوله:

«انما هذا رحمهٔ، و من لا یرحم لا یرحم» «۲».

(۲)

حدس لا أساس له من الواقع!!

لقد کتب الدکتور هیکل فی کتابه: «حیاهٔ محمّد» یقول: «لا ریب أن

---

(۱) مناقب ابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۱۴۰، قرب الأسناد: ۶ و ۷، الخصال: ج ۲ ص ۳۷، بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵- ۱۵۲. و قد ذکر البعض للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله اکثر من ولدین، یراجع تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۵، بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۶۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۷۹

خدیجة عند موت کل واحد منهما (ای ولدی النبی: القاسم و عبد اللّه) فی الجاهلیة توجّهت إلی آلهتها الاصنام تسألها ما بالها لم تشملها برحمتها و برها» «۱».

إنّ هذا الکلام لا یستند إلی أی دلیل تاریخی، و لیس هو بالتالی إلا حدس باطل، و ادّعاء فارغ لیس له من منشأ إلّا ان أغلبیة أهل ذلک العصر کانوا عبدة أوثان، فلا بدّ ان خدیجة کانت علی منوالهم!!

فی حین ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یبغض الأصنام و الأوثان من بدایة شبابه، و قد اتضح موقفه منها أکثر فی سفرته الی الشام فی أموال خدیجة یوم قال لمن استحلفه باللات و العزی: «إلیک عنی، فما تکلّمت العرب بکلمة أثقل علیّ من هذه».

مع ذلک کیف یمکن القول بأن امرأة لبیبة عاقلة لم یکن شدة حبها و شغفها بزوجها موضع شک، أن تتوجّه عند موت ولدیها إلی الاصنام التی کانت ابغض الأشیاء عند زوجها، و خاصة أن حبها لزوجها «محمّد» و بل إقدامها علی الزواج منه انما کان بسبب ما کان یتحلی به من ایمان و معنویة، و صفات فاضلة، و ملکات اخلاقیة عالیة، فهی قد سمعت عنه بأنه آخر نبیّ، و أنه خاتم المرسلین، فکیف و الحال هذه یمکن ان یحتمل أحد أنّها- مع هذا الاعتقاد- بث شکواها و حزنها الی الاوثان و الاصنام؟؟!

(۱)

دعیّ رسول اللّه: زید بن حارثة:

عند الحجر الاسود أعلن رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) عن تبنیه له ...

ذلک هو زید بن حارثة.

و کان «زید» ممّن سباه العرب من حدود الشام، و باعوه فی أسواق مکة رقیقا لأحد أقرباء «خدیجة» یدعی «حکیم بن حزام»، و لکن لا یعرف کیف انتقل إلی «خدیجة» فی ما بعد؟

---

(۱) حیاة محمّد: ص ۱۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۰

(۱) یقول هیکل فی کتابه «حیاة محمّد» فی هذا الصدد «لقد ترک موت ولدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی نفس النبی أثرا عمیقا حتی إذا جیء بزید بن حارثة یباع طلب الی «خدیجة» أن تبتاعه ففعلت ثم اعتقه و تبناه» «۱».

و لکن اکثر المؤرخین یقولون: ان «حکیم بن حزام» قد اشتراه لعمته «خدیجة بنت خویلد»، و قد أحبّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لذکائه و طهره، فوهبته «خدیجة» له عند زواجه صلّی اللّه علیه و آله منها.

ففتش عنه والده «حارثة» حتی عرف بمکانه فی مکة، فقدمها، و دخل علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فطلب منه صلّی اللّه علیه و آله أن یأذن لزید لیرحل معه إلی موطنه، فدعاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خیّره بین المقام معه صلّی اللّه علیه و آله و الرحیل الی موطنه مع أبیه، فاختار المقام مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما وجد من خلقه، و حنانه، و لطفه العظیم فلما رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ذلک اخرجه الی الحجر و اعتقه ثم تبناه علی مرأی من الناس و مسمع قائلا: «یا من حضر اشهدوا أن زیدا ابنی» «۲».

(۲)

بدایة الخلاف بین الوثنیّین:

لقد أوجدت البعثة النبويّة خلافا و اختلافا كبيرا في أوساط قريش و فرّقت صفوفهم، غير أنّ هذا الاختلاف قد وجدت أسبابه و عوامله، و ظهرت بوادره و علائمه قبل البعثة المباركة.

فقد أبدى جماعة من الناس في الجزيرة العربية استياءهم من دين العرب و انكروا عقائدهم الباطلة، و طالما كانوا يتحدثون عن قرب ظهور النبي العربيّ الذي يتمّ على يديه إحياء التوحيد.

و كان اليهود يتوعدون أهل الاصنام بالنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و يقولون:

---

(۱) حياة محمّد: ص ۱۲۸.

(۲) الاصابة: ج ۱ ص ۵۴۵ و ۵۴۶، اسد الغابة: ج ۲ ص ۲۲۵ و ۲۲۶.

ليخرجنّ نبيّ فليكسرن أصنامكم «۱».

(۱) و كتب ابن هشام يقول: كان اليهود يقولون للعرب: إنه قد تقارب زمان نبيّ يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم.

و كتب يقول أيضا: و كانت الاحبار من اليهود، و الرهبان من النصارى و الكهّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل مبعثه.

هذه الكلمات تصوّر انقضاء عهد الوثنية في نظرهم إلى درجة أن بعض القبائل أجابت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لما بعث، و دعاهم اللّه، بينما احجمت اليهود عن الايمان به و برسالته و بقيت على كفرها و جحودها لنبوته التي طالما بشرت بها.

و قد نزل فيهم قوله تعالى:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» «۲» «۳».

(۲)

أعمدة الوثنيّة تهتزّ:

و لقد شهد أحد أعياد قريش حادثا غريبا كان في نظر العقلاء و أصحاب الفكر الثاقب منهم بمثابة جرس إنذار اذن باقتراب سقوط دولة الوثنيين، و انهيار صروح الوثنيّة و عبادة الأصنام، و انقراضها.

فقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه و ينحرون له، و يعكفون عنده، فتنحّى أربعة ممن عرفوا بالعلم ناحية، و أخذوا يتحدّثون سرّا، و أخذوا ينتقدون عبادة الأوثان و الأصنام، و ما عليه قومهم من فساد العقيدة.

فقال بعضهم لبعض: و اللّه ما قومكم على شي‌ء، لقد أخطئوا دين أبيهم

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۵ ص ۲۳۱.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۲۱.

(۳) البقرة: ۸۹.

إبراهيم!! ما حجر نطيف به لا يسمع و لا يبصر، و لا يضر و لا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ...

(۱) و كان هؤلاء الأربعة هم:

۱- «ورقة بن نوفل» الّذى اختار النصرانية بعد أن طالع كتبها، و اتصل بأهلها.

۲- «عبيد اللّه بن جحش» الذى أسلم عند ظهور الإسلام، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة.

۳- «عثمان بن الحويرث» الذى قدم على قيصر ملك الروم، فتنصّر.

۴- «زيد بن عمرو بن نفيل» الذى اعتزل الأوثان، و قال: اعبد رب إبراهيم «۱».

(۲) إن ظهور مثل هـذا الاسـتنكار و الجحد للأوثان و الوثنية لا يعنى أبدا أنّ دعوة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله كانت تعقيبا لدعوة هذه الجماعة، و استمرارا لها!!

كيف يمكن أن نعتبر دعوة رسول اللّه العالميـة مع ما انطوت عليه من أهـداف كبرى، و اسـتندت إليه من معارف و أحكام لا تحصـى، ردّة فعل لمثل هذا الحادث الصغير و تعبيرا عن مثل هذا الاستنكار المحدود؟

إن الحنيفية و هى سنّة إبراهيم و دينه لم تكن قد محيت كليّا فى الحجاز بعد أيام بعثة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بل كان هناك لا يزال بعض الأحناف (و هم الـذين كانوا على دين إبراهيم عليه السّـلام) منتشـرين فى أنحاء الجزيرة العربيـة، إلّا أن ذلك لا يعنى أنّهم كانوا قادرين على التظاهر بعقيـدتهم بين الناس، أو قيادة حركة، أو تربية أفراد على نهجهم، أو أن توجّهاتهم التوحيدية كانت من القوة بحيث تسـتطيع أن تكون مصـدر إلهام لقيم و معارف و تعاليم و أحكام لشخصـيّة مثل رسول الإسـلام «محمّد» صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

(۳) فلم ينقل عن هؤلاء سوى بعض الاعتقادات المعدودة المحدودة مثل الاعتقاد

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۲۵.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۲۸۳

بالمعاد و اليوم الآخر، و شـىء بسيط من البرامج الأخلاقية، و حتى ما نقل عنهم من أبيات توحيدية لا يمكن تأكيد انتسابها إليهم، و ان لم يمكن نفى ذلك أيضا «۱».

فهل يمكن و الحال هـذه أن نعتبر الثقافـة الإسـلامية العظيمـة، و المعارف العقليـة العاليـة، و القوانين و التشـريعات المفصـلة، و الانظمة الأخلاقية و السياسية و الاقتصادية الإسلامية، الشاملة الكاملة، كنتيجة لمتابعة اولئك النفر المعدود من «الأحناف» الموحدين المنتشرين فى انحاء مختلفة من بلاد الحجاز الذين كانت جل عقائدهم تتألف من مجرد الاعتقاد بوجود اللّه، و اليوم الآخر و قضية أو قضيتين من قضايا الأخلاق؟!

(۱)

نموذج آخر عن ضعف قريش:

لم يكن يمض على عمر فتى قريش اكثر من خمس و ثلاثين عاما يوم واجه اختلافا كبيرا بين قريش، فأزال بحكمته ذلك التخاصم، و لقـد كشـفت هـذه الحادثـة عن مـدى الاحترام الـذى كان فتى قريش «محمّد» يحظى به لدى قريش، كما و تكشف عن قوة اعتقادهم بصدقه و أمانته.

و إليك تفصيل هذه الحادثة:

انحدر سـيل رهيب من جبال مكة المرتفعة نحو بيت اللّه المعظمة «الكعبة المقدسة» فلم يسـلم من هذا السيل بيت فى مكة حتى الكعبة المعظمة، التى تصدّعت جدرانها تصدعا كبيرا بفعل ذلك السيل.

(۲) فعزمت قریش علی بحدیـد تلک البنیة المعظمة، و لکنها تهیّبت ذلک، و ترددت فی هدم الکعبة، فأقدم «الولید بن المغیرة» و هدم رکنین منها علی شیء من الخوف، فانتظر أهل مکة أن یحل به أمر، و لکنهم لما رأوا «الولید» لم یصبه

---

(۱) و لقـد نقل ابن هشام فی کتابه: السیرة النبویـة: ج ۱ ص ۲۲۲- ۲۳۲ طائفـة من الأبیات و القصائـد التوحیدیة هذه؛ و التی جاء فی مطلع إحداها ما أنشده زید بن عمرو بن نفیل:

أ ربّا واحدا أم ألف ربّ أدین اذا تقسمت الامور؟

عزلت اللات و العزّی جمیعاکذلک یفعل الجلد الصبور (البصیر)

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۴

غضب من الآلهـة، اطمـأنوا إلی أنه لم یرتکب قبیحا، و أنه عمل ما فیه رضـی آلهتهم، فاقـدموا جمیعا علی هـدم ما تبقی من الکعبـة، و اتفق أن تحطّمت سـفینة قادمة من «مصر» فی تجارة لرومیّ عند میناء «جدة» بفعل الریاح و العواصف، فعلمت بذلک قریش، و أرسلت رجالا یبتاعون أخشابها لیستخدموها فی بناء الکعبة المعظمة، و أوکلوا أمر نجارتها إلی نجّار قبطیّ محترف کان یقطن «مکة».

(۱) و لمـا ارتفعت جـدران الکعبـة إلی قامـة الرجـل، و آن الأـوان لوضع الحجر الأسود فی محله من الرکن وقع الاختلاف بین زعماء قریش، و تنازعوا فی من یتولّی وضع الحجر الاسود فی مکانه.

و تحالفت قبیلـة «بنی عبـد الدار» مع «بنی عدیّ» علی أن یمنعوا من أن ینال هذا الفخار غیرهم، و عمدوا إلی اناء مملوء بالدم فوضـعوا أیدیهم فیه تأکیدا لذلک المیثاق.

من هنـا تـأخرت عملیـة البنـاء و توقّفت خمسـة أیـام بلیالیها، و کاد أن تنشب بینهم حرب دامیـة، و ربما طویلـة، فقـد اجتمعت طوائف مختلفـة من قریش فی المسـجد الحرام و هی تنتظر حادثة خطیرة، فعمد- فی الأخیر- شـیخ من شـیوخ قریش یدعی «أبو امیّة بن مغیرة المخزومی» من زعماء قریش و قال: یا معشـر قریش، اجعلوا بینکم فیما تختلفون فیه أول من یـدخل من باب هـذا المسـجد «۱» یقضی بینکم فیه» فقبلوا برأیه اجمع، فکان اول داخل علیه فتی قریش «محمّـد» صـلّی اللّه علیه و آله فلما رأوه قالوا: هـذا الأمین، رضـینا، هـذا محمّد.

(۲) فقال صلّی اللّه علیه و آله: هلم إلیّ ثوبا، فأخذ الحجر و وضعه فیه ثم قال:

«لتأخذ کل قبیلة بناحیة من الثوب، ثم ارفعوه جمیعا»

ففعلوا حتی إذا بلغوا به موضـعه من الرکن وضـعه صـلّی اللّه علیه و آله هو بیده مکانه، و بهذا حال دون وقوع حوادث دامیة کادت أن تقع بسبب تنازع قریش، و اختلافها، و حلّ الوفاق محل الشقاق بعد أن رضی الکل بحکمه.

---

(۱) و فی روایة: أول من یدخل باب الصفا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۵

و إلی قضیة التحکیم هذه یشیر «هبیرة بن أبی وهب» فی أبیات صوّرت هذه الحادثة التاریخیة الکبری، اذ قال:

تشاجرت الأحیاء فی فصل خطةجرت بینهم بالنحس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودّةو أوقد نارا بینهم شرّ موقد

فلما رأینا الأمر قد جدّ جدّهو لم یبق شیء غیر سلّ المهند

رضینا و قلنا العدل أول طالعیجیء من البطحاء من غیر موعد

ففاجأنا هذا الامین محمّدفقلنا رضینا بالأمین محمّد

بخير قريش كلها أمس شيمةو فى اليوم مع ما يحدث اللّه فى غد

فجاء بأمر لم ير الناس مثلهأعمّ و أرضى فى العواقب و البد

و تلك يد منه علينا عظيمةيروب لها هذا الزمان و يعتدى «۱»

(۱)

أمين قريش يكفل عليّا:

أجدبت مكة و ضواحيها سنة من السنين، و قل فيها الماء، و أصابت الناس أزمة شديدة، و كان أبو طالب عليه السّلام كثير العيال، فعزم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أن يساعد عمه أبا طالب، و يخفف عنه عبء العيال، فانطلق الى عمه العباس و قال له: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفّف من عياله آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا».

فكفل العباس جعفرا، و كفل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا عليه السّلام.

(۲) يقول أبو الفرج الاصفهانى المؤرخ المعروف فى هذا الصدد:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۹۲– ۱۹۹ و فروع الكافى: ج ۴ ص ۲۱۷ و ۲۱۸، و الجدير بالذكر أنهم قالوا عند تجديد بناء الكعبة: «يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلّا طيّبا، لا يدخل فيها مهر بغيّ، و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد للناس» (البداية و النهاية: ج ۲ ص ۳۰۱) و لا شك أنّ هذه من بقايا تعاليم الأنبياء التى بقيت بينهم و لم تمح بالمرة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۸۶

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخذ «عليا» من أبيه و هو صغير فى سنة اصابت قريشا و قحط نالهم، و أخذ حمزة جعفرا و أخذ العباس طالبا ليكفوا أباهم مؤونتهم و يخففوا عنهم ثقلهم، و أخذ هو (أى ابو طالب) عقيلا لميله كان إليه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«اخترت من اختار اللّه لى عليكم: عليا» «۱».

إن هذه الحادثة و إن كانت فى ظاهرها تعنى ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أقدم على هذا الأمر ليساعد عمّه أبا طالب فى تلك الازمة، لكن الهدف الأعلى و الأخير كان أمرا آخر و هو أن: يتربّى على عليه السّلام فى حجر النبى، و يغتذى من مكارم اخلاقه و يتبعه فى كريم افعاله.

و لقد اشار الإمام علىّ عليه السّلام نفسه الى هذا الموضوع بقوله:

«و لقد علمتم موضعى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمّنى إلى صدره و يكنفنى فى فراشه ... و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علما و يأمرنى بالاقتداء به» «۲».

(۱)

ايمان النبى و آبائه و كفلائه قبل الإسلام:

تدل الدلائل التاريخيّة، القوية، فضلا عن الأدلة العقلية و المنطقية على أن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله لم يعبد غير اللّه تعالى منذ ولد من امّه، و الى أن رحل الى ربه، بل و كان كفلاؤه مثل عبد المطلب و أبى طالب مؤمنون موحّدون هم أيضا

ایمان جده عبد المطّلب:

(۲) و أما عبد المطلب کفیل النبیّ الاوّل فلا ننسی أنه عند ما قصد «أبرهة» هدم

---

(۱) مقاتل الطالبیین: ص ۲۶، الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۳۷، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۴۵- ۲۴۷ باب (ذکر أن علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه اول ذکر أسلم).

(۲) نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۷

الکعبة فی جیش الفیل، نزل فی جوف اللیل الی الکعبة و أخذ بحلقة بابها یدعو اللّه و یقول مناجیا اللّه سبحانه.

«اللّهم أنیس المستوحشین، و لا وحشة معک فالبیت بیتک، و الحرم حرمک و الدار دارک، و نحن جیرانک، انک تمنع عنه ما تشاء، و ربّ الدّار اولی بالدّار».

ثم أنشأ یقول:

یا ربّ لا أرجو لهم سواکایا ربّ فامنع منهمو حماکا

إن عدوّ البیت من عاداکاامنعهموا إن یخربوا فناکا «۱» و هذا یکشف بوضوح عن ایمان عبد المطلب باللّه تعالی، و توکله علیه سبحانه، و انه کان الرجل الموحد الذی لا- یلتجئ فی المصائب و المکاره إلی غیر کهف اللّه، و لا یعرف الّا باب اللّه علی عکس ما کانت الوثنیة علیه فان قومه کانوا یستغیثون بالاصنام المنصوبة حول الکعبة.

و ممّا یدل علی ایمانه أیضا توسله لکشف غمته باللّه سبحانه فقد تتابعت علی قریش سنون جدب ذهبت بالأموال، و اشرفت الانفس و اجتمعت قریش لعبد المطلب، و علوا جبل ابی قبیس و معهم النبی صلّی اللّه علیه و آله محمّد و هو غلام فتقدم عبد المطلب و قال: لاهم (ای اللّهم) هؤلاء عبیدک و إماؤک و بنو امائک، و قد نزل بنا ما تری، و تتابعت علینا هذه السنون فذهبت بالظلف و الخف و الحافر، فاشرفت علی الانفس فأذهب عنا الجدب، و ائتنا بالحیاء و الخصب، فما برحوا حتی سالت الأودیة، و فی هذه الحالة تقول رقیقة:

بشیبة الحمد اسقی اللّه بلدتناو قد عدمنا الحیا و اجلوّذ المطر إلی أن تقول:

مبارک الام یستقی الغمام بهما فی الانام له عدل و لا خطر

---

(۱) راجع القصة و مصادرها فی ص ۱۶۱ من هذا الکتاب، و لعبد المطلب مواقف اخری مشابهة، و عدیدة، راجع بصددها مفاهیم القرآن: ج ۵ ص ۱۳۶- ۱۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۸

و الی هذه الواقعة یشیر ابو طالب فی قصیدة أولها:

ابونا شفیع الناس حین سقوا بهمن الغیث رجاس العشیر بکور

و نحن- سنین المحل- قام شفیعنابمکة یدعو و المیاه تغور «۱» و قد نقل الشهرستانی هذه الواقعة فی کتابه «الملل و النحل» قال: و ممّا یدل علی معرفته (أی عبد المطلب) بحال الرسالة و شرف النبوة ان اهل مکة لما أصابهم ذلک الجدب العظیم، و امسک السحاب عنهم سنتین أمر ابا طالب ابنه، ان یحضر المصطفی محمّد صلّی اللّه علیه و آله فاحضره ابو طالب، و هو رضیع فی قماط، فوضعه علی یدیه و استقبل الکعبة، و رماه الی السماء، و قال: یا رب بحق هذا الغلام، و رماه ثانیا و ثالثا و کان یقول: بحق هذا الغلام اسقنا غیثا

مغيثا دائما هطلا، فلم يلبث ساعة أن طبق السماء وجه السماء و أمطر، حتى خافوا على المسجد، و قال أيضا: و ببركة ذلك النور كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم و البغى، و يحثهم على مكارم الاخلاق، و ينهاهم عن دنيات الامور.

و كان يقول فى وصاياه: «انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم اللّه منه و تصيبه عقوبة»، الى ان هلك رجل ظلوم حتف انفه لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب فى ذلك، ففكر و قال: ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه و يعاقب فيها المسىء باساءته «۲».

ان توسل عبد المطلب باللّه سبحانه و توليه عن الاصنام و الاوثان، و التجاءه إلى رب الارباب آية توحيده الخالص، و ايمانه باللّه و عرفانه بالرسالة الخاتمة، و قداسة صاحبها، فلو لم يكن له الّا هذه الوقائع لكفت فى البرهنة على ايمانه باللّه، و توحيده له.

و قد اعترف المؤرخون لعبد المطلب بهذا فقد قال اليعقوبى: «و رفض عبد المطلب عبادة الاوثان و الاصنام، و وحد اللّه عزّ و جلّ و وفى بالنذر، و سنّ سننا نزل القرآن باكثرها، و جاءت السنة الشريفة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۳۱– ۱۳۳.

(۲) الملل و النحل: ج ۲ ص ۲۴۸ و ۲۴۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۸۹

بها، و هى الوفاء بالنذر، و مائة من الابل فى الدية، و ان لا تنكح ذات محرم، و لا تؤتى البيوت من ظهورها و قطع يد السارق، و النهى عن قتل الموؤدة، و تحريم الخمر، و تحريم الزنا، و الحدّ عليه، و القرعة، و ان لا يطوف احد بالبيت عريانا، و اضافة الضيف و ان لا ينفقوا اذا حجوا الّا من طيب اموالهم، و تعظيم الاشهر الحرم، و نفى ذوات الرايات «۱».

هذا و عن أم أيمن «رضى اللّه عنها» قالت: كنت أحضن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله (اى اقوم بتربيته و حفظه)، فغافلت عنه يوما فلم ادر الّا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول «يا بركة».

قلت: لبيك.

قال: أ تدرين اين وجدت ابنى؟

قلت: لا ادرى.

قال: وجدته مع غلمان قريبا من السدرة، لا تغافلى عن ابنى، فان أهل الكتاب يزعمون انه نبىّ هذه الامة، و أنا لا آمن عليه منهم «۲».

و كان عبد المطلب لا يأكل طعاما الّا يقول علىّ بابنى (اى احضروه) و يجلسه بجنبه، و ربما اقعده على فخذه، و يؤثره بأطيب طعامه.

ثم انه لما بلغ أجله اوصى إلى ابى طالب برسول اللّه و قال له: قد خلّفت فى ايديكم الشرف العظيم الذى تطئون، به رقاب الناس و قال له أيضا:

اوصيك يا عبد مناف بعدى بمفرد بعد ابيه فرد

فارقه و هو ضجيع المهد فكنت كالام له فى الوجد

تدنيه من أحشائها و الكبد فانت من أرجى بنيى بعدى

لدفع ضيم أو لشدّ عقد

«۳» هذا هو عبد المطلب، و تعوده ببيت اللّه الحرام، و مواقفه بين قومه، و كلماته فى

---

(۱) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۹ فى بعض ما عدّه المؤرخ المذكور نظر.

(۲) سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۶۴.

(۳) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۰

المبـدأ و المعاد و عطفه و حنانه علی رسول الإسـلام، و اهتمامه برسالهٔ خاتم النبیین، و هی بمجموعها من اقوی الشواهد علی توحیده، و ایمانه باللّه، و اعترافه برسالهٔ الرسول الکریم.

إیمان کفیله و عمه أبی طالب:

و هکذا کان حال کفیل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الثانی ابو طالب علیه السّلام، فان له مواقف بارزهٔ و کثیرهٔ قبل البعثهٔ النبویهٔ، و بعدها تکشف عن عمق أیمان شیخ الاباطح، و توحیده.

(۱) و من تلک المواقف استسقاؤه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی صباه:

فقـد اصاب مکـهٔ قحط شدیـد فی سـنهٔ من السـنین فطلبت قریش من «أبی طالب» أن یستسـقی لها فخرج و معه غلام- و هو رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- کأنه شـمس دجن تجلّت عنها سـحابهٔ قتماء و حوله اغیلمهٔ، فأخذه «أبو طالب» فألصق ظهره بالکعبهٔ، و لاذ الغلام باصـبعه (أی أشار بها إلی السـماء) و ما فی السـماء قزعـهٔ، فأقبل السـحاب من هاهنا و هاهنا، و أغدق، و اغدودق و انفجر له الوادی، و اخصب البادی و النادی.

ففی ذلک یقول ابو طالب- فی مدح رسول اللّه-:

و ابیض یستسقی الغمام بوجههثمال الیتامی عصمهٔ للأرامل

یلوذ به الهلاک من آل هاشمفهم عنده فی نعمهٔ و فواضل

و میزان عدل لا یخیس شعیرهٔو وزّان صدق وزنه غیر هائل «۱» (۲) و کل هذا یعرب عن توحید کفیلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الخالص، و ایمانهما باللّه تعالی، و لو لم یکن لهما إلّا هذین الموقفین لکفیاهما دلیلا و برهانا علی کونهما مؤمنین موحّدین.

---

(۱) شرح البخاری للقسطلانی: ج ۲ ص ۲۲۷، المواهب اللدنیهٔ: ج ۱ ص ۴۸، السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۱ ص ۱۲۵، و للتوسع راجع الغدیر: ج ۷ ص ۳۴۵ و ۳۴۶، و قد ذکرنا مواقف ابی طالب الایمانیهٔ عند البحث عن شخصیته فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۱

کما ان ذلک یدل أیضا علی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نشأ و ترعرع و نما فی بیت کانت الدیانهٔ السائدهٔ فیه هی توحید اللّه، و عبادته وحده و رفض الاصنام و الاوثان.

إیمان والدی النبی الاکرم:

لقـد نقلت عن عبـد اللّه والـد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کلمـات و ابیات تـدل علی ایمانه و من ذلک ما نقله اهل السـیر عنـد ما عرضت فاطمهٔ الخثعمیهٔ نفسها علیه فقال ردا علیها:

أما الحرام فالممات دونهو الحلّ لا حلّ فاستبینه

یحمی الکریم عرضه و دینهفکیف بالأمر الـذی تبغینه «۱» و قـد روی عن النبی الاـکرم صـلّی اللّه علیه و آله انه قال: «لم أزل انقل من أصلاب الطاهرین الی أرحام الطاهرات» و لعل فیه ایعازا إلی طهارهٔ آبائه و امهاته من کل دنس و شرک «۲».

و اما الوالدهٔ فیکفی فی اثبات ایمانها ما رواه الحفاظ عنها عند وفاتها فانها (رضی اللّه عنها) خرجت مع النبی صلّی اللّه علیه و آله و هو

ابن خمس أو ست سنین و نزلت بالمدینة تزور أخوال جده و هم بنو عدی بن النجار و معها أم ایمن «برکة» الحبشیة، فاقامت عندهم، و کان الرسول بعد الهجرة یذکر امورا حدثت فی مقامه و یقول: «ان أمی نزلت فی تلک الدار، و کان قوم من الیهود یختلفون و ینظرون إلیّ فنظر إلیّ رجل من الیهود فقال: یا غلام ما اسمک؟ فقلت: أحمد، فنظر الی ظهری، و سمعته یقول: هذا نبی هذه الامة، ثم راح الی اخوانه فاخبرهم فخافت امّی علیّ فخرجنا من المدینة، فلما کانت بالابواء توفیت و دفنت فیها.

و روی ابو نعیم فی دلائل النبوة عن اسماء بنت رهم قالت: شهدت آمنة أمّ النبی صلّی اللّه علیه و آله فی علتها التی ماتت بها، و محمّد علیه السّلام غلام یفع

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۴۶.

(۲) سیرة زینی دحلان بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۵۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۲

(ای یافع) له خمس سنین عند رأسها فنظرت الی وجهه و خاطبته بقولها:

إن صحّ ما أبصرت فی المنامفانت مبعوث الی الانام

فاللّه انهاک عن الاصنامان لا توالیها مع الاقوام ثمّ قالت: کل حی میت و کل جدید بال، و کل کبیر یفنی، و انا میتة و ذکری باق و ولدت طهرا.

و قال الزرقانی فی شرح المواهب نقلا عن جلال الدین السیوطی تعلیقا علی قولها: و هذا القول منها صریح فی انها کانت موحّدة اذ ذکرت دین ابراهیم علیه السّلام، و بشرت ابنها بالاسلام من عند اللّه، و هل التوحید شیء غیر هذا، فان التوحید هو الاعتراف باللّه و انه لا شریک له، و البراءة من عبادة الاصنام «۱».

و نلفت نظر القارئ الکریم هنا إلی ما قاله المرحوم الشیخ المفید فی کتابه «اوائل المقالات» فی هذا الصدد:

اتفقت الإمامیة علی أن آباء رسول اللّه من لدن آدم إلی عبد اللّه بن عبد المطلب مؤمنون باللّه عزّ و جلّ موحدون له، و احتجوا فی ذلک بالقرآن و الاخبار قال اللّه عزّ و جلّ: «الَّذِی یَراکَ حِینَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ» «۲».

ثمّ إنّ هنا سؤالین هما:

۱- هل کان صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة موحّدا؟

۲- بما ذا و بأیّ دین کان یتعبّد صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة؟

و إلیک الحدیث فی هاتین الجهتین:

ایمان النبی باللّه و توحیده قبل البعثة:

إن الدلائل التاریخیة- بالاضافة إلی البراهین العقلیة و الکلامیة- تدل علی انه- صلّی اللّه علیه و آله- کان قبل ان یبعثه اللّه بالإسلام، مؤمنا باللّه، موحّدا إیاه، لم یعبد وثنا قط، و لم یسجد لصنم أبدا، و ان ذلک من المسلمات.

---

(۱) الاتحاف للشبراوی: ص ۱۴۴ سیرة زینی دحلان بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۵۷.

(۲) اوائل المقالات: ص ۱۲ و ۱۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۳

و هذا الأمر و ان کان أمرا مسلما و واضحا کوضوح الشمس إلا انا نذکر بعض ما جاء فی التاریخ الثابت الصحیح لیقترن ذلک

الاتفاق بأصح الدلائل التاريخية:

اما بغضه للأصنام و تجنبه للاوثان و ما يكون من هذا القبيل فإليك بعض ما ذكره التاريخ الصحيح فى هذا المجال:

۱- جاء فى حديث طويل: ان النبى صلّى اللّه عليه و آله لما تم له ثلاث سنين قال يوما لوالدته (لمرضعته) حليمة السعدية: مالى لا أرى أخويّ بالنهار، قالت له: يا بنيّ انّهما يرعيان غنيمات.

قال: فمالى لا أخرج معهما، قالت له: أ تحبّ ذلك؟ قال: نعم، فلما أصبح محمّد دهّنته (تقول حليمة) و كحّلته و علّقت فى عنقه خيطا فيه جزع يمانيّ، فنزعه ثم قال لأمّه:

«مهلا يا امّاه فانّ معى من يحفظنى» «۱».

۲- روى ان «بحيرا» الراهب قال للنبى صلّى اللّه عليه و آله فى سفرته الاولى مع عمّه أبى طالب الى الشام: يا غلام اسألك بحق اللات و العزى الا أخبرتنى عما اسألك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا تسألنى باللات و العزّى فو اللّه ما ابغضت شيئا بغضهما» قال الراهب:

باللّه الا أخبرتنى عما أسألك عنه، قال صلّى اللّه عليه و آله: سلنى عمّا بدا لك «۲».

۳- روى أنه قد وقع بين النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و بين رجل تلاح فى سفرته الثانية الى الشام للتجارة بأموال خديجة مع غلامها «ميسرة» بعد أن باع صلّى اللّه عليه و آله سلعته، فقال له الرجل: احلف باللات و العزى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

---

(۱) المنتقى، الباب الثانى من القسم الثانى- للكازرونى كما فى البحار: ج ۱۵، ص ۳۹۲.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۵۴، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۱۸۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۴

«ما حلفت بهما قطّ، و إنّى لأمرّ فاعرض عنهما».

و فى رواية اخرى:

«إليك عنى ثكلتك امّك فما تكلمات العرب بكلمة اثقل علىّ من هذه الكلمة».

فقال الرجل: القول قولك. ثم قال لميسرة: هذا و اللّه نبيّ «۱».

(۱) و اما عبادته للّه تعالى فقد أجمع المؤرخون على أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يخلو بحراء كل عام أشهرا يعبد فيه اللّه تعالى.

و قد قال الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام فى هذا المجال:

«و لقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيرى» «۲».

حتى أن جبرئيل وافاه بالرسالة فى ذلك المكان، و فى تلك الحال.

و قد صرّح بهذا أصحاب الصحاح الستة أيضا اذ قالوا:

«و كان يخلو بحراء فيتحنّث فيه، و هو التعبد فى الليالى ذوات العدد» «۳».

كما ان الإمام امير المؤمنين عليه السّلام وصف هذا المقطع من حياة النبى صلّى اللّه عليه و آله بقوله:

«و لقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره» «۴».

و جاء فى الأخبار انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حجّ قبل البعثة حجات عديدة و كان يأتى بمناسكها على وجه صحيح بعيدا عن أعين قريش.

قال الإمام الصادق عليه السّلام: فى حديث ابن أبى يعفور:

«حج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عشر حجّات مستترا فى كلّها» «۵».

و فى رواية: عشرين حجة «۶».

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۵۶، بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۱۸.

(۲) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة ۱۹۲.

(۳) صحيح البخارى: ج ۱ ص ۲، صحيح مسلم باب الايمان، مسند أحمد: ج ۶، الحديث ۲۳۳.

(۴) نهج البلاغة: قسم الخطب الخطبة رقم ۱۹۲.

(۵) وسائل الشيعة: ج ۸، ص ۸۸ أبواب وجوب الحج.

(۶) وسائل الشيعة: ج ۸، ص ۸۸ أبواب وجوب الحج.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۵

و السبب فى هذا الاستتار هو أن قريش كانت قد اسقطت بعض مناسك الحج، و العمرة، فكانت تؤدّى الحج بصورة غير صحيحة و ربما غيرت أشهر الحج احيانا لبعض الاعتبارات السياسية و المادية، و هو ما سمى بالنسىء، و قد مرّ بيانه «۱».

ان هذه الوقائع و غيرها- و هى ليست بقليلة اصدق دليل على إيمانه صلّى اللّه عليه و آله، و توحيده، اذ كيف يمكن أن يتنكّب مثل هذه الشخصية التى نشأت و ترعرعت فى ذلك البيت الطاهر، و قرن اللّه به ملكا يتولاه بالتربية و الهداية عن جادة التوحيد.

ثم أن ممّا لا ريب فيه أن الرسول الخاتم صلّى اللّه عليه و آله هو افضل من جميع الأنبياء و المرسلين بنص القرآن الكريم.

و قد صرح القرآن بان بعض الأنبياء بلغوا درجة النبوة فى الصغر، أو الصبا، و نزلت عليهم الكتب فى تلك الفترات.

فمثلا يقول القرآن الكريم عن يحيى بن زكريا: «يا يحيى خذ الكتاب بقوّة و آتيناه الحكم صبيّا» «۲».

(۱) ثمّ يقول عن «عيسى بن مريم» عند ما كان فى المهد و كان وجوه القوم من بنى إسرائيل قد استنكروا ولادته من غير أب، و طلبوا من «مريم البتول» ان توضح لهم الأمر، و تبين لهم كيف حملت بعيسى؟!! فأشارت الى المسيح عليه السّلام أن كلّموه و هو آنذاك فى المهد لم يمض على ولادته سوى أيام معدودات؛ فنطق المسيح بفصاحة كبيرة و قال:

«إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا. وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا» «۳».

لقد بيّن وليد «مريم» للناس اصول دينه و فروعه فى فترة الطفولة و الرضاعة، و أعلن لهم عن توحيده و ايمانه باللّه سبحانه.

---

(۱) راجع الصفحة ۸۳ و ۸۴ من هذا الكتاب.

(۲) مريم: ۱۲.

(۳) مريم: ۳۰ و ۳۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۲۹۶

فهل يرضى ضميرك أيها القارئ الكريم أن يكون «يحيى» و «المسيح» عليهما السّلام مؤمنين معلنين عن توحيدهما، و إيمانهما منذ طفولتهما، و صباهما، و يكون أفضل الأنبياء و المرسلين، و أشرف الخلق أجمعين إلى سنّ الأربعين على غير إيمان، و توحيد، مع أنه صلّى اللّه عليه و آله كان مشتغلا بالتعبّد فى جبل «حراء» عند نزول ملاك الوحى عليه لأول مرة؟

و إليك بعض ما قاله المؤرخون، و العلماء فى هذا المجال استكمالا لهذا المبحث:

قال ابن هشام: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره، الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف به سبعا أو

ما شاء اللّه من ذلک، ثم یرجع الی بیته حتی اذا کان الشهر الذی أراد اللّه تعالی به فیه ما أراد من کرامته من السنة التی بعثه اللّه تعالی فیها، و ذلک الشهر شهر رمضان، خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی «حراء» کما کان یخرج لجواره و معه اهله حتی اذا کانت اللیلة التی اکرمه اللّه فیها برسالته و رحم العباد بها جاءه جبرئیل علیه السّلام بامر اللّه تعالی «۱».

و قال العلامة المجلسی: قد ورد أخبار کثیرة انه صلّی اللّه علیه و آله کان یطوف، و انه کان یعبد اللّه فی حراء، و انه کان یراعی الآداب المنقولة من التسمیة و التحمید عند الاکل و غیره، و کیف یجوّز ذو مسکة من العقل علی اللّه تعالی ان یهمل افضل انبیائه اربعین سنة بغیر عبادة؟ و المکابرة فی ذلک سفسطة «۲».

فایمان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و توحیده قبل البعثة، اذن، أمر مسلم لا شبهة فیه، و لا غبار علیه.

و لکن بعض الکتاب من المسیحیین و من تبعهم، من المستشرقین و غیرهم، أبوا إلّا أن ینتقصوا النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله فادّعوا ضلاله قبل البعثة،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۲۸۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۷

و إنه کان علی غیر إیمان، أو توحید، و استدلّوا لزعمهم الباطل هذا بما توهّموا أنه یدلّ علی دعواهم من الآیات القرآنیة، و أبرزها الآیات التالیة:

۱- «أ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی. وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» «۱».

۲- «وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ. وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ» «۲».

۳- «وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ» «۳».

۴- «قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۴».

۵- «وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ» «۵».

لقد استدل المستشرقون و من لفّ لفهم و من سبقهم او لحقهم من المخطّئة بهذه الآیات علی ضلال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة، و سلب الایمان عنه، و لکنها لا تدل علی ما یریدون، و لا جل تسلیط الضوء علی مقاصدهم نبحث عنها واحدة واحدة.

الآیة الاولی: الهدایة بعد الضلالة

ذکر المفسرون لقوله تعالی: «وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» الذی یشعر بهدایة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد الضلالة احتمالات عدیدة، فی معرض الاجابة علی استدلال من استدل به لا- ثبات ضلال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة و لکن الحق ان یقال: أنّ الضال یستعمل فی عرف اللغة فی موارد:

۱- الضالّ: من الضلالة ضد الهدایة و الرشاد.

۲- الضالّ: من ضلّ البعیر اذا لم یعرف مکانه.

---

(۱) الضحی: ۶ و ۷.

(۲) المدّثر: ۴ و ۵.

(۳) الشوری: ۵۲.

(۴) یونس: ۱۶.

(۵) القصص: ۸۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۸

۳- الضالّ: من ضلّ الشیء اذا ضؤل و خفی ذکره.

و تفسیر الآیة بأیّ واحدة من هذه المعانی لا یثبت ما یدعیه الذین یتمسکون بها لاثبات ضلال النبی صلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة.

أما المعنی الأول فهو المقصود فی کثیر من الآیات قال سبحانه: «غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لَا الضَّالِّینَ» «۱».

لکن الضلالة علی نوعین:

النوع الأول ما تکون الضلالة فیه أمرا وجودیا فی النفس یوجب ظلمة النفس و منقصتها، مثل الکفر و الشرک و النفاق، و الضلالة بهذا المعنی قابلة للزیادة و النقصان قال سبحانه: «إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَةٌ فِی الْکُفْرِ» «۲».

النوع الثانی ما تکون الضلالة فیه أمرا عدمیا، و ذلک عند ما تکون النفس فاقدة للرشاد، و عندئذ یکون الإنسان ضالا بمعنی أنه غیر واجد للهدایة من عند نفسه، و ذلک کالطفل الذی أشرف علی التمییز و کاد أن یعرف الخیر و الشر، و یمیز بین الصلاح و الفساد فهو آنذاک ضالّ بمعنی أنه غیر واجد للنور الذی یهتدی به فی سبل الحیاة لا بمعنی کینونة ظلمة الکفر و الفسق فی نفسه و روحه.

و المراد من الضالّ فی قوله تعالی «وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی» لو کان ما یضادّ الهدایة فهو یهدف الی النوع الثانی، فیکون المعنی انک فی ابان عمرک کنت غیر واجد للهدایة من عند نفسک فهداک اللّه إلی اسباب السعادة و عرفک عوامل الشقاء، و هو اشارة إلی قانون الهی عام فی حیاة البشر انبیاء و اناسا مادیین، و هو ان هدایة کل إنسان بل کل ممکن مکتسبة من اللّه قال سبحانه: «قالَ رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی» «۳».

و علی هذا الاساس فالآیة تهدف إلی ذکر النعم التی انعم اللّه بها علی نبیه الحبیب منذ ان استعد لها فاواه بعد ما صار یتیما، و أفاض علیه الهدایة بعد ما کان

---

(۱) الفاتحة: ۷.

(۲) التوبة: ۳۷.

(۳) طه: ۵۰، و راجع الآیات: ۲ و ۳ من سورة الأعلی و ۴۳ من سورة الأعراف و ۷۸ من سورة الشعراء و غیرها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۲۹۹

فاقدا لها بحسب ذاته، و بحکم طبیعته، و یعود زمن هذه العنایة الربانیة بنبیه إلی مطلع حیاته، و اولیات عمره و ایام صباه بقرینة ذکر ذلک بعد الایواء الذی تحقق بالیتم، و تمّ بجده عبد المطلب فوقع فی کفالته إلی ثمانیة سنین، و یؤید ذلک قول امام المتقین علی بن ابی طالب علیه السّلام: «و لقد قرن اللّه به صلّی اللّه علیه و آله من لدن أن کان فطیما أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم، و محاسن أخلاق العالم لیله و نهاره» «۱».

و صفوة القول أن المراد بکونه ضالا هو أن لازم کون النبی ممکنا بالذات هو کونه فاقدا فی ذاته لکل کمال و جمال، مفاضا علیه کل جمیل من جانب اللّه تعالی و هذا هو اشارة إلی مقتضی التوحید الافعالی و این هذا من الضلالة المساوقة للکفر أو الشرک أو الفسق و العصیان؟!

ثم ان من المحتمل ان تکون الضلالة فی الآیة مأخوذة من «ضلّ الشیء اذا لم یعرف مکانه» و فی الحدیث «الحکمة ضالّة المؤمن» ای مفقودته، لا ضدّ الهدایة و الرشاد، فیکون الضالّ بهذا المعنی منطبقا علی ما نقله أهل السیر و التواریخ عن ما جری للنبیّ صلّی اللّه علیه

و آله فی ایام صباه یوم ضلّ فی شعاب مکة، و هو صغیر فمنّ اللّه علیه اذ ردّه الی جدّه، و قصته معروفة فی کتب السیر و التاریخ «۲» و لو لا رحمة اللّه سبحانه لادرکه الهلاک و مات عطشا أو جوعا فشملته العنایة الالهیة.

أو أن تکون الضلالة فی الآیة مأخوذة من «ضلّ الشیء اذا خفی و غاب عن الأعین» فالانسان الضال هو الإنسان المخفی ذکره، المنسیّ اسمه لا یعرفه إلا القلیل من الناس، و لا یهتدی کثیر منهم إلیه.

و لو کان هذا هو المقصود، کان معناه حینئذ انه سبحانه رفع ذکره، و عرّفه

---

(۱) نهج البلاغة: من الخطبة ۱۷۸ و المسمّاة بالقاصعة ص ۱۸۲.

(۲) لاحظ السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۳۱ و غیره، و فی هذه القصة یروی عن حیدة بن معاویة العامری سمعت شیخا یطوف بالبیت و هو یقول:

یا ربّ ردّ راکبی محمّداأردده ربّی و اصطنع عندی یدا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۰۰

للناس بعد ما کان خاملا ذکره منسیا اسمه.

و یؤید هذا الاحتمال قوله سبحانه فی سورة الانشراح التی نزلت لتحلیل ما ورد فی سورة الضحی قائلا:

«أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ. وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ. الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ. وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ» «۱».

فرفع ذکره فی العالم عبارة عن هدایة الناس إلیه، و رفع الحواجز بینه، و بینهم و علی هذا فالمقصود من «الهدایة» هو هدایة الناس إلیه لا هدایته بعد ضلال، فکأنه قال: فوجدک ضالا، أی خاملا ذکرک، باهتا اسمک، فهدی الناس إلیک، و سیّر ذکرک فی البلاد.

و الی ذلک یشیر الإمام الرضا علیه السّلام علی ما فی خبر ابن الجهم بقوله:

«قال اللّه عزّ و جلّ لنبیه محمّد صلّی اللّه علیه و آله: «أ لم یجدک یتیما فآوی» یقول: «أ لم یجدک» وحیدا فآوی إلیک الناس «و وجدک ضالّا» یعنی عند قومک «فهدی» أی هداهم إلی معرفتک» «۲». قال الاستاذ الشیخ محمّد عبده فی هذا المجال:

لقد بغّضت إلیه (أی الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) الوثنیّة من مبدأ عمره فعاجلته طهارة العقیدة، کما بادره حسن الخلیقة، و ما جاء فی الکتاب من قوله: «و وجدک ضالّا فهدی» لا یفهم منه أنه کان علی وثنیة قبل الاهتداء إلی التوحید، أو علی غیر السبیل القویم، قبل الخلق العظیم حاش للّه، إنّ ذلک لهو الإفک المبین «۳».

الآیة الثانیة: الأمر بهجر الرجز

استدلّوا بقول اللّه تعالی «و الرجز فاهجر» علی وجود ارضیة لعبادة الصنم

---

(۱) الانشراح: ۱- ۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۱۴۲.

(۳) رسالة التوحید للشیخ محمّد عبده: ص ۱۳۵ و ۱۳۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۰۱

و الوثن فی شخصیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ذلک بتفسیر الرجز بالصنم، و الوثن، و یتضح بطلان هذا الادعاء و الاستنباط اذا أمعنا فی معانی و استعمالات هذه اللفظة فی الکتاب العزیز.

ان الرجز استعمل فی القرآن الکریم فی معان ثلاثة: العذاب، القذارة، الصنم.

و قد استعمل الرجز (بكسر الراء) فى تسع موارد فى القرآن الكريم، و قد اريد منه فى جميعها العذاب إلّا فى مورد واحد: و هى: البقرة- ۵۹، و الاعراف ۱۳۴ (و جاءت اللفظة فيها مرتين) و ۱۳۵ و ۱۶۲ و الانفال- ۱۱ و سبأ- ۵ و الجاثية- ۱۱ و العنكبوت- ۳۴.

و جاء الرجز- بضمّ الراء- مرّة واحدة و هى الآية التى نحن بصددها هنا «۱».

و هذه الآية لا تدل على ما ذهب إليه الذين يزعمون بان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان على غير التوحيد قبل البعثة.

و إليك بيان هذا الموضوع مفصلا:

۱- ان الرجز لو كان بمعنى «العذاب» دلّت الآية على هجر ما يستلزم العذاب، فيكون الخطاب حينئذ مسوقا من باب التعليم، و من باب «اياك أعنى و اسمعى يا جاره»، فيكون ظاهر الأمر هو مخاطبة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و نهيه عما يستلزم العذاب، و ارادة تعليم الامة مثل قول اللّه تعالى فى خطابه للنبى «فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ» «۲». و قوله تعالى: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» «۳» فكمالا تدلّ الآية على وجود أرضية الشرك فى شخصية النبى صلّى اللّه عليه و آله، كذلك لا تدل الآية على وجود أرضية التعرض للعذاب فى شخصية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

۲- إن الرجز لو كان بمعنى (القذارة) و هى تنقسم الى مادية و معنوية فيحتمل ان يكون المراد بناء على المعنى الأول اشارة إلى ما ورد فى الروايات من

---

(۱) المدّثر: ۵.

(۲) القصص: ۸۶.

(۳) الزمر: ۶۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۲

أنّ ابا جهل جاء بشىء قذر، و أمر رجلا من قريش بالقائه على النبىّ، ففعل، فأمر اللّه نبيه بتطهير ثوبه من الدنس.

و يحتمل ان تكون الآية دعوة إلى اجتناب الصفات الذميمة بناء على ارادة المعنى الثانى للفظة الرجز فتكون الآية تعليما للناس على النمط السابق، فلا تدل على اتصاف النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله بها.

۳- الرجز بمعنى الصنم، لنفترض أن المقصود منه فى الآية هو الصنم، لكن لا بمعنى أنه وضع لذاك المعنى، و إنّما وضع اللفظ لمعنى جامع يعمّ الصنم و الخمر و الازلام لاشتراك الجميع فى كونها رجزا، و لأجل ذلك وصف الجميع فى مورد آخر بالرجس فقال تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ» «۱».

و لكن يجاب عن هذا أيضا بأن النبىّ يوم نزلت الآية لم يكن عابدا للوثن بل كان مشمّرا عن ساعد الجدّ لتحطيم الاصنام و مكافحة عبدتها، فلا يصح أن يخاطب من هذا شأنه بهجر الاصنام إلا على السبيل الذى أشرنا إليه، و هو توجيه الخطاب إلى النبىّ و إرادة الامة به لكون هذا النوع من الخطاب أبلغ فى التأثير، لأنه سبحانه اذا خاطب أعزّ الناس إليه بهذا الخطاب فغيره أولى به.

الآية الرابعة: عدم رجائه إلقاء الكتاب إليه

قال تعالى: «وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ» «۳».

استدلّوا بأن ظاهر الآية نفى علمه بالقاء الكتاب إليه، فلم يكن النبى راجيا لذلك واقفا عليه.

أقول: ان توضيح مفاد هذه الآية يتوقف على إمعان النظر فى الجملة الاستثنائية اعنى قوله: «الّا رحمة من ربّك» حتى يتضح المقصود، و قد ذكر المفسرون فى توضيحها وجوها ثلاثة نأتى بها:

۱- إن «إلّا» استدراكية، و ليست استثنائية فهى بمعنى «لكنّ» لاستدراك ما بقى من المقصود، و حاصل معنى الآية: «ما كنت يا محمّد

ترجو فيما مضى أن يوحى اللّه إليك و يشرّفك بإنزال القرآن عليك، إلّا أن ربّك رحمك، و انعم به عليك و اراد بك الخير» نظير قوله سبحانه: «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» «۴» اى و لكن رحمة من ربك خصّصك به و هذا هو المنقول

---

(۱) البقرة: ۱۴۳.

(۲) الميزان: ج ۱۸ ص ۸۰.

(۳) القصص: ۸۶.

(۴) القصص: ۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۰۹

عن الفراء «۱».

و على هذا لم يكن للنبى صلّى اللّه عليه و آله اى رجاء لالقاء الكتاب إليه، و انما فاجأه الالقاء لأجل رحمة ربه.

و لكن لا يصار إلى هذا الوجه إلّا اذا امتنع كون الاستثناء متصلا لكون الانقطاع على خلاف الظاهر.

۲- ان يكون «إلّا» للاستثناء لا للاستدراك و هو متصل لا منقطع، و لكن المستثنى منه جملة محذوفة معلومة من سياق الكلام، و هو كما فى الكشاف: «و ما القى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربك» «۲» اى لم يكن لا لقائه عليك وجه إلّا رحمة ربك، و على هذا الوجه أيضا لا يعلم انه كان للنبى صلّى اللّه عليه و آله رجاء لا لقاء الكتاب عليه و ان كان الاستثناء متصلا.

و هذا الوجه بعيد أيضا لكون المستثنى منه، محذوفا مفهوما من الجملة على خلاف الظاهر و انما يصار إليه اذا لم يصحّ ارجاعه إلى نفس الجملة الواردة فى نفس الآية كما سيبيّن فى الوجه الثالث.

۳- أن يكون «إلّا» استثناء من الجملة السابقة عليه اعنى قوله: «و ما كنت ترجو» و يكون معناه: ما كنت ترجو القاء الكتاب عليك إلّا أن يرحمك اللّه برحمة فينعم عليك بذلك، فتكون النتيجة: ما كنت ترجو إلّا على هذا «۳».

فيكون هنا رجاء منفيا، و رجاء مثبتا، أما الأول فهو رجاؤه بحادثة نزول الكتاب على نسج رجائه بالحوادث العادية، فلم يكن ذاك الرجاء موجودا.

و اما رجاؤه به عن طريق الرحمة الالهية فكان موجودا فنفى أحد الرجاءين لا يستلزم نفى الآخر، بل المنفىّ هو الأول، و الثابت هو الثانى و هذا الوجه هو الظاهر المتبادر من الآية.

و قد سبق منّا أن جملة «ما كنت» و ما اشبهه (تستعمل فى نفى الامكان،

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۲۶۹، مفاتيح الغيب: ج ۶ ص ۴۰۸.

(۲) الكشاف: ج ۲ ص ۴۸۷ و ۴۸۸.

(۳) مفاتيح الغيب: ج ۶ ص ۴۹۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۰

و الشأن، و على ذلك يكون معنى الجملة: لم تكن راجيا لأن يلقى إليك الكتاب، و تكون طرفا للوحى، و الخطاب الّا من جهة خاصة، و هى أن تقع فى مظلة رحمته و موضع عنايته، فيختارك طرفا لوحيه، و مخاطبا لكلامه، فالنبى بما هو انسان عادى لم يكن راجيا لأن ينزل إليه الوحى، و يلقى إليه الكتاب، و بما انه صار مشمولا لرحمته و عنايته، و صار انسانا مثاليا، قابلا لتحمل المسئولية، و تربية الامة، كان راجيا به، و على ذلك فالنفى و الاثبات غير واردين على موضع واحد.

و بهـذا خرجنا بفضل هـذا البحث الضافی أنه صـلّی اللّه علیه و آله کان إنسانا مؤمنا موحّـدا عابـدا للّه ساجـدا قائما بالفرائض العقلیة و الشرعیة مجتنبا عن المحرمات عالما بالکتاب و مؤمنا به إجمالا و راجیا لنزوله إلیه إلی أن بعث لانقاذ البشریة عن الجهل، و سوقها إلی الکمال. سید المرسلین ج ۱ ۳۱۰ الآیة الخامسة: لو لم یشأ ما تلوته ..... ص : ۳۱۰

الآیة الخامسة: لو لم یشأ ما تلوته

قـال سـبحانه: «قُـلْ لَوْ شـاءَ اللَّهُ مـا تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَـدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» «۱»، و الآیـة تؤکد أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کـان لاـ بثـا فی قومه، و لم یکن تالیـا لسورة من سور القرآن، أو آیـة من آیـاته و لیس هـذا شـیء ینکره القائلون بالعصـمة، فقـد اتفقت کلمتهم علی أنّ النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله وقف علی ما وقف علیه من آی الذکر الحکیم من جانب الوحی، و لم یکن قبله عالما به و این هذا من قول المخطئة من نفی الایمان منه قبلها.

و ان اردت الاسـهاب فی تفسـیرها فلاحـظ الآیـة المتقدمـة، فتری فیهـا اقتراحین للمشـرکین و قـد اجاب القرآن عن أحـدهما فی الآیة المتقدمـة و عن الآخر فی نفس هـذه الآیـة و إلیک نصّـها: «قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» «۲».

---

(۱) یونس: ۱۶.

(۲) یونس: ۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۱

اقترح المشرکون علی النبی أحد الأمرین:

۱- الإتیان بقرآن غیر هذا مع التحفظ علی فصاحته و بلاغته.

۲- تبدیل بعض آیاته مما فیه سبّ لآلهتهم و تندید بعبادتهم للاوثان و الاصنام.

فأجاب عن الثانی فی نفس الآیة بان التبدیل عصیان للّه، و انه یخاف من مخالفة ربه، و لا محیص له إلّا إتباع الوحی من دون أن یزید فیه او بنقص عنه.

و اجاب عن الأول فی الآیة المبحوث عنها بان ذلک أمر غیر ممکن لأن القرآن لیس من صنعی و کلامی حتی أذهب به و آتی بآخر، بل هو کلام اللّه سبحانه و قد تعلقت مشیئته بتلاوتی، و لو لم یشأ لما تلوته علیکم و لا ادراکم به، و الدلیل علی ذلک أنی کنت لابثا فیکم عمرا من قبل فما تکلمات بسورة أو بآیـة من آیاته، و لو کان القرآن کلامی لبادرت إلی التکلم به، أیام معاشـرتی السابقة معکم فی المدة الطویلة، المدیدة.

قال العلامـة الطباطبائی فی تفسـیر الآیة: إن الأمر فیه إلی مشـیئة اللّه لا إلی مشـیئتی، فانما أنا رسول و لو شاء اللّه ان ینزل قرآنا غیر هذا لأـنزل، أو لم یشـأ تلاـوة هـذا القرآن مـا تلوته علیکم، و لاـ أدراکم به فـانی مکثت عمرا من قبـل نزوله، و لو کـان ذلک إلیّ و بیـدی لبادرت إلیه قبل ذلک و بدت من ذلک آثار و لاحت لوائحه «۱».

فکیف یمکن و الحال هذه أن یکون مجانبا للإیمان باللّه و توحیده، لاهیا عن عبادته و تقدیسه.

هـذا و فی هـذا المجال حـدیث واسع اکتفینا منه بهـذا القدر، و من أراد التوسع أن یراجع الجزء الخامس من مفاهیم القرآن ص ۱۳۵- ۱۹۱.

و أما الکلام فی الجهـة الثانیـة و هی: أنه بما ذا و بأیّ دین کان یتعبّـد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله قبل البعثة، فقد وقع ذلک محطا للبحث بین العلماء، و حیث انه لا ینطوی علی فائدة کبری، بعد أن تبین أنه کان قبل البعثة

(۱) الميزان: ج ۱۰ ص ۲۶، و لاحظ المنار: ج ۱۱ ص ۳۲۰.

مؤمنا، موحّدا، يعبد اللّه، فإنّه يكفى أن نعرف أنه كان صلّى اللّه عليه و آله يلتزم بما ثبت له أنه شرع اللّه تعالى ... و بما يؤدّى إليه عقله الفطرى السليم، و أنه بالتالى كان مؤيدا مسدّدا، و أنه كان أفضل الخلق و اكملهم خلقا، و خلقا، و عقلا، و انه كان يعمل حسب ما يلهم سواء أ كان مطابقا لشرع ما قبله أم مخالفا و أن هاديه و قائده منذ صباه إلى ان بعث هو نفس هاديه بعد البعثة «۱».

(۱) و للتوسّع و الوقوف على الآراء المختلفة فى هذا المجال راجع الجزء الخامس من مفاهيم القرآن:

ص ۱۳۵- ۱۹۱.

(۱)

۱۱ بدء الوحى

اشارة

انّ التاريخ الإسلامى يبدأ فى الحقيقة من يوم بعثة الرسول صلّى اللّه عليه و آله بالرسالة، و التى وقعت على أثره حوادث خاصة.

و يوم بعث النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله لهداية الناس، و دوّى فى سمعه الشريف نداء «إنك لرسول اللّه» الصادر عن ملاك الوحى القيت على كاهله مسئولية كبرى و ثقيلة جدّا، على نمط الوظيفة الهامة التى القيت على كاهل من سبقه من الأنبياء و الرسل صلوات اللّه عليهم أجمعين.

منذ ذلك اليوم اتضح هدف أمين قريش، أكثر فأكثر، و تجلت خطته اكثر فأكثر.

و نحن نرى من اللازم قبل شرح الحوادث الاولى الواقعة عند البعثة ان نعطى بعض الايضاحات حول مسألتين:

۱- وجوب بعث الأنبياء.

۲- دور الأنبياء فى اصلاح المجتمع.

لقد أودع اللّه تعالى فى كيان كلّ كائن من الكائنات أدوات تكامله، و جهّزه- لسلوك هذا الطريق- بالوسائل المتنوعة، و الأجهزة المختلفة اللازمة.

و لنأخذ مثلا: نبتة صغيرة، فان ثمة عوامل كثيرة تتفاعل فى ما بينها و تعمل

لتحقيق التكامل فيها.

ان جذور كل نبتة تعمل اكبر قدر ممكن لامتصاص العناصر الغذائية، و تلبية احتياجات النبتة، و توصل العروق و القنوات المختلفة، عصارة ما تأخذه من الارض إلى جميع الاغصان و الاوراق.

إننا لو درسنا جهاز (وردة) لرأيناه اكثر مدعاة للاعجاب و أشد اثارة للتعجب من تركيب بقية النباتات.

فللكأس وظيفة توفير الغطاء اللازم للاوراق الناعمة اللطيفة فى الوردة.

و هكذا الحال بالنسبة الى بقية الأجهزة فى (الوردة) ممّا انيط إليها مسئولية الحفاظ على كائن حىّ، و ضمان رشده و نموّه، فإنها جميعا

تقوم بوظائفها المخلوقة لها بأحسن شكل، و أفضل صورة.

و لو أننا خطونا خطوات اكثر و تقدّمنا بعض الشيء لدراسة الأجهزة العجيبة فى عالم الأحياء، لرأينا أنها جميعا و بدون استثناء مزوّدة بما يضمن بلوغها الى مرحلة الكمال المطلوب لها.

(۱) و إذا أردنا أن نصبّ هذا الموضوع فى قالب علمىّ لوجب أن نقول: انّ الهداية التكوينية، التى هى النعمة المتجلّية فى عالم الطبيعة، تشمل كل موجودات هذا العالم من نبات، و حيوان و انسان.

و يبيّن القرآن الكريم هذه الهداية التكوينية الشاملة بقوله:

«رَبُّنَا الَّذِی أَعْطی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی» «۱».

فانّه يصرّح بأن كل شيء فى هذا الكون من الذرة إلى المجرّة ينعم بهذا الفيض العامّ، و انّ اللّه تعالى بعد أن قدّر كل موجود و كائن، بيّن له طريق تكامله، و رقيّه، و هيأ لكل كائن من تلك الكائنات ما يحتاج إليه فى تربيته و نموّه، و هذه هى (الهداية التكوينية العامة) السائدة على كل ارجاء الخليقة دون ما استثناء.

---

(۱) طه: ۵۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۵

(۱) و لكن هل تكفى هذه الهداية الفطرية، التكوينية لكائن مثل الإنسان، اشرف الموجودات، و افضل ما فى هذه الخليقة؟! بكل تأكيد: لا.

لأن للإنسان حياة اخرى غير الحياة المادية، تشكل اساس حياته الواقعية، و لو كان للإنسان حياة مادية جافّة فقط مثلما لعالم النباتات، و الحيوانات، لكفت العوامل و العناصر المادية فى تكامله، و الحال أن للإنسان نوعين من الحياة، يكمن فى تكاملهما معا رمز سعادة الإنسان و رقيّه.

ان الإنسان الأول، و نعنى به انسان الكهوف و الحياة البسيطة و الفطرة السليمة التى لم يطرأ على جبلته اى اعوجاج لم يكن بحاجة إلى ما يحتاج إليه الإنسان الاجتماعىّ من التربية و الهداية.

(۲) و لكن عند ما خطى الإنسان خطوان أبعد من ذلك، و بدأ الحياة الاجتماعية، و سادت على حياته فكرة التعاون و العمل الجماعى برزت فى روحه و نفسيته سلسلة من الانحرافات نتيجة للاحتكاك الاجتماعى، و غيّرت الخصال القبيحة و الافكار الخاطئة صفاته الفطرية، و بالتالى اخرج المجتمع من حالة التوازن!

إن هذه الانحرافات حملت خالق الكون على أن يرسل إلى البشرية رجالا أفذاذا صالحين يتولّون تربية البشر، و ليقوموا بتنظيم برنامج المجتمع، و التخفيف من المفاسد الناشئة- بصورة مباشرة- عن النزعة الاجتماعية لدى الإنسان، و ليضيئوا- بمشاعل الوحى المشعّة المنيرة- طريق السعادة و الخير للانسانية فى جميع المجالات و الابعاد.

إذ لا نقاش فى أنّ الحياة الاجتماعية و العيش بصورة جماعية مع كونه مفيدا، ينطوى على مفاسد لا تنكر، و يجرّ إلى انحرافات كثيرة لا تقبل الترديد.

(۳) و لهذا بعث اللّه سبحانه رجالا مصلحين، و هداة مرشدين يعملون- قدر الامكان- على الحدّ من الانحرافات و المفاسد، و يضعون عجلة المجتمع- بتنظيم القوانين الواضحة و الانظمة الحكيمة- على الطريق الصحيح، و يضمنون دورانها

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۱۶

و حركتها فى المسار المستقيم.

و قد يستفاد هذا الأمر- بوضوح- من قوله تعالى:

«کانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ فِیمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ» «۱».

(۱)

دور الأنبیاء فی اصلاح المجتمع:

ان الذی یتصوره الناس عادة هو أنّ الأنبیاء مجرد معلّمین إلهیین بعثوا لتعلیم البشریة.

فکما یتعلم الطفل خلال حرکته التعلیمیة ابتداء من الابتدائیة و مرورا بالمتوسطة و انتهاء بالجامعة دروسا معینة و مواضیع خاصة علی ایدی الاساتذة و المعلمین، کذلک یتعلم الناس فی مدرسة الأنبیاء امورا خاصة، و یکتسبون معارف معینة، و تتکامل أخلاقهم و صفاتهم و خصالهم الاجتماعیة جنبا الی جنب مع اکتسابهم المعرفة و العلم علی أیدی الأنبیاء و المرسلین.

و لکننا نتصور أن مهمة الأنبیاء وظیفتهم الأساسیة هی (تربیة) المجتمعات البشریة لا تعلیمها، و ان اساس شریعتهم لا ینطوی علی کلام جدید، و انه ما لم تنحرف الفطرة البشریة عن مسارها الصحیح، و ما لم تلفها غشاوات الجهل و الغافلة لعرفت و ادرکت خلاصة الدین الإلهی، و عصارتها، فی غیر ابهام، و لا خفاء.

علی أن هذه الحقیقة قد أشار إلیها قادة الإسلام العظماء.

(۲) فقد قال امیر المؤمنین علیه السّلام فی نهج البلاغة عن هدف الأنبیاء:

«أخذ علی الوحی میثاقهم، و علی تبلیغ الرسالة أمانتهم ... لیستأدوهم میثاق فطرته، و یذکروهم منسیّ نعمته، و یحتجّوا علیهم بالتبلیغ، و یثیروا لهم دفائن العقول» «۲».

---

(۱) البقرة: ۲۱۳.

(۲) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة رقم ۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۷

(۱)

مثال واضح فی المقام:

اذا قلنا: ان وظیفة الأنبیاء فی تربیة الناس و اصلاح نفوسهم هی وظیفة البستانی فی تربیة شجیرة من الشجرات، أو قلنا: أن مثل الأنبیاء فی قیادة التوجّهات الفطریة البشریة و هدایتها، مثل المهندس الذی یستخرج المعادن الثمینة من بطون الاودیة و الجبال، لم نکن فی هذا القول مبالغین.

و توضیح ذلک ان النبتة، أو الشجیرة الصغیرة تحمل من بدایة انعقاد حبتها الاولی کل قابلیات النمو، و الرشد، فاذا توفر لها الجو المناسب للنمو، دبّت الحیاة و الحرکة فی کل أجزائها، و استطاعت بفعل جذورها القویة و اجهزتها المتنوعة و فی الهواء الطلق، و الضوء اللازم، من أن تقطع أشواطا کبیرة من التکامل، و النمو.

(۲) فمسؤولیة البستانی فی هذه الحالة تترکز فی امرین:

۱- توفیر الظروف اللازمة لتقویة جذور تلک النبتة لکی تظهر القوی المودعة فی تلک النبتة أو الشجیرة، و تخرج من حیّز القوة إلی مرحلة الفعلیة، و التحقق.

۲- الحیلولة دون تعرض تلک الشجرة أو النبتة للانحرافات و الآفات، و ذلک عند ما تتجه القوی الباطنیة صوب الوجهة المخالفة

لسعادتها، و تسلک طریقا ینافی تکاملها.

و من هنا فان مسئولیة البستانی و وظیفته لیست هی (الإنماء) بل هی (المراقبة) و توفیر الظروف اللازمة لیتهیّأ لتلک الشجرة و النبتة أن تبرز کمالها الباطنی.

(۳) لقد خلق اللّه سبحانه البشر و أودع فی کیانه طاقات متنوعة، و غرائز کثیرة، و عجن فطرته و جبلّته بالتوحید، و حبّ معرفة اللّه، و حبّ الحق و الخیر، و العدل و الانصاف، کما و أودع فیه غریزة السعی و العمل.

و عند ما تبدأ خمائر هذه الامور و بذورها الصالحة المودوعة بالعمل و التفاعل فی کیان الإنسان تتعرض فی الجو الاجتماعی لبعض الانحرافات بصورة قهریة،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۸

فغریزة العمل و السعی تتخذ شیئا فشیئا صفة الحرص و الطمع، و غریزة حب السعادة و البقاء تتخذ صورة الانانیة، و حب الجاه و المنصب، و یتجلی نور التوحید و الإیمان فی لباس الوثنیة و عبادة الأصنام.

(۱) فی هذه الحالة یعمل سفراء اللّه الی البشریة: (الأنبیاء و الرسل) علی توفیر ظروف الرشد و النمو الصحیح لتلک الغرائز و تلک القوی و الطاقات فی ضوء الوحی، و البرامج الصحیحة المستلهمة من ذلک المنبع الالهی الهادی، و یقومون بالتالی بتعدیل انحرافات الغرائز، و الوقوف دون تجاوزها حدودها المعقولة المطلوبة.

و لقد قال امیر المؤمنین فی ما مرّ من کلامه: إن اللّه أخذ- فی مبدأ الخلق- میثاقا یدعی «میثاق الفطرة».

فما هو تری المقصود من میثاق الفطرة هذا؟

إن المقصود من هذا المیثاق هو: أن اللّه تعالی بخلقه و ایداعه الغرائز المفیدة فی الکیان الإنسانی، و بمزج الفطرة البشریة بعشرات الأخلاق الطیبة و السجایا الصالحة یکون قد أخذ من الإنسان میثاقا فطریا بأن یتبع خصال الخیر، و یأخذ بالغرائز الطیّبة الصالحة.

فاذا کان منح جهاز البصر (العین) للإنسان هو نوع من اخذ المیثاق من الإنسان بان یتجنب المزالق، و لا یقع فی البئر، فکذلک ایداع حسّ التدین، و غریزة الانجذاب الی اللّه، و حبّ العدل، فی کیانه هو الآخر نوع من اخذ المیثاق منه بأن یظل مؤمنا باللّه، موحّدا إیاه، عادلا، منصفا، محبا للخیر و الحق.

و إن وظیفة الأنبیاء هی أن یحملوا الناس علی العمل بمقتضی میثاق الفطرة، و بالتالی فانّ مهمّتهم الأساسیة الحقیقة هو تمزیق اغشیة الجهل و تبدید سحب الغافلة التی قد ترین علی جوهرة الفطرة المطعمة بنور الایمان، فتمنعها من الاشراق علی وجود الإنسان، و تحرم الإنسان من هدایتها.

و من هنا قالوا: إن أساس الشرائع الالهیة یتألف من الامور الفطریة، التی فطر الإنسان علیها.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۱۹

(۱) و کأنّ صرح الکیان الإنسانی (جبل) اختفت بین ثنایا صخوره و فی بطونه احجار کریمة کثیرة و معادن ذهبیه ثمینة، فالوجود الإنسانی هو الآخر قد اودعت فیه فضائل و علوم، و معارف و خصال، و اخلاق متنوعة.

فعند ما یغور الأنبیاء و المهندسون الروحیّون فی أعماق نفوسنا و ذواتنا و هم یعلمون جیدا أن نفوسنا معجونة بطائفة من الصفات و السجایا النبیلة و المشاعر و الاحاسیس الطیبة، و یعملون علی اعادة نفوسنا- بتعالیم الدین و برامجه- الی جادة الفطرة المستقیمة السلیمة فانهم فی الحقیقة یذکّروننا بأحکام فطرتنا، و یسمّعوننا نداء ضمائرنا، و یلفتونها إلی الصفات، و الی الشخصیة المودوعة فیها.

تلک هی رسالة الأنبیاء، و ذلک هو عملهم الاساسی، و هذا هو دورهم فی اصلاح النوع الإنسانی، أفرادا و جماعات.

(۲)

أمین قریش فی غار حراء:

یقع جبل «حراء» فی شمال «مکة» و یستغرق الصعود إلی غار حراء مدة نصف ساعة من الزمان.

و یتألف ظاهر هذا الجبل. من قطع صخریة سوداء، لا یری فیها أیّ أثر للحیاة أبدا.

و یوجد فی النقطة الشمالیة من هذا الجبل غار یمکن للمرء أن یصل إلیه و لکن عبر تلک الصخور، و یرتفع سقف هذا الغار قامة رجل، و بینما تضیء الشمس قسما منه، تغرق نواح اخری منه فی ظلمة دائمة.

و لکن هذا الغار یحمل فی رحابه ذکریات کثیرة عن صاحب له طالما تردّد علیه، و قضی ساعات بل و أیاما و أشهرا فی رحابه ... ذکریات یتشوق الناس– و حتی هذا الساعة– الی سماعها من ذلک الغار، و لذلک تجدهم یسارعون إلی لقائه کلّما زاروا تلک الدیار، متحملین فی هذا السبیل کل عناء، للوصول إلی رحابه، لکی یستفسرونه عما جری فیها عند وقوع حادثة: «الوحی» العظیمة و لیسألونه عن ما تحتفظ به ذاکرته من تاریخ رسول الإنسانیة الاکبر ممّا جرت

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۰

حوادثه فی ذلک المکان التاریخی، العجیب.

(۱) و یتحدث ذلک الغار هو الآخر إلیهم بلسان الحال و یقول: هاهنا المکان الذی کان یتعبد فیه عزیز قریش و فتاها الصادق الامین. و هاهنا قضی لیالی و أیاما عدیدة و طویلة قبل ان یبلغ مرتبة الرسالة، فی عبادة اللّه، و التأمل فی الکون، و فی آثار قدرة اللّه و عظمته.

أجل، لقد اختار محمّد صلّی اللّه علیه و آله ذلک المکان البعید عن صحیح الحیاة، للعبادة و التحنث، فکان یمضی جمیع الایام من شهر رمضان فیه، و ربما لجأ إلیه فی غیر هذا الشهر أحیانا اخری، إلی درجة أنّ زوجته الوفیّة کانت إذا لم یرجع إلی منزلها، تعرف أنه قد ذهب إلی «غار حراء» و أنه هناک مشتغل بالعبادة و التحنث و الاعتکاف. و کانت کلّما أرسلت إلیه أحدا وجده فی ذلک المکان مستغرقا فی التأمل و التفکیر، او مشتغلا بالعبادة و التحنث.

(۲) لقد کان صلّی اللّه علیه و آله قبل أن یبلغ مقام النبوة، و یبعث بالرسالة یفکر– اکثر شیء– فی أمرین:

۱– کان یفکر فی ملکوت السماوات و الارض، و یری فی ملامح کل واحد من الکائنات التی یشاهدها نور الخالق العظیم، و قدرته، و عظمته و علمه، و قد کانت تفتح علیه من هذا السبیل نوافذ من الغیب تحمل الی قلبه و عقله النور الالهیّ المقدس.

۲– کان یفکر فی المسئولیة الثقیلة التی ستوضع علی کاهله.

إن اصلاح المجتمع فی ذلک الیوم علی ما کان علیه من فساد عریق و انحطاط عریض، لم یکن فی نظره و تقدیره بالأمر المحال الممتنع. و لکن تطبیق مثل هذا البرنامج الاصلاحیّ لم یکن فی نفس الوقت أمرا خالیا من العناء و المشاکل، من هنا کان یفکر طویلا فی الفساد فی حیاة المجتمع المکّی و ما یراه من ترف قریش، و کیفیّة رفع کل ذلک و اصلاحه.

لقد کان صلّی اللّه علیه و آله حزینا لما یری من قومه من فساد العقیدة المتمثل فی الخضوع للأوثان المیتة، و العبادة للأصنام الخاویة الباطلة، و لطالما

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۱

شوهدت آثار ذلک الحزن علی محیّاه، و ملامح وجهه الشریف، و لکن لما لم یکن مأذونا بالافصاح بالحقائق، لذلک کان یتجنب ردع الناس عن تلک المفاسد، و منعهم عن تلک الانحرافات.

(۱)

بدء الوحی:

لقـد امر اللّه ملکـا من ملائـکته بـأن ینزل علی امین قریش و هو فی غار حراء و یتلو علی مسـمعه بضع آیات کبدایـة لکتاب الهدایـة و السعادة، معلنا بذلک تتویجه بالنبوة، و نصبه لمقام الرسالة.

کان ذلک الملک «جبرئیل»، و کان ذلک الیوم هو یوم المبعث النبوی الشریف الذی سنتحدث عن تاریخه فی المستقبل.

و لا ریب أن ملاقاة الملک و مواجهته أمر کان یحتاج إلی تهیّؤ خاصّ، و ما لم یکن محمّد صلّی اللّه علیه و آله یمتلک روحا عظیمة، و نفسیة قویة لم یکن قادرا قط علی تحمّل ثقل النبوة، و ملاقاة ذلک الملک العظیم.

أجل لقـد کان «أمین قریش» یمتلک تلک الروح الکبری، و تلک النفس العظیمـة و قـد اکتسـبها عن طریق العبادات الطویلة، و التأمّل العمیق الدائم، الی جانب العنایة الالهیة.

و لقد روی أصحاب السیر و التاریخ انه رأی رؤی عدیدة قبل البعثة کانت تکشف عن واقع بیّن واضح وضوح النهار «۱».

و لقد کانت ألذّ الساعات و أحبها عنده بعد کل فترة، تلک الساعات التی یخلو فیها بنفسه، و یتعبّد فیها بعیدا عن الناس.

و لقد قضـی علی هذا الحال مدة طویلة حتی أتاه- فی یوم معین- ملک عظیم بلوح نصـبه أمامه و قال له: «اقرأ»، و حیث أنه صـلّی اللّه علیه و آله کان امیا لم یدرس أجاب الملک بقوله: «ما أنا بقارئ».

---

(۱) صحیح البخاری: ج ۱ کتاب العلم ص ۲۲، بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۲

(۱) فاحتضنه ذلک الملک، و عصره عصرة شدیدة، ثم طلب منه أن یقرأ فأجابه بالجواب الأول.

فعصره الملک ثانیة عصـرة شدیدة و تکرّر هذا العمل مرات ثلاث احس بعدها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی نفسه أنه قادر علی قراءة ما فی ذلک اللوح، فقرأ ساعتها تلک الآیات التی تشکل- فی الحقیقة- دیباجة کتاب السعادة البشریة، و اساس رقیها.

لقد قرأ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوله تعالی:

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ. الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ» «۱».

و بعـد أن انتهی جبرئیـل من أداء مهمته التی کلّف بهـا من جـانب اللّه تعالی، و بلّغ الی النبی تلکم الآیات الخمس، انحـدر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من جبل حراء، و توجه نحو منزل خدیجة «۲».

و لقد أوضحت الآیات المذکورة برنامج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اجمالا، و بیّنت و بشکل واضح ان اساس الدین یقوم علی القراءة و الکتابة، و العلم و المعرفة، و استخدام القلم.

(۲)

ظاهرة القضایا الغیبیّة فی منظار المادیّین:

لقد تسبّب التقدم العظیم و المتزائد الذی تحقق فی میدان العلوم الطبیعیة فی سلب الکثیر من العلماء القدرة علی فهم و ادراک القضایا المعنویة و الخارجة عن اطار العلوم الطبیعیة و بالتالی أدی الی تحدید و تضییق آفاق الفکر عندهم.

فـاذا بهم اصبحـوا یتصورون أن الوجود یتلخص فی هـذا الکون المـادی، و انه لیس فی الوجود من شـیء سوی المـادة و ان کـل ما لا یمکن تفسیره و تبریره بالقوانین و القواعد المادیة فهو أمر باطل، و من نسج الخیال!!

---

(۱) العلق: ۱- ۵.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۶ و ۲۳۷.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲۳

(۱) إن هـذا الفريق- لتسـرعه فی اصدار الحكم فی الامور المتعلقة- بالغيب و قضايا ما وراء الطبيعة، و حصـر أدوات المعرفة بالحس و التجربـة- انكروا عـالم الوحی، بحجـة أنّ الحسّ و التجربـة لاـ يقودانهم إلی ذلـك العـالم، و لاـ يخبرانهم عن مثل تلك الموجودات، فلكونهـا بالتـالی لاـ تخضع لمبضع التشـريح، و مجهر الاختبار أنكروها بالمرة، و كانت النتيجـة أن أدوات المعرفـة المعروفـة (الحسّ و التجربة) حيث انها لا تهدی إلی عالم ما وراء المادة فاذن لا وجود خارجی لذلك العالم و لحقائقه أبدا!

إنّ هذا النمط من التفكير نمط جدّ ضيق و محدود، مضافا الی انه يتسم بالغرور و الغطرسة، فهو من باب «استنتاج عدم الوجود من عدم الوجدان» فی خطوة متعجلة فجّة!!

فمـا دامت هـذه الحقـائق التی يعتقـد بهـا الالـهيّون المؤمنون بـاللّه لاـ يمكن التوصـل إليهـا عن طريق الادوات الفعليـة المتعارفـة بينهم للادراك و المعرفة فهی اذن لا اساس لها من الواقع!!

(۲) ان الذی لا شك فيه هو: ان الماديين لم يدركوا مقالة العلماء الالهيين حتی فی مسألة اثبات الصانع الخالق فكيف بالعوالم الاخری لما فوق الطبيعـة، و لو أنّ الفريقين تحاورا فی جوّ علمی مناسب، بعيدا عن الأغراض و العصبيّات، لكان من المتوقع ان تزول الفواصـل بين الماديين و الالهيين فی أقرب وقت، و أين يرتفع هذا الاختلاف الذی قسّم العلماء إلی فريقين علی طرفی نقيض.

(۳) لقـد اقام المؤمنون الموحّـدون عشـرات الأدلة و البراهين القاطعة علی وجود اللّه تعالی، و اثبتوا بأنّ هذه العلوم الطبيعية هی نفسـها تقودنا إلی الخالق العالم القادر، و ان هـذا النظام العجيب السائد فی ظواهر الكائنات الطبيعيّة و بواطنها لدليل قاطع، و برهان ساطع علی وجود مبدع هذا النظام، و أن جميع أجزاء هذا الكون المادیّ، من ذراته الی مجراته، يسير وفق قوانين دقيقة متقنة، و لا تستطيع الطبيعة الصماء العمياء ابدا أن تكون مبتكرة لهذا النظام البديع، و مبدعة لهذا الترتيب الدقيق.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲۴

(۱) و هذا هو بنفسه برهان «نظام الوجود» أو (برهان النظم) الذی ألّف العلماء الالهيون الموحدون حوله عشرات الكتب و الدراسات.

و حيث ان (برهان النظم) هـذا ممّا يفهمه جميع الناس علی مختلف مراتبهم و مـداركهم، لـذلك ركزت عليها الكتب الاعتقاديـة دون سواها، و سـلك كل واحـد من العلماء طريقا معينا و خاصا لتقريره، و بيانه، كما و درست الأدلـة و البراهين الاخری التی لا تتسم بمثل هذه الشمولية، فی الكتب، و المؤلفات الفلسفية و الكلاميّة بصورة مفصلة و مبسوطة.

إنّ للعلماء الالهيين بيانات و أدلة فی مجال (الروح المجردة)، و عوالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) نشير إلی بعضها هنا:

(۲)

الروح المجردة:

إن الاعتقاد بالروح من القضايا الشائكة الطبيعة التی استقطبت اهتمام العلماء و شغلت بالهم بشدة.

فهناك فريق- ممّن اعتاد أن يخضع كل شیء لمبضع التشريح- ينكر وجود (الروح)، و يكتفی بالاعتقاد بالنفس ذات الطابع المادی، و العاملة ضمن نطاق القوانين الطبيعية فقط.

و وجود «الروح» و النفس غير المادية (ای المجردة المسـتقلة عن المادة) من القضايا التی عولجت و دورست من قبل المؤمنين باللّه، و المعتقدين بالعالم الروحانی، بصورة دقيقة، و عميقة.

فهم أقاموا شواهـد عديـدة علی وجود هذا الكائن (غير المادیّ) و هی أدلة و براهين لو تمّ التعرّف عليها و النقاش حولها فی جوّ علمی هادئ مع الأخذ بنظر الاعتبار ما يقوم عليه منطق الالهيين- فی هذا المجال- من قواعد و اسس، لأدّی ذلك إلی التصديق الكامل بها.

علی أن ما يقوله الالهيّون فی مجالات اخری مشابهة مثل (الملائكة) و (الوحی) و (الإلهام) يقوم هو الآخر علی الأساس الذی شيدوه و

مهدوه و برهنوا

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۵

علیه قبل ذلک بالأدلة المحکمة، المتقنة «۱».

(۱)

ظاهرة الوحی عند المادیّین:

یعتبر الاعتقاد بالوحی أساسا لجمیع الرسالات، و الأدیان السماویة، و تقوم هذه الظاهرة (ظاهرة الوحی) علی أن الذی یوحی إلیه یمتلک روحا قویة تقدر علی تلقی المعارف الالهیة من دون واسطة، أو بواسطة ملک من الملائکة.

و یلخص العلماء المختصّون تعریفهم للوحی علی النحو التالی: «الوحی تعلیمه تعالی من اصطفاه من عباده کل ما أراد اطلاعه علیه من ألوان الهدایة و العلم و لکن بطریقة خفیّة غیر معتادة للبشر».

و لکن المادیین- کما قلنا- لم یستطیعوا هضم هذه الحقیقة، و ادراک هذه الظاهرة علی حالها، و صورتها الغیبیة بسبب ما ذکرناه من منهجهم و نظرتهم إلی الامور و الکائنات فذهبوا فی تفسیر ظاهرة الوحی- التی هی کما اسلفنا من قضایا الغیب و من عوالم ما فوق الطبیعة- مذاهب مختلفة ترجع برمتها إلی الرؤیة المادیة للوجود.

و إلیک أبرز هذه التفاسیر المادیّة لظاهرة الوحی الغیبیة:

أبرز النظریات المادیة لظاهرة الوحی:

۱- قالوا: الوحی هی القدرة الفکریة، و النفسیة و العقلیة التی تحصل للإنسان بسبب التمرینات و الریاضات الروحیة التی علی اثرها تنفتح علیه أبواب من الغیب، فیخبر عن امور طالما تتفق مع الواقع علی نحو ما یحصل للمرتاضین الهنود «۲».

فالانبیاء بسبب اعتزالهم للمجتمع- علی غرار ما یفعل المرتاضون- و إقبالهم

---

(۱) و لقد جاء تفصیل هذه البراهین و الأدلّة فی الکتب الفلسفیة مثل: «الإشارات» و «الأسفار».

و لقد اشرنا إلی بعض هذه الأدلّة فی کتاب (اللّه خالق الکون) فراجع.

(۲) و هم الذی یمارسون عملیة الیوجا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۲۶

علی الریاضة الروحیة یحصل لهم المقدرة علی الإخبار بالغائبات، و الکائنات الخفیة علی غیرهم.

و الجواب علی هذه النظریة هو: أن دراسة حالات المرتاضین تکشف لنا عن أنهم طالما یخطئون فی إخباراتهم أخطاء فاضحة، بینما لم یعهد من نبیّ أنه أخطأ فی إخباراته، و إنباءاته.

هذا اولا و ثانیا: ان ما یفعله المرتاضون لا ینطوی علی أیة أهداف اصلاحیة علیا للمجتمع البشری، بل غایة همّهم هو: عرض الافعال العجیبة علی الناس و ربما تسلیة المتفرجین، بینما یهدف الأنبیاء إلی إصلاح المجتمعات البشریة و قیادتها إلی ذری الکمال و التقدم.

و ثالثا: ان المرتاضین لا یثقون بما یخبرون به، کما لم یعرف إلی الآن أن أحدا منهم طلع علی المجتمع البشریّ ببرنامج کامل و شامل للحیاة البشریة الفردیة و الاجتماعیة، بینما نجد الأنبیاء یخبرون الناس بما امروا به و هم علی إیمان کامل، و یقین ثابت منه، هذا الی جانب أنهم یحملون الی البشریة برامج اجتماعیة و حیویة جامعة الاطراف، کاملة الأبعاد، رفیعة الأهداف، عمیقة الغایات، ترجع إلیها

كل فضيلة و كل خير تعرفه المجتمعات الى الآن.

و رابعا: انّ أعمال المرتاضين و ما تحصل لهم من قوى و ينفتح عليهم من آفاق، محدودة، بينما لا- تقف طاقات الأنبياء و آفاق علومهم، و أبعاد أعمالهم عند حدّ.

فلا يمكن أبدا تفسير و تعليل ظاهرة (الوحى) و ما يحصل للرسل و الأنبياء على اثره من امور تتخطى حدود العالم المادى المحدود، بالرياضة الروحية التى يمارسها المرتاضون و ما يحصل لهم على أثرها من امور.

۲- قالوا: انّ (الوحى) نوع من النبوغ، او أنه ناشئ من النبوغ، و أن الأنبياء هم نوابغ اجتماعيون لا اكثر.

و قد شرحوا نظريتهم هذه قائلين: بأن نظام الخليقة قد ربى فى أحضانه نوابغ

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲۷

صالحين، اهتدوا بفعل نبوغهم الفكرى الرفيع الى أفكار و قيم رفيعة و دعوا مجتمعاتهم إلى الأخذ بها، و السير على هديها، لتحقيق الخير و العدالة، فكان لهم بذلك اكبر نصيب فى إرشاد البشرية الى سعادتها، فكل ما طرحوه من أفكار، و كل ما عرضوه على تلك المجتمعات باسم الدين او القانون ليست- فى الحقيقة- سوى نتيجة ما تمتعوا به من نبوغ، و فكر خارق، و لا علاقة له بعالم آخر غير هذا العالم المادى المألوف.

و قالوا: و ان ممّا يساعد على تقوية هذا النبوغ امور ابرزها:

الحبّ، التعرض للظلم الطويل، الطفولة و ما يكتنفها من ضعف و عجز، الوحدة، السكوت، التربية الاولى، و العيش فى صورة الأقلية و ما يرافقها من ظروف اجتماعية غير مؤاتية.

فان جميع هذه الامور أو بعضها تدفع بالشخص الى الانطوائية، و التفكير و التأمل، للاهتداء الى مخرج من المشاكل و الصعوبات، و مخلص من الظروف الصعبة، و الأحوال الشاقة.

و يجاب على هذه النظرية بأن أصحاب هذه النظرية حكموا على هذه القضية على أساس موقف اتخذوه سلفا فهم حصروا الأشياء فى المادة و الامور المادية ثم فسّروا ما يرتبط بعالم الغيب بذلك، فجاء تفسيرهم لهذه الظاهرة الغيبية تفسيرا ماديّا، غفلة منهم عن ان مثل هذا التفسير و التعليل لا يليق بظاهرة (الوحى) التى تجسد أعلى قضيّة فى سلّم الحقائق العلمية و الفلسفية، و يرجع إليها أعظم القوانين و البرامج للسعادة البشرية.

نحن لا ننكر أن لما ذكروه من العوامل تأثيرا فى تقوية عملية «التفكير» لدى الانسان إلى درجة ايجاد ما يسمى بظاهرة النبوغ لديه، إلّا أنه لا يمكن أن يوجد مثل هذا الأمر نبيّا خضعت جميع النوابغ البشرية لعظمة تعاليمه التى أتى بها طوال أربعة عشر قرنا.

نبيا لم تزل ما جاء به من معارف عقلية و فلسفية، و قوانين ترتبط بعالم الطبيعة و بالنظام الاجتماعى و آداب السلوك تحافظ على قوتها، و عمقها و أصالتها و لمعانها

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۲۸

كل المحافظة رغم كل ما احرزه البشر فى ضوء نشاطه الفكرى و العقلى من تقدم، فى المعارف و العلوم.

هذا مضافا الى أن نسبة هؤلاء الأنبياء جميع ما عرضوه على المجتمعات البشرية إلى العالم الآخر و اصرارهم على أنها من جانب اللّه تعالى و ليست من نسيج افكارهم يناقض نظرية هذه الطائفة، التى تفسر النبوة بالنبوغ.

لنقرأ معا الآية التى يقول اللّه تعالى فيها حاكيا عن رسول الإسلام محمّد صلّى اللّه عليه و آله:

«إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ» «۱».

أو يقول سبحانه:

«إِنْ هُوَ إِلَّا س "وَحْيٌ "يُوحى» «۲».

۳- یقولون: إن الوحی هو ظهور الشخصیة الکامنة فی النبی و ایحاؤها لما ینفعه و ینفع قومه المعاصرین له، إلیه.

و ربما قالوا: إنّ معلومات «محمّد» و أفکاره و آماله ولّدت لدیه إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفیّة علی محیلته السامیة، و انعکس اعتقاده علی بصره فرأی الملک و ماثلا له و هو یتلو علی سمعه ما حدّث به بعد ذلک.

و توضیح هذه النظریة هو: ان لکل إنسان شخصیتین:

۱- الشخصیة الظاهرة العادیة و هی التی تخضع للحواس الخمس و تعمل بها.

۲- الشخصیة الباطنیة و هی التی تعمل عند ما تتعطل الحواس، و یتعطل الشعور الظاهری:

و هذه الشخصیة هی التی تحرک جمیع أعضاء الجسم الانسانی التی لا تخضع لارادته کالکبد و القلب، و المعدة و غیرها، کما انها هی مصدر الکثیر من الإلهامات الطیبة فی الظروف الحرجة.

ثم قالوا: و هذه الشخصیة الباطنیة قد اصبحت مدرکة بالحس، فان المنوّم

---

(۱) الأنعام: ۵۰.

(۲) النجم: ۴.

مغناطیسیا یظهر بمظهر من العقل الراجح، و الفکر الثاقب و النظر البعید، و یقوم بما لا یقوم به فی حالته العادیة.

و قد انتهی هؤلاء المادیّون من خلال تحقیقاتهم و تجاربهم إلی: ان شخصیة الإنسان الباطنیة ارقی من شخصیته العادیة، و إن ما یتوصّل إلیه الإنسان من أفکار عالیة رفیعة جدا، و ما قد یتمتع به من روح قویة هو من مظاهر هذه الشخصیة و فعالیتها.

فقالوا: و ان هذه الشخصیة هی التی تنفث فی روح الأنبیاء ما یعتبرونه وحیا من اللّه، و قد تظهر لهم متجسّدة فیحسبونها من ملائکة اللّه هبطت علیهم من السماء!!!

فالوحی عند هؤلاء الباحثین فی الروح علی الاسلوب التجریبی لا یکون بنزول ملک من السماء علی الرسول فیبلغه کلاما عن اللّه بل یکون فی تجلی روح الإنسان علیه بواسطة شخصیته الباطنة فتعلمه ما لم یکن یعلم، و تهدیه الی خیر الطرق لهدایة نفسه و ترقیة امته.» (۱)

و لکن هذه النظریة هی الاخری تنبع من الغرور العلمیّ الذی أصاب هذا النمط من العلماء الّذین یحاولون تفسیر کل ظواهر هذا العالم بالتفسیر المادی، و هو لا شک ینشأ من علمهم المحدود القاصر عن إدراک حقائق الوجود.

إننا لا نشک فی وجود ما یسمی بالشخصیة الباطنیّة لدی الإنسان فهو ممّا سبق الی کشفه و التنویه به الفلاسفة الإسلامیّون من قبل و لکن کیف و علی أیّ أساس حقّ لهؤلاء ان یفسروا ظاهرة (الوحی الالهیّ) و النبوة بهذا الأمر؟

هذا أولا و ثانیا: انّ تجلی الشخصیّة قلّما یحدث فی الاشخاص الأصحّاء، بل هو یحدث فی الاغلب عند المتعبین القلقین، و السکاری، و المصابین بالهزیمة و النکسة، لأن نافذة (اللاوعی) عند غیرهم من الاصحاء تنسد بسبب اشتغالهم الشدید بقضایا الحیاة الیومیة و همومها، و لا یبقی للشخصیة الباطنیة مجال للنشاط و الفعالیة، کما

---

(۱) دائرة معارف القرن العشرین لفرید وجدی: ج ۱۰ مادّة وحی.

هو العکس عند المتعبین و السکاری و المرضی الذین یقل اهتمامهم بالحیاة الیومیة فیترک (الوعی) مکانه للاوعی، و تترک الشخصیة الظاهریة المعطّلة مکانها للشخصیة الباطنیة.

و لـذلک نجـد بين آلاف العلمـاء و المفکرين مفکرا أو عالما واحـد اتفق له في بدايـة عمره أن اهتـدي بصورة لا شـعورية إلي فکرة خاصة او نظرية معينة من دون سابق تفکير او استدلال قائم علي الشعور.

و خلاصة القول أن تجلّي الشخصية الباطنية في الحياة الانسانية قضية نادرة جدا، و هي لا تحدث إلّا في ظروف خاصة مثل: المنامات و الاحلام و غيرها من التحولات الحياتية التي تقلل من توجّه الانسان الي العالم الخارجيّ و تصرف التفاته و توجّهه الي الشخصية الباطنية.

و لکن هذه الحالة و هذه الشرائط (أي الغافلة عن هموم الحياة اليومية الخارجية) لم تحصل للانبياء قط.

فالنبي الأکرم محمّد صلّي اللّه عليه و آله کان طوال (۲۳ سنة) و هي أعوام الرسالة، مشتغلا کل الاشتغال بقضايا الحياة اليومية، فالنشاطات السياسية.

و التبليغية و قضايا الدعوة و القيادة کانت تهيمن علي کل توجهه و اهتمامه و تملأ.

عقله و روحه و نفسه.

فالکثير من آيات الجهاد ترتبط بساحات القتال و الجهاد، و هذا يعني انه کان مشدودا بروحه و عقله کله إلي تلک الامور.

و ثالثا: ان هذه النظرية يمکن أن تصدق علي نبوة الأنبياء، لو کان هؤلاء الأنبياء أفرادا متعبين، منهزمين، منتکسين، مرضي، معتزلين عن الحياة ليقال حينئذ ان هذه الحالات و الظروف مهّدت لانقطاعهم- عليهم السّلام- عن هموم الحياة، و قضاياها، و بالتالي مهّدت لفعالية الشخصية الباطنية و عملها.

و لکن تاريخ الأنبياء يشهد بوضوح لا إبهام فيه، بانهم کانوا- طيلة حياتهم الرسالية- رجالا مجاهدين، لا يهمهم إلّا اصلاح المجتمعات و قيادة الجماعات و حل المشکلات الاجتماعية، و رفع مستويات الناس معنويا و فکريا و کانوا

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۳۱

يعملون لتحقيق هذه الأهداف ليل نهار، بلا سأم و لا ملل، و لا تعب و لا نصب.

فکيف يمکن القول و الحال هذه بان الشخصية الباطنية تجلّت لديهم و اوحت إليهم بحقائق و قيم و افکار؟

إن تفسير (الوحي الالهي) الذي يلقي الي الأنبياء و يکشف لهم عن أدق الحقائق و ارفعها، و أعظم المناهج و اکملها، بتجلّي الشخصية الباطنية، ناشئ من اعتقاد هذا الفريق من العلماء بأصالة المادة، أو بعبارة اخري: حصر الوجود في المادة، و من هنا حاولوا إلباس کل شيء حتي الامور المعنوية و الغيبية:

اللباس المادیّ، و اغلقوا علي أنفسهم باب عوالم الغيب، و عمدوا إلي التفتيش عن علة مادية حتي لظاهرة (الوحي) التي لا تقاس بمقاييس العالم المادّي.

هذا مضافا إلي أن تفسير (الوحي الالهيّ) عن طريق نظرية تجلّي الشخصية الباطنية، و خاصة في شأن رسول الإسلام «محمّد» صلّي اللّه عليه و آله و سلّم يواجه اشکالات و مؤاخذات اخري تجعل هذه النظرية في عداد الاساطير!!

و إنّ ابرز هذه الاشکالات الواردة علي هذه النظرية في مجال رسول الإسلام صلّي اللّه عليه و آله هي: أنّ هذه النظرية ليست رأيا جديدا و تهمة جديدة توجه إلي نبوة رسول الإسلام.

(۱) فان نظرية «الشخصية الباطنية، و الوحي النفسي الذاتي» هي نظرية متبلورة و متقدمة لتهمة (الجنون و الصرع) التي کان يرمي بها العرب الجاهليّون رسول اللّه صلّي اللّه عليه و آله و سلّم!!

فقد کان المشرکون في بدء الدعوة يقولون: ان ما يقوله «محمّد» و ما يتکلم به ليس إلا أفکاره القلقة المضطربة الناشئة عن خياله، و انّ القرآن هي تلک الأفکار المضطربة التي تسربت إلي فضاء عقله من دون ارادة منه و لا اختيار!!

(۲) لنستمع الي القرآن الکريم و هو ينقل عنهم هذا الاتهام:

«بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ» «۱».

(۱) الأنبیاء: ۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۲

(۱) و لکن القرآن الکریم یردّ علی هذه المزعمة الواهیة بقوله:

«وَ النَّجْمِ إِذا هَوی. ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی. وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی. عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی» «۱».

ان القرآن الکریم یشجب فی هـذه الآیات المنتظمة انتظاما رائعا و بدیعا هذه المزعمة (أی مقولة أن القرآن ولید الخیال لدی محمّد)، و یردّ الأمر إلی الوحی الالهی، و التوجیه الربانیّ العلویّ.

إن نظریة الوحی النفسیّ و تجلّی الشخصیة الباطنیة التی طلع بها المادیون فی عصرنا ما هی فی الحقیقة إلّا غطاء لمزعمة المشرکین و تهمة الجنون، و الخیال التی سبق أن رمی بها أعداء الرسالة الاسلامیة و معارضوها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تلک التهمة التی یذکرها القرآن الکریم بقوله:

«وَ قالُوا یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ» «۲».

(۲) و هی تهمة کان یوجهها المعارضون دائما إلی المصلحین و أصحاب الرسالات «۳» و قد اتخذت هذه التهمة صبغة علمیة جدیدة، و تبلورت فی نظریة:

«الوحی النفسیّ، و تجلّی الشخصیّة الباطنیة». ان القرآن الکریم یرد علی هذه المزاعم و التصورات الباطلة حول عملیّة الوحی و مسألة النبوّة و یرد علی نسبة الکهانة و ما شابه ذلک کالخبر المنقول عن اهل السیر بمحاولة القاء النبی نفسه من شاهق فی بدایة الوحی الذی یشبه نسبة الجنون إلیه صلّی اللّه علیه و آله، اذ یقول تعالی:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ. ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ. مَکِینٍ. مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ. وَ ما صاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ. وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِینِ. وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ. فَأَیْنَ

(۱) النجم: ۱- ۵.

(۲) الحجر: ۶، و أیضا راجع الآیات التالیة: سبأ: ۸، الصافّات: ۳۶، الدخان: ۱۴، الطور: ۲۹، القلم: ۲، التکویر: ۲۲.

(۳) اذ یقول القرآن فی هـذا الصـدد: «کـذلک مـا أتی الّـذین من قبلهم من رسول إلّـا قـالوا سـاحر أو مجنون. أتواصوا به بـل هم قوم طاغون» (الذاریات: ۵۲ و ۵۳).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۳

تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ. لِمَنْ شاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ» «۱».

بهذا البیان تبیّن بطلان هذا التفسیر و جمیع التفاسیر الاخری التی تحاول إعطاء (الوحی) طابعا مادیا مألوفا، شأنه شأن غیره من الظواهر الغیبیّة، و نحن استکمالا لهذا البحث نشیر إلی ما هو الحق فی هذا المجال، ممّا یؤیّد الواقع و العقل و الدین:

ظاهرة الوحی فی منظار العقل و الدین:

لا شک أن حیاة کل فرد من افراد الإنسان تبـدأ من «الجهل» ثم یأخـذ الإنسان بالدخول فی مجال العلم شـیئا فشـیئا، الی ان تنفتح علیه بالتدریج نوافذ علی الواقع الخارج عن ذهنه.

فیبـدأ الإنسان بالتعرف علی الحقائق عن طریق الحواسّ الظاهریـة، ثم علی أثر التکامل فی جهازه العقلیّ و الفکری یهتدی الی الحقائق

الخارجة عن مجال الحس و اللمس، فیغدو عقلانیا استدلالیّا، و یقف علی طائفة من الحقائق الکلیّة و القوانین العلمیة.

و ربما یظهر بین أفراد النوع الإنسانی أصحاب نفوس عالیة یقفون عن طریق الالهام و من خلال بصیرة خاصة علی حقائق و امور لا یهتدی إلیها حتی عن طریق الاستدلال و البرهنة!

و من هنا قسّم العلماء ادراک البشر الی ثلاثة أنواع: «إدراک العامّة» «إدراک المفکرین و أرباب الاستدلال» «إدراک العرفاء و اصحاب البصائر و النفوس الکبری».

و کأنّ أصحاب الظاهر یستعینون علی اکتشاف الحقیقة بالحس، و المفکرین یستعینون بالاستدلال و البرهنة، و أصحاب البصائر و المعرفة بالإلهام و الاشراق و بالفیض علیهم من العالم الأعلی.

---

(۱) التکویر: ۲۰- ۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۴

ان النوابغ فی مجال الأخلاق، و ان عقول العلماء الخلاقة، و أفکار الفلاسفة العظیمة کلها تؤیّد و تشهد بأن ما یحصلون علیه، و ما یطلعون به علی المجتمع البشری ممّا لم یعرفوه من قبل ما هی إلّا شرارات مضیئة و ملهمة تخطر لهم، ثم یعمدون إلی تنمیتها و بلورتها بالتجربة، أو بالاستدلال و البرهنة و التأمل.

(۱)

قنوات المعرفة الثلاث:

من هذا الکلام نستنتج أن أمام بنی البشر ثلاث طرق للوصول الی مقاصده؛ فالطریق الأول یستفید منه جماهیر الناس غالبا، بینما یستفید طائفة خاصة منهم من الطریق الثانی، و لا یستفید من الطریق الثالث إلّا أفراد معدودون قلة تکاملت عقولهم، و تسامت أرواحهم. و هی کالتالی:

(۲) ۱- الطریق التجریبی و الحسی، و المقصود منه ذلک القسم من الإدراکات و المعلومات الواردة الی محیط الذهن البشریّ عن طریق الحواس الظاهریة کالمرئیات، و المشمومات و المطعومات و غیرها ممّا یستقرّ فی محیط إدراکنا بواسطة الأجهزة المختصة بها.

و قد استطاع البشر الیوم، و بفضل اختراع التلسکوبات و المیکروسکوبات و اجهزة التلفاز و الرادیو ان یقدّم خدمة کبری للبشریة فی مجال الإدراکات الحسیة و یمهّد لمزید من سیطرتها علی البعید و القریب.

(۳) ۲- الطریق التعقّلی الاستدلالی: فان المفکرین یتوصّلون الی کشف طائفة من القوانین الکلیّة الخارجة عن الحس عن طریق عملیة التفکیر و التأمل و تشغیل جهاز العقل، و إقامة سلسلة من المقدمات البدیهیة الواضحة، و بذلک یمکن الوصول إلی قمم المعرفة و الکمال العلمی.

إنّ انکشاف القوانین العلمیّة الکلیّة، و المسائل الفلسفیة، و المعارف المرتبطة بصفات اللّه و أفعاله سبحانه و القضایا المطروحة فی علم العقیدة و الأدیان ناشئ برمّته من جهاز العقل، و حرکته، و ناتج من عملیة التفکیر، و الاستدلال المذکورة.

(۴) ۳- طریق الإلهام: و هذا هو الطریق الثالث لمعرفة الحقائق، و هو فوق نطاق

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۵

الحس و التعقل.

إنه نوع جدید من المعرفة و نمط متمیّز من إدراک الحقائق، لیس محالا من وجهة نظر العلم و ان کان یصعب علی أصحاب الاتجاه المادّی القبول به لکونه طریقا غیر حسی و لا تعقّلی.

و أما من جهة الأصول العلمیة فلا مجال لإنکاره، و لا مبرّر لعدّه من المحالات.

(۱) إن طریق التعرّف علی حقائق الکون الخارج عن الذهن- فی منهج المادّیین، و أصحاب النزعة المادیة- ینحصر فی قناتین لا أکثر، و هما اللّذان سبق ذکرهما، فی حین أنّ هناک- حسب نظرة الأدیان و الشرائع الکبری و حسب نظرة الفلاسفة و العرفاء الالهیین- قناة ثالثة أیضا.

بل إنّ هذا الطریق الثالث- کما أسلفنا فی مسألة الوحی- أکثر واقعیة، و أقوی أسسا، و أوسع آفاقا عند من یدّعون الرسالة، و النبوة من جانب اللّه سبحانه، و إن نفوس اولئک الأشخاص لتبدو أکثر صفاء و طراوة بفضل هذا الطریق، و فی ضوء هذه القناة.

(۲) و کلّما حصل ارتباط بین اللّه، و بین فرد من أفراد النوع الإنسانی علی نحو خاص القیت الحقائق فی وجوده من دون توسط الحواس الظاهریة، و إعمال الفکر، و استخدام جهاز العقل.

و هذا النوع من الإلقاء یسمی حینا بالالهام، و بالاشراق حینا آخر.

و لکن کلما نتج من ارتباط الإنسان بما وراء الطبیعة سلسلة من التعالیم العامّة و الأنظمة و البرامج الشاملة اطلق علی هذا النوع من الإلقاء عنوان (الوحی)، و سمّی الآتی بها (ملک الوحی) و الآخذ لها (نبیّا).

هذا و قد یوجب الإلهام الثقة و الاطمئنان للملهم إلیه، و لکنّه لا یمکن أن یکون مبعث الاطمئنان و الثقة عند الآخرین «۱».

---

(۱) و انما قلنا «قد» أی یمکن أن یوجب الاطمئنان و لم نقطع بذلک لأنّ مصدر هذه الالهامات.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۳۶

من هنا اعتبر العلماء «الوحی» الطریق المطمئنة الوحیدة الی المعرفة العامة ... الوحی الذی ینزل علی الأنبیاء الذین ثبتت نبوّتهم بالدلائل القاطعة، من المعجزة و غیرها.

(۱)

أنواع الوحی و اصنافه:

إن فی مقدور الروح الانسانیة بسبب ما تملک من کمالات أن تتصل بالعوالم الروحانیة من الطرق المختلفة، و نحن هنا نشیر الی هذه الطرق التی جاء ذکرها فی أحادیث قادة الإسلام و ائمته، باختصار:

۱- تارة یتلقی الحقائق السماویة العلیا علی نحو الالهام، فیتخذ ما یتم إلقاؤه فی النفس عبر هذا الطریق حکم (العلو البدیهیة) التی لا یتطرق إلیها أی ریب و شک.

۲- و قد یسمع عبارات و کلمات من جسم معین (کالجبل و الشجرة) کسماع موسی علیه السّلام کلام اللّه من الشجرة.

۳- و ربما تنکشف الحقائق له فی عالم الرؤیا انکشاف النهار.

۴- و قد ینزل علیه ملک من جانب اللّه بکلام خاص.

و قد نزل القرآن الکریم علی النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله من هذا الطریق، و قد صرح القرآن الکریم نفسه بهذا عند قوله تعالی: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ. بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ» «۱».

(۲)

أساطیر مختلفة:

اشارة

لقد كتب المؤرخون و الكتاب عن حياة كثير من الشخصيات العالمية، و ضبطوا كل

- ليست معلومة و واضحة، و لا يمكن الاعتماد على مطلق الواردات القلبية و الفجائية التى لا تستند الى اصول معلومة.

و بعبارة اخرى: يجب الفصل و التمييز بين الإلهامات الرحمانية و الإلقاءات الشيطانية بواسطة الموازين العقلية و الشرعية.

(١) الشعراء: ١٩٣- ١٩٥، و قد اشير فى سورة الشورى الآية ٥١ الى هذه الطرق الأربع جميعها.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٣٣٧

ما جل أو دقّ فى هذا المجال، و ربما تحمّلوا عناء الرحلات الطويلة و الأسفار الشاقة لتكميل دراساتهم، و كتاباتهم.

غير أن التاريخ لا يعرف شخصية مثل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضبطت تفاصيل سيرته الدقيقة، و اهتم اتباعه و أصحابه و محبّوه بكل شاردة و واردة فى حياته الشريفة.

إنّ هذا الولع الشديد بتسجيل كل شيء- مهما صغر- من حياة النبيّ الاعظم صلّى اللّه عليه و آله و سيرته العطرة كما ساعد على ضبط جميع الجزئيات و التفاصيل فى هذا المجال، تسبب فى بعض الموارد فى إلصاق بعض الزوائد بحياة النبى الاكرم و شخصيته العظيمة، الطاهرة.

و مثل هذا لا يبعد عن المحبّين الجهلاء فكيف بالأعداء الألداء العارفين.

من هنا يتعيّن على كل مؤلف يكتب عن سيرة شخصية من الشخصيات أن لا يغافل عن مبدأ (الحذر و الاحتياط) فى تحليله لحوادثها، و قضاياها، فلا يغافل عن تقييم كل ما جاء حولها من روايات و قصص فى ضوء الموازين التاريخيّة الدقيقة.

و إليك بقية ما جرى فى واقعة نزول (الوحى) فى حراء:

(١)

بقية حادثة نزول الوحى:

استنارت نفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و روحه الكبرى بنور «الوحى» المبارك، و تعلّم كل ما ألقى عليه ملك الوحى فى ذلك اللقاء العظيم، و انتقشت تلك الآيات الشريفة فى صدره حرفا حرفا، و كلمة كلمة.

و قد خاطبه نفس ذلك الملك بعد تلاوة تلكم الآيات بقوله:

يا محمّد ... أنت رسول اللّه ... و أنا جبرئيل.

و قيل: انه صلّى اللّه عليه و آله سمع هذا النداء عند نزوله من غار حراء و قد اضطرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لهذين الحدثين، اضطرب لعظمة المسئولية الكبرى التى القيت على كاهله.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٣٣٨

(١) و كان هذا الاضطراب طبيعيا بعض الشيء، و هو لا ينافى بالمرة يقينه صلّى اللّه عليه و آله، و إيمانه بصدق ما انزل عليه لأن الروح مهما بلغت من العظمة و السموّ و القوة و الصلابة، و مهما كانت قوة ارتباطها بعالم الغيب، و بالعوالم الرّوحانية العليا فانّها عند ما تواجه لأول مرّة ملكا لم تره من قبل، و ذلك فى مثل المكان الذى التقى النبى (فوق الجبل) لا بدّ أن يحصل لها مثل هذا الاضطراب، و لهذا زال ذلك الاضطراب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ما بعد.

ثم إن الاضـطراب و التعب الشديـد قد تسبّبا فی أن يتوجه النبی صـلّی اللّه عليه و آله إلی بيت «خديجة» عليها السّـلام، و عند ما دخل بيتها و وجدت علی ملامحه آثار الاضـطراب و التفكير سألته عن ما جری له، فحدّثها بكل ما سـمع و رأی و قصّ عليها ما كان من أمر جبرئيل معها، فعظّمت «خديجة» سلام اللّه عليها، أمره، ودعت له، و قالت: أبشر فو اللّه لا يخزيك اللّه أبدا.

ثم إن النبیّ صلّی اللّه عليه و آله الذی كان يشعر بالجهد و التعب قال لزوجته الوفيّة «خديجة»: دثّرينی ... دثّرينی.

فدثّرته، فنام بعض الشیء.

(۲)

خديجة تذهب إلی ورقة بن نوفل:

لقد تحدثنا فی الصـفحات الماضـية عن «ورقة» و قلنا أنّه كان ممن تنصّـر و قرأ الكتب و سمع من أهل التوراة و الانجيل و كان ابن عم خديجة.

فعنـد ما سـمعت «خديجـة» زوجة النبی صـلّی اللّه عليه و آله ما سـمعته منه انطلقت إلی «ورقة» لتخبّره بما سـمعته من زوجها الكريم، و شرحت له كل شیء من ما جری له مع جبرئيل.

فقال «ورقة» فی جواب ابنة عمه: إن ابن عمّك لصادق ... و إن هذا لبدء النبوة، و إنه ليأتيه الناموس الاكبر (أی الرسالة و النبوة) «۱».

---

(۱) الطبقات الكبری: ج ۱ ص ۱۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۳۹

(۱) إن ما ذكرناه الی هنا هو فی الحقيقة ملخّص الروايات التاريخية المتواترة التی وصلت إلينا، و التی دوّنت فی جميع الكتب.

بيـداننا نلاحظ بين ثنايا هـذه الحادثة امورا لا تتفق مع ما نعرفه من أنبياء اللّه و رسـله العظام، كما أنها لا تتفق مع ما قرأناه إلی الآن عن حياة هذا النبی العظيم صلّی اللّه عليه و آله.

و ما سنذكره الآن من هذه الزوائد إمّا يجب اعتباره من قبيل الاساطير التاريخية، أو أنّ علينا تأويله بنوع من التأويل.

(۲) و إنـا لنعجب قبـل كل شـیء من المفكّر المصـریّ الـدكتور «هيكل» كيف سـمح لنفسه و هو الـذی تحـدث فی مقدمـة كتابه عن مشكلة تسرب الاساطير الی التاريخ النبویّ، و قال: بأنّ هناك من دسّ فی السيرة النبوية، عن عداوة أو جهل، بعض الاكاذيب.

و لكنه مع ذلك ينقل هنا امورا لا أساس لها من الصـحّة أبدا، فی حين اعطی فريق من علماء الشـيعة- كالمرحوم الطبرسی- ملاحظات مفيدة فی هذا الصعيد.

(۳) و إليـك فی مـا يلی بعض هـذه الاسـاطير و القضايـا المختلفـة (علی أنهـا لم تكن جـديرة بالاشـارة أبـدا لو لاـ أن بعض المحبّين الجهلاء، و الأعداء الأذكياء ذكروها فی كتبهم، و كرروها فی دراساتهم.

(۴) ۱- قـالوا: إنّ النبیّ صـلّی اللّه عليه و آله عنـد ما دخل منزل خديجـة، كان يفكّر فی نفسه: لعلّ بصـره خـدعته، أو انه كاهن، او فيه جنون!!

و لكن لمّا قالت له خديجة: «إنّ اللّه لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد اللّه، إنك تصدق الحديث، و تؤدّی الأمانة، و تصل الرحم» اطمأنّ، و زال عنه الشك و التردّد، و ألقی علی «خديجة» نظر شكر و مودة، ثم طلب أن يزمّل، فزمّل فنام!! «۱».

---

(۱) الطبقات الكبری: ج ۱ ص ۱۹۵، حياة محمّد: ص ۱۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۰

(۱) ۲- یقول الطبری و غیره من مؤرخی السیرة: ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لما سمع نداء یقول: «یا محمّد أنت رسول اللّه» أصابه خوف شدید حتی أنه همّ بأن یطرح نفسه من أعلی الجبل، فتبدی له (ملک الوحی) و منعه عن ذلک!!!

(۲) ۳- ثم إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ذهب لیطوف بالکعبة بعد ذلک الیوم، فرأی «ورقة بن نوفل» و شرح لورقة ما جری له مع جبرئیل، فقال له ورقة:

«و الذی نفسی بیده، إنّک لنبیّ هذه الامة، و قد جاءک الناموس الأکبر الذی جاء موسی و لتکذبنّه، و لتوذینّه و لتخرجنّه و لتقاتلنه» فأحس «محمّد» بأن ورقة یصدّقه، فاطمأن «۱».

(۳)

بطلان هذه المزاعم:

إن الذی نتصوره هو أن جمیع هذه القصص مختلقة من الاساس، و قد دسّت فی التاریخ و التفسیر عن قصد و هدف، أو دخلت فیهما عن غیر ذلک.

و ذلک:

(۴) أولا: لأننا لتقییم هذه المزاعم یجب ان نلقی نظرة فاحصة إلی تاریخ الأنبیاء الماضین و سیرهم.

إنّ القرآن الکریم قصّ علینا قضایاهم، و سیرهم، و قد وردت فی هذا المجال روایات و أخبار کثیرة.

و إننا لا نجد أی أثر لمثل هذه القصص المشینة فی حیاة أی واحد منهم.

إن القرآن الکریم یقص علینا قصة بدء نزول (الوحی) علی «موسی» بشکل کامل و یبیّن جمیع التفاصیل فی قصته علیه السّلام و لا یذکر أی شیء من الخوف، و الارتعاش، و الوحشة و الفزع، بحیث یحدّث نفسه بالانتحار علی أثر سماع الوحی!! مع أن أرضیة الخوف و الفزع فی مجال «موسی» کانت متوفرة

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۱

أکثر، لأنه سمع فی لیلة ظلماء و هو فی صحراء خالیة نداء من الشجرة یخبره بأنه نبی مرسل.

و لکن موسی- کما یصرّح القرآن الکریم، بهذه الحقیقة- حافظ علی هدوئه، و سکونه، و عند ما خاطبه اللّه تعالی بقوله: «أن ألق عصاک» القاها من فوره، و کان خوفه من ناحیة العصی التی تبدّلت إلی ثعبان مخیف، لا من جهة الایحاء إلیه.

فهل یمکن، أو یجوز لنا أن نقول: کان «موسی» لحظة الوحی إلیه مطمئنا هادئا ساکنا، و لکن أفضل الأنبیاء و المرسلین اضطرب عند سماع کلام الملک، و فزع الی درجة فکّر فی طرح نفسه من أعلی الجبل؟! هل هذا کلام معقول؟!

لا ریب أن روح محمّد صلّی اللّه علیه و آله ما لم تکن مهیّأة من جمیع الجهات و بصورة کاملة لتلقّی السرّ الالهیّ (النبوة) لا یمکن أن یمن علیه الرب الحکیم بمنصب النبوّة، و یختاره لمقام الرسالة، لأن الهدف الجوهریّ من ابتعاث الرسل، و ارسال الأنبیاء هو هدایة الناس و ارشادهم.

و من کان کذلک من حیث ضعف الروح و وهن النفس بهذه المرتبة بحیث یحدّث نفسه بالانتحار خوفا «۱» و فزعا کیف یمکن ان ینفذ الی نفوس الناس و یؤثر فیهم؟!

(۱) ثانیا: کیف یمکن أن یطمئن موسی بمجرد سماعه للنداء الالهیّ إلی أنه صادر من جانب اللّه، فطلب من ربّه من فوره أن یجعل أخاه هارون وزیرا له لأنه أفصح منه قولا «۲» بینما لا یطمئن سید المرسلین و خاتمهم؟!

(۲) ثالثا: لقد کان «ورقة» مسیحیّا حتما، و لکنه عند ما أراد أن یزیل عن «محمّد» الشک و الاضطراب ذکر نبوّة «موسی» علیه السّلام و قال: قد جاءک الناموس الذی جاء موسی «۳».

---

(۱) کما نقل هیکل فی کتابه: «حیاة محمّد».

(۲) طه: ۲۹.

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۳۸ و قد نقل المرحوم المجلسی هذه العبارة عن المنتقی. و لکنه بلفظة-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۲

أ لا یدلّ هذا علی أنّ ثمّة یدا إسرائیلیّه وراء هذه الحبکة هی التی صاغت هذه القصة و اختلقتها فی غفلة عما کان یدین به «ورقة» بطل القصة؟!

(۱) کل هذا بغضّ النظر عن أن مثل هذه الامور تتنافی و العظمة التی نعهدها من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و لا تنسجم معها أبدا، و یبدو أن کاتب «حیاة محمّد» أدرک الی درجة ما خرافیة هذه القصة و لذلک نجده ینقل بعض مواضیعها بعد جملة: «کما یقولون».

و قد حارب أئمة الشیعة هذه الاساطیر بکل قوة، و أبطلوها برمتها.

فعند ما یسأل زرارة الإمام الصادق علیه السّلام مثلا: کیف لم یخف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیما یأتیه من قبل اللّه ان یکون ممّا ینزغ به الشیطان:

قال الإمام علیه السّلام: «إنّ اللّه إذا اتخذ عبدا و رسولا، أنزل علیه السکینة و الوقار فکان یأتیه من قبل اللّه عزّ و جلّ مثل الذی یراه بعینه» «۱».

و یقول العلامة الشیعی الکبیر المرحوم الطبرسی فی تفسیره، فی هذا الصدد:

«إن اللّه لا یوحی الی رسوله إلّا بالبراهین النیّرة و الآیات البینة الدالّة علی أن ما یوحی إلیه إنما هو من اللّه تعالی، فلا یحتاج إلی شیء سواها و لا یفزع، و لا یفرق» «۲».

- «عیسی» أیضا و لکن لا وجود لذلک فی صحیح البخاری و سیرة ابن هشام اللذین هما الأساس لهذه الامور.

(۱) بحار الأنوار: ح ۱۸ ص ۲۶۲ و فی الکافی: ج ۱ ص ۲۷۱ نظیره.

(۲) مجمع البیان: ج ۱۰ ص ۳۸۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۳

(۱)

۱۲ متی نزل الوحی أولا؟

اشارة

لقد تعرّض یوم مبعث رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله للاختلاف من حیث التعیین و التحدید فهو مثل یوم ولادته و یوم وفاته صلّی اللّه علیه و آله غیر مقطوع به، من وجهة نظر المؤرخین و کتّاب السیرة النبویّة.

فلقد اتفق علماء الشیعة علی القول بان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعث بالرسالة فی السابع و العشرین من شهر رجب، و أن نزول الوحی علیه قد بدأ من ذلک الیوم نفسه.

[الرأی المشهور بین علماء السنة و استدلالهم]

بینما اشتهر عند علماء السنّة أن رسول الإسلام قد اوتی هذا المقام العظیم فی شهر رمضان المبارک.

ففی ذلک الشهر الفضیل کلّف «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله من جانب اللّه تعالی بهدایة الناس، و بعث بالرسالة.

(۲) و لما کانت الشیعة تشایع عترة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أهل بیته الصادقین، و تعتقد بصحة ما یرونه و یقولون به اتباعا لقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیهم، فی حدیث الثقلین: «إنهما لن یفترقا» فانهم اتبعوا- فی تحدید یوم المبعث النبوی الشریف- القول المأثور- بنقل صحیح- عن عترة النبی المطهرین فی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۴

هذا المجال.

فقد روی عن أبناء الرسول و عترته الطاهرة أن عظیم هذا البیت و سیّده (أی النبیّ) قد بعث فی السابع و العشرین من شهر رجب، و هم فی ذلک حجة.

و لهذا لا یمکن الشک و التردد فی صحة هذا القول و ثبوته «۱».

(۱) نعم غایة ما یمکن الاستدلال به علی القول الآخر هو تصریح القرآن الکریم نفسه بأنّ آیات القرآن نزلت فی شهر رمضان، و حیث أن یوم بعثة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان هو بنفسه یوم بدء نزول الوحی، و القرآن علیه، لهذا یجب القول بان یوم البعثة الشریفة انما کان فی نفس الشهر الذی نزل فیه القرآن الکریم: ای شهر رمضان المبارک.

و إلیک فیما یأتی الآیات التی تدل علی أن القرآن الکریم نزل فی شهر رمضان:

۱- «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ» «۲».

۲- «حم. وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ. إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ» «۳» و تلک اللیلة هی لیلة القدر التی قال عنها سبحانه: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ. لَیْلَةُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۴».

(۲)

ما أجاب به علماء الشیعة:

اشارة

و لقد أجاب محدّثو الشیعة و مفسروهم عن هذا الاستدلال بطرق مختلفة نذکر طائفة منها هنا:

(۳)

الجواب الأوّل:

إن الآیات المذکورة إنّما تدلّ علی أن القرآن نزل فی شهر رمضان و بالذات فی لیلة مبارکة منه هی «لیلة القدر»، و لکنها لا تتعرض

لذكر محلّ نزول هذه

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۸۹.

(۲) البقرة: ۱۸۵.

(۳) الدخان: ۱- ۳.

(۴) القدر: ۱ و ۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۴۵

الآيات، و أنها أين نزلت؟ و هى بالتالى لا تدل أبدا و مطلقا على أنها نزلت فى تلك الليلة على قلب رسول اللّه؟

فيحتمل أن يكون للقرآن نزولات متعددة إحداها نزول القرآن على رسول اللّه تدريجا.

و الآخر نزوله الدفعى من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور «۱».

و على هذا فما المانع من ان تكون بعض آيات القرآن (من سورة العلق) قد نزلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى السابع و العشرين من شهر رجب. ثم نزل القرآن بصورته الجمعية الكاملة فى شهر رمضان من مكان معين أسماه القرآن باللوح المحفوظ، إلى موضع آخر عبر عنه فى بعض الروايات بالبيت المعمور.

(۱) و يؤيّد هذا الرأى قول اللّه تعالى فى سورة الدخان: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» فانّ هذه الآية- بحكم رجوع الضمير فيها الى الكتاب- تصرح بأن الكتاب العزيز بأجمعه نزل فى ليلة مباركة (فى شهر رمضان)، و لا بدّ ان يكون هذا النزول غير ذلك النزول الذى تحقق فى يوم المبعث الشريف، لأن فى يوم المبعث لم تنزل سوى آيات معدودة لا اكثر.

و خلاصة الكلام هى ان الآيات التى تصرح بنزول القرآن فى شهر رمضان فى ليلة مباركة (ليلة القدر) لا يمكن أن تدل على أن يوم المبعث الذى نزلت فيه بضع آيات أيضا كان فى ذلك الشهر نفسه، لأنّ الآيات المذكورة تدل على أن مجموع القرآن لا بعضه قد نزل فى ذلك الشهر، فى حين لم تنزل فى يوم المبعث سوى آيات معدودة كما نعلم.

و فى هذه الصورة يحتمل أن يكون المراد من النزول الجمعىّ للقرآن هو نزول مجموع الكتاب العزيز فى ذلك الشهر من «اللوح المحفوظ» إلى «البيت المعمور».

و قد روى علماء الشيعة و السنة روايات و أخبارا بهذا المضمون، و بخاصة

(۱) للتعرف على معنى اللوح المحفوظ راجع كتب التفسير.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۴۶

الاستاذ الأزهرى محمّد عبد العظيم الزرقانى الذى أورد روايات عديدة فى هذا الصدد فى كتابه «۱».

(۱)

الجواب الثانى:

و هو أمتن الاجوبة و الردود على هذا القول.

فقد بذل الاستاذ الطباطبائى جهدا كبيرا لتوضيحه و بيانه فى كتابه القيم؛ و إليك خلاصته:

يقول العلامة الطباطبائى: إنّ قول اللّه تعالى إنا أنزلناه فى شهر رمضان، المقصود منه هو نزول حقيقة القرآن على قلب النبىّ صلّى اللّه

علیه و آله، لأن للقرآن مضافا الی وجوده التدریجی، واقعیة اطلع اللّه تعالی نبیه العظیم علیها فی لیلة معینة من لیالی شهر رمضان المبارک «۲».

و حیث أنّ النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله کان قد عرف من قبل بجمیع القرآن الکریم لذلک نزلت الآیة تأمره بان لا یعجل بقراءته حتی یصدر الأمر بنزول القرآن تدریجا اذ یقول تعالی: «وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ» «۳».

و خلاصة هذا الجواب هی: أنّ للقرآن الکریم وجودا جمیعا علمیا واقعیا و هو الذی نزل علی الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و آله مرة واحدة فی شهر رمضان، و آخر وجودا تدریجیا کان بدء نزوله علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی یوم المبعث، و استمرّ تنزله الی آخر حیاته الشریفة علی نحو التدریج.

(۲)

الجواب الثالث: التفکیک بین نزول القرآن و البعثة

إن للوحی- کما أوضحنا ذلک فی مبحث أنواع الوحی اجمالا- مراتب

---

(۱) مناهل العرفان فی علوم القرآن: ج ۱ ص ۳۷.

(۲) المیزان: ج ۲ ص ۱۴- ۱۶.

(۳) طه: ۱۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۷

و مراحل، یتمثل أول مراتبه فی الرؤیا الصادقة التی رآها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و المرتبة الاخری تمثلت فی سماعة للنداء الغیبیّ الالهی من دون وساطة ملک.

و آخر تلک المراتب هو أن یسمع النبی کلام اللّه من ملک یبصره و یراه، و یتعرف عن طریقه علی حقائق العوالم الاخری.

و حیث أن النفس الانسانیة لا تستطیع فی الوهلة الاولی تحمّل مراتب (الوحی) جمیعها دفعة واحدة بل لا بدّ أن یتحملها تدریجا، لهذا یجب القول بأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد سمع یوم المبعث (الیوم السابع و العشرون من شهر رجب) النداء السماویّ الذی یخبره بأنه رسول اللّه، فقط و لم تنزل فی مثل هذا الیوم أیّة آیة قط، و قد استمر الأمر علی هذا المنوال مدة من الزمان. ثم بعد مدة بدأ نزول القرآن الکریم علی نحو التدریج ابتداء من شهر رمضان.

(۱) و خلاصة هذا الجواب هی أن ابتعاث الرسول صلّی اللّه علیه و آله بالرسالة فی شهر رجب لا یلازم نزول القرآن فی ذلک الشهر حتما.

و علی هذا الاساس ما المانع من ان یبعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی شهر رجب، و ینزل القرآن الکریم فی شهر رمضان من نفس ذلک العام؟

ان هذه الاجابة و إن کانت لا توافق کثیرا من النصوص التاریخیة (لأن کثیرا من المؤرخین صرّحوا بأنّ الآیات الخمس من سورة العلق نزلت فی یوم المبعث نفسه) إلّا أن هناک- مع ذلک- روایات ذکرت قصة البعثة بسماع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم للنداء الغیبیّ، و لم تذکر شیئا عن نزول قرآن أو آیات، بل هی تشرح الواقعة علی النحو التالی إذ تقول:

فی ذلک الیوم سمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ملکا یقول له: یا محمّد إنّک لرسول اللّه، و جاء فی بعض الأخبار أنه سمع هذا النداء، فقط، و لم تذکر شیئا عن مشاهدة الملک.

و للمزید من التوضیح، و التوسع یراجع «البحار» فی هذا المجال «۱».

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۸۴ و ۱۹۰ و ۱۹۳ و ۲۵۳، الکافی: ج ۲ ص ۴۶۰، تفسیر العیّاشی: ج ۱،-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۸

علی أن هـذه الاجابـة تختلف عن الإجابـة الرابعـة التی تقول بـأن مبعث النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله کـان فی شـهر رجب، و کـان نزول القرآن الکریم بعد انقضاء الدعوة السرّیة التی استغرقت ثلاثة أعوام.

الأنبیاء و البشارة برسول اللّه:

و ینبغی- اسـتکمالا لهذا الفصل من التاریخ النبوی- ان نلفت نظر القارئ الکریم الی ان الرسالة المحمّدیة المبارکة، ممّا بشـر به جمیع الأنبیاء المتقدمین زمنیا علی خاتم الأنبیاء و المرسلین محمّد صلّی اللّه علیه و آله.

و لقد اشار القرآن الکریم إلی ذلک اذ قال اللّه تعالی:

«وَ إِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِیثـاقَ النَّبِیِّینَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَ حِکْمَـةٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَـدِّقٌ لِما مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُـرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلی ذلِکُمْ إِصْرِی قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَکُمْ مِنَ الشَّاهِدِینَ» «۱».

و هـذه الآیة و إن کانت تکشف عن أصل عام و کلّی و هو: وجوب تصدیق إتباع النبیّ السابق للنبی اللاحق، إلّا أن المصداق الأتمّ لها هو رسول الإسلام الکریم.

فیظهر من هـذه الآیـة أن اللّه تعالی أخذ المیثاق المؤکد من جمیع الأنبیاء أو من أصـحاب الشـرائع منهم أن یؤمنوا برسالة محمّد صـلّی اللّه علیه و آله، و یدعوا أتباعهم إلی تصدیقه و اتباعه و نصرته.

روی الفخر الرازی عن امیر المؤمنین علی علیه السّلام:

«إن اللّه تعالی ما بعث آدم علیه السّـلام و من بعـده من الأنبیاء علیهم الصـلاة و السّـلام إلّا أخذ علیهم العهد لئن بعث محمّد و هو حی لیؤمننّ به و لینصرنه» «۲».

و ممّا یؤید هذا ان القرآن دعا اهل الکتاب إلی بیان ما قرءوه و وجدوه فی

- ص ۸۰، و هذا الجواب لا ینسجم فقط مع ما رواه البخاری من أنّ بعثة النبی رافقت نزول آیات من سورة العلق علیه.

(۱) آل عمران: ۸۱.

(۲) مفاتیح الغیب: ج ۲ ص ۵۰۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۴۹

کتبهم حول رسول الإسلام للناس من دون کتمان و إلیک فیما یأتی طائفة من الآیات المصرحة بهذا الأمر:

۱- قال اللّه تعالی:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِیثاقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ لَتُبَیِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَکْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِیلًا فَبِئْسَ ما یَشْتَرُونَ» «۱».

۲- قال تعالی:

«إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْکِتابِ وَ یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلًا أُولئِکَ ما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ، وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَ لا یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ» «۲».

۳- و قال تعالی:

«الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» «۳».

۴- و قال سبحانه:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۴».

ان القرآن الكريم يصرح بجلاء ان السيد المسيح (عليه السّلام) اخبر عن رسول الإسلام و رسالته اذ يقول تعالى:

«وَ إِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ

---

(۱) آل عمران: ۱۸۷.

(۲) البقرة: ۱۷۴.

(۳) البقرة: ۱۴۶.

(۴) الاعراف: ۱۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۰

بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱».

كما يتحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب الذين تنكروا لرسالة النبى محمّد صلّى اللّه عليه و آله عند ما بعث و قد كانوا من قبل يخبرون عنه و يطلبون النصر به على اعدائهم اذ قال سبحانه:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» «۲».

بل و يخبرنا القرآن الكريم بأنّ إبراهيم عليه السّلام يوم أحلّ زوجته و ولده اسماعيل بارض مكة دعا قائلا:

«رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۳».

و قد انطبقت هذه الأوصاف على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ يصفه القرآن الكريم بقوله:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ» «۴».

محمّد خاتم الأنبياء:

و استكمالا لهذا البحث ينبغى أيضا أن نشير إلى أبرز ناحية فى رسالة النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و نبوته و هى مسألة الخاتمية. فان القرآن الكريم صرح فى آيات عديدة بكون رسول اللّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله خاتم النبيين، و شريعته خاتمة الشرائع، فلا نبىّ بعده، و لا رسالة بعد رسالته.

---

(۱) الصف: ۶.

(۲) البقرة: ۸۹.

(۳) البقرة: ۱۲۹.

(۴) آل عمران: ۱۶۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۱

و ها نحن ندرج ابرز الآیات الواردة فی هذا المجال:

۱- قال تعالی:

«ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ وَ لکِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِیِّینَ وَ کانَ اللَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً» «۱».

۲- قال سبحانه:

«تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً» «۲».

۳- و قال سبحانه:

«وَ أُوحِیَ إِلَیَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَکُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ» «۳».

۴- و قال تعالی:

«وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ» «۴».

و الآیات الثلاث الأخیرة تفید بأن رسالة النبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله عامة و عالمیة و أبدیة لأنه فی غیر هذه الحالة و فی غیر هذه الصورة لن یکون نبیا للناس کافة، و للعالمین جمیعا. و لن یکون نذیرا لقومه و لمن بلغه نداؤه.

هذا و قد صرّح النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه فی أحادیث کثیرة بهذا الموضوع و هو الصادق المصدّق.

فعن ابی هریرة قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«ارسلت إلی الناس کافة و بی ختم النبیّون» «۵».

---

(۱) الأحزاب: ۴۰.

(۲) الفرقان: ۱.

(۳) الانعام: ۱۹.

(۴) سبأ: ۲۸.

(۵) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۱۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۳

(۱)

۱۳ ما سبقنی أحد

أوّل من آمن بالنبیّ من الرجال و النّساء:

اشارة

لقد انتشر الإسلام فی العالم بصورة تدریجیة، و یوصف الذین بادروا الی الإیمان بالرسالة الإسلامیة و المساعدة علی نشرها قبل غیرهم ب «السابقین».

و قد کان السبق الی الإیمان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی صدر الإسلام معیارا للفضل و لهذا یجب أن ندرس هذا الموضوع فی

ضوء المصادر الصحيحة، و نتعرف على من سبق إلى الإيمان بالرسالة الإسلامية من الرجال، و من النساء.

(۲)

من النساء: «خديجة»

إن من المسلّم به تاريخيا أن «خديجة» كانت أول امرأة آمنت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لم يخالف في هذا احد «۱»، و نحن هنا ننقل مستندا تاريخيا مهما واحدا ذكره المؤرخون نقلا عن إحدى زوجات النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، مكتفين به رعاية للاختصار.

تقول عائشة: ما غرت على نساء النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا على «خديجة» و إنّي لم ادركها، و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يكاد يخرج

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۴۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۴

من البيت حتى يذكر «خديجة» فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الايام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلّا عجوزا فقد أبدلك اللّه خيرا منها، فغضب حتى اهتز مقدّم شعره من الغضب ثم قال:

«لا و اللّه ما أبدلني اللّه خيرا منها، آمنت بي إذ كفر الناس، و صدّقتني اذ كذّبني النّاس، و واستني في مالها اذ حرمني الناس و رزقني اللّه منا اولادا اذ حرمني أولاد الناس» «۱».

(۱) و ممّا يدل أيضا على سبق خديجة في الإيمان برسول اللّه كل نساء العالم جمعاء ما جرى في قضية بدء الوحي، و نزول القرآن، لأن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما انحدر من غار «حراء» و اخبر زوجته «خديجة» بما جرى له واجه- رأسا- ايمان زوجته به و قبولها لكلامه، و تصديقها برسالته، تصريحا و تلويحا.

هذا مضافا الى أنها كانت قد سمعت من قبل أخبارا تتعلق بنبوّته و مستقبل رسالته من كهنة العرب و أهل الكتاب، و هذه الأخبار و امانة فتى قريش و صدقه الذي اشتهر به هي التي دفعت بها إلى أن تتزوج بالفتى الهاشميّ (محمّد).

(۲)

أقدم الرجال اسلاما: «عليّ»

اشارة

إن المشهور المقارب للمتفق عليه بين المؤرخين، سنة و شيعة، هو أن «عليا» كان اول من آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الرجال.

و نرى في مقابل هذا القول المشهور أقوالا أخر نادرة قد نقل ناقلوها ما يخالفها أيضا.

فمثلا يقال: إنّ زيد بن حارثة ربيب رسول اللّه و ابنه بالتبني، أو أبو بكر كان أول من أسلم،

[الدلائل التأريخية و النصوص الدالة على أسبقية الإمام علي]

اشارة

و لكن دلائل عديدة (نذكر بعضها هنا على سبيل الاختصار) تشهد على خلاف هذين القولين.

---

(۱) صحيح مسلم، ج ۷ ص ۱۳۴، صحيح البخارى: ج ۵ ص ۳۹، اسد الغابة لابن الأثير الجزرى:

ج ۵ ص ۴۲۸، بحار الأنوار: ج ۱۶ ص ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۵

و إليك بعض هذه الدلائل:

(۱)

۱- علىّ تربّى فى حجر النبىّ

لقد تلقى على عليه السّلام تربيته فى حجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و نشأ و ترعرع فى بيته منذ طفولته، و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يجتهد فى تربيته و العناية به كالوالد الرحيم.

قال عامّة المؤرخين و كتّاب السيرة بالاتفاق: إنّ قريشا أصابتهم أزمة شديدة (قبل بعثة النبى) و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للعباس عمّه، و كان من أيسر بنى هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفّف من عياله، آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى اتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه (إلى ان قال:) فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليا فضمّه إليه، و أخذ العباس جعفرا فضمّه إليه فلم يزل على مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى بعثه اللّه تبارك و تعالى نبيا فاتبعه على رضى اللّه عنه و آمن به و صدقه «۱».

(۲) فى هذه الصورة يجب أن نقول بأنّ عليا عليه السّلام انتقل إلى بيت النبىّ و هو دون الثامنة، لأنّ الغرض من أخذ النبى إيّاه من أبيه «أبى طالب» هو التخفيف عن كاهل زعيم مكة (أبى طالب)، و من الواضح أنّ صبيّا فى مثل هذا السنّ (دون الثامنة) مضافا إلى أنّ فصله عن والديه أمر فى غاية الصعوبة، لن يكون لأخذه و تكفّله أى أثر هامّ فى وضع أبيه «أبى طالب» المعيشىّ.

و على هذا يجب أن نفترض له عليه السّلام عمرا يكون لأخذه فيه من قبل النبىّ تأثيرا معتدا به فى وضع أبيه الاقتصادى و المعيشى.

---

(۱) السيرة النبويّة: ج ۱ ص ۲۴۶، البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۶

فكيف يمكن القول- و الحال هذه- أن أباعد عن البيت النبوىّ مثل «زيد بن حارثة» و غيره اطّلعوا على أسرار الوحى، بينما جهل ابن عم النبى صلّى اللّه عليه و آله و اقرب الناس إليه، و الذى كان معه فى اكثر الأوقات بما أتى به صلّى اللّه عليه و آله و ما نزل عليه.

(۱) إنّ غرض النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من تربية الإمام علىّ و تكفّله إياه كان الى حدّ كبير هو أداء ما أسدى إليه أبو طالب من خدمات، و لم يكن ثمة شىء أحبّ الى رسول اللّه من أن يهدى أحدا إلى الصراط المستقيم، فكيف يمكن أن يقال- و الحال هذه- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حرم ابن عمّه الذى كان يتمتع بذكاء باهر و ضمير يقظ، من هذه النعمة الكبرى.

إن من الأفضل أن نسمع هذا الأمر من لسان «على» نفسه، فقد بيّن عليه السّلام فى الخطبة القاصعة منزلته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قربه إليه هكذا:

«و لقد علمتم موضعى من رسول اللّه بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره و أنا وليد، يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى فى فراشه، و يمسّنى جسده، و يشمّنى عرفه (عرقه) ... و لقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل إثر امّه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما و

یأمرنی بالاقتداء به، و لقد کان یجاورنی فی کل سنة بحراء فأراه و لا یراه غیری، و لم یجمع بیت واحد یومئذ فی الاسلام غیر رسول اللّه، و خدیجة و أنا ثالثهما أری نور الوحی و الرّسالة و أشمّ ریح النبوة» «۱».

(۲) و جاء فی تاریخ الطبری عن ابن اسحاق قال: کان اول ذکر آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و صلّی معه و صدّق بما جاءه من عند اللّه «علی بن ابی طالب» علیه السّلام و هو یومئذ ابن عشر سنین، و کان ممّا انعم اللّه به علی علیّ بن ابی طالب علیه السّلام انه کان فی حجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

(۱) نهج البلاغة: ج ۲ ص ۱۸۲، و فی هذه الخطبة نفسها یقول: اللّهمّ إنی أوّل من أناب و سمع و اجاب لم یسبقنی إلّا رسول اللّه بالصلاة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۷

قبل الإسلام «۱».

(۱)

۲- علیّ و خدیجة یقیمان الصلاة مع النبیّ:

ینقل ابن الاثیر فی «اسد الغابة»، و ابن حجر فی «الإصابة» عند ترجمة «عفیف الکندی» و کثیر من علماء التاریخ القصة التالیة عنه، بأنه قال:

کنت امرأ تاجرا فقدمت «منی» أیام الحج، و کان العباس بن عبد المطلب امرأ تاجرا فأتیته أبتاع منه و أبیعه، قال: فبینا نحن إذ خرج رجل من خباء یصلّی فقام تجاه الکعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلّی، و خرج غلام یصلّی معه، فقلت: یا عباس ما هذا الدین، إنّ هذا الدین ما ندری به؟ فقال: هذا محمّد بن عبد اللّه یزعم أنّ اللّه أرسله و أن کنوز کسری و قیصر ستفتح علیه، و هذه امرأته «خدیجة بنت خویلد» آمنت به و هذا الغلام ابن عمه «علی بن أبی طالب» آمن به قال عفیف: فلیتنی کنت رابعهم «۲».

و هذه الواقعة ینقلها و یرویها حتی الذین یقصرون فی روایة فضائل الإمام علیّ و کتابتها، و فی امکان القارئ الکریم ان یقف علی هذه القصة فی المصادر التالیة علی وجه التفصیل.

(۲)

۳- أنا الصدّیق الأکبر:

تلاحظ هذه العبارة و نظائرها کثیرا، فی خطب الإمام علیّ علیه السّلام و کلماته فهو یکرّر العبارات التالیة بکثرة:

«أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، و أنا الصدّیق الأکبر، لا یقولها بعدی إلا کاذب مفتر، و لقد صلّیت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنین، و أنا أوّل من

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵۷.

(۲) الإصابة: ج ۲ ص ۴۸۰، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵۷. الکامل: ج ۲ ص ۳۷ و ۳۸، اعلام الوری: ص ۲۵، اسد الغابة: ج ۳ ص ۴۱۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۵۸

صلّی معه» «۱».

(۱)

۴– أوّلكم إسلاما: على

و لقد وردت أحاديث متواترة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بتعابير متنوعة قال فيها:

«أوّلكم واردا علىّ الحوض، أوّلكم إسلاما علىّ بن أبى طالب» «۲».

و عند ما يدرس المنصف المحايد هذه الأحاديث، يقطع بأسبقية الإمام علىّ إلى الإسلام، و تقدّمه على غيره فى الإيمان بالدعوة المحمّدية، و لا يختار القولين الآخرين اللّذين لا يذهب إليهما إلّا الأقليّة.

فإنّ ما يناهز الستين شخصا من الصحابة و التابعين يؤيدون القول الأول (أى أن عليّا أول القوم إسلاما و أقدمهم أيمانا) و حتى الطبرىّ نفسه الذى شكّك فى هذا القول، و اكتفى بنقله دون اختياره و تأكيده، روى فى ج ۲ ص ۶۰ بأن «ابن سعد» سأل اباه قائلا: أ كان أبو بكر أولكم إسلاما، فقال: لا و لقد أسلم قبله اكثر من خمسين.

و من غريب الأمر ان مؤرخا كبيرا كابن كثير يتنكر لهذه الحقيقة الساطعة فقد ذكر فى ج ۷ ص ۳۳۴ من كتابه «البداية و النهاية» حديثا صحيحا بإسناد الإمام أحمد الترمذى فى إسلام أمير المؤمنين و أنّه أوّل من اسلم و صلّى ثمّ أردفه بقوله: و هذا لا يصح: من أى وجه كان روى عنه، و قد ورد فى أنّه أوّل من أسلم من هذه الأمّة أحاديث كثيرة لا يصح منها شىء ... إلخ.

و قد تصدى العلامة المحقق الامينى رحمه اللّه للردّ على هذا المقال بالتفصيل و نظرا لأهميّة ما كتبه العلامة الامينى و ما احتوى عليه من نصوص تاريخية نسرده هنا مع ما فيه من تكرار بسيط لبعض ما ذكرناه.

---

(۱) خصائص النسائى: ص ۳ و سنن ابن ماجه: ج ۱ ص ۵۷، مستدرك الحاكم: ج ۱ ص ۱۱۲، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۵۶ و غيرها.

سيد المرسلين ج۱ ۳۵۸ ۴ – أولكم إسلاما: على ..... ص : ۳۵۸

(۲) يراجع مصادر هذا الحديث فى الغدير: ج ۳ ص ۲۲۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۵۹

يقول العلامة الامينى:

نسائل هذا الرّجل لم لا يصح شىء منها من أىّ وجه كان؟! و الطرق صحيحة، و الرّجال نقات، و الحفّاظ حكموا بصحّته، و أرباب السير أطبقوا عليه، و كان من المتسالم عليه بين الصّحابة الأوّلين و التابعين لهم بإحسان.

و نحن لو نقتصر على كلمتنا هذه يحسبها القارئ دعوى مجرّدة لدة دعوى ابن كثير (أعاذنا اللّه عن مثلها) و تخفى عليه جليّة الحال فيهمنا ذكر نزر ممّا يدلّ على المدّعى و إن لم يسعنا ايراد كثير منه روما للاختصار.

النصوص النبوية:

۱– قال صلّى اللّه عليه و آله: أوّلكم واردا– ورودا– على الحوض أوّلكم إسلاما علىّ بن أبى طالب.

أخرجه الحاكم فى المستدرك ۳ ص ۱۳۶ و صحّحه م– و الخطيب البغدادى فى تاريخه ج ۲ ص ۸۱ و يوجد فى الاستيعاب ۲ ص ۴۵۷. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

و فى لفظ: أوّل هذه الأمّة ورودا على الحوض أوّلها إسلاما علىّ بن أبى طالب، رضى اللّه عنه. السيرة الحلبيّة ۱ ص ۲۸۵. سيرة زينى دحلان ۱ ص ۱۸۸ هامش الحلبيّة.

و فى لفظ: أوّل الناس ورودا على الحوض أوّلهم إسلاما علىّ بن أبى طالب مناقب الفقيه ابن المغازلى. مناقب الخوارزمى.

۲- قال صلّی اللّه علیه و آله لفاطمهٔ: زوّجتک خیر أمّتی أعلمهم علما، و أفضلهم حلما و أوّلهم سلما. راجع ما مرّ ص ۹۵.

۳- قال صلّی اللّه علیه و آله لفاطمهٔ: إنّه لأوّل أصحابی إسلاما. أو: أقدم أمّتی سلما. حدیث صحیح راجع ص ۹۵

۴- أخذ صلّی اللّه علیه و آله بید علیّ، فقال: إنّ هذا أوّل من آمن بی، و هذا أوّل من یصافحنی یوم القیامهٔ، و هذا الصدّیق الأکبر. راجع الجزء الثانی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۰

ص ۳۱۳، ۳۱۴.

۵- عن أبی أیوب قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لقد صلّت الملائکهٔ علیّ و علی علی سبع سنین لأنا کنّا نصلّی و لیس معنا احد یصلّی غیرنا.

مناقب الفقیه ابن المغازلی باسنادین م- أسد الغابهٔ ۴: ۱۸ و مناقب الخوارزمی و فیه: و لم ذلک یا رسول اللّه؟ قال: لم یکن معی من الرجال غیره.

کتاب الفردوس للدیلمی. شرح ابن أبی الحدید عن رسالهٔ الاسکافی ۳ ص ۲۵۸. فرائد السمطین الباب ۴۷.

۶- ابن عبّاس قال قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: إنّ اوّل من صلّی معی علیّ. فرائد السمطین الباب ۴۷ بأربع طرق.

۷- معاذ بن جبل قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا علیّ! اخصمک بالنبوّهٔ و لا نبوّهٔ بعدی، و تخصم الناس بسبع و لا یحاجدک فیه أحد من قریش، أنت أوّلهم ایمانا باللّه، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه. الحدیث.

(حلیهٔ الأولیاء ۱ ص ۶۶).

۸- أبو سعید الخدری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلّی- و ضرب بین کتفیه-: یا علیّ لک سبع خصال لا یحاجّک فیهنّ أحد یوم القیامهٔ؛ أنت أوّل المؤمنین باللّه ایمانا، و أوفاهم بعهد اللّه، و أقومهم بأمر اللّه. الحدیث. (حلیهٔ الأولیاء ۱ ص ۶۶).

۹- من حدیث أبی بکر الهذلی و داود بن أبی هند الشعبی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انّه قال لعلیّ علیه السّلام: هذا أوّل من آمن بی و صدّقنی و صلّی معی. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۶.

۱۰- إنّ أبا بکر و عمر خطبا فاطمهٔ فردّهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال: لم أومر بذلک. فخطبها علیّ فزوّجه إیّاها و قال لها: زوّجتک أقدم الأمّهٔ إسلاما. روی هذا الحدیث جماعهٔ من الصحابهٔ منهم: أسماء بنت عمیس و أمّ أیمن و ابن عبّاس و جابر بن عبد اللّه. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۱

کلمات امیر المؤمنین علیه السّلام:

۱- قال علیه السّلام: أنا عبد اللّه، و أخو رسول اللّه، و أنا الصّدیق الأکبر، لا یقولها بعدی إلّا کاذب مفتری، و لقد صلّیت مع رسول اللّه قبل الناس بسبع سنین، و أنا أوّل من صلّی معه.

إسناده من طریق ابن أبی شیبهٔ و النسائی و ابن ماجهٔ و الحاکم و الطبری «۱» صحیح رجاله ثقات، راجع الجزء الثانی من کتابنا ۳۱۴.

۲- قال علیه السّلام: أنا أوّل رجل أسلم مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه أبو داود بإسناده الصحیح کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۳- قال علیه السّلام: أنا أوّل من أسلم مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه الخطیب البغدادی فی تاریخه ۴ ص ۲۳۳.

۴- قال علیه السّلام أنا أوّل من صلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أخرجه أحمـد، و الحافظ الهیثمی فی «مجمع الزوائـد» و قال: رجاله رجال الصـحیح غیر حبّـة العرنی و قد وثق. و أخرجه أبو عمرو فی الإستیعاب ۲ ص ۴۵۸.

و ابن قتیبـة فی «المعارف» ص ۷۴ من طریق أبی داود عن شـعبة عن سـلمة بن کهیل عن حبّة عنه علیه السّلام. و الإسناد صحیح رجاله ثقات.

۵- قال علیه السّلام أسلمت قبل أن یسلم النّاس بسبع سنین. الرّیاض النضرة ۲ من ۱۵۸.

۶- قال علیه السّـلام: عبدت اللّه مع رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله سـبع سـنین قبل أن یعبده أحد من هذه الأمّة. مستدرک الحاکم ۳ ص ۱۱۲.

۷- قال علیه السّلام: عن حکیم مولی زاذان قال: سمعت علیّا یقول:

صلّیت قبل النّاس سبع سنین، و کنّا نسجد و لا نرکع، و أوّل صلاة رکعنا فیها صلاة العصر، شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

---

(۱) فی تاریخه ۲ ص ۲۱۳.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۶۲

۸- قال علیه السّـلام: عبـدت اللّه قبل أن یعبـده أحـد من هذه الأمّة خمس سـنین. الإستیعاب ۲ ص ۴۴۸. الرّیاض النضـرة ۲ ص ۱۵۸. السیرة الحلبیّة ۱ ص ۲۸۸.

۹- قال علیه السّلام: آمنت قبل الناس سبع سنین. خصائص النسائی ص ۳.

۱۰- قال علیه السّـلام: ما أعرف أحـدا من هـذه الأمّـة عبد اللّه بعد نبینا غیری، عبدت اللّه قبل أن یعبده أحد من هذه الأمّة تسع سـنین. خصائص النسائی ص ۳.

۱۱- من خطبة له علیه السّـلام یوم صفّین: و ابن عمّ نبیّکم معکم بین أظهرکم یدعوکم إلی طاعة ربّکم، و یعمل بسنّة نبیّکم صلّی اللّه علیه، فلا سواء من صلّی قبل کلّ ذکر لم یسبقنی بصلاتی مع رسول اللّه. کتاب نصر ص ۳۵۵.

شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۵۰۳.

۱۲- قال علیه السّـلام: اللهمّ لا أعرف عبـدا من هذا الأمّة عبدک قبلی غیر نبیّک [قاله ثلاث مرّات] ثمّ قال: لقد صـلّیت قبل أن یصـلّی الناس. و فی لفظ:

قبـل أن یصـلّی أحـد. أخرجه أحمـد، أبو یعلی، البـزّاز، الطبرانی، الهیثمی فی المجمع ۹ ص ۱۰۲. و قال: إسـناده حسن. شـیخ الإسلام الجوینی فی الفرائد الباب ۴۸.

۱۳- من کتاب له علیه السّـلام کتبه إلی معاویـة: انّ أولی النّاس بأمر هذه الأمّة قدیما و حدیثا أقربها من رسول اللّه، و أعلمها بالکتاب، و أفقهها فی الدین، و أوّلها إسلاما، و أفضلها جهادا. کتاب صفّین لابن مزاحم ص ۱۶۸ ط مصر.

۱۴- فی حـدیث عنه علیه السّـلام: لا و اللّه إن کنت أوّل من صـدّق به فلا أکون أوّل من کـذب علیه. المحاسن و المساوئ ۱ ص ۳۶. تاریخ القرمانی هامش الکامل لابن الأثیر ۱ ص ۲۱۸.

۱۵- قال علیه السّلام: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و أسلمت یوم الثلاثاء.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۳۶۳

مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲. تاریخ القرمانی ۱ ص ۲۱۵. الصواعق ۷۲. تاریخ الخلفاء للسیوطی ۱۱۲. إسعاف الراغبین ۱۴۸.

۱۶- من کتاب کتبه علیه السّلام إلی معاویة: انّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله لمّا دعا إلی الإیمان باللّه و التوحید کنّا أهل البیت أوّل من آمن به؟ و صـدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالا مجرّمـة (أی کاملة) و ما یعبد اللّه فی ربع ساکن من العرب غیرنا. کتاب صـفّین لابن مزاحم

ص ۱۰۰.

۱۷- قال علیه السّلام یوم صفّین مخاطبا أصحاب معاویة: و یحکم أنا أوّل من دعا إلی کتاب اللّه، و أوّل من أجاب إلیه. کتاب نصر ۵۶۱.

۱۸- قالت معاذة بنت عبد اللّه العدویّة: سمعت علیّ بن أبی طالب علی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: أنا الصدّیق الأکبر آمنت قبل أن یؤمن أبو بکر، و أسلمت قبل أن یسلم أبو بکر. راجع الجزء الثانی ص ۳۱۴.

۱۹- قال علیه السّلام فی خطبة خطبها فی معسکر صفّین: أ تعلمون أنّ اللّه فضّل فی کتابه السابق علی المسبوق، و أنه لم یسبقنی اللّه و رسوله أحد من الأمّة؟! قالوا: نعم. راجع الجزء الأوّل ص ۱۹۵.

۲۰- قال علیه السّلام صلّیت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثلاث سنین قبل أن یصلّی معه أحد من النّاس. أخرجه أحمد باسنادین.

۲۱- قال علیه السّلام یوم الشوری فی حدیث أسلفناه: أمنکم أحد وحّد اللّه قبلی؟ قالوا: لا. أمنکم أحد صلّی القبلتین غیری؟ قالوا: لا. راجع ج ۱ ص ۱۵۹- ۱۶۳، و هذه الفقرة من الحدیث عدّها ابن أبی الحدید ممّا استفاضت به الرّوایات.

۲۲- مرّ فی الجزء الثانی ص ۲۵ فی أبیات له علیه السّلام کتبها إلی معاویة:

سبقتکم إلی الإسلام طرّاغلاما ما بلغت أوان حلمی ۲۳- ذکر ابن طلحة الشافعی فی مطالب السئول ص ۱۱ له علیه السّلام:

أنا أخو المصطفی لا شکّ فی نسبی‌به ربیت و سبطاه هما ولدی

صدّقته و جمیع النّاس فی بهم‌من الضّلالة و الإشراک و النکد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۴

قال: قال جابر: سمعت علیّا ینشد بهذا و رسول اللّه یسمع: فتبسّم رسول اللّه و قال: صدقت یا علی؟

کلمة الإمام السبط الحسن علیه السّلام:

۲۴- من خطبة للإمام الحسن علیه السّلام فی مجلس معاویة قوله: أنشدکم اللّه أیّها الرّهط؟ أ تعلمون أنّ الذی شتمتموه منذ الیوم صلّی القبلتین کلتیهما؟

و أنت یا معاویة بهما کافر، تراها ضلالة، و تعبد اللات و العزّی غوایة؛ و أنشدکم اللّه هل تعلمون أنّه بایع البیعتین کلتیهما: بیعة الفتح و بیعة الرضوان؟ و أنت یا معاویة بإحداهما کافر، و باخری ناکث. و أنشدکم اللّه هل تعلمون أنّه أوّل الناس ایمانا؟! و إنّک یا معاویة و أباک من المؤلّفة قلوبهم. شرح ابن أبی الحدید ۲ ص ۱۰۱.

۲۵- و فی خطبة له علیه السّلام مرّت فی ج ۱ ص ۱۹۸: فلمّا بعث اللّه محمّدا للنبوّة، و اختاره للرّسالة، و أنزل علیه کتابه ثمّ أمره بالدعاء إلی اللّه، فکان أبی أوّل من استجاب للّه و لرسوله، و أوّل من آمن و صدّق اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و قد قال اللّه فی کتابه المنزل علی نبیّه المرسل: «أ فمن کان علی بیّنة من ربّه و یتلوه شاهد منه» فجدّی الّذی علی بیّنة من ربّه، و أبی الذی یتلوه و هو شاهد منه.

رأی الصحابة و التابعین فی أوّل من أسلم

۱- أنس بن مالک قال: نبئ (بعث) النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و أسلم علیّ یوم الثّلاثاء. و فی لفظ له: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء.

أخرجه الترمذی فی جامعه ۲ ص ۲۱۴. الطبرانی. الحاکم فی المستدرک ۳ ص ۱۱۲. ابن عبد البرّ فی الإستیعاب ۳ ص ۳۲. ابن الأثیر فی جامع الأصول کما فی تلخیصه تیسیر الوصول ۳ ص ۲۷۱. الجوینی فی فرائد السمطین الباب

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۶۵

۴۷. و أوعز إليه العراقى فى التقريب ۱ ص ۸۵. و يوجد فى شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸. تذكرة السبط ۶۳. السراج المنير شرح الجامع الصغير ۲ ص ۴۲۴. شرح المواهب ۱ ص ۲۴۱.

۲- بريدة الأسلمى قال: اوحى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم الإثنين و صلّى علىّ يوم الثّلاثاء. أخرجه الحاكم فى المستدرك ۳ ص ۱۱۲ و صحّحه هو و أقرّه الذهبى.

۳- زيد بن أرقم قال: أوّل من أسلم مع رسول اللّه علىّ بن أبى طالب.

تاريخ الطبرى بإسنادين صحيحين رجالهما ثقات. مسند أحمد ۴ ص ۳۶۸.

مستدرك الحاكم ۴ ص ۳۳۶ و صحّحه هو و أقرّه الذهبى. الكامل لابن الأثير ۲ ص ۲۲.

۴- زيد بن أرقم قال: أوّل من صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علىّ.

أخرجه أحمد و الطبرانى كما فى مجمع الهيثمى ۹ ص ۱۰۳ و قال: رجال أحمد رجال الصحيحين. أبو عمرو فى الإستيعاب ۲ ص ۴۵۹.

۵- زيد بن أرقم قال: أوّل من آمن باللّه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علىّ بن أبى طالب. الإستيعاب ۲ ص ۴۵۹.

۶- عبد اللّه بن عبّاس قال: أوّل من صلّى علىّ.

جامع الترمذى ۲ ص ۲۱۵. تاريخ الطبرى ۲ ص ۲۴۱ بإسناد صحيح.

الكامل لابن الأثير ۲ ص ۲۲. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۶.

۷- عبد اللّه بن عبّاس قال: لعلىّ أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربىّ، و أعجمىّ صلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. مستدرك الحاكم ۳ ص ۱۱۱. الإستيعاب ۲ ص ۴۵۷.

۸- عبد اللّه بن عبّاس قال مجاهد: إنّه قال: أوّل من ركع مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله علىّ بن أبى طالب فنزلت فيه هذه الآية: و أقيموا الصّلاة و آتوا الزّكاة و اركعوا مع الراكعين. تذكرة السبط ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۶۶

۹- عبد اللّه بن عبّاس قال فى خطبة له: إنّ ابن آكلة الأكباد قد وجد من طعام أهل الشام أعوانا على علىّ بن أبى طالب ابن عمّ رسول اللّه و صهره و أوّل ذكر صلّى معه.

كتاب صفّين لابن مزاحم ۳۶۰. شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۵۰۴. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۷۵.

۱۰- عبد اللّه بن عبّاس قال: فرض اللّه تعالى الاستغفار لعلى فى القرآن على كلّ مسلم بقوله تعالى: «ربّنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان». فكلّ من أسلم بعد علىّ فهو يستغفر لعلىّ. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۶.

۱۱- عبد اللّه بن عبّاس قال: أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب.

الإستيعاب ۲ ص ۴۵۸. مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲.

۱۲- عبد اللّه بن عبّاس قال: كان علىّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة رضى اللّه عنهما.

الإستيعاب ۲ ص ۴۵۷ و قال: قال أبو عمرو رضى اللّه عنه: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحّته و ثقة نقلته. و صحّحه الزرقانى فى شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲.

۱۳- كان ابن عبّاس بمكّة يحدّث على شفير زمزم و نحن عنده فلما قضى حديثه قام إليه رجل فقال: يا بن عبّاس؟ إنّى امرؤ من أهل الشام من أهل حمص إنّهم يتبرّءون من علىّ بن أبى طالب رضوان اللّه عليه و يلعنونه. فقال: بل لعنهم اللّه فى الدنيا و الآخرة و أعدّ لهم عذابا مهينا. أ لبعد قرابته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ و إنّه لم يكن أوّل ذكران العالمين ايمانا باللّه و رسوله؟ و أوّل من

صلّی و رکع و عمل بأعمال البرّ؟ قال الشامی: انّهم و اللّه ما ینکرون قرابته و سابقته غیر انّهم یزعمون أنّه قتل الناس. الحدیث. المحاسن و المساوئ للبیهقی ۱ ص ۳۰.

۱۴- عفیف قال: جئت فی الجاهلیّة إلی مکّة و أنا ارید أن ابتاع لأهلی من ثیابها و عطرها فأتیت العبّاس بن عبد المطلب و کان رجلا تاجرا فأنا عنده جالس

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۷

حیث أنظر إلی الکعبة و قد حلقت الشمس فی السّماء فارتفعت و ذهبت إذ جاء شابّ فرمی ببصره إلی السّماء ثمّ قام مستقبل الکعبة ثمّ لم البث إلّا یسیرا حتّی جاء غلام فقام علی یمینه، ثمّ لم یلبث إلّا یسیرا حتّی جاءت امرأة فقامت خلفهما، فرکع الشابّ فرکع الغلام و المرأة، فرفع الشابّ فرفع الغلام و المرأة، فسجد الشابّ فسجد الغلام و المرأة فقلت: یا عبّاس؟ أمر عظیم. قال العبّاس: أمر عظیم، أ تدری من هذا الشابّ؟ قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبد اللّه ابن أخی. أ تدری من هذا الغلام؟ هذا علیّ ابن أخی. أ تدری من هذه المرأة؟

هذه خدیجة بنت خویلد زوجته، انّ ابن أخی هذا أخبرنی انّ ربّه ربّ السماء و الأرض أمره بهذا الدین الذی هو علیه، و لا و اللّه ما علی الأرض کلّها أحد علی هذا الدین غیر هؤلاء الثلاثة.

خصایص النسائی ۳. تاریخ الطبری ۲ ص ۲۱. الرّیاض النضرة ۲ ص ۱۵۸.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۹. عیون الأثر ۱ ص ۹۳. الکامل لابن الاثیر ۲ ص ۲۲.

السیرة الحلبیّة ۱ ص ۲۸۸.

۱۵- سلمان الفارسی قال: أوّل هذه الأمّة ورودا علی نبیّها الحوض أوّلها إسلاما علیّ بن أبی طالب رضی اللّه عنه.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۷. مجمع الزوائد ۹ ص ۱۰۲ و قال: رجاله ثقات.

و عدّه الإسکافی فی رسالته علی العثمانیّة. و أبو عمرو فی الإستیعاب. و العراقیّ فی شرح التقریب ۱ ص ۸۵. و القسطلانی فی المواهب ۱ ص ۴۵ ممّن روی أنّ علیّا أوّل من أسلم.

۱۶- أبو رافع قال: صلّی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أوّل یوم الاثنین و صلّت خدیجة آخره و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء من الغد.

أخرجه الطبرانی کما فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۰. عیون الأثر ۱ ص ۹۲.

و تجده و سابقه فی الرّیاض النضرة ۲ ص ۱۵۸. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۱۷- أبو رافع قال: مکث علیّ یصلّی مستخفیا سبع سنین و أشهرا قبل أن یصلّی أحد. أخرجه الطبرانی. الهیثمی فی المجمع ۹ ص ۱۰۳. الجوینی فی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۸

الفرائد ب ۴۷.

۱۸- أبو ذر الغفاری، عدّ ممّن روی انّ علیّ بن أبی طالب أوّل من أسلم.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۶. التقریب و شرحه ۱ ص ۸۵. المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۱۹- خباب بن الأرت قال: رأیت علیّا یصلّی قبل الناس مع النبیّ و هو یومئذ بالغ مستحکم البلوغ. رسالة الإسکافی. و عدّ ممّن روی انّ علیّا أوّل من أسلم فی الاستیعاب ۲ ص ۴۵۶. و المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۲۰- المقداد بن عمرو الکندی، ممّن روی انّ علیّا أوّل من أسلم کما فی الإستیعاب ۲ ص ۴۵۶. و التقریب و شرحه ۱ ص ۸۵. و المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۲۱- جابر بن عبد اللّه الأنصاری، قال: بعث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم الإثنین و صلّی علیّ یوم الثّلاثاء. الطبری ۲ ص ۲۱۱. الکامل

لابن الأثير ۲ ص ۲۲. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸، و عدّه أبو عمرو و العراقیّ و القسطلانی ممّن روی انّ علیّا أوّل من أسلم.

۲۲- أبو سعید الخدری روی إنّ علیّ بن أبی طالب أوّل من أسلم.

الإستیعاب ۲ ص ۴۵۶. شرح التقریب ۱ ص ۸۵. المواهب اللدنیّة ۱ ص ۴۵.

۲۳- حذیفة بن الیمان قال: کنّا نعبد الحجارة و نشرب الخمر و علیّ من أبناء أربع عشرة سعة قائم یصلّی مع النبیّ لیلا و نهارا، و قریش یومئذ تسافه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما یذبّ عنه إلّا علیّ. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰.

۲۴- عمر بن الخطّاب قال عبد اللّه بن عبّاس: سمعت عمرو عنده جماعة فتذاکروا السابقین إلی الإسلام فقال عمر: أمّا علی فسمعت رسول اللّه: یقول فیه ثلاث خصال، لوددت أن تکون لی واحدة منهنّ، و کانت أحبّ إلیّ ممّا طلعت علیه الشمس، کنت أنا و أبو عبیدة و أبو بکر و جماعة من أصحابه إذ ضرب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی منکب علیّ رضی اللّه عنه فقال له: یا علیّ؟ أنت أوّل

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۶۹

المؤمنین ایمانا، و أوّل المسلمین إسلاما، و أنت منّی بمنزلة هارون من موسی.

رسالة الإسکافی. مناقب الخوارزمی. شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۵۸.

۲۵- عبد اللّه بن مسعود قال: أوّل حدیث علمته من أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنّی قدمت مکّة مع عمومة لی (و ذکر مثل حدیث عفیف المذکور ص ۲۲۶) رسالة الإسکافی.

۲۶- أبو أیّوب الأنصاری، أخرج الطبرانی عنه انّه قال: أوّل الناس إسلاما علیّ بن أبی طالب. شرح التقریب ۱ ص ۸۵. شرح الزرقانی ۱ ص ۲۴۲.

۲۷- أبو مرازم یعلی بن مرّة، عدّة الزرقانی فی شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲ ممّن قال: إنّ علیّا اوّل الناس إسلاما.

۲۸- هاشم بن عتبة المرقال قال: أنت یا أمیر المؤمنین! أقرب الناس من رسول اللّه رحما، و أفضل الناس سابقة و قدما. کتاب نصر ۱۲۵. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۵۱.

۲۹- فی کلام لهاشم بن عتبة یوم صفّین: انّ صاحبنا هو أوّل من صلّی مع رسول اللّه، و أفقهه فی دین اللّه، و أولاه برسول اللّه.

کتاب نصر ۴۰۳. تاریخ الطبری ۶ ص ۲۴. الکامل لابن الأثیر ۳ ص ۱۳۵. و قال هاشم یوم صفّین:

مع ابن عمّ أحمد المعلّی فیه الرّسول بالهدی استهلا

أوّل من صدّقه و صلّی فجاهد الکفّار حتّی أبلی «۱» ۳۰- مالک بن الحارث الأشتر قال فی خطبة له: معنا ابن عم نبیّنا و سیف من سیوف اللّه علیّ بن أبی طالب، صلّی مع رسول اللّه لم یسبقه إلی الصلاة ذکر، حتّی کان شیخا لم یکن له صبوة و لا نبوة و لا هفوة، فقیه فی دین اللّه، عالم بحدود اللّه.

کتاب نصر ۲۶۸. شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۴۸۴. جمهرة الخطب ۱

---

(۱) کتاب صفین لابن مزاحم: ۳۷۱ ط مصر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۰

ص ۱۸۳.

۳۱- عدیّ بن حاتم قال فی خطبة له مخاطبا معاویة: ندعوک إلی أفضل الأمّة سابقة، و أحسنها فی الإسلام آثارا.

کتاب نصر ۲۲۱. تاریخ الطبری ۶ ص ۲. شرح ابن أبی الحدید ۱ ص ۳۴۴. و فی لفظ ابن الأثیر فی الکامل ۳ ص ۱۲۴: انّ ابن عمّک سید المسلمین أفضلها سابقة.

۳۲- عدیّ بن حاتم قال فی خطبة اخری له: إن کان له «لعلیّ» علیکم فضل فلیس لکم مثله فسلّموا و إلّا فنازعوا علیه، و اللّه لئن کان

إلى العلم بالكتاب و السنّة؟ انّه لأعلم الناس بهما. و لئن كان إلى الإسلام؟ إنّه لأخو نبى اللّه و الرأس فى الإسلام. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۰۳.

۳۳- محمّد بن الحنفيّة قال سالم بن أبى الجعد قلت له: أبو بكر كان أوّلهم إسلاما؟! قال: لا. الاستيعاب ۲ ص ۴۵۸. إذا ثبت أنّ أبا بكر لم يكن أوّل الناس إسلاما فعلىّ عليه السّلام هو المتعيّن سبق إسلامه.

۳۴- طارق بن شهاب الأحمسى فى كلام له: ثمّ قلت: ادع عليّا و هو أوّل المؤمنين ايمانا باللّه و ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و وصيّه، هذا أعظم، الحديث. شرح ابن أبى الحديد ۱ ص ۷۶.

۳۵- عبد اللّه بن هاشم المرقال قال فى خطبة له: يا أيّها النّاس! انّ هاشما جاهد فى طاعة ابن عمّ رسول اللّه، و أوّل من آمن به؛ و أفقههم فى دين اللّه.

كتاب نصر ۴۰۵.

۳۶- عبد اللّه بن حجل قال: يا أمير المؤمنين! أنت أوّلنا ايمانا، و آخرنا بنبىّ اللّه عهدا. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۰۳، كتاب نصر.

۳۷- أبو عمرة بشير بن محصن قال فى جمع من أصحاب على و معاوية: إنّ صاحبى أحق البريّة كلّها بهذا الأمر فى الفضل و الدين و السابقة فى الإسلام و القرابة من رسول اللّه. كتاب نصر ۲۱۰.

۳۸- عبد اللّه بن خباب بن الأرت قال ابن قتيبة: إنّ الخارجة الّتى خرجت

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۷۱

على علىّ بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا رجل مؤمن، قالوا: فما تقول فى علىّ بن أبى طالب؟ قال: أقول: إنّه أمير المؤمنين و أوّل المسلمين ايمانا باللّه و رسوله. قالوا:

فما اسمك؟ قال: و أنا عبد اللّه بن خباب بن الأرت صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. الإمامة و السياسة ۱ ص ۱۲۲.

۳۹- عبد اللّه بن بريدة قال: أوّل الرجال إسلاما علىّ بن أبى طالب ثمّ الرهط الثلاث: أبو ذر و بريدة و ابن عمّ لأبى ذرّ. أخرجه محمّد بن إسحاق المدنى فى الجزء الأوّل من المغازى.

۴۰- محمّد بن أبى بكر كتب إلى معاوية كتابا منه: فكان أوّل من أجاب و أناب، و صدّق و وافق، و أسلم و سلم أخوه و ابن عمّه علىّ بن أبى طالب- الى أن قال-: أوّل الناس إسلاما، و أصدق الناس نيّة- إلى قوله- يا لك الويل! تعدل نفسك بعلىّ و هو وارث رسول اللّه و وصيّه و أبو ولده، و أوّل الناس له اتّباعا، و آخرهم به عهدا، يخبره بسرّه، و يشركه فى أمره. نصر فى كتاب صفّين ۱۳۳.

۴۱- عمرو بن الحمق قال لعلى: أحببتك لخصال خمس: انّك ابن عمّ رسول اللّه، و أوّل من آمن به. و فى لفظ: و أسبق النّاس إلى الإسلام، أبو الذريّة التى بقيت فينا من رسول اللّه، و أعظم رجل من المهاجرين سهما فى الجهاد.

كتاب صفّين ۱۱۵. جمهرة الخطب ۱ ص ۱۴۹.

۴۲- سعيد بن قيس الهمدانى يرتجز فى صفّين بقوله «۱»:

هذا علىّ و ابن عمّ المصطفى أوّل من أجابه ممّن دعا

هذا الإمام لا يبالى من غوى

۴۳- عبد اللّه بن أبى سفيان قال مجيبا الوليد «۲»

و إنّ ولىّ الأمر بعد محمّدعلىّ و فى كلّ المواطن صاحبه

---

(۱) شرح النهج لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۲۳۲ و فيه «أول من أجابه فيما روى».

(۲) رسالة الاسكافى، و ذكرهما الحافظ الكنجى فى الكفاية ص ۴۸ للفضل بن العبّاس.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۷۲ وصيّ رسول اللّه حقّا و صنوهو أوّل من صلّى و من لان جانبه ۴۴- خزيمة بن ثابت الأنصارى عدّه العراقى فى شرح التقريب ۱ ص ۸۵، و الزرقانى فى شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲ ممّن قال بأنّ عليّا أوّل الناس إسلاما.

و قالا: أنشد المرزبان له فى علىّ:

أ ليس أوّل من صلّى لقبلتكمو أعلم النّاس بالقرآن و السنن و ذكر له الإسكافى فى رسالته كما فى شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۹:

وصيّ رسول اللّه من دون أهلهو فارسه مذ كان فى سالف الزمن

و أوّل من صلّى من الناس كلّهمسوى خيرة النسوان و اللّه ذو المنن و ذكرهما له الحاكم فى المستدرك ۳ ص ۱۱۴، و ذكر قبلهما:

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبناأبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولى النّاس بالنّاس أنّهأطبّ قريش بالكتاب و بالسنن «۱» ۴۵- كعب بن زهير، ذكر الزرقانى فى شرح المواهب ۱ ص ۲۴۲.

من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السّلام:

إنّ عليّا لميمون نقيبتهبالصّالحات من الأفعال مشهور

صهر النبيّ و خير النّاس كلّهمفكلّ من رامه بالفخر مفخور

صلّى الصلاة مع الامّى أوّلهمقبل العباد و ربّ الناس مكفور «۲» ۴۶- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، ذكر جمع من الأعلام له أبيات و ذكرها آخرون لغيره و هى:

ما كنت أحسب انّ الأمر منصرفعن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

أ ليس أوّل من صلّى لقبلتهم؟!و أعلم النّاس بالآيات و السنن؟!

و آخر النّاس عهدا بالنبيّ؟و من جبريل عون له فى الغسل و الكفن؟

---

(۱) و لهذه الابيات بقية توجد فى الفصول المختارة ۲ ص ۶۷.

(۲) فى النسخة تصحيف ذكرناها صحيحة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۷۳ من فيه ما فيهم ما تمترون به؟!و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذى ردّكم عنه؟! فنعلمهها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن و ذكر الإسكافى فى رسالته البيتين الأوّلين منها و نسبهما إلى أبى سفيان بن حرب بن اميّة بن عبد شمس حين بويع أبو بكر. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۹.

۴۷- الفضل بن أبى لهب قال ردّا على قصيدة الوليد بن عاقبة:

ألا انّ خير النّاس بعد محمّدمهيمنه التالية فى العرف و النكر

و خيرته فى خيبر و رسولهبنبذ عهود الشرك فوق أبى بكر

و أوّل من صلّى صنو نبيّهو أوّل من أردى الغواة لدى بدر

فذاك علىّ الخير من ذا يفوقه؟!أبو حسن حلف القرابة و الصهر ۴۸- مالك بن عبادة الغافقى حليف حمزة بن عبد المطلب قال:

رأيت عليّا لا يلبّث قرنهإذا ما دعاه حاسرا أو مسربلا

فهذا و فى الإسلام أوّل مسلمو أوّل. من صلّى و صام و هلّلا ۴۹- أبو الأسود الدؤلى يهدّد طلحة و الزبير بقوله:

و إنّ عليّا لكم مصحريماثله الأسد الأسود

أما انّه أوّل العابدينبمكّة و اللّه لا يعبد «۱» ۵۰- جندب بن زهير كان يرتجز يوم صفين بقوله:

هذا علىّ و الهدى حقّا معهيا ربّ فاحفظه و لا تضيّعه

فإنّه يخشاك ربّى فارفعهنحن نصرناه على من نازعه

صهر النبیّ المصطفی قد طاوعهأوّل من بایعه و تابعه «۲» ۵۱- زفر بن یزید «۳» بن حذیفة الأسدی قال:

فحوطوا علیّا فانصروه فإنّهوصیّ و فی الإسلام أوّل أوّل

(۱) رسالة الاسکافی کما شرح ابن ابی الحدید: ۲ ص ۲۵۹.

(۲) کتاب نصر بن مزاحم: ۴۵۳.

(۳) فی بعض المصادر: زفیر بن زید.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۴ و إن تخذلوه و الحوادث جمّةفلیس لکم عن أرضکم متحوّل «۱» ۵۲- النجاشی بن الحارث بن کعب قال:

فقل للمضلّل من وائلو من جعل الغثّ یوما سمینا

جعلت ابن هند و أشیاعهنظیر علیّ أ ما تستحونا؟!

إلی أوّل النّاس بعد الرسولأجاب النبیّ من العالمینا

و صهر الرّسول و من مثلهإذا کان یوم یشیب القرونا؟! «۲» ۵۳- جریر بن عبد اللّه البجلی قال:

فصلّی الإله علی أحمدرسول الملیک تمام النعم

و صلّی علی الطهر من بعدهخلیفتنا القائم المدّعم

علیّا عنیت وصیّ النبیّیجالد عنه غواة الامم

له الفضل و السبق و المکرمات و بیت النبوّة لا المهتضم ۵۴- عبد اللّه بن حکیم التمیمی قال:

دعانا الزبیر إلی بیعةو طلحة من بعد أن أثقلا

فقلنا: صفقنا بایماننافإن شئتما فخذا الأشملا

نکثتم علیّا علی بیعةو إسلامه فیکم أوّلا ۵۵- عبد الرحمن بن حنبل [جعل] الجمحی حلیف بنی الجمح قال:

لعمری لئن بایعتم ذا حفیظةعلی الدین معروف العفاف موفّقا

عفیفا عن الفحشاء أبیض ماجداصدوقا و للجبّار قدما مصدّقا

أبا حسن فارضوا به و تبایعوافلیس کمن فیه یری العیب منطقا

علیّ وصیّ المصطفی و وزیرهو أوّل من صلّی لذی العرش و اتّقی «۳» ۵۶- أبو عمرو عامر الشعبی الکوفی قال: أوّل من أسلم من الرّجال علیّ ابن أبی طالب و هو ابن تسع سنین. رسالة الإسکافی کما فی شرح ابن أبی

(۱) رسالة الاسکافی کما فی شرح ابن ابی الحدید: ۳ ص ۲۵۹.

(۲) کتاب صفین لنصر بن مزاحم: ۶۶.

(۳) کفایة الطالب الحافظ الکنجی: ۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۵

الحدید ۳ ص ۲۶۰.

۵۷- أبو سعید الحسن البصری قال: علیّ أوّل من أسلم بعد خدیجة. أخرجه أحمد عن عبد الرّزاق عن معمر عن قتادة عنه. و رواه الإسکافی فی رسالته عن عبد الرّزاق کما فی شرح ابن أبی الحدید ۳ ص ۲۶۰.

و قال الحجّاج للحسن و عنده جماعة من التابعین و ذکر علیّ بن أبی طالب:

ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما أقول؟ هو: أوّل من صلّى إلى القبلة، و أجاب دعوة رسول اللّه. و انّ لعليّ منزلة من ربّه و قرابة من رسوله، و قد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد. فغضب الحجّاج غضبا شديدا و قام عن سريره فدخل بعض البيوت.

و قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثنى على عليّ و تقرّظه؟ قال كيف؟! و سيف الحجّاج يقطر دما، انّه أوّل من أسلم، و حسبكم بذلك. رسالة الإسكافى كما فى شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۵۸.

۵۸- الإمام محمّد بن عليّ الباقر قال: أوّل من آمن باللّه عليّ بن أبى طالب و هو ابن إحدى عشرة سنة. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۶۰.

۵۹- قتادة بن دعامة الأكمة البصرى قال: عليّ أوّل من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد كما سمعت، و القسطلانى عدّه ممّن قال به فى المواهب ۱ ص ۴۵، و أقرّه الزرقانى فى شرحه ۱ ص ۲۴۲.

۶۰- محمّد بن مسلم المعروف بابن شهاب «۱» عدّه القسطلانى فى المواهب ۱ ص ۴۵، و أقرّه الزرقانى فى شرحه ۱ ص ۲۴۲ من القائلين بأنّ عليّا أوّل من أسلم.

۶۱- أبو عبد اللّه محمّد بن المكندر المدنى قال: على اوّل من أسلم. تاريخ الطبرى ۲ ص ۲۱۳. الكامل لابن الأثير ۲ ص ۲۲.

۶۲- أبو حازم سلمة بن دينار المدنى قال: عليّ أوّل من أسلم. تاريخ الطبرى ۱ ص ۲۱۳. الكامل لابن الأثير ۲ ص ۲۲.

---

(۱) نسبة الى جد جده.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۷۶

۶۳- أبو عثمان ربيعة بن أبى عبد الرّحمن المدنى قال: عليّ أوّل من أسلم. تاريخ الطبرى ۲ ص ۲۱۳. الكامل لابن الأثير ۲ ص ۲۲.

۶۴- أبو النضر محمّد بن السائب الكلبى قال: عليّ أوّل من أسلم، أسلم و هو ابن تسع سنين. تاريخ الطبرى ۲ ص ۲۱۳. الكامل لابن الأثير ۲ ص ۲۲.

۶۵- محمّد بن اسحاق قال: كان أوّل ذكر آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و صلّى معه و صدّقه بما جاءه من عند اللّه عليّ بن أبى طالب و هو يومئذ ابن عشر سنين «۱» و كان ممّا أنعم اللّه به على عليّ بن أبى طالب انّه كان فى حجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل الإسلام.

و قال: و ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة و خرج معه عليّ بن أبى طالب، مستخفيا من عمّه أبى طالب و جميع أعمامه و سائر قومه فيصلّيان الصّلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء اللّه أن يمكثا، ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصلّيان فقال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا ابن أخى ما هذا الدين؟ الحديث.

تاريخ الطبرى ۲ ص ۲۱۳. سيرة ابن هشام ۱ ص ۲۶۴، ۲۶۵. سيرة ابن سيّد الناس ۱ ص ۹۳. الكامل لابن الأثير ۴ ص ۲۲. شرح ابن أبى الحديد ۳ ص ۲۶۰. السيرة الحلبيّة ۱ ص ۲۸۷.

۶۶- جنيد بن عبد الرّحمن قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائى فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيبة القاصّ يقصّ على الناس، فرغّب فرغبنا، و خوّف فبكينا، فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبى تراب. فلعنوا أبا تراب عليه السّلام فالتفت إليّ من على يمينى فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: عليّ بن أبى طالب ابن عمّ رسول اللّه، و زوج ابنته، و أوّل النّاس إسلاما، و أبو الحسن و الحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟! فقمت إليه و كان ذا وفرة فأخذت و فرته بيدى و جعلت ألطم وجهه

---

(۱) فى الكامل لابن الاثير: ۲ ص ۳۲. احدى عشرة سنة. نقلا عن ابن اسحاق.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۷۷

و أبطح برأسه الحائط، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائى فى رقبتى و ساقونى حتّى دخلونى على هشام بن عبد الملك و أبو شيبة يقدمنى فصاح يا أمير المؤمنين؟ قاصّك و قاصّ آبائك و أجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. قال:

من فعل لك؟ فقال: هذا. فالتفت إلىّ هشام و عنده أشراف النّاس فقال:

يا أبا يحيى؟ متى قدمت؟ فقلت: أمس و أنا على المصير إلى أمير المؤمنين فادركتنى صلاة الجمعة فصلّيت و خرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقر أ فسمعنا، فرغّب من رغّب، و خوّف من خوّف؛ و دعا فأمّنا، و قال فى آخر كلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبى تراب، فسألت من أبو تراب؟

فقيل: علىّ بن أبى طالب، أوّل الناس إسلاما، و ابن عم رسول اللّه، و أبو الحسن و الحسين، و زوج بنت رسول اللّه. فو اللّه يا أمير المؤمنين؟ لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذى أحللت، فكيف لا أغضب لصهر رسول اللّه و زوج ابنته؟! فقال هشام: بئس ما صنع. تاريخ ابن عساكر ۳ ص ۴۰۷.

هذه جملة من النصوص النبويّة، و الكلم المأثورة عن أمير المؤمنين و الصحابة و التابعين فى أنّ عليّا أوّل من أسلم: و هى تربو على مائة كلمة، أضف إليها ما مرّج ۲ ص ۲۷۶ من أنّ أمير المؤمنين سبّاق هذه الأمّة. و اشفع الجميع بما أسلفناه ج ۲ ص ۳۰۶ من أنّه صلوات اللّه عليه صدّيق هذه الامة، و هو الصدّيق الاكبر.

فهل تجد عندئذ مساغا لمكابرة ابن كثير تجاه هذه الحقيقة الراهنة و قوله: و قد ورد فى أنّه أوّل من أسلم. إلخ؟!؟! فإذا لا يصحّ مثل هذه فما الّذى يصحّ؟

و إن كان لا يصحّ شىء منها فما قيمة تلك الكتب المشحونة بها؟! كلا، إنّها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون.

و أنت ترى الرجل يزيف هذه الكلم و النصوص الكثيرة الصحيحة بحكم الحفّاظ الأثبات بكلمة واحدة قارصة، و يعتمد فى إثبات أىّ أمر يروقه فى تاريخه على المراسيل و المقاطيع و الآحاد، و نقل المجاهيل و أفناء الناس «۱».

---

(۱) الغدير: ج ۳ ص ۲۱۹- ۲۳۹.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۳۷۸

(۱)

مناظرة بين المأمون و اسحاق [فى إسلام على ع]:

و لقد دارت بين المأمون العباسى و إسحاق و هو من العلماء المشهورين حوار طريف فى هذا المجال ينقله ابن عبد ربّه فى كتابه «العقد الفريد» نذكر هنا خلاصته:

قال المأمون: يا إسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث اللّه رسوله؟

ابن إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أ ليس السبق الى الإسلام؟

ابن إسحاق: نعم.

المأمون: اقرأ ذلك فى كتاب اللّه يقول: «و السابقون السابقون اولئك المقرّبون» إنّما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق عليّا إلى الإسلام؟

ابن إسحاق: إنّ عليا أسلم و هو حديث السنّ لا يجوز عليه الحكم و أبو بكر أسلم و هو مستكمل يجوز عليه الحكم.

(۲) و هنا أمسك المأمون بزمام الكلام و قال:
أخبرنی عن إسلام علیّ حین أسلم لا یخلو من أن یكون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دعاه إلی الإسلام، أو یكون إلهاما من اللّه؟
قال إسحاق: بل دعاه رسول اللّه الی الإسلام.
قال المأمون: یا إسحاق هل یخلو رسول اللّه حین دعاه الی الإسلام من ان یكون دعاه بأمر من اللّه أو تكلّف ذلك من نفسه؟
ثمّ قال: یا اسحاق لا تنسب رسول اللّه إلی تكلّف فإن اللّه یقول: «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِینَ».
فإذا دعاه بأمر اللّه و لیس من صفة الجبّار- جلّ ذكره- أن یكلّف رسله دعاء من لا یجوز علیه حكم، أ فتراه فی قیاس قولك یا إسحاق؟ أن علیا أسلم صبیا لا یجوز علیه الحكم قد تكلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دعاء

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۷۹

الصبیان ما لا یطیقون «۱».
و علی هذا الاساس یجب اعتبار ایمان علی علیه السّلام ایمانا صحیحا ثابتا لم یقلّ عن إیمان الآخرین أهمیة و قیمة بل هو افضل مصداق لقوله تعالی:
«وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»، هو الإمام علی بن أبی طالب.
(۱)

قضیّة «انقطاع الوحی»:

اشارة

لقد أضاءت روح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و نفسه الشریفة و استنارت بنور الوحی، و دفعه ذلك الی التأمّل و التفكیر فی الوظیفة الكبری و الثقیلة التی جعلها اللّه علی كاهله، و خاصة عند ما خاطبه اللّه تعالی بقوله:
«یا أَیُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ» «۲».
و هنا طرح المؤرخون و بخاصّة الطبریّ الّذی لا یخلو تاریخه من الاساطیر الاسرائیلیّة قضیّة باسم «انقطاع الوحی» فقالوا: إن رسول اللّه بعد أن رأی ذلك الملك و سمع منه الآیات الاولی من القرآن الكریم بقی ینتظر نزول خطاب آخر من جانب اللّه تعالی، و لكن دون جدوی، فهو لم یر ذلك الملك الجمیل بعد ذلك، و لا أنه سمع النداء الغیبیّ مرة اخری علی غرار ما رأی و سمع فی بدء نزول الوحی.
(۲) و لو كان لانقطاع الوحی فی بدایة عهد الرسالة (الذی ادّعاه هؤلاء) حقیقة فما هو سوی النزول التدریجی للقرآن لیس إلّا.
و قد تعلّقت المشیئة الالهیة اساسا بأن ینزل الوحی علی رسول اللّه تدریجا، لا دفعة واحدة و ذلك لمصالح معینة، و حیث أن الأمر فی بدء الوحی كان علی أوّله و فی بدایته، لذلك لم ینزل الوحی الالهی بعد المرة الاولی فورا، و لكن حمل هذا علی «انقطاع الوحی» و لم یكن لا انقطاع الوحی و لا أیة مسألة اخری من

(۱) العقد الفرید: ج ۵ ص ۳۵۲ طبعة بیروت دار الكتب العلمیة و ج ۵ ص ۹۴ طبعة لجنة التألیف القاهرة.
(۲) المدثر: ۱- ۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۰

هذا القبیل.

(۱) و حیث أن هـذه المسألـة قـد تـذرّع بها الکتاب المغرضون لـذلک ینبغی أن نعطیها بعض. الاهتمام لیتضـح أن ما ادّعی من انقطاع الوحی، قضیة فارغة عن الحقیقة و لذلک لا صحّة لتطبیق الآیات القرآنیة علیها.

و لتوضیح هذا الأمر ننقل هنا نصّ ما کتبه الطبریّ و نقله فی تاریخه، ثم نعمد بعد ذلک الی نقده.

یکتب الطبری فی هذه الصدد قائلا: لمّا أبطأ جبرئیل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جزع جزعا شدیدا قالت له خدیجة: ما أری ربک إلا قد قلاک، فانزل اللّه عزّ و جلّ قوله: «وَ الضُّحی. وَ اللَّیْلِ إِذا سَجی. ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی. وَ لَلْآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولی. وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی. أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوی. وَ وَجَدَکَ ضَالًّا فَهَدی. وَ وَجَدَکَ عائِلًا فَأَغْنی. فَأَمَّا الْیَتِیمَ فَلا تَقْهَرْ. وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ. وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ» «۱».

و لقـد أوجد نزول هذه الآیات سرورا عظیما لدی خدیجة علیها السّلام، و علمت بأن ما قالته حول رسول اللّه لا أساس له من الصحـة «۲».

(۲)

اسطورة و لیس تاریخا!

إنّ ذاکرة التاریخ تحفظ و تتذکر جیّدا تاریخ حیاة السیدة خدیجة.

إن خدیجة التی کانت أخلاق محمّد الفاضلة و خصاله المجیدة، و افعاله الحمیدة ماثلة امام عینیها و التی کانت تؤمن بعدل ربّها کیف یجوز ان تسیء الظن باللّه تعالی و بنبیه الکریم، العظیم الشأن؟

إنّ مقام النبوّة و منصب الرسالة، و السـفارة الالهیة لا یعطی إلّا لمن یملک طائفة من الصـفات النبیلة و الخصال الرفیعة، و ما لم یتصف شخص النبیّ صلّی اللّه علیه و آله. هذه الصفات العلیا، و ما لم تتوفر فیه مثل هذه الشرائط الخاصّة

---

(۱) الضحی: ۱- ۱۱.

(۲) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۱

و المواصـفات المعینـة لم یمنح له ذلک المنصب قط. و تقع العصـمة و السـکینة القلبیة، و الاعتماد و التوکل فی طلیعة هذه الخصال و المواصفات، و مع هذه الأوصاف و الخصال یستحیل أن یدور فی خلده مثل تلک التصورات الخاطئة.

و لقـد قـال العلماء: إن المسیرة التکاملیـة عنـد الأنبیاء تبـدأ من فترة الطفولـة و الصـبا، فان الغشاوات و الحجب تبـدأ تتساقط و تنقشع الواحـدة تلو الاخری منـذ ذلک الوقت، و یسـتمر ذلک حتی تصل الاحاطـة العلمیة لدیهم حدّ الکمال فلا یشـکّون فی شـیء یرونه أو یسمعونه أبدا، و من حاز هذه المراتب لا یمکن أن یتطرق الشک و الحیرة و التردّد الی قلبه و عقله مطلقا.

(۱) إنّ آیات سورة «الضـحی» و خاصـة عبارة «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» تفیـد فقط بأن هناک من قال مثل هـذه العبارة للنبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله، و أمّا من هو قائلها؟ و کم ترکت هذه العبارة من تأثیر فی نفسیة النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و روحیته فهی ساکتة عن کل ذلک؟

و ذهب بعض المفسّرین إلی أن قائلها هم بعض المشـرکین، و لهـذا الاحتمال لا تکون جمیع الآیات مرتبطـة ببدء الوحی، لأنه لا أحد غیر «علی» و «خدیجـة» کان یعرف فی بـدء البعثة بنزول الوحی، لیتسنّی له أن یعترض علی رسول اللّه، و یعیّره بانقطاع عنه بعد ذلک،

فإن أمر المبعث و الرسالة- كما سنقول ذلك فيما بعد- بقى خافيا على أكثر المشركين لمدة ثلاثة اعوام تماما، فهو لم يكن مكلّفا بابلاغ رسالته إلى عامة الناس، إلى أن نزل قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» الذى أمره اللّه فيه بالجهر بأمر رسالته لعامة الناس بلا استثناء. (۲)

إختلاف المؤرخين فى مسألة «انقطاع الوحى»:

اشارة

لم يرد فى القرآن الكريم أى ذكر مطلقا لمسألة (انقطاع الوحى) بل لم ترد به إشارة أيضا، إنما نلاحظها فى كتب السيرة و التفسير فقط، و يختلف كتّاب السيرة و المؤرّخون فى علة (انقطاع الوحى) هذا، و مدته اختلافا كبيرا يجعلنا لا نعتمد على أى واحد منها، و ها نحن نشير إليها بشكل ما:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۲

(۱) ۱- ان اليهود سألوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن اصحاب الكهف، و عن الروح، و عن قصة ذى القرنين فقال عليه الصلاة و السّلام: سأخبركم غدا، و لم يستثن، فاحتبس عنه الوحى «۱».

بناء على هذا لا يمكن ان نربط هذه المسألة ببدء الوحى و مطلع عهد الرسالة لان اتصال علماء اليهود و احبارهم مع النبى صلّى اللّه عليه و آله عن طريق قريش و سؤالهم اياه حول هذه الامور الثلاثة، وقع فى حدود السنة السابعة من البعثة يوم نوجه وفد من قريش إلى المدينة ليسألوا علماء اليهود عن صحة ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فاقترح اليهود عليهم ان يسألوا النبى عن تلك الامور الثلاثة «۲».

(۲) ۲- قالت خولة و هى امرأة كانت تخدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبى اللّه صلّى اللّه عليه و آله أياما لا ينزل عليه الوحى، فلمّا خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من البيت كنست خولة تحت السرير فاذا جرو ميّت فأخذته و القته خلف الجدار فأنزل اللّه تعالى هذه السورة و لما نزل جبرئيل سأله النبى صلّى اللّه عليه و آله عن التأخر فقال: «أ ما علمت أنّا لا ندخل بيتا فيه كلب و لا صورة» «۳».

(۳) ۳- إن المسلمين قالوا: يا رسول اللّه، ما لك لا ينزل عليك الوحى؟ فقال:

«و كيف ينزل علىّ و أنتم لا تقصّون أظفاركم و لا تأخذون من شواربكم»؟ «۴» فنزل جبرئيل بهذه السورة.

(۴) ۴- اهدى عثمان الى النبى صلّى اللّه عليه و آله عنقود عنب و قيل عذق تمر فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدّمه إليه صلّى اللّه عليه و آله ثانيا ثم عاد السائل فأعطاه و هكذا ثلاث مرات فقال صلّى اللّه عليه و آله: ملاطفا لا غضبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر؟ فتأخر الوحى أياما فاستوحش فنزلت

---

(۱) روح المعانى: ج ۳۰ ص ۱۵۷، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۱۰ و ۳۱۱.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۰۰ و ۳۰۱.

(۳) تفسير القرطبى: ج ۱۰ ص ۸۳ و ۷۱، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۴۹.

(۴) نفس المصدر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۳

السورة «۱».

(۱) ۵- إن جروا لأحد نساء النبی صلّی اللّه علیه و آله أو أحد أقربائه حال دون نزول الوحی علیه «۲».

(۲) ۶- إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما سأل جبرئیل عن تأخّر الوحی قال جبرئیل، لا املک من نفسی شیئا إنّما أنا عبد مأمور «۳».

ثم ان هناک أقوالا اخری یمکن الحصول علیها من مراجعة التفاسیر «۴».

و لکن الطبریّ نقل وجها آخر تمسک به المغرضون و المرضی من الکتّاب و اعتبروه دلیلا علی طروء الشک علی قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو أنّ الوحی انقطع عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد حادثة (حراء) فقالت خدیجة للنبی صلّی اللّه علیه و آله: ما أری ربّک إلّا قد قلاک!!

فنزل الوحی یقول:

«ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» «۵».

(۳) و ممّا یدلّ علی أهداف هذا النوع من الکتّاب، المریضة، أو عدم تتبعهم و استقصائهم، أنهم تمسکوا من بین جمیع الأقوال بهذا الاحتمال، و استندوا إلیه للحکم علی شخصیة کرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی لم یر فی حیاته أی أثر للشک و الحیرة مطلقا.

(۴) و إننا مع ملاحظة النقاط التالیة یمکننا أن نقف علی بطلان هذا الاحتمال و تفاهته:

(۵) ۱- لقد کانت السیدة خدیجة من النساء اللواتی أحببن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حبا صادقا و عمیقا، فهی التی وفت لزوجها حتی النفس الأخیر،

---

(۱) تفسیر روح المعانی: ج ۳۰ ص ۱۵۷.

(۲) غرائب القرآن فی هامش تفسیر الطبری: ج ۳۰ ص ۱۰۸.

(۳) تفسیر ابو الفتوح الرازی: ج ۱۲ ص ۱۰۸.

(۴) مجمع البیان: ج ۱۰ تفسیر سورة و الضحی.

(۵) تفسیر الطبری: ج ۳۰ ص ۱۴۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۴

و وقفت ثروتها الطائلة لتحقیق أهدافه، و کانت فی عام البعثة قد قضیت خمسة عشر عاما من حیاتها الزوجیة، و لم تر خدیجة طوال هذه الفترة من زوجها إلا التقوی و الطهر و لم تلمس منه إلا کرم الصفات و نبل الاخلاق فقد کانت من المصدقین له صلّی اللّه علیه و آله من أول یوم و کانت تراعی نهایة الأدب فی تکلیمها معه و عشرتها اياه صلّی اللّه علیه و آله فکیف تتکلم مثل هذه المرأة المؤمنة الوفیة، مع زوجها بغلیظ القول، و توجه له مثل هذه الکلمة غیر المهذّبة، بل و الجارحة؟؟!

(۱) ۲- إنّ آیة: «ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی» لا تدل علی أن «خدیجة» قالت مثل هذا الکلام لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بل غایة ما تفیده هذه الآیة هی أنّ مثل هذا الکلام قد وجّه الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أمّا من هو القائل، و لما ذا قال هذا الکلام؟ فلیس ذلک معلوما.

(۲) ۳- إن ناقل هذه الروایة یصف «خدیجة» تارة بأنها طمأنت النبیّ، و سکّنت من روعه إلی درجة أنها منعته عن الانتحار، و لکنه یصفها تارة اخری بانها قالت له: بأن اللّه عاداه و قلاه، أ لا ینبغی هنا أن نقول: «کن ذکورا ثم أکذب»؟!

(۳) ۴- إذا کان الوحی قد انقطع بعد حادثة جبل (حراء) و نزول بضع آیات من سورة «العلق» إلی أن نزلت سورة «الضحی»، یتوجب- فی هذه الصورة- ان تکون سورة «الضحی» ثانی سورة من حیث الترتیب التاریخی لنزول السور فی حین أنّ تاریخ نزول الآیات و السور القرآنیة یفید أنها السورة الحادیة عشرة من سور القرآن الکریم. لأن فهرس السور القرآنیة حسب نزولها هو کالتالی:

۱- العلق.

۲- القلم.

۳- المزّمل.

۴- المدّثّر.

۵- تبّت (المسد).

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۵

۶- التکویر.

۷- الاعلی.

۸- الانشراح.

۹- و العصر.

۱۰- و الفجر.

۱۱- و الضحی «۱».

نعم انفرد الیعقوبی من بین المؤلفین باعتبار سورة الضحی- فی تاریخه- «۲» السورة الثالثة من حیث تاریخ النزول، و حتی هذا الرأی لا ینسجم مع القصة المذکورة (انقطاع الوحی).

(۱)

الاختلاف فی مدة انقطاع الوحی:

لقد تعرّض تحدید مدة انقطاع الوحی بشکله المزعوم لإبهام کبیر، فقد ذکر ذلک بصور مختلفة فی التفاسیر و الأقوال التالیة هی:

۴ أیّام.

۱۲ یوما.

۱۵ یوما.

۱۹ یوما.

۲۵ یوما.

۴۰ یوما.

و لکن بعد دراسة فلسفة النزول التدریجی للقرآن الکریم سنری أنّ انقطاع الوحی و توقفه لم یکن حدثا استثنائیا، لأنّ القرآن الکریم أعلن منذ أول یوم أن المشیئة الالهیّة تعلّقت بأن ینزل القرآن بصورة تدریجیة، منجّمة إذ یقول تعالی:

«وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ» «۳».

---

(۱) تاریخ القرآن للزنجانی: ص ۵۸.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۳۳.

(۳) الاسراء: ۱۰۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۶

و یکشف القرآن النقاب- فی موضع آخر- عن سرّ نزول القرآن تدریجا إذ قال:

«وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا» «۱».

(۱) و مع ملاحظة طریقة نزول الآیات و السور القرآنیة هذه یجب أن لا یتوقع نزول الآیات کل یوم و کلّ ساعة، و أن ینزل جبرئیل علی النبیّ علی الدّوام، و یأتی إلیه بالآیات دون انقطاع، بل إن الآیات القرآنیة کانت تنزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی فواصل زمنیة مختلفة وفقا للاحتیاجات، و بحسب الأسئلة المطروحة علی النبی، و لأسرار اخری فی النزول التدریجی شرحها علماء الإسلام «۲».

و فی الحقیقة لم یکن هناک ما یسمی بانقطاع الوحی، بل کل ما کان فی الأمر هو أنّه لم یکن ثمّة ما یوجب النزول الفوری، و المتلاحق للوحی.

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

(۲) راجع للوقوف علی هذه المسألة معالم الحکومة الإسلامیة: ص ۱۲۲- ۱۲۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۷

(۱)

۱۴ الدعوة السرّیّة و دعوة الأقربین

اشارة

استمرّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یدعو إلی دینه سرّا مدة ثلاثة أعوام. فهو فی هذه السنوات عمد إلی بناء الکوادر و اعدادها بدل توجیه الدعوة إلی عامّة الناس، فإنّ اعتبارات معیّنة فی ذلک الوقت کانت توجب أن لا یجهر بدعوته و لا یعلن عن رسالته، و یکتفی بالاتصالات الفردیة السّریة و یدعو اشخاصا معینین إلی دینه.

و قد کانت هذه الدعوة السرّیة هی السبب فی أن ینجذب الی الدّین الإسلامی جماعة من الناس، و تواجه دعوته صلّی اللّه علیه و آله منهم بالقبول، (۲) و قد سجّل التاریخ أسماء هؤلاء السابقین الذین آمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فی هذه الفترة من عهد الرسالة، و تاریخ الإسلام، و إلیک بعضهم:

۱- السیدة خدیجة بنت خویلد (زوجة النبی).

۲- علی بن أبی طالب علیه السّلام.

۳- زید بن حارثة.

۴- الزبیر بن العوام.

۵- عبد الرحمن بن عوف.

۶- سعد بن أبی وقاص.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۸

۷- طلحة بن عبید اللّه.

۸- أبو عبیدة الجراح.

۹- أبو سلمة.

۱۰- الأرقم بن أبی الارقم.

۱۱- عثمان بن مظعون.

۱۲- قدامة بن مظعون.

۱۳- عبد اللّه بن مظعون.

۱۴- عبیدة بن الحارث.

۱۵- سعید بن زید.

۱۶- خباب بن الأرتّ.

۱۷- أبو بکر بن أبی قحافة.

۱۸- عثمان بن عفان.

و غیرهم من الذین قبلوا دعوة النبی، و آمنوا بنبوته فی هذه الفترة «۱».

(۱) و لقد کان أقطاب قریش و أسیادها منهمکین- طیلة هذه الاعوام الثلاثة- فی لهوهم و مجونهم، و مع أنهم کانوا قد عرفوا بعض الشیء عن دعوة النبیّ السرّیة إلّا أنّهم لم یظهروا أیّة ردة فعل تجاهها، و لم یقوموا بشیء ضدّها.

و لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی هذه السنوات التی تعتبر فترة صباغة الفرد یخرج مع بعض أتباعه إلی شعاب مکة للصلاة فیها بعیدا عن أنظار قریش.

و اتفق أن رآهم بعض المشرکین فی ما کانوا یصلّون فی شعب من شعاب مکة، و استنکروا عملهم هذا، و أدّی ذلک إلی منازعة عابرة بینهم و بین المشرکین جرح علی أثرها أحد المشرکین علی یدی «سعد بن أبی وقاص» احد المسلمین، و من هنا قرّر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اتخاذ بیت «الأرقم بن أبی الأرقم» محلا

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۴۵ و ۲۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۸۹

للعبادة بدل شعاب مکّة، لیستطیع القیام فیه بالتبلیغ و العبادة بحریّة و أمان، بعیدا عن أعین المشرکین «۱».

و لقد کان «عمّار بن یاسر» و «صهیب بن سنان» الرومیّ ممّن آمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ذلک البیت «۲».

(۱)

دعوة الأقربین:

اشارة

یشرع العقلاء من الناس من اصحاب البرامج الواسعة و المشاریع الکبری اعمالهم الکبری- عادة- من بدایات صغیرة و نقاط محددة، فإذا حقّقوا نجاحا فی هذه البدایات بادروا الی توسیع نطاق نشاطهم فورا، و هکذا جنبا الی جنب مع النجاحات التی یحقّقونها فی کل خطوة یوسّعون دائرة العمل، و یجتهدون فی تحقیق المزید من النجاح، و التکامل لما هم یصدده.

و لقد سأل أحد الشخصیات زعیما فی دولة کبیرة من الدول الکبری المعاصرة: ما هو سرّ نجاحکم فی الاعمال الاجتماعیة و ما هو الأمر الذی یساعدکم علی النجاح فی مشاریعکم؟

فأجابه ذلک الزعیم قائلا: ان طریقة عملنا نحن الغربیّین تختلف عن طریقتکم انتم أهل الشرق، فنحن دائما نخطّط لمشاریع کبری و

نبدأ من مكان صغير، و بعد إحراز النجاح نعمد إلى توسيع نطاق العمل، و اذا اكتشفنا فى منتصف الطريق خطأ برنامجنا غيّرنا اسلوب عملنا، و عدلنا إلى طريقة اخرى، و بدأنا بعمل آخر.

(۲) أما أنتم الشرقيون فتدخلون ساحة العمل فى برامجكم الكبرى من مكان كبير، و تبدءون من نقطة واسعة، و تحاولون تطبيق مشروعكم جملة واحدة، فاذا واجهتم فى خلال العمل طريقا مسدودة لم يكن فى إمكانكم ان ترجعوا من

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۱.

(۲) هذا البيت كان عند جبل الصفا، و كان معروفا إلى مدة ب: دار الخيزران» اسد الغابة: ج ۴ ص ۴۴، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۹۲، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۰

منتصف الطريق إلّا بتحمل خسائر كبرى فادحة.

(۱) هذا مضافا إلى أن أنفسكم كأنها قد عجنت بالعجلة و لذلك تودّون قطف ثمار جهودكم و نتيجة عملكم فى الحال دون ما صبر و ترقّب و انتظار، و هذه هى بنفسها طريقة تفكير اجتماعيّة خاطئة، من شأنها أن تجعل الإنسان أمام طرق مسدودة كثيرة و غريبة.

هذا ما قاله ذلك الغربىّ.

و لكن الذى نتصوره و نعتقده نحن هو: أن هذه الطريقة من التفكير لا ترتبط لا بالشرق و لا بالغرب، بل هى ميزة العقلاء الاذكياء من الناس، فانهم يعتمدون هذا الاسلوب لانجاح مهامّهم، و تحقيق مقاصدهم.

و لقد اتبع قائد الإسلام الاكبر الرسول الاعظم صلّى اللّه عليه و آله هذه الطريقة فى عمله الرسالى فركّز جهده على الدعوة السرّيّة إلى دينه مدة ثلاثة أعوام من دون تعجّل، و كان يعرض دينه على كل من وجده أهلا للدعوة، و مستعدّا من الناحية الفكرية للتبليغ.

فرغم أنّه كان يهدف الى تشكيل دولة عالمية كبرى ينضوى تحت لوائها (لواء التوحيد) جميع أفراد البشرية، إلّا أنه لم يعمد إلى الدعوة العامة طيلة هذه الأعوام الثلاثة، بل لم يوجّه الدعوة الخاصة حتى إلى أقاربه، إنّما اكتفى بالاتصال الشخصى بمن وجده مؤهلا و صالحا للدعوة، و مستعدّا لقبول الدّين، حتى انّه استطاع فى هذه الأعوام الثلاثة أن يكسب فريقا من الأتباع من الذين اهتدوا إلى دينه و قبلوا دعوته.

(۲) و قد كان زعماء قريش- كما اسلفنا- منهمكين طوال هذه الأعوام الثلاثة فى اللذّة و الهوى و كان فرعون «مكة» و طاغيتها: «أبو سفيان» و جماعته كلما سمعوا بالدّعوة اطلقوا ضحكة استهزاء و قالوا لانفسهم: إنّها أيّام و تنطفئ بعدها شعلة الدعوة هذه فورا تماما كما انطفأت من قبل دعوة «ورقة» و «اميّة» (اللّذين أخذا يحبّذان الى العرب التوجه نحو المسيحية و نبذ الوثنية بعد أن قرءا الانجيل و التوراة) و بالتالى لن يمرّ زمان حتى ينسى هذا الأمر، و يغدو خبرا بعد أثر، بل

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۱

لا شيء يذكر.

بهذا التصوّر، و بهذه العقليّة واجهت زعامة «مكة» دعوة النبى فى البداية، (۱) و لهذا لم يقم زعماء قريش خلال هذه السنوات الثلاث بأيّ عمل عدائيّ ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، بل ظلّوا ينظرون إليه بنظر الاحترام، و يراعون معه قواعد الأدب و السلوك، و كان النبيّ هو أيضا لا يتعرض لأصنامهم و آلهتهم فى هذه الأعوام الثلاثة بسوء و لا يتناولها بالنقد و الاعتراض بصورة علنية، بل كان مركّزا جهده على الاتصال الشخصى بذوى البصائر من الأشخاص و هدايتهم إلى دينه الحنيف.

و لكن منذ أن بدأ النبيّ دعوة الأقربين و أخذ ينتقد و ثنيّتهم، و يذكر أوثانهم بسوء و يعترض على تصرفاتهم الإنسانية أصبح حديث الألسن. و منذ ذلك اليوم أيضا بدأت يقظة قريش، و عرفوا أمر محمّد يختلف عن أمر «ورقة» و «اميّة» اختلافا بينا و ان المبين

الدعوتين فرقا كبيرا، و لهذا بدأت المعارضة و المخالفة السرّية و العلنية، لدعوة النبيّ.

و قد بدأ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بكسر جدار الصمت بدعوة أقربائه إلى دينه ثم شرع بعد ذلك بدعوة الناس أجمعين.

(٢) على أنه ما من شك فى أنّ الاصلاحات العميقة التى يراد لها ان تترك أثرا فى جميع شئون الناس و كل مناحى حياتهم، و تغيّر مسير المجتمع تحتاج قبل أىّ شىء إلى قوتين:

١- قوة البيان، بأن يستطيع الداعية و المصلح بيان الحقائق التى جاء بها من أفكاره الخاصة، أو ما تلقّاه عن طريق آخر الى الناس باسلوب جذاب، يأسر القلوب، و يسحر العقول.

٢- القوة الدفاعية التى يستطيع تشكيل خطّ دفاعى منها عند التعرض لهجوم الأعداء و الخصوم، و فى غير هذه الصورة ستنطفئ شعلة الدعوة و يفشل المصلح فى خطاه الاولى.

(٣) و لقد كان البيان لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أعلى مرتبة من

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٣٩٢

الكمال فكان قادرا كأقوى خطيب على بيان تعاليم دينه للناس فى غاية الفصاحة و البلاغة. و لكنه كان يفتقر فى الأيام الاولى من دعوته إلى عنصر (القوة الثانية)، أى (القوة الدفاعية)، الرادعة الحامية، لأنه استطاع فى السنوات الثلاث الاولى من رسالته أن يضم إلى دعوته قرابة أربعين شخصا، و ذلك فى الظروف السرّية الشديدة، و لا ريب ان تلك القلة القليلة من الاتباع لم تكن قادرة على أن تتولّى مسئولية الدفاع عن النبى صلّى اللّه عليه و آله، و حماية رسالته.

من هنا عمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- و بهدف تحصيل القوّة الدفاعية المطلوبة و تشكيل النواة المركزية إلى دعوة أقربائه إلى دينه قبل التوجّه بالدعوة الى عامة الناس، ليتمكّن من هذا الطريق أن يزيل النقص من جهة عدم وجود القوة الثانية، و يكوّن منهم سياجا قويا يحفظه، و يحفظ رسالته من الأخطار المحتملة.

على أن فائدة هذه الدعوة كانت على الأقل دفع أبناء عشيرته إلى الدفاع عنه بدافع القربى و الرحم على فرض انهم لم يؤمنوا برسالته، و لم يقبلوا دعوته.

(١) هذا مضافا إلى انه صلّى اللّه عليه و آله كان يعتقد ان أى إصلاح و تغيير لا بد أن يبدأ من إصلاح الداخل و تغييره، فما لم يستطع الإنسان من إصلاح أبنائه و أقربائه و ردعهم عن قبائح الأفعال لا يمكن لدعوته أبدا أن تؤثر فى الأجانب و الأبعدين، لأنّ المناوئين سيعترضون عليه لدعوته فى هذه الحالة، و يشيرون إلى أفعال أبنائه و عشيرته.

من هنا أمره اللّه تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين إذ خاطبه قائلا:

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» «١».

كما أنه خاطبه بصدد دعوة الناس عامّة بقوله:

«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «٢».

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الحجر: ٩٤ و ٩٥.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:٣٩٣

(١)

كيفيّة دعوة الأقربين:

كـانت طريقـة رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى دعوة عشـيرته الأـقربين طريقـة جميلـة و ذكيـة جـدّا، فقـد تجلّت فى ذلـك حقيقة أوضحت اسرار هذه الدعوة فى ما بعد اكثر فأكثر.

فانّ المفسرين كتبوا عند قوله تعالى: «و انذر عشيرتك الاقربين» و كذا الأغلبية القريبة للاجماع من المؤرخين أن اللّه أمر نبيّه صلّى اللّه عليه و آله بأن ينـذر عشـيرته الأقربين و يـدعوهم إلى دينه و رسالته فأمر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله على بن أبى طالب الذى كان آنذاك فى ربيعه الثالث عشـر أو الخامس عشـر بأن يعدّ طعاما و لبنا، ثم دعا صـلّى اللّه عليه و آله خمسا و أربعين رجلا من سـراة بنى هـاشم و وجوههم، و عزم على أن يبوح لضـيوفه و يكشف لهم من امر رسالته فى خلال تلك الضـيافة إلّا أنه- و للأسف- ما أن انتهوا من الطعام حتى بادر أبو لهب فتكلّم بكلمات سـخيفة قبل أن يتحـدّث النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله ممّا جعل الجوّ غير مناسب لأن يطرح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله موضوع رسالته عليهم، فانفض المجلس دون تحقيق هذا الغرض.

(٢) و لما كان من غـد أمر النبىّ عليا عليه السّـلام باعداد الطّعام و اللّبن ثانية، و كرّر دعوة تلك الجماعة، إلى ضـيافة اخرى، و بعد أن فرغوا من الطعام تكلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال:

«إنّ الرائـد لا يكـذب أهله و اللّه الّـذى لا إله إلا هو إنّى رسول اللّه إليكم خاصّـة و إلى النّاس عامّة و اللّه لتموتنّ كما تنامون و لتبعثنّ كما تستيقظون و لتحاسبنّ بما تعملون و إنها الجنّة أبدا و النّار أبدا».

ثم قال:

«يا بنى عبـد المطّلب انّى و اللّه ما أعلم شابّا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، انّى قـد جئتكم بخير الدّنيا و الآخرة و قد أمرنى اللّه عزّ و جلّ أن ادعوكم إليه فأيّكم يؤمن بى و يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۴

وصيّى و خليفتى فيكم»؟

(۱) و لما بلغ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله إلى هـذه النقطة- و بينما أمسك القوم و سـكتوا عن آخرهم اذ كان كل واحد منهم يفكّر فى مـا يؤول إليه هـذا الأـمر العظيم، و ما يكتنفه من أخطار- قام «علىّ» عليه السّـلام فجأة، و هو آنـذاك فى الثالثـة أو الخامسـة عشـرة من عمره، و قال و هو يكسر بكلماته الشجاعة- جدار الصمت و الذهول-:

أنا يا رسول اللّه أكون وزيرك على ما بعثك اللّه».

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اجلس، ثم كرّر دعوته ثانية و ثالثة و فى كل مرة يحجم القوم عن تلبية مطلبه، و يقوم «علىّ» و يعلـن عن اسـتعداده لمـؤازرة النـبىّ، و يـأمره رسـول اللّه بـالجلوس حـتى إذا كـان فى المرة الثالثـة أخـذ رسـول اللّه بيـده و التفت الى الحاضرين من عشيرته الاقربين و قال:

«إنّ هذا أخى و وصيّى و خليفتى فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له، و أطيعوا».

فقام القوم يضحكون، و يقولون لأبى طالب «قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع و جعله عليك أميرا» «۱».

إن ما كتبناه هو- فى الحقيقـة- خلاصـة لحـديث مفصّل رواه اكثر المفسـرين و المؤرخين بعبارات مختلفـة، و لم يشـكّك فى صـحّته أحد، بل اعتبروه من مسلّمات التاريخ، الا «ابن تيمية» الذى اتخذ موقفا خاص من أهل بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين.

(۲)

خيانة تاريخيّة و جناية أدبيّة!!

إن تحريف الحقائق و قلبها، أو إخفاء الوقائع لهو حقا من أوضح مصاديق

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۶۲ و ۶۳، تاریخ الکامل: ج ۲ ص ۴۰ و ۴۱، مسند أحمد: ج ۱ ص ۱۱۱، و شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۳ ص ۲۱۰ و ۲۱۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۵

الخیانة و الجنایة.

و لقد سلک فریق من الکتّاب المتعصبین عبر التاریخ للاسف مثل هذا الطریق المقبوح، و أسقطوا مؤلّفاتهم العلمیّة و التاریخیّة بارتکابهم خطیئة التحریف فی جملة من الحقائق، من الاعتبار، و هم یخالون ان عملهم قادر علی ان یبقی الحقائق فی هالة الإهمال و الغموض.

إلّا أنّ أمر هؤلاء قد انکشف مع انقضاء الزّمن، و تکامل العلم، و دفع بفریق من أهل التحقیق و الإنصاف الی أن یمزقوا بأطراف اقلامهم حجب الزیف و التحریف و یظهروا الوقائع و الحقائق علی حقیقتها.

(۱) و إلیک فی ما یأتی بعض هذا الخیانات:

۱- لقد ذکر محمّد بن جریر الطبری (المتوفی عام ۳۱۰ ه) فی تاریخه حادثة دعوة الأقربین بشکل مفصّل و علی النحو الذی مرّ علی القارئ الکریم.

بید أنه حرّف فی تفسیره «۱» و کتم، فهو عند تفسیر قوله تعالی: «و أنذر عشیرتک الأقربین» یذکر کلّ ما ذکره فی تاریخه، و لکنّه یغیّر و یبدّل فی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث یقول: «علی أن یکون أخی و وصیّی و خلیفتی»، فهو یکتب فی تفسیره هکذا: «علی أن یکون کذا و کذا».

و لا ریب انّ فی تغییر عبارة «أخی و وصیّی و خلیفتی علیکم (أو فیکم) إلی:

«کذا و کذا» غرضا مریضا، و هو بالتالی خیانة تاریخیة فاضحة.

(۲) علی أن الطبریّ لم یکتف بهذا القدر من التغییر فی کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بل غیّر حتی فی الجملة التی تعقبتها و هی قوله صلّی اللّه علیه و آله بعد أن قام علیّ علیه السّلام للمرة الثالثة و أعلن عن استعداده لمؤازرة النبیّ بعد إحجام القوم و سکوتهم: «إن هذا أخی و وصیّی و خلیفتی» حیث أبدلها بعبارة:

«إنّ هذا أخی و کذا و کذا»!!!

إن علی المؤرخ أن یکون حرا و شهما فی کتابة الحقائق و روایتها، فیثبتها

(۱) تفسیر الطبری: ج ۱۹ ص ۷۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۶

و یرویها کما هی، بکل شجاعة، وحیدة.

و لا ریب ان الذی دفع بالطبریّ إلی أن یرتکب مثل ذلک التبدیل و التغییر هو تعصّبه المذهبی، فهو لا یعتبر الإمام علیّا خلیفة رسول اللّه بلا فصل، و حیث أن تینک الکلمتین: «خلیفتی و وصیّی» تصرّحان بخلافة «علیّ» للنبیّ و وصایته بلا فصل لذلک یغیّر و یبدّل حتی ینتصر لمذهبه بالتحریف فی شأن نزول هذه الآیة أیضا.

(۱) ۲- و لقد فعل ابن کثیر (المتوفی عام ۷۳۲) نظیر هذا فی تاریخه «۱» و کذا فی تفسیره (ج ۳ ص ۳۵۱) و سلک نفس الطریق الذی سلکه- من قبل- سلفه الطبری ضاربا عرض الجدار مبدأ أمانة النقل!!!

و نحن لا نعذر ابن کثیر فی عمله هذا أبدا، لأنه قد اعتمد- فی روایاته التاریخیة، فی تاریخه و تفسیره معا- تاریخ الطبری، لا تفسیره، و

لا شک أنّه قد مرّ على هذه القصة فی تاریخ الطبریّ، و لکنّه مع ذلک حاد عن الطریق السویّ فأعرض عن نقل روایة التاریخ- فی هذه الحادثة- و عمد- بصورة غیر متوقعة- الی نقل روایة التفسیر!!!

(۲) ۳- و الأغرب من تینک الخیانتین ما ارتکبه- فی عصرنا الحاضر- وزیر المعارف المصریة الأسبق الدکتور «هیکل» فی کتابه «حیاة محمّد»، و فتح بعمله باب التحریف فی وجه الجیل الحاضر.

و العجب ان «هیکل» هاجم- فی مقدمته- جماعة المستشرقین بشدة و انتقدهم بعنف لتحریفهم الحقائق التاریخیة، و اختلافهم لبعض الوقائع فی حین لم یقصر عنهم فی هذا السبیل فهو:

(۳) أولا: نقل الواقعة المذکورة (دعوة الاقربین المعروفة بحادثة یوم الدار أو حدیث بدء الدعوة) فی الطبعة الاولی من کتابه المذکور بصورة مبتورة و مقتضبة جدا و اکتفى من الجملتین الحساستین بذکر واحدة منهما فقط و هی: قول النبی مخاطبا

---

(۱) البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۴۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۷

الحضور فی ذلک الیوم: «من یؤازرنی یکون أخی و وصیّی و خلیفتی» بینما حذف بالمرة الجملة التی قالها رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله لعلی بعد أن قام للمرة الثانیة و أعلن موازرته للنبیّ و هی قوله صلّى اللّه علیه و آله: «إنّ هذا أخی و وصیّی و خلیفتی»!!!

(۱) ثانیا: انّه خطى فی الطبعات الثانیة و الثالثة و الرابعة، خطوة أبعد حیث حذف کلتا الجملتین معا و بهذا قد وجّه ضربة کبرى إلى قیمته ککاتب. و قیمة کتابه، کدراسة تاریخیة!!

(۲)

النبوّة و الإمامة توأمان:

إن الاعلان عن وصایة علیّ علیه السّلام و خلافته فی مطلع عهد الرسالة و بدایة أمر النبوّة یفید- بقوة و وضوح- انّ هذین المنصبین لیسا بأمرین منفصلین، ففی الیوم الّذی یعلن فیه رسول اللّه عن رسالته و نبوّته، یعیّن خلیفته و وصیّه من بعده، و هذا یشهد- بجلاء- بأن النبوّة و الإمامة یشکّلان قاعدة واحدة، و أن هذین المنصبین إن هما الّا کحلقتین متصلتین لا یفصل بینهما شیء.

کما أن هذه الحادثة تکشف- من جانب آخر عن مدى الشجاعة الروحیة التی کان یتحلّى بها الإمام امیر المؤمنین «علیّ بن ابی طالب» علیه السّلام، حیث قام- فی مجلس أحجم فیه الشیوخ الدهاة و السادة المجرّبون عن قبول دعوة النبیّ صلّى اللّه علیه و آله خوفا و تهیّبا- و أعلن بکل شجاعة مؤازرته للنبیّ، و استعداده للتضحیة فی سبیل دینه و رسالته و هو آنذاک غلام فی ربیعه الثالث أو الخامس عشر، و ما حابى أعداء الرسالة و لا ماشاهم کما فعل المصلحون من الساسة و الزعماء المتخوّفون على مصالحهم و مراکزهم آنذاک!!!

(۳) صحیح ان «علیّا» علیه السّلام کان فی ذلک الیوم أصغر الحاضرین سنّا إلّا أن معاشرته الطویلة للنبیّ قد هیّأت قلبه لتقبّل الحقائق التی تردّد شیوخ القوم فی قبولها، بل عجزوا عن درکها و فهمها!!

و لقد اعطى ابو جعفر الإسکافی حق الکلام فی هذا المجال اذ قال:

سید المرسلین ،ج۱،ص:۳۹۸

فهل یکلّف عمل الطعام، و دعاء القوم صغیر غیر ممیّز، وغر غیر عاقل، و هل یؤتمن على سرّ النبوة طفل ... و هل یدعى فی جملة الشیوخ و الکهول إلّا عاقل لبیب، و هل یضع رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله یده فی یده، و یعطیه صفقة یمینه بالاخوة و الوصیّة، و الخلافة، الا و هو أهل لذلک، بالغ حدّ التکلیف، محتمل لولایة اللّه، و عداوة أعدائه، و ما بال هذا الطفل لم یأنس بأقرانه و لم یلصق بأشکاله، و لم یر مع الصبیان فی ملاعبهم بعد اسلامه، و هو کأحدهم فی طبقته کبعضهم فی معرفته، و کیف لم ینزع إلیهم فی ساعة

من ساعاته بل ما رأيناه إلا ماضيا على اسلامه، مصمما فى أمره، محققا لقوله بفعله، قد صدّق اسلامه بعفافه و زهده، و لصق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بين جميع من حضرته فهو أمينه و أليفه فى دنياه و آخرته «۱».

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ۱۳ ص ۲۱۵ و ۲۹۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۳۹۹

(۱)

۱۵ الدعوة العامّة

اشارة

كان قد انقضى ثلاث سنوات على بدء البعثة يوم عمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى دعوة الناس عامة بعد دعوة عشيرية الاقربين.

فقد استطاع خلال السنوات الثلاث الاولى من عمر الدعوة أن يهدى- من خلال الاتصالات السرية- مجموعة من الاشخاص إلى الإسلام و لكنّه دعا هذه المرّة و بصوت عال عامة الناس إلى دين التوحيد.

فقد وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا و نادى بصوت عال:

يا صباحاه (و هى كلمة كانت العرب تطلقها كلّما أحسّت بخطر، أو بلغها نبأ مرعب فكانت هذه الكلمة بمثابة جرس الخطر) «۱» فلفت نداء النبى صلّى اللّه عليه و آله هذا نظر الناس فاجتمع حوله جماعة من أبناء القبائل المختلفة و قالوا له:

مالك؟

فقال صلّى اللّه عليه و آله: أ رأيتكم إن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقوننى؟

(۱) قال الجزرى فى النهاية: ج ۲ ص ۲۷۱: صعد النبى صلّى اللّه عليه و آله على الصفا و قال:

يا صباحاه؛ هذه كلمة يقولها المستغيث، و أصلها إذا صاحوا للغارة لانهم اكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح و يسمّون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۰

قالوا: بلى.

قال: فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

ثم قال: إنما مثلى و مثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف: وا صباحاه «۱».

و لقد كانت قريش تعرف عن دينه بعض الشىء، قبل هذا و لكنها تملّكها الخوف هذه المرة، و هى تسمع ذلك الانذار القوىّ فبادر أحد قادة الكفر إلى تبديد تلك المخاوف فورا إذ قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: تبّا لك، أ لهذا دعوتنا؟، و تفرّق على أثرها الناس.

(۱)

الثبات و الاستقامة على طريق الهدف:

إن نجاح أىّ شخص مرهون بأمرين:

الأول: الايمان بالهدف.

و الثاني: الاستقامة و الثبات و السعی الدائب لتحقيق ذلک.

إنّ الإیمان هو المحرّک الباطنی و القوة الخفیة التی تجر الإنسان شاء أم لم یشأ نحو الغایة التی یتوخاها، و تسهّل علیه الصعاب، و تدعوه إلی العمل الدائب لتحقیق مقصوده، لأن شخصا کهذا یعتقد اعتقادا قویّا بأنّ سعادته، و مجده یتوقّفان علی ذلک.

و بعبارة اخری: إذا آمن انسان بأن سعادته و مجده یتوقفان علی تحقیق هدف معیّن فانه سیندفع بقوة الإیمان نحو تحقیق ذلک الهدف، متجاوزا کل الصعاب، و متحدیا کل المشکلات فی ذلک السبیل.

فالمریض الذی یری شفاءه فی شرب دواء مرّ مثلا سیستسهل شربه.

و الغوّاص الذی یعتقد اعتقادا جازما بأن ثمّة دررا غالیة الثمن تحت أمواج البحر سیلقی بنفسه فی قلب تلک الأمواج دون ما خوف أو وجل، لیخرج منها بعد

---

(۱) السیرة الدحلانیة بهامش السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۱۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۰۱

دقائق ظافرا بأغلی الجواهر.

بینما إذا کان المریض أو الغوّاص یشکّ فی عمله، أو یعتقد بعدم فائدته، فانّه لن یقدم علیه قط و اذا ما أقدم فان عمله سیکون حینئذ مقرونا بالجهد و العناء.

فقوة الإیمان اذن هی التی تذلّل کل مشکل، و تسهّل کلّ صعب.

غیر أنه لا ریب فی أنّ الوصول إلی الهدف لا یخلو من مشکلات و موانع، فلا بدّ من السعی لرفع تلک الموانع، و إزالة تلکم المشکلات.

و قد قیل قدیما: أنّ مع کل وردة أشواک، فکیف یمکن قطف وردة دون أن تدمی أنامل القاطف بالأشواک المحیطة بها؟؟

هذا و قد بیّن القرآن الکریم هذه المسألة (و هی ان رمز السعادة هو: الإیمان بالهدف و الثبات فی طریق تحقیقه) فی جملة قصیرة اذ قال:

«إِنَّ الَّذِینَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَیْهِمُ الْمَلائِکَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «۱».

(۱)

ثبات النبی صلّی اللّه علیه و آله و صبره:

لقد أدّت اتّصالات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الخاصّة. قبل الدعوة العامة، و جهوده الکبری بعد الجهر بالدعوة، إلی ظهور و تکوین صفّ مرصوص من المسلمین فی وجه صفوف الکفر، و الوثنیة.

فالّذین دخلوا سرّا فی حوزة الإسلام و الإیمان قبل الدعوة العامّة تعرّفوا علی المسلمین الجدد الذین لبّوا داعی الإسلام بعد إعلان الرسالة، و شکّل القدامی و الجدد جماعة قویة متعاطفة متحاببة، و کان ذلک بمثابة إنذار لأوساط الکفر و الشرک و الوثنیة، أربکها و جعلها تشعر بالخطر.

علی أنّ ضرب نهضة ناشئة و القضاء علیها کان أمرا سهلا لقریش، و لکنّ الذی أرعب قریشا و منعها من توجیه مثل هذه الضربة هی أنّ أفراد هذه

---

(۱) فصّلت: ۳۰.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۰۲

الجماعـة، و عناصـر هـذه النهضة لم يكونوا من قبيلة واحدة، ليمكن مواجهتها و ضـربها بكلّ قوة، بل انتمى من كل قبيلة إلى الإسـلام، عدد من الأفراد، و من هنا لم يكن اتّخاذ أیّ قرار حاسم بحقّهم أمرا سهلا و بسيطا.

(۱) من هنا قرّر سادة قريش و كبراؤها- بعـد تـداول الأمر فى ما بينهم- أن يبـدءوا بالقضاء على أساس هـذه الجماعـة، و محرّك هـذا الحزب، و الـداعى إلى هذه العقيدة بمختلف الوسائل فيحاولوا ثنيه عن دعوته بالاغراء و التطميع تارة و يمنعوا من انتشار دينه بالتهديد و الايذاء تارة اخرى.

و قد كان هذا هو برنامج قريش و موقفها من الدعوة طيلة عشـر سنوات و هى المدة المتبقية من سنوات البعثة من الفترة المكية، الى ان قررت بالتالى قتله، و لكنه استطاع ان يبطل مؤامرتهم بالهجرة إلى المدينة قبل أن يتمكنوا من القضاء عليه.

(۲) و لقد كان «أبو طالب» آنذاك زعيم بنى هاشم و رئيسها المطلق، و كان رجلا طاهر القلب عالى الهمّة، شجاعا، كريما، و كان بيته ملجأ دافئا للمحرومين و المستضـعفين، و ملاذا أمينا للفقراء و الأيتام، و كان يتمتع فى المجتمع العربى- علاوة على رئاسة مكة و بعض مناصب الكعبـة- بمكانـة كبرى و منزلـة عظيمة، و حيث أنّه كان كفيلا لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بعد وفاة جدّه «عبد المطلب»، لذلك حضر سادة قريش بصورة جماعية «۱» عنده و قالوا له:

«يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، و عاب ديننا، و سفّه أحلامنا و ضلّل آباءنا، فأمّا أن تكفّه عنّا، و إما أن تخلّى بيننا و بينه».

(۳) و لكن «أبا طالب» قال لهم قولا رفيقا و ردّهم ردّا جميلا حكيما، فانصرفوا عنه.

بيد أنّ نفوذ الإسلام و انتشاره كان يتزايد باستمرار، و كانت جاذبيّة الدّين المحمّدى، و بيان القرآن البليغ يساعدان على ذلك، فيترك اثره فى الناس،

---

(۱) ادرج ابن هشام فى سيرته: ج ۱ ص ۲۶۴ و ۲۶۵ اسماءهم بالتفصيل.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۰۳

و خاصـة فى الأشـهر الحرم حيث تفـد الحجيـج على مكـة من مختلف أنحـاء الجزيرة، و كـان النـبىّ صـلّى اللّه عليه و آله يعرض دينه عليهم، فكـانت أحـاديثه الجذّابـة، و كلمـاته البليغـة، و دينه المحبّب تـؤثر فى قلـوب كـثير منهم، فيميلـون إلى الإسـلام و يقبلون دعوة الرسول.

(۱) و هنا أدرك طغاة مكـة و فراعنتها أن «محمّـدا» قـد بـدأ يفتح له مكانا فى قلوب جميع القبائل، و أصبح له انصار و أتباع فى كثير منها، ممّا دفعهم مرّة اخرى إلى الحضور عنـد «أبى طالب» حاميه الوحيـد، و تـذكيره بالإشارة و التصـريح بالاخطار المحدقة باسـتقلال المكّيين و عقائدهم نتيجة نفوذ الإسلام و انتشاره فقالوا له أجمع:

يا أبا طالب، إن لك سنّا، و شـرفا، و منزلة فينا، و إنّا قد اسـتنهيناک من ابن اخيك فلم تنهه عنّا، و إنا و اللّه لا نصبر على هذا من شـتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنّا، أو ننازله و إيّاک فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

(۲) فـأدرک حامى الرّسول الوحيـد- بـذكائه و فطنته- أنّ عليه أن يصبر أمام جماعـة ترى وجودها، و مصالحها فى خطر، من هنا عمد إلى مسالمتهم و ملاطفتهم، و وعـد بأن يبلغ ابن اخيه «محمّـد» كلامهم. و قـد كان هـذا محاولة من «أبى طالب» لتسـكين غضب تلك الجماعة الغاضبة و إطفاء نائرتهم، و تهدئة خواطرهم، ليتمّ معالجة هذه المشكلة- بعد ذلك- بطريقة أصح، و أفضل.

و لهـذا أقبل- بعـد خروج تلك الجماعـة من عنـده- على ابن اخيه، و ذكر له ما قال له القوم، و هو يريد- بذلك ضـمنا- اختبار إيمان «محمّد» بهدفه، فكان الردّ العظيم، و الجواب الخالد الذى يعتبر من أسطع و ألمع السطور فى حياة قائد الإسـلام الاكبر «محمّد» رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و آله، حيث قال لعمّه بعد أن سمع مقالة قريش:

«يا عمّ، و اللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى، و القمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه، أو اهلك فيه، ما تركته».

ثم اغرورقت عيناه الشريفتان بدموع الشوق و الحب للهدف، و قام و ذهب

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۴

من عند عمه.

و كان لتلك الكلمات الصادقة النافذة أثر عجيب فى نفس زعيم مكة و سيدها الوقور بحيث نادى ابن اخيه، و أظهر له استعداده الكامل للوقوف الى جانبه، و الحدب عليه رغم كل المخاطر، و المتاعب التى كانت تكمن له اذ قال:

«اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فو اللّه لا اسلمك لشىء أبدا».

(۱)

قريش تمشى إلى أبى طالب للمرّة الثالثة:

لقد أقلق انتشار الإسلام المتزائد قريشا، و دفعها إلى التفكير فى حيلة، فاجتمع أشرافها و سادتها للتشاور مرّة اخرى و قالوا:

لعل كفالة أبى طالب لمحمّد هى التى تدفعه إلى الدفاع عنه و حمايته و الوقوف الى جانبه فى دعوته، فكيف لو مشوا إليه بأجمل فتيان مكة، و طلبوا منه أن يأخذه بدل «محمّد» و يسلّمه إليهم ليروا فيه رأيهم، و لهذا مشوا الى أبى طالب بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له:

يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش و أجمله، فخذه فلك عقله و نصره، و اتخذه ولدا فهو لك، و أسلم إلينا ابن أخيك هذا، الّذى فرّق جماعة قومك، و سفّه أحلامهم فنقتله، فانما هو رجل برجل!!

فأجابهم أبو طالب و هو مستاء من هذه المساومة الظالمة:

«هذا و اللّه لبئس ما تسوموننى! أ تعطونى ابنكم أغذوه لكم، و اعطيكم ابنى تقتلونه، هذا و اللّه ما لا يكون أبدا».

فقال «المطعم بن عدى بن نوفل»: و اللّه يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا.

فأجابه أبو طالب قائلا: و اللّه ما أنصفونى و لكنّك قد أجمعت خذلانى، و مظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك «۱».

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۷ و ۶۸، السيرة النبوية لابن هشام: ج ۱ ص ۲۶۶ و ۲۶۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۵

(۱)

قريش تحاول تطميع رسول اللّه!

و لما علمت قريش بأنه لا يمكن ارضاء «أبى طالب» بخذلان ابن اخيه «محمّد»، فهو و إن كان لا يتظاهر بالإسلام، إلّا أنه يكنّ لابن أخيه، ودّا عميقا، و محبة كبرى من هنا قرّروا بأن يتركوا مفاوضة، إلّا أنهم فكّروا فى خطة اخرى و هى أن يحاولوا إثناء النبىّ عن المضىّ فى دعوته بتطميعه بالمناصب، و الهدايا، و الأموال و الفتيات الجميلات، و لهذا مشوا الى بيت «أبى طالب» و دخلوا عليه و محمّد جالس إلى جنبه فتكلّم متكلّمهم و قال: يا محمّد انا بعثنا إليك لنكلّمك، فانا و اللّه لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء، و عيبت الدين، و سببت الآلهة، و سفهت الاحلام، و فرقت الجماعة و لم يبق امر قبيح الّا أتيته

فيما بيننا و بينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثر مالا، و ان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسوّدك و نشرّفك علينا، و ان كان هذا الذى ياتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طبك.

(۲) فقال ابو طالب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك، يزعمون انك تشتم آلهتهم و تقول و تقول؟

فتكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: يا عم أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب و تؤدى إليهم بها العجم الجزية.

ففزعوا لكلمته، و لقوله فقال القوم كلمة واحدة: نعم و أبيك عشرا.

قالوا: فما هى، فقال أبو طالب: و أى كلمة هى يا ابن أخى؟

قال: «لا إله الّا اللّه».

فكان هذا الرد مفاجئة قوية لذلك الفريق الذى يأمل فى صرف النبى صلّى اللّه عليه و آله عن هدفه، و لهذا قاموا فزعين ينفضون ثيابهم و هم يقولون: «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب» «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۳، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۶۵ و ۶۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۶

(۱)

نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين:

يوم صدع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما امر، و جهر بدعوته للناس و أيس سادة قريش من قبوله لأىّ اقتراح من اقتراحاتهم بعد ما سمعوه يقول: «و اللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه ما تركته» بدأ فى الحقيقة واحدا من أشدّ فصول حياته، و اكثرها متاعب و مصاعب، لأن قريشا كانت لا تزال إلى ذلك الوقت تراعى حرمته و تحترمه، و تسيطر على أعصابها، و لكنها عند ما فشلت فى خططها لجرّه إلى مساومتها اضطرّت إلى تغيير نهجها و اسلوبها معه لتقف دون انتشار دينه مهما كلّف من الثمن مستفيدة فى هذا السبيل من كل الوسائل الممكنة.

من هنا قرّر سادة قريش بالاجماع أن يتوسّلوا بسلاح الاستهزاء و السخرية، و الإيذاء و التهديد، بهدف صرفه عن المضىّ فى دعوته «۱».

و لا يخفى أن المصلح الذى يفكر فى هداية العالم البشرىّ كله يجب ان يتزود بقدر كبير من الصبر و التحمل، أمام جميع المشكلات و المتاعب، و المكاره و الشدائد ليتغلب عليها شيئا فشيئا، كما كان دأب كل المصلحين الآخرين.

و نحن هنا نورد طرفا من أذى قريش لرسول اللّه و أتباعه ليتضح مدى صبر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و ثباته، و استقامته على طريق الدعوة.

(۲) و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتمتع- مضافا إلى العامل الروحى و المعنوىّ الباطنى الذى كان يساعده من الداخل أعنى الإيمان و الصبر و الاستقامة و الثبات- بعامل خارجىّ تولّى حراسته و حمايته و ذلك حماية بنى هاشم، و على رأسهم أبو طالب له صلّى اللّه عليه و آله، لأنه عند ما عرف «ابو طالب» بعزم قريش القاطع على إيذاء ابن أخيه (محمّد) دعا بنى هاشم عامة، و طلب منهم جميعا حماية النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و القيام دونه، فلبّوا نداء سيّدهم، و أجابوه

---

(۱) راجع لمعرفة ابرز من كان يؤذى النبىّ و المسلمين المحبر: ص ۱۵۷ و ۱۶۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۷

إلى ما دعاهم من حماية رسول اللّه و حراسته بعض بدافع الايمان و آخر بدافع الرحم، الّا «أبو لهب» و رجلان آخران انضموا الى اعداء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و لكن هذا السياج الدفاعىّ لم يقدر- مع ذلك- على صيانته صلّى اللّه عليه و آله من بعض الحوادث المرّة، لأنّ قريشا ألحقت به الأذى، و أنزلت به مكروها، كلما وجدته وحيدا بعيدا عن أعين حماته.

و إليك فيما يأتى بعض النماذج من ذلك الأذى:

(۱) ۱- مرّ «أبو جهل» برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند الصفا، فاذاه و شتمه و نال منه ببعض ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف لأمره، فلم يكلّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مولاة لعبد اللّه بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث «حمزة بن عبد المطلب» رضى اللّه عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلّا وقف و سلّم و تحدّث معهم، و كان أعز فتى فى قريش، و أشدّ شكيمة. سيد المرسلين ج۱ ۴۰۷ نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين: ..... ص : ۴۰۶

۲) فلما مرّ بالمولاة، و قد رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة (و تلك هى كنيته) لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمّد آنفا من أبى الحكم بن هشام (و تعنى أبا جهل): وجده هاهنا جالسا فاذاه و سبّه، و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

فغضب «حمزة» لذلك، فخرج يسعى و لم يقف على أحد معدّا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسا فى القوم، فاقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجة منكرة، ثم قال: «أ تشتمه و أنا على دينه أقول ما يقول. فردّ ذلك علىّ أن استطعت».

فقامت رجال من بنى مخزوم إلى «حمزة» لينصروا «أبا جهل» فقال أبو جهل:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۰۸

دعوا أبا عمارة فانى قد سببت ابن أخيه سبّا قبيحا «۱». و بهذا منع «أبو جهل» الذى كان ممن يدرك خطورة مثل هذه المواقف من وقوع شجار و قتال.

(۱) إنّ التاريخ الثابت و المسلّم يشهد بأنّ وجود رجال ذوى بأس و قوة بين صفوف المسلمين مثل «حمزة» الذى أصبح فى ما بعد من كبار قادة الإسلام، قد كان له أثر كبير فى حفظ الإسلام، و الحفاظ على حياة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و دعم جماعة المسلمين، و تقوية جناحهم، فهذا ابن الاثير «۲» يقول عن حمزة: لما اسلم حمزة عرفت قريش أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد عزّ و امتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه.

من هنا أخذت قريش تفكّر فى إعداد خطط اخرى لمواجهة قضية الإسلام و المسلمين، سنذكرها فى المستقبل.

(۲) هذا و يرى بعض المؤرّخين مثل ابن كثير الشامى «۳» على أن ردود فعل إسلام «أبى بكر» و «عمر» و أثرهما لم تكن بأقلّ من تأثير إسلام «حمزة»، و انّ الدين قوى جانبه باسلام هذين الرجلين، و كسب المسلمون بذلك القوة و الحريّة فى العمل و التحرك، و الحقيقة انه لا شك فى انه لكل فرد تأثيره فى تقوية و دعم الإسلام، إلّا أنه لا يمكن- القول بحال بأن تأثير إسلام الشيخين كان يعدل تأثير إسلام «حمزة»، فإن «حمزة» ما ان سمع بأن قريشا أساءت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الّا و توجه، من دون أن يعرّج على أحد، إلى المسىء و انتقم منه فى الحال أشدّ انتقام، و لم يجرأ أحد على الوقوف فى وجهه و منع المسىء منه، و من غضبه و انتقامه، بينما يكتب ابن هشام فى سيرته عن «أبى بكر» امرا يكشف عن أن «أبا بكر» يوم دخل فى صفوف المسلمين لم يكن قادرا على حماية

نفسه، و لا على الدفاع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله. (۳) و إليك نصّ الواقعة:

مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم على جماعة من قريش و هم جلوس عند الحجر، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، و أحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول:

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۲، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۲.

(۲) الكامل لابن الاثير: ج ۲ ص ۵۶.

(۳) البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۶ و ۳۲.

كذا و كذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم و دينهم فيقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: نعم أنا الذى أقول ذلك، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه (و هم يقصدون قتله) فقام «أبو بكر» دونه و هو يبكى و يقول: أ تقتلون رجلا يقول ربّى اللّه؟

فانصرفوا عنه (و لم يقتلوه لأمر رأوه)، فرجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى منزله، و رجع «أبو بكر» يومئذ و قد صدعوا فرق رأسه «۱».

(۱) إن هذه الرواية التاريخية اذا دلّت على مشاعر الخليفة تجاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا أنها تدل قبل أى شىء على عجزه و ضعفه.

إنه يدلّ على أنه لم يملك ذلك اليوم لا أية مقدرة بدنية و روحية، و لا أية مكانة اجتماعية ترهب، و حيث أنّ إلحاق الأذى بشخص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان ينطوى- فى نظر قريش ذلك على عواقب لا تحمد- لذلك تركوا رسول اللّه، و وجّهوا ضربتهم إلى رفيقه و صدعوا فرق رأسه.

و لو أنك قارنت بين هاتين الحادثتين و قايست بين موقف «حمزة» الشجاع و موقف الخليفة الأوّل هذا لاستطعت أن تقضى بسهولة بأنّ عزة الإسلام و قوة المسلمين، و تعزيز موقفهم، و خوف الكفار كان يعود إلى إسلام أىّ واحد من ذينك الرجلين؟

(۲) هذا و ستقرأ فى القريب العاجل كيفية إسلام «عمر». و سترى بأنّ إسلامه- كاسلام صديقه- لم يزد هو الآخر من قدرة المسلمين الدفاعية، و أنهم بالتالى لم يعتزوا باسلامه.

فيوم أسلم «عمر» كاد أن يقتل لو لا «العاص بن وائل السهمى» لأنه هو الذى خاطب الذين قصدوا قتل «عمر» قائلا: رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون منه؟ أ ترون بنى عدىّ بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلّوا عن الرجل» «۲».

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۸۹ و ۲۹۰، و قد ذكر الطبرى فى تاريخه: ج ۲ ص ۷۲ قصة صدع رأس أبى بكر بالتفصيل فراجع.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۴۹.

إن هذه العبارة التى قالها «العاص» لانقاذ الخليفة الثانى من أيدى الذين اجتمعوا على قتله تفيد- بوضوح- أن الخوف من قبيلة «عمر» هو الذى كان وراء تركهم إياه و عدم قتله، و قد كان دفاع القبائل عن أبنائها سنة فطرية و عادة متعارفة يومذاك و كان يتساوى فيها الكبير و الصغير، و الشريف و الوضيع.

أجل إن بنى هاشم هم كانوا- فى الواقع- الحصن الحقيقى للمسلمين، و قد كان القسط الأكبر من هذا الأمر يتحمله «أبو طالب» و ذووه، و إلّا فانّ الاشخاص الآخرين الذين كانوا ينضمّون إلى صفوف المسلمين لم يكن لديهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، فكيف بالدفاع عن الإسلام و جماعة المسلمين ليقال: أن المسلمين اعتزوا بهم؟

(۱)

أبو جهل يكمن لرسول اللّه:

لقد أغضب تقدم الإسـلام المطرد قريشا بشدة فلم يمرّ يوم دون أن يبلغهم نبأ عن انضمام واحد من أفراد قريش الى صفوف المسلمين و لأجل هذا راح مرجل الغضب و الحنق على النبى صـلّى اللّه عليه و آله يغلى فى نفوسـهم، فهذا فرعون مكة «أبو جهل» يقول لقريش فى مجلس من مجالسـهم: يا معشـر قريش إن محمّدا قد أبى إلّا ما ترون من عيب ديننا، و شتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا، و شتم آلهتنا، و إنى اعاهد اللّه لأجلسنّ له غدا بحجر ما اطيق حمله فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه.

(۲) فلما كان من غـد أخذ «أبو جهل» حجرا كما وصف ثم جلس لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ينتظره، و غدا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله على عادته و وقف للصـلاة بين الركن اليمانىّ و الحجر الأسود، و غـدت تلك الجماعة من قريش فجلست فى أنديتها تنتظر مـا ابو جهـل فاعـل، فلما سـجد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أحتمل «أبو جهل» الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعـا لونه، مرعوبـا و قـذف الحجر من يـده، فقامت إليه رجال من قريش و قالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ فقال بصوت ضـعيف يطفح بالخوف و الرعب: قمت إليه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱۱

لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه ما لا رأيت مثله حياتى، فتركته!! «۱».

إنه ليس من شـك فى أنّ قوة غيبيّـة أدركت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بأمر اللّه تعالى فى تلك اللحظـة، و صوّرت ذلك المنظر الرهيب و حفظت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما وعده تعالى وعدا لا خلف فيه اذ قال: «إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «۲».

(۱) و هناك نماذج كثيرة من أذى قريش لشـخص رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله سـجّلها التاريخ فى صفحاته، و قد عقد «ابن الأثير» «۳» فصـلا خاصّا لهذا الموضوع ذكر فيه أسـماء أعداء رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الألدّاء، فى مكّة، و بيّن أنواع ما كانوا يؤذون به النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله، و ما قد مرّ ذكره فى الصـفحات السابقة ما هو إلّا أمثلة على ذلك، فقد كان صلّى اللّه عليه و آله يواجه فى كل يوم نوعا خاصا من الأذى، و المضايقة.

فقد روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يطوف ذات يوم فشتمه «عاقبة بن أبى معيط» و ألقى عمامته فى عنقه، و جرّه من المسجد، فأخذوه من يده، خوفا من بنى هاشم «۴».

ابو لهب يؤذى رسول اللّه:

(۲) و لقد تعرّض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأذى لا مثيل له من جانب عمه «أبى لهب» و زوجته «أم جميل» و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجاورهم، فلم يألوا جهدا فى إزعاجه و إيذائه فكم من مرّة و مرة ألقيا الرماد

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۹۸ و ۲۹۹.

(۲) الحجر: ۹۵.

(۳) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۴۷ كما و عقد المجلسى رحمه اللّه فى البحار: ج ۱۸ بابا خاصا بعنوان: «باب المبعث و اظهار الدعوة و ما لقى صلّى اللّه عليه و آله من القوم» راجع من صفحة ۱۴۸ الى صفحة ۲۴۳

(۴) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۹۳ نظيره.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۱۲

و التراب على رأسه الشريف و ثيابه. و كم من مرّة نشرت أم جميل الشوك على طريقه، أو جمعته خلف باب بيته لتؤذيه عند الخروج.
و لا شك ان معارضة انسباء النبى و اقربائه لدعوته المباركة، و ايذاؤهم اياه كان اكثر ايلاما لنفسه الشريفة، و اشد وقعا عليها، حتى اننا نجد القرآن يخص أبا لهب باللعن و يسميه بصورة خاصة مما يكشف عن هذه الحقيقة اذ يقول:
«تَبَّتْ يَدا أَبِى لَهَبٍ وَ تَبَّ. ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ. سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ. وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» «۱».

صبر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و استقامته:

و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يواجه كل ذلك الأذى و ما شابهه من التحجحات التى سنشير إليها بصبر عظيم، و ثبات تتعجب منه الجبال الشماء، و ذلك اولا إيمانا منه برسالته.

(۱)

إيذاء المسلمين و تعذيبهم!

اشارة

يرجع تقدم الإسلام فى مطلع عهد الرسالة إلى عوامل منها: ثبات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه، و ثبات اتباعه و أنصاره.
و لقد تعرّفنا- فى ما سبق- على أمثلة و نماذج من ثبات قائد الإسلام الاكبر و صبره، و استقامته فى ما لقى من أذى و مضايقة.
على أن ثبات أنصاره و اتباعه الذين آمنوا فى مكّة (مركز الحكومة الوثنية آنذاك) هو الآخر ممّا يدعو إلى الإعجاب و يستحق الاحترام. و سنذكر صمودهم و ثباتهم فى حوادث ما بعد الهجرة فى محله.
و أمّا هنا فنسلّط الضوء على حياة عدد من أتباع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله القدامى الذين تحملوا أشد أنواع العذاب و كانوا يعيشون فى المحيط المكى

---

(۱) المسد: ۱- ۵.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۱۳

حيث لم يكن ملجأ لهم يلجئون إليه، و هاجروا منه لأغراض الدعوة و التبليغ بعد أن تحملوا شيئا كثيرا من الإيذاء و التعذيب على أيدى المشركين و الوثنيين القساة.

(۱)

۱- بلال الحبشى:

كان أبواه ممّن اسروا فى الجاهلية و جىء بهم من الحبشة إلى جزيرة العرب ثم الى مكة.
و أما بلال الذى اصبح فى ما بعد مؤذن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فقد كان غلاما ل «اميّة بن خلف» الذى كان من أشدّ أعداء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و حيث أنّ عشيرة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله تولّت الدفاع عنه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته و لم يمكن لاميّة إلحاق الأذى برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عمد الى تعذيب غلامه بلال الذى أسلم، أمام الناس، بأشد أنواع الأذى و التعذيب انتقاما، و تشفيا.

فقد كان يطرح بلالا عاريا على الأحجار و الصخور الملتهبة فى الهاجرة، و يضع صخرة على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد، و تعبد اللّات و العزّى، فيقول و هو فى ذلك البلاء و المحنة الشديدة: أحد أحد «۱».

(۲) و لقد أثار ثبات هذا الغلام الأسود و جلده و صبره على أذى سيّده، إعجاب الآخرين، حتى أن «ورقة بن نوفل» مرّ عليه و هو يعذّب بذلك و هو يقول: أحد أحد، أقبل على «اميّة» و من يصنع به ذلك من «بنى جمح» فيقول: احلف باللّه لئن قتلتموه على هذا لاتخذنّه حنانا (أى لأجعلنّ قبره متبرّكا و مزارا) «۲».

و ربما زاد «اميّة» من تعذيبه لبلال فربط حبلا بعنقه و ترك الصبيان يديرون به فى الازقة و السكك «۳».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱۷ و ۳۱۸.

(۲) السيرة النبوئة: ج ۱ ص ۳۱۸.

(۳) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۳ ص ۲۳۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۱۴

و قد اسر «اميّة» و ابنه فى معركة «بدر» و كانا أول من اسرا من المشركين، و لم يوافق بعض المسلمين على قتلهما و لكن بلالا قال: «رأس الكفر اميّة بن خلف لا نجوت إن نجا». و أدّى إصرار بلال على قتلهما إلى قتل اميّة و ابنه جزاء أعمالهما الظالمة.

(۱)

۲- آل ياسر رمز الصمود و المقاومة!

كان «عمار» و والده من السابقين الى الإسلام فهم أسلموا يوم كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يلتقى بأصحابه و يدعو الى الإسلام فى بيت «الارقم بن أبى الارقم»، و عند ما عرف المشركون بانضمامهم إلى صفوف المسلمين عمدوا إلى إيذائهم و تعذيبهم و لم يألوا جهدا فى ذلك أبدا.

فقد كان المشركون يخرجون «عمارا» و اباه «ياسر» و امّه «سمية» فى وقت الظهيرة الى رمضاء مكة ليقضوا ساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة، و فوق الرّمال الملتهبة و الصخور المتّقدة كأنّها الجمرات.

و قد تكرّر هذا العذاب مرّات عديدة حتى أودى بحياة «ياسر» فقضى نحبّه على تلك الحال.

و قد خاشنت زوجته «سميّة» أبا جهل و كلمته فى زوجها بغليظ القول، فطعنها اللعين برمح فى قلبها فقضت- هى الاخرى- نحبّها، و كانا أول شهيدين فى الإسلام «۱».

و قد آلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما شاهده من حالهما و هما يعذّبان بأشد أنواع العذاب فقال لهما و لولديهما «عمّار» و هو يصبّرهم، و الدموع تنحدر على خدّيه:

«صبرا آل ياسر فانّ موعدكم الجنة» «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۴۱ و السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۰، السيرة الدحلانية بهامش السيرة.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۰۰، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۲۳۸ و ۲۳۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۵

(۱) و بعد أن قضی والدا «عمّار» نحبهما تحت التعذیب بالغ المشرکون القساة فی تعذیب «عمّار» و إیذائه و التنکیل به، و أخذوا یعذّبونه علی نحو ما کانوا یعذّبون به بلالا، و هم یقصدون قتله، و إلحاقه بأبویه!! أو یتبرأ من دین النبی صلّی اللّه علیه و آله، فاضطر الی أن یعطیهم ما یریدون و یظهر الرجوع عن الإسلام، إبقاء علی نفسه، و تقیّة منهم فترکوه، و انصرفوا عن قتله، و لکنه سرعان ما ندم علی فعله من التظاهر بترک الإسلام و تأثّم من ذلک فجاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یبکی، فقال له النبیّ: کیف تجد قلبک؟ قال: مطمئن بالایمان قال:

ان عادوا فعد، فنزلت الآیة التالیة فی ایمان عمّار: «إِنَّما یَفْتَرِی الْکَذِبَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْکاذِبُونَ مَنْ کَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلَّا مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ» «۱» «۲».

(۲) هذا و روی أنّ أبا جهل حینما قصد تعذیب «آل یاسر» و کانوا أضعف من بمکة أمر بسوط و نار ثم سحبوا عمارا و أبویه علی الأرض، فکان یکوی بطرف السیف و الخنجر المحمی بالنار المشتعلة أبدانهم، و یضربهم بالسوط ضربا شدیدا.

و قد تکرّر هذا العمل القاسی کثیرا حتی استشهد «یاسر» و زوجته «سمیّة» علی أثر ذلک التعذیب المریر، و لکن دون أن یفتئا حتی النفس الآخر عن مدح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الاشادة بدینه.

و لقد أثار هذا المنظر المؤلم مشاعر فتیان من قریش فأقدموا- رغم عدائهم للإسلام و مشارکتهم لغیرهم من المشرکین فی بغض الرسول- علی تخلیص «عمار» الجریح المنهک عذابا من براثن «أبی جهل» لیتمکن من مواراة أبویه الشهیدین.

(۳)

۳- عبد اللّه بن مسعود:

تشاور المسلمون فی ما بینهم فی مقرّهم السری فی من یجهر بالقرآن علی مسامع قریش، فی المسجد الحرام لأنها لم تسمع منه شیئا إذ قالوا: و اللّه ما سمعت قریش

---

(۱) النحل: ۱۰۵ و ۱۰۶.

(۲) الدّر المنثور: ج ۴ ص ۱۳۲ عند تفسیر الآیتین المذکورتین.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۶

هذا القرآن یجهر لها قط فمن رجل یسمعهموه؟

فأبدی «ابن مسعود» استعداده للقیام بهذه العملیة الجریئة، و تلاوة القرآن علی مسامع قریش فی المسجد الحرام بصوت عال.

فقالوا: إنّا نخشاهم علیک، إنّما نرید رجلا له عشیرة یمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال: دعونی فان اللّه سیمنعنی.

ثم غدا «ابن مسعود» حتی أتی المقام فی وقت الضحی و قریش فی اندیتها حتی قام عند المقام ثم قرأ: «بسم اللّه الرحمن الرحیم» رافعا بها صوته، «الرّحمن علّم القرآن» و هکذا استمر یقرأ بقیة آیات تلک السورة المبارکة.

فارعبت عبارات القرآن الفصیحة القویة قلوب سراة قریش، و لکی یمنعوا من تأثیر هذا النداء الالهیّ العظیم قاموا إلیه جمیعا و جعلوا یضربونه فی وجهه، و جعل هو یقرأ حتی بلغ منها ما شاء اللّه أن یبلغ ثم عاد إلی اصحابه و قد ادمی وجهه و جسمه، و هو مسرور لإسماع قریش کتاب اللّه تعالی و آیاته المبارکة «۱».

إنّ الّذین صـمدوا فی أشد الأیام و أصـعبها فی مطلع عهد البعثة من المسلمین الأوائل لا شک اکثر ممّن ذکرنا اسماءهم إلّا أننا اکتفینا بهذا القدر رعایة للاختصار.

(۱)

۴- أبو ذر: أوّل المجاهدین بالإسلام

کان «أبو ذر» رابع أو خامس من أسـلم «۲»، و علی هذا فهو من الذین أسـلموا فی الأیّام الاولی من بزوغ شمس الإسلام و طلوع فجره، فإذن هو من السابقین إلی الإسلام.

و قد صرح القرآن الکریم بأنّ للذین سبقوا إلی الإیمان برسول اللّه فی بدء

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱۴.

(۲) اسد الغابة: ج ۱ ص ۳۰۱، الإصابة: ج ۴ ص ۶۴، الإستیعاب: ج ۴ ص ۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۷

بعثته و بالتالی فإن للسابقین عند اللّه تعالی مکانة عظیمة، و مقاما لا یضاهی إذ قال تعالی:

«السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ» «۱».

و قال تعالی فیهم أیضا.

«وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ» «۲».

و قال تعالی کـذلک فی من آمن قبل فتـح مکـة و فضـلهم، و مکانتهم المعنویة المتفوقة علی من أسـلم بعد اعتزاز الإسـلام، و اشـتداد أمره، و قیام دولته یعنی أنّهم لیسوا سواء.

«لا یَسْتَوِی مِنْکُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِکَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِینَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا ...» «۳».

أجل هذه هی مکانة السابقین فی الإسلام و کان «ابو ذر» منهم.

هذا مضافا إلی أنّه یعدّ أول من نادی بالإسلام علی رءوس الأشهاد و فی الملأ من قریش.

(۱) فیوم اسـلم «أبو ذر» کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یـدعو الناس إلی الإسـلام سـرّا، و لم تتهیّأ بعد ظروف الجهر بالدعوة إلی هـذا الـدّین، فانّ أتباع الإسـلام و المؤمنین به لم یتجاوز عددهم فی ذلک الیوم عدّد الأصابع هم: النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و خمسـة ممن آمنوا به، و قبلوا دعوته، و مع ملاحظـة هـذه الاعتبارات و الظروف لم یکن بدّ- حسب الظاهر- من أن یخفی «أبو ذر» إسـلامه، و یعود إلی قبیلته من دون أن یعرف به أحد فی مکة.

و لکنّ روح «أبی ذر» الطافحـة بالإیمـان و الحماس أبت ذلک، و کأنه قـد خلق لینهض فی کل زمان و مکان ضـدّ الظلم و الطغیان، و یرفع عقیدته فی وجه

---

(۱) الواقعة: ۱۰- ۱۱.

(۲) التوبة: ۱۰۰.

(۳) الحدید: ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۸

الباطل و أهله، و یکافح الانحراف و الاعوجاج أیّا کان مصدره، و صاحبه. و أیّ باطل اکبر من أن یطأطئ الناس أمام أصنام مصنوعة من الحجر، و یخضعوا أمام أوثان منحوتة من الخشب لا تضرّ و لا تنفع، و لا تعطی و لا تمنع، و یسجدوا لها و یتخذوها آلهة دون اللّه الخالق الکبیر المتعال؟؟

إنّه لیس فی وسع «أبی ذر» أن یتحمّل هذا المشهد البغیض المقرف!!

(۱) من هنا قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد أن مکث فی مکة قلیلا و قرأ شیئا من القرآن: یا نبیّ اللّه ما تأمرنی؟

قال: ترجع الی قومک حتی یبلغک أمری.

فقال له: و الذی نفسی بیده لا أرجع حتی أصرخ بالإسلام فی المسجد.

قال: انی اخاف علیک أن تقتل.

قال: لا بد منه و إن قتلت.

ثم دخل المسجد فنادی بأعلی صوته: أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّدا عبده و رسوله «۱».

(۲) إن التاریخ الإسلامی یشهد بأن هذا النداء کان أول نداء تحدّی جبروت قریش و شرکها، و قد اطلقته حنجرة رجل غریب لا حامی له فی مکة و لا نصیر، و لا قوم و لا قریب.

و قد وقع ما توقّعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فما أن دوی صوت ابی ذر فی المسجد حتی قام إلیه رجال قریش، و هجموا علیه من کل جانب و ضربوه بشدة حتی صرع فأتاه العباس بن عبد المطلب فأکبّ علیه فی محاولة لانقاذه من الموت- بطریقة لطیفة- و قال: قتلتم الرجل یا معشر قریش! انتم تجار و طریقکم علی غفار، فتریدون ان یقطع الطریق، فأمسکوا عنه.

و نجحت محاولة «العباس» الانقاذیة، و کفّت قریش عن ابی ذر.

---

(۱) حلیة الأولیاء: ج ۱ ص ۱۵۸ و ۱۵۹، الطبقات الکبری: ج ۴ ص ۲۲۵، الاستیعاب: ج ۴ ص ۶۳، الاصابة: ج ۴ ص ۶۴، الدّرجات الرفیعة: ص ۲۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۱۹

و لکن أبا ذر الشاب الشجاع، و الطافح بالحیویة و الحماس عاد الیوم الثانی فصنع مثل ما صنعه فی الیوم الاول فضربوه حتی صرع، فأکب علیه العباس، و قال لهم مثل ما قال فی أول مرة فأمسکوا عنه.

(۱) و لا- شک فی انه لو لم یکن العباس لما نجی أبو ذر من مخالف المشرکین فی اغلب الظن، و لکن أبا ذر لم یکن بذلک الرجل الذی یتراجع عن هدفه بسرعة، و لهذا بدأ جهاده من جدید.

ففی یوم رأی امرأة تطوف بالبیت، و تدعو ساف و نائلة (و هما صنمان لقریش) و تسألهما ان یقضیا لها حاجاتها، فانزعج أبو ذر من جهل تلک المرأة، و لکی یفهمها بانها تدعو صنمین لا یضران و لا ینفعان بل و لا یشعران قال: أنکحی أحدهما الآخر. فغضبت المرأة لقول ابی ذر فی الصنمین، و تعلقت به و قالت: أنت صابئ، فجاء فتیة من قریش فضربوه، و جاء ناس من بنی بکر فانقذوه منهم «۱».

(۲)

قبیلة غفار تعتنق الإسلام:

لقد أدرک رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و آله قابلیات تلمیذه و ناصره الجدید، و صلابته الخارقة فی مکافحة الباطل، و لکن حیث ان الوقت لم یکن یحن بعد للدخول فی مواجهة ساخنة مع المشرکین لهذا أمره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان یلحق بقومه، و

يدعوهم إلى الإسلام، قائلا له: «الحق بقومك فاذا بلغك ظهوری فأتنی».

فعاد ابو ذر إلى قومه، و أخذ يدعوهم الى الإسلام و يكلمهم عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، و يدعوهم الى نبذ الاصنام و عبادة اللّه الواحد، و التخلق بالاخلاق الرغيبة.

(۳) فاسلم أبواه، أولا، ثم اسلم نصف رجال قبيلته «غفار» ثم اختار البقية الإسلام بعد هجرة النبى الى المدينة، ثم تبعتها قبيلة «أسلم» حيث وقدوا على

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۴ ص ۲۲۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۰

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اعتنقوا الإسلام.

ثم التحق ابو ذر بعد معركة بدر و احد برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فی المدينة و أقام فيها «۱».

و ربما كان إيذاء المشركين للمسلمين المؤمنين برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتخذ طابع التهديد و الترهيب و ممارسة الضغط النفسی و الاقتصادی و الاجتماعی.

فقد كان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد اسلم له شرف و منعة أنّبه و أخزاه، و قال له: تركت دين أبيك و هو خير منك، لنسفّهنّ حلمك، و لنفيلنّ رأيك، و لنضعنّ شرفك.

و إن كان تاجرا قال له: لنكسدنّ تجارتك، و لنهلكنّ مالك.

و إن كان ضعيفا ضربه، و أغرى به «۲».

و روى أيضا أن «خبّاب بن الارت» صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان قينا بمكة يعمل السيوف و كان قد باع من «العاص بن وائل» سيوفا صنعها له حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال يا خبّاب: أ ليس يزعم «محمّد» صاحبكم هذا الذی أنت على دينه أن فی الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب و فضه أو ثياب أو خدم، قال خبّاب: بلى، قال: فأنظرنی الى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرجع الى تلك الدار، فأقضيك هنالك حقك فو اللّه لا تكون و صاحبك يا خبّاب اشرّ عند اللّه منی!! «۳».

(۱)

أعداء النبى الألدّاء:

إن للتعرف على أعداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خصومه الالدّاء، و مواقفهم دورا هاما فی تحليل جملة من حوادث التاريخ الإسلامی التی وقعت

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۴ ص ۲۲۱ و ۲۲۲ و ۲۲۶، الدرجات الرفيعة: ص ۲۲۵ و ۲۲۶ و ص ۲۲۹ و ۲۳۰.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۰.

(۳) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۱

بعد الهجرة النبوية.

و نحن نكتفی هنا بادراج اسماء طائفة منهم و نذكر شيئا من خصوصياتهم.

(۱) ۱- «أبو لهب»: عم النبی صلّى اللّه عليه و آله، و قد كان جارا له صلّى اللّه عليه و آله، و هو الّذی لم يفتأ لحظة واحدة عن تكذيب

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ایذاء المسلمین.

(۲) ۲- «الأسود بن عبد یغوث» و کان أحد المستهزئین و کان إذا وجد مسلما فقیرا لا یحمیه أحد قال مستهزءا: هؤلاء ملوک الأرض الذین یرثون ملک کسری!! «۱».

و لم یمهله أجله لیری بام عینیه کیف ورث المسلمون أرض کسری و قیصر، و وطئوا عرشهما.

(۳) ۳- «الولید بن المغیرة» شیخ قریش و حکیمها الذی کان یملک ثروة هائلة، و سوف نتحدث عنه و عن موقفه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الفصل القادم.

(۴) ۴- «امیّة» و «ابیّ» ابنا خلف، و قد مشی «ابی» هذا بعظم رمیم الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم ففتّه فی یده ثم نفخه نحو النبی و قال: أ تزعم أن ربک یحیی هذا بعد ما تری (أو بعد ما رمّ)؟ فنزل قول اللّه تعالی: «قُلْ یُحْیِیهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِیمٌ» «۲».

و قد قتل ابنا خلف هذان فی بدر.

(۵) ۵- «أبو الحکم بن هشام» الذی سماه المسلمون لعناده و تعصّبه الجاهل ضدّ الإسلام بأبی جهل، و قد قتل هو الآخر فی بدر أیضا.

(۶) ۶- «العاص بن وائل» و هو والد «عمرو بن العاص»، و هو الذی وصف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالأبتر.

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۱۸.

(۲) بحار الأنوار. ج ۱۸ ص ۲۰۲، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۱ و ۳۶۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۲۲

(۱) ۷- «عاقبة بن أبی معیط» الذی کان من ألدّ اعداء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و أشدّ خصومه بغضا له صلّی اللّه علیه و آله، و کان لا یألو جهدا فی مضایقة المسلمین و لا یترک فرصة تمرّدون إیذائهم! «۱».

هؤلاء هم بعض أعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المبالغین فی معاداته، و هناک غیرهم کأبی سفیان ممن ذکر المؤرخون خصوصیاتهم کاملة فی مؤلفاتهم، و قد أعرضنا عن إدراجهم بأجمعهم هنا رعایة للاختصار.

(۲)

عمر بن الخطاب یعتنق الإسلام:

لقد کان إسلام کل واحد من الذین أجابوا دعوة الرسول صلّی اللّه علیه و آله نابعا من سبب معیّن.

فربّما أدّت حادثة صغیرة إلی أن یعتنق فرد أو فریق الإسلام، و ینضمّوا إلی صفوف المسلمین.

و قد اتّسم السبب الذی آل الی إسلام عمر- من بین جمیع تلکم الاسباب و العلل- بطرافة تقتضی التوقف عنده فی هذه الدراسة التاریخیة التحلیلیة.

علی أن التسلسل التاریخی، و التنظیم الوقائعی لاحداث الإسلام و ان کان یقتضی منا ان نأتی علی ذکر هذه الحادثة بعد هجرة صحابة النبی صلّی اللّه علیه و آله الی الحبشة، إلّا أن الحدیث حیث دار هنا حول صحابة النبی و کیفیة اسلامهم و مواقفهم ناسب أن نشیر هنا إلی کیفیة إسلام الخلیفة الثانی.

(۳) یقول ابن هشام: کان اسلام عمر- فی ما بلغنی- أن اخته بنت الخطاب و کانت عند «سعید بن زید بن عمرو بن نفیل» و کانت قد أسلمت و أسلم بعلها «سعید بن زید»، و هما مستخفیان باسلامهما من عمر (و هؤلاء هم کل من اسلم من آل الخطاب) و کان خبّاب بن الأرت یختلف الی فاطمة بنت الخطاب یقرئها القرآن.

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۴۷ و ۵۱، و راجع أیضا: أسد الغابة، و الاصابة و الاستیعاب و غیرها.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۲۳

و کان «عمر» الذی کانت بینه و بین المسلمین علاقات جدا سیئة «۱» قد أزعجه ما أصاب المجتمع المکی من تشتّت و فرقة، و ما لحق بقریش من المتاعب أثر ظهور الإسلام، من هنا عزم علی أن یقضی علی علة هذا الأمر باغتیال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الفتک به.

فخرج یوما متوشحا سیفه یرید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و رهطا من أصحابه و قد ذکروا له أنهم قد اجتمعوا فی بیت عند الصفا و هم قریب من أربعین ما بین رجال و نساء، و مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عمّه «حمزة» بن عبد المطلب و «ابو بکر» و «علی بن ابی طالب» فی رجال من المسلمین یحفظونه و یحرسونه.

یقول «نعیم بن عبد اللّه» و قد کان صدیقا حمیما لعمر: لقیت عمرا و هو متوشح سیفا و یرید مکانا فقلت له: أین ترید یا عمر؟

فقال: ارید محمّدا هذا الصابئ الذی فرّق فی أمر قریش، و سفّه أحلامها و عاب دینها، و سبّ آلهتها، فأقتله.

فقال له نعیم: و اللّه لقد غرّتک نفسک من نفسک یا عمر، أ تری بنی عبد مناف تارکیک تمشی علی الأرض و قد قتلت محمّدا! أ فلا ترجع إلی اهل بیتک فتقیم أمرهم؟

قال: و أی أهل بیتی؟

قال: ختنک و ابن عمک «سعید بن زید» و اختک «فاطمة بنت الخطاب» فقد و اللّه أسلما، و تابعا محمّدا علی دینه فعلیک بهما.

فأغضب هذا النبأ عمر بشدة فانصرف عن الهدف الذی کان یرمی إلیه و عاد من توّه إلی بیت اخته، فدخل علی اخته و ختنه و عندهما «خبّاب بن الأرت» معه صحیفة فیها سورة «طه» یقرئهما إیاها، فلما سمعوا حسّ «عمر» تغیّب «خبّاب» فی مخدع لهم، أو فی بعض البیت، و اخفت «فاطمة بنت

(۱) راجع السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۴۲- ۳۴۶.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۲۴

الخطاب» الصحیفة، و کان «عمر» قد سمع حین دنا الی البیت قراءة «خبّاب» علیهما، فلما دخل قال: «ما هذه الهینمة «۱» التی سمعت؟

قالا له: ما سمعت شیئا.

قال: بلی و اللّه، لقد اخبرت أنکما تابعتما محمّدا علی دینه.

و بطش بختنه «سعید بن زید» فقامت إلیه اخته «فاطمة بنت الخطاب» لتکفّه عن زوجها فضربها فشجّها.

فلما فعل ذلک قالت له اخته و ختنه: نعم قد اسلمنا و آمنّا باللّه و رسوله، فاصنع ما بدا لک.

فلما رأی «عمر» ما باخته من الدّم ندم علی ما صنع، فارعوی و رجع، و قال لاخته: اعطینی هذه الصحیفة التی سمعتکم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذی جاء به محمّد؟.

فلما قال ذلک قالت له اخته: إنّا نخشاک علیها. قال: لا تخافی و حلف لها بآلهته لیردّنّها إذا قرأها، إلیها.

فلما قال ذلک طمعت فی اسلامه، فقالت: یا أخی، إنک نجس علی شرکک و انّه لا یمسّها إلّا الطاهر، فقام «عمر» فاغتسل، فأعطته الصحیفة و فیها آیات من سورة «طه» هی:

طه. ما أنزلنا علیک القرآن لتشقی. إلّا تذکرة لمن یخشی. تنزیلا ممّن خلق الأرض و السماوات العلی. الرّحمن علی العرش استوی. له ما فی السماوات و ما فی الأرض و ما بینهما و ما تحت الثری. و إن تجهر بالقول فانّه یعلم السرّ و أخفی «۲».

و لقد تركت هذه الآيات المحكمة الفصيحة البليغة تأثيرا شديدا فى نفس عمر فقال: ما احسن هذا الكلام؟
و قرر الرجل، الذى كان قبل ثوان عدوّ الإسلام الأول، أن يغيّر موقفه،

---

(۱) الهينمة صوت كلام لا يفهم.

(۲) طه: ۱- ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۵

فتوجه من توّه إلى البيت الذى ذكر له أنّ فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و جماعة من أصحابه و هو متوشح سيفه، فضرب عليهم الباب، فلمّا سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو فزع و أخبر النبى صلّى اللّه عليه و آله بما رأى، فقال حمزة: فائذن له، فان جاء يريد خيرا بذلناه له، و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه.
فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ائذن له، فأذن له الرجل، و نهض إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ حجزته (و هو موضع شد الإزار) أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذه شديدة، و قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب فو اللّه ما أرى تنتهى حتى ينزل اللّه بك قارعة؟!
فقال عمر: يا رسول اللّه جئتك لاؤمن باللّه و برسوله و بما جاء من عند اللّه.
و هكذا اسلم «عمر» عند رسول اللّه و أصحابه و انضوى إلى صفوف المسلمين.
ثم ان ابن هشام روى رواية اخرى فى كيفية اسلام عمر من أراد الوقوف عليها راجعها فى السيرة النبوية «۱».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۴۳- ۳۴۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۲۷

(۱)

۱۶ رأى قريش فى القرآن

اشارة

ان البحث حول حقيقة الاعجاز القرآنى أمر خارج عن اطار هدفنا فى هذا الكتاب فذلك متروك إلى الكتب الاعتقادية و الكلامية.
و لكن الأبحاث التاريخيّة تهدينا الى أن القرآن الكريم كان من أكبر و أقوى اسلحة الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله بحيث خضع أمام فصاحته البالغة و حلاوة كلماته و قوة آياته، و عباراته، اساتذة الفصاحة و البلاغة و امراء البيان و الكلام، و عمالقة الكتابة و الخطابة. و اعترفوا برمّتهم، و قضّهم و قضيضهم بأنّ القرآن الذى جاء به محمّد يحتل أعلى مكان فى الفصاحة و البلاغة، و أنّ مثل هذا الحديث لم يعرفه البشر و لم يعهد له التاريخ الانسانى نظيرا.
فلقد كانت جاذبيّة «القرآن الكريم» و تأثير حديثه بحيث ترتعد عند استماع آياته فرائص أعدى اعدائه، و ربما انهارت قواه، فبقى مدة طويلة، لا يقوى على حراك، و لا يملك فعل شيء.
و فيما يلى نذكر بعض النماذج فى هذا المجال:

(۲)

حکم الولید فی القرآن:

کان «الولید بن المغیرة» ممن یرجع إلیه العرب لحل الکثیر من مشاکلها،

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۲۸

و کان ذا سنّ، و ثروة کبیرة فیهم.

و عند ما واجهت قریش مشکلة ظهور الإسلام و انتشاره فی القبائل مشی فریق منهم إلی الولید یلتمسون منه حلا لهذا الأمر الذی بات یهدّد کیان الزعامة المکیّة الجاهلیة، و طلبوا منه أن یبیّن رأیه فی القرآن الکریم و قالوا: هل هو سحر أم کهانة أم حدیث قد حاکه بنفسه.

فاستنظرهم «الولید» لیعطی رأیه فیه بعد أن یسمع شیئا من القرآن، فأتی الی الحجر حیث کان یجلس النبیّ، و یتلو القرآن، فقال: یا محمّد أنشدنی شعرک.

(۱) فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: ما هو بشعر، و لکنّه کلام اللّه الذی به بعث انبیاءه و رسله.

فقال: اتل علیّ منه، فقرأ علیه رسول اللّه:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم».

فلما سمع: الرحمن، استهزأ فقال: تدعو إلی رجل بالیمامة یسمی بالرحمن؟

قال. لا، و لکنی أدعو إلی اللّه و هو الرحمن الرحیم ثم افتتح سورة «حم السجدة» فلما بلغ إلی قوله تعالی:

«فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُکُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ».

و سمعه الولید، فاقشعر جلده، و قامت کل شعرة فی رأسه و لحیته، ثم قام و مضی إلی بیته و لم یرجع الی قریش.

فقالت قریش: یا ابا الحکم صبا ابو عبد شمس إلی دین محمّد، أ ما تراه لم یرجع إلینا و قد قبل قوله، و مضی إلی منزله.

فاغتمت قریش من ذلک غما شدیدا و غدا علیه ابو جهل فقال: یا عم نکّست رءوسنا و فضحتنا.

قال: و ما ذاک یا ابن أخی؟

قال: صبوت الی دین محمّد.

قال: ما صبوت و انی علی دین قومی و آبائی، و لکنی سمعت کلاما صعبا

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۲۹

تقشعر منه الجلود فقال أبو جهل: أشعر هو؟

قال: ما هو بشعر.

قال: فخطب هی؟

قال: لا و ان الخطب کلام متصل، و هذا کلام منثور، لا یشبه بعضه بعضا، له طلاوة.

قال: فکأنه هی؟

قال: لا.

قال: فما هو؟

قال: دعنی افکر فیه.

فلما کان من الغد، قالوا: یا ابا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر فانه أخذ بقلوب الناس فأنزل اللّه سبحانه فیه:

«ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً. وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً. وَ بَنِینَ شُهُوداً» الی قوله: «علیها تسعة عشر» «۱» «۲».

(۱)

نموذج آخر [من حكم البلغاء فی شأن القرآن]:

كان «عتبة بن ربيعة» من كبراء قريش و اشرافها، و يوم أسلم «حمزة» و أصبح أصحاب رسول اللّه يزيدون و يكثرون اغتمّت قريش كلّها، و خشى زعماء المشركين ان ينتشر الإسلام اكثر من هذا فقال عتبة و هو جالس فی نادى قريش يوما، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش أ لا أقوم الى «محمّد» فاكلّمه و أعرض عليه امورا لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟

(۱) المدثر: ۱۱- ۳۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۷ ص ۲۱۱ و ۲۱۲، إعلام الورى بأعلام الورى: ص ۴۱ و ۴۲.

فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلّمه.

(۱) فقام إليه «عتبة» حتى جلس الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال:

يا ابن أخى إنك منّا حيث ما قد علمت من الشرف فى العشيرة و المكان فى النسب، و انك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم، و دينهم، و كفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قل يا أبا الوليد اسمع.

قال: يا ابن أخى إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر ما لا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا، و ان كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتيك رئيا (و هو ما يتراءى للناس من الجنّ) تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ، و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ «عتبة»، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يستمع منه قال: أ قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم قال: فاسمع منّى؛ قال: افعل، قال:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَ نَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ» «۱».

ثم مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها يقرؤها عليه، فلمّا سمعها منه «عتبة» أنصت لها و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه و بقى على هذه مدة من الزمن صامتا و كأنه قد سلب قدرة النطق، ثم انتهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى السجدة فسجد ثم قال.

«قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذاك».

(۱) فصلت: ۱- ۵.

(۱) فقام «عتبة» الى أصحابه و قد تغيّرت ملامحه فقال بعضهم لبعض: نحلف باللّه لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به!!

فلما جلس إليهم قالوا:

ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائی انی قد سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط، و اللّه ما هو بالشعر، و لا بالسحر، و لا بالکهانة، یا معشر قریش، أطیعونی و اجعلوها بی، و خلّوا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه، فو اللّه لیکوننّ لقوله هذا الذی سمعت منه نبأ عظیم، فان تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم، و ان یظهر علی العرب فملکه ملککم، و عزه عزّکم، و کنتم أسعد الناس به.

فانزعجت قریش من مقالة «عتبة» هذا و سخرت به و قالت: سحرک و اللّه یا أبا الولید بلسانه!!

قال: هذا رأیی، فاصنعوا ما بدا لکم «۱».

هذان نموذجان من رأی کبار فصحاء العرب فی العهد الجاهلیّ، فی القرآن الکریم.

علی أن هناک أمثلة و نماذج اخری کثیرة فی هذا المجال.

(۲)

تحجحات قریش العجیبة:

اجتمع «عتبة بن ربیعة»، و «شیبة بن ربیعة» و «أبو سفیان بن حرب»، و «النضر بن الحارث»، و «أبو البختری»، و «الولید بن المغیرة»، و «ابو جهل» و «العاص بن وائل» و غیرهم بعد غروب الشمس عند ظهر الکعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا الی «محمّد» فکلّموه، و خاصموه حتی تعذروا فیه، فبعثوا إلیه؛ فجاءهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سریعا و هو یظن أن قد بدا لهم فیما کلّمهم فیه بداء و انهم قد غیّروا مواقفهم، و کان یحبّ رشدهم و هدایتهم حتی جلس إلیهم.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۹۳ و ۲۹۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۲

فقالوا له: یا محمّد إنّا قد بعثنا إلیک لنکلّمک، و انّا و اللّه ما نعلم رجلا من العرب أدخل علی قومه مثل ما أدخلت علی قومک لقد شتمت الآباء، و عبت الدّین، و شتمت الآلهة ... و مضوا یعددون أمورا من هذا القبیل ثم اقترحوا علیه امورا ذکرها اللّه تعالی بتمامها فی الآیة ۹۰ إلی ۹۳ من سورة الإسراء حیث یقول حاکیا عن لسانهم:

«و قالوا لن نؤمن لک حتی ۱- تفجر لنا من الأرض ینبوعا.

۲- أو تکون لک جنّة من نخیل و عنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجیرا.

۳- أو تسقط السماء کما زعمت علینا کسفا.

۴- أو تأتی باللّه و الملائکة قبیلا.

۵- أو یکون لک بیت من زخرف.

۶- أو ترقی فی السماء و لن نؤمن لرقیّک حتّی تنزّل علینا کتابا نقرؤه»!!

(۱) و حیث أنّ مضمون هذه الآیات هو عدم تلبیة النبیّ لمطالب قریش حیث قال: «قل سبحان اللّه ربّی هل کنت إلا بشرا رسولا» قد تذرع به المستشرقون للایقاع بالرسالة المحمّدیة لذلک نعمد هنا إلی توضیح مفاد هذه الآیات و العلل المنطقیّة لعدم تلبیة النبیّ مطالب قریش و مقترحاتهم.

الجواب: إنّ الأنبیاء لا یأتون بالمعاجز فی کل ظرف و زمان، فإن للاعجاز شروطا خاصة لم تتوفر فی هذه الاقتراحات، و هذه الشروط هی:

(۲) أولا: أن لا تکون المعجزة من الامور المستحیلة التی لا یمکن تحقّقها، فإنّ مثل هذه الامور خارجة عن إطار القدرة، و لا تتعلق بها مشیئة اللّه تعالی و لا مشیئة أیّ صاحب إرادة مطلقا.

و على هـذا الأسـاس إذا طلب النـاس من النبىّ أمرا محالاً، فقوبـل طلبهم بعـدم الاهتمـام من قبل النبىّ لم يكن ذلك دليلا على إنكار صدور المعجزة على أيدى الأنبياء قط.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۳۳

(۱) و هذا الشـرط لم يكن متوفرا فى بعض مقترحات المشـركين المذكورة (المقترح الرابع) فانهم طلبوا من النبى صـلّى اللّه عليه و آله ان يـأتى لهم بـاللّه سـبحانه و تعـالى ليقابلوه وجها لوجه، و يروه جهرة و من قريب، و رؤيـة اللّه تعالى امر محال، لأن رؤيته تسـتلزم أن يكون سبحانه محدودا بالزمان و المكان، و أن يكون جسما و ذلون و صورة و هو تعالى منزه عن المادّة و لوازم المادية.

بـل حتى مقترحهم الثالث لو كان المقصود منه أن تسـقط السـماء عليهم (لا أن تسـقط قطعـة من الصـخر على رءوسـهم و تقتلهم) فان ذلك هو أيضا من المحالات إذ أن المشيئة الالهية تعلّقت بان يفعل اللّه هذا فى نهاية العالم، و النبى صلّى اللّه عليه و آله كان قد أخبر المشركين بهذا الأمر أيضا كما يدل عليه قولهم:

«كما زعمت».

إنّ انهـدام المنظومـة الشمسيّة و تبعـثر النجوم و تساقطهـا و إن لم يكن فى حـد ذاته بالأـمر المحـال، و لكنّه- حسب المشـيئة الإلـهية الحكمية و إرادته النافذة القاضيـة بأن يستمر النوع البشرى، و يصل إلى مرحلة الكمال- يعدّ محالا، و لا يمكن أن يفعل حكيم خلاف ما يقتضيه هدفه و غايته.

(۲) ثانيـا: حيث أنّ الغايـة المنشودة من اقتراح و طلب الإعجـاز هو أن يسـتدلّ به على صـدق دعوى النبىّ، و صـحة انتسـابه الى اللّه، و بالتالى يكون بدافع تحصـيل سـند على ارتباطه بالعالم ما فوق الطبيعة، لذلك فان أىّ اقتراح و مطالبة بالمعجزة لا تتوفر فيها هذه الصفة يعنى على فرض أن يلبىّ النبى طلبهم و ياتى لهم بالمعجزة لا يكون ذلك دليلا على ارتباطه بعالم الغيب، فحينئـذ لا معنى و لا موجب لأن يقوم النبىّ بما لا يرتبط بشئونه و لا يخدم هدفه.

و قد كانت بعض مقترحات المشـركين المذكورة من هذا النوع، و ذلك مثل تفجير ينبوع من الأرض، أو أن تكون له جنّة من نخيل و عنب، أو أن يكون له بيت من زخرف و ذهب، فان مثل هذه الامور لا تدل على نبوّة من يمتلكها إذ ما اكثر الذين يمتلكون واحدة من هذه الأشياء و ليسوا مع ذلك بأنبياء، بل ربما يملكون اكثر من ذلك، و مع ذلك لا يشم فيهم رائحة الايمان فضلا عن النبوة.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۳۴

فاذا لم ترتبط هذه الأشياء بمقام النبوّة، و لا تكون دليلا على صدق من يدّعيها كان الإتيان بها أمرا لغوا و عبثا تعالى عنه مقام النبوّة، و جلّت عنه منزلة الأنبياء.

(۱) و قد يقال: إن هذه الاشياء «۱» لا تدل على صدق دعوى النبى إذا حصـلت عن طريق الأسـباب العادية، و لكنّها لو حصلت بصورة غير عاديّة و لا متعارفة كانت و لا شك من المعاجز الالهية، و دلت على صدق النبى و صحة دعواه.

و لكنّ الظـاهر أن هـذه فكرة باطلـة لان المشـركين كانوا يهـدفون من اقتراحاتهم هـذه أن يكون النبى صاحب مال و ثروة، فقـد كانوا يستبعدون أن يكون نبىّ اللّه و رسوله فقيرا لا يملك شيئا من الثروة المال، و كانوا يعتقدون انّ الوحى الالهى يجب أن ينزل على رجل غنىّ ذى طول و حول، و لذلك قالوا مستغربين و مستنكرين:

«وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «۲»؟!!

أى لما ذا لم ينزل هذا القرآن على رجل ثرىّ من مكة أو الطائف.

و ممّـا يـدلّ على أن الهـدف كـان هو أن يملك النبى مثل هـذه الامور بأى طريق كان، و لو بالطريق العادىّ أنهم كانوا يريـدون هـذه الاشياء للنبىّ نفسه إذ قالوا:

«أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ» «۳».

(۲) و بعبارة اخرى: كانوا يقولون إذا أنت لا تمتلك بستانا أو بيتا من ذهب فاننا لن نؤمن لك!!

و لو كان الهدف هو أن يحصل هذان الأمران بواسطة القدرة الغيبية لم يكن وجه حينئذ لقولهم: ما لم يكن «لك» بيت من زخرف، فاننا نؤمن بك بل كان يكفى أن يقولوا: إذا لم تحدث و توجد بيتا و جنّة فاننا لن نؤمن لك.

---

(۱) أى الامور الثلاثة المقترحة الينبوع و الجنة و البيت من ذهب.

(۲) الزخرف: ۳۱.

(۳) الاسراء: ۹۳.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۳۵

أمّا قولهم فى مطلع اقتراحاتهم: «تفجّر لنا من الأرض ينبوعا» فان مقصودهم لم يكن هو أن يستخرج لهم بالاعجاز ينبوعا لينتفعوا به، بل يفعل ذلك لكى يؤمنوا به.

(۱) ثالثا: ان المقصود من المعجزة هو الاهتداء فى ضوئها إلى صحّة دعوى النبىّ و صدق مقاله، و الإيمان بمنصبه، و الاعتقاد بمقامه، و على هذا إذا كان بين المقترحين للمعجزة من يكون الاتيان له بالإعجاز سببا لإيمانه بالنبىّ، فحينئذ كان الاتيان بالمعجزة و تلبية اقتراحه أمرا مستحسنا، و غير مقبوح عقلا.

أما إذا كان المقترحون. يقترحون عنادا و لجاجا، أو يطلبون ما يطلبونه لهوا و تسلية كما يفعل الناس مع السحرة و المرتاضين فان منزلة الأنبياء أجلّ- حينئذ- من أن يلبىّ مثل هذه المقترحات، و يستجيب لمثل هذه المطالب، و قد كانت بعض اقتراحات المشركين من هذا النمط.

فان مطالبتهم بأن يصعد النبىّ الى السماء، أو أن ينزل من السماء كتابا يقرءونه لم يكن بهدف اكتشاف الحقيقة لأنهم لو كانوا ممن يهدف الوصول الى الحقيقة فلما ذا لم يكتفوا بمجرّد صعوده الى السماء بل كانوا يصرّون على أن يضمّ أمرا آخر إلى عروجه و صعوده (و هو أن ينزّل معه كتابا)!!

(۲) ثم انه يستفاد من آيات اخرى، غير هاتين الآيتين أيضا، أنهم كانوا سيعاندون، و يصرون على كفرهم حتى بعد نزول الكتاب عليهم من السماء كما يصرح بذلك قوله تعالى:

«وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱».

فمن غير المستبعد أن يكون الكتاب المنزّل فى قرطاس إشارة إلى اقتراح المشركين الذى جاء ضمن آيات سورة الاسراء اى قولهم: «أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ» «۲» فقال اللّه سبحانه: حتّى لو

---

(۱) الانعام: ۷.

(۲) الأسراء: ۹۳.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۳۶

فعلنا لهم ذلك لكفروا، و احجموا عن الإيمان.

(۱) رابعا: إنّ طلب المعجزة إنّما هو لأجل أن يستتبع الاتيان بها الإيمان بالرسالة و الانضمام الى صفوف المؤمنين، فاذا كانت نتيجة المعجزة هى إباء المقترحين استلزم ذلك نقض الغرض المنشود من المعجزة، و انتفاء فائدتها.

فاذا كان المقصود من سقوط السماء عليهم، هو نزول الصخور السماوية لابادتهم فان هذا الطلب لا يتفق أبدا مع هدف الإعجاز و هو من أوضح مصاديق نقض الغرض.

(۲) و بالتالی ینبغی أن نـذکّر بنقطـهٔ و هی: أنّ النبی صـلّی اللّه علیه و آله- علی خلاف ما تصوّر المسـتدلّون بهـذه الآیـهٔ علی نفی أیهٔ معجزه لرسول الإسـلام- لم یصف نفسه بـالعجز و عـدم القـدرهٔ علی الاتیـان بـالمعجزهٔ بل أفاد بقوله: «سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا» «۱» أمرین:

(۳) ۱- تنزیه اللّه، فهو بقوله: «سبحان ربّی» نزّه اللّه تعالی عن کل عجز و نقص کما نزّهه عن الرؤیـهٔ و وصـفه بالقدرهٔ علی کل شـیء ممکن.

(۴) ۲- محدودیّـهٔ قـدرهٔ النبیّ، إذ بقوله صـلّی اللّه علیه و آله: «هل کنت إلا بشـرا رسولا» أفاد بأنه امرئ مأمور لا أکثر و أنه مطیع لأمر اللّه و إرادته فهو یأتی بما یرید ربّه، و الأمر إلی اللّه کله، و لیس للنبیّ أن یلبّی أی طلب و اقتراح بارادته.

و بعبارهٔ اخری: ان الآیهٔ رکّزت فی مقام الجواب علی طلبهم بعد تنزیه اللّه عن العجز و الرؤیهٔ علی کلمتی: «البشـر و الرسول» و الهدف هو انه: إذا أنتم قد طلبتم هذه الامور منّی من جهۀ إننی بشر، کان طلبکم هذا طلبا غیر صحیح، لأن هذه الامور تحتاج إلی قدرهٔ إلهیهٔ.

و إن طلبتموهـا منّی من جهـهٔ انی نبیّ رسول فان النبی و الرسول ما هو إلّا إمرئ مأمور یفعل ما یاذن به اللّه، و لیس له ان یفعل ما یشاء هو دون إرادهٔ اللّه تعالی.

---

(۱) الأسراء: ۹۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۷

و بهذا اتضح أن هذه الآیات لا تدلّ علی ما استدل به النافون لمعاجز النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و کان ممّا تحججت به قریش علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انّهم قالوا:

لو کان محمّـدا نبیّا لشـغلته النبوهٔ عن النساء و لأمکنه جمع الآیات (ای لأتته الآیات دفعـهٔ واحدهٔ) و لأمکنه منع الموت عن أقاربه و لما مات أبو طالب و خدیجهٔ فنزل قوله تعالی:

«وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّیَّهً وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَهٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ. یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ. وَ إِنْ ما نُرِیَنَّکَ بَعْضَ الَّذِی نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّیَنَّکَ فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَیْنَا الْحِسابُ».

و بذلک ردّ علیهم «۱» «۲».

(۱)

الدوافع وراء معاداهٔ قریش و عنادهم:

اشارهٔ

هـذا القسم هو احـدی النقاط الجـدیرهٔ بالدراسهٔ فی تاریخ الإسـلام، لأن المرء قد یسائل نفسه: لما ذا تری کانت قریش تعارض رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله أشدّ المعارضهٔ رغم أنها کانت تعتبره الصادق الأمین و لم تعهد منه انحرافا أو خطأ قط و کانت تسـمع کلامه الفصیح البلیغ الذی یأسر القلوب، و ربما شاهدوا حدوث بعض الخوارق للعادهٔ، الخارجهٔ عن حدود القوانین الطبیعیهٔ علی یدیه.

إن لهذا التمرد و المعارضهٔ الی علهٔ او علل عدیدهٔ هی:

(۲)

۱- حسدهم للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

لقد عارض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خالفه فریق ممن عارضه بسبب

---

(۱) الرعد: ۳۸- ۴۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۷ عن المناقب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۸

حسدهم له، فقد کانوا یتمنّون أن یکونوا هم صاحب هذا المنصب، و صاحب هذه المنزلة.

فقد قال المفسّرون عند قوله تعالی: «وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ الْقَرْیَتَیْنِ عَظِیمٍ» «۱» أن «الولید بن المغیرة» قال: أ ینزّل علی محمّد و اترک و أنا کبیر قریش و سیّدها و یترک «ابو مسعود عمرو بن عمیر الثقفی» سید ثقیف و نحن عظیما القریتین فأنزل اللّه تعالی فیه الآیة «۲».

و روی انه قال: و اللّه لو کانت النبوّة حقا لکنت أولی بها منک لأنّنی اکبر منک سنا و أکثر منک مالا «۳».

(۱) و کان «امیّة بن أبی الصلت» من الذین کانوا یقولون هذا الکلام حول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان یتمنی کثیرا أن ینال هو هذا المقام و یخطی بهذا المنصب العظیم، و لم یتبع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی آخر حیاته، و کان یؤلّب الناس علیه.

و قد سأل «الاخنس بن شریق»- و هو من أعداء رسول اللّه- أبا جهل یوما:

یا ابا الحکم ما رأیک فیما سمعت من «محمّد»؟

فقال: ما ذا سمعت، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطینا حتی إذا تجاذبنا علی الرکب، و کنا کفرسی رهان، قالوا: منّا نبیّ یأتیه الوحی من السماء، فمتی تدرک مثل هذه، و اللّه لا نؤمن به أبدا و لا نصدّقه «۴».

هذه النماذج تظهر الحسد الذی کان یحول بین زعماء قریش و ساداتها و بین اتّباع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تصدیقه، فعتوا علی اللّه و ترکوا أمره عیانا، و لجّوا فیما هم علیه من الکفر، و هناک نماذج و أمثلة اخری سجّلتها صفحات التاریخ أعرضنا عن إدراجها هنا.

---

(۱) الزخرف: ۳۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۱.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۳۵.

(۴) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۱۵ و ۳۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۳۹

(۱)

۲- معارضة الدعوة الإسلامیة لشهواتهم:

و کان لهذا العامل الأثر الاکبر فی عتو قریش و معارضتها لدعوة النبی صلّی اللّه علیه و آله لأنهم کانوا أصحاب لهو و لعب، و فسق و مجون، و مثل هؤلاء الذین أمضوا سنوات عدیدة علی هذا النحو، دون ان یقیّدهم شیء من الحدود و القیود، وجدوا دعوة النبی صلّی

اللّه عليه و آله تخالف عادتهم القديمة، و كان ترك مثل تلك العادة التى تتفق مع أهوائهم و رغباتهم النفسيّة أمرا يلازم النصب و العناء و الجهد.

(٢)

٣- الخوف من عقوبات اليوم الآخر:

إن سماع آيات العذاب التى تنذر الفسقة و الظالمين و توعدهم بالعقوبات الثقيلة ارعب قلوبهم، و أقلق نفوسهم بشدة.

فعند ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتلو الآيات المتعلّقة بيوم القيامة و أوضاعه، و قضاياه فى الاجتماعات و الاماكن العامة، كان يحدث بذلك ضجة كبرى فى أوساطهم، فيهدم مجالس لهوهم، و انسهم.

إنّ العربى الذى كان يسلّح نفسه بكل ما استطاع من سلاح ليدفع عن نفسه أى خطر محتمل، و يعمد الى ممارسة القرعة و يتعاطى الانصاب و الازلام ليحصل على لقمة عيشه، و يتفأل بالأحجار، و يتطيّر و يتشاءم بالطيور و يستدلّ بحالاتها على حوادث وقعت أو تقع، لم يكن على استعداد لأن يهدأ من دون ان يحصل على ضمان بعدم التعرض لما يخبر عنه «محمّد» من عذاب و عقاب!!

من هنا كانوا يحاربون النبى صلّى اللّه عليه و آله و يخالفونه حتى لا يسمعوا وعده و وعيده.

و إليك بعض الآيات التى كانت تقلق بشدة نفوس المترفين من قريش:

«فَإِذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ. وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» «١».

---

(١) عبس: ٣٣- ٣٧.

سيد المرسلين ،ج‏١،ص:۴۴٠

و بينما كانوا يمدّون موائد اللهو و الشراب فى ظلال الكعبة و يحتسون كئوس الخمر كانوا فجأة يسمعون هذه الآية:

«كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ». «١»

فتلقى فى نفوسهم رعبا عجيبا، و ينتابهم الاضطراب الشديد حتى أنهم كانوا يلقون بكؤوس الخمر جانبا و يتملكهم خوف شديد لم يعرفوا له مثيلا.

(١)

۴- الخوف من القبائل العربية المشركة:

قال «الحارث بن نوفل بن عبد مناف» لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: انا لنعلم أنّ قولك حق و لكن يمنعنا أن نتبع الهدى و نؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا (إن تركنا الوثنية التى تدين بها و يعتبروننا سدنة لأوثانها) و لا طاقة لنا بها. فنزل قوله تعالى يرد عليهم:

«وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا» «٢» «٣».

و هكذا كان تخوّف قريش من العرب إن هى تركت ما كان عليه العرب من الوثنية و الشرك أحد الاسباب لعتوهم و إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية.

(٢)

طائفة من اعتراضات المشركين:

و ربما اعترض المشـركون على النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله قائلين: إن هذه الارض ليست بأرض الأنبياء، و إنما ارض الأنبياء الشام فات الشام «۴».

و كان اكثر المشـركين يقولون- و ذلك بوحى من اليهود- لما ذا لا ينزل القرآن على «محمّـد» دفعة واحدة كالتوراة و الانجيل فحكى القرآن الكريم اعتراضهم

---

(۱) النساء: ۵۶.

(۲) القصص: ۵۷.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۳۶.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۹۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۱

هذا بنصه اذ قال:

«وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً».

ثم قال تعالى ردّا على اعتراضهم هذا:

«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «۱».

إن القرآن يهتم بهـذا الاعتراض، و يوضـح مسألة «النزول التدريجى» للقرآن الكريم و يقطع الطريق على المستشـرقين المغرضـين و من حذى حذوهم، بمنطقه المحكم، و بيانه القوىّ.

و ها نحن نعمد هنا الى إعطاء شىء من التوضيح لهذه المسألة أيضا:

(۱)

القرآن و النزول التدريجىّ:

إن التاريخ القطعىّ لنزول القرآن و كذا مضامين آيات سوره تشهد بأن آيات القرآن الكريم و سوره نزلت تدريجا.

فبمراجعة فاحصة لأوضاع مكة، و المدينة يمكن تمييز المكىّ من هذه الآيات عن مدنيّها.

فالآيات التى تتحدث عن مكافحة الشرك و الوثنية و دعوة الناس الى اللّه الواحد، و الإيمان باليوم الآخر مكية، بينما تكون الآيات التى تـدور حول الأحكام و تحثّ على الجهاد و القتال مدنيّـة، ذلك لأنّ الخطاب فى البيئة المكية كان موجّها الى المشـركين عبدة الاوثان الذين كانوا ينكرون توحيد اللّه، و اليوم الآخر، فهنا تكون الآيات التى تتحدث حول هذا الموضوع قد نزلت فى هذه البيئة.

(۲) فى حين كـان الخطاب فى المدينـة المنورة موجّها إلى المؤمنين باللّه، و الى جماعـة اليهود و النصارى، و كان الجهاد و القتال فى سبيل إعلاء كلمة اللّه هو الأعمال المهمّة التى بدأها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و واصلها فى هذه البيئة، من هنا تكون الآيات التى تتضمن الحديث حول الاحكام و الفروع و القوانين، و يدور

---

(۱) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۴۲

الحديث فيها أيضا حول عقائد اليهود و النصارى و مواقفهم و تتضمن الحثّ- كذلك- على الجهاد و القتال و التضحية فى سبيل اعلاء كلمة اللّه و إعزاز دينه، آيات مدنيّة.

(۱) إنّ كثيرا من الآيات ترتبط ارتباطا وثيقا بالحوادث التى وقعت فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و هذه الحوادث هى التى تشكّل ما يسمّى بشأن أو أسباب النزول التى يكون الوقوف عليها موجبا لفهم مفاد الآية، و اتّضاح مفادها، فان وقوع هذه الحوادث كان سببا لنزول آيات فيها بالمناسبة.

على أن بعض الآيات الاخرى نزلت جوابا على أسئلة الناس، و لرفع حاجاتهم فى المجالات المختلفة.

و البعض الآخر منها نزلت لبيان المعارف و الأحكام الالهية.

و لهذه الاسباب يمكن القول بان القرآن الكريم نزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تدريجا لتدرّج موجبات النزول.

و قد صرّح القرآن و الكريم بهذا الأمر أيضا فى بعض المواضع اذ قال:

«وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ» «۱».

(۲) و هنا ينطرح هذا السؤال و هو: لما ذا لم تنزل آيات القرآن كلها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة، و دفعة واحدة كما حدث ذلك للتوراة و الإنجيل من قبل؟!

إنّ هذا السؤال لم يكن جديدا بل طرحه أعداء النبى صلّى اللّه عليه و آله و معارضوه فى عصر الرسالة فى صورة الاعتراض أيضا حيث كانوا يقولون:

«لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً» «۲».

(۳) و يمكن تقرير و شرح هذا الاعتراض على نحوين:

(۴) ۱- إذا كان الإسلام دينا إلهيا، و كان القرآن كتابا سماويا منزلا من جانب اللّه على رسوله، فلا بدّ أن يكون دينا كاملا، و مثل هذا الدين الكامل

---

(۱) الاسراء: ۱۰۶.

(۲) الفرقان: ۳۲.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۴۳

يجب أن ينزل بواسطة ملائكة الوحى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة من دون تدرّج و لا توقف فى نزول الآيات، اذ لا- مبرّر و لا داعى لأن ينزل دين كامل من جميع الجهات، مكمّل من حيث الأصول و الفروع و التشريعات و الواجبات و السنن، على نحو التدريج فى ۲۳ عاما، و لمناسبات مختلفة.

و حيث أن القرآن نزل منجّما، و بصورة متفرقة متناثرة، و عقيب طائفة من الأسئلة، أو وقوع حوادث و طروء حاجات فى أزمنة مختلفة يمكن الحدس بان هذا الدين لم يكن كاملا من حيث الأصول و الفروع، و هو يتدرّج فى التكامل و مثل هذا الدين الناقص الذى يسير نحو كماله خطوة خطوة و بالتدريج لا يصح أن يوصف بالدين الالهىّ.

(۱) ۲- إن آيات القرآن و التاريخ القطعى و المسلّم للتوراة و الإنجيل و الزّبور تحكى جميعها عن أن هذه الكتب السماوية اعطيت إلى المرسين بها فى ألواح مكتوبة مدوّنة، فلما لم ينزل القرآن الكريم على هذا الغرار، كأن ينزل القرآن على «محمّد» فى لوح مكتوب كما نزل التوراة فى الواح مكتوبة؟!

و حيث أن المشركين لم يكونوا يعتقدون بهذه الكتب السماوية قط، و لم يكن لهم على علم مسبق بكيفية نزولها، لذا يمكن القول بان مقصودهم من هذا الاعتراض كان هو الشكل الأول من هذا التوضيح، و الذى يتلخص فى أنه لما ذا لم ينزّل ملائكة الوحى آيات

القرآن على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة، بل نزلت هذه الآيات عليه صلّى اللّه عليه و آله فى فواصل زمنية متفاوتة، و بمناسبات و حسب وقائع مختلفة متدرّجة؟!

(٢)

الأسرار المنطقيّة للنزول التدريجى للقرآن:

اشارة

و لقد كشف القرآن القناع- فى معرض الردّ على اعتراض المشركين هذا- عن حكم و أسرار النزول التدريجىّ للقرآن الكريم.

و إليك توضيح هذا القسم الذى اشار إليه الكتاب العزيز بعبارة مقتضبة قصيرة:

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۴۴

(١) ١- إن الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله يتحمّل مسئوليات كبرى، و ان شخصية كهذه من الطبيعى ان يواجه مشاكل و متاعب باهضة و صعبة، و لا ريب أن تلك المشاكل و المتاعب توجب الكلل، و انخفاض مستوى النشاط مهما كانت الروح التى يتمتع بها الشخص عظيمة، و قويّة، فى مثل هذه الحالة يكون تجديد الارتباط بالعالم الأعلى، و تكرّر نزول الملك من جانب اللّه تعالى باعثا على تجدّد النشاط، و عاملا قويا فى بثّ القوة و الحماس و المعنوية الفاعلة فى نفس النبىّ و روحه، و بالتالى فان العناية و المحبّة الالهية الممتدّة لنبيّه و رسوله إنما تتجدد بتكرّر نزول الوحى عليه صلّى اللّه عليه و آله من جانبه تعالى.

و قد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة النفسية الكبرى اذ قال:

«كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ» «١».

(٢) ٢- و يمكن ان تكون الجملة المذكورة ناظرة الى جهة اخرى و هى: ان المصالح التربوية و التعليمية تقتضى أن يتنزل القرآن الكريم على نحو التدريج و يلقى الى الناس على هذا الشكل أيضا و ذلك لان النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله معلّم الامة، و طبيبها الروحى الذى بعث الى الناس بالوصفات الالهية لتعليمهم، و هدايتهم و معالجة أمراضهم و أدوائهم الاجتماعية و الخلقيّة، و الفكرية، و كلّف بأن يطبّق هذه الوصفات فى حياتهم العملية، و مثل هذا يتطلب التدرّج لينفع الدواء- حينئذ- و تنجع المعالجة.

إن أفضل و أنجح أساليب التربية هو أن يمتزج الجانب العملىّ بالجانب النظرى فى أيّة محاولة تربوية، و أن يطبق كل ما يدرسه الاستاذ بصورة عملية تطبيقية، و يعطى لما يلقيه من معلومات، صبغة تحقيقية، و يتجنّب بشدة اتّصاف أفكاره و آراءه بالطابع النظرىّ البحت.

(٣) فلو أن الاستاذ المتخصّص فى الطبّ اكتفى بالقاء جملة من المعلومات الكليّة و الاسس العامة من الطبّ على طلابه فى الصف حرم النتائج المتوخّاة و الغايات

---

(١) الفرقان: ٣٢.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۴۵

المطلوبة من تعليم الطبّ، بشكل كامل.

أما إذا قرن الاستاذ درسه النظرى بالإرشاد العملىّ و طبّق ما ألقاه و بيّنه من أفكار و معلومات فى هذا المجال على جسم مريض راقد أمام الطلبة فانه سيحصل على نتائج أحسن، و يساعد الطلبة على فهم افضل للمواد التى درسوها فى هذا المجال.

فلو أنّ الآيات القرآنية الكريمة قد نزلت جملة واحدة (و الحال أن المجتمع الإسلامى لم يكن يحتاج الى كثير منها) كان القرآن- حينئذ- فاقدا لهذه المزية التربوية الهامة التى أشرنا إليها قريبا فى مثال تدريس الطب.

(١) ان بيان الآيات التى يشعر الناس فى انفسهم بعدم الحاجة الى اخذها و تعلّمها، لا يترك التأثير الباهر فى القلوب، بينما إذا نزل ملائكة الوحى بآيات القرآن حسب حاجات الناس التى يشعرون فيها بضرورة تعلّمها لتضمّنها الأحكام و الأصول و الفروع التى يحتاجون إليها فانه لا شكّ يكون لها فى هذه الحالة تأثير أحسن و أقوى فى قلوب الناس. كما سيكون لها ترسّخ اكبر فى نفوسهم، و سيظهر الناس من انفسهم استعدادا اكبر لاخذ ألفاظها و معانيها، و فوق كل ذلك سيشعرون بنتائج هذه التعاليم عند تعليم النبىّ إيّاها لهم، و عندئذ تتحقق المقولة التربوية التى أشرنا إليها فى ما سبق و هى اقتران كلام المربّى بالنتيجة لأن النظريات اتّخذت طابعا عمليا، و لم تكن مجرد نظريات لا ترتبط بالواقع.

(٢) و لكن يبقى هنا سؤال آخر و هو: إذا كان نزول القرآن قد تحقّق على نحو التدريج و تبعا للاحتياجات و الحوادث المختلفة، فان ذلك يستلزم انفصام العلاقات و الروابط بين الآيات و السور، و هذا ينتج أن لا يهتم الفكر البشرى بتعلّم و حفظ معارفها لتبعثرها، و تباعد أزمنتها و غياب علاقاتها، و لكن لو نزل القرآن جملة واحدة و تلاه ملائكة الوحى على رسول اللّه دفعة واحدة لروعيت الروابط و العلاقات بين قضايا الوحى و لتضاعفت رغبة الناس و استعدادهم لأخذها و حفظها؟

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۴۶

(١) و لقد أجاب القرآن الكريم أيضا على هذا السؤال إذ قال: صحيح أن آيات القرآن الكريم نزلت على نحو التدريج تبعا لطائفة من المقتضيات و الموجبات إلّا أن هذا النزول التدريجى لا يمنع ابدا من ترابط مطالبه، و ارتباط مواضيعه بعضها ببعض، فان اللّه تعالى أفاض على هذه الآيات انسجاما و ترابطا خاصا يمكن الإنسان من تعلمها و ضبطها و حفظها إذا أعطى الموضوع قليلا من الاهتمام إذ قال تعالى:

«وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا» «١».

أى إنّنا أعطينا آيات القرآن نظاما معينا و ترتيبا خاصا.

أسرار اخرى لنزول القرآن تدريجا:

(٢) ٣- لقد واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى فترة رسالته و نبوّته فئات مختلفة من الناس: كالوثنيين، و اليهود و المسيحيين الذين كان لكل فئة منهم دينا خاصا، و عقائد و تصورات خاصة حول المبدأ و المعاد، و غيرهما من المعارف العقلية.

و قد كانت اللقاءات المختلفة هذه توجب أن يعمد الوحى الالهىّ إلى توضيح و بيان عقائد هذه الفئات (و إن لم يكن مطلوبا و مقترحا من قبلهم) و يقيم الأدلة و البراهين على بطلانها، و زيفها، هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت هذه اللقاءات فى أزمنة متفاوتة، و أوقات مختلفة، لهذا لم يكن بدّ من أن ينزل الوحى الالهى تدريجا، و فى الأوقات المختلفة، و يتصدى لبيان بطلان تلك العقائد و التصورات و يجيب على شبهات المخالفين، اعتراضاتهم.

(٣) و ربما كانت توجب هذه المواجهات العقائدية إلى أن يطرحوا على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعض الاسئلة امتحانا و اختيارا له و كان على النبىّ أن

---

(١) الفرقان: ٣٢.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۴۷

یجیب علیهـا، و حیث أن هـذه الاسـئلة کانت تطرح فی أوقات مختلفـة، لهـذا لم یکن مناص من أن ینزل الوحی الالهی فی الأوقات و الأزمنة المختلفة، و علی نحو التدریج.

هذا مضافا الی أن حیاة النبی نفسها کان حیاة ثورة، و وقائع، و کان النبی یواجه باستمرار أحداثا و قضایا یجب توضیح حکمها، و بیان المنهج فیها من جانب الوحی الالهی.

و ربما کان الناس أنفسهم یواجهون فی حیاتهم الیومیة حوادث و امورا یرجعون فیها الی النبی صلّی اللّه علیه و آله یطلبون منه الحکم الالهیّ فیها و یسألونه عما یجب اتّخاذه من الموقف الشرعیّ فی تلک الحوادث و ما یشابهها.

و حیث أن هذه الحوادث، و ما یترتب علیها من تساؤلات کانت تقع فی اوقات مختلفة، و بمرور الزمن، لذلک لم یکن بد أیضا من ان ینزل الوحی الالهیّ بالتدریج لیجیب علی هذه الأسئلة أوّلا بأوّل.

و قد أشار القرآن الکریم إلی هذه النقاط، و إلی نقاط اخری غیرها فی قوله تعالی:

«وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً» «۱».

(۱) ۴- إن للنزول التـدریجیّ للقرآن الکریم وراء کـل ذلـک سـرا آخر، و علـة اخری غفلـوا عنهـا، ألاـ و هی: هدایـة النـاس و توجیه أنظارهم إلی منشأ هـذا الکتاب، و أن القرآن لیس الّا کتابا سـماویا، و وحیا إلهیا لا غیر، و لا یمکن أن یکون من نسج العقل البشـریّ، لأن القرآن نزل خلال (۲۳ عاما) عبر طریق طویل من أنواع الحوادث و الوقائع المسـرة و المحزنة، المقرونة بالنصر و الهزیمة، و النجاح و الإخفـاق، و لا شکّ أن هـذه الحالات المختلفـة، و الاحاسـیس و المشاعر المتنوعـة المتباینـة، تترک أثرا عمیقا فی نفس الإنسان، و روحه و عقله، و لا یمکن لإنسان واحد أن یتکلم بکلام من نوع واحد، و بنبرة واحدة، فی حالتین

---

(۱) الفرقان: ۳۳.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۴۸

نفسیّتین متضـادتین، فالکلاـم الصادر فی حال الفرح و الابتهاج و المسـرة من اللسان او القلم، یختلف من حیث الفصاحـة و البلاغـة و جمال اللفظ و عمق المعنی اختلافا بارزا عن الکلام الصادر فی حال الحزن و التعب، و الاخفاق، و الهزیمة.

(۱) بینمـا لاـ یوجـد أی شـیء من الاختلاف من حیث الألفاظ و المعانی بین آیات القرآن الکریم مع أنّها نزلت علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و هو یمر بحالات مختلفـة من الحزن و السـرور و الاخفاق و الانتصار و السـرّاء و الضـرّاء، و العسـر و الرخاء، و الجهد و النشاط، بل نجد تلک الآیات علی نمط و نسق واحد من القوة و الفصاحة و البلاغة، و جمال اللفظ و عمق المعنی بحیث یستحیل علی أیّ بشـر بلغ ما بلغ أن یعارض آیة من آیاته أو سورة من سوره، و کأنّ القرآن الکریم کمیة من الفضّة المائعة خرجت من الاتون جملة واحدة لا یوجد بین آیاتها أی شیء من التفاوت و الاختلاف، أو کأنّه جوهرة واحدة أولها کآخرها و آخرها کأولها.

و لعلّ الآیة التالیة التی تنفی أیّ نوع من أنواع الاختلاف فی القرآن اذ تقول:

«وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً» «۱» اشارة الی هذا السرّ.

إنّ المفسـرین اعتبروا هـذه الآیـة ناظرة إلی نفی الاختلاف و التناقض بین مفاهیم الآیات و مفاداتها، و مقاصدها، فی حین لا تنفی هذه الآیة مجرّد هذا النوع من الاختلاف بل تقدّس القرآن المجید و تنزهه من جمیع انواع الاختلاف و التناقض الذی هو من لوازم العمل و الانتاج البشری.

---

(۱) النساء: ۸۲.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۴۹

(۱)

۱۷ الى الحبشة

الهجرة الاولى

تعتبر هجرة فريق من المسلمين الى أرض الحبشة دليلا بارزا على إيمانهم و اخلاصهم العميق لدينهم، و لربهم و ذلك لأن فريقا من الرجال و النساء يقررون- و بهدف الحفاظ على عقيدتهم و التخلص من أذى قريش و مضايقتها و الحصول على مكان آمن يقيمون فيه شعائرهم بحرية و يعبدون اللّه الواحد- مغادرة (مكة)، العربية التى ترزح تحت ظلام الوثنية، فلا يمكن أن يرفعوا نداء التوحيد عاليا فى أية نقطة من نقاطها، و لا يمكنهم اقامة احكام الدين الحنيف فيها من دون خوف أو وجل، و بعيدا عن الارهاب، و يفكرون، و يفكرون، و أخيرا يقودهم التفكير إلى أن يفاتحوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بهذه المسألة، و يطلبوا فى ذلك رأى النبى الذى يقوم دينه على مبدأ: «إِنَّ أَرْضِى واسِعَةٌ فَإِيَّایَ فَاعْبُدُونِ» «۱».

(۲) لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يعرف أوضاع المسلمين المؤلمة جيدا، فقد كان هو يحظى بحماية بنى هاشم، و كان الفتيان الهاشميون يحمونه و يحفظونه

---

(۱) العنكبوت: ۵۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۰

من كل اذى، و لكن الذين آمنوا به من الإماء و العبيد، و من ليست لهم حماية من الأحرار المستضعفين الذى كانوا يشكلون عددا كبيرا من المسلمين السابقين كان يتعرضون لشتى صنوف العذاب و الايذاء و المضايقة من قريش التى لم تأل جهدا، و لم تدخر وسعا، و لم تفوّت فرصة و لا وسيلة لالحاق العنت و الأذى بالمؤمنين برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لا يستطيع صلّى اللّه عليه و آله منعهم من ذلك.

و قد كان زعماء كل قبيلة يعمدون- للمنع من نشوب أىّ صدام بين القبائل- الى تعذيب من اسلم من ابناء قبيلتهم، و ايذائه و التنكيل به، و قد مرت عليك نماذج و امثلة من أذى قريش و تعذيبها القاسى للمسلمين.

(۱) لهذه الأسباب عند ما طلب أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و آله رأيه فى الهجرة من مكة قال فى جوابهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فانّ بها ملكا لا يظلم عنده أحد و هى أرض صدق حتى يجعل اللّه لكم فرجا ممّا أنتم فيه» «۱».

أجل ان مجتمعا صالحا يتسلّم زمام الأمر فيه رجل صالح عادل نموذج مصغّر من جنّة عدن بالنسبة الى المسلمين المضطهدين فى بلدهم بسبب عقيدتهم، و هو ما كان يريده و يتمناه أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليتمكنوا من القيام بشعائر دينهم فيه فى جوّ من الطمأنينة و الامن.

و لقد كان لكلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أثر قوى فى نفوسهم تلك الثلة المؤمنة الباحثة عن ارض تعبد فيها اللّه فى أمان، بحيث لم يمض زمان إلّا و قد شدّت رحالها و غادرت مكة ليلا فى غفلة من الاجانب (المشركين) مشاة و ركبانا، متجهة نحو جدّة، للسفر عبر مينائها الى ارض الحبشة.

و كان هذا الفريق يتألف من عشر أو خمسة عشر شخصا بينهم أربعة من

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۱، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۰، و بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۲ نقلا عن مجمع البيان للطبرسى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۱

النسوة المسلمات «۱».

(۱) و الآن يجب أن نرى لما ذا لم يذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للمسلمين مناطق اخرى للهجرة إليها، و انما ذكر الحبشة فقط. ان سر هذا الاختيار هذا يتضح إذا درسنا أوضاع الجزيرة العربية و غيرها من المناطق آنذاك.

ان الهجرة الى المناطق العربية التى كان سكانها من المشركين و الوثنيين قاطبة كان أمرا محفوفا بالخطر، فان المشركين كانوا سيمتنعون عن قبول المسلمين فى أرضهم إرضاء لقريش أو وفاء و تعصبا لدين الآباء (الوثنيّة).

و كذلك المناطق التى كان يقطنها المسيحيّون أو اليهود، من الجزيرة العربية لم تكن تصلح لهجرة المسلمين إليها هى الاخرى لان تينك الطائفتين كانتا تتقاتلان فيما بينهما فى صراع مذهبىّ و طائفى، فلم تكن الأوضاع لتسمح بأن يدخل طرف ثالث فى حلبة الصراع، هذا مضافا إلى أن ذينك الفريقين (اليهود و النصارى) كانا يحتقران العنصر العربىّ أساسا، فكيف يمكن الهجرة الى مناطقهم و التعايش معهم؟!

(۲) أما «اليمن» فقد كان تحت سيطرة الحكم الإيرانىّ الملكىّ، و لم تكن السلطات الإيرانية آنذاك لتسمح باقامة المسلمين فى ربوع «اليمن»، لما عرف من نقمتها فيما بعد على الدعوة الاسلامية الى درجة انه لما وصلت رسالة النبى صلّى اللّه عليه و آله الى «خسرو برويز» كتب الى عامله على اليمن فورا «احمل إلىّ هذا الذى يذكر أنه نبىّ، و بدأ اسمه قبل اسمى، و دعانى إلى غير دينى» «۲»!!.

و كذلك كانت «الحيرة» تحت الاستعمار و النفوذ الايرانىّ كاليمن.

(۳) و أمّا «الشام» فقد كانت بعيدة عن «مكة المكرمة»، هذا مضافا الى ان «اليمن» و «الشام» كانتا سوقين لقريش، و كانت تربط قريش بسكان هاتين المنطقتين روابط و علاقات وثيقة، فاذا كان المسلمون يلجئون إليها اخرجوا منهما

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۰.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۸۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۲

بطلب من قريش، تماما كما طلبت من ملك الحبشة مثل هذا الطلب، و لكنه رفض طلبهم.

(۱) و قد كانت الرحلة البحرية- فى تلك الآونة- و بخاصة برفقة النساء و الاطفال رحلة شاقة جدا، من هنا كانت هذه الهجرة، و ترك الحياة و المعيشة فى الوطن دليلا قويا على إخلاص اولئك المهاجرين لدينهم و عمق ايمانهم به، و صدقه.

و لقد كان ميناء «جدة» آنذاك ميناء تجاريا عامرا كما هو عليه الآن، و من حسن الاتفاق أن هذه الثلة المهاجرة قد وصلت الى هذا الميناء فى الوقت الذى كانت فيه سفينتان تجاريتان على اهبة الاقلاع، و التوجه نحو الحبشة، فبادر المسلمون إلى ركوبها و السفر عليها دون تلكّؤ خشية لحاق قريش بهم و القبض عليهم، لقاء نصف دينار عن كل راكب.

و كان ذلك فى شهر رجب فى السنة الخامسة من مبعث رسول اللّه «۱».

و لما عرف المشركون بهجرة بعض المسلمين أمروا جماعة من رجالهم بملاحقة اولئك المهاجرين و أعادتهم الى مكة فورا، و لكن المسلمين المهاجرين كانوا قد غادروا شواطئ «جدة» قبل أن يدركهم الطلب «۲».

(۲) و من الواضح أن ملاحقة مثل هذه الثلة التى لم تلجأ إلى أرض الغير إلّا لأجل الحفاظ على عقيدتها و الفرار من الفتنة لنموذج بارز من عتوّ قريش و عنادها.

فاولئك المهاجرون مؤمنون تركوا الأهل و الوطن، و اغمضوا الطرف عن المال، و التجارة، و خرجوا يطلبون أرضا نائية يمارسون فيها شعائرهم بحرية، و مع ذلك لا يكف عنهم زعماء مكة و جبابرتها و طغاتها!!

اجل ان رؤساء «دار الندوة» بمكة و اقطابها كانوا يعلمون جيدا أسرار هذه

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۲ نقلا عن مجمع البيان للطبرسى.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۲۱- ۳۲۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۳

الهجرة و آثارها من خلال بعض القرائن، و المؤشرات و لذلك كانوا يرددون فيما بينهم امورا سنذكرها فى ما بعد.

هذا و الجدير بالذكر أن اعضاء هذا الفريق المهاجر لم يكونوا من قبيلة واحدة بل كان كل واحد من هؤلاء العشرة ينتمى الى قبيلة خاصة.

الهجرة الثانية الى الحبشة:

(۱) ثم انه وقعت بعد هذه الهجرة هجرة اخرى، و كان فى مقدمة المهاجرين هذه المرة «جعفر بن أبى طالب». ابن عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد تمت الهجرة الثانية فى منتهى الحرّية، لأن المسلمين المهاجرين استطاعوا فى هذه الهجرة ان يصطحبوا معهم نساءهم و أولادهم، بحيث بلغ عدد المسلمين فى أرض الحبشة هذه المرة (۸۳).

هذا إذا لم نحص من ولد فى أرض الحبشة لهم، و الّا كان العدد اكثر من هذا الرقم.

و لقد وجد المسلمون المهاجرون ارض الحبشة كما وصفها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم: منطقة عامرة، و بيئة آمنة حرّة، تصلح لأن يعبد فيها اللّه تعالى بحرية و أمان.

تقول «أمّ سلمة» التى تشرفت بالزواج من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ما بعد، عن تلك الارض: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنّا على ديننا، و عبدنا اللّه تعالى، لا نؤذى، و لا نسمع شيئا نكرهه.

كما أنه يستفاد ممّا قاله بعض اولئك المهاجرين من الشعر فى الحبشة، انهم أمنوا بأرض الحبشة، و حمدوا جوار النجاشى، و عبدوا اللّه لا يخافون على ذلك أحدا.

(۲) و نحن نكتفى هنا بادراج بعض الأبيات من قصيدة مطوّلة أنشأها «عبد اللّه بن الحارث» فى هذا الصدد:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۴ يا راكبا بلّغن عنّى مغلغلة «۱»من كان يرجو بلاغ اللّه و الدّين

كلّ امرئ من عباد اللّه مضطهدببطن مكّة مقهور و مفتون

أنّا وجدنا بلاد اللّه واسعةتنجى من الذلّ و المخزاة و الهون

فلا تقيموا على ذلّ الحياة و خزى فى الممات و عيب غير مأمون «۲» و يقول ابن الاثير: و كان مسيرهم (الى الحبشة) فى رجب سنة خمس من النبوة و هى السنة الثانية من اظهار الدعوة فاقاموا شعبان و شهر رمضان و قدموا فى شوال سنة خمس من النبوة، و كان سبب قدومهم الى النبى صلّى اللّه عليه و آله انه بلغهم ان قريشا اسلمت فعاد منهم قوم و تخلّف قوم «۳».

هذا و يمكن للقارئ الكريم أن يقف على تفاصيل هذا القسم فى السيرة النبويّة لابن هشام «۴».

(۱)

قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين:

عند ما بلغ قريشا و زعماء «مكة» ما أصبح فيه المسلمون المهاجرون من أمن و حرية، و ما حصلوا عليه من حسن الجوار و الطمأنينة و الراحة فی أرض الحبشة ثارت ثائرة الحسد و الغيظ فی قلوبهم، و توجسوا خيفة من نفوذ المسلمين فی الحبشة لأن أرض الحبشة قد أصبحت قاعدة قوية للمسلمين، و كانت الزعامة المكية تتخوف من أن يجد أنصار الإسلام و اتباعه منفذا إلی بلاط النجاشی زعيم الاحباش و ملكهم، و يميّلوا قلبه نحو الإسلام، و يكسبوا تاييده للمسلمين، فيؤول الأمر إلی أن يعبّئ جيشا كبيرا للقضاء علی حكومة المشركين الوثنيين فی شبه الجزيرة العربية، و عندها تكون الكارثة.

(۲) فاجتمع أقطاب «دار الندوة» مرة اخری للتشاور فی الأمر، فاستقرّ رأيهم علی أن يبعثوا إلی البلاط الحبشیّ من يقدم إلی النجاشیّ و وزرائه و قواده هدايا

---

(۱) المغلغة: الرسالة ترسل من بلد الی بلد.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۱- ۳۵۳.

(۳) الكامل فی التاريخ: ج ۲ ص ۵۲ و ۵۳.

(۴) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۴- ۳۶۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۵

مناسبة يستميلونهم بها ليستطيعوا من هذا الطريق التأثير علی النجاشی تم يتسنّی لهم بعد ذلك ان يقنعوه بضرورة إخراج المسلمين المهاجرين من أرضه أن يتهمونهم عنده بالسفاهة و الجهل، و ابتداع دين جديد منكر، و الارتداد عن دين الآباء و الاجداد!!

(۱) و لكی تتحقق خطتهم هذه علی أحسن وجه و يصلوا عن طريقها إلی أفضل النتائج اختاروا من بينهم رجلين ماكرين اصبح احدهما فی ما بعد من دهاقنة السياسة و هما: «عمرو بن العاص»، و «عبد اللّه بن ابی ربيعة» و قال لهما كبير المؤتمرين فی ذلك الدار: ادفعا إلی كل بطريق هديته قبل أن تكلّما النجاشی فيهم، ثم قدّما إلی النجاشیّ هداياه، ثم سلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

فخرج موفدا قريش حتی قدما علی النجاشی بعد أن تلقّيا هذه التعليمات.

و هناك فی الحبشة دفعا الی كل بطريق من بطارقة النجاشیّ وقادة جيشه و وزرائه هديته، و قالا لكل بطريق منهم:

إنه قد ضوی «۱» إلی بلد الملك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا فی دينكم، و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا انتم، و قد بعثنا إلی الملك لنكلّمه فی أمرهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم فاذا كلّمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلّمهم إلينا، و لا يكلّمهم، فان قومهم أبصر بهم، و اعلم بما عابوا عليهم».

(۲) فابدی اولئك البطارقة و القادة و الوزراء الطامعون الجهلة استعدادهم لمساعدة الرجلين فی إنجاح مهمتهم.

و لما كان من غد دخلا علی النجاشی و قدما هداياهما إليه فقبلها منهما ثم كلّماه فقالا له:

أيها الملك إنه قد ضوی إلی بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم و لم

---

(۱) ضوی أیّ لجأ و أتی ليلا.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۶

يدخلوا فی دينك، و جاءوا بدين ابتدعوه لا- نعرفه نحن و لا- أنت، و قد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائرهم لتردّهم إليهم، فهم أبصر بهم و اعلم بما عابوا عليهم و عاتبوهم فيه.

و ما أن انتهی موفدا قريش من الكلام إلّا و قالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أبصر بهم، و أعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما، فليرداهم الی بلادهم و قومهم.

(۱) فغضب النجاشیّ و کـان رجلاـ حکیمـا عادلاـ و قـال: لاهـا اللّه، إذن لا اسـلمهم إلیهما، و لا یکاد قوم جاورونی، و نزلوا بلادی و اختـارونی علی من سوای حتی أدعوهم فاسألهم عمـا یقول هـذان فی أمرهم فـان کـانوا کمـا یقولان أسـلمتهم إلیهما، و رددتهم الی قومهم، و ان کانوا علی غیر ذلک منعتهم منهما و احسنت جوارهم ما جاورونی.

ثم ارسـل الی أصـحاب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله المهاجرین الی الحبشـة فـدعاهم من غیر أن یعلمهم بما یریـد منهم، فحضـروا عنـده، و کـانوا قـد قرّروا أن یکون متکلّمهم و خطیبهم: «جعفر بن أبی طـالب» و قـد قلق بعض المسـلمین لما قـد سـیقوله «جعفر» عند الملـک، و بما ذا سـیکلّمه و یجیبه، فسألوه عن ذلک فقال لهم جعفر: أقول و اللّه ما علّمنا، و ما امرنا به نبینا صـلّی اللّه علیه و آله کائنا فی ذلک ما هو کائن.

(۲) فالتفت النجاشی الی «جعفر» و سأله قائلا:

ما هذا الدین الذی فارقتم فیه قومکم، و لم تدخلوا (به) فی دینی و لا فی دین أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن ابی طالب:

«أیّها الملک، کنّا قوما أهل جاهلیة نعبد الأصـنام، و نأکل المیتة، و نأتی الفواحش، و نقطع الارحام، و نسیء الجوار، و یأکل القویّ منّا الضعیف، فکنّا علی ذلک حتی بعث اللّه إلینا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته و عفافه، فدعانا الی اللّه لنوحّده و نعبده، و نخلع ما کنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۵۷

الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصـدق الحـدیث، و أداء الأمانة، و صـلة الرحم، و حسن الجوار، و الکف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أکل مال الیتیم، و قذف المحصـنات. و أمرنا أن نعبد اللّه وحده، لا نشرک به شیئا، و أمرنا بالصلاة و الزکاة و الصـیام فصـدّقناه و آمنّا به، و اتّبعناه علی ما جاء به من اللّه، فعبـدنا اللّه وحده فلم نشـرک به شـیئا، و حرّمنا ما حرّم علینا، و أحللنا ما أحـلّ لنـا، فعـدا علینا قومنا، فعـذّبونا، و فتنونا عن دیننا، لیردّونا إلی عبادة الاوثان من عبادة اللّه تعالی، و ان نسـتحل ما کنّا نسـتحل من الخبـائث، فلمّـا قهرونـا و ظلمونـا و ضـیّقوا علینا، و حالوا بیننا و بین دیننا، خرجنا إلی بلادک، و اخترناک علی من سواک، و رغبنا فی جوارک، و رجونا أن لا نظلم عندک أیها الملک».

(۱) فـأثّرت کلمـات جعفر البلیغـة، و حـدیثه العـذب تأثیرا عجیبا فی نفس النجاشـیّ بحیث اغرورقت عیناه بالـدموع، و قال: لجعفر هل معک ممّا جاء به عن اللّه من شیء؟

فقـال جعفر: نعم فقـال له النجاشـیّ: فـاقرأه علیّ، فقرأ علیه جعفر آیـات من مطلع سورة مریم، و اسـتمرّ فی قراءته، و بـذلک بیّن نظرة الإسـلام إلی «مریم» علیها السّـلام و طهارة جیبها، و الی مکانة المسیح علیه السّلام، و عظمة شأنه، و جلیل مقامه، فبکی النجاشی حتی اخضـلّت لحیته بالدموع و بکت اساقفته «۱» حتی بلّوا مصـاحفهم بهـا حین ما سـمعوا ما تلاه جعفر علیهم حول مریم و المسـیح علیهما السّلام.

و بعد صمت قصیر ساد ذلک المجلس قال النجاشی:

«إن هذا و الذی جاء به عیسی لیخرج من مشکاة واحدة» و هو یقصد أن القرآن و الإنجیل کلام اللّه و أنهما شیء واحد.

ثم التفت الی موفدی قریش و قال لهما بنبرة قویة: انطلقا فلا و اللّه لا اسلّمهم إلیکما و لا یکادون، فخرجا من عنده.

---

(۱) الاساقفه؛ جمع اسقف: علماء النصاری. سید المرسلین ج ۱ ۴۵۸ قریش توفد رجالا لاسترداد المسلمین: ..... ص : ۴۵۴

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۴۵۸

(۱) و عند المساء تکلم «عمرو بن العاص»- و کان امرأ خدّاعا ماکرا- مع رفیقه «عبد اللّه بن ربیعة» فی الأمر، و قال له: و اللّه لآتینّه غدا

عنهم بما استأصل به حضراءهم (و هو يعنى أنه سيأتى بحيلة تقضى على جذور المهاجرين بالمرة) و لاخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. (أى على خلاف ما يعتقد النصارى فى المسيح).

فنهاه «عبد اللّه» عن ذلك و قال: لا تفعل، فانّ لهم أرحاما، و ان كانوا خالفونا، و لم ينفع نهى عبد اللّه له.

(۲) و لمّا كان من الغد دخلا على النجاشىّ مرة اخرى فقال له «عمرو» متظاهرا هذه المرة بالدفاع عن عقيدة النصارى و هى دين الملك و اهله، و منتقدا رأى المسلمين.

أيها الملك، إنهم يقولون فى «عيسى بن مريم» قولا عظيما. فارسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فارسل النجاشى إليهم ليسألهم عنه، و هو الملك المحنّك الذى لا يأخذ الامور على ظواهرها، و من غير تحقيق و دراسة، فأدرك المسلمون بفطنتهم أنه سيسألهم هذه المرة عن موقفهم من المسيح عليه السّلام فاتفقوا أن يكون «جعفر» متكلمهم و خطيبهم و عند ما سألوه عما سيجيب به الملك قال: أقول و اللّه ما قال اللّه، و ما جاءنا به نبينا.

(۳) فلما دخلوا على النجاشىّ قال لجعفر بن ابى طالب: ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم؟

فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلّى اللّه عليه و آله: هو عبد اللّه و رسوله و روحه و كلمته القاها الى مريم العذراء البتول.

فسرّ النجاشى لكلام جعفر و رضى به و قال: هذا و اللّه هو الحق، و اللّه ما عدا عيسى بن مريم ما قلت

و لكنّ حاشيته لم ترض بهذا الكلام و لم تقبل بما قاله الملك، و لكنّه لم يعبأ بهم، و أيّد مقالة المسلمين، و منحهم الحرية الكاملة، و الأمان الكامل قائلا لهم:

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۵۹

اذهبوا فانتم آمنون فى أرضى من سبّكم غرم، من سبّكم غرم، ما احب أنّ لى دبرا من ذهب و إنى آذيت رجلا منكم.

و ردّ على موفدى قريش هداياهما قائلا لهما: «ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فو اللّه ما أخذ اللّه منى الرشوة حين ردّ علىّ ملكى فاخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فىّ فاطيعهم فيه».

فخرج مبعوثا قريش مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به يجرّان اذيال الخيبة «۱».

و ينبغى ان نسجّل هنا موقفا آخر من مواقف ابى طالب فى تأييد المسلمين، و نصرة الدين الحنيف.

فقد أرسل «ابو طالب» أبياتا للنجاشىّ يحثّه على الدفع عن المهاجرين و حسن جوارهم و تلك الابيات هى:

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفرو عمرو و اعداء العدو: الأقارب؟

و هل نالت افعال «۲» النجاشىّ جعفراو أصحابه أو عاق ذلك شاغب؟

تعلّم، أبيت اللعن، انك ماجدكريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلّم بان اللّه زادك بسطةو أسباب خير كلّها بك لازب

و أنك فيض ذو سجال غزيرةينال الاعادى نفعها و الاقارب «۳»

(۱)

العودة من الحبشة:

قلنا فى ما مضى أنّ المجموعة الاولى من المهاجرين رجعت من الحبشة الى مكة لأنباء بلغتها عن إسلام قريش عامة و انضوائها تحت راية الإسلام. حتى إذا دنوا من «مكة» بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلام اهل مكة كان باطلا،

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۸، إمتاع الاسماع: ص ۲۱ بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۱۴ و ۴۱۵.

(۲) إحسان.

(۳) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۳ و ۳۳۴.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص: ۴۶۰

فلم يدخل منهم الى «مكة» إلّا قليل دخلوها مستخفين أو فى جوار بعض الشخصيات القرشية بينما عاد الأكثرون من حيث جاءوا.

(۱) و كان ممن دخل «مكة» بجوار «عثمان بن مظعون» الذى دخلها بجوار «الوليد بن المغيرة» «۱» و لكنه كان يشاهد ما فيه أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من البلاء، و العذاب و هو يغدو و يروح فى امان فتألّم لذلك و لم تطق نفسه تحمّل هذا الفرق و قال: و اللّه إن غدوّى و رواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، و أصحابى و أهل دينى يلقون من البلاء و الأذى فى اللّه ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى. فمشى الى «الوليد بن المغيرة» و ردّ عليه جواره ليواسى المسلمين و يشاركهم فى آلامهم و متاعبهم و قال: يا أبا عبد شمس وفت ذمّتك، قد رددت إليك جوارك.

قال: لم يا ابن أخى؟ لعلّه آذاك أحد من قومى؟

قال: لا و لكنى أرضى بجوار اللّه و لا اريد أن أستجير بغيره.

فقال الوليد له: إذن فاردد علىّ جوارى علانية كما أجرتك علانية.

(۲) فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال «الوليد» مخاطبا من حضر من قريش: هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى.

قال: صدق، قد وجدته وفيّا كريم الجوار و لكنّى قد احببت أن لا استجير بغير اللّه، فقد رددت عليه جواره «۲».

ثم لم يمض شىء من الوقت حتى دخل المسجد «لبيد» و كان شاعرا متكلّما بارزا من شعراء العرب و متكلّميها و وقف فى مجلس من قريش ينشدهم و «عثمان بن مظعون» جالس معهم فقال من جملة ما قال شعرا:

ألّا كل شىء ما خلا اللّه باطل

فقال عثمان بن مظعون: صدقت فقال: لبيد:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۶۹.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۷۰.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص: ۴۶۱ و كل نعيم لا محالة زائل

(۱) قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول فاستثقل «لبيد» تكذيب عثمان و تحدّيه له فى ذلك الجمع فقال: يا معشر قريش و اللّه ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟؟

فقال رجل من القوم: إنّ هذا سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله.

فردّ عليه «عثمان» حتى تفاقم الأمر بينهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها (و اصابها)، و الوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان فقال: أما و اللّه يا ابن أخى إن كانت عينك عمّا أصابها لغنيّة لقد كنت فى ذمة منيعة (و هو يريد أنك لو بقيت فى ذمتى و جوارى لما اصابك ما أصابك).

فقال عثمان رادّا عليه: بل و اللّه إن عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب اختها فى اللّه، و انى لفى جوار من هو أعزّ منك، و أقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هلمّ يا ابن أخى إن شئت فعد إلى جوارك، فقال ابن مظعون: لا «۱».

و كانت هذه صورة رائعة من صور كثيرة لصمود المسلمين، و تفانيهم فى سبيل العقيدة، و إصرارهم على النهج الذى اختاروه، و مواساة بعضهم لبعض فى أشدّ فترة من فترات التاريخ الإسلامى.

(٢)

وفد مسيحىّ لتقصّى الحقائق يدخل مكة:

قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو بمكة عشرون رجلا من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، مبعوثين من قبل أساقفتها لتقصّي الحقائق بمكة، و التعرف على الإسلام. فوجدوا رسول اللّه فى المسجد، فجلسوا إليه، و كلّموه و سألوه عن مسائل، و رجال من قريش فيهم «أبو جهل» فى أنديتهم حول الكعبة.

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٧٠ و ٣٧١.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۶٢

فلما فرغوا من مسألة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عما أرادوا دعاهم- صلّى اللّه عليه و آله- إلى اللّه عزّ و جلّ و تلا عليهم آيات من القرآن الكريم، فكان لها من التأثير البالغ فى نفوسهم بحيث عند ما سمعوها فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له و آمنوا به و صدّقوه، بعد ما عرفوا منه ما كان يوصف فى كتابهم (الانجيل) من أمره.

فلما قاموا عنه، و رأت قريش ما نتج عنه ذلك اللقاء استثقله «ابو جهل» فقال للنصارى الذين اسلموا معترضا و موبّخا: خيّبكم اللّه من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئنّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم و صدّقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم.

فأجابه اولئك بقولهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، و لكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا «١».

و بذلك الكلام الرفيق الجميل ردّوا على فرعون مكة الذى كان يبغي- كسحابة داكنة- حجب أشعة الشمس المشرقة، و حالوا دون وقوع صدام.

(١)

قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق:

لقد أيقظ وفد نصارى الحبشة الى مكة و ما نجم عن لقائهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قريشا و دفعهم الى تكوين وفد يتألف من: «النضر بن الحارث» و «عاقبة بن ابى معيط» و غيرهما و إرسالهم إلى أحبار يهود المدينة ليسألونهم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و دينه.

فقال أحبار اليهود لمبعوثى قريش: سلوا محمّدا عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل، و ان لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم، سلوه:

١- عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول (يعنون بهم أصحاب الكهف) ما كان

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٩٠ و ٣٩٣ و قد نزلت فى هذا الشأن الآيات ۵٢ الى ۵۵ من سورة القصص.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۶٣

من امرهم، فانه قد كان لهم حديث عجيب.

٢- و عن رجل طوّاف (يعنون به ذا القرنين) قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبؤه و خبره؟

۳- و عن الروح ما هی؟

(۱) فاذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فانه نبیّ، و ان لم یفعل، فهو رجل متقوّل فاصنعوا فی أمره ما بدا لكم.

فعاد وفد قریش الی «مكة» و لما قدموها قالوا لقریش ما سمعوه من أحبار الیهود.

فجاؤوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و طرحوا علیه الاسئلة الثلاثة السالفة. فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: انتظر فی ذلك وحیا «۱».

ثم نزل الوحی یحمل الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الأجوبة المطلوبة علی تلك الاسئلة.

و قد ورد الجواب عن السؤال عن الروح فی الآیة ۸۵ من سورة الإسراء.

و اجیب علی السؤالین الآخرین عن أصحاب «الكهف» و ذی القرنین بتفصیل فی سورة «الكهف» ضمن الآیات ۹- ۲۸ و الآیات ۷۳- ۹۳.

و قد وردت تفصیلات هذه الإجابات التی أجاب بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أسئلتهم فی كتب التفسیر.

و لا ـ بدّ هنا من أن نذكّر القارئ الكریم بنقطة مفیدة و هی أنّ المراد من «الرّوح» فی سؤال القوم لیس هو الرّوح الإنسانیة بل كان المراد هو جبرئیل الأمین، (بقرینة أنّ المقترحین الاصلیین لهذه الأسئلة: هم الیهود و كانوا یكرهون الروح الامین، و یعادونه)، و هو أمر مبحوث فی محلّه من كتب التفسیر.

---

(۱) السیرة النبویّة: ج ۱ ص ۳۰۰- ۳۰۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۵

(۱)

۱۸ الأسلحة الصدیئة و الاسالیب الفاشلة

اشارة

نظّم أسیاد قریش صفوفهم لمكافحة عقیدة التوحید، بعد أن أدركوا عقم المواقف المبعثرة من هذا الدّین و أهله.

فقد حاولوا فی بدایة الأمر أن یثنوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن المضیّ فی مواصلة دعوته، و ذلك بتطمیعه بالمال و الجاه و ما شابه ذلك، و لكن لم یحصلوا من ذلك علی شیء، فقد خیّب ذلك الرجل المجاهد ظنونهم فیه، و بدّد آمالهم فی اثنائه عن هدفه بكلمته الخالدة المدوّیة: «و اللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی، و القمر فی یساری علی أن أترك هذا الأمر لما فعلت» و هو یعنی ان تملیكه العالم كله لا یثنیه عن هدفه و لا یصرفه عن تحقیق ما ندب إلیه، و ارسل به.

(۲) فعمدوا الی سلاح آخر هو التهدید و الأذی، و التنكیل به و باصحابه و انصاره، و لكنهم واجهوا صموده و صمود أنصاره و اصحابه، و ثباتهم الذی ادی إلی انتصار المؤمنین فی هذا المیدان، و خیبة المشركین و هزیمتهم.

و قد بلغ من ثبات المسلمین علی الطریق أنهم أقدموا علی مغادرة الوطن، و ترك الأهل و العیال، و الهجرة إلی الحبشة فرارا بدینهم إلی اللّه، و سعیا وراء نشره و بثه فی غیر الجزیرة من الآفاق.

و لكن رغم إخفاق أسیاد قریش المشركین فی جمیع هذه الجبهات و المیادین

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۶۶

و عجزهم عن استئصال شجرة التوحید الفتیة، و فشل جمیع الأسلحة التی استخدموها للقضاء علی الدین الجدید و أهله، لم تنته

محاولاتهم الإجهاضيّة بل عمدوا هذه المرّة إلى استخدام سلاح جديد حسبوه أمضى من سوابقه.
(١) و هذا السلاح هو سلاح الدعاية ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لانه صحيح أن ايذاء و تعذيب جماعة المؤمنين فى «مكة» تمنع غيرهم من سكان «مكّة» من الانضواء إلى الإسلام إلّا ان الحجيج الذين كانوا يسافرون الى مكة فى الأشهر الحرم و كانوا يلتقون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جوّ من الأمن و الطمأنينة خلال تلك المواسم كانوا يتأثّرون بدعوة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يتزعزع اعتقادهم بالأوثان على الأقل، إن لم يؤمنوا بدينه، و لم يستجيبوا لدعوته، ثم إنهم كانوا ينقلون رسالة الإسلام و انباء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى مواطنهم، و مناطقهم و كان ينتشر بذلك اسم رسول اللّه، و أنباء دينه فى شتّى مناطق الجزيرة العربية، و كان هذا هو بنفسه ضربة قوية توجّه إلى صرح الوثنية فى مكة، و عاملا قويا فى انتشار عقيدة التوحيد، و سطوع أمره.
من هنا اتخذ سادة قريش اسلوبا آخر، قاصدين بذلك الحيلولة دون انتشار الإسلام، و اتساع رقعته، و قطع علاقة المجتمع العربى به.
و إليك فيما ياتى بيان تفاصيل هذا الاسلوب، و هذه الخطة:
(٢)

١- الاتّهامات الباطلة:

اشارة

يمكن التعرف على شخصية أى واحد و تقييمها من خلال ما يرميه به اعداؤه من شتائم و سباب، و ما يكيلون له من اتهامات و نسب، فان العدو يسعى دائما الى أن يتهم خصمه بنوع من انواع التهم ليضلّ الناس، و يصرفهم عنه، و ليتمكن بما يحوكه حوله من أراجيف و أباطيل الحط من شأنه فى المجتمع و اسقاطه من الانظار و الأعين.
ان العدوّ الذكىّ يسعى دائما إلى ان ينسب إلى منافسه ما يصدّقه و لو فئة خاصة من الناس على الاقل، و يوجب شكّهم فى صدقه، و يتجنب تلك النسب
سيد المرسلين ،ج ١،ص:۴۶۷
التى لا تصدّق فى شأنه، و لا تناسب اخلاقه و افعاله المعروفة عنه، و لا تمسه بشكل من الأشكال، لأنه سوف لا يجنى فى هذه الحالة إلا عكس ما يقصد، و خلاف ما يريد.
(١) و من هنا يستطيع المؤرخ المحقق أن يتعرف على الشخصية الواقعية لمن يدرسه، و على مكانته الاجتماعية، و أخلاقه و سجاياه و لو من خلال ما ينسبه الأعداء إليه، و ما يكيلون له من أكاذيب و افتراءات، و نسب باطلة و اتهامات، لأنّ العدوّ الذى لا يخاف أحدا لا يقصّر فى كيل كلّ تهمة تنفعه و تخدم غرضه إلى الطرف الآخر، و يستخدم هذا السلاح (أىّ سلاح الدعاية) ما استطاع، و ما ساعدته معرفته بالظروف، و درايته بالفرص.
فاذا لم ينسب إليه أىّ شىء من تلك النسب الباطلة فان ذلك إنما هو لأجل طهارة جيبه، و نقاء صفحته، و تنزّه شخصيته عن تلك النسب، و لأنّ المجتمع لم يكن ليعبأ بها و لم يصدّقها فى شأنه.
و لو أننا تصفّحنا اوراق التاريخ الإسلامى لرأينا أن قريشا مع ما كانت تكنّ من عداء، و تحمل من حقد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كانت تسعى بكل جهدها أن تهدم صرح الإسلام الجديد الظهور، و أن تحطّ من شأن مؤسسه و بانيه لم تستطع مع ذلك أن تستفيد من هذا السلاح، و تستخدمه كاملا.
(٢) فقد كانت تفكّر فى نفسها: ما ذا تقول فى حق رسول اللّه؟ و ما ذا ترى تنسب إليه؟؟

هل تتهمه بالخيانة المالية و ها هم جماعة منهم قد ائتمنوه على أموالهم؟! «۱» كما أن حياته الشريفة طوال الاربعين سنة الماضية جسدت امانته امام الجميع، فهو الامين بلا منازع؟

هل تتهمه بالجرى و الانسياق وراء الشهوة و اللّذة؟ و كيف تقول فى حقه مثل هذا الكلام مع أنه بدأ حياته الشبابية بالتزويج بزوجة كبيرة السنّ الى درجة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۸

ما، و بقى معها حتى لحظة انعقاد هذه الشورى فى «دار الندوة» بهدف الدعاية ضدّه، و لم يعهد منه زلّة قدم فى هذا السبيل قط؟!

(۱) و بالتالى بما ذا تتهم محمّدا الصادق الأمين، الطاهر العفيف، و أية تهمة ترى يمكن أن تصدّق فى حقه، أو يحتمل الناس صدقها فى شأنه و لو بنسبة واحد فى المائة؟

لقد تحيّر سادة «دار الندوة» و أقطابها فى كيفية استخدام هذا السلاح، سلاح الدعاية ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقرّروا فى نهاية الأمر أن يطرحوا هذا الأمر على صنديد من صناديد قريش و يطلبوا رأيه فيه، و هو «الوليد بن المغيرة» و كان ذا سنّ فيهم، و مكانة، فقال لهم:

يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم و ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا، و لا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضا، و يرد قولكم بعضه بعضا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقول به.

قال: بل أنتم قولوا أسمع.

(۲) قالوا: نقول كاهن.

قال: لا و اللّه ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن و لا سجعة.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه، و لا تخالجه، و لا وسوسته.

قالوا: فنقول: ساحر.

فقال: ما هو بساحر لقد رأينا السحّار و سحرهم فما هو بنفثهم و لا عقدهم.

و هكذا تحيّروا فى ما ينسبون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و أخيرا اتفقوا على أن يقولوا: أنه ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء و ابيه و بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته و بين المرء و عشيرته.

و يدلّ عليه ما أوجده من الخلاف و الانشقاق و التفرّق بين أهل مكة الّذين

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۶۹

كان يضرب بهم المثل فى الوحدة و الاتفاق «۱».

(۱) و قد ذكر المفسّرون فى تفسير سورة «المدثر» هذه القصة بنحو آخر فقالوا:

لمّا انزل على رسول اللّه «حم تنزيل الكتاب ...» قام الى المسجد و «الوليد بن المغيرة» قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية، فتركت الآية فى نفس الوليد تأثيرا شديدا فانطلق إلى منزله، و لم يخرج منه أيّاما، فسخرت منه قريش و قالت: صبأ- و اللّه- الوليد ثم مشى رجال من قريش إليه و سألوه رأيه فى قرآن محمّد، و اقترح كل واحد منهم

أمرا، و لکنه رد علیها بالنفی جمیعا فقالت قریش إذن ما هو؟ فتفکر «الولید» فی نفسه ثم قال: ما هو إلّا ساحر أ ما رأیتموه یفرّق بین الرجل و أهله، و ولده و موالیه، فهو ساحر و ما یقوله سحر یؤثر «۲».

و یری المفسرون أن الآیات التالیة فی شأنه إذ یقول اللّه تعالی:

«ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً. وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً. وَ بَنِینَ شُهُوداً. وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِیداً. ثُمَّ یَطْمَعُ أَنْ أَزِیدَ. کَلَّا إِنَّهُ کانَ لِآیاتِنا عَنِیداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَکَّرَ وَ قَدَّرَ. فَقُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ کَیْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَکْبَرَ. فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ یُؤْثَرُ ... (الی قوله:) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْکِرَةِ مُعْرِضِینَ. کَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» «۳».

(۲)

الإصرار فی نسبة الجنون إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

یعتبر اتّصاف النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلم و اشتهاره بین الناس بالصدق و الامانة و غیرها من مکارم الأخلاق منذ شبابه من مسلّمات التاریخ.

و هو بالتالی أمر اعترف به حتی أعداؤه الالدّاء، فقد دانوا بفضله، و أقرّوا

---

(۱) السیرة النبوّیة: ج ۱ ص ۲۷۰.

(۲) مجمع البیان: ج ۱۰ ص ۳۸۶ و ۳۸۷.

(۳) المدثر: من ۱۱- ۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۰

بأخلاقه الکریمة و سجایاه النبیلة، دون تلکؤ، و لا إبطاء.

و قد کان من أوصافه الحسنة البارزة ان جمیع الناس کانوا یدعونه «الصادق» «الامین» و کانوا یثقون بأمانته ثقة کبری «۱» حتی أن المشرکین کانوا یودعون ما غلی من أموالهم عنده، و استمر هذا الأمر حتی عشرة أعوام بعد دعوته العلنیّة.

(۱) و حیث أن دعوته صلّی اللّه علیه و آله قد ثقلت علی المعاندین فاجتهدوا فی أن یصرفوا عنه الناس بما ینسبون إلیه من بعض النسب التی توجب سوء الظنّ به، و من ثم إفشال دعوته، و حیث أنهم کانوا یعلمون أن النسب الاخری ممّا لا یقیم لها المشرکون وزنا، لأنها امور بسیطة فی نظرهم، من هنا رأوا بأن یتهمونه بالجنون، و الزعم بان ما یقوله و یقرؤه ما هو إلّا من نسج الخیال، و من أثر الجنون الذی لا یتنافی مع الزهد، و الأمانة، و ذلک تکذیبا لدعوته.

ثم عملت قریش علی إشاعة هذه النسبة، و اتخذت وسائل عدیدة و ماکرة لترویجها و بثّها بین الناس.

و من شدّة مکرهم و مراءاتهم أنّهم کانوا یتخذون موقف المتسائل المحاید فیطرحون هذه التهمة فی قالب الشک، و التردید اذ یقولون:

«أَفْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «۲».

(۲) و هذه هی بعینها الحیلة الشیطانیة التی یتوسّل بها و یتستر وراءها أعداء الحقیقة دائما عند ما یریدون تکذیب المصلحین العظام، و إسقاط خطواتهم و أفکارهم من الاعتبار، و الحطّ من شأنها و أهمیتها.

و یشیر القرآن أیضا إلی أنّ هذا الاسلوب الماکر الذمیم لم یکن مختصا بالمعارضین فی عهد الرسالة المحمّدیة، بل کان المعارضون فی الأعصر الغابرة أیضا یتوسلون بهذا السلاح لتکذیب الرسل، و الأنبیاء إذ یقول عنهم:

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۶۲ عن عبيد اللّه بن ابى رافع: كانت قريش تدعو محمّد صلّى اللّه عليه و آله فى الجاهلية الامين و كانت تستودعه و تستحفظه أموالها و أمتعتها، و كذلك كل من كان يقدم مكة من العرب فى الموسم، و جاءته النبوة و الرسالة و الأمر كذلك.

(۲) سبأ: ۸.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۱

«كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ» «۱».

(۱) و تحدّث الاناجيل الحاضرة هى الاخرى عن ان المسيح عليه السّلام عند ما وعظ اليهود قالوا: إنّ فيه شيطانا، فهو يهذى فلما ذا تسمعون إليه؟! «۲»

و من المسلّم و البديهى أنّ قريشا لو كان فى مقدورها أن تتهم رسول اللّه الصادق الأمين صلّى اللّه عليه و آله بغير هذا الاتهام و تنسب إليه غير هذه النسبة لما تأخرت عن ذلك، و لكن حياة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله المشرقة خلال الاربعين سنة الماضية، و سوابقه اللامعة فى المجتمع المكىّ و غير المكى كانت تحول دون أن ينسبوا إليه شيئا من تلك النسب القبيحة، الذميمة.

لقد كانت «قريش» مستعدة لأن تستخدم أى شىء- مهما صغر- ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فمثلا عند ما وجده أعداء الرسالة يجلس إلى غلام مسيحىّ يدعى «جبر» عند المروة، انطلقوا يستخدمون هذا الأمر ضدّه صلّى اللّه عليه و آله فورا فقالوا: و اللّه ما يعلّم محمّدا كثيرا ممّا يأتى به الا «جبر» النصرانى.

فردّ عليهم القرآن الكريم بقوله:

«وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» «۳».

«وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ» «۴».

۲- القرآن يرد على جميع الاتهامات:

اشارة

و ربما نسبوا إليه صلّى اللّه عليه و آله الكهانة، و الكاهن هو من يتصل بعناصر من الجن «۵» أو الشياطين و يتلقى منهم اخبارا حول الماضى و المستقبل،

(۱) الذاريات: ۵۲ و ۵۳.

(۲) انجيل يوحنا: الفصل ۱۰ الفقرة ۲۰، و الفصل ۷ الفقرة ۴۸ و ۵۲.

(۳) النحل: ۱۰۳.

(۴) الدخان: ۱۳ و ۱۴.

(۵) الجن كائن من الكائنات و مخلوق من مخلوقات اللّه تعالى و قد اخبر به القرآن الكريم فى مواضع-

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۲

و كان هذا موجودا قبل الإسلام كما ترويه كتب السير و التواريخ «۱».

و قد رد القرآن الكريم على هذه المقالة و هذا الزعم اذ قال تعالى:

«وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» «۲» كما ردّ أيضا تهمة السحر، و الكذب و الافتراء و الشعر إذ قال تعالى و هو يصف المتهمين تارة بالكفر و اخرى بالظلم:

«وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ» «۳».

و قال تعالى: «وَ قالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» «۴»

و قال سبحانه متعجبا منهم: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» «۵».

و قال تعالى: «وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» «۶».

و قال سبحانه: «وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» «۷».

و قال عزّ و جلّ: «فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ» «۸».

و قال تعالى: «قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» «۹».

و قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ» «۱۰».

و قال سبحانه: «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً» «۱۱».

و قال سبحانه: «أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «۱۲».

و قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» «۱۳».

و قال تعالى: «وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ» «۱۴».

و ربما وصفوا القرآن بانه اضغاث احلام فردهم سبحانه بقوله.

«بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ» «۱۵».

- عديدة كما سميت احدى السور باسم الجن.

(۱) راجع: بلوغ الارب فی معرفة أحوال العرب: ج ۳ ص ۲۶۹ باب علم الكهانة و العرافة.

(۲) الحاقة: ۴۲.

(۳) ص: ۴.

(۴) الفرقان: ۸.

(۵) الشعراء: ۱۵۳.

(۶) الحجر: ۶.

(۷) التكوير: ۲۲.

(۸) الطور: ۲۹.

(۹) النحل: ۱۰۱.

(۱۰) هود: ۱۳.

(۱۱) الفرقان: ۴.

(۱۲) سبأ: ۸.

(۱۳) الطور: ۳۰.

(۱۴) يس: ۶۹.

(۱۵) الأنبياء: ۵.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۷۳

و هكذا نجدهم ذهبوا فى استخدام سلاح الاتهام و التشويش على الشخصية المحمّدية و الرسالة الإسلامية كل مذهب، فمرة وصفوه بانه كاهن و اخرى بانه ساحر و ثالثة بانه مسحور، و رابعة بانه مجنون و خامسة بانه معلّم و سادسة بانه كذاب و سابعة بانه مفترى و ثامنة بانه مفترى او مجنون على سبيل الترديد و تاسعة بانه شاعر و عاشرة بان ما يقوله ما هو الّا أضغاث احلام.

(۱)

فكرة معارضة القرآن:

لم يجد استخدام سلاح الاتهام ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفعا، و لم تأت بالثمار التى كان يتوخاها المشركون منه، لأن الناس كانوا يدركون بفطنتهم و فراستهم أن للقرآن جاذبيّة غريبة، و أنهم لم يسمعوا كلاما حلوا، و حديثا عذبا مثله.

ان لكلماته من العمق و العذوبة بحيث يتقبّلها كل قلب، و تسكن إليها كل نفس.

من هنا لم ينفع اتهام قريش لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالجنون و بأنّ ما يقوله إن هو الّا من نسج الخيال، و نتائج الجنون، شيئا، فقررت أن تخطّط لتدبير آخر ظنا منهم بأنّ تنفيذه سيصرف الناس عنه، و عن الاستماع إلى كتابه، ألا و هو: معارضة القرآن الكريم.

(۲) فعمدت إلى «النضر بن الحارث» و كان من شياطين قريش، و ممّن كان يؤذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ينصب له العداوة، و كان قد قضى شطرا من حياته فى الحيرة بالعراق و تعلّم بها أحاديث ملوك الفرس و احاديث «رستم» و «إسفنديار» و قصصهم، و حكاياتهم، و أساطيرهم، و طلبوا منه أن يجمع الناس و يقص عليهم من تلكم الأساطير و الحكايات يلهى بها الناس عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يصرفهم عن الإصغاء إلى القرآن الكريم!!

فكان إذا جلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مجلسا فذكّر الناس فيه باللّه، و حذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة اللّه، خلفه «النضر» فى مجلسه

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۷۴

اذا قام صلّى اللّه عليه و آله ثم قال: أنا و اللّه يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلمّ إلىّ، فأنا احدّثكم أحسن من حديثه.

ثم يحدّثهم عن ملوك الفرس و «رستم» و «اسفنديار» ثم يقول:

بما ذا محمّد أحسن حديثا منى و ما حديثه إلّا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها؟ «۱».

(۱) و قد كانت هذه الخطة حمقاء جدا إلى درجة أنها لم تدم إلّا عدة ايام لا اكثر حتى أن قريشا سأمت من أحاديث «النضر» و سرعان ما تفرّقت عنه.

و قد نزل فى هذا الشأن آيات هى:

«وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً «۲»».

تحججات صبيانيّة و جاهليّة:

و ربما جسّدوا معارضتهم للدعوة المحمّدية فى صورة تحججات و مجادلات جاهليّة و ماخذ سخيفة اخذوها على رسول اللّه و رسالته، تنم عن تكبر و جهل، و عناد و لجاج طبعوا عليه.

و ها نحن نذكر ابرزها:

أ- لما ذا لم ينزل القرآن على ثرىّ من اثرياء مكة أو الطائف؟!

قال تعالى حاكيا قولهم:

«لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «۳».

ب- لما ذا لم يرسل إليهم ملائكة و لما ذا هو بشر؟!

قال تعالى عنهم:

«وَ ما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۰۰ و ۳۵۸.

(۲) الفرقان: ۵ و ۶.

(۳) الزخرف: ۳۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۵

رسولا» «۱».

و قال تعالى حاكيا عنهم أيضا:

«وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ» «۲».

ج- انّه يدعو الى خلاف ما كان عليه الآباء، من الدين و العقيدة و السلوك؟

يقول عنهم سبحانه:

«وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ» «۳».

د- تبديل الآلهة باله واحد.

قال اللّه عنهم:

«وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ. أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ» «۴».

ه- القول بحشر الاجساد و تجدد الحياة فى يوم القيامة.

قال تعالى عنهم:

«وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» «۵»

و- لما ذا ليس عنده مثل ما كان لدى موسى من المعجزات كالثعبان المنقلب من العصا، و قد توصل المشركون إلى هذا النمط من الاعتراض بسبب اتصالهم بأحبار اليهود.

يقول اللّه عنهم:

فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا لو لا اوتى مثل ما اوتى موسى» «۶».

ز- لما ذا ليس معه ملك يرى و يشاهد و يحضر معه فى كل مقام و مشهد.

قال تعالى:

«وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» «۷».

---

(۱) الاسراء: ۹۴.

(۲) الفرقان: ۷.

(۳) المائدة: ۱۰۴.

(۴) ص: ۴ و ۵.

(۵) السجدة: ۱۰.

(۶) القصص: ۴۸.

(۷) الانعام: ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۶

مقترحات عجیبة و مطالیب غریبة:

و کان المشرکون اذا نفذت تحججاتهم و اعتراضاتهم الواهیة، و قوبلوا بردود قویة و قاطعة علیها عمدوا إلی طرح مقترحات سخیفة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی سیاق معارضتهم لدعوته و نورد هنا ابرز تلک الاقتراحات لیعرف القارئ الکریم مدی معاناة النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله من قومه:

لقد اقترحوا علیه:

۱- ان یعبد اصنامهم سنة و یعبدوا إلهه سنة اخری و جعلوا ذلک شرطا لایمانهم بدعوته!!

فأنزل اللّه تعالی فی ردّهم بسورة «الکافرون»:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ. قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ. لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ».

۲- تبدیل القرآن، فقد دفع نقد القرآن الکریم للوثنیة، و الازراء علی الاصنام، دفعهم إلی ان یطلبوا من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان یأتی لهم بقرآن آخر لا یحتوی علی شجب عبادة الاوثان و الازدراء بالاصنام، و ابطالها.

قال اللّه تعالی عن فعلهم هذا:

«وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ» «۱».

فردّ اللّه علیهم بقوله:

«قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ» «۲».

۳- مطالیب مادیة عجیبة!!

---

(۱) یونس: ۱۵.

(۲) یونس: ۱۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۷۷

و قد عمدوا- بسبب عنادهم و عتوهم- الی المطالبة بامور لا ترتبط بهدایة الناس، مثل مطالبته بان یفجر لهم ینابیع، او یسقط السماء علی رءوسهم قطعا، أو یصعد إلی السماء، أو یأتی باللّه سبحانه و تعالی، أو غیر ذلک من الاقتراحات و المطالب التی کانت إما مستحیلة فی نفسها او تناقض غرض الدعوة!!

قال اللّه حاكيا عنهم ذلك:

«وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً. أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ» «۱».

صبر النبيّ و استقامته و ثباته:

و لقد قابل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كل هذه التحججات الايذائية و ما طرح من الاقتراحات المستحيلة بصبر عظيم و ثبات هائل، ايمانا منه بدعوته، و حرصا على ابلاغ رسالته، و بفعل التأييد الالهى من جانب.

يقول اللّه تعالى فى هذا الصدد:

۱- «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» «۲».

۲- «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» «۳».

۳- «وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» «۴».

۴- «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ» «۵».

۵- «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ» «۶».

۶- «وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا» «۷».

---

(۱) الاسراء: ۹۰- ۹۳.

(۲) الاحقاف: ۳۵.

(۳) يونس: ۱۰۹.

(۴) النحل: ۱۲۷.

(۵) الكهف: ۲۸.

(۶) القلم: ۴۸.

(۷) المزمل: ۱۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۸

معاجز النبيّ لم تنحصر فى القرآن:

اشارة

و بالمناسبة لا بد أن نذكر أن المشركين و من حذى حذوهم من الكفار و المعارضين للرسالة الإسلامية كانوا يطالبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمعاجز و آيات لا- بدافع الرغبة فى الايمان بدعوته بل بدافع اللجاج و العناد، و إلا فان معاجز النبىّ لم تنحصر فى الكتاب العزيز، فقداتى رسول اللّه بآيات و معاجز كثيرة اخرى غير القرآن، كان كل واحد منها يكفى للاقتناع برسالته، و الايمان بصحة دعواه.

فالقرآن نفسه يشير الى أبرز هذه المعاجز و هى:

۱– شقّ القمر

فقد طلب المشركون من النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ان يشق لهم القمر نصفين حتى يؤمنوا به، فلمّا فعل ذلك لهم باذن اللّه كفروا به و قالوا انه سحر!!

يقول اللّه تعالى:

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ. وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» «۱».

۲– المعراج

ان العروج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الذى سيأتى مفصلا هو الآخر معجزة من معاجزه القوية، و قد نطق بها القرآن بقوله:

«سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» «۲».

---

(۱) القمر: ۱ و ۲.

(۲) الاسراء: ۱.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۷۹

۳– مباهلة أهل الباطل

ان تقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع من خرج بهم إلى المباهلة، و احجام النصارى عن مباهلته، معجزة اخرى من معاجزه صلّى اللّه عليه و آله و قد تحدّث القرآن الكريم عن هذه القضية اذ قال:

«فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» «۱».

و ستأتى قصّة المباهلة على نحو التفصيل فى حوادث السنة العاشرة من الهجرة.

۴– الاخبار بالمغيبات

فقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخبر عن امور غائبة كما يقول اللّه سبحانه حاكيا عنه:

«وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» «۲».

هذا و قد أخبرت الاخبار و الأحاديث عن معاجز كثيرة لرسول اللّه غير القرآن الكريم.

---

(۱) آل عمران: ۶۱.

(۲) آل عمران: ۴۹، و قد اشار القرآن الكريم إلى موارد اخرى من هذه القبيل.

فقد اخبر عن غلبة الروم بعد سنين: قال تعالى:

«الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ. لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» (الروم: ۱– ۴).

و اخبر عن هلاك ابى لهب قال تعالى:

«تَبَّتْ يَدا أَبِى لَهَبٍ وَ تَبَّ ... الخ».

و أخبر عن هزيمة المشركين فى بدر قال سبحانه:

«سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (القمر: ۴۵).

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۰

و من هذه المعاجز ما ذكره الإمام امير المؤمنين علىّ بن أبى طالب- كما فى نهج البلاغة- حول سؤال المشركين من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قلع شجرة بعروقها و جذورها و لما فعل ذلك و قال يا أيّتها الشجرة ان كنت تؤمنين باللّه و اليوم الآخر، و تعلمين أنى رسول اللّه فانقلعى بعروقك حتى تقفى بين يدىّ باذن اللّه».

فانقلعت بعروقها و لها دوّى عجيب و وقفت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لكنهم كذّبوا و قالوا ساحر كذاب، علوا و استكبارا.

و قد صرح الإمام فى كلامه هذا أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أخبرهم بانهم لا يؤمنون و ان ظهرت لهم المعجزة التى طلبوها، و ان فيهم من يطرح فى القليب (فى معركة بدر) و ان منهم من يحزّب الأحزاب (لمعركة الخندق) «۱».

(۱)

اصرار النبىّ على هداية قريش:

بل كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يحرص على هدايتهم و ارشادهم و ايقاظهم. فقد كان زعيم المسلمين و قائدهم يعلم جيدا بأن اعتقاد أغلبية الناس بالأوثان ما هو الّا أمر نابع من تقليد الآباء، و الجدود، أو اتباع أسياد القبيلة و كبرائها، و هو بالتالى لا يستند إلى جذور فى أعماق الناس و اسس فى عقولهم و نفوسهم.

من هنا فانّ أىّ انقلاب يحصل و يحدث فى اوساط السادة و الكبراء بان يؤمن أحدهم مثلا كان كفيلا بأن يحلّ الكثير من المشاكل.

(۲) من هنا كان ثمة إصرار كبير على جرّ «الوليد بن المغيرة» الذى أصبح ابنه «خالد» فى ما بعد من قادة الجيش الاسلامىّ و المشاركين فى الفتوح الاسلامية إلى صف المؤمنين بالرسالة المحمّدية، لأنّه كان أسنّ من فى قريش و اكثرهم نفوذا، و أعلاهم مكانة، و أقواهم شخصية، و كان يدعى حكيم العرب، و كانت العرب تحترم رأيه إذا اختلفت فى أمر.

---

(۱) نهج البلاغة: قسم الخطب الرقم ۱۹۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۱

(۱) و قد كلّمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم فى ذلك و قد طمع فى اسلامه، فبينا هو فى ذلك إذ مرّ به «ابن أمّ مكتوم»، فكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و جعل يستقرئه القرآن فشقّ ذلك منه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى أضجره، و ذلك أنّه شغله عمّا كان فيه من أمر «الوليد». و ما طمع فيه من إسلامه، فلمّا أكثر عليه انصرف عنه عابسا و تركه، فنزل قوله تعالى:

«عَبَسَ وَ تَوَلَّى. أنْ جاءَهُ الْأَعْمى. وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَ ما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَ أَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى. وَ هُوَ يَخْشى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ» «۱» «۲».

و قد فنّد علماء الشيعة و محقّقوهم هذه الرواية التاريخية، و استبعدوا صدور مثل هذا السلوك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الذى امتدحه ربّ العالمين بالخلق العظيم، و وصفه بالرأفة بالمؤمنين، و قالوا: ليس فى الآيات ما يدل على أن الذى عبس و تولّى هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قد روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أن المراد رجل من بنی امیّة، فإنّه عبس و تولّی عند ما حضر «ابن أمّ مکتوم» الأعمی عند رسول اللّه فنزلت هذه الآیات توبیخا له «۳».

(۲)

۳- تحریم استماع القرآن

اشارة

کانت البرامج الواسعة التی دبرها الوثنیّون فی «مکة» لمکافحة الاسلام، و الحیلولة دون انتشاره بین القبائل و الجماعات، تنفّذ الواحدة تلو الأخری، و لکن دون جدوی، و دون ان یکسب اصحابها من ورائها أی نجاح، و ایة نتائج علی

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۶۳- ۳۶۴.

(۲) عبس: ۱- ۱۱.

(۳) مجمع البیان: ج ۱۰ ص ۴۳۷، و قد شرح العلامة الطباطبائی فی المجلد ۲۰ من تفسیر المیزان عند تفسیر سورة عبس شأن نزول هذه الآیات بصورة رائعة، و شکل بدیع، و اثبت بان فاعل عبس لیس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لا ینافی ذلک توجّه الخطاب فی «و ما یدریک» إلیه صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۲

المستوی المطلوب، فقد کانت تلک المؤامرات تفشل فی کل مرة، و لا یجنی المشرکون منها سوی الخیبة و الفشل، و سوی النتائج المعکوسة فی أغلب الأحایین.

فقد ما رسوا الدعایة ضد رسول اللّه فترة من الزمن و لکن لم یحالفهم التوفیق الکامل فی ذلک، فقد وجدوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اکثر ثباتا و استقامة فی طریقه و أشدّ إصرارا علی هدفه، و کانوا یرون بام أعینهم بأن عقیدة التوحید فی انتشار مستمر و متزاید، یوما بعد یوم.

(۱) و لهذا قرّر سادة قریش و زعماء «مکة» المشرکون أن یمنعوا الناس عن سماع القرآن.

و لکی تتحقق خطتهم هذه و تلبس ثوب الوجود بثّوا جواسیسهم فی کل انحاء مکة و مداخلها لیمنعوا من یفد إلیها للحج او التجارة من الاتصال بمحمّد، و منعه بکل صورة ممکنة، عن الاستماع الی القرآن، و أعلن منادیهم ما ذکره القرآن عند قوله تعالی:

«وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ» «۱».

(۲) لقد کان القرآن اقوی أسلحة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فقد القی رعبا عجیبا فی نفوس الاعداء و اقضّ مضاجعهم.

و کان اشراف قریش و أسیادها یرون بام أعینهم کیف أنّ اعدی أعداء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله (و هو أبو جهل) عند ما مشی إلیه لیستهزئ به، و یسخر منه، ما ان سمع آیات من القرآن، إلّا و فقد السیطرة علی نفسه، و لان قلبه، و أصبح من أصحابه و مؤیدیه الأقویاء، و لهذا لم یکن أمام اولئک الاسیاد إلا أن یمنعوا من سماع القرآن منعا باتا، و یحرموا التحدث الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله تحریما قاطعا «۲».

و لهذا کان الرجل منهم إذا أراد أن یسمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعض ما یتلوه من القرآن و هو یصلی استرق السمع دونهم فرقا منهم، فان رأی أنهم قد عرفوا أنه یستمع منه ذهب خشیة أذاهم فلم یستمع «۳».

(۱) فصّلت: ۲۶.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

(۳) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱۳ و ۳۱۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۳

(۱)

واضعوا القرار ينقضون قرارهم!!

و لكن من الطريف العجيب أن نفس الـذين كانوا يمنعون الناس بشدة عن الاستماع إلى القرآن، و كانوا يعدون كل من يتجاهل قرار (تحريم الاستماع الى القرآن) مخالفا يتعرض للملاحقه و العقاب، نقضوا بعد أيام من إصدار هذا القرار قرارهم و انضمّوا إلى صفوف المخالفين له فى الخفاء.

فاذا بالذين يمنعون من سماع القرآن فى العلن، يستمعون إليه فى الخفاء!

و إليك بعض ما جرى فى هذا الصعيد:

خرج «أبو سفيان» و «أبو جهل» و «الاخنس» ليلة ليستمعوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يصلى من الليل فى بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، و كل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، و قال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ثم انصرفوا، حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى اذا كانت الليلة الثالثة اخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألّا نعود، فتعاهدوا على ذلك. ثم تفرّقوا «۱».

(۲)

۴- منع الاشخاص من الايمان برسول اللّه

اشارة

بعد خطة (تحريم الاستماع الى القرآن) بدءوا بتنفيذ خطة اخرى و هو منع كل قريب و بعيد ممّن رغبوا فى الإسلام و قدموا إلى مكة ليتعرفوا على النبيّ، و على ما اتى به من كتاب و دين، من الاتصال بالنبى صلّى اللّه عليه و آله.

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۱۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۴

فبثت قريش جواسيسها فى الطرق المؤدية إلى مكة ليتصلوا بمن يلقونه من هؤلاء و يبادروا الى منعه من الاتصال برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الايمان برسالته، بشتى الحيل و الاساليب.

و إليک نموذجين حيّين من هذا الأمر.

(۱)

۱- «الاعشی»:

و كان من شعراء العهد الجاهلى البارزين، و كانت قصائده تتناقلها مجالس السمر القرشيهٔ، و تتغنى بها محافل انسهم.

و قـد بلغ «الاعشـى» فى كبره نبأ ما جاء به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من التوحيد و من تعاليم الاسـلام العظيمهٔ، و كان يعيش فى منطقهٔ نائيهٔ عن مكهٔ، حيث لم تصل إليها أشعهٔ الرسالهٔ الاسـلاميهٔ على وجه التفصيل بعد، و لكن ما قد سمع به من تعاليم الاسلام على نحو الاجمال قد اوجد فى نفسه هياجا خاصا و حرّك مشاعره فأنشأ قصيدهٔ مطوّلهٔ يمدح فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم خرج الى مكهٔ ليهديها إليه صلّى اللّه عليه و آله و هو فى نفس الوقت يريد الاسلام.

و رغم ان تلكم القصيدهٔ لا تتجاوز أبياتها ۲۴ بيتا، و لكنها تعدّ من أفضل و افصح ما قيل من الشعر فى الاسلام، و فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى العهد النبوى و يوجد نصّها الكامل فى ديوان «الأعشى» و قد قال فيها و هو يذكر بعض تعاليم الاسلام:

نبيّا يرى ما لا يرون و ذكره أغار لعمرى فى البلاد و أنجدا

فاياك و الميتات لا تقربنّهاو لا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

و ذا النصب المنصوب لا تنسكنّهو لا تعبد الأوثان و اللّه فاعبدا

و لا تقربنّ حرّهٔ كان سرّهاعليک حراما فانكحن أو تأبّدا

و ذا الرحم القربى فلا تقطعنّهلعاقبهٔ، و لا الاسير المقيّدا

و سبّح على حين العشيات و الضحىو لا تحمد الشيطان و اللّه فاحمدا

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۸۵

(۱) فلما كان بمكـهٔ أو قريبا منها اعترضه جواسـيس قريش و رجالها فسألوه عن أمره و قصـده فاخبرهم بانه جاء يريد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ليسـلم، و حيث أنهم كانوا يعرفون بأن «الاعشـى» رجل يحب النساء و الخمر حبّا كبيرا لـذلک عمدوا إلى الضـرب على هذا الوتر لينفّروه من الاسلام، فقالوا له: يا أبا بصير (و هى كنيهٔ الاعشى) إنه يحرم الزنا.

فقال الاعشى: و اللّه ذلک لأمر مالى فيه من ارب.

فقالوا له: يا أبا بصير فانّه يحرّم الخمر.

فقـال الأعشـى- و قـد صـدم بهـذا الخبر- أمّا هـذه فو اللّه فى النفس منها لعلالات، و لكنى منصـرف فاتروّى منها عامى هـذا، ثم آتيه فاسلم!! فانصرف فمات فى عامه ذلک، و لم يعد الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱».

(۲)

۲- الطفيل بن عمرو الدوسىّ:

و هو الشاعر العربى الحكيم العذب اللسان، صاحب النفوذ و الكلمهٔ المسموعهٔ فى قبيلهٔ.

يروى انه قدم «مكهٔ» و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بها، و كانت قريش تخشى ان يتصل بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله فيسلم.

و من البديهى أن اسـلام رجل مثله كان ممّا يشق على قريش جدّا و لهذا مشى إليه رجال منهم و قالوا له- محذرين ايّاه من رسول اللّه

صلّی اللّه علیه و آله-:

یا طفیل، إنک قدمت بلادنا، و هذا الرجل الذی بین أظهرنا قد اعضل بنا، و قد فرّق جماعتنا، و شتّت أمرنا، و إنما قوله کالسحر یفرّق بین الرجل و بین ابیه، و بین الرجل و بین اخیه، و بین الرجل و بین زوجته، و إنا نخشی علیک و علی قومک ما قد دخل علینا فلا تکلمنّه، و لا تسمعنّ منه شیئا.

ففعلت تحذیرات قریش فعلتها فی نفس الطفیل و هم یکرّرونها علیه بقوة

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۸۶- ۳۸۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۶

و إصرار، حتی انه قرر ان لا یسمع من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله شیئا، و لا یکلّمه، و حشّی اذنه- حین غدی الی المسجد للطواف- قطنا، خوفا من أن یبلغه شیء من قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو لا یرید ان یسمعه!!!

(۱) یقول الطفیل: فغدوت الی المسجد فاذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قائم یصلی عند الکعبة، فقمت منه قریبا فسمعت کلاما حسنا من غیر اختیار منی فقلت فی نفسی: وا ثکل أمی، و اللّه انی لرجل لبیب شاعر ما یخفی علیّ الحسن من القبیح، فما یمنعنی أن اسمع من هذا الرجل ما یقول، فان کان الذی یأتی به حسنا قبلته، و ان کان قبیحا ترکته؟

فمکثت حتی انصرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی بیته فاتّبعته حتی إذا دخل بیته دخلت علیه فقلت: یا محمّد إن قومک قد قالوا لی کذا و کذا للذی قالوا، فو اللّه ما برحوا یخوّفوننی أمرک حتی سردت اذنی بکرسف لئلا اسمع قولک ثم ابی اللّه إلّا أن یسمعنی قولک فسمعته قولا حسنا، فاعرض علیّ أمرک، فعرض علیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الاسلام، و تلا علیّ القرآن، فلا و اللّه ما سمعت قولا قط أحسن منه، و لا أمرا أعدل منه، فأسلمت و شهدت شهادة الحق.

ثم قلت: یا نبیّ اللّه إنی امرؤ مطاع فی قومی و أنا راجع إلیهم، وداعیهم إلی الاسلام.

(۲) ثم یکتب ابن هشام قائلا: إن الطفیل لم یزل بارض «دوس» یدعوهم الی الاسلام حتی هاجر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المدینة و مضی «بدر» و «احد» و «الخندق» فقدم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمن أسلم معه من قومه و هم سبعون او ثمانون بیتا و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخیبر فلحقوا جمیعا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخیبر، و بقی مع النبیّ حتی قبض صلّی اللّه علیه و آله ثم سار مع المسلمین- فی زمن الخلفاء إلی «الیمامة» و شارک فی معرکتها و قتل فیها «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ح ۱ ص ۳۸۲- ۳۸۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۷

(۱)

۱۹ اسطورة الغرانیق

اشارة

قد یکون بین القرّاء من یودّ التعرف علی اسطورة «الغرانیق» التی رواها بعض مؤرّخی السنّة و معرفة جذورها کما یودّ التعرف علی الأیادی الخفیة التی کانت وراء اختلاق هذه الاسطورة، و أمثالها من الأکاذیب، و المفتریات.

کان الیهود و بخاصّة أحبارهم و لا یزالون العدوّ رقم واحد للإسلام.

و قد عمد فریق منهم- مثل «کعب الاحبار» و غیره- ممّن تظاهروا باعتناق الاسلام إلی تحریف الحقائق باختلاق الأکاذیب و جعل الأخبار المفتراة علی لسان الأنبیاء «۱».

و لقد أدرج بعض المؤلفین المسلمین بعض هذه المفتریات فی مؤلفاتهم و جعلوها فی عداد الحدیث و التاریخ الصحیح من دون تمحیصها و التحقیق فیها، ثقة بکل من أظهر الاسلام، و تظاهر بالإیمان، و انضم إلی صفوف المسلمین!!

و لکنّ الیوم حیث یجد العلماء فرصة اکبر للتحقیق فی هذا النوع من الأحادیث و الاخبار، و المنقولات و النصوص و بخاصة بعد أن توفّرت لدیهم- بفضل جهود طائفة من المحققین المسلمین القواعد و الضوابط الکفیلة بتمییز

---

(۱) و هی التی یطلق علیها الاسرائیلیات و قد الّفت فی هذا المجال بعض الکتب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۸

الحسن عن القبیح، و الصحیح عن السقیم، و فرز الحقائق التاریخیة عن القصص الخیالیّة، و الروایات الاسطوریة.

من هنا لا ینبغی لکاتب مسلم ملتزم أن یعتبر کل ما یراه فی مصنّف تاریخیّ أو غیر تاریخیّ متقدّم أمرا صحیحا مقطوعا بسلامته، و یرویه فی کتابه من دون دراسة و تحقیق، و تمحیص و تقییم.

(۱)

ما هی اسطورة الغرانیق؟!

یقولون: إن «الأسود بن المطلب» و «الولید بن المغیرة» و «أمیّة بن خلف» و «العاص بن وائل» و هم من زعماء قریش و اسیادها قالوا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

یا محمّد هلم فلنعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد فنشترک نحن و أنت فی الأمر!!

و قالوا ذلک رفعا للاختلاف، و تضییقا لشقّة الخلاف فأنزل اللّه سبحانه سورة الکافرین التی امر فیها نبیّه أن یقول فی جوابهم:

«لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ. وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ».

و مع ذلک کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یرغب فی أن یساوم قریشا و یجاریهم و کان یقول فی نفسه: لیت نزل فی ذلک أمر یقرّبنا من قریش.

و ذات یوم و بینما کان صلّی اللّه علیه و آله یتلو القرآن عند الکعبة و یقرأ سورة «النجم» فلما بلغ قوله تعالی:

«أَ فَرَأَیْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّی. وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْری».

أجری الشیطان علی لسانه الجملتین التالیتین:

«تلک الغرانیق العلی منها الشفاعة ترتجی» «۱».

(۲) فقرأهما من دون اختیار، و قرأ ما بعدها من الآیات، و لمّا بلغ آیة السجدة سجد هو و من حضر فی المسجد من المسلمین و المشرکین أمام الاصنام، إلّا

---

(۱) النجم: ۱۹ و ۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۸۹

«الولید» الذی عاقه کبر سنه عن السجود!!

و فرح المشرکون، و ارتفعت نداءاتهم یقولون: لقد ذکر «محمّد» آلهتنا بخیر.

و انتشر نبأ هذه المصالحة و التقارب بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المشركين، المهاجرين الى الحبشة، فعاد على أثرها جماعة منهم إلى مكة، و لكنّهم ما أن كانوا على مشارف «مكة» إلّا و عرفوا بأن الأمر تغير ثانية، و أن ملك الوحى نزل على النبيّ و أمره مرة اخرى بمخالفة الاصنام و مجاهدة الكفار و المشركين، و أخبره بأن الشيطان هو الّذى أجرى تينك الجملتين على لسانه، و انه لم يقله و أنه ليس من «الوحى» فى شيء أبدا.

و عندئذ نزلت الآيات (۵۲- ۵۴) من سورة «الحج» التى يقول اللّه تعالى فيها:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

هذه هى خلاصة اسطورة «الغرانيق» التى أوردها «الطبرى» فى تاريخه «۱» و يذكرها و يردّدها المستشرقون المغرضون بشيء كبير من التطويل و التفصيل!!

(۱)

محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة

لنفترض أن «محمّدا» لم يكن نبيا مرسلا و لكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاءه و حنكته، و فطنته و عقله.

فهل لعاقل فطن، محنّك لبيب مثله أن يفعل مثل هذا؟

ان الذكيّ اللبيب الذى يجد انصاره يتكاثرون و يتزايدون يوما بعد يوم

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۸۵ و ۷۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹۰

و تقوى صفوفهم اكثر فاكثر بينما تتفرق صفوف أعدائه و مناوئيه و يتناقص معارضوه و خصومه، هل يقدم فى مثل هذه الحالة على عمل يوجب ان يسيء الجميع ظنهم به، و يشك الصديق و العدو فى أمره؟!

هل تصدّق أنت أيها القارئ الكريم أن رجلا- ترك جميع الأموال و المناصب التى عرضتها قريش عليه، فى سبيل دينه الحنيف، و عقيدته التوحيد أن يصبح مرة اخرى من دعاة الشرك، و مروّجى الوثنية؟؟!

إننا لن نصدّق بمثل هذا الاحتمال فى حق مصلح أو سياسى عادى من الساسة و المصلحين فكيف برسول اللّه و نبيّه العظيم.

(۱)

رأى العقل فى هذه القصة:

(۲) ۱- إن العقل يحكم بان المرشدين الذين يبعثهم اللّه تعالى الى البشرية لهدايتها و ارشادها، و تزكيتها و تعليمها مصونون عن أى خطأ و زلل بقوة (العصمة) التى اوتوها، اذ لو تعرض مثل هؤلاء الى الخطأ و الزلل فى امور الدين لزالت ثقة الناس بهم و بكلامهم.

يجب علينا ان نقارن بين أمثال هذه القصص، و بين هذا الأصل العقائديّ المنطقى و نعالج بواسطة معتقداتنا القوية المبرهنة متشابهات التاريخ و معضلاته.

إنّ من المسلّم أن عصمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانت تمنعه و تحفظه من أى نوع من هذه الحوادث فى تبليغ رسالته

السماوية.

(۳) ۲- إن هذه الاسطورة تقوم أساسا على أن النبىّ قد تعب من أداء مهمّته التى ألقاها اللّه سبحانه عليه، و قد شقّ عليه ابتعاد الوثنيّين عنه، فكان يبحث عن مخلص من هذا الوضع المتعب، يكون طريقا- حسب تصوره- إلى إصلاح وضعهم!!

و لكن العقل يقضى بأن على الأنبياء أن يكونوا صابرين حلماء أكثر ممّا يتصور، و أن يكونوا مضرب المثل عند الجميع فى ذلك، فلا يحدّثوا أنفسهم بالتهرّب من المسئولية و ترك الساحة مطلقا، مهما اشتدّت الظروف، و تأزّمت

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۹۱

الأحوال.

بينما لو صحّت هذه الرواية- الاسطورة لكانت دليلا على أنّ بطل حديثنا قد فقد عنان الصبر و أفلت منه زمام الثبات و الاستقامة و انه بالتالى تعب و ملّ، و ضنى و كلّ، و هو أمر لا ينسجم مع ما يحكم به العقل السليم فى حق الأنبياء، كما لا يتفق كذلك مع ما عهدناه من سوابق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من مستقبله أبدا.

إن مختلق هذه الاسطورة لم يمرّ بخاطره و باله أنّ القرآن الكريم شهد ببطلان هذه القصة، اذ يعد اللّه تعالى نبيه الكريم، بأن لا يتسرّب الى القرآن أى شىء من الباطل إذ قال:

«لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ» «۱».

كما وعده أيضا بأن يصونه عبر جميع أدوار البشرية من أى حادث سيّئ اذ قال سبحانه:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۲».

(۱) و مع ذلك كيف يستطيع الشيطان الرجيم عدو اللّه أن ينتصر على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يسرّب الى القرآن شيئا باطلا، و يصبح القرآن الذى تقوم معارفه و تعاليمه على أساس معاداة الوثنية و محاربتها داعيا الى الوثنية؟؟!!

إنه لأمر عجيب جدا أن يفترى مختلق هذه الاسطورة أمرا ضدّ التوحيد فى موضع قد كذّبه القرآن قبل هذا المكان بقليل إذ قال اللّه تعالى:

«وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى» «۳».

فكيف يترك اللّه نبيّه- و قد وعده بهذا الوعد- من دون حفيظ، و يسمح للشيطان بأن يتصرف فى قلبه و عقله و لسانه؟؟

إن هذه الأدلة العقلية إنما تفيد من يكون مؤمنا بنبوة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و رسالته.

---

(۱) فصّلت: ۴۲.

(۲) الحجر: ۹.

(۳) النجم: ۳ و ۴.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۹۲

و اما المستشرقون الذين لا يعتقدون بنبوته، و يعمدون الى شرح و نقل و ترديد أمثال هذه الأساطير للحطّ من شأن دينه و رسالته فلا تكفيهم هذه الدلائل، فلا بدّ أن ندخل معهم فى البحث من باب آخر.

(۱)

تكذيب القصّة من طريق آخر

إنّ النصّ التاريخىّ يقول: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قرأ هذه السورة، و كبار قريش و اكثرهم من عمالقة الكلام، و أبطال

الفصاحة و البلاغة العربية حضور فى المسجد و منهم «الوليد بن المغيرة، متكلم العرب و منطقيها المفوّه المعروف بينهم بالذكاء و حصافة العقل و النباهة، و قد سمعوا جميعا هذه السورة إلى ختامها حيث سجد الجميع بسجدتها.

فكيف اكتفى هذا الجمع المؤسس للفصاحة و البلاغة الذين كانوا ينقدون كل ما يعرض عليهم نقدا دقيقا؟

كيف اكتفوا بتينك الجملتين اللتين امتدحتا آلهتهم، و قد تضمنت الآيات السابقة عليهما، و اللاحقة لهما على شتم آلهتهم و تفنيدها، و الازدراء بها بصورة صارخة و صريحة؟!

(۲) كيف تصور مختلق هذه الأكذوبة الفاضحة، تلك الجماعة أصحاب اللغة العربية و آباءها و نقّاد الكلام المعدودين عند العرب كلّها من عمالقة الفصاحة و البلاغة بلا منازع، و الذين كانوا أعرف من غير هم باشارات تلك اللغة، و كناياتها (فضلا عن تصريحاتها).

كيف اكتفى هؤلاء بتينك العبارتين فى امتداح آلهتهم، و غفلوا عما سبقها و لحقها من الذمّ لها و الطعن الصارخ فيها؟

إنه لا يمكن قط أن نخدع العاديّين من الناس بهاتين الجملتين المحفوفتين بكلام مطوّل يذم عقائدهم و سلوكهم فكيف بمن عرف باللب، و الحصافة، و الحكمة و الذكاء؟

(۳) و ها نحن ندرج هنا الآيات المتعلّقة بالمقام و نترك أصفارا (و فراغا) فى مكان

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۴۹۳

الجملتين اللتين ادّعى اضافتهما، ثم نترك للقارئ نفسه أن يقيم بنفسه هل لتينك الجملتين مكان بين هذه الآيات (التى وردت فى ذمّ الاصنام و القدح فيها):

و إليك هذه الآيات:

«أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى. وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى ... «۱» أَ لَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثى. تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ» «۲».

ثم هل يسمح إنسان عاديّ لنفسه أن يكفّ عن معاداة نبيّ هاجم عقائده طيلة عشرة اعوام، و هدر استقلاله و كيانه، و جرّ عليه الشقاء بتسفيه أحلامه، و شتم آلهته، لعبارات متناقضة و كلام خليط من الذّم الكبير و المدح العابر.

(۱)

دليل لغوىّ على تفنيد هذه الاسطورة

اشارة

يقول العلامة الجليل الشيخ محمّد عبده: لم يستعمل لفظ الغرانيق فى الآلهة أبدا لا فى اللغة و لا فى الشعر العربى «۳».

و «غرنوق» و «غرنيق» اللذان جاءا فى اللغة استعملا فى نوع من طيور الماء أو الشابّ الجميل، و لا ينطبق أى واحد من هذه المعانى على الآلهة

و قد اعتبر احد المستشرقين يدعى «السير وليم موير» قصة «الغرانيق» هذه من مسلّمات التاريخ و استدل لها بقوله: لم يكن يمض على هجرة المهاجرين الاول إلى الحبشة اكثر من ثلاثة أشهر يوم صالح محمّد قريشا فعادوا إلى مكة.

إن المسلمين الذين هاجروا إلى تلك الأرض و كانوا يعيشون فى أمن و طمأنينة فى جوار النجاشىّ إذا لم يكونوا يبلغهم نبأ مصالحة النبىّ لقريش لما عادوا إلى مكة للقاء بذويهم.

فاذن لا بدّ أنّ «محمّدا» قد تذرّع بشيء لمصالحة قريش، و التقرّب إليها،

---

(۱) مكان الجملتين المزعومتين: تلك الغرانيق ... الى آخرها.

(۲) النجم: ۱۹- ۲۳.

(۳) نقله عنه القاسمى فى تفسيره: ج ۱۲ ص ۵۵- ۵۶.

و هذا الشيء هو قصة الغرانيق»!! «۱».

(۱) و لكن يجب أن نسأل هذا المستشرق المحترم:

(۲) أولا: لما ذا يجب أن تكون عودة المهاجرين ناشئة عن نبأ صحيح حتما.

إن النفعيين و ذوى الأهواء و الأغراض يسعون دائما إلى بثّ عشرات بل مئات الأخبار الكاذبة بين جماعتهم لتحقيق ما رب خاصّة لهم، فما الذى يمنع من أن نحتمل أن هناك من افتعل خبر مصالحة النبيّ لقريش بهدف إرجاع المهاجرين من الحبشة الى «مكة». و قد صدق بعض اولئك المهاجرين هذا الخبر الكاذب فعادوا إلى أرض الوطن، بينما لم ينخدع الآخرون بها و بقوا فى الحبشة و لم يعودوا الى مكة؟؟

(۳) ثانيا: لنفترض أن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله كان يريد أن يصالح قريشا، فهل يكون الطريق إلى السلام و المصالحة منحصرا فى افتعال هاتين الجملتين.

أ لم يكن إعطاء مجرّد وعد مناسب أو مجرّد السكوت عن عقائدهم كافيا لتهدئة خواطرهم، و اجتذابهم قلوبهم نحوه؟

و على كلّ حال فان عودة المهاجرين لا يكون دليلا على صحّة هذه الاسطورة كما أن المصالحة، و التقارب غير متوقفين على النطق بهاتين الجملتين.

و الأعجب من هذا أن البعض تصوّر أن الآيات (۵۲- ۵۴ من سورة الحج) قد نزلت فى قصة الغرانيق.

(۴) و حيث أن هذه الآيات قد وقعت ذريعة بأيدى المستشرقين و مرتكبى جريمة التحريف فى التاريخ، فاننا نعمدهنا إلى توضيح مفاد هذه الآيات، و نبين للقارئ بأنها تنظر إلى امر آخر، و لا ترتبط بهذه القصة بتاتا.

و ها هو نصّ الآيات المشار إليها:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ، وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

---

(۱) راجع حياة محمّد: ص ۱۶۵ و ۱۶۶.

لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

و الآن يجب أن نبين مفاد الآيات و لنبدأ بالآية الاولى:

انّ الآية الاولى تذكّر بثلاثة امور هى:

۱- انّ الأنبياء و الرسل يتمنون.

۲- انّ الشيطان يتدخّل فى تمنياتهم.

۳- انّ اللّه یمحی آثار ذلک التدخّل.

و بتوضیح هذه النقاط الثلاث یتضح مفاد الآیة و المراد منها.

و إلیک توضیح تلکم النقاط الثلاث:

(۱)

۱- ما هو المقصود من تمنی الأنبیاء و الرسل

لقد کان الأنبیاء و الرسل یحبّون هدایة اممهم، و نشر دینهم و تعالیمهم فیها، و کانوا یدبّرون امورا و یخطّطون خططا لتحقیق أهدافهم هذه، کما کانوا یتحملون فی هذا السبیل کل المتاعب و المصاعب، و یثبتون فی جمیع المشکلات و المحن.

و لم یکن رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله مستثنی عن هذه القاعدة، فقد کان صلّی اللّه علیه و آله یخطط لتحقیق أهدافه کثیرا، و یهیّئ مقدمات و یبیّن القرآن هذه الحقیقة بقوله:

«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی».

فاتّضح إلی هنا المراد من لفظ تمنّی و لنشرح الآن النقطة الثانیة.

(۲)

۲- ما هو المقصود من تدخّل الشیطان؟

إن تدخّل الشیطان یمکن أن یتم علی نحوین:

(۳) ۱- أن یوجد الشک و التردید فی عزم الأنبیاء، و یوحی إلیهم بأنّ هناک

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۶

عوائق کثیرة تحول بینهم و بین أهدافهم، و لذلک لن یحرزوا نجاحا فی تحقیق تلک الأهداف.

(۱) ۲- بأن الأنبیاء کلما مهّدوا لأمر و هیّئوا له مقدّماته، و ظهرت منهم أمارات تدل علی أنهم مقدمون علی تنفیذه فعلا أقام الشیطان و من تبعه من شیاطین الانس العراقیل و الموانع فی طریقهم، لیمنعوهم من الوصول إلی غایاتهم.

(۲) أما الاحتمال الأول فلا ینسجم لا مع الآیات القرآنیة الاخری و لا مع الآیة اللاحقة.

(۳) أمّا من جهة الآیات الاخری فلأنّ القرآن ینفی بصراحة لا صراحة فوقها أنه لا سلطان للشیاطین علی أولیاء اللّه و عباده الصالحین (و لو بأن یصوّروا لهم بأنهم لن یقدروا علی تحقیق آمالهم، و أهدافهم) إذ یقول:

«إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ» «۱». و یقول أیضا:

«إِنَّهُ لَیْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ» «۲».

إن هذه الآیات، و الآیات الاخری التی تنفی سلطان الشیطان علی أولیاء اللّه و عباده الصالحین، و تأثیره فی قلوبهم و نفوسهم لخیر شاهد و أفضل دلیل علی أنّ المقصود من تدخّل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء لیس بمعنی إضعاف عزیمتهم، و إرادتهم و تکبیر الموانع و العراقیل فی نظرهم.

(۴) أمّا من جهة الآیات المبحوثة فان الآیة الثانیة و الثالثة تفسّر و تشرح علّة التدخّل علی النحو الآتی:

إننا نختبر بهذا العمل فریقین من الناس: الفریق الأول: الّذین فی قلوبهم مرض، و الفریق الثانی: الذین یؤمنون باللّه و الیوم الآخر.

یعنی أنّ تدخّل الشیطان فی أعمال الأنبیاء عن طریق تحریک الناس ضدّهم و ضدّ أهدافهم یوجب مخالفة الفریق الأوّل و معارضتهم للانبیاء فی حین یکون الأمر علی العکس من ذلک فی الفریق الثانی فانه یزید من ثباتهم و صمودهم.

---

(۱) الحجر: ۴۲، الاسراء: ۶۵.

(۲) النحل: ۹۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۷

و ان بیان أن لتدخل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء، مثل هذین الاثرین المختلفین (أی یحمل فریقا علی المخالفة و فریقا آخر علی الثبات و الصمود) یفید أن المراد بالتدخل هنا هو المعنی الثانی، یعنی ان التدخل یحصل عن طریق تحریک الناس ضدّهم، و إلقاء الوساوس فی قلوب أعدائهم، و خلق الموانع و العراقیل فی طریقهم لا أنهم یتصرفون فی نفوس الأنبیاء و قلوبهم و یضعفون ارادتهم و عزمهم.

إلی هنا اتضح معنی تدخّل الشیطان فی تمنیات الأنبیاء و الرسل.

و الآن حان الحین لتوضیح المطلب الآخر یعنی محو آثار هذا التدخل.

(۱)

۳- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟

اذا کان معنی تدخّل الشیطان هو تحریک الناس و تألیبهم ضد الأنبیاء لیمنعوا الأنبیاء و الرسل من التقدم فی أهدافهم، فان محو آثار التدخّل الشیطانی من قبل اللّه- حینئذ- یکون بمعنی ان اللّه یدفع عن أنبیائه و رسله کید الشیطان لیتضح الحق للمؤمنین، و یکون اختبارا لمرضی القلوب کما یقول تعالی فی آیة اخری:

«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا» «۱».

و خلاصة القول: أن القرآن یخبر- فی هذه الآیات- عن سنة للّه قدیمة فی مجال الأنبیاء و هی:

إن تمنّی التقدم فی الأهداف و تمنّی التوفیق فی هدایة الناس هو فعل الأنبیاء دائما.

ثم یأتی الدور لتدخّل الشیطان و أتباعه من شیاطین الإنس و الجنّ، و ذلک بایجاد الموانع و العقبات فی طریق الأنبیاء و الرسل.

ثم یأتی من بعد ذلک حلول المدد الإلهی الغیبیّ بمحو و فسخ کلّ التدابیر الشیطانیة المضادّة لأهداف الأنبیاء المعرقلة لتحقیق أمانیّهم.

و هذه هی إحدی السنن الالهیة الثابتة التی جرت فی جمیع الامم السالفة.

---

(۱) غافر: ۵۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۴۹۸

(۱) إن تاریخ الأنبیاء و الرسل و قصصهم من نوح و إبراهیم و أنبیاء بنی إسرائیل و بخاصّة موسی و عیسی علیهما السّلام، و تاریخ حیاة الرّسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله خیر شاهد علی هذا المطلب.

و ینبغی استکمالا لهذا البحث أن نقول: و لأجل ما ورد علی هذه القصة الاسطوریة من مؤاخذات رفضها و فنّدها بعض المحققین من أهل السنة اذ قال بعد ذکرها علی النحو الذی ادرجها الطبری فی تاریخه و أرسله ارسال المسلّمات:

«و أهل الأصول یدفعون هذا الحدیث بالحجة.

و من صحّحه قال فیه أقوالا:

منها: ان الشيطان قال ذلك و أذاعه و الرسول عليه الصلاة و السّلام لم ينطق به.

(و ذكر وجوها اخرى ثم قال:) و الحديث على ما خيّلت غير مقطوع بصحته «۱».

(۱) راجع هوامش السيرة النبويّة: ج ۱ ص ۳۶۴.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۴۹۹

(۱)

۲۰ الحصار الاقتصادی و الاجتماعی

اشارة

إن أبسط وسيلة و أسهلها لضرب الأقليات فى أى مجتمع، و القضاء عليها هو ما يسمى بالمكافحة السلبية التى تقوم أساسا على اتحاد الأكثرية و اتفاقها على مقاطعة الأقليّة المتمرّدة.

إن عكس هذا يحتاج إلى أدوات متعددة مختلفة، لأنه يتطلب مثلا ان يحمل جماعة من المقاتلين السلاح، و تتوجه نحو الاهداف المطلوبة عبر التضحية بقدر كبير من الأنفس و الأموال، و ازالة العشرات من الموانع و السواتر، و هو أمر لا يقدم عليه القادة المحنّكون إلّا بعد توفّر كل مستلزمات المواجهة و اتخاذ جميع التدابير اللازمة، و الاستعداد الكامل، و بالتالى لا يقدمون على هذه الخطوة ما لم تدعو الضرورة إليها، و تنحصر الحيلة فى القتال.

(۲) و لكنّ المكافحة السلبية لا تتوقف على مثل هذه الامور، بل تحتاج الى أمر واحد و هو اتفاق الاكثرية. سيد المرسلين ج۱ ۴۹۹ ۲۰ الحصار الاقتصادى و الاجتماعى ..... ص : ۴۹۹

نى أن يتفق من يعنيهم الأمر و لهم عقيدة واحدة و يتحالفوا فى ما بينهم بصدق على أن يقطعوا كل صلاتهم و علاقاتهم بالأقليّة المعارضة، فيحرّموا التعامل التجاريّ معهم و يوقفوا الاتصال العائليّ بهم، و لا يشركونهم فى اعمالهم الاجتماعية و لا يتعاونوا معهم فى امورهم الشخصيّة أيضا.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۰

(۱) فى مثل هذه الحالة تضيق الأرض على الأقلية بما رحبت و تغدو الدنيا لهم على سعتها كسجن ضيق و صغير، و يصيرون عرضة للانهيار و السقوط بأقلّ قدر ممكن من الضغط عليها.

إن الاقليّة المخالفة المتمرّدة ربما تستسلم- فى هذه الحالة- و تؤوب من منتصف الطريق، و تطيع إرادة الأكثرية.

و لكن أقلية كهذه لا بد أن تكون ممّن لا تعود مخالفتها للأكثرية إلى أمر عقائديّ و لا يكون لانفصالها. عن الاكثرية طابع اصولى مبدئيّ، كما لو كان خلافها مع الاكثرية مثلا على تحصيل ثروة أو منصب مهمّ أو ما شاكل ذلك.

فان مثل هذه الاقلية اذا أحسّت بخطر جدّى، أو واجهت العذاب و السجن و الحصار ستتراجع عن مخالفتها و تعود إلى طاعة الاكثرية مؤثرة اللّذة العابرة المؤقّتة على اللذة الاحتمالية، لأنها لم تنطلق من دوافع ايمانية اصيلة، و لم يكن المحرك لها محركا روحيا معنويا.

و لكن الجماعة التى يقوم خلافها للاكثرية على أساس الإيمان بهدف مقدس، لن تنصاع أبدا لمثل هذه الضغوط، و لن تنثنى أمام هذه الرياح و العواصف، و لا يزيدها ضغط الحصار الّا صلابة و قوة، و إصرارا و عنادا، و تردّ جميع ضربات العدوّ بالصبر و الاستقامة.

إن صفحات التاريخ البشريّ تشهد بأن أقوى العوامل لثبات كل أقليّة و صمودها فى وجه الأكثرية هو: قوة الايمان، و عامل الاعتقاد، الذى ربما يؤدّى رسالة الثبات و المقاومة ببذل آخر قطرة دم فى ساحة المواجهة.

و لنا على هذا عشرات بل و مئات الأمثلة من التاريخ الغابر و الحاضر.

قريش تحاصر النبىّ و المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا

اشارة

(۲) لقد شقّ على قريش انتشار الإسلام المتزائد و أزعجها نفوذه العجيب فى القبائل العربية فى مدة غير طويلة بالنسبة إلى عمر الدعوة و لهذا كانت تفكر باستمرار فى حلّ لهذه المشكلة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۱

فان اسلام شخصيات ذات أهمية و مكانة كبرى مثل جمزة، و كذا رغبة فتية قريش المتفتحين فى الاسلام، و حرية العمل و التحرك التى اكتسبها المسلمون على اثر الهجرة إلى أرض الحبشة، كل ذلك زاد من حيرة، و اضطراب الزعامة الجاهلية فى مكة، التى زادها حيرة، و انزعاجا، فشل جميع مخططاتها الاجهاضية ضد الإسلام و المسلمين، و عدم حصولها على أية نتائج تذكر!!

(۱) من هنا فكرت فى خطة جديدة، و هى ان تفرض حصارا اقتصاديا قويا على النبىّ و المسلمين تقطع به كل الشرايين الحيوية للمسلمين، و بذلك تحدّ من سرعة انتشار الاسلام و تقف دون نفوذه، و بالتالى تخنق بين كمّاشة هذا الحصار مؤسس هذه العقيدة التوحيدية، و أنصاره.

[قريش و الصحيفة القاطعة]

و لهذا اجتمع زعماء قريش فى «دار الندوة» و وقّعوا ميثاقا كتبه «منصور بن عكرمة» و علّقوه فى جوف الكعبة، و تحالفوا بان تلتزم قريش ببنوده حتى الموت.

و نص هذا العقد على الامور التالية:

۱- أن لا يبتاعوا من أنصار النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و لا يبيعوهم شيئا.

۲- ان لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم.

۳- أن لا يؤاكلوهم و لا يكلّموهم.

۴- ان يكونوا يدا واحدة على «محمّد» و انصاره.

(۲) و قد وقعت على هذه الصحيفة الظالمة القاطعة كل الشخصيات البارزة فى قريش إلّا «مطعم بن عدى» و أعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة و إصرار.

فلما علم حامى النبى الاكبر أبو طالب عليه السّلام بذلك جمع بنى هاشم و بنى المطلب و حمّلهم مسئولية الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الحفاظ على حياته و سلامته، و أمرهم بالخروج من مكة و بدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبى طالب فيه بعض البيوت العادية، و السقائف البسيطة جدا، و السكنى فى ذلك الشعب بعيدا عن المجتمع المكّى المشرك.

و عمد الى بث رجال منهم فى نقاط مرتفعة للمراقبة و الحراسة تحسبا لأى

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۲

هجوم مباغت تقوم به قريش «۱».

(۱) و قد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، و بلغ الجهد بالمحاصرين فى الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع و الضر، و بلغت هذه الصرخات مسامع قساة مكة الّا انها لم تؤثر فيهم قط.

كان الشباب و الرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، و ربما تناصف اثنان تمرة واحدة، و لم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث الّا فى الاشهر الحرم حيث يسود الأمن كل انحاء الجزيرة العربية.

فاذا حلّ الموسم كانت بنو هاشم تخرج من الشعب فيشترون و يبيعون ثم يعودون إلى الشعب إلى الموسم الثانى.

و كان النبى صلّى اللّه عليه و آله يستغلّ هو أيضا تلك المواسم فى نشر دينه، و الدعوة الى ما أتى به.

و كانت عناصر قريش تحاول مضايقة النبى و أنصاره و تمارس الحصار الاقتصادى عليهم بشكل من الأشكال حتى فى هذه المواسم، فكانوا يحضرون عند مواقع البيع و الشراء فاذا وجدوا مسلما يريد أن يبتاع شيئا اشتروه بثمن أغلى ليمنعوا المسلم منه!!

(۲) و كان «أبو لهب» اكثر الناس اصرارا على هذا العمل، فقد كان ينادى فى الأسواق: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمّد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالى و وفاء ذمتى فانا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الرجل المسلم إلى اطفاله و هم يتضاغون من الجوع و ليس فى يديه شىء يطعمهم به، و يغدو التجار على أبى لهب فيربّحهم فيما

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۰، و تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۷۸، و قد كتبت هذه الصحيفة الظالمة فى الليلة الاولى من السنة السابعة للبعثة و عند ما عرف ابو طالب بأمرها أنشد قصيدة فى ذمهم مطلعها:

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمّدانبيا كموسى خطّ فى أول الكتب

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۳

اشتروا من الطعام و اللباس!! «۱».

و كان «الوليد بن المغيرة» ينادى: أيّما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه فكانت قريش تباكرهم إلى الاسواق فيشترونها فيغلونها عليهم.

(۱)

وضع بنى هاشم المأساوى فى الشعب

لقد بلغ الجهد و الجوع بالمحاصرين فى الشعب حدّا جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه ايديهم من الخبط و ورق السمر حتى أن «سعد بن أبى وقاص» يقول: لقد جعت حتى أنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب فوضعته فى فمى و بلعته، و ما أدرى ما هو الى الآن «۲».

هذا و قد بثّت قريش جواسيسها على الطرق المؤدّية إلى الشعب ليمنعوا من إيصال الطعام إلى من فيه فلا يصل إليهم شىء إلّا سرا و مستخفى به ممّن أراد صلتهم من قريش.

فقد روى أن «حكيم بن حزام» (ابن اخ خديجة) و «أبو العاص بن الربيع» و «هشام بن عمرو» كانوا يسرّبون الى «بنى هاشم» فى الشعب سرّا و فى أواسط الليل تحت جنح الظلام، فكان الواحد منهم يحمل قمحا و تمرا على بعير و يأتى به إلى باب الشعب ثم يصيح بها فتدخل الشعب و يأكله بنو هاشم.

و ربما صادفهم بعض جواسيس قريش، فهمّوا بقتله، أو سبّبوا له بعض المتاعب.

(۲) فقد روى أن «حكيم بن حزام» خرج يوما و معه انسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد (زوجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كانت معه الشعب طيلة أعوام الحصار) إذ لقيه «أبو جهل» فقال له: تذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ و اللّه لا تبرح أنت و لا طعامك حتى أفضحك عند قريش بمكة.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۷ الهوامش.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۳۷ الهوامش.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۴

فقال له أبو البختريّ- و كان من أعداء الاسلام هو أيضا-: تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده؟

فأبى «ابو جهل» أن يدعه إلا أن يأخذه إلى قريش، فقام إليه «ابو البخترى» بساق بعير فضربه و وطأه وطئا شديدا «۱».

(۱) و خلاصة القول؛ أن قريشا بالغت فى تضييق الحصار على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من تبعه حتى أن من كان يدخل «مكة» من العرب. كان لا ـ يجسر على أن يبيع من بنى هاشم شيئا و من باع منهم شيئا انتهبوا ماله، و كان «أبو جهل»، و «العاص بن وائل» و «النضر بن الحارث بن كلدة»، و «عاقبة بن أبى معيط» يخرجون إلى الطرقات التى تدخل «مكة» فمن رأوه معه ميرة و طعام نهوه ان يبيع من بنى هاشم شيئا، و يحذرون إن باع شيئا منهم نهبوا ماله.

كما وعدوا على من أسلم فاوثقوهم و آذوهم و اشتدّ البلاء عليهم، و أبدت قريش لبنى عبد المطلب الجفاء.

و لكن لم يستطع كل ذلك أن يفتّ فى عضد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يقلل من إصراره و ثباته على الطريق، و لا من اصرار أتباعه و ثباتهم و إيمانهم.

و أخيرا تركت صرخات أطفال بنى هاشم فى الشعب من الجوع و العرى و الجهد و الضر، و أوضاعهم المأساوية أثرها فى نفوس بعض المشركين الموقعين على تلك الصحيفة الظالمة، و ذلك الميثاق المشؤوم، فندموا على إمضائهم لتلك المقاطعة بشدة و صاروا يفكّرون فى نقضها بشكل من الأشكال.

(۲) فمشى «هشام بن عمرو» الى «زهير بن أبى أميّة» (و كان من أحفاد عبد المطلب من جانب بناته) و قال له و هو يحثه على نقض الصحيفة: يا زهير أ قد رضيت أن تأكل الطعام، و تلبس الثياب، و تنكح النساء، و أخوالك حيث قد علمت لا يباعون و لا يبتاع منهم، و لا ينكحون و لا ينكح إليهم؟

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۴، هذا و يشكّك أحد المحققين فى نوايا حكيم بن حزام فى هذا العمل، و فى أن يكون قد حصل بدافع الوفاء لوشيجة القربى، بل كان بدافع الربح الاكثر لما تبت- حسب قوله- من انه كان يحتكر الطعام على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۵

أمّا إنى أحلف باللّه أن لو كانوا أخوال أبى الحكم (أى أبى جهل) ثم دعوته الى ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا؟

فقال زهير: ويحك يا هشام فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد و اللّه لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا.

قال فمن هو؟ قال: أنا.

(۱) قال له زهير: أبغنا رجلا ثالثا. فذهب إلى «المطعم بن عدى» فقال له:

يا مطعم أ قد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف، و أنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما و اللّه لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعا؟

قال: و يحك! فما ذا أصنع؟ انما أنا رجل واحد.

قال: قد وجدت ثانيا.

قال: من هو؟ قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثا.

قال: قد فعلت.

قال: من هو؟

قال: زهير بن أبى أميّة.

قال: أبغنا رابعا.

(۲) فذهب إلى «البخترى بن هشام» فقال له نحوا ممّا قال للمطعم بن عدى، فقال: و هل من أحد يعين على هذا؟

قال: نعم.

قال: من هو؟

قال: «زهير بن أبى أميّة» و «المطعم بن عدىّ» و أنا معك.

فقال: ابغنا خامسا.

فذهب إلى «زمعة بن الأسود بن المطلب» فكلّمه و ذكر له قرابتهم و حقّهم فقال له: و هل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۶

قال: نعم ... ثم سمّى له القوم الذين وعده بالمساعدة على نقض تلك الصحيفة القاطعة الظالمة.

فاتفقوا على أن يحضروا فى أندية قريش فى المسجد و يعلنوا مخالفتهم لتلك الصحيفة.

(۱) فلمّا أصبحوا غدوا إلى مجلس قريش فى المسجد الحرام فأقبل «زهير بن أبى اميّة» على الناس و قال:

يا أهل مكة أ نأكل الطعام و نلبس الثياب، و بنو هاشم هلكى لا يباع لهم و لا يبتاع منهم؟ و اللّه لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل و كان فى ناحية المسجد: كذبت و اللّه لا تشقّ.

فانتصر زمعة لزهير و ردّ على أبى جهل قائلا: أنت و اللّه أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت.

و قال أبو البخترى من ناحية مؤيدا موقف زميله: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، و لا نقرّ به.

و قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى اللّه منها، و ممّا كتب فيها.

و قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك.

فأحسّ أبو جهل بأنّ ذلك كان أمرا مبيّتا مدبّرا من قبل فقال:

هذا أمر قضى بليل، تشوور فيه بغير هذا المكان.

و كان أبو طالب- حسب بعض الروايات التاريخية- جالسا ذلك اليوم فى ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد (الأرضة) (۱) قد أكلتها، إلّا «باسمك اللّهم» التى صدّرت بها تلك الصحيفة و هى جملة كانت قريش تبدأ بها عهودها و رسائلها.

فلما رأى «أبو طالب» ذلك رجع الى الشعب و أخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) و هى دودة بيضاء شبه النملة و هى آفة كل شيء من خشب أو نبات راجع لسان العرب مادة: ارض

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۰۷

و آله بما جرى، و عاد المحاصرون فى الشعب إلى منازلهم مرة اخرى بعد المشورة مع «أبى طالب».

(۱) و يروى طائفة من المؤرخين أنّ «خديجة» و «أبا طالب» أنفقا أموالهما برمّتها خلال سنوات المحاصرة.

و فجأة نزل ملک الوحی «جبرئیل» علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الشعب، و أخبره بان اللّه قد بعث علی صحیفة المشرکین القاطعة دابّة الأرض فلحست (أو اکلت) جمیع ما فیها من قطیعة و ظلم و ترکت جملة «باسمک اللّهم» فأخبر رسول اللّه أبا طالب بذلک قائلا- یا عمّ إنّ ربّی اللّه قد سلّط «الأرضة» علی صحیفة قریش فلم تدع فیها اسما هو للّه إلّا أثبتته فیها، و نفت منه الظلم و القطیعة و البهتان.

فقال أبو طالب: إذن لا یدخل علیک أحد «۱».

(۲) ثم قام و لبس ثیابه، و مشی هو و رسول اللّه و شخص آخر حتی دخلوا المسجد علی قریش و هم مجتمعون فیه، فلما دنا أبو طالب منهم قاموا إلیه و عظّموه، و تباشروا و ظنّوا أن الحصر و البلاء حمل أبا طالب علی التخلّی عن موقفه، فقالوا له: قد آن لک ان تطیب نفسک عن قتل رجل فی قتله صلاحکم و جماعتکم (أو قد آن لک أن تسلّم إلینا ابن أخیک).

فقال أبو طالب: و اللّه ما جئت لهذا، و لکنّ ابن أخی أخبرنی و لم یکذّبنی أنّ اللّه تعالی أخبره أنّه بعث علی صحیفتکم القاطعة دابّة فلحست جمیع ما فیها من قطیعة رحم و ظلم و جور و ترک اسم اللّه، فهلم صحیفتکم فان کان حقا فاتقوا اللّه و ارجعوا عمّا أنتم علیه من الظلم و الجور و قطیعة الرّحم.

و إن کان باطلا دفعته إلیکم فان شئتم قتلتموه، و إن شئتم استحییتموه.

فقالوا: رضینا، و تعاقدوا علی ذلک.

---

(۱) و إنّما اتخذ مثل هذا الاجراء حتی لا یفشوا ذلک الخبر فیبلغ المشرکین فیحتالوا للصحیفة، و یکذّبوا بذلک خبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۸

ثم بعثوا إلی الصحیفة و أنزلوها من الکعبة، و علیها أربعون خاتما.

فلما أتوا بها نظر کل رجل منهم إلی خاتمه، ثم فکوها فاذا لیس فیها حرف واحد إلّا «باسمک اللّهمّ»، کما اخبرهم بذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) غیر أنّ هذا لم یوجب هدایتهم بل زادهم شرا و عنادا و رجع بنو هاشم مرّة اخری إلی الشعب و بقوا محاصرین فیه مدّة من الزمن و لم یمکنهم الرجوع الی منازلهم بمکة إلّا بعد أن نقضها هشام.

و قد قال «أبو طالب» فی مدح هذا (أی نقض الصحیفة القاطعة و النفر الذین قاموا بنقضها) قصیدة مطوّلة جاء فی مطلعها.

ألا هل أتی بحریّنا «۱» صنع ربّناعلی نأیهم و اللّه بالناس أرود «۲»

فیخبرهم أنّ الصحیفة مزّقتو ان کلّ ما لم یرضه اللّه مفسد «۳» (۲) هذه أمثلة و نماذج من ردود الفعل الظالمة و المواقف المناوئة التی اتخذتها قریش تجاه الدعوة المحمدیة.

علی أنه لا یمکن الادّعاء القطعیّ بأن جمیع هذه الردود قد وقعت علی الترتیب الذی ذکرناه تماما، و لکن یمکن بمراجعة النصوص التاریخیّة تحصیل مثل هذا الترتیب و خاصّة أن مسألة انتهاء المحاصرة الاقتصادیة قد وقعت فی منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة الشریفة.

(۳) کما أنّ أذی قریش و ردود فعلها ضدّ الاسلام و المسلمین و ضدّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خاصّة لم تنحصر فی ما ذکرناه فی هذه الفصول بل کان هناک أسالیب اخری سلکتها قریش لتحطیم شخصیة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أضعاف عزیمته مثل وصفهم للنبی صلّی اللّه علیه و آله بالأبتر.

فقد کان «العاص بن وائل السهمی» إذا ذکر رسول اللّه قال: دعوه، فانّما هو رجل أبتر لا عقب له، لو مات لانقطع ذکره و استرحتم منه.

(۱) یقصد من هاجر من المسلمین إلی الحبشة فی البحر.

(۲) أی أرفق.

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۷۷- ۳۸۰ و قد أدرج ابن هشام القصیدة بتمامها، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۰۹

فانزل اللّه تعالی فی ذلک سورة الکوثر التی یقول فیها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

و قد أخبر بها اللّه نبیّه بأنه سیهبه ذریّة کثیرة «۱».

و لقد کتب العلّامة الفخر الرازی فی تفسیره لهذه السورة «۲»: المعنی أنه یعطیه نسلا یبقون علی مرّ الزمان، فانظر کم قتل من أهل البیت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، و لم یبق من بنی امیّة فی الدنیا أحد یعبأ به.

و وجه المناسبة أن الکافر شمت بالنبیّ حین مات أحد أولاده و قال: ان محمّدا ابتر فان مات مات ذکره، فانزل اللّه هذه السورة علی نبیّه تسلیة له کأنه تعالی یقول: ان کان ابنک قد مات فانا اعطیناک فاطمة، و هی و إن کانت واحدة و قلیلة، و لکن اللّه سیجعل هذا الواحد کثیرا.

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۹۳ و جمیع التفاسیر.

(۲) مفاتیح الغیب: الجزء الثلاثون سورة الکوثر.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۱

(۱)

۲۱ وفاة أبی طالب و خدیجة الکبری

اشارة

فی الوقت الذی کنّا نسطّر فیه مواضیع هذا الفصل کان سجن «القطیف» یضمّ بین جدرانه شابا حر الضمیر شجاعا مقداما لم یکن له من ذنب إلا أنه الّف کتابا باسم «أبو طالب مؤمن قریش» یتناول إسلام «أبی طالب» و إیمانه و إخلاصه مثبتا کل ذلک من مصادر أهل السنّة «۱».

فطلبت منه السلطات القضائیة فی الحجاز- و فی عصر یتسم بحرّیة التفکیر البیان و الاعتقاد- بأن یتراجع عن کلامه، و حیث إنه لم یکن لیرید أن ینکر حقیقة اعتقد بها عن قناعة و یقین، حکمت علیه تلک السلطات بالاعدام.

و قد نجا هذا الفتی الشجاع و الکاتب الحرّ من الاعدام اثر جهود اسلامیة واسعة و خفّضت عقوبته الی الحبس المؤبّد، الذی خفّض اثر جهود اسلامیة مرّة اخری الی عقوبة الجلد ثمانین جلدة!!.

(۲) و هو الآن یلبث فی أحد السجون بانتظار المصیر، المجهول اذ علی المسلمین إما أن یهتمّوا بالأمر و یطلبوا من السلطات القضائیة السعودیة صرف النظر عن

(۱) و الکتاب یقع فی ۳۴۰ صفحة طبع بحجم الوزیری و طبع فی بیروت مرارا و قدّم علیه الأدیب اللبنانی المعروف «بولس سلامة»

صاحب ملحمة الغدير و ملاحم اخرى.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۲

عقوبته، بل و الافراج عنه نهائيا.

و إما أن يفقد هذا الشاب المجاهد الشجاع البرىء حياته تحت سياط تلك السلطات الجائرة الحاكمة زورا و قهرا على أرض الحجار «۱» «۲»

(۱) لقد سقطت مؤامرة الحصار الاقتصادى ضدّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين بفعل إقدام ثلة من ذوى المروءة و أيضا بفضل صمود النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه و ثباتهم العظيم. و خرج النبيّ و أنصاره من «شعب أبى طالب» بعد ثلاث سنوات من النفى و العذاب و عادوا إلى منازلهم ظافرين مرفوعى الرءوس.

و عاد التعامل الاقتصادى مع المسلمين الى ما كان عليه قبل الحصار، و كانت أوضاع المسلمين تسير نحو الانتعاش و الانفراج شيئا فشيئا، و اذا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يفاجأ بحادث مؤلم مرّ ذلك هو وفاة شخصية كبرى أحدث فقدانها أثرا سيّئا فى نفوس المسلمين و بخاصة المستضعفين منهم.

و لقد كان هذا الأثر عظيما جدا بحيث لا يمكن قياسه بشىء بالنظر الى تلك الظروف الحساسة، و ذلك لأن نمو أية عقيدة و فكرة إنما يكون فى ظل عاملين أساسيّين: أحدهما: حرية التعبير، و الآخر: القوة الدفاعية التى تحمى أصحاب تلك العقيدة و الفكرة ضدّ حملات الخصوم التى لا ترحم.

و لقد كان المسلمون- آنذاك- يتمتعون بحرية البيان و التعبير، و لكنهم افتقدوا- بسبب الحادث المفاجئ المذكور العامل الجوهرى و المصيرى الثانى يعنى:

حامى الاسلام و المدافع الوحيد عنه الذى وافته المنية فى تلك الايام الحساسة

---

(۱) لقد سمّيت أراضى «الحجاز» و «نجد» و «تهامة» باسم عائلة واحدة هى آل سعود، و اخيرا حملت هذه المنطقة التى كانت تعرف و حتى إلى ما يقرب من قرنين بارض الحجاز اسم المملكة العربية السعودية. يا له من استئثار و جرأة على المقدسات!!

(۲) و اخيرا نجا هذا الشاب المؤمن و المجاهد الحرّ بفضل جهود علماء الشيعة و مفكّريهم المتضافرة و الواسعة النطاق و اخلى سبيله و قد زار- للاعراب عن شكره- مدينة قم المقدّسة و قد التقينا به أيضا كما زار اماكن اخرى لنفس الغرض.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۳

و حرم المسلمون بوفاته من حمايته و دفاعه، و وقايته.

(۱) أجل لقد فقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حاميه العظيم الذى تولى مهمة كفالته و الدفاع عنه، و المحافظة على حياته بصدق و اخلاص و جدّ و رغبة و كان يقيه بنفسه و ذويه و يؤثره على نفسه و أولاده و ينفق عليه من ماله حتى كبر و صار له مال و طول منذ أن كان صلّى اللّه عليه و آله فى السنة الثامنة من عمره و حتى يوم وفاة ذلك الحامى العظيم، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الخمسين من عمره.

لقد فقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شخصية خاطبها عبد المطلب عند وفاته بالشعر قائلا:

اوصيك يا عبد مناف بعدى‌بموحد بعد أبيه فرد فأجابه أبو طالب قائلا: يا أبه لا توصينّ بمحمّد فانه ابنى و ابن أخى «۱».

(۲) و لعلّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد تذكر فى اللحظة التى ظهر فيها على جبين ابى طالب عرق الموت جميع الحوادث الحلوة و المرة و قال فى نفسه:

(۳) ۱- إن هذا الشخص المسجّى على فراش الموت هو عمّه الرءوف الذى ظلّ يحرسه بالليل و النهار طيلة سنوات الحصار فى

الشعب، فاذا جاء اللیل قام عند رأسه بالسیف یحرسه. و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مضطجع ثم یقیمه من فراشه إذا مضی شطر من اللیل و یضجعه فی موضع آخر و یضجع مکانه ولده «علی بن أبی طالب» حتی لا تغتاله قریش بعد أن رصد و امکانه، و کمنوا له، و کان یفعل أبو طالب ذلک طوال اللیل کله فیفدینی بولده «علی» و یقینی به حتی إذا قال له «علی» لیلة:

«یا أبتاه إنی مقتول ذات لیلة».

فأجابه أبو طالب بنبرة المتحمّس الصبور:

---

(۱) عمدة الطالب: ص ۶ و فیه بواحد، المناقب: ج ۱ ص ۲۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۴ اصبرن یا بنیّ فالصبر أحجی کلّ حیّ مصیره لشعوب

قد بلوناک و البلاء شدیدلفداء النجیب و ابن النجیب فأجابه «علیّ» بکلام اکثر حلاوة و عمقا قائلا:

أ تأمرنی بالصّبر فی نصر أحمد؟و و اللّه ما قلت الّذی قلت جازعا

و لکنّنی أحببت أن تر نصرتیو تعلم أنّی لم أزل لک طائعا «۱» (۱) ۲- إن هذا الجثمان الذی فارقته الروح هو جثمان عمّی العطوف الذی شرّد هو و ذووه، و عرّض نفسه و أهله للبلاء و المحنة بسبب الحصار لأجلی، و أمر بأن یحرسوننی لیل نهار، تارکا زعامته و سیادته، و کلّ شئونه للحفاظ علیّ و الإبقاء علی رسالتی و أرسل إلی قریش رسالة قوّیة أعلن فیها عن وقوفه إلی جانبی و انه لن یسلمنی و یخذلنی ما دام حیّا إذ قال:

فلا تحسبونا خاذلین محمّدالذی غربة منّا و لا متقرّب

ستمنعه منّا ید هاشمیّةو مرکبها فی الناس أخشن مرکب «۲» بعد أن تحقق موت «ابی طالب» ارتفع الصراخ و النحیب من منازله و بیوته، و اجتمع حول بیته العدوّ و الصدیق، و القریب و البعید، و اشترک الجمیع فی مراسم دفنه بقلوب آلمتها الفجیعة به، و قرّحها الحزن علیه.

و هل تری تنتهی آثار و ردود فعل وفاة شخصیة عظیمة الشأن مثل «ابی طالب» الذی کان زعیم قریش، و سید عشیرته بمثل هذه السرعة، و البساطة؟

کلا بل سیکون لفقدانه اکبر الأثر علی مسیرة الدعوة کما ستعرف ذلک مستقبلا.

(۲)

نماذج من مشاعر أبی طالب

اشارة

ان التاریخ البشریّ یحتفظ فی صفحاته بأمثلة کثیرة عن مشاعر تبادلها

---

(۱) مناقب ابن شهر اشوب: ج ۱ ص ۶۴، الحجّة: ص ۷۰، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱- ۱۹.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۴ ..

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۵

الأشخاص و عواطف ودیّة قویّة أبداها البعض تجاه بعض تدور اکثرها حول محور الدوافع المادیة کالتی تدور حول معیار الجمال أو

المال، و لهذا سرعان ما يذهب الحماس و ينطفئ شعلة الحبّ، و يتضاءل لهيب العاطفة فى كيانهم حتى تزول بالمرّة و لا يبقى منها شيء أبدا لعدم ثبات هذه الدوافع.

(۱) و لكنّ المشاعر و العواطف التى تنبع من أواصر الايمان بفضائل شخص ما و كمالاته الروحية و المعنوية لا تنمحى و لا تتلاشى بسرعة.

و قد كانت مودة «أبى طالب» لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و حبّه الشديد له تنبع من كلا هذين الدافعين.

فقد كان «أبو طالب» يؤمن بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و يرى فيه من جانب الانسان الكامل، بل يعتبره فى قمة الكمال الانسانى، و من جانب آخر كان «محمّد» ابن أخيه، و قد أحلّه ذلك من قلبه محلّ الابن و الأخ.

لقد كانت لصفات «محمّد» و خصاله المعنوية و الأخلاقية، و طهره مكانة كبرى فى قلب عمّه «أبى طالب» إلى درجة أنه كان يصطحبه معه إلى المصلّى، و يستسقى به أى انه يقسم على اللّه بمقامه أن يدفع عن الناس القحط و الجدب و ينزّل عليهم الغيث، فكانت دعونه تستجاب من دون تأخير.

(۲) فقد نقل كثير من المؤرخين الحادثة التالية:

قحط الناس فى «مكة» و حواليها سنة من السنين، و منعت السماء و الأرض بركاتهما عنهم بشكل عجيب، فمشت قريش بعيون باكية إلى «أبى طالب» تطلب منه بالحاح أن يستسقى لهم، و ان يذهب الى المصلى و يدعو ربّه لينزّل عليهم المطر و ينقذهم من تلك المحنة الصعبة.

فخرج «أبو طالب» و قد اخذ بيد غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنها غمامة فاسند ظهره إلى الكعبة و رفع وجهه نحو السماء و قال: يا رب هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا، دائما هاطلا.

(۳) و يكتب المؤرخون ان السماء كانت صافيه لا غيم فيها أبدا ساعة استسقى «أبو طالب» برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لكن ما ان فرغ «أبو طالب» من دعائه

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۶

إلّا و أقبلت السحاب فى الحال، و غطّت سماء «مكة» و ما حولها من المناطق القريبة إليها، و ارعدت السماء و أبرقت ثم جرى غيث عظيم سالت به الأودية، و روّت القريب و البعيد، و سرّ به الجميع و رضوا «۱».

و قد اشار «أبو طالب» فى لاميّته المعروفة الى هذه الحادثة.

(۱) و قد أنشأ «أبو طالب» تلك القصيدة فى أحلك الظروف و اشدّها، يوم زادت قريش من ضغوطها على حامى الرسول صلّى اللّه عليه و آله ليسلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إليها.

و قد ذكّر فيها «أبو طالب» قريشا بحادثة الاستسقاء برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل الاسلام و كيف أنها امطرت ببركته، بعد قحط طويل، و جدب مهلك، كاد يبيد الحرث و الضرع، و ذلك عند ما يقول:

و ابيض يستسقى الغمام بوجههربيع اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشمفهم عنده فى نعمة و فواضل و قد نقل «ابن هشام» فى سيرته «۲» أربعة و تسعين بيتا من هذه القصيدة، فيما أورد «ابن كثير» الشامى فى تاريخه «۳» اثنين و تسعين بيتا فقط.

و هى قصيدة فى منتهى الروعة و العذوبة، و فى غاية القوة و الجمال، و تفوق فى هذه الجهات كل المعلقات السبع التى كان عرب الجاهلية يفتخرون بها، و يعدونها من ارقى ما قيل فى مجال الشعر و النظم.

(۲) و قد أورد «ابو هفان العبدى» الجامع لديوان «أبى طالب» مائة و واحدة و عشرين بيتا من هذه القصيدة فى ذلك الديوان، و يمكن ان تكون كل تلك القصيدة و تمامها.

و نحن نورد هنا أبياتا متفرقة من هذه القصيدة مما يتصل منها برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بصورة صريحة.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲ و ۳، السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۱۱- ۱۱۶، الملل و النحل المطبوع بهامش الفصل فى الأهواء و الملل: ج ۳ ص ۲۲۵.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

(۳) البداية و النهاية: ج ۳ ص ۵۲- ۵۷.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۷ كذبتم و بيت اللّه نبزى محمّداو لما نطاعن دونه و نناظل «۱»

و نسلمه حتّى نصرّع دونهو نذهل عن أبنائنا و الحلائل

لعمرى لقد كلّفت وجدا بأحمدو إخوته دأب المحبّ المواصل

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلهاو زينا لمن والاه ربّ المشاكل «۲»

فمن مثله فى الناس أى مؤمّل‌إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش‌يوالى إلها ليس عنه بغافل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّب‌لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا احمد فى ارومة‌تقصّر عنه سورة المنظاول «۳»

حدبت بنفسى دونه و حميته‌و دافعت عنه بالذّرا و الكلاكل «۴»

فأيّده ربّ العباد بنصره‌و أظهر دينا حقّه غير باطل «۵» (۱)

التغيير فى برنامج السفر

لم يكن يمض اكثر من اثنى عشر ربيعا من عمر «محمّد» بعد، عند ما أراد «أبو طالب» التوجّه إلى الشام مع قافلة قريش التجارية.

و عند ما استعدّت القافلة لمغادرة مكة ودق جرس الرحيل، أخذ «محمّد» فجأة بزمام الناقة التى كان يركبها عمّه و كافله «أبو طالب» بينما اغرورقت عيناه صلّى اللّه عليه و آله بالدموع و قال:

«يا عمّ إلى من تكلنى، لا أب لى و لا أم»؟.

هذا المشهد المؤثر و بخاصة عند ما رأى «أبو طالب» عينى محمّد و قد اغرورقت بالدموع، فعل فعلته فى نفس العم الكافل الحنون، فانحدرت عبرات العطف من عينيه و قرر من فوره و من دون سابق تفكير فى الموضوع أن يصطحب ابن اخيه «محمّدا» معه فى هذه الرحلة، و مع أنه لم يحسب لهذا الأمر- من قبل-

---

(۱) اى نغلب عليه.

(۲) المشاكل: العظيمات من الامور.

(۳) السورة: الشدة و البطش.

(۴) الذرا: جمع ذروة و هى اعلى ظهر البعير.

(۵) راجع السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۱۸

أی حسـاب، فان «أبا طالب» قبل بان یتحمّل کل ما یترتب علی قراره هـذا، فحمله معه علی ناقته، و بقی یفکر فی أمره، و یـدبّر شأنه، و یحافظ علیه طوال تلک الرحلهٔ، و شـهد منه اثناء الطریق کرامات و خوارق، و قد أنشأ فی ذلک قصـیدهٔ موجودهٔ فی دیوان أبی طالب، و مطلع هذه القصیدهٔ هو:

إنّ ابن آمنهٔ النبیّ محمّداعندی یفوق منازل الأولاد «۱»

(۱)

الدفاع عن حوزهٔ العقیدهٔ و الایمان

لیست هناک قوهٔ تساعد علی الثبات و المقاومهٔ، و الصمود و الاستقامهٔ، مثل قوهٔ الایمان، فالایمان بالهدف هو العامل القوی وراء تقدّم الانسـان فی میـدان الحیـاهٔ، فهو الـذی یهضم فی نفسه کـل الآلام و المتاعب، و یـدفع بالمرء الی المضـی قـدما فی طریق الوصول إلی أهدافه المقدّسهٔ، حتی و لو کلفه ذلک التعرض للموت.

إنّ الجندیّ المسلّح بقوهٔ الإیمان منتصر لا محالهٔ.

إن الجندیّ الذی یعتقد بأن الموت فی طریق العقیدهٔ هو عین السعادهٔ لا بدّ أن یحرز النصر.

إن علی الجنـدی- قبـل أن یسلّح نفسه بسـلاح العصـر- أن یتزود فی قلبه من طاقـهٔ الإیمـان بالهـدف، و یضـیء قلبه بمصـباح الاعتقاد بالحقیقهٔ، و حبّها، و یجب أن یکون جهاده و صلحه من أجل العقیدهٔ و الدفاع عن حوزتها، و کیانها.

(۲) إنّ أفکارنا و عقائدنا نابعهٔ من روحنا، و فی الحقیقهٔ انّ فکر الانسان ولید عقله، فکما أنّ الانسان یحب ولده الجسـمانی حبّا شدیدا کذلک یحب أفکاره التی هی ولائد عقله و روحه، بل إن حبّ الانسان لعقیدته اکثر من حبّه

---

(۱) دیوان أبی طالب: ص ۳۳- ۳۵، تاریخ ابن عساکر: ج ۱ ص ۲۶۹- ۲۷۲، الروض الآنف: ج ۱ ص ۱۲۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۱۹

لأولاده الجسمانیّین، و لهذا فهو یدافع عن عقائده حتی الموت، و یغضی- فی سبیل الدفاع عن حوزهٔ العقیدهٔ و الحفاظ علیها- عن کل شیء، بینما هو غیر مستعدّ لأن یضحی بنفسه فی سبیل الحفاظ علی اولاده.

(۱) إنّ حب المرء للمال و المنصب حبّ محدود، فهو ینساق مع هذا الحبّ ما دام لم یهدّد حیاته خطر الموت الحقیقی، و لکنّه مستعد لأن یمضـی- فی سبیل الدفاع عن حیاض العقیدهٔ- الی حدّ الموت، و یؤثر الموت الشـریف فی سبیل العقیدهٔ علی الحیاهٔ، و یری الحیاهٔ الحقیقیهٔ و الواقعیهٔ فی وجود الرجال المجاهدین، و هو یردد:

«إنما الحیاهٔ عقیدهٔ و جهاد» «۱».

و لنلق نظرهٔ فاحصهٔ علی حیاهٔ بطل حدیثنا (و نعنی به المدافع الوحید عن الاسلام و حامی الرسول الاوحد فی بدایات عهد الرسالهٔ) فما ذا کان دافعه الی هـذا الأمر، و ما الـذی کان یحرکه فی هـذا السبیل؟ و أی شـیء کان وراء مضـیه فی هـذا الطریق الی حافـهٔ العدم، و الغض عن النفس و النفیس، و المقام، و القبیلهٔ و غیر ذلک و التضحیهٔ بکل ذلک فی سبیل «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

إن من المتیقّن أن دافعه الی ذلـک لم یکن المحرک المادیّ، و بالتالی لم یقصـد من وراء الـدفاع عن ابن اخیه، و حمایته، و الحـدب علیه، کسب أمر مادی کتحصیل مال و ثروهٔ، لأن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لم یکن له یومئذ مال، و لا ثروه.

(۲) و کمـا أن مقصود «أبی طـالب» لم یکن أیضـا تحصـیل مقـام، و أحراز مکـانه اجتماعیـهٔ لأنه کان یملک فی ذلک المجتمع أعلی المناصب و اهمها، فقـد کانت له رئاسـهٔ «مکـهٔ» و البطحاء، بل هو فقد منصـبه و شخصـیته الممتازهٔ و مکانته المنقولهٔ بسـبب دفاعه عن

«محمّد»، و عدم الاستجابة لقومه فی تسلیمه إلیهم، و التخلی عنه لأن دفاعه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد استوجب سخط زعماء علیه، و استیاءهم من موقفه، و خروجهم عن طاعته، و دفعهم الی التمادی

---

(۱) المراد من العقیدة المقدسة هو بطبیعة الحال ما تذوب «الأنا» فیها فی التوحید و الایمان باللّه اذ هنا یصدق قوله:

قف عند رأیک و اجتهدإنّ الحیاة عقیدة و جهاد

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۰

فی معاداة «بنی هاشم» و «أبی طالب» و الثورة علیهم!!

(۱)

تصوّر باطل [عن مشاعر أبی طالب تجاه النبی ص]

ربما یتصور بعض ضعفاء البصیرة أن علة حدب «أبی طالب» علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و التضحیة فی سبیله بالنفس و النفیس کانت هی: علاقة القربی، و وشیجة الرحم، أو بتعبیر آخر: إن التعصب القبلیّ، و العصبیة القومیة هو الذی دفع بأبی طالب إلی ان یعرّض نفسه لکل ذلک المکروه فی سبیل ابن اخیه.

و لکنّ هذا لیس سوی مجرّد تصور باطل لا غیر، و یتضح بطلانه بدراسة مختصرة لأنه لا تستطیع أیة وشیجة قربی علی أن تدفع أحدا إلی أن یضحی بنفسه فی أحد أقربائه الی هذه الدرجة من التضحیة و المفاداة، بحیث یقی مثلا ابن أخیه علیه، و یکون مستعدا لأن یتقطّع ولده بالسیوف إربا إربا دون ابن أخیه.

إن العصبیات القبائلیة و العائلیة و ان کانت تدفع بالانسان حتی الی حافة الموت، و لکن لا معنی لان تختص، هذه الحمایة الناشئة عن العصبیة العائلیة و القبلیة الشدیدة بفرد واحد، و شخص خاص معیّن من أفراد العائلة و القبیلة، فی حین نجد «أبا طالب» قد قام بکل هذه التضحیة فی سبیل شخص واحد، و فرد معین (أی النبیّ)، و لا یفعل مثل هذه فی سبیل غیره من أبناء «عبد المطلب» و «هاشم» و أحفادهما و من ینتمی إلیهم بوشیجة القربی و رابطة الرحم.

(۲)

الدافع الحقیقیّ لأبی طالب

و علی هذا الأساس فانّ المحرّک و الدافع الحقیقیّ لأبی طالب لم یکن أمرا مادیا و لا الجاه و المنصب، أو التعصب القومی، و العائلی، بل کان أمرا معنویا و أن ضغوطا العدوّ و قوّته کانت تدفعه إلی الاستعداد للقیام بأی نوع من أنواع التضحیة و ذلک الأمر المعنویّ هو اعتقاده الراسخ برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعتبر «محمّدا» مظهرا کاملا للفضیلة و الانسانیة، و یعتبر دینه أفضل برنامج

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۱

للسعادة، و حیث أنه کان یحبّ الحقیقة، و یعشق الکمال و الحقّ، لذلک کان من الطبیعیّ أن یدافع عن الحق و الحقیقة، و ینصرهما بکل وجوده، و بکل قواه.

(۱) و هذا المعنی هو المستفاد من قصائد «أبی طالب» و أشعاره، فهو یصرح بأن «محمّدا» رسول کموسی و عیسی إذ یقول:

لیعلم خیار النّاس أنّ محمّدانبیّا کموسی و المسیح بن مریم

أتانا بهدی مثل ما أتیا بهفکلّ بأمر اللّه یهدی و یعصم «۱» و یقول فی قصیدهٔ اخری:

أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّدانبیّا کموسی خطّ فی أوّل الکتب «۲» هذا و تعتبر ابیاته التی سبق أن أشرنا إلیها و المئات من أمثالها مما جاء ذکره فی دیوان أبی طالب، و فی ثنایا التاریخ و التفسیر و الحدیث شواهد حیّهٔ و قویهٔ علی أن محرک «أبی طالب» الواقعی و دافعه الحقیقی إلی الدفاع عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان هو اعتقاده الخالص، و اسلامه الواقعی و لم یکن له أی دافع آخر سوی الایمان و العقیدهٔ.

و نحن هنا نکشف النقاب عن بعض مواقفه فی الدفاع عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حمایته بعد اضطلاعه بعبء الرسالهٔ، و نترک لک أیها القاری بأن تدقّق فی مثل هذه المواقف الفدائیهٔ ثم تقضی بنفسک: هل تنبع مثل هذه التضحیهٔ، و مثل هذا التفانی، و الفداء إلّا من الایمان و الاعتقاد؟؟

(۲)

لمحات من تضحیات أبی طالب

اجتمع أسیاد قریش و اشرافها فی بیت أبی طالب و النبیّ صلّی اللّه علیه و آله حاضر، و تبودلت بین الجانبین أحادیث حول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

---

(۱) مجمع البیان: ج ۷ ص ۳۷، الحجّهٔ: ص ۵۶- ۵۷، مستدرک الحاکم: ج ۲ ص ۶۲۳ و ۶۲۴.

(۲) مجمع البیان: ج ۷ ص ۳۶، و قد نقل ابن هشام فی السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۳۵۲ و ۳۵۳ خمسهٔ عشر بیتا من هذه القصیدهٔ.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۲

و دینه و ما خلق من مشکلات فی مکهٔ، و حاول القرشیون اثناء النبیّ عن دعوته و عمله و لکن دون جدوی فلما یئسوا من الحصول علی النتیجهٔ التی کانوا یریدونها نهضوا من مکانهم لیترکوا بیت «أبی طالب»، قال «عاقبهٔ ابن أبی معیط» غاضبا مهددا: لا نعود إلیه أبدا، و ما خیر من أن نغتال محمّدا!!

(۱) فغضب «أبو طالب» من هذه الکلمهٔ، و لکنه ما ذا عساه أن یفعل فهم ضیوفه، و فی بیته.

و اتفق أن خرج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من البیت فی ذلک الیوم و لم یعد، و جاء «أبو طالب» و عمومته الی منزله فلم یجدوه، فجمع فتیانا من بنی هاشم و بنی المطلب، ثم قال- و هو یظن ان قریشا کادت برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله-: لیأخذ کل واحد منکم حدیدهٔ صارمهٔ ثم لیتبعنی إذا دخلت المسجد، فلینظر کل فتی منکم، فلیجلس الی عظیم من عظمائهم فیهم ابن الحنظلیهٔ- یعنی أبا جهل- فانه لم یغب عن شر ان کان محمّد قد قتل، فقال الفتیان: نفعل فجاء زید بن حارثهٔ فوجد أبا طالب علی تلک الحال فقال: یا زید أحسست ابن أخی؟ قال: نعم کنت معه آنفا.

فقال أبو طالب: لا ادخل بیتی أبدا حتی أراه.

(۲) فخرج زید سریعا حتی اتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو فی بیت عند الصفا و معه أصحابه یتحدثون فاخبره الخبر، فجاء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أبی طالب فقال: یا ابن أخی: این کنت؟ أ کنت فی خیر؟ قال: نعم، قال:

ادخل بیتک، فدخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فلما اصبح أبو طالب غدی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فاخذ بیده فوقف علی اندیهٔ قریش و معه الفتیان الهاشمیون و المطلبیون فقال: یا معشر قریش هل تدرون ما هممت به؟

قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، و قال للفتیان اکشفوا عما فی ایدیکم، فکشفوا، فاذا کل رجل منهم معه حدیدهٔ صارمهٔ. فقال: و اللّه لو

قتلتموه ما بقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن و انتم، فانكسر القوم و كان اشدّهم انكسارا أبو جهل «۱»

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۶۸، الطرائف: ص ۸۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۳

(۱) لو لاحظت أيها القارئ الكريم هذه الصفحات و غيرها من تاريخ «أبى طالب»، و درست حياته لرأيت كيف ان «أبا طالب» ظلّ طوال اثنين و أربعين سنة بأيامها و لياليها يحدب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يدافع عنه، و يحاميه، و بخاصة فى السنوات العشر الاخيرة من حياته التى صادفت بعثة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و دعوته، فقد أظهر من الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الحرص على حياته، و حماية هدفه اكثر مما يتصور.

و لقد كان العامل الوحيد الذى دفعه الى مثل هذا الموقف الراسخ العظيم فى هذا السبيل هو: عمق الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و قوة الاعتقاد الخالص برسالته.

و لو أننا ضممنا إلى تضحياته الشخصية تضحيات ولده العزيز «علىّ» لأدركنا مغزى البيتين اللذين انشدهما «ابن ابى الحديد» المعتزلى الشافعى إذ قال:

و لو لا أبو طالب و ابنهلما مثل الدّين شخصا و قاما

فذاك بمكّة آوى و حامىو هذا بيثرب جسّ الحماما «۱»

(۲)

قضيّة ذات بواعث سياسيّة:

ليس من ريب فى أنه لو ثبت عشر هذا القدر من الشواهد الدالّة على اسلام «أبى طالب» و إيمانه بالرسالة المحمّدية، لغيره ممّن هو بعيد عن قضايا السياسة، و خارج عن دائرة الحقد و البغض لا تفق الجميع سنة و شيعة على إسلامه و إيمانه، و لكن كيف ذهب فريق الى تكفير «أبى طالب» مع كلّ هذه الشواهد القويّة القاطعة على إيمانه؟ حتى أنّ فريقا من الكتاب ذهب إلى ان بعض الآيات المشعرة بالعذاب نزلت فى شأنه.

---

(۱) شرح نهج البلاغة: ج ۱۴ ص ۸۴ يقول ابن أبى الحديد: صنف بعض الطالبيين فى هذا العصر كتابا فى اسلام أبى طالب، و بعثه إلىّ، و سألنى ان اكتب عليه بخطى نظما او نثرا اشهد فيه بصحة ذلك، و بوثاقة الأدلة عليه (إلى ان قال) فكتب على ظاهر المجلد هذه الابيات.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۴

(۱) بينما توقّف فى هذا الأمر، و ذهب أفراد معدودون من علماء السنة الى الحكم باسلامه و ايمانه، و منهم «زينى دحلان» مفتى مكة المتوفّى سنة ۱۳۰۴ من الهجرة.

و لكن الانصاف هو ان يقال: أن الهدف من طرح هذه المسألة و التوقف فى ايمان «أبى طالب» أو تكفيره لم يكن إلّا الطعن فى أبنائه، و بخاصة أمير المؤمنين الإمام علىّ عليه السلام.

و لقد جرّ بعض كتّاب السنّة- لتبرير تكفير أبى طالب- هذه المسألة الى غير ابى طالب و وسع دائرة التكفير هذه حتى شملت آباء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أيضا حيث ذهب إلى أن أبوى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ماتا كافرين أيضا.

و نحن لا يهمنا هنا أن نعلم بأنّ تكفير والدى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله مخالف لاجماع الامامية و الزيدية، و كذا جماعة من علماء

السنهٔ، و محقّقيهم، إنما الكلام هو حول من اتّهموا ببساطهٔ متناهيهٔ حامى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الوحيد و المدافع عنه بلا منازع.

(۲)

الأدلّهٔ على إيمان أبى طالب

اشارهٔ

إن التعرّف على عقيدهٔ أحد، و معرفهٔ نمط تفكيره، يمكن عن ثلاث طرق هى:

۱- دراسهٔ ما ترك من آثار علميّهٔ و أدبيهٔ.

۲- اسلوب عمله، و تصرفاته فى المجتمع.

۳- رأى أقربائه، و أصدقائه غير المغرضين فيه.

و نحن نستطيع أن نتعرّف على إيمان «أبى طالب» و عقيدته من خلال هذه الطرق.

فان أشعار «أبى طالب» تدل بجلاء لا لبس فيه على ايمانه و إخلاصه، و كذا تكون خدماته القيامهٔ فى السنوات العشر الاخيرهٔ من عمره شاهدا قويا على إيمانه العميق.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۵

كما و أنّ رأى أقربائه المنصفين متفق على أنّ «أبا طالب» كان مسلما مؤمنا و لم يقل أحد من أقربائه، فى حقه بغير هذا أبدا.

و إليك إثبات هذا الموضوع عن هذه الطرق الثلاث على وجه التفصيل:

(۱)

۱- آثار أبى طالب العلميّهٔ و الأدبيهٔ

نحن نختار هنا من بين قصائد «أبى طالب» المطوّلهٔ، بعض الأبيات التى تثبت ايمانه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و اعتقاده بالاسلام، فى غير ابهام.

۱-

ليعلم خيار النّاس أنّ محمّدانبىّ كموسى و المسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتيا بهفكلّ بأمر اللّه يهدى و يعصم «۱» ۲-

تمنيتمو أن تقتلوه و إنّماأمانيّكم هذى كأحلام نائم

نبىّ أتاه الوحى من عند ربّهو من قال لا يقرع بها سنّ نادم «۲» ۳-

أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّدارسولا كموسى خطّ فى أوّل الكتب

و أنّ عليه فى العباد محبهًو لا حيف فى من خصّه اللّه بالحبّ «۳» ۴-

و اللّه لن يصلوا إليك بجمعهمحتّى اوسّد فى التّراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضهٔو ابشر بذاك و قرّ منك عيونا

و دعوتنى و علمت أنّك ناصحو لقد دعوت و كنت ثمّ أمينا

و لقد علمت بأن دين محمّدمن خير أديان البرّية بنا «۴» ۵-

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجبعلى نبىّ كموسى أو كذى النون «۵» ۶-

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّبلدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فايّده ربّ العباد بنصره‌و اظهر دينا حقّه غير باطل «۶»

---

(۱) مجمع البيان: ج ۷ ص ۳۷، الحجة: ص ۵۷، مستدرك الحاكم: ج ۲ ص ۶۲۳.

(۲) ديوان أبى طالب: ص ۳۲، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۳.

(۳) ديوان أبى طالب: ص ۳۲، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۳۵۳.

(۴) تاريخ ابن كثير: ج ۳ ص ۴۲.

(۵) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۴ ص ۷۴، ديوان أبى طالب: ص ۱۷۳.

(۶) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۲۷۲- ۲۸۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۶

إن كلّ واحدة من هذه المقطوعات الشعريّة التى تشكل قسما صغيرا من قصائد مفصّلة لأبى طالب، تشهد بايمانه بدين ابن اخيه «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله.

(۱) و خلاصة القول: أنّ بيتا واحدا من هذه الأبيات كاف فى اثبات ايمان صاحبها و قائلها، و لو أنّ أحدا قالها و هو خارج عن فلك الصراعات السياسية، و بعيد عن دوائر التعصبات و الأغراض لحكم الجميع- بالاتفاق- باسلام قائلها و ايمانه الخالص العميق.

و لكن لما كان «أبو طالب» هو قائلها، و كانت الأجهزة الدعائية فى الحكومات الاموية و العباسيّة تعمل بكلّ جهدها ضدّ آل «أبى طالب» من هنا أبى فريق من الناس أن يثبتوا مثل هذه الفضيلة الكبرى لأبى طالب عليه السلام.

هذا من جانب.

و من جانب آخر فانّ أبا طالب والد «على» الذى كانت سلطات الخلفاء تعمل ضدّه على الدوام، و تستغل كل الوسائل للحط من شأنه، كان إسلام أبيه و إيمانه بالرسالة المحمدية يعدّ فضيلة بارزة من فضائله عليه السلام فى حين أن كفر آباء الخلفاء و شركهم يعدّ مثلبة توجب الحط من شأنهم، و قيمتهم.

و على كل حال قام جماعة بتكفير أبى طالب رغم كلّ هذه الأشعار و الأقوال، و المواقف الصادقة، بل لم يكتفوا بذلك، فادعوا نزول آيات من القرآن تدل على كفره، و شركه!!!

(۲)

الطريق الثانى لا ثبات إيمان أبى طالب

إنّ الطريق الثانى للبرهنة و التدليل على إيمان «أبى طالب» هو مواقفه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كيفية دفاعه و ذبه عنه و حمايته له، و حدبه عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما قام به من خدمات جليلة فى هذا الطريق.

ان كل واحدة من هذه الخدمات تستطيع بمفردها ان تكون المرآة الصادقة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۲۷

التى تعكس فكر «أبى طالب» و عقيدته و ما كان يحمله بين جوانحه من إيمان بالرسالة و الرسول، و اخلاص للّه تعالى.

لقد کان «أبو طالب» هو ذلکم الشخصیة التی لم یرض لنفسه بان ینکسر قلب ابن أخیه لترکه فی مکة، و اصطحبه معه الی الشام فی الرحلة التجاریة التی سبق ذکرها، رغم الموانع الکثیرة، و فقدان الوسائل اللازمة، و رغم ما ترتب علی اصطحابه معه من متاعب.

(۱) إن ایمانه بابن أخیه کان عمیقا إلی درجة أنه أخذه الی المصلّی و استسقی به، مقسما به علی اللّه تعالی أن یکشف العذاب عن قومه، و یرسل رحمته علیهم، فیستجیب اللّه دعاءه، و ینزل علیهم غیثا وافرا ممرعا، بقیت قصته فی ذاکرة التاریخ.

إنه ذلک الرجل الذی لم یفتأ عن الحفاظ علی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لحظة واحدة، فهو الذی تحمل فی سبیله ثلاثة أعوام عجاف من الحصار الاقتصادی و الاجتماعی الصعب، مؤثرا العیش فی الشعب و فی شغاف الجبال و الودیان القاحلة علی زعامة قریش، و رئاسة مکة الی ان أعیته تلک المحن و المتاعب ففقد بذلک صحته، و انحرف بذلک مزاجه، و توفّی متأثرا بتلک المتاعب و المصاعب، و المشاق و المحن بعد نقض الصحیفة، و انتهاء الحصار، و العودة إلی المنازل بأیام معدودة!!

لقد کان إیمان «أبی طالب» برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قویا و راسخا الی درجة أنه رضی بأن یتعرّض کل ابنائه لخطر القتل و الاغتیال لیبقی «محمّد» و لا یمسّه من أعدائه أیّ سوء، فکان یضجع ولده علیا فی موضعه، حتی إذا أرادوا اغتیاله لا یصیبه شیء و هذا یعنی أنه کان یقیه بنفسه و بأولاده.

و فوق هذا کلّه استعدّ فی یوم من الأیام لأن یقتل کل زعماء قریش و أسیادها انتقاما لمحمّد، و کان من الطبیعی أن یقتل فی هذه العملیة بنو هاشم کلّهم أیضا «۱».

---

(۱) راجع الصفحة ۵۲۲ من هذا الکتاب.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۸

(۱)

وصیة أبی طالب عند وفاته

و عند وفاته قال لأولاده:

«اوصیکم بمحمّد خیرا فانّه الأمین فی قریش و هو الجامع لکلّ ما اوصیکم به، و قد جاء بأمر قبله الجنان، و انکره اللسان مخافة الشنئان، و أیم اللّه لکأنّی انظر الی صعالیک العرب، و أهل البرّ فی الاطراف، و المستضعفین من الناس، قد أجابوا دعوته، و صدّقوا کلمته، و عظّموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قریش و صنادیدها أذنابا، و دورها خرابا، و ضعفاؤها أربابا، و اذا أعظمهم علیه أحوجهم إلیه، و أبعدهم منه أحظاهم عنده ..».

(۲) ثم ختم وصیته هذه بقوله:

یا معشر قریش کونوا له ولاة، و لحزبه حماة، و اللّه لا یسلک أحد منکم سبیله الارشد، و لا یأخذ أحد بهدیه الّا سعد «۱».

نحن لا نشک فی أن «أبا طالب» کان صادقا فی امنیّته هذه لأن خدماته الکبری و تضحیاته المتواصلة خلال عشر سنوات من بدایة عهد الرسالة شاهدة علی صدق مقاله، کما کان صادقا فی الوعد الذی قطعه علی نفسه لابن أخیه (محمّد) فی مبدأ البعثة عند ما جمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أعمامه و عشیرته الأقربین و دعاهم الی الاسلام فقال له أبو طالب:

«اخرج یا ابن أخی فانّک الرفیع کعبا، و المنیع حزبا، و الأعلی أبا.

و اللّه لا یسلقک لسان الا سلقته ألسن حداد، و اجتذبته سیوف حداد.

و اللّه لتذلنّ لک العرب ذلّ البهم لحاضنها» «۲».

(۱) السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۱ ص ۳۵۱ و ۳۵۲.

(۲) الطرائف تألیف السید ابن طاوس: ص ۸۵ نقلا عن کتاب غایهٔ السئول فی مناقب آل الرسول تألیف ابراهیم بن علی الدینوری.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۲۹

[۳- شهادات أقرباء أبی طالب من أهل البیت]

(۱) آخر الطرق لاثبات ایمان أبی طالب و یحسن بنا أخیرا ان نسأل عن أبی طالب و عن ایمانه و اخلاصه، اقاربه غیر المغرضین لأن «أهل البیت ادری بما فی البیت».

(۲) ۱- لما مات أبو طالب جاء علیّ علیه السلام الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فاذنه بموته، فتوجع توجعا عظیما، و حزن حزنا شدیدا، ثم قال له امض فتولّ غسله فاذا رفعته علی سریره فاعلمنی، ففعل فاعترضه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو محمول علی رءوس الرجال: قال: «وصلتک رحم یا عم، و جزیت خیرا فلقد ربّیت و کفلت صغیرا، و نصرت و آزرت کبیرا».

ثم تبعه الی حضرته، فوقف علیه فقال:

«أما و اللّه لاستغفرنّ لک، و لأشفعنّ فیک شفاعهٔ یعجب لها الثقلان» «۱».

(۳) ۲- روی ان علی بن الحسین علیهما السلام سئل عن ایمان أبی طالب. فقال:

«وا عجبا! ان اللّه تعالی نهی رسوله ان یقرّ مسلمهٔ علی نکاح کافر، و قد کانت فاطمهٔ بنت اسد من السابقات إلی الاسلام، و لم تزل تحت أبی طالب حتّی مات» «۲».

(۴) ۳- روی عن علی بن محمّد الباقر علیهما السلام أنه قال:

«لو وضع إیمان أبی طالب فی کفّهٔ میزان، و إیمان هذا الخلق فی الکفّهٔ الاخری لرجح إیمانه».

ثم قال:

«أ لم تعلموا أنّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السلام کان یأمر أن یحجّ عن عبد اللّه و أبیه» «۳».

(۵) ۴- قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیهما السلام:

(۱) شرح نهج البلاغهٔ لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۷۶.

(۲) شرح نهج البلاغهٔ لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۶۹.

(۳) المصدر السابق: ص ۶۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۰

«إنّ مثل أبی طالب مثل أصحاب الکهف أسرّوا الإیمان، و أظهروا الشرک فاتاهم اللّه اجرهم مرّتین، و أن أبا طالب أسرّ الإیمان، و أظهر الشرک، فاتاه اللّه أجره مرّتین» «۱».

(۱)

رأی علماء الشیعهٔ فی أبی طالب

و لقد اتفق علماء الامامیّهٔ و الزیدیّهٔ تبعا لأهل بیت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی: أن «أبا طالب» کان من أبرز المؤمنین برسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله و لم يخرج من الـدنيا إلّا بقلب يفيض إيمانا بالاسـلام، و إخلاصا للّه تعالى، و حبّا للمسـلمين، و قـد الّفت فى هذا المجال كتب و رسائل، و دراسات عديـدهٔ، يمكن الوقوف عليها لمن اراد و لمزيـد التوسع فى هذا المجال يراجع المجلد ۷ ص ۴۰۲- ۴۰۴ من موسوعهٔ الغدير للعلامهٔ الأمينى طبعهٔ النجف، أو ج ۷ ص ۳۳۰- ۴۰۹ طبعهٔ لبنان.

نظرهٔ إلى حديث «الضحضاح»

اشارهٔ

و استكمالا لهـذا الحـديث ينبغى أن نلقى نظرهٔ إلى روايـهٔ تشـكك فى ايمان أبى طالب فقـد روى بعض الكتّاب مثل البخارى «۲»، و مسـلم عن رواهٔ نظير سفيان بن سعيد الثورى، عبد الملك بن عمير، عبد العزيز بن محمّد الدراوردى حديثا نسبوه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انه قال عن أبى طالب رحمه اللّه:

«وجدته فى غمرات من النّار فأخرجته إلى ضحضاح».

«لعلّه تنفعه شفاعتى يوم القيامهٔ فيجعل فى ضحضاح من النّار يبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه» «۳».

إنّ هذه الروايهٔ و ان كانت تكذبها عشرات الأحاديث و الروايات الاسلاميهٔ،

---

(۱) اصول الكافى: ج ۱ ص ۴۴۸.

(۲) صحيح البخارى: ج ۱ ص ۳۳ و ۳۴ من ابواب المناقب.

(۳) صحيح المسلم: كتاب الايمان.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۱

و الـدلائل القاطعهٔ الساطعهٔ، و تثبت بطلانها و تفاهتها، و لكننا بهدف الوصول إلى مزيد من التوضـيح نعمد إلى دراسهٔ أمرين مرتبطين بهذا الحديث.

۱- ضعف أسناد هذه الروايهٔ

اشارهٔ

إنّ رواهٔ هـذه الروايـهٔ- كما اسـلفنا- هم عبارهٔ عن سـفيان بن سـعيد الثورى و عبـد الملك بن عمير و عبد العزيز بن محمّد الدراوردى الذين سندرس أحوالهم واحدا واحدا- فى ضوء أقوال علماء الرجال المعترف بهم عند اهل السنهٔ- عنهم:

الف: سفيان بن سعيد الثورى

قـال أبو عبـد اللّه محمـد بن أحمـد بن عثمـان الـذهبى- و هو من علماء الرجال عنـد اهل السـنهٔ- فى سـفيان الثورى: كان يـدلّس عن الضعفاء «۱».

إن هـذا الكلام شاهد قوى على وجود التدليس عند الثورى، و على روايته عن الضـعفاء أو المجهولين، و هو وصف يسـقطه عن درجهٔ الاعتبار.

باء: عبد الملك بن عمير

قال عنه الذهبىّ المذكور: طال عمره و ساء حفظه قال أبو حاتم: ليس بحافظ، تغيّر حفظه، و قال أحمد: ضعيف يغلط، و قال ابن معين: مخلط و قال ابن خراش:

كان شعبة لا يرضاه، و ذكر الكوسج عن احمد بن حنبل: انه ضعيف جدا «۲»

فمن مجموع هذه العبارات نعرف ان عبد الملك كان يتصف بصفات عديدة هى أنه:

۱- سيئ الحفظ.

۲- ضعيف.

۳- كثير الغلط.

---

(۱) ميزان الاعتدال: ج ۲ ص ۱۶۹.

(۲) المصدر السابق ج ۲ ص ۶۶۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۲

۴- مخلط.

و من الواضح ان كل واحدة من الصفات و الحالات المذكورة كافية لأن تبطل الأحاديث التى يرويها عبد الملك بن عمير، و الحال انه قد اجتمعت جميع نقاط الضعف هذه فى هذا الرجل.

جيم: عبد العزيز بن محمد الدراوردى

و لقد وصفه علماء الرجال عند اهل السنة بالنسيان، و قلة الحفظ فلا يمكن الاستناد إلى مروياته.

فقد قال أحمد بن حنبل عنه: إذا حدّث من حفظه جاء بأباطيل «۱».

و قال أبو حاتم عنه: لا يحتجّ به «۲».

و قال أبو زرعة أيضا: سيئ الحفظ «۳». و من مجموعة هذه العبارات يتضح بجلاء ان الرواة الاصليين لحديث الضحضاح ضعفاء فى غاية الضعف، الى درجة لا يمكن الاعتماد على مروياتهم.

۲- نص حديث الضحضاح يخالف الكتاب و السنة

اشارة

لقد نسب إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى هذه الرواية أنه أخرج أبا طالب من نار جهنم إلى ضحضاح و بهذا خفّف عنه العذاب، أو أنه صلّى اللّه عليه و آله تمنى أن يشفع له، فيخفّف اللّه عنه العذاب، على حين نفى القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة تخفيف العذاب عن الكفار كما و نفيا شفاعة احد فى حقهم.

و على هذا الاساس فلو كان ابو طالب كافرا، لم يجز للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله ان يخفف عنه العذاب او يتمنى له الشفاعة فى يوم الجزاء.

و بهذا يظهر بطلان محتوى حديث الضحضاح.

و إلیک فیما یأتی ادلهٔ ما قلناه من الکتاب و السنهٔ:

---

(۱) المصدر السابق ص ۶۳۴.

(۲) المصدر السابق.

(۳) المصدر السابق.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۳

الف: القرآن الکریم

یقول القرآن الکریم فی هذا الصدد:

«وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا یُقْضی عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا وَ لا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها، کَذلِکَ نَجْزِی کُلَّ کَفُورٍ» «۱».

ب: السنهٔ النبویهٔ

ان السنهٔ النبویهٔ الطاهرهٔ تنفی أیضا الشفاعهٔ للکفار، و نذکر من باب النموذج بعض تلک الأحادیث:

۱- روی أبو ذر الغفاری عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«اعطیت الشفاعهٔ و هی نائلهٔ من امتی من لا یشرک باللّه شیئا» «۲».

۲- روی أبو هریرهٔ عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قال:

«و شفاعتی لمن شهد أن لا إله الا اللّه مخلصا، و أنّ محمّدا رسول اللّه یصدّق لسانه قلبه، و قلبه لسانه» «۳».

إن الآیات و الروایات المذکورهٔ تثبت بوضوح بطلان نص حدیث الضحضاح عند من یقول بأن أبا طالب مات کافرا.

و نتیجهٔ البحث أنه تبین مما ذکر ان حدیث الضحضاح لا ـ أساس له من الصحهٔ لا من جهۀ السند و الطریق، و لا من جهۀ المتن و النص، و لا یمکن الاستدلال به.

و بهذا ینهار أقوی حصن یتمسک به البعض للخدشهٔ فی ایمان أبی طالب الثابت المسلّم.

---

(۱) فاطر: ۳۶.

(۲) الترغیب و الترهیب: ج ۴ ص ۴۳۳.

(۳) المصدر السابق: ص ۴۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۵

(۱) (۲)

۲۲- المعراج فی نظر القرآن و السنهٔ و التاریخ

اشارهٔ

کان اللیل یخیم علی الافق، و یسود الظلام علی کان مکان.

فقد حان الأوان لان ترقد جمیع الاحیاء فی مساکنها، و تستریح فی جحورها و أعشاشها، و تغمض الأجفان لبعض الساعات عن مظاهر

الطبيعة، لتستعيد نشاطها من أجل العمل في يوم جديد حافل بالنشاط و الحركة و السعي.

فذلك قانون الطبيعة في كلّ ليل و نهار.

و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمستثنى عن هذا الناموس الطبيعي.

فهو صلّى اللّه عليه و آله مضى ليستريح بعد أن صلّى صلاة العتمة أيضا.

و لكنه فجأة سمع صوتا مألوفا مأنوسا له، و كان ذلك هو صوت أمين الوحي «جبرئيل» و هو يخبره بأن أمامه الليلة سفرا بعيدا و رحلة طويلة، و انه سيرافقه في هذه الرحلة الى مختلف نقاط الكون، و سيسافر على متن دابة فضائية تدعى «البراق».

(٣) لقد بدأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رحلته الفضائية العظيمة من بيت اخت على بن أبي طالب «١» «أم هاني»، و توجه على متن تلك الدابة إلى «بيت

---

(١) مجمع البيان: ج ۶ ص ٣٩٥ و ٣٩۶، السيرة النبويّة: ج ١ ص ٣٩۶- ۴٠٢.

سيد المرسلين ،ج١،ص:۵٣۶

المقدس» في الأردن و فلسطين و الذي يسمى «المسجد الأقصى» أيضا، و هبط في تلك النقطة بعد مدة قصيرة جدا، و زار مواضع عديدة من ذلك المسجد، و تفقّد «بيت لحم» مسقط رأس «السيد المسيح» و منازل الأنبياء و آثارهم و محاريبهم، و صلّى عند كل محراب من بعض تلك المحاريب ركعتين.

(١) ثم بدأ بعد ذلك القسم الثاني من رحلته، حيث عرج من ذلك إلى السماوات العلى، و شاهد النجوم و الكواكب، و اطّلع على نظام العالم العلوي، و تحدث مع ارواح الأنبياء، و الملائكة السماويين، و اطّلع على مراكز الرحمة و العذاب (الجنة و النار) «١» و رأى درجات أهل الجنة، و أشباح أهل النار عن كثب، و بالتالي تعرف على أسرار الوجود، و رموز الطبيعة، و وقف على سعة الكون، و آثار القدرة الالهيّة المطلقة، ثم واصل رحلته حتى بلغ إلى سدرة المنتهى «٢»، فوجدها مسربلة بالعظمة المتناهية و الجلال العظيم و عندها انتهى برنامج رحلته صلّى اللّه عليه و آله، فامر بأن يعود من حيث أتى، فعاد صلّى اللّه عليه و آله و مرّ في عودته على بيت المقدس ثانية، ثم توجّه منه الى «مكة»، و مرّ خلال الطريق على قافلة تجارية لقريش و قد ضلّ بعير لهم في البيداء و كانوا يبحثون عنه، ثم وجد في رحلهم قعبا مملوء من الماء فشرب منه و صبّ بقيته على الأرض أو غطاه كما كان بناء على رواية. و ترجّل عن مركبته الفضائية العجيبة في بيت «أم هاني» قبيل طلوع الفجر، و أخبرها بالخبر قبل أي أحد، ثم كشف عن هذا الحادث في أندية قريش صباح نفس تلك الليلة.

(٢) فاستبعد السامعون قصة المعراج و الحركة السريعة هذه، و اعتبروه أمرا محالا- و انكرته، و فشا هذا الخبر في جميع الأوساط و غضب بسببه أشراف قريش و ساداتهم اكثر من غيرهم.

و كعادتها بادرت قريش إلى تكذيب هذه القصّة و قالوا: هذا و اللّه الأمر البيّن

---

(١) مجمع البيان: سورة الاسراء ج ۶ ص ٣٩٥.

(٢) لتوضيح معنى سدرة المنتهى راجع كتب التفسير.

سيد المرسلين ،ج١،ص:۵٣٧

(العجيب المنكر) و اللّه إن العير لتطّرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة، و شهرا مقبلة، أ فيذهب ذلك «محمّد» في ليلة واحدة؟

(١) و قالوا: إن صدقت فصف لنا بيت المقدس، فإن فينا من شاهده.

فلم يصف لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيت المقدس فحسب بل اخبرهم بكل ما مرّ به و فعله و رآه في طريق عودته من بيت

المقدس إلى «مكّة» و قال: و آية ذلك أنّى مررت على بعير بنى فلان بوادى كذا و كذا، و قد ضلّ لهم بعير و قد همّوا فى طلبه، و شربت من ماء فى آنية لهم مغطاة بغطاء و ثم غطّيت عليها كما كان، ثم مررت على بعير فلان و قد نفّرت لهم ناقة و انكسرت يدها.

فقالت قريش: أخبرنا عن عير قريش.

فقال صلّى اللّه عليه و آله: إنّها الآن فى التنعيم (و هو مبدأ الحرم) يتقدمها جمل أورق (أبيض مائل الى السواد) عليه غرارتان و ستدخل الآن مكة.

فغضبت قريش من هذه الأخبار القاطعة و قالت: سنعلمنّ الآن صدقه أو كذبه.

ثم لم تمض لحظات إلّا و طلعت العير عليهم، و حدّثهم أبو سفيان بكل ما أخبرهم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ضياع بعير لهم فى الطريق و همّهم فى طلبه، و أنهم وضعوا ماء مملوء فغطوه و لما رجعوا وجدوه مغطى كما غطوه و لكن لم يجدوا فيه ماء.

هذه هى خلاصة ما جاء فى كتب التفسير، و التاريخ، و الحديث حول المعراج.

و إذا أراد القارئ الكريم أن يقف على تفاصيل أكثر فى هذا المجال فما عليه إلّا أن يراجع بحار الأنوار باب «المعراج» «۱».

(۲)

هل للمعراج جذور قرآنية؟

لقد جاء ذكر «المعراج» النبوى و سيرة العجيب صلّى اللّه عليه و آله فى

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۸۳– ۴۱۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۳۸

العالم العلوى، و الفضاء غير المتناهى فى سورتين من القرآن الكريم بشكل واضح و صريح كما و اشير إليها فى سور اخرى أيضا.

و نحن نكتفى هنا باستعراض الآيات التى ذكرت هذه القضيّة بصورة واضحة، و نقف عند بعض النقاط الجديدة بالدراسة فيها:

يقول اللّه تعالى فى سورة الأسراء:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِی بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» «۱».

(۱) و يستفاد من ظاهر هذه الآية امور:

(۲) ۱– لكى نعلم بأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يطو تلك المسافات، و لم يقم برحلته إلى تلك العوالم بقوّة بشرية، بل تسنى له كل ذلك بقوة غيبيّة، فبها استطاع أن يطوى تلك المسافات البعيدة فى زمن قصير جدا بدأ اللّه تعالى حديثه عن الاسراء بقوله: «سبحان الّذى» و هو اشارة الى تنزيه اللّه عن كلّ نقص و عيب.

و لم يكتف بذلك بل وصف نفسه بوضوح بأنه هو تعالى سبب هذه الرحلة و المسيّر فيها اذ قال: «أسرى» أى إنّ اللّه تعالى هو الذى سرى برسوله صلّى اللّه عليه و آله، و أخذه إلى تلك الرحلة.

و هذه العناية لأجل أن لا يتصور الناس بأنّ هذه الرحلة تحققت بالوسائل العادية، و حسب القوانين الطبيعية ليتسنّى لهم إنكارها، إنما تحققت بقدرة اللّه و عنايته الربوبية الخاصة.

(۳) ۲– إن هذه الرحلة تحققت برمّتها خلال الليل، و يستفاد هذا المطلب– علاوة على كلمة ليلا– من كلمة «أسرى» أيضا لأنّ العرب كانت تستعمل اللفظة المذكورة فى السير ليلا.

(۴) ۳– مع أنّ هذه الرحلة بدأت من بيت «أمّ هانى» ابنة أبى طالب، فإن الآية صرّحت بأنها تمّت من المسجد الحرام، و لعل هذا لأنّ العرب كانت تعتبر

(۱) الاسراء: ۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۳۹

کل مکة حرما إلهیا، و من هنا کان کل مکان من مکة یتمتع عندهم بحکم الحرم و المسجد الحرام، فیکون المراد بالمسجد الحرام هنا مکّة، و مکّة و الحرم کلها مسجد، فصحّ أن یقول: «من المسجد الحرام».

و تذهب بعض الروایات إلی أنّ المعراج کان من نفس المسجد الحرام.

ثم إنّ هذه الآیة و ان کانت تصرّح بأنّ المعراج بدأ من «المسجد الحرام» و انتهی ب: «المسجد الأقصی» إلّا أن ذلک لا ینافی أن یکون للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله رحلة اخری إلی العالم العلوی لأنّ هذه الآیة تبیّن فقط قسما من هذه الرحلة، و أما القسم الآخر من برنامج هذه الرحلة فتتعرض لذکره آیات فی مطلع سورة: «النجم».

(۱) ۴- إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عرج بجسمه و روحه معا، لا بالروح فقط.

و یدلّ علی ذلک قوله تعالی «بعبده» الذی یستعمل فی «الجسم و الروح معا» و لو کان المعراج بالروح فقط لزم أن یقول: «بروحه».

(۲) ۵- إنّ الغرض من هذا السیر العظیم و هذه الرحلة العجیبة هو إیقاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی مراتب الوجود، و اطلاعه علی الکون العظیم، و هذا ما سنشرحه فیما بعد.

و أما السورة الاخری التی تعرض لبیان حادثة المعراج بوضوح و صراحة هی سورة: «النجم».

و الآیات التی سندرجها هنا من هذه السورة نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند ما قال لقریش: «رأیت جبرئیل أوّل ما اوحی إلیّ علی صورته التی خلق علیها» جادلته قریش فی ذلک، فنزلت الآیات التالیة تجیب علی اعتراضهم:

«أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی. عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی. ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی. لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری» «۱».

(۱) النجم: ۱۲- ۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۰

(۱)

أحادیث المعراج:

روی المفسرون و المحدّثون أخبارا و روایات کثیرة حول معراج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و ما شاهده فی هذه الرحلة العظیمة، لیست برمتها صحیحة مسلّمة مقطوعا بها.

و لقد قسّم المفسر الشیعی الکبیر المرحوم «العلامة الطبرسیّ» هذه الاخبار إلی أصناف أربعة اذ قال:

(۲) و تنقسم جملتها إلی أربعة اوجه:

(۳) أحدها: ما یقطع علی صحته لتواتر الأخبار به، و احاطة العلم بصحته مثل أصل المعراج.

(۴) و ثانیها: ما ورد فی ذلک مما تجوّزه العقول و لا تأباه الأصول مثل طوافه فی السماء و رؤیته أرواح الأنبیاء و تحدّثه معهم و رؤیته للجنة و النار، فنحن نجوّزه ثم نقطع علی أن ذلک کان فی یقظته، دون منامه.

(۵) و ثالثها: ما یکون ظاهره مخالفا لبعض الأصول، إلّا أنه یمکن تأویلها علی وجه یوافق المعقول فالأولی أن نؤوّله علی ما یطابق الحق و الدلیل. مثل أنّه رأی أهل الجنة و أهل النار و تحدّث معهما الذی یجب أن یؤوّل فیحمل علی انه: رأی أشباحهم و صورهم و

صفاتهم.

(۶) و رابعها: ما لا یصح ظاهره و لا یمکن تأویله، و هی ما الصق و الحق بهذه الحادثة من الأساطیر و الخرافات، مثل ما روی من أنه صلّی اللّه علیه و آله کلّم اللّه سبحانه جهرة و رآه و قعد معه علی سریره أو سمع صریر قلمه، و نحو ذلک ممّا ممّا یوجب ظاهره التشبیه و التجسیم و اللّه سبحانه یتقدّس عن ذلک کلّه، فالأولی أن لا نقبله «۱».

---

(۱) مجمع البیان: ج ۶ ص ۳۹۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۱

(۱)

متی وقعت هذه الحادثة؟

مع ان أهمیّة هذه الحادثة العجیبة کانت تستوجب أن تکون مضبوطة التفاصیل من جمیع الجهات، إلّا أنها تعرضت للاختلاف- مع ذلک- من بعض الجهات و منها تحدید تاریخ وقوعها.

فقد ادّعی کاتبا السیرة المعروفان: «ابن اسحاق» و «ابن هشام» أنها وقعت فی السنة العاشرة من البعثة الشریفة.

و ذهب المؤرخ الکبیر «البیهقی» إلی أنها وقعت فی السنة الثانیة عشرة من البعثة.

و ذهب آخرون إلی أنها وقعت فی أوائل البعثة، بینما قال فریق رابع: أنها وقعت فی أواسطها.

و ربّما یقال فی الجمع بین هذه الأقوال: أنه کان لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله معارج متعددة.

و لکنّنا نعتقد أنّ المعراج الذی فرضت فیه الصلاة وقعت بعد وفاة أبی طالب علیه السلام فی السنة العاشرة قطعا.

لأنّ من مسلّمات الحدیث و التاریخ أن اللّه تعالی أمر نبیّه صلّی اللّه علیه و آله فی لیلة المعراج أن تصلّی أمّة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلّ یوم و لیلة خمس صلوات.

(۲) کما أنه یستفاد من ثنایا التاریخ أیضا أن الصلاة لم تفرض ما دام أبو طالب علیه السلام علی قید الحیاة بل فرضت بعد وفاته، لأنّه حضر عنده- ساعة وفاته- سراة قریش و أسیادها، و طلبوا منه أن یبت لهم فی أمر ابن أخیه «محمّد» و یمنعه من فعله، فیعطونه- فی قبال ذلک- ما یرید فقال لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ذلک المجلس: نعم کلمة واحدة تعطونیها: «تقولون لا إله إلّا اللّه و تخلعون ما تعبدون من دونه» «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۱۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۲

(۱) لقد طلب منهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هذا الأمر و لم یطلب منهم شیئا آخر کالصلاة و غیرها من الفروع أبدا، و هذا هو بنفسه یدلّ علی أنه لم تجب الصلاة حتی ذلک الیوم، و إلّا کان الإیمان المجرّد عن العمل، و الصلاة مفروضة، لا فائدة فیه.

و أما أنه لم یذکر شیئا عن نبوّته و رسالته فلأنّ الاعتراف بوحدانیة اللّه بأمره و طلبه صلّی اللّه علیه و آله اعتراف ضمنیّ برسالته و نبوّته، و فی الحقیقة انّ التلفّظ بهذه العبارات بأمره یتضمّن شهادتین و اقرارین: الإقرار باللّه الواحد، و الإقرار بنبوّة رسول الاسلام.

(۲) هذا مضافا إلی أن کتّاب السیرة ذکروا کیفیة إسلام جماعة مثل «الطفیل بن عمرو الدوسی» الذی أسلم قبل الهجرة «۱» بأعوام اکتفی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بالشهادتین، و لم یجر ای حدیث عن الصلاة ابدا.

ان هذه الامثلة تکشف عن أن هذه الحادثة (المعراج) التی فرضت فیها الصلاة وقعت قبل الهجرة بسنوات.

و الـذین تصوّروا أن المعراج وقع قبـل السـنة العاشـرة مخطئون خطأ کبیرا لأنّ النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله کان محصورا فی شـعب أبی طالب منذ السنة الثامنة و حتی السنة العاشرة، و لم یکن وضع المسلمین لیسمح بفرض تکلیف زائد (مثل الصلاة) علیهم.
(۳) و أمـا سـنوات مـا قبـل الحصـار فعلاوة علی ضـغوط قریش علی المسـلمین و التی کانت هی بنفسـها مانعا من فرض الصـلاة علی المسـلمین، کان المسـلمون قلـة معدودین، و لم یکن نور الایمان، و اصول الاسـلام، قد ترسـخت فی قلوب ذلک العدد القلیل بشـکل قوی بعد، و لذلک یکون من المستبعد أن یکلفوا بأمر زائد مثل الصلاة فی مثل ذلک الظرف.
و أمّا ما ورد فی بعض الأخبار و الروایات من ان الإمام علیا علیه السلام

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۳

صلی مع رسول اللّه قبل البعثـة بثلاث سـنوات، و اسـتمر علی ذلک بعـدها أیضا فلیس المراد منها الصـلوات المحـدودة المؤقتة بوقت، المشـروطة بشـروط خاصـة، بل کانت تلک الصلوات عبارة عن عبادة خاصة غیر محدودة «۱»، أو کان المراد منها الصـلوات المندوبة و العبادات غیر الواجبة.

(۱)

هل کان المعراج جسمانیا؟

لقـد وقع النقـاش و الکلاـم فی کیفیـة معراج النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و أنه کان روحانیا أو جسـمانیا و روحانیا معا، و قیل فی ذلک کلام کثیر.
و مع أن القرآن الکریم و الأحـادیث تشـهد بجلاـء لا غموض فیه بأن معراجه صـلّی اللّه علیه و آله کان جسـمانیا «۲»، فقد اوردت فی المقام بعض الإشـکالات و الاعتراضات التی منعت البعض عن قبول هـذه الحقیقـة، و بالتالی دفعتهم الی ارتکاب التأویل، و الزعم بأن معراج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان روحانیا، أی بالروح لا بالجسم.
لقد قال هؤلاء: ان روح النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله هی التی طافت فی تلک العوالم ثم عادت إلی جسد النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله مرة اخری!!
و ذهب جماعـة إلی أبعـد من ذلـک إذ ادّعوا بـان جمیع هـذه المشاهـدات و القضایـا تمّت لرسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی عـالم الرؤیا، فکل ما رآه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أو فعله من الطواف و اللقاء و الصلاة کانت رؤیا و رؤیا الأنبیاء صادقة!!
(۲) علی أن أقـوال الفریق الأـخیر من البعـد عن الواقع بحیث لاـ یمکن ذکره فی عـداد الأـقوال و النظریـات أبـدا، لأـنّ قریش بعـد أن سمعت من رسول اللّه صلّی

---

(۱) للمزید من التحقیق فی تاریخ وجوب الوضوء و الصلاة و الاذان یراجع الکافی: ج ۳ ص ۴۸۲- ۴۸۹.
(۲) لقد نقل الفقیه الجلیل العلامة الشـیعیّ المرحوم الطبرسی فی تفسیر مجمع البیان إجماع علماء الشیعة علی جسمانیة المعراج فراجع: ج ۶ ص ۳۹۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۴

اللّه علیه و آله ادعاءه بانه سار کل تلک المسافـة الطویلـة البعیـدة، و طاف علی کل تلک الاماکن المتباعـدة العدیـدة فی لیلـة واحـدة انزعجت بشدة و هبّت لتکذیبه حقیقة، الی درجة أن خبر المعراج أصبح حدیث الساعة فی نوادی قریش و اوساطها آنذاک.

و لو كـان كل ذلك تحقق للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى المنام و الرؤيا لما كان لتكـذيب قريش و انزعاجها و اسـتنكارها معنى، اذ لا موجب للنزاع لو كـان صلّى اللّه عليه و آله يقول: إنّى فعلت تلـك الامـور، و رأيت كل تلك المشاهـد فى الرؤيا و المنام، اذ هو على كل حال رؤيا، و كل شيء- حتى الامور المحالة او المستبعدة جدا- ممكن فى عالم الرؤيا.

و من هنا لا قيمة للقول الأخير أصلا فلا تستحق المتابعة أصلا.

و لكن مع الأسف استحسن بعض العلماء المصريين (مثل فريد وجدى) هذا الرأى و سعى فى تقويته و تبريره، و نحن نحبذ ان نتركه، و ان لا نناقش فيه «۱».

(۱)

ما هو المراد من المعراج الروحانى؟

اشارة

لقـد عمـد فريـق ممـن عجز عن دفـع و حـلّ بعض الاعتراضـات و الاشـكالات الـواردة على المعراج الجسـمانى، إلى تأويـل الآيـات و الأحاديث، و اعتبر المعراج النبوى معراجا روحانيا، لا غير.

و المقصود من المعراج الروحـانىّ هو التـدبّر فى مخلوقـات اللّه و مصـنوعاته، و مشاهـدة جلاله و جماله و الاسـتغراق فى ذكر الحق، و التفكر فيه، و بالتـالى التخلص من القيود و الاغلال الماديـة، و العلائق الدنيويـة، و العبور من المراتب الامكانيـة فى المراحل الباطنيـة و القلبية التى يحصل بعد طيّها نوع من القرب الخاص الذى لا يمكن وصفه.

(۲) فاذا كان المراد من (المعراج الروحانىّ) هو التفكر فى عظمة الحق وسعة

---

(۱) دائرة معارف القرن العشرين: ج ۶ ص ۳۲۹ مادة عرج.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۵

الخلق و .. و .. فلاـ شك أن هـذا ليس من مختصات رسول الاسـلام صـلّى اللّه عليه و آله بل كان أكثر الأنبياء، و كثير من الأولياء من ذوى البصائر القويّة الطاهرة يمتلكون هذه المرتبة، على حين أن القرآن الكريم يعتبر (المعراج) من خصائص رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يذكره على انه نوع من الامتياز الخاص به صلّى اللّه عليه و آله.

هذا مضافا الى ان مثل هذه الحالة (اعنى التفكر فى عظمة الخالق و الاسـتغراق فى التوجه الى الحق) كانت تتكرر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى كل ليلة «۱»، و الحال ان (المعراج) الذى هو محط الكلام قد وقع فى ليلة معيّنة.

(۱) إن ما دفع بهذا الفريق إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من (المعراج)، و آل بهم اختيار هذا الرأى هو فرضية الفلكى اليونانى المعروف «بطلميوس» التى كـانت سائـدة فى الأوسـاط العلميـة فى الشـرق و الغرب طيلـة ألفى سـنة بالكامل، و التى الّف حولها مئات الكتب، و كانت تعدّ حتى حين من المسلّمات فى مجال العلوم الطبيعية و هى على نحو الاجمال كالتالى:

(۲) إن الاجسام فى هذا العالم على نوعين: أجسام عنصرية، و اجسام فلكية.

و الجسم العنصرى هى العناصر الأربعة المعروفة: «الماء، و التراب، و الهواء، و النار».

و أوّل كرة تبـدو لنا هى كرة التراب و هى مركز العالم، ثم تليها كرة الماء ثم كرة الهواء، و تأتى بعـد كل هذه الثلاثة كرة النار، و كل من هذه الكرات محيطة بالاخرى، و هنا (اى و عند كرة النار) تنتهى الكرات، و تبدأ الاجسام الفلكية.

(۳) و المقصود من الأجسام الفلكيّة هى الافلاك التسعة التى تقع الواحدة فوق الاخرى و تحيط الواحدة بالاخرى على هيئة قشور البصل، و هى متصلة بعضها ببعض من دون فاصلة بينها و هى غير قابلة للاختراق و الالتئام (اى الشق

---

(۱) راجع وسائل الشيعة: ج ۷ كتاب صوم الوصال، ص ۳۸۸ قال صلّى اللّه عليه و آله: «إنى لست كأحدكم، أنى اظل عند ربّى فيطعمنى و يسقينى».

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۶

و الالتحام) و الفصل و الوصل و لا- يستطيع أىّ شىء من اختراقها و التحرك فيها بصورة مستقيمة لأن ذلك يستلزم انفصام اجزاء الفلك.

من هنا يكون المعراج الجسمانى مستلزما لأن ينطلق النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من مركز العالم و يصعد بصورة مستقيمة إلى الأعلى عابرا الكرات العنصرية الأربع، و مخترقا الأفلاك التسعة الواحد تلو الآخر، بينما يستحيل خرق هذه الأفلاك ثم التحامها حسب نظرية بطلميوس و فرضيّته الفلكية.

و على هذا لا مناص من أن نعتقد بأن المعراج النبوىّ كان معراجا روحانيا، اى ان روحه صلّى اللّه عليه و آله هى التى عرجت حتى لا يمنع أىّ جسم من عبورها و سيرها و صعودها الى النقطة المطلوبة و الغاية المرسومة.

(۱)

الجواب:

ان هذا الكلام كان مقبولا و ذا قيمة عند ما كانت هيئة بطلميوس و فرضيته الفلكية لم تكن بعد قد فقدت قيمتها فى الاوساط العلمية و كان هناك من يعتقد بها من صميم فؤاده.

ففى مثل تلك البيئة كان من الممكن التلاعب بالحقائق القرآنية، و تأويل صريح القرآن و نصوص الروايات.

أما الآن فقد فقدت أمثال هذه الفرضيات قيمتها، و ظهر للجميع بطلانها، و لم يعد أحد يتحدث عنها، إلّا من باب ما يسمى بتاريخ العلوم.

فاليوم و بالنظر الى كل هذه الأجهزة الفلكية و الآلات الفضائية الدقيقة، و التلسكوبات العملاقة، و هبوط المركبات الفضائية المتعددة على سطح القمر و المريخ، و عملية القيادة الفضائية على سطح القمر لم يعد مجال لهذه الفرضيات الخيالية.

(۲) فاليوم لا يعتبر العلماء المحقّقون فكرة العناصر الأربعة و الفلك المتّصل كقشرة البصل إلّا جزء من الاساطير.

فان العلماء لم يستطيعوا بالآلات العلمية و أجهزة الرصد الدقيقة و العيون

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۴۷

المسلحة من رؤية، تلك العوالم التى حاكها و صنعها بطلميوس بقوة خياله، من هنا فان أية نظرية تقوم على هذا الاساس غير الصحيح تكون عارية عن أية قيمة، و اعتبار.

(۱)

نغمة شاذة:

و لقد طلع مؤسس الفرقة الشيخية «۱» «الشيخ احمد الاحسائى» فى «الرسالة القطيفية» بنغمة شاذة فى هذا الصعيد حيث أراد بابداء

طرحة جديدة أن يرضى كلا الطرفين (القائلين بروحانية المعراج النبوى و القائلين بجسمانيته) حيث قال:

ان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عرج ببدنه البرزخى (الهورقليائى) «۲» ثم استدل لذلك بقوله:

ان الصاعد كلّما صعد ألقى فى كل رتبة من المراتب المذكورة ما فيها، فمثلا إذا تجاوز كرة الهواء القى ما فيه من الهواء، و اذا تجاوز كرة النار ألقى ما فيها و اذا رجع أخذ ماله من كرة النار، و اذا وصل الى كرة الهواء أخذ ماله من الهواء.

و من هنا فانّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله عند ما عرج الى السماء القى فى كل كرة واحدا من تلك العناصر الأربعة فى كرته، و عرج ببدن فاقد لهذه العناصر.

و مثل هذا البدن لا يمكن ان يكون بدنا عنصريا، فليس هو الا البدن البرزخى (الذى أسماه الهورقليائى) لا غير «۳».

---

(۱) لا شك أن هذه الفرقة و امثالها من الفرق المبتدعة هى من صنائع الاستعمار أو هى مما يؤيده لتنفيذ أغراضه، و من حسن الحظ أن انتشار الوعى بين أبناء الامة الإسلامية حدّ من نشاط هذه الفرق حتى انها أصبحت على ابواب الاندثار و الانقراض نهائيا.

(۲) و هو البدن البرزخى الذى يشبه البدن الذى يفعل به الانسان الافعال المختلفة فى عالم النوم و الرؤيا و يقوم بكل نوع من انواع النشاط.

(۳) تقع الرسالة القطيفية ضمن مجموعة تحتوى على ۹۲ رسالة باسم جوامع الكلم التى طبعت عام ۱۲۷۳.

و مع هذا التصريح يدّعى البعض- للتستر على خطأ الشيخ و زلته هذه- بأن الشيخ يعتقد بأن المعراج كان جسمانيا عنصريا، و أنه موافق لرأى المشهور فى هذا المجال.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۸

و بهذا- حسب تصوّره- أرضى من نفسه كلا الطرفين المذكورين، لأنه من جانب اعتقد بالمعاد الجسمانى، و فى نفس الوقت تخلّص من اشكال «خرق الافلاك و التحامها» لأن نفوذ الجسم البرزخى لا يستوجب أى خرق و انفصال فى جدار الفلك.

(۱) و لكن هذه النظرية- كما هو واضح لكلّ عالم متحرّ للحقيقة، بعيد عن العصبية- واضحة البطلان كسابقتها (نظرية المعراج الروحانى)، فمضافا الى انها مخالفة للقرآن و ظاهر الأحاديث، لأنّه- كما أسلفنا- لو عرضنا آية المعراج (من سورة الاسراء) على أىّ عارف باللغة، مهما كانت و طلبنا منه رأيه فى هذا الصدد لقال: ان مراد القائل هو البدن الدنيوى العنصرى الذى عبّر عنه القرآن بلفظ العبد، فى قوله تعالى: «سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ»، و ليس الهورقليائى الذى لم يكن يعرفه المجتمع العربىّ، و لا يعرف أمثاله فى ذلك اليوم اساسا، فى حين أنهم كانوا هم المخاطبون فى آية المعراج فى سورة الاسراء لا غيرهم.

هذا مضافا الى أنّ ما دفع بالشيخ الى ارتكاب هذا التأويل البارد هو الاسطورة اليونانية المذكورة حول الفلك، حيث تصوّرها كحقيقة ثابتة من حقائق اللوح المحفوظ، و قد كذبها و فندها كل فلكيّ العالم اليوم، و أعلنوا عن سخافتها.

فلا يجوز لنا أن نقلّد تلك الفرضية تقليدا أعمى.

و اذا ما رأينا بعض القدماء من المشايخ قال بمثل هذا محسنا الظن بتلك الفرضية الفلكية القديمة و أمثالها امكن إعذارهم، لعدم قيام ادلة علمية قوية على خلافها آنذاك.

اما اليوم فلا ينبغى لنا ان نتجاهل الحقائق القرآنية لفرضية ثبت بطلانها فى الأوساط العملية

(۲)

المعراج و قوانين العلم الحديث:

اشارة

قد يتصور فريق من الناس أن القوانين الطبيعية و العلمية الحاضرة لا تتلاءم

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۴۹

مع معراج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و ذلك لأنه:

(۱) ۱- يقول العلم الحديث: إنّ الابتعاد عن الأرض يتطلب التخلّص من جاذبية الأرض، و بعبارة اخرى ابطال مفعولها.

فان (الكرة) التى نقذفها إلى الأعلى تعود مرة ثانية الى الأرض بفعل الجاذبية و مهما كرّرنا قذف الكرة الى الأعلى فانها تعود و ترجع الى الأرض أيضا.

فاذا أردنا أن نبطل مفعول جاذبية الأرض ابطالا كاملا بحيث لا تعود الكرة المقذوفة الى الأعلى الى الأرض ثانية بل تواصل مسيرها إلى الأعلى فإننا نحتاج لتحقيق هذا الهدف الى جعل سرعة الكرة باتجاه معاكس للأرض تعادل ۰۰۰/ ۲۵ ميلا فى الساعة.

و على هذا فان معنى المعراج هو ان يكون النبيّ صلّى اللّه عليه و آله قد خرج من محيط جاذبية الأرض، و اصبح فى حالة انعدام الوزن.

و لكن ينطرح هنا سؤال و هو: كيف استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يطوى بدون وسائل هذه المسافة بمثل هذه السرعة، و هل البدن الطبيعى يتحمل مثل هذه السرعة مع عدم توفر الغطاء الواقى و الوسائل اللازمة، التى تصون الجسم من التبعثر و الذوبان بفعل السرعة الفائقة.

(۲) ۲- إنّ الهواء القابل للاستنشاق غير موجود فوق عدد من الكيلومترات بعيدا عن سطح الأرض، بمعنى اننا كلما ذهبنا صعدا إلى الطبقات العليا و ابتعدنا عن الأرض أصبح الهواء أرقّ، حتى يغدو غير قابل للاستنشاق، و ربما نصل اذا واصلنا الصعود إلى الأعلى الى منطقة ينعدم فيها الهواء اللازم للتنفس بالمرة، فكيف استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بعد طى تلك المسافة الطويلة و البعيدة فى أعالى الجو أن يعيش بدون وجود الاوكسيجين؟! سيد المرسلين ج۱ ۵۴۹ المعراج و قوانين العلم الحديث: ..... ص : ۵۴۸

۳) ۳- إنّ الاشعة الفضائية، و الاحجار السماوية و الشهب الكثيرة المتطائرة إذا اصطدمت بأى جسم أرضى أبادته، و أفنته، و لكنها عند ما تصطدم بالغلاف الغازىّ المحيط بالأرض تتلاشى و تصبح كالبودر و لا تصل إلى الأرض، فيكون

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۰

الغلاف الغازى فى الحقيقة بمثابة درع يقى سكّان الأرض من خطر تلك القذائف المهلكة.

و مع هذه الحالة كيف تهيّأ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يصون نفسه من تلك الاشعة الفضائية، و الاحجار السماوية؟!

(۱) ۴- إذا قلّ ضغط الهواء على جسم الانسان فزاد أو نقص اختلت حياته الطبيعية، فهو يمكنه أن يعيش تحت ضغط معين من الهواء، لا يوجد فى الطبقات العليا من الجوّ، فكيف استطاع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و الحال هذه أن يحافظ على حياته فى أعالى الفضاء؟!

(۲) ۵- إنّ سرعة الحركة التى سار بها النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لا ريب كانت تفوق سرعة الحركة التى يسير بها النور و مع العلم بأنّ سرعة النور هى ۰۰۰/ ۳۰ كيلومترا فى الثانية، و مع العلم أيضا أنه ثبت فى العلم الحديث أنه لا يستطيع أىّ جسم أن يتحرك بسرعة تفوق سرعة النور، فكيف استطاع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله ان يسير بسرعة تفوق سرعة النور، و مع ذلك يرجع إلى الأرض سالم الجسم كامله؟؟!

(۳)

جوابنا:

و جوابنا هو: أننا إذا أردنا أن نناقش هـذه المسألة على ضوء القوانين العلميّة الطبيعية لتجاوز عدد الاعتراضات و الاشكالات ما ذكرناه آنفا.

و لكننا نقول فى جواب هذا الفريق متسائلين: ما هو مقصودكم من توضيح هذه النواميس الطبيعية.

هل تريدون القول بأن السير فى العوالم العليا أمر غير ممكن، و ممتنع ذاتا و بالتالى أنه أمر محال.

فاننا نقول- حينئذ- فى الجواب على ذلك بان الجهود و التحقيقات العلمية التى بذلها علماء الفضاء فى الشرق و الغرب قد جعلت هذا الأمر- و لحسن الحظ- أمرا ممكنا، و عاديا، لأن مع اطلاق أوّل قمر اصطناعى عام (۱۹۵۷ م) الى السماء

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۱

و الـذى اسـماه علماء الفضاء ب «اسپوتنيك» اتضـح أنه يمكن إبطال مفعول جاذبية الأرض بواسـطة الصاروخ، كما أن إرسال السـفن الفضائيّـة الحاملة الروّاد الفضاء من البشـر بواسـطة الصاروخ أوضح أنّ ما كان يعدّه البشـر مانعا من الصـعود الى الأعلى فى الفضاء، قد أصبح قابلا لرفعه و إزالته، و التخلّص منه بيد العلم و التكنولوجيا.

(۱) إن البشـر اسـتطاع بأدواته و آلاته العلمية و التكنولوجية أن يعالج مشـكلات عديدة فى مجال ارتياد الفضاء مثل مشـكلة الشـهب و النيازك المتطائرة فى الجوّ و مشـكلة الاشعة الفضائية، و مشكلة انعدام الغاز اللازم للتنفس و .. و .. و ها هو علم ارتياد الفضاء فى حال توسع مسـتمرّ و ان العلماء أصـبحوا الآن يثقون بأنهم سـرعان ما يتمكنون من مـدّ بساط الحياة و العيش فى إحدى الكرات السـماوية و السفر إلى إحدى الكواكب كالقمر و المريخ بسهولة كبرى! «۱»

إنّ هـذه الأحـداث العلميـة و هـذا التقـدّم التكنولوجى فى مجال ارتياد الفضاء شاهد قويّ على أنّ هذا العمل أمر ممكن مائة بالمائة، و ليس من الامور المستحيلة.

و اذا كـان مقصود المعترضـين على المعراج هو انه لاـ يمكن القيام بمثل هـذه الرحلـة من دون أجهزة علميّة و تكنولوجيـة، و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يملك فى تلك الليلة مثل هذه الأجهزة فكيف طوى تلك المسافات و طاف

---

(۱) بعـد اطلاـق الاقمار و السـفن الاصـطناعية لأوّل مرة يوم الأربعاء ابريل عام ۱۹۶۱ بدأ الضابط الروسـى (۲۷ سـنة) جاجارين رحلته الفضائيـة فى سـفينة فضائيـة، و كان أوّل إنسان أقدم على هذه الرحلة الفضائية، و ابتعدت سـفينته ۳۰۲ كيلو مترا عن سـطح الأرض، و دارت دورة واحدة حول الكرة الارضية فى ساعة و نصف.

و بعـد ذلـك أقـدمت أمريكـا و الاتحـاد السوفيتى على ارسال السـفن الفضائيـة إلى الفضاء فى محاولـة لغزو القمر حتى حطّت «أپولو» الحاملة ل ۱۱ رائدا فضائيا على سطح القمر لأوّل مرّة، و كان هذا أوّل مرة يحط فيها انسان قدمه على ارض القمر.

و قد تكررت تجربة هذا البرنامج الفضائى فيما بعد مرات و مرات، و كانت ناجحة على الاغلب.

و كـل هـذه الجهود و النتائـج تكشف عن أن هبوط الانسـان على سـطح الكرات و الكواكب أمر ممكن، و ما يسـتطيع البشـر فعله عن طريق العلم يقدر اللّه خالق البشر على فعله بارادته النافذة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۵۲

على جميع تلك العوالم من دون أدنى وسيلة نقل من هذا القبيل؟!

(۱) فاننا نقول فى معرض الاجابة على اعتراضـهم هذا بأن جواب هذا الاعتراض يتضح من الابحاث التى سبقت منا حول معاجز الأنبياء و خصوصا بحثنا المفصّل حول حادثة عام الفيل و هلاك جيش أبرهة العظيم بالأحجار الصـغيرة، لأنه من المسلّم أنّ ما يسـتطيع البشر فعله عن طريق الأدوات و الآلات العلمية الصناعية يستطيع الأنبياء فعله بعناية اللّه تعالى، و إقداره و بدون الأسباب الظاهرية و الخارجية.

لقد عرج رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله الى السماء بعناية و باقدار اللّه الذى خلق الوجود كله، و أقام هذا النظام البديع برمته، فهو

الذی أعطی للأرض جاذبیتها، و أعطی للشمس أشعتها و أوجد مختلف طبقات الهواء، و أنواع الغازات فی الجوّ، و متی أراد أخذها و انتزاعها منها، أو کبح جماحها، و ردّ عادیتها.

(۲) فاذا تحقق معراج النبیّ الاکرم محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی ظلّ العنایة الإلهیّة فانّ من المسلّم ان جمیع النوامیس تخضع أمام قدرته القاهرة، و ارادته الغالبة، و هی طوع إرادته، و السماوات و الأرض مطویّات بیمینه و الجمیع فی قبضته و رهن اشارته دائما و أبدا، و فی کل حین و أوان.

و علی هذا فما ذا یمنع من أن یعمل اللّه الذی منح للأرض جاذبیتها، و للأجرام السماویة أشعتها، علی إخراج عبده المصطفی بقدرته المطلقة و من دون الاسباب الظاهریة، من مرکز الجاذبیة الأرضیّة، و یصونه من أخطار الاشعة الکونیة، و أن یعمد خالق کل هذا القدر الهائل من الاوکسیجین إلی إیجاد الهواء اللازم لنبیّه فی الطبقات التی ینعدم فیها الهواء، و هذا هو معنی قولهم: «إنّ اللّه مسبّب الأسباب و معطّل الأسباب».

ان أمر المعجزة یختلف و یفترق أساسا عن أمر العلل الطبیعیة و القدرة البشریة.

(۳) و نحن یجب أن لا نقیس قدرة اللّه المطلقة بقدرتنا المحدودة، فاذا کنّا لا نقدر

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۳

علی شیء من دون الأسباب لم یصح أن نقول: ان القادر المطلق لا یقدر علی مثله من دون الاسباب الطبیعیة أیضا.

إنّ إحیاء الموتی، و قلب العصا إلی ثعبان، و إبقاء یونس حیّا فی بطن الحوت، فی قعر البحار، مما صدّقته جمیع الکتب السماویة و نقلته إلینا لا تقلّ إشکالا و لا تختلف جوابا عن قصة المعراج النبوی.

و خلاصة القول: ان جمیع العلل الطبیعیة و الموانع الخارجیة مسخّرة للّه تعالی خاضعة لارادته، مطیعة لأمره و ارادته یمکن تعلّقها بکلّ شیء إلّا بالأمر المحال، و أما غیر ذلک أی ما یکون ممکنا بالذات مهما کان، فانّه قابل لأن یتحقق فی طل ارادة اللّه و مشیئته سواء یقدر البشر علیه أم لا یقدر.

علی أن حدیثنا هذا موجّه الی من آمن باللّه، و عرف ربّه بصفاته الخاصة به تعالی، و بالتالی آمن باللّه الأزلیّ علی أنّه القادر علی کلّ شیء.

(۱)

الهدف من المعراج:

لقد بیّنت الأحادیث- بعد الآیات- الغرض من المعراج و إلیک طائفة من هذه الأحادیث.

۱- یقول ثابت بن دینار سألت الإمام زین العابدین علی بن الحسین علیه السلام عن اللّه جلّ جلاله هل یوصف بمکان فقال: «تعالی اللّه عن ذلک».

قلت: فلم أسری بنبیه محمّد صلّی اللّه علیه و آله إلی السماء؟

قال: «لیریه ملکوت السماوات و ما فیها من عجائب صنعه و بدائع خلقه».

۲- و قال یونس بن عبد الرحمن قلت لأبی الحسن موسی بن جعفر علیه السلام لأیّ علة عرج اللّه بنبیّه إلی السماء و منها إلی «سدرة المنتهی»، و منها إلی «حجب النور» و خاطبه و ناجاه هناک و اللّه لا یوصف بمکان؟ «۱».

فقال علیه السلام: «إنّ اللّه لا یوصف بمکان و لا یجری علیه زمان، و لکنّه

---

(۱) علل الشرائع: ص ۵۵، البحار: ج ۱۸ ص ۳۴۷ و ۳۴۸، تفسیر البرهان: ج ۲ ص ۴۰۰.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۵۵۴

عز و جل أراد ان يشرّف به ملائكته، و سكان سماواته، و يكرّمهم بمشاهدته، و يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه، و ليس ذلك على ما يقوله المشبّهون سبحان اللّه تعالى عمّا يصفون» «۱».

أجل يجب أن يكون لرسول الاسلام و خاتم الأنبياء مثل هذا المقام العظيم و مثل هذه المنزلة السامقة، ليقول للبشرية العائشة فى القرن العشرين، و التى أصبحت تفكر فى الهبوط على «المريخ» و «الزهرة» و غيرها من الانجم البعيدة:

باننى قد فعلت هذا من دون أية وسيلة، و انّ ربّى قد منّ علىّ و عرّفنى على نظام السماوات و الأرض، و أطلعنى بقدرته و بعنايته على أسرار الوجود، و رموز الكون.

---

(١) علل الشرائع: ص ۵۵، البحار: ج ١٨ ص ٣۴٧ و ٣۴٨، تفسير البرهان: ج ٢ ص ۴٠٠.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۵۵۵

(١)

٢٣ سفرة إلى الطائف

اشارة

انقضت السنة العاشرة بكل حوادثها الحلوة و المرة، فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد فى هذا العام حامييه الكبيرين المتفانيين فى سبيله، ففى البداية فقد كبير بنى عبد المطلب و سيدهم، و المدافع الوحيد عن حوزة الرسالة الاسلامية، و الذابّ بالاخلاص عن حياض الشريعة المحمّدية، و الشخصية الاولى فى قريش اعنى «أبا طالب» عليه السلام.

و لم تنمح آثار هذه المصيبة المرّة عن خاطر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعد إلّا و فاجأته مصيبة وفاة زوجته الوفية العزيزة، السيدة خديجة الكبرى التى جددت برحيلها عنه أحزان النبىّ و آلامه الروحية «۱».

لقد حامى أبو طالب و دافع عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و حافظ على حياته و سلامته و مكانته، و بينما ساعدت خديجة بثروتها الطائلة فى نشر الاسلام و قدمت فى هذا السبيل خدمات عظيمة لا تنسى.

من هنا سمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تلك السنة بعام الحداد، او

---

(١) جاء فى تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٠١ انه قيل بأن «خديجة» توفيت بعد «أبى طالب» بشهر و خمسة أيام، بينما ذهب آخرون مثل ابن الأثير فى الكامل ج ٢ ص ۶٣ الى أن السيدة خديجة توفيت قبل أبى طالب، لا بعده.

سيد المرسلين ،ج ١،ص:۵۵۶

الحزن «۱».

و منذ أن توفّى اللّه هذين الحاميين العظيمين و المدافعين القويين عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ظروفا صعبة جدا قلما واجهها من قبل.

(١) فقد واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منذ حلول السنة الحادية عشر جوّا مفعما بالعداء له، و الحقد عليه، و صارت الاخطار تهدد حياته الشريفة فى كل لحظة، و قد فقد كل الفرص لتبليغ الرسالة و كل امكانات الدعوة الى دينه.

يقول ابن هشام فى هذا الصدد: ان «خديجة بنت خويلد» و «أبا طالب» هلكا (اى توفيا) فى عام واحد فتتابعت على رسول اللّه صلّى اللّه

علیه و آله المصائب بهلک خدیجة و کانت له وزیرة صدق علی الاسلام ... و بهلک عمّه أبی طالب و کان له عضدا، و حرزا فی أمره، و منعة و ناصرا علی قومه و ذلک قبل هجرته إلی المدینة بثلاث سنین، فلما هلک أبو طالب نالت قریش من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من الأذی ما لم تکن تطمع به فی حیاة أبی طالب حتی اعترضه سفیه من سفهاء قریش فنثر علی رأسه ترابا.

و لما نثر ذلک السفیه علی رأس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذلک التراب دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بیته و التراب علی رأسه، فقامت إلیه إحدی بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هی تبکی و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول لها:

«لا تبکی یا بنیّة فإنّ اللّه مانع أباک».

و یقول بین ذلک:

«ما نالت منی قریش شیئا أکرهه حتّی مات أبو طالب» «۲».

(۲) و لأجل تزاید الضغط و الکبت هذا قرر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن ینتقل

---

(۱) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۰۱، السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۴۷.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۱۵ و ۴۱۶، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۵ عن إعلام الوری عن محمّد بن اسحاق بن یسار.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۷

من المحیط المکی إلی محیط آخر یتسنی له تبلیغ رسالته.

و حیث انّ الطائف کانت تعتبر آنذاک مرکزا هامّا، لذلک رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان یسافر لوحده الی الطائف، و یجری بعض الاتصالات مع زعماء قبیلة ثقیف و ساداتها و یعرض دینه علیهم علّه یحرز نجاحا و یکسب انصارا جددا لرسالته من هذا الطریق.

و لما انتهی صلّی اللّه علیه و آله الی الطائف عمد الی نفر من قبیلة «ثقیف» هم یومئذ سادة ثقیف و اشرافهم، و جلس صلّی اللّه علیه و آله إلیهم، و دعاهم إلی اللّه، فلم یؤثر فیهم کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قالوا له: لئن کنت رسولا من اللّه کما تقول لأنت أعظم خطرا من أردّ علیک الکلام، و لئن کنت تکذب علی اللّه ما ینبغی لی ان اکلمک!!

(۱) فعرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من ردّهم الصبیانی أنهم یحاولون التملّص من قبول الدعوة و اعتناق الاسلام، فقام صلّی اللّه علیه و آله من عندهم بعد ان طلب منهم أن یکتموا ما جری فی هذا اللقاء خشیة أن یعرف سفهاء ثقیف فیتجرءوا علیه و یتخذوا ذلک ذریعة لاستغلال غربته و وحدته، و من ثم إیذائه، فوعدوه بالکتمان، و لکنهم- و للاسف- لم یحترموا وعدهم هذا الذی أعطوه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أغروا به سفهاءهم و عبیدهم، و فجأة وجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه محاطا بجمع کبیر من اولئک السفهاء یسبّونه و یصیحون به حتی اجتمع الناس، و ألجئوه إلی بستان لعتبة و شیبة ابنی ربیعة و هما فیه فی تلک الساعة، و رجع عنه من سفهاء ثقیف من کان یتبعه، فعمد إلی ظل فجلس فیه و هو یتصبب عرقا، و قد الحقوا الاذی بمواضع عدیدة من بدنه الشریف و رجلاه تسیلان من الدماء، و ابنا ربیعة ینظران إلیه، و یریان ما لقی من سفهاء أهل الطائف، و قد کانا من أثریاء قریش، یومئذ.

(۲) فلما اطمأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله توجه الی ربه و ناجاه قائلا:

«اللّهمّ إلیک أشکو ضعف قوّتی، و قلّة حیلتی، و هوانی علی النّاس، یا أرحم الرّاحمین، أنت ربّ المستضعفین، و أنت ربّی، إلی من تکلنی، إلی

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۸

بعید یتجهّمنی؟ أم إلی عدوّ ملکته امری؟

إن لم یکن بک علیّ غضب فلا ابالی، و لکن عافیتک هی أوسع لی.

أعوذ بنور وجهک الّذی اشرقت له الظّلمات، و صلح علیه أمر الدّنیا و الآخرة من أن ینزل بی غضبک، أو یحلّ علیّ سخطک.

لک العتبی حتّی ترضی، و لا حول و لا قوّة إلّا بک» «۱».

هـذه الکلمات و هـذا الـدعاء هی اسـتغاثة شخصـیة عاش خمسـین سـنة عزیزا مکرما فی ظلّ حمایة من دافعوا عنه بصدق و اخلاص و دفعوا عنه کل اذی و لکنه الآن یضـیق علیه رحب الحیاة حتی یلجأ الی حائط عـدوّ من اعدائه، و یجلس فی ظل شـجرة، مکروبا موجعا ینتظر مصیره.

(۱) فلما رآه ابنا ربیعة «عتبة و شیبة» و کانا من الوثنیین و من أعداء الاسلام، و شاهدوا ما لقی من الأذی و العذاب، رقّا له فدعوا غلاما لهما نصرانیا من اهل نینوی یقال له «عداس» فقالا له: خذ قطفا من العنب فضعه فی هذا الطبق ثم اذهب به الی هذا الرجل فقل له یأکل منه، ففعل عداس، ثم أقبل بالعنب حتی وضعه بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم قال له: کل، فلما وضع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیه یده قال: «بسم اللّه الرحمن الرحیم».

فتعجب عداس من ذلک بشدة و قال: و اللّه إنّ هذا الکلام ما یقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من أهل أی البلاد أنت و ما دینک؟

قال: أنا نصرانی، من أهل نینوی.

قال صلّی اللّه علیه و آله: من مدینة الرجل الصالح یونس بن متی.

فقال له عداس: و ما یدریک ما (من) یونس بن متی؟

فقال صلّی اللّه علیه و آله «۲»: ذاک أخی کان نبیا و أنا نبیّ، أنا رسول اللّه،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۰.

(۲) و فی روایة البحار ج ۱۹ ص ۶ جملة اعتراضیة هنا:- و کان لا یحقر أحدا أن یبلغه رسالة ربه-.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۵۹

و اللّه تعالی أخبرنی خبر یونس بن متی.

(۱) فأکبّ عداس علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد رأی فی کلماته علائم الصدق و آیات الحق، و جعل یقبّل رأسه و یدیه، و قدمیه، و هما تسیلان من الدماء، و آمن به، ثم عاد بعد الاستئذان منه صلّی اللّه علیه و آله إلی صاحبیه فی البستان.

فتعجب ابنا ربیعـة لما رأیاه فی غلامهما عـداس من الانقلاب الروحی العجیب، و سألاه قائلین: ویلک یا عـداس مالک قبّلت رأس هذا الرجل، و یدیه و قدمیه و ما ذا قال لک؟!

فاجابهما الغلام قائلا: یا سیدیّ ما فی الارض شیء خیر من هذا، هذا رجل صالح لقد أخبرنی بأمر ما یعلمه إلّا نبیّ.

فشقّ کلام عداس علی ابنی ربیعة، و قالا له بنبرة الناصح له: ویحک یا عداس، لا یصرفنّک هذا الرجل عن دینک، فان دینک خیر من دینه!! «۱»

(۲)

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یعود إلی مکة:

انتهت ملاحقـة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بلجوئه الی حائط ابنی ربیعـة، و کان علیه الآن، و بعـد أن یئس من خیر ثقیف ان یعود إلی مکة، و لکنّ عودته إلی مکة لم تکن لتخلو عن مشاکل، لأنه قد فقد نصـیره و حامیه و مدافعه الاکبر و الاوحد فکان من المحتمل جدا أن یقبض علیه المشرکون و یسفکوا دمه.

فقرر صلّى اللّه عليه و آله ان يبقى فى منطقة «نخلة» (و هى واد بين الطائف و مكة) بعض الوقت.

لقد كان يريد أن يرسل أحدا إلى شخصية من شخصيات قريش يطلب منها ان تجيره حتى يدخل مكة بجوار، و لكنه صلّى اللّه عليه و آله لم يجد من يقوم له بهذه المهمة. فترك «نخلة» إلى حراء، و هناك التقى رجلا خزاعيا و طلب منه أن

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤١٩- ٤٢١، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ۶ و ٧ و ٢٢ مع اختلاف يسير.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۰

يأتى «المطعم بن عدى» بمكة، و كان من الشخصيات المكية البارزة و يسأله أن يجير رسول اللّه ليدخل مكة فى أمان من اذى قريش و كيدها.

(١) فدخل الخزاعىّ مكة، و أبلغ المطعم ما طلبه منه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقبل المطعم- رغم كونه و ثنيا مشركا- ان يجير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال للخزاعى: ائته فقل له: إنى قد أجرتك فتعال.

فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مكة ليلا و نزل فى بيت مطعم مباشرة، و بات ليلته هناك، و لما طلعت الشمس من صبيحة غد قال مطعم لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لتعلمنّ قريش بانك فى جوارنا، فاصحبنا إلى البيت، ليروا جوارنا.

فاستحسن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رأيه فاخذ المطعم و أهل بيته السلاح و دخلوا مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد الحرام، و كان ورودهم فى المسجد بهيئة رائعة.

(٢) و كان أبو سفيان قد كمن للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليكيد به، فلما رأى هذا المشهد المهيب غضب غضبا شديدا، و انصرف عن ايذاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فجلس المطعم و ولده و أختانه و اخوه، و طاف رسول اللّه بالبيت و صلى عنده ثم انصرف إلى منزله. «١»

و لم يمض على هذه الحادثة زمان طويل حتى هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٨١، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧ و ٨. و يستبعد بعض المحققين ان يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد طلب الجوار من مشرك أو دخل فى جوار مشرك، على غرار عدم قبوله الهدية من المشرك و ذكر لذلك ادلة و وجوها.

و لكن يمكن الاجابة على هذا بأن الاجارة كانت امرا عاديا فى ذلك العصر، و لم يكن فيها ما يوجب شينا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم تستلزم منه عليه.

ثم ما المانع فى مثل هذا الجوار لو ترتبت عليه مصالح عليا، كتمكين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الدخول بسلام الى مكة، و تمكنّه من القيام بمهامّه الرسالية، خاصة ان هذا الجوار لم يستغرق إلّا يوما أو بعض يوم و تسنّى بعده لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ترتيب اوضاعه فى مواجهة الاخطار التى كانت تتهدده من جانب المشركين بمكة.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۱

و آله من مكة إلى المدينة، و توفى المطعم فى أوائل الهجرة فى مكة، و لما بلغ رسول اللّه نبأ موته تذكّر صلّى اللّه عليه و آله إحسانه و جواره، و أنشأ حسّان بن ثابت شاعر الاسلام شعرا يمدحه فيه تقديرا لخدمته.

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتذكره كثيرا، حتى انه تذكره فى واقعة «بدر» التى انهزمت فيها قريش و عادت منكسرة الى مكة بعد أن خسرت كثيرا من رجالها و اسر منها عدد كبير، فتذكر مطعم بن عدى ثمة و قال صلّى اللّه عليه و آله:

«لو كان مطعم بن عدىّ حيا لوهبت له هؤلاء» «١».

(١)

نقطهٔ هامهٔ:

إنّ سفر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الی الطائف یکشف عن اصراره فی اداء رسالته و استقامته و صبره صلّی اللّه علیه و آله کما ان تذکّره لإحسان مطعم فی المواقع المناسبهٔ یقودنا إلی خصاله الحمیدهٔ و سجایاه. الفاضلهٔ، و خلقه العظیم.

و لکن الاهمّ من هذا و ذاک هو أننا نستطیع من خلال هذا تقییم خدمات أبی طالب القیامهٔ، و معرفهٔ اهمیتها الکبری عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، بمقایستها مع ما فعله مطعم.

فان مطعم لم یفعل شیئا إلّا أن اجار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حماه یوما او بعض یوم.

بینما حدب أبو طالب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دافع عنه و خدمه عمرا کاملا، و لقی فی سبیله من المحن و المتاعب ما لم یلق مطعم منها و لا شیئا ضئیلا.

(۲) فاذا کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعلن عن استعداده للافراج عن جمیع الاسری فی «بدر» تقدیرا لما قام به مطعم من اجارهٔ بسیطهٔ قصیرهٔ، فما ذا

---

(۱) المغازی للواقدی: ج ۱ ص ۱۱۰ ثم قال الواقدی: و کانت لمطعم بن عدی عند النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اجارهٔ حین رجع من الطائف، طبقات ابن سعد: ج ۱ ص ۲۱۰ و ۲۱۲، البدایهٔ و النهایهٔ: ج ۳ ص ۱۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۲

عساه أن یقوم به تجاه ما اسداه إلیه عمّه و حامیه و کافله الاکبر و الأوحد أبو طالب من خدمات طوال اکثر من اربعین عاما. أنه یجب ان یکون لمثل هذا الشخص العظیم الذی کفل صاحب الرسالهٔ و قام بشئونه مدّهٔ أربعین عاما بایامها و لیالیها و دافع عنه فی السنوات العشر الاخیرهٔ و هی جلّ عمر الرسالهٔ الاسلامیهٔ فی الفترهٔ المکیهٔ إلی درجهٔ ان عرّض راحته و سلامته بل حیاته و حیاهٔ أبنائه لخطر الموت دفاعا عن حیاض الرسالهٔ، و حمایهٔ لصرح النبوهٔ، مقاما عظیما و منزلهٔ کبری عند قائد البشریهٔ، و معلم الانسانیهٔ، و هادیها العظیم.

کیف لا؛ و الفرق بین هذین الشخصین کبیر، و البون شاسع، فمطعم رجل وثنی مشرک، بینما یعتبر أبو طالب واحدا من کبار الشخصیات الاسلامیهٔ العظیمهٔ بلا جدال.

(۱)

الدعوهٔ فی أسواق العرب:

کانت العرب تجتمع- فی مواسم الحج- فی نقاط مختلفهٔ مثل: «عکاظ» و «المجنهٔ» و «ذی المجاز»، و کان الشعراء و الخطباء العرب البارعون یقفون فی هذه المناطق علی أماکن مرتفعهٔ و یلهون فریقا من الناس بما یلقونه علیهم من خطب و قصائد تدور فی الأغلب حول الحرب و القتال، و التفاخر، و العشق.

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شأن کل الأنبیاء و المرسلین الذین سبقوه یستغلّ هذه الفرصهٔ- کغیرها- لا بلاغ رسالهٔ ربه الی الناس، و لم یکن لاحد منعه او الکید به لحرمهٔ القتال و الجدال فی الاشهر الحرم.

من هنا کان صلّی اللّه علیه و آله اذا حلّ الموسم وقف علی مکان مرتفع و خاطب الناس قائلا:

«قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا و تملکوا بها العرب و تذلّ لکم العجم، و إذا آمنتم کنتم ملوکا فی الجنّهٔ» «۱».

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۱۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۳

(۱)

دعوة رؤساء القبائل فی مواسم الحج:

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یلتقی فی مواسم الحج فی هذه النقاط برؤساء القبائل العربیة و اشرافها، و یقف علی منازلهم منزلا منزلا، و یعرض دینه علیهم، و یدعوهم إلی اللّه و یخبرهم أنه نبیّ مرسل «۱».

و ربما مشی خلفه عمّه «أبو لهب» فاذا فرغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من قوله و ما دعا به قال أبو لهب فورا للناس: یا بنی فلان إن هذا إنما یدعوکم أن تسلخوا اللات و العزی من أعناقکم، إلی ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطیعوه و لا تسمعوا منه.

(۲) و قد قدمت جماعة من بنی عامر إلی مکّة فدعاهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی الاسلام، و عرض علیهم نفسه، فقبلوا أن یعتنقوا الاسلام إلّا أنهم اشترطوا علیه أن یکون إلیهم خلافته من بعده إذ قالوا: أ رأیت إن نحن تابعناک علی أمرک ثم أظهرک اللّه علی من خالفک أ یکون لنا الأمر من بعدک؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«الأمر إلی اللّه یضعه حیث یشاء».

فرفضوا اعتناق الاسلام و الإیمان باللّه و رسوله.

ثم لما عادوا إلی أوطانهم رجعوا إلی شیخ لهم طاعن فی السنّ لم یقدر أن یحجّ معهم و کان ذا بصیرة و فهم فحدّثوه بما جری بینهم و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قالوا: جاءنا فتی من قریش من بنی عبد المطلب یزعم أنه نبی یدعونا إلی ان نمنعه «۲» و نقوم معه.

فوضع الشیخ یدیه علی رأسه و وبّخهم علی رفضهم لدعوة الرسول و قال:

---

(۱) قال ابن هشام: کان صلّی اللّه علیه و آله لا یسمع بقادم یقدم مکة من العرب له اسم و شرف إلّا تصدّی له فدعاه الی اللّه و عرض علیه ما عنده.

(۲) أی نحمیه.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۴

یا بنی عامر و الذی نفس فلان بیده ما تقوّلها اسماعیلی قط «۱»، و إنّها لحق، فاین رأیکم کان عنکم؟! «۲»

ان هذه القضیة التاریخیة تفید- فی ما تفید- بان مسألة الخلافة و الامامة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمر تنصیصی، تعیینی، لا انتخابی، أی ان تعیین الخلیفة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعود إلی اللّه تعالی، و لا- خیار للناس فیه، و انما علیهم الطاعة و الرضا.

---

(۱) أی ما ادعی النبوة کاذبا احد من بنی اسماعیل.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۲۴ و ۴۲۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۵

(۱)

۲۴ بیعة العقبة

اشارة

کان (وادی القری) فی ما مضـی من الزمن طریق التجارة من الیمن الی الشام، فکانت القوافل التجاریـة القادمـة من الیمن تـدخل وادیا طویلا- یـدعی بوادی القری بعـد العبور بـالقرب من مکـة، و کـانت المناطق الواقعـة علی طول هـذا الوادی مناطق خضـراء، و من هـذه المناطق مدینة قدیمة کانت تدعی ب: یثرب و التی عرفت فیما بعد بمدینة الرسول.

و قـد سـکن فی هـذه المدینـة منـذ اوائـل القرن الرابع المیلادی قبیلتـا: «الاوس و الخزرج» اللتـان کانتـا من مهاجری عرب الیمن (من القحطانیین).

(۲) و کان یعیش الی جانبهم الطوائف الیهودیـة الثلاث المعروفـة: «بنو قریظـة» و «بنو النضـیر» و «و بنو قینقاع» الـذین کانوا قد هاجروا إلیها من شمال شبه الجزیرة العربیة و استوطنوها.

و کان یقـدم الی مکـة کل عام جماعـة من عرب یثرب للاشتراک فی مراسـیم الحج، و کان النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله یلتقی بهم فی تلک المواسم، و یجری معهم اتصالات.

و قد مهدت بعض هذه اللقاءات للهجرة، و صارت سببا لتمرکز قوی الاسلام المتفرقة، فی تلک النقطة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۶

(۱) علی ان کثیرا من تلک الاتصالات و ان لم تثمر و لم تنطو علی أیـة فائـدة فعلیـة إلّا أنها تسـببت فی أن یحمل حجاج یثرب- لـدی عودتهم- انباء ظهور النبیّ الجدیـد و ینشـروه فی اوساط المدینـة کأهم نبأ من انباء الساعة، و یلفتوا نظر الناس فی تلک الدیار الی مثل هذا الأمر المهم و الخطیر.

و لهـذا نقلنا هنا بعض اللقاءات و الاتصالات التی تمت بین رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و جماعات من اهل هذه المدینة فی السـنة الحادیة عشرة و الثانیة عشرة و الثالثة عشرة من البعثة لتتضح بدراسة هذه المطالب علة هجرة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله من مکة الی یثرب، و تمرکز قوی المسلمین فی تلک المنطقة.

(۲) ۱- کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کلما سـمع بقادم یقدم مکة من العرب له اسم و شـرف تصدی له، و دعاه الی الاسـلام و عرض علیه ما عنده.

و قد قدم مرة «سوید بن الصامت» فتصدی له رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله حین سمع به فدعاه الی اللّه و الی الاسلام فقال له سوید: فلعلّ الذی معک مثل الذی معی.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: و ما الذی معک.

قال: مجلة لقمان یعنی حکمة لقمان-.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اعرضها علی فعرضها علیه. فقال له: إن هذا الکلام حسن، و الذی معی أفضل من هذا. قرآن انزله اللّه علیّ هو هدی و نور.

ثم تلا علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله القرآن و دعاه الی الاسلام، فقال سوید إنّ هذا قول حسن و آمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقدم المدینة علی قومه، فلم یلبث أن قتلته الخزرج فیما کان یتلفظ الشهادتین، و کان قتله قبل یوم بعاث «۱» «۲».

---

(۱) بعاث موضع کانت فیه حرب بین الاوس و الخزرج.

(۲) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۴۲۵– ۴۲۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۷

(۱) ۲– قدم «انس بن رافع» مکّهٔ و معه فتیهٔ من بنی عبد الاشهل فیهم «یاس بن معاذ» أیضا، یلتمسون الحلف و النصرهٔ علی قومهم من الخزرج، فسمع بهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأتاهم و جلس إلیهم و قال لهم: هل لکم فی خیر مما جئتم له؟

فقالوا له: و ما ذاک؟

قال: «أنا رسول اللّه بعثنی إلی العباد أدعوهم الی أن یعبدوا اللّه و لا یشرکوا به شیئا و أنزل علیّ الکتاب» ثم ذکر لهم الاسلام، و تلا علیهم القرآن.

فقال إیاس بن معاذ و کان غلاما حدثا شهما: أی قوم هذا و اللّه خیر مما جئتم له.

فقد أدرک جیّدا أن دین التوحید یکفل کلّ حاجاتهم فهو دین شامل مبارک لأنه سیصهر الجمیع فی بوتقهٔ الاخوّهٔ الواحدهٔ فتزول عندئذ أسباب العداء و القتال، و بذلک ینهی کل مظاهر الحرب و التنازع، و کلّ مظاهر الفساد و التخریب فهو أفضل من طلب المساعدهٔ العسکریهٔ من قریش التی جاءوا من أجلها الی مکهٔ، فامن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دون ان یکسب رضا رئیس قبیلته «انس بن رافع» و استئذانه، و لهذا غضب أنس و أخذ حفنهٔ من تراب البطحاء و ضرب بها وجه إیاس و قال: دعنا منک، فلعمری لقد جئنا لغیر هذا، فصمت ایاس و قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنهم و انصرفوا الی المدینهٔ، و کانت وقعهٔ بعاث بین الأوس و الخزرج و لم یلبث ایاس ان هلک، و قد سمعه قوم حضروا عند وفاته یهلّل اللّه تعالی و یکبّره و یحمده و یسبّحه حتی مات، فما کانوا یشکّون أنه قد مات مسلما، و لقد استشعر الاسلام فی ذلک المجلس حین سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما سمع «۱».

(۲)

وقعهٔ بعاث:

اشارهٔ

کانت وقعهٔ بعاث من الحروب التاریخیهٔ بین الأوس و الخزرج، ففی هذه

---

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۴۲۷ و ۴۲۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۶۸

الوقعهٔ انتصر الأوسیون علی منافسیهم، و أحرقوا نخیل الخزرجیین، ثم وقعت بعد ذلک حروب و مصالحات بینهم.

و لم یشترک «عبد اللّه بن ابیّ» و هو من أشراف الخزرج فی هذه الوقعهٔ من هنا کان موضع احترام من القبیلتین، و کاد الطرفان یفقدان مقاومتهما بسبب تکرر الحروب، و تحمّل الخسائر الثقیلهٔ، و لهذا رغب الطرفان فی عقد صلح بینهما یضع حدّا لجمیع أشکال العملیات العسکریهٔ، و الغزو و الاقتتال، و الثأر و الانتقام، و أصرّت القبیلتان علی «عبد اللّه بن ابی» بان یقبل بقیادهٔ عملیّهٔ المصالحهٔ هذه، بل و أعدوا له تاجا یتوّجونه به، حتی یصبح أمیرا فی وقت معیّن، و لکن هذا المشروع تعرض للانهیار و السقوط و واجهت الفشل علی أثر اعتناق جماعهٔ من الخزرج الاسلام، ففی هذا الوقت بالذات التقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمکهٔ بستهٔ اشخاص من رجال الخزرج و دعاهم الی الاسلام فآمنوا به، و لبّوا دعوته.

(۱)

تفصيل الحادث:

خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كلّ موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الانصار و كانوا ستة انفار من الخزرج فقال لهم: أمن موالى اليهود؟ و هل لكم حلف معهم.

قالوا: نعم.

قال: أ فلا تجلسون أكلّمكم؟

قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى اللّه عزّ و جلّ و عرض عليهم الاسلام و تلا عليهم القرآن، فاحدثت كلمات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى نفوسهم أثرا عجيبا، و ممّا ساعد على ذلك أن يهودا كانوا معهم فى بلادهم، و كانوا أهل كتاب و علم، و كانوا هم أهل شرك و أصحاب أوثان، و كان اليهود قد غزوهم فى بلادهم،

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۶۹

فكانوا إذا وقع بينهم نزاع و كان بينهم شىء قال اليهود لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد اظلّ (او أطلّ) زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد و إرم، فكانت اليهود تخبر بخروج نبىّ من العرب ينشر التوحيد، و تنتهى على يديه حكومة الوثنية و الشرك، قد قرب ظهوره.

(۱) فلما كلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اولئك النفر، و دعاهم إلى اللّه، قال بعضهم لبعض يا قوم: تعلّموا و اللّه إنه للنبىّ الذى توعّدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

فاجابوه فيما دعاهم إليه، بان صدّقوه و قبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، و قالوا: إنا قد تركنا قومنا، و لا قوم بينهم من العداوة و الشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمعهم اللّه بك، فستقدم عليهم فندعوهم الى أمرك، و نعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم اللّه عليه فلا رجل اعز منك «۱».

(۲)

بيعة العقبة الاولى:

لقد أثّرت دعوة هؤلاء الستة، الجادة فى يثرب تأثيرا حسنا حيث سبّبت فى إسلام فريق من اهل يترب و اعتناقهم عقيدة التوحيد.

فلما كان العام المقبل (أى السنة الثانية عشرة من البعثة) قدم مكة اثنا عشر رجلا من اهل يثرب، فلقوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالعقبة، و انعقدت هناك أوّل بيعة اسلامية.

و ابرز هؤلاء الرجال هم: أسعد بن زرارة، و عبادة بن الصامت، و كان نص هذه البيعة- بعد الاعتراف- بالاسلام و الايمان باللّه و رسوله هو:

بايعنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أن لا نشرك باللّه شيئا، و لا نسرق، و لا نزنى، و لا نقتل أولادنا، و لا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا و أرجلنا و لا نعصيه فى معروف.

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۸۶، و السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۲۷ و ۴۲۸، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۰

(۱) فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إن وفيتم فلكم الجنة، و ان غشّيتم من ذلك شيئا فامركم إلى اللّه عزّ و جل إن شاء

عذّب، و ان شاء غفر.

و هذه البيعة اصطلح على تسميتها المؤرخون و كتّاب السيرة ببيعة النساء، لأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله اخذ البيعة من النساء فى فتح مكة على هذا النحو «۱».

و عاد هؤلاء النفر الى يثرب بقلوب مفعمة بالايمان، مترعة بمحبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعمدوا الى نشر الاسلام، و كتبوا الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يبعث لهم من يعلّمهم الاسلام و القرآن، فبعث النبيّ صلّى اللّه عليه و آله لهم «مصعب بن عمير» و أمره بان يقرّ أهم القرآن، و يعلمهم الاسلام، و يفقّههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة.

و استطاع هذا المبلّغ القدير، و هذا الداعية النشيط ان يجمع المسلمين بفضل عمله الدؤوب و الحكيم، و تبليغه الصحيح فى غياب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يؤمّهم، و يصلى بهم «۲».

(۲)

بيعة العقبة الثانية:

لقد أحدث تقدم الاسلام فى يثرب هيجانا كبيرا و شوقا عجيبا فى نفوس المسلمين من أهلها، فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر حلول موسم الحجّ، ليقدموا مكة، و يلتقوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن كثب، و يظهروا له عن استعدادهم لتقديم ما يطلب منهم من خدمة و عمل، و ليستطيعوا توسيع نطاق البيعة من حيث الكمّ و من حيث الكيف.

و أخيرا حلّ موسم الحجّ فخرجت قافلة كبيرة من أهل يثرب للحجّ تضمّ خمسمائة نفرا فيهم ثلاث و سبعون من المسلمين من بينهم امرأتان، و الباقى إما راغبون فى الاسلام، و اما غير مكترث به، حتى قدموا مكّة، و التقوا برسول اللّه

---

(۱) و التى جاء ذكرها فى الآية ۱۲ من سورة الممتحنة.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۳۴، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۷۱

صلّى اللّه عليه و آله فواعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالعقبة للبيعة اذا قال: «موعدكم العقبة فى الليلة الوسطى من ليالى التشريق».

(۱) فلما كانت الليلة الثالثة عشرة من شهر ذى الحجة و هى التى واعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيها باللقاء، و نام الناس حضر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع عمّه «العباس بن عبد المطلب» قبل الجميع، و خرج المسلمون من رحالهم يتسلّلون تسلل القطا مستخفين بعد أن ناموا مع قومهم فى رحالهم، و مضى ثلث الليل لكيلا يحسّوا بخروجهم، حتى اجتمعوا فى الشعب عند العقبة، و لما استقرّ المجلس بالجميع، كان أوّل متكلم هو: العباس بن عبد المطلب فقال واصفا منزلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا معشر الخزرج- و كانت العرب تسمى هذا الحى من الانصار الخزرج خزرجها و أوسها- إنّ محمّدا منّا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، فهو فى عزّ من قومه، و منعة فى بلده، و إنّه قد أبى إلا الانحياز إليكم، و اللحوق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممّن خالفه فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فانه فى عزّ و منعة من قومه و بلده.

فقال الحضور: قد سمعنا ما قلت فتكلّم يا رسول اللّه، فخذ لنفسك و لربك ما أحببت.

فتكلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتلا القرآن و دعا إلى اللّه و رغّب فى الاسلام، ثم قال: ابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم.

(۲) فقام البراء بن معرور و أخذ بيد النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و قال: نعم و الذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنّك مما نمنع منه ازرنا «۱» فبايعنا يا رسول اللّه فنحن و اللّه

---

(۱) الملاحظ فى هذه البيعة انها كانت بيعة للدفاع عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و ليس بيعة للجهاد فى سبيل اللّه، و لهذا فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يقدم على القتال فى بدر إلا بعد ان كسب موافقة الانصار و رضاهم.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۷۲

ابناء الحروب و اهل الحلقة (اى السلاح) ورثناها كابرا عن كابر.

فدب فى الحضور حماس و سرور عظيم و تعالت الاصوات و النداءات من الخزرجيين و التى كانت تعبيرا عن شدة حماسهم، و سرورهم لهذا الأمر، فقال العباس و هو آخذ بيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(۱) و فى هذا الاثناء نهض «البراء بن معرور» و «أبو الهيثم بن التيهان» و «أسعد بن زرارة» من مواضعهم و بايعوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم بايعه بقية القوم جميعا.

و قد قال ابن التيهان عند مبايعته للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله يا رسول اللّه إن بيننا و بين الرجال (اى اليهود) حبالا (و علاقات) و إنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك اللّه، أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟

فتبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم قال: «بل الدم الدم، و الهدم الهدم احارب من حاربتم و اسالم من سالمتم» يعنى أنه سيبقى على العهد، و لا يتركهم و كانت العرب تقول عند عقد الحلف: دمى دمك، و هدمى هدمك، و هى كناية عن البقاء على العهد و احترام الميثاق و الحلف.

(۲) ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: اخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم «۱».

فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا فقال صلّى اللّه عليه و آله لأولئك النقباء: انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومى (يعنى المسلمين) فابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم».

فقالوا: نعم و بايعوه على ذلك.

و كان النقباء الذين اختيروا لذلك تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس و قد ضبطت أسماؤهم و خصوصياتهم فى التاريخ.

---

(۱) المحبر: ص ۲۶۸- ۲۷۴.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۷۳

و بعد أن تمّت مراسم البيعة وعدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن يهاجر إليهم فى الوقت المناسب، ثم ارفض الجمع و عاد القوم إلى رحالهم «۱».

(۱)

أوضاع المسلمين بعد بيعة العقبة:

و الآن ينبغى أن نجيب بالتفصيل على السؤال الذى يطرح نفسه هنا و هو:

ما الذى دعى أهل يثرب الذين كانوا بعيدين عن مركز ظهور الاسلام إلى ان يستجيبوا لنداء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و يأخذوا بتعاليمه اسرع من المكيين مع ما كان بين المكيين و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من القرابة القريبة؟!

و كيف تركت تلك اللقاءات المعدودة القصيرة بأهل يثرب آثارا تفوق الآثار التى تركتها الدعوة المحمّدية خلال ثلاثة عشر عاما فى

مكة؟!

إن علة هذا التقدم يمكن اختصارها و حصرها فى أمرين:

(٢) أوّلا: أن اليثربيّين جاوروا اليهود سنينا عديدة و طويلة قبل الاسلام، و كثيرا ما كانوا يتحدّثون فى مجالسهم و أنديتهم عن النبيّ العربىّ الذى يظهر، و يأتى بدين جديد.

حتى أن اليهود كانوا يقولون: للوثنيين إنّ هذا النبيّ سيقيم دين اليهود و ينشره، و يمحى الوثنية و يقضى عليها بالمرة.

فتركت هذه الكلمات أثرا عجيبا فى نفوس أهل يثرب، و هيّأت قلوبهم لقبول الدين الذى كان يخبر عنه يهود و ينتظرونه، بحيث عند ما التقى الانفار الستة من اهل المدينة الى الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأوّل مرّة، بادروا الى

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥ و ٢٦، السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٤١- ٤٥٠، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢١- ٢٢٣.

و فى رواية اخرى فى البحار: ج ١٩ ص ٤٧، كما اخذ موسى من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا و قد كان هذا العمل النبوى حكيما جدا لان عامة الناس لا يمكن التعويل و الاتكال على التزاماتهم بل لا بد من الاعتماد- ضمنا- على رموز المجتمع و مفاتيحه و هم وجوه القوم و سراتهم.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٥٧٤

الايمان به من غير إبطال و لا تأخير بعد أن قال بعضهم لبعض: و اللّه إنّه للنبيّ الذى توعّدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

(١) و من هنا فان مما يأخذه القرآن على اليهود هو: أنكم كنتم تهددون الوثنيين بالنبيّ العربىّ، و تبشرون الناس بانه سيظهر، و انهم قرءوا أوصافه و علائمه فى التوراة، فلما ذا رفضوا الإيمان به لمّا جاء صلّى اللّه عليه و آله.

يقول تعالى:

«وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» «١».

(٢) ثانيا: إنّ العامل الأخير الذى يمكن اعتباره دخيلا فى التأثير فى نفوس اليثربيين و سرعة إقبالهم على الإسلام و تقبّلهم لدعوة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله هو التعب و الارهاق الذى كان اهل يثرب قد اصيبوا به من جرّاء الحروب الطويلة الدامية فيما بينهم و التى استمرّت مائة و عشرين عاما و التى انهكتهم و كادت أن تذهب بما تبقّى من رمقهم، و جعلتهم يملّون الحياة، و يفقدون كلّ أمل فى تحسّن الأحوال و الاوضاع.

و إن مطالعة وقعة «بعاث» و هى- حرب وقعت بين الأوس و الخزرج- وحدها كفيلة بأن تجسد لنا الوجه الواقعى الذى كان عليه سكان تلك الديار.

(٣) ففى هذه الوقعة انهزم الاوسيّون على يد الخزرجيين، فهربوا الى «نجد»، فعيّرهم الخزرجيّون بذلك، فغضب «الحضير» سيد الأوس، لذلك غضبا شديدا، فطعن فخذه برمحه لشدة انزعاجه و غضبه، و ترجّل عن فرسه و صاح بقومه قائلا:

و اللّه لا أقوم من مكانى هذا حتى اقتل!! فأوقد صمود «الحضير» و ثباته نار الحمية و الغيرة و اشعل روح الشهامة و البسالة فى قومه، فقرروا الدفاع عن حقهم مهما كلفهم الأمر، فقاتلوا أعداءهم مستميتين، و المستميت منتصر لا محالة، فانتصر

(١) البقرة: ٨٩.

سيد المرسلين ،ج١،ص:٥٧٥

الأوسيون المغلوبون، هذه المرة، و هزموا الخزرج هزيمة نكراء و احرقت مزارعهم و نزل بهم ما نزل على يد الاوسيين!! «١».

(۱) ثم تتابعت الحروب و المصالحات بعد ذلک، و کانت القبیلتان تتحملان فی کل مرة خسائر کبری، جعلتهم یواجهون عشرات المشاکل التی حوّلت حیاتهم الی حیاة مضنیة متعبة جدا.

من هنا لم تکن کلتا القبیلتین راضیتین علی أوضاعهما، و کانتا تبحثان عن مخلص مما هما فیه، من الحالة السیئة، و تفتشان عن نافذة أمل، و مخرج من تلک المشاکل.

و لهذا وجد الخزرجیون الستة ضالّتهم المنشودة عند ما التقوا- و لاول مرّة- رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سمعوا منه ما سمعوا، فتمنّوا أن یضعوا به حدا لاوضاعهم المتردیة إذ قالوا له: عسی أن یجمعهم اللّه بک فان جمعهم اللّه بک فلا رجل أعزّ منک.

کانت هذه هی بعض الأسباب التی دعت الیثربیین إلی تقبّل الاسلام بشوق و رغبة و حماس.

(۲)

ردود فعل قریش تجاه بیعة العقبة:

کانت قریش تغطّ فی نوم عمیق و کانت تتصور بانها قد حدّت من تقدم الاسلام فی مکة و انه قد بدأ یتقهقر و یسیر باتجاه السقوط و الاندحار، و أنه لن ینقضی زمان إلّا و تنطفئ جذوة الاسلام و تخمد شعلته، و تنمحی آثاره.

و فجأة استیقظت علی دویّ بیعة العقبة الثانیة التی کانت بمثابة انفجار قلبت کل المعادلات، و أسقطت کل تصورات قریش الساذجة، و ذلک عند ما عرف زعماء الوثنیین بأن ثلاثا و سبعین شخصا من الیثربیین عقدوا لیلة أمس و تحت جنح الظلام بیعة مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أن یدافعوا عنه کما

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۱ ص ۴۱۷ و ۴۱۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۶

یدافعون عن أبنائهم و أهلیهم.

(۱) فأحدث هذا النبأ خوفا عجیبا فی قلوب قادة قریش و سادة مکة المشرکین المتغطرسین، لانهم أخذوا یقولون مع أنفسهم: لقد وجد المسلمون الآن قاعدة قویة فی قلب الجزیرة العربیة، و انه یخشی أن یجمع المسلمون کل طاقاتهم المبعثرة فیها، و یعملون معا علی نشر دینهم، و بث عقیدتهم، و حینئذ ستواجه الوثنیة فی مکة خطرا جدیا، یهدّدها فی الصمیم.

و لهذا بادرت قریش إلی الاتصال بالخزرجیین صبیحة تلک اللیلة و قالوا لهم:

یا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنکم قد جئتم إلی صاحبنا تستخرجونه من بین أظهرنا، و تبایعونه علی حربنا، إنه و اللّه ما من حیّ من العرب أبغض إلینا أن تنشب الحرب بیننا و بینهم، منکم.

فحلف المشرکون من أهل یثرب لقریش أنه ما کان من هذا شیء، و ما علموه، و قد صدقوا لأنهم لم یعلموا بما جری فی العقبة. فان قافلة الیثربیین کانت تضمّ خمسمائة شخص، تسلّل منهم ثلاث و سبعون فقط الی العقبة و بقیة الناس نیام لا یعلمون بشیء.

(۲) فأتت قریش إلی «عبد اللّه بن ابیّ بن سلول» فسألوه عمّا جری فی لیلة العقبة، فأنکر ذلک و قال: إنّ هذا الأمر جسیم، ما کان قومی لیتفوتوا علیّ بمثل هذا (أی یعملوه من دون مشورتی) و ما علمته کان، فنهض رجال قریش من عنده لیتابعوا تحقیقهم حول الحادث.

فعرف المسلمون الذین حضروا ذلک المجلس و بایعوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یفشوا أمرهم، و انکشاف سرهم، و لهذا قال بعضهم لبعض: ما دمنا لم نعرف بعد فلنخرج من مکة فورا قبل ان یظفر المشرکون بنا، و لهذا أسرعوا فی الخروج من مکة و التوجّه الی المدینة، فزاد ذلک من سوء ظن قریش و عزّزت شکوکهم حول البیعة، و عرفوا بانه قد کان، فخرجوا فی طلب جمیع الیثربیین، و لکنهم لم یتنبهوا لذلک إلّا بعد خروج قافلة الیثربیین من حدود مکة، و المکیین، و لم تظفر قریش إلّا بسعد بن عبادة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۷

(۱) غير أن ابن هشام يرى بأنّهم ظفروا بنفرين هما: «سعد بن عبادة» و «المنذر بن عمر»، و كان كلاهما من النقباء الاثنى عشر.

و أما «المنذر» فاستطاع أن يخلّص نفسه منهم.

و أما «سعد» فقد أخذوه، و ربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، و يجذبونه بجمّته «۱» و كان ذا شعر كثير.

يقول سعد:

فو اللّه إنّى لفى أيديهم إذ طلع علىّ نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض، طويل القامة، فقلت فى نفسى: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا.

قال: فلما دنى منّى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة.

فقلت فى نفسى: لا و اللّه، ما عندهم بعد هذا من خير.

قال: فو اللّه إنّى لفى أيديهم يسحبوننى إذ رقّ علىّ رجل كان معهم، فقال:

ويحك أما بينك و بين أحد من قريش جوار و لا عهد؟

قلت: بلى كنت اجير لجبير بن مطعم بن عدى تجارة، و أمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى.

فذهب ذلك الرجل الى مطعم و أخبره بما فيه سعد بن عبادة من الحال، و أنه أخبره بأنه كان يجير لمطعم تجارة فقال مطعم: صدق و اللّه إنه كان ليجير لنا تجارة، و يمنعهم أن يظلموا ببلده ثم أسرع إلى سعد و خلّصه من أيديهم.

و كان رفقاء سعد من المسلمين قد علموا بوقوعه فى أيدى قريش فى أثناء الطريق إلى المدينة، فعزموا على أن يعودوا إلى مكة و يخلّصوه من أيدى المشركين، و بينما هم كذلك إذ بدى لهم «سعد» من بعيد، و أخبرهم بما جرى عليه «۲».

(۲)

تأثير الاسلام و نفوذه المعنوى:

يصر المستشرقون على أن انتشار الاسلام و نفوذه فى المجتمعات تمّ بواسطة

---

(۱) مجتمع شعر الرأس.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۴۹ و ۴۵۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۸

السيف و فى ظلّ استخدام القوّة.

اما بطلان هذا الكلام فسيثبت من خلال الحوادث القادمة.

و نحن نذكر هنا للمثال حادثة وقعت قبل الهجرة، و نلفت إليها نظر القارئ الكريم، فان دراستها و التعمق فيها يثبت بجلاء ان انتشار الاسلام و نفوذه فى أوساط الناس كان فى بداية الأمر نابعا من جاذبيته التى كانت تجذب كل انسان بمجرد اعطاء شرح مختصر عنه و عن تعاليمه المحببة إليه.

و إليك الحادثة بنصها:

(۱) قرر مصعب بن عمير المبلّغ و الداعية الاسلامى المعروف الذى بعثه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى المدينة بطلب من اسعد بن زرارة، ذات يوم أن يدعو هو و اسعد أشراف المدينة و ساداتها الى الاسلام بالمنطق و الدليل فدخلا حائطا «۱» من حوائط المدينة

فجلسا هناک و اجتمع إلیهما رجال ممن اسلم، و کان سعد بن معاذ و اسید بن حضیر و هما من سادات بنی الاشهل موجودین هناک أیضا.

فقال سعد لا سید: جرّد حربتک و قل لهذین (یعنی مصعبا و اسعد) ما ذا جاء بهما الی دیارنا یسفهان ضعفاءنا، و لو لا أن سعد بن زرارة ابن خالتی، لکفیتک ذلک.

(۲) ففعل اسید ذلک و قال لمصعب ما جاء بکما إلینا تسفّهان ضعفاءنا و راح یشتمهما فقال له مصعب داعیة الاسلام الحکیم، و المتکلم البلیغ الذی تعلّم اسلوب الدعوة المؤثر من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أو تجلس فتسمع، فان رضیت أمرا قبلته، و ان کرهته کفّ عنک ما تکره؟

قال: أنصفت ثم رکّز حربته و جلس إلیهما یستمع لقولهما فکلّمه مصعب بالاسلام، و قرأ علیه شیئا من القرآن، فأثّرت آیات القرآن و ما قاله مصعب من المواعظ البلیغة فی نفسه حتی عرف ذلک فی إشراق وجهه، و انفراج اساریره، و شوقه فقال: ما احسن هذا الکلام و اجمله؟! کیف تصنعون إذا اردتم أن تدخلوا

---

(۱) بستانا.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۷۹

فی هذا الدین؟ فقال مصعب و سعد له: تغتسل فتطهر و تغسل ثوبیک ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلی.

(۱) فقام اسید بن حضیر الذی حضر لقتل مصعب و سعد من عندهما مبتهجا مسرورا فاغتسل و طهر ثوبیه و تشهّد شهادة الحق ثم قام فرکع رکعتین.

ثم قال لهما: ان ورائی رجلا إن أتبعکما لم یتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله إلیکما الآن، ثم اخذ حربته و انصرف الی سعد بن معاذ الذی کان ینتظر عودته علی احر من الجمر فلما نظر إلیه سعد و قومه و هم جالسون فی نادیهم قال:

أحلف باللّه لقد جاءکم اسید بن حضیر بغیر الوجه الذی ذهب من عندکم فلما وقف علی النادی قال له سعد ما فعلت؟

(۲) قال: کلّمت الرجلین، فو اللّه ما رأیت بهما بأسا، و قد نهیتهما، فقالا: نفعل ما احببت، فغضب سعد لذلک غضبا شدیدا، و أخذ الحربة من اسید، ثم خرج الی مصعب و اسعد لیقتلهما، فلما رآهما سعد مطمئنین وقف علیهما متشتما مهددا ایاهما، و لکن مصعبا و زمیله قابلاه بمثل ما قابلا به سابقه اسید، و جری له ما جری له، فقد فعلت کلمات مصعب فی نفسه فعلتها، و خضع لمنطقه القوی، و بیانه الساحر، و ندم علی ما قصد فعله، و قال لمصعب نفس ما قاله اسید و اعتنق الاسلام و اغتسل و تطهر و صلی ثم رجع الی قومه و قال لهم: یا بنی عبد الاشهل کیف تعلمون أمری فیکم؟ قالوا: سیدنا و افضلنا رأیا و ایمننا نقیبة.

قال: فان کلام رجالکم و نسائکم علیّ حرام حتی تؤمنوا باللّه و برسوله فالحمد للّه الذی اکرمنا بذلک.

فلم یمس فی دار بنی عبد الاشهل رجل و لا امرأة إلّا مسلما أو مسلمة، و هکذا أسلم کلّ قبیلة بنی الأشهل قبل أن یروا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أصبحوا من الدعاة إلی الاسلام و المدافعین عن عقیدة التوحید، لا بمنطق القوة انما بقوة المنطق «۱».

---

(۱) إعلام الوری: ص ۵۹، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰ و ۱۱، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۳۶ و ۴۳۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۰

(۱) ان فی التاریخ الاسلامی نماذج کثیرة من هذا القبیل تدل علی بطلان و تفاهة ما قاله أو روّجه المستشرقون حول أسباب تقدّم الاسلام و انتشاره، فان العامل المعتمد فی جمیع هذه الموارد لم یکن المال و التطمیع، و لا السلاح و التهدید، کما ادعی المستشرقون، و ان الذین اسلموا فی هذه الحوادث و الوقائع لا هم رأوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لا أنهم التقوا أو اتصلوا به بنحو من الانحاء،

انما كان السبب الوحيد هو: منطق الداعية الاسلامى القوىّ و بيانه الساحر الجذاب، فهو الذى كان يفعل فى النفوس فعله العجيب، خلال دقائق معدودة، لا فى نفس شخص واحد فحسب، بل ربما فى نفوس قبيلة بكاملها.

اجل انه المنطق القوى و الكلام المبرهن و الحجة البالغة لا سواها.

(۲)

مخاوف قريش المتزايدة:

لقد ايقظت حماية اليثربيين للمسلمين قريشا من غفلتها و نومها العميق مرة اخرى، و كانت بيعة العقبة الثانية بمثابة ناقوس خطر لها فبدأت أذاها و اضطهادها و مضايقتها لهم من جديد، و تهيأت للعمل على الحيلولة دون انتشار الاسلام و نفوذه و تقدمه فى الجزيرة العربية، و بلغ ذلك الاذى مبلغا عظيما.

فشكى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إليه ما يلقونه على أيدى المشركين من ضغوط و أذى، و استأذنوه فى الهجرة الى مكان فاستمهلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اياما ثم قال:

«لقد اخبرت بدار هجرتكم و هى يثرب فمن اراد الخروج فليخرج إليها» «۱».

و بعد الاذن بالهجرة من قبل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أخذ المسلمون يخرجون من مكة، و يتوجهون الى المدينة شيئا فشيئا و بحجج مختلفة لكى لا تمنعهم قريش من الهجرة.

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۶.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۱

(۱) و لم يكن قد مضى على بداية هجرة المسلمين التدريجية هذه زمان طويل الا و فطن زعماء قريش لسرها، و خطرها عليهم فاخذوا يمنعون من أى تنقل و سفر يقوم به المسلمون، و قرروا ان يعيدوا الى مكة كل من وجدوه فى اثناء الطريق، كما قرروا ان يحبسوا زوجة كل مسلم يريد الهجرة و له زوجة قرشية و يمنعوها عنه، و لكنهم كانوا يتجنبون اراقة الدماء فى هذا السبيل، بل و كان يقتصر اذاهم على الحبس و التعذيب و لا يتعداهما.

و لكن هذه المحاولات التى قام بها زعماء قريش لوقف الهجرة الى المدينة لم تثمر لحسن الحظ [۱].

فقد استطاعت مجاميع كبيرة من المسلمين النجاة بنفسها من أيدى قريش و اللحاق بزملائهم و اخوانهم فى يثرب حتى انه لم يبق فى مكة من المسلمين إلّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و على عليه السلام و عدد قليل من المسجونين، أو المرضى من المسلمين.

(۲) و قد زاد اجتماع المسلمين فى يثرب من مخاوف قريش، و ضاعف من قلقها، و لهذا اجتمع كل رؤساء القبائل المكية فى «دار الندوة» اكثر من مرة للتشاور فى كيفية القضاء على الاسلام و طرحت فى ذلك المجلس خطط متنوعة، و اقترحت امور كثيرة لتحقيق هذه الغاية و لكنها فشلت برمتها بتدبير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حكمته، و سياسته الدقيقة.

و أخيرا هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من «مكة» إلى «المدينة» فى شهر ربيع الاوّل سنة ۱۴ من البعثة.

اجل لقد تضاعف قلق قريش منذ أن حصل محمّد على قاعدة ثانية خارجة عن نطاق هيمنة المكيين و سيطرتهم و اصبحوا حيرى لا يدرون ما ذا يفعلون، لان جميع خططهم للمنع من انتشار الاسلام، و اتساع رقعته، قد باءت بالفشل.

(۳) لقد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه بالهجرة الى المدينة و الالتحاق

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۲

بالانصار و قال لهم: «إنّ اللّه قد جعل لكم دارا و إخوانا تأمنون بها» «۱» «۲».

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۶.

(۲) لقد انتهینا من تسجیل حوادث السنوات الثلاث عشرة من البعثة، و قد حاولنا ذکر کل ما کان معلوما مشهورا من تواریخها، و لکن لا یمکن اعتبار تواریخ کل تلک الحوادث امورا مقطوعا بها، من هنا ذکرنا الحوادث المثبتة فی الفصل ۲۴ من دون ادراج تواریخ لها فی الاغلب و لکن حیث أن الوقائع الحادثة بعد الهجرة وقعت فی أوقات معینة معلومة لذلک فاننا سنرفق ذکر کل حادثة بتاریخ وقوعها فی الفصول القادمة.

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۵۸۳

(۱)

۲۵ قصّة الهجرة

حوادث السنة الاولی من الهجرة

اشارة

کان زعماء قریش و رؤساؤها یجتمعون عند کل نائبة تنوبهم فی «دار الندوة» لحل المشاکل و معالجة ما عرض لهم من نائبة من خلال التشاور حولها و تداول الرأی فیها، و من خلال تضافر الجهود علی حلها، و رفعها أو دفعها.

و فی السنوات: الثانیة عشرة، و الثالثة عشرة من البعثة واجه أهل مکة خطرا کبیرا جدّیا، فقد حصل المسلمون علی مرکز هام، و قاعدة صلبة فی یثرب، و تعهّد الیثربیون الشجعان بحمایة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الدفاع عنه، و کل هذا کان من علامات و مظاهر ذلک التهدید الخطیر، الذی بات یهدد کیان المشرکین و الوثنیین و الزعامة القرشیة.

(۲) و فی شهر ربیع الاوّل من السنة الثالثة عشرة من البعثة التی وقعت فیه هجرة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بینما لم یکن قد بقی من المسلمین فی مکة إلّا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علی و أبو بکر و جماعة قلیلة من المسلمین المحبوسین، أو المرضی، أو العجزة، و کان هؤلاء علی أبواب الهجرة و مغادرة مکة الی المدینة اتخذت قریش فجأة قرارا قاطعا و حاسما و خطیرا جدا فی هذا المجال.

فقد انعقدت جلسة هامة للتشاور فی «دار الندوة» حضرها رؤساء قریش

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۵۸۴

و زعماؤها و بدأ متکلمهم «۱» یتحدث عن تجمع القوی و العناصر الاسلامیة و تمرکزها فی المدینة و البیعة التی تمت بین الخزرجیین و الأوسیین و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم اضاف قائلا:

(۱) یا معشر قریش إنه لم یکن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل اللّه تفد إلینا العرب فی السنة مرتین، و یکرموننا، و نحن فی حرم اللّه لا یطمع فینا طامع، فلم نزل کذلک حتی نشأ فینا «محمّد بن عبد اللّه» فکنّا نسمّیه (الأمین) لصلاحه، و سکونه، و صدق لهجته، حتی إذا بلغ ما بلغ و أکرمناه ادّعی أنه رسول اللّه، و أن أخبار السماء تأتیه، فسفّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا، و أفسد شبّاننا، و فرق جماعتنا، فلم یرد علینا شیء أعظم من هذا، و قد رأیت فیه رأیا، رأیت أن ندسّ إلیه رجلا منّا لیقتله، فان طلبت بنو هاشم بدمه «۲» اعطیناهم عشر دیات.

فقال رجل مجهول حضر ذلک المجلس و وصف نفسه بانه نجدی: ما هذا برأی لأن قاتل محمّد مقتول لا محالة، فمن هذا الذی یبذل

نفسه للقتل منکم؟ فانه اذا قتل محمّد تعصّب بنو هاشم و حلفاؤهم من خزاعة، و إن بنی هاشم لا ترضی أن یمشی قاتل محمّد علی وجه الارض فیقع بینکم الحروب و تتفانوا.

(۲) فقال أبو البختری: نلقیه فی بیت و نلقی إلیه قوته حتی یأتیه ریب المنون.

فقال الشیخ النجدیّ مرة اخری: و هذا رأی أخبث من الآخر، لأن بنی هاشم لا ترضی بذلک، فاذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم، و اجتمعوا علیکم فاخرجوه.

فقال ثالث: نخرجه من بلادنا و نتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا، أو قال نرحّل بعیرا صعبا و نوثّق محمّدا علیه کتافا، ثم نضرب البعیر بأطراف الرماح فیوشک أن یقطّعه بین الصخور و الجبال إربا إربا.

(۳) فانبری ذلک النجدی یخطّئ هذا الرأی أیضا قائلا: أ رأیتم إن خلص به

---

(۱) و روی انه کان المتکلم: أبو جهل.

(۲) و فی روایة: بدیته.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۸۵

البعیر سالما إلی بعض الناس فأخذ بقلوبهم بسحر بیانه و طلاقة لسانه، فصبأ «۱» القوم إلیه، و استجابت القبائل له قبیلة فقبیلة، فلیسیرنّ حینئذ إلیکم الکتائب و الجیوش فلتهلکنّ کما هلکت أیاد و من کان قبلکم.

فتحیّروا و ساد الصمت ذلک المجلس، و فجأة قال أبو جهل (و علی روایة:

قال ذلک الشیخ النجدی): لیس هناک من رأی إلّا أن تعمدوا الی قبائلکم فتختاروا من کل قبیلة منها رجلا قویا ثم تسلّحوه حساما عضبا و لیهجموا علیه معا باللیل و یقطعوه إربا إربا فیتفرق دمه فی قبائل قریش جمیعا فلا تستطیع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة قبائل قریش کلها فی صاحبهم فیرضون حینئذ بالدیة منهم!!

فاستحسن الجمیع هذا الرأی، و اتفقوا علیه، ثم اختاروا القتلة و تقرّر ان یقوموا بمهمتهم اذا جنّ اللیل و ساد الظلام کل مکان «۲».

(۱)

الإمدادات الغیبیة و العنایات الالهیة:

لقد کان اولئک العتاة الجهلة یتصورون أن رسالة محمّد صلّی اللّه علیه و آله المدعومة من قبل اللّه تعالی و المؤیّدة من جانبه سبحانه یمکن ان یقضی علیها بواسطة هذه الحیل و المکائد، و الخطط و المؤامرات، و لم یکونوا یدرکون أن هذا النبیّ- کغیره من الأنبیاء- یتمتع بالمدد الالهیّ الغیبی، و ان الید التی حفظت مشعل الاسلام طوال ثلاثة عشر عاما فی وجه الاعاصیر و الریاح، قادرة علی افشال هذه الخطة الاثیمة، و تعطیل هذه المؤامرة أیضا.

یقول المفسرون: بعد أن دبّر الکفار ما دبروا نزل ملک الوحی «جبرئیل»، علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أخبره بما حاک ضدّه المشرکون من مؤامرة اذ

---

(۱) صبأ فلان: أی خرج من دین إلی دین غیره و کانت العرب تسمّی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الصابئ لأنه خرج من دین قریش إلی دین الاسلام و تسمی المسلمین: الصباة. و هو جمع الصابئ.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۸۰- ۴۸۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۶

قرأ عليه قول اللّه تعالى:

«وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ» «۱».

(۱) و عندئذ امر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالهجرة من مكة إلى المدينة، و لكنّ التخلص من أيدى القساة المكلّفين بقتله من قبل زعماء الوثنيين و بالنظر الى المراقبة الدقيقة التى كانوا يقومون بها لجميع التحركات، لم يكن بالأمر السهل و خاصة بالنظر الى بعد المسافة بين مكة و المدينة.

فاذا لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخرج من مكة وفق خطة دقيقة صحيحة كان من المحتمل جدا أن يدركه المكيون فى أثناء الطريق و يقبضوا عليه و يسفكوا دمه الشريف قبل ان يصل الى أتباعه و أصحابه.

و لقد ذكر المفسرون و المؤرخون صورا مختلفة لكيفية خروجه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هجرته و الاختلاف الذى نلاحظه بين هؤلاء المفسرين و المؤرخين فى خصوصيات و تفاصيل هذه الواقعة مما يقل نظيره فى غيره من الوقائع.

و قد استطاع مؤلف «السيرة الحلبية» أن يوفّق الى درجة ما، بين المنقولات و المرويات المختلفة ببيان خاص، و لكنه لم يوفّق لازالة التناقض و الاختلاف فى بعض الموارد فى هذا الصعيد.

(۲) على أنّ الموضوع الجدير بالاهتمام هو أن اكثر المؤرّخين الشيعة و السنة نقل كيفية هجرة النبىّ، و خروجه من منزله، ثم من مكة بنحو مؤداه إسناد نجاة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و خلاصه إلى عامل الاعجاز، و بالتالى فقد اسبغوا عليه صبغة الكرامة، و المعجزة.

فى حين أن الإمعان فى تفاصيل هذه القصة يكشف عن أن نجاة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كانت نتيجة سلسلة من الإجراءات الاحترازية، و التحسبات، و التدابير الحكيمة، و إن إرادة اللّه تعالى تعلّقت بان ينجى نبيّه

---

(۱) الانفال: ۳۰، ليثبتوك أى ليسجنوك.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۸۷

الكريم، عن طريق الأسباب العادية المألوفة، و ليس عن طريق التدخّل الغيبىّ و إعمال قدرته تعالى الغيبية.

و يدل على هذا المطلب أنّ النبىّ توسل بالعلل الطبيعية، و الوسائل و الأسباب العادية (كمبيت شخص فى فراش النبىّ، و اختفاء رسول اللّه فى الغار و غير ذلك مما سيأتى ذكره)، و بهذا الطريق نجّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه، و تخلّص من أيدى اعدائه، العازمين على إراقة دمه.

(۱)

ملك الوحى يخبر رسول اللّه:

لقد اخبر ملك الوحى «جبرئيل» رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بخطة قريش المشؤومة لاغتياله و امره بالهجرة، و تقرر- بغية إفشال عملية الملاحقة- ان يبيت شخص فى فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليتصوّر المشركون أنّ النبىّ لا يزال فى منزله، و لم يخرج بعد، و بالتالى يركّزوا كلّ اهتمامهم على محاصرة البيت، و ينصرفوا عن مراقبة طرقات مكة، و نواحيها.

و لقد كانت فائدة هذا العمل اى حصر اهتمام المراقبين ببيت النبىّ انه تسنى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اغتنام الفرصة و الخروج من مكة، و الاختفاء فى مكان ما من دون ان يحس به أحد من الذين باتوا يراقبون بيته، و يبغون قتله.

(۲) و الآن يجب أن نرى من الذى تطوّع للمبيت فى فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فدى النبىّ بنفسه، و وقاه بحياته؟

ستقولون حتما: إن الذى سبق جميع المسلمين الى الايمان برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فدى النبىّ بنفسه، و وقاه بحياته؟

ستقولون حتمـا: إن الـذى سـبق جميع المسـلمين الى الايمـان برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و بقى من بـدء بعثته و الى ذلك الحين يـذب عنه، هو الذى يتعيّن أن يضـحّى بنفسه فى هذا السبيل، و يقى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بحياته فى هذه اللحظة الخطيرة، و هذا المضحّى بحياته و نفسه، هو «علىّ» ليس سواه احد، انه تقدير صحيح، و حدس مصيب.

فليس غير «على» يصلح لهذه المهمة الخطيرة.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۸۸

و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلىّ عليه السلام:

«يـا علىّ إنّ قريشـا اجتمعـت على المكر بى و قتلى، و إنّـه اوحى إلىّ عـن ربّى أن اهجر دار قـومى، فنم على فراشـى و التحـف بـبردى الحضرمىّ لتخفى بمبيتك عليهم أثرى فما أنت قائل و صانع؟؟

فقال على عليه السلام: أو تسلمنّ بمبيتى هناك يا نبىّ اللّه؟

قـال: نعم، فتبسّم علىّ عليه السـلام ضاحكـا مسـرورا و أهوى إلى الأـرض ساجـدا، شـكرا لما أنبأه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من سلامته، فلما رفع رأسه قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

امض لما امرت فداك سـمعى و بصرى و سويداء قلبى، و مرنى بما شئت اكن فيه كمسرّتك، واقع فيه بحيث مرادك، و إن توفيقى إلّا باللّه.

(۱) ثم رقد علىّ عليه السـلام على فراش رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و اشتمل ببرده الحضرمى الاخضر، و لما مضى شطر من الليل حاصـر رصد قريش- و هم اربعون رجلا- بيت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و قد جرّدوا سيوفهم، ينتظرون لحظة الهجوم على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يتطلّعون إلى داخـل البيت من فرجـة الباب بين الحين و الآخر ليتأكـدوا من بقاء رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى مضجعه، فيظنون أنّ النائم فى الفراش هو النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

(۲) و هنا أراد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يخرج من بيته.

فمن جانب يحاصـر الأعداء بيته صـلّى اللّه عليه و آله من كل جانب، و يراقبون كلّ شـىء، و من جانب آخر تعلّقت مشيئة اللّه تعالى و ارادته القـاهرة الغالبـة أن ينجو رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من ايـدى تلـك الزمرة المنحطـة، فقرأ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله سورة (يس) لمناسبة مطلعها لظروفه حتى بلغ الى قوله تعالى: «فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» «۱» و خرج من باب البيت دون ان يشعر به رصد قريش المكلّفون بقتله، و ذهب الى المكان الذى كان من المقرر ان يختبئ

---

(۱) يس: ۹.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۸۹

فيه على النحو الذى سيأتى تفصيله.

و أما كيف استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يخترق الحصار البشرى المشدّد الذى ضرب على بيته، و يتجاوز رصد قريش من غير ان يشعروا به فذلك غير معلوم جيدا.

إلّا أنه يستفاد من روايـة نقلها المفسـر الشـيعى المعروف المرحوم على بن ابراهيم فى تفسيره: قول اللّه تعالى: «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ان رجـال قريش كـانوا نيامـا ينتظرون الفجر عنـد خروج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله، و لم يكونوا يتصوّرون أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد عرف بتدبيرهم و مؤامرتهم.

(۱) و لكن يصـرّح غيره من المؤرّخين و كتّاب السـيرة «۱» بان المحاصـرين لمنزل النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله كانوا يقظين حتى لحظة

الهجوم على بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خرج من البيت عن طريق الاعجاز و الكرامة من دون ان يروه و يحسوا به.

إن امكان وقوع مثل هذه الكرامة ليس موضع شك، و لكن هل كان هناك ما يوجب ذلك؟؟

ان دراسة قصة الهجرة بصورة كاملة تجعل هذه المسألة أمرا قطعيا و هى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان عارفا بمؤامرة القوم قبل محاصرة بيته، و كان قد دبّر و رسم لنجاته خطة طبيعية عادية، و لم يكن فى الأمر اى اعجاز.

لقد كان يريد صلّى اللّه عليه و آله باضجاع على عليه السلام فى فراشه أن ينجو بنفسه من أيدى المشركين من الطرق العادية و القنوات الطبيعية من غير الاستعانة بالاعجاز و الكرامة.

(۲) و على هذا كان فى مقدور النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ان يتحسب لمسألة المحاصرة و الطوق الذى كان سيضرب على بيته من أوائل الليل، و ذلك بمغادرة

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۸، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۰

بيته قبل المحاصرة و قبل الغروب.

و لكن يمكن ان يكون لتوقّف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى البيت حتى ساعة المحاصرة علة لا نعرفها الآن.

من هنا يكون ادّعاء هذا الموضوع (و هو خروج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من البيت فى الليل) غير مقطوع به لدى الجميع لاعتقاد البعض بان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غادر منزله قبل فرض الحصار عليه، و قبل غروب الشمس «۱».

(۱)

اقتحام الاعداء لبيت الوحى:

طوّقت قوى الكفر مهبط الوحى و بيت الرسالة و باتت تنتظر لحظة الإذن فى اقتحامه، و الهجوم على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى فراشه و ضربه و تقطيعه بالسيوف إربا إربا!

و قد أصرّ جماعة منهم أن ينفّذوا خطتهم المشؤومة هذه فى منتصف الليل و قبل الفجر فمنعهم أبو لهب من ذلك و قال: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإنّ فى الدار صبيانا و نساء من بنى هاشم، و لا نأمن أن تقع يد خاطئة، فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه.

و ربما يقال أن علّة التأخير هى أنهم أرادوا أن يقتلوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند الصباح أمام أعين بنى هاشم حتى يروا أن قاتله جماعة و ليس واحدا.

(۲) و انقشع الظلام شيئا فشيئا، و انفجر الصبح، و دبّ فى المشركين شوق غريب، مع اقتراب ساعة الصفر، فقد كانوا يتصوّرون بأنهم سينالون ما يريدون قريبا، و بينما هم ينتضون سيوفهم دخلوا حجرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و بينما هم يهمّون بأخذ من كان راقدا فى الفراش بسيوفهم، إذا بهم يواجهون عليا

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۲۹.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۱

عليه السلام يثب فى وجوههم و هو يكشف عن نفسه برد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأخضر، و قال لهم فى منتهى الطمأنينة و

الشجاعة: ما شأنكم؟ و ما ذا تريدون؟؟

فقالوا له بغضب: أين محمّد؟

فقال عليه السلام: اجعلتمونى عليه رقيبا؟!

(۱) فغضب القوم غضبا شديدا، و كاد الغيظ يخنقهم، فقد ندموا على انتظارهم انفجار الصبح و حمّلوا أبا لهب الذى منعهم من تنفيذ الهجوم على النبىّ فى منتصف الليل فشل الخطة و تفويت الفرصة، فاقبلوا عليه يلومونه و يوبخونه!!

أجل لقد انزعجت قريش بشدة لفشل هذه المؤامرة، و وجدوا انفسهم أمام هزيمة نكراء بدّدت كلّ أحلامهم، و حيث أنهم كانوا يتصوّرون بأن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لا يستطيع الخروج عن حدود مكة فى مثل تلك المدة القصيرة فهو إما مختبئ فى مكة، أو أنه لا يزال فى طريق المدينة، لذلك أقدموا فورا على العمل على ترتيب أمر ملاحقته و القبض عليه.

(۲)

النبىّ فى غار ثور:

ان ما هو مسلّم به هو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمضى هو و أبو بكر ليلة الهجرة و ليلتين اخريين بعدها فى غار ثور الذى يقع فى جنوب مكة فى النقطة المحاذية للمدينة المنورة «۱».

و ليس من الواضح كيف تمت هذه المصاحبة و المرافقة و لما ذا، فان هذه المسألة من القضايا التاريخية الغامضة.

فان البعض يعتقد بان هذه المصاحبة كانت بالصدفة، فقد رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر فى الطريق، فاصطحبه معه الى غار ثور.

---

(۱) حيث ان الطريق المؤدى الى المدينة تقع فى شمال مكة، فاختبأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى منطقة مقابلة أى فى اسفل مكة، ليعمى بذلك على قريش فلا يتبعوا أثره.

سيد المرسلين ،ج ۱،ص:۵۹۲

و روى فريق آخر أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذهب فى نفس الليلة إلى بيت أبى بكر، ثم خرجا معا فى منتصف الليل إلى غار ثور «۱».

و قال فريق ثالث: أن أبا بكر جاء هو بنفسه يريد النبىّ و كان صلّى اللّه عليه و آله قد خرج من قبل فأرشده «علىّ» إلى مخبأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و على كل حال فان كثيرا من المؤرخين يعدّون هذه المصاحبة من مفاخر الخليفة و مناقبه، و يذكرون هذه الفضيلة و يتحدثون عنها بكثير من الاسهاب و الاطناب، و بمزيد من الاكبار و الاعجاب.

(۱)

قريش تفتش عن النبىّ:

لقد تسبب فشل قريش فى تغيير خطتها، فقد بادرت إلى بث العيون و الجواسيس فى طرقات مكة، و مراقبة مداخلها و مخارجها مراقبة شديدة، و بعثت القافّة تقتص أثره فى كل مكان، و فى طريق مكة- المدينة خاصة.

و من جانب آخر جعلت مائة ابل لمن ياخذ نبى اللّه، و يردّه عليهم أو يأتى عنه بخبر صحيح.

و عمد جماعة من قريش إلى ملاحقة رسول اللّه و التفتيش عنه فى شمال مكة، حيث الطريق المؤدى الى المدينة، على حين أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان قد اختبأ- كما قلنا- فى نقطة بجنوب مكة لافشال عملية الملاحقة.

و تصدت مجموعة اخرى لتتبع أثر قدم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و رفيقه!!

و كان الـذى يقفو لهم الأثر يدعى أبا مكرز فوقف بهم على باب حجرة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فقال هذه قدم محمّد، فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء، أو دخلا تحت الأرض، فان بباب هذا الغار- كما ترون عليه- نسج

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۰۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۳

العنكبوت و القبجة حاضنة على بيضها بباب الغار «۱»، فلم يدخلوا الغار.

و لقـد اسـتمرت هـذه المحاولات بحثا عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله ثلاثة أيام بلياليها و لكن دون جدوى، فلما يئس القوم بعد ثلاثة ايام من السعى تركوا التفتيش و كفوا عن الملاحقة.

(۱)

التفانى فى سبيل الحق:

ان النقطة المهمة فى هذه الصفحة من التاريخ هى ما قام به على عليه السلام من تفان فى سبيل الحق، و الحقيقة.

إن التفانى فى سبيل الحق من شيمة الرجال الذين أحبّوا الحق و عشقوه بكل وجودهم و كيانهم.

إن الذين يغضون نظرهم عن كلّ شـىء من أشـياء الدنيا و يضـحّون بالنفس و المال و الشخصـية، و يستخدمون كل طاقاتهم المادية و المعنوية فى سبيل خدمة الحق، و احيائه، و اقامته هم و لا شك من عشاق الحق و الحقيقة الصادقين.

انهم يرون كمـا لهم و سـعادتهم فى هـدفهم، و هـذا هـو الـذى يـدفعهم إلى أن يصـرفوا النظر عن الحيـاة العـابرة، و العيش الموقت، و يلتحقوا بركب الحياة الواقعيّة الأبدية.

(۲) إنّ مبيت علىّ عليه السـلام فى فراش رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى تلك الليلـة الرهيبـة لنموذج بارز من هـذا الحبّ الحقيقىّ للحق، و العشق الصادق للحقيقـة، فان الـدافع وراء التطوّع لمثل هـذه المهمة الخطيرة لم يكن إلّا حبّ «علىّ» لبقاء الاسـلام الذى يكفل سعادة المجتمع، و يضمن ازدهار الحياة، لا غير.

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۲۹ تاريخ الخميس ج ۱ ص ۳۲۷- ۳۲۸ و غيرها، و لقـد ذكر عامه المؤرخين هـذه الكرامة هنا، و لا ينبغى- نظرا لما ذكرناه فى قصة الفيل و هلاك أبرهة و جنده بواسطة الابابيل، تأويل مثل هذا الكرامات.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۵۹۴

إن لهذه التضـحية و التفانى من القيامة العظمى بحيث مدحها اللّه تعالى فى كتابه العظيم، و وصـفها بأنها كانت تضـحية صادقة لكسب مرضاة اللّه، فان الآية التالية نزلت- حسب رواية اكثر المفسرين- فى هذا المورد:

«وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ» «۱».

(۱) ان عظمة هذه الفضیلة و اهمیة هذا العمل التضحویّ العظیم دفعت بکبار علماء الاسلام إلی اعتبارها واحدة من أکبر فضائل الإمام علی علیه السلام و إلی أن یصفوا بها علیا بالفداء و البذل و الایثار، و إلی ان یعتبروا نزول الآیة المذکورة فی شأنه من المسلّمات کلّما بلغ الحدیث فی التفسیر و التاریخ إلیها «۲».

إنّ هذه الحقیقة مما لا ینسی أبدا فانه من الممکن اخفاء وجه الواقع و التعتیم علیه بعض الوقت إلا أنه سرعان ما تمزق أشعة الحقیقة الساطعة حجب الاوهام، و تخرج شمس الحقیقة من وراء الغیوم.

إنّ معاداة معاویة لأهل بیت النبوة و بخاصة للإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام مما لا یمکن النقاش فیه.

فقد أراد هذا الطاغیة من خلال تطمیع بعض صحابة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یلوّث صفحات التاریخ اللامعة و یخفی حقائقه بوضع الاکاذیب، و لکنه لم یحرز فی هذا السبیل نجاحا.

(۲) فقد عمد «سمرة بن جندب» الذی ادرک عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم انضمّ بعد وفاته صلّی اللّه علیه و آله إلی بلاط معاویة بالشام، عمد إلی تحریف الحقائق لقاء اموال أخذها من الجهاز الأموی، الحاقد علی أهل البیت.

فقد طلب منه معاویة باصرار أن یرقی المنبر و یکذّب نزول هذه الآیة فی شأن

---

(۱) البقرة: ۲۰۷.

(۲) مسند أحمد: ج ۱ ص ۸۷، و کنز العمال: ج ۶ ص ۴۰۷، و قد نقل کتاب الغدیر: ج ۲ ص ۴۷- ۴۹ طبعة لبنان مصادر نزول هذه الآیة فی شأن علیّ علیه السلام علی نحو التفصیل، فراجع.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۵

علی علیه السلام، و یقول للناس أنها نزلت فی حق قاتل علیّ (أی عبد الرحمن بن ملجم المرادی)، و یأخذ فی مقابل هذه الاکذوبة الکبری، و هذا الاختلاق الفضیع الذی أهلک به دینه مائة ألف درهم.

فلم یقبل «سمرة» بهذا العرض و لکن معاویة زاد له فی المبلغ حتی بلغ اربعمائة ألف درهم. فقبل الرجل بذلک فقام بتحریف الحقائق الثابتة، مسودا بذلک صفحته السوداء اکثر من ذی قبل و ذلک عند ما رقی المنبر و فعل ما طلب منه معاویة «۱».

(۱) و قبل السامعون البسطاء قوله، و لم یخطر ببال أحد منهم أبدا ان (عبد الرحمن بن ملجم) الیمنیّ لم یکن یوم نزول الآیة فی الحجاز بل لعلّه لم یکن قد ولد بعد آنذاک. فکیف یصح؟!

و لکن الحقیقة لا یمکن ان تخفی بمثل هذه الحجب الواهیة، و لا یمکن ان تنسی بمثل هذه المحاولات العنکبوتیة الرخیصة.

فقد تعرّضت حکومة معاویة و تعرض أهلها و انصارها للحوادث، و اندثرت آثار الاختلاق و الافتعال الذی وقع فی عهده المشؤوم، و طلعت شمس الحقیقة و الواقع من وراء حجب الجهل و الافتراء مرة اخری، و اعترف اغلب المفسرین الأجلّة «۲» و المحدّثین الافاضل- فی العصور و الادوار المختلفة، بأن الآیة المذکورة نزلت فی «لیلة المبیت» فی بذل علی علیه السلام و مفاداته النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بنفسه «۳».

---

(۱) لا حظ شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۴ ص ۷۳.

(۲) شرح نهج البلاغة: ج ۱۳ ص ۲۶۲، و لقد أعطی ابن أبی الحدید حقّ الکلام حول هذه الفضیلة.

(۳) سمرة بن جندب من العناصر المجرمة فی الحکومة الامویة، و لم یکتف سمرة بتحریف الحقائق و قلبها بما ذکرناه، بل أضاف الی ذلک- حسب روایة ابن ابی الحدید- أمرا آخر أیضا اذ قال:

و نزل فی شأن «علیّ» قول اللّه: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللَّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ» (البقرة:

(۲۰۴).

و من جرائم هذا الرجل انه قتل یوم ولّی البصرة علی عهد زیاد بن أبیه فی العراق ثمانیة آلاف-

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۶

(۱)

کلام من ابن تیمیة:

اشارة

احمد بن عبد الحلیم الحرّانی الحنبلیّ الذی مات فی سجن بدمشق عام ۷۲۸ من علماء السنّة، تعود إلیه اکثر معتقدات الوهابیین، و أفکارهم.

و لابن تیمیة هذا آراء و مواقف خاصة من النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و أمیر المؤمنین، و عامة أهل بیت النبوة، و قد صرح باکثر آرائه و معتقداته هذه فی کتابه «منهاج السنة».

و قد دفعت عقائده المنحرفة و آراؤه الضالّة الکثیر من علماء عصره إلی تکفیره، و التبرّی منه.

و لابن تیمیة رأی عجیب حول هذه الفضیلة نذکره للقارئ الکریم مع تصرف بسیط فی الألفاظ «۱»

و من المؤسف ان یکون قد تأثر بآرائه بعض السذّج و الجاهلین، فنجدهم یشیعون آراءه فی المجتمع من دون تحقیق فیما قال، و من دون مراجعة ذوی الاختصاص لمعرفة رأیهم فی أفکاره و معتقداته و هم غافلون عن أنّ مثل هذه الآراء قد صدرت من منحرف و کذّبه بل و کفّره بسببها أهل مذهبه.

هذا و إلیک خلاصة رأیه فی فضیلة «المبیت».

(۲) یقول: ان مبیت «علیّ» فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا تعدّ

- ممّن کانوا یحبون أهل البیت و یوالونهم و عند ما سأله معاویة: هل تخاف ان تکون قد قتلت أحدا بریئا؟

أجاب قائلا: لو قتلت إلیهم مثلهم ما خشیت!!

هذا و مخازی هذا الرجل اکثر من ان تستوعبه هذه الصفحات القلائل.

و سمرة هذا هو ذلک الرجل الصلف الجاف الذی رد علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طلبه بأن یراعی حقّ جاره فی قضیة النخلة مرارا فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله له: «إنک رجل مضارّ و لا ضرر و لا ضرار فی الاسلام» و لمزید التوضیح راجع کتب الحدیث و التراجم و التاریخ.

(۱) راجع السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۲۶۳ و سبعة الجاحظ فی العثمانیة.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۷

فضیلة لأن علیّا عرف من طریقین بانه لن یصیبه شیء فی تلک اللیلة:

الأوّل إخبار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الصادق المصدّق نفسه ایّاه بذلک إذ قال له فی نفس تلک اللیلة: «نم فی فراشی فإنه لا یخلص إلیک شیء تکرهه»!!.

الثانی: أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کلّفه بردّ الودائع و أداء الامانات التی اودعها أهل مکة عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، إلی أصحابها.

فعلم- من ذلک- أنه لن یقتل و الا لکلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الآخرین بها.

فعرف «علیّ» من هذا التکلیف أنه لن یلحقه أذی فی هذه العملیّة و انه سیوفّق لأداء ما کلّفه به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱)

الجواب:

و قبل أن نجیب عن هذا الکلام علی نحو التفصیل نقول إجمالا: إن ابن تیمیّة بانکاره هذه الفضیلة أثبت فضیلة أعلی لعلیّ علیه السلام لأنه إمّا کان ایمان علیّ بصدق مقالة الرسول کان ایمانا عادیا، و إما أن کان إیمانا قویا جدّا، و کانت جمیع اقوال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و إخباراته لدیه- فی ضوء ایمانه- کالنهار فی وضوحه.

(۲) و علی الفرض الاوّل لم یکن لعلیّ یقین بنجاته من تلک الواقعة لأنه لا یحصل لمثل هذه الطبقة من الناس (و لا شک أن علیّا لیس منهم حتما) یقین من کلام النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و حتی لو قبلوا به فی الظاهر، فانهم سیساورهم القلق، و لا یفارقهم الاضطراب، و اذا هم باتوا فی فراشه فی لحظات الخطر، فانه سیبقون فریسة الخوف و الوجل و ستمرّ فی نفوسهم احتمالات کثیرة حول مال الأمر و مصیره، و سیتمثل أمامهم شبح الموت المرعب فی کل لحظة و آن.

و علی هذا الفرض لا بد أن یقال: بأنّ علیّا علیه السلام لم یقدم علی هذا الأمر الخطیر إلّا و هو یحتمل الهلاک علی أیدی المشرکین، لا أنه بات و هو یتیقن

سید المرسلین ،ج ۱،ص:۵۹۸

النجاة و السلامة.

(۱) و أما بناء علی الفرض الثانی فانه تثبت لعلیّ علیه السلام فضیلة أعلی و اعظم، لأن ایمان الرجل یجب ان یبلغ من القوة و الکمال بحیث لا یفرّق بین صدق کلام النبیّ و بین وضوح النهار أی أنهما یکونان عنده بمنزلة سواء.

و لا شک ان أهمیة مثل هذا الایمان لا یمکن أن یعاد لها شیء.

و نتیجة هذا الایمان هی أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عند ما قال له: نم فی فراشی فلن یصیبک من هجوم الاعداء الحاقدین مکروه أن ینام فی فراش النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بقلب واثق بالسلامة، و نفس مطمئنّة الی النجاة، و من دون أن یخالج نفسه أقل احتمال للخطر.

و لو کان مراد ابن تیمیة من قوله: ان علیّا کان واثقا من سلامته، لأن الصادق المصدّق أخبره بذلک هو: إثبات أعلی درجات الإیمان لعلیّ علیه السلام فقد اثبت له علیه السلام من حیث لا یشعر اکبر فضیلة، و أعلی منقبة، و هی کمال الایمان و الثقة برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أخباره.

هذا هو الجواب الاجمالی و إلیک الجواب التفصیلی:

(۲)

الجواب التفصیلی:

فنقول عن الدلیل الأول: إن عبارة «لا یخلص إلیک شیء تکرهه» لم ینقلها بعض أرباب السیرة و رجال علم التاریخ الذین لهم سابقة لا تنکر فی هذا الصعید «۱».

نعم روی ابن الاثیر المتوفی عام ۶۳۰ «۲»، و الطبری المتوفی عام ۳۱۰ «۳» هذه العبارة و کأنّما قد اخذاها عن ابن هشام فی سیرته «۴» التی نقل فیها تلک العبارة

(۱) مثل مؤلّف الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۲۷ و ۲۲۸ المولود عام ۱۶۸ و المتوفی عام ۲۳۰، و کذا المقریزی فی امتاع الاسماع، عند ذکرهم لتفاصیل قضیة المبیت.

(۲) التاریخ الکامل: ج ۲ ص ۷۲.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۹۹.

(۴) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۴۸۳.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۵۹۹

بالصورة المتقدمة الذکر، خاصة أنّ عبارة ذینک المؤلّفین (الطبری و ابن الأثیر) تطابق عبارة ابن هشام فی هذا المجال تماما.

هذا مضافا إلی أنّ القضیة لا توجد بهذه الصورة فی مؤلفات علماء الشیعة علی ما نعلم.

(۱) و لقد نقل شیخ الطائفة الامامیة محمّد بن الحسن الطوسیّ المتوفی عام ۴۶۰ فی أمالیه قصة الهجرة بشکل اکثر تفصیلا و دقة، و ذکر العبارة المذکورة مع تغییر بسیط، الّا أنه تختلف صورة القضیّة مع ذلک عما هی علیه فی کتب أهل السنة، فانه رحمه اللّه یصرّح بان علیّا علیه السلام انطلق هو و «هند بن أبی هالة» ابن خدیجة و ربیب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی منتصف اللیل بعد لیلتین من الهجرة حتی دخلا علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ:

«إنّهم لن یصلوا من الآن إلیک یا علی بأمر تکرهه حتّی تقدم علیّ» «۱».

(۲) و هذه الجملة تشبه الجملة التی ذکرها ابن هشام و الطبری و ابن الأثیر، و لکن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قالها لعلیّ علیه السلام مطمئنا إیاه بعد لیلتین من المبیت فی الفراش، و لیس لیلة المبیت کما یروی الثلاثة المذکورون.

هذا علاوة علی أنّ کلام علی نفسه خیر شاهد علی ما نقول:

فلقد عدّ علیّ علیه السلام عمله هذا (أی المبیت فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک اللیلة الرهیبة) نموذجا من بذله و تفانیه فی سبیل الحق کما یتضح ذلک بجلاء من اشعاره حیث یقول:

وقیت بنفسی خیر من وطأ الحصاو من طاف بالبیت العتیق و بالحجر

محمّد لما خاف أن یمکروا بهفوقّاه ربّی ذو الجلال من المکر

و بت اراعی منهم ما یسوؤنیو قد وطّنت نفسی علی القتل و الأسر

و بات رسول اللّه فی الغار آمناهناک و فی حفظ الاله و فی ستر «۲»

(۱) الأمالی: ج ۲ ص ۸۴.

(۲) المصدر السابق و غیره، هذا مضافا إلی أنّ الإمام علیه السلام نفسه قد استنشد المسلمین مرارا بهذه القضیة مستدلا بها علی تفانیه فی سبیل الاسلام.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۰

(۱) و مع هذه العبارات الصریحة لا مجال للاعتماد علی قول ابن هشام الذی تدل قرائن کثیرة علی خطأه، و یحتمل، احتمالا قویا، بأن اشتباهه و خطأه قد نشأ من تلخیصه لسیرة ابن اسحاق، و حیث أنه (و نعی ابن هشام) قد بنی فی سیرته علی الاختصار لذلک اکتفی بنقل أصل العبارة، مهملا ظرف النطق بها لعدم أهمیة زمن النطق بها و أنها قیلت فی اللیلة الثانیة او الثالثة، فی نظره، و روی الموضوع بنحو یوهم بان جمیع هذه الامور وقعت فی لیلة واحدة!!

و یؤید رأینا هذا أیضا الحدیث المعروف الذی رواه کثیر من علماء السنة و الشیعة و هو: أن اللّه أوحی إلی جبرئیل و میکائیل علیهما

السلام أنّی قد آخیت بینکما و جعلت عمر احدکما أطول من عمر صاحبه فایکما یؤثر أخاه.

و کلاهما کره الموت، فاوحی اللّه إلیهما: عبـد ای أ لا کنتما مثل ولیی «علیّ» آخیت بینه و بین «محمّـد» نبیی فاثره بالحیاة علی نفسه؟ أو قال: قد علی فراشه یقیه بمهجته.

ثم أمرهما بالهبوط إلی الأرض و حراسة علیّ و حفظه من عدوه «۱».

(۲) و اما الدلیل الثانی الذی یستفید منه ابن تیمیة أن علیّا کان یعلم بمصیره هو توصیـة النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله له بأداء الامانات و الودائع إلی أهلهـا، الـتی کـانت تکشف عن ان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کـان یعلم بـأنه لن یصـل إلیه مکروه، و لهـذا امره بردّ الودائع و الامانات إلی أصحابها.

و لکنّنا نعتقد ان فی مقدورنا الحصول علی حلّ لهذه المشکلة إذا استعرضنا بقیة قصة الهجرة بشکل صریح و کامل.

و إلیک بقیّة قصة الهجرة.

الخطیب و قضیة المبیت:

و ینبغی أن نختم هذا الفصل بما کتبه الاستاذ عبد الکریم الخطیب حول

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۳۹ نقلا عن احیاء العلوم للغزالی.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۱

مبیت علی علیه السـلام فی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث قال: لقد دعا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علیّا لیلة الهجرة، و طلب إلیه أن یبیت فی المکـان الـذی اعتـاد الرسول صـلّی اللّه علیه و آله ان یبیت فیه، و ان یتغطی بـالبرد الحضـرمیّ الـذی کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یتغطی به حتی اذا نظر نـاظر من قریش الی الـدار رأی کأنّ النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله نائم فی مکانه مغطی بالبرد الذی یتغطی به، و هذا الذی کان من علیّ فی لیلة الهجرة اذا نظر إلیه فی مجری الاحداث التی عرضت للامام علی فی حیاته بعد تلک اللیلة فانه یرفع لعینی الناظر أمارات واضحة و اشارات دالة علی ان هذا التدبیر الذی کان فی تلک اللیلة لم یکن أمرا عارضا بل هو عن حکمـة لها آثارها- الی ان قال- انه اذا غاب شـخص الرسول کان علی هو الشخصـیة المهیّأة لأن تخلفه و تمثّل شـخصه و تقوم مقامه، حین نظرنـا إلی علیّ و هو فی برد الرسول و فی مثوی منـامه الـذی اعتـاد أن ینـام فیه فقلنـا: هـذا خلف الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و القائم مقامه «۱».

(۱)

بقیة قصة هجرة النبیّ:

انتهت المراحل الاولی لنجاة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله وفق تخطیط صـحیح، بنجاح، فقد لجأ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی منتصف اللیل الی غار ثور، و اختبأ فیه، و بذلک أفشل محاولة المتآمرین علیه.

و لقد کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله طوال هذا الوقت مطمئنا لا یحسّ فی نفسه بأیّ قلق أو اضطراب، حتی انه طمأن رفیق سفره عند ما وجده مضطربا فی تلک اللحظات الحساسة بقوله:

«لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا» «۲».

و بقى هناك ثلاث ليال محروسا بعين اللّه تعالى و مشمولا بعنايته و لطفه،

---

(۱) راجع كتاب على بن أبى طالب بقيّة النبوّة و خاتم الخلافة ص ۱۰۳- ۱۰۵ ملخّصا.

(۲) التوبة: ۴۰.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۰۲

و كان يتردّد عليه صلّى اللّه عليه و آله فى هذه الاثناء على عليه السلام و هند ابن ابى هالة (ابن خديجة) على رواية الشيخ الطوسى فى أماليه، و عبد اللّه بن أبى بكر و عامر بن فهيرة راعى اغنام أبى بكر (بناء على رواية كثير من المؤرّخين).

يقول ابن الاثير. كان عبد اللّه بن أبى بكر يتسمّع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلا، و كان يرعى غنمه نهاره على مقربة من الغار، و كان اذا غدا من عندهما عفى على أثر الغنم «۱».

(۱) يقول الشيخ الطوسى فى أماليه: عند ما دخل على عليه السلام و هند على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الغار (بعد ليلة الهجرة) أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا أن يبتاع بعيرين له و لصاحبه، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لى و لك يا نبى اللّه راحلتين نرتحلهما الى يثرب.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنى لا آخذهما و لا أحدهما إلّا بالثمن. ثم أمر صلّى اللّه عليه و آله عليّا عليه السلام فدفع إليه. ثمن البعيرين «۲».

و كان من جملة وصايا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلىّ عليه السلام فى الغار فى تلك الليلة ان يؤدى أمانته على أعين الناس ظاهرا و ذلك بأن يقيم صارخا بالابطح غدوة و عشيا: ألا من كان له قبل محمّد أمانة او وديعة فليأت فلنؤد إليه أمانته «۳».

(۲) ثم أوصاه صلّى اللّه عليه و آله بالفواطم (و الفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الحبيبة لديه، و الأثيرة عنده، و فاطمة بنت أسد أمّ علىّ عليه السلام و فاطمة بنت الزبير و من يريد الهجرة معه من بنى هاشم)، و أمره بترتيب أمر ترحيلهم معه الى يثرب و تهيئة ما يحتاجون إليه من زاد و راحلة.

و هنا قال صلّى اللّه عليه و آله عبارته التى تذرّع بها ابن تيمية فى دليله

---

(۱) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۷۳ مع تصرف.

(۲) أمالى الشيخ: ح ۲ ص ۸۲. سيد المرسلين ج۱ ۶۰۲ بقية قصة هجرة النبى: ..... ص : ۶۰۱

(۳) الكامل: ج ۲ ص ۷۳، السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۵۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۰۳

الأول: «انهم لن يصلوا من الآن إليك يا علىّ بامر تكرهه حتى تقدم علىّ».

(۱) فالملاحظ للقارئ هو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنما قال هذه العبارة عند ما أمره باداء أمانته، و ذلك بعد انقضاء قضية ليلة المبيت.

أى انه أمر عليا بذلك، و قال له تلك العبارة و هو يتهيّأ للخروج من غار ثور.

يقول الحلبى فى سيرته: «وصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى احدى الليالى و هو بالغار عليا رضى اللّه عنه بحفظ ذمته و اداء امانته ظاهرا على اعين الناس» «۱».

و ثم ينقل عن مؤلف كتاب «الدر» ما يقتضى انه اجتمع به عند خروجه من لغار.

و خلاصة القول: انه مع رواية شيخ جليل من مشايخ الشيعة الامامية كالشيخ الطوسى بالاسناد الصحيحة أن الأمر بردّ الودائع و الامانات

صدر من جانب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلی علیّ علیه السلام بعد لیلة المبیت لا یحقّ لنا أن نعارض هذا النقل الصحیح، و نعمد إلی الهاء العامة بالتوافه، و أما روایة مؤرخی اهل السنة هذا المطلب بشکل آخر یوحی ظاهره بأن جمیع وصایا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ تمت فی لیلة واحدة هی لیلة الهجرة (لیلة المبیت) فقابل للتفسیر و التوجیه، لأنه لا یبعد أن عنایتهم کانت مرکزة علی روایة أصل الموضوع، و لم یکن لظرف صدور هذه الوصایا و الأوامر و وقت بیانها اهمیة عندهم.

(۲)

الخروج من الغار:

هیّأ علی علیه السلام بأمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ثلاث رواحل و دلیلا امینا یدعی أریقط لیترحلوها إلی المدینة، و یدلّهم الدلیل علی طریقها و أرسل کل ذلک إلی الغار.

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۳۵.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۴

و لما سمع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله رغاء البعیر او نداء الدلیل نزل هو و صاحبه من الغار و رکبا البعیرین و توجها من أسفل مکة إلی «یثرب» سالکین إلی ذلک الخط الساحلی، و قد جاء ذکر المنازل التی مرّا بها فی السیرة النبویة لابن هشام «۱» و فی الهوامش المثبتة علی التاریخ الکامل لابن الاثیر «۲».

(۱)

صفحة التاریخ الاولی:

اجل لقد حلّ الظلام فی کل مکان، و لملمت الشمس أشعّتها الذهبیة من هذا الوجه من الکرة الأرضیة لتوجّهها الی الوجه الآخر منها.

و عاد جماعة من رجال قریش الذین سلکوا کل طریق فی مکة و ضواحیها بحثا عن النبیّ، ثلاثة أیام، بلیالیها، الی بیوتهم و منازلهم متعبین مرهقین، و قد یئسوا من الظفر بالجائزة (و هی مائة من الإبل) التی وضعتها سادة قریش جائزة لمن یأخذ محمّدا أو یدل علی مکانه، و اعید فتح طریق مکة- المدینة التی اغلقت لهذه الغایة بعد الیأس من الظفر برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- «۳».

و فی هذه اللحظات بالذات بلغ نداء الدلیل الذی کان یصطحب معه ثلاث رواحل و مقدارا من الطعام، الی مسمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و رفیقه و هما فی الغار و قد کان یقول بصوت خافت: لا بد ان نتخذ من ظلام هذا اللیل سترا، و نسرع فی الخروج من حدود المکیین، و نختار طریقا یقلّ سالکوه و لا یهتدی إلیه أحد.

و یبدأ تاریخ المسلمین من العام الذی تضمّن تلک اللیلة بالضبط، و جعل المسلمون یقیسون کل ما یقع من الحوادث بذلک العام و بذلک یحددون تاریخه و زمان حدوثه.

---

(۱) السیرة النبویة لابن هشام: ج ۱ ص ۴۹۱.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۷۵.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۰۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۵

(۱)

لما ذا أصبح العام الهجری مبدأ للتاریخ:

إن الاسلام أکمل الشرائع السماویة قاطبة، و قد جاء الی البشریة بما تتضمنه بشریعة موسی و عیسی علیهما السلام و لکن بصورة أکمل و بصیغة تطابق و تتمشی مع جمیع الظروف و الأوضاع.

و مع أن السید المسیح علیه السلام و میلاده المبارک یحظی بالاحترام عند المسلمین إلّا أنّ میلاده علیه السلام لم یتخذ لدیهم مبدأ للتاریخ، و التوقیت.

و کانت العرب قد جعلت عام الفیل «۱» مبدأ لتاریخها، و کانت تقیس حوادثها و امورها إلیه فترة من الزمن، و مع أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قد ولد فی ذلک العام نفسه، إلّا أن المسلمین لم یتخذوه مع ذلک مبدأ للتاریخ، لأنه لم یکن ینطوی علی ما یتصل بقضیة الإیمان و الاسلام

و لاجل هذا أیضا لم یتخذوا عام البعثة مبدأ لتاریخ المسلمین أیضا لأن عدد المسلمین لم یکن یتجاوز فی ذلک الیوم ثلاثة أشخاص، إذن فلم یکن فی ای واحد من تلک الحوادث ما یعطی مبررا قویا لاتخاذه مبدأ للتوقیت و التاریخ، إذ لا بد ان یکون ما یتخذ لذلک قضیة مصیرة بالغة الأهمیة.

و لکنه فی السنة الاولی من الاعوام الهجریة حقق المسلمون انتصارا عظیما و باهرا، و قد اسست فیه حکومة مستقلة و تخلّص المسلمون من التشرذم و التبعثر، و تمرکزت قواهم و عناصرهم فی نقطة واحدة، و بیئة حرة لا أثر فیها للکبت و الاضطهاد، من هنا جعلوا ذلک العام (أی العام الذی تحققت فیه هجرة النبیّ العظیم) مبدأ لتاریخهم، و اخذوا یقیسون إلیه- و حتی الآن- کل ما یحدث و یقع من خیر و شر، لتحدید تاریخ وقوعه.

من هنا یکون قد مضی علی عام هجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من مکة الی المدینة الف و اربعمائة و تسعة اعوام.

---

(۱) و هو العام الذی سیّر فیه أبرهة جیشا لهدم الکعبة تتقدمه الفیلة. راجع المحبّر: ص ۵- ۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۶

(۱)

من الذی جعل الهجرة مبدأ للتاریخ؟

علی العکس مما هو مشهور بین المؤرخین من أن الخلیفة الثانی جعل هجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مبدأ للتاریخ باقتراح و تأیید من الإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام و امر بأن تؤرخ الدواوین، و الرسائل و العهود و ما شابه ذلک بذلک التاریخ، فان الامعان فی مراسلات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و مکاتباته التی هی مدرجة فی الأغلب فی کتب التاریخ و السیرة و الحدیث و السنة، و کذا غیر ذلک من الادلة التی سوف نذکرها فی هذه الصفحات یثبت أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هو نفسه أول من اعتمد تلک الحادثة الکبری کمبدإ للتاریخ،

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۰۹

و كان يؤرّخ رسائله، و كتبه إلى امراء العرب، و زعماء القبائل و غيرهم من الشخصيات البارزة بذلك التاريخ (أى التاريخ الهجرى).
و ها نحن ندرج هنا نماذج من تلك الرسائل النبوية المؤرخة بهذا التاريخ، ثم نعمد بعد ذلك الى استعراض الدلائل الاخرى على هذا الأمر، و نحن نحتمل ان تكون هناك أدلة اخرى غير ما سنذكره هنا- أيضا- لم نقف عليها.
(۱)

نماذج من رسائل النبیّ المؤرخة:

اشارة

(۲) ۱- طلب سلمان من النبیّ صلّى اللّه عليه و آله ان يكتب له و لأخيه (ماه بنداذ) و لأهله وصية مفيدة ينتفع بها، فاستدعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا و أملى عليه امورا، و كتبها على عليه السلام ثم جاء فى آخر تلك الوصية:
«و كتب على بن أبى طالب بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى رجب سنة تسع من الهجرة» «۱».
(۳) ۲- أدرج المؤرخ الشهير «البلاذرى» فى كتابه «فتوح البلدان» نصّ معاهدة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع يهود «المقنا» و ذكر أن مصريا رأى نص هذه المعاهدة فى جلد أحمر اللون عتيق و كان قد استنسخها، فقر أهالى.
ثم نقل البلاذرى نص تلك المعاهدة و قد جاء فى نهايتها:
«و ليس عليكم امير الامن انفسكم أو من اهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم و كتب على بن أبو طالب فى سنة تسع» «۲»
و مع أن «أبا طالب» يجب أن يكتب حسب القواعد الادبية فى المقام «أبى طالب» لكونه مضافا إليه فقد كتب: «على بن أبو طالب» و لكن مع ذلك ذكر المحققون ان قبيلة قريش كانت تتلفظ لفظة أب فى جميع الموارد (أى فى حالة النصب و الرفع و الجرّ) ب: «أبو» و تكتبها كذلك أيضا، و قد صرح الاصمعىّ بهذا من بين الادباء.
و يقول البروفيسور «محمّد حميد اللّه» مؤلف كتاب «الوثائق السياسية»: انى

---

(۱) اخبار اصفهان تأليف ابى نعيم: ج ۱ ص ۵۲ و ۵۳.
(۲) فتوح البلدان: ص ۷۲.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۰
لما كنت فى المدينة المنورة فى شهر محرم سنة ۱۳۵۸ وجدت فى الكتابة القديمة التى فى جنوبى جبل سلع فى المدينة المنورة «أنا على بن أبو طالب» «۱».
(۱) ۳- جاء فى معاهدة الصلح التى نظمها «خالد بن الوليد» لاهل دمشق، و نص فيها على احترام دمائهم، و اموالهم و كنائسهم: «و كتب سنة ثلاث عشرة» «۲».
و كلنا نعلم أن دمشق فتحت فى أواخر حياة الخليفة الأوّل.
فما يدعيه البعض من ان التاريخ الهجرى قد اتخذ فى عهد الخليفة الثانى بارشاد و تأييد من الإمام على عليه السلام غير صحيح فان تاريخ ذلك يرتبط بالسنة السادسة عشرة او السابعة عشرة من الهجرة، و الحال ان هذه المعاهدة قد نظّمت و دوّنت و ارخت بالتاريخ الهجرى قبل ذلك بأربع سنوات.
(۲) ۴- ان كتاب الصلح الذى كتبه الإمام عليه عليه السلام بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لنصارى نجران مؤرّخ بالسنة الهجرية الخامسة.

فقد جاء فی هذه الرسالة:

«و أمر علیا ان یکتب فیه انه کتب لخمس من الهجرة» «۳».

ان هذه الجملة تفید بوضوح ان النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله هو واضع التاریخ الهجری و مؤسسة الاوّل و هو الذی أمر علیا علیه السلام بان یؤرخ ذلک الکتاب بالتاریخ الهجری فی ذیله.

(۳) ۵- جاء فی مقدمة الصحیفة السجادیة: قال جبرئیل و هو یفسر رؤیا رآها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «تدور رحی الاسلام من مهاجرک فتلبث بذلک عشر، ثم تدور رحی الاسلام علی رأس خمس و ثلاثین من مهاجرک فتلبث بذلک خمسا، ثم لا بد من رحی ضلالة هی قائمة علی قطبها» «۴».

---

(۱) مکاتب الرسول: ص ۲۸۹ نقلا عن شرح ملا علی القاری لشفاء القاضی عیاض، و کذا الوثائق السیاسیة.

(۲) الاموال: طبعة مصر ص ۲۹۷.

(۳) التراتیب الاداریة: ج ۱ ص ۱۸۱ نقلا عن السیوطی.

(۴) مقدمة الصحیفة السجادیة، سفینة البحار: ج ۲ ص ۶۴۱.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۱

(۱) ۶- یروی المحدثون الاسلامیّون أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لام سلمة:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «یقتل حسین بن علی علی رأس ستین من مهاجری» «۱».

(۲) ۷- قال أنس بن مالک: «حدثنا أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال: لا تأتی مائة سنة من الهجرة و منکم عین تطرف» «۲».

(۳) ۸- أرخ أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی ایام حیاته الحوادث الاسلامیة بهجرته فقالوا: وقع کذا فی الشهر کذا من الهجرة، مثلا کانوا یقولون:

حولت القبلة من بیت المقدس الی الکعبة فی شهر شعبان ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا او ثمانیة عشر شهرا «۳».

علی رأس ثمانیة عشر شهرا فرض صوم شهر رمضان «۴».

و قال عبد اللّه بن انیس أمیر الوفد الذی بعثه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

خرجت من المدینة یوم الاثنین لخمس خلون من المحرم علی رأس أربعة و خمسین شهرا «۵».

و قال محمّد بن سلمة عن غزوة القرطاء: خرجت فی عشر لیال خلون من المحرم فغبت تسع عشرة و قدمت للیلة بقیت من المحرم علی رأس خمسة و خمسین شهرا «۶».

إنّ هذا النوع من تاریخ الحوادث و الوقائع یکشف عن ان المسلمین کانوا الی السنة الخامسة من الهجرة یقیسون الحوادث بهجرة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یؤرخون بها عن طریق عدّ الأشهر، حتی إذا کانت السنة الخامسة من الهجرة

---

(۱) مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۹۰.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۶۷.

(۳) نفس المصدر: ج ۱ ص ۳۶۸.

(۴) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۱ تحقیق الدکتور مارسدن جونس.

(۵) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۱.

(۶) المغازی: ج ۲ ص ۵۳۴.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۲

أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله باحلال السنة الهجریة مکان الشهر الهجری (کما مرّ فی الرسالة رقم ۴) حیث أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بان یورّخ الکتاب الذی کتبه لنصاری نجران بالعام الهجری.

(۱) ۹- نقل المحدثون الاسلامیون عن الزهری قوله: ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما قدم المدینة مهاجرا أمر بالتاریخ فکتب فی ربیع الأوّل (ای شهر قدومه المدینة) «۱».

(۲) ۱۰- روی «الحاکم» عن «ابن عباس» ابن التاریخ الهجری بدأ من السنة التی قدم فیها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله المدینة «۲».

إن هذه النصوص تحکی عن أنّ قائد الاسلام الأکبر قد أوضح مسألة التاریخ من الیوم الاول. و انه جعل هجرته مبدأ لذلک التاریخ. غایة ما هنا لک أن هذا التاریخ کان إلی فترة من الزمن یعدّ بالأشهر ثم حل العدّ بالأعوام منذ حلول السنة الخامسة من الهجرة محل العدّ بالأشهر.

(۳)

سؤال:

و یمکن ان یسأل سائل: اذا کان حقا أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هو مؤسس التاریخ الهجری و واضعه الاوّل فما ذا نفعل بالخبر الذی رواه کثیر من المحدثین و المؤرخین.

فانهم یقولون: رفع رجل إلی عمر صکا مکتوبا علی آخر بدین یحلّ علیه فی شعبان فقال عمر: ای شعبان؟ أمن هذه السنة أم التی قبلها أم التی بعدها؟

ثم جمع الناس (أی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله) فقال: ضعوا للناس شیئا یعرفون به حلول دیونهم ... فیقال: ان بعضهم أراد أن یؤرخوا کما تؤرخ الفرس بملوکهم کلما هلک ملک أرّخوا من تاریخ ولایة الذی بعده فکرهوا ذلک.

---

(۱) فتح الباری: ج ۷ ص ۲۰۸، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۸۸ طبعة دار المعارف.

(۲) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۳ و ۱۴ و قد صححه علی شرط مسلم.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۳

و منهم من قال: ارخوا بتاریخ الروم من زمان اسکندر فکرهوا ذلک لطوله أیضا.

و قال آخرون: أرّخوا من مولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و قال آخرون: أرخوا من مبعثه. و اشار علی بن أبی طالب علیه السلام أن یؤرخ من هجریة الی المدینة لظهوره علی کل أحد، فانه أظهر من المولد و المبعث، فاستحسن عمر ذلک و الصحابة، فأمر عمر أن یؤرخ من هجرة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۱».

(۱)

الجواب:

إنّ هذا القسم من التاریخ لا یمکن الاستناد إلیه فی مقابل النصوص الکثیرة التی وصفت الرسول العظیم صلّی اللّه علیه و آله بکونه واضع التاریخ الهجری و مؤسسة الأول.

هذا مضافا إلی أنه من الممکن أن یکون التاریخ الهجری الذی وضعه النبیّ الکریم صلّی اللّه علیه و آله قد تعرّض للترک، و فقد

رسـميته بمرور الزمن و قلـة الحاجـة إلى التاريـخ و لكن جـدّد فى زمن الخليفـة الثانى، بسـبب اتساع نطاق العلاقات و اعيد الاهتمام به لاشتداد الحاجة إليه فى هذا العهد.

(۲)

التذكير بنقطتين:

(۳) ۱- لا نجد فى الاقتراحات التى عرضت على الخليفة فى مجال التاريخ أى ذكر للتاريخ المسـيحى الذى يجعل ميلاد السيد المسيح عليه السلام مبدأ للتاريخ.

و العلة هى: أن التاريخ الميلادى ظهر فى القرن الرابع الاسلامى بين

---

(۱) البداية و النهاية: ج ۷ ص ۷۳ و ۷۴، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۲ ص ۷۴، الكبير لابن الاثير: ج ۱ ص ۱۰.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۴

المسيحيين بعد سلسلة من المحاسبات التخمينية، فهو لم يكن رائجا قبل ذلك.

(۱) ۲- ان البلاد و الاقطار الاسلامية بحاجة اليوم إلى الوحدة و الاتفاق اكثر من اى زمن مضى.

و من مظاهر تلك الوحدة هو السعى للحفاظ على التاريخ الاسلامى الهجرى.

و من هنا يتوجب على الاقطار الاسلامية ان تقيم كل روابطها، و علاقاتها على أساس التاريخ الهجرى، شمسيا كان أو قمريا.

و ان هذا الأمر بحاجة الى مؤتمر إسلامى كبير يشترك فيه كبار الشخصيات الفكرية الاسلامية من أجل توحيد التاريخ، و دراسة السبل الكفيلة بالوصول الى هذا الأمر، و التخلّص من التبعية الغربية فى التاريخ.

ان من المؤسف جدا أن تتجاهل بعض الدول الاسـلامية و العربية التاريخ الهجرى و تعتمد التاريخ الميلادى المسـيحىّ، حتى أن شـيخ الجامع الازهر الذى يشكل قمة القيادة الدينية فى المجتمع السنى يؤرخ رسائله بالتاريخ الميلادى، و لا يذكر الى جانبه التاريخ الهجرى على الأقل!! «۱»

(۲)

مؤامرة الطاغوت:

و كانت ايران من الاقطار الاسـلامية التى حافظت بشـدة على التاريـخ الهجرى، و اعتمـدته فى اعمالها، و لكن فى المؤامرة التى نفّذت بواسـطة الطاغية المقبور فى عام ۱۳۹۹ ه اسـتبدلت التاريـخ الهجرى بالتاريخ الشاهنشاهى و اعلن فى وسائل الاعلام عن وجوب اعتماد هذا التاريخ المختلق بدل التاريخ الهجرى الاصيل!!

و لقد تصوّر الطاغوت الأرعن أنه يستطيع بحذف التاريخ الهجرى، و استبداله

---

(۱) و قد رأيت أنا شخصيا رسالة من شيخ الجامع الأزهر الاسبق هو الشيخ محمود عبد الحليم و عليها التاريخ الميلادى فحسب!!

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۵

بالتاريـخ الشاهنشاهى المشؤوم تثبيت قواعـد حكومته المهزوزة، و سـلطانه المنخور، و نظامه الظالم المهترئ، مدة أطول، و لكن العناية

الالهيۀ، و همۀ الشعب الإيرانى المسلم العاليۀ، و قيادة الاستاذ الاكبر آيۀ اللّه العظمى الإمام الخمينى قدّس سرّه الشريف أفشلت هذه المحاولۀ النكراء، و آل الأمر إلى اسقاط النظام الشاهنشاهى بثورة الشعب المجيدة و اقامۀ حكومۀ الجهوريۀ الاسلاميۀ على انقاض الحكم الملكى المباد، و احلال التاريخ الهجرى الاسلامى المبارك محلّ التاريخ الشاهنشاهى المختلق. و الحمد للّه «۱».

(۱)

برنامج الرحلۀ فى حادث الهجرة:

لقد كان على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يقطع- للوصول الى المدينۀ- ما يقرب من اربعمائۀ كيلومترا، و لا شك أن طىّ هذه المسافۀ الطويلۀ تحت تلك الحرارة العاليۀ الدرجۀ بحاجۀ إلى خطۀ صحيحۀ، لضمان السلامۀ، خاصۀ و انهم كانوا يخافون من ان يقوم الأعراب الذين كانوا ربما يصادفونهم فى اثناء الطريق باخبار قريش بهم، و لهذا كانوا يسيرون ليلا و يستريحون نهارا.

و يبدو أن شخصا شاهد النبىّ و من معه فى أثناء الطريق فرجع إلى مكۀ و أخبر قريشا بذلك فخرج «سراقۀ بن مالك بن جعشم» يطلبهم طمعا فى جائزة قريش الكبرى فلحق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد صرف قريشا عن ملاحقۀ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قبل ذلك ليتفرد بها. «۲»

(۲) يقول ابن الاثير: تبعهم سراقۀ فلحقهم فقال أبو بكر: يا رسول اللّه ادركنا الطلب، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لا تحزن إنّ اللّه معنا».

ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «اللّهم اكفنى شرّ سراقۀ بما شئت» فجمح به فرسه و طرحه أرضا.

---

(۱) يستخدم فى ايران تاريخ هجرى آخر هو التاريخ الهجرى الشمسى و هو ينفع لمعرفۀ الفصول و ما شاكل ذلك.

(۲) التاريخ الكامل: ج ۲ ص ۱۰۵.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۶

فعلم سراقۀ أن هذا من دعاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لهذا قال بنبرة المعتذر الملتمس: يا محمّد هذه إبلى بين يديك فيها غلامى.

و ان احتجت الى ظهر (اى مركوب) أو لبن فخذ منه فقد حكّمتك فى مالى.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا حاجۀ لى فى مالك. «۱».

(۱) و روى المجلسى ان سراقۀ قال: فسلنى حاجۀ.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: ردّ عنّا من يطلبنا من قريش.

فانصرف سراقۀ فاستقبله جماعۀ من قريش فى الطلب فقال لهم: انصرفوا عن هذا الطريق فلم يمرّ فيه أحد، و أنا اكفيكم هذا الطريق فعليكم بطريق اليمن و الطائف.

و هكذا ما كان يمرّ باحد إلّا و صرفه عن البحث عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى هذا الطريق بمثل هذا الكلام.

(۲) ثم إن كتّاب السيرة من الشيعۀ و السنّۀ يذكرون لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كرامات كثيرة فى طريق مكۀ- المدينۀ و نحن ندرج واحدة بعضها:

مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أثناء الطريق على خيمۀ أمّ معبد و كانت امرأة شجاعۀ فاضلۀ فنزلوا بخيمتها و طلبوا منها تمرا و لحما أو لبنا يشترون.

فقالت: ما یحضرنی شیء و کانت أغنامها قد اصیبت بالهزال بسبب الجدب، فنظر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی شاة فی جانب من الخیمة فقال صلّی اللّه علیه و آله لها: ما هذه الشاة یا أمّ معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد من الغنم فقال: هل بها من لبن؟. قالت: هی أجهد من ذلک، قال: أ تأذنین ان أحلبها؟

---

(۱) یذکر کثیر من المؤرخین کابن الاثیر فی الکامل: ج ۲ ص ۱۰۵، و المجلسی فی البحار: ج ۱۹ ص ۷۵- ۸۸ القصة کما نقلناها هنا، و لکن مؤلف حیاة محمّد یقول: ان سراقة تطیّر لما کبابه فرسه و القی فی روعه أن الآلهة مانعة منه ضالّته.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۷

قالت: نعم ان رأیت بها حلبا فاحلبها.

(۱) فدعا بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فمسح بیده ضرعها، و سمّی اللّه عز و جل، و دعا لها فی شاتها قائلا: اللّهم بارک لها فی شاتها فدرّت لبنا کثیرا بفضل دعائه صلّی اللّه علیه و آله، فطلب إناء و حلبها، فسقاها أولا حتی روّیت ثم سقی أصحابه حتی رووا و شرب هو آخرهم، و قال:

«ساقی القوم آخرهم شربا».

ثم حلب الشاة مرة ثانیة فغادره عندها، و ثم ارتحلوا عنها إلی المدینة. «۱»

و قد ذکرت هذه الکرامة فی کثیر من کتب السیرة و التاریخ، و هو أمر ممکن فی رؤیة المؤمن باللّه، لأن الدعاء أحد الاسباب التی تستطیع أن تؤثر فی الطبیعة، و شأنها شأن غیرها من الکرامات التی ورد ذکرها فی الکتب الدینیة و صدقته التجربة «۲».

(۲)

النزول فی قریة قباء:

تقع قریة قباء علی میلین من المدینة علی یسار القاصد الی مکة و کانت مساکن «بنی عمرو بن عرف» و مرکزهم.

و لقد وصل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من معه إلی قباء فی الثانی عشر من شهر ربیع الاول یوم الاثنین، و نزل علی «کلثوم بن الهرم» و هو شیخ من بنی عمرو و کان ثمة جمع کبیر من المهاجرین و الانصار ینتظرون قدومه، و یستخبرون وروده.

و لقد لبث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی قباء إلی آخر أیام الاسبوع، و قد خط فی هذا الفترة مسجدا لقبیلة «بنی عمرو بن عوف»، و نصب قبلته «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۷۵.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۴۳ و ج ۱۹ ص ۹۹- ۱۰۳، الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۳۰ و ۲۳۱، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۳، أسد الغابة: ج ۱ ص ۳۷۷.

(۳) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۱۸

و کان البعض ممن رافق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یصرّ علیه أن یسارع فی الدخول إلی المدینة، و لکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان ینتظر ابن عمه علیا.

و یقول: فما أنا بداخلها حتی یقدم ابن امّی و أخی، و ابنتی (یعنی علیّا و فاطمة علیهما السلام) «۱».

(۱) و أقام علیّ علیه السلام بمكة ثلاث ليال بايامها، حتى أدّى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الودائع التى كانت عنده للناس فقد وقف عليه السلام على مكان مرتفع فى مكة و نادى قائلا:

«من كان له قبل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤدّ إليه أمانته».

فكان يأتيه من له امانة او وديعة عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يذكر علامتها و يأخذها فلما فرغ عليه السلام من اداء الامانات و الودائع خرج بفاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمه فاطمة بنت اسد، و فاطمة بنت الزبير و آخرين ممن لم يكن قد هاجر مكة حتى تلك الساعة، و توجه بهم نحو المدينة ليلا سالكا بها طريقا فى «ذى طوى».

(۲) كتب الشيخ الطوسى فى أماليه فى هذا الصدد يقول: إن جواسيس قريش عرفت بسفر على مع تلك الجماعة، فخرجوا لملاحقتهم، لغرض اعادتهم الى مكة، فادركوهم فى منطقة «ضجنان».

و وقع بين رجال قريش و بين على عليه السلام تلاح و تناوش، و أخذ و ردّ، و دنا الرجال من النسوة، و المطايا ليثوروها فحال علىّ عليه السلام بينهم، و بينها، و لم يجد عليه السلام طريقا إلّا أن يدافع عن حرم الاسلام و المسلمين، فشدّ عليهم بسيفه شدّة الأسد الغضب و الليث الغيور و هو يقول مرتجزا:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهدآليت لا أعبد غير الواحد

---

(۱) الفصول المهمة لابن صباغ المالكى: ص ۳۵ دون ان يذكر اسما، و أمالى الشيخ الطوسى: ج ۲ ص ۸۳.

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۱۹

(۱) فلما وجدوا ما به من الجدّ و الغضب خافوه و تفرّقوا عنه و قالوا- بنبرة الخائف المتضرع-: احبس عنّا نفسك يا ابن أبى طالب، فقال عليه السلام:

«فإنّى منطلق إلى ابن عمّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيثرب فمن سرّه ان افرى لحمه و اهريق دمه فليتبعنى، و ليدن منى».

فتركه القوم و عادوا من حيث أتوا، و واصل الركب رحلته باتجاه المدينة.

يقول ابن الاثير: قدم «على» المدينة و قد تفطّرت قدماه، فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: ادعوا لى عليّا، قيل: لا يقدر أن يمشى، فأتاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم «۱».

و لقد قدم رسول اللّه قباء فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول، و التحق به على عليه السلام فى منتصف ذلك الشهر نفسه «۲»، و يؤيد هذا القول ما ذكره الطبرى فى تاريخه اذ كتب يقول: و اقام على بن ابى طالب رضى اللّه عنه بمكة ثلاث ليال و أيامها حتى أدى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم الودائع التى كانت عنده الى الناس «۳».

(۲)

المدينة تهبّ لقدوم النبىّ:

و لقد كان يوم دخول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوما عظيما جدا، و مشهودا.

فكم ترى ستكون عظيمة فرحة الذين آمنوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منذ ثلاث سنوات، و ظلوا طوال هذه الأعوام يبعثون برسلهم و كلائهم إليه، و يذكرون اسمه المقدس، و يصلّون عليه فى صلواتهم كل يوم، إذا سمعوا أن

---

(۱) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۰۶.

(۲) إمتاع الأسماع: ص ۴۸ و علی هذا تکون محاصرة بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد تمّت ثلاث لیال قبل شهر ربیع الاول من السنة الاولی من الهجرة، و قد خرج النبیّ من داره لیلة الاثنین و دخل غار ثور و بقی ماکثا فیه ثلاثة أیام، و خرج منه لیلة الخمیس اول ربیع الاول و توجه نحو المدینة و وصل قباء فی الثانی عشر منه راجع تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۳۷- ۳۳۸.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۸۲.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۰

قائدهم ذلک الذی طال انتظارهم ایاه، و اشتد تشوقهم إلیه کائن عند میلین من مدینتهم قد نزل فی قبا ایاما، و سیقدم إلیهم و یدخل مدینتهم بعد ایام؟ و کم سیکون مبلغ ابتهاجهم، و أی ابتهاج تری سیعم کل صغیر و کبیر؟

إنه حقا لأمر یعجز القلم عن بیانه، و یکل اللسان عن وصفه.

(۱) و لقد کان لفتیة الأنصار و شبابهم الضامئین إلی الاسلام الحنیف برنامج رائع و عظیم، فقد کانوا عمدوا بغیة تطهیر جوّ المدینة من ادران الوثنیة الی کل صنم فی المدینة کان یقدّس و یعبد فاحرقوه و کسّروه، و قد کان کل شریف فی بیته صنم یمسحه و یطیّبه، و لکل بطن من الأوس و الخزرج صنم فی بیت لجماعة یکرّمونه و یطیّبونه، و یجعلون علیه مندیلا و یذبحون له «۱».

و لا بأس فی أن نذکر نموذجا من هذا العمل الجلیل الذی قام به الانصار فی التخلّص من الوثنیة:

لما قدم من بایع من الأنصار فی العقبة الثانیة الی المدینة اظهروا الاسلام بها و فی قومهم بقایا من شیوخ لهم علی دین الشرک و عبادة الأوثان منهم «عمرو بن الجموح» و کان من سادات بنی سلمة و شریفا من أشرافهم و کان ابنه «معاذ» بن عمرو قد شهد بیعة العقبة.

(۲) و کان عمرو هذا قد اتخذ فی داره صنما من خشب یقال له: مناة، کما کانت الاشراف یصنعون، تتخذه إلها تعظّمه و تطهّره، فلما أسلم فتیان بنی سلمة: معاذ بن جبل، و ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح کانوا یتسلّلون فی اللیل إلی صنم عمرو بن الجموح فیحملونه و یطرحونه فی بعض حفر بنی سلمة و مزابلها، و فیها فضلات الناس و عذرها منکّسا علی رأسه!!

فاذا أصبح عمرو قال: ویلکم من عدا علی آلهتنا هذه اللیلة؟

ثم یغدو یلتمسه حتی إذا وجده غسله و طهّره و طیّبه. ثم قال للصنم: أما و اللّه لو أعلم من فعل هذا بک لأخزینّه!

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۷.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۱

فاذا أمسی و نام عمرو عدوا علیه ثانیة ففعلوا به مثل ما فعلوا به أولا.

فیغدو فیجده فی مثل ما کان فیه من الأذی و الوسخ فیغسله و یطهّره و یطیّبه، ثم یعدون علیه إذا امسی فیفعلون به مثل ذلک.

(۱) فلما اکثروا علیه استخرجه من حیث ألقوه یوما فغسله و طهّره و طیّبه ثم جاء بسیفه فعلقه علیه، ثم قال: إنّی و اللّه ما أعلم من یصنع بک ما تری، فإن کان فیک خیر فامتنع، و دافع عن نفسک فهذا السیف معک.

فلما أمسی و نام عمرو عدوا علی ذلک الصنم فأخذوا السیف من عنقه، ثم أخذوا کلبا میّتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه فی بئر من آبار بنی سلمة فیها عذر من عذر الناس و فضلاتهم. ثم غدا عمرو بن الجموح فلم یجده فی مکانه الذی کان به.

فخرج یتبعه حتی وجده فی تلک البئر منکسا مقرونا بکلب، میّت، فلما رآه و أبصر شأنه و کلّمه من اسلم من رجال قومه فاسلم، و هجر الوثنیة و الأوثان و حسن إسلامه.

فقال حین أسلم و عرف من اللّه ما عرف و هو یذکر صنمه ذلک، و ما أبصر من شأنه و یشکر اللّه تعالی الذی أنقذه مما کان فیه من العمی و الضلالة:

و اللّه لو کنت إلها لم تکن أنت و کلب وسط بئر فی قرن

افّ لملقاك إلها مستدن‌الآن فتشناك عن سوء الغبن

فالحمد للّه العلى ذى المنن‌الواهب الرزاق ديّان الدين

هو الّذى أنقذنى من قبل أن‌أكون فى ظلمة قبر مرتهن

بأحمد المهدى النبىّ المرتهن

«۱»

النبىّ يدخل المدينة:

(۲) بعد أن التحق على عليه السلام و من معه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قباء توجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى المدينة و لما انحدر من ثنية الوداع (و

---

(۱) اسد الغابة: ج ۴ ص ۹۹.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۲

هى منطقة قريبة من المدينة) و حط قدمه على تراب يثرب استقبله الناس رجالا و نساء، كبارا و صغارا، استقبالا عظيما و رحّبوا به اعظم ترحيب، و ردّد المرحّبون أنا شيد الترحيب التالية:

طلع البدر علينامن ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا للّه داع

أيّها المبعوث فيناجئت بالأمر المطاع (۱) و كانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده و أصرّت عليه بأن ينزل فى قباء و قالوا: أقم عندنا يا رسول اللّه فإنا أهل الجدّ و الجلد، و الحلقة (أى السلاح) و المنعة، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يقبل.

و بلغ الأوس و الخزرج خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قرب نزوله المدينة فلبسوا السلاح و أقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحىّ من أحياء الانصار إلّا وثبوا فى وجهه و أخذوا بزمام ناقته و أصرّوا عليه بأن ينزل عليهم هذا و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: خلّوا سبيلها فانها مأمورة.

و اخيرا لما انتهت ناقته- و كان صلّى اللّه عليه و آله قد أرخى زمامها- إلى باب المسجد الذى هو اليوم، و لم يكن مسجدا إنما كان أرضا واسعة ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل و سهيل و كانا فى حجر أسعد بن زرارة فبركت الناقة على باب «ابى أيوب» خالد بن زيد «۱» الانصارى الذى كان على مقربة من تلك الأرض.

فاغتنمت أم أبى ايوب الفرصة فبادرت إلى رحل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فحلّته و أدخلته منزلها، بينما اجتمع عليه الناس و يسألونه أن ينزل عليهم.

فلما أكثروا عليه، و تنازعوا فى أخذه قال صلّى اللّه عليه و آله أين الرحل؟؟

فقالوا: يخوف أم أيوب قد ادخلته فى بيتها.

فقال صلّى اللّه عليه و آله: «المرء مع رحله» و أخذ اسعد بن زرارة بزمام

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۸ و لكن ذهب البعض كصاحب الكامل فى التاريخ الى أنهما كانا فى حجر معاد بن عفراء.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۳

الناقة فحوّلها الى منزله «۱».

(۱)

أصل النفاق و منشؤه:

کانت الأوس و الخزرج قد اتفقتا علی أن تملّک عبد اللّه بن ابی بن سلول (رئیس المنافقین و کبیرهم) علیهم، و ذلک قبل أن تبایع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی العقبة و تؤمن به و تعتنق الاسلام، و لکن هذا القرار الغی بعد اتصال الأوس و الخزرج برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، من هنا حنق عبد اللّه بن ابی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اضمر له العداوة منذ ذلک الحین، و لم یؤمن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی آخر حیاته، بل کان ینافق باسلامه.

و لما دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینة و شاهد عبد اللّه بن ابی ذلک الاستقبال و الترحیب العظیمین لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی قام بهما الأوس و الخزرج، شق علیه ذلک جدا، و لم یستطع اخفاء حنقه و غضبه، وحده و عداوته للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله!

فعند ما انتهی صلّی اللّه علیه و آله إلی عبد اللّه بن ابی- و قد أرخی صلّی اللّه علیه و آله زمام ناقته لتبرک حیث ترید، أخذ عبد اللّه کمّه و وضعه علی أنفه، و قد ثارت الغبرة بسبب الزحام و قال للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله بنبرة الحانق الغاضب: یا هذا اذهب إلی الّذین غرّوک و خدعوک و أتوا بک، فانزل علیهم، و لا تغشنا فی دیارنا!!

(۲) فقام سعد بن عبادة- و قد خشی أن یسوء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هذا الموقف الوقح الشریر فقال: یا رسول اللّه لا یعرض فی قلبک من قول هذا شیء، فإنّا کنّا اجتمعنا علی ان نملّکه علینا، و هو یری الآن أنّک قد سلبته أمرا قد کان أشرف علیه «۲».

---

(۱) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۴۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۰۸.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۴

(۱) هذا و یتفق عامة المؤرخین و کتّاب السیرة أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دخل یثرب یوم الجمعة، و صلّی صلاة الجمعة فی بنی سالم بن عوف فی بطن واد لهم، و کانت هذه اوّل جمعة جمّعها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الاسلام فخطب فی هذه الجمعة و هی أوّل خطبة خطبها فی المدینة، و قد ترکت هذه الخطبة البدیعة البلیغة التی لم یسمع اهل المدینة مثیلها لفظا و معنی من قبل، أثرا عمیقا و طیّبا فی قلوبهم و نفوسهم.

و قد أدرج ابن هشام نصّ الخطبة فی سیرته «۱» کما أدرجها المجلسی فی بحاره «۲» أیضا.

غیر أن عبارات و مضامین الخطبة التی نقلها ابن هشام و اثبتها فی سیرته تختلف عما رواها و اثبتها المجلسی، و للاطلاع علی ذلک یراجع المصدران المذکوران.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۵۰۰ و ۵۰۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۲۶.

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۵

الفهارس

اشارة

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۲۷

(۱) فهرس الآيات القرآنية

قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا/ ۲۷۵/ ۴۹

وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ/ ۲۷۵/ ۵۰

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا/ ۲۷۸ و ۲۷۹/ ۴۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۸

آل عمران- ۳ وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ/ ۳۷/ ۲۲۳

يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ/ ۴۲/ ۲۴۱

وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ/ ۴۹/ ۴۷۹

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ/ ۶۱/ ۴۷۹

وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً/ ۶۷/ ۲۴۰

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ/ ۸۱/ ۳۴۸

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ/ ۱۴۵/ ۳۵۵

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً/ ۱۵۳/ ۴۲

وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ/ ۱۵۳/ ۶۶

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ/ ۱۶۴/ ۳۵۰

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ/ ۱۸۷/ ۳۴۹

النساء- ۴ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ/ ۱۹/ ۶۳

وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ/ ۲۲/ ۶۹

كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها/ ۵۶/ ۴۴۱

وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً/ ۸۲/ ۴۴۹

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ/ ۱۷۱/ ۲۴۱

المائدة- ۵ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ/ ۳/ ۴۷

وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ/ ۴۵/ ۴۷۵

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ/ ۷۵/ ۱۰۱

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ/ ۹۰/ ۳۰۲

ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا .../ ۱۰۳/ ۴۴

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ/ ۱۰۴/ ۴۷۵

الأنعام- ۶ وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ/ ۷/ ۴۳۶

وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ/ ۸/ ۴۷۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۲۹

وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ/ ۱۹/ ۳۵۱

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَ/ ۵۰/ ۳۲۸

لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي/ ۷۷/ ۱۲۱

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ/ ۷۹/ ۱۲۵

(۲) فهرس الأحادیث الشریفة

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۰

(۳) فهرس الأشعار

سید المرسلین ج۱ ۶۴۰ (۳) فهرس الأشعار ..... ص : ۶۴۰

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۴

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۴۵

(۴) فهرس الأعلام

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۴۹

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۰

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۱

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۵۳

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۰

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۳

(۵) فهرس القبائل و الامم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۶۴

(۶) الکنی و الألقاب

(۷) فهرس الوقائع و الأيام

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۷۳

(۸) فهرس الأماكن و البلدان

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۴

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۵

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۷۹

(۹) المذاهب و الأدیان و نظم الحکم

سید المرسلین ،ج۱،ص:۶۸۰

(۱۰) فهرس الموضوعات العلمیة المبحوثة ضمنا

سيد المرسلين ،ج۱،ص:۶۸۱

۱۱- فهرس المواضيع

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳

الجزء الثانى

اشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[المقدمة]

مميّزات النهضة الالهية و خصائصها خصيصة «الخلود» و العمق فى شخصية رسول الاسلام

المصادر الاولى و الأصيلة للكتابة عن سيرة النبىّ:

تشبه نهضة «الأنبياء» الالهية التى قام بها رسل اللّه و سفراؤه لتخليص البشرية من براثن الأوهام، و الخرافات، و لانقاذها من جور المستكبرين و ظلم الظالمين أكثر شىء بأمواج البحر التى تبدأ بدوائر صغيرة محدودة، و لكنّها كلما ابتعدت عن مركز الدائرة ازدادت اتساعا و اتساعا، و اشتدت قوتها اكثر فاكثر.

إن الانقلاب المعنوىّ العريض و التحوّل الروحىّ العظيم الذى وضعت اسسه فى أرض مكة على يدى رسول الاسلام العظيم أضاء بشعاعه و نوره الباهر فى اليوم الاوّل غار حراء و ثم منزل خديجة و بعض البيوت المتواضعة فى مكة فقط، و لكنه اتسع نطاقه بمرور الزمان، حتى عمّ فى مدة ليست بالطويلة شرق الارض و غربها، و دوّى نداء التوحيد فى منطقة واسعة جدا من العالم (ابتداء من فرنسة و انتهاء بجدار الصين و ما وراءه) «۱».

---

(۱) لقد كتبت هذه المقدّمة و ما بعده خلال تواجدى فى الصين عام ۱۴۰۸ و قد جئت إليها فى مهمة استطلاعية و تبليغية اسلامية، و قد زرت فى نفس الفترة التى كنت فيها مشتغلا بكتابة هذه المقدمة المسجد الجامع فى- بكين- العاصمة، و التقيت بامام ذلك المسجد الذى رحّب بى و بمن كان معى أشد ترحيب، و اتحفنى بنسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية، وزرت خلال وجودى فى ذلك المسجد قبر رجلين مسلمين من ايران أحدهما تاجر، و الآخر عالم جاءا إلى الصين فى القرن السادس الهجرى، و نشرا الاسلام فى بكين و ما حولها، و قد نصبت عند قبرهما لوحتان من المرمر نقش عليهما اسمهما، و خصوصياتهما بالاحرف العربية.

و هناك تذكرت حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «اطلبوا العلم و لو بالصين».

قلت فى نفسى: لعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يقصد فيما يقصد فى هذا الحديث دفع

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴

إن مؤسّسی هـذا النوع من النهضات الدینیة «۱» یتمتعون- من حیث الاخلاق و الفضائل الانسانیـة- بخصیصة الخلود و اللانهایـة فان الزمن یکشف باستمرار عن أبعـاد أوسع و آفـاق جدیـدة من شخصـیاتهم فهی تتسع کلما تقادم بها العهـد تماما کأمواج البحر، و کأن الأنبیاء نسخة ثانیة من الطبیعة، فکما أننا کلما أمعنا أکثر فی الطبیعة ظهرت لنا منها حقائق اکثر، و انکشفت لنا رموز و أسرار جدیدة لم نعهدها من قبل فهکذا شخصیات الأنبیاء و المرسلین، و سفراء اللّه الی البشریة.

و تتجلی هذه الحقیقة أکثر- فأکثر کلما تعاظمت شخصیة من تلک الشخصیات-.

و خلاصة القول أننا کلما ازددنا تعمقا و امعانا فیهم. اکتشفنا أسرارا کثیرة، و حقائق جدیدة عن حیاتهم.

و یدل علی کلامنا هذا تلک المؤلفات الکثیرة الوافرة التی کتبها علماء التاریخ و أصحاب السیر، قدیما و حدیثا، حول رسول الاسلام العظیم صلّی اللّه علیه و آله و لکن مع ذلک کله کلما تقادم العهد به، و کلما اتسعت النظرات و ازدادت عمقا

المسلمین إلی نشر مبادئ الاسلام فی تلک البلاد العریضة التی تضم خمس سکان العالم.

و قد قام المسلمون الغیاری علی دینهم، الحریصون علی نشره و بثه بهذه المهمة فیما سبق و أدوا ما کان علیهم. فما ذا فعلنا نحن؟

و هل تری یجوز أن یجهل خمس سکان العالم دین اللّه، و لا ینعموا بخیراته؟!

أم هل تری یجوز فی شریعة الانصاف أن یعانی ذلک الشعب الکبیر من الاباطرة الطغاة فی الماضـی، و من الانظمة و الایدیولوجیات الجائرة الملحدة فی الحاضـر، هذا و النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله کان یحرص علی هدایة فرد واحد، و القرآن یقول: «من احیاها فکأنما أحیی الناس جمیعا»؟؟

هل خصصت نهضة الأنبیاء الالهیة برقعة صغیرة من الارض هی الجزیرة العربیة، و ما حولها؟ أم أنها رحمة للعالمین جمیعا؟

سؤال نطرحه علی ابناء الاسلام دعاة و رعایا، حکومات و شعوبا لعلهم یتفکرون؟ (جعفر الهادی).

(۱) المقصود من الـدین هو المنهاج الواسع الشامل الذی یتکفل سـعادة البشـریة فی الحیاتین الدنیا و الأخری و لیس مجرد سلسـلة من الطقوس الفارغة الخاویة کما هو الحال فی المسیحیة الحاضرة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵

اکتشف المحققون مزیدا من الآفاق، و جدیدا من الابعاد فی هذه الشخصیة الإلهیة.

و لقد کان تعاطی السیـرة النبویة و الحدیث حولها فی البدایة منحصـرا (أو بالاحری مقتصـرا) علی مشاهدات أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و مسموعاتهم.

و مع ظهور جیل جدیـد یـدعی بالتابعین بعـد وفاة النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله اتخذت الاحادیث و السـنن الاسـلامیّة، و تفاصیـل الحیاة النبویّة، و قصـص غزواته و حروبه رونقا جدیـدا، و أحسّ الجیل الجدیـد برغبـة شدیدة فی أخذ الاحادیث الاسـلامیة، و التعرف علی الحوادث التی وقعت فی عصر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و أیّام حیاته من مولده إلی وفاته.

و کلما ازدادت حالات الوفاة، فی أوساط الصحابة و التابعین الذین کانوا یشکّلون المنبع الأوّل و المصدر الأصیل لهذا النوع من العلوم الاسـلامیة، اتسع الاهتمام بالسیـرة و ما شابهها و تعاظمت الرغبة فیها و تزاید عطش المسـلمین إلی اخذ و معرفة الأحادیث التی تتضمن بیان خصوصیات حیاة رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله، و جزئیات سیرته الطاهرة. هذا من جانب.

و من جانب آخر کان تشـدّد الخلیفـة الثانی «۱»، و منعه عن کتابـة أحـادیث النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله قـد أوجب أن ینـدثر کثیر من الأحادیث الاسلامیة، التی سمعها بعض أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و تدفن تحت التراب بموتهم.

و لقد استمر منع الخلیفة عن کتابة الحدیث النبوی و بقی ساری المفعول لمدة طویلة بعد وفاته «۲»، حتی أتی الی الحکم خلیفة معتدل السیرة من الأمویین هو:

«عمر بن عبد العزيز» فأمر- فى رسالة وجّهها الى أبى بكر بن حزم حاكم المدينة

---

(۱) تقييد العلم: ص ۴۸- ۵۳.

(۲) لم يترك نهى الخليفة أى أثر على علماء الشيعة الذين كانوا يتبعون عليا عليه السلام، فقد عمدوا فى فترة محدودة الى تدوين و ضبط الأحاديث، و حفظوا كنوزا عظيمة من علوم اهل البيت النبوى، للتوسع فى هذا المجال راجع كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام».

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶

و قاضيها- بكتابة احاديث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خوفا من اندراس العلم و زواله «۱».

أئمة السيرة:

و من حسن الحظ أن الخليفة الثانى لم يمنع إلّا من تدوين و كتابة الأحاديث النبويّة، فلم يشمل هذا المنع كتابة الحوادث و الوقائع التى وقعت فى عصر الرسالة.

و لهذا الّفت فى تلك الفترة كتب كثيرة عن حياة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أوّل من كتب حول وقائع عصر الرسالة، و أرخ حوادث الصدر الأوّل من الاسلام هو: «عروة بن الزبير بن العوّام» الصحابى المعروف الذى توفى عام ۹۲ أو ۹۶ من الهجرة «۲»

ثم عمد بعد جماعة فى المدينة و آخرون فى البصرة الى جمع و تدوين تفاصيل السيرة، و حروب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و غزواته، و بيان هذا الأمر على نحو التفصيل خارج عن نطاق هذه الدراسة.

و لقد كانت هذه الكتب و المؤلفات هى المنبع و الاساس للكتب التى دوّنت فيما بعد فى صورة كتب السيرة النبويّة، أو تاريخ الاسلام.

و قد بدأ تدوين سيرة النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله بشكل جميل و بصورة بديعة منذ أوائل المنتصف الثانى من القرن الثانى الاسلامى، و كان من بين من قام بجهد مشرف و مشكور فى هذا المجال العالم الشيعى الكبير محمد بن اسحاق المتوفى عام ۱۵۱ فهو أول من استخرج تفاصيل الوقائع الاسلامية من كتب الماضين، و من

---

(۱) ارشاد السارى فى شرح صحيح البخارى: ج ۱ ص ۱۹۵ و ۱۹۶.

(۲) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص ۲۳۳.

اختلفت الاقوال فى من هو أول من صنف فى علم المغازى و السير فى الاسلام.

فقال السيوطى فى كتاب الاوليات بأنه عروة بن الزبير.

و قال الافندى فى كشف الظنون أنه محمد بن اسحاق.

و الحق انه لا الاول و لا الثانى بل عبيد اللّه بن أبى رافع فانه تقدمهما فى التصنيف فى السير و المغازى.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷

ثنايا رواياتهم و منقولاتهم و ألفها و اخرج شيئا جامعا حول السيرة النبويّة إلى عالم الكتب و المؤلّفات.

كما أن أوّل من ضبط و دوّن غزوات رسول الاسلام بشكل مفصّل هو الواقدى صاحب «المغازى» و «فتوح الشام» المتوفى عام ۲۰۷ ه «۱».

و قد لخّصت سيرة ابن اسحاق على يد ابن هشام أبى محمد عبد الملك المتوفى عام ۲۱۸ ه و عرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام (أو السيرة الهشامية) و هو الآن معدود من مصادر التاريخ الاسلامى و سيرة النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله الموثقة.

و لو أننا تجاوزنا هذه الشخصيات لكان لشخصيتين اخريين سهم كبير فى تدوين و تسجيل تاريخ حياة رسول الاسلام، و هما:

۱- محمد بن سعد الكاتب الواقدى المتوفى عام ۲۳۰ ه مؤلف «الطبقات الكبرى» الذى أورد فيه سيرة النبىّ الإكرام صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه على نحو التفصيل.

و قد طبع هذا الكتاب فى لندن مؤخرا، كما اعيد طبعه فى لبنان فى ۹ مجلدات.

۲- محمد بن جرير الطبرى المتوفى عام ۳۱۰ ه مؤلف كتاب «تاريخ الامم و الملوك».

على أن تثمين جهود هذه الثلة من الكتّاب و المؤلفين لا- يعنى بالضرورة أن كل ما أدرجوه فى مؤلفاتهم هو الثابت الصحيح، بل تحتاج مؤلفاتهم- كغيرها من المؤلفات، و الكتب- إلى التحقيق الواسع و التمحيص الدقيق.

ثم ان حركة التأليف حول شخصية رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) عدّ الشيخ الطوسى فى رجاله ابن اسحاق من تلامذة الامام جعفر الصادق عليه السلام، و توجد نسخة خطية من سيرته فى مكتبة مدرسة الشهيد المطهرى بطهران حسب ما كتب صاحب الذريعة فى ج ۱۲ ص ۲۸۱ فيها.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۸

و سيرته استمرت بعد ذلك طيلة القرون الاسلامية اللاحقة. و نحن اليوم أمام مكتبة زاخرة من الكتب، و الدراسات، المختلفة فى أحجامها و مستوياتها، و المتنوعة فى طرائقها و أساليبها، التى ألّفت حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هذا إنما يدل على خصيصة العمق و اللانهاية التى اتسمت بها شخصية النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الخالدة العظيمة.

و قد أراد صاحب هذه الدراسة أن يقدم للجيل الحاضر شرحا ناطقا عن حياة رسول الاسلام العظيم، فى حدود ما تسمح به إمكاناته المحدودة، و لم يأل جهدا- لتحقيق هذا الهدف على وجه أفضل- فى مراجعة كتب الفريقين المعتبرة، و ان اكتفى بذكر عدد قليل من المصادر عند التأليف، و قد بيّنا عذرنا من هذا فى الجزء الأوّل من هذه الدراسة.

و لقد تناول الجزء الأول من هذا الكتاب حوادث مكة من بدء نشأتها إلى نهاية السنوات الثلاث عشرة الاولى من عصر الرسالة أى ما قبل الهجرة، و ها هو الجزء الثانى و هو يتناول حوادث العشر سنوات للهجرة الشريفة، و من اللّه التوفيق.

قم المقدّسة- الحوزة العلمية

جعفر السبحانى

۲۱ شعبان ۱۳۹۲ ه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹

حوادث السنة الأولى من الهجرة «۱»

اشارة

(۱) ۲۶

أوّل عمل ايجابىّ للنبىّ فى المدينة عقد ميثاق تعايش بين المسلمين و غيرهم:

حملت وجوه فتية الانصار المستبشرة، المبتهجة، بمقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الاستقبال العظيم الذى قام به أغلبية الأوسيّين و الخزرجيين له حملته صلّى اللّه عليه و آله، على أن يعمد قبل أى شىء إلى تأسيس مركز عام لتجمّع المسلمين فيه فى الأوقات المختلفة، و للقيام بالاعمال التربوية و التثقيفية، و السياسية و العسكرية فى رحابه.

كما أن عبادة اللّه الواحد تقع فى طليعة البرامج التى جاء بها رسول الاسلام و لذا رأى من اللازم أن يعمد قبل أى عمل آخر الى بناء معبد للمسلمين حتى يتسنى لهم أن يعبدوا اللّه و يذكروه فيه فى أوقات الصلوات.

أجل كانت الحاجة إلى مثل هذا المركز شديدة فلا بد من مكان ليجتمع اعضاء حزب الاسلام (حزب اللّه) كل اسبوع فى يوم معين فيه، و يتشاوروا فى

---

(١) لا بدّ أنك أيها القارئ الكريم تتذكر جيدا أننا قصدنا من السنة الاولى للهجرة الاشهر العشرة المتبقية التى قضى رسول اللّه شهرين منها فى مكة و حطّ فى الباقى من شهرها الثالث (أى ربيع الاول) على أرض يثرب، بناء على هذا تكون السنة الاولى من الهجرة تسعة أشهر فقط، و تبدأ السنة الهجرية الثانية من شهر محرم الحرام (و ليس من اثنى عشر ربيع الاول).

سيد المرسلين ،ج٢،ص:١٠

شئون الاسلام و المسلمين و مصالحهم، و ليجتمع فيه عامة المسلمين مضافا إلى هذا اللقاء الاسبوعىّ مرتين كل عام لأداء صلاة العيد، فكان المسجد الذى بناه كأول عمل قام به بعد قدومه المدينة.

(١) فلم يكن المسجد على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للعبادة فقط بل كانت تلقى فيه كل أنواع العلوم و المعارف الاسلامية الشاملة للأمور التربوية و غيرها.

لقد كان يعلّم فيه كل التعاليم و المواد الدينية و العلمية، حتى الأمور المرتبطة بالقراءة و الكتابة.

و قد بقيت أغلب المساجد على هذا المنوال حتى مطلع القرن الرابع الهجرىّ الاسلامىّ، فقد كانت فى غير أوقات الصلاة تتحول الى مراكز لتدريس العلوم المتنوعة «١».

(٢) و ربما اتخذ مسجد المدينة صورة المركز الأدبىّ، عند ما كان يلقى فيه كبار فصحاء العرب و بلغاؤهم قصائدهم المنسجمة مع التعاليم الاخلاقية و المعايير الاسلامية بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما فعل «كعب بن زهير» إذ ألقى قصيدته المعروفة «بانت سعاد» عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد، و أعطاه النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله صلة جيّدة، و خلع عليه بخلعة عظيمة «٢».

أو كما كان يفعل «حسان بن ثابت» الذى كان يدافع بشعره عن حوزة الاسلام و المسلمين اذ كان يلقى بعض قصائده فى المسجد عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

---

(١) راجع صحيح البخارى: ج ١ كتاب العلم، بل حتى عند فصل المراكز العلمية عن المساجد فى ما بعد، بقيت المدارس تبنى و تشيّد الى جانب المساجد فكان هذا العمل يجسد الصلة الوثيقة بين العلم بالدين.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠٣ قال أنشد كعب بن زهير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد: بانت سعاد.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:١١

(١) و لقد كانت مجالس الدرس و التعليم فى مسجد المدينة على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تتسم بروعة كبيرة بحيث عند ما شاهد وفد ثقيف مشهدا من مشاهدها انبهروا به، و عجبوا بشدة لاهتمام المسلمين بتعلم الاحكام و اكتساب المعارف و العلوم «١».

كما انه كانت تمارس الامور القضائية و الفصل بين الخصومات، و اصدار الحكم على المجرمين فى المسجد، فكان المسجد يومذاك

بمنزلهٔ محکمهٔ (بکل معنی الکلمهٔ) أی أنها تقوم بکل ما تقوم بها المحاکم الیوم.
هذا مضافا إلی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یلقی خطبه الحماسیهٔ و الجهادیهٔ لتعبئهٔ المسلمین من أجل مجاهدهٔ الکفار و المشرکین فی المسجد.
(۲) و لعل من حکمهٔ الاجتماع فی المسجد لاجل تحصیل المعارف و تعلم العلوم هو أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أراد بذلک أن یثبت عملیا أن العلم و الدین توأمان لا ینفکان فکلما کان هناک مرکز للایمان وجب ان یکون محلا للعلم أیضا.
و أما ممارسهٔ القضاء و القیام بالخدمات الاجتماعیهٔ، و اتخاذ القرارات العسکریهٔ فی المسجد فقد کان لأجل أن یعلن للجمیع بأن دینه لیس مجرد أمر معنوی لا- یتصل بالامور الدنیویهٔ و لا تهمه قضایا الحیاهٔ و شئون المعیشهٔ المادیهٔ، بل هو دین شامل کامل لا یحض الناس علی التقوی، و لا یدعوهم إلی الایمان إلّا و یهتم أیضا بشئونهم المعیشیهٔ و إصلاح أوضاعهم الاجتماعیهٔ. فلیس هو بالتالی یهتمّ بجانب و یغفل جانبا، بل هو دین شامل جامع یتکفل الأمور المادیهٔ و المعنویهٔ معا.
(۳) و لقد کان هذا التلاقی و الانسجام (بین العلم و الإیمان) محطّ اهتمام المسلمین و نصب أعینهم دائما حتی بعد ما اتخذت المراکز التعلیمیهٔ و المؤسسات العلمیهٔ البحتهٔ شکلا مستقلا و صار لها محل خاص تدرس فیه، فانهم ظلوا یبنون

---

(۱) تاریخ الخمیس: ج ۲ ص ۱۳۶.
سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲
الجامعات الی جانب الجوامع و یشیّدون المعاهد الی جانب المساجد لیثبتوا للعالم أن هذین الأمرین اللذین یکفلان إسعاد الحیاهٔ و الانسان لا یمکن أن ینفصلا، و یبتعد بعضها عن بعض.
(۱)

مع عمار بن یاسر فی بناء المسجد النبویّ:

لقد ابتاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الارض التی برکت فیها ناقته یوم قدومه المدینهٔ، من أصحابها بعشرهٔ دنانیر لإقامهٔ مسجد فیها.
و اشترک کافهٔ المسلمین فی تهیئهٔ موادّه الانشائیهٔ و بناه، و عمل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نفسه فی تشییدها أیضا. فکان صلّی اللّه علیه و آله ینقل معهم اللبن، و الحجارهٔ، و بینما هو صلّی اللّه علیه و آله ذات مرهٔ ینقل حجرا علی بطنه استقبله «اسید بن حضیر» فقال: یا رسول اللّه اعطنی أحمله عنک.
قال صلّی اللّه علیه و آله: لا، اذهب فاحمل غیره «۱».
و بهذا الاسلوب العملی کشف رسول الاسلام العظیم عن جانب من برنامجه الرفیع، إذ بیّن بعمله أنه رجل عمل و لیس رجل قول، رجل فعل و لیس رجل کلام، و کان لهذا أثره الفعّال فی نفوس أتباعه.
فقد أنشد أحد المسلمین بهذه المناسبهٔ یقول:
لئن قعدنا و النبیّ یعمل‌فذاک منّا العمل المضلّل «۲» (۲) و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یردّد و هو یبنی و یعمل: لا عیش إلّا عیش الآخرهٔ، اللهمّ ارحم الأنصار و المهاجرهٔ.
و قد کان «عثمان بن عفان» ممن یهتمّ بنظافهٔ ثیابه، و یحرص علی أن یمنع عنها الغبار و التراب، فلم یعمل فی بناء المسجد لهذا السبب، فاخذ عمار ینشد أبیاتا تعلّمها من أمیر المؤمنین علیّ علیه السلام، و فیها تعریض بمن لا یعمل و یحرص علی ثیابه أن لا تتسخ بالغبار:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۱۲.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۹۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۳ لا يستوى من يعمر المساجدايدأب فيها قائما و قاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا «۱»

(۱) و قد أغضب مفاد هذه الابيات عثمان بن عفان، فقال لعمار مهدّدا: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، و اللّه إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك أى أضربك بها، و فى يده عصا!!

فلما عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بكلام عثمان غضب و قال:

«ما لهم و لعمّار، يدعوهم إلى الجنّة، و يدعونه إلى النار.

إنّ عمارا جلدة ما بين عينىّ و أنفى ..» «۲».

و كان «عمار» فتى الاسلام القوى، يحمل قدرا كبيرا من اللبن و الاحجار فى بناء المسجد و لا يكتفى بحمل شىء قليل منها.

فكان البعض يستغل طيب قلبه و اخلاصه فيثقله باللبن و الاحجار.

و يروى أن اصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله جعل يحمل كل واحد لبنة لبنة و عمار يحمل لبنتين لبنة عنه و لبنة عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله محبة منه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۳».

(۲) و ذات مرة رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد حمّلوه ثلاث لبن أو احجار ثقيلة فشكا إليه عملهم و قال: يا رسول اللّه قتلونى يحملون علىّ ما لا يحملون فنفض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فرته «۴» و كان رجلا جعدا و هو يقول قولته التاريخية:

«ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، انما تقتلك الفئة الباغية» «۵».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۴۹۶، و تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۴۵ و السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۷۶ و مع ان ابن اسحاق صرّح باسم عثمان بن عفان و لكن ابن هشام الذى لخصّ سيرة ابن اسحاق امتنع عن تسمية عثمان. و قال صاحب المواهب الدنية: المراد فى هذه الابيات عثمان بن مظعون، راجع هامش سيرة ابن هشام أيضا.

(۲) تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۳۴۵.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۷۱، البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۱۷.

(۴) اى شعر راسه.

(۵) المصدران السابقان

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۴

(۱) و قد كان هذا الخبر الغيبى من الدلائل القوية على نبوة الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله و صدق دعواه، و صحة إخباراته، فقد وقع ما أخبره كما أخبر، فقد قتل «عمّار» و هو فى التسعين من عمره فى معركة صفين عند ما كان يقاتل جيش الشام بين يدى على عليه السلام، فقتله أنصار معاوية، و قد أحدث هذا الخبر الغيبى أثرا عجيبا فى حياة المسلمين فقد جعله المسلمون معيارا لمعرفة الحق، أى كانوا يعرفون حقانية أى جهة من الجهات و أى طرف من الأطراف فى الصراعات و النزاعات بانضمام عمّار إليه.

و عند ما قتل عمّار فى ساحة القتال بصفين، دبّ فى أهل الشام اضطراب عجيب.

فالذين كانوا فى شك فى حقانية «علىّ» عليه السلام و موقفه فى هذه الحرب بفعل الدعاية المضادة التى كان يقوم بها معاوية و مساعده عمرو بن العاص ضد الامام قد انتبهوا على خطائهم و عرفوا بمقتل «عمّار» على أيدى أنصار معاوية بأن عليا على حق و أن معاوية و جماعته هى الفئة الباغية التى أخبر عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و من هؤلاء «خزيمـة بن ثابت» الأنصاریّ الـذی خرج مع الإمام علیّ عليه السـلام لقتال معاويـة، و لكنّه كان متردّدا فی مقاتلته، بيد أنه جرد سيفه بعد مقتل «عمّار» على أيدی أهل الشام، و حمل عليهم «۱».

(۲) و منهم «ذو الكلاـع» الحميری الـذی خرج على رأس عشـرين ألف مقاتل و هم تمام رجال قبيلته، مع معاويـة لمحاربـة الامام علیّ عليه السـلام و كان معاوية يعتمد على نصرته اعتمادا كبيرا، حتی أنه لم يقدم على اتخاذ قرار الحرب إلّا بعد أن اطمأنّ الی تأييده له، و مشاركته فی قتال علی عليه السلام.

فقد صدم القائد المخدوع بشدة عند ما سمع بوجود «عمّار» فی معسكر الامام «علی».

---

(۱) المستدرک على الصحيحين: ج ۳ ص ۳۸۵ و وقعة صفين لابن مزاحم.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵

فأراد رجال معاوية أن يموهوا الأمر، و يشوشوه عليه فقالوا: ما لعمار و لصفين؟ فذلک ما يقوله أهل العراق و ما يبالون من الكذب.

(۱) و لكن ذا الكلاع لم يقتنع بهذا فقال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد اللّه أ ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «إن عمارا تقتله الفئة الباغية»؟

فقال عمرو: أجل، و لكن ليس عمار فی رجال علی.

فقال ذو الكلاع: فلا بدّ اذن أن أعرف ذلک بنفسی.

ثم أمر رجالاـ بـأن يتحقّقوا من الأـمر. و فی هـذه اللحظـة الحساسـة ادرک معاويـة و عمرو خطورة الموقف اذ لو تحقق ذو الكلاع من وجود عمّار فی معسكر «علی» أو عرف بمقتله بين يديه عليه السلام إذن لأحدث ذلک شرخا كبيرا و تمزقا فضيعا فی جيش الشام، من هنا تمت تصفية ذو الكلاع فورا اذ قتل بصورة غامضة «۱».

(۲) إن اشتهار هذا الحديث لدى محدثی السنة و الشيعة ليغنينا عن استعراض مصادره، و اسناده.

فقـد روى الامام احمـد بن حنبل أنه لما قتل عمار بن ياسـر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال قتل عمّار و قـد قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: تقتله الفئـة الباغيـة فقـام عمرو بن العـاص فزعـا يرجع (أی يقول: إنـا للّه و إنـا إليه راجعون) حتى دخل على معاويـة، فقال معاويـة: ما شأنک؟ قال: قتل عمّار فقال معاوية: قد قتل عمّار فما ذا؟ قال عمرو: سـمعت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله يقول: تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية: أو نحن قتلناه انما قتله علی و أصحابه جاءوا به حتی القوه بين رماحنا (و سيوفنا) «۲».

(۳) و لكن لا يخفی أن هـذا التأويل الباطل الـذی لجأ إليه ابن أبی سـفيان لتهدئـة جنود الشام، ليس مقبولا عنـد اللّه تعالى قط، كما لا يقبل به أیّ عاقل لبيب.

فإنّ هذا هو الاجتهاد فی مقابلة النص، و هو مما لا قيمة له أبدا، فان هذا

---

(۱) وقعة صفين: ۳۷۷ و ۳۸۷.

(۲) مسند الامام احمد بن حنبل: ج ۴ ص ۱۹۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۶

النوع من الاجتهاد فی مقابلة الآيات و الروايات الصريحة هو الذی سبّب فی أن يعمد فريق من المجرمين و الجناة إلی تبرير جرائمهم و فضائعهم بحجة «الاجتهاد»، و تحت غطائه.

و إليک نموذجا من هذا الأمر:

(۱)

ضئر أرأف من والدة!!

لا يجد المرء عبارة أفضل من هذه تعرّف حقيقة مؤرخ القرن الثامن الهجرى (ابن كثير الشامى مؤلف البداية و النهاية).

فقد انبرى هذا الرجل الى الدفاع عن معاوية فى كتابه اذ قال: لا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم، لأنهم و ان كانوا بغاة فى نفس الأمر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال و ليس كل مجتهد مصيبا، بل المصيب له أجران، و المخطئ له أجر واحد (ثم يقول) و أما قوله: يدعوهم الى الجنة و يدعونه الى النار فان عمّارا و أصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفة و اجتماع الكلمة، و أهل الشام يريدون ان يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، و ان يكون الناس أوزاعا على كل قطر امام برأسه، و هذا يؤدى إلى افتراق الكلمة و اختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم و ناشئ عن مسلكهم و ان كانوا لا يقصدونه!! «۱»

(۲) و نحن لم نجد اسما يناسب هذا العمل إلّا التحريف للحقائق.

فان مؤيدى الفئة الباغية مع كل ما اوتوا من قدرة على إخفاء الحقائق و طمسها لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة، و لكن مؤرخا مثل ابن كثير عمد- رغم ورود هذا الحكم الغيبى فى شأن تلك الفئة- الى تحريف بارد قد غفلت تلك الفئة هى ذاتها عنه!!

(۳) يقول أحمد بن حنبل: دخل رجلان على معاوية يختصمان فى رأس عمّار يقول

---

(۱) البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۱۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۷

كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبد اللّه بن عمرو: ليطيب به أحدكما نفسا لصاحبه فانى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: تقتله الفئة الباغية قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: ان أبى شكانى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: اطع أباك ما دام حيا، و لا تعصه، فأنا معكم و لست اقاتل «۱».

(۱) إن اعتذار «عبد اللّه بن عمرو بن العاص» يشبه تأويل ابن كثير الشامى الذى يقول: إن معاوية قاتل «عليا» فى صفين اجتهادا و ايمانا، و إن أخطأ فى اجتهاده، و ذلك لأن إطاعة الوالد واجبة ما لم تجر الى مخالفة الشرع، فهذا هو القرآن الكريم يقول:

«وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما» «۲».

كما ان الاجتهاد إنما يصح إذا لم يكن فى المقام نصّ صريح، ورد عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، و لهذا كان اجتهاد معاوية و عمرو بن العاص و امثالهما باطلا مرفوضا، لكونه فى مقابلة النصّ النبوىّ.

و لو أننا فتحنا باب الاجتهاد هكذا بدون أية ضوابط لكان جميع المشركين و المنافقين معذورين فى معارضتهم، و محاربتهم لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، كما لا- بدّ- حينئذ- أن نقول: إن يزيد و الحجاج و أشباههما كانوا معذورين فى سيفكهم لدماء الأئمة المعصومين، و الصالحين من المسلمين، بل و مأجورين فى عملهم هذا.

(۲) انتهى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمون من بناء المسجد، و ظل يوسّع فيه كل عام شيئا فشيئا.

و قد بنى الى جانب المسجد صفة ليسكن فيها الفقراء و المهاجرون المحرومون.

و كلّف «عبادة بن الصامت» بأن يعلّمهم الكتابة، و قراءة القرآن.

---

(۱) مسند احمد بن حنبل: ج ۲ ص ۱۶۴ و ۱۶۵.

(۲) العنكبوت: ۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۸

(۱)

التآخی؛ أو أعظم معطیات الایمان:

لقد فتح تمركز المسلمين فی المدینة فصلا جدیدا فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فقـد كان صـلّی اللّه علیه و آله قبل دخوله المدینة لا یهمّه إلّا جذب القلوب و الدعوة إلی دینه، و لكنه الیوم علیه أن یعمل- كصاحب دولة محنّك- علی حفظ كیانه و كیان جماعته، و لا یسمح للأعداء الداخلیین و الخارجیین بالتسلّل و النفوذ فی صفوفهم، و لكنه كان یواجه فی هذا السبیل ثلاث مشاكل كبری:

۱- خطر قریش و عامة الوثنیین فی شبه الجزیرة العربیة.

۲- خطر یهود یثرب الذین كانوا یقطنون داخل أو خارج المدینة و یمتلكون ثروة كبیرة.

۳- الاختلاف الذی كان بین أتباعه من المهاجرین و بین الأوس و الخزرج.

(۲) و حیث إن المهـاجرین و الانصـار قـد نشـئوا فی بیئتین مختلفتین، لهـذا كان من الطبیعی أن یختلفوا فی طریقـة المعاشـرة، و آداب السلوك، و اسلوب التفكیر اختلافا كبیرا.

هـذا مضافا إلی أن الأوس و الخزرج الـذین كانوا یشـكّلون جماعـة الأنصار كانوا هم یعانون من رواسب عـداء قـدیم و بقایا ضـغائن نشأت خلال حروب مویة طویلة استغرقت مائة و عشرین سنة بلا انقطاع.

و مع وجود مثل هذه التناقضات و الأخطار المحتملة لم یكن مواصلة الحیاة الدینیة، و السیاسیة المستقرة أمرا ممكنا قط.

و لكن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تغلّب علی كل هذه المشكلات بطریقة حكیمة، غایة فی الحنكة و الابداع.

فبالنسبة إلی المشكلتین الأولیین فقد عالجهما بالقیام بأعمال سیأتی ذكرها فی المستقبل.

و أما بالنسبة إلی مشكلة التناقضات بین فئات و أصناف جماعته فقد عالج

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۹

تلك المشكلة بحذق كبیر، و تدبیر رائع جدا.

(۱) فقد امر من جانب اللّه تعالی بأن یؤاخی بین المهاجرین و الأنصار.

فجمعهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم و قال لهم:

«تآخوا فی اللّه أخوین أخوین».

و قد ذكرت المصادر التاریخیّة الاسلامیة، مثل «السیرة النبویة» لابن هشام «۱» اسماء كلّ متآخیین من المهاجرین و الأنصار.

و بهذا الاسلوب كرّس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الوحدة السیاسیة و المعنویة بین المسلمین و قوّی اسسها و دعائمها.

و قد سببت هذه الوحدة، و هذا التآخی الواسع فی أن یقرّر حلا للمشكلتین الاولیین بسرعة و سهولة.

(۲)

منقبتان عظیمتان:

و لقـد ذكر أكثر مؤرّخی السـنة و الشـیعة و محدّثیهم فی هذا الموضع منقبتین عظیمتین، نذكرهما نحن هنا أیضا: لقد آخی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بین ثلاثمائة من أصحابه من المهاجرین و الأنصار و هو یقول: یا فلان أنت أخ لفلان.

و لما فرغ من المؤاخاة، قال له علی علیه السلام، و هو یبكی:

«یا رسول اللّه آخیت بین أصحابك و لم تؤاخ بینی و بین أحد»؟

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد أخذ بيده:

«أنت أخى فى الدنيا و الآخرة» «۲».

(۳) و قد ذكر القندوزى الحنفى هذه القضية بنحو أكثر تفصيلا اذ قال:

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى:

«و الذى بعثنى بالحق نبيا ما أخّرتك إلّا لنفسى، فأنت منى بمنزلة هارون من

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۵۰۴- ۵۰۷.

(۲) المستدرك على الصحيحين: ج ۳ ص ۱۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰

موسى إلّا أنه لا نبىّ بعدى، و أنت أخى و وارثى» «۱».

غير ان ابن كثير شكّك فى صحة هذا الرواية «۲»، و حيث إن هذه التشكيك نابع من نفسيّته الخاصة، و لا يقلّ تفاهة و بطلانا من اعتذاره و دفاعه عن معاوية و زمرته الباغية عن قتل الصحابى العظيم عمار بن ياسر لهذا نرجح أن نصرف النظر عن النقاش فيه، و نترك القضاء و الحكم عليه للقارئ المنصف، و المتتبع العدل.

(۱)

منقبة أخرى لعلىّ عليه السلام:

فرغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بناء المسجد، و قد بنيت منازله و منازل أصحابه حول المسجد، و كلّ شرع منه بابا إلى المسجد، و خطّ لحمزة خطا فبنى منزله فيه، و شرع بابه الى المسجد و خط لعلىّ بن أبى طالب مثل ما خط لهم فبنى منزله فيه و شرع بابه إلى المسجد، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الابواب.

و فجأة نزل جبرئيل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال:

«يا محمّد إنّ اللّه يأمرك أن تأمر كلّ من كان له باب إلى المسجد أن يسدّه و لا يكون لأحد باب إلى المسجد إلّا لك و لعلىّ عليه السلام».

(۲) يقول ابن الجوزى: فأوجد هذا الامر ضجة عند البعض، و ظنوا أنّ هذا الاستثناء قد نشأ عن سبب عاطفى، فخطب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الناس و قال فيما قال:

«و اللّه ما أنا أمرت بذلك، و لكنّ اللّه أمر بسدّ أبوابكم و ترك باب علىّ» «۳».

و خلاصة القول أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قضى عن طريق المؤاخاة

---

(۱) ينابيع المودة: ص ۵۶، و نظيره فى السيرة النبوية.

(۲) البداية و النهاية: ج ۲ ص ۲۲۶.

(۳) تذكرة الخواص: ص ۴۶، بتصرف بسيط.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱

الاسلاميّة بين أصحابه من الأنصار و المهاجرين على الاختلافات القديمة التى كانت رواسبها باقية بين المسلمين إلى ذلك اليوم، و بذلك حل مشكلة من المشاكل الثلاث التى مرّ ذكرها.

(۱)

معاهدة الدفاع المشترک بین المسلمین و یهود یثرب:

کانت المشکلة الثانیة التی یواجهها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی المدینة هی مشکلة یهود یثرب الذین کانوا یقطنون المدینة و خارجها و کانوا یمسکون بأزمة التجارة و الاقتصاد فی تلک المنطقة.

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یدرک جیدا أنه ما لم تصلح الأوضاع الداخلیة فی المدینة و ما لم یضمّ الی صفوفه یهود یثرب، و بالتالی ما لم یقم وحدة سیاسیة عریضة فی مرکز حکومته، لم تتهیأ لشجرة الاسلام أن تنمو، و لن یتهیّأ له صلّی اللّه علیه و آله أن یفکر فی أمر الوثنیین و الوثنیة فی شبه الجزیرة العربیّة و لا یستطیع معالجة المشکلة الثالثة أعنی قریش بخاصة.

و بکلمة واحدة ما لم یستتبّ الأمن و الاستقرار فی مقر القیادة لن یمکن الدفاع ضدّ العدوّ الخارجی.

(۲) و لقد قام بین یهود المدینة و المسلمین فی بدایة هجرتهم إلیها نوع من التفاهم لأسباب خاصة، لأنّ کلا الجانبین کانا موحّدین یعبدان اللّه، و یرفضان الأوثان، و کان الیهود یتصوّرون أنهم یستطیعون- إذا اشتد ساعد المسلمین، و قویت شوکتهم- أن یأمنوا حملات المسیحیین الروم، هذا من جانب، و من جانب کان بینهم و بین الأوس و الخزرج علاقات عریقة و مواثیق قدیمة.

من هنا حاول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یکرّس هذا التفاهم، و یبلوره بعقد معاهدة تعایش، و دفاع مشترک بین الأنصار و المهاجرین وقّع علیها یهود المدینة أیضا «۱».

---

(۱) المقصود منهم یهود الأوس و الخزرج، و أما یهود بنی النضیر، و بنی قینقاع، و بنی قریظة فقد عقد

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۲

و قد احترم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک المعاهدة دین الیهود و ثروتهم فی اطار شرائط معیّنة.

(۱) و قد أدرج کتّاب السیرة و المؤرّخون النصّ الکامل لهذه المعاهدة فی کتبهم «۱».

و نظرا لأهمیّتها الخاصّة، و لأنها تعتبر مستندا تاریخیّا حیّا، قویّ الدلالة، و لکونها تکشف عن مدی التزام رسول الاسلام العظیم صلّی اللّه علیه و آله بمبادئ الحریة و النظم و العدالة، و مبلغ مراعاته و احترامه لها فی الحیاة، و لأنها تکشف لنا کیف أنها أوجدت جبهة متحدة قویة فی وجه الحملات الخارجیة نذکر هنا نقاطها الحسّاسة و نسجّلها کواحد من أکبر الانتصارات السیاسیة التی أحرزتها الحکومة الاسلامیة الناشئة فی العالم ذلک الیوم.

(۲)

أعظم معاهدة تاریخیة:

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحیم هذا کتاب من محمّد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بین المؤمنین و المسلمین من قریش و یثرب و من تبعهم، فلحق بهم، و جاهد معهم.

(۳)

«البند الاوّل»

(۴) ۱- إنّهم أمّـة واحـدة من دون النـاس، المهـاجرون من قريش على ربعتهم (أى على الحال التى جاء الاسـلام و هم عليها) يتعاقلون بينهم (أى يدفعون ديـة الدم) و هم يفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف و القسط بين المؤمنين.

(۵) ۲- و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، كلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و هكذا بنو ساعدة و بنو الحارث، و بنو جشم، و بنو النجار، و بنو عمرو بن عوف و بنو النبيت، و بنو الأوس كلّ على ربعتهم

- النبىّ صلّى اللّه عليه و آله معهم معاهدة مستقلة سنذكرها.

(۱) مثل السيرة النبوية: ج ۱ ص ۵۰۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳

(و الحال التى جاء الاسلام و هم عليها من حيث التعاون على الديات الى اولياء المقتول، و دفع الفدية معا لفك الأسير).

(۱) ۳- و إنّ المؤمنين لا يتركون مفرحا (أى مثقلا بالـدين و كثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فـداء أو عقل (أى دفع ديـة او فداء أسير).

(۲) ۴- و إنّ المؤمنين المتقين (يد واحدة) على من بغى منهم، او ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، و أنّ أيديهم عليه جميعا و لو كان ولد احدهم.

(۳) ۵- و أن لا يحالف مؤمن مولى (أى عبد) مؤمن دونه (أى دون إذنه).

(۴) ۶- و أن لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر (أى قصاصا لمقتل كافر على يدى ذلك المؤمن) و لا ينصر كافرا على مؤمن.

(۵) ۷- و انّ ذمة اللّه واحدة (تشـمل جميع المسـلمين بلا استثناء) يجير عليهم أدناهم (فاذا أجار عبد مسلم كافرا قبلت إجارته و احترم أمانه).

(۶) ۸- و إنّ المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

(۷) ۹- و إنّه من تبعنا من يهود فانّ له النصر و الاسوة غير مظلومين، و لا متناصرين عليهم.

(۸) ۱۰- و إنّ سـلم المؤمنين واحـدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل اللّه إلّا على سواء و عـدل بينهم (فلا يجوز لأحـد أن ينفرد بعقد معاهدة صلح مع أحد من غير المسلمين إلّا بموافقة المسلمين).

(۹) ۱۱- و إنّ كلّ غازية غزت معنا يعقّب بعضـها بعضا (أى يتناوب المسـلمون فى المشاركة فى الجهاد)، و انّ المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل اللّه (أى يراق منهم الدم على السواء لا أن يتعرض للقتل بعض دون بعض).

(۱۰) ۱۲- و إنّ المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه.

(۱۱) ۱۳- و أن لا يجير مشرك (من مشركى المدينة) مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن (أى لا يمنعه من مؤمن).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴

(۱) ۱۴- و إنّه من اعتبط مؤمنا (أى قتل من المؤمنين مؤمنا بلا جنايـة منه توجب قتله) قتلا عن بيّنـة فانّه قود به (أى يقتل بقتله قصاصا) إلّا أن يرضى ولىّ المقتول.

و انّ المؤمنين عليه كافّة، و لا يحلّ لهم إلّا قيام عليه.

(۲) ۱۵- و إنّه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هـذه الصـحيفة، و آمن باللّه و اليوم الآخر، أن ينصـر محـدثا (صاحب بدعة) و لا يؤويه و أنه من نصره، و آواه فعليه لعنة اللّه و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل.

(۳) ۱۶- و إنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده إلى اللّه عزّ و جلّ و إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

(۴)

«البند الثانی»

(۵) ۱۷- و إنّ الیهود ینفقون مع المؤمنین ما داموا محاربین (و دفاعا عن المدینة).

(۶) ۱۸- و إنّ یهود بنی عوف أمة من المؤمنین (و بنو عوف قبیلة من قبائل الأنصار) للیهود دینهم و للمسلمین دینه، موالیهم و أنفسهم، إلّا من ظلم و اثم، فانه لا یوتغ (لا یهلک) الّا نفسه و أهل بیته (و السبب فی هذا هو أن أهل بیت الرجل یتبعونه و یؤیّدونه فی فعله غالبا و عادة).

و المراد من هذا الاستثناء هو أن العلاقات و الاتحاد یبقی قائما بین تلک الطائفة من الیهود و بین المسلمین ما دام لم یکن ثمة ظالم و معتد.

(۷) ۱۹- و إنّ لیهود بنی النجار، و بنی الحارث و بنی ساعدة، و بنی جشم، و بنی الأوس و بنی ثعلبة، و بنی الشطیبة مثل ما لیهود بنی عوف، من الحقوق و الامتیازات.

و إن جفنة بطن من ثعلبة (أی تلک القبیلة فرع من هذه)، و انّ لبنی الشطیبة مثل ما لیهود بنی عوف.

(۸) ۲۰- و إنّ البرّ دون الإثم (أی أن یغلب حسناتهم علی سیّئاتهم).

(۹) ۲۱- و إنّ موالی ثعلبة (أی المتحالفین معهم) کأنفسهم.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵

(۱) ۲۲- و إنّ بطانة یهود (أی خاصتهم) کأنفسهم.

(۲) ۲۳- و أنه لا یخرج منهم أحد (من هذه المعاهدة) إلّا باذن محمّد صلّی اللّه علیه و آله.

(۳) ۲۴- و إنّه لا ینحجر علی ثأر جرح (ای لا یضیع دم حتی الجرح)، و ان من فتک (بأحد) فبنفسه فتک، و أهل بیته إلّا من ظلم (أی إلّا إذا کان المفتوک به ظالما).

(۴) ۲۵- و إنّ علی الیهود نفقتهم، و علی المسلمین نفقتهم، و انّ بینهم النصر علی من حارب أهل هذه الصحیفة (أی أن علی کل جماعة من المسلمین و الیهود أن یقوم بنصیبه من نفقات الحرب).

(۵) ۲۶- و إنّ بینهم النصح و النصیحة (أی أن تکون العلاقات علی هذا الاساس) و البر دون الاثم.

(۶) ۲۷- و إنّه لم یأثم امروء بحلیفه (أی لا یحق لأحد أن یظلم حلیفه و أن النصر للمظلوم (لو فعل أحد ذلک).

(۷) ۲۸- و إنّ یثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحیفة (أی أنّ داخل المدینة حرم و مأمن لجمیع من وقّع علی هذه الصحیفة).

(۸) ۲۹- و إنّ الجار (و هو من یدخل فی أمان أحد) کالنفس غیر مضارّ و لا آثم، (فلا یجوز إلحاق ضرر به).

(۹) ۳۰- و إنّه لا تجار حرمة إلّا باذن أهلها.

(۱۰) ۳۱- و إنّه ما کان بین أهل هذه الصحیفة من حدث أو اشتجار یخاف فساده فان مردّه إلی اللّه عزّ و جلّ و إلی محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و إنّ اللّه علی اتّقی ما فی هذه الصحیفة و أبرّه (أی انّه تعالی ناصر و ولی لمن التزم بهذه المعاهدة).

(۱۱) ۳۲- و إنّه لا تجار قریش و لا من نصرها.

(۱۲)

«البند الثالث»

(۱۳) ۳۳- و إن بینهم (أی بین الیهود و المسلمین) النصر علی من دهم یثرب

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۶

(فعليهم معا أن يدافعوا عن المدينة ضدّ المعتدين).

(۱) ۳۴- و اذا دعوا (أى دعى المسلمون اليهود) الى صلح يصالحونه، و يلبسونه، فانهم يصالحونه و يلبسونه.

و إنّهم اذا دعوا (أى اذا دعى اليهود المسلمين) الى مثل ذلك (الصلح) فانه لهم على المؤمنين إلّا من حارب فى الدين.

فعلى اليهود أن يوافقوا على كل صلح يعقده المسلمون مع الأعداء، و هكذا على المسلمين أن يقبلوا بكل صلح يعقده اليهود مع الاعداء إلّا إذا كان ذلک العدوّ ممن يخالف الاسلام و يعاديه و يتآمر عليه.

(۲) ۳۵- و إنّ يهود الأوس مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.

(۳)

«البند الرابع»

(۴) ۳۶- و إنّه لا- يحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم. (فلا- يمكن لأحد أن يتستر وراءه ليتخلّص من العقاب إذا ارتكب خطيئة و جناية).

(۵) ۳۷- و إنّه من خرج (من المدينة) آمن، و من قعد آمن بالمدينة إلّا من ظلم أو أثم.

ثم ختمت هذه المعاهدة بالعبارة التالية:

«و إنّ اللّه جار لمن برّ و اتّقى، و محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» «۱».

إنّ هذه المعاهدة السياسية التاريخية التى أدرجنا هنا أهم مقاطعها تعدّ نموذجا كاملا لرعاية الاسلام، و حرصه على مبدأ حرّية الفكر و الاعتقاد، و مبدا الرفاه الاجتماعى العام، و ضرورة التعاون فى الامور العامة، بل و توضّح هذه المعاهدة- فوق كلّ ذلک- حدود صلاحيّات و اختيارات القائد، و مسئوليّة كلّ الموقّعين عليها، و على أمثالها.

(۶) على أنه و إن لم يشترک يهود «بنى قريظة» و «بنى النضير» و «بنى قينقاع»

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۵۰۳ و ۵۰۴، الاموال: ص ۱۲۵- ۲۰۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۷

فى إبرام هذه المعاهدة و التوقيع عليها، بل شارک فيها يهود الأوس و الخزرج فقط، إلّا أنّ تلک الطوائف اليهودية (الثلاث) قد وقعت فيما بعد مع قائد المسلمين و زعيمهم على معاهدات مماثلة أهم بنودها هى:

أن لا يعينوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لا على أحد من أصحابه بلسان و لا يد و لا بسلاح و لا بكراع (أى الخيل و غيرها من المراكب) فى السر و العلانية لا بليل و لا بنهار، اللّه بذلک عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول اللّه فى حلّ من سفک دمائهم، و سبى ذراريهم، و نسائهم، و أخذ أموالهم.

و قد كتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لكلّ قبيلة منهم كتابا على حدة على هذا الغرار، ثم وقع عليها «حى بن أخطب» عن قبيلة بنى النضير، و «كعب بن أسد» عن بنى قريظة، و «المخيريق» عن قبيلة بنى قينقاع «۱».

و بهذا ساد الأمن يثرب و ضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقة حرما آمنا.

و الآن جاء دور أن يعالج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المشكلة الاولى، يعنى قريش لأنه ما دام هذا العدوّ يعرقل حركة الدعوة، و يقف سدّا أمام تبليغ الاسلام، فلن يوفّق لنشر هذا الدين و تطبيق أحكامه، و تعاليمه المباركة.

(۱)

ممارسات اليهود الإجهاضية:

لقـد تسـبّبت تعاليم الاسـلام الرفيعة و أخلاق الرسول العظيم فى أن يتزايد عدد المنتمين الى الاسـلام يوما بعد يوم، و تزداد بذلك قوّة الاسلام العسكرية و الاقتصادية و السياسية.

و قد أحدث هذا التقدم المتزائد الباهر قلقا و ضجة عجيبة فى الأوساط اليهودية الدينية، لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تقويته و تأييده جرّه إلى صفوفهم، و لم يكونوا يتصوّرون قط أنّ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۱۰ و ۱۱۱. احتفظ فى ذاكرتك أيها القارئ الكريم هذا القسم من المعاهدة الثانية لأن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهدة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸

النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله سيحصل بـذاته على قوة تفوق قوة اليهود و النصارى، من هنا بدءوا بممارسة الأعمال الاجهاضـية مثل طرح الاسـئلة الدينية العويصة على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بغية زعزعة إيمان المسـلمين بنبيّهم، و لكن جميع هذه المخططات باءت بالفشل و لم تترك أى أثر فى صفوف المسلمين المتراصة و ايمانهم العميق برسول الاسلام.

(۱) و قد جاءت بعض هذه المناظرات و المجادلات فى سورة البقرة و سورة النساء.

و يستطيع القارئ العزيز- من خلال قراءة- آيات هاتين السورتين و التمعن فيهما أن يقف على مـدى العناد و اللجاج الـذى كان يبديه اليهود.

فمع أنهم كانوا يتلقون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على أجوبة واضحة لكلّ واحد من اسئلتهم كانوا يتهرّبون من الانضواء تحت راية الاسلام، و يحجمون عن الاعتراف به، و كانوا يقولون فى مقام الردّ على دعوة النبىّ إياهم إلى اعتناق الاسلام:

«قلوبنا غلف».

أى لا نفهم ما تقول!! «۱».

(۲)

اسلام عبد اللّه بن سلام:

هذه المناظرات و المجادلات و ان كانت لا تزيد غالبية اليهود إلّا تعنّتا و عنادا، و لكنها كانت تسبّب أحيانا يقظة البعض و إقبالهم على الاسلام، مثل «عبد اللّه ابن سلام».

فقد أسـلم ابن سـلام الذى كان من علماء اليهود و أحبارهم، برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بعد سلسـلة من المناظرات و المجادلات المطولة «۲».

و لم يمض وقت كبير على اسلام ابن سلام إلّا و التحق به عالم آخر من علماء

---

(۱) و (۲) للوقوف على نص هذه المناظرات راجع السيرة النبوية: ج ۱ ص ۵۳۰- ۵۷۲، بحار الأنوار: ج ۹ ص ۳۰۳ فما بعد.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹

اليهود هو «المخيريق».

(۱) و كان عبد اللّه بن سـلام يعلم بأنه سيذمّه قومه من اليهود اذا عرفوا باسـلامه و ترك دينهم، من هنا طلب من رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن يكتم عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولا على اعتراف من قومه بعلمه و تقواه، و بمعرفته و صلاحه قائلا: «يا رسول اللّه

إن یهود قوم بهت، و أنی أحبّ أن تـدخلنی فی بعض بیوتـک، و تغیّبنی عنهم ثم تسألهم عنّی حتی یخبروک کیف أنـا فیهم قبـل أن یعلموا بإسلامی فإنهم إن علموا به بهتونی و عابونی».

فأدخله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی بعض بیوته و أخفاه عن الانظار ثم قال للیهود الداخلین علیه:

«أیّ رجل الحصین بن سلام فیکم؟».

قـالوا: سیدنا و ابن سیدنا، و حبرنا و عالمنا، فخرج علیهم «عبـد اللّه بن سـلام» من مخبأه و قال لهم: یا معشـر یهود اتّقوا اللّه و اقبلوا ما جاءکم به، فو اللّه إنّکم لتعلمون أنه لرسول اللّه تجدونه مکتوبا عندکم فی التوراة باسـمه و صـفته، فانی أشهد أنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أؤمن به و اصدّقه و أعرفه.

فغضب الیهود من مقالته، و قالوا له: کذبت و وقعوا فیه، و عابوه، و بهتوه «۱».

(۲)

خطة أخری للقضاء علی الحکومة الاسلامیة:

لم تضـعف مجادلات الیهود و اسئلتهم العویصة عقیدة المسلمین و ایمانهم برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فحسب، بل تسبّبت فی أن تتضح مکانته العلمیة، و قیمة معارفه الغیبیة للجمیع أکثر من ذی قبل.

ففی ظلّ هذه المجادلات و المحاورات رغب جماعات کبیرة من الوثنیین و الیهود فی الاسلام فآمنوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و صدّقوه.

من هنا دبّر الیهود مؤامرة أخری و هی التذرّع باسلوب «فرّق تسد»، لالقاء

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۵۱۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۰

الفرقة فی صفوف المسلمین.

(۱) فقـد رأی دهاة الیهود و ساسـتهم أن یسـتغلّوا رواسب الاختلافات، و یؤججوا نیران العـداء القـدیم بین الأوس و الخزرج الذی زال بفضل الاسـلام، و بفضل ما أرساه من قواعـد الاخوة و المساواة و المواساة و المحبـة، بعد أن کانت مشـتعلة طوال مائة و عشـرین عاما متوالیـة، لیستطیعوا بهذه الطریقة تمزیق صـفوف المسـلمین بإثارة الحروب الداخلیة بینهم، و التی من شأنها ابتلاع الاخضـر و الیابس و القضاء علی الجمیع دون ما استثناء.

(۲) ففیما کان نفر من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من الأوس و الخزرج فی مجلس قد جمعهم، یتحدثون فیه إذ مرّ علیهم «شـاس بن قیس» و هو یهودی شدیـد العـداء للإسـلام، عظیم الکفر، شدیـد الضـغن علی المسـلمین، فغـاظه مـا رأی من الفـة الأوس و الخزرج، و اجتماعهم و توادهم، و صـلاح ذات بینهم علی الاسلام بعد الذی کان بینهم من العداوة الطویلة فی الجاهلیة، فأمر فتی من یهود کان معهم فقال له: اعمد إلیهم فاجلس معهم، ثم اذکر یوم بعاث «۱» و ما کان قبله و أنشدهـم بعض ما کانوا تقاولوا و تبادلوا فیه من الاشعار!! ایقاعا بین هاتین الطائفتین من الأنصار، و إثارة لنیران الاحقاد الدفینة، و العداوات الغابرة.

(۳) ففعـل ذلـک الغلاـم الیهودی مـا أمره به «شـاس» فتکلم القوم عنـد ذلک، و تنازعوا، و تفاخروا، و تواثب رجلان من القبیلتین علی الرکب و أخـذ کل منهما یهدّد الآخر، و تفاقم النزاع، و غضب الفریقان و تصایحا، و قاما إلی السـلاح و کاد أن یقع قتال و دم بعد أن ارتفعت النداءات القبلیة بالاستغاثة و الاستنجاد علی عادة الجاهلیة فبلغ ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و عرف بمکیدة الیهود، و مؤامرتهم الخبیثة هذه، فخرج الی تلک الجماعة المتصایحة من الأوس و الخزرج فی جمع من أصحابه المهاجرین فقال:

(۱) قد مرّ ذکر هذه الوقعة و قلنا: هو یوم اقتتلت فیه الأوس و الخزرج و کان الظفر یومئذ للأوس علی الخزرج.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۱

«یا معشـر المسلمین، اللّه اللّه أ بدعوی الجاهلیة و أنا بین أظهرکم بعد أن هداکم للإسلام، و أکرمکم به، و قطع به عنکم أمر الجاهلیّة، و استنقذکم به من الکفر، و ألّف بین قلوبکم؟؟».

فعرف القوم أنها مؤامرة مبیّتـة من الیهود اعداء الاسـلام و المسـلمین، و کید خبیث منهم، فندموا علی ما حدث، و بکوا و عانق الرجال من الأوس و الخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سامعین مطیعین، و أطفأ اللّه عنهم کید أعدائهم «۱».

(۱) إلّا أن مؤامرات الیهود لم تتوقف عنـد هـذا الحـدّ، و لم تنته بهـذا، فقد اتسـعت دائرة خیانتهم و جنایتهم، و نقضـهم للعهد و أقاموا علاقات سـریة و خاصة مع مشرکی الأوس و الخزرج، و مع المنافقین و المترددین فی اسلامهم و اعتقادهم، و اشترکوا بصورة صریحة فی اعتـداءات قریش علی المسـلمین، و فی الحروب التی وقعت بین الطرفین، و کانوا یقـدّمون کل ما أمکنهم من الـدعم و المساعـدة للوثنیین، و یعملون لصالحهم!!

و قـد جرت هذه النشاطات السـرّیة و العلنیة المضادّة المعادیة للاسـلام و المسـلمین، و هذا التعاون المشؤوم مع مشـرکی قریش، جرت إلی وقوع مصادمات و حروب دامیة بین المسلمین و الطوائف الیهودیة أدت فی المآل إلی القضاء علی الوجود الیهودی فی المدینة.

(۲) و سـیأتی ذکر هـذه الحوادث فی وقائع السـنة الثالثـة و الرابعة من الهجرة، و سـیتضح هناک کیف أن الجماعة الیهودیة ردت علی الجمیل الـذی تعکسه کلتا المعاهـدتین من أولهما الی آخرهما، بنقض العهـد، و معاداة الاسـلام و المسـلمین، و التآمر ضـدّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خاصّة، و بنصرة أعدائه، و دعم خصومه، الأمر الذی أجبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی تجاهل تلک المعاهدات الودیة و الانسانیة و من ثم محاربتهم، و إخراجهم من المدینة و ما حولها و القضاء علی

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۵۵۵- ۵۵۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۲

ما تبقی من کیاناتهم الشریرة.

لقد أقام رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی المدینة من ربیع الأول من السـنة الأولی للهجرة إلی شـهر صـفر من السـنة الثانیة حتی بنی المسـجد و البیوت و المنازل المحیطة بها، و قد أسـلم فی هذه الفترة کل من تبقی من الأوس و الخزرج، و لم یبق دار من دور الانصار إلّا أسلم أهلها، ما عدا بعض العوائل و الفروع ممن بقوا علی شرکهم، و لکنهم أسلموا بعد معرکة بدر «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۵۰۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳

(۱)

حوادث السنة الثانیة من الهجرة

اشارة

مناورات عسكرية و استعراضات حربية

اشارة

الهدف من هذا الفصل هو شرح و بيان الأسرار الكامنة وراء سلسلة الاستعراضات الحربية، و المناورات العسكرية، التى قام و أمر بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فقد بدأت هذه المناورات منذ الشهر الثامن من الهجرة و استمرت حتى شهر رمضان من السنة الثانية، و تعد فى الحقيقة أول مناورات عسكرية، و عروض حربيّة قام بها المسلمون.

إن التفسير الصحيح لهذه الوقائع، و بيان رموزها و أسرارها انما يتيسّر اذا طالعنا نص ما كتب حول هذه الوقائع فى المصادر التاريخية من دون زيادة أو نقصان ثم نعرض على القارئ الكريم رأى المحققين من المؤرخين فيها.

و إليك فيما يأتى خلاصة هذه الحوادث:

(۲) ۱- لم يكن يمض على إقامة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المدينة أكثر من ثمانية أشهر عند ما عقد النبىّ أوّل لواء لقائد عسكرىّ شجاع هو «حمزة بن عبد المطلب» و قد أمّره على ثلاثين رجلا من المهاجرين بعثهم الى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجارية التى تمر فيها قافلة قريش التجارية، فالتقوا قافلة قريش فى «العيص» فيها أبو جهل فى ثلاثمائة رجل من أهل مكة، فاصطفّوا

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۴

للقتال، و لكنهما تفرقا و لم يقع قتال لوساطة قام بها «مجدىّ بن عمرو» الذى كان حليفا للفريقين، فانصرف حمزة راجعا الى المدينة، و توجّه أبو جهل فى غيره و أصحابه إلى مكة «۱».

(۱)

تهديد خطوط قريش التجارية

غزوة بدر:

انقضت السنة الاولى من الهجرة بكل حوادثها الحلوة و المرة، و المسرّة و المحزنة، و دخل النبىّ و أصحابه العام الثانى من الهجرة.

و السنة الثانية من الهجرة تتضمن حوادث عظيمة و باهرة، و من أبرزها حادثتان تحظيان بمزيد من الاهمية احداهما: تغيير القبلة و الأخرى وقعة بدر الكبرى.

و لكى تتضح أسباب و علل معركة بدر نذكر سلسلة من الوقائع التى وقعت قبلها، اذ بتحليلها و دراستها تتضح أسباب معركة بدر.

لقد كان من بين الحوادث التى وقعت فى أواخر السنة الاولى و بدايات السنة الثانية من الهجرة: بعث «الدوريات العسكرية» الى خطوط قريش التجارية «۲» و الآن يجب أن نرى ما هو هدف الحكومة الاسلامية من هذه البعوث

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۲۲ فما بعد، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۸۶- ۱۹۰، امتاع الاسماع: ص ۵۱، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۷۷ و ۷۸ و المغازى للواقدى: ج ۱ ص ۹- ۱۹.

(۲) لقد بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دوريات عسكرية عديدة إلى ضواحى المدينة و أطرافها لتهديد قوافل قريش التجارية.

و قد كان ينبغى- طبقا للترتيب الموضوعى و التسلسل التاريخى- أن نذكر بعض السرايا مثل سرية حمزة و سرية عبيدة بن الحارث فى

فصل وقائع السنة الاولى للهجرة، بيد أنه لوجود مناسبة بينها و بين حوادث السنة الثانية ذكرناها فى أحداث السنة الثانية.

هذا مضافا الى أن ابن هشام- تبعا لابن إسحاق- يرى وقوع هذه الحوادث فى السنة الثانية من الهجرة و ان كان الواقدى يعتبر بعضها من حوادث السنة الاولى.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۵

العسكرية.

(۱) هناك مصطلحان رائجان فى كتابات المؤرخين و كتّاب السيرة أكثر من أى مصطلح آخر و هما لفظة: «الغزوة» و «السرّيّة» «۱».

و المقصود من «الغزوة» تلك العمليات العسكرية التى كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يشارك فيها بنفسه، و يتولى قيادتها بشخصه.

على حين يكون المقصود من «السريّة» إرسال مجموعات عسكرية و فرق و كتائب نظاميّة لا يشترك فيها رسول اللّه بنفسه بل يؤمّر عليها أحد قادته العسكريّين و يوجّهها إلى الوجهة التى يريدها.

و قد احصيت غزوات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فكانت (۲۷) أو (۲۶) غزوة.

و يعود الاختلاف فى العدد الى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة «خيبر» و غزوة «وادى القرى» اللتين حدثتا تباعا و من دون فاصلة غزوتين و البعض الآخر عدّهما غزوة واحدة «۲».

(۲) و قد وقع نظير هذا الخلاف فى تعداد سرايا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أيضا فأحصى المؤرخون (۳۵)، (۳۶)، (۴۸)، و حتى (۶۶) سرية.

و يعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يحسب لها حساب لقلّة أفرادها، و لهذا حدث هذا الاختلاف فى العدد.

من هنا كلّما ذكرنا لفظ السرّية قصدنا منه ما لم يشارك فيه النبىّ، و كلما ذكرنا لفظ الغزوة قصدنا منه ما شارك فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بنفسه.

و قد أحجمنا عن ذكر السرايا إلّا سرايا السنوات الاولى من الهجرة لأن فى بيان هذه الطائفة من السرايا أثرا مهما فى تفسير بعض الغزوات مثل غزوة «بدر».

و إليك بيان هذه السرايا و الغزوات و شرح تفاصيلها.

---

(۱) راجع المحبّر: ص ۱۱۰- ۱۱۶.

(۲) مروج الذهب: ج ۲ ص ۲۸۷ و ۲۸۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۶

(۱) ۲- فى نفس الوقت الذى بعث فيه رسول اللّه سريّة حمزة، عقد لواء آخر لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، و بعثه فى ستين راكبا من المهاجرين بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل «ثنية المرة» «۱».

فلقى بها جمعا عظيما من قريش يبلغ مائتين بقيادة أبى سفيان، و لكن لم يكن بينهم قتال إلّا أن «سعد بن أبى وقاص» رمى يومئذ بسهم، كما أنه التحق رجلان مسلمان كانا فى صفوف أبى سفيان بالمسلمين و قد خرجا مع الكفار و جعلا ذلك وسيلة للوصول الى المسلمين و الالتحاق بهم «۲».

(۲) ۳- بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى شهر ذى القعدة فى السنة الاولى من الهجرة سريّة اخرى بقيادة «سعد بن أبى وقاص» على رأس ثمانية أشخاص آخرين من المهاجرين للتحقيق فى تنقلات قريش و رصد تحرّكاتها خارج المدينة، فخرجوا حتى بلغوا منطقة «الخرّار» و لكنهم لم يجدوا أحدا فعادوا إلى المدينة «۳».

(۳)

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یلاحق قریشا بنفسه:

(۴) ۴- فی شـهر صـفر من السـنهٔ الثانیهٔ للهجرهٔ اسـتعمل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی المدینهٔ «سعد بن عبادهٔ» و أناط إلیه ادارهٔ امورها الدینیهٔ و خرج بنفسه مع جماعهٔ من المهاجرین و الأنصار، لملاحقهٔ رکب قریش التجاری و اعتراضه، و عقد معاهدهٔ موادعهٔ مع «بنی ضمرهٔ» حتی بلغ الابواء، و لکنه لم یلق أحدا من قریش، فرجع صلّی اللّه علیه و آله هو و من معه إلی المدینهٔ «۴».

(۵) ۵- و فی شـهر ربیع الأـول من السـنهٔ الثانیـهٔ للهجرهٔ اسـتعمل صـلّی اللّه علیه و آله مرهٔ اخری علی المدینـهٔ: «السائب بن عثمان» أو «سعد بن معاذ» و خرج نحو علی رأس مائتین من الرجال یرید قریشا حتی بلغ بواط (و هو جبل من جبال

---

(۱) المحبر: ص ۱۱۶.

(۲) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۵۹۱.

(۳) المحبر: ص ۱۱۶.

(۴) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۶۳ نقلا عن ابن اسحاق.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۷

بقرب ینبع علی بعد ۹۰ کیلومترا من المدینـهٔ تقریبا) و لکنه لم یظفر بقافلـهٔ قریش التی کان یقودها «أمیّـهٔ بن خلف» و علی رأس مائهٔ رجل من قریش، فرجع الی المدینهٔ.

(۱) ۶- و فی منتصف شـهر جمادی الاولی من السنهٔ الثانیهٔ للهجرهٔ جاء الخبر أن قافلهٔ قریش التجاریهٔ تخرج من مکهٔ بقیادهٔ أبی سفیان تریـد الشـام للتجـارهٔ، و قـد جمعت قریش کـل أموالها فی تلک القافلـهٔ، فخرج رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی جمع من أصـحابه لاعتراضـها حتی بلغ «ذات العشـیرهٔ» و قد اسـتعمل علی مکهٔ هذه المرّهٔ «أبا سـلمهٔ بن عبد الأسد»، و بقی صـلّی اللّه علیه و آله فی ذات العشـیرهٔ إلی أوائل شـهر جمادی الآخرهٔ ینتظر قافلـهٔ قریش، و لکنه لم یظفر بها، ثم وادع فیها بنی مدلـج و عقـد معاهـدهٔ عـدم اعتـداء ذکرتها المصادر التاریخیهٔ بالنص «۱». سید المرسلین ج۲ ۳۷ النبی صلی الله علیه و آله یلاحق قریشا بنفسه: ..... ص : ۳۶

قال ابن الأثیر: فی هذه الغزوهٔ (و المکان) نزل رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و جماعته فی بواط عند عین فنام علی و عمّار فوجدهما رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله نـائمین فی رقعـاء من التراب فایقظهمـا، و حرّک علیّا فقال: قم یا أبا تراب أ لا اخبرک باشـقی الناس: أحیمر ثمود عاقر الناقهٔ، و الذی یضربک علی هذه [یعنی قرنه] فیخضّب هذه منها [یعنی لحیته] «۲».

(۲) ۷- بعد أن رجع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی المدینهٔ بعد الیأس من قافلهٔ قریش لم یقم بالمدینهٔ الّا لیالی قلائل لا تبلغ العشر حتی هاجم «کرز بن جابر الفهری» علی ابل أهل المدینهٔ و مواشیهم التی کانت قد سرحت للرعی بالغداهٔ.

فخرج رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی طلبه و قـد اسـتعمل علی المدینـهٔ زیـد بن حارثهٔ حتی بلغ وادیا من ناحیهٔ بدر وفاته کرز بن جابر فلم یدرکه ثم رجع صلّی اللّه علیه و آله و من معه الی المدینهٔ فأقام بها بقیهٔ جمادی الآخرهٔ و رجبا

---

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۵۹۸، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۳۶۳.

(۲) الکامل: ج ۲ ص ۱۱۲ و المستدرک علی الصحیحین: ج ۳ ص ۱۴۰ و ۱۴۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۸

و شعبان «۱».

(۱) ۸- و فی شهر رجب من السنة الثانیة للهجرة بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «عبد اللّه بن جحش» علی رأس ثمانیة رجال من المهاجرین لملاحقة قافلة قریش التجاریة، و قد کتب له کتابا بالمهمة الّتی یجب ان ینفّذها، و أمره أن لا ینظر فیه قائلا له:

«قد استعملتک علی هؤلاء النفر فامض حتّی إذا سرت لیلتین فانشر (إی افتح) کتابی ثم امض (ای نفّذ) لما فیه».

ثم عیّن له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الوجهة التی یجب أن یتوجّه إلیها.

فانطلق عبد اللّه و رفقاؤه و ساروا یومین کاملین کما أمرهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم فتح عبد اللّه کتاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قرأ ما فیه، فاذا فیه:

«إذا نظرت فی کتابی هذا فامض حتّی تنزل نخلة بین مکّة و الطائف علی اسم اللّه و برکته فترصّد بها قریشا، و تعلّم (أی حصّل) لنا من أخبارهم و لا تکرهنّ أحدا من أصحابک «۲» و امض لأمری فیمن تبعک».

فلما قرأ الکتاب قال لاصحابه: قد أمرنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن امضی إلی نخلة أرصد بها قافلة قریش حتّی آتیه منهم بخبر، و قد نهانی أن استکره أحدا منکم، فمن کان منکم یرید الشهادة و یرغب فیها فلینطلق، و من کره ذلک فلیرجع فأمّا أنا فماض لأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و من أراد الرجعة فمن الآن.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۰۱، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۹، و قد عدّ بعض المؤرخین هذه الحادثة ضمن الغزوة التی عرفت فی التاریخ باسم غزوة صفوان أو غزوة بدر الاولی.

(۲) یقال إنه کان الجنود- الی حین الحرب العالمیة الثانیة- إذا انتهوا من خدمتهم العسکریة تسلّم إلیهم مع وثیقة الانتهاء من الخدمة العسکریة رسالة مغلقة مختومة یؤمر الجندی فیها بالمحافظة علیها کأمانة عسکریة لا یجوز له فتحها إلّا عند حالات النفیر العام، و العمل بمضمونها و قد سبق النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلی هذا التکتیک العسکریّ فی أعماله النظامیة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹

(۱) فقال أصحابه اجمعون: نحن سامعون مطیعون للّه و لرسوله و لک فسر علی برکة اللّه حیث شئت، فسار هو و من معه لم یتخلّف منهم أحد حتی جاء نخلة فوجد قافلة لقریش یرأسها «عمرو بن الحضرمی» و هی عائدة من الطائف الی مکة، فنزل المسلمون بالقرب منهم، و لکی لا- یکتشفهم العدوّ، و لا یعرف بأمرهم و مهمّتهم حلقوا رءوسهم لیتصوّر العدو أنهم عمّار یعتزمون الذهاب الی مکة للعمرة

فلما رآهم رجال قریش علی هذه الحال اطمأنوا و أمنوا جانبهم و قالوا: عمّار لا بأس علیکم منهم.

(۲) ثم تشاور المسلمون فیما بینهم فی جلسة عسکریة للنظر فیما یجب عمله فتبین لهم: أنهم إذا ترکوا القوم (أی قریشا) فی تلک اللیلة (و کانت آخر لیلة من شهر رجب) لدخلوا الحرم، و لم یمکن قتالهم فیه، و ان خرج الشهر الحرام.

فأجمعوا علی قتل من قدروا علیه منهم، و أخذ ما معهم، من هنا باغتوا تلک القافلة، و رمی «واقد بن عبد اللّه» قائدها «عمرو بن الحضرمی» بسهم فقتله، و فرّ رجاله إلّا نفرین هما: «عثمان بن عبد اللّه» و «الحکم بن کیسان» حیث أسرهما المسلمون، و عاد عبد اللّه بن جحش و أصحابه بالقافلة مع ما فیها من أموال قریش و الاسیرین إلی المدینة.

(۳) و لما قدموا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینة و أخبروه بأنهم قاتلوا القوم فی الشهر الحرام (رجب) انزعج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من تصرف قائد المجموعة و عدم استفساره لما یجب أن یفعله بشدّة و قال:

«ما أمرتکم بقتال فی الشهر الحرام».

و قد استخدمت قریش هذه القضیة کسلاح دعائیّ ضدّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اشاعت بأنّ «محمّدا» و أصحابه قد استحلّوا

الشهر الحرام و سفكوا فيه الدم و أخذوا الاموال كما أنه تشاءم اليهود بهذه القضية و أرادوا أن يثيروا فتنة، و عاب المسلمون على «عبد اللّه بن جحش و أصحابه» فعلتهم هذه. هذا من جانب و من جانب آخر وقّف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الاموال و الأسيرين

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۰

و ابى أن يأخذ من كل ذلك شيئا و بقى ينتظر الوحى.

(۱) و فجأة نزل جبرئيل بهذه الآية:

«يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» «۱».

أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام، فقد صدّوكم عن سبيل اللّه مع الكفر به و صدّكم عن المسجد الحرام، و اخراجكم منه و أنتم اهله أكبر عنـد اللّه من قتل من قتل منهم «و الفتنة أكبر من القتل» أى ما كانوا يرتكبونه من فتنة المسـلم فى دينه حتّى يردّونه الى الكفر بعد إيمانه أكبر عند اللّه من القتل.

(۲) و لما نزل القرآن بهذا الأمر، و فرّج اللّه تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف و الحيرة قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأموال، و الأسيرين و قسمها بين المسلمين، و كانت أول غنيمة غنمها المسلمون.

و بعثت قريش الى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى فداء أصحابهم فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

«لن نفديهما حتّى يقدم صاحبانا».

يعنى رجلين من المسـلمين كانا قـد اسـرا من قبل قريش، قـد اشتركا فى هـذه العمليّة و لكنهما أضـلا طريقهما فى الصـحراء فأسـرتهما رجال من قريش.

و هكذا أبى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن يطلق سـراح أسـيرى قريش لقاء فدية إلّا إذا أطلق المشـركون أسـيرى المسـلمين. قائلا لموفدى قريش:

«إنّى أخاف على صاحبىّ فإن قتلتم صاحبىّ قتلت صاحبيكم».

فاضـطرت قريش إلى الاـفراج عن المسـلمين الأسـيرين، و مع وصولهما الى المدينـة أفرج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عن أسـيرى قريش.

و من حسن الحظ أنّ إحدى ذينك الأسيرين أسلم و رجع الآخر إلى مكة «۲».

---

(۱) البقرة: ۲۱۷.

(۲) المغازى: ج ۱ ص ۱۳- ۱۸، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۰۳- ۶۰۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱

(۱)

ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟

لقد كان الهدف الاساسى من بعث و توجيه السـرايا، و عقد الاتفاقيات و المعاهدات العسـكرية مع القبائل القاطنة على خطوط التجارة المكيـة هو ايقاف قريش على قوة المسـلمين العسـكرية، و اشـتداد ساعـدهم، و خاصة عند ما كان النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله يشترك بنفسه فى العمليات، و يترصّد مع مجموعات كبيرة من أنصاره تحركات قريش الاقتصادية، و يعترض قوافلها التجارية.

لقد كان رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله يريد بذلك إفهام حكومة مكة الوثنية بأن جميع طرق التجارة المكية هى فى متناول يده،

و أنه يستطيع- متى شاء- أن يشلّ اقتصاد المكيين بتعريض خطوطهم و طرقهم التجارية، للتهديد الجدّى.

(۲) و لقد كانت التجارة أمرا حيويّا و حساسا جدا بالنسبة إلى أهل مكة، و كانت البضائع التى تنقل منها إلى الطائف و الشام تشكّل اساس الاقتصاد المكّى، فاذا كانت هذه الخطوط تتعرض للتهديد من قبل العدوّ و حلفائه مثل «بنى ضمرة» و «بنى مدلج» فان ذلك كان يعنى انهدام و انهيار حياتهم.

لقد كان الهدف من بعث تلك الدّوريات العسكرية هو: أن تعرف قريش بأن طريق تجارتها الرئيسية هى الآن تحت رحمة المسلمين، فاذا استمرّوا فى معاداتهم للاسلام و للمسلمين و حالوا دون انتشار الاسلام، و الدعوة إليه، و استمروا فى ايذاء من تبقّى من المسلمين المستضعفين و العجزة فى مكة و اضطهادهم، قطع المسلمون شريان اقتصادهم.

(۳) و الخلاصة أنّ الهدف كان هو أن تعيد قريش النظر فى مواقفها فى ضوء الحالة الجديدة، و التهديد العسكرىّ الاسلامى الجدّى، و تترك للمسلمين الحرية فى الدّعوة إلى عقيدتهم، و تفتح الطريق لزيارة بيت اللّه الحرام، و نشر التوحيد ليستطيع الاسلام بمنطقه القوىّ، و المحكم أن ينفذ فى القلوب، و يتجلّى نور الاسلام و يشعّ على جميع نقاط شبه الجزيرة العربية، و ربوعها، و بخاصة منطقة

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۲

الحجاز مركز الجزيرة، و قلبها النابض.

(۱) فان المتكلم مهما كان قوىّ المنطق، سديد البرهان و أنّ المربّى و المرشد مهما كان مخلصا مجدا فانّه لا يستطيع أن يحرز اى نجاح فى تنوير العقول، و تهذيب النفوس و بث الفكر الصحيح إذا لم تتوفّر له حرية العمل، و لم تتهيأ له البيئة المطمئنّة و أجواء الحرّية و الديمقراطية.

و لقد كان الاضطهاد و الكبت و سلب الحريات التى كانت تمارسها قريش هى الموانع الكبرى أمام تقدّم الاسلام و سرعة انتشاره و نفوذه، و كان الطريق الى كسر هذا السدّ، و إزالة هذا المانع ينحصر فى تهديد اقتصادها و تعريض خطوطها التجارية، للخطر، و كانت هذه الخطة تتحقق فقط عن طريق القيام بتلك المناورات العسكرية و الاستعراضات الحربية، و العمليات الاعتراضية.

(۲)

نظرية المستشرقين:

و لقد وقع المستشرقون عند تحليلهم لهذه العمليّات فى خطأ كبير، و تفوّهوا نتيجة ذلك بكلام يخالف القرائن و الشواهد الموجودة فى التاريخ.

فهم يقولون: لقد كان هدف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من مصادرة أموال قريش، و السيطرة عليها هو تقوية نفسه.

فى حين أنّ هذا الرأى لا يلائم نفسيّة أهل يثرب لأنّ الغارة، و قطع الطريق، و استلاب الأموال، من شيم الاعراب أهل البوادى، البعيدين عن روح الحضارة، و قيم المدنية و أخلاقها، بينما كان مسلمو يثرب عامة، أهل زرع، و فلاحة، و لم يعهد منهم أن قطعوا الطرق على القوافل، أو سلبوا أموال القبائل التى كانت تعيش خارج حدودها.

و أما حروب الأوس و الخزرج فقد كان لها أسباب و علل محليّة، و قد كان اليهود هم الذين يؤججون نيرانها، بغية إضعاف القوى و الصفوف العربية و تقويه نفسها و موقعها.

(۳) و من جانب آخر لم يكن المسلمون المهاجرون الذين كانوا حول الرسول

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۳

صلّى اللّه عليه و آله ينوون ملافاة ما خسروه، رغم أنّ ثرواتهم و ممتلكاتهم كانت قد صودرت من قبل المكيين، و يدل على ذلك أنهم لم يتعرضوا بعد معركة «بدر» لأيّة قافلة تجارية لقريش.

كيف لا ـ و قد كان الهدف وراء أكثر هذه البعوث و الارساليات العسكرية هو تحصيل و جمع المعلومات، عن العدوّ و تحركاته و خططه، و المجموعات التى لم يكن يتجاوز عدد أفرادها غالبا الثمانية أو الستين أو الثمانين رجلا لا يمكنها قطع الطريق، و استلاب الاموال، و مصادرة القوافل التجارية الكبرى التى كان يقوم بحراستها رجال أكثر عددا و أقوى عدّة من تلك السرايا، بأضعاف المرات غالبا.

(۱) فاذا كان الهدف هو الحصول على المال و الثروة من هذا الطريق فلما ذا خصّت قريش بذلك، و لم يعترض المسلمون تجارة غيرهم من القبائل المشركة؟

و لما ذا لم يمس المسلمون شيئا من أموال غير قريش.

و اذا كان الهدف هو الغارة، و قطع الطريق و استلاب الأموال، فلما ذا كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يبعث المهاجرين فقط، و لا يستعين بأحد من الأنصار فى هذا المجال غالبا؟

و ربما قال هؤلاء المستشرقون: ان المقصود من هذه العمليات الاعتراضية كان هو الانتقام من قريش، لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه تعرّضوا على أيدى المكيين لألوان التعذيب و الاضطهاد و الأذى، فدفعتهم غريزة الانتقام و الثأر- بعد أن حصلوا على القوة- الى تجريد سيوفهم، للانتقام من الذين طالما اضطهدوهم، و ليسفكوا منهم دما!!

(۲) و لكن هذا الرأى لا يقل فى الضعف و الوهن و السخافة عن سابقه، لأنّ الشواهد و القرائن التاريخية الحيّة العديدة، تكذّبه و تفنّده، و توضّح- بجلاء- أن الهدف من بعث تلك السرايا و الدوريات العسكرية لم يكن أبدا القتال و الحرب، و الانتقام و سفك الدماء.

و إليك ما يدلّ على بطلان هذه النظرية:

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۴

(۱) أوّلا: اذا كان هدف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله من بعث تلك المجموعات العسكرية هو القتال و استلاب الاموال و اخذ المغانم، وجب أن يزيد فى عدد أفراد تلك المجموعات، و يبعث كتائب- عسكرية مسلّحة، و مجهزة تجهيزا قويا، إلى سيف البحر، و شواطئه على حين نجد أنه صلّى اللّه عليه و آله بعث مع «حمزة بن أبى طالب» ثلاثين شخصا، و مع «عبيدة بن الحارث» ستين شخصا، و مع «سعد بن أبى وقاص» أفرادا معدودين لا يتجاوزون العشرة، بينما كانت قريش قد أناطت حراسة قوافلها إلى أعداد كبيرة جدا من الفرسان، تفوق عدد أفراد المجموعات العسكرية الاسلامية.

فقد واجه «حمزة» ثلاثمائة، و عبيدة مائتين رجلا من قريش، و قد ضاعفت قريش من عدد المحافظين و الحرس على قوافلها خاصة بعد أن عرفت بالمعاهدات و التحالفات التى عقدها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع القبائل القاطنة على الشريط التجارىّ؟!

هذا مضافا إلى أنّه لو كان قادة هذه البعوث و الدوريات مكلّفين بمقاتلة العدوّ فلما ذا لم يسفك من أحد قطرة دم فى أكثر تلك البعوث و العمليات و لما ذا انصرف بعضهم لوساطة قام بها «مجدى بن عمرو» بين الطرفين؟!

(۲) ثانيا: ان كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الذى كتبه لعبد اللّه بن جحش شاهد حىّ على أن الهدف لم يكن هو القتال، و الحرب.

فقد جاء فى ذلك الكتاب: «انزل نخلة بين مكة و الطائف فترصّد بها قريشا و تعلم (اى حصّل) لنا من أخبارهم».

إن هذه الرسالة توضّح بجلاء أنّ مهمة عبد اللّه و جماعته لم تكن القتال قط، بل كانت جمع المعلومات حول العدوّ و تنقلاته و تحركاته، أى مهمة استطلاعية حسب.

و اما سبب الصدام فى «نخلة» و مصرع عمرو الحضرمى فقد كان القرار الذى أخذته الشورى العسكرية التى عقدتها نفس المجموعة، و ليس بقرار و أمر من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵

(۱) و من هنا انزعج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمجرد سماعه بنبإ هذا الصدام الدموى و لا مهم على فعلتهم و قال:

«ما أمرتكم بقتال».

و يؤيّد هذا ما ورد فى مغازى الواقدى عن سليمان بن سحيم أنه قال:

ما أمرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالقتال فى الشهر الحرام، و لا غير الشهر الحرام إنما أمرهم أن يتحسّسوا أخبار قريش «۱».

و العلة فى أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يختار لهذه الدوريات و البعوث رجالا من المهاجرين دون الأنصار هى أن الانصار قد بايعوا فى العقبة على الدفاع، أى أن معاهدتهم مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانت معاهدة دفاعية تعهّدوا بموجبها بأن يمنعوه من أعدائه و يدافعوا عنه إذا قصده عدوّ.

من هنا ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يريد أن يفرض عليهم مثل هذه المهمات، و يبقى هو فى المدينة، و لكنه عند ما خرج- فيما بعد- بنفسه أخذ معه جماعة من رجال الانصار تقوية لروابط الاخوة و الوحدة بين المهاجرين و الأنصار، و لهذا كان رجاله فى غزوة «بواط» أو «ذات العشيرة» يتكونون من الأنصار و المهاجرين.

(۲) و على هذا الاساس يتضح بطلان نظرية المستشرقين حول الهدف من بعث الدوريات العسكرية.

كما أنّ بالتأمل و الامعان فى ما قلناه يتضح أيضا بطلان ما قالوه فى هذا المجال فى تلك العمليات التى شارك فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بنفسه، إذ أن الذين خرجوا معه ما كانوا ينحصرون فى المهاجرين خاصه بل كانوا خليطا من المهاجرين و الأنصار، و الحال أن الأنصار لم يبايعوا النبىّ على القيام بأية عملية هجوميّة ابتدائية، بل كل ما بايعوا عليه النبىّ كما قلنا هو: العمل الدفاعى،

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۱۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۶

فكيف يصح أن يدعوهم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى عمليات قتالية ابتدائية هجوميّة.

(۱) و تشهد بما نقول حادثة وقعة بدر التى سنشرحها فى ما بعد، فما لم يعلن الأنصار عن موافقتهم على قتال قريش لم يقرر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الحرب، فى تلك الواقعة.

هذا و السبب فى تسمية أصحاب السير و التواريخ هذا النوع من العمليات التى خرج فيها النبىّ بنفسه (غزوة) و ان لم يقع فيها قتال و غزو، هو أنّهم أرادوا أن يجمعوا كل الحوادث تحت عنوان واحد، و إلّا فلم يكن الهدف الاساسىّ من هذه العمليات هو الحرب و القتال، أو السيطرة على الأموال و سلبها.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷

(۱)

۲۸ تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

لم يكن قد مضى على هجرة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينة عدة أشهر إلّا و بدأت نغمة معارضة اليهود للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله تظهر شيئا فشيئا!!

و فى الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط «۱» أمر اللّه تعالى نبيّه صلّى اللّه عليه و آله بالأمر المؤكّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة و يتخذها من الآن فصاعدا قبلة له و للمسلمين كافة، فيتوجهون الى المسجد الحرام فى أوقات الصلوات.

هذا هو مجمل القصة، و إليك بيانها على وجه التفصيل.

صلّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثلاثة عشر عاما كاملة فى مكة نحو بيت المقدس.

(۲) و بعد الهجرة الى المدينة كان الأمر الإلهىّ له هو أن يبقى على الحالة من حيث القبلة، أى بأن يصلى الى بيت المقدس، كما كان يفعل فى مكة.

و قد كان هذا الاجراء نوعا من المحاولة لاقامة التعاون و التقارب بين الدينين

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۴۱ و ۲۴۲، إعلام الورى باعلام الهدى: ص ۷۱ و ۷۲. و يقول ابن هشام فى السيرة النبوية: ان القبلة صرفت عن الشام إلى الكعبة فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المدينة (السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۰۶) و يرى ابن الاثير أن ذلك حدث فى منتصف شهر شعبان (الكامل: ج ۲ ص ۸۰).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۸

القديم و الجديد، و لكن تنامى قوة المسلمين و اشتداد ساعدهم أحدث رعبا كبيرا، و أوجد قلقا واسعا فى أوساط اليهود القاطنين فى المدينة لأن تقدّم الاسلام و المسلمين المطرد كان يدلّ على أن الدين الاسلامى سيعمّ فى أقرب وقت كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، و ستتقلّص (بل تزول) فى المقابل قوة اليهود و سلطانهم، و مكانتهم، من هنا نصب أحبار اليهود العداوة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و عمدوا إلى ممارسة سلسلة من الأعمال الإجهاضية و الإيذائية.

(۱) لقد أخذوا يؤذون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين بمختلف أنحاء الطرق و بشتى الوسائل و السبل، و المعاذير و الحجج و من جملتها التذرع بقضيّة صلاة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين الى بيت المقدس.

فكانوا يقولون معيّرين إياه: أنت تابع لنا تصلى الى قبلتنا!!

أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمّد فى ديننا و تتبع قبلتنا «۱».

فشقّ هذا الكلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اغتم لذلك غما شديدا فكان يخرج من بيته فى منتصف الليل و يتطلع فى آفاق السماء ينتظر من اللّه أمرا و وحيا فى هذا المجال كما تفيد الآية الآتية:

«قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها» «۲».

(۲) و يستفاد من الآيات القرآنية فى هذا المجال أنه كان لتغيير القبلة مضافا إلى الردّ على دعوى اليهود سبب آخر أيضا.

و هو أن هذه المسألة كانت من المسائل الاختبارية التى اراد اللّه تعال بها ان يمتحن المسلمين، و يميّز المؤمن الواقعى الحقيقى عن أدعياء الايمان، المنتحلين له كذبا و نفاقا، و أن يعرف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله به من حوله معرفة جيدة لأن إتباع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى الأمر الثانى الذى نزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أثناء الصلاة (و هو التوجه إلى المسجد الحرام) كان علامة قوية

---

(۱) مجمع البيان: ج ۱ ص ۲۵۵ أو: ما درى محمّد و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم.

(۲) البقرة: ۱۴۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۹

من علامات الايمان و التسليم، و الاخلاص و الوفاء للدين الجديد.

بينما كانت مخالفته علامة قوية من علامات النفاق و التردّد كما يصرّح القرآن الكريم بنفسه بذلك اذ يقول:

«وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» «۱».

و من المسلّم أنه يمكن الوقوف على حكم اخرى لهذا الأمر (أى صرف القبلة من الشام الى الكعبة) إذا تتبعنا تاريخ الاسلام بشكل

أوسع، و طالعنا أوضاع شبه الجزيرة العربية.

(۱) و يمكن الاشارة الى بعض هذه الحكم مضافا الى ما ذكرناه:

(۲) أولا: أن الكعبة التى رفعت قواعدها على يدى بطل التوحيد و ناشر لوائه النبىّ العظيم «ابراهيم الخليل» (عليه السلام) كانت موضع احترام و تقديس من المجتمع العربى، فقد كان العرب يحبون الكعبة و يعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك و الفساد، فكان اتخاذه قبلة من شأنه كسب رضا العرب، و استمالة قلوبهم، و ترغيبهم فى الاسلام تمهيدا لاعتناق دين التوحيد و نبذ الاوثان و الاصنام.

و أىّ هدف، و أية غاية ترى أسمى و أجلّ من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن ركب الحضارة و المدنية، و ينتشر الاسلام بسببهم فى كل أنحاء العالم.

(۳) ثانيا: أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل فى إذعانهم للاسلام، و ايمانهم برسالة (محمّد) ذلك اليوم كان يبدو أمرا ضروريا، لأنهم كانوا يقومون بأعمال ايذائية ضد الاسلام و المسلمين و يطلعون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) البقرة: ۱۴۳. و يمكن بيان هذه العلة بصورة أخرى و هى إنما أمر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة و بيت اللّه الحرام كانت العرب آلفة بحجها فأراد اللّه أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه. (راجع مجمع البيان: ج ۱ ص ۲۲۲ و ۲۲۳).

و آله بين الفينة و الأخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها- حسب تصورهم- أنهم يعرفون أمورا كثيرة و أنهم علماء، و بذلك يضيّعون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الوقت، و يشغلونه عن مهامه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحدا من مظاهر الابتعاد عن اليهود و اجتنابهم، تماما مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذى تم لنفس هذا الغرض.

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الاسلام، فأمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضا، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء و فرض مكانه صوم شهر رمضان «۱».

(۱) و على كل حال فان الاسلام الذى يتفوق على جميع الأديان، يجب أن تتجلى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمر تكامله و تفوقه باديا للعيان، واضحا للجميع.

و فى هذه الحالة تصوّر بعض المسلمين أن ما أتوا به من صلاة و عبادة و هم متجهين إلى بيت المقدس كان باطلا إذ قالوا: كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الأولى، أو حال من مضى من أمواتنا و هم كانوا يصلون الى بيت المقدس؟!

فنزل الوحى الإلهى يقول:

«وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ» «۲».

و مع ملاحظة هذه الاعتبارات و بينما كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد انتهى من الركعة الثانية من صلاة الظهر، نزل عليه جبرئيل، و أمره بأن يتوجه بالمصلّين معه حدب المسجد الحرام.

(۲) و جاء فى بعض الاخبار أنّ جبرئيل أخذ بيد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال و النساء الذين كانوا يأتمون به فى

---

(۱) مجمع البيان: ج ۱ ص ۲۷۳.

(۲) البقرة: ۱۴۳. و المراد من الايمان هنا هو العمل و هو من الموارد التى استعمل فيها لفظ الايمان و اريد به العمل.

المسجد «۱».

فتحوّل الرجال مكان النساء و النساء مكان الرجال فكان أول صلاته الى بيت المقدس، و آخرها الى الكعبة.

و منذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة- زاد اللّه من شرفها- قبلة مستقلة للمسلمين يتوجهون إليها فى كثير من واجباتهم و شعائرهم الدينية «۲».

هذا و الغريب أن اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّل من بيت المقدس الى الكعبة المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبلة اليهود، لما حوّل المسلمون إلى الكعبة المعظمة، و امروا بالصلاة إليها دون بيت المقدس أخذوا يعيبون على المسلمين التوجه إلى نقطة ما فى الأرض فردّ اللّه عليهم بقوله:

«سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» «۳».

أی ان اللّه فوق الزمان و المكان، و التوجه إلى نقطة خاصة فى حالة العبادة انما هو لمصالح اجتماعية خاصة فالصلاة الى الكعبة توجّه الى اللّه كالصلاة الى بيت المقدس سواء بسواء.

(۱)

كرامة علمية لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و ما ينبغى الاشارة إليه هنا هو: أن العرض الجغرافى للمدينة- طبقا لمحاسبات علماء الفلك القدامى- هو ۲۵ درجة، و طولها ۷۵ درجة و ۲۰ دقيقة، و لهذا كانت قبلة المدينة لا توافق محراب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الباقى على حالته السابقة الى الآن فى مسجده الشريف، و قد سبّب هذا الاختلاف حيرة لدى بعض المتخصصين فى هذا العلم، و ربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات و تبريرات لرفع هذا الاختلاف.

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۰۱ عن من لا يحضره الفقيه.

(۲) كالصلاة و الذبح و دفن الموتى، و الدعاء و غير ذلك.

(۳) البقرة: ۱۴۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۲

(۱) و لكن القائد المعروف بسردار الكابلى أثبت فى الآونة الأخيرة- طبقا للمقاييس المعروفة اليوم- أن خط المدينة الجغرافى على عرض ۲۴ درجة و ۵۷ دقيقة و طول ۳۹ درجة و ۵۹ دقيقة «۱».

و تكون نتيجة هذه المحاسبة هى أن قبلة المدينة تكون فى نقطة الجنوب تماما و تنحرف عن نقطة الجنوب ب ۴۵ دقيقه فقط.

و هذا الاستخراج الفلكى للقبلة ينطبق على محراب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أفضل تطبيق، و يعدّ هذا من كرامات النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله حيث توجه فى حالة الصلاة «۲» من بيت المقدس الى الكعبة بصورة دقيقة و من دون أى انحراف و لا- جزئى مغتفر و ذلك من دون أية محاسبة فلكيّة، و علميّة.

و قد أخذ جبرئيل بيده و حوّل وجهه نحو الكعبة المعظمة كما أسلفنا «۳».

(۱) تحفة الأجلّة فى معرفة القبلة: ص ۷۱ طبعة ۱۳۵۹.

(۲) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ۱ ص ۱۷۸.

(۳) و قد نقل الحرّ العاملى فى وسائل الشيعة: فى أبواب القبلة ج ۳ ص ۲۱۵ و ۲۱۶ حادثة تحوّل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى الصلاة

من بيت المقدس الى المسجد الحرام فراجع.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳

(۱)

۲۹ معركة بدر

اشارة

معركة «بدر» من معارك الاسلام الكبرى و من حروبه البارزة، و قد اكتسب الذين شاركوا فى هذه المعركة منزلة خاصة بين المسلمين فيما بعد.

فالواقعة التى كان يشارك فيها فرد أو عدة أفراد من المجاهدين فى «بدر» أو اذا كانوا يشهدون على أمر قال المسلمون: و وافقنا عليه البدريون.

أجل إن الذين شاركوا فى معركة بدر من أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يدعون بالبدريين، و لم يكن هذا إلّا لاهميّة تكلم الوقعة التاريخية.

و تتضح علة هذه الأهميّة إذا نحن استعرضنا تفاصيل هذه الوقعة.

(۲) لقد قلنا فى ما سبق أنه بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى منتصف جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، أن قافلة قريش التجارية خرجت من مكة إلى الشام بقيادة «أبى سفيان بن حرب».

فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لملاحقتها إلى «ذات العشيرة» و توقّف هناك إلى مطلع الشهر التالى، و لم يعثر على تلك القافلة، و قد كان وقت عودة القافلة معلوما تقريبا، فقد كانت قافلة قريش تعود من الشام إلى مكة فى أوائل الخريف.

و من المعلوم أنّ أوّل خطوة على طريق الانتصار فى مثل هذه المحالات هو

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۴

تحصيل اكبر قدر من المعلومات حول العدوّ لأنّ قائد الجيش ما لم يعرف شيئا عن استعدادات العدوّ، و نقطة تمركزه و تواجده، و معنويات أفراده، فانه ربما ينهزم و ينكسر فى أول مواجهة.

(۱) و لقد كان من أساليب النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله الرائعة فى جميع الحروب و المعارك التى ستقرأ تفاصيلها هو جمع المعلومات حول مدى استعداد العدوّ، و مبلغ تهيّؤه و مكان تواجده، و تمركزه، و هذه مسألة تحظى و الى اليوم بأهمّية خاصّة فى الحروب العالمية و المحلية، بل و ترصد لها ميزانيّات كبرى، و تستخدم أجهزة عريضة فى عالمنا الحاضر، كما هو معلوم للجميع، و كما أشرنا الى ذلك فيما سبق.

و قد بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عينا له على قافلة قريش اسمه «عدى»- حسب رواية المجلسى «۱»- أو «طلحة بن عبيد اللّه» و «سعيد بن زيد» حسب ما قال صاحب «حياة محمّد» نقلا عن المصادر التاريخيّة «۲»، لإخباره عن مسير تلك القافلة، و عدد حرّاسها و رجالها و نوعية البضائع المحمّلة.

فلما عاد العين أخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

۱- بأن قافلة قريش قافلة كبرى شارك فيها كلّ أهل مكّة، حتى أنه ما من قرشىّ أو قرشية بمكة له مثقال فصاعدا إلّا بعث به فى تلك القافلة.

۲- إنّ البضائع يحملها ألف بعير و أنّ قيمتها تبلغ خمسين ألف دينار.

۳- و أنه یقودها «أبو سفیان بن حرب» فی أربعین رجلا.

(۲) و حیث إن أموال المسلمین المهاجرین إلی المدینة کانت قد صودرت فی مکة علی أیدی قریش من هنا کان الوقت مناسبا جدا لأن یأخذ المسلمون أموال قریش فی تلک القافلة، و یحتفظوا بها ریثما تفرج قریش عن أموال المسلمین المهاجرین المصادرة بمکة، فاذا لجّوا و أصرّوا فی مصادرة أموال المسلمین قسّم

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۲۱۷.

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵

المسلمون فی المقابل أموال قریش المأخوذة فیما بینهم و تصرفوا فیها کغنائم حرب من هنا قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لهم: «هذا عیر قریش (أی قافلتهم) فیها أموالهم، فاخرجوا إلیها لعلّ اللّه ینفلکموها» «۱».

من هنا استخلف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی المدینة «عبد اللّه بن أمّ مکتوم» للصلاة بالناس، و القیام بالشؤون الدینیة، و «أبا لبابة» للقیام بالشؤون السیاسیة.

ثم خرج من المدینة فی ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا لمصادرة أموال قریش أو بالاحری توقیفها و حبسها.

(۱)

النبیّ یتوجه الی منطقة ذفران «۲»:

لقد ترک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینة بعد أن أتاه خبر عن تحرک قافلة قریش، قاصدا وادی ذفران حیث طریق القافلة فی یوم الاثنین، الثامن من شهر رمضان، و قد عقد رایتین سلّم إحداهما إلی مصعب بن عمیر، و الاخری (و تسمی العقاب) إلی علی بن أبی طالب علیه السلام.

و لقد کانت المجموعة التی خرج بها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله تتألّف من اثنین و ثمانین من المهاجرین، و مائة و سبعین من الخزرج، و واحد و ستین من الأوس، و کان عندهم ثلاثة أفراس فقط.

---

(۱) المغازی: ج ۱ ص ۲۰.

(۲) وادی ذفران الذی کان یمرّ به قافلة قریش التجاریة یقع علی مرحلتین من بدر.

و قد ذکر ابن هشام فی سیرته جمیع المراحل التی طواها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من المدینة إلی ذفران و منه إلی بدر الذی ارتحل إلیه رسول اللّه بعد أن بلغه نبأ تحرک قافلة قریش.

و بدر کان موسما من مواسم العرب یجتمع لهم به سوق کلّ عام یتبایعون فیه و یتفاخرون علی غرار سوق عکاظ، و کان یقع علی طریق مکة و المدینة و الشام. (راجع السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۱۳- ۶۱۸).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶

(۱) و لقد بلغ حبّ الشهادة عند الاشخاص فی المجتمع الاسلامی یومئذ مبلغا عجیبا حتی أنّ فتیانا دون الحلم اشترکوا فی هذه المعرکة، و ردّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعضهم إلی المدینة لمّا استصغرهم «۱».

إن کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یفید بانه صلّی اللّه علیه و آله قد وعدهم بالرخاء و الانفراج فی المعیشة و ذلک عن طریق السیطرة علی أموال قریش، و أخذ بضائعها، و کان المسوّغ لهذا العمل هو ما سبق أن ذکرناه، و هو أن قریشا کانت قد صادرت کل

أموال المهاجرين المسلمين فى مكة، منقولها و غير منقولها، و منعت من دخولهم مكة، و خروجهم منها.

و من الواضح أن يسمح العاقل لنفسه- أيّا كان- بأن يعامل عدوه بمثل هذه المعاملة التى عامله بها العدوّ.

(۲) و أساسا يجب أن نعلم أنّ سبب هجوم المسلمين على قافلة قريش هو أنهم قد ظلموا و قهروا، الأمر الذى يذكره القرآن الكريم أيضا، و لذلك يسمح للمسلمين بأن يقاتلوا عدوّهم و يعترضوا تجارتهم إذ يقول:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» «۲».

و لقد كان أبو سفيان قد عرف- عند توجهه بالقافلة إلى الشام- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يترصد القافلة، و لهذا اتخذ كافة الاحتياطات عند قفوله و رجوعه من الشام، فكان يسأل القوافل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان إذا رأى أحدا منهم سأله: هل أحسست أحدا؟!

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۲۱.

و روى أنه كان الرجل يساهم أباه فى الخروج مع النبيّ صلّى اللّه عليه و آله رغبة فى الجهاد فى سبيل اللّه و الشهادة فكان ممن ساهم «سعد بن خيثمة» و أبوه فى الخروج إلى بدر، فقال سعد لأبيه: انه لو كان غير الجنة آثرتك به، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا.

فقال خيثمة: آثرنى، و قرّ مع نسائك! فابى سعد.

فقال خيثمة: إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فاستهما (أى اقترعا) فخرج سهم سعد فقتل ببدر (المصدر).

(۲) الحج: ۳۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۷

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد خرج مع أصحابه من المدينة، يلاحق قافلة قريش، و قد نزل فى وادى ذفران.

(۱) و لما أحسّ أبو سفيان بذلك أحجم عن الاقتراب الى منطقة بدر و لم ير بدّا من أن يخبر قريشا بالخطر الذى يحدق بتجارتهم، و أموالهم، و يطلب مساعدتهم، فاستأجر رجلا يدعى «ضمضم بن عمرو الغفارى» و أمره بأن يجدع بعيره (يقطع أنفه) و يحوّل رحله، و يشقّ قميصه من قبله و دبره و يصيح الغوث! الغوث، و يخبر قريشا أنّ محمّدا تعرّض لتجارتهم!!

فخرج ضمضم سريعا إلى مكّة، و لمّا قدمها وقف ببطن الوادى يصيح بأعلى الصوت: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة «۱»، أموالكم مع أبى سفيان قد تعرّض لها محمّد فى أصحابه، لا أرى ان تدركوها، الغوث الغوث «۲».

(۲) فأثار هذا المنظر المثير، و استغاثات ضمضم المتتابعة أهل مكة، فتجهزوا سراعا، و تهيّأوا للخروج، و أعدّ كل صناديد قريش و رجالها المقاتلون أنفسهم للتحرّك نحو المدينة إلّا أبو لهب الذى لم يشترك فى هذا الخروج، و ارسل مكانه «العاصى بن هشام» لقاء أجر قدره أربعة آلاف درهم.

و أراد «أميّة بن خلف» هو الآخر أن يتخلّف لاسباب خاصّة، فقد قيل له:

أن محمّدا يقول: لأقتلنّ أميّة بن خلف «۳».

فرأى أشراف قريش و سادات مكة أن تخلف رجل مثله يضرّ بقريش و يوهن من عزيمة الجيش، فقرروا إثارته و تحريكه فأتاه عقبة بن أبى معيط و أبو جهل و هو جالس فى المسجد بين ظهرانىّ قومه، بمجمرة يحملانه فيها نار و عود يتبخّر به حتى وضعاها بين يديه ثم قالا له:

«يا أميّة استجمر فإنّما أنت من النساء»!

---

(۱) اللطيمة: الابل التى تحمل الاقمشة و العطور، و النداء يعنى: ادركوا اللطيمة ادركوها.

(۲) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۸۱ المغازى: ج ۱ ص ۳۱، بحار الانوار: ج ۱۹ ص ۲۱۶.

(۳) المغازى: ج ۱ ص ۳۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۸

فغضب أميّة، و هاجت به الحمية، فتجهز من فوره، و خرج مع الناس «۱».

و خلاصة القول أنه اوعبت قريش لمّا سمعت بتعرض قافلتها و أموالها للخطر من قبل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه، فكانوا بين رجلين إما خارج أو باعث مكانه رجلا، و ما بقى أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالا لتجهيز الجيش، و أخرجوا معهم المغنيات يضربن بالدفوف و يهيّجن الرجال للقتال.

(۱)

المشكلة التى كانت تواجهها قريش:

و لما اعلن عن موعد الرحيل تذكرت قريش بأن بينهم و بين قبيلة «بنى بكر» عداء قديما، فخافوا أن يوجهوا إليهم ضربة من الخلف، أو يحملوا على نسائهم و ذراريهم فى مكة فى غياب منهم فكاد ذلك يثنيهم عن الخروج.

و قد كان العداء بين قريش و بنى بكر يعود إلى دم سفك بينهم فى قصة ذكرها ابن هشام و غيره من كتّاب السيرة «۲».

و لكن سراقة بن جعشم المدلجى- و كان من أشراف بنى كنانة و هم من بنى بكر- طمأنهم، و وعدهم بأن لا تأتيهم بنو بكر من خلفهم بشىء يكرهونه، و لما اطمأنّوا خرجوا صوب المدينة سراعا.

(۲) و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه قد خرجوا من المدينة لاعتراض قافلة قريش التجارية، و هبطوا فى وادى ذفران، و بقوا هناك ينتظرون مرورها، و لكنه فجأة بلغه خبر جديد غيّر أفكار قادة الجيش الاسلامى، و فتح- فى الحقيقة- فصلا جديدا فى حياتهم. فقد أتاه الخبر عن مسير قريش باتجاه المدينة لحماية قافلتها التجارية، و أن جيشها قد وصل إلى مشارف المنطقة التى يتواجد فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه، و أن طوائف متعددة قد ساهمت و شاركت فى تكوين هذا الجيش.

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۳۸، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۸۲ المغازى: ج ۱ ص ۳۵ و ۳۶.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۱۰ و ۶۱۱، المغازى: ج ۱ ص ۳۸ و ۳۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۹

(۱) فوجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و القائد الاعلى للمسلمين نفسه أمام خيارين:

إما أن يقاتل، و لكنّه لم يخرج هو أو أصحابه الذين مرّ ذكرهم إلّا لمصادرة أموال قريش، فلم يكونوا متهيّئين لمقاتلة الجيش المكّى الكبير، لا من حيث العدد، و لا من حيث العدّة.

و إما أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى، و هذا يعنى أن ينهار كلّ ما كسبوه من الهيبة و المهابة، بفضل المناورات العسكرية، و العروض النظامية السابقة.

و بخاصة إذا تقدم العدوّ نحو المدينة فى ظل هذا الانسحاب و اجتاح مركز الإسلام «المدينة المنورة».

فرأى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن لا ينسحب، بل يقاتل العدوّ بما عنده من العدة القليلة و العدد القليل و يقاوم حتى اللحظة الأخيرة و النفس الأخير.

(۲) و الجدير بالذكر أنّ أكثر الذين كانوا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانوا من شبّان الأنصار و كان عدد المهاجرين لا يتجاوز ۸۲ شخصا.

و كانت بيعة العقبة التى بايع فيها الأنصار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيعة على الدفاع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حمايته لا القتال و الحرب.

اى انهم بايعوه صلّى اللّه عليه و آله على أن يمنعونه فى المدينة فلا يصل إليه أحد من أعدائه و هو بينهم.

أمّا أن يخرجوا معه الى خارج المدينة لقتال العدوّ فلم يبايعوا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله على مثل ذلك فما ذا يفعل القائد الأعلى للمسلمين.

إنه لم ير مناصا من استشارة الناس الذين معه، و معرفة رأيهم فى ما يجب اتخاذه من طريقة حل لهذه المشكلة.

(۳)

النبىّ يعقد شورى عسكرية:

و هنا وقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى تلك الجماعة و قال: أشيروا

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۰

علىّ أيّها الناس.

فقام أبو بكر و قال: يا رسول اللّه إنّها قريش، و خيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، و لا ذلّت منذ عزّت و لم نخرج على أهبة الحرب!!

و هذا يعنى أنه رأى من الصالح ان ينسحبوا الى المدينة، و لا يواجهوا قريشا.

فقال له رسول اللّه: اجلس.

ثم قام عمر بن الخطاب، و كرّر نفس مقالة أبى بكر، فأمره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالجلوس أيضا.

ثم قام «المقداد بن عمرو» و قال: يا رسول اللّه امض لما أراك اللّه فنحن معك، و اللّه لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اذهب أنت و ربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون.

و لكن اذهب أنت و ربّك فقاتلا، و إنا معكما مقاتلون.

فو الّذى بعثك بالحقّ لو سرت الى برك الغماد (و هو موضع بناحية اليمن) لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه، و لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا (أى النار المتقدة) و شوك الهراس (و هو شجر كبير الشوك) لخضناه معك.

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خيرا و دعا له به.

(۱)

إخفاء الحقائق و كتمانها:

إذا كان اخفاء الحقائق، و التعتيم عليها و سترها، و التعصب الباطل أمرا مشينا من كلّ من ألّف و كتب، فإنّه و لا شك أقبح من المؤرّخ، المؤتمن على التاريخ و حقائقه.

فان على المؤرخ أن يكون مرآة صادقة للأجيال القادمة لا يكدرها غبار التعصب، و غشاوة التحريف و التبديل و الكتمان للحقائق.

و لقد ذكر ابن هشام «۱» و المقريزى «۲» و الطبرى «۳» ما وقع فى الشورى

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۱۵.

(۲) إمتاع الاسماع: ص ۷۴.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۴۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۱

العسکریة التی عقدها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أدرج فیها ما قاله المقداد، و قاله سعد بن معاذ فی کتبهم علی وجه التفصیل، و لکنهم أحجموا عن إدراج ما قاله أبو بکر و عمر و إنما قالوا: و قال فلان و أحسن، و قال فلان و احسن!!

(۱) و هنا نسأل ذینک المؤرخین اذا کان ما قاله فلان و فلان حسنا أرضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلما ذا ترکوا ذکره علی نحو التفصیل کما فعلوا بالنسبة إلی کلام مقداد و سعد.

بلی؛ إنهما لم یقولا- إلّا ما ذکرناه قبل قلیل، لیس غیر. و إذا کان أولئک المؤلفون یکتمون الحقائق، فقد أظهرها الآخرون و سجلوا نص ما قاله الرجلان «۱»، و لم یکن قولا حسنا و لا کلاما طیبا، بل کان کلامهما مثبطا، ینمّ عن خوف، و وحشة، فهما صوّرا قریشا قوة لا- تقهر، و جیشا لا- یدحر، غیر آبهین بما تترک کلماتهم من الأثر السیئ فی نفوس المسلمین فی ذلک الظرف الدقیق، و اللحظة الخطیرة!!

و إنک أیها القارئ لتستطیع أن تعرف مدی انزعاج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من مقالتهما، مما ذکره الطبری نفسه فی الصفحة ذاتها، فان الشیخین کما تلاحظ، کانا أوّل من نطقا فی تلک الشوری، ثم تکلّم بعدهما المقداد، و سعد بن معاذ.

(۲) فان الطبری یروی عن ابن مسعود أنه قال: لقد شهدت من المقداد مشهدا لئن أکون أنا صاحبه احبّ إلیّ مما فی الارض من شیء کان رجلا فارسا و کان

---

(۱) المغازی: ج ۱ ص ۴۸، السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۱۶۰، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۱۷.

قال الواقدی: ثم قال عمر: یا رسول اللّه أنها و اللّه قریش و عزّها، و اللّه ما ذلّت منذ عزّت، و اللّه ما آمنت منذ کفرت، و اللّه لا تسلم عزّها أبدا، و لتقاتلنّک فاتّهب لذلک أهبته، و أعدّ لذلک عدّته!!!

کما جاء فی صحیح مسلم: ج ۵ ص ۱۷۰ باب غزوة بدر و مسند أحمد: ج ۳ ص ۲۱۹ بطریقین انه حین بلغ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اقبال ابی سفیان شاور أصحابه، فتکلم أبو بکر فاعرض عنه، ثم تکلم عمر فاعرض عنه.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اذا غضب احمارّت وجنتاه، فاتاه المقداد علی تلک الحال «۱» فقال: أبشر یا رسول اللّه فو اللّه لا نقول لک کما قالت بنو اسرائیل لموسی: «اذهب أنت و ربّک فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، و لکن اذهب أنت و ربّک فقاتلا إنّا معکما مقاتلون» «۲».

و لقد کان ذلک المجلس مجلس استشارة و تبادل للرأی و کان لکل أحد الحقّ فی أن یدلی برأیه، و یطرح نظره علی القائد الأعلی، و لکنّ مجریات الاحداث أثبتت أن مقداد کان أقرب إلی الصواب، و أکثر توفیقا فی اصابة الحق من ذینک الرجلین.

و قد أشار القرآن الکریم إلی تخوف بعض المسلمین من مواجهة العدوّ فی هذه الموقعة إذ قال سبحانه:

«کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ لَکارِهُونَ» «۳».

و قال تعالی:

«یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ» «۴».

(۱)

قرار الشوری الحاسم أو رأی زعیم الأنصار:

كانت الآراء التى طرحت آراء شخصيّة و فرديـة على العموم، و الحال أن الهـدف الاساسيّ من عقـد تلك الشورى كان هو الحصول على رأى الأنصار، فلمّا لم يدل الأنصار برأيهم لم يمكن لتلك الشورى أن تتخذ رأيا حاسما، و تبت فى أمر.

من هنا أعاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قوله: «أشيروا علىّ أيها

---

(۱) أى و هو غاضب من مقاله و تثبيط من تقدماه.

(۲) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۴۰.

(۳) الانفال: ۵.

(۴) الانفال: ۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۳

الناس» و هو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى و قال: و اللّه لكأنك يا رسول اللّه تريدنا؟

فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: أجل.

(۱) فقال سـعد: بأبى أنت و أمّى يا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله إنا قـد آمنّا بك، و صدقناك و شـهدنا أن ما جئت به حق من عند اللّه، و أعطينـاك مواثيقنـا و عهودنـا على السـمع و الطاعـة فـامض يـا رسـول اللّه لمـا اردت فنحن معـك، فو الـذى بعثـك بـالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر «۱» فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا.

إنا لصبر فى الحرب، صـدق فى اللقاء لعلّ اللّه يريك منّا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركـة اللّه، وصل من شـئت، و اقطع من شـئت و خذ من أموالنا ما شئت، و ما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا مما تركت.

فسّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بقول سعد و نشّطه ذلك، و أزال سحابة اليأس من النفوس، و أشعل ضياء الأمل فى القلوب.

و لهذا لم يفرغ ذلك الأنصارىّ البطل و القائد المؤمن الشـجاع من مشورته الشـجاعة إلّا و أصدر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أمره بالرحيل قائلا: «سيروا على بركة اللّه و ابشروا فانّ اللّه قد وعدنى إحدى الطائفتين و لن يخلف اللّه وعده.

و اللّه لكأنّى الآن أنظر الى مصارع القوم».

و تحرك الجيش الاسلامىّ بقيادة النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و نزل عند آبار «بدر» «۲».

(۲)

تحصيل المعلومات حول العدوّ:

مع أنّ المبادئ العسكريّة و التكتيكات الحربية فى الوقت الحاضر تختلف

---

(۱) يقصد البحر الأحمر.

(۲) المغازى للواقدى: ج ۱ ص ۴۸، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۱۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۴

عمـا كـانت عليه فى العصور الغـابرة اختلافـا كبيرا إلّا أنّ مسألـة تحصـيل المعلومات حول العـدوّ و معرفـة أسـراره العسـكرية، و مـدى اسـتعداداته و مبلغ قواه التى يسـتخدمها، و درجة معنويات أفراده لا تزال على أهميتها و قيمتها، لم تتغير من هذه، بل ازدادت أهمية فى العصر الحاضر- كما أسلفنا-.

فهی تشکل الآن أیضا مفتاحا فی الحروب، و منطلقا للانتصارات العسکریة.

(۱) علی أن هذه المسألة قد اتخذت الیوم صبغة التعلیم و التمرین، فقد أصبح لها الیوم کتب و معاهد تتولی تعلیم طرائق التجسس العسکری و اسالیبه، کما و یعزی قادة المعسکر الغربی و الشرقی الکثیر من نجاحاتهم إلی نجاحهم فی توسعة دوائر التجسس و منظماته التی تستطیع اطلاع أصحابها علی معلومات دقیقة و مفصّلة عن خطط العدو و قواه، و اماکن تمرکزه و تواجده، و خطوط إمداده، و تموینه تمهیدا لإفشال تحرکاته أو إجهاضها فورا.

من هنا استقر الجیش الاسلامیّ فی منطقة تلائم مبادئ التستر بشکل کامل، و منع عن أی عمل من شأنه انکشاف أسراره، کما أن فرقا مختلفة و متعددة کلّفت بتحصیل و جمع المعلومات عن قریش و قافلتها و جیشها.

(۲) فکانت المعلومات التی توفرت لدی القیادة الاسلامیة هی کالتالی:

الف/ انّ النبیّ نفسه رکب هو و رجل من قادة جیشه حتی وقف علی شیخ من العرب فسأله عن قریش و عن محمّد و أصحابه و ما بلغه عنهم فأخبرهم بأن محمّدا و أصحابه خرجوا یوم کذا و کذا، و انه إن کان صدق الذی أخبرنی فهم الیوم بمکان کذا و کذا للمکان الذی کان به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ان قریشا خرجوا یوم کذا و کذا، و انه ان کان الذی أخبره صدقه فهم الیوم بمکان کذا و کذا للمکان الذی فیه قریش.

و هکذا عرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نقطة تواجد قریش، و استقرار قواتهم.

(۳) باء/ بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جماعة «الزبیر بن العوام» و «سعد

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵

بن أبی وقاص» بقیادة علیّ علیه السلام الی ماء بدر یلتمسون له الخبر، فأصابوا إبلا یستقی علیها الماء لقریش فیها غلامان أحدهما لبنی الحجاج و الآخر لبنی العاص فأتوا بهما إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسألهما النبیّ عن قریش فقالا: هم و اللّه وراء هذا الکثیب الذی تری بالعدوة القصوی.

فقال لهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: کم القوم و ما عدّتهم فقالا:

لا ندری، کثیر. فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: کم ینحرون (من الابل) کل یوم؟ قالا: یوما تسعا و یوما عشرا.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: القوم فیما بین التسعمائة و الألف.

ثم سألهما: فمن فیهم من أشراف قریش؟

قالا: عتبة بن ربیعة، و أبو البختری بن هشام، و حکیم بن حزام و شیبة بن ربیعة و أبو جهل بن هشام و أمیّة بن خلف و .. و ..

فأقبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أصحابه و قال:

«هذه مکّة قد ألقت إلیکم أفلاذ کبدها» «۱».

(۱) جیم/ کلّف شخصان بالدخول الی قریة بدر و تقصّی الحقائق حول قافلة قریش فیها فمضیا حتی نزلا بدرا فأناخا ابلهما الی تلّ قریب من الماء، ثم تظاهرا بأنّهما یریدان أن یستسقیا، و کان علی الماء جاریتین تستسقیان و تقول إحداهما للاخری: إنما تأتی القافلة غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضیک الذی لک.

فقال لها «مجدی بن عمرو الجهنی»، و کان علی مقربة منهما: صدقت ثم خلص بینهما.

فسرّ صاحبا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما سمعا فعادا فی سریّة کاملة إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أخبراه بما سمعا «۲».

و الآن و بعد أن أصبح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عارفا بوقت ورود القافلة، و مکان تواجد قریش، معرفة دقیقة عمد إلی ترتیب المقدمات اللازمة.

(۱) و (۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۱۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۶

(۱)

كيف هرب أبو سفيان؟

لقد تعرّض أبو سفيان قائد قافلة قريش لدى توجّهه بها إلى الشام للملاحقة من قبل مجموعة من المسلمين، و لهذا فانه كان يعلم جيدا بأنهم سوف يتعرضون له عند قفوله من الشام أيضا.

و لهذا عند ما وصل بقافلة قريش إلى المنطقة الخاضعة للمراقبة الاسلامية أراحها فى منطقة بعيدة عن متناول أيدى المسلمين و دخل هو قرية «بدر» يتجسس، و يسأل عن أخبار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فالتقى «مجدى بن عمرو» على ماء بدر فسأله: هل أحسست أحدا؟ (و يقصد هل رأيت أحدا من عيون محمّد و رجاله؟).

فأجابه مجدى قائلا: ما رايت أحدا انكره، إلّا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التلّ ثم استقيا فى شنّ لهم، ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتّه، فاذا فيه النوى فقال: هذه- و اللّه- علائف يثرب. هذه عيون محمّد و أصحابه، ما أرى القوم إلّا قريبا.

فرجع إلى أصحابه سريعا و حرّك القافلة من فوره، و ابتعد عن بدر و أخذ بها جهة ساحل البحر الأحمر كما أنه كلّف أحدا بإخبار قريش فورا، بأنّ قافلتهم أفلتت من يد محمّد و أصحابه، و أن أموالهم نجت فليرجعوا و ليتركوا محمّدا تكفيه العرب.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۷

خارطة معركة بدر

دليل الخارطة:

۱- القلعة ۲- مدينة بدر ۳- النخيل ۴- مسجد العريش ۵- بيوت بدر

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۸

(۱)

علم المسلمين بإفلات قافلة قريش:

عرف المسلمون بإفلات قافلة قريش، و انتشر هذا النبأ بينهم بسرعة، فاغتمّ من خرج مع المسلمين يريد الحصول على شيء من تلك الأموال، فقال اللّه تعالى تثبيتا لهم و تسكينا لقلوبهم:

«وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» «۱».

(۲)

إختلاف قريش فى القتال:

عند ما وافى رسول أبى سفيان قريشا و هم بالجحفة، و أبلغهم رسالة أبى سفيان و طلب منهم الرجوع إلى مكة حدث بين رجال قريش اختلاف عجيب.

و قال بنو زهرة و الأخنس بن شریق و کانوا حلفاء علی الرجوع قائلین: قد خلصت أموال سید بنی زهرة: «مخرمة بن نوفل» و انما نفرنا لنمنعه و ماله، فلا حاجة بأن نخرج فی غیر منفعة.

و رجع طالب (ابن أبی طالب) إلی مکة و کان قد استکره علی الخروج من مکة، و ذلک بعد مشاجرة بینه و بین رجل من قریش قال له:

«و اللّه لقد عرفنا یا بنی هاشم، و إن خرجتم معنا أن هواکم لمع محمّد» «۲».

(۳) و أما أبو جهل فقد أصرّ علی مواصلة التقدّم نحو المدینة، و عدم الرجوع إلی مکّة خلافا لطلب أبی سفیان، قائلا:

و اللّه لا ـ نرجع حتی نرد بدرا فنقیم علیه ثلاثا فننحر الجزر (الأباعر) و نطعم الطعام، و نسقی الخمر، و تعزف لنا القیان و المغنیات، و تسمع بنا العرب و بمسیرنا، و جمعنا فلا یزالون یهابوننا أبدا بعدها، فامضوا!!

---

(۱) الانفال: ۷ و ۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۹

(۱) فحملت کلمات أبی جهل المغریة قریشا علی مواصلة التقدم نحو المدینة، و نزلت فی مکان مرتفع «۱» خلف کثیب.

و أمطرت السماء مطرا غزیرا فأصاب قریشا منه ما لم یقدروا علی أن یرتحلوا معه، و منعهم من مزید التقدم.

بینما لم یحدث المطر أی مشکلة فی العدوة الدنیا للمسلمین و لم یمنع من تحرکهم بل کان بحیث لبد الأرض حتی ثبتت أقدامهم «۲».

و «بدر» منطقة واسعة یتکون جنوبها من مکان مرتفع (العدوة القصوی) و شمالها من مکان منخفض منحدر (العدوة الدنیا) و کانت فی هذا الوادی الواسع بضع آبار و عیون ماء، فکان منزلا للقوافل ینزلون فیه و یستقون، و یستریحون ردحا من الزمن.

(۲) و هنا تقدم «الحباب بن منذر» و کان فارسا مجربا و عسکریا محنکا باقتراح الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إذ قال: یا رسول اللّه أ رأیت هذا المنزل منزلا أنزلکه اللّه لیس لنا أن نتقدمه و لا نتأخر عنه أم هو الرأی و الحرب و المکیدة؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «بل هو الرأی و الحرب و المکیدة».

فقال: یا رسول اللّه فان هذا لیس بمنزل فانهض بالناس حتّی أدنی ماء من القوم، فننزله فنغوّر (أی ندفن العین) ما وراء القلب، ثم نبنی علیه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب و لا یشربون.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لقد أشرت بالرأی.

فنهض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من معه فسار حتی إذا أتی أدنی ماء من القوم نزل علیه، ثم أمر بالقلب (الآبار) فغوّرت، و بنی حوضا علی القلیب الذی نزل علیه فملئ ماء ثم قذفوا فیه الآنیة.

إن هذه الحادثة تکشف جیّدا علی اهتمام رسول الإسلام بالمشاورة،

---

(۱) و هو ما یسمی بالعدوة القصوی.

(۲) و یقال کان المطر ینزل علی قریش کأفواه القرب و علی أصحاب رسول اللّه رذاذا بقدر ما لبد الأرض.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۰

و احترامه لآراء الآخرین و اتساع صدره لاقتراحاتهم، و الأخذ بما یفید منها دون تکبّر أو انزعاج «۱».

(۱)

«العريش» أو غرفة القيادة:

اشارة

و قيل إن سعد بن معاذ تقدم هو الآخر بمقترح عسكرى رائع و هو بناء و اقامة برج لرسول اللّه يقود منه العمليات و يشرف على سيرها و يكون مأمنا له من كيد الاعداء فقال: يا رسول اللّه أ لا نبنى لك عريشا تكون فيه، و نعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدوّنا فان أعزّنا اللّه و أظهرنا على عدوّنا، كان ذلك ما أحببنا، و ان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلّف عنك أقوام يا نبيّ اللّه ما نحن بأشد لك حبا منهم، و لو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك اللّه بهم، يناصحونك و يجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و دعا له بخير، ثم بنى له صلّى اللّه عليه و آله عريش فوق مكان مرتفع مشرف على ساحة القتال و الحرب، و كان سعد و جماعة من فتيان الأنصار يحرسونه فى بعض حالات القتال!! «۲».

(۲)

نظرة الى مسألة «العريش»:

ان مسألة بناء العريش لرسول اللّه، و حراسة سعد بن معاذ و جماعة من فتيان الأنصار له هو مما ذكره و رواه الطبرى فى تاريخه نقلا عن ابن اسحاق و تبعه الآخرون فى ذلك، و لكن هذه القصة لا يمكن القبول بها لاسباب هى:

(۳) أوّلا: أن هذا العمل يفتّ فى عضد الجنود، و يضعف من معنوياتهم القتالية لأن معناه أن القائد يفكر فى وسيلة لنجاة نفسه دون أن يفكر فى نجاة جنوده، و مثل هذه القيادة لا يمكنها ان تستحوذ على قلوب جنودها، و تجعلها مطيعة لأوامرها.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۲۰، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۴۴.

(۲) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۴۵، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۲۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۱

(۱) ثانيا: أنّ هذه القصة تتنافى مع الاخبار القطعية التى بشر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بها المسلمين فى ضوء ما نزل عليه من آيات.

فهو صلّى اللّه عليه و آله قبل أن يواجه المسلمون قريشا قال لأصحابه الذين خرجوا معه من المدينة وعدهم إحدى الطائفتين، أى إما الظفر بقافلة قريش التجارية قطعا، أو الانتصار على الجيش المكى حتما و يقينا إذ قال اللّه تعالى:

«وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ» «۱».

و إنما اقدم على بناء العريش لرسول اللّه- بناء على رواية الطبرى- فى الوقت الذى كانت قافلة قريش قد أفلتت و هربت من أيدى المسلمين، و لم يبق الّا الجماعة المسلحة التى خرجت لحماية القافلة، و كان المسلمون يعلمون- طبقا لذلك الوعد الإلهى القاطع- أنهم سينتصرون على تلك الجماعة الكافرة:

«و يقطع دابر الكافرين» فلم يكن المجال مجال تردد و شك.

و بهذا يكون حديث هزيمة المسلمين فى هذه المواجهة و لزوم بناء عريش لحماية النبيّ و اعداد ابل سريعة السير عند العريش لينجو

صلّی اللّه علیه و آله علیها بنفسه حدیثا باطلا لا مبرّر له، و لا مسوّغ.

(۲) یقول ابن سعد نقلا عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت «سیهزم الجمع و یولّون الدبر» قلت: و أی جمع یهزم و من یغلب؟ فلما کان یوم بدر نظرت الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یثب فی الدرع وثبا و هو یقول: «سیهزم الجمع و یولّون الدبر» فعلمت ان اللّه تبارک و تعالی سیهزمهم «۲».

و مع هذا هل یحتمل أن یدور فی خلد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أصحابه شیء حول الهزیمة أو یحدثوا أنفسهم بالفرار؟

(۳) ثالثا: أن النبیّ الذی یصف الامام علیّ علیه السلام موقفه و حالته عند اشتداد ضراوة القتال لا تنسجم أبدا و لا تلائم هذا التکتیک الذی لا یتسم

---

(۱) الأنفال: ۷.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۲

بالشجاعة و الثبات.

یقول علیّ علیه السلام:

«کنّا إذا احمرّ البأس اتّقینا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلم یکن أحد منّا أقرب إلی العدوّ منه» «۱».

فهل یفکر مثل هذه الشخصیّة التی یصفها أول تلامذة مدرسته، و أقرب صحابته إلیه بمثل هذا الوصف، فی الفرار، أو اتخاذ الاحتیاطات اللازمة لذلک.

نحن نعتقد أن بناء العریش لم یکن إلّا من باب إعداد غرفة للعملیّات و لمراقبة سیر القتال من مکان مشرف علی ساحة القتال، لأن القیادة ما لم تکن مشرفة علی ساحة القتال لا یمکنها أن تتصرف بواقعیة و اتقان، و لا یمکنها أن تقود الجنود و الحشود من منطلق الواقع القتالی و العسکری.

من هنا لم یکن الهدف من العریش ان صحّ أصل القصة هو الإعداد و التحسب للفرار و ما شاکل ذلک.

(۱)

تحرک قریش باتجاه بدر:

فی صبیحة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانیة للهجرة، ارتحلت قریش من وراء الکثیب و انحدرت إلی وادی بدر، فلما رآها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال:

«اللّهم هذه قریش قد أقبلت بخیلائها، و فخرها تحادّک و تکذّب رسولک.

اللّهمّ فنصرک الّذی وعدتنی به، اللّهمّ أحنهم «۲» الغداة».

(۲)

قریش تتشاور فی القتال:

استقرت قوی قریش فی منطقة من أرض بدر استعدادا للمواجهة، و حیث

---

(۱) نهج البلاغة لعبده: الكلمات القصار الكلمة ۲۱۴، و يقول السيد الرضى رضى اللّه عنه: معنى ذلك أنه اذا عظم الخوف من العدوّ، و اشتد عضاض الحرب فرع المسلمون الى قتال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بنفسه فينزل اللّه عليهم النصر به و يؤمنون ممّا كانوا يخافونه بمكانه.

(۲) أى اهلكهم.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۳

أنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن عدد أفراد المسلمين و مبلغ استعداداتهم، لذلك كلفوا «عمير بن وهب الجمحىّ»- و كان فارسا ماهرا فى الاحصاء و التخمين- بأن يحزر (و يقدر بالحدس) عدد أصحاب محمّد.

فاستجال بفرسه حول عسكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم رجع الى قريش و قال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون، و لكن أمهلونى حتى انظر أ للقوم كمين، أو مدد.

فضرب فى الوادى حتى أبعد و لكنه لم ير شيئا.

فرجع الى قريش ثانية و هو يحمل لهم خبرا مرعبا إذ قال: ما وجدت شيئا (أى كمينا او مددا وراء المسلمين) و لكنى قد رأيت يا معشر قريش البلايا «۱» تحمل المنايا، نواضح «۲» يثرب تحمل الموت الناقع «۳»، قوم ليس معهم منعة و لا ملجأ إلّا سيوفهم.

و اللّه ما أرى أن يقتل رجل منهم حتّى يقتل رجلا منكم، فاذا اصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم!!!

(۱) و روى الواقدى عبارات عمير بنحو آخر إذ قال: قال عمير: و اللّه ما رأيت جلدا و لا عددا و لا حلقة و لا كراعا، و لكنى رأيت قوما لا يريدون أن يئوبوا الى أهليهم، قوما مستميتين ليست لهم منعة و لا ملجأ إلّا سيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف «۴» «۵».

و روى المجلسى ما قاله عمير بنحو ثالث إذ قال: قال عمير: ما لهم كمين و لا مدد، و لكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أ ما ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمّظ الافاعى ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم ما أراهم يولون حتى يقتلوا، و لا يقتلون حتّى يقتلوا بعددهم فارتئوا رأيكم «۶».

---

(۱) و هى جمع بلية و هى الناقة او الدابة.

(۲) الابل يستقى عليها الماء.

(۳) الموت الثابت البالغ فى الافناء.

(۴) الحجف جمع الحجفة و هى الترس.

(۵) المغازى: ج ۱ ص ۶۲.

(۶) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۲۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۴

(۱)

اختلاف قادة قريش فى امر القتال:

أوجدت كلمات عمير الفارس الشجاع ضجة كبرى بين رجال قريش و سادتها و زعمائها، و انتاب الجميع خوف بالغ و رعب شديد من المسلمين.

فمشى حكيم بن حزام الى عتبة بن ربيعة ليقنعه بالعدول عن مقاتلة المسلمين، فقال له: يا أبا الوليد إنّك كبير قريش و سيّدها، و

المطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزل تـذكر فيها بخير الى آخر الدهر، ترجع بالناس و تحمل أمر (دم) حليف عمرو بن الحضـرمى، و ما أصاب محمّد من ماله ببطن نخلة «۱» إنكم لا تطلبون من محمّد شيئا غير هذا الدم و المال؟!

(۲) فـاقتنع عتبـة برأى حكيم، فجلس من فـوره على جمله، و وقـف يخطب فى المشـركين من قريش بنطق جميـل و بليغ يقول: يـا قوم أطيعونى و لا تقاتلوا هذا الرجل و أصحابه (يعنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله)، يا معاشر قريش أطيعونى اليوم و اعصونى الدهر، إن محمّـدا له آل (أى قرابـة) و ذمة و هو ابن عمكم فخلّوه و العرب، إنكم و اللّه ما تصـنعون بأن تلقوا محمّدا و أصـحابه شـيئا، و اللّه لئن اصـبتموه لا ـ يزال الرجـل ينظر فى وجه رجـل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو خاله أو رجلا من عشـيرته، فارجعوا و خلّوا بين محمّـد و سائر العرب، فان أصابوه فذاك الذى أردتم و ان كان غير ذلك ألفاكم و لم تعرضوا منه ما تريدون «۲».

(۳) و انطلق حكيم بن حزام الى أبى جهل و أخبره برأى عتبـة و مقالته، هـذا و أبو جهل يهين درعه، فانزعج أبو جهل من مقالة عتبة و موقفه انزعاجا شديـدا و ثارت ثائرته حسدا على عتبة، و تعنتا عن الحق «۳»، و بعث من فوره رجلا إلى عامر بن الحضـرمى أخى عمرو الذى قتل فى غزوة عبد اللّه بن جحش بنخلة

---

(۱) إشارة الى ما جرى فى سرية عبد اللّه بن جحش.

(۲) المغازى: ج ۱ ص ۶۳، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۲۳، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۲۴.

(۳) قال صاحب المغازى: فحسـده أبو جهل حين سـمع خطبته و قال: ان يرجع الناس من خطبـة عتبـة يكن سـيد الجماعة، و عتبة انطق الناس!!!

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۵

و قال له: هذا حليفك (عتبة) يريد أن يرجع بالناس و قد رأيت ثأرك بعينك، فقم و انشد خفرتك «۱» و مقتل (أو دم) أخيك.

(۱) فقام عامر و كشف عن رأسه، و أخذ يحثو التراب على رأسه، و صاح مستغيثا وا عمراه وا عمراه، تحريكا للناس و إثارة لمشاعرهم. فهاج الناس لمنظر عامر و ثارت مشاعرتهم لندبته، و أجمعوا على الحرب، و تناسوا اقتراح عتبة، و نصيحته البليغة الحكيمة لهم.

و لكن عتبة هذا الذى كان يميل الى اعتزال الجيش و ترك الحرب، هاجت مشاعره هو الآخر فقام من فوره و لبس لامة حربه و استعد لقتال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه «۲».

و هكـذا نجـد كيف يتضاءل نور العقـل عنـد هبوب رياح العاطفـة الملتهبـة، و المشاعر الثائرة الباطلـة و تنطفئ شـعلة الفكر، و لا يعود يضـىء لصاحبه درب المسـتقبل حتى أن الرجل الذى كان قبل قليل داعية السـلام، و التعايش الاخوى يتحول تحت تأثير ذلك الهياج العاطفى، العابر، الاحمق إلى أول مبادر الى القتال و سفك الدماء و ازهاق الارواح!!!

(۲)

ما الذى حتّم القتال؟

لما أبصـر الاسود بن عبد الأسد المخزومى و كان رجلا شـرسا سـيئ الخلق- الحوض الذى بناه المسلمون عند البئر لشربهم قال: اعاهد اللّه لاشربن من حوضهم أو لا هدمنّه أو لأموتنّ دونه!!

ثم خرج من بين صـفوف المشـركين و شد حتى دنا من الحوض فاسـتقبله حمزة، و لما التقيا ضربه بسيفه حمزة فاطار قدمه، و هو دون الحوض فوقع على الأرض تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يشرب منه أو ان

---

(۱) اى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم و عهدهم لك لأنه كان حليفا لهم.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۲۳، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۲۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۶

يبر يمينه، فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض.

فتسببت هذه الحادثة فى أن يصبح القتال امرا مسلّما و حتميا، لانه ليس ثمة شيء يقدر على تحريك المشاعر، و اثارة العواطف و دفع الناس للقتال كسفك الدم.

فالذين كان الغيظ و الحنق على المسلمين يكاد يقتلهم، و كانوا يبحثون عن ذريعة يشعلون بها نيران الحرب و يفجّرون فتيلها قد حصلوا الآن على ما يريدون «۱».

(۱)

المبارزات الفردية أولا:

كان التقليد المتّبع عند العرب فى الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفرديّة ثم تقع بعدها الحملات الجماعية.

فلما قتل الاسود المخزومى خرج ثلاثة فرسان من صناديد قريش المعروفين من صفوف الجيش المكى و دعوا الى المبارزة.

و هؤلاء الصناديد الثلاثة هم:

۱- عتبة «۲».

۲- شيبة.

و هما ابنا ربيعة بن عبد شمس.

۳- الوليد بن عتبة بن ربيعة.

فأخذوا يجولون فى ميدان القتال و يدعون الى المبارزة، فخرج إليهم من المسلمين فتية من الأنصار ثلاثة و هم «عوف» و «معوذ» ابنا الحارث و «عبد اللّه بن رواحة».

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۴۷ و ۱۴۸.

(۲) و عتبة هذا هو الذى اقترح الانسحاب و عدم القتال كما عرفت. و يروى انه لما خرج قال له حكيم بن حزام: أبا الوليد مهلا، مهلا تنهى عن شيء و تكون أوّله!! (المغازى: ج ۱ ص ۶۷).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۷

(۱) و لما عرف عتبة أنهم من رجال المدينة قال: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمّد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«قم يا عبيدة بن الحارث و قم يا حمزة، و قم يا عليّ».

فقاموا، و خرجوا للمبارزة، و لما دنوا منهم، سألهم عتبة عن أسمائهم فعرّف أبطال الاسلام أنفسهم و ذكروا أسماءهم.

فقال رجال المشركين الثلاثة: نعم أكفاء كرام.

(۲) و يرى البعض أنه بارز كلّ من هؤلاء الثلاثة من كان على سنّه من الكفار فبارز عليّ عليه السّلام الوليد (خال معاوية بن أبى سفيان) و بارز حمزة (و هو أوسطهم) عتبة (جدّ معاوية لامّه) و بارز عبيدة (و هو أسنّ الثلاثة) شيبة و هو أسنّ الكفار الثلاثة.

غير أن ابن هشام يقول: بارز «حمزة» شيبة، و بارز «عبيدة» عتبة، و بارز «عليّ» الوليد بن عتبة «۱».

و هذا يعنى أن حمزة (الاوسط فى السن) قاتل الاسنّ من الكفار.

(۳)

فأىّ القولين هو الأصح؟

إن ملاحظة أمرين توضح الحقيقة فى هذا المجال:

الأوّل: إن المؤرخين كتبوا: أن عليا و حمزة قتلا خصميهما فى الحال، ثمّ ساعدا عبيدة على قتل خصمه «۲».

الثانى: إن الامام أمير المؤمنين عليه السلام كتب فى كتاب له الى معاوية:

«و عندى السيف الذى اعضضته بجدّك و خالك و أخيك فى مقام

---

(۱) راجع لمعرفة كلا الرأيين سنن البيهقى: ج ۳ ص ۲۷۶.

(۲) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۴۸، السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۲۵ قال: و كرّ حمزة و علىّ بأسيافهما على عتبة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۸

واحد» «۱».

(۱) فمن هذا الكتاب يتضح بجلاء أن الامام عليه السلام شارك- فى قتل جدّ معاوية (أى عتبة) هذا من جانب.

كما أننا نعلم من جانب آخر أن كلا من حمزة و عليا قد قتل خصمه فى اللحظة الاولى من المبارزة. فاذا كان خصم حمزة هو عتبة (جدّ معاوية) لم يكن- حينئذ- أى معنى لقول الامام عليه السلام: «أنا قتلت جدك».

فلا مناص من أن نقول: إن الذى بارز حمزة هو شيبة، و أن الذى بارز عبيدة هو عتبة ليصح حينئذ أن يقال أن عليا و حمزة، ذهبا- بعد الفراغ من قتل خصميهما- الى عتبة و كرّا بأسيافهما عليه و قتلاه، ثم احتملا صاحبهما «عبيدة» و أتيا به الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۲».

و بهذا تترجح النظرية الثانية، و القاضية بعدم التكافؤ بين أسنان كلّ من المتبارزين.

(۲)

الهجوم العامّ:

إثر مقتل صناديد قريش الثلاثة فى المبارزة الفردية بدأ الهجوم العام.

فتزاحف الناس و دنا بعضهم من بعض، و قد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، و أن يكتفوا برمى القوم بالنبال إذا اقتربوا منهم ليمنعوا من تقدّم العدوّ.

ثم نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من برج القيادة (العريش) و عدل صفوف أصحابه و فى يده سهم يعدّل القوم. فمر بسوّاد بن غزية، و هو متقدم من الصف، فطعن فى بطنه بالسهم الذى معه و قال له: استو يا سوّاد.

---

(۱) نهج البلاغة قسم الكتب الرقم ۶۴ و اعضضته به جعلته يعضه.

(۲) ثم إن المقصود من أخ معاوية الذى أشار الامام على فى كلمته الى قتله هو حنظلة بن أبى سفيان بن حرب راجع السيرة النبوية: ج ۱ ص ۷۰۸ و شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ۱۸ ص ۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۹

(۱) فقال: یا رسول اللّه أوجعتنی و قد بعثک اللّه بالحق و العدل فأقدنی (أی اقتصّ) لی من نفسک. فکشف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن بطنه و قال:

استقد (أی أنت اقتصّ) فاعتنقه سوّاد و قبّل بطنه صلّی اللّه علیه و آله فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما حملک علی هذا؟

قال: یا رسول اللّه حضر ما تری (من القتال) فأردت أن یکون آخر العهد بک أن یمس جلدی جلدک.

فدعا له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخیر «۱».

ثم إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد أن عدّل الصفوف رجع الی غرفة العملیّات (العریش) فدخله و توجّه إلی ربه بقلب مفعم بالإیمان یناشده ما وعده من النصر و قال فی مناجاته لربه فی تلک اللحظات:

«اللّهمّ إن تهلک هذه العصابة فلن تعبد فی الأرض أبدا» «۲».

و لقد سجّلت المصادر التاریخیة الاسلامیة تفاصیل و جزئیات الهجوم العام، الی درجة ما، إلّا أنّ من المسلّم المقطوع به أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان ینزل من العریش أحیانا و یحرّضهم علی القتال و المقاومة. فقد قال فی احدی هذه المرات:

«و الّذی نفس محمّد بیده لا یقاتلهم الیوم رجل فیقتل صابرا محتسبا مقبلا غیر مدبر، إلّا أدخله اللّه الجنّة».

(۲) و لقد کانت کلمات القائد الاعلی هذه تفعل فعلتها فی النفوس، فتثیر الهمم، و توجد شوقا عجیبا الی الشهادة فی المقاتلین المسلمین، حتی أن أحدهم و یدعی «عمیر بن الحمام» أخو بنی سلمة قال للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و فی یده تمرات یاکلهنّ یا رسول اللّه: بخ بخ، أ فما بینی و بین أن أدخل الجنّة إلّا أن یقتلنی هؤلاء.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۲۶

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۲۷، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۴۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۰

ثم قذف التمرات من یده و أخذ سیفه، فقاتل القوم حتی قتل «۱».

ثم إن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قریشا ثم قال:

«شاهت الوجوه».

ثم نفحهم بها، و أمر أصحابه، فقال: شدّوا «۲».

و لم یمض وقت طویل حتی ظهرت بوادر انتصار المسلمین علی أعدائهم المشرکین فقد انتاب المشرکین خوف و رعب شدیدان، و أخذوا ینهزمون أمام زحف المسلمین.

فقد کان المسلمون یقاتلون عن ایمان، و اخلاص و یعلمون بأنهم ینالون السعادة قتلوا أو قتلوا، فلم یرهبوا شیئا، و ما کان یمنعهم شیء عن التقدم و الإقبال.

(۱)

رعایة الحقوق:

لقد کان لا بدّ من رعایة الحقوق بالنسبة الی طائفتین فی معسکر المشرکین:

الاولی: اولئک الذین احسنوا إلی المسلمین فی مکة، و دافعوا عنهم کأبی البختری الذی کان ممن قام فی نقض الصحیفة الظالمة التی سبق الحدیث عنها.

الثانیة: أولئک الذین اکرهوا علی الخروج من المشرکین إلی بدر، و کانوا یرغبون فی قرارة أنفسهم فی الاسلام مثل معظم رجال بنی هاشم کالعباس بن عبد المطلب عم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

(۲)

مصرع أمیّة بن خلف:

و لقد اسّر «امیّة بن خلف» و ابنه علی ید عبد الرحمن بن عوف و اذ کان بینه

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۲۷.

(۲) المصدر السابق: ص ۶۲۸، البدایة و النهایة: ج ۲ ص ۲۸۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۱

و بین أمیة صداقة بمکة طلب أمیّة من عبد الرحمن أن یخرجه من أرض المعرکة لکی لا یقتل هو و ولده، او لیعدّا من الأسری.

فرضی عبد الرحمن بذلک، و بینما هو یقودهما إذ أبصر بلال بهم و کان امیّة هو الذی یعذب بلالا بمکة علی ترک الاسلام، فیخرجه الی رمضاء مکة إذا حمیت فیضجعه علی ظهره ثم یأمر بالصخرة العظیمة فتوضع علی صدره ثم یقول: لا تزال هکذا حتی تفارق دین محمّد فیقول بلال: أحد، أحد.

(۱) فلما رآه بلال فی الأسر و قد أقدم عبد الرحمن علی حمایته و الذب عنه و هو یرید نجاته و ولده، صاح مستصرخا المسلمین: یا أنصار اللّه رأس الکفر امیّة بن خلف لا نجوت إن نجا.

فأحاط المسلمون بامیّة و ولده من کل جانب و قطّعوهما بسیوفهم حتی فرغوا منهما «۱».

و قد نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن قتل أبی البختری الذی کان له دور مشرف فی نقض الحصار الاقتصادی الذی ضربته قریش علی المسلمین فی مکة، و کان لا یؤذی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلقیه رجل من المسلمین یدعی «المجذر» فأراد أسره و استبقاءه ریثما یأخذه الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیری فیه رأیه، و لکنّه نازل المجذّر، و أبی إلّا القتال، فاقتتلا فقتله المجذّر.

ثم ان المجذّر أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: و الذی بعثک بالحق لقد جهدت علیه أن یستأسر فآتیک به فأبی إلّا أن یقاتلنی فقاتلته فقتلته «۲».

(۲)

خسائر بدر فی الأرواح و الاموال:

لقد قتل فی معرکة «بدر» من المسلمین أربعة عشر رجلا، و قتل من المشرکین سبعون و اسر سبعون من أبرزهم: النضر بن الحارث، و عقبة ابن أبی معیط، و أبو

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۳۲.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۲۹ و ۶۳۰ و راجع الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۲

غرة، و سهیل بن عمرو و العباس، و أبو العاص بن الربیع (صهر النبیّ) «۱».

ثم دفن شهداء بدر فی جانب من أرض المعرکة، و قبورهم باقیة إلی الآن.

ثم أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأن یلقی بقتلی المشرکین فی البئر.

و بینما کان یسحب عتبة بن ربیعة الی البئر نظر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی وجه «أبی حذیفة» ابن عتبة فاذا هو کئیب، قد تغیّر لونه فقال صلّی اللّه علیه و آله: یا أبا حذیفة لعلک قد دخلک من شأن أبیک شیء؟!

فقال: لا و اللّه یا رسول اللّه، ما شککت فی ابی و لا فی مصرعه، و لکننی کنت أعرف من أبی رأیا و حلما و فضلا فکنت أرجو أن یهدیه ذلک إلی الاسلام، فلمّا رأیت ما أصابه و ذکرت ما مات علیه من الکفر بعد الّذی کنت أرجو له، أحزننی ذلک!!.

فدعا له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بخیر «۲».

إن هذه القصة لتکشف عن مدی حبّ المسلمین لدینهم، و رغبتهم الصادقة فی أن یهتدی إلیه الناس کما تکشف أیضا عن أنهم کانوا یقدّمون المعیار الدینی علی المعیار العائلی إذا تعارضا.

(۱)

ما أنتم باسمع منهم:

لقد انتهت معرکة بدر بانتصار عظیم فی جانب المسلمین و هزیمة نکراء فی جانب المشرکین.

فقد غادر المشرکون ساحة القتال هاربین صوب مکة مخلّفین وراءهم سبعین قتیلا من صنادیدهم و ساداتهم و فتیانهم الشجعان و سبعین أسیرا.

و لما أمر النبیّ بإلقاء قتلی المشرکین فی القلیب «۳» وقف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند القلیب و أخذ یخاطب القتلی واحدا واحدا و یقول:

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۷۰۶ و ۷۰۸، المغازی: ج ۱ ص ۱۳۸- ۱۷۳.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۴۰ و ۶۴۱.

(۳) القلیب: البئر.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۳

«یا أهل القلیب، یا عتبة بن ربیعة، و یا شیبة بن ربیعة، و یا امیّة بن خلف، و یا أبا جهل (و هکذا عدّد من کان منهم فی القلیب) هل وجدتم ما وعدکم ربّکم حقا، فإنّی قد وجدت ما وعدنی ربّی حقّا».

فقال له بعض أصحابه: یا رسول اللّه أ تنادی قوما موتی؟

فقال صلّی اللّه علیه و آله:

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم و لکنهم لا یستطیعون أن یجیبونی».

و کتب ابن هشام یقول: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال یوم هذه المقالة:

«یا أهل القلیب بئس عشیرة النبیّ کنتم لنبیّکم کذّبتمونی و صدّقنی الناس، و أخرجتمونی و آوانی الناس، و قاتلتمونی و نصرنی الناس، (ثم قال:) هل وجدتم ما وعدکم ربّی حقّا؟» «۱».

(۱)

الشعر یخلّد هذه القصة:

سید المرسلین ج۲ ۸۳ الشعر یخلد هذه القصة: ..... ص : ۸۳

تبر هذا الموضوع من القضایا الثابتة و المسلّمة فی التاریخ الاسلامیّ، فقد ذکره جمیع المحدّثین و المؤرخین من الشیعة و السنة، و قد ذکرنا طائفة من مصادره فی الهامش.

و قد کان من دأب حسان بن ثابت شاعر عصر الرسالة ان ینشد أبیاتا فی کل واقعة من وقائع الاسلام البارزة و بذلک یقوی من عزیمة المسلمین و یشد من أزرهم لأن الشعر یجلی البطولات و یکرم المواقف و یخلد الامجاد و یحافظ علی المفاخر و یکسبها طابعا أبدیا و لهذا یعد وسیلة جیدة لتقویة المعنویات، و إبطال مفعول الحرب الباردة و النفسیة التی یقوم بها العدوّ.

و قد طبع دیوان «حسان» لحسن الحظ، و یمکن لنا أن نقف علی الکثیر من ایام الإسلام و امجاده من خلال قصائده، و ابیاته المدرجة فیه.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۳۹، السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۱۷۹ و ۱۸۰ و غیرهما.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۴

(۱) و قد أنشد حسان قصیدة بائیة رائعة حول وقعة بدر الکبری یشیر فی بعض ابیاتها الی هذه الحقیقة اعنی قصة القلیب إذ یقول:

ینادیهم رسول اللّه لمّاقذفناهم کباکب فی القلیب

أ لم تجدوا کلامی کان حقّاو أمر اللّه یأخذ بالقلوب؟

فما نطقوا و لو نطقوا لقالواصدقت و کنت ذا رأی مصیب! علی أنه لا توجد عبارة اشد صراحة من ما قاله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی المقام حیث قال: «ما أنتم بأسمع منهم».

(۲) و لیس ثمة بیان أکثر إیضاحا و أشدّ تقریرا لهذه الحقیقة من مخاطبة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لواحد واحد من أهل القلیب، و مناداتهم بأسمائهم و تکلیمهم کما لو کانوا علی قید الحیاة.

فلا- یحقّ لأیّ مسلم مؤمن بالرسالة و الرسول أن یسارع الی إنکار هذه القضیة التاریخیة الاسلامیة المسلّمة، و یبادر قبل التحقیق و یقول: إن هذه القضیة غیر صحیحة لانها لا تنطبق علی موازین عقلی المادی المحدود.

و قد نقلنا هنا نص هذا الحوار، لکی یری المسلمون الناطقون باللغة العربیة کیف أنّ حدیث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یصرح بهذه الحقیقة بحیث لا توجد فوقه عبارة فی الصراحة، و الدلالة علی هذه الحقیقة.

و من أراد الوقوف علی مصادر هذه القصة فعلیه أن یراجع ما ذکرناه فی الهامش ادناه «۱».

---

(۱) إن تکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع رءوس الشرک الموتی الذین القیت اجسادهم فی البئر من مسلمات التاریخ و الحدیث، و قد اشار الی هذا من بین المحدثین و المؤرخین:

صحیح البخاری: ج ۵ فی معرکة بدر ص ۷۶ و ۷۷- ۸۶ و ۸۷ صحیح مسلم: ج ۸ کتاب الجنة باب مقعد المیت ص ۱۶۳، سنن النسائی ج ۴ باب أرواح المؤمنین ص ۸۹ و ۹۰، مسند الامام أحمد: ج ۲ ص ۱۳۱، السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۳۹، المغازی: ج ۱ غزوة بدر ص ۱۱۲، بحار الأنوار:

ج ۱۹ ص ۳۴۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۵

(۱)

بعد معركة بدر:

يعتقد كثير من المؤرخين المسلمين أن المبارزات الفردية و من بعدها القتال الجمعى فى غزوة بدر استمر حتى زالت الشمس و انتهت المعركة بفرار المشركين و أسر جماعة منهم. ثم بعد أن فرغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه من دفن شهداء المسلمين صلى بالناس العصر فى بدر ثم غادر ارض بدر قبل غروب الشمس من ذلك اليوم، هذا و قد كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اشخاصا بجمع الغنائم من أيدى الناس.

و هنا واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اول اختلاف بين أصحابه فى كيفية تقسيم الغنائم، فقد كان كلّ فريق يرى نفسه أولى من غيره بها، نظرا لدوره فى تلكم المعركة.

فالذين كانوا يحرسون عريش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مخافة أن يكرّ عليه العدو كانوا يرون أن عملهم لا يدانيه فى الاهمية أى عمل آخر، لأنهم كانوا يحرسون القائد، و يحافظون على مقرّ القيادة.

و بينما كان الذين جمعوا الغنائم يرون أنهم الأحق لأنهم جمعوها، فيما كان الذين قد قاتلوا العدو و لا حقوه و طاردوه يقولون: و اللّه لو لا نحن ما أصبتموه، إنا لنحن الذين شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم «۱».

(۲) و لا ريب أن أسوأ ما يصيب أى جيش هو أن يدبّ الخلاف بين قطعاته و أفراده، فينفرط عقده و تتلاشى وحدته.

من هنا بادر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للقضاء على هذه الآمال و المطامع المادية و بغية اسكات كل تلك الاصوات إلى إيكال جمع الغنائم و حملها، و المحافظة عليها إلى «عبد اللّه بن كعب المازنى» و أمر جماعة من أصحابه أن يعينوه ريثما يفكّر فى طريقة تقسيمها. لقد كان قانون العدل و الإنصاف يقضى بأن

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۹۸ و ۹۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۸۶

يشترك جميع أفراد ذلك الجيش فى تلك الغنائم، لأنهم ساهموا بأجمعهم فى تلك المعركة، و كان لكل منهم دور و مسئولية فيها، فما كان لفريق أن يحرز نجاحا من دون أن يقوم الآخرون بأدوارهم.

من هنا قسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الغنائم بينهم- فى أثناء الطريق- على قدم المساواة، و فرز لذوى الشهداء أسهما منها.

(۱) و لقد أثارت طريقة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى تقسيم الغنائم (و ذلك بقسمتها على جميع المشاركين معه فى معركة بدر بالتساوى) سخط «سعد بن أبى وقاص» فقال: يا رسول اللّه أ يعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ما يعطى الضعيف؟ فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: «ثكلتك أمّك، و هل تنصرون إلّا بضعفائكم» «۱».

و هو صلّى اللّه عليه و آله يقصد أن هذه الحرب لم تكن إلّا لأجل الدفاع عن الضعفاء، و رفع الحيف عنهم، و انه صلّى اللّه عليه و آله لم يبعث إلّا لإزالة هذه الفوارق و الامتيازات الظالمة، و إلّا لاجل اقرار المساواة فى الحقوق بين الناس.

(۲) هذا و رغم أن خمس الغنيمة هى بنص آية الخمس «۲» للّه و لرسوله و لذى القربى و اليتامى و ابن السبيل من أهل بيته صلّى اللّه عليه و آله إلّا أنه صلّى اللّه عليه و آله لم يخمّس غنائم «بدر» بل وزّع الخمس على المشاركين فى بدر أيضا.

على أنه يمكن أن تكون آية الخمس لم تنزل آنذاك بعد، أو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يتمتع باختيارات خاصة، فصرف النظر عن أخذ الخمس لنفسه و قرباه، تكثيرا لأسهم المجاهدين، و ذلك و لا ريب خطوة حكيمة جدا و خاصة فى أول مواجهة عسكرية مع العدوّ «۳».

---

(۱) المغازی: ج ۱ ص ۹۹.

(۲) الانفال: ۱.

(۳) و جاء فی بعض المصادر التاریخیة ان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ضرب من الغنائم أسهما لاشخاص لم یحضروا بدر و لم یشترکوا فی القتال مع رغبتهم فی ذلک و ذلک إما لامور أصابتهم عند الخروج

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۷

(۱)

قتل أسیرین فی اثناء الطریق:

و لما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی «الصفراء» «۱» و هی أحد المنازل علی طریق بدر- المدینة عرض علیه الاسری فأمر بقتل النضر بن الحارث و کان من أعداء المسلمین الالداء.

و أمر بأن یضرب عنق عقبة بن أبی معیط إذ کان بعرق الظبیة.

و هنا ینطرح سؤال و هو: إن حکم الاسلام فی أسری الحرب هو أنّهم عبید للمسلمین و المجاهدین، یباعون و یشترون باثمان مناسبة فلما ذا حکم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی شأن هذین الأسیرین بحکم آخر؟.

ثم إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله الذی خاطب المسلمین فی «بدر» فی الأسری الذین بأیدیهم و أوصاهم بهم خیرا قائلا:

«استوصوا بالاساری خیرا».

کیف اتخذ مثل هذا القرار فی حق بعضهم؟

(۲) یقول أبو عزیز، و کان صاحب لواء فی جیش قریش: کنت أسیرا فی أیدی رهط من الأنصار حین أقبلوا بی من بدر فکانوا إذا قدّموا غداءهم و عشاءهم خصّونی بالخبز، و أکلوا التمر و الخبز عندهم قلیل و التمر زادهم، و ذلک لوصیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ایاهم بنا، ما تقع فی ید رجل منهم کسرة خبز إلّا نفحنی بها فأستحی فاردّها علی أحدهم فیردّها علیّ، و کانوا یحملوننا و یمشون «۲»!!

مع ملاحظة هذه الامور لا بدّ من الاذعان بأن قتل هذین الأسیرین کان مما تقتضیه المصالح الاسلامیة العامة، لا أنه کان بدافع الانتقام، فقد کان ذانک الأسیران من رءوس الکفر، و من مخطّطی الخطط الجهنّمیّة ضد الاسلام

إلی بدر او لقیامهم بمهمات، تتعلق بامور مراقبة العدو فی الطرق او للقیام بمهمات اداریة داخل المدینة.

(۱) المغازی: ج ۱ ص ۶.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۴۵، المغازی: ج ۱ ص ۱۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۸۸

و المسلمین، و ضدّ الرسالة و الرسول، و کانا ممن یؤلبون القبائل ضدّ رسول الاسلام، فلعله لو کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یفرج عنهم و یطلق سراحهم عادوا الی تدبیر المؤمرات ضدّ الاسلام، و المسلمین، و عملا علی تخطیط الخطط، و تألیب القبائل، فلم یکن بد من تصفیتهم و القضاء علیهم.

(۱)

بشائر النبیّ الی المدینة:

كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «عبد اللّه بن رواحة»، و «زيد بن حارثة» بأن يسبقاه الى المدينة، ليبشّرا المسلمين بما حققه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه فى بدر من الانتصار الكاسح و الفتح المبين، و يخبرا أهلها بمصرع رءوس الكفر و الشرك كعتبة و شيبة و أبى جهل و أبى البخترى و أميّة، و نبيه و منبه و .. و ..

فما قدم المبعوثان الى المدينة الا و المسلمون عائدون من دفن ابنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله زوجة عثمان بن عفان فامتزجت الافراح بالاحزان، و اختلط السرور بانتصار النبىّ و أصحابه بالحزن على موت ابنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و قد أرعب المشركون و اليهود و المنافقون بخبر انتصار المسلمين الساحق على قريش، و راحوا يحاولون تكذيبه، و تفنيده حتى إذا دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المدينة و دخل بعده أسرى قريش أصبح الخبر قطيعا مسلّما، فباءت محاولات المنافقين بالفشل.

(۲)

المكيّون يعرفون بمقتل أسيادهم:

كان «الحيسمان الخزاعى» أول من قدم مكة و اخبر الناس باحداث «بدر» الدامية و بمصرع طائفة كبيرة من سادة قريش على أيدى المسلمين.

يقول أبو رافع الذى كان غلاما للعباس بن عبد المطلب آنذاك ثم أصبح من أصحاب النبىّ و على فيما بعد: كنت غلاما للعباس، و كان الاسلام قد دخلنا

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۸۹

أهل البيت، فأسلم العباس و أسلمت أمّ الفضل و أسلمت، و كان العباس يهاب قومه و يكره خلافهم و كان يكتم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق فى قومه، و كان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته اللّه و أخزاه، و وجدنا فى أنفسنا قوة و عزة.

و قد كنت رجلا ـ ضعيفا و كنت أصنع السهام و النبال أنحتها فى حجرة زمزم فو اللّه بينما أنا جالس فيها أنحت سهامى و عندى أمّ الفضل جالسة و قد سرّنا ما جاءنا من الخبر عن هزيمة قريش، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ حتى جلس عند طنب «۱» الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى، فبينما هو جالس إذ قال الناس:

هذا أبو سفيان فقال أبو لهب: هلمّ إلىّ فعندك لعمرى الخبر.

فجلس إليه و الناس قيام عليه فقال: يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس؟

قال أبو سفيان: و اللّه ما هو إلّا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، و يأسروننا كيف شاءوا، و أيم اللّه مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض، و اللّه ما تبقى شيئا و لا يقوم لها شيء.

يقول أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة، ثم قلت: تلك و اللّه الملائكة.

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة «۲».

(۱)

اشتراك العباس عمّ النبىّ فى بدر:

يبقى أن نعرف أن مسألة اشتراك العباس عمّ النبىّ فى غزوة بدر من مشكلات التاريخ و غوامضه، فهو من الذين اسرهم المسلمون فى بدر فهو من جانب يشارك فى الحرب، و من جانب آخر يحضر فى بيعة العقبة، و يدعو أهل المدينة إلى حماية النبىّ صلّى اللّه عليه و

آله و نصرته.

---

(۱) الطنب: الطرف.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۶۴۶ و ۶۴۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۹۰

فکیف یکون هذا؟

إن الحل یکمن فی ما قاله أبو رافع غلام العباس نفسه: کان العباس قد أسلم و لکنه کان یهاب قومه و یکره خلافهم و یکتم اسلامه، مثل أخیه أبی طالب لاقتضاء المصالح الاسلامیة ذلک، و من هذا الطریق کان یساعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و یخبره بمخططات العدو و نوایاه و تحرکاته و استعداداته کما فعل ذلک فی معرکة «احد» أیضا «۱». فقد کان أول من أخبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بتحرک قریش و خططهم و استعداداتهم.

و قد أفجع مقتل سبعین رجلا- من رجال مکة و فتیان قریش أکثر البیوت و العوائل فی مکة، و سلبهم البهجة و الفرح، و النشاط و الحرکة، و تحولت مکة برمتها الی مأتم کبیر، و ناحت قریش علی قتلاها «۲».

(۱)

المنع من النوح و البکاء فی مکة:

غیر أنّ أبا سفیان عمد- لا بقاء أهل مکة علی حالة الحنق و الغضب- الی منع النوح و البکاء علی القتلی و حث الناس باستمرار علی الاستعداد للثأر و الانتقام من محمّد و أصحابه فقال: یا معشر قریش لا تبکوا علی قتلاکم، و لا تنح علیهم نائحة و لا یبکهم شاعر، و اظهروا الجلد و العزاء فانکم إذا نحتم علیهم و بکیتموهم بالشعر أذهب ذلک غیظکم، فأکلّکم ذلک عن عداوة محمّد و أصحابه .. و لعلکم تدرکون ثأرکم.

و لکی یلهب أبو سفیان مشاعر الناس أکثر فأکثر أو یبقی علی سخونتها علی الأقل، قال: و الدهن و النساء علیّ حرام حتی أغزو محمّدا.

و کان «الأسود بن المطلب» اصیب له ثلاثة من ولده: زمعة و عقیل و الحارث بن زمعة، فکان یحب أن یبکی علی قتلاه، و لکنه ما کان یستطیع

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۲۱۷.

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۱۲۲. قال: لم تبق دار بمکة إلّا فیها نوح.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۹۱

ذلک لمنع أبی سفیان من النواح و البکاء علی القتلی.

(۱) فبینما هو کذلک إذ سمع نائحة من اللیل فقال لغلامه- و قد ذهب بصره و عمی-: هل بکت قریش علی قتلاها لعلیّ أبکی علی زمعة، فان جوفی قد احترق.

فذهب الغلام و رجع إلیه فقال: إنما هی امرأة تبکی علی بعیرها قد أضلّته، فأنشد الأسود بن المطلب حینها یقول:

أ تبکی أن یضل لها بعیرو یمنعها من النوم السهود

فلا تبکی علی بکر «۱» و لکن‌علی بدر تقاصرت الجدود

على بدر سراة بنى هصيص‌و مخزوم و رهط أبى الوليد

و بكّى ان بكيت على عقيل‌و بكىّ حارثا اسد الاسود «۲»

(۲)

القرار الأخير حول مصير الاسارى:

فى هذه المعركة بالذات أعلن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن قرار تاريخى عظيم و رائع هو: أن من علّم من الاسرى عشرة من صبيان الغلمان و الصبيان من أولاد الأنصار الكتابة و القراءة كان ذلك فداؤه و خلّى عن سبيله من غير أن يؤخذ منه مال «۳».

و ان من دفع فدية قدرها أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم خلى سبيله و ان من كان فقيرا لا مال له افرج عنه دون فداء.

فأحدث هذا النبأ فى مكة لدى عوائل الاسرى حركة عجيبة و دفعهم الى التفكير فى تقديم الفداء الى المسلمين، و اطلاق اسراهم.

فهيّأ كل واحد منهم ما استطاع و قدم المدينة يفدى اسيره.

و عند ما افرج عن سهيل بن عمرو لقاء فدية قال عمر بن الخطاب لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا رسول اللّه دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو (أى أسنانه

(۱) البكر: الفتى من الابل.

(۲) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۴۸.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۱۹۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۲

الامامية) و يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لا امثل به فيمثل اللّه بى و ان كنت نبيا» «۱».

و تلك لفتة انسانية أخرى من لفتات النبىّ العظيم الكثيرة فى المعارك.

(۱) و قد كان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع زوج ابنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: زينب.

و كان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا و أمانة و تجارة، و قد تزوّج بزينب ابنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الجاهلية.

و لما جاء الاسلام آمنت خديجة برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و آمنت بناته، (و منهن زينب) كذلك و شهدن أن ما جاء به الحق، و دنّ بدينه، و ثبت أبو العاص على شركه، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يقدر على أن يفرّق بينهما.

و قد اشترك أبو العاص هذا فى معركة بدر مع قريش، و أسر بأيدى المسلمين.

فلمّا بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال و بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة قد أهدتها إليها ليلة دخول أبى العاص بها (ليلة زفافها).

(۲) فلما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تلك القلادة تذكّر زوجته الوفية خديجة عليها السلام و ما اسدته الى الاسلام من خدمات و قدمته من تضحيات، و بكى بكاء شديدا.

فالتفت الى المسلمين و قال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، و تردوا عليها

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۴۹، و المغازى: ج ۱ ص ۱۰۷ يقول صاحب المغازى فى صفحة ۱۰۵ من نفس الجزء: كان عمر (رض) يحض على قتل الاسرى لا يرى أحدا فى يديه أسير إلا امر بقتله!!

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۳

ما لها فافعلوا.

فقالوا: نعم يا رسول اللّه، نفديک بأنفسنا و أموالنا.

فأطلقوه، و ردوا عليها الـذى لها و بذلک احترم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حقوق المسـلمين و ما يرجع إليهم من أموال بل أنها و اللّه أعظم مظهر من مظاهر الديمقراطية، (ان صح التعبير) فالنبىّ مع أن له ما له من الولاية على المسلمين يقترح عليهم الافراج عن زوج زينب و يترک الامر لاختيارهم.

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخذ على أبى العاص الميثاق بأن يخلى سبيل زينب، و يبعثها الى المدينة.

ففعل أبو العاص ما تعهّد به، و بعث زينب الى المدينة.

ثم إن أبا العاص نفسه أسلم أيضا و قدم المدينة، و ردّ عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله زينب بالنكاح الاول أو بنكاح جديد «۱»

رسول الاسلام و مكافحة الامية:

كما أنه يتبين من قصة الاسرى الذين اطلق سراحهم لقاء تعليم أولاد المسلمين الكتابة و القراءة مدى اهتمام الاسلام بالثقافة و التثقيف، و الوعى و النوعية، فان معرفة القراءة و الكتابة بداية التثقيف و النوعية.

و لا بدّ أن نقول هنا أيضا أن اطلاق الاسارى العارفين بالقراءة و الكتابة لقاء تعليم صبيان المسلمين تعد أول عملية لمكافحة الامية التى اهتم بها العالم الحاضر.

ففى الوقت الذى كانت الكثير من الدول فى عصر الاسـلام الاول تمانع من تثقيف أبنائها و رعاياها- كما مرّ عليک فى دراسة أوضاع الامبراطوريتين الفارسـية و الرومية- أعلن رسول الاسلام ان من لم يكن معه فداء و هو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة من غلمان المدينة (أى صبيانها) يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلک فداءه .. و ما أعظمها من خطوة ثقافية و حضارية.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۱ ص ۶۵۱- ۶۵۹، بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۳۴۸ و ۳۴۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۴

(۱)

كلام لابن أبى الحديد فى المقام:

يقول العلّامة ابن أبى الحديد: قرأت على (استاذى) النقيب أبى جعفر البصرى العلوى هذا الخبر، فصدّقه و قال: أ ترى أبا بكر و عمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أ ما كان يقتضى التكريم و الاحسان أن يطيّبا قلب فاطمة عليها السلام، و يستوهب لها من المسلمين (أى يستوهب فدكا من المسلمين و يردّه عليها)؟

أ تقصر منزلتها عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من منزلة زينب أختها و هى سيدة نساء العالمين؟!

هذا إذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة و لا بالارث؟

فقلت له: فدک بموجب الخبر الذى رواه أبو بكر قد صار حقا من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم.

فقال: و فداء أبى العاص قد صار حقا من حقوق المسلمين، و قد أخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منهم.

فقلت: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صاحب الشريعة، و الحكم حكمه، و ليس أبو بكر كذلک.

(۲) فقال: ما قلت هلّا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة عليها السلام و إنما قلت: هلّا استنزل المسلمين عنه، و استوهبه منهم لها، كما استوهب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فداء أبى العاص؟ أ تراه لو قال: هذه بنت نبيكم صلّى اللّه عليه و آله قد حضرت لطلب هذه النخلات ا فتطيبون عنها نفسا؟ كانوا منعوها ذلك؟!

فقلت له: قد قال قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو ذلك.

قال: إنهما لم ياتيا بحسن فى شرع التكريم، و ان كان ما أتياه حسنا فى الدين!!

أى ان ما فعلاه و ان كان يوافق موازين الدين- حسب تصور القاضى- و لكنه لا يناسب شأن فاطمة و تكريمها لمقامها و لمكانها من أبيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۵

و آله «۱».

هذا و قد أمر اللّه نبيّه الكريم بأن يعلن للاسرى بأن الباب مفتوح على وجوههم لينضموا الى صفوف المسلمين، فينعموا بالاسلام فيعيد اللّه عليهم أفضل مما أخذ منهم و يغفر لهم ذنوبهم، إذ يقول تعالى:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «۲»

و بذلك فتح الاسلام باب الأمل أمام الاسارى، و كشف عن نزعته الانسانية، و أيضا عن رغبته الصادقة فى هداية البشرية، و نجاتها.

كما ضرب بذلك مثلا فى الحكمة و حسن السياسة لم يسبق له مثيل.

على انه هدّد الاسرى من ناحية اخرى إذا أساءوا، و عادوا بعد الخلاص من الاسر إلى التآمر ضد الإسلام.

إذ قال:

«وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» «۳».

و بذلك جمع بين الحزم و الحكمة، و اللين الحكيم و الشدّة المعقولة.

القرآن يتحدث عن بدر:

و لقد ذكّر القرآن الكريم المسلمين، و لا يزال يذكّرهم بالانتصار الكبير الذى تحقق للمؤمنين فى بدر بفضل ثبات المقاتلين و نصر اللّه و تأييده الغيبى إذ قال:

«إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۳ ص ۳۳۴- ۳۵۲ و لابن أبى الحديد كلام آخر يشبه هذا فى اهدار من أسقط جنين زينب فراجع.

(۲) و (۳) الانفال: ۷۰ و ۷۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۶

هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ. وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا، وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» «۱».

و قال تعالى:

«قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ» «۲».

و قال تعالى أيضا:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ» «۳».

و قوله تعالى:

«إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ. إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ» «۴».

و قال سبحانه أيضا:

«وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ، هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ

---

(۱) الانفال: ۴۲ و ۴۴.

(۲) آل عمران: ۱۳.

(۳) الانفال: ۹.

(۴) الانفال: ۱۱- ۱۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۷

كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ» «۱».

و في هذه الآيات تصريحات واضحة بما كان عليه المسلمون في معركة بدر من حيث قلة العدة و العدد، و بأبرز الامدادات الغيبية الإلهية التي ساعدت المسلمين على الانتصار على أعدائهم المشركين، الذين كانوا يفوقونهم في العدة و العدد و السلاح و الرجال مع التأكيد على أن ذلك الانتصار العظيم جاء نتيجة ثبات المسلمين و استقامتهم، و صبرهم و إخلاصهم.

و أبرز تلك الامدادات الغيبية هي:

۱- مع أن الاعداء كانوا متمركزين في العدوة العليا و هي أعلى الوادي و المسلمين في أسفل الوادي، و كان ذلك من شأنه أن يعزز موقع الكفار لإمكان مراقبة المسلمين من مكان مرتفع كما كان من شأنه أن يجعل هجوم المسلمين على الكفار أمرا صعبا، و لكن كفة الحرب رجحت مع ذلك لصالح المسلمين.

۲- إنهم لو كانوا على ميعاد مع العدو، و مع العلم التفصيلي بحجم امكانياته البشرية و القتالية لامتنع عامة المسلمين عن مقابلة المشركين، و لكن شاء اللّه أن لا يعرف المسلمون شيئا مفصلا عن المشركين، مسبقا، بل يواجه المسلمون الأمر الواقع، فيتحقق ما أراد اللّه من الانتصار على قريش. و الى هذا اشار سبحانه بقوله:

«وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ».

۳- تقليل عدد المسلمين في أعين المشركين و تقليل عدد المشركين في أعين المسلمين في أول القتال لكي يستقل الاعداء قوة المسلمين، و لكي لا يهاب المسلمون الاعداء و يستعظموا عددهم، و إليه يشير تعالى بقوله:

«إِذْ يُرِيكَمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِی أَعْيُنِكَمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكَمْ فِی أَعْيُنِهِمْ».

۴- تكبير عدد المسلمين فی أعين الكفار فی أثناء القتال و إليه يشير تعالی بقوله:

---

(۱) آل عمران: ۱۲۳- ۱۲۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۸

«يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْیَ الْعَيْنِ».

۵- الإمداد بالملائكة المردفين المسوّمين.

۶- النعاس الذی ألقاه اللّه علی المسلمين فجدد نشاطهم، و ضاعف من قوتهم.

۷- نزول المطر عليهم و الذی طهّرهم من الاقذار و مكّنهم من الاغتسال عما أصاب بعضهم من حدث، و ثبّت الأرض الرمليّة تحت أقدامهم، و قد أشار سبحانه إلی كل ذلک فی الآية ۱۱ من سورة الانفال.

۸- تثبيت قلوب المؤمنين بواسطة الملائكة.

۹- القاء الرعب فی قلوب الكفار و الی هذين النوعين من الإمداد الغيبی أشار بقوله: «فثبّتوا الّذين آمنوا سألقی فی قلوب الّذين كفروا الرّعب».

كما و يشير القرآن الكريم فی هذا السياق إلی دور الشيطان فی هزيمة الكفار فهو الذی يغری و هو الذی يخذل عند اللقاء يقول سبحانه:

«وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّی جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلی عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ إِنِّی أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ» «۱».

كما أن القرآن يتحدث أيضا عن حالة المشركين عند ما أتوا إلی بدر لمواجهة المسلمين و ما كانت تنطوی عليه نفوسهم فيقول:

«وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» «۲».

كما و يعزی هزيمتهم إلی سبب رئيسی و حقيقی و هو مشاققة اللّه و رسوله إذ يقول:

«ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» «۳».

---

(۱) الانفال: ۴۸.

(۲) الانفال: ۴۷.

(۳) الانفال: ۱۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۹۹

و ينبغی الاشارة فی ختام هذا العرض التفصيلی- نوعا ما- لوقعة بدر إلی تكتيكات النبیّ صلّی اللّه عليه و آله الحربية، و إلی أساليبه الحكيمة فی تقوية معنويات المسلمين و إلی جانب تنظيم صفوفهم، ممّا لا يسع المجال لذكره علی وجه التفصيل الكامل.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۰

(۱)

۳۰ زواج سيدة النساء فاطمة بنت رسول اللّه «۱»

اشارة

إن الرغبة الجنسيّة حالة تظهر عند البلوغ لدى كل انسان، و ربما تنحرف بالشاب و تهوى به فى أحضان الفساد و السقوط الاخلاقى إذا لم تتوفر له أجواء التربية الصحيحة و لم تتح له الفرصة المناسبة، و المسير الصحيح لتنفيذ تلك الرغبة، و الاستجابة لها بصورة صحيحة. و ان خير وسيلة للحفاظ على العفة الفردية و الحياء العام، و تجنيب الفرد و المجتمع مفاسد و أخطار الانحراف الجنسىّ هو الزواج.

فان الاسلام يحتّم على الرجل و المرأة- تأكيدا لحكم الفطرة و تمشّيا مع ناموس الطبيعة البشرية- أن يتزوجا طبقا لضوابط خاصّة تضمن سلامة الزيجة و دوامها.

و قد جاء هذا التأكيد، و الحديث فى الكتاب العزيز، و السنة الشريفة بمختلف الصور، و تحت مختلف العناوين:

فقد جاء فى الكتاب العزيز:

«وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَ إِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» «۲».

---

(۱) كان زواج فاطمة بعد وقعة بدر، راجع بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۷۹ و ۱۱۱.

(۲) النور: ۳۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۰۱

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى هذا الصدد:

«تزوّجوا فانّى مكاثر بكم الامم غدا فى القيامة» «۱».

و قال أيضا:

«من أحب أن يلقى اللّه طاهرا مطهّرا فليلقه بزوجة» «۲».

(۱)

مشاكل الزواج فى العصر الحاضر:

على أن مشاكل الزواج فى عصرنا الحاضر لا تنحصر- و للاسف- فى مشكلة واحدة أو مشكلتين.

فالرجال و النساء اليوم يقدمون على الزواج- غالبا- فى ظروف صعبة، و أوضاع رديئة، و تنتهى أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف و الاوضاع و بسبب، ما يلابسها من مستلزمات قاسية و ثقيلة بالطلاق و الافتراق بعد سلسلة من الخلافات و المنازعات.

فتلك هى صحف البلاد تحمل فى أبوابها الاجتماعية كلّ يوم عشرات الانباء و الأخبار عن الجرائم الزوجية و تعالج عشرات المشاكل فى مجال العائلة.

و لكن أكثر هذه المشاكل و المصائب تدور حول قضية واحدة، و هى أن الفتيان و الفتيات فى مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائلة تضمن سعادتهم الواقعية.

فالبعض يهمّه من الزواج أن يصل عن طريق إلى المناصب الراقية الحساسة.

و البعض الآخر يهمّه من الزواج الحصول على الثروة و المال.

(۲) و قلّما يفكر المقدمون على الزواج، و تأسيس العائلة فى امور هامة و جوهرية كالعفة و الطهر، و إذا لوحظ هذا الجانب فإنما يلاحظ بصورة هامشية، لا أساسية.

و يدل على ذلك أن الشباب يتنافس غالبا على التزوج بفتيات من العوائل المعروفة ذات المكانة و الشهرة الاجتماعية و المالية، و الحال أنه يمكن أن تكون

(۱) و (۲) وسائل الشیعة: ج ۱۴ ص ۳ و ۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۰۲

تلک الفتیات غیر متصفات بالاخلاق النبیلة، و لا یکنّ من حیث الجانب المعنوی بالنوع الجید، الجدیر بالاهتمام، الصالح للاقتران به.

فمـا أکثرهن الفتیات الفاضـلات، الطیبات هنا و هناک فی زوایا المجتمع اللائی لا یهتم بهن الشـباب، لفقرهنّ، و قلـة ذات ایـدیهن. او لعدم شهرة عوائلهن.

علی أن الأسوأ من ذلک کلّه ما اصـبح یکلّفه الزواج فی عصرنا الحاضر من نفقات باهضة نتیجة تزاید التقالید المبتدعة فی مجال إقامة الاعراس و حفلات القران و الزواج، الأمر الذی أصـبح یرهق کاهل الزوجین، و یتعب عائلتیهما، مثل مشکلة المهور الباهضة، و ما شابه ذلـک ممـا هـو فی تصاعـد مسـتمر فی بلادنـا، الأـمر الـذی دفـع بـالبعض الی ترک الزواج، و اشـباع غرائزهـم الجنسـیّة بالوسائـل غیر المشروعة، و من ثم شیوع اللاابالیة، و الاباحیة فی المجتمعات.

(۱)

رسول الاسلام یکافح هذه المشاکل عملیّا:

اشارة

تلک طائفة من المشاکل الاجتماعیة التی کانت و لا تزال موجودة فی کل مجتمع بنسب خاصة.

و لم تکن الفترة التی عاصـرها رسول الاسلام بمستثناة من هذا الأمر فقد کانت هناک فی المجتمع فی عصر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله مشاکل مماثلة فی الزواج.

فقد کان أشراف العرب لا یزوّجون بناتهم إلّا لمن کان من قبیلة ذات مال و شوکة، و مکانة و قوة، و یردّون کل خاطب لبناتهن یکون علی غیر هذه الصفة.

و قـد کـان الأشـراف، یصـرّون- تبعـا لتلـک العادة- علی أن یتزوّجوا بابنـة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله السـیدة فاطمـة لانهم کانوا یتصوّرون أن النبیّ لن یتشدد فی هذا الأمر، بل یکفیه أنهم ذو ثروة و مکانة اجتماعیة مرموقة.

و کانوا یتصوّرون أنهم یمتلکون کلّ ما یهمّ الفتاة و أباها من الامکانیات المادیـة، کیف لا و النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله لم یتشـدد فی زواج ابنتیه الاولیین:

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۰۳

زینب و رقیة.

و لکنهم غفلوا عن أن هذه الفتاة (أی فاطمة الزهراء سلام اللّه علیها) تختلف عن اختیها السابقین.

إنها- کما تدل علیه آیة المباهلة- «۱» ذات مقام رفیع، و شأن کبیر.

(۱) لقد أخطأ خطّاب فاطمة علیها السـلام فی هذا التصور، و ما کانوا یعلمون أن زوج فاطمة و قرینها لا یمکن أن یکون إلّا کفؤها فی التقوی و الفضل، و الایمان و الاخلاص، فاذا کانت فاطمـة- بحکم آیـة التطهیر- معصومة من الذنب وجب أن یکون زوجها هو الآخر معصوما و الا لم یکن کفؤها المناسب.

و لیس المال و لیست الثورة ملاک هذا التکافؤ.

لقد قال الاسلام: «إذا خطب إليكم كفؤ فزوّجوه».

و يفسر هذا التكافؤ بالمماثلة و التكافؤ فی الايمان و التقوى، و الطهارة و العفاف، لا فی المال و الثروة «۲».

و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مأمورا من جانب اللّه تعالى أن يقول لكل من خطب إليه «فاطمة» من اولئك الرجال: «أمرها بيد اللّه» و هو بهذه الاجابة يكشف القناع عن الحقيقة إلى درجة ما.

(۲) و لقد أدرك أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن زواج «فاطمة» ليس أمرا سهلا و بسيطا، و أنه ليس لمن كان من الرجال و ان بلغ من الثراء، و المكانة الاجتماعيّة أن يحظى بالزواج منها، فان زوج «فاطمة» ليس إلّا من يشابهها من حيث الأخلاق و الفضائل، و الصدق و الايمان، و الطهر، و الاخلاص، بل ويلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فی السجايا الكريمة و الصفات الرفيعة،

---

(۱) آل عمران: ۶۱.

فی قضية المباهلة اصطحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليا و الحسن و الحسين و فاطمة دون غيرها من النساء و سيأتی مفصل هذه القصة.

(۲) راجع الوسائل: ج ۱۴ ص ۵۰- ۵۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۴

و الخلق العظيم.

و لا تجتمع هذه الصفات و المواصفات إلّا فی «علی» عليه السلام لا سواه.

و للتأكد من هذه الحقيقة اقترح بعض الصحابة على (علیّ) عليه السلام أن يخطب الى النبیّ فاطمة صلوات اللّه عليهما «۱».

و كان علی عليه السلام يريد ذلک فی نفسه، و يرغب إليه من كل قلبه إلّا أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة ليقدم على هذا الأمر.

(۱) فاتى علی عليه السلام بنفسه إلی رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لما رآه رسول اللّه قال: ما جاء بک يا أبا الحسن، حاجتک.

فمنع الخجل عليا من البوح بمطلبه و سكت، و أطرق برأسه الى الارض، حياء من النبیّ صلّى اللّه عليه و آله.

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لعلک جئت تخطب فاطمة؟

فأجاب علی عليه السلام بكلمات ضمّنها رغبته فی الزواج من فاطمة بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد كان هذا النمط من الخطبة علامة واضحة لما كان بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بين علی عليه السلام، من الاخوة و الصفاء، و لما تحلّى به الجانبان من اخلاص و ودّ. و ما أروعها من ظاهرة. حقا انّ المبادئ و الانظمة التربوية لم تستطع أن تعلّم الشباب الذين يقدمون على الخطبة الى أحد مثل هذه الحرية، المقرونة بالتقوى، و الايمان و الاخلاص.

(۲) لقد وافق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على طلب علی عليه السلام و قال:

«يا علیّ أنه لقد ذكرها قبلک رجال فذكرت ذلک لها فرأيت الكراهة فی وجهها، و لكن على رسلک حتى أخرج إليک».

ثم دخل صلّى اللّه عليه و آله على فاطمة، فذكر لها الأمر، و أن عليا عليه السلام خطبها إليه قائلا:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۹۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۵

«إن علی بن أبی طالب من قد عرفت قرابته، و فضله و اسلامه، و انی قد سألت ربی أن يزوّجک خير خلقه، و أحبهم إليه، و قد ذكر من أمرک شيئا فما ترين؟».

فسكتت فاطمة سلام اللّه عليها، و لم ير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فی وجهها كراهة فقام و هو يقول:

«اللّه أكبر، سكوتها إقرارها» «۱».

(۱) و لكن عليّا عليه السلام لم يكن يملك آنذاك إلا سيفا، و درعا فقط.

فأمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن يبيع درعه، و يهيئ بثمنه عدة الزواج و جهاز العروس، فباع على عليه السلام درعه، و أتى بثمنه الى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سكب المال بين يديه «۲».

فقبض صلّى اللّه عليه و آله قبضة الدراهم، و دعا بلالا فأعطاه فقال:

«ابتع لفاطمة طيبا».

ثم أعطى صلّى اللّه عليه و آله بقية تلك الدراهم إلى أبى بكر و عمّار بن ياسر و أمرهما أن يبتاعا لفاطمة ما يصلحها من ثياب و أثاث البيت، و ما شاكل ذلك من احتياجات العروسين.

ففعلا ذلك و اشتريا ما أمرهما به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فكان جهاز فاطمة كالتالى:

(۲)

جهاز فاطمة:

۱- قميص بسبعة دراهم.

۲- خمار «۳» بأربعة دراهم.

---

(۱) نفس المصدر السابق.

(۲) و فى رواية عن عليّ عليه السلام: فسكبت الدراهم فى حجره فلم يسألنى كم هى و لا أنا أخبرته.

(۳) الخمار: مقنعة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۶

۳- قطيفة سوداء لا تكفى لتغطية كلّ البدن.

۴- سرير مزمّل بشريط (أى مصنوع من جريد النخل و اليافه).

۵- فراشان من خيش «۱» مصر، حشو أحد همايف، و حشو الآخر من صوف الغنم.

۶- اربع مرافق «۲» اثنان من الصوف و اثنان من الليف.

۷- ستر.

۸- حصير هجرى.

۹- رحى لليد.

۱۰- مخضب «۳» من نحاس.

۱۱- سقاء من أدم.

۱۲- قعب للبن.

۱۳- شنّ «۴» للماء.

۱۴- مطهرة مزفّته «۵».

۱۵- جرّة خضراء.

۱۶- كيزان خزف.

(۱) فلما عرض المتاع على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جعل يقلّبه بيده و يقول:

«اللهمّ بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف» «۶».

إن فى مهر فاطمة امورا تدعو إلى التأمل حقا، أبرزها مقدار ذلك المهر.

فمهرها هو مهر السنّة و هو خمسمائة درهم «۷».

إن هذه الزيجة- فى الحقيقة- خير درس للآخرين، للفتيان و الفتيات الذين يئنون من ثقل المهر و بهاضته و ربما يئنون من قيود الزواج و شروطه.

---

(۱) الخيش: نسيج خشن من الكتان.

(۲) المرفقة: الوسادة.

(۳) المخضب: اناء للمسك و الطيب.

(۴) الشنّ: القربة.

(۵) مطلية بالزفت.

(۶) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۹۴، كشف الغمة: ج ۱ ص ۳۵۹.

(۷) وسائل الشيعة: ج ۵ ص ۱۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۷

(۱) ان البيئة الزوجية يجب أن تكون- أساسا- بيئة دفء و حنان، بيئة اخلاص مودة.

بيئة سلام و وفاق فهذا هو ما يسعد الحياة الزوجية و يوفر للزوجين عيشا هانئا محببا.

أما المهور الثقيلة، و النفقات الباهضة و الجهاز المكلف فلا- تؤدى إلّا إلى تعكير صفو الحياة الزوجية، و التقليل من بريق الرابطة العائلية، و بالتالى لا تضمن مستقبل الزواج و دوامه، و المحافظة عليه من الهزات.

إن أولياء الفتيات- فى عصرنا الحاضر يعمدون بغية دعم مكانة فتياتهم و تقوية مركزهن و ضمان مستقبلهن إلى فرض سلسلة طويلة و ثقيلة من الشروط و القيود و منها المهر الباهض على العريس حتى لا يستطيع أن يقوم بطلاق زوجته تحت دوافع الهوى و الشهوة، أو كلما سولت له نفسه ذلك، على حين أن هذا الاجراء لا يضمن بقاء الرابطة الزوجية، و دوامها بل العلاج الحقيقى و الناجع هو اصلاح الوضع الاخلاقى للشباب، و رفع مستواهم المعنوى.

يجب أن تكون بيئتنا الثقافية و الاجتماعية من الطهر و النقاوة بحيث لا يوجد فى رحابها امثال هذه النوازع الشريرة عند شبابنا، و الا لبلغ الأمر إلى نقطة تستعد فيه الفتاة الى بذل مهرها للنجاة بنفسها من البيت الزوجى.

(۲)

مراسم الزواج تقام ببساطة:

ثم بعد أن عقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السلام على فاطمة عليها السلام فى رحاب مسجده على مرأى و مسمع من المسلمين و فى جو يسوده الفرح و الابتهاج و السرور قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السلام هيّئ منزلا- حتى تحوّل فاطمة إليه، فأخذوا منزل أحد الصحابة بصورة مؤقتة، و حوّلت فاطمة إلى على عليه السلام فى منزل ذلك الصحابى الجليل، فى زفاف

جميل مبارك و قد صنع على طعاما من لحم و تمر و سمن و اطعم المسلمون جميعا تقريبا، و ساد الناس فرح عظيم لم يشهد له نظير.

عن ابن بابويه: أمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بنات عبد المطلب و نساء

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۸

المهاجرين و الأنصار أن يمضين فى صحبة فاطمة سلام اللّه عليها و ان يفرحن، و يرجزن و يكبرن و يحمدن و لا يقولن ما لا يرضى اللّه.

قال جابر: فأركبها على ناقته- و فى رواية على بغلته الشهباء- و أخذ سلمان زمامها و النبىّ و حمزة و عقيل و جعفر و أهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم و نساء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قدامها يرجزن، فانشأت أم سلمة تقول:

سرن بعون اللّه جاراتى‌و اشكرنه فى كل حالات

و اذكرن ما أنعم رب العلى‌من كشف مكروه و آفات

فقد هدانا بعد كفر و قدانعشنا رب السماوات

و سرن مع خير نساء الورى‌تفدى بعمات و خالات ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما دخلوا الدار أنفذ إلى على عليه السلام ثم دعا فاطمة سلام اللّه عليها فأخذ يدها و قد علاها الاستحياء و تصبب منها العرق خجلا، بل و قد تعثرت من شدة خجلها فقال لها رسول اللّه: «أقالك اللّه العثرة» «۱».

و وضعها فى يده و قال:

«بارك اللّه فى ابنة رسول اللّه يا على نعم الزوجة فاطمة، و يا فاطمة نعم الزوج على».

ثم أخذ بيده اناء فيه ماء وصب منه على رأس فاطمة و بدنها و دعا لهما قائلا:

«اللّهم اجمع شملهما، و الّف بين قلوبهما، و اجعلهما و ذريتهما من ورثة جنة النعيم و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، و اجعل فى ذريتهما البركة، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، و يأمرون بما يرضيك.

اللّهم انّهما أحبّ خلقك إلىّ، فاحبهما و اجعل عليهما منك حافظا، و انّى اعيذهما بك و ذريتهما من الشيطان الرجيم» «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۹۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۱۱۴- ۱۱۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۰۹

(۱) و بذلك أبدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من نفسه فى تلك الليلة صفاء و اخلاصا لم يعرف له نظير حتى فى مجتمعاتنا الحاضرة رغم ما حققته من تكامل و رشد.

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عدد لفاطمة فضائل على كما ذكر لعلى فضائل فاطمة و انها «لو لم يخلق على لما كان لها كفؤ» «۱». ثم ذكر لهما وظائفهما و واجباتهما العائلية فأوكل إلى فاطمة ما هو فى داخل البيت من شئون و أوكل إلى على ما هو من شئون الخارج.

و لا بدّ أن نذكر هنا قصة هامة أداء لحق فاطمة، و بيانا لمقامها.

(۲) يقول أنس بن مالك: إن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج الى الفجر فيقول:

«الصلاة يا أهل البيت، انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا» «۲».

هذا و قد كانت هذه الزيجة أفضل زيجة فى الاسلام و أكثرها بركة و خيرا، فقد عاش هذان القرينان الطاهران جنبا الى جنب فى وئام و وداد، فى حياة زوجية طاهرة يسودها الاحترام المتقابل، و الاخلاص الكامل من بدايتها إلى نهايتها.

و قد أنجبا أفضل الاولاد و البنات أبرزهم: الامام الحسن و الامام الحسين عليهما السلام سبطا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الاثيران لديه، و المقربان إليه، و زينب بنت على التى رافقت أخاها فى وقعة كربلاء الدامية و كان لها مواقف عظيمة و مشرفة فى الرعاية للحق و العدل، و نصرة الاسلام، و غيرهم من الاولاد ذكورا و اناثا.

و قد بقى كلا الزوجين (على و فاطمة) حتى آخر اللحظات عارفين بمكانة

---

(۱) مسند احمد بن حنبل: ج ۲ ص ۲۵۹.

(۲) الدر المنثور: ج ۵ ص ۱۹۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۱۰

الآخر، فكلاهما من أهل البيت الذين اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و كلاهما من القربى الذين أمر بمودتهم و لهذا لم يتزوّج على عليه السلام على الزهراء امرأة اخرى الا بعد وفاتها، كما فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالنسبة إلى خديجة، وفاء لحقها، و احتراما لمقامها.

لكن بعض الايادى دسّت- مع الأسف- فى التاريخ أباطيل للتقليل من شأن هذين الزوجين الطاهرين، و الحط من مكانتهما، فنسبت إليهما التنازع، و التشاجر، أو نسبت إلى فاطمة شكاية علىّ عليه السلام الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أوردت فى هذه المجال روايات مختلقة، لا أساس لها من الصحة، تفندها أخلاق على و فاطمة و تقواهما و زهدهما، و تكذّبها ما جاء فى شأنهما و جلالة قدرهما من الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية.

و قد استند أعداء الاسلام التقليديين إلى امثال هذه الروايات لمسخ صورة الاسلام الحنيف و تشويه سمعة رجاله العظماء و نسائه الخالدات الطيبات.

فهذا هو المستشرق النصرانى الحاقد الاستاذ اميل درمنغم فى كتابه الملىء بالاباطيل: «حياة محمّد» ترجمة الاستاذ محمّد عادل زعيتر بعد ان يلصق برسول السلام تهما عجيبة و يصفه بالبدوىّ الحمس، يقع فى على و فاطمة عليهما السلام!!

فتارة يقول: إن فاطمة كانت عابسة دون رقية جمالا و دون زينب ذكاء، و إنها لم تكن ترغب فى علىّ لانها كانت تعدّ عليا دميما محدودا مع عظيم شجاعته!! و ان عليا كان غير بهىّ الوجه .. و و .. مع أنه كان تقيا شجاعا صادقا وفيا مخلصا صالحا مع توان و تردد!!

و كان إذا عاد إلى منزله من العمل بشىء من القوت قال لزوجته فاطمة عابسا: كلى و اطعمى الاولاد!! و أن عليا كان يحرد بعد كل منافرة و يذهب لينام فى المسجد و كان حموه يربّته على كتفه و يعظه و يوفّق بينه و بين فاطمة إلى حين، و ممّا حدث أن رأى النبىّ ابنته فى بيته ذات مرة و هى تبكى من لكم علىّ لها!!

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۱۱

ثم يقول: إن محمّدا- مع امتداحه قدم على فى الاسلام ارضاء لابنته- كان قليل الالتفات إليه و كان صهر النبىّ الامويان: عثمان الكريم و أبو العاصى أكثر مداراة للنبىّ من علىّ، و كان على يألم من عدم عمل النبىّ على سعادة ابنته و من عدّ النبىّ له غير قوّام بجليل الأعمال فالنبىّ و ان كان يفوّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة إليه!! «۱»

إلى غير ذلك من الترهات و السخافات التى الصقها تارة إلى رسول اللّه الاكرم محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و اخرى إلى حبيبه و ابن عمه و وصيه الامام على بن أبى طالب عليه السلام.

إن أفضل اجابة على هذه الافتعالات هو ما كتبه العلامة الامينى حيث يقول:

كلّ ما فى الكتاب من تلكم الأقوال المختلقة، و النسب المفتعلة إن هى إلّا كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، و تضادّ ما أصفقت عليه الامّة الإسلاميّة، و ما أخبر به نبيّها الأقدس.

هل تناسب تقولاته فی فاطمة مع قول أبیها صلّی اللّه علیه و آله: فاطمة حوراء إنسیّة کلّما اشتقت إلی الجنّة قبّلتها؟! «۲»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله: ابنتی فاطمة حوراء آدمیّة؟! «۳»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله: فاطمة هی الزهرة؟! «۴»

أو قول أمّ أنس بن مالک؟!: کانت فاطمة کالقمر لیلة البدر أو الشـمس کفر غماما، إذا خرج من السحاب بیضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شبها، و اللّه کما قال الشاعر:

بیضاء تسحب من قیام شعرهاو تغیب فیه و هو جثل أسحم «۵»

---

(۱) هذه المقتطفات اخذت من کتاب حیاة محمّد: ص ۱۹۷– ۱۹۹.

(۲) تاریخ الخطیب البغدادی: ج ۵ ص ۸۶.

(۳) الصواعق: ص ۹۶، اسعاف الراغبین: ص ۱۷۲ نقلا عن النسائی.

(۴) نزهة المجالس: ج ۲ ص ۲۲۲.

(۵) جثل الشعر: کثر و التف و اسود فهو جثل: سحم فهو اسحم: اسود.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۲ فکأنّها فیه نهار مشرقو کأنّه لیل علیها مظلم «۱» و لقبها الزهراء المتسالم علیه یکشف عن جلیّة الحال.

و هل یساعـد تلک التحکمات فی ذکاء فاطمة و خلقها قول أمّ المؤمنین خدیجة رضـی اللّه عنها: کانت فاطمة تحدّث فی بطن امّها، و لمّا ولدت فوقعت حین وقعت علی الأرض ساجدة رافعة اصبعها؟! «۲».

أو یلائمها قول عائشة: ما رأیت أحدا أشبه سمتا و دلا و هدیا و حدیثا برسول اللّه فی قیامه و قعوده من فاطمة، و کانت إذا دخلت علی رسول اللّه قام إلیها فقبّلها و رحّب بها، و أخذ بیدها و أجلسها فی مجلسه؟! «۳»

و فی لفظ البیهقی فی السنن ج ۷ ص ۱۰۱: ما رأیت أحدا أشبه کلاما و حدیثا من فاطمة برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الحدیث.

و هـل توافق مخـاریقه فی الامـام علیّ صـلوات اللّه علیه، و عـدم بهاء وجهه، و عـدّ فاطمـة له دمیما و کونه عابسا مع ما جاء فی جماله البهیّ: انّه کان حسن الوجه کأنّه قمر لیلـة البـدر، و کأنّ عنقه إبریق فضّـة «۴» ضحوک السنّ «۵» فـإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؟! «۶».

و أین هی من قول أبی الأسود الدؤلی من أبیات له؟!:

إذا استقبلت وجه أبی ترابرأیت البدر حار الناظرینا «۷»

---

(۱) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۶۱.

(۲) سیرة الملا، ذخائر العقبی: ص ۴۵، نزهة المجالس: ج ۲ ص ۲۲۷.

(۳) اخرجه الحافظ ابن حبان کما فی ذخائر العقبی ۴۰ م، و الحافظ الترمذی و حسـنه، و الحافظ العراقی فی التقریب کما فی شرحه له و لابنه ج ۱ ص ۱۵۰، و ابن عبد ربه فی العقد الفرید: ج ۲ ص ۳، و ابن طلحة فی مطالب السئول: ص ۷، اسعاف الراغبین: ص ۱۷۱.

(۴) کتاب صفین: ص ۲۶۲، الاستیعاب: ج ۲ ص ۴۶۹، الریاض النضرة: ج ۲ ص ۱۵۵، نزهة المجالس: ج ۲ ص ۲۰۴.

(۵) تهذیب الاسماء و اللغات للامام النووی.

(۶) حلیة الأولیاء: ج ۱ ص ۸۴، تاریخ ابن عساکر: ج ۷ ص ۳۵، المحاسن و المساوی: ج ۱ ص ۳۲.

(۷) تذکرة السبط: ص ۱۰۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۳

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضلهفالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجههاحسدا و بغضا: إنّه لدميم أو يخبرك ضميرك الحرّ فى على ما سلقه الرجل به من (التوانى و التردّد)؟! و عليّ ذلك المتقحم فى الأحوال، و الضارب فى الأوساط و الأعراض فى المغازى و الحروب؛ و هو الذى كشف الكرب عن وجه رسول اللّه فى كلّ نازلة و كارسة منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه و فداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير.

أ ليس عليّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذى نزل فيه قوله تعالى: «أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

و قوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ». «۱».

فمتى خلى عليّ عن مقارعة الرجال و الذبّ عن قدس صاحب الرسالة حتى يصحّ أن يعزى إليه توان أو تردّد فى أمر من الامور؟! غير ان القول الباطل لا حدّ له و لا أمد.

و هل يتصوّر فى أمير المؤمنين تلك العشرة السيّئة مع حليلته الطاهرة؟! و النبيّ يقول له: أشبهت خلقى و خلقى و أنت من شجرتى التى أنا منها «۲».

و كيف يراه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أفضل امّته أعظمهم حلما، و أحسنهم خلقا، و يقول: عليّ خير أمّتى أعلمهم علما و أفضلهم حلما؟! «۳».

و يقول لفاطمة: إنّى زوّجتك أقدم أمّتى سلما، و أكثرهم علما، و أعظمهم حلما؟! «۴».

---

(۱) راجع الجزء الثالث من «الغدير»: ص ۴۷، ۵۳ ط ثانى.

(۲) تاريخ بغداد للخطيب: ج ۱۱ ص ۱۷۱.

(۳) الطبرى، الخطيب، الدولابى. كما فى كنز العمال: ج ۶ ص ۱۵۳ و ۳۹۲ و ۳۹۸.

(۴) مسند احمد: ج ۵ ص ۲۶، الرياض النضرة: ج ۲ ص ۱۹۴، ذخائر العقبى: ص ۷۸، مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۰۱، ۱۱۴ و صححه و وثق رجاله.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۱۴

و يقول لها: زوّجتك أقدمهم سلما، و أحسنهم خلقا؟! «۱».

يقول هذه كلّها و عشرته تلك كانت بمرأى منه و مسمع، أفك الدجّالون، كان عليّ عليه السلام كما أخبر به النبيّ الصادق الأمين.

و هل يقبل شعورك ما قذف به الرجل [فضّ اللّه فاه] عليّا بلكم فاطمة بضعة المصطفى؟! و عليّ هو ذاك المقتص أثر الرسول و ملأ مسامعه قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لفاطمة: إنّ اللّه يغضب لغضبك، و يرضى لرضاك «۲».

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهى بضعة منّى، هى قلبى و روحى التى بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذانى «۳».

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فاطمة بضعة منّى، يريبنى ما رابها، و يؤذينى ما آذاها «۴».

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فاطمة بضعة منّى، فمن أغضبها فقد أغضبنى «۵».

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فاطمة بضعة منّى، يقبضنى ما يقبضها، و يبسطنى ما يبسطها «۶».

---

(۱) أخرجه أبو الخير الحاكمى كما فى الرياض النضرة: ج ۲ ص ۱۸۲.

(۲) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۵۴ و صححه، ذخائر العقبی: ص ۳۹، تذکرة السبط: ص ۱۷۵ مقتل الخوارزمی: ج ۱ ص ۵۲، کفایة الطالب: ص ۲۱۹، شرح المواهب للزرقانی: ج ۳ ص ۲۰۲، کنوز الدقائق للمناوی: ص ۳۰، أخبار الدول للقرمانی هامش الکامل: ج ۱ ص ۱۸۵، کنز العمال: ج ۷ ص ۱۱۱ عن الحاکم و ابن النجار، تهذیب التهذیب: ج ۱۲ ص ۴۴۳، الاصابة: ج ۴ ص ۳۷۸، الصواعق: ص ۱۰۵، الاسعاف: ص ۱۷۱ عن الطبرانی، ینابیع المودة: ص ۱۷۳.

(۳) الفصول المهمة: ص ۱۵۰، نزهة المجالس: ج ۲ ص ۲۲۸، نور الابصار: ص ۴۵.

(۴) صحاح البخاری و مسلم و الترمذی، مسند أحمد: ج ۴ ص ۳۲۸، الخصائص للنسائی: ص ۳۵، الاصابة: ج ۴ ص ۳۷۸.

(۵) صحیح البخاری، خصائص النسائی: ص ۳۵.

(۶) مسند أحمد: ج ۴ ص ۳۲۳ و ۳۳۲، الصواعق: ص ۱۱۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۵

و هل یقصر امتداح النبیّ علیّا بقدم إسلامه؟! حتّی یتفلسف فی سرّه و یکون ذلک إرضاء لابنته، علی أنّ امتداحه بذلک لو کان لتلک المزعمة لکان یقتصر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی قوله لفاطمة فی ذلک و کان یتأتّی الغرض به، فلما ذا کان یأخذ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بید علیّ فی الملأ الصحابی تارة و یقول: إنّ هذا أوّل من آمن بی، و هذا أوّل من یصافحنی یوم القیامة؟ و لما ذا کان یخاطب أصحابه اخری بقوله: أوّلکم واردا علیّ الحوض أوّلکم اسلاما علیّ بن أبی طالب؟!

و کیف خفی هذا السرّ المختلق علی الصحابة الحضور و التابعین لهم باحسان فطفقوا یمدحونه علیه السلام بهذه الاثارة کما یروی عن سلمان الفارسی، أنس بن مالک، زید بن أرقم، عبد اللّه بن عبّاس، عبد اللّه بن حجل، هاشم بن عتبة، مالک الاشتر، عبد اللّه بن هاشم، محمد بن أبی بکر، عمرو بن الحمق، أبو عمرة عدیّ بن حاتم، أبو رافع، بریدة، جندب بن زهیر، أمّ الخیر بنت الحریش.

و هل القول بقلّة التفات النبیّ إلی علیّ یساعده القرآن الناطق بأنّه نفس النبیّ الطاهر؟! او جعل مودّته أجر رسالته؟!

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حدیث الطیر المشویّ الصحیح المرویّ فی الصحاح و المسانید: اللّهم ائتنی بأحبّ خلقک إلیک لیأکل معی؟!

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعائشة: إنّ علیّا أحبّ الرجال إلیّ، و أکرمهم علیّ، فاعرفی له حقّه و أکرمی مثواه؟! «۱»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أحبّ الناس إلیّ من الرجال علیّ؟! «۲»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ خیر من أترکه بعدی؟! «۳»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: خیر رجالکم علیّ بن أبی طالب، و خیر

---

(۱) أخرجه الحافظ الخجندی کما فی الریاض: ج ۲ ص ۱۶۱، و ذخائر العقبی: ص ۶۲.

(۲) و فی لفظ: أحب أهلی، من حدیث اسامة.

(۳) مواقف الایجی: ج ۳ ص ۲۷۶، مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۱۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۶

نساءکم فاطمة بنت محمّد؟! «۱»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ خیر البشر فمن أبی فقد کفر «۲»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: من لم یقل علیّ خیر الناس فقد کفر؟! «۳»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: فی حدیث الرایة المتّفق علیه: لاعطینّ الرایة غدا رجلا یحبّه اللّه و رسوله و یحبّ اللّه و رسوله؟

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ منّی بمنزلة الرأس (رأسی) من بدنی أو جسدی؟ «۴»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ منّی بمنزلتی من ربّی؟ «۵».

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ أحبّهم إلیّ و أحبّهم إلی اللّه «۶».

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلیّ: أنا منک و أنت منی. أو: أنت منّی و أنا منک؟ «۷»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ منّی و أنا منه، و هو ولیّ کلّ مؤمن بعدی؟ «۸»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حدیث البعث بسورة البراءة المجمع علی

---

(۱) تاریخ بغداد للخطیب: ج ۴ ص ۳۹۲.

(۲) تاریخ الخطیب عن جابر، کنوز الحقائق هامش الجامع الصغیر: ج ۲ ص ۱۶، کنز العمال: ج ۶ ص ۱۵۹

(۳) تاریخ الخطیب البغدادی: ج ۳ ص ۱۹۲ عن ابن مسعود، کنز العمال: ج ۶ ص ۱۵۹.

(۴) تاریخ الخطیب: ج ۷ ص ۱۲، الریاض النضرة: ج ۲ ص ۱۶۲، الصواعق: ص ۷۵ م- الجامع الصغیر للسیوطی، شرح العزیزی: ج ۲ ص ۴۱۷، فیض القدیر: ج ۴ ص ۳۵۷، نور الأبصار:

ص ۸۰ مصباح الظلام: ج ۲ ص ۵۶.

(۵) الریاض النضرة: ج ۲ ص ۱۶۳، السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۳۹۱.

(۶) تاریخ الخطیب: ج ۱ ص ۱۶۰.

(۷) مسند أحمد: ج ۵ ص ۲۰۴، خصائص النسائی: ص ۳۶ و ۵۱.

(۸) مسند أحمد: ج ۵ ص ۳۵۶ و أخرجه جمع من الحفاظ باسناد صحیح

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۷

صحته: لا یذهب بها إلّا رجل منّی و أنا منه «۱»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لحمک لحمی و دمک دمی و الحقّ معک؟ «۲»

أو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ما من نبیّ إلّا و له نظیر فی امّته و علیّ نظیری؟ «۳»

أو ما صحّحه الحاکم و أخرجه الطبرانی عن أمّ سلمة قالت: کان رسول اللّه إذا أغضب لم یجترئ أحد أن یکلّمه غیر علیّ؟ «۴»

أو قول عائشة: و اللّه ما رأیت أحدا أحبّ إلی رسول اللّه من علیّ و لا فی الأرض امرأة کانت أحبّ إلیه من امرأته؟ «۵»

أو قول بریدة و أبیّ: أحبّ الناس إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من النساء فاطمة و من الرجال علیّ؟! «۶»

أو حدیث جمیع بن عمیر قال: دخلت مع عمّتی علی عائشة فسألت أیّ الناس أحبّ إلی رسول اللّه؟! قالت: فاطمة. فقیل: من الرجال؟ قالت:

زوجها، إن کان ما علمت صوّاما قوّاما؟ «۷»

و کیف کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقدّم الغیر علی علیّ فی الالتفات إلیه؟! و هو أوّل رجل اختاره اللّه بعده من أهل الأرض لمّا اطّلع

---

(۱) خصائص النسائی: ج ۸.

(۲) المحاسن و المساوی: ج ۱ ص ۳۱، کفایة الطالب: ص ۱۳۵، مناقب الخوارزمی: ص ۷۶ و ۸۳ و ۸۷، فرائد السمطین: فی الباب ۲ و ۲۷.

(۳) الریاض النضرة: ج ۲ ص ۱۶۴.

(۴) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۳۰، الصواعق: ص ۷۳، تاریخ الخلفاء للسیوطی: ص ۱۱۶.

(۵) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۵۴ و صححه، العقد الفرید: ج ۲ ص ۲۷۵، خصائص النسائی: ص ۲۹، الریاض النضرة: ج ۲ ص ۱۶۱.

(۶) خصائص النسائی: ص ۲۹، مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۵۵ صححه و هو و الذهبی، جامع الترمذی: ج ۲ ص ۲۲۷.

(۷) جامع الترمذی: ج ۲ ص ۲۲۷ ط هند، مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۵۷، و جمع آخر.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۸

علیهم کما أخبر به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لفاطمة بقوله: إنّ اللّه اطّلع علی أهل الأرض فاختار منه أباک فبعثه نبیّا، ثمّ اطّلع الثانیة فاختار بعلک فأوحی إلیّ فأنکحته و اتّخذته وصیّا «۱».

و بقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إن اللّه اختار من أهل الأرض رجلین أحدهما أبوک و الآخر زوجک «۲».

و إنّی لا یسعنی المجال لتحلیل کلمة الرجل: و کان صهرا النبیّ الامویّان.

إلخ: و حسبک فی مداراة عثمان الکریم حدیث أنس عن رسول اللّه لمّا شهد دفن رقیّة ابنته العزیزة و قعد علی قبرها و دمعت عیناه فقال: أیّکم لم یقارف اللیلة أهله؟! فقال أبو طلحة: أنا. فأمره أن ینزل فی قبرها.

قال ابن بطّال: أراد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یحرم عثمان النزول فی قبرها و قد کان أحقّ الناس بذلک لأنّه کان بعلها و فقد منها علقا لا عوض منه لأنّه حین قال علیه السلام: أیّکم لم یقارف اللیلة أهله؟! سکت عثمان و لم یقل: أنا. لأنّه قد قارف لیلة ماتت بعض نسائه، و لم یشغله الهمّ بالمصیبة و انقطاع صهره من النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم عن المقارفة فحرم بذلک ما کان حقّا له و کان أولی به من أبی طلحة و غیره. و هذا بیّن فی معنی الحدیث و لعلّ النبیّ صلّی اللّه علیه [و آله] و سلّم قد کان علم ذلک بالوحی فلم یقل له شیئا لأنّه فعل فعلا حلالا غیر أنّ المصیبة لم تبلغ منه مبلغا یشغله حتّی حرم ما حرم من ذلک بتعریض غیر صریح «۳».

و ما عسانی أن أقول فی أبی العاص الذی کان علی شرکه إلی عام الحدیبیّة، و اسر مع المشرکین مرّتین، و فرّق الإسلام بینه و بین زوجته زینب بنت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ستّ سنین، و هاجرت مسلمة و ترکته لشرکه، و لم ترد

---

(۱) اخرجه الطبرانی عن أبی ایوب الأنصاری کما فی اکمال کنز العمال: ج ۶ ص ۱۵۳، و اخرجه الهیثمی فی مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۶۵ عن علی الهلالی.

(۲) المواقف للایجی: ص ۸

(۳) الروض الانف: ج ۲ ص ۱۰۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۱۹

قطّ بعد إسلامه کلمة تعرب عن صلته مع النبیّ و مداراته له فضلا عن مقایسته بعلیّ أبی ذرّیّته و سیّد عترته.

و قد اتّهم الرجل نبیّ الإسلام بعد العمل علی سعادة ابنته الطاهرة المطهّرة بنصّ الکتاب العزیز، و یقذف علیّا بالتألّم من ذلک، و کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا أصبح أتی باب علیّ و فاطمة و هو یقول: یرحمکم اللّه إنّما یرید اللّه لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهّرکم تطهیرا. و کان لم یزل یقول: فاطمة أحبّ الناس إلیّ.

و یقول: أحبّ الناس إلیّ من النساء فاطمة.

و یقول: أحبّ أهلی إلیّ فاطمة.

و کان عمر یقول لفاطمة: و اللّه ما رأیت أحدا أحبّ إلی رسول اللّه منک «۱».

و ما أقبح الرجل فی تقوّله علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعدّه لعلیّ غیر قوّام بجلیل الأعمال. و قد وازره و ناصره و عاضده بتمام معنی الکلمة بکلّ حول و طول من بدء دعوته إلی آخر نفس لفظه، فصار بذلک له نفسا و أخا و وزیرا و وصیّا و خلیفة و وارثا و ولیّا بعده، و کان قائده الوحید فی حروبه و مغازیه، و هو ذلک الملقّب بقائد الغرّ المحجّلین وحیا من اللّه العزیز فی لیلة أسری بنبیّه من المسجد الحرام إلی المسجد الأقصی «۲».

و ممّا یعجّب بل و یؤسف أن نجد العقاد کاتب النیل الکبیر یذهب هذا المذهب، و ینحو هذا المنحی ذاته من سیدة نساء العالمین فاطمة بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أمّ الامامین الهمامین الحسن و الحسین علیهما السلام، فیسطر فی کتابه «فاطمة الزهراء و الفاطمیّون» «۳» شیئا من هذه العبارات و المقالات التافهة التی لا یلیق بکاتب مثله عرف بالتحقیق و الفهم، ان یدرجها فی مؤلفه.

---

(۱) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۵۰ و صححه.

(۲) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۱۳۸ و صححه، الریاض النضرة: ج ۲ ص ۱۷۷، شمس الاخبار:

ص ۳۹، أسد الغابة: ج ۱ ص ۶۹، مجمع الزوائد: ج ۹ ص ۱۲۱.

(۳) راجع ص ۳۲ و ۳۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۰

و لا یجاب علی ما کتبه العقاد و من حذی حذوه إلا بما مرّ فی کلام العلّامة و المحقق الخبیر الامینی رحمه اللّه. ففیه کفایة لمن تحرّی الحقیقة عن أهل البیت علیهم السلام.

هذا و ینبغی ان نذکّر القارئ الکریم بنفس ما کتبه العقاد فی کتابه و مما یعتبر شهادة دامغة تفند ما بدر منه من قول غیر لائق فی شأن علی و الزهراء، فهو یقول: فی کل دین صورة للانوثة الکاملة المقدسة یتخشع بتقدیسها المؤمنون کأنّما هی آیة اللّه فیما خلق من ذکر و انثی.

فاذا تقدست فی المسیحیة مریم العذراء ففی الاسلام لا جرم تتقدس صورة فاطمة البتول.

ثم یقول: من الواضح البین ان الزهراء اخذت مکانها الرفیع بین اعلام النساء فی التاریخ لانها بنت نبی و زوجة امام و أم شهداء «۱».

فاذا کانت هذه هی صورة الزهراء البتول، فکیف یصدّق العقل ما حاکته أیدی الدسّ فی تاریخ هاتین القمتین الطاهرتین من قمم الاسلام الشامخة؟!

---

(۱) راجع: ص ۵۱ و ۵۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۱

(۱)

۳۱ جرائم «بنی قینقاع»

اشارة

کانت معرکة «بدر» بمثابة طوفان شدید ضدّ الوثنیة فی قلب شبه الجزیرة العربیة.

طوفان اقتلع بعض جذور الوثنیة العریقة، فقد قتل طائفة من صنادید قریش، و اسرت اخری و هرب الباقون بمنتهی الذل و الصغار، و

انتشر خبر هزیمة جیش قریش المتغطرس فی جمیع أنحاء و ربوع الجزیرة العربیة.

و لکن ساد بعد هذا الطوفان المرعب، شیء من الهدوء و المقرون بالاضطراب و القلق. هدوء کان منشؤه التفکیر فی مستقبل شبه الجزیرة العام و ما تخبئه الایام القادمة لسکانها علی أثر التحول الجدید.

(۲) و کانت مخاوف القبائل الوثنیة، و یهود یثرب الاثریاء و یهود خیبر و وادی القری تزداد یوما بعد یوم من تقدم الاسلام المطّرد، و تعاظم شوکته، و اشتداد أمر حکومته الفتیة، و کان جمیع هؤلاء یجدون مستقبلهم مهددا بخطر جدیّ، بعد أن کانوا لا یتصورون أن یکسب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المهاجر من مکة کلّ هذه النجاحات الباهرة، و أن یبلغ من القوة ذلک المبلغ، بحیث یقهر بقواه المحدودة قوة قریش الکبری و یکسر شوکتها العریقة!!

(۳) و کان یهود بنی قینقاع الذین یقطنون داخل المدینة، و یمسکون بخیوط اقتصادها، أشدّ خوفا من غیرهم، و اکثر قلقا علی مستقبل أمرهم، لأنهم کانوا یخالطون المسلمین مخالطة کاملة و کان وضعهم یختلف عن وضع یهود خیبر و وادی القری الذین کانوا یعیشون خارج المدینة بعیدا عن مرکز قوة المسلمین و منطقة حاکمیتهم!!

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۲

من هنا بدأ یهود بنی قینقاع قبل غیرهم من طوائف الیهود العائشة فی تلک الدیار بتدبیر المؤامرات، و ممارسة الأعمال الإیذائیة ضدّ المسلمین و القیام بالحرب الباردة (الإعلامیة) ضدّهم، و ذلک بنشر الأکاذیب و بثّ المعلومات الکاذبة، و اطلاق الشعارات القبیحة، و انشاد القصائد التی من شأنها الاساءة الی المسلمین و تحقیرهم، و تخریب معنویاتهم.

و بهذا یکون الیهود قد بدءوا عملیّا بنقض معاهدة التعایش السلمی التی ذکرناها سلفا، و التی عقدها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله معهم فی إبّان قدومه المدینة.

(۱) و لم تکن هذه الحرب الباردة الشریرة لتبرر تصدی القوی الاسلامیة لها بالحرب الساخنة، و استعمال السلاح، لأن ما یمکن حله بسلاح المنطق لا یحبذ أن یعالج بمنطق السلاح، و خاصة أن الرد الساخن و المسلح یؤدی إلی زعزعة الأمن و الاستقرار فی المدینة، و الحال أن المحافظة علی الوحدة السیاسیة، و استتباب الأمن و الاستقرار فی المدینة کان مما یهمّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله جدا و هو یواجه أعداء أشداء من الخارج.

فلم یکن من مصلحة الاسلام و المسلمین تفجیر الموقف فی عاصمة الاسلام، یومئذ.

و لهذا- و بغیة اتمام الحجة علی یهود بنی قینقاع- وقف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم فی سوقهم بعد أن جمعهم فیه ثم قال لهم:

«یا معشر یهود احذروا من اللّه مثل ما نزل بقریش من النقمة، و أسلموا، فانکم قد عرفتم انّی رسول اللّه (أو أنی نبی مرسل) تجدون ذلک فی کتابکم و عهد اللّه إلیکم».

و هنا نزل قول اللّه تعالی:

«قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلی جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ. قَدْ کانَ لَکُمْ آیَةٌ فِی فِئَتَیْنِ الْتَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ أُخْری کافِرَةٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ وَ اللَّهُ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۳

یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ» «۱».

(۱) و لکن الیهود المغرورین المتکبرین لم یشکروا نصیحة النبی هذه أو یسکتوا حسب، بل ردوا علیه بعناد و لجاج و صلافة قائلین: یا محمّد انک تری انا قومک لا یغرنّک أنک لقیت قوما لا علم لهم بالحرب، فاصبت منهم فرصة، إنا و اللّه و لئن حاربناک لتعلمنّ أنّا نحن الناس (أو أنّا و اللّه أصحاب الحرب، و لئن قاتلتنا لتعلمنّ أنک لم تقاتل مثلنا)!! «۲»

فلم تترك كلمات يهود «بنى قينقاع» الجوفاء، و تشدقهم الفارغ بقوتهم و قدرتهم على القتال و المواجهة أدنى اثر فى نفوس المسلمين.

و لكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد أتم عليهم الحجة، فلم يعودوا معذورين حسب السياسة الاسلامية، و قد أصبح ساعتئذ من اللازم الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم ينجع سلاح المنطق، و لم يقنع اليهود بضرورة تغيير مواقفهم، و التخلى عن مؤامراتهم و خططهم الايذائية ضد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين.

أجل لا بد من استخدام القوة مع هؤلاء اليهود الصلفين المتعنتين و الّا ازدادوا صلافة، و كثرت اعتداءاتهم.

و لهذا أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ينتظر الفرصة المناسبة لتأديب تلك الجماعة المتعنتة الوقحة.

(۲)

لهيب الحرب يبدأ من شرارة:

قد تجر بعض الحوادث الصغيرة إلى سلسلة من التحولات و الاحداث فى الاجتماعات الكبرى. يعنى أن تتسبب حادثة جزئية فى انفجار الحوادث الكبرى، فيصفى كلّ من طرفى النزاع حسابه مع الطرف الآخر، انطلاقا من علل و اسباب اخرى، و ليست تلك الحادثة الجزئية.

---

(۱) آل عمران: ۱۲ و ۱۳.

(۲) المغازى: ج ۱ ص ۱۷۵ و ۱۷۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۴

فللمثال نشأت الحرب العالمية الاولى و هى إحدى اكبر الحوادث التاريخية فى حياة البشر من حادثة صغيرة تذرعت بها الدول الكبرى، و تلك الحادثة الصغيرة التى اشعلت فتيل الحرب العالمية الاولى هى اغتيال «الارشيدوق فرانسيز فريديناند» ولى عهد النمافى سراييفو.

فقد وقعت هذه الحادثة فى ۲۸ من شهر يونيو عام ۱۹۱۴ و بعد شهر وعدة أيام بدأت الحرب العالمية الاولى بهجوم الالمان على بلجيكا، و افرزت هذه الحرب المدمرة الشاملة عن مقتل عشرة ملايين و جرح عشرين مليونا من البشر «۱».

(۱) و لقد انزعج المسلمون من صلافة يهود بنى قينقاع، وردهم الوقح على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يخاطبهم بأدب ينصحهم، و كانوا يتوقعون أن يقوم اليهود بعمل عدائى ليثوروا ضدهم، و يؤدبوهم.

و بيناهم على هذه الحال إذ تعرضت امرأة من العرب لاعتداء من اليهود فاشعل هذا الحادث الموقف.

و إليك مفصل تلك الحادثة:

(۲) جاءت امرأة من العرب الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ تبيع حليّا لها أو تشترى، و كانت تبالغ فى ستر وجهها عن اليهود، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد رجل من يهود بنى قينقاع إليها و جلس من ورائها، و هى لا تشعر فعقد أسفل ثوبها إلى ظهرها، فلما قامت المرأة بدت عورتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين الى ذلك الرجل اليهودى فقتله، فاجتمعت بنو قينقاع، و شدّوا على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم القتيل المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون غضبا شديدا.

(۳) و لقد كان من الطبيعى أن يثب الرجل المسلم على ذلك اليهودى الوقح الشرير الذى فعل بالمرأة العربية ذلك الصنع، فان قضية «الأعراض» قضية حياتية و حساسة فى أى مجتمع، فهى قضية شرف، و قد كان هذا الأمر يحظى فى المجتمع

---

(۱) الموسوعة العربیة المیسرة: ص ۷۰۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۵

العربیّ خاصة بأهمیة کبری، و خاصة عند البدو الرحل منهم، فکم من دماء جرت لعدوان علی عرض دیس أو تعرض للتحرش.

من هنا أزعج وضع تلک المرأة الغریبة و حالها المؤلم و اضطرابها الرجل المسلم، و أشعل غیرته فوثب علی الیهودی المعتدی و قتله.

و کان من الطبیعی أیضا أن لا یمرّ هذا العمل دون رد من الیهود فیثب الیهود بأجمعهم علی ذلک المسلم الغیور و یقتلوه، و یریقوا دمه بأجمعهم.

نحن هنا لا یهمّنا أن نعرف أن قتل ذلک الرجل الیهودی لازدرائه بامرأة کان أمرا صحیحا منطقیا یتفق مع الموازین أم لا ینطبق.

و لکنّه ما من شک فی أن وثوب مئات من الرجال و اجتماعهم علی قتل رجل مسلم واحد، و إراقة دمه، عمل بالغ الشناعة و القبح.

من هنا تسبّب انتشار هذا الخبر (ای مقتل رجل مسلم واحد علی أیدی مجموعة کبیرة من الرجال بصورة مفجعة) فی إثارة المسلمین و نفاذ صبرهم، و دفعهم إلی العزم علی حسم الموقف حسما کاملا و بالتالی هدم قلعة الفساد علی رءوس أصحابها القتلة.

(۱) فاحس «بنو قینقاع» بخطر الموقف، و أدرکوا انه لم یعد من الصالح أن یبقوا فی أسواقهم، و یواصلوا البیع و الشراء، و قد تلبّد الجوّ بالغیوم الداکنة علی أثر العمل الفضیع و الجنایة الکبری التی ارتکبوها.

من هنا ترکوا أسواقهم بسرعة، و عادوا إلی قلاعهم المحصّنة، و تحصّنوا فیها، و کان ذلک منهم انسحابا خانعا بعد ذلک التشدّق الصلف!!

و لقد أخطئوا هذه المرة أیضا إذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم، من انتقام اللّه.

و لو أنهم اعتذروا لخطئهم، و أظهروا الندامة لکانوا یجلبون رضا المسلمین، و یحصلون علی عفو النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و هم یعرفون خلقه العظیم؛ و صفحة الکریم.

إلّا أن تحصّنهم کان آیة عنادهم، و اعلانهم الحرب، و نصبهم العداء الصریح للاسلام و النبیّ و المسلمین.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۶

(۱) فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمحاصرتهم، و منع من دخول أیّ امداد إلیهم، کما منع من اتصالهم بأی أحد خارج حصونهم.

فحصرهم فی حصونهم خمس عشرة لیلة أشدّ الحصار، حتی قذف اللّه فی قلوبهم الرعب، و فقدوا القدرة علی المقاومة، و رضوا بأن ینزلوا عند حکم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فیهم!!

و أراد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یؤدب تلک الجماعة التی کانت أول من نقض العهد و نبذ المیثاق تأدیبا قاسیا، یکون عقابا لهم و عبرة لغیرهم.

و لکن «عبد اللّه بن أبی بن سلول» الذی کان من منافقی المدینة و یتظاهر بالاسلام، أصرّ علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأن یحسن معاملتهم، و لا یأخذهم بما فعلوا لحلف و مودة کانت بینه و بین یهود من السابق، فانصرف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عن ما کان یرید من تأدیبهم الشدید، و عقوبتهم علی کره منه «۱» و لکن أمر بأن یجلوا من المدینة، و لا یبقوا فیها شریطة أن یترکوا أسلحتهم، و أموالهم، و دروعهم.

(۲) فنزلوا علی حکم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أحد المسلمین بقبض أموالهم و أسلحتهم، و کلّف «عبادة بن الصامت» باجلائهم من حصونهم فعجّل عبادة فی ترحیلهم و إجلائهم.

فخرجوا من المدینة و لحقوا بمنطقة تدعی «أذرعات» و هی بلد فی اطراف الشام.

---

(۱) هـذا مع العلم ان القرآن الكريم نـدّد بمثل هذه الوساطة الذى قام بها ذلك الرجل المنافق رغم تخفيف النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله معاقبة اليهود و رسم للمسلمين منهجا فى التعامل مع اليهود و النصارى إذ قال:

«يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاـ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصـارى أَوْلِيـاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيـاءُ بَعْضٍ، وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْـدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسـارِعُونَ فِيهِمْ، يَقُولُونَ نَخْشـى أَنْ تُصِـيبَنا دائِرَةٌ، فَعَسَـى اللَّهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْـحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْـدِهِ، فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ. وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا، أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ» (المائدة: ۵۱– ۵۳).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۲۷

و باجلاء «بنى قينقاع» عادت الوحدة السياسية الى المجتمع فى المدينة.

و كانت الوحـدة السياسـية هذه المرة مقرونة بالوحدة الدينية إذ كان المسـلمون يشـكلون الاغلبية الساحقة فى المدينة فلم يكن لغيرهم فيها شأن يذكر «۱».

(۱)

تقارير جديدة تصل الى المدينة:

من المعلوم أن الاخبـار تنتشـر بين الناس بسـرعة فى المناطق الصـغيرة، على العادة. سـيد المرسـلين ج۲ ۱۲۷ تقارير جديـدة تصل الى المدينة: ..... ص : ۱۲۷

هنا فان انباء أكثر المؤامرات و التحركات المعادية للاسـلام التى كانت تقع فى المناطق المختلفة من شـبه الجزيرة كانت تصل بسرعة- و عبر المسافرين المحايدين أو الاصدقاء المترصدين- الى مركز القيادة الاسلامية فى المدينة.

هـذا مضافا الى أن هـذا النوع من المعلومات كان يحظى لـدى رسول الاسـلام باهمية كبرى، فيرصد لها من يأتى بها أولا بأول، و لهذا كـانت اكثر التحركات و المؤامرات يقضـى عليها فى مهـدها بفضل الردّ السـريع و المناسب الـذى كانت القيادة الاسـلامية تقوم به فى ضوء المعلومات الواردة إليها، أو التى حصلت عليها.

فبمجرّد أن تتضـمن هـذه المعلومـات، إلى النـبىّ صـلّى اللّه عليه و آله خبرا مفـاده أن إحـدى القبائـل تعـد قوة، و تسـتعدّ للهجوم على المدينة كان صـلّى اللّه عليه و آله يبادر الى بعث سـرية أو يقود هو بنفسه مجموعة مناسـبة لمحاصرة تلك القبيلة، و افشال مؤامرتها، و ابطال تدبيرها قبل أن تسـتطيع فعل شـىء، و كان هذا هو اسـلوب المباغتة الذى اسـتطاع به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن يقضـى على كثير من التحركات المعادية فى مهدها.

و إليك مختصرا عن بعض تلك الغزوات التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة:

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۱۷۷، الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۲۸ و ۲۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۲۸

(۱)

۱- غزوة قرقرة الكدر «۱»:

كانت المنطقة التى تتمركز فيها قبيلة «بنى سلم» تدعى «الكدر».

و قد بلغ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن القبیلة المذکورة تهیّئ، و تعدّ العدة للهجوم علی مرکز الاسلام و عاصمته (المدینة). فخرج رسول اللّه بنفسه من المدینة بعد أن استخلف علیها أحد أصحابه و أوکل إلیه إدارة المدینة فی غیابه، و کان الذی استخلفه هذه المرّة «ابن أمّ مکتوم»، و خرج علی رأس قوة عسکریة إلی مرکز تلک القبیلة فلما سمعوا بمسیر القوی الاسلامیة إلیهم تفرقوا، و عاد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المدینة من غیر قتال.

ثم بعث سریة بقیادة فارس من فرسانه یدعی «غالب بن عبد اللّه» إلی نفس تلک المنطقة، فوقع بینه و بینهم قتال محدود و عاد «غالب» الی المدینة ظافرا بعد أن استشهد ثلاثة من رجاله.

(۲)

۲- غزوة السویق:

کان عرب الجاهلیة إذا نذروا ینذرون نذورا غریبة.

فقد نذر أبو سفیان بعد معرکة بدر أن لا یقارب زوجته ما لم یثأر «۲» من المسلمین لقتلی بدر فکان علیه أن یقوم بهجوم علی المدینة، و یقاتل النبیّ و أصحابه لیفی بنذره!!

فخرج من مکة فی مائتی راکب فجاء بنی النضیر لیلا، یطلب مشورة من أحبار الیهود.

فلما کان فی وقت السحر خرج فمر بالعریض فوجد رجلا من الانصار مع أجیر له فقتل الأنصاریّ، و قتل أجیره، و حرّق بیتا و حرثا لهم بارشاد من کبیر الیهود «سلام بن مشکم» و رأی أن یمینه قد حلّت، ثم ذهب هاربا، و خاف

---

(۱) قرقرة الکدر: ناحیة بین المعدن و بین المدینة، (الطبقات).

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۱۸۲، الطبقات: ج ۲ ص ۳۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۲۹

ملاحقة المسلمین له.

فعرف به النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فندب أصحابه فخرجوا فی أثره، و جعل أبو سفیان و أصحابه یتخففون فیلقون أکیاس السویق (و هو القمح المقلّی المطحون الملتوت بالسمن أو العسل)، و هی عامة زادهم، فجعل المسلمون یمرّون بها فیأخذونها.

فسمیت تلک الغزوة بغزوة السویق لهذا الشأن.

(۱)

۳- غزوة ذی أمرّ:

بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن قبیلة غطفان تجمع أفرادها، و تتأهب للعدوان علی المدینة المنورة، فخرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی رأس أربعمائة و خمسین رجلا.

فلما سمع العدو بمسیر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلیهم خافوا خوفا شدیدا فهربوا إلی رءوس الجبال، فرارا من النبیّ و المسلمین.

فخرج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلیهم یبحث عنهم فلم یلاق أحدا منهم، و قد غیّبوا سرحهم و ذراریهم فی ذری الجبال خوفا و فرقا.

(۲) فنزل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «ذا أمرّ» «۱» و عسکر معسکره هناک، فأصابهم مطر کثیر، فذهب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ناحیة لیقضی حاجة، فأصابه ذلک المطر فبلّ ثوبه، و قد جعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله وادی «ذی أمرّ» بینه و بین أصحابه،

ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، و ألقاها على شجرة، ثم اضطجع تحتها، و الأعراب ينظرون الى كلّ ما يفعل.

فقالت الأعراب لدعثور و كان سيّدها و أشجعها: قد أمكنك محمّد، و قد انفرد من أصحابه، حيث إن غوّث بأصحابه لم يغث حتى تقتله.

فاختار سيفا من سيوفهم صارما ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على

---

(۱) واد بطريق فيد إلى المدينة. وفاء الوفاء: ج ۲ ص ۲۴۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۳۰

رأس النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بالسيف مشهورا، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مستلق على قفاه.

(۱) فقال بنبرة خشنة مهددة: ما يمنعك منّى اليوم؟ قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله: اللّه.

فكان لهذه الكلمة أثر عجيب فى نفس دعثور بحيث ارعب، و وقع السيف من يده، فأخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قام به على رأسه، فقال: و من يمنعك منّى اليوم.

فقال: لا أحد.

ثم قال: فأنا أشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّدا رسول اللّه، و اللّه لا أكثر عليك جمعا أبدا.

فأعطاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سيفه ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و قال: أما و اللّه لانت خير منّى.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنا أحق بذلك منك.

فأتى قومه، و قصّ عليهم ما جرى له مع النبيّ، و أنّه أسلم، و دعا قومه الى الاسلام.

(۲) أجل يكتب المؤرخون فى هذا المقام أن الرجل أسلم من فوره، و يجب أن نعلم أنه لم يسلم خوفا و فرقا و تحت بارقة السيف لأنه بقى ثابتا و مستمرا فى اسلامه بعد ذلك و أخذ يدعو قومه كما أسلفنا و هذا يدل على أنه أسلم عن طواعية و رغبة. و ان اسلامه كان لتنبّه فطرته، و يقظة وجدانه، فانّ فشله غير المتوقع، و نجاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله التى تمت بطريقة خارقة للعادة جعلته ينتبه الى عالم آخر، و عرف بأن لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ارتباطا بعالم آخر، و أنه مؤيّد بالتالى بقوة عليا، وراء هذا العالم المادى.

و لهذا السبب- و ليس لسواه- أسلم، و قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اسلامه، و بعد أن مشى خطوات ردّ الى النبيّ سيفه الذى أعاده إليه النبيّ قبل ذلك و اعتذر إليه.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۳۱

و قال: أنت أولى بهذا السيف لأنّك قائد هذه السرية المصلحة. «۱»

(۱)

قريش تغيّر مسير تجارتها:

تعرضت سواحل البحر الاحمر للخطر من قبل عناصر الجيش الاسلامى و حلفائهم، و لم يعد من الممكن مواصلة التجارة و ارسال القوافل التجارية عبرها.

من هنا تشاورت قريش فيما بينها، و درست أوضاعها فى ظل هذه المستجدات، و اتفقت على أنه لو تركت التجارة لهلكت رءوس أموالها و فنيت، و كان عليها أن تسلّم للمسلمين.

و ان واصلت التجارة لم تحرز فى هذا المجال نجاحا ما دامت الطريق غير آمنة، و ما دام يمكن أن تتعرض أموالها للمصادرة على أيدى المسلمين كلما عثروا عليها.

فاقترح أحدهم التجارة إلى الشام عن طريق العراق فاستحسنوا رأيه جميعا، و تهيّأت القافلة للحركة فى الخط الجديد و تولّى أبو سفيان و صفوان بنفسيهما مهمة الاشراف على تلك القافلة و ادارتها، و استخدما رجلا من بنى بكر يدعى «فرات ابن حيان» ليدلّهما على الطريق.

(۲) قال المقريزى فى امتاع الاسماع: سمع رجل من المدينة (و هو سليط بن النعمان) بخبر خروج صفوان بن أمية فى عيره و ما معهم من الاموال فخرج من ساعته و أخبر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فأرسل زيد بن حارثة فى مائة راكب فاصابوا العير، و أفلت أعيان القوم، فقدموا بالعير فخمّسها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فبلغ الخمس عشرين ألف درهم، و قسّم ما بقى على أهل السريّة، و كان فيمن اسر فرات بن حيّان فأسلم «۲».

---

(۱) المناقب: ج ۱ ص ۱۶۴، المغازى: ج ۱ ص ۱۹۴- ۱۹۶.

(۲) الإمتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۱۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۳۲

(۱)

حوادث السنة الثالثة من الهجرة ۳۲ الدفاع عن الحرّية

اشارة

(۲)

غزوة احد أو الدفاع عن الحرّية عند جبل احد:

اشارة

لم تكن السنة الهجرية الثالثة بأقل من السنة الثانية من حيث وقوع الحوادث و الوقائع الملفتة للنظر فيها.

فاذا وقعت فى السنة الثانية من الهجرة غزوة «بدر» فقد وقعت فى السنة الثالثة منها غزوة «احد» و هما من أعظم معارك الاسلام و غزواته.

على أن غزوة «احد» لم تكن الغزوة الوحيدة التى وقعت فى السنة الثالثة، بل وقعت أيضا غزوات اخرى «۱» الى جنب طائفة من السرايا، التى اخترنا منها سرية واحدة و غزوتين فقط.

(۳)

۱- سرية محمّد بن مسلمة:

لقد وصل نبأ انتصار المسلمين فى معركة «بدر» عن طريق رجلين من المسلمين.

و لم يكن الجيش الاسلامى الظافر قد وصل الى المدينة بعد، عند ما انزعج «كعب بن الاشرف»- الذى كانت أمه من يهود «بنى النضير» و كان شاعرا قويا، و خطيبا بارعا- من الفتح الذى أصابه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمون فى «بدر» فقال: و اللّه لئن كان محمّد أصاب أشراف العرب و ملوك الناس (و يعنى سادة قريش و صناديدهم الذين قتلوا فى بدر على أيدى المسلمين لبطن

(۱) مثل غزوة بحران و غزوة حمراء الأسد.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۳۳

الأرض خیر من ظهرها!! و بدأ یبث الأکاذیب و الشائعات فی المدینة و مضی یشکک فی انتصارات المسلمین فی بدر.

(۱) و قد کان یسیء الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی قصائده حتی قبل معرکة «بدر» و یحرّض الناس علی المسلمین.

ثم إنه لما تیقن الخبر خرج حتی قدم مکة و جعل یحرّض قریشا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و قد أنشد فی هذا المجال أشعارا یبکی فیها أصحاب القلیب من قریش و قد ذکرتها المصادر التاریخیة «۱».

ثم رجع کعب هذا الی المدینة فشبّب «۲» بنساء المسلمین حتی آذاهم!!

و لا شک أنه بهذه المواقف المعادیة کان من أظهر مصادیق المفسد فی الارض، الأمر الذی آل إلی أن یقرّر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله التخلص منه، و کفایة المسلمین شره، و قد أوکل هذه المهمة الصعبة الی «محمد بن مسلمة».

و قد خطّط «ابن مسلمة» للتخلص من «کعب» خطة رائعة، و ألّف لتنفیذها فریقا کان من بینهم «أبو نائلة» الأخ الرضاعی لکعب بن الأشرف، لیمکن من هذا الطریق التمویه علی کعب و تنفیذ الخطة المذکورة.

(۲) فخرج أبو نائلة إلی کعب و جلسا یتحادثان، و یتبادلان الشعر.

ثم إن أبا نائلة قال لکعب- بعد ان طلب منه أن یخرج کل من کان هناک من ذویه و أهله-: إنی قد جئتک فی حاجة إلیک ارید ذکرها لک فاکتم عنی، و إنی کرهت ان یسمع القوم کلامنا، فیظنون! لقد کان قدوم هذا الرجل (یعنی رسول اللّه) علینا من البلاء، و حاربتنا العرب، و رمتنا عن قوس واحدة، و قطّعت السبل عنا حتّی جهدت الانفس، و ضاع العیال، أخذنا بالصدقة و لا نجد ما نأکل.

فقال کعب: قد و اللّه کنت احدّثک بهذا یا ابن سلامة إن الامر سیصیر الی ما أقول.

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۱۲۱- ۱۲۲.

(۲) راجع السیرة النبویّة: ج ۲ ص ۵۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۳۴

فقال أبو نائلة: إنّ معی رجالا من أصحابی علی مثل رأیی، و قد أردت أن آتیک بهم فنبتاع منک طعاما، أو تمرا و تحسن فی ذلک إلینا، و نرهنک ما یکون لک فیه ثقة.

(۱) فقال کعب: و ما ذا ترهنوننی یا أبا نائلة، أبناءکم و نساءکم؟؟!

فقال أبو نائلة: لقد أردت أن تفضحنا و تظهر أمرنا، و لکنا نرهنک من الحلقة (أی السلاح) ما ترضی به.

فرضی کعب بن الاشرف بذلک.

و إنما قال أبو نائلة هذا القول لابن الاشرف حتی لا یستغرب إذا رأی السلاح بید الرجال الذین سیأتون معه.

ثم خرج أبو نائلة من عند ابن الاشرف علی میعاد، فاتی أصحابه، فأخبرهم بما دار بینه و بین کعب، فأجمعوا أمرهم علی أن یأتوه إذا أمسی لمیعاده، ثم أتوا الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عشاء و أخبروه، فمشی معهم حتی اتی البقیع، ثم وجّههم، ثم قال:

«امضوا علی برکة اللّه و عونه اللّهم أعنهم».

(۲) فمضوا حتی أتوا ابن الاشرف، فلمّا انتهوا إلی حصنه هتف به أبو نائلة، و کان ابن الاشرف حدیث عهد بعرس، فوثب من فراشه، فأخذت امرأته بناحیة ملحفته و قالت: أین تذهب، إنک رجل محارب، و لا ینزل مثلک فی هذه الساعة؟؟

فقال ابن الاشرف: میعاد، إنما هو أخی أبو نائلة.

ثم نزل إليهم فحيّاهم، ثم جلسوا فتحدثوا ساعة حتى اطمأن إليهم.

ثم قالوا له: يا ابن الاشرف: هل لك أن تتمشّى الى شعب العجوز (و هو موضع قرب المدينة) فنتحدث فيه بقيّة ليلتنا.

فخرجوا يتماشون حتى ابتعدوا عن حصنه، و بينما هم كذلك إذ أدخل أبو نائلة يده فى رأس كعب ثم شم يده فقال: ويحك ما أطيب عطرك هذا يا ابن الاشرف، ثم مشى ساعة، ثم كرّر هذا العمل ثانية حتى اطمأن ثم مشى ساعة

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۳۵

ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه و قال: اضربوا عدوّ اللّه، فضربوه بسيوفهم، و طعنه أبو نائلة بخنجر فى بطنه، و صاح صيحة ثم وقع على الارض و لم تنفعه استغاثاته.

ثم عاد هذا الفريق الفدائى إلى المدينة من فورهم و لما بلغوا «بقيع الغرقد» كبّروا، و قد قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تلك الليلة يصلّى، فلما سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تكبيرهم بالبقيع كبّر، و عرف أنهم قد قتلوه.

و بهذا أعلنوا عن نجاح عمليّتهم الفدائية الجريئة التى أراحت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه من شرّ ذلك المفسد الخطير الذى لم يفتأ عن إيذاء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و تناول أعراض المسلمين فى أشعاره ... «۱».

(۱)

اغتيال مفسد آخر:

و كان أبو رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى يظاهر كعب بن الاشرف على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يقوم بنفس الدور الخبيث الذى كان يقوم به ابن الاشرف من الايذاء و الازعاج للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين. فقام فريق فدائى آخر من المسلمين باغتياله على غرار اغتيال صاحبه فى عملية فدائية جسورة على نحو ما رواه ابن الأثير فى كتابه: الكامل فى التاريخ بصورة مفصلة «۲».

و قد كانت هاتان العمليتان و امور اخرى من أسباب اندلاع معركة «احد».

و قد حان الأوان الآن أن نستعرض تفاصيل هذه الواقعة الكبرى!

(۲)

قريش تتكفل نفقات الحرب:

كانت بذور الرغبة فى الانتقام و الثأر من المسلمين قد بذرت فى مكة من زمان و قد ساعدت خطة المنع من البكاء و النياحة على القتلى على اذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۱- ۵۶، المغازى: ج ۱ ص ۱۸۴- ۱۹۰.

(۲) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۰۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۳۶

كما أن تعذّر مرور قافلتها التجارية عبر طريق مكة- المدينة- الشام، و اضطرارها الى سلوك طريق العراق للسفر الى الشام زاد هو الآخر من سخطها و انزعاجها.

و لقد أجج مقتل «كعب بن الاشرف» من أوار هذا الحقد، و أوقد لهيبه فى النفوس.

من هنا اقترح «صفوان بن أميّة» و «عكرمة بن أبى جهل» على أبى سفيان و من كانت له فى قافلة قريش التجارية مشاركة، أن يدفع كل واحد منهم مبلغا من المال لتسديد نفقات الحرب قائلين: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم، و قتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منّا.

(۱) و لقد لقى هذا الاقتراح قبولا من أبى سفيان و تقرّر الإعداد للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى فعل أبو سفيان ذلك.

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع كما ذكر كيف أن قريشا لم تحصد من هذا الإنفاق الا الخيبة و الخسران اذ قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» «۱».

و حيث إن زعماء قريش كانوا يعرفون بقوة المسلمين و قد رأوا من كثب استقامتهم و ثباتهم فى معركة «بدر» لهذا قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صناديد أكثر القبائل العربية و شجعانها البارزين و أبطالها المعروفين.

(۲) فكلّف «عمرو بن العاص» وعدة أشخاص آخرين بأن يؤلّبوا العرب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يجمعوا أبطالها و صناديدها، للمشاركة فى الجيش الكثيف و المنظم الذى اعتزمت قريش على تسييره لقتال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين، و غزوهم و بأن يخبروهم بأن قريشا قد تكفّلت نفقات هذه المعركة.

و قد أثمرت نشاطات «عمرو» و رفاقه فى هذا السبيل.

---

(۱) الانفال: ۳۶، و راجع السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۰، مجمع البيان: ج ۲ ص ۵۴۱، السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۲۱۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۳۷

فقد استطاعوا بعد محاولات واسعة أن يضمّوا إلى جيش قريش أبطالا و صناديد من بنى كنانة و تهامة، فخرجت قريش و هم أربعة آلاف بمن انضم إلى صفوفهم من تلك القبائل «۱».

(۱) و قد كان هذا هو عدد الرجال الذين شاركوا فى هذه المعركة، و لو أضفنا إليهم عدد النساء اللواتى شاركن فيها لتجاوز العدد ما ذكرناه.

على أنه لم يكن من عادة العرب أن يشركوا نساءهم فى الغزو و يخرجوهن معهم إلى القتال، و لكن نساء مكة الوثنيات شاركن مع رجالهن فى هذه المعركة على خلاف عادة العرب، و كان الهدف من أخذهن هو أن يحرّضن الرجال على القتال و الصمود، و يمنعن المقاتلين من الفرار، و يذكّرن بقتلى بدر، و يشعلن الحماس فى النفوس بدق الدفوف، و إنشاد الأشعار المثيرة للهمم و الداعية إلى الثأر و لأن فرار الرجال كان يعنى أن تقع النسوة فى الأسر، و هو ما كان يأباه العربى آنذاك. فتكون الغيرة و الحمية على العرض سببا للمقاومة و الصمود.

كما أنه اشترك فى هذه المعركة طائفة من العبيد و الرقيق طمعا فى العتق الذى و عدوا به إن نصروا أسيادهم و قاتلوا بين أيديهم، و ذلك مثل «وحشى» و كان غلاما حبشيا لمطعم بن جبير يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ بها فقال له سيده: أخرج مع الناس فإن نلت محمدا أو عليّا أو حمزة فأنت عتيق «۲».

و على أية حال استطاعت قريش أن تجهّز بعد جهد كبير جيشا كبيرا قويا يتألف من سبعمائة دارع، و ثلاثة آلاف فارس، و مشاة كثيرين، و قد خرجوا بعدة و سلاح كثير.

(۲)

الاستخبارات ترفع تقريرا الى النبيّ:

فلما اجمعت قريش على المسير كتب العباس بن عبد المطلب «۳» كتابا يضم

---

(۱) اختلف علماء التفسير و التاريخ كعلى بن ابراهيم و الشيخ الطبرسى فى إعلام الورى، و ابن هشام و الواقدى فى عدد المشركين و الكفار فى هذه المعركة، و ما ذكرناه هو الاقرب الى الحقيقة.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۹۶.

(۳) و كان العباس كما أسلفنا ممن أسلم و آمن برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مكة و لكنه ظلّ يكتم

تقريرا مفصلا عن نوايا و استعدادات قريش، و ختمه و استأجر رجلا من بنى غفار و اشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة فى ثلاثة أيام و يوصل تلك الرسالة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فقدم الغفارى المدينة فلم يجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و انما وجده فى بستان خارجها فدفع إليه كتاب العباس المختوم، فقرأه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اطلع على ما فيه، و لكنه كتم محتواها عن أصحابه «۱».

روى العلامة المجلسى عن الامام ابى عبد اللّه الصادق عليه السلام أنه قال:

كان مما منّ اللّه عزّ و جلّ على رسوله صلّى اللّه عليه و آله أنه كان لا يقرأ و لا يكتب، فلما توجّه أبو سفيان الى «احد» كتب العباس إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فجاءه الكتاب و هو فى بعض حيطان المدينة فقرأه و لم يخبر أصحابه، و أمرهم أن يدخلوا المدينة فلما دخلوا المدينة أخبرهم «۲».

(۱)

جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة:

تحرّك جيش قريش باتجاه المدينة، و بعد قطع مسافة معينة وصلت طلائعه إلى الابواء، و هى المنطقة التى دفنت فيها والدة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله السيدة «آمنة بنت وهب» فقال فتية من قريش: تعالوا ننبش قبر أم محمّد، فانّ النساء عورة، فان يصب من نسائكم أحد قلتم هذه رمة امّك، فان كان برّا بامّه كما يزعم فلعمرى ليفادينكم برمة أمّة، و ان لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمرى ليفدين رمة امّه بمال كثير إن كان بها برّا.

ايمانه ليتمكن من البقاء بين قريش و رصد تحركاتهم و اخبار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بنواياهم.

راجع السيرة الحلبية: ج ۱۰ ص ۱۹۸.

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۲۰۳، و يرى بعض المؤرخين أن مبعوث العباس قدم بالرسالة المدينة و كان النبيّ ساعتها فى المسجد فأعطى النبيّ الرسالة إلى أبى بن كعب فقرأها عليه، و قد روى الواقدى هذا الوجه أيضا (ج ۱ ص ۲۰۴) و مع أن النبيّ لم يعهد منه أن قرأ رسالة فيكون الوجه الاول أقرب الى الحقيقة.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۱۱.

و استشار أبو سفيان أهل الرأى من قريش فى ذلك فاستقبحوه و شجبوه بشدة و قالوا:

لو فعلنا ذلک نبشت بنو بکر و خزاعة (و هم أعداء قریش) موتانا «۱».

(۱) و بعث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لیلة الخمیس الخامس من شهر شوال، السنة الثالثة من الهجرة، «أنسا» و «مونسا» ابنی «فضالة» للتجسس علی قریش خارج المدینة، و اخباره صلّی اللّه علیه و آله بتحرکاتهم، فأخبرا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله باقتراب جیش المشرکین إلی المدینة، و انهم قد سرحوا إبلهم و خیولهم ترعی فی مراعی المدینة.

کما أخبر «الحباب بن المنذر» هو الآخر باقتراب جیش المشرکین إلی المدینة، و ان طلائع ذلک الجیش قد استقر علی مقربة من جبل احد، و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد بعث الحباب سرا و قال له: لا تخبرنی بین أحد من المسلمین إلّا أن تری قلة.

و بخبر الحباب تأکّد ما أخبر به ابنا فضالة.

و حیث إن المسلمین کانوا یخافون علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من العدو، أن یهاجموه لیلا، لذلک باتت وجوه الأوس و الخزرج (الانصار) لیلة الجمعة و علیهم السلاح فی المسجد بباب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یحرسونه، و حرست المدینة تلک اللیلة حتی أصبحوا.

(۲)

منطقة «احد»:

کان الوادی الطویل الکبیر الذی یصل طریق الشام التجاریة بالیمن یسمی آنذاک ب «وادی القری»، و کانت القبائل العربیة من الیهود و غیر الیهود تقطن فی کل منطقة تتوفر فیها ظروف المعیشة و مستلزمات الحیاة، و لهذا نشأت علی طول هذا الخط «قری» بسبب وجود مناطق خصبة فیه و قد سوّرت بأسوار من الحجارة،

---

(۱) المغازی: ج ۱ ص ۲۰۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۴۰

و کانت یثرب مرکز هذه القری و امها و هی التی سمیت فی ما بعد بمدینة الرسول، و من ثم «المدینة» تخفیفا و اختصارا.

و کان علی کل قادم من مکة إلی المدینة، أن یدخل من جنوب یثرب و حیث إن أرض هذه المنطقة ذات طبیعة صخریة لذلک یکون عبور الجیش من خلالها أمرا عسیرا و فی غایة الصعوبة.

(۱) من هنا عمدت قریش- عند ما وصل جیشها الی مشارف المدینة- تحاشت هذه المنطقة، و دخلت من شمال المدینة، و استقرت فی وادی العقیق فی سفوح جبل «احد»، و قد کانت هذه المنطقة لعدم وجود نخیل فیها، و لسهولة أرضها، أفضل مکان للعملیات العسکریة، و خیر میدان للقتال و الحرب.

و قد کانت المدینة عرضة للخطر من هذه الناحیة لأنه قلّما کان المرء یری فیها موانع طبیعیة.

نزلت قوی المشرکین عصر یوم الخمیس فی الخامس من شوال من السنة الثالثة من الهجرة عند جبل «احد».

و بقی النبی ذلک الیوم و لیلته فی المدینة، و فی یوم الجمعة أقدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی عقد شوری عسکریة، و استشار قادة جیشه و أهل الخبرة و الرأی من أصحابه فی کیفیة مواجهة العدو، و التکتیک الذی یجب أن یتبعه المسلمون «۱».

(۲)

المشاورة فی کیفیة الدفاع:

كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد امر من جانب اللّه تعالى أن يشاور أصحابه فى الامور العسكرية و ما يشابهها و يشركهم فى قراراته و خططه التى يتخذها فى المجالات المذكورة، ليعطى بذلك درسا كبيرا للمسلمين، و يوجد بين أصحابه و أتباعه روح الديمقراطية (الصحيحة) و تحرى الحق، و الموضوعية.

---

(۱) لم تكن هذه هى المرة الأولى و الأخيرة التى شاور النبىّ فيها أصحابه و قد ذكرنا عدة موارد من هذا النوع من التشاور و الهدف منه فى كتابنا: معالم الحكومة الاسلامية.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۴۱

و لكن هل كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه يستفيد من هذه المشاورة؟

و ينتفع بآرائهم و نظرياتهم، و مقترحاتهم، أم لا؟.

لقد أجاب علماء العقيدة و رواد علم الكلام الاسلامى من مختلف الطوائف على هذا السؤال فى مؤلفاتهم و دراساتهم، و للقارئ الكريم إذا أراد الوقوف على الجواب أن يراجع تلكم المصنفات.

لكن الذى لا يمكن انكاره فى المقام هو: أن هذه المشاورات سيرة حية تركها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من بعده، و لقد كانت هذه السيرة مؤثرة جدا بحيث استخدم الخلفاء و الأمراء من بعده من اسلوب التشاور و الشورى، و كانوا يستفيدون على هذا الاساس من آراء الامام على عليه السلام و نظرياته السامية فى الامور العسكرية، و المشكلات الاجتماعية التى كانت تطرأ على حياة المسلمين. (۱)

المشاورات العسكرية:

لما سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باقتراب قريش الى المدينة وقف فى تلك الشورى التى كانت جمعا كبيرا من صناديد أصحابه، و قادة جيشه و جنوده و قال بصوت عال: «أشيروا علىّ» «۱».

و هو يطلب بذلك من اولئك الجنود و القادة أن يدلوا بآرائهم فى كيفية مواجهة العدو، و طريقة الدفاع عن حوزة الاسلام و صرح التوحيد المهددة من قبل قريش و المتحالفين معهم من أحزاب الشرك، و أتباع الوثنية.

فقام «عبد اللّه بن ابى بن سلول» و كان من منافقى المدينة، و طرح فكرة التحصّن فى داخل المدينة، و القتال فيها على غرار حرب الشوارع. و ذلك بأن لا يخرج المسلمون من المدينة بل يبقوا داخلها، و يستخدموا أبراجها و سطوحها لمقاتلة العدوّ و دفعه فترمى النساء العدوّ بالأحجار من السطوح، و يقاتل الرجال أفراده فى الشوارع و الأزقة قائلا: يا رسول اللّه كنا نقاتل فى الجاهلية فيها، و نجعل النساء

---

(۱) راجع الخطبة ۱۳۴ من نهج البلاغة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۴۲

و الذرارى فى هذه الصياصى و نجعل معهم الحجارة، و نشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كلّ ناحية و ترمى المرأة و الصبى من فوق الصياصى و الآطام، و نقاتل بأسيافنا فى السكك (أى الطرقات).

(۱) يا رسول اللّه إن مدينتنا عذراء ما فضّت علينا قط، و ما خرجنا إلى عدوّ قط إلّا أصاب منّا. فانهم ان أقاموا أقاموا بشر محبس، و ان رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين.

و كان هذا رأى الأكابر من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من المهاجرين و الأنصار، إلّا أن الفتيان من المسلمين و بخاصة

من لم يشـهد منهم بـدرا و كانوا يشـكلون الاغلبية شـجبوا هذا الرأى بشدة، و رفضوه بقوة و طلبوا من رسول اللّه الخروج إلى العدو، و رغبوا فى الشهادة، و أحبّوا لقاء العدو.

و قالوا: إنّا نخشى يا رسول اللّه أن يظن عدوّنا أنا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا، و قد كنت يوم بدر فى ثلاثمائة رجل فظفّرك اللّه عليهم، و نحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم و ندعوا اللّه به فقد ساقه اللّه إلينا فى ساحتنا.

و قال «حمزة» بطل الاسلام العظيم: لا أطعم اليوم طعاما حتى اجالدهم بسيفى خارجا من المدينة «۱».

(۲)

الاقتراع من أجل الشهادة!!:

و قام خيثمة أبو سعد بن خيثمة- و هو شيخ يقظ البصيرة- و قال: ان قريشا مكثت حولا تجمع الجموع، و تستجلب العرب فى بواديها، و من تبعها من أحابيشها، ثم جاءونـا قـد قادوا الخيل و امتطوا الابل، حتى نزلوا بساحتنا فيحصـرونا فى بيوتنا، و صياصـينا، ثم يرجعون وافرين لم يكلموا، فيجرّئهم ذلك علينا حتى يشـنوا الغارات علينا، و يصـيبوا أطرافنا، و يضـعوا العيون و الارصاد علينا، مع ما قد صـنعوا بحروثنا،

---

(۱) المغازى ج ۱ ص ۲۱۱ و بحار الانوار ج ۱۲۵ من المعلوم أن نظريـة عبـد اللّه بن أبى لم تخلو من الخطر، إذ لم يكن من البعيد ان يستفيد العدوّ بعد دخوله فى المدينة من بيوت المنافقين. و أن يتعاون معهم يهود المدينة أيضا فتكون حينئذ الضربة القاضية للاسلام و المسلمين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۴۳

و يجترئ علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن جوارنا، و عسى اللّه أن يظفّرنا بهم، فتلك عادة اللّه عندنا، أو تكون الاخرى:

الشهادة.

لقد أخطأتنى وقعة بدر، و قد كنت عليها حريصا، لقد بلغ من حرصى أن ساهمت «۱» ابنى على الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، و قد كنت حريصا على الشـهادة و قد رأيت ابنى البارحة فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة و أنهارها، و هو يقول: الحق بنا ترافقنا فى الجنة، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا.

و قـد و اللّه يا رسول اللّه أصـبحت مشـتاقا الى مرافقته فى الجنة، و قد كبرت سـنى و رقّ عظمى، و أحببت لقاء ربّى فادع اللّه يا رسول اللّه أن يرزقنى الشهادة و مرافقة سعد فى الجنة!!! «۲».

(۱) إن هذا الذى ذكرناه ليس سوى نموذج واحد من مواقف كثيرة تجدها أيّها القارئ الكريم فى صفحات التاريخ الاسلامى المشرقة فهناك الكثير من هؤلاء الفدائيين المخلصـين الذين آلوا على أنفسـهم أن يدافعوا عن حياض العقيدة و شـرف الدين، و رزقوا الشهادة فى نهاية المطاف.

إن الايديولوجية التى لا تعتمد على اسس الايمان باللّه و اليوم الآخر قلما تنتج جنديا فدائيا مخلصا مثل خيثمة، و من شاكله.

إن روح الفـداء و التفـانى و الايثار بالنفس و التضـحية بالغالى و الرخيص، التى تـدفع بالجنـدى إلى أن يطلب الشـهادة فى سبيل إعلاء كلمة الحق، و إعزاز التوحيد باصرار و شوق لا توجد إلّا فى مدرسة الأنبياء و المرسلين، و لا تحصل الّا فى ضوء تربيتهم.

و اما فى المجتمعات المادية كالمجتمعات الحاضـرة التى تهتم أكبر اهتمام بتحسين أحوال العسكريين حيث إن الهدف من الحروب و المعارك لم يكن قط إلّا الحصول على وضع معيشى أفضل، فانّه لا يهم الجنود فيها إلّا الحفاظ على أرواحهم و حياتهم

(۱) ای اجریت القرعة بینی و بین ولدی.

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۲۱۲ و ۲۱۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۴۴

فذلک هو أکبر هدف لدیهم، و من هنا تندر عندهم روح التفانی و التضحیة.

و أما فی مدرسة الأنبیاء فان المعارک و الحروب لا یهدف منها إلّا ابتغاء رضا اللّه سبحانه، فلو انحصر ذلک فی الشهادة أقدم علیها الجندی المسلم من دون خوف أو وجل، و عرّض نفسه لجمیع الاخطار من دون تلکؤ أو ابطاء.

(۱)

حصیلة الشوری:

لقد أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله برأی الاکثریة التی کانت ترجح الخروج من المدینة لمقاتلة العدوّ، و رجح هو صلّی اللّه علیه و آله البقاء فی المدینة و قتال العدو داخلها، إذ لم یکن من الصالح- بعد ما اقترحه قادة جیشه البارزین مثل حمزة، و سعد بن عباده و نظرائهم، و أصروا علیه- أن یأخذ برأی عبد اللّه بن أبیّ بن سلول المنافق.

هذا مضافا الی أن حرب الشوارع و المدن غیر المنظم فی داخل سکک المدینة و أزقتها الضیقة، و اشتراک النسوة فی الأمور الدفاعیة، و الجلوس فی البیت، و السماح للعدو بأن یفعل ما یرید آیة العجز، و الوهن، و هو أمر لا یلیق بالمسلمین، و لا یتلاءم مع الانتصار العظیم الذی کسبوه فی معرکة «بدر»، و هزموا به عدوهم الغاشم القویّ.

إن محاصرة المدینة و سیطرة العدوّ علی مداخلها و طرقاتها، و سکوت جنود الاسلام علی ذلک من شأن أن یقتل الروح القتالیة، و الفروسیة فی أبناء الاسلام المجاهدین.

و یمکن أن یکون «عبد اللّه بن أبیّ بن سلول» قد أضمر فی نفسه نیّة سیئة ضد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنه بهذا الاقتراح (أی البقاء فی المدینة و عدم الخروج لمجابهة العدوّ، و مواجهته بشجاعة) کان یرید- فی الحقیقة- أن یوجّه ضربة الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله!!

(۲)

النبیّ یلبس لامة الحرب:

بعد أن تعیّنت کیفیة مواجهة العدو و الدفاع، دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۴۵

و آله بیته و لبس لامته، و قد لبس الدرع فأظهرها و حزم وسطه بمنطقة من حمائل سیف من أدم و اعتم و تقلّد السیف، و خرج من بیته.

فأثار هذا المشهد المسلمین و هزهم بشدة و تصور بعضهم بأن إصرارهم علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بالخروج من المدینة لم یکن فیه للنبیّ رضا، و خشوا أنهم قد استکرهوه علی هذا الأمر، فندموا علی ذلک، و قالوا معتذرین: یا رسول اللّه ما کان لنا أن نخالفک فاصنع ما بدا لک (أو: ما کان لنا أن نستکرهک و الأمر الی اللّه ثم إلیک).

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«ما ينبغى لنبىّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يقاتل» «۱».

(۱)

النبىّ يخرج من المدينة:

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صلّى بالناس الجمعة و خرج على رأس ما يزيد على ألف مقاتل قاصدا احد، و ذلك بعد أن قال لهم:

«انظروا إلى ما أمرتكم به فاتّبعوه امضوا على بركة اللّه فلكم النصر ما صبرتم» «۲».

و قد أجاز رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يومئذ لمن لم يبلغوا الحلم بأن يخرجوا معه كسمرة و رافع و كان راميا جيدا، ورد اسامة بن زيد و عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب «۳».

ثم إن جماعة من اليهود كانوا متحالفين مع عبد اللّه بن ابى بن سلول قرّروا أن يشتركوا فى هذه المعركة و يخرجوا مع المسلمين، و لكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يسمح بذلك لأسباب خاصة.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۳، المغازى: ج ۱ ص ۲۱۴، الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۳۸.

(۲) المغازى: ج ۱ ص ۲۱۴.

(۳) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۴۶

(۱) و سار النبىّ و أصحابه حتى اذا كانوا بمنطقة بين المدينة و احد تسمى «الشوط» انعزل عنه «عبد اللّه بن أبى بن سلول» و عاد بثلث الناس كلهم من الأوس المتحالفين معه إلى المدينة بحجة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخذ برأى الفتية و الشباب، و رفض اقتراحه و هو البقاء فى المدينة.

و من هنا لم يشترك فى هذه المعركة لا اليهود و لا حزب النفاق.

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه كانوا يرغبون فى أن يسلكوا أقرب الطرق إلى معسكرهم من هنا اضطروا الى أن يمروا عبر بستان لمنافق من منافقى المدينة يدعى «مربع بن قيظى» و كان ضريرا، فامتنع من ذلك، و اساء بالقول الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فابتدره أصحاب النبىّ ليقتلوه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر» «۱».

(۲)

جنديان فدائيان:

استعرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جيشه فى منطقة تدعى بالشيخين «۲»، و كانت الوجوه المشتاقة إلى الجهاد تلمع كما تلمع أشعة السيوف، و تعكس إصرارا كبيرا على قتال الكفار، و مجاهدة المشركين.

و لقد كان جيش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الذى خرج بهم لمجابهة قريش عند جبل احد يتألف من مقاتلين يتفاوتون فى الأعمار تفاوتا كبيرا.

ففيهم الشيخ الكبير الطاعن فى السن و فيهم الشاب الفدائىّ الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة.

و لقد كان الدافع الذى يحرك الجميع الى ذلك هو تعشق الكمال الذى

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ۶۵، المغازى: ج ٢ ص ٢١٨.

(٢) و لقد كان من عادة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و اسلوبه فى جميع المعارك استعراض جيشه على الدوام، و عدّهم، و تسريح بعض العناصر الضعيفة احيانا.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۴۷

ما كان ليتوفر إلّا فى ظلّ الدفاع عن صرح التوحيد المقدس، ليس إلّا.

(١) و لإثبات هذه الحقيقة نشير هنا الى قصة شيخ كبير السن، و شاب لم يمض من عرسه إلّا ليلة واحدة!!

(٢) ١- كان «عمرو بن الجموح» رجلا شيخا أعرج شديد العرج و قد اصيب فى رجله فى حادثة. و كان له بنون أربعة مثل الاسود، يشهدون مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المشاهد، فلما كان يوم «احد» أراد ان يخرج مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و قد أبت نفسه أن تفوته الشهادة، و أن يجلس فى بيته و لا يشترك مع رسول اللّه فى تلك المعركة، و إن اشترك بنوه الأربعة فيها.

فأراد أهله و بنوه حبسه و قالوا له: إنّ اللّه عزّ و جل قد عذرك، و لم يقتنع بمقالتهم، و أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: إنّ بنىّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه و الخروج معك فيه، فو اللّه إنّى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنّة.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله له:

«أمّا أنت فقد عذرك اللّه و لا جهاد عليك» «١».

ثم قال صلّى اللّه عليه و آله لبنيه و قومه:

«لا عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ اللّه يرزقه الشهادة».

فخلّوا عنه، و خرج و هو يقول: اللهمّ ارزقنى الشهادة و لا تردنى الى أهلى.

و قد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة «احد» العظيمة، و من قصصها الرائعة، فقد كان يحمل- و هو على ما هو عليه من العرج- على الاعداء و يقول: «أنا و اللّه مشتاق إلى الجنّة» و ابنه يعدو فى أثره حتّى قتلا جميعا «٢».

---

(١) لقول اللّه تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ» (الفتح: ١٧).

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٠ و ٩١، المغازى: ج ١ ص ٢۶۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۴۸

(١) ٢- «حنظلة» و هو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة و العشرين من عمره آنذاك. و هو ابن «أبى عامر» عدوّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الذى كان مصداقا لقول اللّه تعالى «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ».

فقد اشترك والده أبو عامر الفاسق فى معركة «احد» إلى جانب قريش ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كان ممن يكيدون للاسلام و ممن حرّض قريشا ضدّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و استمرّ فى معاداة الاسلام حتى النفس الأخير، و لم يأل جهدا فى هذا السبيل.

و قد كان أبو عامر هذا هو السبب الرئيسىّ وراء حادثة مسجد «ضرار» التى سيأتى تفصيلها فى حوادث السنة التاسعة من الهجرة.

غير أن علاقة الابوة و البنوة و ما يتبعها من احاسيس لم تصرف حنظلة عن الاشتراك فى حرب ضد أبيه، ما دام أبوه على باطل و هو (أى حنظلة) على الحق فيوم خرج النبىّ مع أصحابه الى «احد» لمواجهة قريش كان حنظلة يريد البناء بزوجته ليلته، فقد تزوج بابنة «عبد اللّه بن ابىّ بن سلول» و كان عليه أن يقيم مراسيم الزفاف و العرس فى الليلة التى خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى «احد»

فی صبیحتها المنصرمة.

(۲) و لکنه عند ما سمع مؤذن الجهاد، و دوّی نداؤه فی اذنه بحیّر فی ما یجب أن یفعله، فلم یجد مناصا من أن یستأذن من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان یتوقف فی المدینة لیلة واحدة لاجراء مراسیم العرس و یقیم عند عروسته ثم یلتحق بالمعسکر الاسلامی صبیحة الغد من تلک اللیلة.

و قد نزل فی هذا الشأن- علی روایة العلّامة المجلسی- قوله تعالی:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا کانُوا مَعَهُ عَلی أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ یَذْهَبُوا حَتَّی یَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَأْذِنُونَکَ أُولئِکَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوکَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» «۱».

---

(۱) النور: ۶۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۴۹

فأذن له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۱».

فبات حنظلة عند عروسته تلک اللیلة و دخل بها، و لما اصبح خرج من فوره و توجه إلی «احد» و هو جنب.

(۱) و لکنه حینما اراد أن یخرج من منزله بعثت امرأته الی أربعة نفر من الأنصار، و اشهدت علیه أنه قد واقعها.

فقیل لها: لم فعلت ذلک؟

قالت: رأیت هذه اللیلة فی نومی کأنّ السماء قد انفرجت فوقع فیها حنظلة، ثم انضمت فعلمت أنها الشهادة، فکرهت أن لا اشهد علیه.

و لما حضر حنظلة القتال نظر إلی أبی سفیان علی فرس یجول بین العسکر، فحمل علیه، فضرب عرقوب فرسه، فاکتسعت الفرس و سقط أبو سفیان إلی الأرض، و صاح: یا معشر قریش أنا أبو سفیان، و هذا حنظلة یرید قتلی، و عدا أبو سفیان، و جری حنظلة فی طلبه، فعرض له رجل من المشرکین فطعنه، فمشی الی ذلک المشرک فطعنه فضربه و قتله، و سقط حنظلة الی الأرض بین حمزة و عمرو بن الجموح و عبد اللّه بن حزام و جماعة من الأنصار، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«رأیت الملائکة تغسّل حنظلة بین السماء و الارض بماء المزن فی صحائف من ذهب» «۲».

فکان یسمی غسیل الملائکة أو حنظلة الغسیل.

و کانت الأوس تعدّ حنظلة من مفاخرها فکانت تقول: «و منا حنظلة غسیل الملائکة».

و کان أبو سفیان یقول: حنظلة بحنظلة و یقصد بالأوّل حنظلة غسیل الملائکة و بالثانی ابنه حنظلة الذی قتل یوم بدر «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۵۷.

(۲) و (۳) اسد الغابة: ج ۲ ص ۵۹ و ۶۰، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۵۷ و غیرهما.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۵۰

(۱) إنه حقا عجیب أمر هذین العروسین (الزوجین) فبینما کانا هما فی أعلی درجات التفانی فی سبیل الحق کان والداهما، من اعداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و خصومه الالداء.

فعبد اللّه بن أبیّ بن سلول (والد العروس) کان رأس المنافقین فی المدینة، و کان أبو عامر الفاسق والد العرّیس الذی کان یسمی فی الجاهلیة بالراهب معادیا أشد العداء لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد التحق بالمشرکین فی مکة، کما حرّض «هرقل» لضرب الحکومة الاسلامیة الفتیة فی المدینة، ثم اشترک فی معرکة احد ضدّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قاتل المسلمین قتالا شدیدا «۱».

(۲)

العسكران يصطفّان:

فى صبيحة اليوم السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة اصطفّت قوى الاسلام أمام قوى الشرك المعتدية، و كان جيش التوحيد قد جعل ظهره الى احد كمانع طبيعىّ يحفظ الجيش من الخلف. و قد كان فى جبل احد ثغرة كان من الممكن أن يتسلل منها العدوّ و يباغت المسلمين من الخلف، و يوجّه إليهم ضربة قاضية.

و لهذا عمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى وضع جماعة من الرماة عند تلك الثغرة، و أمّر عليهم «عبد اللّه بن جبير» و قال: انضح الخيل عنّا بالنبل، و احموا لنا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، و الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، إن كانت لنا أو علينا، فلا تفارقوا مكانكم».

و لقد أثبتت حوادث «احد» التى وقعت فى ما بعد أهمية هذه الثغرة عسكريا، فقد كانت هزيمة المسلمين بعد انتصارهم فى بداية المعركة نتيجة تجاهل الرماة لأمر النبىّ و اخلاء ذلك الموقع الإستراتيجى، الأمر الذى سمح للعدوّ بأن يباغت المسلمين فى حركة التفافية سريعة، و يحمل عليهم، و يوجه عليهم ضربة قوية!!

---

(۱) أسد الغابة: ج ۲ ص ۵۹ و ۶۰، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۵۷ و غيرهما.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۱

(۱) إنّ أمر النبىّ المؤكد و المشدّد للرماة بأن لا يخلوا أماكنهم فى الجبل حيث الثغرة المذكورة يكشف عن معرفته الكاملة بقواعد القتال و قوانين الحرب، و بما يصطلح عليه اليوم بالتكتيك العسكرى.

بيد أن نبوغ القائد العسكرى لا يكفى وحده لإحراز الانتصار إذا كان الجنود يعانون من عدم الانضباطية، و عدم التقيد بأوامر القائد.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانية التى قام بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند استقرار جنود الإسلام فى أرض المعركة بأحد، و تعيينه لمكان كل قطعة من قطعات الجيش الإسلامى إذ قال: «و إذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال و اللّه سميع عليم» «۱».

(۲)

رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم:

لم يكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليغفل فى المعارك و الحروب عن تقوية العنصر الروحى لدى الجنود، و ما يصطلح عليه الآن بالروح المعنوية، أو المعنويات العسكرية.

ففى هذه المرة أيضا لما اصطفّ سبعمائة مقاتل مسلم أمام ثلاثة آلاف من المقاتلين المشركين المدججين بالسلاح، خطب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المسلمين خطبة رفع بها من معنويات المسلمين، و ذلك بعد ان نظم صفوفهم و سوّاها.

فلقد كتب «الواقدى» المؤرخ الاسلامى الكبير فى هذا الصدد ما يلى:

جعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الرماة خمسين رجلا على «عينين» عليهم «عبد اللّه بن جبير»، و جعل «احدا» خلف ظهره، و استقبل المدينة، ثم جعل صلّى اللّه عليه و آله يمشى على رجليه يسوّى تلك الصفوف، و يبوّئ أصحابه

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۴۹۵، الكشاف: ج ۱، ص ۳۴۶- ۳۴۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۲

للقتال يقول تقدّم يا فلان، و تأخر يا فلان، حتى أنه ليرى منكب الرجل خارجا فيؤخره، فهو يقوّمهم كأنما يقوم بهم القداح.

(۱) ثم قام صلّى اللّه عليه و آله فخطب الناس فقال:

«يا أيّها الناس، أوصيكم بما أوصانى اللّه فى كتابه من العمل بطاعته، و التناهى عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر و ذخر. لمن ذكر الذى عليه، ثم وطّن نفسه له على الصبر و اليقين و الجدّ و النشاط فانّ جهاد العدوّ شديد، شديد كريه، قليل من يصبر عليه، إلّا من عزم اللّه رشده، فان اللّه مع من أطاعه، و إنّ الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، و التمسوا بذلك ما وعدكم اللّه، و عليكم بالذى أمركم به، فانّى حريص على رشدكم فإن الاختلاف و التنازع و التثبيط من أمر العجز و الضعف ممّا لا يحبّ اللّه، و لا يعطى عليه النصر و لا الظفر.

و إنّه قد نفث فى روعى الروح الأمين إنّه لن تموت نفس حتّى تستوفى أقصى رزقها، و لا ينقص منه شىء و أن ابطأ عنها ... المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد و السلام عليكم» «۱».

(۲)

العدوّ ينظّم صفوفه:

نظم أبو سفيان قائد المشركين صفوف جنوده و قسّمهم إلى ثلاثة أقسام:

الرماة، و جعلهم فى الوسط، و الميمنة و استعمل عليهم خالد بن الوليد، و الميسرة، و استعمل عليهم عكرمة بن أبى جهل. و قدّم جماعة فيهم حملة الألوية و الرايات.

ثم قال لأصحاب الرايات و كانوا جميعا من بنى عبد الدار: إنا إنما اتينا يوم بدر من اللواء، و إنّما يؤتى القوم من قبل لوائهم، فالزموا لواءكم و حافظوا عليه، أو خلوا بيننا و بينه فانا قوم مستميتون موتورون، نطلب ثارا حديث العهد.

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۲۲۱- ۲۲۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۳

فشقّ هذا الكلام على «طلحة بن أبى طلحة» و كان شجاعا، و هو أوّل من حمل راية لقريش، فاندفع من فوره الى ساحة القتال، و طلب المبارزة، متحديا بذلك أبا سفيان.

(۱)

الإثارة النفسيّة و إلهاب الحماس:

قبل أن يبدأ القتال أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سيفا بيده و قال:

- و هو يثير بذلك همم جنوده-.

«من يأخذ هذا السيف بحقّه»؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة الأنصارى، فقال: و ما حقّه يا رسول اللّه؟

قال: «أن تشرب به العدوّ حتى ينحنى».

قال: أنا آخذه يا رسول اللّه بحقّه.

فأعطاه إياه، و كان أبو دجانة رجلا شجاعا، يختال عند الحرب اذا كانت، و كان اذا أعلم، أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها علم أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه، و جعل يتبختر بين الصفّين.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «انها لمشية يبغضها اللّه إلّا فى هذا الموطن» «۱».

(۲) حقا إن مثل هذه الاثارة النفسية، و هذا التحريك القوىّ للهمم أمر ضرورى لجيش يقاتل دفاعا عن الحق و القيم، و لا يدفعه إلى ذلك سوى العقيدة، و حب الكمال.

إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يهدف بعمله إثارة أبى دجانة وحده، بل كان صلّى اللّه عليه و آله يهدف بذلك إثارة الآخرين، و إفهامهم بأن عليهم أن يبلغوا فى الشجاعة و البطولة، و الجرأة و الإقدام هذا المبلغ.

(۳) يقول «الزبير بن العوّام» و هو كذلك رجل شجاع: وجدت فى نفسى حين

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۶ و ۶۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۴

سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله السيف فمنعنيه، و أعطاه أبا دجانة و قلت:

أنا ابن صفيّة عمته، و من قريش و قد قمت إليه فسألته إياه، فاعطاه إياه و تركنى! و اللّه لانظرنّ ما يصنع. فأتبعته فأخرج عصابة له حمراء، فعصّب بها رأسه، فقالت الانصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، و هكذا كانت تقول له اذا تعصّب بها.

فخرج و هو يقول:

أنا الّذى عاهدنى خليلى و نحن بالسفح لدى النخيل

ألّا أقوم الدهر فى الكيّول «۱»أضرب بسيف اللّه و الرّسول فجعل لا يلقى أحدا إلّا قتله، و كان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلّا ذفّف عليه، فجعل كلّ واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت اللّه أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، و ضربه أبو دجانة، فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق «هند بنت عتبه» ثم عدل السيف عنها، فقلت: اللّه و رسوله أعلم.

ثم إن أبا دجانة أوضح عمله هذا فقال: رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة، فأكرمت سيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن أضرب به امرأة «۲».

(۱)

القتال يبدأ:

بدأ القتال بما فعله أبو عامر الفاسق الذى كان قد هرب من المدينة مباعدا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما أسلفنا، و كان من الأوس، و قد فرّ معه خمسة عشر رجلا من الأوس بسبب معارضته للاسلام.

و قد تصوّر أبو عامر هذا أن الأوس إذا رأوا يوم احد تركوا نصرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلما التقى العسكران يومئذ نادى أبو عامر: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر.

---

(۱) الكيّول: آخر الصفوف فى الحرب.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۸ و ۶۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۵

قالوا: فلا أنعم اللّه بك عينا يا فاسق. فلما سمع ردّ الأوس تركهم، و اعتزل الحرب بعد قليل «۱».

(۱) ثم إن هناك مواقف و تضحيات عظيمة قام بها رجال معدودون فى معركة احد معروفة بين المؤرخين، أبرزها، و أجدرها

بالاجلال تضحيات على عليه السلام و مواقفه الكبرى فى ذلك اليوم.

فهو صاحب اللواء و الراية فى هذه الموقعة الكبرى.

قال الشيخ المفيد فى الارشاد: تلت بدرا غزاة احد و كانت راية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها و مما يدل على ذلك ما رواه يحيى بن عمارة قال: حدثنى الحسن بن موسى بن رباح مولى الانصار قال حدثنى أبو البخترى القرشى، قال: كانت راية قريش و لواؤها جميعا بيد قصى ثم لم تزل الراية فى يد ولد عبد المطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله فصارت راية قريش و غيرها الى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، فأقرها فى بنى هاشم فأعطاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى على بن أبى طالب عليه السلام فى غزاة ودان و هى أول غزاة حمل فيها راية فى الاسلام مع النبىّ ثم لم تزل معه فى المشاهد ببدر و هى البطشة الكبرى فى يوم احد و كان اللواء يومئذ فى بنى عبد الدار فاعطاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مصعب بن عمير فاستشهد و وقع اللواء من يده فتشوفته القبائل فأخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فدفعه إلى على بن أبى طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية و اللواء «۲».

و قد ورد عن ابن عباس ما يؤيد ذلك فقد روى أنه قال: لعلى أربع خصال ليس لأحد من العرب غيره (هو) أول عربى و عجمى صلّى مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هو الذى كان لواؤه معه فى كل زحف ... «۳».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۷.

(۲) الارشاد: ص ۴۳، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۸۰.

(۳) ترجمة الامام على بن أبى طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج ۱ ص ۱۴۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۶

كما عن قتادة: ان على بن ابى طالب كان صاحب لواء رسول اللّه يوم بدر و فى كل مشهد «۱».

(۱) ثم إنه كانت راية قريش مع طلحة بن أبى طلحة العبدرى (و كان يدعى كبش الكتيبة) فبرز و نادى: يا محمّد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم الى النار، و نجهزكم بأسيافنا الى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلىّ فبرز إليه على (عليه السلام) و هو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقولكم خيول و لنا نصول

فاثبت لننظر ايّنا المقتولو أيّنا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد المسئولبصارم ليس به الفلول

ينصره القاهر و الرسول ثم تصاولا بعض الوقت قتل بعده طلحة بضربة على (عليه السلام) القاضية.

فأخذ الراية اخوان آخران لطلحة فخرجا لقتال على عليه السلام على التناوب فقتلا جميعا على يديه (عليه السلام).

هذا و يستفاد من كلام لعلى عليه السلام قاله فى أيام الشورى التى انعقدت بعد موت الخليفة الثانى.

(۲) فقد قال الامام عليه السلام فى مجلس ضم كبار الصحابة فى تلك المناسبة:

«نشدتكم باللّه هل فيكم أحد قتل من بنى عبد الدار تسعة مبارزة كلّهم يأخذ اللواء، ثم جاء صوأب الحبشى مولاهم و هو يقول لا أقتل بسادتى إلّا محمدا، قد ازبد شدقاه، و احمرّت عيناه، فاتّقيتموه، وحدتم عنه، و خرجت إليه، فلما أقبل كأنه قبة مبنيّة فاختلفت أنا و هو ضربتين، فقطعته بنصفين و بقيت عجزه و فخذاه قائمة على الأرض ينظر إليه المسلمون و يضحكون منه».

قالوا: اللهم لا «۲».

---

(۱) ترجمة الامام على بن أبى طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج ۹ ص ۱۴۲.

(۲) الخصال: ص ۵۶۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۷

أجل ان قريشا كانت قد ادخرت لحمل الراية تسعة رجال من شجعان بنى الدار و قد قتلوا جميعا على يد الامام على عليه السلام على التوالى فبرز غلامهم و قتل هو أيضا «۱».

(۱)

المقاتلون بدافع الشهوة!!

من الأبيات التى كانت تتغنّى بها «هند بنت عتبة» زوجة أبى سفيان و من كان معها من النساء فى تحريض رجال قريش و حثهم على القتال و اراقة الدماء و المقاومة، و يضربن معها الدفوف و الطبول يتبين ان تلك الفئة لم تكن تقاتل من أجل القيم الرفيعة كالطهر و الحرية، و الخلق الانسانى بل كانت تقاتل بدافع الشهوة الجنسية و من أجل الوصول إلى المآرب الرخيصة.

فقد كانت الأغانى و الأبيات التى ترددها تلك النساء اللائى كنّ يضربن بالدفوف خلف الرجال على نحو خاص هى:

نحن بنات طارق‌نمشى على النمارق

إن تقبلوا نعانق‌أو تدبروا نفارق (۲) و لا شك أن الفئة التى تقاتل من أجل الشهوات، و يكون دافعها الى الحرب و القتال هو الجنس و اللذة، و بالتالى لا تهدف سوى الوصول إلى المآرب الرخيصة فان حالها تختلف اختلافا بيّنا و كبيرا عن حال الفئة التى تقاتل من أجل هدف مقدس كاقرار الحرية، و رفع مستوى الفكر، و تحرير البشرية من براثن الجهل و أسر الخضوع للاوثان.

و لا شك أن لكل واحدة من تلك الدوافع آثارها المناسبة فى روح المقاتل و سلوكه.

و لهذا لم يمض زمان طويل إلّا و وضعت قريش أسلحتها على الارض و ولّت هاربة من أرض المعركة بعد أن اصيبت باصابات قوية بفضل صمود و تضحيات رجال مؤمنين شجعان كعلىّ و حمزة و أبى دجانة و الزبير و ... مخلّفة وراءها غنائم

---

(۱) و قد ذكر المجلسى قصة مصرع هؤلاء فى البحار: ج ۲۰ ص ۸۱- ۸۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۸

و أموالا كثيرة، و أحرز المسلمون بذلك انتصارا عظيما على عدوهم القوى فى تجهيزاته، الكثير فى افراده «۱».

(۱)

الهزيمة بعد الانتصار:

قد يتساءل سائل: لما ذا انتصر المسلمون اولا؟

لقد انتصروا لأنهم كانوا يقاتلون، و لا يحدوهم فى ذلك شىء حتى لحظة الانتصار إلّا الرغبة فى مرضاة اللّه، و نشر عقيدة التوحيد، و إزالة الموانع عن طريقها، فلم يكن لهم أى دافع مادىّ يشدّهم إلى نفسه.

و قد يتساءل: و لما ذا انهزموا أخيرا؟

لقد انهزموا لأنّ أهداف أكثر المسلمين و نواياهم قد تغيّرت بعد تحقيق الانتصار، فقد توجهت أنظارهم الى الغنائم التى تركها قريش فى أرض المعركة، و فروا منهزمين. لقد خولط اخلاص عدد كبير من المسلمين، و نسوا على أثره أوامر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و تعاليمه، فغفلوا عن ظروف الحرب.

و إليك فيما يأتى تفصيل الحادث:

(۲) لقد ذكرنا عند بيان الأوضاع الجغرافية لمنطقة احد أنه كان فى «جبل احد» شعب (ثغرة) و قد كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خمسين رجلا من الرماة بمراقبة ذلك الشعب، و حماية ظهر الجيش الاسلامى، و أمّر عليهم «عبد اللّه بن جبير»، و كان قد أمر قائدهم بأن ينضحوا الخيل و يدفعوها عن المسلمين بالنبل و يمنعوا عناصر العدوّ من التسلّل من خلالها و لا يغادروا ذلك المكان انتصر المسلمون او انهزموا، غلبوا أو غلبوا.

و فعل الرماة ذلك فقد كانوا فى أثناء المعركة يحمون ظهور المسلمين، و يرشقون خيل المشركين بالنبل فتولّى هاربة، حتى إذا ظفر النبىّ و أصحابه، و انكشف المشركون منهزمين، لا يلوون على شىء، و قد تركوا على أرض المعركة

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۸، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۱۹۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۵۹

غنائم و أموالا كثيرة، و قد تبعهم بعض رجال المسلمين ممن بايع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على بذل النفس فى سبيل اللّه و مضوا يضعون السلاح فيهم حتى أجهضوهم عن العسكر أما أكثر المسلمين فقد وقعوا ينتهبون العسكر و يجمعون الغنائم تاركين ملاحقة العدوّ و قد اغمدوا السيوف، و نزلوا عن الخيول ظنا بأن الأمر قد انتهى.

(۱) فلما رأى الرماة المسئولون عن مراقبة الشعب ذلك قالوا لأنفسهم: و لم نقيم هنا من غير شىء و قد هزم اللّه العدوّ فلنذهب و نغنم مع إخواننا.

فقال لهم أميرهم (عبد اللّه بن جبير): أ لم تعلموا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لكم: احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، و إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا احموا ظهورنا؟

و لكن أكثر الرماة خالفوا أمر قائدهم هذا و قالوا: لم يرد رسول اللّه هذا، و قد أذلّ اللّه المشركين و هزمهم.

و لهذا نزل أربعون رجلا من الرماة من الجبل و دخلوا فى عسكر المشركين ينتهبون مع غيرهم من المسلمين الاموال و قد تركوا موضعهم الإستراتيجى فى الجبل، و لم يبق مع عبد اللّه بن جبير إلّا عشرة رجال!!

(۲) و هنا استغل «خالد بن الوليد» الذى كان مقاتلا شجاعا، قلّة الرماة فى ثغرة الجبل، و كان قد حاول مرارا أن يتسلل منها و لكنه كان يقابل فى كل مرة نبال الرماة، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة فى حملة التفافيّة و بعد أن قاتل من بقى عند الثغرة و قتلهم بأجمعهم انحدر من الجبل و هاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، و غافلين عما جرى فوق الجبل، و وقعوا فى المسلمين ضربا بالسيوف و طعنا بالرماح، و رميا بالنبال، و رضخا بالحجارة، و هم يصيحون تقوية لجنود المشركين.

فتفرقت جموع المسلمين، و عادت فلول قريش تساعد خالدا و جماعته، و أحاطوا جميعا بالمسلمين من الأمام و الخلف، و جعل المسلمون يقاتلون حتى قتل منهم سبعون رجلا.

إن هذه النكسة تعود إلى مخالفة الرماة لأوامر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله تحت تأثير المطامع المادية و تركهم ذلك المكان الإستراتيجى عسكريا و الذى اهتم به القائد الاعلى صلّى اللّه عليه و آله، و أكد بشدة على المحافظة عليه، و دفع أىّ

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۶۰

هجوم من قبل العدوّ عليه. و بذلك فتحوا الطريق- من حيث لا يشعرون- للعدوّ بحيث هاجمتهم الخيل بقيادة خالد بن الوليد، فدخل إلى أرض المعركة من ظهر الجيش الاسلامى، و وجه الى المسلمين تلك الضربة النكراء!!

(۱) و لقد ساعد خالدا فى هذا «عكرمة بن أبى جهل» الذى حمل هو الآخر بمن كان معه من الرجال على المسلمين، و ساد على صفوف المسلمين فى هذه الحال الهرج و المرج، و عمت فوضى لا نظير لها ساحة المعركة، و لم ير المسلمون مناصا من أن يدافعوا

عن أنفسهم متفرّقين، و لكن عقد القيادة لما قد انفرط بسبب هذه المباغتة العسكرية لم يستطع المسلمون إحراز أي نجاح في الدفاع، بل تحمّلوا- كما أسلفنا- خسائر كبرى في الأرواح، و قتل عدد من المسلمين على أيدي اخوانهم من المسلمين خطأ و من دون قصد.

و لقد صعّدت حملات خالد و عكرمة من معنويات المشركين، و نفخت فيهم روحا جديدة فعادت قواتهم الهاربة المنهزمة قبل قليل، و دخلت ساحة المعركة ثانية، و ساعدت جماعة منهم خالدا و عكرمة و حاصروا المسلمين من كل ناحية و قتل جمع كبير من المسلمين بسبب ذلك!!

(۲)

شائعة مقتل النبيّ:

و في هذا الأثناء حمل «الليثي» «۱» و كان من صناديد قريش و أبطالها على مصعب بن عمير حامل لواء الاسلام في تلك المعركة و هو يظن أنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تبودلت بينهما طعنات و ضربات حتى قتل «مصعب» بضربه قاضية من الليثي، و كان المسلمون يومئذ ملثّمون، ثم صاح: قتلت محمّدا، أو قال ألا قد قتل محمد، ألا قد قتل محمد.

فانتشر هذا الخبر في جموع المسلمين كالنار في الهشيم و علمت قريش بذلك فسروا بذلك سرورا عظيما، و ارتفعت الاصوات في ساحة القتال تنادي: ألا قد

---

(۱) هو عبد اللّه بن قمئة الليثي.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۶۱

قتل محمّد، ألا قد قتل محمّد.

(۱) و لقد زاد هذا الخبر الكاذب من جرأة العدوّ فتحركت جحافله و أفراده نحو المسلمين يسعى كل واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عضوا، و بذلك ينال فخرا في أوساط المشركين!!

و بقدر ما ترك هذا الخبر الكاذب من أثر ايجابي في نفوس المشركين، ترك أثرا سيئا جدا في نفوس المسلمين، و أضعف معنوياتهم بشدة بحيث تخلّى عدد كبير من المسلمين عن القتال، و لجئوا إلى الجبل فرارا بأنفسهم، و لم يثبت الّا عدد قليل لا يتجاوز أصابع اليد من الرجال.

(۲)

هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض؟

لا- يمكن أبدا أن ينكر أحد فرار أصحاب النبيّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا من يعدّون بالاصابع في تلك المعركة، و لا يمنع كونهم صحابة، أو كونهم أصبحوا في ما بعد ذوي مكانة أو مناصب في المجتمع الإسلامي في ما بعد، من القبول بهذه الحقيقة التاريخية المرّة.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الاسلامي الكبير يكتب في هذا الصدد قائلا:

انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد اللّه في رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد ألقوا بايديهم «۱» فقال:

ما يجلسكم؟ (اي ما يقعدكم عن القتال و المقاومة).

قالوا: قتل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

قال: فما ذا تصنعون بالحیاة بعده؟ فموتوا علی ما مات علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

ثم عاد الی المشرکین فقاتلهم حتی قتل.

أو قال: حسب روایة کثیر من المؤرخین:- ان کان محمد قد قتل فان ربّ محمّد لم یقتل، و ما تصنعون بالحیاة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقاتلوا علی

---

(۱) ای استسلموا.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۶۲

ما قاتل علیه رسول اللّه، و موتوا علی ما مات علیه ثم قال: اللّهم إنّی اعتذر إلیک مما یقوله هؤلاء، و أبرأ إلیک مما جاء به هؤلاء ثم شد بسیفه علی الکفار فقاتل حتی قتل.

(۱) و یروی ابن هشام عن أنس بن مالک (ابن أخ انس بن النضر) لقد وجدنا بأنس بن النضر یومئذ سبعین جراحة فما عرفه إلّا اخته عرفته ببنانه «۱».

و کتب الواقدی فی مغازیه یقول:

حدثنی ابن أبی سبرة عن أبی بکر بن عبد اللّه بن أبی جهم و اسم أبی جهم عبید قال: کان خالد بن الولید یحدث و هو بالشام یقول: الحمد للّه الذی هدانی للاسلام، لقد رأیتنی و رأیت عمر بن الخطاب حین جالوا و انهزموا یوم احد و ما معه أحد و أنّی لفی کتیبة خشناء فما عرفه منهم أحد غیری فنکبت عنه و خشیت إن أغریت به من معی أن یصمدوا له فنظرت إلیه موجّها إلی الشعب «۲».

و قد بلغ الانهزام و الضعف النفسی ببعض الصحابة فی هذه المعرکة بحیث أخذ یفکر فی التبری من الاسلام لینجو بنفسه فقال: لیت لنا رسولا إلی عبد اللّه بن أبی فیأخذ لنا أمانا من أبی سفیان!! «۳».

(۲)

القرآن یکشف عن بعض الحقائق:

إن الآیات القرآنیة تمزق کل حجب الجهل و التعصب التی اسدلت علی هذه المسألة، و تفید بوضوح أن طائفة من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله اعتقدوا بأن ما أخبر به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من الظفر، و النصر لا أساس له من الصحة، فان اللّه تعالی یقول فی هذا الصدد:

«وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ یَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَیْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِیَّةِ یَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَیْءٍ» «۴».

و فی امکانک أیها القارئ الکریم أن تحصل علی الحقائق المکتومة فی هذا

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۸۳ راجع تفسیر المنار: ج ۴ ص ۱۰۲.

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۲۳۷.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۷

(۴) آل عمران: ۱۵۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۶۳

المجال بالتمعن فی آیات من سورة آل عمران «۱».

فهذه الآیات تکشف بصورة کاملة عن عقیدة الشیعة حول أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) فان الشیعة تعتقد بأنه لم یکن جمیع صحابة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أوفیاء لعقیدة التوحید، متفانین فی سبیله، بل کان منهم الضعیف فی ایمانه و المنافق، و المتردد، و مع ذلک لم یکن المؤمنون الأتقیاء و الصالحون الأبرار قلة أیضا.

و من العجیب و المؤسف أن یسعی بعض الکتاب من أهل السنة الیوم إلی التغطیة علی کثیر من المواقف و الاعمال المشینة التی بدرت من بعض الصحابة کالذی مرّ علیک فی معرکة احد، و یحاول تجاوزها بنوع من التبریر البعید عن روح الحقیقة کمحاولة للمحافظة علی شأن جمیع الصحابة، و مکانتهم علی حین أن هذه التبریرات الفجة، و هذا التعصب اللامنطقی لا یمکنها أن تمنع من رؤیة الحقیقة کما هی.

فأی کاتب یستطیع إنکار مفاد هذه الآیة التی تصرح قائلة:

«إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلی أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْراکُمْ» «۲».

(۲) إن هذه الآیة تقصد اولئک الّذین رآهم أنس بن النضر، و من شابههم من الذین ترکوا ساحة المعرکة، و لجئوا إلی الجبل، و جلسوا یفکّرون فی نجاة أنفسهم!!

و الأوضح من الآیة السابقة قول اللّه تعالی:

«إِنَّ الَّذِینَ تَوَلَّوْا مِنْکُمْ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّیْطانُ بِبَعْضِ ما کَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِیمٌ» «۳».

إن اللّه تعالی یعاتب و یوبّخ الّذین تذرّعوا- لفرارهم من المعرکة- بنبإ مقتل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی ید العدوّ، و راحوا یفکرون فی الحصول علی أمان من أبی سفیان بواسطة عبد اللّه بن أبی اذ یقول:

«وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ» «۴».

---

(۱) الآیات: ۱۲۱- ۱۸۰.

(۲) آل عمران: ۱۵۳.

(۳) و (۴) آل عمران: ۱۵۵ و ۱۴۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۶۴

(۱)

التجارب المرة:

إن فی أحداث معرکة «احد» و وقائعها تجارب مرة و اخری حلوة فهذه الحوادث و الوقائع تثبت بجلاء صمود و استقامة جماعة، و ضعف و هزیمة آخرین.

کما أنه یستفاد من ملاحظة الحوادث التاریخیة أنه لا یمکن اعتبار جمیع المسلمین الذین عاصروا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أتقیاء عدولا بحجّة أنهم صحبوا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، لأن الذین أخلّوا مراکزهم علی الجبل، یوم احد و عصوا أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلک اللحظات الخطیرة، و جرّوا بفعلهم علی المسلمین تلک المحنة الکبری، کانوا أیضا ممّن صحبوا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

(۲) یقول المؤرخ الاسلامیّ الکبیر الواقدی فی هذا الصدد: «بایع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم احد ثمانیة علی الموت: ثلاثة من المهاجرین علی و طلحة و الزبیر، و خمسة من الأنصار» فثبتوا و هرب الآخرون «۱».

و کتب العلامـة أبن أبی الحدیـد المعتزلی أیضا: حضـرت عند محمد بن معد العلوی الموسوی الفقیه علی رأی الشـیعة الإمامیة رحمه اللّه فی داره بدرب الدواب ببغداد فی سنة ۶۰۸ هجریـة، و قارئ یقرأ عنده مغازی الواقدی، فقرأ: حدثنا الواقدی عن ابن أبی سبرة عن خالد بن ریاح عن أبی سفیان مولی ابن أبی أحمد عن محمد بن مسلمة قال: سمعت اذنای، و أبصرت عینای رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول یوم احد، و قد انکشف الناس الی الجبل و هو یدعوهم و هم لا یلوون علیه، سمعته یقول:

«إلیّ یا فلان، إلیّ یا فلان أنا رسول اللّه».

فما عرّج علیه واحد منهما، و مضیا!! فأشار ابن معد إلیّ أی اسمع.

فقلت: و ما فی هذا؟ قال: هذه کنایة عنهما. (أی اللذین تسنّما مسند الخلافة

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۲۴۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۶۵

بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله)

فقلت: و یجوز أن لا یکون عنهما لعله عن غیرهما.

قال: لیس فی الصحابة من یحتشم من ذکره بالفرار، و ما شابهه من العیب، فیضطرّ القائل إلی الکنایة إلّا هما.

قلت له: هذا ممنوع.

فقال: دعنا من جدلک و منعک، ثم حلف أنه ما عنی الواقدی غیرهما، و أنه لو کان غیرهما لذکرهما صریحا «۱».

(۱) کما أنّ العلّامـة ابن أبی الحدیـد ذکر فی شـرحه لنهـج البلاغـة أیضا اتفاق الرواة کافـة علی أن عثمان لم یثبت فی تلک اللحظات الحساسة یوم احد «۲».

و ستقرأ فی الصفحات القادمة ما قاله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن امرأة مجاهدة متفانیة فی سبیل الرسالة الاسلامیة تدعی «نسیبة المازنیة» دافعت عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم احد.

فقد لمّح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی کلامه عنها و عن موقفها العظیم یومذاک، إلی ما یقلّل من شأن الذین فرّوا من المعرکة.

نحن لا نرید هنا الاساءة إلی أیّ واحد من صحابة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، بل غایة ما نتوخّاه هو الکشف عن الحقیقة، و إماطة اللثام عن الواقع، فبقـدر مـا نسـتنکر، و نقبّـح فرار من فرّ، نکـبر صـمود من صـمد و ثبـات من ثبت ممن سـنأتی علی ذکرهم فی الصـفحات القادمة، و هذا هو ما تملیه علینا روح التحلیل الصادق أو تقتضیه أمانة النقل، و ما یسمی بالامانة التاریخیة علی الأقل.

(۲)

خمسة یتحالفون علی قتل النبیّ:

فی تلـک اللحظـات التی تشـتت فیها جیش المسـلمین، و انفرط عقـده، و فی الوقت الـذی ترکزت فیه أن حملات المشـرکین من کل ناحیة علی رسول اللّه صلّی

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید ج ۱۵ ص ۲۳ و ۲۴.

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۲۷۸ و ۲۷۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۶۶

اللّه علیه و آله تعاهد خمسة أنفار من صـنادید قریش المعروفین أن یضعوا نهایة لحیاة النبیّ الاکرم صلّی اللّه علیه و آله و یقضوا علیها

مهما كلّفهم من الثمن «۱».

(۱) و هؤلاء هم:

۱- عبد اللّه بن شهاب الذى جرح جبهة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

۲- عتبة بن أبى وقاص الذى رمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأربعة أحجار فكسر رباعيته صلّى اللّه عليه و آله، و جرح باطنها، من الجهة اليمنى.

۳- ابن قميئة الليثى الذى رمى و جنتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و جرحهما بحيث غاب حلق المغفر فى وجنته صلّى اللّه عليه و آله فأخرجها أبو عبيدة الجراح بأسنانه فكسرت ثنيتاه العليا و السفلى.

۴- عبد اللّه بن حميد الذى قتل على يد بطل الإسلام أبى دجانة و هو يحمل على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

۵- ابىّ بن خلف و كان من الذين قتلوا بيد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه.

فهو واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند ما وصل صلّى اللّه عليه و آله إلى الشعب، و قد عرفه بعض أصحابه و أحاطوا به، فجعل يصيح بأعلى صوته:

يا محمّد لا- نجوت ان نجوت، و حمل على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و لما دنا تناول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الحربة من «الحارث بن الصمّة»، ثم انتفض انتفاضة شديدة و طعن «ابيّا» بالحربة فى عنقه، و هو على فرسه، فجعل ابىّ يخور كما يخور الثور!

(۲) و مع أن ما أصاب ابيّا من جراحة كان يبدو بسيطا، إلّا أنه تملّكه رعب و خوف شديدان إذ لم ينفعه معهما تطمينات رفاقه، و لم يذهب عنه الروع بكلامهم، و كان يقول: و اللات و العزى لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز «۲» لماتوا أجمعون.

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۲۴۳.

(۲) كان ذو المجاز سوقا من أسواق العرب و هو عن يمين الموقف بعرفة قريبا من كبكب (معجم ما استعجم على ما فى حواشى المغازى: ص ۵۰۸).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۶۷

أ ليس قال: (أى النبيّ يوم كان بمكة) أنا أقتلك إن شاء اللّه، قتلنى و اللّه محمّد!!

و قد فعلت الطعنة، و كذا خوفه فعلتهما فمات فى منطقة تدعى سرف (و هو موضع على ستة أميال من مكة) فيما كانت قريش قافلة من احد الى مكة «۱».

(۱) حقا إن هذا ينمّ عن منتهى الدناءة و الخسة فى خلق قريش و موقفها، فمع أنها كانت تعرف صدق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تعترف به، و تنكر أن يكون قد صدر منه كذب فى قول، أو خلف فى وعد، كانت تعاديه أشدّ العداء، و تمدّ نحوه يد العدوان، و تبغى مصرعه، و تسعى إلى اراقة دمه!!

كما أنه من جهة اخرى يدل على شجاعة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله و بطولته و مقدرته الروحية الكبرى، من ناحية اخرى، و ثباته فى عمله من ناحية ثالثة.

أجل لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يدافع عن رسالته السماوية، و عن حياض عقيدته التوحيدية العظمى، و يصمد لاعداء صمود الجبال الرواسخ مع أنه ربما دنا من الموت و كان منه قاب قوسين أو أدنى.

و مع أنه كان صلّى اللّه عليه و آله يرى أن كل همّ المشركين و كل حملاتهم موجهة نحوه بشخصه، إلّا أنه لم يشهد أحد منه أى قول أو فعل يشعر بتوجسه و اضطرابه، و لقد صرح المؤرخون بهذا الأمر فقد كتب المقريزى و نادى المشركون بشعارهم [يا للعزى، يا لهبل] فارجعوا فى المسلمين قتلا ذريعا، و نالوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما نالوا. و لم يزل صلّى اللّه عليه و آله شبرا واحدا

بل وقف فی وجه العدوّ، و أصحابه تثوب إليه مرة طائفة و تتفرق عنه مرة، و هو يرمی عن قوسه أو بحجر حتی تحاجزوا «۲».

(۲) نعم غاية ما سمع من صلّی اللّه عليه و آله هو ما قاله عند ما كان يمسح الدم

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۸۴، المغازی: ج ۱ ص ۲۵۱.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۳۱، المغازی: ج ۲ ص ۲۴۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۶۸

عن وجهه المبارک اذ قال:

«كيف يفلح قوم خضّبوا وجه نبيّهم بالدّم و هو يدعوهم إلی اللّه؟!» «۱».

إن هذه العبارة الخالدة تكشف عن عمق رحمة النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و عاطفته حتی بالنسبة إلی اعدائه الألدّاء.

(۱) بينما تكشف كلمة قالها علی عليه السلام عن شجاعته صلّی اللّه عليه و آله الفائقة إذ قال:

«كنّا إذا احمر البأس اتقينا برسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله فلم يكن احد أقرب منّا إلی العدوّ منه» «۲».

من هنا فان سلامة النبیّ الاكرم صلّی اللّه عليه و آله فی الحروب تعود فی أكثر أسبابها إلی حسن دفاعه عن دينه، و عن نفسه، و الی شجاعته فی المعارک.

و لقد كانت ثمة علل و أسباب صانت هی الاخری حياة رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله من أن يلحقها خطر أو ضرر، الا و هو تضحية و تفانی تلک القلة القليلة من أصحابه الأوفياء الذين بذلوا غاية جهدهم للحفاظ علی حياة رسول الاسلام العظيم صلّی اللّه عليه و آله و بذلک أبقوا علی هذا المشعل الوقاد، و هذا السراج المنير.

لقد قاتل رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله يوم احد قتالا شديدا، فرمی بالنبل حتی فنی نبله و انكسرت سية قوسه، و انقطع وتره «۳».

(۲) علی أن الّذين دافعوا عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد «۴»، و حتی هذه القلة القليلة المدافعة ثباتهم معه جميعا غير مقطوع به من منظار علم التاريخ، و من زاوية التحقيق التاريخی.

نعم ما هو متفق عليه بين المؤرخين، و أرباب السير هو ثبات أفراد قلائل نعمد هنا إلی ذكر أسمائهم و مواقفهم بشیء من التفصيل.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۰۲.

(۲) نهج البلاغة: فصل فی غريب كلامه رقم ۹.

(۳) الكامل فی التاريخ: ج ۲ ص ۱۰۷.

(۴) شرح نهج البلاغة: ج ۱۵ ص ۲۰ و ۲۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۶۹

(۱)

الدفاع الموفق أو النصر المجدّد:

لو أننا أسمينا هذه المرحلة من تاريخ الاسلام بمرحلة النصر المجدّد لما قلنا جزافا، فان المقصود من هذا الانتصار هو أن المسلمين استطاعوا- و خلافا لتوقعات العدو الحاقد- أن يصونوا رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله من خطر الموت الذی كاد أن يكون محققا، و هذا هو انتصار مجدّد أصابه جند الاسلام.

أما إذا عزونا هذا الانتصار إلی جيش الاسلام برمّته فان ذلک انما هو لأجل تعظيم مقام المجاهدين المسلمين، و إلّا فان ثقل هذا

الانتصار العظیم وقع علی عاتق عـدد معـدود جـدا من رجال الاسـلام الذین صانوا حیاة الرسول الاکرم عن طریق المخاطرة بحیاتهم، و تعریضها للخطر الجدی.

و فی الحقیقـة فإنّ بقاء الدولـة الاسـلامیة، و بقاء جذوة هذا الدین المبارک مشـتعلة إنما هو نتیجة تضـحیات تلکم القلة القلیلة المتفانیة فی سبیل اللّه و رسوله.

و إلیک فیما یلی استعراضا إجمالیا لتضحیات اولئک الرجال المتفانین فی سبیل العقیدة و الدین:

(۲) ۱- إن أول و أبرز الرجال الصامـدین الثابتین علی طریق الجهاد و التضـحیة فی هذه الواقعة هو شاب بطل لم یتجاوز ربیعه السادس و العشـرین من عمره ...، هو الـذی رافق رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله من سـنی صـغره و بـدایات حیـاته و حتی لحظـة وفـاة الرسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله.

إن بطل الاسلام الاکبر و ان ذلک الفدائی الواقعی هو الامام «علیّ بن أبی طالب» علیه السلام الذی تحفظ ذاکرة التاریخ الاسلامی عنه الکثیر الکثیر من مواقف التضحیة و الفداء فی سبیل نشر الاسلام و الدفاع عن حوزة التوحید، و ارساء دعائمه.

و فی الاسـاس ان هـذا الانتصار المجـدّد- علی غرار الانتصار الأول- إنما جاء نتیجـة لبسالـة و بطولـة هـذا المجاهـد المتفانی فی سبیل الاسلام ذلک لأن السبب الجوهری فی هزیمة قریش و فرارها فی بدایة المعرکة کان هو سقوط لوائها بعد

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۰

مقتـل کل حملـة اللواء علی یـد الامام علی علیه السـلام، و بالتالی نتیجـة للرعب الـذی القی فی قلوبهم لما رأوا من تساقط صـنادیدهم الواحد تلو الآخر، الأمر الذی سلبهم القدرة علی المقاومة.

(۱) إن الکتّاب المصـریین المعاصـرین الـذین تنـاولوا حوادث التاریـخ الاسـلامی بالتحلیـل و الدراسـة، لم یعطوا علیا علیه السـلام- و للأسف- حقه فی هـذه الموقعـة، أو علی الأقلّ لم یـذکروا ما اتفق علیه المؤرخون، و تطابقت فی اثباته التواریـخ، بل جعلوا تضـحیات الإمام علیّ علیه السلام و مواقفه الشجاعة و العملاقة فی عداد مواقف الآخرین، و فی مستواها.

من هنـا ینبغی أن نسـلّط بعض الضوء علی تضـحیات ذلـک الفـدائیّ الواقعیّ، و ذلک البطل الشـجاع الـذی شـهدت له ساحات الوغی مواقف لا نظیر لها فی العظمة، و السمو.

(۲) ۱- یقول ابن الاثیر فی تاریخه «۱»: کان الذی قتل أصحاب اللواء علی- قاله ابو رافع-، (قال) فلما قتلهم أبصر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جماعـة من المشـرکین فقال لعلیّ: احمل علیهم، فحمل علیهم ففرّقهم، و قتل منهم، ثم أبصـر جماعـة اخری فقال له: احمل علیهم، فحمل علیهم و فرّقهم و قتل منهم، فقال جبرئیل: یا رسول اللّه هذه المواساة، فقال رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله إنه منی و أنا منه، فقال جبرئیل: و أنا منکما قال: فسمعوا صوتا:

«لا سیف إلّا ذو الفقار و لا فتی إلا علی» «۲».

(۳) و قد شـرح ابن أبی الحدید هذه القضـیة بتفصیل أکثر اذ کتب فی شرحه لنهج البلاغة یقول: لما فرّ معظم أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم احد کثرت علیه کتائب المشرکین و قصدته کتیبة من بنی کنانة، ثم من بنی عبد مناة بن

---

(۱) الکامل: ج ۲ ص ۱۰۷.

(۲) و مثله فی تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۱۹۷، میزان الاعتدال: ج ۳ ص ۳۲۴، لسان المیزان: ج ۴ ص ۴۰۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۱

کنانـة فیهـا بنـو سـفیان بن عویـف، و هم خالـد بن ثعلب و أبو الشـعثاء بن سـفیان و أبو الحمراء بن سـفیان و غراب بن سـفیان، و انها لتقارب خمسـین فارسا و هو (أی علی علیه السـلام) راجل، فما زال یضـربها بالسـیف تتفرق عنه، ثم تجتمع علیه هکـذا مرارا حتی قتل

بنی سفیان بن عویف الأربعة و تمام العشرة منها ممن لا یعرف اسماؤهم.

ثم نقل ما قاله جبرئیل، ثم کتب یقول: قلت و قد روی هذا الخبر جماعة من المحدثین و هو من الاخبار المشهورة وقفت علیه فی بعض نسخ مغازی محمد بن اسحاق و رایت بعضها خالیا عنها، و سألت شیخی عبد الوهاب بن سکینة عن هذا الخبر، فقال: خبر صحیح.

فقلت له: فما بال الصحاح (أی مثل صحیح البخاری و مسلم و ما شاکلهما) لم تشتمل علیه؟

قال: أو کلّ ما کان صحیحا تشتمل علیه کتب الصحاح؟ کم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحیحة؟! «۱».

(۱) ۲- و لقد اشار الامام علی علیه السلام نفسه فی کلام مفصل له مع رأس الیهود إلی هذا الموقف اذ قال:

«ذهب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و عسکر بأصحابه فی سد احد و اقبل المشرکون إلینا فحملوا علینا حملة رجل واحد و استشهد من المسلمین من استشهد، و کان ممّن بقی من الهزیمة، و بقیت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و مضی المهاجرون و الانصار الی منازلهم من المدینة کلّ یقول قتل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قتل أصحابه، ثم ضرب اللّه عزّ و جلّ وجوه المشرکین، و قد جرحت بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نیفا و سبعین جراحة، منها هذه، و هذه».

ثم انه علیه السلام ألقی رداءه، و أمرّ یده علی جراحاته، و قال:

«و کان منّی فی ذلک ما علی اللّه عزّ و جلّ ثوابه إن شاء اللّه» «۲».

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج ۱۴ ص ۲۵۰ و ۲۵۱.

(۲) الخصال: ص ۳۶۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۲

(۱) و قد بلغ علیّ علیه السلام- حسب روایة علل الشرائع- من کثرة ضربه لطوائف المشرکین الذین کانوا یحملون علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یوم احد، ان انکسر سیفه، فجاء الی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و قال: یا رسول اللّه إنّ الرجل یقاتل بسلاحه و قد انکسر سیفی، فأعطاه علیه السلام سیفه ذا الفقار فما زال یدفع به عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فقال جبرئیل فی حقه و فی سیفه ما مرّ «۱».

و قد اشار ابن هشام فی سیرته إلی العبارة التی نادی بها جبرئیل إذ قال:

و حدثنی بعض أهل العلم ان ابن أبی نجیح قال: نادی مناد یوم احد: لا سیف إلّا ذو الفقار و لا فتی إلّا علیّ «۲».

(۲) کما عد ابن هشام فی سیرته «۳» القتلی من المشرکین فی احد (۲۲) رجلا، و قد ذکر أسماءهم واحدا واحدا و ذکر قبائلهم، و غیر ذلک من خصوصیاتهم، و قد قتل منهم (۱۲) رجلا بید علی علیه السلام، و قتل البقیة بایدی المسلمین، و نحن نعرض هنا عن ذکر اسماء اولئک المقتولین رعایة للاختصار.

هذا و نحن نعترف بأننا لم نستطع بیان کل ما قام به علی علیه السلام من خدمات کبری فی هذه الصفحات القلائل علی نحو ما جاء فی کتب الفریقین السنة و الشیعة و بخاصة فی موسوعة بحار الأنوار.

إن ما نستفیده من مطالعة الروایات و الأخبار الثابتة و المتعددة فی هذا المجال هو انه لم یثبت أحد فی معرکة «احد» کما ثبت علی علیه السلام «۴».

(۳) ۲- أبو دجانة، و هو البطل المسلم الثانی بعد الامام علی علیه السلام فی الصمود، و التضحیة، و البسالة و الفداء دفاعا عن حیاة النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله.

فقد بلغ من حرصه علی حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و دفاعه عنه أن

(۱) علل الشرائع: ص ۷، بحار الانوار: ج ۲۰ ص ۷۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۱۰۰.

(۳) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۱۲۷ و ۱۲۸.

(۴) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۸۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۳

جعل من نفسه ترسا یقی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من سیوف الکفار و رماحهم، و سهامهم و أحجارهم، و قد وقعت سهام کثیرة فی ظهره و لکنه ظل مترسا بجسمه دون النبیّ، و بذلک حافظ علی حیاته الشریفة «۱».

(۱) و قد جاء أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال له یوم «احد» بعد ان فرّ و انهزم أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حاصره الکفار من کل جانب یا أبا دجانة أ ما تری قومک، قال: بلی، قال:

«الحق بقومک و أنت فی حل من بیعتی، أمّا علیّ فهو أنا و أنا هو».

فبکی أبو دجانة بکاء مرا و قال:

لا ـ و اللّه، لا ـ جعلت نفسی فی حل من بیعتی إنی بایعتک، فالی من أنصرف یا رسول اللّه الی زوجة تموت، أو ولد یموت، او دار تخرب، او مال یفنی، أو أجل قد اقترب؟

فرّق له النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فلم یزل یقاتل حتی اثخنته الجراحة و هو فی وجه و «علیّ» فی وجه، فلما سقط احتمله علی علیه السلام فجاء به إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فوضعه عنده فقال: یا رسول اللّه أوفیت ببیعتی؟ قال: سید المرسلین ج۲ ۱۷۳ الدفاع الموفق أو النصر المجدد: ..... ص : ۱۶۹

م «۲».

(۲) و قد ذکر فی کتب التاریخ أشخاص آخرون کعاصم بن ثابت، و سهل بن حنیف، و طلحة بن عبید اللّه، و غیرهم ممن یبلغ- حسب بعض الکتب- ۳۶ شخصا ادعی أنهم ثبتوا و لم یفروا، إلّا أنّ ما هو مسلم به تاریخیا هو ثبات علی علیه السلام و أبی دجانة، و حمزة و امرأة تدعی أم عامر، و أما ثبات غیر هؤلاء الأربعة فامر مظنون بل و مشکوک فی بعضهم.

(۳) ۳- حمزة بن عبد المطلب، عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کان من شجعان العرب و من المعروفین ببطولاته فی الاسلام، و هو الذی أصرّ علی أن

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۸۲.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۰۷ و ۱۰۸ عن روضة الکافی: ص ۳۱۸- ۳۲۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۴

یخرج المسلمون من المدینة و یقاتلوا قریشا خارجها.

و لقد دأب حمزة علی حمایة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من أذی المشرکین و الولیین فی اللحظات الخطیرة، و الظروف القاسیة من بدء الدعوة المحمدیة بمکة.

و قد ردّ علی أبی جهل الذی کان قد أذی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بشدة، و ضربه ضربه شج بها رأسه فی جمع من قادة قریش و لم یجرأ احد علی مقابلته.

(۱) لقد کان حمزة مسلما مجاهدا و بطلا فدائیا متفانیا فی سبیل الاسلام، فهو الذی قتل «شیبة» و شیبة من کبار صنادید قریش و

ابطالها، فی بدر کما قتل آخرین، و لم یهدف إلّا نصرة الحق، و الفضیلة، و إقرار الحریة فی حیاة الشعوب و الامم.

و لقد کانت هند بنت عتبة زوجة أبی سفیان تحقد علیه أشدّ الحقد، و قد عزمت علی أن تنتقم من المسلمین لأبیها مهما کلّف الثمن. فأمرت «وحشیا» و هو غلام حبشی لجبیر بن مطعم الذی قتل هو الآخر عمّه فی بدر بأن یحقق غرضها، و أملها کیفما استطاع، و قالت له: لئن قتلت محمدا أو علیا أو حمزة لاعطینّک رضاک.

فقال وحشی لها: أمّا محمد فلا أقدر علیه، و أما علی فوجدته رجلا حذرا کثیر الالتفات فلا أطمع فیه، و أما حمزة فانی أطمع فیه لأنه اذا غضب لم یبصر بین یدیه.

(۲) یقول وحشی: و لما کان یوم احد کمنت لحمزة فی أصل شجرة لیدنوا منی، و کان حمزة یومئذ قد أعلم بریشة نعامة فی صدره، فو اللّه إنی لأنظر إلیه یهدّ الناس بسیفه هدا ما یقوم له شیء، فهززت حربتی- و کان ماهرا فی رمی الحراب- حتی إذا رضیت منها دفعتها علیه، فوقعت فی ثنته (و هی أسفل البطن) حتی خرجت من بین رجلیه، و ذهب لینوء نحوی، فغلب، و ترکته و ایاها حتی مات، ثم أتیته فأخذت حربتی ثم رجعت الی العسکر فقعدت فیه، و لم یکن لی بغیره حاجة، و انما قتلته لأعتق.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۵

(۱) فلما قدمت الی مکة اعتقت ثم اقمت حتی إذا افتتح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکة هربت الی الطائف فمکثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیسلموا تعیّت علیّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام أو الیمن، أو ببعض البلاد، فو اللّه إنی لفی ذلک من همّی إذ قال لی رجل: ویحک إنه و اللّه ما یقتل أحدا من الناس دخل فی دینه، و تشهّد شهادته.

فلما قال لی ذلک، خرجت حتی قدمت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینة، فلم یرعه إلّا بی قائما علی رأسه أتشهّد بشهادة الحق، فلمّا رآنی قال: أو حشی؟!

قلت: نعم یا رسول اللّه.

قال: اقعد فحدّثنی کیف قتلت حمزة، فحدثته بما جری له معه، فلما فرغت من حدیثی قال: ویحک! غیّب عنی وجهک فلا أرینّک.

(۲) أجل هذه هی الروح النبویّة الکبری، و تلک هی سعة الصدر التی وهبها اللّه تعالی لنبیه صلّی اللّه علیه و آله قائد الاسلام الأعلی، و معلم البشریة الاکبر، تراه عفی عن قاتل عمه، مع أنّه کان فی مقدوره أن یعدمه بمائة حجة و حجة!!

یقول وحشی: فکنت أتنکّب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حیث کان لئلّا یرانی، حتی قبضه اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فلما خرج المسلمون الی قتال مسیلمة الکذاب خرجت معهم، و أخذت حربتی التی قتلت بها حمزة، فلمّا التقی الناس رایت مسیلمة الکذاب قائما فی یده السیف، و ما أعرفه، فتهیأت له، و تهیّأ له رجل من الأنصار من الناحیة الاخری، کلانا یریده فهزرت حربتی حتی إذا رضیت منها دفعتها إلیه، فوقعت فیه، و شد علیه الأنصاری فضربه بالسیف.

هذا هو ما ادّعاه وحشی، بید أنّ هشام قال فی سیرته: بلغنی أن وحشیا لم یزل یحدّ فی الخمر حتی خلع من الدیوان فکان عمر بن الخطاب یقول: قد علمت أنّ اللّه تعالی لم یکن لیدع قاتل حمزة «۱».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۷۲ و ۷۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۶

(۱)

۴- أمّ عمارة:

لا ریب أن الجهاد الابتدائی مرفوع عن المرأة ساقط عنها فی نظر الاسلام، و لهذا عند ما أوفدت نساء المدینة امرأة الی رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله لتتحدّث معه حول الحرمان من هذه العبادة الكبرى، فجاءت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالت: يا رسول اللّه نحن نقوم بكل ما يحتاج إليه الرجال فى حياتهم، ليجاهدوا ببال فارغ، فلم حرمنا نحن من هذه الفضيلة؟!

فأجابها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قائلا: «إنّ حسن التبعّل يعدل ذلك كله»، و هو صلّى اللّه عليه و آله يشير إلى أن لهذا المنع أسبابه الطبيعية و الوظيفية فى طبيعة المرأة و خلقتها، و ليس هو بالتالى يعنى حرمانها من شىء فان قيامها على الوجه الصحيح بخدمة زوجها و تربية أولادها تعدل الجهاد فى سبيل اللّه «۱».

(۲) بيد أن بعض النسوة المجرّبات ربما كن يخرجن من المدينة لمساعدة جنود الاسلام كسقى العطاشى، و غسل ثياب المقاتلين، و تضميد الجرحى. و بذلك كنّ يقدّمن خدمة مؤثرة فى نصرة المسلمين و دعمهم.

تقول أمّ عمارة (نسيبة المازنية): خرجت أول النهار الى «احد» و أنا أنظر ما يصنع الناس، و معى سقاء فيه ماء، فانتهيت الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو فى الصحابة، و الدولة و الريح للمسلمين.

فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فجعلت أباشر القتال و أذبّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالسيف، و أرمى بالقوس حتى خلصت إلىّ الجراح.

(تقول راوية هذا الكلام) فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت:

يا أمّ عمارة من أصابك بهذا؟.

(۳) قالت: أقبل ابن قميئة و قد ولّى الناس عن رسول اللّه، يصيح: دلّونى على

---

(۱) اسد الغابة: ج ۵ ص ۳۹۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۷۷

محمد، لا نجوت إن نجا. فاعترض له مصعب بن عمير و ناس معه، فكنت فيهم فضربنى هذه الضربة، و لقد ضربته على ذاك ضربات، و لكنّ عدوّ اللّه كان عليه درعان. هذا و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ينظر إلىّ، فنظر الى جرح على عاتقى، فصاح بأحد اولادى و قال: «امّك امّك اعصب جرحها». فعاوننى عليه.

(۱) ثم إنها رأت أن ابنها جرح فاقبلت إليه و معها عصائب فى حقويها قد أعدّتها للجراح فربطت جرحه و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ينظر، ثم قالت لولدها: انهض يا بنى فضارب القوم.

فأعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باستقامتها و ثباتها و ايمانها و قال:

«و من يطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة»؟!

و فى الأثناء اقبل الرجل الذى ضرب ولدها فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا ضارب ابنك فاعترضت له، و حملت عليه كالأسد المغضب و ضربت ساقه فبرك.

فازداد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إعجابا بشجاعتها و تبسّم حتى بدت نواجذه و قال:

«استقدت يا أمّ عمارة الحمد للّه الذى ظفّرك و أقرّ عينك من عدوّك».

(۲) و عند ما نادى منادى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الى حمراء الأسد، بعد معركة احد، و طلب من الجرحى أن يخرجوا لملاحقه جيش المشركين، شدّت عليها ثيابها و قد كان بها جراح عديدة أعظمها الجرح الذى على عاتقها فما استطاعت بسبب نزف الدم، فأرادت أن تخرج مع العسكر منعتها جراحها الباهضة من ذلك، فلما رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من غزوة حمراء الاسد ما وصل الى بيته حتى أرسل إليها عبد اللّه بن كعب المازنى يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسرّ النبىّ بذلك.

(۳) و لقد أثار موقف هذه المرأة البطلة الثابتة على درب الايمان سرور النبىّ و اعجابه فقال فى حقها مشيدا بموقفها البطل و معرضا

بفرار من فرّ و هروب من هرب فی معرکة احد:

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۸

«لمقام نسیبة بنت کعب الیوم خیر من فلان و فلان».

و کانت نسیبة قد طلبت من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یوم احد بعد أن أشاد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بصلابتها و مواقفها أن یدعو لها بمرافقته فی الجنة فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله داعیا لها و لأهل بیتها:

«بارک اللّه علیکم من أهل بیت رحمکم اللّه. اللّهم اجعلهم رفقائی فی الجنّة».

(۱) و قال ابن أبی الحدید معلقا علی عبارة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لمقام نسیبة الیوم خیر من مقام فلان و فلان» قلت: لیت الراوی لم یکنّ هذا الکنایة، و کان یذکر من هما بأسمائهما حتی لا یترمی الظنون إلی امور مشتبهة، و من أمانة الحدیث أن یذکر الحدیث علی وجهه و لا یکتم منه شیئا فما باله کتم اسم هذین الرجلین «۱».

و لکننا نعتقد أن الرجلین هما من الشخصیات التی تسنمت مراکز القیادة العلیا بعد وفاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد أحجم الراوی عن التصریح بأسمائهما إما احتراما أو تقیة و خوفا.

(۲)

بقیة واقعة «احد»:

لقد آلت تضحیات ثلة قلیلة و معدودة من رجال الاسلام المتفانین و بسالتهم الی الابقاء علی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حفظها من الخطر القطعی الحتمی.

و من حسن الحظ أن أکثر أفراد العدوّ قد تصوروا یومئذ أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله قد قتل، و مضوا یفتشون عن جسده بین القتلی، و دفعت الحملات التی کان یقوم بها أقلیة من المشرکین علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد ردّت علی

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابی الحدید: ج ۱۴ ص ۲۶۵- ۲۶۷، المغازی: ج ۱ ص ۲۶۹ و ۲۷۰، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۳۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۷۹

اعقابها بفضل ثبات علی علیه السلام و أبی دجانة و أنفار آخرین (احتمالا) و قد رأی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن من الصالح فی تلک اللحظات أن لا ینتشر تکذیب شائعة مقتل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لکی لا یصرّ العدو علی البقاء فی أرض المعرکة مع ما کان علیه المسلمون من التشتت و التفرق، و المحنة، و من هنا صعد هو و بعض أصحابه إلی الشعب فی جبل احد.

(۱) و فی خلال ذلک سقط رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حفیرة فی الجبل حفرها أبو عمار الفاسق للمسلمین، فأخذ علی علیه السلام بید النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أخرجه منها، و کان أوّل من عرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من المسلمین، «کعب بن مالک» و قد رأی عینیه صلّی اللّه علیه و آله تزهران من تحت المغفر فنادی بأعلی صوته: یا معشر المسلمین، أبشروا هذا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأشار إلیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن أنصت.

و ذلک لأن انتشار خبر سلامة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان من شأنه أن یدفع المشرکین- کما قلنا- الی مواصلة حملاتهم علی المسلمین، بهدف استئصال شأفتهم و لهذا أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کعبا بالسکوت، فسکت کعب.

و أخیرا وصل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی فم الشعب، و لما عرف المسلمون بحیاته صلّی اللّه علیه و آله سروا بذلک و أخذوا یتجمّعون عنده، و هم یظهرون الندامة من ترکه بین الاعداء، و الفرار بأنفسهم الی الجبل، و أخرج أبو عبیدة الجرّاح حلقتی المغفر من وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جاء علی علیه السلام بماء فی درقته فغسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جاء علی علیه

السلام بماء فی درقته فغسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله به الدم عن وجهه و صبّ منه علی رأسه و قال:

«اشتدّ غضب اللّه علی من دمّی وجه نبیّه» «۱».

(۲)

العدوّ یحاول استغلال الفرصة:

فی الوقت الذی واجه المسلمون فیه هزیمة کبری انهارت بها الکثیر من

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۸۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۰

المعنویات اغتنم العدوّ الفرصة للترویج عن معتقداته، فأطلق شعارات متعددة ضد عقیدة التوحید، کان من شأنها أن تغری البسطاء، و الضعفاء فی الایمان و تؤثر فیهم، و تزلزل إیمانهم. فلیست هناک حالة لبثّ العقائد و تسریبها إلی النفوس أفضل من حالة الانهزام و النکسة، و البلاء و المصیبة، ففی حالة کهذه یبلغ الضعف النفسی لدی المصاب و المنکوب حدّا یفقد معه العقل سیطرته علی الانسان بحیث یفقد علی أثر ذلک قدرة التمییز بین الحق و الباطل و فی هذه الصورة تصبح مسألة بثّ الدعایات السیئة و زرعها فی النفوس و استثمارها مسألة بسیطة، اذ یکون الانسان فی هذه الحالة أکثر تقبلا و أیسر قبولا.

من هنا عمد أبو سفیان و عکرمة فرفعا أصناما کبیرة علی الایدی بعد الحاق الهزیمة بالمسلمین، و أظهروا الفرح و السرور و أخذوا ینادون بأعلی أصواتهم- مستغلین هذه الفرصة-: «اعل هبل، اعل هبل»!!

(۱) و یعنون بذلک الشعار أن الانتصار الذی أحرزه المشرکون إنما هو بفضل الصنم: هبل، و بالتالی بفضل الوثنیة التی تدین بها أهل مکة. و لو کان ثمة إله سواه، و کانت عقیدة التوحید علی حق لانتصر المسلمون، و لما خلص إلیهم من المحنة ما خلص

فادرک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عمق الخطر الذی یکمن فی الاسلوب الذی أخذ العدوّ یمارسه فی مثل هذه اللحظة الحساسة، و ما سیترکه ذلک من أثر سیئ فی النفوس، و بخاصة الضعیفة منها. و لهذا تناسی کل أوجاعه و مصاعبه و أمر علیّا و المسلمین فورا بأن یجیبوا منادی الشرک بشعار مضاد قوی، فقال:

قولوا:

«اللّه أعلی و اجلّ، اللّه اعلی و اجلّ».

أی انّ هذه الهزیمة لیست نابعة من عقیدة التوحید، بل هی ناشئة من انحراف بعض الجنود عن أوامر القائد و تعلیماته العسکریة الحکیمة.

و بید أن أبا سفیان لم یکف عن اطلاق شعاراته، و المضیّ فی الدعایة لمعتقده الباطل فقال: نحن لنا العزّی و لا عزی لکم!!

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۱

(۱) فأمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بأن ینادی المسلمون بشعار مضاد لشعار أبی سفیان، مشابه له فی الوزن و السجع فقال: قولوا:

«اللّه مولانا و لا مولی لکم».

أی اذا کنتم تعتمدون علی صنم مصنوع من الحجر و الخشب، فاننا نعتمد علی اللّه الخالق، القادر و العلی الاعلی.

فنادی منادی الشرک ثالثا: یوم بیوم بدر. فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان یجیبه المسلمون.

«لا سواء قتلانا فی الجنة، و قتلاکم فی النار».

فکان لشعارات المسلمین القویة الرادعة التی کان یرددها المئات، أثرها العجیب فی نفس رأس الشرک أبی سفیان الذی بدأ هذه

الحملة النفسية و الحرب الباردة بغية تحطيم ايمان المسلمين، و رأى كيف ارتد كيده إلى نحره و لهذا انزعج بشدة و قال: ألا إن موعدكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه، و غادروا جميعا أرض المعركة راجعين إلى مكة «۱».

و كان على المسلمين الآن- و فيهم مئات الجرحى و المصابين و سبعون قتيلا- أن يصلّوا الظهر و العصر فصلى بهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جلوسا، و صلّوا معه جلوسا، لما أصابهم من الضعف، ثم أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بدفن الشهداء، و مواراتهم الثرى عند جبل احد.

(۲)

نهاية المعركة:

وضعت الحرب أوزارها، و تباعد الجانبان، و قد تحمّل المسلمون من الخسائر فى الارواح ثلاثة أضعاف ما تحمّله المشركون. و كان عليهم أن يبادروا إلى دفن الشهداء على النحو الذى أمرهم به الدين.

و لكنهم فوجئوا بأمر فضيع، فقد اغتنمت نسوة من قريش و فى طليعتهن هند

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۹۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۸۲

زوجة ابى سفيان فرصة انشغال المقاتلين المسلمين و ارتكبن بحق الشهداء الابرار، جناية فظيعة لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا، فهن لم يكتفين بالانتصار الظاهرى بل عمدن إلى التمثيل بشهداء المسلمين، تمثيلا مروعا فخمشن وجوههم، و قطّعن الأنوف، و جدعن الاذان، و سملن العيون، و قطعن أصابع الأيدى و الأرجل، و المذاكير، و صنعن منها القلائد و الاساور، نكاية بالمسلمين، و اطفاء للحقد الدفين، و بذلك الحقن بهنّ و بأوليائهنّ عارا لا ينسى.

(۱) فان جميع الامم و الشعوب- متفقة على أن الميت الذى لا يستطيع دفاعا عن نفسه، و لا يتوقع منه ضرر يجب احترامه، و يحرم اهانته و ان كان عدوا. و لكن هندا زوجة أبى سفيان و من كان برفقتها من نساء المشركين مثّلن بأجساد القتلى شر تمثيل، و صنعن مما قطّعن منها الاساور و القلائد، و بقرت «هند» بالذات صدر حمزة بطل الاسلام الفدائىّ، و أخرجت كبده، و لاكته بين أسنانها و لكنها لفظته و لم تستطع أكله.

و قد بلغ هذا العمل من القبح، و السوء أن تبرّأ منه أبو سفيان و قال: «فى قتلاكم مثلة لم آمر بها» «۱».

و قد عرفت هند بسبب فعلتها الشنيعة هذه بآكلة الاكباد، و دعى أبناؤها فى ما بعد ببنى آكلة الاكباد.

و لما أبصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حمزة بن عبد المطلب، ببطن الوادى و قد بقر بطنه عن كبده، و مثّل به فجدع أنفه و اذناه، حزن حزنا شديدا و غاضه تمثيلهم به فقال:

«ما وقفت موقفا قطّ أغيظ إلىّ من هذا!».

(۲) ثم إنّ المؤرّخين يتفقون على أنّ المسلمين تعاهدوا فى ذلك الموقف (و ربما نسب هذا إلى النبىّ نفسه) لئن أظفرهم اللّه بالمشركين يوما أن يمثّلوا بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب أو يمثلوا بدل الواحد ثلاثين.

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۲۴۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۸۳

و لم يمض زمان حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى:

«وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» «۱».

(۱) و لقد كشف الاسلام مرة اخرى و من خلال هذه الآية- التى تتضمن أصلا اسلاميا فى مجال القضاء مسلما به- عن وجهه الانسانىّ العاطفىّ، و أظهر للجميع بأن الدين الاسلامى ليس شريعة انتقام، و ثأر، فهو يعلّم أتباعه بأن لا يغفلوا فى أشدّ اللحظات و الحالات النفسية هياجا و غضبا عن قانون العدالة، و الحق، و بهذا يكون الاسلام قد راعى مبادئ العدالة و الانصاف على الدوام، و صانها من الانهيار، و السقوط.

و لقد أصرّت صفية أخت حمزة أنّ ترى جثمان أخيها، إلّا أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أمر ابنها الزبير أن يحبسها و يصرفها عن ذلك لكى لا ترى ما بأخيها فلا تحتمل الصدمة.

فقالت صفية: قد بلغنى أن قد مثّل بأخى و ذلك فى اللّه، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبنّ و لأصبرنّ إن شاء اللّه.

فأخبر الزبير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمقالتها فقال صلّى اللّه عليه و آله: خلّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه فصلّت عليه، و استرجعت، و استغفرت له، ثم أمر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فدفن «۲».

(۲) حقا أن قوّة الإيمان أعظم القوى، فهى تحبس الانسان و تحفظه فى أصعب الحالات، و تفيض على صاحبه حالة من السكينة و الوقار.

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صلى على شهداء أحد الأبرار، و أمر بدفنهم واحدا واحدا أو اثنين اثنين، و أمر بأن يدفن «عمرو بن الجموح» و «عبد اللّه بن عمرو» فى قبر واحد.

---

(۱) النحل: ۱۲۶.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۹۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۴

قائلا:

«ادفنوا هذين المتحابّين فى قبر واحد» «۱».

(۱)

آخر ما نطق به سعد بن الربيع:

كان سعد بن الربيع من صحابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأوفياء، و كان رجلا مؤمنا مخلصا، عظيم الوفاء و الحبّ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و قد اصيب فى «احد» اثنتا عشرة اصابة قاضية فسقط على الأرض.

فمرّ عليه رجل يدعى مالك بن الدخشم فقال له: أ ما علمت أن محمدا قد قتل؟ فقال سعد: اشهد أن محمّدا قد بلّغ رسالة ربه، فقاتل أنت عن دينك فان اللّه حىّ لا يموت «۲».

ثم إنه قد مرّ عليه رجل من الانصار و هو فى هذه الحال و بعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال لسعد: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمرنى أن أنظر أ فى الاحياء أنت أم فى الأموات؟ فقال سعد: أنا فى الأموات فابلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عنّى السلام، و قل له: إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك اللّه عنا خيرا ما جزى نبيا عن امته و أبلغ قومك عنّى السلام، و قل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لاعذر لكم عند اللّه إن خلص الى نبيكم صلّى اللّه عليه و آله و منكم عين تطرف.

ثم لم يبرح ذلك الانصارى حتى قضى سعد بن الربيع نحبه، فجاء الأنصارى الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بما قال. فقال

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«رحم اللّه سعدا نصرنا حیّا و اوصی بنا میتا» «۳».

(۲) إنّ حبّ الانسان لنفسه، أو ما یصطلح علیه العلماء بحبّ الذات من الغرائز

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۹۸، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۳۱.

(۲) و (۳) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۹۵، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۵

القویة المتأصلة فی کیان الانسان بحیث لا یمکن لأی أحد أن یغفل عنها مهما کانت الظروف و هی بالتالی من القوة و الهیمنة علی وجود الانسان بحیث یضحّی فی سبیلها بکل شیء.

و لکن قوة الایمان و حبّ الانسان للعقیدة، و تعشقه للمعنویات أقوی و أشدّ تأثیرا من ذلک، فهذا الجندیّ الشجاع لم یکن بین- حسب ما تفیده النصوص التاریخیة- و بین الموت فی ذلک الوقت سوی لحظات، و مع ذلک نجده ینسی نفسه، و یفکر فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی کان یعتبره أقوی سبب لبقاء الدین، و دوام الشریعة، و هذا هو الهدف المقدّس الذی قاتل من أجله سعد البطل، و لهذا لا یحمل ذلک الرجل الأنصاری سوی رسالة واحدة إلی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یحثهم فیها علی السهر علی حیاة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و العمل معه علی تحقیق أهدافه، فی ارساء دعائم التوحید.

(۱)

النبیّ یعود الی المدینة:

کانت الشمس تمیل نحو المغرب و کانت تستعد للملمة أشعتها الذهبیة من صفحة الکون، و کان السکون و الصمت یخیم علی کل مکان من الأرض.

فی مثل هذه اللحظات کان علی المسلمین المقاتلین أن یعودوا بجرحاهم الی منازلهم فی المدینة لیستعیدوا قواهم، و یجدّدوا نشاطهم، و یضمدوا جرحاهم.

و لهذا صدرت أوامر من جانب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله بالتوجه نحو المدینة.

فلما کانوا بأصل الحرة قال صلّی اللّه علیه و آله: اصطفوا فنثنی علی اللّه، فاصطف الرجال صفین خلفهم النساء ثم دعا فقال:

اللّهم لک الحمد کله، اللّهم لا قابض لما بسطت، و لا باسط لما قبضت، و لا مانع لما أعطیت و لا معطی لما منعت و لا هادی لمن اضللت و لا مضلّ لمن هدیت، و لا مقرّب باعدت و لا مباعد لما قرّبت.

اللّهم انّی أسألک من برکتک، و رحمتک و فضلک و عافیتک.

اللّهم انّی أسألک النعیم المقیم الذی لا یحول و لا یزول.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۶

اللّهم انّی أسألک الأمن یوم الخوف و الغنی یوم الفاقة عائذا بک.

اللّهم من شرّ ما أنطیتنا و شرّ ما منعت منّا.

اللّهم توفّنا مسلمین.

اللّهم حبّب إلینا الایمان، و زیّنه فی قلوبنا، و کرّه إلینا الکفر و الفسوق و العصیان، و اجعلنا من الراشدین.

اللّهم عذّب کفرة أهل الکتاب الذین یکذبون رسولک و یصدّون عن سبیلک.

اللّهم أنزل عليهم رجسک و عذابک إله الحق. آمين «۱».

و قد كان هذا العمل خطوة مهمة جدا من الناحية النفسية فقد أمدّ هذا الدعاء نفوس المسلمين المصابين بطاقة روحية ضخمة مما كان من شأنه تخفيف وطأة الهزيمة و تقوية عزائم المسلمين، كما علّمهم أن يلجئوا إلى اللّه تعالى فی كلّ حال.

فدخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و معه أصحابه من الانصار و المهاجرين الذين شاركوا فی تلک المعركة المدينة.

و كانت أكثر بيوت المدينة قد تحوّلت الى مناجات و مآتم، يرتفع منها أصوات بكاء الامهات و الازواج و البنات اللائی أصبن فی رجالهنّ و أوليائهنّ، و آبائهنّ.

(۱) و لما مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على منازل بنی عبد الاشهل و سمع ندبة النساء، و بكاءهنّ حزن و انحدرت دموعه على خديه و قال:

«لكنّ حمزة لا بواكی له» «۲».

فلما عرف سعد بن معاذ و اسيد بن حضير بذلک أمرا جماعة من نسائهم بأن يذهبن فيبكين على عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فلما سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بكاءهنّ على حمزة خرج عليهن و هنّ على باب مسجده يبكين عليه فقال:

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۶۲ و ۱۶۳.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۹۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۷

«ارجعن يرحمكنّ اللّه فقد آسيتنّ بأنفسكنّ».

و قيل لما سمع صلّى اللّه عليه و آله بكاءهنّ قال:

«رحم اللّه الأنصار، فانّ المواساة منهم ما علمت لقديمة .. مروهنّ فلينصرفن» «۱».

(۱)

ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة:

إن للنسوة المؤمنات صفحات مشرقة، و عجيبة فی تاريخ الاسلام، لأننا قلما نجد لها نظيرا فی عالم المرأة اليوم.

و من تلک النسوة المؤمنات ذوات المواقف الرائعة و العجيبة فی صدر الاسلام المرأة الدينارية، التی اصيب زوجها و أخوها و أبوها مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باحد.

فانّها لما نعوا لها مصرع رجالها قالت: فما فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟

قالوا: خيرا يا أمّ فلان، هو بحمد اللّه كما تحبّين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

فاشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدک جلل (ای صغيرة) «۲».

ما أعظم تلک الاستقامة، و ما أعظم ذلک الايمان الذی يجعل من الانسان طودا راسخا ثابتا فی وجه العواصف و الاعاصير.

(۲)

نموذج آخر من النسوة المجاهدات:

لقد أشرنا فی الصفحات الماضیة بصورة إجمالیة إلی قضیة «عمرو بن الجموح» الذی آلی علی نفسه أن یشارک فی الجهاد مع ما کان به من العرج

---

(١) السیرة النبویة: ج ٢ ص ٩٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٣ و ١٦٤.

(٢) السیرة النبویة: ج ٢ ص ٩٩.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۸

الموجب لسقوط الجهاد کما عرفت.

فقد شارک هذا المسلم الصادق و المؤمن المجاهد فی معرکة احد، و مضی یقاتل فی الصف الاول من المجاهدین، و شارک ابنه «خلّاد بن عمرو بن الجموح» و أخو زوجته «عبد اللّه بن عمرو» «١» فی هذا الجهاد المقدس، و استشهدوا جمیعا فی تلک المعرکة أیضا.

(١) فخرجت «هند» زوجته و هی بنت عمرو بن حزام، عمة جابر بن عبد اللّه الأنصاری الی «احد» و حملت أجسادهم علی بعیر و توجهت بها نحو المدینة، بمنتهی الجلادة، و رباطة الجأشی.

و عند ما فشی فی المدینة أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قتل باحد خرجت النسوة، یتأکّدن من هذا النبأ، فالتقت هند ببعض نساء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله- و هی عائدة من احد- فسألنهنّ عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقالت: خیرا، أمّا رسول اللّه فصالح، و کلّ مصیبة بعده جلل، و اتخذ اللّه من المؤمنین شهداء، و قرأت قول اللّه تعالی: «وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِغَیْظِهِمْ لَمْ یَنالُوا خَیْراً ...»!!

(٢) فسألوا: من هؤلاء؟

قالت: أخی، و ابنی خلّاد، و زوجی عمرو بن الجموح!!

فقلن لها: فأین تذهبین بهم؟

قالت: إلی المدینة اقبرهم بها .. ثم زجرت بعیرها تحثه علی السیر قائلة:

حل .. حل فی نبرة صامدة.

و مرة اخری یظهر فی هذه الصفحة الناصعة من تاریخ الاسلام نموذج حیّ آخر من مشاهد الثبات و الصمود، و الاستقامة، و تجاوز المصائب، و تحمّل الآلام و الشدائد فی سبیل الهدف المقدّس، و کلّ ذلک من فعل الایمان، و نتائجه.

إن المذاهب المادیة لا و لن تستطیع تربیة أمثال هذه النسوة و الرجال المتفانین فی سبیل العقیدة، بمثل هذا التفانی العظیم.

---

(١) و هو عبد اللّه بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاری.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۸۹

علی أن هؤلاء لم یقاتلوا من أجل المآرب المادیة، و انما قاتلوا من أجل الهدف، و هو إعلاء کلمة الدین و اقامة صرح التوحید، و محو الوثنیة و الشرک.

(١) هذا و فی بقیة هذه القصة ما هو أعجب من اولها، و هو أمر، لا یمکن أن یدرک بالمقاییس المادیة، و الأسس التی ینطلق منها أصحاب الاتجاه المادی فی تحلیل القضایا التاریخیة. و انما یهضمها- فقط- من یؤمن بعالم آخر وراء العالم المادیّ الصرف، و یصدّق بتأثیره فی هذا العالم، و بالتالی لا یقبل بها إلّا من یصدّق بقضیة الإعجاز و المعجزة، و یذعن لها و یعترف بصحتها من غیر تلکّؤ و ابطاء.

و إلیک هذه البقیة:

لمّا زجرت هند بعيرها لتدخل به المدينة برك البعير فى مكانه.

فقالت النسوة التى كنّ هناك: لعلّه برك لما عليه.

فقالت هند: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران، و لكنّى أراه لغير ذلك.

فزجرته ثانية، فقام، فلما وجّهت به إلى المدينة برك، فوجهته راجعة الى احد فاسرع.

فرجعت إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فأخبرته بذلك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: فانّ الجمل مأمور. هل قال (يعنى: عمرو بن الجموح) شيئا؟

(۲) قالت: إنّ عمرا لمّا وجّه إلى احد استقبل القبلة، و قال: اللّهم لا تردّنى إلى أهلى خزيا، و ارزقنى الشهادة!!

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «فلذلك الجمل لا يمضى. إنّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على اللّه لابرّه، منهم عمرو بن الجموح، يا هند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن»، ثم مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى قبرهم، ثم قال: «يا هند قد ترافقوا فى الجنة جميعا، عمرو بن الجموح، و ابنك خلّاد، و أخوك عبد اللّه».

قالت هند: يا رسول اللّه فادع لى عسى أن يجعلنى معهم «۱».

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۴۶- ۱۴۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۰

(۱) ثمّ إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دخل بيته فلما أبصرت به بنته العزيزة «فاطمة» و رأت ما أصابه من الجراح ذرفت عيناها بالدموع، فأعطى رسول اللّه سيفه لابنته (الزهراء) حتى تغسله.

و قال الاربلى المؤرخ الشيعى المعروف الذى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى: كان على يجىء بالماء فى ترسه، و فاطمة تغسل الدم و أخذ حصيرا فاحرقه وحشى به جرحه «۱».

و فى الامتاع لما رأت فاطمة الدم لا يرقأ- و هى تغسله و على يصب الماء عليها بالمجنّ- أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم و يقال: داوته بصوفة محترقة «۲».

(۲)

لا بدّ من ملاحقة العدو:

لقد كانت الليلة التى استقرّ فيها المسلمون فى منازلهم بالمدينة بعد يوم احد ليلة جدّا خطيرة و حساسة.

فالمنافقون و اليهود و أتباع عبد اللّه بن أبى قد سرّوا لما أصاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه سرورا كبيرا، و أظهروا القول السيئ، و قالوا: ما اصيب نبى هكذا قط.

و كان أنين الجرحى و المكلومين و بكاء الموتورين فى رجالهم و نياحهم يسمع من أكثر بيوت المدينة.

و الأخطر من كلّ هذا هو التخوّف من أن يقوم المنافقون و اليهود بعملية خيانية ضد الاسلام و المسلمين فى تلك الظروف.

أو أن يعرّضوا وضع العاصمة الاسلامية الثابت، و الوحدة السياسية القائمة فى المدينة للخطر بايجاد الاختلاف و التشتت على الاقل.

إن ضرر الاختلافات الداخليّة أشد بكثير من حملات العدوّ الخارجى، و ان

---

(۱) كشف الغمة: ج ۱ ص ۱۸۹.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۳۷ و ۱۳۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۱

انهيار الوحدة و الانسجام فى الجبهة الداخلية أخطر بكثير من تعرّض البلاد لهجوم من الخارج.

(۱) من هنا كان يتعيّن على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يرهب العدو الداخلى، و يفهمه بأنّ قوى التوحيد لم تفقد انسجامها و تماسكها و انّ أيّة خطوة أو نشاط معاد يهدّد أساس الاسلام للخطر سيسحق بشدة فى اللحظة الأولى.

و لهذا أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن يخرج فى نفس الليلة لملاحقة العدوّ (أى مشركى مكة).

فكلّف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رجلا بأن ينادى فى كل مناطق المدينة:

«أ لا عصابة تشدّد لأمر اللّه تطلب عدوّها، فانّها أنكأ للعدوّ و أبعد للسمع.

ألا لا يخرجن معنا الّا من حضر يومنا بالامس».

أو قال: «يا معشر المهاجرين و الأنصار من كانت به جراحة فليخرج، و من لم يكن به جراحة فليقم».

و انما خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كما أسلفنا ليرهب العدوّ و ليبلغهم أنه خارج فى طلبهم فيظنوا به قوّة، و أن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم «۱».

(۲) على أن لهذا التقييد، و لهذا النهى عن خروج غير الجرحى، أو من لم يشترك فى احد، عللا- أو حكما لا- تخفى على العارفين بالسياسة، و الرموز العسكرية.

و يمكن الاشارة الى بعضها:

(۳) أولا: انّ هذا التحديد، و بالتالى الاقتصار على من شارك فى معركة احد هو نوع من التعريض بمن امتنع من المشاركة فى تلك المعركة، و فى الحقيقة هو نوع من تجريدهم من صلاحية المشاركة فى الدفاع المقدّس.

(۴) ثانيا: إنّ هذا التحديد هو نوع من عقاب المشاركين فى معركة احد، لأنّهم بتجاهلهم لتعاليم القيادة، و انصرافهم بسرعة الى المطامع المادية، و الغفلة عن ملاحقة العدوّ فى حينه تسببوا فى توجيه تلكم الضربة النكراء الى الاسلام،

---

(۱) مجمع البيان للطبرسى: ج ۲ ص ۵۳۵- ۵۴۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۲

و لذلك يجب عليهم انفسهم ملافاة تلك الخسارة، و ترميم ذلك العطب، لكيلا يعودوا إلى مثل ذلك، و لا يتجاهلوا أوامر القيادة، و نحن نعلم أن الانضباطية و التقيد الكامل بالاوامر هو أهم عنصر فى نجاح الامور العسكرية «۱».

بلغ نداء مؤذن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله مسامع شاب من بنى الاشهل كان قد شهد احدا مع رسول اللّه، فخرج هو و أخوه و هما جريحان مع رسول اللّه لطلب العدوّ، و قد قال أحدهما للآخر: أ تفوتنا غزوة مع رسول اللّه.

و قد خرجا دون أن تكون لهما دابة يركبانها و كلاهما مصابان بجروح ثقيلة، فكان الأيسر منهما يحمل الآخر مسافة، فاذا تعب مشيا مسافة، ثم عاد الى حمله حتى انتهيا الى ما انتهى إليه المسلمون «۲».

(۱)

حمراء الأسد «۳»:

خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأصحابه الى حمراء الاسد (و هى تبعد عن المدينة بثمانية أميال) و قد استخلف على المدينة «ابن أمّ مكتوم».

و هناك مرّ به «معبد بن أبى معبد الخزاعى» رئيس بنى خزاعة، و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم يومذاك ذات علاقات طيبة جدا

مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين و كانوا لا يخفون عن النبىّ شيئا.

فتقدم معبد رئيسهم و عزّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما أصابه، و هو يومئذ مشرك قائلا: يا محمّد أما و اللّه لقد عزّ علينا ما أصابك، و لوددنا أنّ اللّه عافاك فيهم.

ثم خرج معبد حتى لقى أبا سفيان و من معه بمنطقة تدعى بالروحاء و قد

---

(۱) كلا هذين الوجهين يستقيمان إذا قلنا بان النبىّ خرج بكل من شارك فى احد لا أنه اقتصر على الجرحى، كما تصرح به بعض النصوص التاريخية.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۶۸، السيرة النبوية: ج ۲ ص ۱۰۱.

(۳) لقد عدّ البعض خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى حمراء الاسد لملاحقة العدوّ غزوة مستقلة، و ذكرها البعض الآخر فى ذيل معركة احد.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۳

عزموا على الرجوع الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه للكرة عليهم، و استئصالهم، و القضاء عليهم بالمرة.

فلما رأى أبو سفيان معبدا (و كان معبد قد استهدف من خروجه الى أبى سفيان و جماعة المشركين القيام بخدمة لصالح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه) قال: ما وراءك يا معبد، و ما ذا عندك من الاخبار؟

(۱) فقال معبد:- و هو يريد إرعاب قريش و صرفهم عن الرجوع الى المدينة- محمّد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يومكم، و ندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق و شدة الغيظ عليكم شىء لم ار مثله قط!!

فقال أبو سفيان:- و قد أرعب بشدة من هذا النبأ- ويحك ما ذا تقول؟

قال معبد: و اللّه ما أرى ان ترتحل حتى أرى نواصىّ الخيل.

قال أبو سفيان: فو اللّه لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيّتهم!

قال معبد: فانى أنهاك عن ذلك.

و قد تركت كلمات معبد، و وصفه لقوة المسلمين و عزمهم الشديد على توجيه ضربة الى الكفار أثرها فى نفس أبى سفيان الذى تملّكه خوف شديد، دعاه إلى الانصراف عن الرجوع الى المدينة ثانية، و العزم على القفول الى مكة «۱».

و مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأصحابه حتى عسكروا ليلا بحمراء الاسد، فامر بأن يوقد المسلمون النيران فأوقدوا خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، و ذهب صوت معسكرهم و نيرانهم فى كل وجه، و تصور العدو أن النبىّ جاءهم فى جيش عظيم، فتشاوروا حول الرجوع الى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك، فانصرفوا «۲».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۱۰۲، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۶۹ و ۱۷۰.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۴۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۴

(۱)

لا يخدع مؤمن مرّتين:

هذا هو معنى قول النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله:

«المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين».

و لقد قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند ما أسّر المسلمون أبو عزّة الجمحى فى طريق عودتهم من حمراء الاسد على نحو الصدفة، و أراد النبىّ ضرب عنقه فاستقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و طلب منه العفو و كان قد أسر ببدر قبل ذلك، ثم منّ عليه النبىّ و أطلق سراحه مشترطا عليه أن يكفّ عن المؤامرة ضد النبىّ و المشاركة فى قتاله، و لكنه عاد الى مكة، و شارك فى قتال النبىّ مرة اخرى فى احد.

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لما طلب العفو ثانية:

«و اللّه لا تمسح عارضيك بمكة بعدها و تقول: خدعت محمّدا مرتين، إنّ المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين».

ثم أمر بضرب عنقه، و ضرب عنقه «۱».

(۲) و أخيرا انتهت معركة احد و قد قدم المسلمون فيها سبعين، أو اربعة و سبعين، أو واحدا و ثمانين شهيدا على روايات مختلفة، بينما لم يتجاوز عدد قتلى قريش اثنين و عشرين.

و قد نشأت هذه النكسة المرّة بسبب تجاهل الرماة لتعليمات الرسول القائد على النحو الذى قرأت.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۱۰۴، نلفت نظر القارئ الكريم الى أننا قد ذكرنا فى الهوامش مصادر أهم الحوادث فى معركة احد و فى إمكان القارئ الكريم لو أراد التوسع ان يراجع المصادر التالية التى اعتمد عليها المؤلف: و هى: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ۲ ص ۳۶- ۴۹، المغازى: ج ۱ ص ۱۹۹- ۳۴۰، شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ۱۴ ص ۱۴- ۲۱۸ و ج ۵ ص ۶۰، و بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۱۴- ۱۴۶، و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۱۳- ۱۶۶، السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۰- ۱۶۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۵

و قد وقعت معركة احد يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة، هذا مضافا الى غزوة حمراء الاسد التى استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الاسبوع نفسه، فتكون قضايا و وقائع هذه الغزوة فى الرابع عشر من شهر شوال من نفس تلك السنة.

ميلاد الامام الحسن السبط:

(۱) هذا و قد ولد فى هذه السنة (اى السنة الثالثة من الهجرة) سبط رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الاكبر الإمام الحسن بن على عليه السلام فى منتصف شهر رمضان من تلك السنة، و اجرى له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مراسيم ولادة خاصة ذكرها أصحاب الحديث و تجد تفصيلها فى سيرة الائمة من أهل البيت النبوى الطاهرين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۶

(۱)

حوادث السنة الرابعة من الهجرة ۳۳

فاجعة فريق المبلّغين «۱»

اشارة

لقد ظهرت الآثار السياسية لنكسة المسلمين فى معركة «احد» بصورة واضحة بعد الحرب.

فمع أن المسلمين أظهروا مقاومة رائعة أمام العدوّ المنتصر و منعوا من رجعته الى المدينة و تحقيق أهدافه الخطيرة فى استئصال المسلمين إلا أن التحريكات الداخليّة و الخارجية ضدّ الاسلام بهدف القضاء على هذا الدين، و رجاله قد تصاعد مدّها فى أعقاب حادثة «احد».

و قد تجرّأ منافقو المدينة، و يهودها و المشركون المتواجدون فى شتى النقاط البعيدة خارج المدينة على أثر ذلك، و بدءوا يحيكون المؤامرات ضدّ الاسلام و المسلمين و يجمعون الاسلحة و الرجال لشن الحروب و الغارات على المدينة.

(۲) و قد استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بمهارة كبيرة إطفاء كلّ تلك التحريكات، كما و استطاع قمع تحرّكات القبائل القاطنة خارج المدينة التى كانت تنوى الهجوم على المدينة و ذلك بارسال السرايا و المجموعات القوية من المجاهدين.

و فى هذا الاثناء بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نبأ مفاده أن قبيلة بنى أسد تنوى الهجوم على المدينة و تسخيرها، و قتل المسلمين، و نهب أموالهم، فبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من فوره جماعة من المقاتلين يبلغ عددهم (۱۵۰)

---

(۱) وقعت حادثة قتل المبلّغين فى الشهر السادس.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۱۹۷

رجلا بقيادة «أبى سلمة» الى منطقة تجمع المتآمرين.

ثم إنه صلّى اللّه عليه و آله أوصاهم بأن يخفوا مقصدهم الأصلى، و يسلكوا طريقا آخر غير الطريق المتعارف، و يقيموا نهارا و يسيروا ليلا، ليعمّوا على القوم.

و قد فعل «أبو سلمة» و جماعته ما أوصاهم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فكانوا يسيرون الليل، و يكتمون النهار، حتى وردوا المنطقة فاحاطوا ببنى أسد فى عماية الصبح، و قضوا على المؤامرة فى مهدها، و عادوا غانمين موفورين إلى المدينة، و قد وقعت هذه الحادثة فى شهر المحرّم على رأس خمسة و ثلاثين شهرا من الهجرة «۱».

(۱)

خطة ما كرة للفتك بالمبلّغين:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقوم بافشال بارسال السرايا و المجموعات العسكرية جميع مؤامرات المتآمرين ضد الاسلام، كما أنه كان يقوم الى جانب ذلك ببعث المجموعات التبليغية الى القبائل، و الجماعات و بذلك يجلب قلوب المحايدين منهم نحو العقائد الاسلامية.

و كان المبلّغون و الدعاة الذين كانوا من قراء القرآن الكريم، و من الملمين بالاحكام الاسلامية و التعاليم النبوية يبدون استعدادا عجيبا للقيام بهذه المهمّة الصعبة و لو كلّفت حياتهم فكانوا ينقلون تعاليم الاسلام إلى الناس فى المناطق النائية، و الاماكن البعيدة بأوضح بيان و أوضح اسلوب.

و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ببعثه للمجموعات العسكرية من جانب، و ارساله للفرق التبليغية من جانب آخر يقوم- فى الحقيقة- بوظيفتين هامتين من وظائف المنصب النبوى.

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۳۴۰، و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۷۰، و لا بدّ أنك أيها القارئ الكريم تتذكر أن السنة الثالثة للهجرة تنتهى عند انتهاء الشهر الرابع و الثلاثين، و تكون حوادث الشهر الخامس و الثلاثين متعلقة بالسنة الرابعة من الهجرة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۹۸

(۱) فهو ببعثه للسرايا و المجموعات العسكرية كان يقصد فى الحقيقة القضاء على محاولات التمرّد، و التآمر التى كانت فى مرحلة التحقق و التكوّن لكى يتسنى للمجموعات التبليغية فى ظل الأمن و الحرية الدعوة إلى الاسلام، و القيام بوظيفتها الاساسية ألا و هى ارساء دعائم الحكومة الاسلامية فى القلوب، و تنوير الافكار، و ايقاظ العقول.

و لكن بعض القبائل المتوحّشة، و المنحطّة أخلاقيا و فكريّا كانت تتحايل على المجموعات التبليغية التى كانت تمثل القوى المعنوية للاسلام، و التى لم يكن لها هدف سوى نشر التوحيد، و اقتلاع جذور الكفر و الوثنية، و كانوا يقتلونهم بصورة فضيعة و مفجعة.

و فيما يلى نلفت نظر القارئ الكريم إلى قصة مجموعة من الدعاة و المبلّغين الذين لقوا هذا المصير و كان عددهم يبلغ ستة أشخاص حسب رواية ابن هشام «۱»، أو عشرة أشخاص حسب رواية ابن سعد «۲».

(۲)

الغدر بالدعاة الى الإسلام و قتلهم:

لقد مشت جماعة من قبيلتى «عضل» و «القارة» إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالوا- و هم يضمرون المكر- يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إن فينا إسلاما فاشيا فابعث معنا نفرا من أصحابنا يقرءوننا القرآن، و يفقهوننا فى الاسلام.

فرأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن من واجبه الاستجابة لمطلب تلك الجماعة التى كانت تمثل قبائل كبرى، و كما رأى المسلمون أيضا أن من واجبهم أن يستفيدوا من هذه الفرصة مهما كلّف الثمن.

من هنا بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جماعة بقيادة «مرثد بن أبى مرثد

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۱۶۹، و قال فى امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۷۴ انهم سبعة اشخاص.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۵۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۱۹۹

الغنوىّ» مع تلك الجماعة إلى القبائل المذكورة.

(۱) فخرج هؤلاء المبلغون و وفد القبيلتين من المدينة متوجّهين الى حيث تتواجد «عضل» و «قارة»، و لمّا كانوا بماء يسمى الرجيع تقطن عنده قبيلة تدعى «هذيل» كشف مندوبو القبيلتين عن نواياهم الشرّيرة، و استصرخوا هذيلا و كمينا من رجالهم، و كانوا مائة رام و بأيديهم السيوف فاحاطوا بالدعاة يريدون أسرهم ثم قتلهم و ابادتهم!!

فلم ير المبلّغون بدّا- و هم محاطون بتلك الجماعات المسلحة- من اللجوء الى سيوفهم و الدفاع عن أنفسهم.

و لكن العدوّ قال: ما نريد قتالكم، و ما نريد إلّا ان نصيب منكم من أهل مكة ثمنا، و لكم عهد اللّه و ميثاقه لا نقتلكم!!

(۲) فنظر الدعاة بعضهم الى بعض، و قرر أكثرهم المقاومة و عدم الرضوخ لهذا العرض الغادر، و الخطة الماكرة، و قال أحدهم: إنى نذرت أن لا أقبل جوار مشرك «۱» ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الابطال، حتى قتلوا إلّا ثلاث هم: «زيد بن دثنّة»، و «خبيب بن عدىّ»، و «عبد اللّه بن طارق البلوىّ» فقد أغمد هؤلاء سيوفهم و سلّموا، فأخذوا و وثّقوا بأوتار قسيّهم، و لكن «عبد اللّه» ندم على فعله، فنزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه، و راح يقاتلهم حتى قتلوه رميا بالحجارة، و قد انحازوا عنه و هو يشدّ فيهم و ينفرجون عنه، و دفن فى مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين «خبيب» و «زيد» و قدموا بهما مكة فباعوهما لأهل مكة!!

فأمّا زيد بن الدثنّة فقد اشتراه «صفوان بن أميّة» و قتله ثأرا لابيه، و لقتله قصة عجيبة سطر فيها أروع آيات المقاومة و الوفاء و

الاخلاص.

(٣) فقد اشتراه «صفوان بن أميّة» كما أسلفنا ليقتله بأبيه، و قد حبسه صفوان فى الحديد، و كان يتهجّد بالليل و يصوم بالنهار، و لا يأكل شيئا مما اتى به من

---

(١) أو قالوا: و اللّه لا نقبل من مشرك عهدا و لا عقدا أبدا (السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٧٠).

الذبائح، و هو فى الاسر و الحبس.

ثم إنه اخرج إلى «التنعيم» «١» ليصلب على مرأى حشد كبير من الناس.

فرفعوا له جذعا، فقال: دعونى أصلّى ركعتين، فصلّى ركعتين، ثم حملوه على الخشبة ثم جعلوا يقولون له: يا زيد ارجع عن دينك المحدث، و اتّبع ديننا، و نرسلك فيقول: و اللّه لا افارق دينى أبدا.

(١) فقال له أبو سفيان فرعون مكة و أشدّ المتآمرين على الاسلام و مدبر أغلب الحروب ضد رسول اللّه، و المسلمين: أنشدك باللّه يا زيد أ يسرّك أن محمّدا فى أيدينا مكانك و أنت فى بيتك؟. فقال زيد بشجاعة و وفاء عظيمين: ما يسرّنى أنّ محمّدا اشيك بشوكة و انى فى بيتى، و جالس فى أهلى!!!

و قد كان لهذه الكلمة أثر الصاعقة فى نفس طاغية مكة أبى سفيان فقال:

ما رأينا أصحاب رجل قطّ أشدّ حبّا من أصحاب محمّد بمحمّد!!

و لم تمض لحظات إلّا و صار «زيد» على خشبة الاعدام و طارت روحه الى خالقها، و مضى ذلك المسلم الوفيّ، و المؤمن الشجاع شهيد الثبات فى طريق العقيدة، و الدفاع عن حياض الدين «٢».

(٢) و اما «خبيب» فقد حبس مدة من الزمان حتى قرّر ندوة مكة قتله، فخرجوا به الى التنعيم ليصلبوه و خرج معه النساء و الصبيان و العبيد و جماعة من أهل مكة، فقال لهم: إن رأيتم ان تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا، فقالوا دونك فاركع.

فركع ركعتين أتمّهما و أحسنهما ثم اقبل على القوم و قال: أما و اللّه لو لا- أن تظنّوا أنّى إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة!!

ثم رفعوه على خشبة ثم وجّهوه الى المدينة، و أوثقوه رباطا، ثم قالوا له: ارجع عن الاسلام، نخلّ سبيلك.

---

(١) التنعيم ابتداء الحرم و منها يحرم المعتمرون للعمرة المفردة.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٧٢، المغازى: ج ٢ ص ٣٦٢، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥.

قال: لا و اللّه ما أحبّ أنّى رجعت عن الاسلام و أنّ لى ما فى الأرض جميعا.

فقالوا: أمّا و اللات و العزّى لئن لم تفعل لنقتلنّك!

فقال: إن قتلى فى اللّه لقليل، فلمّا أبى عليهم و قد جعلوا وجهه من حيث جاء (أى نحو المدينة)، قال: أما صرفكم وجهى عن القبلة، فان اللّه يقول:

«فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» ثم قال: اللهم إنى لا أرى إلّا وجه عدوّ، اللهم أنه ليس هاهنا أحد يبلّغ رسولك السلام عنّى فبلّغه أنت عنّى السلام.

ثم دعا على القوم و قال: اللّهم أحصهم عددا و اقتلهم بددا، و لا تغادر منهم أحدا.

ثم دعوا أبناء من قتل ببـدر فوجـدوهم أربعين غلاما، فأعطوا كل غلام رمحا، ثمّ قالوا هذا الّذى قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا فاضـطرب على الخشبة فانقلب، فصار وجهه الى الكعبـة، فقال: الحمد للّه الّذى جعل وجهى نحو قبلته التى رضـى لنفسه و لنبيه و للمؤمنين!!

(۱) فأثارت روحانيته الكبرى، و طمأنينته العظيمة غيض أحد المشركين الحاضرين، و هو «عقبه بن الحارث» و تملكه غضب شديد من إخلاصه للاسلام فأخذ حربته و طعن بها خبيبا طعنة قاضية، قتلته، و هو يوحّد اللّه و يشهد أن محمّدا رسول اللّه.

و يروى ابن هشام أن خبيبا أنشد قبل مقتله أبياتا عظيمة نذكر هنا بعضها:

إلى اللّه أشكو غربتى ثمّ كربتىو ما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى

فذا العرش صبّرنى على ما يراد بىفقد بضّعوا لحمى و قد ياس مطمعى

و ذلك فى ذات الاله و أن يشأيبارك على أوصال شلو ممزّع

و قد خيّرونى الكفر و الموت دونهو قد هملت عيناى من غير مجزع

و ما بى حذار الموت أنى لميّتو لكن حذارى جحم نار ملفّع

فو اللّه ما أرجو إذا متّ مسلماعلى أى جنب كان فى اللّه مصرعى

فلست بمبد للعدوّ تخشعاو لا جزعا إنّى إلى اللّه مرجعى

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰۲

و قد أحزنت هذه الحادثة الاليمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و كذا جميع المسلمين.

(۱) و أنشـد فيهم «حسـان بن ثـابت» أبياتـا ذكرها ابن هشام فى سـيرته، كما أنه هجا هـذيلا فى أبيات اخرى لارتكابهم هـذه الجريمة النكراء «۱».

و لقـد خشـى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن تتكرر مثل هـذه الجريمـة النكراء، و بـذلك يواجه رجال التبليغ و الدعوة الذين كان يعدهم بصعوبة بالغة مصاعب فى سبيلهم، و يتعرضوا لخسائر لا تجبر، و عمليات غدر و اغتيال اخرى.

و قد بقى جثمان هذا المسـلم المجاهد على الخشـبة مدة من الزمن، يحرسه جماعة من المشـركين حتى قام رجلان قويّان شجاعان من المسلمين بانزاله من فوق الصليب ليلا، و من ثم دفنه بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۲».

(۲)

جريمة بئر معونة:

و فى شهر صفر من السنة الرابعة و قبل أن يصل نبا مصرع الدعاة المذكورين و استشهادهم على أيدى المشركين فى منطقة الرجيع الى النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله، قدم أبو براء العامرى المدينة فدعاه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الى الاسلام فلم يسلم و لكنّه قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله يا محمّـد إنى ارى أمرك حسـنا، فلو بعثت رجالا من أصـحابك إلى أهل «نجـد» فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فان هم اتبعوك فما أعز أمرك.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّى اخشى عليهم أهل نجد.

قال أبو براء: لا تخف، أنا لهم جار، فابعثهم فليدعو الناس الى أمرك.

(۳) فبعث رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أربعين رجلا من خيار المسـلمين من أصحابه ممن حفظوا القرآن و عرفوا احكام الاسلام، و أمّر عليهم «المنذر بن

---

(۱) المغازی: ج ۱ ص ۳۵۴- ۳۶۲، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۱۶۹.

(۲) سفینة البحار: ج ۱ ص ۳۷۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۰۳

عمرو»، فساروا حتی نزلوا ببئر معونة و هی بین أرض بنی عامر و حرّة بنی سلیم و هم یحملون من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کتابا إلی عامر بن الطفیل أحد زعماء «نجد»، و کلّف أحد المسلمین بایصال ذلک الکتاب إلی عامر، فلما أتاه الکتاب لم ینظر فیه حتی عدا علی الرجل (حامل الکتاب) فقتله، ثم استصرخ بنی عامر علی المبلّغین، فأبوا أن یجیبوه إلی ما دعاهم إلیه، و قالوا: لن ننقض عهد أبی براء، و قد عقد لهم عقدا و جوارا.

(۱) فاستصرخ علیهم قبائل بنی سلیم فأجابوه إلی ذلک فخرجوا حتی نزلوا حیث نزل جماعة الدعاة، فأحاطوا بهم فی رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سیوفهم، ثم قاتلوهم حتی قتلوا عن آخرهم بعد أن أبدوا مقاومة کبری، و بسالة عظیمة، و لم یکن یتوقع منهم غیر ذلک.

فانّ مبعوثی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لم یکونوا مجرد رجال فکر و علم فقط، بل کانوا رجال حروب، و أبطال معارک، و لذا رفضوا الاستسلام للمعتدین، و اعتبروا ذلک عارا لا یلیق بالمسلم الحرّ الأبیّ، فقاتلوهم حتی استشهدوا جمیعا، إلّا کعب بن زید، فانه جرح فعاد بجراحه الی المدینة، و أخبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بما جری لأصحابه علی أیدی قبائل بنی سلیم المشرکة الغدرة.

فحزن رسول اللّه و المسلمون جمیعا لهاتین الحادثتین، المفجعتین اشد الحزن بل و لم یجد علی قتلی مثل ما وجد علیهم، و بقی رسول اللّه یذکر شهداء بئر معونة ردحا من الزمان «۱»

هذا و لقد کانت هاتان الحادثتان المؤسفتان المؤلمتان جمیعا من نتائج النکسة التی أصابت المسلمین فی «احد» و التی جرّأت القبائل خارج المدینة علی قتل رجال المسلمین و دعاتهم غدرا و مکرا.

(۲)

کید المستشرقین و جفاؤهم:

إن المستشرقین الذین دأبوا علی نقد أبسط سوء یتعرض له مشرک علی أیدی

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۱۸۳- ۱۸۷ امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۷۰- ۱۷۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۰۴

المسلمین فینالون من الاسلام و المسلمین أشدّ نیل، و یصرّون علی أن یؤکّدوا علی أن الاسلام لم ینتشر إلّا بالسیف و القهر، التزموا صمتا عجیبا تجاه هاتین الحادثتین المؤلمتین المفجعتین، و لم ینبسوا فی هذا المقام ببنت شفة أبدا، و کأن شیئا من هذا لم یقع، و کأن ما وقع لا یستأهل اهتماما و حدیثا.

تری أیّ نظام من أنظمة العالم القدیم و الجدید یجیز أن یقتل الدعاة و المبشرون و رجال العلم و الفکر، و التعلیم و التثقیف.

إذا کان الاسلام قد تقدّم بالسیف- کما یدّعی رجال الاستشراق- فلما ذا تخاطر جماعات التبلیغ و الدعوة هذه بأنفسها و تزهق أرواحها فی سبیل نشر الاسلام، و الدعوة السلمیة الفکریة إلیه.

إنّ هاتین الحادثتین تنطویان علی نقاط حیویة، و عبر مفیدة جدا، فان قوة الایمان لدی تلک الجماعات، و عمق تفانیها، و تضحیتها، و بسالتها تستحق إعجاب المسلمین، و اکبارهم. کما و تعتبر من أفضل الدروس و ابلغها لهم.

(۱)

المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين:

لقد أثارت حادثتا «الرجيع» و «بئر معونة» المفجعتان اللتان جرتا إلى مصرع مجموعة كبيرة من خيرة الدعاة و المبلّغين موجة من الحزن و الأسى فى المسلمين و تركت أثرا مؤلما فى أوساطهم.

و هنا يتساءل القارئ: لما ذا أقدم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله على إرسال المجموعة الثانية من المبلّغين الى «نجد» مع أنه حصل على تجربة مرّة؟! أ لم يقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين».

إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال مراجعة النصوص التاريخية لأن المجموعة الثانية قد بعثت فى جوار من أبى براء (عامر بن مالك بن جعفر) و الذى كان رئيسا لقبيلة بنى عامر، و لم تفعل قبيلته ما خالف جوار رئيسهم و لم يشتركوا فى تلك الجريمة و قد بقى أبو براء نفسه فى المدينة تأكيدا لجواره، ريثما

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰۵

يرجع فريق التبليغ إلى المدينة.

(۱) لقد كانت خطة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خطة مدروسة و صحيحة لأن جماعة المبلّغين الثانية لم تقتل على يد قبيلة أبى براء، و مع أن ابن أخيه عامر بن الطفيل قد استصرخ قبيلة أبى براء التى كانت قبيلته أيضا، ضدّ جماعة المبلّغين إلّا أن قبيلة أبى براء أبت أن تنفر معه، و لم يستجب لندائه أحد منهم بل قالوا:

لن يخفر جوار أبى براء. و لما أيس منهم استصرخ قبيلة اخرى لا تمتّ إلى قبيلة أبى براء بصلة، فاقدمت تلك القبائل على محاصرة الدعاة الأربعين و مقاتلتهم.

ثم إن جماعة المبلّغين المذكورة كانت قد بعثت عند مغادرتها المدينة و توجهها الى منطقة أبى براء رجلين من رجالها هما: عمرو بن أميّة و «حارث بن الصمة» «۱» ليرعيا إبل الجماعة و يحافظا عليها، و بينما كان الرجلان يقومان بواجبهما اذ أغار عليهما «عامر بن الطفيل». فقتل حارث بن الصمة، و اطلق سراح عمرو بن اميّة.

(۲) فعاد عامر الى المدينة، فى اثناء الطريق التقى رجلين من العامريين فرافقهما و أمهلهما حتى اذا ناما وثب عليهما فقتلهما، و هو يرى بأنه انتقم لزملائه من المسلمين من بنى عامر، و قد أخطأ فى تصوره هذا لأن بنى عامر لم تخفر جوار سيدها أبى براء و لم تنقض أمانة كما أسلفنا، و لم يشترك فى جريمة قتل الدعاة الأربعين.

فلما قدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره الخبر، حزن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لذلك و قال لعمرو:

«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما منى أمان و جوار، لا دفعن ديتهما».

و لكن الاجابة الاكثر وضوحا على هذا الاعتراض (او السؤال) هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول: و جاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خبر أهل بئر معونة، و جاءه تلك الليلة أيضا مصاب خبيب بن عدىّ و مرثد بن أبى مرثد «۲».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۱۶۸ و صاحب السيرة يرى انه المنذر بن محمد.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۵۲ و ۵۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰۶

(۱)

۳۴ غزوة «بنى النضير»

اشارة

لقـد فرح منافقو المدينـة و يهودها بانتكاسـة المسـلمين فى معركة «أحد» كما فرحوا أيضا بمصـرع رجال التبليغ و الدعوة، فرحا بالغا و باتوا يتحيّنون الفرصـة لإثارة القلاقل و الفتن فى المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لا توجد أية وحدة سياسيّة و انسـجام اجتماعىّ فى مركز الاسلام، و عاصمة الحكومة الاسلامية، و أن فى مقدور الأعداء الخارجيين أن يجهزوا على حكومة الاسلام الفتية، و يقضوا عليها بسهولة!!

و لكى يقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على نوايا و دخائل يهود بنى النضير مشى فى جماعة من أصحابه إلى حصنهم.

على أن الهـدف الظاهرى المعلن عنه كان هو الاسـتعانة بهم فى ديـة العامريّين اللذين قتلا خطأ على يد «عمرو بن أميّة» كما أسـلفنا، و ذلك بموجب الاتفاقيّة المعقودة بين رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و بين اليهود و كذا بنى عامر و غيرهم و القاضـية بالتعاون معا فى تسديد الدية فى مثل هذه الموارد.

(۲) فلما وصل رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الى حيث يسـكن بنو النضير، و كلّمهم فى أن يعينوه فى تلك الدية، رحبوا به ظاهرا، و وعـدوا بأن يلبّوا مطلبه، ثم إنهم خاطبوه قائلين: يا أبا القاسم نعينك على ما احببت. ثم دعوه إلى أن يـدخل فى بيوتهم، و يقضـى يومه فيها، قائلين: قد آن لك أن تزورنا، و أن تأتينا، اجلس حتى نطعمك، فلم يقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بتلبية مطلبهم، بل

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰۷

جلس مستندا الى جدار بيت من بيوتهم و اخذ يكلمهم «۱».

(۱) ثم إن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله احسّ بشـرّ من ذلك الترحيب الحارّ الذى قابلته به رجال بنى النضير، و الذى رافق حركات مشبوهة منهم!!

هـذا مضافا إلى أنه صـلّى اللّه عليه و آله شاهـدهم و قـد خلا بعضـهم إلى بعض يتناجون و يتهامسون الأمر الـذى يدعو الى الشك، و يورث سوء الظن!!

و قـد كـان سوء الظن هـذا فى محله، فقـد قرر سـادة يهود- لمّا أتاهم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى رهط قليل من أصـحابه- أن يتخلصوا منه باغتياله و الغدر به على حين غفلة منه صلّى اللّه عليه و آله، فانتدبوا أحدهم و هو «عمرو بن جحاش» لتنفيذ هذه الجريمة، و ذلك بأن يعلو على البيت الذى استند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى جداره فيلقى عليه صخرة تقتله.

(۲) إلّا أنّ هذه المؤامرة انكشـفت- و لحسن الحظ- قبل تنفيذها، إما من خلال حركات اولئك اليهود الخبثاء، المشبوهة، أو بخبر أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من السماء، كما يروى ابن هشام و الواقدى فى مؤلفيهما.

فنهض رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله سـريعا، كأنه يريـد حاجـة، و توجه من توّه إلى المدينـة دون أن يخبر أصـحابه الذين أتوا معه، بقصده.

و بقى أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى.

و ندمت يهود على ما صنعت، و اضطربت لذلك اضطرابا شديدا، و اصابتها حيرة شديدة فيما يجب أن تقوم به.

فمن جهة خشـيت أن يكون رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قد علم بمؤامرتهم و تواطئهم، فيقدم على تأديبهم لنقضـهم ميثاق التعايش السلمىّ، و لتواطئهم القبيح، و مكرهم السيئ.

(۳) و من ناحية اخرى أخذت تفكّر فى أن تنتقم من أصـحابه الموجودين هنا إن هو فاتهم، و لكنها خشـيت أن يؤدى ذلك إلى مزيد من تأزّم الموقف، و ان ينتقم

(۱) يقول صاحب المغازى: إن النبىّ جاء بنى النضير فى ناديهم ج ۱ ص ۳۶۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰۸

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حينئذ منهم قطعا و يقينا.

و فيما هم فى هذه الحالة من الاضطراب و التحيّر قرر أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله العودة إلى المدينة بعد أن يئسوا من رجعته إليهم من حاجته، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبلوا حتى انتهوا إليه صلّى اللّه عليه و آله و عرفوا بمؤامرة اليهود إذ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم لما قالوا: يا رسول اللّه قمت و لم نشعر:

«همّت اليهود بالغدر بى، فأخبرنى اللّه بذلك فقمت» «۱».

(۱)

بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟

و الآن ما ذا يجب أن يقوم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تجاه هذه الزمرة الخائنة المتآمرة؟ تلك الزمرة التى تنعم بما وفّرتها لهم الحكومة الاسلامية من أمن و حرية، و يحافظ جنود الاسلام على أنفسهم و أموالهم و أعراضهم، كما يفعلون الفعل ذاته بالنسبة إلى أنفسهم و أموالهم و أعراضهم على حد سواء.

تلك الزمرة التى كانت ترى كل آثار النبوة و دلائلها فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أعماله، و أقواله تماما على نحو ما قرأت عنه فى كتبها و أسفارها، و لكنها بدل أن تردّ الجميل بالجميل و تقابل الاحسان بالاحسان، و بدل أن تحسن ضيافته و قد نزل عليهم ضيقا تتآمر لقتله غيلة و غدرا دون ما خجل و لا حياء!!

ما هو ترى ما تقتضيه العدالة فى هذا الصعيد و فى هذه الحال؟

و ما ذا يجب أن يفعل المرء حتى يمنع من تكرار مثل هذه الحوادث، و يستأصل جذور مثل هذه الجرائم؟

(۲) إن الطريق المنطقى هو ما أختاره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فعله.

فقد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المسلمين بالتهيّؤ لحربهم، و السير إليهم،

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۵۷، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۷۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۰۹

ثم دعا محمد بن مسلمة و أمره بأن يذهب إلى بنى النضير، و يبلغ سادتهم، من قبله رسالة.

فخرج محمد بن مسلمة الأنصارى الاوسى «۱» الى بنى النضير و قال لسادتهم:

إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أرسلنى إليكم يقول:

«قد نقضتم العهد الّذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى.

اخرجوا من بلادى فقد أجّلتكم عشرا فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه».

(۱) فأحدثت هذه الرسالة الشديدة اللهجة و الساخنة المضمون انكسارا عجيبا فى يهود بنى النضير، و أخذوا يتلاومون، و أخذ يحمّل كل واحد منهم الآخر مسئولية هذه القضية.

فاقترح عليهم أحد سادتهم أن يعتنقوا الاسلام، و يؤمنوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لكن عنادهم منعهم من القبول بهذا الاقتراح. و عمتهم حالة يرثى لها من الحيرة، و الانقطاع، فقالوا لمبعوث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: يا محمّد ما كنّا نرى أن يأتى بهذا

رجل من الاوس.

و يقصدون أنه كان بيننا و بين الأوس حلف فما بالك تريد حربنا الآن.

فقال محمد بن مسلمة: تغيّرت القلوب.

(٢) و قد كان هذا الاجراء متطابقا مع ما جاء فى ميثاق التعايش الذى عقده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع يهود يثرب ابان دخوله المدينة، و قد وقع عليه عن اليهود بنى النضير حيى بن أخطب، و قد نقلنا فى ما سبق النصّ الكامل لهذا الميثاق و ها نحن ندرج هنا قسما منه ليتضح ما ذكرناه.

جاء فى أحد بنود الميثاق (العهد):

«ألّا يعينوا (أى بنو النضير و بنو قريظة و بنو قينقاع) على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لا على أحد من أصحابه بلسان و لا يد و لا بسلاح و لا بكراع فى السرّ و العلانية لا بليل و لا بنهار و اللّه بذلك عليهم شهيد، فان فعلوا فرسول اللّه فى حل

---

(١) المغازى: ج ١ ص ٣۶۶.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٢١٠

من سفك دمائهم، و سبى ذراريهم، و نسائهم، و أخذ أموالهم» «١».

(١)

المستشرقون و دموع التماسيح:

لقد أبدى المستشرقون حزنهم و أسفهم لما جرى فى هذه القضية، و ذرفوا دموع تماسيح، و أبدوا دقّة و شفقة أكثر مما تبديه والدة تجاه وليدها، على اليهود الخونة الناقضين العهد، الناكثين للايمان، و اعتبروا الإجراء الذى اتخذه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بحقهم بعيدا عن روح الانصاف و سنن العدل!!

و الحق أن هذه الاعتراضات و الانتقادات لا تنبع من منطلق السعى لمعرفة الحقيقة، لأننا عند مراجعتنا لنص الميثاق الذى أدرجناه للقارئ الكريم نرى الحقيقة على غير ما يتصورون و يصورون فاننا نعرف أن الجزاء الذى جازى به رسول اللّه يهود بنى النضير هو فى الحقيقة أقلّ من الجزاء المنصوص عليه فى ذلك الميثاق بدرجات.

إن هناك اليوم مئات الجرائم و المظالم التى يرتكبها أسياد هؤلاء المستشرقين فى الشرق و الغرب دون أن يعترض عليها أى واحد من هؤلاء المستشرقين الرحماء، أدعياء الدفاع عن حقوق الانسان!!!

أما عند ما يقوم رسول الاسلام بتنفيذ عقوبة- هى فى الحقيقة- اقل بكثير من ما هو منصوص عليه فى الميثاق بحق زمرة خائنة متآمرة ناقضة للعهد تتعالى أصوات حفنة من الكتاب المدفوعين بأغراض معينة و دوافع خاصة بالاعتراض، و الانتقاد.

(٢)

دور حزب النفاق أيضا:

كان خطر المنافقين- و كما أسلفنا- أكبر من خطر اليهود لأن المنافق يطعن من الخلف و تحت غطاء من الصداقة، و يتستر وراء قناع الصحبة و الزمالة.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۱۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۱

و قد كان رأس هذا الحزب هو «عبد اللّه بن أبى» و «مالك بن أبى» و .. و ..

و لمّا سمع هؤلاء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أرسلوا إليهم من يقول لهم: لا تخرجوا من دياركم و أموالكم، و أقيموا فى حصونكم، فان معى ألفين من قومى و غيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم و تمدكم قريظة فانه لن يخذلونكم، و يمدّكم حلفاؤكم من غطفان؟!

و لقد جرّات هذه الوعود بنى النضير، فانصرفوا عن فكرة الرضوخ لمطلب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فأغلقوا أبواب حصونهم، و أعدّوا عدة الحرب، و عزموا على أن يقاوموا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مهما كلّف الثمن، و لا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم و ممتلكاتهم دون عوض.

(۱) فنصحهم أحد كبرائهم و هو «سلام بن مشكم» و شكك فى وعود عبد اللّه بن أبى، و اعتبرها وعودا جوفاء، و قال: ليس رأى ابن أبىّ بشيء، فهو و اللّه جلاؤنا من أرضنا، و ذهاب أموالنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا.

إلّا أن «حيى بن أخطب» أبى إلّا محاربة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حث الناس على المقاومة و الصمود، و أرسل الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إنا لا نبرح من دارنا و أموالنا فاصنع ما أنت صانع!!

(۲) فعرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله برسالة «عبد اللّه بن ابى» إلى بنى النضير، و و عوده لهم، فاستخلف ابن أمّ مكتوم على المدينة، و سار صلّى اللّه عليه و آله فى أصحابه مكبّرا لمحاصرة بنى النضير فصلّى صلاة العصر بفضائهم و استقر فى الطريق بين «بنى النضير» و بين «بنى قريظة» ليقطع بذلك سبيل الاتصال بين هذين الفريقين، و حاصر بنى النضير ست ليال- حسب رواية ابن هشام- «۱» أو خمسة عشر يوما حسب روايات آخرين، و لكن اليهود تحصنوا منه فى الحصون، و أظهروا المقاومة، و الإصرار على الامتناع، فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۱۹۱، و هذا من التكتيكات العسكرية التى كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يستعملها ليقطع خطوط الارتباط بين الجماعات المتعاونة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۲

بقطع النخيل المحيطة بتلك الحصون، و إلقاء النار ليبأس اليهود من البقاء فى تلك المنطقة ما دامت بساتينهم أعدمت، و افنيت.

(۱) فتعالت نداءات اليهود تقول: يا محمّد، قد كنت تنهى عن الفساد، و تعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها؟!

فردّ اللّه تعالى عليهم بقوله:

«ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ» «۱».

هذا من جهة و من جهة اخرى خذلهم عبد اللّه بن أبىّ، فلم يأتوهم، كما اعتزلتهم قريظة فلم تعنهم بسلاح و لا رجال.

و قد ذكر القرآن الكريم هذا الخذلان إذ قال تعالى:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ. لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ. لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ» «۲».

و قـد كشـفت الآيات الحاضـرة- إلى جانب ما ذكـر- عن نفسـيهٔ اليهود الجبانـهٔ، و التى انهارت أيضا بسـبب معنويات المسـلمين القويهٔ حتى أنهم رغم اجتماعهم و عـددهم الكبير يخافون من مواجهـهٔ المسـلمين فلا يقاتلونهم إلّا من وراء أسوار الحصون، و جدران القلاع القويهٔ خائفين مذعورين، و مرعوبين، و هم الى جانب كل ذلك يعانون من اضطراب و قلق و تفرق كلمهٔ فى الواقع.

و أخيرا رضـخ اليهود لمطلب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـألوه أن يجليهم، و يكفّ عن دمـائهم على أن يكون لهم مـا حملت الابل من أموالهم إلّا السلاح

---

(۱) الحشر: ۵.

(۲) الحشر: ۱۱- ۱۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۳

و الدروع، فرضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بذلك.

فاحتملوا من أموالهم أكبر قدر ممكن، حتى أن الرجل منهم يقلع باب بيته فيضعه على ظهر بعيره، ثم يخرب بيته بيديه!!

فخرج جماعهٔ منهم إلى خيبر، و سارت جماعهٔ اخرى منهم الى الشام.

و قـد خرجت تلك الزمرهٔ الذليلـهٔ المسـكينهٔ و هم يضـربون بالـدفوف، و يزمّرون بالمزامير، و قـد البسوا نساءهم الثياب الراقيهٔ، و حلىّ الذهب، مظهرين بذلك تجلّدا ليغطوا على هزيمتهم، و يروا المسلمين أنهم غير منزعجين من مغادرتهم تلك الديار!!

(۱)

مزارع بنى النضير تقسّم بين المهاجرين فقط:

إن ما يغنمه جنود الاسـلام دون قتال و هو ما يسـمى بالفىء يعود أمره الى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله خاصـهٔ يضـعه حيث يشاء و يصرفه فيما يرى من مصالح الاسلام لقوله تعالى:

«ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» «۱».

و قـد رأى النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله أن من الصالـح أن يقسم المزارع و الممتلكـات التى غنمها من بنى النضـير على المهاجرين دون الأنصار، لحرمانهم من ممتلكاتهم و ثروتهم فى مكهٔ بسبب الهجرهٔ منها الى المدينهٔ، و كانوا فى الحقيقهٔ ضيوفا على الأنصار طوال هذه المـدهٔ، و قـد أيّـد «سـعد بن معاذ» و «سـعد بن عبادهٔ» هذا الرأى، و من هنا قسّم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله جميع تلك المزارع و الممتلكـات على المهـاجرين خاصّـهٔ، و لم يصب أحـد من الأنصـار منها شـيئا الا رجلان كانا محتاجين هما: «سـهل بن حنيف»، و «أبو دجانهٔ»، الانصاريين و حصل بذلك انفراج فى أحوال المسلمين عامهٔ، و أعطى «سعد بن معاذ» سيف

---

(۱) الحشر: ۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۴

رجل من زعماء بنى النضير و كان سيفا معروفا.

يقول المقريزى:

فلما غنم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله من بنى النضـير بعث ثابت بن قيس بن شـماس فدعا الانصار كلّها- الاوس و الخزرج- فحمد للّه و أثنى عليه، و ذكر الانصـار و مـا صـنعوا بالمهاجرين و انزالهم اياهم فى منازلهم، و آثرتهم على أنفسـهم ثم قال صـلّى اللّه عليه و آله:

«ان أحببتم قسمت بينكم و بين المهاجرين ما أفاء اللّه علىّ من بنى النضير و كان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم و أموالكم، و ان أحببتم أعطيتهم و خرجوا من دوركم»؟

فقال سعد بن عبادة و سعد بن معاذ: رضينا و سلّمنا يا رسول اللّه.

فقسّم رسول اللّه ما أفاء اللّه عليه، على المهاجرين دون الانصار إلّا رجلين كانا محتاجين .. الخ «۱».

و قد وقعت هذه الحادثة فى شهر ربيع الأول فى السنة الرابعة من الهجرة و نزلت سورة الحشر فى هذا الشأن، و التى جاء فى مطلعها قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِیارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ یُخْرِبُونَ بُیُوتَهُمْ بِأَیْدِیهِمْ وَ أَیْدِی الْمُؤْمِنِینَ فَاعْتَبِرُوا یا أُولِی الْأَبْصارِ» «۲».

هذا و يعتقد أكثر المؤرخين المسلمين أنه لم يسفك فى هذه الحادثة، أى دم، و لكن المرحوم الشيخ المفيد يكتب فى ارشاده: انه وقع ليلة فتح حصون بنى النضير قتال محدود قتل فيه عشرة من اليهود و كان ذلك هو السبب فى فتح تلكم الحصون «۳».

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۸۲ و ۱۸۳.

(۲) الحشر: ۲.

(۳) الارشاد: ص ۴۷ و ۴۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۵

و قال المقريزى: و فقد على رضى اللّه عنه فى بعض الليالى فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: انه فى بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس «عزوك» و قد كمن له حتى خرج فى نفر من اليهود يطلب غرّة من المسلمين و كان شجاعا راميا فشدّ عليه على رضى اللّه عنه، فقتله و فرّ اليهود «۱».

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۸۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۶

(۱)

۳۵ تحريم الخمر ذات الرقاع، بدر الصغرى

۱- تحريم الخمر:

اشارة

كانت الخمور، و على العموم جميع المسكرات و لا تزال من أشد الاوبئة الاجتماعية التى تهدد أمن و سلامة المجتمعات البشرية و تجر إليها أكبر الأخطار و يكفى فى خطورة هذا السمّ القاتل أنه يعادى أكبر ما يميّز البشر عن ما سواه من الاحياء، ذلكم هو العقل، فان الخمرة هو العدوّ الأول لهذه الموهبة الالهية التى فى سلامتها ضمان سعادة الانسان.

إن الفارق بين الانسان و بين سائر الاحياء هو القوة العاقلة التى يمتلكها الانسان دون غيره، و تكون المسكرات من أعدى أعداء هذه القوة، من هنا كان المنع من تعاطى الخمور و المسكرات من أبرز البرامج التى جاء بها الأنبياء، و كانت الخمور محرمة فى جميع

الشرائع السماوية «۱».

---

(۱) عام ۱۳۳۹ هجرى زار الدكتور آرشه تونك رئيس منظمة مكافحة الخمور ايران، و قد سرّ لما سمع أن الاسلام يحرم تعاطى المسكرات.

و قد كان يحبّ أن يلتقى بزعيم المذهب الشيعى يومئذ: (آية اللّه السيد البروجردى) ليتعرف على رأى الاسلام فى الخمور و المسكرات، فاصطحبه أحد الدكاترة المعروفين فى طهران إلى منزل السيد البروجردى فى مدينة «قم»، و بعد الاستئذان تشرف بلقاء السيد، و قد حضر العلامة الطباطبائى فى ذلك المجلس و كنت أنا و والدى حاضرين هناك كذلك.

فكان أول سؤال طرحه الدكتور هو: لما ذا حرم الاسلام المسكرات؟

فقال الامام البروجردى: يكفى أن أشير لك من بين العلل الكثيرة إلى علة واحدة و هى أن الخمرة تحطّم العقل الذى به يمتاز الانسان عن سائر الاحياء، و يتميز عليهم. كما اوضحناه اعلاه.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۷

(۱) و لقد كانت معاقرة الخمور من الآفات التى كانت متفشية و متجذرة فى المجتمع العربى فى شبه الجزيرة العربيّة بحيث كانت معالجتها تحتاج الى وقت طويل، و اسلوب مدروس، و لم تكن الظروف و الاحوال فى ذلك العهد لتسمح بأن يعلن رسول الاسلام عن تحريم الخمر دفعة واحدة و من دون آية مقدمات، و ممهّدات لذلك، بل كان يتحتم عليه أن يعالج هذا الوباء الاجتماعىّ من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائى و القطعى تماما كما يفعل الطبيب بالنسبة إلى المرضى الذين طال بهم المرض، و تجذر.

من هنا حرّمت الخمر فى أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر لكن لا على نمط واحد، بل بدأت من مرحلة مخفّفة حتى انتهت إلى مرحلة الاعلان عن التحريم القطعى.

(۲) إنّ التمعن فى هذه الآيات تكشف لنا عن كيفيّة الاسلوب النبوىّ فى التبليغ و الإرشاد، و الدعوة و الهداية، و ينبغى للخطباء، و الكتاب أن يتبعوا هذا الاسلوب المؤثر و المفيد فى معالجة الأدواء الاجتماعية المزمنة، و يكافحها بهذا الشكل حتى يحصلوا على أفضل النتائج.

إن الشرط الاساسى لمكافحة ناجحة لأىّ خلق و سلوك فاسد هو إيقاظ المجتمع و إيقافه أوّلا على أضرار ذلك السلوك، و مفاسده، و تذكيره بآثاره السيئة ليحصل لدى المجتمع- بذلك- الاستعداد الروحى بل و الدافع الباطنى إلى خوض معركة أساسية و جذرية ضدّ ذلك السلوك الفاسد، و الخلق الذميم، و يكون الناس هم الضمانة لا نجاح هذه المهمة. و ذلك لأن ردّ المعتاد عن عادته كالمعجز كما فى الحديث الشريف «۱».

كيف و العرب كانوا يعشقون الخمرة حتى أن الرجل منهم ربما كان يوصى بأن يدفن الى جنب كرمة لتسقى عظامه بالخمر.

يقول أحدهم:

---

(۱) مفاتيح الغيب: ج ۲ ص ۲۶۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۸ اذا مت فادفنى الى جنب كرمةتروّى عظامى بعد موتى عروقها «۱» من هنا اعتبر القرآن الكريم اتخاذ الخمر من التمور و الاعناب- فى مجتمع كان تعاطى الخمر جزء أساسيا من حياته- مخالفا للرزق الحسن، و بذلك ايقظ العقول العافية، إذ قال:

«وَ مِنْ ثَمراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً» «۲».

(۱) إنّ القرآن أعلن- فى المرحلة الاولى من مراحل النهى عن تعاطى الخمر- أن اتخاذ المسكر من التمر و العنب لا يعد من الارتزاق

الحسن بل الارتزاق الحسن هو تناول التمر و العنب على حالتهما الطبيعية.

إن هـذه الآية: أعطت هزة ذكية للعقول و هيّأت الطبائع المنحرفة لمرحلة أقوى فى مسيرة تحريم الخمر حتى يتسنى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يشدد من نبرته، و يعلن عن طريق آية اخرى أنّ النفع المادى القليل، الذى تعود به الخمر و يأتى به القمار، ليس بشىء بالقياس الى أضرارهما الكبرى و أخطارهما العظيمة، و قد تم الكشف عن هذه الحقيقة فى قوله تعالى:

«يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما» «۳».

(۲) و لا ريب أن مجرد المقارنة بين النفع و الضرر، و كذا الوقوف على زيادة الضرر على النفع كاف لايجاد النفور و الاشمئزاز لدى العقلاء، و الداعين من الخمر و ما شاكلها، و شابهها.

إلّا أن جماهير الناس و عامتهم لن يقلعوا عن هذه العادة الشريرة المتجذرة ما لم يسمعوا نهيا صريحا و قاطعا عنها.

فها هو عبد الرحمن بن عوف رغم نزول هذه الآية قد استضاف جماعة من الصحابة و أحضر على المائدة خمرا، فأكلوا، و شربوا الخمر، ثم قاموا الى الصلاة، فأخطأ أحدهم فى القراءة و هو سكران خطأ غيّر من مراد اللّه تعالى فى ما قرأ من

---

(۱) أى ما يسكر.

(۲) النحل: ۶۷.

(۳) البقرة: ۲۱۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۱۹

الآية، فقد تلا سورة «الكافرون»، و بدل أن يقول: «لا أعبد ما تعبدون» قرأ:

«أعبد ما تعبدون». فاضطربت تلك الجماعة لهذا الأمر، و خشيت أن تكون ارتكبت بذلك أمرا عظيما!!

(۱) و قد هيّأ هذا الحادث الناس ليحرّم تعاطى الخمر فى ظروف و حالات خاصة على الاقل.

من هنا جاء الاعلان عن حرمة تعاطى الخمر قبل الصلاة، و أعلن القرآن الكريم بصراحة أنه لا يجوز لمسلم أن يصلّى فى حالة السكر، و قد أعلن عن هذا التشريع الالهىّ فى قول اللّه تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ» «۱».

و لقد بلغ من تأثير هذه الآية، و فاعليتها أن هجر جماعة من المسلمين تعاطى الخمر بالمرّة بحجة أن ما يضرّ بالصلاة يجب ان يطرد من حياة المسلم نهائيا.

و لكن البعض بقى يتعاطاها حتى أنّ رجلا من الأنصار دعا جماعة الى مائدة أحضر فيها الخمر- رغم نزول الآية الحاضرة- فلما شربوا و أسكروا حمل بعضهم على بعض، و جرح بعضهم بعضا فشكوا أمرهم إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله، و كان الخليفة الثانى لم يزل يشرب الخمر إلى ذلک معتقدا عدم كفاية الآية الحاضرة فى التحريم القطعىّ لها و لهذا رفع يديه إلى السماء و قال: اللّهم بيّن لنا بيانا شافيا فى الخمر.

(۲) و لا يخفى أن هذه الحوادث و الوقائع المؤسفة قد هيّأت الارضية بشكل رائع لتقبّل مسألة تحريم الخمر تحريما كاملا و قاطعا، من هنا نزل قوله تعالى يعلن عن هذه الحرمة القطعية:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۲».

---

(۱) النساء: ۴۳.

(۲) المائدة: ۹۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۲۰

و قد دفع هذا البيان البليغ القاطع أن يقلع عن الخمر نهائيا من كان يشربها حتى تلك الساعة بحجة عدم وجود نهى صريح و قاطع عنها.

و قد جاء فى كتب السنة و الشيعة أن الخليفة الثانى قال بعد سماع هذه الآية: انتهينا يا ربّ «۱»!!

(۱)

وقفة عند «البيان الشافى»:

قلنا إن الخليفة الثانى لم يقتنع بعد سماع الآيات الثلاث بحرمة الخمر، بل بقى ينتظر بيانا شافيا يكشف عن التحريم القطعى، حتى اقنعته الآية الرابعة بحرمة الخمور و المسكرات، و قد كان حكم اللّه تعالى فى هذه الآية هو: أنّ الخمر «رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون» و لكن المتغربين، و هواة المادية الغربية فى عصرنا لم تقنعهم كل هذه الآيات بحرمة الخمر، حتى الآية الرابعة الصريحة فى هذا الأمر، فيقولون لا بدّ أن يعلن عن هذا التحريم بلفظة:

حرام أو حرّمت، و الّا لم يمكن القطع بحرمة الخمر!!

إن هذه الزمرة التابعة لأهوائها، الأسيرة لشهواتها الحرام، لا تريد فى الحقيقة إلّا أن تظل عاكفة على الخمر أبدا، و من هنا تطرح مثل المعاذير و تتوسل بمثل هذه التحججات الجوفاء.

على أن القرآن الكريم قد استعمل لفظ الحرام بشكل ما فى شأن الخمر إذ قال: «و إثمهما أكبر من نفعهما» «۲».

و قد حرّم تعالى جميع أنواع الإثم فى آية اخرى إذ قال:

«قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ» «۳».

و بعبارة اخرى: لقد بين اللّه تعالى فى آية اخرى الموضوع، و هو أن الخمر (التى تسمّى إثما أيضا) قد حرّمت.

(۱) مستدرك الوسائل: ج ۴ ص ۱۴۳، روح المعانى: ج ۷ ص ۱۵.

(۲) البقرة: ۲۱۹.

(۳) الاعراف: ۳۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۲۱

فهل ينتظر هواة الغرب بعد هذا البيان الواضح و التحريم الصريح بيانا كافيا شافيا؟!

(۱) و فى الحقيقة نحن لا نحتاج إلى مثل هذا الاستدلال أبدا فالآيات الأربع المتقدمة التى وصفت الخمر بأنها «رجس» و أنها نظير «الميسر»، و أنها «عمل شيطانى»، مناقض للفلاح، و سبب «للعداوة» و «البغضاء»، قد أعلنت عن حرمتها بصورة واضحة لا إبهام فيها، و لا غموض، و هى بالتالى أقوى بيان لمن تدبّر و أنصف، و تجرّد عن الاهواء و الأغراض المريضة.

و هنا لا بدّ أن نذكّر بنقطة هامة و هى أن النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله استطاع ان يطهّر فى هدى هذه الآيات الأربع، بيئته و مجتمعه من أدران هذه العادة الشريرة، و يقوم المؤمنون أنفسهم بتنفيذ هذا الحكم من دون قهر أو إجبار، بينما لم يستطع العالم الغربى رغم كل ما يملك من الإمكانات الماديّة العريضة، و أجهزة الدعاية الواسعة أن يخطو خطوة ناجحة فى هذا الطريق، فقد اخفقت كل خططه، أمام هذا السمّ القاتل، و الفشل الذى أصاب الولايات المتحدة فى مكافحة المشروبات الروحية فى أعوام ۱۹۳۳- ۱۹۳۵ أمر معروف للجميع، و له قصة عجيبة يمكن أن يقف عليها القارئ الكريم فى مصادرها «۱».

رواية مختلقة:

و من عجيب الأمر أن يروى بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

«و لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» رواية جاء فيها أن امام المتقين على بن أبى طالب عليه السلام كان ضمن جماعة شربوا الخمر ثم قاموا الى الصلاة فقرأ أمامهم غلطا: «اعبد ما تعبدون» فانزل اللّه تعالى هذه الآية:

«لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ».

نقول إن من العجيب أن تنسب إلى الامام على عليه السلام مثل هذه

(۱) راجع ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ۸۰ و غيره.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۲۲

النسبة و هو الطاهر المطهّر بحكم آية التطهّر «۱» و هو الذى نشأ و ترعرع فى احضان سيد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله الذى كان يتجنب الخمر، حتى قبل نزول النهى الصريح عنها، هذا و على عليه السلام المعروف بحكمته و فهمه و علمه عارف بما للمسكر من تبعات خطيرة.

نعم من العجيب أن نصدق بأن عليا عليه السلام شرب الخمر، و هناك فى الجاهلية (و قبل الاسلام) من حرّم الخمر على نفسه لكونه يذهب بالعقل، و يؤول بالمرء الى ما لا يحمد. سيد المرسلين ج۲ ۲۲۲ رواية مختلقة: ..... ص : ۲۲۱

ى السيرة الحلبية كان عبد اللّه بن جدعان من جملة من حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية أى بعد ما كان مغرما بها و سبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمدّ يده على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا.

و كان عثمان بن مظعون ممّن حرّم الخمر على نفسه فى الجاهلية أيضا و قال:

لا أشرب شيئا يذهب عقلى، و يضحك بى من هو أدنى منى، و يحملنى على أن انكح كريمتى من لا اريد «۲».

و ورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: أوحى اللّه تعالى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انى أشكر لجعفر بن أبى طالب عليه السلام أربع خصال.

فدعاه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فأخبره فقال: لو لا أن اللّه تبارك و تعالى أخبرك ما أخبرتك:

ما شربت خمرا قط لانى لو شربتها زال عقلى.

و ما كذبت قط لان الكذب ينقص المروة.

و ما زنيت قط لأنى خفت إذا عملت عمل بى.

(۱) الاحزاب: ۳۳، راجع تفاسير الفريقين و مجاميعهم الحديثة.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۱۳۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۲۳

و ما عبدت صنما قط لأنى علمت أنه لا يضر و لا ينفع.

فضرب النبيّ صلّى اللّه عليه و آله على عاتقه و قال: «حق للّه تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة فى الجنّة» «۱».

نعم هذا هو موقف من هو أقل مرتبة و منزلة من الإمام على عليه السلام من الخمر، و لو فى العهد الجاهلى، و قبل تحريمها فى

الاسلام.

لكن يـد الوضع و الـدس أبت إلّا أن تختلق روايـة فى المقام، فقـد جاءت فى جامع البيان للطبرى روايتان نـذكرهما سـندا و متنا ليقف القارئ على ما تعانيان من مآخذ:

١- حـدثنا محمـد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سـفيان عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن عن على أنه كان هو و عبد الرحمن و رجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ: يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت:

لا تقربوا الصلاهٔ و انتم سكارى.

٢- حـدثنى المثنى قـال حـدثنا الحجـاج بن المنهال قال حـدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبـد اللّه بن حبيب أن عبـد الرحمن بن عوف صـنع طعاما و شـرابا فدعا نفرا من أصـحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فأكلوا و شربوا حتى تملّوا فقدّموا عليا يصلّى بهم المغرب فقرأ: قل يا أيها الكافرون اعبـد ما تعبدون و أنتم عابدون ما أعبد و أنا عابد ما عبدتم. لكم دينكم ولى دين. فأنزل اللّه تبارك و تعالى هذه الآيهٔ: «لا تَقْرَبُوا الصَّلاهَٔ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ» «٢».

و الروايتان- مضافا إلى ما يرد عليهما من الاشـكال- تعانيان من مؤاخذات متعددهٔ أبرزها الاشـكال فى سندهما، فكلتا الروايتان تنتهيان إلى عطاء بن السائب، و هو مطعون فى وثاقته و ديانته، و فى حفظه و حديثه، و إليك ما قال عنه أئمهٔ علم الرجال:

---

(١) الدرجات الرفيعهٔ: ص ٧٠ نقلا عن الامالى لابن بابويه.

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى: ج ۵ ص ۶۱.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٢٢۴

قال عنه الذهبى: عطاء بن السائب أحد علماء التابعين، تغيّر بأخرهٔ و ساء حفظه.

قال عنه أحمد: من سمع منه قديما فهو صحيح، و من سمع منه حديثا لم يكن بشىء.

و قال عنه يحيى بن معين: لا يحتج به.

و قال أحمد بن أبى خيثمهٔ عن يحيى: حديثه ضعيف.

و قال عنه أبو حاتم: محلّه الصدق قبل أن يخلّط.

و قال النسائى: ثقهٔ فى حديثه القديم لكنه تغيّر.

و قال ابن عليّهٔ: قدم علينا عطاء بن السائب البصرهٔ، فكنا نسأله، فكان يتوهّم، فنقول له: من؟ فيقول: اشياخنا ميسرهٔ، و زاذان، و فلان.

و قـال الحميـدى، حـدثنا سـفيان، قال: كنت سـمعت من عطاء بن السائب قـديما، ثم قـدم علينا قدمـهٔ فسـمعته يحـدث ببعض ما كنت سمعت، فخلّط فيه، فاتقيته و اعتزلته.

و اضاف الذهبى: «و من مناكير عطاء ...» «١».

أجـل هـذا هو عطاء فى منظار علماء الرجال، انه سـيئ الحفظ، ضـعيف مخلّط له مناكير، يتوهّم، تغيّر بأخرهٔ، و قـد ظهرت آثار الوهم و سوء الحفظ و التخليط هذا فى روايتيه هاتين. فهو تارهٔ يقول أن عليا عليه السـلام كان مأموما فى هذه القصهٔ (كما فى الروايهٔ الاولى) و تارهٔ يقول كان عليه السلام إماما للجماعهٔ.

و هـذه الروايـهٔ من مناكيره، و أوهامه بلا ريب، إذ كيف يصح أن ينسب إلى رجل لازم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الطيّب الطاهر منـذ نعومهٔ أظفاره، شـرب الخمر، و الائتمام برجل دونه فى الفضل، أو إمامته للجماعهٔ و تخليطه فى قراءهٔ سورهٔ عظيمهٔ من سور القرآن الكريم؟!

و لنستمع معا إلى ما يقوله إمام المتقين على بن أبى طالب عليه السلام عن

(۱) میزان الاعتدال: ج ۳ ص ۷۰- ۷۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۲۵

فترة صباه فی کنف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فانه أفضل ردّ علی هذه الروایة و نظائرها: قال علیه السلام:

«قد علمتم موضعی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالقرابة القریبة، و المنزلة الخصیصة، وضعنی فی حجره و أنا ولد یضمّنی الی صدره، و یکنفنی فی فراشه، و یمسّنی جسده و یشمّنی عرفه، و کان یمضغ الشیء فیلقمنیه و ما وجد لی کذبة فی قول، و لا خطلة فی فعل، و لقد قرن اللّه به صلّی اللّه علیه و آله من لدن کان فطیما أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم، و محاسن أخلاق العالم، لیله و نهاره، و لقد کنت اتبعه إتباع الفصیل أثر أمه، یرفع لی فی کل یوم من أخلاقه علما، و یأمرنی بالاقتداء به» «۱».

هذا و أغلب الظن ان الذین اختلقوا هذه الروایة لما وجدوا أمثال هذه القبائح فی حیاة بعض الصحابة أرادوا ان یساووا بین الامام علی علیه السلام و غیره، فاختلقوا هذه الفریة الوقحة.

و مما یثیر الاستغراب أن یقع بعض الکتّاب و المفکّرین المعاصرین فی نفس ما وقع القدامی من الخطأ فی هذا المجال، و یذکر هاتین الروایتین فی تفسیره للقرآن الکریم، مع کل هذه المؤاخذات علیهما حتی فی صورة النقل، کما فعل سید قطب فی تفسیره «فی ظلال القرآن» «۲»، إذ لیس کل ما هو مذکور فی کتب الاقدمین یصح نقله، و یجوز تکراره. و بخاصة من دون تعلیق و تکذیب.

(۱)

غزوة ذات الرقاع:

اشارة

قیل إنما سمّیت هذه الغزوة، و هذا الجهاد المقدس بالرقاع، لأنّ المسلمین مرّوا بأرض بقع سود، و بقع بیض کأنها مرقعة برقاع مختلفة. و ربما قیل لأن الحجارة أوهنت أقدام المجاهدین فکانوا یلفّون علی أرجلهم

(۱) نهج البلاغة: الخطبة رقم ۱۹۲.

(۲) عند تفسیر قوله تعالی: «لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُکاری».

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۲۶

الخرق، و الرقاع فسمّیت هذه الغزوة بذات الرقاع «۱».

و علی کل حال فان هذه الغزوة لم تکن ابتدائیة تماما مثل بقیة الغزوات، بل کانت لإطفاء شرارة کانت علی شرف الاشتعال، و الانفجار، و بالضبط جاءت لتقضی علی تحرکات و استعدادات عدائیة کان یقوم بها بنو محارب و بنو ثعلبة و کلاهما من قبائل غطفان.

(۱) و قد کان من دأب النبیّ و سیاسته أن یبثّ أشخاصا أذکیاء إلی المناطق المختلفة لیأتوا له بالأخبار عن کل ما یستجدّ علی ساحة الجزیرة العربیة، و فی أوساط القبائل.

فأتاه الخبر ذات مرة أن القبیلتین المذکورتین تنویان جمع الاسلحة و الرجال لاجتیاح المدینة و غزوها، فسار إلیهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی رأس مجموعة من رجاله و أصحابه حتی نزل نخلا بنجد قریبة من مکان العدو «۲».

فـدفعت سوابق المسـلمين الجهادية، و ما سـطروه فى المعارك و المواقف من قصـص المقاومة و الصـمود و البسالة و الاسـتقامة، و ما حققوه من انتصارات ساحقة حيّرت سكّان الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها.

لقـد دفعت كـل هـذا العـدوّ إلى الانسـحاب، و اللجوء الى رءوس الجبـال، و قـد خـافوا ألّا يبرح رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حتى يستأصلهم.

و قد صـلّى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بالمسـلمين فى هذه الغزوة صلاة الخوف، التى بيّن اللّه تعالى كيفيتها فى سورة النساء الآية ۱۰۲.

و أغلب الظن أن العـدوّ كان فى هذه الغزوة قويا فى تجهيزاته و قواه، و ان الاوضاع العسـكرية قد وصـلت الى مرحلة خطيرة مما سـبّب الخوف، و لكن الانتصار كان فى المآل من نصيب المسلمين.

---

(۱) السيرة النبوية، الهوامش: ج ۲ ص ۲۰۴.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۸۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۲۷

(۱)

مواقف خالدة فى هذه الغزوة:

اشارة

يروى المؤرخون و المفسـرون المسلمون كابن هشام «۱» و أمين الاسلام الطبرسى «۲» قصصا عجيبة، و حوادث مثيرة للاعجاب وقعت فى هـذه الغزوة تكشف عن عمق مروءة النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله مع أعدائه، و قد نقلنا نظير هذا فى غزوة ذى أمر، من هنا نحجم عن ذكر ذلك فى هـذه الدراسة رعاية للاختصار، و لكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى القصة التالية التى تكشف عن صـمود المسـلمين و اخلاصهم لدينهم.

(۲)

الحرّاس الصامدون:

مع أن جيش الاسـلام قـد عاد الى المدينـة من هذه الغزوة من دون قتال و لكنّه أصاب مع ذلك بعض الغنائم، و استراح فى شـعب فى أثناء الطريق، و بات ليلته هناك، ثم كلّف رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله رجلين بحراسة الجيش ليلا يدعيان: «عباد» و «عمار»، فقسـم الرجلان الليل بينهما، فنام أحدهما و سهر الآخر يحرس الجيش، و كان الذى سهر أول الليل هو «عباد».

ثم إن رجلا من العدوّ خرج فى أثر المسلمين، و كان يقصد أن يريق دما أو يصيب شيئا و يعود الى محله.

و قـام «عبـاد» يصـلّى، و أقبـل ذلـك الرجـل يطلب غرّة فلمـا رأى «عباد» سواده من قريب قال ذلك الرجل فى نفسه: نعلم اللّه أنّ هـذا لطليعة القوم، و حرسـهم ففوّق له سـهما و رماه به فأصاب عبادا و لكن عبّادا نزع السـهم و وضعه، و ثبت قائما يصلّى فرماه العدوّ بسهم آخر، فأصـابه فـانتزعه و ثبت قائمـا فرماه بثالث فنزعه، فلما غلب عليه الـدم ركع و سـجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقـد اصبت، فجلس عمّار، فلمّا رأى الاعرابى أن عمارا قد قام علم أنهما قد علما

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۲۰۵- ۲۰۹.

(۲) مجمع البیان: ج ۳ ص ۱۰۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۲۸

به،: فقال عمّار: أی أخی ما منعک أن توقظنی به فی أول سهم رمی به؟!

قال: کنت فی سورة أقرأها و هی سورة الکهف، فکرهت أن أقطعها حتی أفرغ منها، و لو لا أنی خشیت أن اضیّع ثغرا أمرنی به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما انصرفت و لو أتی علی نفسی «۱».

و هکذا صمد هذا المسلم و استمر فی صلاته غیر مبال بما اصابته من السهام.

(۱)

بدر الثانیة:

اشارة

لما أراد أبو سفیان أن ینصرف یوم «احد» نادی: موعدنا و موعدکم بدر الصفراء العام القابل نلتقی فیه فنقتتل.

و لهذا أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المسلمین بأن یتهیّئوا للدفاع علی أنفسهم و قد مر علی وقعة «احد» عام واحد.

و کان أبو سفیان الذی کان یرأس قریش آنذاک یواجه فی ذلک الوقت مشاکل داخلیة مختلفة فکره الخروج الی رسول اللّه فی الموعد الذی ضربه لمقاتلة المسلمین، و اتفق أن قدم مکة فی تلک الایام «نعیم بن مسعود» الذی کانت بینه و بین أبی سفیان علاقات صداقة خاصة، فجاءه أبو سفیان و قال له: إنّی وعدت محمّدا و أصحابه یوم «احد» أن نلتقی نحن و هو ببدر الصفراء علی رأس الحول، و قد جاء ذلک، و لا یصلح أن نخرج إلیه العام.

فقال نعیم: ما أقدمنی إلّا ما رأیت محمّدا و أصحابه یصنعون من إعداد السلاح و الکراع، و قد تجلّب إلیه حلفاء الأوس، فترکت المدینة أمس و هی کالرّمانة.

فزاد ذلک من مخاوف أبی سفیان، و ضاعف من کراهته للخروج الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. و تقرر بالتالی أن یعود نعیم إلی المدینة و یحذر المسلمین من الخروج للموعد، و یخذّلهم.

(۲) و عاد «نعیم» إلی المدینة، و راح یرعّب أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۲۰۸، المغازی: ج ۱ ص ۳۹۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۲۹

و آله و یخوّفهم من الخروج إلی أبی سفیان إلّا أن کلامه لم یترک أی أثر فی نفس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فخرج صلّی اللّه علیه و آله فی ألف و خمسمائة مقاتل من أصحابه، و قد خرجوا ببضائع لهم، و تجارات حتی انتهوا الی «بدر» و قام السوق السنوی هناک فباعوا و اشتروا فی موسم بدر و ربحوا کثیرا ثم تفرّق الناس، و لکن النبیّ و أصحابه بقوا هناک ثمانیة أیام ینتظرون أبا سفیان و جیشه.

و قد کان هذا الاجراء اجراء عسکریا حکیما و رائعا إذ أظهر قوة النبیّ و عزیمته و قوة أصحابه و عزیمتهم، و لهذا کان له أثر قوی فی نفوس الاعداء.

فلما بلغت أنباء خروج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه الى بدر، لم ير حكّام مكة المشركون بدّا من الخروج إلى بدر حفاظا على ماء الوجه، فخرج أبو سفيان و المشركون بتجهيزات كافية إلى مرّ الظهران، و لكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى مكة بحجة الغلاء و القحط، فاعترض صفوان بن اميّة على أبى سفيان و قال: قد و اللّه نهيتك يومئذ أن تعد القوم، و قد اجترءوا علينا، و رأوا انا قد أخلفناهم، و انما خلفنا الضعف عنهم «۱».

ولادة السبط الأصغر لرسول اللّه:

(۱) و فى الثالث من شهر شعبان من هذه السنة (الرابعة من الهجرة) ولد السبط الثانى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الامام الحسين بن علىّ «۲»، كما توفيت «فاطمة بنت أسد» والدة الإمام على عليه السلام «۳».

و فى هذا العام بالذات أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله زيد بن حارثة أن يتعلم السريانية من اليهود «۴».

---

(۱) المغازى: ج ۱ ص ۳۸۴- ۳۹۰، و قد وقعت هذه الحادثة فى الشهر الخامس و الاربعين بعد الهجرة.

و تسمى هذه الغزوة «بدر الموعد».

(۲) و (۳) تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۴۶۷.

(۴) إمتاع الاسماع: ص ۱۸۷، تاريخ الخميس: ج ۱ ص ۴۶۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۰

(۱)

حوادث السنة الخامسة من الهجرة «۱»

۳۶ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة

اشارة

تعتبر معركة «الاحزاب»، و قصة بنى قريظة، و زواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بزينب بنت جحش من أروع الحوادث التاريخية التى وقعت فى السنة الخامسة من الهجرة.

و أوّل هذه الحوادث- كما عليه المؤرخون المسلمون- هو زواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالمرأة المذكورة.

و قد ذكر القرآن الكريم تفاصيل هذه القضية ضمن الآيات (۴، ۶، ۳۶، الى ۴۰) من سورة «الاحزاب»، و لا يبقى- حينئذ- مجال لأكاذيب المستشرقين و دسائسهم و مختلقاتهم الواهية.

و نحن هنا ندرس هذه القضية على ضوء أصح المصادر و الينابيع التاريخية الاسلامية التى لم تطلها أيدى العبث و التحريف، و المسخ، و التشويه، ألا و هو القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نتحدث حول ما قاله المستشرقون و من لف لفهم،

---

(۱) يرى مؤلف كتاب تاريخ الخميس أن هذه الحادثة وقعت فى شهر ذى القعدة من السنة الخامسة للهجرة و لكن هذا الرأى يبدو غير صحيح من وجهة نظر المحاسبة الاجتماعية، لأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان منشغلا بغزوة «الاحزاب»، و «بنى قريظة» من ۲۴ شهر شوال من السنة الخامسة الى ۱۹ من شهر ذى الحجة من نفس السنة فيكون تحقق مثل هذا الزواج فى مثل هذه الظروف أمرا

مستبعدا جدا، و اذا كان الزواج من زينب يعدّ من حوادث السنة الخامسة لزم ان يكون قد تحقق قبل الحادثتين المذكورتين، و لهذا عمدنا الى ذكر هذه الحادثة قبل تينيك الواقعتين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۱

و نحى منحاهم فى التعامل مع تاريخ السيرة النبوية.

(۱)

من هو زيد بن حارثة؟

كان زيد شابا سرقه قطّاع الطرق من الأعراب و هو صغير من قافلة، و باعوه عبدا فى سوق عكاظ، و قد اشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خويلد، و قد أهدته خديجة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد زواجها منه.

و لقد دفعت سيرة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله الحسنة، و أخلاقه الفاضلة و سجاياه النبيلة زيدا هذا فى أن يحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حبا شديدا، حتى أنه عند ما جاء أبوه الى مكة يبحث عنه، و علم بوجوده عند النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مشى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و طلب منه أن يعتقه، و يعيده إليه، ليعيده بدوره إلى أمه و يلحقه بأقربائه، فابى زيد إلّا البقاء عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فضّل ذلك على المضى مع أبيه، و العودة إلى وطنه، و عشيرته، و قد خيّره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المكث عنده أو الرحيل مع أبيه إلى وطنه.

(۲) على أن ذلك الانجذاب و الحب كان متبادلا بين زيد و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فكما أن زيدا كان يحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يحب أخلاقه و خصاله، كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحب زيدا كذلك لنباهته و أدبه حتى أنه أعتقه و تبنّاه، فكان الناس يدعونه زيد بن محمد بدل زيد بن حارثة، و لكى يتأكد ذلك وقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذات يوم و قال لقريش:

«يا من حضر اشهدوا أن زيدا هذا ابنى» «۱».

و قد بقى هذا الحب المتبادل بين زيد، و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أن استشهد هذا المسلم الصادق و المؤمن المجاهد فى معركة مؤته، فحزن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمصرعه كما حزن لولد من أولاده.

---

(۱) اسد الغابة: ج ۲ ص ۲۳۵ و كذا الاستيعاب و الإصابة مادة: زيد.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۲

(۱)

زيد يتزوج بابنة عمة النبيّ:

لقد كان من أهداف رسول الاسلام العظيم صلّى اللّه عليه و آله هو أن يخفف من الفواصل بين طبقات المجتمع و فئاته، و يقارب بينها قدر الامكان، ليعيش البشر جميعا تحت لواء الانسانية و التقوى إخوة متحابّين لا تبعد بعضهم عن بعض مقاييس الثروة و النسب، بل يكون الملاك فى التفاضل هو الأخلاق الفاضلة و السجايا الانسانية.

من هنا كان يجب التعجيل فى ازالة التقاليد العربية البالية التى كانت تقضى بأن لا يتزوج بنات السادة و الاشراف بأبناء الطبقات الضعيفة و الفقيرة.

و أى وسيلة لضرب هذا التقليد القبيح الظالم و تحقيق المساواة الكاملة أفضل من أن يبدأ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى تحطيم هذا التقليد بأقربائه و ذويه ليقدّم بذلك درسا عمليا للامة فى هذا المجال، فقام بتزويج عتيقه «زيد بن حارثة» من شريفة من بنى هاشم و هى ابنة عمته زينب بنت جحش حفيدة عبد المطلب ليعلم الناس أنه يجب عليهم الاقلاع عن تلك التقاليد الجاهلية الظالمة بسرعة، و يعرفوا أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله هو أوّل من نفّذ فى حق ذويه ما كان يردّده من قوله: «لا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى» و «إنّ المؤمن كفؤ المؤمن».

(۲) و لأجل تحطيم ذلك التقليد الجاهلىّ الخاطئ ذهب رسول اللّه بنفسه إلى منزل زينب، و خطبها لزيد، فلم تبد زينب و أخوها رغبة فى هذا الأمر فى الوهلة الاولى لأنّ الأفكار الجاهلية كانت لا تزال مترسبة فى قلوبهم، و من ناحية اخرى كان الرد على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أمرا صعبا و لهذا تذرّعا بعبودية «زيد» السابقة و حاولا بذلك التخلّص من مطلب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

فلم يلبثا أن نزل قوله تعالى يشجب رد زينب و أخيها لطلب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله:

«وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۳

مِنْ أَمْرِهِمْ، وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً» «۱».

فتلاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليهم فورا فدفع إيمان زينب و أخيها الصادق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أهدافه المقدسة إلى أن تبادر زينب إلى الاعلان عن رضاها و رضا أخيها بهذا الزواج، فتزوّجت ابنة شريف قوم «زينب» بعتيق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله زيد و بذلك طبّق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله واحدا من أعظم مناهج الاسلام الحيّة، و آدابه الانسانية الرفيعة، و حطّم عمليا واحدة من أقبح السنن الجاهلية، و أكثرها تخلفا و اجحافا.

(۱)

زيد يطلق زوجته:

إلا أن هذا الزواج لم يدم طويلا، فقد آل إلى الطلاق، و الافتراق و يعزى البعض ذلك إلى نفسيّة «زينب» و سلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنوّ حسبه، و علوّ حسبها، و بذلك كانت تمرّ فى ذائقته طعم الحياة و تسبب انزعاجه.

و لكن يحتمل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه، فان تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعانى من روح العزلة، و عدم الالفة، فقد اتخذ أزواجا متعددة و طلقهنّ (إلا الاخيرة منهن حيث استشهد عنها و هى فى حبالته) فيكون هذه الطلقات المتعددة دليلا على عدم القدرة على الانسجام مع زوجاته، لحالة نفسيّة كان يعانى منها.

و يشهد بذلك أيضا خطاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الحادّ، له، فان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لمّا عرف بأن زيدا يبغى طلاق زوجته زينب غضب و قال: «أمسك عليك زوجك و اتّق اللّه» «۲».

و لو كان الذنب كلّه ذنب زوجته زينب لما كان يعدّ تطليقها عملا مخالفا للتقوى.

---

(۱) الاحزاب: ۳۶.

(۲) الاحزاب: ۳۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۴

و مهما يكن فقد طلق زيد زينبا و افترقا، ثم تزوج بها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعد ذلك.

(۱)

زواج النبیّ بمطلقة متبناه لابطال سنة جاهلیة اخری:

اشارة

و لکن قبل أن نـدرس العلـة الاساسـیة لهـذا الزواج لا بـد أن نلقی نظرة فاحصـة إلی مسألـة النسب الـذی یعدّ مقوما مهما من مقومات المجتمع الصحیح.

و بعبارة اخری و أکثر تحدیدا لا بد أن ندرس الفرق الجوهری بین الولد الحقیقی، و بین المتبنی.

و توضیحا لهذا الأمر نقول:

کان یوجـد فی المجتمع العربی الجاهلی أبناء لا یعرف لهم آباء أو لهم آباء معروفون، و کان الرجل یعجبه أحـد هؤلاء فیتبناه و یدعوه ابنه، و یلحقه بنسبه و تصیر له حقوق البنوة و ملحقاتها.

و لما کان هـذا شـذوذا عن الاساس الطبیعی للاسـرة أبطله الاسـلام و ذلک لأن الولد الحقیقی ینتمی إلی أبیه بجذور تکوینیة، فالوالد هو- فی الحقیقة- المنشأ المادی لوجود ابنه، و یرث الولد من والده و والدته الکثیر من صـفاتهما الجسـمیة و الروحیة، و بذلک یکون امتدادا طبیعیا لوالدیه.

(۲) و علی أساس هـذه الوحـدة الطبیعیـة، و وحـدة الـدّم یتوارث الآباء و الأبناء، و تترتب أحکام خاصـة فی مجال الزواج و الطلاق، و التحلیل و التحریم.

و بناء علی هذا فان مثل هذا الموضوع الذی ینشأ من جذور تکوینیة واقعیة، لا یوجد أبدا باللفظ و اللسان.

و لهذا قال اللّه سبحانه فی الکتاب العزیز فی معرض الردّ علی من یتصور المتبنّی ولدا حقیقیا لمجرد ادعاء البنوة:

«وَ ما جَعَلَ أَدْعِیاءَکُمْ أَبْناءَکُمْ ذلِکُمْ قَوْلُکُمْ بِأَفْواهِکُمْ وَ اللَّهُ یَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ یَهْدِی السَّبِیلَ. ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُکُمْ فِی الدِّینِ وَ مَوالِیکُمْ وَ لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ فِیما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لکِنْ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۳۵

ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُکُمْ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً» «۱».

فلا یکون الابن المتبنی و الولد الحقیقی فی صـعید الموضوع سـیان أبدا، فکیف فی صعید الاحکام کالتوارث، و الزواج و الطلاق و ما شابه ذلک.

فـاذا ورث الولـد الحقیقی من ابیه او بـالعکس أو حرمت زوجـة الولـد الحقیقی علی أبیه بعـد طلاقها من زوجها لا یمکن أن نقول أن الابن المتبنی یشبهه و یشترک معه فی هذه الاحکام أبدا.

(۱) و من المسلم به أنّ مثـل هـذا التشـریک فی الحقوق و الشؤون مضافا إلی کونه لا یسـتند الی أساس معقول و صـحیح هو نوع من العبث بعامل النسب، و هو العنصر المهم فی المجتمع السلیم الصحیح.

و علی هـذا الاسـاس إذا کـان التبنی بـدافع العاطفـة أمرا مستحسـنا و مقبولاـ إلّـا أنّه إذا کـان بهـدف إشـراکه فی سلسـلة من الأحکام الاجتماعیة التی هی من شئون الولد الحقیقی و حقوقه یعد أمرا بعیدا و غریبا جدا عن المحاسبات العلمیة، و الاسس الموضوعیة.

و لقد کان المجتمع العربی- کما اسـلفنا- یعدّ الابن بالتبنی کالولد الحقیقی دون فرق، و قد کلّف رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله من جانب اللّه تعالی بأن یقضی علی هذا التقلید الجاهلی و السنة الخاطئة باجراء عملی صارخ و ذلک بالتزوج بزینب مطلّقة متبناه «زید»، و یمحی من حیاة المجتمع العربی هـذا التقلیـد القبیـح بالعمل الـذی یفوق القول، و وضع القانون، فی التأثیر، و الفاعلیـة. و لم یکن لهذه الزیجة غیر هذا السبب.

(۲) لقد كان هذا التقليد أمرا مقدّسا فى المجتمع العربى بشكل كبير جدّا بحيث لم يكن أحد ليجرأ على نقضه و مخالفته و التزوج بمطلّقة دعيّه «۲» لقبحه فى نظر العرب لذلك دعا اللّه سبحانه نبيّه الى القيام بهذا العمل الخطير، إذ قال:

---

(۱) الأحزاب: ۴ و ۵، راجع تفسير الميزان: ج ۱۶ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.

(۲) الدعىّ هو الابن المتبنى و جمعه أدعياء.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۶

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَی النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضی زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَیْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِی أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» «۱».

(۱) إن هذا الزواج مضافا إلى كونه استهدف منه تحطيم سنّة جاهليّة مقيتة (سنة عدم الزواج بمطلقة المتبنى) و اعادة العلاقات العائلية الى وضعها الصحيح يعتبر من أقوى مظاهر المساواة فى الإسلام، لأن النبىّ الاكرم صلّى اللّه عليه و آله تزوّج بمطلّقة عتيقه و قد كان مثل هذا العمل مخالفا لشؤون المجتمع يومذاك.

و لقد أثار هذا الاقدام الشجاع موجة من الاعتراض و النقد من جانب المنافقين، و أصحاب العقول الضيّقة، فقد طرحت هذه المسألة فى الاوساط و النوادى و أخذوا يشنعون بها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يقولون: لقد تزوّج محمّد بمطلّقة دعيّه.

فأنزل اللّه تعالى فى الرد على تلكم الافكار و الاقوال الباطلة قوله:

«ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيماً» «۲».

(۲) على أن القرآن لم يكتف بهذا البيان بل امتدح نبيّه الذى نفّذ حكم اللّه بشجاعة كاملة بقوله:

«ما كانَ عَلَى النَّبِیِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِی الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً» «۳».

و خلاصة المفاد لهاتين الآيتين هى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كغيره من الأنبياء يبلّغ رسالات اللّه و لا يخاف لوم اللائمين، و كيد المنافقين، و إرجاف المرجفين.

---

(۱) الأحزاب: ۳۷.

(۲) الأحزاب: ۴۰.

(۳) الأحزاب: ۳۸ و ۳۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۳۷

هذه هى فلسفة تزوّج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بزينب بنت جحش مطلّقة دعيّه و متبناه و عتيقه زيد بن حارثة فى ضوء القرآن الكريم.

(۱)

المستشرقون و قضية تزوّج النبىّ بزينب:

اشارة

إن زواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بزينب مطلّقة زيد بن حارثة- كما لاحظت- قضية بسيطة خالية عن أى إبهام أو غموض.

و لكنّ جماعة من المستشرقين تذرّعوا بها لإغراء البسطاء و من شاكلهم غير الملمّين بالتاريخ الاسلامى و أرادوا بذلك إضعاف إيمان الـذين لا يعرفون السـيرة النبويّة حقّ المعرفة، فانّنا يجب أن ندرس ما قالوه فى هذا المجال، و نكشف للقارئ الكريم عن مواطن الدسّ و التحريف فيه.

و لا يخفى أن الاسـتعمار البغيض لم يكتف للسيطرة على بلادنا باستخدام القوة العسكرية، و السلاح الاقتصادى بل ربما دخلها متسترا بقناع العلم و التحقيق، فقـد سـعى- و لم يزل- لفرض أسوأ هيمنـة فكريـة شاملـة و تبعيّـة ثقافيّة مقيتة على شـعوبنا وفق تخطيط دقيق و مدروس و هذا هو ما يسمّى بالاستعمار الفكرى، و الثقافى.

و فى الحقيقـة فان المستشـرق هو طليعـة ذلك الاسـتعمار، بل و جيشه المتقنع بقناع العلم و المعرفـة الذى ينفذ إلى أعماق المجتمع، و يتسلسل إلى اوساط المفكرين و المثقفين و ينفث سمومه القاتلة، و يحذر العقول، و يمهّد النفوس للاستعمار السافر، و المكشوف.

(۲) و يمكن أن لاـ يرتضـى كثير من الكتّـاب و عشّـاق القلم و الثقافـة فى الغرب منطقنا هـذا فيعمـدوا الى رمينا بالتحجر، و العصبيّـة و التخلف و يتصوروا باننـا نقول مـا نقوله بـدافع العصبيّـة القوميـة أو الدينيـة، و لكنّ كتابـات المستشـرقين و إخفـاءهم المتعمّـد و الكثير للحقائق، و تحريفهم و دسّـهم المكشوف فى تاريخ الاسـلام حينا و الخفىّ حينا آخر يشهد بوضوح أنّ دافعهم فى كثير ممّا كتبوا ليس حبّ العلم و تحرّى المعرفة، فان أكثر ما كتبوه ممزوج بطائفة من أفكارهم المعادية للاسلام، و لرسول

اللّه و المسلمين «۱».

(۱) و يشـهد على هذه النزعة- بجلاء و وضوح- موقفهم من زواج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بزينب بنت جحش و ما نسجوه من قضايـا خياليّـة حول هـذه القضـية، التى وقعت بهـدف إبطـال سنة باطلـة، فأعطوهـا صـبغة قصـص الحب و أسـاطير الغرام على طريقة القصّاصـين و الروائيين و ديـدنهم، و عمدوا إلى حكاية تاريخية مختلقة و ضـخّموها و نفخوا فيها و نسـبوه إلى أطهر إنسان عرفه العالم البشرى.

و على كل حال فان أساس هذه الاسطورة عبارات نقلها ابن الأثير «۲» و من قبله الطبرى «۳» و بعض المفسّرين، و هى أنه: خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يريد زيدا و على الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها و هى حاسرة فأعجبته!!!

و لكن المستشـرقين بـدل أن يتحققوا من سـند هـذه الأـقوال، لم يكتفوا بنص مـا ذكره اولئك المؤرّخون و المفسـرون، بل الصـقوا به الكثير الكثير حتى تحوّلت تلك الجمل العابرة إلى قصة تشبه أقاصيص ألف ليلة و ليلة.

(۲) إنّ من المؤكّـد أنّ الذين يعرفون سـيرة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الطاهرة يدركون أنّ هذا التاريخ إنّما هو فى أصله و فرعه من نسـج الخيـال، و صـنع الأوهـام، و انها تخالف ما فى صـفحات التاريـخ النبوىّ الوضاءة النقيّـة مخالفـة كاملـة، الى درجـة أن علماء معروفين كالفخر الرازى و الآلوسـى كذّبوا هذه القصة بشـكلها الذى ذكرها ابن الاثير و الطبرى بصـراحة كاملة و قالوا: إن هذه الرواية رواية باطلة زوّرها و اختلقها أعداء الاسلام، و راجت فى كتب المؤلفين المسلمين «۴».

فكيف يمكن القول بأنّ هذه القصة و بهذه الكيفية كانت مما يعتقد بصحته

---

(۱) للتاكّد الأكثر من هذا الأمر (راجع كتاب المستشرقون).

(۲) و (۳) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۲۱، جامع البيان فى تفسير القرآن: ج ۲۲ ص ۱۰.

(۴) مفاتيح الغيب: ج ۲۵ ص ۲۱۲، روح المعانى: ج ۲۲ ص ۲۳ و ۲۴.

ابن الأثير، و الطبرىّ فى حين أن هناك العشرات ممن نقلوا خلافها و برّأوا ساحة النبىّ العظيم صلّى اللّه عليه و آله من هذه المساوئ. و على أية حال فإننا نشير فى الصفحات التالية دلائل اختلاق هذا القسم من التاريخ، و نعتقد أن القضية فى واقعها و حقيقتها واضحة جدا، و اغنى من ان ندافع عنها.

و إليک أدلّتنا:

(۱) أولا- ان التاريخ المذكور يخالف المصدر الاسلامى الاصيل و هو (القرآن الكريم) لأنّ القرآن بشهادة الآية (۳۷) من سورة الأحزاب تصرّح بأنّ زواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من زينب كان لأجل إبطال سنة جاهلية باطلة و هى السنّة القاضية بأنه لا يحق لأحد أن يتزوج مطلقة دعيّه، خاصة و أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فعل ذلك بأمر اللّه سبحانه و ليس بدافع من الرغبة الشخصية، و الحب الشخصى، و لم يكذّب ذلك أحد فى صدر الاسلام.

فاذا كان ما قاله القرآن الكريم مخالفا للحقيقة لسارع اليهود و النصارى و المنافقون الى نقده و تفنيده، و لأحدثوا ضجة بسبب ذلك، فى حين أنّ مثل هذا لم يؤثر من أعداء الاسلام الذين كانوا يتحيّنون الفرص للايقاع برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و تلويث سمعته.

(۲) ثانيا- أن «زينب بنت جحش» هى تلك المرأة التى اقترحت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الزواج بها قبل أن يتزوج بها «زيد» و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصرّ على ان تتزوج غلامه المعتق زيدا رغم رغبتها فى الزواج من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فلو كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحبّ الزواج بها- و هو يعرفها طبعا- لما وجد مانعا من ذلك عند ما طلبت منه الزواج بها، فلما ذا لم يتزوج بها؟ و لما رفض طلبها؟.

أجل، انه لم يتزوج بها و لم يجب مطلبها بل ألحّ عليها أن تتزوج بشخص آخر رغم أنه أحسّ برغبة شديدة لدى زينب فى الزواج منه لا من غيره.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴۰

(۱) و بعد تكذيب هذا القسم المحرّف من التاريخ الاسلامى لا يبقى مجال لتعليقات و أوهام جنود الاستعمار و طلائعه المغرضين.

إننا نبرّئ ساحة رسول الاسلام العظيم صلّى اللّه عليه و آله من أمثال هذه الترّهات و النسب الرخيصة و نرى أن ساحته المقدسة أجلّ من أن ننقل كلمات هذا الفريق من الكتّاب المغرضين الحاقدين فى حقّ نبىّ بقى مكتفيا بزوجة تكبره بثمانية عشر عاما، الى أن بلغ سن الخمسين.

من هنا نعرض عن ذكر أقوالهم.

و لا بأس بأن نذكر هنا ما كتبه جماعة من المحققين المصريين الذين أشرفوا على طباعة «التاريخ الكامل» لابن الأثير تعليقا على ما أدرجه فى هذا المجال:

هذه رواية باطلة زوّرها الملاحدة، و اختلقها أذهان أعداء الدين الاسلامى ليطعنوا فى نبى الاسلام عليه و على آله الصلاة و السلام، و هل يعقل: انه لا يعرف ابنة عمته التى كان ولى زواجها إلى مولاه زيد؟ و انما دسائس الزنادقة، و مبشّرى المسيحية قد تغلغلت فى نفوس العلماء من حيث لا يعلمون، فافتكروا فى رواية الخبر، فاتخذوه أساسا، و أعرضوا عن كتاب اللّه و عن قول اللّه تعالى من أنّ اللّه أعلمه بأنها صارت زوجه قبل أن استشاره زيد فى طلاقها.

و العجيب أن ابن الأثير مع جلالة قدره ينقل هذه الرواية المزيّفة التى هى طعن صريح فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قد قلّد فى روايته هذه ابن جرير قبله، و كلاهما وقع فى هوّة الضلالة من حيث لا يشعر، و لو عرضت كل رواية على كتاب اللّه تعالى لما

أقدم أحد على مثل هذا الإفك العظيم!!

إن زينب هى وهبت نفسها لرسول اللّه فزوّجها من مولاه، ثم تزوجها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «كى لا- يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا»، فاذن كان الزواج لأجل التشريع، و كان عمليّا، لشدة نفرة أهل الجاهلية من هذا الزواج من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، لانهم يعدّون المتبنى ولدا صريحا أو فى مرتبته.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴۱

قال الفخر الرازى: و فيه إشارة إلى أنّ التزويج من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يكن لقضاء شهوة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بل لبيان الشريعة بفعله، انتهى.

و نحن نعتب عليه أيضا إذ جعله اشارة و لم يجعله صريحا و بما أن روح التقليد الأعمى قد اشتدّ بين المسلمين منذ زمن بعيد فالحكاية التى أوردها المؤلف نقلها كثير من المفسرين غير مفكرين بما فيها من طعن فى الدين لإفادتها أن الشريعة الاسلامية عبارة عن إتباع أهواء أو تنفيذ شهوات تنزهت عن ذلك كله، و يرحم اللّه السيّد الآلوسى حيث قال فى تفسيره: و حاصل العتاب: لم قلت «امسك عليك زوجك»، و قد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك و هو مطابق للتلاوة، لأنّ اللّه أعلم أنه مبدئ ما أخفاه عليه الصلاة و السلام و لم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زوّجناكها» فلو كان الضمير محبتها و ارادة طلاقها، و نحو ذلك لأظهره جلّ و علا، و للقصّاص فى هذه القصّة كلام لا ينبغى أن يجعل فى حيّز القبول، انتهى.

ثم أورد الروايات المزيفة التى تشبه ما أورده المؤلف (أى ابن الأثير) محذرا الناس منها و من أمثالها التى لا تروج إلّا على الحمقى و المغفلين انتهى. راجع هامش الكامل فى التاريخ ج ۲ ص ۱۲۱. طبعة القاهرة ادارة الطباعة المنيرية عام ۱۳۴۹ ه.

(۱)

توضيح عبارتين:

هذا و استكمالا للبحث، و اتماما للفائدة ندرج نص الآية التى نزلت فى هذا المجال، و التى تسبّبت جملتان منها فى إثارة الشكوك لدى بعض الجاهلين بحقائق السيرة النبويّة الزكية، و نعطى بعض التوضيحات اللازمة حولهما: و إليك نص الآية أولا:

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ».

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴۲

و فيما يلى الجملتان اللتان تحتاجان الى التوضيح:

«و تخفى فى نفسك ما اللّه مبديه».

(۱) فما ذا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يخفى فى نفسه و قد أظهره اللّه و أبداه بعد كل تلك النصيحة التى نصح بها صلّى اللّه عليه و آله زيدا؟

ربما يتصوّر أحد أنّ الأمر الذى كان يخفيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هو رغبة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى تطليق زيد زوجته زينب أى أنه و ان كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ينهى زيدا فى الظاهر عن تطليق زينب، إلا أنه كان فى سرّه يرضى بذلك بل يرغب فيه ليتسنّى له بعد ذلك أن يتزوجها هو.

و لا شك أنّ هذا الاحتمال غير صحيح مطلقا لأن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إذا كان يبطن مثل هذا الأمر، فلما ذا لم يبد اللّه سبحانه نيّته هذه بآيات اخرى، فى حين أنه سبحانه وعد فى هذه الجملة بأن يظهر ما كان يخفيه رسول اللّه فى نفسه إذ قال تعالى: «مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»؟!

(۲) و لهذا قال المفسرون: إن المقصود مما كان يخفيه هو الوحى الالهى الّذى أنزله اللّه عليه، و توضيح ذلك هو: أنّ اللّه تعالى أوحى إليه بأن زيدا سيطلّق زوجته رغم نصيحة النبىّ، و أنه صلّى اللّه عليه و آله سيتزوج بها من بعده لإبطال سنّة جاهلية مقيتة (و هى حرمة الزواج بمطلّقة الدعىّ).

و من هنا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين نصيحته لزيد و نهيه عن تطليق زينب زوجته ملتفتا و منتبها إلى هذا الوحى الالهىّ أيضا، و لكنه أخفى هذا الوحى عن زيد و غيره، و لكن اللّه تعالى أخبر النبىّ فى نفس تلك الجملة بأنه تعالى سيبدى للناس ما يخفيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قلبه، و أن الامر لن يبقى خافيا على أحد بإخفائه صلّى اللّه عليه و آله له.

و يشهد بهذا المعنى أنّ القرآن الكريم اظهر الامر فى ذيل نفس هذه الآية إذ قال:

«فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴۳

فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» «۱».

فمن هذا التعقيب يستفاد أن ما كان يخفيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هو الوحى الالهى، بأنه عليه أن يتزوج بزوجة دعيّه بعد طلاقها لإبطال سنة جاهلية خاطئة.

(۱) ۲- و اما الجملة الثانية التى هى بحاجة الى التوضيح فهى قوله تعالى: «وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ». غير أن هذا القسم من الآية هى الجملة الثانية الأقلّ إيهاما و غموضا من الجملة السابقة بدرجات، لأن تجاهل سنّة عريقة متجذرة فى بيئة منحرفة (و هى الزواج بمطلّقة الدعىّ) يقترن- بطبيعة الحال و حتما- بحرج نفسىّ يزول و يرتفع لدى الأنبياء بتوجههم إلى الأمر الالهى ..

و اذا كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يعانى من حرج نفسىّ شديد من هذه القضيّة فانما هو لأجل أنه صلّى اللّه عليه و آله كان يتصوّر أن جماعة العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلا، لم يمر على انقطاعهم عن عاداتهم و تقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير سيقولون: إن النبى ارتكب عملا سيّئا، و الحال أن الامر ليس كما يعتقدون.

قال العلامة الطباطبائى فى هذا الصدد: قوله: «لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج أدعيائهم لمّا قضوا منهن وطرا» تعليل للتزويج و بيان مصلحة للحكم. و قوله: و «كان أمر اللّه مفعولا» مشير الى تحقق الوقوع و تأكيد للحكم.

و من ذلك يظهر أن الذى كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يخفيه فى نفسه هو ما فرض اللّه له أن يتزوجها لا هواها، و حبه الشديد لها و هى بعد مزوّجة كما ذكره جمع من المفسرين، و اعتذروا بأنها حالة جبليّة لا يكاد يسلم منها البشر فإن فيه أولا: منع أن يكون بحيث يقوى عليه التربية الإلهية. و ثانيا: أنه لا معنى حينئذ للعتاب على كتمانه و إخفائه فى نفسه فلا مجوّز فى الإسلام لذكر حلائل الناس

---

(۱) الاحزاب: ۳۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴۴

و التشبّب بهن «۱».

و لما كانت المسألة مسألة وضع قانون جديد لهذا مضى القرآن الكريم يؤكدها و يزيل عنصر الغرابة عنها فقال تعالى: «ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ، وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً. ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً. وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً. تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً. يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً. وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً. وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً. وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى

اللّهِ وَ كَفى بِاللّهِ وَكِيلًا» «۲».

ففى هذه الآيات اشارة إلى:

۱- أن ما قام به النبى من التزوج بزينب كان بأمر اللّه، و كان على سبيل سنّ قانون و تشريع سنة و لكن بصورة عملية، و إن ذلك القانون علم اللّه ضرورتها و قدرها و زمانها و مكانها.

۲- أن زيدا ليس ابن محمّد صلّى اللّه عليه و آله انما هو متبنّاه و دعيّه بل هو ابن والده حارثة واقعا و حقيقة و ليس ذلك إلّا تقرير و تأكيد للحقيقة التى سبقت الاشارة إليها فى قوله تعالى: «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ».

۳- أن ما قام به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من التزوج بمطلّقة متبنّاه هو جزء من تشريعه الذى يشرّعه بأمر اللّه و إذنه تعالى لتسير عليه البشرية، وفق آخر رسالة السماء الى الأرض، لا أنه أمر واقع بدافع شخصى.

---

(۱) تفسير الميزان: ج ۱۶ ص ۳۴۳.

(۲) الاحزاب: ۳۸- ۴۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۴۵

۴- إن اللّه هو الذى يعلم ما يصلح لهذه البشرية و ما يصلحها و هو الذى فرض على النبىّ ما فرض ليحلّ للناس ازواج أدعيائهم اذا ما قضوا منهن وطرا و انتهت حاجتهم منهن و اطلقوا سراحهن. قضى اللّه هذا وفق علمه بكل شىء، و معرفته بالاصلح و الاوفق من النظم و الشرائع.

۵- إن ما سنّه اللّه للمسلمين و ما اختاره تعالى للامة الاسلامية فى مجال العلاقات العائلية يريد بها الخير و الخروج من الظلمات إلى النور، فعليهم ان يذكروه و يشكروه أبدا و دائما، فانه سيكون لهم لو أطاعوه و سبّحوه و ذكروه شأن فى الملأ الاعلى فهو يصلى عليهم و ملائكته، و يذكرهم هناك بالخير، و انما يفعل كل هذا من منطلق الرحمة و العناية بهم.

۶- أن وظيفة النبى صلّى اللّه عليه و آله فى المسلمين هى (الشهادة) عليهم، فليحسنوا العمل، و هى (التبشير) لهم بما ينتظر العاملين من رحمة و غفران، و (الانذار) للغافلين المسيئين بما ينتظرهم من عذاب و نكال، و (الدعوة الى اللّه) لا إلى دنيا أو مجد أو عزة قومية أو عصبيّة جاهلية، و ذلك باذن اللّه فما هو بمبتدع، و لا بقائل من عنده شيئا.

۷- ان على النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يبشّر المؤمنين المطيعين لاوامر اللّه بأن لهم فضلا كبيرا، و لا يطيع الكافرين، و المنافقين، و ألّا يحفل أذاهم له و للمؤمنين، و ان يتوكل على اللّه وحده و هو بنصره كفيل، و هو يوحى بأن المنافقين أرجفوا بالنبى صلّى اللّه عليه و آله فى هذه القضية، ارجافا عظيما.

و كل هذه الامور توحى بأن تغيير تلك السنة الجاهلية (عدم الزواج بمطلّقة المتبنّى) كانت عملية صعبة فاحتاجت إلى كل هذا التعقيب، و بالتالى تثبيت اللّه للنفوس فيه، كى تتلقى ذلك الأمر بالرضى و القبول و التسليم، و هذا هو الحال عند سنّ القوانين المهمّة و الخطيرة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۴۶

(۱) ۳۷

غزوة الاحزاب «۱» لقد قاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى السنة الخامسة مجموعة من الغزوات، كما و بعث سلسلة من السرايا لافشال المؤامرات التى كانت فى طور الانعقاد أو التكوين أو التى كانت محتملة من جانب العدو.

و إليك فيما يأتى بعض غزوات السنة الخامسة:

(۲) ۱- غزوة دومة الجندل «۲»: بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنّ بدومة الجندل جمعا كثيرا و أنهم يظلمون من مرّ بهم من

المسافرین و التجار، و أنهم یریـدون أن یـدنوا من المدینة، فخرج رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی ألف من المسـلمین، فکان یسـیر اللیل و یکمن النهار أخذ بعنصر الاستتار و السریة علی عادته.

و لما دنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من دومة الجندل و عرف به تلک الجماعة تفرقوا من فورهم فلم یجد صلّی اللّه علیه و آله بها أحدا، فأقام بها أیّاما و بثّ السرایا و الدوریّات و فرّقها حتی غابوا عنه یوما ثم رجعوا إلیه، و لم یصادفوا من

(۱) ذکر ابن هشـام فی سـیرته أن هـذه الغزوة وقعت فی شـهر شوال من السـنة الخامسـة للهجرة، و حیث إن غزوة الأـحزاب انتهت فی الرابع و العشـرین من شهر ذی القعدة، و طالت محاصرة المدینة شهرا واحدا لذلک یجب أن نقول إن هذه المعرکة بدأت منذ الرابع و العشرین من شهر شوال تقریبا.

(۲) المغازی: ج ۱ ص ۴۰۲، السیرة النبویة: ج ۳ ص ۲۱۳ و دومة الجندل منطقة بین دمشق و المدینة (الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۴۴).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۴۷

تلک الجماعة أحدا.

ثم إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عاد إلی المدینة فی العشرین من شهر ربیع الثانی، من دون ان یقاتل «۱».

(۱)

۲- غزوة الخندق (الأحزاب):

اشارة

أجلی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یهود بنی النضـیر فی السـنة الرابعة من الهجرة کما قلنا بسـبب نقضهم للمیثاق، و سیطر علی قسم من أموالهم و ممتلکاتهم، و اضطرّت بنو النضیر إلی أن تذهب الی «خیبر» و تسکن هناک، أو تسیر الی الشام.

و قد کان إجراء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله هذا متطابقا مع ما جاء فی المیثاق المعقود بینه و بین یهود یثرب.

و قد دفع هذا الإجراء بسادة بنی النضـیر و زعمائهم الی التآمر ضدّ الإسـلام، فقدموا مکة، و حرّضوا قریشا علی حرب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و إلیک مفصل هذه الغزوة:

عبّأ المشرکون العرب، و الیهود قواهم فی هذه المعرکة ضدّ الاسلام.

(۲) فقـد شـکّلوا اتّحادا نظامیا قویا و حاصـروا المدینة مدة شـهر واحد، و بما أن أحزابا مختلفة اشترکت فی هذه المعرکة سـمیت هذه المعرکـة بمعرکـة الأـحزاب، و ربما سـمّیت بمعرکـة «الخنـدق» لأن المسـلمین احتفروا خنـدقا حول المدینـة عظیما، دفاعا عنها، و منعا للکفار عن اجتیاحها.

و لقد کان زعماء بنی النضیر و بنی وائل- کما أسلفنا- هم المحرّکون الأصلیّون لهذه الحرب، و المشعلون الرئیسیون لفتیلها.

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۹۳ و ۱۹۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۴۸

فانّ الضـربة القویـة التی تلقاها یهود بنی النضـیر من المسـلمین، و التی اضـطرّوا علی أثرها الی مغادرة المدینـة، فسـکن بعضـهم خیبر، دفعهم إلی ان یخطّطوا بصورة جهنمیـة و دقیقـة لاستئصال شأفة الاسـلام، و القضاء علیه. و انها لخطّة عجیبة حقا، فقد جعلوا المسـلمین یواجهون طوائف متعددة و أحزاب مختلفة لم یعرف لها تاریخ العرب مثیلا!!

(۱) كما أن فى هـذه الخطة كان اليهود هم أنفسـهم المموّلون الاساسيون لطوائف العرب العديدة، فقد أمدّوهم بأموال كبيرة، و هيّئوا كل ما يحتاجون إليه من حاجات و معدات!!

و كانت الخطة كالتالى: قدم جماعة من سادة بنى النضير مثل «سلام بن أبى الحقيق» و «حيى بن أخطب» فى نفر من بنى النضير على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فلقد جئنا لخالقكم على عداوة محمّد و قتاله.

و قال حيى بن أخطب: إن محمّدا قد وتركم و وترنا و أجلانا من المدينة من ديارنا و أموالنا، و أجلا بنى عمّنا بنى قينقاع فسيروا فى الأرض، و اجمعوا حلفاءكم و غيرهم حتى نسير إليهم، فقد بقى من قومى بيثرب سبعمائة مقاتل و هم بنو قريظة، و بينهم و بين محمّد عهد و ميثاق و أنا أحملهم على نقض العهد بينهم و بين محمّد و يكونون معنا عليهم، فتأتونه انتم من فوق و هم من أسفل.

فأثّرت كلمات اليهود و ما قاله «حيى بن اخطب» فى نفوس المشركين الحانقين على رسول اللّه، و اصحابه، و استحسنوا خطتهم، و ابدوا استعدادهم للخروج إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قتاله. و لكنهم قبل أن يوافقوا اليهود على ذلك الرأى سألوهم قائلين: يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الأوّل، و العلم، أخبرونا عما اصبحنا نحن فيه و محمّد، ا فديننا خير أم دين محمّد؟

(۲) و يجب أن نرى الآن بما أجابت هذه الطائفة (التى كانت و لا تزال تعد نفسها حامل لواء التوحيد، الوحيد فى العالم) اولئك المشركين الجهلة الذين

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۴۹

وصفوا اليهود بالعلم و المعرفة، و طلبوا منهم حل مشكلتهم؟! «أجل لقد قال اليهود بوقاحة كبيرة: بل دينكم خير من دينه، و أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظّمون هذا البيت، و تقومون على السقاية، و تنحرون البدن، و تعبدون ما كان عليه آباؤكم، فانتم أولى بالحق منه!!! «۱».

و لقد أضافت اليهود بهذه الاجابة الوقحة و صمة عار اخرى الى سجلّهم الاسود، و زادوا تاريخهم المشؤوم سوادا، و سوء.

و لقد كانت هذه الغلطة فضيعة، و قبيحة الى درجة أنّ الكتّاب اليهود تأسّفوا لوقوعها، فى ما بعد.

(۱) فهذا هو الدكتور اسرائيل يكتب فى كتابه: (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) حول هذا الموقف المشين جدا قائلا: «كان من واجب هؤلاء ألا يتورّطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش، و الا يصرّحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامى و لوأدى بهم الأمر الى عدم اجابة مطالبهم كان من واجبهم أن يضحّوا بحياتهم و كل عزيز لديهم فى سبيل ان يخذلوا المشركين، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم و يناقضون تعاليم التوراة» «۲».

(۲) و فى الحقيقة أن هذا المنطق هو الذى يتوسّل به الساسة الماديون اليوم لإنجاح مقاصدهم، و تحقيق مآربهم. فهم يعتقدون- بكل جدّ- أن عليهم- لتحقيق أهدافهم- التوسل بكل وسيلة ممكنة مشروعة كانت أو غير مشروعة، و هذا هو مقولة «الغاية تبرر الوسيلة» التى طرحها ميكافيلى، و بالتالى فان «الاخلاق» فى منظور هذه الجماعة هو ما يخدم مصالحهم و يحقق أغراضهم ليس إلّا.

إن القرآن الكريم يتحدث عن هذه الواقعة المرة فيقول:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۱۷.

(۲) حياة محمّد: ص ۳۲۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۵۰

يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» «۱».

(۱) و لقد ترک کلام أدعیاء العلم و الدین هؤلاء، أثرا عجیبا فی نفوس المشرکین و عبدة الاوثان، فأظهروا موافقتهم علی خطّة الیهود الجهنمیة و هو تألیف جیش من قبائل متعددة لمقاتلة المسلمین و حدّدوا معهم موعدا للتوجه الی المدینة، لتحقیق ذلک الغرض المشؤوم.

فخرج مثیرو الفتنة و مشعلو الحرب (الیهود) من مکة بقلوب مملوءة سرورا، و غبطة، و ساروا الی نجد، لیتصلوا بقبیلة غطفان- و کانت من اعدی اعداء الاسلام- فاستجلبوا موافقة قبائل غطفان: بنی فزار، و بنی مرّة، و بنی اشجع، شریطة أن یعطونهم تمر خیبر، لمدة سنة، بعد الانتصار علی المسلمین، و لکن تحرکات قریش فی مجال ضمّ القبائل الی ذلک الجیش لم ینته الی هذا الحد فقد راسلت قریش حلفاءها من بنی سلیم و راسلت غطفان حلفاءها من بنی اسد، و دعوهم إلی المشارکة فی هذه الحرب، فاستجابت لهم تلک القبائل، و تحرکت جمیع هذه الفئات و الاحزاب فی جیش کبیر هائل قدمت عناصره من مختلف نقاط الجزیرة، نحو المدینة فی یوم معین و هی تبغی اجتیاح مرکز الاسلام، و استئصال شأفته!! «۲».

(۲)

استخبارات المسلمین ترفع تقریرا للقیادة:

منذ أن سکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی المدینة کان یبعث بجواسیسه و عیونه النشطین الاذکیاء الی مختلف مناطق الجزیرة، لتقصّی الأخبار، و مراقبة الأوضاع، و إخبار النبی صلّی اللّه علیه و آله بکلّ ما یحصلون علیه فی هذا المجال أولا بأول.

فقدم أحدهم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أخبره بخروج تلک القوة

---

(۱) النساء: ۵۱ و ۵۲.

(۲) المغازی: ج ۲ ص ۴۴۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۱

الکبیرة و مسیرها إلی المدینة، و بهدفها، و تاریخ خروجها، و وصولها إلی مشارف یثرب.

فرعا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أصحابه فورا و أخبرهم خبر عدوّهم، و شاورهم فی الامر، لیستفیدوا من تجارب «احد»، فاقترح جماعة منهم اسلوب التحصن، و القیام بالدّفاع من داخل القلاع و الحصون، و لکن هذا العمل لم یکن کافیا لأن جیش العدوّ کان کثیفا و کبیرا جدا و کان من المحتمل بقوّة أن تقوم عناصره الکثیرة، الکبیرة فی عددها بهدم الحصون و القلاع، و القضاء علی المسلمین، فلا بد اذن من اتخاذ وسیلة تمنع العدوّ من الاقتراب الی المدینة أصلا.

(۱) فقال سلمان الفارسی الذی کان عارفا بفنون القتال عند الفرس معرفة کاملة: یا رسول اللّه إنّا اذا کنّا بأرض فارس، و تخوّفنا الخیل، خندقنا حولنا، فهل لک یا رسول اللّه أن تخندق؟ «۱»

و فی روایة اخری أنه قال: یا رسول اللّه نحفر خندقا یکون بیننا و بینهم حجابا، فلا یمکنهم أن یأتونا من کل وجه، فانا کنّا معاشر العجم فی بلاد فارس اذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فیکون الحرب من مواضع معروفة «۲»، (أی محدودة).

فاعجب رأی سلمان المسلمین جمیعا، و کان لهذا التکتیک أثر جوهری و بارز جدا فی حفظ الاسلام و صیانة المسلمین.

(۲) و من الجدیر بالذکر أن النبی صلّی اللّه علیه و آله خرج بنفسه یدرس المنطقة میدانیا و لکی یحدّد المنطقة التی یمکن ان ینفذ من خلالها العدو فقرر ان یحفروا الخندق من ناحیة «احد» الی «راتج» و کان سائر المدینة مشبک بالبنیان و النخیل لا یتمکن العدو منها، و علّم الموضع الذی یجب ان یحفر بخط خطّه علی

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۴۴۵، تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۳۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۱۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۲

الأرض.

و لکی یتم هـذا الامر بنظام و سـرعة جعل علی کلّ عشـرین خطوة، و ثلاثین خطوة جماعة من المهاجرین و الانصار یحفرونه، فحملت المساحی و المعاول، و بـدأ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله نفسه و أخـذ معولا فحفر فی موضع المهاجرین بنفسه، و علیّ علیه السّـلام ینقل التراب من الحفرة حتی عرق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و عیی «۱» و هو یقول:

«لا عیش إلّا عیش الآخرة، اللّهم اغفر للأنصار و المهاجرة».

(۱) و قـد کشف رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بعمله هـذا عن جانب من نهـج الاسـلام و اسـلوبه، و فی ذلک تنشـیط الامـة و تقویة لعزائمهم فی مجال القیادة و اخلاق القائد، و أفهم المجتمع الاسلامی أنّ علی القائد الاسلامیّ، و علی إمام الامة أن یشارک الناس فی آلامهم کما یشارکهم فی آمالهم و یسعی أبـدا الی التخفیف عن کاهلهم بمشارکته العملیـة فی الأعمال، و لهـذا لما نظر الناس إلی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یحفر نشطوا و اجتهدوا فی الحفر، و نقلوا التراب، و لما کان الیوم الثانی بکّروا فی العمل، و کان ذلک النشاط العظیم عاملا فی أن ینـدفع یهود بنی قریظـة أیضا إلی مساعـدتهم فأعاروهم المساحی و الفؤوس و الأوعیة الکبیرة لنقل التراب «۲».

و کان المسـلمون یومئذ یعانون من نقص و ضـیق شدیدین فی المواد الغذائیة، و مع ذلک کان أصـحاب المکنة و الثراء من المسلمین یمدّونهم بالطعام و غیره «۳».

و ربما عرضت للمسلمین و هم یحفرون فی الخندق صخرة عظیمة عجزوا عن کسرها و إزالتها، فأخبروا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بذلک فأخذ معولا فکسرها و أزالها.

---

(۱) و جاء فی تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۴۸۹ انه (ص) کان ینقل التراب حتی اغبرّ بطنه.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۱۱.

(۳) السیرة الحلبیة: ج ۱ ص ۳۱۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۳

(۱) أما طول الخنـدق فکان بالنظر الی عـدد العاملین فی حفرها- و قد کان المسـلمون یومئذ ثلاثة آلاف حسب المشـهور، و کان کل عشرة یحفرون (۴۰) ذراعا- هو (۱۲۰۰۰) ذراعا ای ما یقارب خمس کیلومترات و نصف الکیلومتر، و أما العرض فکان بحیث لا یقدر الفرسان الماهرون من عبوره بالقفز بأفراسهم، فیکون عرضه بطبیعة الحال ما یقارب خمسة أمتار و عمقه خمسة أمتار أیضا.

(۲)

القولة النبویة الخالدة فی شأن سلمان:

عند ما قسّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المهاجرین و الانصار جماعات جماعات، و أوکل الی کل جماعة حفر موضع من الخندق، تنافس الناس یومئذ فی سلمان الفارسی و أراد کل أن یضمّه الی صفّه، فقال المهاجرون: سلمان منا و قالت الأنصار: سلمان منا و نحن أحق به!!

فبلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قولهم فقال قولته الخالدة فی شأن سلمان یومذاک:

«سلمان منّا أهل البیت» «۱».

ثم إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بقی الی جانب الخندق ستة لیال بأیّامها حتی فرغ المسلمون من عمل الخندق غیر أن المنافقین تخاذلوا فی هذه القضیّة و کانوا یتذرعون بأعذار مختلفة لیتملّصوا من العمل فی الخندق، و ربما کانوا یذهبون إلی منازلهم من دون أن یستأذنوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

أما المؤمنون الصادقون فکانوا یعملون باستمرار، و اذا ما احتاجوا إلی الذهاب إلی منازلهم أحیانا، أو جدّ لهم عذر استأذنوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأذن لهم ثم عادوا الی الخندق فور أن یرتفع عذرهم، و قد ذکر القرآن الکریم هذه القضیة فی سورة النور فی الآیات ۶۲ و ۶۳ اذ یقول تعالی:

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۴۴۶، الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۱۲۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۴

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا کانُوا مَعَهُ عَلی أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ یَذْهَبُوا حَتَّی یَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِینَ یَسْتَأْذِنُونَکَ أُولئِکَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوکَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ. لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَیْنَکُمْ کَدُعاءِ بَعْضِکُمْ بَعْضاً قَدْ یَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنْکُمْ لِواذاً فَلْیَحْذَرِ الَّذِینَ یُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِیبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ یُصِیبَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ».

(۱)

مقاتلوا العرب و الیهود یحاصرون المدینة:

و تتابعت أرتال الجیش العربیّ علی منطقة «احد» و علی مقربة من الخندق الذی کان قد تمّ انجازه قبل ستة أیام و قد کان الکفّار و من لف لفّهم یتوقعون أن یلتقوا جنود الإسلام عند جبل «احد»، و لکنهم لم یلقوا أحدا منهم هناک فتقدموا نحو المدینة حتی وصلوا الی الخندق، فلما نظروا الی الخندق الذی کان أشبه بحصن منیع یحفظ المدینة من الخطر، فوجئوا به و قالوا: هذه مکیدة ما کانت العرب تعرفها قبل ذلک ان هذا من تدبیر الفارسی الذی معه.

(۲)

العدد الدقیق لقوات الطرفین:

کان جیش العرب لا یتجاوز فی عدده عشرة آلاف، و قد استقروا خلف الخندق و سیوفهم تلمع و هی تخطف بلمعانها الابصار!

و کان عدد المشارکین فی هذه الجیش من قریش وحدها- علی روایة المقریزی فی الامتاع- (۴ آلاف) مقاتل، معهم (۳۰۰) فرس و (۱۵۰۰) بعیر.

و قد التحق بهم بنو سلیم- و هم من حلفاء قریش- فی (۷۰۰) رجل فی مر الظهران و کان من قبیلة بنی فزارة (۱۰۰۰) مقاتل و من قبائل اخری. مثل اشجع و بنی مرة کل واحد منهما (۴۰۰) مقاتل، و الباقی و هم ما یقارب (۳۵۰۰) مقاتل من بقیة القبائل، و علی هذا الاساس لم یکن المجموع لیتجاوز عشرة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۵

آلاف، و قد استقروا جمیعا فی مکان آخر.

(١) و أمّا عدد المسلمين فكان لا يتجاوز ثلاثة آلاف، و قد نزلوا فى سفح جبل سلع و هو موضع مرتفع، مشرف على الخندق و خارجه، إشرافا كاملا بحيث يمكن معه مراقبة جميع تحركات العدوّ و نشاطاته منه.

و قد و كل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله جماعة من أصحابه بحفظ الممرّات و نقاط العبور على الخندق و مراقبة تحركات العدوّ، و رصد عناصره. و بذلك كان المسلمون يملكون متراسا قويا طبيعيا، و غير طبيعى، اذ أن سائر المدينة كان مشبكا بالبنيان، و النخيل كما أسلفنا.

لقد حاصر الكفار «المدينة» ما يقرب من شهر واحد، و مكثوا خلف الخندق متحيّرين، و لم يستطع أن يعبر منهم الخندق الّا أفراد معدودون، فمن كان يفكر فى العبور رماه المسلمون بالحجارة، فولّى هاربا!!

و للمسلمين فى هذه الفترة قصص جميلة و مواقف رائعة مع عناصر الجيش العربى المعتدى ذكرتها صحائف التاريخ الاسلامى فى مواضعها «١».

(٢)

خطر البرد، و تناقص الغذاء و العلف:

صادفت غزوة الخندق فصل الشتاء و كانت المدينة قد أصيبت فى تلك السنة بقلة الغيث، و لذلك كانت تعانى من نقص فى الطعام.

كما أن طعام المشركين لم يكن هو الآخر يكفى لمدة طويلة، و لم يكن أحد منهم يتصور أن عليه أن يمكث خلف الخندق مدة شهر واحد، بل كان المشركون- جميعا- يرون- بادئ الامر- أنهم سيقضون بهجوم واحد واسع، على جنود الاسلام، و يجتاحون المدينة، و يستأصلون المسلمين!!

و لقد أدرك مثيرو هذه الحرب العدوانية (اليهود) هذه المشكلة بعد أيام،

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٥- ٢٢٨.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٢٥٦

فقد عرفوا بأن مضىّ الزمان سيقلّل من مقدرة سادة الجيش العربى و قادته على مقاومة القرّ، و قلة العلف و تناقص الطعام، و من هنا فكروا فى الاستعانة بيهود بنى قريظة داخل المدينة، ليشعلوا فتيل الحرب من داخل المدينة، و بذلك يمهّدوا السبيل لجيش العرب لغزو المدنية، و اجتياحها من الخارج!!

(١)

حيى بن أخطب يدخل حصن بنى قريظة:

كان بنو قريظة الطائفة اليهودية الوحيدة التى بقيت فى المدينة تعايش المسلمين فى سلام و أمن، و كانوا يحترمون الميثاق الذى عقدوه مع النبى صلّى اللّه عليه و آله، احتراما كاملا.

فرأى «حيىّ بن أخطب» أن طريق الانتصار يتوقف على الاستعانة بمن فى داخل المدينة لصالح المعتدين العرب و ذلك بأن يدعو يهود بنى قريظة الى نقض العهد الذى عاهدوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله به. ليشعل بذلك حربا بين المسلمين و يهود بنى قريظة و يشغل المسلمين بفتنة داخلية، و بذلك يمهّد لانتصار المشركين الذين يحاصرون المسلمين خلف الخندق.

و انطلاقا من هذه الفكرة أتى «حيىّ» الى حصن بنى قريظة و دق عليهم الباب و عرّف نفسه، فأمر رئيس بنى قريظة «كعب بن الاسد»

بان لا یفتحوا له الباب و لکنه أصر، و قال: ما یمنعک من فتح الباب إلا جشیشتک (أی خبزک) الذی فی التنور تخاف أن اشارککک فیها فافتح فانّک آمن من ذلک. فأثارت تلک الکلمات الجارحة حمیة کعب فأمر بأن یفتحوا له باب الحصن، ففتحوا له، فدخل مثیر الحرب المشؤوم «حییّ» و قال لکعب: یا کعب لقد جئتک بعزّ الدهر، هذه قریش فی قادتها وسادتها مع حلفائهم من کنانة، و هذه فزارة مع قادتها و سادتها، و هذه سلیم و غیرهم، و لا یفلت محمّد و أصحابه من هذا الجمع أبدا و قد تعاقدوا و تعاهدوا الّا یرجعوا حتی یستأصلوا محمّدا و من معه، فانقض العهد بینک و بین محمّد، و لا تردّ رأیی.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۷

(۱) فأجابه کعب قائلا: لقد جئتنی- و اللّه- بذلّ الدهر، و بسحاب یبرق و یرعد و لیس فیه شیء، و أنا فی بحر لجی لا أقدر علی أن أریم داری و مالی معی، و الصبیان و النساء، انی لم أر من محمّد إلّا صدقا و وفاء فارجع عنّی، فانه لا حاجة لی فیما جئتنی به.

و لکن حییّ بن أخطب لم یزل یراوض کعبا و یخاتله و یلحّ علیه کما یفعل صاحب الإبل الجامع الذی یستصعب علیه، حتی اقنعه بنقض عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هیّا لذلک، فقال: أنا أخشی أن لا یقتل محمّد و تنصرف قریش إلی بلادها، فما ذا نفعل حینذاک؟ فوعده حیی أن یدخل معه حصنه لیصیبه ما أصابه ان لم یقتل محمّد صلّی اللّه علیه و آله.

فقال کعب: دعنی اشاور رؤساء الیهود فدعا رؤساء الیهود و شیوخهم، و خبرهم الخبر، و حیی حاضر، و قال لهم کعب: ما ترون؟ فقالوا: أنت سیدنا، و المطاع فینا، و صاحب عهدنا و عقدنا فان نقضت نقضنا معک و إن أقمت أقمنا معک، و إن خرجت خرجنا معک.

(۲) فقال «الزبیر بن باطا» و کان شیخا کبیرا مجرّبا قد ذهب بصره: قد قرأت فی التوراة التی أنزلها اللّه فی سفرنا یبعث نبیّا فی آخر الزمان، یکون مخرجه بمکة، و مهاجره فی هذه البحیرة ... یبلغ سلطانه منقطع الخفّ و الحافر فان کان هذا (أی محمّد) هو فلا یهولنّه هؤلاء و لا جمعهم، و لو ناوی علی هذه الجبال الرواسی لغلبها.

فقال أخطب من فوره: لیس هذا ذاک، ذلک النبی من بنی إسرائیل، و هذا من العرب من ولد اسماعیل، و لا یکونوا بنو اسرائیل أتباعا لولد اسماعیل أبدا، لأنّ اللّه فضّلهم علی الناس جمیعا و جعل فیهم النبوة و الملک، و لیس مع محمّد آیة، و إنّما جمعهم جمعا و سحرهم!!

و لم یزل یقنّع بهم، و یقلّبهم عن رأیهم، و یلحّ علیهم حتی أجابوه، و رضوا بأن ینقضوا العهد الذی بینهم و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فقال: أخرجوا الکتاب الذی بینکم و بین محمّد، فأخرجوه، فأخذه و مزقه،

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۸

و قال: قد وقع الأمر، فتجهّزوا و تهیّأوا للقتال، و بذلک جعلهم أمام الامر الواقع الذی ظنوا أنه لا مفرّ منه!! «۱»

(۱)

النبی یعرف بنقض بنی قریظة للعهد:

بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن طریق جواسیسه الاذکیاء نقض بنی قریظة للعهد، فی مثل ذلک الظرف الحساس، فغمه غما شدیدا. فأمر من فوره «سعد بن معاذ» و «سعد بن عبادة»- و کانا من خیرة رجاله الشجعان و من قادة جیشه الممتازین، کما أنهما کانا رئیسی الأوس و الخزرج- بأن یحصّلا له علی معلومات دقیقة عن هذا الحادث، و أسبابه و ملابساته، و أنه اذا کان هناک خیانة و نقض للعهد فعلا أن یخبّراه وحده فقط و لا یخبرا أحدا به و یقولا: عضل و القارة لکیلا لا یفتّ ذلک أعضاد المسلمین و لا یضعف من معنویاتهم، و أما إذا لم تکن هناک خیانة، فیکذّبا الأمر بصراحة.

فذهب الرجلان، و اقتربا إلى حصن بنی قریظة، فأشرف علیهما کعب من داخل الحصن، فشتم سعدا و شتم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و بـذلک أظهر نقضه للعهـد و المیثاق فأجابه سعد- بالهام غیبی-: إنّما أنت ثعلب فی جحر، لتولّینّ قریش، و لیحاصـرنّک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لینزلنک علی الصغار و الذلّ و لیضربنّ عنقک.

ثم رجعا إلى رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فقالا له: عضل و القارة. فکبّر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قائلا برفیع صوته: «اللّه أکبر أبشروا یا معشر المسلمین بالفتح» «۲».

و هذه العبارات تکشف عن مبلغ شجاعة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۴۵۶، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۲۲ و ۲۲۳.

(۲) المغازی: ج ۲ ص ۴۵۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۵۹

و عمق سیاسـته، فقد قالها لکی لا تضـعف معنویة المسـلمین، و لا یتملکهم الخوف إذا سمعوا بنقض بنی قریظة للعهد، و هم فی تلک الظروف الحرجة الشدیدة أحوج ما یکونون إلى المعنویات العالیة، و الاحساس بروح النصر.

(۱)

تجاوزات بنی قریظة الاولیة:

کانت الخطـة المبدأیـة لبنی قریظـة تقضـی بأن یبدءوا عملهم الخیانی بالاغارة علی المدینة، و إرعاب النساء و الاطفال الموجودین فی البیوت و المنازل، و قد نفذت مراحل من هذه الخطة تدریجا!!

فقد أخذ بعض صنادید بنی قریظة یحومون حول بیوت المسلمین التی فیها اطفالهم و نساؤهم بصورة مشبوهة!!

(۲) تقول «صـفیة بنت عبد المطلب» عمة النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله: کنت فی فارع، حصن حسان بن ثابت و کان حسان بن ثابت معنا فیه، مع النسـاء و الصبیـان، فمرّ بنـا رجـل من یهود. فجعـل یطیف بالحصن، و قـد حاربت بنو قریظـة، و قطعت ما بینها و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لیس بیننا و بینهم أحد یدفع عنا، و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و المسلمون فی نحور عدوّهم، لا یستطیعون أن ینصـرفوا عنهم إلینـا إن أتانـا آت، فقلت لحسان: إن هـذا الیهودیّ کما تری یطیف بالحصن، و إنّی و اللّه ما آمنه أن یـدل علینا من وراءه من یهود، و قـد شـغل عنا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله، و أصـحابه، فانزل إلیه فاقتله، قال: یغفر اللّه لک یا ابنة عبد المطلب و اللّه لقـد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لی ذلک احتجزت «۱» (أی شددت وسـطی) ثم أخذت عمودا، ثم نزلت من الحصن إلیه فضـربته بـالعمود حتی قتلته، فلما فرغت منه رجعت الی الحصن فقلت: یا حسان انزل إلیه فاسـلبه فانه لم یمنعنی من سلبه، إلّا أنه رجل فقال حسان: ما لی بسلبه

---

(۱) و فی روایة: اعتجرت.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۶۰

حاجة یا ابنة عبد المطلب!! «۱».

(۱) و لما بلغ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله عن طریق عیونه علی الیهود أنهم نقضوا ما بینه و بینهم من العهـد و انهم طلبوا من قریش الف رجـل و من غطفـان ألف رجـل لیغیروا علی المدینـة عبر حصن الیهود، و کـان ذلـک فی مـا کـان المسـلمون منشـغلین بحراسـة الخنـدق، فعظم بهـذا الخبر البلاء و صـار الخوف علی الـذراری أشـد من الخوف علی أهل الخنـدق، بعث النبی صـلّی اللّه علیه و آله

مسلمة بن أسلم و زيد بن حارثة فی خمسمائة رجل يحرسون المدينة و يظهرون التكبير تحفظا على الجوارى من بنی قريظة «۲».
(۲)

الإيمان فی مواجهة الكفر:

لقد خاض المشركون حروبا عديدة ضدّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل معركة الأحزاب، و لكن العدوّ فی جميع تلك المعارك و الحروب كان من طائفة أو قبيلة واحدة، و لم يكن من عموم الجزيرة العربية، و من عموم القبائل، أی الاسلام لم يواجه فی تلك الحروب و الوقائع عدوانا شاملا من سكان الجزيرة.

و حيث إن أعداء الاسلام رغم الجهود الكبيرة لم ينجحوا فی القضاء على الحكومة الاسلامية الفتيّة، قرروا هذه المرة أن يستأصلوا الاسلام عن طريق اتّحاد عسكرى عريض، يضم كل قبائل الجزيرة العربية المشركة، و يرموا المسلمين بآخر سهم فی جعبتهم، من هنا عمدوا الى تعبئة أكبر قدر من المقاتلين، و استصرخوا أكبر قدر من القبائل و تحركوا فی جمع لم يعرف له تاريخ العرب و الجزيرة من نظير نحو المدينة لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. و لو لا تدبير المسلمين للدفاع عن المدينة لحقق العدوّ الحاقد أهدافه.

(۳) و لهذا جلب أعداء الاسلام معهم أكبر صنديد من صناديد العرب، و أشهر

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۲۸.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۱ ص ۳۱۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۶۱

بطل من أبطالهم و رأسوه عليهم، و هو عمرو بن عبد ود العامرى ليشدّوا به أزرهم، و يحققوا بسببه ما كانوا يأملونه من الظفر.

و على هذا الاساس كانت معركة الأحزاب مواجهة كاملة بين كل الكفر و كلّ الايمان، و خاصة عند ما تبارز بطل الاسلام و بطل الكفر و تواجها فی ساحة القتال.

(۱) و لقد كان الخندق الذى احتفره المسلمون سلفا من عوامل إخفاق المشركين، و كان العدوّ يحاول أن يعبر هذا الخندق فتطيف فرسانهم به ليل نهار و لكن دون جدوى، لانهم كانوا يواجهون فی كل مرة سهام الحرس الذى و كلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بحراسة الخندق، و رصد محاولات العدو لاجتيازه و افشالها فورا، و أيضا بفضل تدابير النبی القائد نفسه.

كان الشتاء و برده القارص فی تلك السنة و تناقص الطعام، و العلف يهدد جيش المشركين، و أنعامهم، و خيولهم فاستقرض حيى بن أخطب من بنی قريظة عشرين بعيرا محملة شعيرا و تمرا و تبنا تقوية لقريش، و لكن دورية من المسلمين صادفتها فی أثناء الطريق فصادرتها و أتوا بها الى النبی صلّى اللّه عليه و آله فتوسع بها أهل الخندق «۱».

(۲) و ذات يوم من أيام الانتظار وراء الخندق كتب أبو سفيان الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كتابا يقول فيه: إنی احلف باللات و العزى لقد سرت إليك فی جمعنا و إنّا نريد ألّا نعود إليك أبدا حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا، و جعلت مضايق و خنادق، فليت شعرى من علمك هذا؟ فان نرجع عنكم فلكم منّا يوم كيوم احد تبقر فيه النساء «۲».

(۳) فكتب إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «من محمّد رسول اللّه إلى أبی سفيان بن حرب ... أمّا بعد فقديما غرّك باللّه الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۳۲۳.

(۲) المغازى: ج ۲ ص ۴۹۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۶۲

إلینا فی جمعکم، و انک لا ترید أن تعود حتی تستأصلنا فذلک أمر اللّه یحول بینک و بینه، و یجعل لنا العاقبة و لیأتینّ علیک یوم تدافعنی بالراح، و لیاتینّ علیک یوم أکسر فیه اللات و العزّی و اساف، و نائلة، و هبل حتی اذکّرک ذلک» «۱».

(۱) و لقد وقعت إجابة الرسول الاکرم صلّی اللّه علیه و آله التی کانت تنبئ عن قوة إرادته و شدة عزیمته، و تصمیمه القاطع موقع السهم فی قلب زعیم المشرکین، و حیث إن قریش کانت تعتقد بصدق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فانّها اصیبت بهذا الرد الحاسم فی عزیمتها و نفسیتها، و لکنها مع ذلک لم تکفّ عن مواصلة عدوانها.

و ذات لیلة عزم «خالد بن الولید» علی أن یعبر بجماعته الخندق و لکنه اضطرّ الی التراجع عند ما واجه مقاومة شجاعة من مائتین من المسلمین بامرة «اسید بن حضیر» و قد کلّفهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالقیام علی شفیر الخندق، و دفع المشرکین و منعهم من العبور!!

ثم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لم یکن لیغفل عن تقویة عزائم المقاتلین المسلمین و رفع معنویاتهم، و لهذا کان یهیّئهم بخطبه الحماسیة، و کلماته المشجعة، الحاثة علی الجهاد و الاستقامة و الدفاع عن حیاض العقیدة و الایمان، و الذود عن صرح الحریة، و العدل.

فقد وقف ذات یوم خطیبا فی اجتماع کبیر من المسلمین و قال- بعد أن حمد اللّه و أثنی علیه-.

«أیّها النّاس إذا لقیتم العدوّ فاصبروا و اعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السیوف» «۲».

(۲)

أبطال من العرب یعبرون الخندق:

لبس خمسة من شجعان المشرکین هم: «عمرو بن عبد ود العامری»، «عکرمة

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۳۹ و ۲۴۰.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۳۲۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۶۳

بن أبی جهل»، «هبیرة بن وهب»، «نوفل بن عبد اللّه»، و «ضرار بن الخطاب» لامة الحرب، و وقفوا أمام بنی کنانة فی غرور عجیب، و قالوا: تهیّأوا یا بنی کنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان الیوم؟

ثم ضربوا خیولهم فعبرت بهم الخندق من مکان ضیق قد أغفله المسلمون، و لکنهم بادروا إلی محاصرة تلک الثغرة و منع غیرهم من العبور.

و کان الموضع الذی وقف فیه اولئک الشجعان الخمسة الذی عبروا الخندق للمبارزة یقع بین الخندق و جبل سلع حیث تمرکز جنود الاسلام «۱».

ثم أخذوا یدعون المسلمین إلی البراز، فی کبریاء و غرور کبیرین، و هم یقطعون ذلک الموضع جیئة و ذهابا بخیولهم!!

(۱) بید أنّ أشجع اولئک الخمسة و أجرأهم و أعرفهم بفنون القتال و هو: «عمرو بن عبد ود العامری» تقدم، و أخذ یرتجز داعیا المسلمین الی النزال و البراز قائلا:

و لقد بححت من النداءبجمعکم هل من مبارز

و وقفت إذ جبن المشجّعموقف البطل المناجز

إنّی کذلک لم أزل‌متسرّعا نحو الهزاهز

إن الســماحة و الشــجاعة فی الفتی خیر الغرائز فأحدثت نداءات عمرو الرهیبة حالة من الرعب، و الوجل الشدیدین فی معسکر المسلمین، و سکت الجمیع، و لم ینبسوا ببنت شفة رهبة و خوفا منه.

(۲) فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«أیکم یبرز إلی عمرو أضمن له الجنة»؟

و قد قالها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثلاث مرات، و فی کلّ مرة یقوم علیّ علیه السّلام و یقول: انا له یا رسول اللّه، و القوم ناکسوا رءوسهم «۲» او کأنّ المسلمین یومئذ علی رءوسهم الطیر لمکان عمرو و شجاعته، کما یقول الواقدی «۳».

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۳۹، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۸.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۴۸۶.

(۳) المغازی: ج ۲ ص ۴۷۰.

(۱) و لا بدّ أن تحلّ هذه المشکلة بید علی علیه السلام فارس میادین الحرب المقدام، و کان کذلک، فلما أبدی علیّ علیه السّلام استعداده الکامل لمقاتلة عمرو أعطاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سیفه و عممه بیده، و وجّهه صوب عمرو و قد دعا له قائلا: اللّهم أعنه علیه. و قال أیضا:

«اللّهم إنّک أخذت منّی عبیدة بن الحارث یوم بدر، و حمزة بن عبد المطلب یوم احد، و هذا أخی علی بن أبی طالب ربّ لا تذرنی فردا و أنت خیر الوارثین» «۱».

فبرز علیّ علیه السلام إلی عمرو یهرول فی مشیته، مبادرا إلیه دون ابطاء، و هنا قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلمته الخالدة فی تلک المواجهة:

«برز الإیمان کله إلی الشرک کلّه» «۲» و ارتجز علیه السّلام قائلا:

لا تعجلنّ فقد أتاک‌مجیب صوتک غیر عاجز

ذونیّة و بصیرةو الصدق منجی کل فائز

إنی لأرجو أن اقیم‌علیک نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء یبقی‌ذکرها عند الهزاهز (۲) و قد کان علیّ علیه السّلام مسربلا بالحدید لا یری منه إلّا عیناه من تحت المغفر، فأراد عمرو أن یعرف من برز إلیه فقال: من أنت؟

قال: أنا علیّ بن أبی طالب.

فقال عمرو: إنّی أکره أن اریق دمک، و اللّه إن أباک کان لی صدیقا و ندیما، ما أمن ابن عمک حین بعثک إلیّ أن اختطفک برمحی هذا فأترکک شائلا بین السماء و الأرض لا حیّ و لا میت.

فقال علیّ علیه السّلام: لکننی ما أکره و اللّه أن أهریق دمک، و قد علم ابن

---

(۱) کنز الفوائد: ص ۱۳۷.

(۲) تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۴۸۶ و ۴۸۷، بحار الأنوار، ج ۲۰ ص ۲۱۵.

عمى أنّك إن قتلتنى دخلت الجنهْ، و أنت فى النّار، و إن قتلتك فانت فى النّار و أنا فى الجنهْ.

فضحك عمرو و قال مستهزئا: كلتاهما لك يا علىّ، تلك إذا قسمهْ ضيزى.

(أى ناقصهْ جائرهْ).

(۱) يقول ابن أبى الحديد: كان شيخنا أبو الخير يقول اذا مررنا فى القراءهْ عليه بهذا الموضع: و اللّه ما أمر عمرو بن عبد ود عليا (عليه السّلام) بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفا منه، فقد عرف قتلاه ببدر و احد، و علم أنه إن ناهصه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء، و إنه لكاذب فيه «۱».

ثم إن عليا عليه السّلام ذكّر عمرا بعهد قطعه على نفسه فقال له:

يا عمرو إنّك كنت تقول فى الجاهليهْ: لا يدعونى أحد الى واحدهْ من ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدهْ منها و أنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إلى واحدهْ.

قال عمرو: أجل، فهاتها يا علىّ.

قال: تشهد أن لا إله الّا اللّه، و انّ محمّدا رسول اللّه، و تسلم لرب العالمين.

فقال عمرو: نحّ عنى هذا.

قال علىّ عليه السّلام: فالثانيهْ أن ترجع إلى بلادك، فان يك محمّد صادقا فأنتم أعلى به عينا و ان يك غير ذلك كفتكم ذؤبان العرب أمره.

(۲) فقال عمرو فى غرور عجيب: اذا تتحدّث نساء قريش بذلك، و ينشد الشعراء فىّ أشعارها انى جبنت، و رجعت على عقبى فى الحرب، و خذلت قوما رأسونى عليه.

فقال له على عليه السّلام: فالثالثهْ أن تنزل إلىّ فانك راكب و أنا راجل، حتى انابذك.

---

(۱) شرح نهج البلاغهْ لابن أبى الحديد: ج ۱۹ ص ۲۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۶۶

فقال عمرو: هذه خصلهْ ما ظننت أن أحدا من العرب يسومنى عليها، ثم وثب عن فرسه، و لكى يرعب عليّا عليه السّلام عرقب قوائم فرسه على عادهْ العرب فى الجاهليهْ «۱».

(۱)

تصاول البطلين:

و هنا بدأ تصاول شديد بين البطلين، و ارتفعت بينهما عجاجهْ حجبت الرؤيهْ، و انما كان الناس يسمعون فقط صوت اصطكاك السيوف و الدروع الحديديهْ و غيرها، و بعد فترهْ من التصاول بين ذينك البطلين العملاقين ضرب «عمرو» «أمير المؤمنين عليا» عليه السّلام بالسيف على رأسه، فاتقاه على عليه السّلام بالدرقهْ فقطعها، و شجّت الضربهْ رأسه ففاجأه علىّ عليه السّلام بضربهْ قويهْ على ساقيه فقطعهما جميعا، ثم انكشفت العجاجهْ فنظر المسلمون فاذا علىّ عليه السّلام على صدر عدوّ اللّه يريد أن يذبحه. و ارتفع صوت علىّ بالتكبير من بين العجاجهْ يعلن عن انتصاره، و مقتل عمرو.

فألقى هلاك فارس العرب الاكبر «عمرو بن عبد ود» رعبا عجيبا فى نفوس بقيه الابطال و الشجعان الذين عبروا معه الخندق، فهربوا راجعين الى معسكرهم، إلّا «نوفل» الذى سقط فرسه فى الخندق، و هوى هو إلى الارض بشدهْ، فرماه حرس الخندق بالحجارهْ فقال: قتلهْ أجمل من هذا، ينزل إلىّ بعضكم فأقاتله، فنزل إليه علىّ عليه السّلام فضربه حتى قتله فى الخندق «۲».

فهيمن الخوف و الرعب على كل أرجاء المعسكر العربى المشرك، و بهت أبو سفيان أكثر من غيره.

ثم إنه كان يتصور أن المسلمين سيمثّلون بجسد «نوفل» انتقاما لحمزة الذى

---

(۱) المغازى: ج ۲ ص ۴۷۰ و ۴۷۱.

(۲) بحار الأنوار، ج ۲۰ ص ۲۵۶، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۴۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۶۷

مثل به فى احد، فبعث إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من يشترى جثته بعشرة آلاف فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

«هو لكم، لا ناكل ثمن الموتى» «۱».

(۱)

قيمة هذه الضربة:

لقد قتل علىّ عليه السّلام- حسب الظاهر- رجلا شجاعا لا أكثر، بيد أنه بضربته لعمرو و بقتله إياه أحيا- فى الحقيقة- كل من أرعبته نداءات عمرو المهدّدة، من المسلمين، و القى رعبا كبيرا فى نفوس جيش قوامه (۱۰ /۰۰۰ ۱۰) رجل تعاهدوا و تعاقدوا على محو الاسلام و استئصال الحكومة الاسلامية الفتية. و لو أن الانتصار كان يحالف عمرا لعرفنا حينئذ قيمة هذه التضحية الكبرى التى قام بها علىّ عليه السّلام.

و عند ما عاد علىّ عليه السّلام ظافرا منتصرا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

و قيل إنه قال:

«لو وزن اليوم عملك بعمل جميع امة محمّد لرجح عملك على عملهم و ذاك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا و قد دخله ذل بقتل عمرو، و لم يبق بيت من المسلمين إلّا و قد دخله عز بقتل عمرو» «۲».

و بذلك كشف عن أهمية الضربة التى أوقعها على عليه السّلام بعمرو فى تلك الواقعة.

لما ذا التنكر لهذا الموقف؟

و يحق لنا هنا أن نستغرب تنكر بعض المؤرخين أو تجاهلهم لهذا الموقف

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۲۰ ص ۲۰۵.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۱۶، مستدرك الحاكم: ج ۳ ص ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۶۸

العظيم الذى أدى إلى هزيمة المشركين، و الاحزاب فى معركة الخندق هزيمة نكراء، كل واحد بشكل من الاشكال و صورة من الصور:

فهذا ابن هشام رغم اسهابه فى بعض الامور التاريخية ممّا لا قيمة له بعد أن يذكر مقتل «عمرو» على يد بطل الاسلام الخالد علىّ عليه السّلام من دون أن يذكر ما قاله النبى صلّى اللّه عليه و آله عند مطالبة عمرو بالمنازل و المبارز، ذكر أبياتا قالها علىّ عليه فى المقام ثم

يشككك فى نسبتها إليه عليه السّلام «۱».

و هكذا ابن الاثير رغم اهتمامه بالدقائق التاريخية و وصفه لكتابه بالكامل نجده يحاول التقليل من أهمية هذا الموقف بصورة اخرى و هو أن عليّا خرج ضمن مجموعة لمقاتلة عمرو و ليس وحده.

و لكن المعلّقين على الطبعة المنيرية للكامل و التى أشرف عليها فضيلة الاستاذ عبد الوهاب النجار لم يرق لهم هذا الصنيع، و أبت عليهم ضمائرهم الحرّة أن يتركوا الرواية على حالها فقالوا فى الهامش: و روى السهيلى عن ابن اسحاق أن عمرا دعا المسلمين للمبارزة و عرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الأمر ثلاث مرات و لا يقوم إلّا علىّ كرم اللّه وجهه، و فى الثالثة قال له: انه عمرو قال: و ان كان عمرا، فنزل إليه، و قتله و كبر فكبّر المسلمون فرحا بقتله «۲».

و هذا ابن تيمية يحاول التنقيص من هذه الفضيلة و لكن بالضرب على وتر آخر حيث قال ان قول النبى صلّى اللّه عليه و آله فى شأن علىّ عليه السّلام لما قتل عمرا: «قتل علىّ لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين» من الاحاديث الموضوعة التى لم ترد فى شىء من الكتب التى يعتمد عليها بسند ضعيف، و كيف يكون قاتل كافر أفضل من عبادة الثقلين ... ثم قال: بل ان عمرو بن ود لم يعرف له ذكر إلّا فى هذه الغزوة.

فهو يحاول التقليل من شأن عمرو، و الايحاء بأنه لم يكن شيئا، فلا يكون

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۲۵.

(۲) الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۲۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۶۹

لقتله أهمية.

و لكن صاحب السيرة الحلبية الذى ينقل كل هذه العبارات عن ابن تيمية يرد عليه قائلا: و يرد قوله: «ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر إلّا فى هذه الغزوة» قول الأصل: و كان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد فلما كان يوم الخندق خرج معلما (أى جعل له علامة) ليعرف مكانه و يرى.

و يرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمسّ رأسه دهنا حتى يقتل محمّدا صلّى اللّه عليه و آله.

و استدلاله: و كيف يكون إلى آخره، فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين و خذلان الكافرين «۱».

و ما قاله صاحب السيرة الحلبية عن مشاركة عمرو فى معركة بدر يوافق ما جاء فى الكامل لابن الاثير الجزء ۲ الصفحة ۱۲۴ و يوافق أيضا ما جاء فى السيرة النبويّة الجزء ۲ الصفحة ۲۲۵.

(۱)

مروءة علىّ عليه السّلام و شهامته:

و لقد أحجم علىّ عليه السّلام عن سلب «عمرو بن عبد ود» درعه، و كان درعا غالية الثمن ليس للعرب، درع خير منها، و قد فعل ذلك مروءة، و ترفعا، فاعترض عليه بعض، حتى أن عمر بن الخطاب قال له: هلا استلبته درعه فانه ليس فى العرب درع مثلها؟ «۲».

و لما عرفت اخت عمرو بمقتله سألت عمن قتله، فاخبروها بأن عليا عليه السّلام هو الذى قتله فقالت لم يعد موته إلّا على يد كفؤ كريم، لا رقأت دمعتى إن هرقتها عليه، قتل الابطال، و بارز الاقران، و كانت منيته على يد كفؤ

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۳۲۰.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۳۲۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۷۰

کریم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا یا بنی عامر.

ثم انشأت تقول:

لو کان قاتل عمرو غیر قاتلهلکنت أبکی علیه آخر الأبد

لکنّ قاتل عمرو لا یعاب بهمن کان یدعی قدیما بیضة البلد «۱» و قد ذکر علیّ علیه السّلام صنیعه هذا فی أبیات أنشأها یوم الخندق إذ قال:

أ علیّ تقتحم الفوارس هکذا؟عنّی و عنها خبّروا أصحابی

أردیت عمرا إذ طغی بمهنّدصافی الحدید مجرّب قضاب

فصددت حین ترکته متجدّلاکالجذع بین دکادک و روابی

و عففت عن أثوابه و لو انّنی کنت المقطّر بزّنی أثوابی «۲» و الآن حان أن نری إلی أیّ مصیر آل أمر معسکر المشرکین بعد مقتل فارس العرب و شجاعها البارز.

(۱)

جیش العرب یتفرق فی موقفه:

لم یکن دافع جیش العرب و من عاونهم و مالأهم من الیهود الی محاربة الاسلام واحدا، فالیهود کانوا یخشون من اتساع رقعة الحکومة الاسلامیة الفتیة، المتزائد، و اما دافع قریش فکان هو العداء القدیم للاسلام و المسلمین. و أما قبائل «غطفان» و «فزارة» و غیرها من القبائل فلم یحرّکها إلّا الطمع فی محاصیل «خیبر» التی وعدهم بها الیهود.

فعلی هذا الاساس لم یکن محرّک «الأحزاب» المشارکة فی جیش الشرک أمرا واحدا، فقد کان محرّک الطوائف الأخیرة أمرا مادیا، و لو أنّ هذا الهدف تحقّق عن طریق المسلمین لعادت هذه القبائل إلی أوطانها مسرورة راضیة، و خاصّة أن البرد، و قلّة الطعام، و العلف، و طول مدّة المحاصرة قد أوجدت فی

---

(۱) مستدرک الحاکم: ج ۳ ص ۳۳.

(۲) المستدرک علی الصحیحین: ج ۳ ص ۳۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۷۱

نفوسهم کللا و مللا، من جهة، و عرّضت أنعامهم لخطر الهلاک و الفناء من ناحیة اخری.

(۱) من هنا کلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جماعة بأن یتصلوا بهذه القبائل (الأخیرة) و یذکروا لهم بأنّ المسلمین مستعدّون لإعطائهم ثلث تمر المدینة إن هم ترکوا قریشا و عادوا إلی دیارهم، فأعدّوا عهدا و جاءوا به إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیمضیه، و لکنه شاور فیه سعد بن معاذ، و سعد بن عبادة قبل أن یمضیه، فقالا: یا رسول اللّه إن کان أمرا من السماء فامض له، و ان کان أمرا لم تؤمر فیه فان الرأی عندنا هو السیف، فإنهم ما طمعوا بهذا منّا قطّ فی الجاهلیة أن یأخذوا تمرة، الا بشری أو قری، فحین أتانا اللّه تعالی بک، و أکرمنا بک، و هدانا بک نعطی الدنیّة؟ لا نعطیهم أبدا إلّا السیف؟

(۲) فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مبیّنا علة إقدامه علی مثل هذا الصلح:

«إنی رأیت العرب رمتکم عن قوس واحدة، فقلت ارضیهم و لا- أقاتلهم، الآن قد عرفت ما عندکم فکونوا علی ما أنتم علیه، فان اللّه

تعالى لن يخذل نبيّه، و لن يسلمه حتى ينجز له ما وعده» «۱».

فمحى سعد بن معاذ ما فى الصحيفة باذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: ليجهدوا علينا «۲».

و بهذا كشف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن صفحة اخرى من سياسته الحكيمة، فقد كان إقدامه على ثنى القبائل المتحالفة مع قريش فى جيش الاحزاب باعطاء بعض التنازلات المادية (لا المعنوية) و تحييدها خطوة سياسية و عسكرية صحيحة، و رائعة، و كان مشورته مع أصحابه من الانصار (خاصة) عملا حكيما أيضا لانه استشار بذلك هممهم، و شدّ من عزائمهم، فوعدوا

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۲۳، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۵۲.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۳۶ و جاء فيه انه (ص) استشار سعد بن معاذ و سعد بن عبادة خفية.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۷۲

بالصمود و المقاومة فى ذلك الظرف العصيب و عدم تقديم اية تنازلات و لهذا انصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن ما اراد أولا، فكان مجموع هذه الخطوات عملا حكيما جدا، يكشف عن حنكة سياسية عظيمة، و دراية عسكرية عميقة.

(۱)

العوامل التى فرقت كلمة «الاحزاب»:

هناك عوامل عديدة تسببت فى تفرق الجيش العربى الذى زحف إلى المدينة لاجتياحها، و انقسام الاحزاب على أنفسهم، و إليك أبرزها:

(۲) ۱- إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع سادة غطفان و فزارة، لأن هذه المعاهدة و إن لم توقع إلّا أنها لم تنقض، فتسبّب ذلك فى أن يختلفوا مع قريش فى الرأى، أى اجتياح المدينة و بشكل من الاشكال و ان لا يقدموا على أى إجراء عسكرىّ مع غيرهم انتظارا للتوقيع على تلك المعاهدة، و لهذا كلّما طلبت القيادة القرشية منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الاعذار تملّصا من ذلك الطلب.

(۳) ۲- مصرع «عمرو بن عبد ود» فارس العرب الأكبر الذى كان الأغلبية فى ذلك الجيش يعلّقون عليه آمالهم فى الانتصار على المسلمين. فلما قتل تملّك الجميع رعب غريب و انهارت آمالهم، و بخاصة عند ما هرب زملاؤه الشجعان من وجه علىّ عليه السّلام خوفا، و رهبة.

(۴) ۳- ما لعبه «نعيم بن مسعود» الذى أسلم حديثا، من دور فى إلقاء روح الشك و الفرقة بين يهود بنى قريظة و جيش «الاحزاب»، فقد قام بهذا الدور بشكل رائع، تماما كما يفعله الجواسيس المنظّمون فى عصرنا الحاضر، بل كان ما فعله أفضل و أكبر تأثيرا و عطاء.

فقد أتى «نعيم» هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال يا رسول اللّه؛ قد أسلمت، و إن قومى لم يعلموا باسلامى، فمرنى بما شئت.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۷۳

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنّا ما استطعت (أى ادخل بين القوم حتى يخذّل بعضهم بعضا). فان الحرب خدعة».

(۱) فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة، و كان لهم نديما فى الجاهليّة، فقال: يا بنى قريظة قد عرفتم ودّى، و خاصّة ما بينى و بينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتّهم.

فقال: إنّ قريشا و غطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، و ان قريشا و غطفان قد جاءوا لحرب محمّد و أصحابه، و قد ظاهرتموهم عليه، و بلدهم و أموالهم و نساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فان رأوا

نهزة أصابوهـا، و إن كـان غير ذلـك لحقوا ببلادهم، و خلّوا بينكم و بين محمّـد، و لا طاقة لكم به. إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن تقاتلوا معهم محمّدا حتى تناجزوه.

فقالوا: لقد أشرت بالرأى.

(۲) ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبى سفيان بن حرب و من معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّى لكم، و فراقى لمحمّـد، و انه قد بلغنى أمر قد رأيت علىّ حقا أن أبلغكموه، نصحا لكم فاكتموا عنى. فقالوا: نفعل.

قال: اعلموا أنّ معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمّد، و قد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين، من قريش و غطفان رجالا ـ من اشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

(۳) ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى و عشيرتى، و أحب الناس إلىّ، و لا أراكم تتهمونى، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال

سيد المرسلين ،ج ۲،ص:۲۷۴

فاكتموا عنى، قالوا: نفعل فما أمرك، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش و حذّرهم ما حذّرهم.

و هكذا أدّى «نعيم» وظيفته بأحسن صورة ثم دخل سرا فى جيش المسلمين، و اشاع بين المسلمين أنّ بنى قريظة تنوى أخذ رجال من المشركين لتسليمهم الى النبى و المسلمين.

و قد كان يقصد من اشاعة هذا النبأ أن يبلغ مسامع رؤساء العرب و قادتهم.

(۱)

مبعوثو قريش يمشون إلى بنى قريظة:

و لما كانت ليلة السبت قرّر أبو سفيان ان يحسم الموقف بشكل من الأشكال فأرسل إلى بنى قريظة جماعة من سادة قريش و غطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف و الحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمّدا، و نفرغ ممّا بيننا و بينه.

فأرسل بنو قريظة إليهم: إن اليوم يوم السبت، و هو يوم لا نعمل فيه شيئا، و قد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم، و لسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم محمّـدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمّدا، فاننا نخشى إن ضرستكم الحرب، و اشتدّ عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم و تتركونا، و الرجل فى بلدنا و لا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان: و اللّه إن الّذى حدّثكم نعيم بن مسعود لحق.

فارسلوا إلى بنى قريظة من يقول لهم: إنا و اللّه لا ندفع إليكم رجلا واحدا، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة- حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها، و ان كان

سيد المرسلين ،ج ۲،ص:۲۷۵

غير ذلك أسرعوا إلى بلادهم و خلّوا بيننا و بين محمّد. فى بلدنا «۱».

و هكذا انسحبت بنو قريظة من الأحزاب و أوقع اللّه التخاذل بينهم، و تفرّقوا، و تمزق شملهم، و كان ذلك من عوامل فشل الاحزاب، و تقهقرهم و رجوعهم خائبين.

(۱)

آخر العوامل لهزيمة الكفار:

لقد انضمت العوامل المذكورة إلى عامل آخر يمكن تسميته- في الحقيقة- بالامداد الغيبيّ ففرقت جماعة الاحزاب، و شتّت جماعتهم و ذلك العامل هو أن اللّه تعالى بعث عليهم فجأة الريح و العاصفة، و اشتدّ البرد، و كان اشتداد الريح كبيرا بحيث أكفأ قدورهم، و اقتلع خيامهم و مضاربهم، و أطفأ أضواءهم، و أوجد حريقا في الصحراء.

و هنا أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حذيفة أن يعبر الخندق، و يأتيه بخبر عن أحوال المشركين و من مالأهم من الاحزاب.

يقول حذيفة: فذهبت فدخلت في القوم و الريح و جنود اللّه تفعل ما تفعل بهم لا تقرّ لهم قدرا، و لا نارا و لا بناء، فسمعت أبا سفيان يقول، و قد قام في جماعة من قريش: يا معشر قريش إنكم و اللّه ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع و الخفّ، و أخلفتنا بنو قريظة و لقينا من شدّة الريح ما ترون ما تطمئنّ لنا قدر، و لا تقوم لنا نار، و لا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا إني مرتحل.

ثم قام إلى جمله- و هو معقول- فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فو اللّه ما أطلق مقاله إلّا و هو قائم من شدّة الدهش و الخوف!!

و لم يسفر الصبح إلّا و أسرعت قريش و غطفان عائدين إلى بلادهم يجرّون أذيال الخيبة، و لم يبق منهم أحد هناك.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۳۹- ۲۳۱، تاريخ الطبري: ج ۲ ص ۲۴۲ و ۲۴۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۷۶

و هكذا انتهت معركة الاحزاب في الرابع و العشرين من شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة «۱».

القرآن الكريم و معركة الاحزاب

و لقد أشار القرآن الكريم إلى أبرز النقاط في معركة الأحزاب (الخندق) ضمن سبع عشرة آية و ها نحن ندرجها برمتها و نشير باختصار إلى ما تضمنته من حقائق:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً. إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً. وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً. وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيراً وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا. قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً يَحْسَبُونَ سيد المرسلين ج۲ ۲۷۶ القرآن الكريم و معركة الاحزاب ..... ص : ۲۷۶

---

(۱) تاريخ الطبري: ج ۲ ص ۲۴۴، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۳۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۷۷

الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا. لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً. وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً». «۱».

و يمكن تقسيم هذه الآيات الى ثلاثة أقسام:

القسم الاول و هى الآيات التى ترسم الوضع العام للمسلمين عند ما أتتهم عساكر الاحزاب.

القسم الثانى و هى الآيات التى تتعرض لذكر موقف المنافقين و ضعاف الايمان.

القسم الثالث و هى الآيات التى تتعرض لذكر موقف المؤمنين الصادقين.

و إليك بيانا لمفاد هذه الآيات على وجه الاختصار.

۱- تبدأ هذه المجموعة من الآيات بتذكير المؤمنين- فى الآية الاولى- بنعمة اللّه عليهم أن ردّ عنهم الجيش الذى قصد استئصالهم لو لا عناية اللّه و مدده العظيم، و فى هذا إشعار قوى بأن اللّه هو الذى يحمى القائمين على دعوته و منهجه من عدوان الكافرين و المتآمرين.

۲- ثم تشرح الآية الثانية الحالة العسكرية الخطيرة التى كان يواجهها المسلمون، فهم محاصرون من قبل الاعداء و المتواطئين معهم من كل جهة محاصرة

---

(۱) الأحزاب: ۹- ۲۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۷۸

ألقت الرعب فى قلوب الكثيرين من أهل المدينة فزاغت الابصار هولا، و بلغ القلوب الحناجر خوفا، و ظنّ البعض أن ما أعطاهم اللّه و رسوله من الوعد بالتأييد و النصرة لم يكن صحيحا.

۳- ثم تحدثت الآية الثالثة عن الابتلاء و الاختبار الذى أفرزه هذا الوضع الخطير، فقد ابتلى المسلمون فى هذه الواقعة، و تملكهم خوف شديد.

۴- و لكن المنافقين، و الذين فى قلوبهم مرض كانوا أشد هولا و خوفا حتى أن ذلك الكرب و الهول أخرج خبيئة نفوسهم، فشككوا فى وعود اللّه الصادقة، و قالوا: ما وعدنا اللّه إلّا غرورا، فهو خدعنا إذ وعدنا بالغلبة على أعدائنا.

۵- و لم يكتف المنافقون باشاعة هذه التشكيكات بين المسلمين بل دعوا أهل المدينة إلى الانسحاب من الميدان إلى داخل المدينة، و بالتالى حرّضوهم على ترك الصفوف. و احتجوا لذلك بالخوف على النساء و الصبيان من كيد الاعداء قائلين: «بيوتنا عورة» و هم لا يريدون إلّا الفرار جبنا و خوفا.

۶- ثم تكشف الآية السادسة و السابعة عن حقيقة ما فى نفوس اولئك المنافقين، فهم لا يريدون الانسحاب إلى داخل المدينة للمحافظة على الذرارى و الصبيان، انما هو نقض العهد، و خلف الوعد و فقدان الايمان القلبى فهم اذا دخل عليهم العدوّ المدينة و طلبوا منهم الرجوع عن الاسلام لرجعوا إلى الكفر دون تأخير. و لكن اللّه سيسألهم عن العهد الذى أعطوه من قبل بأن يثبتوا امام العدو، و كان عهد اللّه مسئولا».

۷- ثم إن اللّه تعالى يوبخهم- فى الآية فى الآيات اللاحقة- على موقفهم المتخاذل هذا، و يقول لهم: بأن الفرار و الانسحاب لن ينجيهم من الموت ان كان مقدّرا عليهم، و حتى لو عاشوا أياما فلن يعيشوها فى خير و أمان.

كما و يقول لهم: بأن اللّه لا يخفى عليه ما يقومون به من تخذيل و عرقلة لمسيرة الاسلام الصاعدة، و لا تخفى عليه سبحانه مواقفهم فى أوقات المحنة، من كف الايدى عن مساعدة المؤمنين، أو سلقهم بألسنتهم و تحميلهم عوامل المحنة و الشدة،

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۷۹

حتى بعد الانتصار.

و هنا يبدو و يبرز دور المنافقين، و تظهر حالاتهم العجيبة فى الحرب و السلم.

فهم يخافون خوفا شديدا، و هم يظنون باللّه ظن السوء و هم يشيعون الخوف و روح الهزيمة فى الناس و هم ينسحبون و يدعون إلى الانسحاب من الصفوف و هم مستعدون فى كل وقت للارتداد و الرجوع عن الاسلام الى الكفر، و هم بالتالى اشحة بخلاء، فى نفوسهم كزازة على المسلمين كزازة بالجهد و كزازة بالمال و كزازة بالعواطف و المشاعر على السواء.

۸- إنهم لكونهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الايمان و لم يهتدوا بنوره يفقدون الشجاعة و القوة حتى بعد ذهاب عوامل الخوف و الهول.

فهم ما يزالون يرتعشون، و يتخاذلون، و يأبون أن يصدقوا أن الاحزاب قد ذهبت و ولّت مهزومة. و يودون لو أن الاحزاب دخلت المدينة أن لا يكونوا فيها مبالغة فى النجاة من الأهوال!!

۹- و لكن فى مقابلة هذا الفريق المتخاذل الجبان يرسم القرآن الكريم فى الآيات ۲۱ إلى ۲۵ صورة المؤمنين الصادقين و فى مقدمتهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله القدوة الحسنة لجميع المسلمين فى جميع الحالات و الظروف.

فان هذه الجماعة المؤمنة الصادقة لما رأت الاحزاب قالت: هذا ما وعدنا اللّه و رسوله، هذا الهول لا بد أن يجىء فيه النصر فهو وعد اللّه الصادق المحقق.

فصمدوا و صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، فجزاهم اللّه بصدقهم إذ ردّ الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيرا و كفى اللّه المؤمنين القتال، و كان اللّه قويا عزيزا خلافا لما ظنه المنافقون، و توهموه.

و قد كانت هذه الواقعة فى منظور القرآن الكريم امتحانا عظيما، و اختبارا دقيقا للنفوس و القلوب و هو امتحان لا بد منه حتى يتميز الصادق عن المنافق، و الموفون بعهدهم و الناقضون له.

كما أن هذه الواقعة و ما جاء حولها من الآيات كشفت عن أن وعود اللّه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۰

صادقة و محققة اذا توفرت شرائطها، و مقدماتها، و منها استخدام الوسائل الطبيعية المناسبة، و الاتكال على اللّه و استمداد العون منه.

و فى هذه الآيات إشارة إلى دور ما يسمى الآن بالطابور الخامس و إلى خطورة الشائعات السيئة فى المجتمع، و بخاصة فى ظروف الحرب.

كما أن فيها اشارة إلى كيفية مواجهة هذه الشائعات و التعامل مع فعاليات هذا الفريق الخطر.

و لقد لاحظنا خلال ما مضى من السيرة كيف أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يبطل بتكتيكاته العسكرية مفعول تلك النشاطات التخريبية و المضرة.

فقد كان يعتمد اسلوب الدعاء، و الذكر، و التشجيع، و التكبير، و ارسال الدوريات العسكرية و العمل المباشر و المشاركة الفعلية فى عمليات الدفاع و الحراسة و ما شاكل ذلك ممّا ذكرناه و ممّا لم تسع هذه الدراسة لذكره.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۱

حوادث السنة الخامسة من الهجرة (۱)

۳۸ سقوط آخر أوكار الفساد و المؤامرة

اشارة

أقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى السنة الاولى من هجرته الى المدينة، على تنظيم و عقد ميثاق تعايش بين سكان المدينة و ما حولها، بغية إنهاء جميع أشكال الاختلاف، و التنازع، و الصراع الداخلىّ.

و قد تعهّد الأوسيّون و الخزرجيّون، عامة و اليهود من تينك القبيلتين أن يدافعوا عن المدينة و ما حولها، و قد مرّ النص الكامل لهذا الميثاق على القارئ الكريم فيما سبق «۱».

هذا من ناحية.

(۲) و من ناحية اخرى عقد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بينه و بين يهود المدينة ميثاقا آخر ينصّ على أنّ مختلف الطوائف اليهودية تتعهد بأن لا تلحق أىّ ضرر و أذى برسول اللّه و أصحابه، و لا تمدّ أعداءهم بالخيل و السلاح، و أنها لو فعلت شيئا من ذلك يكون لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الحق فى أن يقتلهم، و يسبى نساءهم و أبناءهم.

إلّا أنّ جميع الطوائف اليهودية الثلاث نقضت الميثاق المذكور بشتى العناوين و الصور، و تجاهلت بنوده، و مواده!

فقد قتل «بنو قينقاع» مسلما، و خطّطت «بنو النضير» لاغتيال رسول اللّه

---

(۱) راجع صفحة ۲۱ من هذا الجزء.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۲

صلّى اللّه عليه و آله، و أجبرهم على الجلاء من المدينة و أخرجهم من البيئة الاسلامية.

و تعاونت «بنو قريظة» مع جيش المشركين لضرب المسلمين، و طعنهم من الخلف، و الآن يجب أن نرى كيف يوبخ رسول اللّه بنى قريظة على نقضهم للميثاق.

قوات الاسلام تحاصر بنى قريظة:

(۱) لم يكن الصبح قد أسفر بعد عند ما غادرت آخر مجموعة من جنود «الأحزاب» أرض المدينة قافلة إلى بلادها مرعوبة فزعة للغاية. كما أن آثار التعب و الارهاق لم تكن قد فارقت بعد ملامح المسلمين، و مع ذلك فقد أمر اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و آله بأن يعالج قضيّة «بنى قريظة» بصورة نهائية، فأذّن مؤذّن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و صلّى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالمسلمين صلاة الظهر، ثم نادى منادى النبى صلّى اللّه عليه و آله فى الناس:

من كان سامعا مطيعا فلا يصلينّ العصر إلّا ببنى قريظة!

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قدّم «علىّ بن أبى طالب» برايته «۱»، و خرج معه جنود الإسلام الشجعان، فحاصروا حصون «بنى قريظة»، فأخبرهم ديرانيهم بنشاط المسلمين، فبادروا إلى اغلاق أبواب الحصون، و التحصّن فى داخلها، و نشبت الحرب بين بنى قريظة و المسلمين من اللحظات الاولى فقد أخذ اليهود يشتمون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالوا فيه مقالة قبيحة فرجع علىّ عليه السّلام بالمسلمين فالتقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الطريق و قد كره أن يسمع النبى صلّى اللّه عليه و آله أذاهم و شتمهم و حاول أن يثنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الاقتراب إلى حصن بنى قريظة قائلا: لا عليك أن تدنو

---

(۱) زاد المعاد: ج ۲ ص ۷۳، و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۴۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۳

من هؤلاء الاخابث.

فلما عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بسبب ذلك قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من حصونهم قال لهم:

«هل أخزاكم اللّه و أنزل عليكم نقمته»؟

و قد كانت ردة فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الشديدة غير متوقعة لليهود، و من هنا قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا .. و هم يريدون بذلك إطفاء مشاعره الملتهبة ضدّهم «۱».

فأثارت كلمتهم هذه عاطفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بحيث رجع من غير اختيار، و سقط رداؤه من كتفه.

(۱)

اليهود يتشاورون حول الموقف:

تشاور يهود بنو قريظة و هم معتصمون بحصونهم فى الموقف، و قد شارك فيه «حيى بن أخطب» مثير معركة الأحزاب، فانه لم يذهب إلى خيبر بعد أن وضعت الحرب- فى معركة الاحزاب- أوزارها و ولى العرب المشركون بل دخل فى حصون بنى قريظة.

هذا و قد طرح زعيم بنى قريظة ثلاثة اقتراحات و طلب من الجميع أن يتفقوا على واحدة منها لمعالجة الموقف:

(۲) ۱- أن يؤمنوا برسول اللّه، و يصدّقونه لأنه قد تبيّن لهم أنه نبى مرسل، و أنه الّذى يجدونه فى كتابهم، و بذلك يأمنون على دمائهم و أموالهم و نسائهم و أبنائهم.

(۳) ۲- أن يقتلوا أبناءهم و نساءهم ثم يخرجوا إلى محمّد و أصحابه يقاتلونهم، فإذا هلكوا، هلكوا و لم يتركوا وراءهم نسلا يخشى عليه، و إن انتصروا تزوجوا

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۳۴، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۴۵ و ۲۴۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۴

من جديد، و وجدوا أبناء.

(۱) ۳- ان الليلة هى ليلة السبت، و انه عسى أن يكون محمّد و أصحابه قد منوهم فيها، لعلمهم بأن اليهود لا يقاتلون فى السبت، فلينزلوا من الحصون لعلهم يصيبون من محمّد و أصحابه على حين غفلة.

و لكن المشاورين رفضوا جميع هذه الطروحات و قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، و لا نستبدل به غيره، و قالوا: ان نقتل أبناءنا و نساءنا فما خير العيش بعدهم، و قالوا: لا نقاتل ليلة ليلة السبت، محمّدا و أصحابه نفسد سبتنا علينا، و نحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلّا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ «۱».

إن هذا الحوار يساعدنا على فهم نفسية تلك الجماعة (و نعى اليهود)، و خصالهم و أخلاقهم الفاسدة.

فإن رفض الاقتراح يكشف عن أنهم كانوا جماعة معاندة، لجوجة، لأنهم إذا كانوا حقا يعرفون صدق نبوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- كما قال زعيمهم- لم يكن لوقوفهم سبب الا العناد و العتوّ، و اللجاج.

(۲) و اما الاقتراح الثانى و ما دار حوله من كلام فيشهد- بجلاء- على أن تلك الطائفة كانت جماعة قاسية، لا تعرف للرحمة و الحنان معنى، لان قتل الاطفال و النساء الابرياء لا يمكن من دون قسوة شديدة.

هذا مضافا إلى أن المشاورين آنذاك رفضوا هذا المقترح لا بدافع الرحمة و الشفقة على الأطفال و النساء، بل لأن الحياة لا تعود لذيذة بعد فقدهم هذا هو ما قالوه. و لم يقل أى واحد منهم: و ما ذا جنى الاطفال و النساء حتى نقتلهم و نذبحهم، و لو أن رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله- تمكن منهم- لم يقتلهم، فكيف نعمد نحن (الآباء الرحماء) إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة بحقهم. فنفسك دماءهم

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۳۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۵

من غير جرم و لا جناية؟

(۱) و أما الاقتراح الثالث فيكشف عن أنهم لم يكونوا يعرفون جيدا مدى علم رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله بفنون القتال، و الدفاع و كانوا يتصورون أن القائد الأعلى للاسلام لا يراعى قواعد الحذر و الاحتياط ليلة السبت و يومه، و خاصة فى مواجهة أعداء خونة، أخوان غدر و مكر، أمثال اليهود الناقضين للعهود، الناكثين للمواثيق.

ان دراسة و تقييم معركة «الاحزاب» تثبت ندرة وجود الاذكياء و الفطنين بين هذه الجماعة، و الّا لكانوا يتمكنون من حفظ كيانهم حتى من الناحية السياسية فى تلك الظروف من دون أن ينحازوا إلى أىّ واحد من طرفى الصراع (الاسلام و الشرك).

أى أنه كان من الممكن أن يتخذوا جانب الحياد الكامل، و يبقوا متفرجين لما يدور بين محمّد، و جيش المشركين، و بهذا يبقوا محافظين على كيانهم و وجودهم، انتصر من انتصر و غلب من غلب.

(۲) و لكنهم خدعوا بتسويلات «حيى بن أخطب» و وسوساته و انحازوا الى جيش العرب المشركين فتورطوا فى مثل تلك الورطة، و هى أن يتخلوا- فى النهاية- عن مساعدة قريش بعد شهر كامل من التعاون معهم، و الرضوخ لخطة «نعيم بن مسعود»، و إخبار قريش بأنهم لن يتعاونوا معهم ضدّ رسول الاسلام ما لم تسلم قريش بعض شخصياتها إليهم، لغرض الاحتفاظ بهم فى حصونهم كوثيقة!!

لقد غاب عن تلك الزمرة المعاندة اللجوجة أنهم قد تعاونوا ضدّ رسول الاسلام فى بداية الأمر، فاذا قطعوا علاقاتهم مع قريش، و ترك جيش المشركين ساحة المعركة إذا أحسّ بالعجز عن تحقيق أى انتصار، و عاد الى بلاده، فان بنى قريظة بأجمعهم سيكونون حينئذ فى قبضة المسلمين.

(۳) فلو كانوا يملكون شيئا من الرؤية السياسية الصحيحة لكان عليهم أن يعلنوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- فور قطع العلاقات مع قريش- عن ندامتهم على

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۶

نقض الميثاق الذى عقدوه من قبل مع النبى صلّى اللّه عليه و آله و يعتذروا إليه ممّا بدر منهم لينجوا من الخطر- فى صورة انتصار المسلمين على الكفار- و لكن الشقاء أصابهم عند ما قطعوا العلاقات مع جيش قريش، و لم يلتحقوا بالمسلمين، و لم يعتذروا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

على أنه لم يكن فى مقدور النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يترك بنى قريظة- بعد هزيمة جيش العرب- على حالهم، و يغض النظر عن موقفهم إذ لم يكن من المستبعد، أن يفكر العرب فى مناسبة اخرى فى تسيير جيش ضخم و منظم آخر لاجتياح المدينة، و يتمكنوا مع مساعدة بنى قريظة من استئصال الاسلام.

فكان يهود بنى قريظة يعتبرون- فى الحقيقة- العدوّ الداخلى الذى يهدّد كيان الاسلام من الداخل، و على هذا كان من الواجب معالجة الامر مع بنى قريظة، و حلّ هذه المسألة الخطيرة بالنسبة الى المسلمين من الاساس.

(۱)

خيانة أبى لبابة:

لقد طلب يهود بنى قريظة بعد محاصرة النبى صلّى اللّه عليه و آله لهم، أن يبعث إليهم «أبا لبابة» الأوسى ليتشاوروا معه فى الموقف، و قد كان أبو لبابة حليفا لليهود قبلى دخول الاسلام إلى المدينة، فأرسله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال و جهش إليه النساء و الصبيان يبكون فى وجهه و قالوا: يا أبا لبابة أ ترى أن ننزل على حكم محمّد؟

قال: نعم- و أشار بيده إلى حلقه- يريد أنهم سوف يقتلهم و لن يحقن دماءهم، لو سلّموا.

لقد كان أبو لبابة يعلم أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لن يوافق على بقاء هذه الزمرة الشريرة الخائنة الخطرة على دين التوحيد، إلّا أن أبا لبابة قد خان بفعله هذا المسلمين، و مصالح الاسلام العليا، و أفشى سرّا كان عليه أن يكتمه قبل وقوعه، و لهذا ندم على فعله ندما شديدا، فخرج من حصن بنى قريظة و هو

سيد المرسلين ،ج ۲،ص:۲۸۷

يرتجف و يقول: إنّى خنت اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله، و انطلق على وجهه، و لم يأت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين و هم ينتظرون رجوعه إليهم- و ربط نفسه فى المسجد بعمود من أعمدته، و قال لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب اللّه علىّ ما صنعت!!

(۱) و يقول المفسرون: فنزل فى خيانة أبى لبابة قول اللّه تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» «۱».

فلما بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خبر أبى لبابة، و كان قد استبطأه قال:

أما أنه لو جاءنى لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب اللّه عليه.

و بقى أبو لبابة مرتبطا بالاسطوانة، و كانت ابنته أو زوجته تأتيه فى مواعيد الصلاة، و تحلّ رباطه، فيصلّى ثم تعيد الرباط.

فلما كان السحر من اليوم السابع نزلت توبة أبى لبابة بواسطة ملك الوحى- على رسول اللّه و هو فى بيت أمّ سلمة، و الآية التى نزلت فى توبته هى قوله تعالى:

«وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» «۲».

(۲) فلما نظرت أمّ سلمة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو مستبشر يضحكك قال صلّى اللّه عليه و آله لها:

«لقد تيب على أبى لبابة إن شئت فبشريه».

فقامت إليه و هو مرتبط بالجذع فى المسجد و قالت له: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب اللّه عليك.

فلما عرف الناس بذلك أرادوا أن يطلقوه فقال: لا و اللّه حتى يكون رسول اللّه

---

(۱) الأنفال: ۲۷.

(۲) التوبة: ۱۰۲.

سيد المرسلين ،ج ۲،ص:۲۸۸

صلّى اللّه عليه و آله هو الذى يطلقنى.

فلما مر عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه «۱».

(۱) و لا شك إن زلّة أبى لبابة كانت بسبب عواطفه تجاه يهود بنى قريظة، فقد سلبه بكاء رجالهم و نسائهم، و صبيانهم و استغاثتهم العاطفية القدرة على ضبط النفس، فكشف سرّا من أسرار المسلمين كان عليه أن يكتمه، و لكنّ قوة الايمان باللّه و الخشية من عذابه أكبر و أعلى من كل شىء الى درجة أنها دفعت بابى لبابة إلى أن يندم على فعله ذلك الندم العجيب، و يعمد- لجبران تلك الخيانة- الى ما فعل من الانابة، و الاستغفار، الأمر الذى تكون نتيجته أن لا تراود مثل هذه الفكرة نفسه مرة اخرى قط.

(۲)

إلى أيّ مدى ذهب الطابور الخامس فى مشاغبته؟

خرج «شأس بن قيس» اليهودى من الحصن ليتحادث مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نيابة عن بنى قريظة، فطلب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يسمح ليهود بنى قريظة بأن يحملوا معهم أموالهم و يخرجوا من المدينة كما فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع بنى النضير، فأبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: «لا، إلّا أن تنزلوا على حكمى».

فقال شأس: لك الاموال و السلاح و تحقن دماءنا، فابى النبى صلّى اللّه عليه و آله و رفض هذا الاقتراح أيضا.

و هنا يطرح السؤال التالى نفسه و هو: لما ذا رفض رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله مقترحات مندوب بنى قريظة؟!

إن السبب واضح، فانه لم يكن من المستبعد أن تقدم هذه الزمرة- بعد

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۳۷ و ۲۳۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۸۹

خروجها من قبضة المسلمين- على تحريك العرب المشركين الوثنيين ضدّ الاسلام و المسلمين على نحو ما فعلت بنو النضير، و تعرّض المجتمع الاسلامى و الدولة الاسلامية الفتية لأخطار كبرى جدا، و تسبب فى سفك دماء كثيرة.

(۱) و لهذا لم يوافق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على اقتراحات مندوب بنى قريظة، و عاد شأس إلى الحصن، و اخبر قومه بمقالة رسول اللّه عليه و آله، و رفضه لمقترحاته.

فقرر بنو قريظة التسليم للمسلمين من دون أى قيد أو شرط.

أو الرضا بما يحكم به سعد بن معاذ الأوسى- و كان حليفا لهم- فى حقهم.

و لهذا عمدوا الى فتح باب الحصن، و دخل علىّ عليه السّلام على رأس كتيبة خاصة من المسلمين الحصن و جرّدوا بنى قريظة من السلاح، و حبسوهم فى منازل «بنى النجار» ليتقرر مصيرهم فيما بعد.

(۲) و حيث إن يهود بنى قينقاع قد اسروا على أيدى جنود الاسلام، ثم عفى عنهم بوساطة من الخزرج و بخاصة «عبد اللّه بن ابى»، و انصرف النبى صلّى اللّه عليه و آله عن إهراق دمهم فيما مضى، لذا ضغط الاوسيون المتحالفون مع بنى قريظة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصرّوا عليه اصرارا شديدا بأن يعفو عن بنى قريظة الذين كانوا متحالفين مع الأوس من قبل أن يقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المدينة، و ذلك منافسة للخزرج، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قاوم هذا الطلب، و قال لهم:

«أ لا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم»؟

قالوا: بلى.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فذاك إلى «سعد بن معاذ» فهو يحكم فيهم.

(۳) و الطريف أن اليهود قد قبلوا هم أيضا بما يحكم به سعد بن معاذ فقد بعث بنو قريظة الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- كما يروى ابن هشام «۱» و الشيخ

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۴۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۰

المفيد «۱»-: يا محمّد ننزل على حكم سعد بن معاذ.

(۱) و کان سعد آنذاک یتداوی فی خیمة لامرأة تدعی «رفیدة» من سهم أصابه فی معرکة الخندق، و کانت رفیدة تداوی الجرحی فی سبیل اللّه، و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعود سعدا بین الحین و الآخر، فلما حکّمه فی بنی قریظة أتاه فتیان الأوس، و حملوه علی حمار و قد وطئوا له بوسادة من أدم و کان رجلا جسیما جمیلا، ثم أقبلوا معه الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فلما طلع سعد علی رسول اللّه و الناس حوله صلّی اللّه علیه و آله جلوس، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«قوموا إلی سیّدکم».

فقام الناس علی أرجلهم صفین احتراما لسعد، و حیّاه کل واحد منهم، حتی انتهی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و قد طلب منه رجال قومه مرارا أن یحسن الحکم فی حلفائهم: یهود بنی قریظة، و یخلّصهم من خطر الموت و القتل قائلین: یا سعد أجمل إلی موالیک فأحسن فیهم فان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد حکّمک فیهم لتحسن فیهم.

و لکن سعدا حکم فی ذلک المجلس- رغم کل ذلک الالحاح، و الضغط- بأن یقتل رجال الیهود، و تقسّم أموالهم، و تسبی ذراریهم و نساؤهم «۲».

(۲)

تقییم ما استند إلیه سعد فی حکمه:

لیس من شک فی أنه اذا غلبت عواطف القاضی و أحاسیسه علی عقله، تعرض جهاز القضاء للفوضی و الاختلال، و انتهی الی تمزق المجتمع و سقوطه،

---

(۱) الارشاد: ص ۵۰ و أیضا راجع زاد المعاد: ج ۲ ص ۷۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۴۶.

(۲) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۲۴۰، المغازی: ج ۲ ص ۵۱۰، زاد المعاد: ج ۲ ص ۷۳ و ۷۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۲۹۱

و انهیار کل شیء، لارتباط کل شیء بالعدالة و ارتباط العدالة بالقضاء و المؤسسة القضائیة.

إن العواطف تشبه الی حد بعید الشهیة الکاذبة التی تزیّن فی نظر صاحبها کل مضر مهلک فی حین إذا غلبت هذه العواطف و المشاعر العقل سحقت مصالح الفرد و المجتمع، أو أضرت به أشدّ و أبلغ إضرار.

(۱) إنّ عواطف سعد و أحاسیسه و مشاعره، و منظر صبیان و نساء بنی قریظة المحزن، و أوضاع رجالهم التی کانت تثیر الاشفاق و هم فی الحبس، و ملاحظة الرأی العام فی قبیلة الأوسیین الذین کانوا یلحّون علی سعد أن یحسن الحکم و الرأی فی بنی قریظة، کل هذه الاعتبارات کان من شأنها أن تجعل القاضی فریسة العاطفة، فیصدر حکمه علی أساس من تقدیم مصالح أقلیة خائنة مشاغبة علی مصالح الاکثریة (أی عامة المسلمین) و یبرّئ بنی قریظة الجناة الخونة، أو یخفف عن عقوبتهم أکبر قدر ممکن، علی الأقلّ، أو یسلّم لإحدی المقترحات السابقة.

إلّا أن منطق العقل، و حریة القاضی و استقلاله فی الحکم و القضاء و مراعاة المصالح العامة کل ذلک قاد سعدا إلی ناحیة اخری، فحکم بأن یقتل رجال تلک الزمرة المتآمرة الخائنة، و تصادر أموالهم، و تسبی نساؤهم و أطفالهم.

(۲) و قد استند هذا الحاکم فی حکمه هذا إلی الامور التالیة:

(۳) ۱- أن یهود بنی قریظة قد تعهّدوا للنبی صلّی اللّه علیه و آله قبل مدّة بأنهم لو تآمروا ضدّ الإسلام، و المسلمین، و ناصروا أعداء التوحید، و اثاروا الفتن و القلاقل، و ألبوا علی المسلمین کان للمسلمین الحق فی قتلهم و مصادرة أموالهم و سبی نسائهم «۱».

و قد رأی بأنه لو حکم بمعاقبة الیهود حسب هذا المیثاق لم یصدر حکما مخالفا

(۱) و لقد مرّ عليك نص هذا الميثاق الذى وقع عليه كعب بن الاسد رئيس بنى قريظة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۲

للعدالة، و لم يرتكب ظلما.

(۱) ۲- إن هذه الزمرة الناقضة للميثاق أخلّت بأمن المدينة فى ظل حراب القوى المشركة، فترة من الزمن، و هاجمت منازل المسلمين، و لو لا مراقبة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله للاوضاع و حراسة من عيّنهم من جنود الاسلام للحفاظ على أمن المدينة، لفعلت تلك الزمرة الأفاعيل و لارتكبت أسوأ الفضائع و الفجائع، و لو أتيح لهم أن يسيطروا على المدينة لقتلوا رجال المسلمين و صادروا أموالهم، و سبوا نساءهم و أطفالهم.

و من هنا رأى سعد بن معاذ فى نفسه بأنه لو قضى فيهم بمثل هذا القضاء لما خالف الحق و أطفالهم.

(۲) ۳- من المحتمل جدا أن سعد بن معاذ رئيس الأوس الحلفاء ليهود بنى قريظة، و الذين كانت بينهم علاقات ودّ و محبّة كان مطّلعا على قوانين اليهود، الجزائية فى هذا المجال، فإن التوراة تنص بما يلى: «حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعاها إلى الصلح. فان اجابتك إلى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، و يستعبد لك. و ان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. و اذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف، و اما النساء و الأطفال و البهائم و كل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك» (۱).

و لعلّ سعدا فكر فى نفسه بأن القاضى المرضىّ و المقبول لدى الجانبين لو عاقب المعتدين حسب شريعتهم ما فعل إلّا ما يقتضيه العدل و الانصاف.

(۳) ۴- و الذى نتصوره هو أن أكبر أسباب هذا الحكم هو أن «سعد بن معاذ» رأى بام عينيه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عفا عن بنى قينقاع المعتدين بناء على طلب من الخزرجيين، و اكتفى- من عقابهم- باخراجهم من المدينة، و اجلائهم

(۱) التوراة: سفر التثنية الفصل العشرون ۱۰- ۱۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۳

عنها و لكن تلك الزمرة التى شملها عفو النبيّ لم تكن تغادر أراضى الاسلام حتى بدأت بالمشاغبة و المؤامرة الدنيئة ضدّ الاسلام، فذهب كعب بن الأشرف الى مكة، و أخذ يتباكى- دجلا و خداعا- على قتلى بدر، و يذرف عليهم دموع التماسيح، و لم يفتأ عن تأليب قريش ضد رسول الاسلام و أصحابه حتى عزمت قريش على تسيير جيشها نحو المدينة، و كانت واقعة «احد» التى استشهد فيها اثنان و سبعون من خيرة أبناء الاسلام، و رجاله.

(۱) و هكذا فعلت بنو النضير المتآمرون الخونة، الذين عفا عنهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اكتفى من عقابهم بمجرّد اجلائهم عن المدينة، و لكنهم قابلوا هذا الموقف الانسانى، بتأليب القبائل العربية المشركة ضدّ الاسلام، و المسلمين، و كوّنوا اتحادا نظاميا بينها، و ألفوا منها جيشا قويا ساروا به الى عاصمة الاسلام (المدينة)، فكانت وقعة (الاحزاب) التى لو لا حنكة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و خطة حفر الخندق لقضى على الاسلام بسببها منذ الايام الاولى، و لما بقى من ذلك الدين خبر و لا أثر و لقتل آلاف الناس.

(۲) لقد لاحظ سعد بن معاذ كل هذه الاعتبارات، فلم تسمح له التجارة الماضية بأن يستسلم لعواطفه، و يضحّى بمصالح الآلاف فى سبيل الحفاظ على مصالح أقلية لأنه كان من المسلّم به أن هذا الفريق سيقوم فى المستقبل بايجاد تحالف عسكرى أوسع، و سيثير و يؤلب قوى العرب ضد الاسلام، و يعرّض مركز الاسلام، و محوره الاساسى للخطر من خلال تدبير مؤامرات اخرى.

و على هذه الأساس رأى بأن وجود هذه الزمرة يضرّ المجتمع الاسلامى مائة بالمائة و أيقن بأن هذه الزمرة لو أتيح لها أن تخرج من

قبضة المسلمين لما فتأت لحظة عن المؤامرة و لواجه المسلمون بسببها أخطارا كبرى.

(٣) و من المحقق أنه اذا لم تكن فى المقام هذه الجهات و الاعتبارات لكان إرضاء الرغبة العامة فى الابقاء على بنى قريظة أو التخفيف فى عقابهم أمرا فى غاية الأهمية بالنسبة إلى سعد بن معاذ، فان رئيس أى قوم، أو جماعة أحوج ما يكون

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۴

إلى تأييد قومه و جماعته و كسب رضاهم و دعمهم، و لا ريب أن عدم الاستجابة لمطلبهم، و تجاهل توصياتهم يوجّه أكبر ضربة لسيد القوم و رئيسهم، و لكن سعدا (رئيس الأوس) أدرك أن جميع هذه التوصيات و الوساطات تخالف مصالح الآلاف من المسلمين، من هنا آثر عدم الحياد عن حكم العقل، و المنطق، على رضا قومه عنه.

هذا و إن الّذى يشهد بدقة نظر سعد، و صواب رأيه، و صحة تشخيصه و تقديره للأمر أنه عند ما اتى بحيى بن أخطب ليضرب عنقه فوقعت عينه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما لمت نفسى فى عداوتك، و لكنه من يخذل اللّه يخذل. أى لو لا خذلان اللّه لليهود لاستمرّوا فى معاداة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تدبير المؤامرات ضده.

ثم أقبل على الناس فقال: يا أيّها الناس لا بأس بأمر اللّه، ملحمة كتبها اللّه على بنى إسرائيل.

(١) ثم إنه قتل فى هذه الواقعة من النساء امرأة واحدة لأنها ألقت برحى من فوق الحصن فقتلت به أحد المسلمين، فقتلت قصاصا.

و كان بين المحكوم عليهم بالقتل رجل اسمه «الزبير بن باطا» شفع له رجل من المسلمين يدعى ثابت بن قيس، فلم يقتل، و اخلى سبيل زوجته و أولاده، و اعيدت إليه أمواله، و أسلم أربعة من بنى قريظة، و قسّمت غنائم العدوّ بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، و اخراج ما يرتبط بالامور الادارية الاسلامية العامة.

و قد اعطى للفارس سهمان، و للراجل سهم واحد، و سلّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أموال «الخمس» إلى زيد بن حارثة ليذهب بها إلى نجد و يشترى بها العتاد، و السلاح، و الخيل، و غيرها من أدوات الحرب «١».

---

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٥٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤١، زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٤.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۵

(١) و هكذا انتهت مشكلة بنى قريظة فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة من السنة الخامسة للهجرة، و قد نزلت فى شأن هذه الواقعة الآيات ٢۶- ٢٧ من سورة الاحزاب اذ يقول سبحانه:

«وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً. وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً».

و قد استشهد «سعد بن معاذ» الذى سبق أن جرح فى معركة الخندق بعد حادثة بنى قريظة هذه «١»

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٥٠- ٢٥۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۶

(١)

حوادث السنة السادسة من الهجرة

٣٩ أعداء الاسلام تحت المراقبة المشدّدة «١»

اشارة

لم تنقض السنة الهجرية الخامسة إلّا و قد انتهت فتنة «الاحزاب» و «بنى قريظة»، و قضى عليهما بالكامل، و أصبحت المدينة و ضواحيها برمتها فى قبضة المسلمين و تحت سيطرتهم، و ازدادت قواعد الحكومة الاسلامية الفتية رسوخا و ثباتا، و ساد هدوء نسبى فى المنطقة التى تخضع للحكومة الاسلاميّة، غير أن هذا الهدوء كان هدوء موقتا، و كان على قائد المسلمين الأعلى أن يراقب أحوال العدو و أوضاعه، و تحركاته ليقضى فى المهد على كل مؤامرة ضدّ الاسلام بما اوتى من قوى و امكانيات.

(۲) و لقد سمح الهدوء الذى ساد المنطقة للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله بأن يقمع بعض مشعلى فتنة «الاحزاب» الذين هربوا من قبضة المسلمين بعد رحيل «الاحزاب».

فلقد قتل «حيى بن أخطب» الذى كان من مشعلى معركة الأحزاب، فى غزوة بنى قريظة، و لكن رفيقه «سلّام بن أبى الحقيق» كان لا يزال يعيش فى خيبر، و لا ـ شكّ فى أن هذا العنصر الخطر لم يكن ليفتأ لحظة واحدة عن إثارة و تأليب «الأحزاب» مرّة اخرى ضدّ الاسلام، و خاصة أن العرب الوثنيين كانوا

---

(۱) يستفاد من السيرة النبوية: ج ۳ ص ۲۹۱ ط ۱۳۵۵ أن خطة اغتيال «سلّام» كانت قبل نهاية السنة الهجرية الخامسة، و لكن بالنظر إلى أن قضية بنى قريظة حدثت فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة يستبعد هذا الرأى.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۷

مستعدين لشن حرب على الاسلام، و كان من المحتمل إذا توفرت هناك جهة تتكفل نفقات الحرب، أن تتكرر قضية الاحزاب مرة اخرى.

(۱) على أساس هذه المحاسبات كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱» مجموعة من شجعان الخزرج و فوارسهم بأن يصفّوا هذا العنصر الخطر، الجرىء و الحاقد، بشرط أن لا يتعرّضوا لأحد من أبنائه و زوجاته.

فخرجوا حتى قدموا خيبر، فدخلوا خيبر ليلا و لم يدعوا بابا فى الدار الا أغلقوه على أهله حتى لا يحس بهم أحد إذا صاح و استغاث بأحد، ثم تسللوا إلى غرفته و كانت فى الطابق الاعلى، فطرقوا باب حجرته، فخرجت إليهم امرأته و قالت:

من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، ففتحت الباب و سمحت لهم بالدخول عليه من دون التحقق من أمرهم، فدخلوا فى غرفته و ابتدروه و هو على فراشه بأسيافهم بعد أن أغلقوا باب الغرفة على أنفسهم، و قضوا على ذلك المفسد الشرير الذى طالما أزعج المسلمين بفتنه و مؤامراته، ثم خرجوا، و انحدروا من الدرج و اختبئوا فى ممرّ مائى من خارج الحصن الى داخله، فصاحت زوجته، و استغاثت بالجيران، فأوقد اليهود النيران، و اشتدوا فى طلب تلك الجماعة الفدائية المسلمة، و لكن من دون جدوى، و عند ما يئسوا من القبض عليهم رجعوا الى صاحبهم المقتول، و قد بلغ من جرأة المسلمين أن بعثوا أحدهم ليدخل بين اليهود فى خيبر و يأتى لهم بخبر ابن أبى الحقيق، لأنهم كانوا يظنون بأنه لا يزال على قيد الحياة.

(۲) فدخل ذلك الرجل بين اليهود فوجدهم و امرأته حول ابن أبى الحقيق، و فى يدها المصباح تنظر فى وجهه، و تحدثهم، و تقصّ عليهم ما جرى، ثم أقبلت عليه

---

(۱) إن السبب أو الحكمة فى تكليف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الخزرج بهذه المهمة هو أن الاوس قاموا بعملية مشابهة فى حق «كعب بن الأشرف» اليهودى الخطر فأراد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إقامة توازن فى كسب المفاخر بين تينك القبيلتين و لذلك أوكل مهمة تصفية هذا اليهودى المفسد إلى رجال الخزرج.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۸

تنظر فی وجهه ثم قالت: فاظ (أی مات) و إله يهود.

فعاد إلی رفاقه و أخبرهم بنجاح عمليّتهم و هلاك عدوّ اللّه: «سلام بن أبی الحقيق» علی أيديهم، فخرجوا فی تلك الليلة من مخبأهم و عادوا إلی المدينة و أخبروا رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله بما جری «۱».

(۱)

أهل الرأی من قريش يهاجرون الی الحبشة:

توجه جماعة من أهل الرأی فی قريش الذين أخافهم تقدّم الاسلام، و انتشاره المطرد بشدة، الی البلاط الحبشی ليقطنوا و يقيموا فی الحبشة فقد قالوا: الرأی أن نلحق بالنجاشی فنكون عنده، فان ظهر «محمّد» علی قومنا كنا عند النجاشی، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدی محمّد و إن ظهر قومنا فنحن من عرفوا فلن يأتينا منهم إلّا خير.

و خرجت هذه الجماعة و فيهم «عمرو بن العاص» بهدايا كثيرة من الحجاز قاصدة أرض الحبشة، و بلاط النجاشیّ بالذات.

(۲) و صادف دخولهم علی «النجاشی» ورود «عمرو بن اميّة الضمری» مبعوث رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و حامل كتابه إلی النجاشی يوصيه فيه بجعفر بن أبی طالب، و المهاجرين الآخرين من رفقائه.

فقال «عمرو بن العاص»: لو دخلت علی «النجاشیّ» بالهدايا و سألته عمرو بن اميّة فاعطانيه، فضربت عنقه.

فدخل «عمرو بن العاصی» علی «النجاشیّ»، و سجد له- علی النحو الذی كان متبعا- فسأله النجاشیّ عن حاله، ثم قال: هل أهديت إلیّ من بلادك شيئا؟

قال ابن العاص: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك ادما كثيرا، ثم قال: أيها

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۷۴ و ۲۷۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۲۹۹

الملك انی قد رأيت رجلا خرج من عندك (و يقصد مبعوث رسول اللّه) و هو رسول عدوّ لنا، فاعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا و خيارنا.

(۱) فغضب النجاشیّ لمقالة ابن العاص غضبا شديدا فصفعه صفعة كادت أن تكسر أنفه، ثم قال: أ تسألنی أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذی كان يأتی موسی لتقتله. ويحك يا عمرو أطعنی و اتبعه فانه و اللّه لعلی الحق، و ليظهرنّ علی من خالفه كما ظهر موسی علی فرعون و جنوده، ثم قال: أ فتبايعنی له علی الاسلام؟

يقول عمرو بن العاص: فقلت نعم، فبسط يده فبايعته علی الاسلام، ثم خرجت إلی أصحابی، و قد حال رأيی عما كان عليه، و كتمت أصحابی إسلامی «۱».

(۲)

الوقاية من تكرار التجارب المرة:

تركت حادثة «الرجيع» المرّة التی قتل فيها جماعة من قبائل «عضل» و «القارة» من بنی لحيان ثلة من دعاة الاسلام غدرا و من دون رحمة، بل و سلّمت رجلين منهم بقوا علی قيد الحياة إلی قريش فصلبتهما قريش صبرا انتقاما من رسول اللّه و المسلمين.

لقد تركت هذه الفاجعة المأساوية المؤلمة ألما شديدا فى نفوس المسلمين، و أحدثت جرحا عميقا فى ضمائرهم و أدت إلى توقف حركة الارشاد و التبليغ و الدعوة.

و لكن فى الظروف المستجدة التى استطاع الاسلام أن يزيل- بعد الأحزاب و بنى قريظة- كل العراقيل و العقبات عن سبيل المسلمين رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن من الضرورى تأديب بنى لحيان لتعتبر بقية القبائل، فلا يؤذوا بعد ذلك فرق الدعوة و بعثات التبليغ الاسلامى.

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۷۶ و ۲۷۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۰

(۱) فاستخلف مكانه لإدارة شئون المدينة «ابن أمّ مكتوم» فى الشهر الخامس من السنة الهجرية السادسة و لم يظهر لأحد ما يقصده، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب «بنى لحيان» على غفلة منهم، فلما وصل الى طريق مكة عرّج حتى نزل بمنطقة تدعى غراب و هى منازل بنى لحيان، و قد كان بنو لحيان قد عرفوا بمسير النبى إليهم فحذروه، و تمنعوا فى رءوس الجبال.

و كان غزو المسلمين هذا، و جبن العدو قد تركا أثرا نفسيا قويا، فأحدث رعبا فى قلوب أعداء الإسلام.

و استكمالا لهذا الهدف العسكرىّ الهامّ عمد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى القيام بسلسلة من المناورات العسكرية، و استعراض القوة القتالية فى جنوده ليرهب أعداء اللّه القريب منهم و البعيد و لتسمع بهم قريش خاصة فيذعرهم، فنزل فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان على مقربة من مكة و قد قال من قبل:

«لو هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة».

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (و هو موضع بناحية الحجاز بين مكة و المدينة و هو واد أمام عسفان بثمانية أميال). ثم عاد مع أصحابه إلى المدينة «۱».

هذا و كان جابر بن عبد اللّه الأنصارى يقول: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول حين رجوعه من هذه الغزوة:

«... أعوذ باللّه من وعثاء السفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر فى الأهل و المال» «۲».

(۲) غزوة ذى قرد:

لم يقم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المدينة بعد عودته من الغزوة

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۷۹ و ۲۸۰.

(۲) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۵۴، المغازى: ج ۲ ص ۵۳۵، إمتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۵۹ و ۲۶۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۱

السابقة إلّا ليالى قلائل حتى أغار «عيينة من حصن الفزارى» بمساعدة بنى غطفان، على إبل لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانت ترعى فى منطقة تدعى الغابة (و هى موضع قرب المدينة من ناحية الشام) كانت مرعى أهل المدينة، و كان فيها آنذاك رجل من بنى غفار، و امرأة مسلمة له، فقتلوا الرجل، و أخذوا معهم المرأة و الإبل.

(۱) و كان أول من أخبر الناس بذلك رجل يدعى سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى و كان قد غدا يريد الغابة متوشحا سيفه و قوسه و نبله، يريد الصيد، حتى إذا علا «ثنية الوداع» نظر إلى بعض خيول المغيرين، فصعد على تلّة سلع و صرخ مستغيثا و مستنجدا: وا صباحاه،

ثم خرج يشتد فى آثار القوم (المغيرين) فجعل يردّهم بالنبل، و لكن المعتدين لاذوا بالفرار.

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أول من سمع صراخ ابن الاکوع و استغاثاته، فصرخ صلّی اللّه علیه و آله هو مستغیثا: الفزع، الفزع. فأسرع جماعة من الفرسان برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فلما اجتمعوا عنده أمّر علیهم «سعد بن زید الاشهلیّ» و قال له:

«اخرج فی طلب القوم، حتی الحقک فی الناس».

فخرج الفرسان المسلمون فی طلب القوم، و خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من ورائهم، حتی أدرکوا القوم فی ذی قرد، فوقع بین المسلمین، و بین المغیرین قتال قلیل قتل فیه من المسلمین رجلان، و من المعتدین ثلاثة، و استنقذت المرأة، و بعض الابل المسروقة، و لکن العدوّ لجأ إلی غطفان، فأقام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی تلک المنطقة یوما و لیلة، تخویفا للعدوّ، و لم یر من الصالح ملاحقة العدوّ رغم إصرار بعض المسلمین علی ملاحقتهم، و استنقاذ بقیة السرح (الابل).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۰۲

ثم رجع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قافلا حتی قدم المدینة «۱» و کانت هذه الغزوة فی الثالث من ربیع الاوّل من السنة السادسة من الهجرة «۲».

(۱)

النذر غیر المشروع

و اقبلت المرأة الغفاریة المسلمة التی استنقذت من أیدی المغیرین علی ناقة من إبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی قدمت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أخبرته بما جری ثم قالت: یا رسول اللّه إنی قد نذرت إن نجّانی اللّه علی هذه الناقة، أن أنحرها فآکل کبدها و سنامها.

فتبسم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال:

«بئس ما جزیتیها أن حملک اللّه علیها و نجاک ثم تنحرینها، انه لا نذر فی معصیة، و لا فیما لا تملکین إنّما هی ناقة من إبلی فارجعی إلی أهلک علی برکة اللّه» «۳».

و بذلک بیّن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حکما فی مجال النذر، و هو أن النذر لا یصح فی مال الغیر، فلا نذر إلّا فی ملک.

و القصة إلی جانب ذلک تکشف عن الخلق العظیم الذی کان یتحلی به قائد الاسلام الأعلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و لطفه بأصحابه و اتباعه، حیث جابه المرأة المذکورة برفق و لطف، و بصّرها بما لها و ما علیها فی منتهی التواضع و الشفقة.

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۵۵، المغازی: ج ۲ ص ۵۳۷ و ۵۴۹.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۶۰ و ۲۶۱.

(۳) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۸۱- ۲۸۹، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۳۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۶۳ قال صاحب الامتاع: و کانت الناقة هی القصواء، و القصواء اسم ناقة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۰۳

حوادث السنة السادسة من الهجرة (۱)

۴۰ تمرّد بنی المصطلق

اشارة

لقـد بلغت قوة المسـلمين العسـكرية فى السـنة الهجريـة السادسـة حـدا ملفتـا للنظر، بحيث تمكن جماعـة خاصـة منهم أن يترددوا على المناطق القريبـة من مكة بمنتهى الحرية، و من دون خوف، بيد أن هذه القوة العسـكرية لم تكن كافية للسـيطرة على المناطق التى كان يتواجد فيها القبائل المشركة، و مصادرة أموالهم و ممتلكاتهم.

و اذا كان المشـركون لا ينتزعون المسـلمين حريتهم، و كانوا يسـمحون لأن تجرى النشاطات التبليغية من دون منع أو معارضة لما كان رسول الاسـلام صـلّى اللّه عليه و آله يقـدم على شـراء الاسـلحة، و بعث السـرايا، و المجموعـات العسـكرية، و لكن حيث ان نشاطـات المسـلمين التبليغيـة، و مجموعات الارشاد و الـدعوة كانت تتعرض باسـتمرار للمضايقـة، و الاذى، بل و الاغتيال من قبل العدو، لذلك كان رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله مضطرا بحكم العقل و الفطرة أن يقوى من قدرات الاسلام الدفاعية.

(۲) لقـد كانت العلل و الأسباب الواقعيّـة لأكثر الحروب التى وقعت إلى السـنة الهجريـة السادسـة بل حتى آخر لحظـة من حياة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله تتلخص فى إحدى الامور التالية:

(۳) ۱- الردّ على اعتداءات المشركين الغادرة، مثل معركة «بدر» و «احد» و

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۴

«الخندق».

(۱) ۲- تأديب و عقاب الظالمين الـذين قتلوا رجالا أبرياء من المسـلمين، أو قتلوا جماعات الـدعوة و التبليغ فى البرارى و القفار النائية، أو عرّضوا كيان الاسلام للخطر بنقضهم عهودهم، و تتمثل هذه الحروب فى الغزوات الثلاثة ضدّ الطوائف اليهودية الثلاث (بنى قينقاع، بنى النضير، بنى قريظة) و بنى لحيان.

(۲) ۳- افشـال و احبـاط المؤامرات، أو محاولات التمرد التى كانت على شـرف الانعقاد فى القبائل التى كانت تنوى بجميع الرجال و الاسـلحة غزو المدينة، و اكتساح عاصـمة الاسلام، و استئصال المسلمين، و كانت أكثر الحروب الصغيرة و المناوشات العابرة ناشئة من هذا العامل الأخير.

(۳)

غزوة بنى المصطلق:

كان بنو المصطلق من قبائل «خزاعة» المتحالفة مع قريش.

و قـد بلغ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن الحارث بن أبى ضـرار زعيمها يعـدّ العدّة، و يجمع الرجال المقاتلين لمحاصـرة المدينة و غزوها، فقرّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن يقضى على هذه المؤامرة فى مهدها كما كان يفعل دائما.

و لهـذا أرسل أحـد أصـحابه و هو: «بريـدة» إلى أرض بنى المصـطلق ليأتى بأخبارهم، فذهب بريدة، و دخل فيهم و تحادث- فى هيئة متنكرة- مع رئيسـهم و عرف بنيته، ثم عاد إلى المدينة و اخبر رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله بما رآه و سمعه، و أن بنى المصطلق عازمون على المسير إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لمحاصرة المدينة.

فخرج رسـول اللّـه صـلّى اللّه عليه و آله فى جمـع من أصـحابه حـتى لقيهم عنـد مـاء يـدعى «المريسـيع»، و نشبـت الحرب بينهم و بين المسلمين، و لكن صمود المسلمين و بسالتهم التى كانت قد أرعبت قلوب قبائل العرب تسبب فى أن

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۵

لا يطول القتال بين المسلمين و بين «بنى المصطلق» فتفرق جيش العدو بأن قتل منهم عشرة رجال، كما و قتل رجل مسلم خطأ، فأصاب المسلمون غنائم كثيرة و سبوا جماعة كبيرة من نساء بنى المصطلق «۱».

(۱) هـذا و ان النقاط و الـدروس المفيدة فى هذه الواقعة تتمثل فى السـياسة الحكيمة التى مارسـها رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى

حوادث هذه الغزوة، ممّا سنذكر بعضها عما قريب.

و قد شبّ فی هذه المنطقة و لأوّل مرّة خلاف بین المهاجرین و الأنصار، کاد أن یأتی بنتائج مروّعة أبسطها أن توجّه ضربة قویة إلی الاتحاد الحاصل بین المسلمین نتیجة هوی البعض و هو سهم لو لا تدبیر النبی صلّی اللّه علیه و آله و حکمته، الرشیدة التی أنهت کل شیء، و ابقت علی روح التآخی بین المسلمین.

و تعود جذور هذه الحادثة إلی تزاحم رجلین من المسلمین علی البئر بعد ان وضعت الحرب أوزارها.

فقد ازدحم «جهجاه بن مسعود» و هو من المهاجرین و «سنان بن وبر الجهنی» و هو من الأنصار علی الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنی- مستغیثا بقبیلته علی عادة الجاهلیین-: یا معشر الأنصار، و صرخ جهجاه: یا معشر المهاجرین، و کاد أن یتقاتل المسلمون من الفریقین فیما بینهم فی هذه الحادثة، و فی هذا المکان البعید عن عاصمة الاسلام و مرکزه، و یتعرض بذلک کیانهم للسقوط و الانهیار، لأنهم تواعدوا علی القتال کل فریق انتصارا الصریحة.

فلما عرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بذلک قال:

«دعوها فإنها منتنة» «۲».

أی أن هذا النوع من الاستغاثة و لمثل هذا الدافع ما هو إلّا من دعوی

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۶۰، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۹۵ و ۱۹۶.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۲۹۰ (الهامش).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۰۶

الجاهلیة، و قد جعل اللّه المؤمنین إخوة و حزبا واحدا، فانما ینبغی أن تکون الدعوة للمسلمین، و إلّا کانت جاهلیة، لا قیمة لها فی الإسلام «۱».

و بذلک قضی النبی الحکیم علی الفتنة فی مهدها، و جنّب المسلمین أخطارها.

(۱)

منافق حاول إشعال الموقف:

أجل لقد استطاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بهذا الاستنکار الشدید أن یطفئ نار الاختلاف و التنازع فکیف الفریقان (القبیلتان) عن استئناف التنازع و التقاتل.

إلّا أن «عبد اللّه بن ابی» رئیس حزب المنافقین بالمدینة، و الذی کان یکنّ حقدا کبیرا علی الإسلام و قد شارک فی تلک الغزوة طمعا فی الغنیمة، أظهر- فی هذه الحادثة- حقده، و ضغینته علی الإسلام، و قال لرهط من أهل المدینة کانوا عنده آنذاک: هذا ما فعلتم بأنفسکم، أحللتموهم بلادکم، و قاسمتموهم أموالکم أما و اللّه لو أمسکتم عنهم ما بأیدیکم لتحولوا الی غیر دارکم، لقد نافرونا (أی المهاجرین) و کاثرونا فی بلادنا، و اللّه ما أعدنا و جلابیب قریش إلّا کما قال الأول: سمّن کلبک یأکلک، أما و اللّه لئن رجعنا إلی المدینة لیخرجنّ الأعز منها الأذل (و یقصد بالأذل المهاجرین)!!!!

(۲) فترکت کلمات «ابن ابی» أمام تلک الجماعة التی کانت لا تزال تعانی من بقایا عصبیة جاهلیة، أثرها فی نفوسهم، و کادت توجه ضربة قاضیة إلی صرح الوحدة الاسلامیّة، و الاخوة الایمانیة التی کانت تشدّ المسلمین- أنصارا و مهاجرین- بعضهم ببعض کالبنیان المرصوص.

و من حسن الحظ أن فتی غیورا من فتیان المسلمین هو زید بن الارقم

---

(۱) راجع هوامش السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۹۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۷

لما سمع بهذه الكلمات المثيرة للشغب و الفتنة رد على «ابن ابى» بكلمات قوية شجاعة اذ قال: أنت و اللّه الذليل القليل المبغض فى قومك، و محمّد فى عزّ من الرحمن، و مودّة من المسلمين، و اللّه لا احبّك بعد هذا أبدا.

(۱) ثم نهض و مشى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره الخبر، فرده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثلاث مرات حفظا للظاهر، قائلا: لعلّك و همت يا غلام، لعلّك غضبت عليه، لعلّه سفّه عليك.

و لكن زيدا كان يؤكّد على صحة ما أخبر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من مقالة المنافق الخبيث «عبد اللّه بن ابى»، و تحريكه للناس ضد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و هنا طلب عمر بن الخطاب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يقتل «ابن ابى» قائلا: مر به عبّاد بن بشر فليقتله «۱».

و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أجاب عمر بقوله:

«فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمّدا يقتل أصحابه، لا» «۲».

(۲) و لقد مشى «عبد اللّه بن ابى» إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين بلغه أنّ «زيد بن الارقم» قد بلّغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما سمع منه، فحلف

---

(۱) تثبت دراسة حياة الخليفة الثانى أنه لم يبد فى أية معركة من معارك الاسلام قوة و بسالة، بل كان فى صف المتقاعدين دائما. و لكن كلما أسّر المسلمون أحدا كان هو اول من يقترح على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بقتله و نذكر للمثال ما يلى:

أ- هذا المورد الذى طلب فيه من رسول اللّه أن يقتل ابن أبى.

ب- طلبه من النبى بأن يقتل حاطب بن أبى بلتعة الذى تجسس لصالح المشركين من أهل مكة فى فتح مكة.

ج- طلبه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بقتل أبى سفيان الذى جاء به العباس عم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى خيمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبيل فتح مكة، و غير ذلك من الموارد التى سبقت أو التى تأتى.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۰۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۸

باللّه: ما قلت ما قال، و قال بعض من حضر من أهل الرأى من أصحابه دفاعا عن ابن ابى: يا رسول اللّه عسى أن يكون الغلام قد اوهم فى حديثه و لم يحفظ ما قال الرجل.

(۱) و لكن الامر لم ينته إلى هذا، فقد كان هذا نوعا من الهدوء المؤقت تماما كالهدوء الذى يسبق العاصفة، الذى لا يمكن الاطمئنان إليه.

فقد كان يتوجب على قائد المسلمين الأعلى أن يقوم فورا بما يؤدى إلى أن ينسى الطرفان هذه القصة نهائيا، و لهذا أمر بالرحيل فى ساعة من النهار لم يكن صلّى اللّه عليه و آله يرتحل فيها عادة.

فجاءه «اسيد بن حضير»، و قال: يا رسول اللّه لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها؟

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل»؟

فقال اسيد: فأنت و اللّه يا رسول اللّه تخرجه إن شئت، هو و اللّه الذليل، و أنت العزيز، ارفق به يا رسول اللّه، فو اللّه لقد جاء اللّه بك و

ان قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، و أنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

(۲) ثم أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالرحيل فارتحل الناس، و سار بهم النبى صلّى اللّه عليه و آله يومهم ذاك حتى أمسى، و ليلتهم تلك حتى أصبح، من دون أن يسمح لهم بالنزول و الاستراحة، إلّا للصلاة، و سار بهم فى اليوم هكذا حتى آذتهم الشمس و سلبوا القدرة على مواصلة السير فأذن لهم بالاستراحة، فنزل الناس، و لم يلبثوا ان وجدوا مسّ الارض فوقعوا نياما من شدة التعب، و قد نسوا كل شىء من تلك الذكريات المرّة، و كان هذا هو ما يريده النبى صلّى اللّه عليه و آله، فقد سار بهم ليل نهار من دون توقف ليشغلهم عن الحديث الذى كان من

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۰۹

«عبد اللّه بن ابى» المنافق المفتّن «۱»

(۱)

صراع بين الايمان و العاطفة:

كان عبد اللّه ابن «عبد اللّه بن ابى» من فتيان الإسلام الشجعان، و من فرسانه البواسل، و كان- كما تقتضيه تعاليم الإسلام- يبر بأبيه المنافق أكثر من غيره، و لكنه عند ما عرف بما تفوّه به أبوه فى شأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ظن أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سيقتل أباه جاء الى النبى صلّى اللّه عليه و آله و قال: يا رسول اللّه انه قد بلغنى أنك تريد قتل «عبد اللّه بن ابى»، فيما بلغك عنه فإن كنت لا بدّ فاعلا فمرنى به فانا أحمل إليك رأسه، فو اللّه لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى، و إنى أخشى أن تامر به غيرى، فيقتله فلا تدعنى نفسى انظر إلى قاتل عبد اللّه بن أبى يمشى فى الناس فاقتله، فأقتل (رجلا) مؤمنا بكافر فأدخل النار!!

(۲) إن حديث هذا الفتى يعكس- فى الحقيقة- أعظم تجليات الإيمان و آثاره فى النفس، و الروح الانسانية.

لما ذا لم يطلب من النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يعفو عن أبيه؟! لأنّه كان يعلم أن ما يفعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنما هو بأمر اللّه تعالى، و لكن ابن عبد اللّه كان يرى نفسه فى صراع روحىّ حادّ.

فمن جانب كانت تدعوه عواطف البنوة و الابوّة و الأخلاق العربيّة أن ينتقم ممّن يقتل أباه، و يسفك بالتالى دم مسلم.

و من جانب آخر توجب عوامل اخرى مثل ضرورة استتباب الأمن و الطمأنينة فى البيئة الاسلامية أن يقتل رأس المنافقين «ابن أبى»، انه صورة من صور الصراع بين مقتضى الايمان، و مقتضى العاطفة.

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۶۱ و ۲۶۲، مجمع البيان: ج ۱۰ ص ۲۹۲- ۲۹۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۱۰

(۱) و لقد اختار عبد اللّه بن عبد اللّه بن ابى طريقا ثالثا فى هذا الصراع، يضمن مصالح الإسلام من جهة، و يحافظ على مشاعره من أن تجرح على أيدى الآخرين من جهة اخرى، و ذلك بأن يكون هو الذى ينفّذ حكم الاعدام فى أبيه المنافق المشاغب.

و هذا العمل و ان كان شاقا مؤلما إلّا أن قوة الايمان باللّه و التسليم لأمره سبحانه كانت تفيض عليه قدرا كبيرا من الطمأنينة و السكون.

و لكن النبى الرحيم صلّى اللّه عليه و آله قال ردا على سؤال و اقتراح عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى:

«بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى معنا»!!!

(۲) و هذا الكلام الذى يكشف عن سمو أخلاق النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و مبلغ رحمته، أدهش المسلمين جميعا فتوجهوا باللوم و العتاب الحادّ إلى المنافق «عبد اللّه بن أبى»، و لحقه بسبب ذلك ذل شديد بين الناس ما وراءه ذل، و هوان ما وراءه هوان، و احتقره

الناس حتی انه لم یعد أحد یعبأ به، و یقیم له وزنا.

لقد علّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المسلمین فی هذه الحوادث دروسا مفیدهٔ جدا، و أظهر جانبا من سیاسهٔ الاسلام الحکمیهٔ، و الرشیدهٔ.

فقد تحطم «عبد اللّه بن أبی» رئیس المنافقین بعد هذه الحادثهٔ، و لم یعد له أی دور، بل عاش بقیهٔ حیاته مهانا محتقرا بین الناس بعد أن رأی الناس إیذاءه المستمر لرسول اللّه، و عفو النبی صلّی اللّه علیه و آله عنه، و اغضاءه عن مساوئه.

و قد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعمر بن الخطاب ذات یوم حین بلغه احتقار الناس لابن ابی ذلک الاحتقار، و سقوط محله فی القلوب:

«کیف تری یا عمر، أما و اللّه لو قتلته یوم قلت لی: اقتله، لارعدت له انف، لو أمرتها الیوم بقتله لقتلته».

فقال عمر: قد و اللّه علمت لأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أعظم برکهٔ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۱۱

من أمری «۱».

(۱)

الزواج المبارک:

کانت «جویریهٔ» بنت الحارث بن أبی ضرار رئیس بنی المصطلق من جملهٔ السبایا التی وقعت فی أیدی المسلمین فی غزوهٔ بنی المصطلق، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته إلی المدینهٔ فلما کان فی وادی العقیق نظر إلی الإبل التی جاء بها لفداء ابنته فرغب فی بعیرین منها فغیّبها فی شعب من شعاب العقیق، ثم أتی إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و قال: یا محمّد أصبتم ابنتی و هذا فداؤها، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

«فأین البعیران اللذان غیّبتهما بالعقیق فی شعب کذا و کذا»؟!

(۲) فلما سمع الحارث بهذا الخبر الغیبی علی لسان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آمن هو و والده به، و أسلم اناس آخرون من قومه کانوا معه، و أرسل إلی البعیرین فجاء بهما، فدفع الإبل إلی رسول اللّه و دفعت إلیه ابنته «جویریهٔ» فأسلمت هی أیضا.

ثم خطبها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أبیها، فزوّجه اياها، و أصدقها أربعمائهٔ درهم.

فلما بلغ الناس أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تزوّج جویریهٔ بنت الحارث و کان بأیدیهم بعض الاسری من بنی المصطلق قالوا: أصهار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأطلقوا ما کان بأیدیهم من اولئک الاسری و کانوا مائهٔ عائلهٔ، فما علم امرأهٔ اعظم برکهٔ علی قومها منها، فقد اعتق بتزویجه اياها مائهٔ أهل بیت من بنی

---

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۲ ص ۲۹۲ و ۲۹۳ و فی السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۲ ص ۲۹۱: لأرغدت له أنوف، و تعنی هذه القولهٔ النبویهٔ الشریفهٔ: ان النبی لو کان یأخذ باقتراح عمر بقتل عبد اللّه بن أبی لدافع عنه اناس حمیهٔ و عصبیهٔ، و لکنه الیوم و بعد أن خذله الناس أنفسهم لو أمر النبی اولئک المدافعین بقتله. لقتلوه دون إبطاء.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۱۲

المصطلق.

و هکذا اطلق جمیع أسری بنی المصطلق الذین کانوا بأیدی المسلمین رجالا و نساء بفضل ذلک الزواج المبارک، أو قل بفضل هذه السیاسهٔ الاجتماعیهٔ الحکیمهٔ، و عادوا الی قبیلتهم «۱».

(۱)

الفاسق يفتضح:

كان إسلام بنى المصطلق اسلاما نابعا من قناعة و رغبة لأنهم لم يجدوا من المسلمين خلال مدّة الأسر إلّا حسن المعاملة و الإحسان و العفو حتى أنه تم اطلاق جميع الأسرى ببعض الذرائع و عادوا إلى قبيلتهم و أهليهم.

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أرسل إليهم «وليد بن عقبة بن أبى معيط» لجباية زكاتهم، فلما سمعوا بقدومه خرجوا إليه راكبين ليكرموه و ليؤدوا إليه ما عليهم من الزكاة، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول اللّه مسرعا فأخبره بأن القوم همّوا بقتله، و أنهم منعوه ما قبلهم من صدقتهم، فطلب المسلمون غزوهم، و فى الاثناء قدم وفد من بنى المصطلق على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالوا:

يا رسول اللّه سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه، و نؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة فأسرع راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنّا خرجنا إليه لنقتله و و اللّه ما جئنا لذلك. فنزلت فى هذا الشأن الآية السادسة من سورة الحجرات تؤيد مقالة بنى المصطلق و تصف الوليد بالفسق، اذ يقول تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ» «۲».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۹۵، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۱۹۸ و ۱۹۹.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۹۶ و ۲۹۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۱۳

(۱)

۴۱ قصة الإفك

اشارة

بقى رئيس حزب النفاق عبد اللّه بن ابى يواصل تجارته بالجوارى، و الإماء و يضعهن تحت تصرف الرجال للزنا بهن، ليجنى من هذا الطريق أرباحا طائلة.

حتى بعد دخول الاسلام فى المدينة.

فعند ما نزلت آيات تحريم الزنا كان ذلك الفاسق يمارس حرفته القذرة، حتى أن إماءه ضقن بهذا العمل الفاجر ذرعا، فشكين إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قالت إحداهن: إن سيّدى يكرهنى على البغاء.

فنزل قوله تعالى فى شجب هذا العمل الدنيء: «وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا» «۱» «۲».

و لقد أراد رجل يعبث بعفاف النساء كهذا، أن يسيء إلى امرأة ذات مكانة و شخصية فى المجتمع الاسلامى «۳»، و يتهمها بالزنا نكاية بالمؤمنين، و المؤمنات، و بغيا و حسدا.

---

(۱) النور: ۳۳.

(۲) مجمع البيان: ج ۴ ص ۱۴۱، الدر المنثور: ج ۵ ص ۴۶.

(۳) اخترنا هذا التعبير لورود نوعين من شأن النزول فى المقام بحيث لم يتأكد للمؤلف من هى المقصودة هنا، و ستقرأ فى الصفحات

القادمة أدلة عدم ثبوت من عيّنه البعض.

إن ما يستفاد من الآيات و الروايات المرتبطة بهذه القصة تفيد إجمالا أن امرأة ذات مكانة فى المجتمع الاسلامى آنذاک تعرضت لاتهام المنافقين لها، و أما من هى تلک المرأة على وجه التعيين فذلک ما لا يمكن البت فيه، على وجه القطع و اليقين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۱۴

(۱) حقا إن معاداة النفاق للايمان من أشدّ أنواع المعاداة، فان العدوّ المشرک و الكافر يعمد دائما إلى إشفاء غيظه و اطفاء غضبه و حنقه باستخدام عدائه فى جميع الموارد و الاوقات.

و لكن المنافق الذى يتظاهر بالايمان، و يتستر بالاسلام حيث انه لا يمكنه التظاهر بعدائه، فان عداءه الباطنى يتراكم و يتصاعد حتى يصل أحيانا إلى حدّ الانفجار، لهذا ينطلق المنافق فى كيل التهم من دون حساب أو ميزان تماما كما يفعل المجانين.

و نرى مثل هذه الحالة فى عبد اللّه بن ابى.

و لقد ظهرت ذلّة «عبد اللّه بن ابى» رئيس حزب النفاق فى واقعة بنى المصطلق، و قد منعه ابنه من دخول المدينة، و لم يسمح له بدخولها إلّا بوساطة من النبى صلّى اللّه عليه و آله، و هكذا آل مصير رجل كان يحلم بالملوكية و السلطان الى أن يمنعه أخصّ أقربائه عن الدخول إلى مسقط رأسه، فيما كان يطلب هو من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يكف عنه ولده.

(۲) إن من الطبيعى أن يعمد رجل مثل هذا إلى فعل كل ما يشفى غليله و يذهب غيظه، و من ذلک ترويج الشائعات الكاذبة انتقاما من المجتمع الاسلامى.

فعند ما يعجز العدوّ عن المواجهة المباشرة يعمد إلى حبک الشائعات، و ترويجها و اشاعتها ليستطيع من خلال ذلک، توجيه ضربة نفسيّة إلى المجتمع، و كذا بلبلة الرأى العام، و إشغاله بالتوافه و صرفه عن القضايا المهمة و المصيرية.

إن سلاح الشائعات من الأسلحة المدمرة التى يمكن أن تستخدم فى تشويه سمعة الأفراد الصالحين، و ابعاد الناس عنهم.

(۳)

المنافقون يتهمون شخصا نقىّ الجيب:

اشارة

يستفاد من الآيات النازلة فى قضيّة «الإفک» أن المنافقين اتهموا شخصا

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۱۵

بريئا كان يتمتع فى المجتمع الاسلامى آنذاک بتهمة الزنا، تحقيقا لمآربهم الدنيئة، و اضرارا بالمجتمع الاسلامىّ، و قد ردّهم القرآن و شجب عملهم بشدّة قل نظيرها، و أبطل خطتهم.

فمن هو- ترى- ذلک البرىء؟ ان فى ذلک خلافا بين المفسرين، فالاكثرون على أنها «عائشة» زوجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يرى الآخرون أنها «مارية» القبطية أم إبراهيم و زوجة رسول اللّه أيضا لقد ذكروا أسبابا مختلفة لنزول هذه الآيات لا تخلو من عن إشكال. و ها نحن ندرس القول الذى يذهب إلى أن المراد فى هذه الآيات هو: «عائشة» و توضيح ما يصح و ما لا يصح فى هذا المجال:

(۱)

دراسة القول الأوّل:

یری المحدّثون و المفسرون من أهل السنة أن نزول آیات «الإفک» یرتبط بعائشة، و یذکرون فی هذا المجال روایة مفصّلة لا یتلاءم بعضها مع عصمة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من هنا لا یمکن القبول بهذا القول علی اطلاقه.

و ها نحن نذکر ما یتلاءم من هذه القصة مع عصمة النبی صلّی اللّه علیه و آله ثم نستعرض آیات الإفک، ثم نشیر إلی القسم الذی یخالف عصمته صلّی اللّه علیه و آله فی هذا القول.

إن اسناد هذه الروایة تنتهی برمتها إلی «عائشة» «۱» نفسها، فهی تقول:

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذا أراد سفرا أقرع بین نسائه، فأیّهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما کانت غزوة بنی المصطلق أقرع بین نسائه کما کان یصنع عادة فخرج سهمی علیهن معه فخرج بی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلما فرغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من سفره ذلک وجه قافلا- حتی إذا کان قریبا من المدینة نزل منزلا- فبات به بعض اللیل، ثم أذن فی الناس بالرحیل، فارتحل

(۱) راجع الدر المنثور: ج ۵ ص ۲۴- ۳۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۱۶

الناس و خرجت لبعض حاجتی، و فی عنقی عقد لی، فیه جزع ظفار، (أی خرز یمنی) (۱) فلما فرغت انسلّ من عنقی و لا أدری فلما رجعت إلی الرحل ذهبت التمسه فی عنقی فلم أجده، و قد أخذ الناس فی الرحیل، فرجعت إلی مکانی الذی ذهبت إلیه، فالتمسته حتی وجدته، و جاء القوم خلا- فی الذین کانوا یرحّلون لی البعیر، و قد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، و هم یظنون أنی فیه کما کنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه علی البعیر و لم یشکّوا أنی فیه، ثم اخذوا رأس البعیر، فانطلقوا به، فرجعت إلی العسکر و ما فیه من داع و لا مجیب، قد انطلق الناس.

فتلففت بجلبابی، ثم اضطجعت فی مکانی، و عرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلیّ. فو اللّه إنی لمضطجعة (۲) اذ مرّ بی صفوان السلمی (و هو من فرسان الاسلام) و قد کان تخلّف عن العسکر لبعض حاجته، فلم یبت مع الناس، فرأی سوادی، فأقبل حتی وقف و قد کان یرانی قبل أن یضرب علینا الحجاب، فلما رآنی قال:

إنا للّه و إنا إلیه راجعون ظعینة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أنا متلففة فی ثیابی. قال: ما خلّفک یرحمک اللّه. فما کلّمته، ثم قرّب البعیر فقال: ارکبی، و استأخر عنّی فرکبت، و أخذ برأس البعیر، فانطلق سریعا یطلب الناس، فو اللّه ما أدرکنا الناس، و ما افتقدت حتی أصبحت، و نزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل یقود بی، فقال أهل الإفک ما قالوا؛ و ارتعج العسکر (أی شکوا فیّ) و و اللّه ما اعلم بشیء من ذلک. حتی نزلت آیات «الإفک» تبرئنی ممّا اتهمنی به المنافقون.

هذا القسم من شأن النزول الذی لخصناه لک من قصّة مفصّلة یمکن تطبیقها مع آیات «الإفک»، و لیس فیه ما ینافی عصمة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و إلیک الآیات التی نزلت فی هذا المجال:

إِنَّ الَّذِینَ جاؤُ بِالْإِفْکِ عُصْبَةٌ مِنْکُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۱۷

عَظِیمٌ لَوْ لا- إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَیْراً وَ قالُوا هذا إِفْکٌ مُبِینٌ. لَوْ لا جاؤُ عَلَیْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَإِذْ لَمْ یَأْتُوا

بِالشُّهَداءِ فَأُولئِکَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْکاذِبُونَ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّکُمْ فِیما أَفَضْتُمْ فِیهِ عَذابٌ عَظِیمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِکُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْواهِکُمْ ما لَیْسَ لَکُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَیِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِیمٌ. وَ لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما یَکُونُ لَنا أَنْ نَتَکَلَّمَ بِهذا سُبْحانَکَ هذا بُهْتانٌ عَظِیمٌ «۱».

(۱)

أبرز النقاط فی آیات «الإفک»:

یستفاد من القرائن أن هذه التهمة کانت نابعة أساسا من المنافقین أی أنه من کیدهم، و إلیک هذه القرائن:

(۲) ۱- یقال: إن المراد من قوله سبحانه: «وَ الَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ» هو «عبد اللّه بن ابی» رئیس المنافقین، و کبیرهم.

(۳) ۲- لقد عبّر تعالی فی الآیة الحادیة عشرة عن الذین اتهموا المرأة بلفظ:

«عصبة» و هذه العبارة تستعمل فی الجماعة المنظّمة، التی یربطها هدف واحد و تحدوها غایة واحدة و تفید أنهم کانوا متعاونین و متعاضدین فی المؤامرة و لم یکن مثل هذه الجماعة بین المسلمین إلّا المنافقون.

(۴) ۳- ان «عبد اللّه بن ابی» بسبب منعه من الدخول إلی المدینة، بقی عند مدخل المدینة، فلمّا شاهد عائشة و هی راکبة بعیر صفوان استغل الفرصة للایقاع برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اشفاء لغیظه، فبادر إلی استعمال سلاح التهمة و البهتان، و قال إن زوجة النبیّ صلّی اللّه علیه و آله باتت مع اجنبی فی تلک اللیلة و و اللّه ما نجا منهما من الإثم أحد.

---

(۱) النور: ۱۱- ۱۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۱۸

(۱) ۴- إنه تعالی یقول فی نفس الآیة (أی الحادیة عشرة): «لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَ خَیْرٌ لَکُمْ».

و الآن یجب أن نری کیف لا یکون اتّهام مؤمن طاهر الجیب شرا للمؤمنین بل یکون خیرا لهم؟

إن سبب ذلک هو أنّ هذه القصة کشفت القناع عن نوایا المنافقین و مقاصدهم الشرّیرة و افتضحوا برمّتهم، هذا مضافا إلی أنّ المسلمین أخذوا من هذه القضیة دروسا مفیدة، مذکورة فی محلها.

(۲)

الزوائد فی هذه القصة:

اشارة

هذا القدر من القصة یمکن تطبیقه مع القرآن الکریم، و لا یتنافی مع عصمة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لکن البخاری روی بین ثنایا هذه القصة امورا- نقلها عنه الآخرون فی الاغلب- تعانی من إشکالین أساسیین هما:

(۳)

۱- منافاتها لمقام النبوة و العصمة صلّی اللّه علیه و آله:

فقد روى البخارى عن عائشة نفسها قولها:

لما قدمنا المدينة لم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة (أى مرضت) و لا يبلغنى من ذلک شىء و قد انتهى الحديث الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إلى أبوىّ لا يذكرون لى منه قليلا و لا كثيرا إلّا أنّى قد أنكرت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعض لطفه بى، و كنت إذا اشتكيت رحمنى و لطف بى، فلم يفعل ذلک بى فى شكواى تلک، فأنكرت ذلک منه، كان إذا دخل علىّ و عندى امّى تمرضنى قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلک. حتى اذا نقهت من وجعى بلغنى ما قاله المنافقون فىّ، فمرضت مرة اخرى فقلت يا رسول اللّه لو أذنت لى فانتقلت إلى أمّى فمرضتنى، فقال: لا ـ عليک، فانتقلت إلى امّى، فقلت لامّى: يغفر اللّه لک تحدّث الناس بما تحدّثوا به، و لا تذكرين لى من ذلک شيئا، فقالت: أى بنيّة هوّنى

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۱۹

عليک الشأن فو اللّه لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل لها ضرائر إلّا كثّرن، و كثر الناس عليها. «۱»

(۱) ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شاور «اسامة بن زيد» فى الامر، فأثنى علىّ خيرا و قاله، ثم قال: يا رسول اللّه أهلک و لا نعلم منهم إلّا خيرا، و هذا الكذب و الباطل!!

و شاور عليّا فقال: يا رسول اللّه إن النساء لكثير، و انّک لقادر على أن تستخلف، و سل الجارية، فانّها ستصدّقک (إى جارية عائشة) فدعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بريرة ليسألها، فقالت: و اللّه ما أعلم إلّا خيرا، و ما كنت اعيب على عائشة شيئا.

إن هذا القسم من الرواية يتنافى بقوة مع عصمة النبى صلّى اللّه عليه و آله لانه يكشف عن أن النبى وقع فريسة بأيدى الشائعات الكاذبة إلى درجة أنه غير سلوكه مع عائشة، و شاور أصحابه فيها!!

إن مثل هذا الموقف مع شخص برىء لا يوجد على تهمته أى دليل ليس فقط يتنافى مع مقام العصمة النبوية، بل يتنافى حتى مع مقام مؤمن عادى لأنه من المؤمنين ليس من الجائز أبدا أن تغيّر الشائعات سلوک مسلم عادىّ تجاه شخص منهم، و حتى لو تركت تلک الشائعات تأثيرا فى نفس المسلم، فليس من الجائز أن تحدث مثل ذلک التغيير و الانقلاب فى نظرته و سلوكه.

(۲) إن القرآن الكريم يوبّخ فى الآية ۱۲ و ۱۴ من سورة النور اولئک الذين وقعوا فريسة الشائعات و ظنّوا الظن السوء إذ يقول تعالى: «لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قالُوا هذا إِفْكٌ مُبِينٌ»؟!

---

(۱) صحيح البخارى: ج ۶ تفسير سورة النور ص ۱۰۲ و ۱۰۳ و كذا الجزء ۵ ص ۱۱۸ السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۹۹

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۰

«وَ لَوْ لا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَکَ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ»؟! «۱».

فاذا صحّ هذا القسم من الرواية المذكورة فى شأن النزول لزم أن نقول: ان هذا العتاب الشديد و هذا التوبيخ الصارخ كان يعمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أيضا، و الحال أن مقام النبوة الذى يلازم العصمة لا يسمح لنا بأن نقول بأن هذا الخطاب و التوبيخ موجّهين إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

من هنا لا مناص من رفض كل هذه الرواية المذكورة فى شأن النزول الذى يتنافى مع عصمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أو القبول بالقسم الذى لا يتنافى منها مع عصمة النبى صلّى اللّه عليه و آله و رفض ما يتنافى معها.

(۱)

۲- سعد بن معاذ توفى قبل حادثة «الإفک»:

و یروی البخاری فی صحیحه فی ذیل شأن النزول عن عائشة نفسها: بعد أن سأل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بریرة عن أمری، فقالت فیّ خیرا و صعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه و قال: «من یعذرنی ممن یؤذینی فی أهلی (أی من یؤدبه) و یقولون لرجل، و اللّه ما علمت علی ذلک الرجل إلّا خیرا، و ما کان یدخل بیتا من بیوتی إلّا معی و یقولون علیه غیر الحق».

فقام «سعد بن معاذ» و قال: أنا اعذرک منه یا رسول اللّه إن یک من الأوس آتک برأسه، و إن یک من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرک نمضی لک.

فثقل هذا الکلام علی «سعد بن عبادة» و غضب منه، فقام و قال:

کذبت لعمر اللّه، لا تقتله و لا تقدر علی قتله «۲».

---

(۱) أی لما ذا- عند ما سمعتم بهذا الافتراء- لم تظنوا بأنفسکم خیرا و قلتم: هذا إفک، و لما ذا- عند ما سمعتم بهذا الکلام- لم تقولوا هذا بهتان لا یجوز ان نتکلم به.

(۲) کان «سعد بن معاذ» رئیس الاوس و «سعد بن عبادة» رئیس الخزرج، و کانت بین هاتین-

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۲۱

(۱) فقام اسید بن حضیر- و هو ابن عم سعد بن معاذ- و قال: کذبت و اللّه لنقتلنّه و أنفک راغم. فانک منافق تجادل عن المنافقین، و اللّه لو نعلم ما یهوی رسول اللّه من ذلک فی رهطی الأدنین ما رام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکانه حتی آتیک برأسه، و لکنی لا أدری ما یهوی رسول اللّه.

ثم تغالطوا، و قام آل الخزرج من جانب، و آل الأوس من جانب آخر، و کادوا أن یشتبکوا و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی المنبر، فأشار رسول اللّه إلی الحیّین جمیعا أن اسکتوا، و نزل عن المنبر فهدّأهم و خفضهم حتی انصرفوا ...

هذا القسم من القصة المذکورة فی روایة البخاری غیر صحیح، و لا یتلاءم مع التاریخ الثابت الصحیح لأن «سعد بن معاذ» کان قد مات بعد إصدار حکمه فی بنی قریظة متأثرا بجرح أصابه فی معرکة «الاحزاب»، و قد وقعت حادثة «الإفک» بعد واقعة بنی قریظة، و قد صرّح البخاری نفسه بهذا فی صحیحه (ج ۵ ص ۱۱۳) فی باب «معرکة الاحزاب و بنی قریظة»، فکیف یمکن و الحال هذه أن یحضر مجلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یجادل سعد بن عبادة فی قصة الإفک التی وقعت بعد واقعة بنی قریظة بعدة شهور؟! «۱»

(۲) لقد ذهب المؤرخون الی أن معرکة الخندق ثم واقعة بنی قریظة وقعتا فی شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، فتکون النتیجة ان قضیة بنی قریظة انتهت فی التاسع عشر من شهر ذی الحجة، و قد توفی سعد بن معاذ فی أعقاب هذه الحادثة مباشرة لمّا انفجر به جرحه «۲» فی حین وقعت غزوة بنی المصطلق فی شهر شوال

القبیلتین منافسة قدیمة، و کان «عبد اللّه بن أبی» خزرجیا، فاعتبر «سعد بن عبادة» کلام «سعد بن معاذ» تعریضا بالخزرج و حطا من شأنهم.

(۱) نفس المصدر السابق، و الجدیر بالذکر أن ابن هشام لم یذکر فی سیرته «سعد بن معاذ»، و لکنه روی جدال اسید مع سعد بن عبادة راجع السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۰۰، و هکذا فعل ابن الاثیر فی الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۱۳۴، و لکن المغازی ذکر القصة کاملة، و اتی باسم سعد بن معاذ راجع: ج ۲ ص ۴۳۱.

(۲) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۲۵۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۲

من السنة السادسة «۱».

أجل إنّ ما هو مهمّ فى المقام هو أن نعرف أنّ حزب النفاق حاول أن يزلزل النفوس، و يبلبلها ببهت امرأة صالحة ذات مكانة فى المجتمع الاسلامى يومذاك.

و قد فسر قوله: «الّذى تولى كبره» أى الذى تحمل القسط الاكبر من هذه العملية الخبيثة بعبد اللّه بن ابى، فهو الذى قاد هذه العملية الرخيصة و الخطرة كما صرحت بذلك عائشة نفسها أيضا.

(۱)

الرواية الاخرى فى سبب النزول:

و تقول هذه الرواية أن الآيات الحاضرة نزلت فى «مارية القبطيّة» زوجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و والدة إبراهيم.

فان هذه الرواية تقول: لما مات إبراهيم بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حزن عليه حزنا شديدا، فقالت عائشة: ما الذى يحزنك عليه؟ ما هو إلّا ابن جريح، فبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا صلوات اللّه عليه و أمره بقتله، فذهب على صلوات اللّه عليه و معه السيف، و كان جريح القبطى فى حائط (أى بستان)، فضرب «على» باب البستان، فأقبل جريح له ليفتح الباب، فلما رأى عليّا صلوات اللّه عليه، عرف فى وجهه الغضب، فأدبر راجعا و لم يفتح باب البستان، فوثب على عليه السّلام على الحائط و نزل إلى البستان، و أتبعه، و ولّى جريح مدبرا، فلما خشى أن يرهقه (أى يدركه) صعد فى نخلة و صعد «على» فى أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فاذا ليس له ما للرجال و لا له ما للنساء، فانصرف علىّ عليه السّلام إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۲۹۷، و لعلّه فطن ابن هشام لهذه الناحية فترك ذكر سعد بن معاذ، بينما غفل عنها البخارى فى صحيحه، راجع شروح البخارى منها: فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر: ج ۸ ص ۴۷۱ و ۴۷۲ للوقوف على اضطراب الشرّاح فى معالجة هذا التناقض.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۳

فقال له: يا رسول اللّه إذا بعثتنى فى الأمر أكون كالمسمار المحمى فى الوبر أم أتثبّت؟

قال: لا بل تثبت.

قال: و الذى بعثك بالحق ما له ما للرجال و ما له ما للنساء.

فقال: الحمد للّه الذى صرف عنا السوء أهل البيت.

و هذه الرواية التى نقلها «المحدث البحرانى» فى «تفسير البرهان» ج ۲ ص ۱۲۶- ۱۲۷ و «الحويزى» فى تفسير «نور الثقلين» ج ۳ ص ۵۸۱- ۵۸۲ ضعيفة و غير مستقيمة من حيث المفاد، و هو ضعف ظاهر لا يحتاج الى البيان و لذلك.

و من هنا لا يمكن القبول بها فى شأن نزول هذه الآيات.

فالمهم هو وقوع أصل هذه الحادثة، كان من كان المتّهم فى هذه الحادثة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۴

(۱)

۴۲ رحلة سياسيّة دينيّة [قصة الحديبية]

اشارة

كانت السنة الهجرية السادسة بكل حوادثها المرة و الحلوة تقترب من نهايتها عند ما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المنام أنه دخل البيت (الكعبة) و حلق رأسه، و أخذ مفتاح البيت، و عرّف مع المعرفين، فقصّ صلّى اللّه عليه و آله هذه الرؤيا على أصحابه و تفاءل به خيرا «۱».

و لم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيّؤ للعمرة، و دعا القبائل المجاورة التى كانت لا تزال على شركها و كفرها الى مرافقة المسلمين فى هذه السفرة، و لهذا شاع فى جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون فى شهر ذى القعدة صوب مكة يريدون العمرة.

و لقد كانت هذه السفرة الروحانية تنطوى- مضافا إلى العطاء الروحانى و المعنوى- على مصالح اجتماعية و أهداف سياسية، فقد عززت مكانة المسلمين فى شبه الجزيرة العربية، و تسببت فى انتشار دين التوحيد فى أوساط المجتمع العربى آنذاك، و ذلك:

(۲) أولا: لأنّ القبائل العربية المشركة كانت تتصوّر أن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله يخالف كل عقائد العرب، و تقاليدهم الشعبية، و الدينية حتى فريضة الحج، و العمرة التى كانت تعد من ذكريات الاسلاف و مواريثهم.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۹ ص ۱۲۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۵

من هنا كانوا يخافون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يتوجسون خيفة من دينه، و عقيدته، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله استطاع فى هذه المناسبة- باشتراكه، و اشتراك أصحابه فى مراسيم العمرة أن يخفف هذا الخوف لدى القبائل المشركة إلى حدّ كبير، و أن يوضح بعمله أنّ رسول الإسلام لا يعارض زيارة بيت اللّه الحرام، و الفريضة المذكورة التى تعد من طقوسهم الدينية، و تقاليدهم المذهبية، بل يعتبرها فريضة مقدسة، فهو مثل والد العرب الاكبر «إسماعيل بن إبراهيم الخليل» عليهما السّلام يعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية، و بهذا استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يستقطب قلوب من كان يتوهم أن رسالة «محمّد» و دعوته، و دينه يعارض جميع شئونهم و تقاليدهم و أعرافهم الدينية، و الشعبية، و يخالفها مخالفة مطلقة، و يقلّل من خوفهم، و استيحاشهم.

(۱) ثانيا: إذا استطاع المسلمون أن يحرزوا فى هذا السبيل نجاحا، و يؤدوا مناسك العمرة فى المسجد الحرام بحرية، أمام أعين الآلاف من المشركين، فان عملهم هذا بنفسه سيكون تبليغا ناجحا للإسلام، لأن أخبار المسلمين ستنتشر بواسطة المشركين الذين قدموا مكة من جميع المناطق لاداء مناسك العمرة، فسيحملون أنباء ما رأوه و شاهدوه من أفعال المسلمين الرشيدة، و أخلاقهم الفاضلة، إلى أوطانهم لدى عودتهم من مكة إلى بلادهم، و بهذا ينتشر نداء الإسلام فى تلكم المناطق التى لم يستطع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان يبعث إليها الدعاة و المبلغين حتى ذلك الحين، و يترك هذا الأمر أثره المطلوب.

(۲) ثالثا: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذكّر الناس فى المدينة بحرمة الأشهر الحرم و قال صلّى اللّه عليه و آله: و أمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الاسلحة شيئا إلّا السيف الذى يحمله كل مسافر معه.

و لقد جلب هذا الامر عواطف كثير من الغرباء عن الإسلام نحو هذا الدين، و غيّر من نظرتهم السلبية تجاه دعوة الإسلام، لأنهم شاهدوا بام أعينهم أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يحرّم القتال فى هذه الاشهر، و يدافع بنفسه عن

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۶

هذه السنّة الدينية القديمة و يدعو إلى رعايتها خلافا لكل الدعايات التى كانت تبثها قريش عن أن الاسلام لا يحترم هذه الأشهر، و يجيز الاقتتال و سفك الدماء فيها.

(۱) لقد فكر القائد الاسلامىّ مع نفسه بانه لو أصاب المسلمون فى هذا السبيل أىّ نجاح، فانهم يكونون قد حققوا أملا قديما من

آمالهم التی طالما تشوقوا إلی تحقیقها.

کما أنه سوف یستطیع المهاجرون الـذی طال بعدهم عن وطنهم، و أهلیهم، أن یزوروا ذویهم و أقربائهم. هذا إذا سـمحت قریش لهم بدخول مکهٔ.

و أمّا إذا منعتهم قریش عن الدّخول فی الحرم فان مکانهٔ قریش سـتتعرض- حینئذ- لخطر السقوط فی العالم العربی، و سیلومهم العرب علی ذلـک، لأـن جمیع ممثلی القبائل العربیـهٔ المحایـدهٔ ستری کیف عاملت قریش جماعـهٔ مسالمـهٔ أرادت دخول مکـهٔ لأداء مراسـیم العمرهٔ، و زیارهٔ الکعبهٔ المعظمهٔ، و لا تحمل معها أیّ سلاح إلّا ما یحمله المسافر فی سفره عادهٔ، فی حین یرتبط المسجد الحرام بالعرب کافهٔ، و انما تقوم قریش بمجرّد سدانته، و ادارهٔ شئونه.

(۲) و هنا تتجلی حقانیـهٔ المسـلمین بشـکل واضـح، و یتضـح عـدوان قریش و ینکشف للجمیع بطلان مواقفها، فلا تسـتطیع قریش بعد ذلک أن تواصل تألیبها للقبائل العربیـهٔ ضـدّ الإسـلام، و عقـد تحالفات عسـکریهٔ و اتحاد نظامیّ مع قواها المحاربهٔ المسـلمین لانها قد منعت الزوّار المسلمین أمام أعین الآلاف من الحجیج و الزائرین من حقهم المشروع.

لقد لا حظ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کلّ هذه الجوانب و غیرها فامر المسلمین بالتوجّه نحو مکهٔ، و أحرم الف و اربعمائه «۱» أو الف و ستمائهٔ «۲» أو الف و ثمانمائهٔ «۳» فی «ذی الحلیفهٔ» و قلّد سبعین بدنهٔ (بعیرا) و بهذا أعلن عن هدفه من تلک الرحلهٔ.

---

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۲ ص ۳۰۹.

(۲) مجمع البیان: ج ۲ ص ۲۸۸.

(۳) روضهٔ الکافی: ص ۳۲۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۲۷

و لقد أرسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عینا له لیخبره عن قریش إذا وجدهم فی أثناء الطریق.

(۱) و لما کان رسول اللّه بعسفان (و هی منطقهٔ بین الجحفهٔ و مکهٔ) أتاه رجل خزاعیّ کان یتقصی الاخبار لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال: یا رسول اللّه هـذه قریش قـد سـمعت بمسیرک، فعاهدوا اللّه أن لا تدخلها أبدا و هذا «خالد بن الولید» فی خیلهم (و کانوا مائتین) قد قدّموها الی کراع الغمیم. (و هی موضع بین مکهٔ و المدینهٔ أمام عسفان بثمانیهٔ أمیال).

فلما سمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعزم قریش علی منعه و منع اصحابه من العمرهٔ قال:

«یا ویـح قریش، لقـد أکلتهم الحرب ما ذا علیهم لو خلّوا بینی و بین سائر العرب، فان هم أصابونی کان الذی أرادوا، و إن أظهرنی اللّه علیهم دخلوا فی الإسـلام وافرین، و إن لم یفعلوا قاتلوا و بهم قوهٔ، فما تظنّ قریش، فو اللّه لا أزال اجاهـد علی الـذی بعثنی اللّه به حتی یظهره اللّه به، أو تنفرد هذه السالفهٔ «۱» (أی أقتل أو أموت).

(۲) ثم طلب رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله من یـدلّه علی طریـق آخر غیر الطریق الـذی هم بهـا لکی یتجنب مواجهـهٔ طلیعـهٔ قریش بقیادهٔ «خالد بن الولید».

فتعهّد رجل من بنی أسـلم بذلک فسلـک برسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و أصحابه طریقا وعرا کثیرهٔ الحجارهٔ بین شعاب حتی انتهوا إلی منطقـهٔ سـهلهٔ تـدعی بالحدیبیهٔ، فبرکت هناک ناقهٔ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فقال صـلّی اللّه علیه و آله: «ما هذا لها عادهٔ، و لکن حبسها حابس الفیل بمکهٔ» «۲».

ثم أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الناس أن ینزلوا فی ذلک المکان فنزلوا.

---

(۱) السالفهٔ: صفحهٔ العنق، و کنی بهذه الجملهٔ عن الموت لأنّها لا تنفرد عمّا یلیها الّا بالموت.

(۲) بحار الانوار: ج ۲۰ ص ۳۲۹ و غيره. و قد أشار بهذا الكلام إلى واقعة الفيل.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۸

(۱) و لما علمت طليعة قريش بمسير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لحقت به، حتى اقتربت منه و حاصرت موكبه و رجاله فكان على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله اذا أراد أن يواصل سيره باتجاه مكة ان يخترق صفوف رجال قريش، فيسفك دماءهم، و يعبر على أجسادهم، و حينئذ كان الجميع يرى أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يهدف العمرة و الزيارة بل يريد الحرب و القتال، فكان مثل هذا العمل يسيء إلى سمعة النبى صلّى اللّه عليه و آله و يضر بهدفه السلميّ.

ثم إن قتل هؤلاء النفر من طليعة قريش لا يزيل جميع الموانع من طريقه، لأن قريشا كانت تبعث بإمدادات مستمرة، و لم يكن لينته إلى هذا الحدّ.

هذا مضافا إلى أن المسلمين ما كانوا يحملون معهم حينذاك- إلّا ما يحمله المسافر العاديّ من السلاح، و مع هذه الحال لم يكن القتال أمرا صحيحا، و حكيما بل كان يجب ان تحلّ المشكلة عن طريق التفاوض.

(۲) و لهذا عند ما نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى تلك المنطقة قال:

«لا تدعونى قريش اليوم إلى خطّة يسألوننى فيها صلة الرحم إلّا أعطيتهم إياها» «۱».

و لقد بلغ كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا مسامع الناس، و كان من الطبيعى أن يسمع به العدو أيضا، و لهذا بعثوا برجال من شخصيّاتهم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليتعرفوا على هدفه الاصلى من هذا السفر.

(۳)

مندوبو قريش عند النبى صلّى اللّه عليه و آله:

بعثت قريش بعدة مندوبين إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليتعرفوا على مقصده و هدفه فى هذا السفر.

و كان أول أولئك المبعوثين هو: «بديل بن ورقاء الخزاعى» الذى أتى

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۷۰- ۲۷۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۲۹

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى رجال من خزاعة فكلّموه نيابة عن قريش و سألوه: ما الذى جاء به؟ فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّا لم نجىء لقتال أحد، و لكنّا جئنا معتمرين».

فرجعوا إلى قريش و أخبروهم بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يات لقتال و إنما جاء معتمرا زائرا لبيت اللّه، و لكن قريشا لم يصدقوهم و قالوا: و إن كان جاء و لا يريد قتالا فو اللّه لا يدخلها علينا عنوة أبدا، و لا تحدّث بذلك عنّا العرب.

(۱) ثم بعثوا «مكرز بن حفص» فسمع من النبى صلّى اللّه عليه و آله ما سمعه سابقه، فعاد و صدّق ما أخبر بديل قريشا به، و لكن قريشا لم تصدق مكرزا أيضا كما لم تصدّق سابقه.

فبعثت فى المرة الثالثة الحليس بن علقمة «۱» و كبير رماة العرب، لحسم الموقف، فلما رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مقبلا قال:

«إن هذا من قوم يتألّهون (أى يعظمون أمر اللّه) فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه».

(۲) فلما رأى الحليس، الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده، و قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه، رجع إلى قريش، و لم يصل إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إعظاما لما رأى، فقال لهم: يا معشر قريش و اللّه ما على هذا حالفناكم، و لا على هذا

الّذى عاقدناكم، أ يصدّ عن بيت اللّه من جاء معظما له و قد ساق الهدى معكوفا إلى محلّه؟!، و الذى نفس الحليس بيده لتخلّنّ بين محمّد و ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد، و هكذا امتنع الحليس من مواجهة رسول اللّه بالقوة و استخدام العنف معه لصده، و قد لاحظ بأم عينيه ان النبى صلّى اللّه عليه و آله و المسلمين لا يريدون إلّا العمرة و الزيارة لا القتال

---

(۱) لقد جاء الحليس إلى النبى بعد عروة الثقفى حسب رواية الطبرى فى تاريخه: ج ۲ ص ۲۷۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۳۰

و الحرب، بل عاد يهدد قريشا اذا هى أرادت صدّه عن ذلك.

فشق هذا الكلام و هذا التهديد على قريش و خافوا من مخالفته، فقالوا: مه، كفّ عنا يا حليس حتّى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

(۱) ثمّ بعثوا أخيرا «عروة بن مسعود الثقفى» و كان رجلا- لبيبا تطمئن قريش إلى درايته و حكمته و خيره و كان لا- يحبّ أن يمثّل قريشا فى هذه المفاوضات لما رآه من معاملتهم مع الممثلين السابقين، و لكن قريشا تعهدت له بان تقبل بما تقول، و أعلنت له عن ثقتها الكاملة به، و بما سيخبر به، و بأنه غير متّهم عندهم.

فخرج من عندهم حتى أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فجلس بين يديه ثم قال: يا محمّد جمعت أو شاب الناس (أى أخلاطهم) ثم جئت بهم إلى أهلك و قبيلتك، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون اللّه لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، و أيم اللّه لكأنّى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا، (أو قال: أن يفرّوا عنك و يدعوك).

(۲) و عند ما بلغ ابن مسعود فى كلامه إلى هذا قال له أبو بكر و كان جالسا خلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أ نحن ننكشف عنه، و ندعه؟

لقد كان «عروة» كأىّ دبلوماسىّ ماكر، يحاول إضعاف معنويات أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بكلامه، و روغانه.

و أخيرا انتهت المباحثات دون جدوى. و هنا جعل «عروة» يتناول لحية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ازدراء به صلّى اللّه عليه و آله، و المغيرة بن شعبة- و كان واقفا على رأس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- يقرع يده إذا تناول لحية النبى صلّى اللّه عليه و آله و يقول اكفف يدك عن وجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل أن لا تصل إليك.

فسأل عروة: يا محمّد من هذا؟ فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة (و يبدو أن جميع من كان حول النبى آنذاك أو بعضهم كانوا مقنعين رعاية للظروف الأمنية).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۳۱

(۱) فغضب عروة و قال: «أى غدر، و هل غسلت سوءتك إلّا بالأمس» و كان المغيرة قد قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف فودى عروة المقتولين و أصلح الأمر.

فقطع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الكلام على عروة و قال له مثل ما قال لبديل و رفيقيه، و أنه لم يات يريد حربا، بل جاء يريد العمرة، و لاجل أن يرى عروة مكانته بين أصحابه و أتباعه، قام صلّى اللّه عليه و آله و توضأ أمامه، فرأى عروة بام عينيه كيف أنه لا يتوضّأ إلّا و تسابق أصحابه على التقاط القطرات المتناثرة من وضوئه، فرجع إلى قريش و قال لهم: يا معشر قريش إنّى قد جئت كسرى فى ملكه، و قيصر فى ملكه، و النجاشىّ فى ملكه، و إنّى و اللّه ما رأيت ملكا فى قوم قطّ مثل محمّد فى أصحابه، و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء قط فروا رأيكم «۱».

(۲)

رسول اللّه يبعث مندوبا الى قريش:

لم تثمر الاتصالات التی جرت بین مبعوثی قریش، و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فکان من الطبیعی أن یتصور رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنّ مبعوثی قریش لم یستطیعوا نقل هدفه إلی قریش، و إسماعهم الحقیقة، و أن اتهامهم لهم بالجبن و الکذب منعهم من قبول ما قد أخبروا به، و لهذا قرّر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یبعث هو مندوبا عنه إلی رءوس الشرک لیوضّح لهم هدف رسول الاسلام من هذا السفر، و أنه لیس إلّا زیارة بیت اللّه و أداء مناسک العمرة لا غیر.

(۳) فاختار رجلا- لبیبا حازما من بنی خزاعة یدعی «خراش بن امیّة» فبعثه إلی قریش بمکّة و حمله علی بعیر یقال له «الثعلب». لیبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له من

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۵۹۸، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۸۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳۲

الزیارة و العمرة، فدخل مکة، و بلّغ سادة قریش رسالة النبی صلّی اللّه علیه و آله و لکن قریشا- خلافا لکل الأعراف الدولیة و الاجتماعیة قدیما و حدیثا. و القاضیة بحصانة السفراء و ضرورة احترام کل مما یمت إلیهم بصلة من ممتلکاتهم عمدت الی جمل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی امتطاه سفیر النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی مکة فعقروه عدوانا، و کادوا أن یقتلوا سفیر النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه، و لکن وساطة جماعة من قادة العرب ادت إلی أن تخلّی قریش سبیله حتی أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

إن هذا العمل الدنیء أثبت- بوضوح- أن قریشا لم تکن ترید السلام بل کانت دائما فی صدد اشعال فتیل الحرب.

(۱) و لم تلبث قریش أن کلّفت خمسین رجلا من فتیانها بالطواف بعسکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بغیة أخذ شیء من أمواله، أو أسر بعض أصحابه لو أتیح لهم ذلک، ارعابا للمسلمین و تخویفا لهم. و لکن هذه الخطة فشلت فشلا ذریعا، فان هؤلاء لم یصیبوا شیئا بل أسرهم المسلمون جمیعا و أتی بهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فعفا عنهم، و خلّی سبیلهم مع أنهم کانوا قد رموا فی عسکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالحجارة و النبل.

و بهذا ثبت رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله مرة اخری أنه یحب السلام و یسعی إلیه، و انه جاء معتمرا لا معتدیا و لا محاربا «۱».

(۲)

النبی یبعث سفیرا آخر الی قریش:

رغم کل هذه الامور و رغم کلّ التصلّب و التعصّب الذی أبدته القیادة القرشیة المشرکة ضدّ الاسلام و المسلمین و ضد محاولات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله السلمیّة لم ییأس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من تحقیق السلام

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۷۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳۳

فقد کان یرید- واقعا- أن یعالج المشکلة من طریق المفاوضات، و من طریق تغییر التصورات التی کان یحملها اشراف قریش و سادتها المتعنتین المتصلبین عن رسول اللّه و دعوته.

(۱) و من هنا کان یجب هذه المرّة أن یختار صلّی اللّه علیه و آله رجلا لم تخض یده فی دماء قریش، و لهذا لم یصلح «علی بن أبی طالب» و لا- «الزبیر» و لا- غیر هم من فرسان الاسلام و شجعانه الذین جالدوا صنادید قریش فی میادین القتال و أردوا فریقا منهم صرعی، لمثل هذه السفارة، و هذه المهمة.

و لهـذا تقرر- بعـد التأمل. انتـداب «عمر بن الخطاب» لهـذه المهمة، أی الذهاب الی مکة، و التحدث الی سادة قریش، و رؤسائها، لأنه لم یکن قـد أراق من المشـرکین حتی ذلک الیوم و لا قطرة دم، و لکن «عمر» اعتـذر عن تحمل هـذه المسئولیة، و القیام بهذه المهمة المحفوفة بالمخاطر قائلا: یا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله؛ إنی أخاف قریشا علی نفسـی، و لیس بمکة من بنی عدیّ (و هم عشیرته) من یمنعنی، و لکنی ادلّک علی رجل أعزّ بها منی، «عثمان بن عفان». (لکونه أمویا بینه و بین أبی سفیان زعیم قریش قرابة) «۱».

فدعا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله «عثمان بن عفان» فبعثه إلی «أبی سفیان» و أشراف قریش، لیخبرهم أنه لم یأت لحرب، و أنه انما جاء زائرا لهذا البیت و معظما لحرمته.

(۲) فخرج عثمان الی مکـة، فلقیه «أبان بن سـعید بن العاص» حین دخل مکـة، أو قبل أن یـدخلها فحمله بین یـدیه، ثم أجاره حتی بلّغ رسالة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله، فانطلق «عثمان» حتی أتی أبا سفیان و أشراف قریش فبلغهم عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما أرسله به، فقالوا لعثمان حین فرغ من رسالة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلیهم: إن شئت أن تطوف بالبیت فطف،

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۱۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳۴

فامتنع عثمان عن الطواف احتراما لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

ثم إن قریشـا احتبست عثمـان عنـدها، و لعلّهم فعلوا ذلک ریثما یتوصـلوا إلی حلّ ثم یطلقوه لیبلّغ الی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله رأیهم.

(۱)

بیعة الرضوان:

إلّا أن إبطاء مبعوث النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله عن العودة من مکـة أوجد قلقا شدیدا فی نفوس المسـلمین، خاصّة و أنه شاع أن عثمان قد قتل، فثارت ثائرة المسلمین، و استعدّوا للانتقام من قریش و عمد النبی صلّی اللّه علیه و آله أیضا إلی مخاطبتهم قائلا:

«لا نبرح حتی نناجز القوم».

و ذلک تقویة لارادة المسلمین، و تحریکا لمشاعرهم الطاهرة.

و فی هذه اللحظات الخطیرة، و فی ما کان الخطر علی الابواب، و بینما لم یکن المسـلمون متهیئین للقتال قرر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یجدّد بیعته مع المسلمین.

فجلس رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله تحت شـجرة، و أخذ أصحابه یبایعونه علی الاستقامة و الثبات و الوفاء واحدا واحدا، و یحلفون له أن لا یتخلوا عنه أبدا، و أن یدافعوا عن حیاض الإسـلام حتی النفس الأخیر، و قد سمّیت هذه البیعة ببیعة «الرضوان» التی جاء ذکرها فی قوله تعالی:

«لَقَدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَةَ عَلَیْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً» «۱».

(۲) فاتضـح موقف المسـلمین بعـد هـذه البیعـة، فإمّا أن تسـمح لهم قریش بـدخول مکة لزیارة بیت اللّه المعظّم، و إمّا أن تتصـلّب فی موقفها الرافض فیکون بینهم

---

(۱) الفتح: ۱۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳۵

القتال و الحرب «۱». سید المرسلین ج ۲ ۳۳۵ بیعة الرضوان: ..... ص : ۳۳۴

بینما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الحال اذ طلع علیهم «عثمان بن عفان»، و کان ذلک بنفسه طلیعة سلام کان یریده رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فأخبر عثمان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن الذی یمنع قریشا من السماح لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بدخول مکة هو الیمین التی الزموا بها انفسهم أن لا یدعوه یدخل مکة هذا العام و انهم سیبعثون إلیه من یتفاوض معه بهذا الشأن.

(۱)

سهیل بن عمرو یفاوض رسول اللّه:

بعثت قریش- فی المرة الخامسة- «سهیل بن عمرو» الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد کلّفته بانهاء المشکلة ضمن شروط خاصّة سنقرؤها فی ما یأتی.

فأقبل «سهیل بن عمرو» علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لما رآه النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: قد أراد القوم الصلح حین بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهی «سهیل» إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تکلّم فی المسألة کما یتکلّم أی دبلوماسیّ بارع، فقال و هو یحاول إثارة عواطف النبی صلّی اللّه علیه و آله و أحاسیسه:

یا أبا القاسم إن مکة حرمنا و عزّنا، و قد تسامعت العرب بک إنک قد غزوتنا و متی ما تدخل علینا مکة عنوة تطمع فینا فنتخطّف، و إنا لنذکّرک الحرم، فان مکة بیضتک التی تفلّقت عن رأسک.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «فما ترید»؟

---

(۱) و لقد کان لهذه البیعة فی نفسها أثرا سیاسیا مهما فی نفس العدو، یقول الواقدی: فلما رأت عیون قریش سرعة الناس إلی البیعة و تشمیرهم إلی الحرب اشتدّ رعبهم و خوفهم و أسرعوا إلی القضیة (ج ۲ ص ۶۰۴). و راجع امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۲۹۱ أیضا.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳۶

قال: اریـد أن أکتب بینی و بینک هدنة علی أن اخلّیها لک فی قابل «۱» فتدخلها، و لا تدخلها بخوف و لا فزع، و لا سلاح إلّا سلاح الراکب، السیف فی القراب.

فقبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعقد مثل هذا الصلح.

(۱) و هکذا أدّت مفاوضات «سهیل» مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی عقد صلح شامل و واسع بین قریش و بین المسلمین.

و لقد تشدد «سهیل» فی شروط هذا الصلح کثیرا، حتی کاد أن ینتهی هذا التشدّد إلی قطع المفاوضات أحیانا، و لکن حیث إن الطرفین کانا یرغبان فی الصلح و الموادعة، لهذا کانا یستأنفان التحاور و التفاوض مرة اخری، بعد کلّ أزمة تطرأ علی المباحثات.

و أخیرا انتهت مفاوضات الجانبین- رغم کل ما أبداه مندوب قریش من التصلّب- الی عقد وثیقة موادعة و هدنة نظّمت فی نسختین و وقع علیها الجانبان.

(۲) و یروی کافّة المؤرخین و أرباب السیر أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله استدعی علیّا (علیه السّلام)، و امره أن یکتب تلک الوثیقة قائلا له: اکتب «بسم اللّه الرحمن الرحیم» فکتب «علیّ» ذلک فقال سهیل: لا أعرف هذا، و لکن أکتب: باسمک اللّهم!!

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: اکتب: باسمک اللّهم و امح ما کتبت.

ففعل «علی» ذلک.

ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أكتب «هذا ما صالح عليه رسول اللّه سهيل بن عمرو».

فقال سـهيل، لو أجبتك فى الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة فامح هذا الاسم و اكتب: محمّد بن عبد اللّه (أو قال: لو شهدت انك رسول اللّه لم اقاتلك.

---

(۱) أى افرغ لك مكة فى العام القادم لتدخلها.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۳۷

و لكن أكتب اسمك و اسم ابيك).

(۱) و لم يرض بعض من حضـر من المسـلمين فى هـذه النقطـة بأن يرضـخ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لمطالب «سـهيل» الى هـذه الدرجة، و لكن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الذى كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سـنذكرها فيما بعد رضـى بمطلب «سهيل»، و قال لعلىّ (عليه السّلام): امحها يا علىّ.

فقال علىّ (عليه السّلام) بأدب بالغ: يا رسول اللّه إن يدىّ لا تنطلق لمحو اسمك من النبوة.

فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله: فضع يـدى عليها، فمحى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بيـده كلمـة: رسول اللّه نزولا عند رغبة «سهيل» مفاوض قريش «۱».

ان التسامـح الـذى أبـداه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فى تنظيم وثيقة الصـلح هذه لا يعرف له نظير فى تاريخ العالم كله، لأنه اظهر بجلاء أن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لم يقع فريسة بيد الاهواء و الاغراض الشخصية و العواطف و الاحاسيس العابرة، و كان يعلم أن الحقـائق لا تتبـدّل و لا تتغيّر بالكتابـة و المحو، من هنا تسامـح مع مفاوض قريش «سـهيل» الـذى تصـلّب فى مطاليبه غير المشـروعة كثيرا، حفاظا على أصل الصلح. و حرصا على السلام.

(۲)

التاريخ يعيد نفسه:

و لقد ابتلى على (عليه السّلام) تلميذ النبى الأول بمثل هذه التجربة المرّة بعد

---

(۱) الارشـاد: ص ۶۰، اعلام الورى: ۱۰۶، بحـار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۶۸ و قـد اخطأ الطبرى فى هـذا المقام اذ قال: فى احـدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعلى عليه السّلام: امح «رسول اللّه»، قال:

لا و اللّه لا أمحاك أبدا فأخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ليس يحسن يكتب فكتب مكان «رسول اللّه»: محمّد.

و هكـذا نسب الكتابـة إلى شـخص رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و نحن نعلم انه أمى لا يحسن الكتابة، و قد حققنا هذه المسألة فى المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن ۳۱۹- ۳۷۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۳۸

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فيوم امتنع على عليه السّـلام عن محو كلمـة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عن اسم النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله قال له النبى صـلّى اللّه عليه و آله:

يا علىّ إنّك أبيت أن تمحو اسمى من النبوّة فو الّذى بعثنى بالحق نبيّا لتجيبنّ أبناءهم إلى مثلها و أنت مضيض مضطهد» «۱»

(۱) و لقد بقيت هذه القضية فى ذاكرة علىّ عليه السّلام، حتى إذا كان يوم «صفين» و خدع أصحاب الامام علىّ عليه السّلام بالاسلوب

الماکر الذی اتبعه جیش الشّام الذی قاتل علیّا (علیه السّلام) بقیادهٔ معاویهٔ بن أبی سفیان و مساعدهٔ عمرو بن العاص، و أجبروا الامام علیه السّلام علی عقد الصلح مع معاویهٔ فشکّل الجانبان لجنهٔ لتنظیم وثیقهٔ ذلک الصلح، کلّف «عبید اللّه بن رافع» کاتب الامام من جانب الامام علیّ علیه السّلام بأن یکتب وثیقهٔ الصلح، فکتب:

«هذا ما تقاضی علیه أمیر المؤمنین علی» قال عمرو بن العاص ممثل معاویهٔ فی تلک المفاوضات: لو علمنا أنک أمیر المؤمنین لم نناز عک!!

و هکذا طالب عمرو بن العاص بحذف عبارهٔ أمیر المؤمنین.

و طال الکلام و التشاجر فی هذا الموضوع، و لم یکن الامام علی یرید ان یعطی حجهٔ للبسطاء من أصحابه، و لهذا لم یرضخ لهذا المطلب، و لکنه بعد إلحاح من أحد قادهٔ جیشه سمح بأن یمحی لقب «أمیر المؤمنین» من اسمه ثم قال:

«اللّه اکبر سنهٔ بسنهٔ».

و هو بذلک یشیر إلی حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله له یوم الحدیبیهٔ «۲».

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۱۳۸، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۵۳.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۳ ص ۱۶۲، راجع المصدر لتقف علی القصهٔ بکاملها و لتقف علی ما دار بین الامام و ابن العاص.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۳۹

(۱)

نصّ صلح الحدیبیهٔ:

و أخیرا عقدت اتّفاقیهٔ صلح و هدنهٔ بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قریش تضمنت المواد و الشروط التالیهٔ:

(۲) ۱- تعهّد المسلمون، و قریش بترک الحرب عشر سنین یأمن فیهن الناس، و یکف بعضهم عن بعض.

(۳) ۲- من أتی محمّدا من قریش بغیر إذن ولیّه ردّه علیهم، و من جاء قریشا ممّن مع محمّد لم یردّوه علیه.

(۴) ۳- من أحبّ أن یدخل فی عقد محمّد و عهده (أی یتحالف معه) دخل فیه و من أحب أن یدخل فی عقد قریش و عهدهم دخل فیه.

(۵) ۴- انّ محمّدا یرجع بأصحابه إلی المدینهٔ عامه هذا و لا یدخل مکهٔ، و انما یدخل مکهٔ فی العام القابل فی أصحابه فیقیم فیها ثلاثهٔ أیام، لا یدخل فیها بسلاح إلّا سلاح المسافر، السیوف فی القرب «۱».

(۶) ۵- أن لا یستکره أحد علی ترک دینه و یعبد المسلمون اللّه بمکهٔ علانیهٔ و بحریهٔ، و ان یکون الاسلام ظاهرا بمکهٔ و ان لا یؤذی أحد و لا یعیّر «۲».

(۷) ۶- لا إسلال (سرقهٔ) و لا إغلال (خیانهٔ) بل یحترم الطرفان أموال الطرف الآخر، فلا یخونه و لا یسرق منه «۳».

(۸) ۷- أن لا تعین قریش علی محمّد و أصحابه أحدا بنفس و لا سلاح «۴».

هذا هو نص وثیقهٔ «صلح الحدیبیهٔ»، و قد جمعنا بنوده من المصادر المتنوعهٔ

---

(۱) السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۳ ص ۲۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۵۲.

(۳) مجمع البیان: ج ۹ ص ۱۱۷ أو: «من قدم مکهٔ من أصحاب محمّد حاجّا أو معتمرا أو یبتغی من فضل اللّه فهو آمن علی دمه و ماله،

و من قدم المدینة من قریش مجتازا إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه و ماله».

(۴) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۵۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۴۰

التی أشرنا الى بعضها فی الهامش، و قد کتبت هذه الوثیقة فی نسختین، ثم وقع علیها جماعة من شخصیات قریش، و المسلمین و شهدوا علیها و اعطیت نسخة الى «سهیل بن عمرو» ممثل قریش، و ترکت نسخة عند رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله.

(۱)

نشید الحریة:

لقد کان کل عاقل لبیب یحسن تقدیر الامور یسمع نشید الحریّة من ثنایا هذا الصلح التاریخیّ، و مع أن کل بنود هذه المعاهدة جدیرة بالاهتمام و الاکبار، إلّا أن النقطة التی تستحق الاهتمام و التقدیر أکثر من سواها هی المادّة الثانیة فی هذا الصلح، و هی المادّة التی أزعجت بعض الصحابة یوم انعقاد تلک المعاهدة.

فقد انزعج صحابة النبی صلّى اللّه علیه و آله من هذا التمییز الصارخ، و قالوا حول قرار القیادة الحکمیة المتمثلة فی قائد محنّک کرسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله ما کان ینبغی أن لا یقولوه، فی حین تعتبر هذه المادة من أعظم بنود الوثیقة إذ تعکس نظرة رسول الاسلام، و تفکیره حول کیفیّة تبلیغ الاسلام، و إشاعته و نشره، فانه یظهر منها- و بجلاء- مدى احترام رسول الاسلام لمبدإ الحریة.

(۲) و لقد قال رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله فی معرض الاجابة على من اعترض من صحابته على البند القاضی بتسلیم کل مسلم فرّ من قریش إلى رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و المسلمین إلى قریش، دون العکس قائلا:

«من جاءهم منّا فأبعده اللّه و من جاءنا منهم رددناه إلیهم فلو علم اللّه الاسلام من قلبه جعل له مخرجا».

و أراد رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله أن الذی یهرب من جماعة المسلمین و یلجأ إلى المشرکین فلا قیمة لإیمانه و إسلامه، إذ أن ذلک یدل على أنه لم یؤمن بهذه الدین حق الإیمان فلا داعی لأن یعاد إلى رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله إذ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۴۱

لا اکراه فی الدین و أما من هرب من المشرکین الى المسلمین فلو علم اللّه منه الصدق لنجاه حتما.

(۱) و لقد کانت نظریة النبی صلّى اللّه علیه و آله و رأیه متطابقا کل التطابق مع موازین العقل و المنطق السلیم، و قد تجلت صوابیته و حقانیته مع مضیّ الزمن فی ما بعد، لانه لم یمض زمن طویل إلّا و قریش- و بعد سلسلة من الحوادث المؤسفة- طلبت بنفسها إلغاء هذه المادّة کما سیأتی بیانه فی ما بعد.

إن هذه المادة تعد ردا قاطعا على تقوّلات و تخرّصات المستشرقین المغرضین الذین یصرّون على القول بانّ الاسلام انتشر بالسیف.

إنهم حیث لا یتحملون رؤیة هذا الامتیاز العظیم الذی کسبه الاسلام الحنیف، حیث انتشر فی مدة قصیرة جدا فی شتى نقاط العالم و بقاعه، حتى کاد أن یعمّ المعمورة کلّها، و لهذا اضطروا إلى إعزاء انتشار الاسلام الى عامل استخدام القوة، و قالوا: ان الاسلام انتشر بالقوة، لیشوهوا بذلک ملامح الاسلام، و یخفوا الحقیقة خلف غطاء من الاراجیف، فی حین أن هذا المیثاق الذی عقد فی الجزیرة العربیة أمام اعین المئات من المسلمین و غیر المسلمین یعکس بجلاء روح الاسلام و حقیقة تعالیمه السامیة، و مع هذا یکون من مجانبة الواقع القول بأن الاسلام انتشر بقوة السیف. لا بالدعوة الحرة، و التبلیغ و الارشاد.

هذا و لقد تحالفت قبیلة خزاعة- مع المسلمین فی ضوء المادة الثالثة من المیثاق، بینما تحالفت قبیلة بنی کنانة- و کانوا أعداء تقلیدیّین لخزاعة مع قریش.

(۲)

آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح:

كانت مقدمات الميثاق المذكور، و بنوده توحى بصورة جليّة و كاملة بأن أكثرها قد فرضت فرضا على المسلمين، فلو أن رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله قبل بامحاء كلمة «رسول اللّه» من اسمه، و بدأ الميثاق بعبارة «باسمك اللّهم» على عادة الجاهليين بدل البسملة الكاملة فان غايته من ذلك كانت هى الحفاظ على

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۴۲

الصلح، و اقرار الأمن فى الجزيرة العربية.

و لو ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رضى بأن يسلّم المسلمين الهاربين من قبضة المشركين الى جماعة المسلمين، و يعيدهم الى القيادة الوثنية فى مكة فان بعض ذلك كان بسبب تصلّب سهيل ممثل قريش و تعنته، و لو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما كان يرضخ لهذا الشرط (استجابة لرغبة الرأى العام الاسلامى الذى كان مخالفا لمثل هذا الشرط و معارضا لاعادة المسلمين الهاربين من مكة إلى قريش، و حفاظا على حقوق اولئك الأشخاص الهاربين) لتعطّلت عملية السلام، و لما تحقق الصلح، و لفاتت المسلمين هذه النعمة الكبرى التى انطوت على آثار عظيمة فى المستقبل كما أثبتت الوقائع فى ما بعد.

من هنا قاوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كل الضغوط من جهة، و تحمل عملية فرض هذا الشرط من جهة اخرى، ليصل الى المقصد الأعلى و الهدف الاكبر الذى تتضاءل تجاهه هذه المتاعب.

و لو كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يراعى الرأى العام و يلاحظ حقوق هذه الجماعة، لكان «سهيل» يتسبب- بسبب تصلبه الارعن- فى اشتعال نائرة الحرب.

و القصّة التالية تشهد بما نقول:

(۱) حينما انتهت مفاوضات السلام، و بينما كان الامام على (عليه السّلام) يكتب وثيقة الموادعة و الصلح دخل أبو جندل بن سهيل فى مجلس النبى صلّى اللّه عليه و آله و هو يرسف فى الحديد.

فتعجب الجميع من حضوره هناك، اذ كان محبوسا فى سجن أبيه سهيل (المفاوض) مدة طويلة.

و لم يكن لابى جندل من ذنب إلّا أنه اختار التوحيد عقيدة، و الاسلام دينا، و رفض الوثنية و الشرك و كان يحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حبا شديدا فحبسه أبوه.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۴۳

(۱) و كان أبو جندل قد بلغه أمر المفاوضات هذه، فهرب من محبسه و انفلت الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سالكا إليه طرقا وعرة فى الشعاب، و الوديان.

فلما رأى «سهيل» ابنه أبا جندل و قد هرب من سجنه، و لجأ إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قام إليه فضرب وجهه، و اخذ بتلابيبه ثم قال: يا محمّد لقد تمت القضية بينى و بينك قبل أن يأتيك هذا، و هذا يا محمّد أول من أقاضيك عليه أن ترده.

و لا شك أن كلام «سهيل» كان باطلا و لا مبرر لطلبه، لأن الميثاق لم تتم كتابته على الورق، و لم يوقع عليه الطرفان، و لم ينته- بالتالى- من مراحله النهائية و الأخيرة بعد، فكيف يمكن الاستناد إليه، و لهذا أجابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قائلا:

«إنا لم نرض (نقض) بالكتاب بعد» «۱»

(۲) فقال سهيل: إذا و اللّه لا اصالحك على شىء أبدا، حتى ترده إلىّ، و لم يزل يصرّ على كلامه و رفضه هذا حتى أنزعج اثنان ممّن

رافقه من شخصیات قریش هما مکرز و حویطب من تصلب سهیل و تشدده.

ثم قاما و أخذا أبا جندل من أبیه و أدخلاه خیمة و قالا: نحن نجیره.

و لقد فعلا ذلک حتی ینهیا ذلک التنازع، و الجدال، و لکن إصرار سهیل علی موقفه، أبطل تدبیرهما اذ قال: یا محمّد لقد لجّت القضیة بینی و بینک قبل ان یاتیک هذا «۲».

فاضطرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی أن یقوم بآخر سعی فی طریق الحفاظ علی الهدنة و الصلح الذی کان له أثر عظیم فی انتشار الاسلام، و لهذا رضی بردّ أبی جندل إلی والده، لإعادته الی مکة، ثم قال لذلک المسلم الاسیر تطییبا لخاطره:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۳۴.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۲۱ لجّت: وجبت و تمت.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۴۴

(۱) «یا أبا جندل، اصبر و احتسب، فان اللّه جاعل لک و لمن معک من المستضعفین فرجا و مخرجا، إنا قد عقدنا بیننا و بین القوم صلحا، و أعطیناهم علی ذلک، و أعطونا عهد اللّه، و إنا لا نغدر بهم».

و انتهت جلسة المفاوضات، و تمّ التوقیع علی نسختی المیثاق، و عاد سهیل و رفاقه إلی مکة، و معهم «أبو جندل» ابن سهیل فی جوار مکرز و حویطب، و نحر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما کان معه من الهدی «۱» فی نفس ذلک المکان و حلق فنحر جماعة من المسلمین و حلقوا «۲».

(۲)

تقییم عاجل لصلح الحدیبیة:

بعد أن فرغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من عقد صلح الحدیبیة بینه و بین رءوس الشرک، و بعد أن توقف فی أرض الحدیبیة مدة ۱۹ یوما عاد هو و أصحابه الی المدینة، و عاد المشرکون إلی مکة.

هذا و قد نشبت مشاجرات و مشادات کلامیة حین تنظیم ذلک المیثاق و کتابته، بین أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فمنهم من کان یعتبر ذلک الصلح فی صالح الاسلام، و قلیل منهم کان یعدّه مضرا بمصلحة الاسلام و المسلمین.

و لقد انقضی الآن أکثر من أربعة عشر قرنا علی عقد ذلک الصلح التاریخی العظیم فلندرس معا تلک المعاهدة بموضوعیة و تجرد، و نستعرض طرفا من تلک الاعتراضات و المجادلات لنقف علی معطیات تلک العملیة، و نتائجها.

ان الذی نراه هو: ان هذا الصلح کان فی صالح الاسلام مائة بالمائة، و انه هو الذی جعل أمر انتصار الاسلام قطعیّا،

---

(۱) أی الابل التی ساقها معه.

(۲) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۲۸۱، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۵۳، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۱۸. امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۹۴ و ۳۹۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۴۵

لا شک فیه، و إلیک أدلة هذا الرأی:

(۱) ۱- إن حملات قریش المتتابعة علی المسلمین، و التحریکات الداخلیة و الخارجیة التی أشرنا إلیها فی حوادث «احد» و «الاحزاب» علی نحو الاختصار، لم تترک للنبی صلّی اللّه علیه و آله فرصة لنشر الاسلام بین القبائل، و فی المناطق المختلفة خارج شبه الجزیرة العربیة.

من هنا كان صلّى اللّه عليه و آله يصرف اكثر اوقاته الثمينة فى الدفاع و العمل على إفشال المؤامرات الخطرة التى كان العدوّ الداخلى و الخارجىّ يحيكها باستمرار.

و لكن النبى صلّى اللّه عليه و آله فرغ باله بعد عقد صلح الحديبية مع قريش من ناحية الجنوب، فتهيّأت الأرضية لانتشار الاسلام فى المناطق الاخرى.

و قد ظهر أثر هذا الهدوء و الاستقرار بعد سنتين من عقد تلك المعاهدة، فقد كان مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الحديبية ألف و أربعمائة و لكنه عند ما توجّه إلى مكة لفتحها بعد عامين خرج معه عشرة آلاف، و كان هذا التفاوت من نتائج صلح الحديبية مباشرة، لأن بعض الناس كانوا يخشون قريشا فلا يلتحقون بالمسلمين لذلك السبب، و لكن بعد أن اعترفت قريش بالكيان الاسلامىّ بصورة رسمية، و أعطيت للقبائل الحرية الكاملة للانضمام إلى المسلمين زال الخوف المذكور عن كثير من القبائل، فاستطاع المسلمون أن يستغلوا تلك الفرصة و يقوموا بنشاط تبليغى و دعوة واسعة إلى الاسلام.

(۲) ۲- إن النتيجة الثانية التى حصل عليها المسلمون من هذه المعاهدة هى زوال الستار الحديدى الذى كان قد ضربه المشركون بين الناس و بين الاسلام، فقد سمح ذلك الصلح بالسفر الى المدينة فكان الناس فى سفرهم الى المدينة يحتكون بالمسلمين و يلتقون بهم، فيتعرفون على تعاليم الاسلام السامية.

و لقد أثار نظم المسلمين، و اخلاصهم، و طاعة المؤمنين الكاملة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إعجاب المشركين كما أثارت نظافة المسلمين، فى أوقات الصلاة خاصة، و صفوفهم المتلاحمة أثناء هذه العبادة المباركة، و خطب رسول اللّه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۴۶

صلّى اللّه عليه و آله الرائعة، و اللذيذة، و آيات القرآن الكريم البليغة، و السهلة فى نفس الوقت رغبة قوية فى نفوس الكفار إلى الاسلام.

(۱) هذا مضافا إلى أن المسلمين استطاعوا بعد عقد ذلك الميثاق السفر إلى مكة و شتى نقاط الجزيرة بحجج مختلفة، و الاتصال بذويهم و أقاربهم، و التحدث معهم فى أمر الاسلام و تعاليمه المقدسة المحبّبة، و قوانينه و آدابه الرائعة، و ما جاء به من حلال و حرام. و قد تسبّبت كل هذه الامور فى أن يلتحق كثير من رءوس الشرك و الكفر كخالد بن الوليد و عمرو بن العاص بالمسلمين، و يعتنقوا ذلك الدين قبل فتح مكة، و أن تساعد هذه المعرفة بحقائق الاسلام، و الاطّلاع على مزاياه و فضائله على تسهيل عملية فتح مكة، و انهيار صرح الوثنية فيها من دون أيّة مقاومة من أهل مكة، بحيث سيطر المسلمون عليها بسهولة و أقبلت أفواج الناس تدخل فى دين اللّه راغبة كما ستعرف تفاصيل ذلك فى حوادث السنة الثامنة.

إن هذا الانتصار العظيم كان نتيجة الاتصالات التى اجراها المسلمون مع ذويهم و أصدقائهم فى مكة خلال تردّدهم المتكرر بعد زوال الخوف و الحصول على الحرية فى الدعوة بفضل صلح الحديبية.

(۲) ۳- إن الاتصال برءوس الشرك أثناء عقد اتفاقية السّلام مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى الحديبية، ساعد على ازالة كثير من العقد النفسية التى كانوا يعانون منها تجاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لأن أخلاق النبى الرفيعة، و حلمه و صبره أمام تعنت قادة المشركين و تصلبهم و عتوهم، و سعيه الحثيث و حرصه الصادق على تحقيق السلام، أثبت لهم بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله معدن عظيم من معادن الخلق الانسانى الكريم.

فبالرغم من أنه صلّى اللّه عليه و آله قد أصيب على أيدى قريش بخسائر فادحة، و ناله منهم أذى كثير، إلا أن فؤاده كان طافحا بمشاعر اللطف، و الحب و الحنان على الناس.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۴۷

(۱) لقد رأت قريش بام عينيها كيف أنه صلّى اللّه عليه و آله خالف فى عقد ميثاق الصلح آراء جماعة من أصحابه، المعارضة لبعض

بنود الاتفاقیة رغبة منه فی تحقیق السلام، و کیف آثر الحفاظ علی حرمة المسجد الحرام علی هواه، و رغبته الشخصیة.

إن هذا النوع من السلوک أبطل مفعول جمیع الدعایات السیئة التی کانت تروّج ضد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و مواقفه و خلقه، و أفکاره و اثبتت للجمیع أنه حقا رجل سلام، و داعیة خیر للبشریة، و أنه حتی لو سیطر علی مقالید الجزیرة العربیة، لما عامل أعداءه الّا بالحسنی و اللطف، لأنه لم یکن مشکوکا فیه بأنه لو کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یخوض حربا ضد قریش فی ذلک الیوم لغلبها و هزمها شر هزیمة کما یصرح بذلک القرآن الکریم أیضا اذ یقول:

«وَ لَوْ قاتَلَکُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبارَ ثُمَّ لا یَجِدُونَ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً» «۱».

(۲) و مع ذلک أبدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تسامحا کبیرا، و أعلن عن عطفه، و حنانه للمجتمع العربیّ، و بذلک أبطل کل الدعایات التی کانت تروّج ضدّه، و ضدّ دعوته العظیمة المبارکة.

من هنا نهتدی إلی مغزی ما قاله الامام الصادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام عن أهمیة هذا الصلح حیث قال:

«و ما کان قضیة أعظم برکة منها» «۲».

إن الحوادث اللاحقة أثبتت أن اعتراض عدد ضئیل من صحابة النبی صلّی اللّه علیه و آله و فی مقدمتهم عمر بن الخطاب علی هذا الصلح کان باطلا و لا مبرر له.

و قد أدرج أرباب السیر و التاریخ جمیع هذه الاعتراضات، کما تنقل ردّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علیها، و یمکن للوقوف علیها مراجعة السیرة النبویة

---

(۱) الفتح: ۲۲.

(۲) الکافی: ج ۸ ص ۳۲۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۴۸

لابن هشام، و امتاع الاسماع و غیرهما ان قیمة هذه المعاهدة تتجلی من ان النبی صلّی اللّه علیه و آله لم یصل الی المدینة حتی نزلت سورة الفتح التی وعدت المسلمین و بشّرتهم بالانتصار و یمکن اعتبار هذا العمل مقدمة لفتح مکة کما یقول تعالی: «إِنَّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبِیناً» «۱».

(۱)

قریش تصرّ علی إلغاء أحد بنود المعاهدة:

لم یمض زمان طویل حتی أجبرت الحوادث المرّة قریشا علی أن تبعث إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من یطلب منه إلغاء المادة الثانیة من معاهدة صلح الحدیبیة، و هی المادة التی أغضبت بعض صحابة النبی صلّی اللّه علیه و آله و أثارت سخطهم، و قبل بها رسول اللّه تحت إصرار من «سهیل» ممثل قریش فی مفاوضات الحدیبیة.

تلک المادة التی تقول: علی الحکومة الاسلامیة أن تعید کل مسلم هارب من مکة إلی حکومة مکة، و لکن لا یجب علی قریش أن تعید کل هارب من المسلمین إلی مکة، إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و قد أثارت هذه المادة- المجحفة فی الظاهر- سخط البعض و اعتراضهم، و لکن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال لابی جندل فی وقته:

«إنّ اللّه جاعل لک و لمن معک من المستضعفین فرجا و مخرجا».

(۲) ثم إن مسلما آخر یدعی «أبو بصیر» کان قد حبسه المشرکون ردحا طویلا- من الزمن استطاع أن یفرّ من محبسه و یصل الی المدینة، و قد وصلها سعیا علی قدمیه، فکتب شخصیتان من شخصیات قریش هما: «أزهر» و «الأخنس» کتابا إلی رسول اللّه صلّی اللّه

عليه و آله يطلبان منه إعادة أبى بصير إلى قريش

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۶۳ نقلا عنن اعلام الورى، و زاد المعاد فى هدى خير العباد: ج ۲ ص ۱۲۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۴۹

و يذكّر انه بالمعاهدة و أرسلاه مع رجل من بنى عامر يرافقه غلامه، فدفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «أبا بصير» إلى الرجلين عملا بالمعاهدة قائلا:

«يا أبا بصير إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت (أى من العهد) و لا تصلح لنا فى ديننا الغدر و إن اللّه جاعل لك و لمن معك من المسلمين فرجا و مخرجا» «۱».

(۱) فقال أبو بصير: يا رسول اللّه تردّنى إلى المشركين؟!

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثانية:

«انطلق يا أبا بصير، فان اللّه سيجعل لك مخرجا».

ثم دفعه إلى العامرىّ و صاحبه فخرج معهما باتجاه مكة.

فلما كانوا بذى الحليفة (و هى قرية تبعد عن المدينة بستة أميال يحج منها بعض أهل المدينة) صلّى أبو بصير ركعتين صلاة المسافر ثم مال إلى أصل جدار فاتّكأ عليه، و وضع زاده الذى كان يحمله و جعل يتغدّى و قال لصاحبيه فى لهجة الصدّيق: ادنوا فكلا؟ فأكلا معه ثم آنسهم ثم قال للعامرى: ناولنى سيفك انظر إليه إن شئت أ صارم هو أم لا؟ فناوله العامرى سيفه و كان أقرب إلى السيف من أبى بصير، فجرّد أبو بصير السيف و قتل به العامرىّ فى اللحظة، فهرب الغلام يعدو نحو المدينة خوفا، و سبق أبا بصير الى المدينة، و أخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما جرى لسيّده العامرىّ، فبينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جالس فى أصحابه و الغلام عنده يقصّ عليه ما جرى إذ طلع أبو بصير، فدخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد و قال: وفت ذمّتك، و أدّى اللّه عنك، و قد أسلمتنى بيد العدوّ، و قد امتنعت بدينى من أن افتن.

ثم إن أبا بصير بعد أن قال هذا الكلام خرج من عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و غادر المدينة، و نزل ناحية على ساحل البحر، على طريق قافلة قريش

(۱) المغازى: ج ۲ ص ۶۲۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۵۰

إلى الشام، تسمى «العيص».

(۱) و عرف المسلمون الذين حبسوا بمكة بهذا التطوّر، ففرّ منهم سبعون رجلا، و انضمّوا إلى أبى بصير و كانوا ممن نالهم على يد قريش أشدّ العذاب و العنت، فلا حياة و لا حرية لهم.

من هنا قرّروا أن يتعرضوا لقافلة قريش التجارية و يغيروا عليها، أو يقتلوا كل من وقعت يدهم عليه من قريش.

و قد لعبت هذه الجماعة دورها بصورة رائعة جدا بحيث أقلقت بال قريش، و سلبت منها الرقاد إلى درجة أنهم كتبوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يطلبون منه إلغاء هذه المادة (أى المادة الثانية). بموافقة الطرفين و قد أعلنوا موافقتهم على إلغائها، و اعادة أبى بصير و جماعته إلى المدينة و الكف عن التعرض لتجارة قريش.

فوافق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على إلغاء تلك المادة، و طلب من المسلمين فى منطقة «العيص» القدوم الى المدينة.

و بهذا توفّرت فرصة طيبة لجميع المسلمين، كما عرفت قريش أنها لا تستطيع سجن المؤمن، و حبسه فى القيد، و ان تقييده و حبسه

أخطر بكثير من إطلاق سراحه، لأنه سيفرّ ذات يوم و هو يحمل روح الانتقام على سجّانه.

(٢)

النساء المسلمات لا يسلّمن إلى قريش:

بعـد أن تم الاتفاق و التوقيع على معاهـدة صـلح الحديبيـة هاجرت «أمّ كلثوم بنت عقبـة بن أبى معيط» فى تلك المـدة، فخرج أخواها «عمارة» و «الوليد» ابنا عقبة حتى قدما على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله يسألانه أن يردّ اختهما عليهما بالعهد الذى بينه و بين قريش فى الحديبية، فلم يفعل ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال لهما:

«إن اللّه نقض العهد فى النساء» «١».

---

(١) المغازى: ج ٢ ص ٦٣١، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٣٥١

و قد نزل قوله تعالى يوضح حكم هذا الامر:

«يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا» «١».

كانت هذه قصّة «الحديبية»، و قد اسـتطاع رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى ظلّ الهدوء و الأمن اللذين تحققا بسبب معاهدة الحديبية أن يراسل قادة العالم و زعماءه، و أن يبلّغ نبأ دعوته إلى مسامع شـعوبهم، و سـتقف على مفصل هذا القسم من تاريخ الاسـلام المشرق فى الفصل القادم.

---

(١) الممتحنة: ١٠.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٣٥٢

(١)

حوادث السنة السابعة من الهجرة

٤٣ النبىّ يعلن عن رسالته العالمية

اشارة

لقـد أراحت معاهـدة الحديبيـة بال رسول الاسـلام صـلّى اللّه عليه و آله من ناحية الجنوب (أى مكة)، و قد آمن برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و لبّى دعوته فى ظل الهدوء و الأمن و الاستقرار الحاصل بسبب هذا الصلح جماعة من زعماء العرب. و رجالها البارزين.

و اغتنم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هـذه الفرصة ففتح على ملوك العالم و زعماء القبائل، و رجال الدين المسـيحى يومذاك باب المراسلة، فكاتبهم و وجّه إليهم رسائل كثيرة عبر رسله و سفرائه، و قد عرض فيها عليهم رسالته و دعوته التى كانت يومذاك لا تخرج عن صورة العقيدة البسيطة و كان فى مقدورها أن تضم تحت لواء التوحيد، و فى اطار التعاليم الاخلاقية و الانسانية كل البشرية.

و قد كانت هذه هى الخطوة الاولى التى خطاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد ١٩ عاما من الصراع مع قريش العاتية.

(۲) و لو أن الاعداء الداخليين لم يشغلوه بالصراعات و الحروب لاستطاع رسول الاسلام ان يقوم بتوجيه دعوته الى شعوب العالم آنذاك قبل هذا الوقت، و لكن الحملات الظالمة و المضايقات الشديدة التى قام بها العرب الوثنيون الجهلة طوال ما يقرب من عقدين من عمر الرسالة أجبرت رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله على أن يصرف قسما عظيما من أوقاته الغالية فى ترتيب شئون الدفاع عن حياض الاسلام و كيان المسلمين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۵۳

(۱) إن الرسائل التى وجّهها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى الامراء و السلاطين، و إلى رؤساء القبائل، و الشخصيات الدينية و السياسية البارزة داخل الجزيرة العربية و خارجها لدعوتهم إلى الاسلام تكشف عن طريقته فى الدعوة و التبليغ، و الارشاد و الهداية.

و بين أيدينا الآن نصوص ۱۸۵ «۱» رسالة و كتاب من مكاتيب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رسائله التى دعا فيها من أرسلها إليهم، إلى الإسلام، أو كتبه التى تشكّل معاهداته و مواثيقه صلّى اللّه عليه و آله التى أعطاها أو عقدها مع الاطراف المختلفة و قد جمعها، و ضبطها أرباب السير و كتّاب التاريخ و هى تكشف برمتها عن أن اسلوب الاسلام فى الدعوة و التبليغ يعتمد على المنطق و البرهان، لا على السيف و القهر و على الاقناع لا الاكراه.

فيوم اطمأن بال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمن جانب قريش و حلفائها، وجّه نداءه الالهى إلى مسامع البشرية فى العالم و ذلك عن طريق ارسال الرسائل، أو بعث المبلغين و الدعاة إلى شتى أنحاء العالم.

(۲) إن نصوص هذه الرسائل، و الاشارات الموجودة فى خلالها، و نصائحه التى كان يوجّهها صلّى اللّه عليه و آله إلى الناس، و التسامح الذى كان يبديه من نفسه خلال عقد الاتفاقيات و إبرام المعاهدات مع الاجانب، تشكّل برمتها شواهد قاطعة، و دامغة ضدّ نظرية المستشرقين الذين أرادوا مسخ وجه الاسلام

---

(۱) لقد اجتهد علماء الاسلام فى جمع و احصاء رسائل النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و كتبه قدر المستطاع، و إن أكمل المصادر الحاضرة من حيث الاستقصاء وسعة التتبع كتابان يتسمان بأهمية كبرى فى هذا المجال و هما:

أ- الوثائق السياسية تأليف البرفيسور محمّد حميد اللّه حيدرآبادى، الاستاذ بجامعة باريس.

ب- مكاتيب الرسول تأليف العلّامة المحقق المحترم الشيخ على الاحمدى.

و الكتاب الأخير يمتاز بتحقيقات و تحليلات أدبية، و تاريخيه و سياسية إسلامية فى غاية الأهمية.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۵۴

المشرق، بكيل الاتهامات الباطلة له، و الزعم بأن تقدّم الاسلام و انتشاره كان بفعل القهر، و بقوة السيف، و تحت عامل الفرض و الاجبار و اننا لنأمل أن نوفّق ذات يوم لدراسة و تقييم تلك الرسائل و الكتب و استجلاء هذه النقاط المذكورة و استخراج خطوط السياسة النبوية و معالم الدعوة المحمدية. من ثنايا تلكم الرسائل و الكتب التاريخية الخالدة لنستطيع من خلال هذا العمل بيان اسلوب الاسلام فى نشر دينه فى شتى نقاط العالم.

(۱)

الرسالة المحمّدية كانت عالمية: «۱»

اشارة

ينظر بعض الجهلة إلى مسألة عالمية الرسالة المحمّدية بنظر الشك و الترديد، و هم يتبعون فى مثل هذه النظرة الجاهلة ما يروّجه بعض الكتاب العملاء، و فى مقدمة هؤلاء المغرضين مستشرق معاد للإسلام هو «السير ويليم موير» الذى يقول: إن موضوع عالمية الرسالة المحمّدية قد ظهر و تبلور فى ما بعد، و أن محمّدا اقتصر فى دعوته من بدء رسالته إلى لحظة وفاته على العرب، و لم يكن «محمّد» يعرف أى مكان غير الجزيرة العربية.

و لقد اتّبع هذا المستشرق نهج أسلافه الإنجليز، و حاول التعتيم على الحقيقة فى مقابلة الآيات الكثيرة التى تشهد- بجلاء- بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يدعو البشر عامة إلى التوحيد و الاعتقاد برسالته و قال: انّ محمّدا كان يقتصر فى دعوته على العرب خاصة.

(۲) و نحن هنا ندرج بعض الآيات التى تشهد بأن رسالة الاسلام، و أن الدعوة المحمّدية كانت منذ بداية ظهورها دعوة عالمية، و يمكن مراجعة كتب التفسير و العقائد للوقوف على المزيد من التوضيح فى هذا المجال.

---

(۱) هاهنا مسألتان يجب التمييز بينهما:

أ- عالميّة الرسالة المحمّدية.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۵۵

آيات تدل على عالمية الرسالة المحمّدية:

۱- «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً» «۱».

۲- «وَ ما هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ» «۲».

۳- «لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا» «۳».

۴- هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» «۴».

(۱) و الآن نسأل هذا الكاتب الإنجليزى: كيف تقول- مع هذه الدعوة العالمية- أن موضوع عالمية الرسالة الاسلامية قد ظهر و تبلور فى ما بعد.

فهل مع وجود هذه الآيات و نظائرها و مع وجود سفراء رسول اللّه و مبعوثيه الى المناطق النائية، و البلاد البعيدة، و إلى نصوص الرسائل التى بقيت مسجلة فى صفحات التاريخ عن رسول الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و خاصة ما بقى منها محفوظا بعينه الى الآن فى المتاحف العالمية الكبرى يبقى مجال لأن يشك أحد فى عالمية رسالته.

(۲) و العجيب أن الكاتب المذكور يكتب بكل وقاحة قائلا: ان محمّدا لم يكن

ب- خاتمية الرسالة المحمّدية.

و فى الاولى تعالج مسألة عالميّة رسالة النبيّ محمّد، و عدم عالميتها و انه صلّى اللّه عليه و آله هل كان مبعوثا لخصوص سكان الجزيرة العربية أم لعموم البشر، و للنّاس كافة، فى حين أن المحور فى المسألة الثانية هو أنه صلّى اللّه عليه و آله هل هو آخر نبى أو لا على انه يمكن ان يقول البعض ان دينه كان عالميا إلّا أن نبوته لم تكن خاتمة النبوات بل سيأتى بعده نبى آخر و شريعة اخرى.

من هنا لا بد من البحث- فى النبوة الخاصة- حول كلتى المسألتين بصورة مستقلة، و قد بحثنا المسألتين فى الجزء الثالث من مفاهيم القرآن بصورة موسعة.

(۱) سبأ: ۲۸.

(۲) القلم: ۵۲.

(۳) یس: ۷۰.

(۴) التوبة: ۳۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۵۶

یعرف غیر الحجاز، فی حین أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سافر یوم کان فی ربیعه السادس عشر مع عمه أبی طالب الی الشام کما سافر الی الشام فی تجارة خدیجة فی سنّ الخامسة و العشرین، مع قافلة قریش التجاریة.

حقـا ان من العجیب العجاب أننا کلّما قرأنا فی التاریـخ أن شابا یونانیا (هو الاسـکندر المقـدونی) کان یریـد أن یسیطر علی العالم، أو نسـمع أن ناپلیون بونابرت کان یفکر فی أن یکون امبراطور العالم الوحیـد لم یبعثنا کل ذلک علی الاسـتغراب و الدهشـة و لکن کلما یسـمع فریق من المستشـرقین بأن قائد المسلمین الأعلی وجّه دعوة الاسلام- و بأمر اللّه- الی زعماء عصره العالمیّین الذین کان بینهم و بین قومه علاقات تجاریة عریقة انکروا ذلک و بوقاحة، و اعتبروه أمرا محالا.

(۱)

رسل الاسلام الی المناطق النائیة:

اشارة

طرح رسول الاسلام قضیة دعوة الملوک و الامراء الی الاسلام علی شوری کبیرة من أصحابه کغیرها من المسائل المهمة فقال:

«أیها الناس ان اللّه قد بعثنی رحمة و کافّة فلا تختلفوا علیّ کما اختلف الحواریّون علی عیسی بن مریم».

فقال أصحابه: و کیف اختلف الحواریون یا رسول اللّه؟ قال:

«دعاهم إلی الذی دعوتکم إلیه، فأما من بعثه مبعثا قریبا فرضی و سلم و اما من بعثه مبعثا بعیدا فکره وجهه و تثاقل».

ثم إن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله اختار ستة أشخاص من خیرة أصحابه و کتب معهم کتبا إلی الملوک تضمنت دعوته العالمیة، و بعثهم إلی مختلف نقاط الأرض.

و هکـذا توجّه سـفراء الهدایـة و رسل الـدعوة المحمّدیـة فی یوم واحد إلی إیران، و الروم، و الحبشة، و مصـر و الیمامة، و البحرین، و الحیرة، (الاردن) و سوف نقرأ معا

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۵۷

مفصل ما احتوته رسائله صلّی اللّه علیه و آله «۱».

(۱) و عند ما فرغ من کتابة الرسائل المذکورة قال بعض ذوی الاطلاع و العلم بأحوال بلاطات الملوک آنذاک قالوا لرسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یا رسول اللّه:

إن الملوک لاـ یقرءون کتابـا إلّا مختوما، فاتخـذ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یومئـذ خاتما من فضـة، فصّه منه، نقشه ثلاثـة أسـطر: محمّد رسول اللّه، فی الاعلی لفظة الجلالة و تلیه کلمة رسول ثم یلیه اسمه الشریف، و ختم به الکتب.

و لم یکتف بهذا بل ختم تلک الرسائل بالشمع أو الطین إمعانا فی السریة، و الحفاظ علیها من التزویر «۲».

(۲)

أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية:

كانت الامبراطوريتان (الرومية و الفارسية) تقتسمان آنذاك قيادة العالم، و كانت الحروب قائمة بين ذينك المعسكرين على قدم و ساق، و منذ زمن بعيد.

فلقد بدأ الصراع على النفوذ بين إيران و الروم منذ عهد الهخامنشيين، و استمرّ حتى عصر الساسانيين ملوك ايران.

فكان الشرق تحت النفوذ الايراني، كما كانت العراق و اليمن و شيء من آسيا الصغرى تعدّ من توابع الامبراطورية الإيرانية و مستعمراتها.

و أمّا الامبراطورية الرومية فقد كانت منقسمة يومذاك إلى معسكرين شرقي و غربي لأن «تئودوز الكبير» امبراطور الروم قسم بلاده في سنة (۳۹۵) ميلادية بين ولديه، و من هنا ظهرت الروم الشرقية و الروم الغربية.

(۳) و قد انقرضت الروم الغربية على أيدى متوحشى و برابرة شمال اوربا، و لكن

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۰۶، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۴، السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۴۱- ۲۴۲، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۸۲.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۴۰ و ۲۴۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۵۸

الروم الشرقية التى كان مركزها يومذاك «القسطنطنية» و كانت تسيطر على الشام و مصر، فكانت تسيطر أبان ظهور الاسلام على قدر كبير من مقاليد السياسة العالمية إلى أن فتحت القسطنطنية عام (۱۴۵۳) على يد السلطان محمّد الثانى «محمّد الفاتح»، و بذلك غربت شمس دولة الروم الشرقية، و اضمحلّت نهائيا.

(۱) و قد كانت أرض الحجاز محاصرة بين هذين القطبين و محاطة بهاتين القوتين العظيمتين، و لكن حيث أن أراضى الحجاز لم تكن أراض خصبة، و كان أهلها فى الأغلب من الرحّل المتفرقين فى البرارى و القفار، لذلك لم تبد كلتا الامبراطوريتين رغبتهما فى الاستيلاء على تلك الأراضى، فقد كانت النخوة و الظلم، و الحروب التى اتسمت بها طبيعة و حياة تينك الدولتين تمنعهما من الاطلاع على أى تغيير اجتماعى أو تحول سياسى يقع فى هذه المنطقة من العالم.

فهم لم يكونوا يتصوّرون قط أن يتمكن شعب- كان بعيدا عن روح الحضارة و المدنية- من وضع نهاية لإمبراطوريّتهم، بفضل ما أوتوا من ايمان، و إنارة النقاط التى كانت ترزح فى ظلام جور السلطات الرومية و ظلمها بنور الإسلام المشرق، و لو كانوا يعرفون شيئا عن هذه النهضة المشرقة و هذا الانفجار المعنوى العظيم فى بدء حدوثه لقضوا عليه فى أوّل الأمر، و لم يتركوه يمتد إلى ملكهم، و يقلب كل شيء رأسا على عقب.

(۲)

رسول النبى صلّى اللّه عليه و آله فى أرض الروم:

اشارة

كان قيصر الرّوم قد عاهد اللّه إذا غلب الفرس أن يسير الى بيت المقدس من عاصمته: «القسطنطنية» مشيا على القدم للزيارة، شكرا للّه، و قد وفى بنذره هذا بعد انتصاره على إيران، و سار مشيا على القدم إلى بيت المقدس.

فكلّف «دحية الكلبى» بإيصال كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى قيصر، و كان دحية قد سافر مرارا الى الشام، و كان عارفا بمناطقها و عاداتها معرفة كاملة، و كان إلى ذلك جميل الصورة حسن السيرة، و لهذا كان جديرا بتحمل هذه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۵۹

المسئولية الخطيرة لائقا لها.

(۱) و قد توجّه إلى «القسطنطنية» رأسا بعد أن كلّفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بايصال كتابه إلى قيصر، و لكنه ما أن وصل إلى بصرى (من مدن الشام) إلّا و بلغه أن قيصرا قد فارقها قاصدا بيت المقدس و لهذا بادر الى الاتصال بحاكم بصرى «۱»: «الحارث بن أبى شمر» و اخبره بالمهمة الخطيرة التى جاء من اجلها.

يقول مؤلف الطبقات الكبرى: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر يدعوه إلى الاسلام، و كتب معه كتابا، و أمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، (و لعل النبى صلّى اللّه عليه و آله كان يعرف بمغادرة قيصر لعاصمة ملكه أو لعل ذلك الأمر كان مراعاة لامكانيات دحية المحدودة، و كون السفر الى قسطنطنية كان يتطلب جهدا كبيرا أو لا يخلو من محاذير).

فدفعه عظيم بصرى إليه و هو يومئذ بحمص، و ذلك بان استدعى عدى بن حاتم و وجهه مع سفير النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليوصل كتابه إلى قيصر، فذهب به إليه، و لما أراد الدخول على قيصر قال قومه لدحية: اذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك.

فقال دحية: لا افعل هذا أبدا، و لا أسجد لغير اللّه! (أى اننى قد جئت لتحطيم هذه السنن الجاهلية المقيتة فكيف أخضع لها، انما جئتكم من قبل نبى لا بلّغ ملككم بأن عهد عبادة البشر قد انقضى و انتهى و أنه لا يحق السجود إلّا للّه وحده، فكيف يمكننى ذلك و أنا أحمل هذه الرسالة التوحيدية إليكم؟!) «۲».

(۲) و لقد أعجب قوم قيصر بمنطق دحية القوى، و موقفه الصلب، فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك، و لا تسجد له، ضع صحيفتك تجاه

---

(۱) كانت بصرى مركز محافظة حوران التى كانت تعدّ من مستعمرات قيصر. و كان الحارث بن أبى شمر- و بصورة عامة- جميع ملوك بنى غسان، من ولاة قيصر على تلك المناطق.

(۲) الطبقات الكبرى، ج ۱ ص ۲۵۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۶۰

المنبر فان أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها فشكر دحية الرجل، و أخذ بنصيحته، و فعل ما اشار به.

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية فاذا فيه:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمّد بن عبد اللّه إلى هرقل عظيم الرّوم سلام على من اتبع الهدى.

أمّا بعد فانّى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك اللّه اجرك مرّتين.

فإن تولّيت فإنّما عليك إثم الأريسيّين «۱» و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم، ألّا نعبد إلّا اللّه و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون اللّه، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بانّا مسلمون محمّد رسول اللّه».

(۱)

قيصر يحقّق حول النبى:

احتمل حاكم الروم اللبيب أن يكون كاتب هـذه الرسالـة هو: «احمـد الموعود» الذى بشـرت به الانجيل و التوراة، و لهذا قرّر أن يحقق حول شخصيته، و يتعرف على خصوصيات حياته، الدقيقة.

فبعث أحدا إلى الشام فورا ليأتى له بقريب لمحمّد، أو من يعرف شيئا عنه.

حتى يسأله عن شخصـية رسول الاسـلام صـلّى اللّه عليه و آله فاتفق أن كان أبو سفيان بن حرب يومذاك بالشام للتجارة فى ركب من قريش، فأخذهم

---

(۱) بين العلماء فى تفسير هذه اللفظة خلاف، فيقول ابن الاثير: قيل هم الخدم و الخول و قال بعض: هم الاكّارون (أى الفلاحون) لأن اكثر الناس يومذاك كانوا من الفلاحين، و هم اطوع الناس للحاكم.

و يؤيـد هـذا الرأى الاـخير أنه جاء فى بعض النسـخ (الكامل: ج ۲ ص ۱۴۵) كلمـة الأكارين بـدل الاريسـيين و الاكار هو المزارع، و احتمل البعض أن يكون الاريسيون طائفة كانت تعيش فى الروم.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۶۱

صاحب شرطة «قيصر» إلى بيت المقدس، فادخلهم على «قيصر» فى مجلسه و حوله عظماء الروم.

فقال قيصر: أيّكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟.

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا.

فقال قيصر: أدنوه منّى، و قرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه:

قل لهم: إنى سائل هذا عن هذا الرجل، فان كذّبنى فكذّبوه.

(۱) ثم طرح قيصر على أبى سفيان الاسئلة التالية:

۱- كيف نسب محمّد فيكم؟

هو فينا ذو نسب.

۲- فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟

لا.

۳- فهل كان فى آبائه من ملك؟

لا.

۴- فأشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟

بل ضعفاؤهم.

۵- أ يزيدون أم ينقصون؟

بل يزيدون.

۶- فهل يرتدّ منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

لا.

۷- فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

لا.

۸- فهل يغدر؟

لا.

۹- فهل قاتلتموه؟

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۶۲

نعم.

۱۰- فكيف كان قتالكم ايّاه؟

الحرب بيننا و بينه سجال، ينال منّا، و ننال منه.

۱۱- فما ذا يأمركم؟

اعبدوا اللّه وحده، و لا تشركوا به شيئا، و اتركوا ما يقول آباؤكم، و يأمرنا بالصلاة و الصدقة و العفاف و الصلة، و يأمرنا بالوفاء بالعهد و أداء الأمانة.

(۱) فقال قيصر للترجمان قل لأبى سفيان و من معه: إن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميّ هاتين فهذه صفة نبيّ، و قد كنت اعلم أنه خارج لم اكن أظنّه منكم، فلو أنّى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاه، و لو كنت عنده لغسلت قدميه!!

فاعترض ابن أخى قيصر على كتاب رسول اللّه و قال لعمه: قد ابتدأ بنفسه و سمّاك صاحب الروم.

فقال قيصر: و اللّه انك لضعيف الرأى. أ ترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر، و هو أحق أن يبدأ بنفسه، و لقد صدق أنا صاحب الروم، و اللّه مالكى، مالكه.

(۲) قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده، و كثر اللغط، فأمر بنا فاخرجنا قال: قلت لأصحابى حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبى كبشة، أنه ليخافه ملك بنى الأصفر.

و روى أيضا أن أبا سفيان قال: لما سألنى قيصر عن رسول اللّه جعلت ازهّد له شأنه، و اصغّر له أمره و اقول له: أيها الملك، ما يهمّك من أمره، إن شأنه دون ما يبلغك، و جعل قيصر لا يلتفت إلى ذلك، ثم قال: أنبئنى عما أسألك من شأنه «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۸۴- ۳۸۶، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۹۰ و ۲۹۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۶۳

(۱)

أثر رسالة النبى إلى قيصر:

لم يكتف قيصر بالمعلومات التى حصلها من أبى سفيان حول رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله بل كتب إلى أحد علماء الروم و أساقفتهم يسألهم عن هذا الأمر.

فأجابه ذلك الاسقف: هذا النبى الذى كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.

فعمد قيصر إلى خطة ليجسّ بها نبض قومه، و يختبرهم و يعرف ما اذا كانوا يرضون باسلامه أولا، فجمع عظماءهم فى صومعة له بحمص فقال: يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح و الرشد، و ان يثبت لكم ملككم و تتبعون ما قال عيسى بن مريم.

فقالت الروم: و ما ذاك أيها الملك؟

قال: تتبعون هذا النبى العربى.

فثاروا فى وجهه، و رفعوا الصليب، فلما رأى منهم ذلك يئس من اسلامهم و خافهم على نفسه و ملكه، فسكنهم ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت اختبركم لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم، فقد رأيت منكم الذى احبّ. فسكنوا و رضوا عنه.

ثم أمر باكرام دحية، و كتب جوابا على رسالة النبى صلّى اللّه عليه و آله و أرسله مع دحية و ارسل بهدية الى النبى صلّى اللّه عليه و

آله. «۱».

(۲)

سفیر النبیّ فی البلاط الإیرانی:

اشارة

یوم توجّه سفیر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بکتابه إلی البلاط الإیرانی

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۵۹- ۲۶۰، السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۲۴۵- ۲۴۶، الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۱۴۴، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۷۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۶۴

کان الملک الذی یحکم هذه الأرض الواسعة هو «خسروا برویز» ثانی ملک بعد انوشیروان، الذی جلس علی العرش الملکی الإیرانی مدة ۳۲ عاما قبل الهجرة النبویة المبارکة.

و قد واجهت حکومة هذا الملک خلال مدة سلطانه أنواعا عدیدة من الحوادث المرة و الحلوة، و کانت مکانة ایران فی عهده تعانی من الاضطراب، و عدم الاستقرار بشکل ملحوظ.

(۱) و قد امتدّ النفوذ الإیرانی ذات یوم حتی شمل آسیا الصغری، و امتدّ الی مشارف القسطنطنیة، و أتی بصلیب عیسی الذی کان أقدس شیء عند النصاری إلی طیسفون (المدائن)، فطلب سلطان الروم الصلح و بعث سفیرا من قبله الی البلاط الإیرانی لعقد معاهدة الصلح.

بید أنّ سوء تدبیر الملوک فی تلک الدولة العظمی، و انغماسهم فی اللذة و المجون أکثر من المتعارف تسبب فی أن تصبح ایران علی حافة السقوط و الانهیار فی أواخر العهد الساسانی، فقد خرجت المستعمرات من تحت النفوذ الإیرانی الواحدة تلو الاخری، و اجتاح العدو الرومیّ الاراضی الایرانیة إلی الاعماق، و وصل الأمر بخسروبرویز امبراطور ایران الی أن یهرب من وجه الروم الغزاة، و قد أثار هذا الهروب الخانع و هذه الهزیمة المنکرة سخط الشعب یومذاک، فقتل بید ابنه «شیرویه».

(۲) و یعزی محلّلوا التاریخ القدیم تخلّف إیران و ضیاع قوتها إلی غرور قادتها و حکامها و میلهم الی البذخ و الترف، و بلهنیة العیش و رغد الحیاة، و الزینة و اللذة. و لو کان ذلک الملک یتلقی رسالة السلام التی عرضها الاسلام بالصورة اللائقة لبقیت عظمة إیران علی حالها فی ظل هذا السلام دون أن یصیبها ما أصابها.

و لو أن رسالة رسول الاسلام لم تترک أثرا حسنا فی نفس «خسروا برویز» یومذاک فان ذلک لم یکن لتقصیر أو عیب فی تلک الرسالة أو فی سلوک حاملها

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۶۵

الی البلاط الایرانی، بل کان لنفسیّة ذلک الحاکم المغرور، المنحرفة، و أنانیته الطاغیة، التی لم تسمح له بالتفکیر بعض اللحظات فی کتاب رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله کما فعل «قیصر»، أو غیره. بل لم یمهل المترجم حتی ینتهی من قراءة کتاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، إنما صاح به فی تلک الاثناء، و أخذ منه رسالة النبی صلّی اللّه علیه و آله و مزّقها بوقاحة بالغة، و اسلوب بالغ فی الجفاف، و سوء الادب.

و إلیک تفصیل الحادث:

(۱) فی مطلع السنة الهجریة السابعة بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله احد فرسانه الشجعان و هو «عبد اللّه بن حذافة السهمی»، الی ایران و کتب معه کتاب إلی «خسروا پرویز» ملک ایران یومذاک یدعوه فیه الی الاسلام و امره أن یدفع الکتاب الی کسری نفسه و إلیک نص هذه الرسالة:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من محمّد رسول اللّه إلی کسری عظیم فارس.

سلام علی من اتبع الهدی و آمن باللّه و رسوله، و اشهد أن لا إله الّا اللّه وحده لا شریک له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله. أدعوک بدعایة اللّه، فإنی أنا رسول اللّه کافة لا نذر من کان حیّا، و یحقّ القول علی الکافرین أسلم تسلم، فان أبیت فعلیک اثم المجوس».

(۲) فلما دخل سفیر النبی صلّی اللّه علیه و آله علی «خسروا برویز» أمر بأن یؤخذ منه کتاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لکن عبد اللّه بن حذافة قال: لا حتی أدفعه إلیک کما امرنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، ثم دنا و سلّم الکتاب فدعی کسری بمترجمه لیقرأ الکتاب، فلما قرأه، فاذا فیه: من محمّد رسول اللّه الی کسری عظیم فارس أغضبه حین بدأ رسول اللّه بنفسه، و صاح، و أخذ الکتاب، فمزّقه قبل أن یعلم ما فیه و قال: یکتب إلیّ بهذا.

ثم أمر باخراج حامل الکتاب من قصره، فاخرج عبد اللّه بن حذافة السلمی، و لما رأی ذلک قعد علی راحلته و سار حتی وصل إلی النبی صلّی اللّه

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۶۶

علیه و آله، فاخبره الخبر، فغصب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله من موقف کسری فدعا علیه قائلا: اللّهم مزّق ملکه «۱».

(۱)

نظریة الیعقوبی:

و یختلف ابن واضح الاخباری المعروف بالیعقوبی فی تاریخه- مع عامة المؤرخین-: قرأ کتاب النبی صلّی اللّه علیه و آله ثم کتب کتابا إلیه جعله بین سرقتی حریر و جعل فیهما مسکا، فلما دفعه الرسول إلی النبی فتحه فاخذ قبضة من المسک فشمّه، و ناوله أصحابه، و قال: لا حاجة لنا فی هذا الحریر، لیس من لباسنا، و قال: لتدخلنّ فی أمری أو لآتینّک بنفسی و من معی، و أمر اللّه اسرع من ذلک. «۲»

و لکن هذا رأی ینفرد به الیعقوبی و لا یوافقه علیه أحد من أرباب السیر إلّا احمد بن حنبل الذی یقول: أهدی کسری لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقبل منه «۳».

(۲)

أوامر «خسرو» إلی والیه علی الیمن:

تقع أرض الیمن الخصبة فی جنوب مکة، و کان ملوکها و حکامها ولاة منصوبین من قبل البلاط الایرانی بأجمعهم، و کان الذی یحکم الیمن یوم مراسلة النبی لقادة العالم و ملوکه رجل یدعی «باذان» فکتب طاغیة ایران المغرور «خسرو» بعد أن مزّق رسالة النبیّ إلی عامله بالیمن (باذان):

بلغنی أن فی أرضک رجلا یتنبّأ فاستتبه، فان تاب و الّا فابعث به إلیّ.

فبعث «باذان» رجلین من فرسانه یدعی أحدهما: «فیروز» و الآخر «خرخسره» و کتب معهما کتابا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یأمره فیه أن

(۱) الطبقات الکبری: ج ۱ ص ۲۶۰.

(۲) تاریخ الیعقوبی: ج ۱ ص ۶۶.

(۳) مسند احمد بن حنبل: ج ۱ ص ۹۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۶۷

ینصرف معهما إلی کسری أو أن یجبراه علی الرجوع الی دین آبائه و ان أبی قتلوه و أرسلوا برأسه الی الملک حسب روایة ابن حجر فی الاصابة.

(۱) إن رسالة کسری إلی «باذان» یکشف عن جهل هذا الحاکم، و عدم معرفته بما کان یجری فی بلاده و مستعمراته، فقد بلغ من جهله أنه لم یکن یعلم أن هذا الرجل الذی یدّعی النبوة «۱» قد مضی علی ادعائه النبوة أکثر من ۱۹ عاما.

ثم إن الذی ادعی النبوة فی منطقة نائیة، و انتشر دینه، و أصبح من القوة و الشوکة بحیث یجرأ علی مراسلة الامبراطور، و دعوته إلی دینه لا یمکن أخذه و احضاره إلی الیمن بواسطة رجلین. و أن الأمر- بالتالی- لن یتم بمثل هذه السهولة، و البساطة، التی تصورها.

و علی کل حال لما قدم مبعوثا «باذان» المدینة و دخلا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قدّما رسالة «باذان» إلیه صلّی اللّه علیه و آله و قالا: لقد بعثنا «باذان» إلیک لتنطلق معنا، فان فعلت کتب فیک إلی ملک الملوک بکتاب ینفعک، و یکف عنک به، و إن أبیت فهو من قد علمت، فهو مهلکک و مهلک قومک و مخرب بلادک.

(۲) و کانا قد دخلا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قد حلقا لحاهما و أطلقا شواربهما، فاستمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی کلامهما، و قبل أن یجیب علی مطلبهما دعاهما إلی الاسلام، و قد کره النظر إلیهما لما کانا علیه من الهیئة فقال لهما: من أمرکما بهذا؟! قالا: أمرنا بهذا ربّنا (یعنیان کسری) فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«لکنّ ربّی أمرنی بإعفاء لحیتی و قصّ شاربی» «۲».

فأرعبتهما هیبة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و جلال محضره، بحیث أخذا

(۱) حسب تعبیر کسری.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۱۴۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۶۸

یرتجفان عند ما عرض رسول اللّه الاسلام علیهما.

ثم قال لهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«ارجعا حتّی تأتیانی غدا».

(۱) و فی هذه الاثناء أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الخبر من السماء أن اللّه عزّ و جلّ قد سلّط علی کسری ابنه شیرویه، فقتله فی شهر کذا و کذا لکذا، و کذا من اللیل.

فلما حضر الرجلان (مبعوثا باذان) عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من غد قال لهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«إنّ ربّی قد قتل ربّکما لیلة کذا و کذا من شهر کذا و کذا. بعد ما مضی من اللیل کذا و کذا سلّط علیه شیرویه فقتله» «۱»

و کانت اللیلة التی ذکرها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هی لیلة الثلاثاء العاشر من شهر جمادی الاولی سنة سبع من الهجرة.

فاستغرب الرجلان لخبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال: هل تدری ما تقول؟ إنا قد نقمنا منک ما هو أیسر من هذا. فنکتب بها عنک و نخبر الملک (أی باذان).

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«نعم أخبراه ذلـك عنّي و قولاـ له: إن دينى و سـلطانى سـيبلغ مـا بلغ ملـك كسـرى، و ينتهى إلى منتهى الخفّ و الحافر، و قولا له: إن أسلمت اعطيتك ما تحت يديك، و ملكتك على قومك».

(۲) ثم أعطى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لخرخسرة منطقة (أى حراما) فيها ذهب و فضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان باليمن و اخبراه الخبر.

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۰، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۸۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۶۹

فقـال باذان: و اللّه ما هـذا بكلام ملك و إنى لأرى الرجل نبيا كما يقول، و لننظر ما قـد قال، فلئن كان ما قـد قال حقا فانه لا ريب نبى مرسل، و إن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شـيرويه: أما بعد فانى قد قتلت كسـرى و لم اقتله الّا غضـبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك، و انظر الرجل الذى كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه.

و قد تسبّب كتاب «شـيرويه» هذا فى أن يعتنق «باذان» الاسـلام هو و جميع رجال دولته و كانوا من الفرس، و كتب إلى رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله يخبره بإسلامه و اسلام أعضاء حكومته «۱».

(۱)

سفير النبىّ فى أرض مصر:

اشارة

تعتبر «مصر» مهد الحضارات و المدنيات العريقة، و مركز سلطان الفراعنة، و موضع سيادة الاقباط.

و يوم أشـرقت شـمس الاسـلام على أرض الحجاز كانت «مصـر» قـد فقـدت اسـتقلالها، و قوتها، و كان المقوقس قد فوض إليه حكم «مصر» من قبل قيصر الروم لقاء ۱۹ مليون دينار يدفعها الى قيصر.

و كان «حاطب بن أبى بلتعة»- و كان فارسا بارعا و له قصة فى تاريخ الاسلام سيأتى ذكرها فى حوادث السنة الثامنة- احد الستة الذين كلّفوا بابلاغ كتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى الملوك و الرؤساء يومذاك و قد أمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بايصال كتابه إلى المقوقس حاكم «مصر».

و إليك نص كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المقوقس:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۹۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۰

(۱) «بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمّد بن عبد اللّه إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعـد فإنى أدعوك بدعايـة الاسـلام، أسلم تسـلم، و أسـلم يؤتك اللّه أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّما عليك إثم القبط «و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمـة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبـد الّا اللّه و لا نشـرك به شـيئا و لا يتخذ بعضـنا بعضا أربابا من دون اللّه فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون» «۱».

فخرج «حاطب» بكتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى قدم «مصر»، و أراد الدخول على حاكمها، «المقوقس» علم بأنه يسكن فى أحد قصوره الشامخهٔ على ضفاف النهر، فى الإسكندريهٔ، فركب زورقا، نقله إلى قصر «المقوقس».

(۲) فلما وصل «حاطب» إلى قصر «المقوقس» أكرمه و أخذ كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قرأه، و فكّر فى مضمونه بعض الوقت، ثم قال لسفير النبى صلّى اللّه عليه و آله: ما منعه إن كان نبيّا أن يدعو على من خالفه (أى من قومه) و أخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلّط عليهم.

فقال حاطب و كان حكيما فهيما: أ لست تشهد أن عيسى بن مريم رسول اللّه؟

فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم اللّه تعالى حتى رفعه اللّه إليه؟

فأعجب المقوقس- الذى لم يكن يتوقع أن يجابه بهذا المنطق القوى المفحم- برد حاطب و قال له: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم «۲».

(۳) فتجرأ حاطب لما رأى هذا الموقف الخاضع من ملك مصر و قال: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى (يعنى فرعون) فأخذه اللّه نكال الآخرهٔ

---

(۱) السيرهٔ الحلبيهٔ: ج ۳ ص ۲۴۹، الدر المنثور: ج ۱ ص ۴۰، أعيان الشيعهٔ: ج ۱ ص ۲۴۴.

(۲) اسد الغابهٔ: ج ۱ ص ۳۶۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۱

و الاونى، فانتقم به، ثمّ انتقم منه فاعتبر بغيرك، و لا يعتبر غيرك بك، ان هذا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله دعا الناس فكان أشدّهم عليه قريش، و أعداهم له اليهود، و أقربهم منه النصارى و لعمرى ما بشارهٔ موسى بعيسى عليهما الصلاهٔ و السلام إلّا كبشارهٔ عيسى بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلّا كدعائك أهل التوراهٔ إلى الانجيل، و كل نبى أدرك قوما فهم امّته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فانت ممّن أدرك هذا النبىّ، و لسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السّلام و لكنا نأمرك به.

و هو يقصد بكلامه الأخير أن الاسلام هو الصورهٔ الاكمل لدين المسيح.

(۱) انتهى الحوار بين حاطب سفير النبى صلّى اللّه عليه و آله و المقوقس حاكم مصر إلّا أن المقوقس لم يعطه جوابا قاطعا فى ذلك المجلس، فكان على حاطب أن يلبث فى مصر مدهٔ حتى يتلقى جواب كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱».

ثم طلب المقوقس حاطبا ذات يوم و انفرد به فى قصره، و سأله عن ما جاء به رسول اللّه و إلى م يدعو؟ فقال له حاطب: إلى أن نعبد اللّه وحده، و يأمر بالصلاهٔ، خمس صلوات فى اليوم و الليلهٔ و يأمر بصيام رمضان، و حج البيت، و الوفاء بالعهد، و ينهى عن أكل الميتهٔ و الدم .. و ... و ...

فقال له المقوقس: صفه لى.

قال حاطب: فوصفت فأوجزت.

فقال المقوقس: مصدّقا ما ذكره حاطب من أوصاف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هذه صفته، و كنت أعلم أن نبيّا قد بقى، و كنت اظن أن مخرجه بالشام و هناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى أرض العرب، فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا تطاوعنى فى اتّباعه، و سيظهر على البلاد، و ينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه، حتى يظهروا على ما هاهنا.

---

(۱) السيرهٔ الحلبيهٔ: ج ۳ ص ۲۵۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۲

ثم طلب المقوقس من حاطب أن يكتم أمر هذا الحوار الذى دار بينه و بين حاطب عن قومه قائلا: و أنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا واحدا، و لا أحب أن يعلم بمحادثتى (أو بمحاورتى) إياك «۱».

ثم إنه اكرم حاطبا مدة اقامته بمصر إكراما بالغا، و أحسن قراه، و ضيافته «۲».

(۱)

المقوقس يكتب كتابا الى النبىّ:

ثم إنّ حاكم «مصر» المقوقس دعا كاتبه العربىّ، و أمره أن يكتب كتابا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله هذا نصه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. لمحمّد بن عبد اللّه من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه، و ما تدعو إليه، و قد علمت أن نبيا قد بقى، و قد كنت أظن أنه يخرج بالشام و قد أكرمت رسولك، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، و بثياب، و أهديت إليك بغلة لتركبها و السلام عليك «۳».

إن الاحترام الذى أبداه «المقوقس» فى رسالته المذكورة، و تقديم اسم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله على اسمه و كذا هداياه التى بعثها إلى رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله و تكريم سفير النبى صلّى اللّه عليه و آله كلها تحكى عن أنّ المقوقس قبل دعوة النبى صلّى اللّه عليه و آله فى سرّه و لكن حبّه فى البقاء فى السلطة منعه من التظاهر بايمانه و إسلامه، و من الانقياد العملىّ و العلنى للاسلام.

خرج «حاطب» بصحبة جماعة من الحرس المحافظين و هو يحمل الهدايا التى بعثها المقوقس من عند المقوقس و لما وصل الى الشام أذن للمحافظين بالانصراف ثم واصل هو سفره ضمن قافلة إلى المدينة، و لما قدم المدينة على رسول اللّه صلّى

---

(۱) سيرة زينى دحلان: ج ۳ ص ۷۱.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۰.

(۳) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۳

اللّه عليه و آله سلّم إليه كتاب المقوقس و هداياه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

«ضنّ بملكه، و لا بقاء لملكه» «۱».

(۱)

المغيرة بن شعبة فى البلاط المصرى:

توجه المغيرة بن شعبة الذى كان معروفا بحكمه و عقله و دهائه، و الذى اصبح فى ما بعد من رجال السياسة العرب و دهاتها المعروفين.

توجّه فى جمع من قبيلة ثقيف إلى البلاط المصرى، فسألهم كبير المصريين (المقوقس):

كيف خلصتم إلىّ، و بينى و بينكم محمّد و أصحابه.

فقال: لصقنا بالبحر.

قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟

قالوا: ما تبعه منّا رجل واحد.

قال: فكيف صنع قومه؟

قالوا: تبعه أحداثهم، و قد لاقاه من خالفه فى مواطن كثيرة.

قال: فالى ما ذا يدعو؟

قالوا: إلى أن نعبد اللّه وحده، و نخلع ما كان يعبد آباؤنا، و يدعو إلى الصلاة، و الزكاة، و يأمر بصلة الرحم، و وفاء العهد، و تحريم الزنا، و الربا، و الخمر.

(۲) فقاطعهم المقوقس قائلا: هذا نبى مرسل إلى الناس كافة، و لو أصاب القبط، و الروم لا تبعوه، و قد أمرهم بذلك عيسى، و هذا الذى تصفون منه نعت الأنبياء من قبله، و ستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، و يظهر دينه إلى منتهى الخفّ و الحافر.

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۰ و غيره.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۴

(۱) فاستاء رجال ثقيف من هذا الكلام و قالوا بكل صلافة و وقاحة: لو دخل الناس كلّهم معه ما دخلنا معه.

فهزّ المقوقس رأسه ساخرا بهم و قال: أنتم فى اللعب «۱». بيد ان هذه الرواية لا توافق بقية المصادر التاريخية لان النبى صلّى اللّه عليه و آله كاتب ملوك العالم و قادته فى السنة السابعة من الهجرة، على حين كان المغيرة فى معركة الخندق قد آمن، و كان فى الحديبية فى صفوف المسلمين، حتى أنه كان بينه و بين مندوب قريش المفاوض عروة بن مسعود الثقفى مشاجرة مر ذكرها عند استعراض قصة الصلح.

و على فرض صحة هذه الرواية لا بد من القول بأن المغيرة لم يكن فى وفد ثقيف.

(۲) و فى الختام ينبغى أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن الواقدى نقل نص رسالة النبى إلى عظيم القبط بصورة اخرى.

و لكن أسلوب الرسالة و عباراتها تدل على أن هذه الصورة لا أساس لها من الصحة، لانها تتضمن تهديدا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعظيم القبط بالحرب و الغزو اذ جاء فيه: «و أمرنى (أى اللّه) بالإعذار و الانذار، و مقاتلة الكفار حتى يدينوا بدينى» «۲».

و ممّا لا شك فيه أن هذا غير صحيح لأن امكانيات المسلمين فى ذلك اليوم لم تكن لتسمح لهم بمقاتلة المكيين فكيف يغزو «مصر» و هى منطقة نائية جدا.

هذا مضافا إلى أن صدور مثل هذا الكلام عن النبى فى أول دعوة له إلى الاسلام لا يتلاءم و نفسية و خلق ذلك الرجل العظيم الذى كان يقدّر الظروف آنذاك أفضل من غيره.

---

(۱) السيرة الدحلانية: ج ۳ ص ۷۰.

(۲) فتوح الشام: ج ۲ ص ۲۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۵

(۱)

سفير النبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى أرض الذكريات «الحبشة»:

اشارة

تقع «الحبشة» فى آخر إفريقيا الشرقية و تبلغ مساحتها ۱۸۰۰ كيلومترا مربعا، و عاصمتها اليوم: أديس أبابا.

و لقد تعرّف الشرقيون على هذه الأرض قبل ظهور الاسلام بقرن، و ذلك على أثر هجوم الجيش الايرانى الذى تمّ فى عهد حكومة

الملـك الفارسـى «انوشـيروان»، و بلغ هـذا التعرّف و التردد ذروته فى هجرة المسـلمين من مكـة إلى الحبشـة (الهجرة الأولى و الهجرة الثانية).

و يوم قرر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن يبعث سـتة من خيرة رجـاله الشـجعان إلى نقـاط مختلفـة، و نائيـة من العـالم لإبلاغ نـداء رسالته العالميّة كلّف:

«عمرو بن اميّة الضميرى» بأن يأخذ كتابه إلى الحبشة، و يسلّمه إلى النجاشىّ ملكها العادل الطيب.

على أن الكتاب الذى سـتقرأ نصّه قريبا ليس هو الكتاب الوحيد الذى بعثه رسول الاسـلام صـلّى اللّه عليه و آله إلى النجاشى، بل سبق أن كتب صـلّى اللّه عليه و آله إليه قبـل هـذا يوصـيه بالمهـاجرين المسـلمين، و يطلب منه فيه أن يلطف بهم، و يرعاهم، و لا يزال نصّ هذين الكتابين موجودا فى المصادر التاريخية الاسلامية «۱».

(۲) و ربمـا حصـل اشـتباه بين هـذين الكتـابين (الرسالـة التى بعثهـا النبى لابلاغ دعوته العالميـة، و الرسالـة التى أوصـى فيها النجاشـى بالمهاجرين) فخلط بعض المؤرخين بين عبارتيهما.

و يوم قدم سـفير النبى بكتاب الدعوة إلى الاسـلام، الحبشة على النجاشى كان بعض المهاجرين المسلمين لا يزالون فى أرض الحبشة، يعيشون فى كنف

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۹۴.

النجاشـى و حمـايته، بينمـا عـاد بعضـهم من قبـل إلى المدينـة، و هم يحملون أجمـل الـذكريات و الخواطر عن عـدل حاكمهـا الطيب «النجاشى»، و لطفه، و حسن وفادته.

(۱) من هنـا كـانت أرض الحبشـة فى نظر المسـلمين تعتبر أرض الـذكريات الجميلـة و الخواطر الحلوة، و كـانوا يمـدحون حـاكمهـا و يصـفونهم بالعدل و الاسـتقامة. و لو اننا لا حظنا فى كتاب النبى صـلّى اللّه عليه و آله إليه نوعا من اللطف، و اللين فى القول فان ذلك مردّه إلى معرفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بنفسية النجاشى و خلقه و حسن موقفه.

فانك لا تجـد لتهديدات رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى كتبه و رسائله الاخرى إلى الملوك و الزعماء، بالعقاب الالهى إن رفضوا القبول بدعوته، و حمّلهم مسئولية شعوبهم فى عبارات صريحة و قاطعة، أىّ أثر فى هذا الكتاب.

(۲) فقد كتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى النجاشى ما يلى:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم. من محمّد رسول اللّه إلى النجاشى ملك الحبشة.

سلـام عليك، أحمـد اللّه الـذى لا إله إلّا هو الملك القـدّوس السـلام المؤمن المهيمن، و أشـهد أن عيسـى بن مريم روح اللّه و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيّبة الحصـينة فحملت بعيسى، حملته من روحه، و نفخه، كما خلق آدم بيده، و إنى أدعوك إلى اللّه وحده لا شريك له و الموالاة على طاعته، و أن تتبعنى و توقن بالذى جاءنى، فإنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و إنّى أدعوك و جنودك و قد بلّغت و نصحت فاقبلوا نصيحتى و السلام على من اتبع الهدى» «۱».

لقـد بـدأ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله كتـابه بالتسـليم على حاكم الحبشـة و أرسل إليه بتحياته الشخصـية، و لكنه لم يفعل هـذا فى كتاب غيره، فلم يرسل بتحياته الشخصية الى «كسرى» و «قيصر» و «المقوقس» حكّام إيران و الروم

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۴۸، إعلام الورى: ص ۴۵ و ۴۶.

و مصر، بل بدأ كتبه إليهم بالسلام العام حيث قال: «السلام على من اتبع الهدى».

(۱) و لكنه صلّى اللّه عليه و آله سلّم فى كتابه هذا، على النجاشى نفسه، و قال: «السلام عليك»، و بهذا خصّه دون غيره من الزعماء و الملوك باحترام و تكريم خاصّين.

و لقد أشار صلّى اللّه عليه و آله فى هذا الكتاب الى جملة من صفات اللّه البارزة التى تدلّ جميعها على تنزهه سبحانه، و عظمته و جلاله.

ثم أشار إلى مسألة ألوهية المسيح (التى هى من ولائد التفكير الكنسى المنحطّ) و ردّ على ذلك باستدلال قوىّ خاصّ مستلهم من القرآن الكريم. حيث قايس ولادة المسيح عليه السّلام بخلقة آدم، و أثبت ان ولادة شخص من دون أب لو كان دليلا على ألوهيّته، أو كونه ابنا للّه، لصحّ ذلك فى حق آدم، الذى خلق من غير أب و لا أمّ، و لكن لا يرى أحد فيه مثل هذا الرأى.

ثم ختم صلّى اللّه عليه و آله كتابه هذا باخراج دعوته فى لباس النصح و الموعظة، تجنبا من إظهار نفسه بمظهر الآمر.

(۲)

محاورة سفير النبىّ و حاكم الحبشة:

لما مثل سفير النبى صلّى اللّه عليه و آله أمام النجاشىّ قال للنجاشى:

يا أصحمة إنّ علىّ القول، و عليك الاستماع، إنّك كأنّك فى الرقّة علينا منا، و كأنّا فى الثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيرا قط إلّا نلناه، و لم نحفظك على شرّ قطّ إلّا أمنّاه، و قد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، و الانجيل بيننا و بينك شاهد لا يردّ، و قاض لا يجور، و فى ذلك موقع الخير، و اصابة الفضل، و إلّا فأنت فى هذا النبى الامّى كاليهود فى عيسى بن مريم، و قد فرّق رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، و أمنك على ما خافهم عليه لخير سالف، و أجر ينتظر.

فقال النجاشى: أشهد باللّه أنه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب، و إنّ

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۸

بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، و انه ليس الخبر كالعيان، و لكنّ أعوانى من الحبشة قليل، فانظرنى حتى أكثر الأعوان، و ألين القلوب و لو استطيع أن آتيه لأتيته «۱».

(۱)

رسالة النجاشى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم كتب كتابا إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله هذا نصه:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم؛ إلى محمّد رسول اللّه من النجاشى، سلام عليك يا نبى اللّه و رحمة اللّه و بركاته، الذى لا إله إلّا هو، الذى هدانى إلى الإسلام.

أما بعد، فقد بلغنى كتابك يا رسول اللّه فيما ذكرت من أمر عيسى، فو ربّ السماء و الأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا «۲» إنه كما قلت و قد عرفنا ما بعثت به إلينا، و قد قرّبنا ابن عمك و أصحابك، و أشهد أنّك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد بايعتك و بايعت ابن عمك و أسلمت على يديه للّه ربّ العالمين، و قد بعثت إليك يا نبىّ اللّه فان شئت أن آتيك لفعلت يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فإنّى أشهد أنّ ما تقول حق و السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته» «۳»

ثم إن النجاشى بعث بهدايا خاصّة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و كتب إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد ذلك كتابين آخرين أيضا، و كان فى كلّ مرة يحترم كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يقبّله و يضعه على عينيه.

(۲)

تقييم سريع لمراسلة النبى صلّى اللّه عليه و آله قادة العالم:

ربمـا تصوّر بعض العـارفين بأحوال الساسـة فى ذلك اليوم أن دعوة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لحكّام و شـعوب العالم يومـذاك كان أمرا خارج المألوف و عملا

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۴۸، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۵۹.

(۲) الثفروق: الاقماع التى تلزق بالبسر.

(۳) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۲۹۴، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۳۹۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۷۹

غير متعارف، و لكنّ مضىّ الزمان أثبت أنّ ذلك العمل كان من وظائف النبىّ و مهامّه الاساسية.

(۱) أولا: ان إرسال سـتة سـفراء فى يوم واحـد إلى أنحاء العالم، محمّلين برسائل قوية مبرهنة أغلق كل باب للشكّ فى وجه المخالفين فى المسـتقبل، فلاـ مجـال لأن يشك أحـد هـذا اليوم و هو يرى هـذا العمل العظيم فى عالميّـة الرسالـة المحمّديـة، فمضافا إلى الآيات الواردة فى هذا الصعيد يعدّ إرسال السفراء بنفسه دليلا قاطعا و كبيرا على عالمية الرسالة الاسلامية.

(۲) ثانيا: لقد تأثّر جميع الزعماء و الملوك و القادة الذين راسـلهم النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله ما عدا «خسـروا برويز» ملك إيران الذى كان طاغية مستبدا متكبرا، برسائل النبى صلّى اللّه عليه و آله و دعوته، و أكرموا سفراءه.

كما أن قضية ظهور النبىّ العربى قد أصبح حديث الاوساط و المحافل الدينية بسبب هذا العمل.

لقـد أيقظت هـذه الرسائـل و الكتب بمحتوياتهـا و مضامينهـا القويـة المبرهنـة العقول الغافيـة، و هزّت الغـافلين بشـدّة، و أثارت مشاعر الشـعوب العالميّـة المتحضـرة، و دفعتهم إلى البحث و التحقيق حول من بشّر به التوراة و الانجيـل، كمـا تسـبب فى أن يجرى العلماء و الاساقفة و القساوسة غير المغرضين باتصالات بمن ينتسب إلى هذا الدين، و يقيموا ارتباطا مع هذه العقيدة بشكل و آخر.

و من هنا و لأجل هـذا تسابقت أفواج و فرق كبيرة من رجال الـدين من الشـرائع الدينيـة المختلفـة التى كانت سائدة آنذاك فى الايام الاخيرة لحياة رسول الإسـلام صـلّى اللّه عليه و آله و بعـدها إلى القـدوم على المدينـة لدراسـة أوضاع الـدين الجديـد، و التعرف على ماهيته و منطقه.

و لقد شـرحنا فى الفصول الماضية و بشكل مفصّل نوع و مدى التأثير الذى تركته رسائل النبى و سفراؤه فى نفوس حكّام الرّوم و مصر و الحبشة، و ها نحن نواصل بيان بقية التأثيرات التى تركتها مراسلة النبى صلّى اللّه عليه و آله لحاكم

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۰

الحبشة العادل، و ملكها البار: اصحمة النجاشى.

(۱) فقـد عمـد النجاشـىّ بعـد تقـديم الهـدايا إلى سـفير النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله، إلى ارسـال ثلاثين رجلا من القساوسـة و الاساقفة الاحباش إلى أرض المدينـة للتحقيق فى أمر الإسـلام، و نبوة محمّد صـلّى اللّه عليه و آله و ليروا من كثب حياته الزاهدة البسـيطة، و لا يتصوروا أنه يعيش كما كان يعيش الملوك و الجبابرة فى ذلك العصر.

و لما قدم مبعوثو النجاشـى المدينة على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله سألوه عن نظريته حول السيّد المسيح عليه السّلام فبيّن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عقيدته حول ذلك النبىّ العظيم بقراءة الآية التالية:

«إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ: إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۱».
و قد كان لهذه الآيات أثر عجيب فى نفوس اولئك القساوسة و الأساقفة حتى أنهم بكوا عند سماعها من دون اختيار.
(۲) و بعد التحقيق الدقيق فى دعوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عاد هذا الفريق من علماء الدين المسيحى إلى الحبشة، و أخبروا النجاشىّ بما سمعوه و شاهدوه، فبكى هو أيضا لما سمع من اولئك الرجال «۲».
و قد نقل ابن الاثير فى «الكامل» و «اسد الغابة» قصة هذا الوفد بصورة اخرى إذ كتب بعد ذكر ما مرّ من رسالة النجاشى باضافة قوله: «و بعثت

---

(۱) المائدة: ۱۱۰.

(۲) اعلام الورى: ص ۴۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۱

إليك بابنى أرمى بن الاصحم» فخرج ابن النجاشى فى ستين نفسا من الحبشة (قاصدين المدينة) فى سفينة فى البحر، فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم.
و لكن وصول الرسالة التى اشار إليها ابن الاثير إلى الرسول الاكرم صلّى اللّه عليه و آله شاهد على أنه لم تحدث مثل هذه الحادثة لمبعوثى النجاشى «۱».
(۱)

كتاب رسول اللّه الى أمير الغساسنة (بالشام):

الغساسنة فرع من قبيلة «الازد» القحطانيين الذين سكنوا «اليمن» مدة طويلة، و كانت أراضيهم تسقى من سدّ مأرب، فلما انهدم ذلك السدّ اضطروا إلى الرحيل عن «اليمن» و نزلوا بالشام. فسيطروا على جزء من أراضيها و حكموا فيها، و انتهى بهم الامر الى تشكيل دولة الغساسنة. التى كانت تحكم تلك الديار تحت نفوذ قياصرة الروم و سيادتهم، فلما جاء الإسلام أزال نظامهم، و انتهت حكومتهم، بعد أن حكم منهم، اثنان و ثلاثون ملكا فى مناطق «الجولان»، و «اليرموك»، و «دمشق» «۲».
و قد بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «شجاع بن وهب» و هو أحد السفراء الستة الذين بعثهم صلّى اللّه عليه و آله لابلاغ الرسالة الاسلامية إلى العالم- إلى أرض الغساسنة، و قد حمّله كتابا إلى ملكها يومذاك «الحارث بن أبى شمر الغسانى»، فخرج شجاع بكتاب النبى إلى الشام لتسليمه الى ملك الغساسنة فانتهى إليه و هو بغوطة دمشق و هو مشغول باعداد المقدمات لاستقبال «قيصر» الذى كان فى طريقه إلى زيارة بيت المقدس وفاء للنذر الذى نذره للانتصار على ايران كما مر.
(۲) و لهذا لم يستطع «شجاع» من الوصول إلى الأمير الغسانى إلّا بعد انتظار دام

---

(۱) اسد الغابة: ج ۱ ص ۶۲، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۴۵.

(۲) راجع معجم البلدان، و مروج الذهب و غيرهما.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۲

ثلاثة أيام، فاستغلّ «شجاع» هذه الفرصة و صادق فيها حاجب الأمير الغسانى فكان يحدّثه عن صفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخلاقه و ما يدعو إليه من العقيدة الطاهرة، فأثّرت كلمات «شجاع» تأثيرا عجيبا فى نفس ذلك الحاجب الذى كان روميّا حتى أنه رقّ و غلبه البكاء و قال: إنّى قرأت الإنجيل و أجد صفة هذا النبى بعينه، و أنا أومن به و اصدّقه، و أخاف من «الحارث» أن يقتلنى اذا عرف باسلامى و كان يكرم سفير النبى صلّى اللّه عليه و آله و يحسن ضيافته طوال تلك المدة، و يقول إن الحارث يخاف قيصر أيضا.

(۱) ثم لما خرج «الحارث» ذات يوم و جلس على عرشه أذن لسفير النبى صلّى اللّه عليه و آله بالدخول عليه، فلما مثل بين يديه دفع إليه كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقرأه و كان نصّه كالتالى:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم من محمّد رسول اللّه إلى الحارث بن أبى شمر، سلام على من اتبع الهدى، و آمن به و صدّق، و إنى أدعوك أن تؤمن باللّه وحده لا شريك له يبقى ملكك».

فانزعج الحارث ممّا قرأ فى آخر الكتاب و رمى به جانبا، و قال: من ينتزع منى ملكى؟ أنا سائر إليه، و لو كان باليمن جئته، علىّ بالناس.

و بهذا أمر بإعداد العسكر حالا ليستعرض قوته العسكرية أمام سفير النبى إرعابا و تخويفا له. و لاجل أن يظهر نفسه بمظهر المدافع عن ملك قيصر بادر إلى كتابة رسالة الى «قيصر» يخبره فيها بما عزم عليه من غزو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله!!

(۲) و اتفق أن وصلت رسالة الامير الغسانى إلى «قيصر» فى الوقت الذى كان فيه «دحية الكلبى» سفير النبى إلى الروم فى مجلس قيصر، و كان «قيصر» يحاوره، و يسأله عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عن صفته و دينه، فانزعج «قيصر» من مبادرة الحاكم الغسانى العجولة و كتب إليه يمنعه عن السير إلى رسول الاسلام طالبا منه أن يلتقى به فى مدينة «ايليا».

سید المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۳

فغيّر موقف «قيصر» الايجابى هذا موقف عميله: الحاكم الغسانى السلبى تبعا للمثل القائل «الناس على دين ملوكهم» فبادر من فوره إلى إكرام سفير النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و منحه هدايا ثمينة، و وجّهه نحو المدينة معززا مكرّما و قال له: «اقرأ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منّى السلام».

و لكن النبى صلّى اللّه عليه و آله لم يرض بهذا الموقف الدبلوماسى الذى لم يكن ينمّ عن واقع صادق فقال: باد ملكه. أى سيزول ملكه عما قريب. فمات «الحارث» فى السنة الهجرية الثامنة أى بعد عام واحد من هذه القضية «۱».

(۱)

سادس السفراء فى أرض اليمن:

سادس سفراء النبى هو المبعوث الى أرض اليمامة (و هى من نجد)، و هو سليط بن عمرو.

فقد خرج سليط هذا بكتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى «هوذة بن على» الحنفى ملك اليمامة يدعوه الى الإسلام و لما قدم عليه سلّم الكتاب إليه و فيه.

«بسم اللّه الرّحمن الرّحيم. من محمّد رسول اللّه إلى هوذة بن على. سلام على من اتّبع الهدى و اعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخفّ و الحافر (أى يعمّ الشرق و الغرب) فأسلم تسلم و اجعل لك ما تحت يديك».

(۲) و حيث أن ملك اليمامة (هوذة) كان نصرانيا لذلك بعث إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سليطا و كان ممن عاش مدة من الزمن فى أرض الحبشة عند ما هاجر إليها فريق من المسلمين فرارا من اضطهاد و فتنة قريش لهم، و عرف بتقاليد النصارى و منطقهم، و كانت تعاليم الاسلام، و كذا اختلاطه بمختلف الفئات فى رحلاته و أسفاره قد صنعت منه رجلا شجاعا قويا و ذكيا و قد استطاع بما

اوتى

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۵۵ و ۲۵۶، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۱

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۴

من قوة المنطق، و الشجاعة أن يقنع بكلامه و حديثه ملك اليمامة عند ما قال له: يا هوذة أنه سوّدتك «۱» أعظم حائلة (أى بالية) و ارواح فى النار، و انما السيّد من متّع بالإيمان ثم زوّد بالتقوى. ان قوما سعد برأيك فلا يشقون به، و إنى آمرك بخير مأمور به، و أنهاك عن شيء منهيّ عنه.

آمرك بعبادة اللّه، و أنهاك عن عبادة الشيطان، فان فى عبادة اللّه الجنة، و فى عبادة الشيطان النار، فان قبلت نلت ما رجوت و آمنت ما خفت، و ان ابيت فبيننا و بينك كشف الغطاء و هو المطّلع.

(۱) كانت ملامح ملك اليمامة المتغيرة المتأثرة توحى بحسن تأثير كلمات سليط سفير النبيّ فى نفس ذلك الملك، و لهذا طلب من سليط أن يمهله مدة حتى يفكر فى أمر النبى و دعوته، و كان من الملوك العقلاء.

و صادف أن قدم اليمامة عليه فى ذلك اليوم اسقف كبير من كبار أساقفة الروم، فتحدث معه «هوذة» فى قضية النبى، و دعوته، و إليك ما دار بينهما من الحوار.

قال هوذة للاسقف: جاءنى كتاب من النبى يدعونى إلى الإسلام فلم اجبه.

فقال الاسقف: لم لا تجيبه.

قال هوذة: ضننت بدينى و أنا أملك قومى، و لئن اتبعته لا أملك.

قال: بلى و اللّه لئن اتبعته ليملّكنك، و ان الخير لك فى اتباعه، و أنه للنبىّ العربى الذى بشّر بن عيسى بن مريم عليه السّلام. و انه لمكتوب عندنا فى الانجيل:

محمّد رسول اللّه.

(۲) فتركت نصيحة الاسقف و كلماته أثرا عميقا و قويا فى نفس ملك اليمامة «هوذة» فاستدعى سفير النبى صلّى اللّه عليه و آله و كتب إلى النبى صلّى اللّه

---

(۱) يقصد أنّه سوده كسرى و هو فى النار.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۵

عليه و آله كتابا هذا نصه: «ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله، و أنا شاعر قومى و خطيبهم و العرب تهاب مكانى فاجعل إلىّ بعض الأمر اتبعك (أى أنه كان يطلب أن يجعله النبى خليفة له من بعده).

و لم يكتف «هوذة» بهذا بل بعث وفدا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بزعامة «مجاعة بن مرارة» ليبلّغ إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله رسالته و يقول له صلّى اللّه عليه و آله: ان جعل الأمر له من بعده أسلم و سار إليه و نصره، و إلّا قصد حربه.

فلما قدم الرسول على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بما جرى و قرأ الكتاب على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: «لا و لا كرامة، لو سألنى سيابة من الارض ما فعلت اللهم اكفنيه» «۱». سيد المرسلين ج۲ ۳۸۵ سادس السفراء فى أرض اليمن: ..... ص : ۳۸۳

(۱)

رسائل اخرى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

هـذا و ان الرسائـل و الكتب التى بعثهـا رسول اللّه لغير من ذكرنـاه من القـادة و الزعمـاء و الشخصـيات الدينيـة و السياسـيئة اكثر من ما أدرجناه هنا، و قـد اسـتطاع العلماء المحققون أن يجمعوا و يثبتوا فى كتب خاصّة صورة ۲۹ رسالة من رسائل الدعوة الى الاسـلام التى بعثها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تركنا إدراجها هنا رعاية للاختصار «۲».

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۵۴، الكامل فى التاريخ: ج ۲ ص ۱۴۶، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۶۲ و سيابة من الأرض أى قطعة من الأرض.

(۲) راجع مكاتيب الرسول للعلامة الاحمدى، و غيره من المؤلفات فى هذا المجال.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۶

(۱)

۴۴ قلعة خيبر أو بؤرة الخطر [غزوة خيبر]

اشاره

يوم طلع نجم الاسـلام فى أرض المدينة حقدت اليهود على رسول اللّه، و المسلمين اكثر من قريش، و عملت بمختلف الطرق و الحيل من اجل القضاء على الاسلام و الإيقاع برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه.

و لقـد ابتلى يهود المدينة و ما حولها بمصـير سـيّئ نتيجة أعمالهم و تصـرّفاتهم السـيئة، فقتل فريق منهم، و اجلى آخرون مثل قبيلة بنى قينقاع و بنى النضير من أرض المدينة فسكنوا «خيبر» و «وادى القرى» أو نزلوا باذرعات الشام.

و كانت خيبر منطقة واسـعة و خصبة تقع على بعد اثنين و ثلاثين فرسخا من المدينة كان قد سكنها اليهود قبل بعثة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و بنوا فيها سبع قلاع و حصون قوية لتحصنهم و تحفظهم.

و حيث إن التربـة و المناخ فى تلك المنطقة كانت قد جعلت من تلك المنطقة مكانا جيدا و صالحا للزراعة جدا، لذلك كان سـكانها اليهود قد حصلوا على مهارة كبرى فى امور الزراعة و جمع الثروات، و تهيئة وسائل الدفاع و القتال، و إعداد السلاح و القوة.

و كان عدد نفوسها يقارب عشرين الف نسمة بينهم عدد كبير من المقاتلين الشجعان «۱».

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۳۶، تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۴۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۸۷

(۱) إن أكبر ذنب اقترفه يهود «خيبر» هو أنهم شـجّعوا جميع القبائل العربيـة على محاربة الحكومة الاسـلامية و القضاء عليها، و اسـتطاع جيش الاـحزاب المشـرك بمساعـدة يهـود «خيبر» أن يتحركـوا فى يوم واحـد من مختلف منـاطق الجزيرة العربيـة لاجتيـاح المدينـة و استئصـال المسـلمين فى أكـبر تحـالف عسـكرى و اتّحـاد نظـامىّ من نـوعه فى ذلـك العصـر كمـا سـبق و أن عرفت فى قصـة «معركة الأـحزاب» و لكن هـذا الجيش المعتـدى الظـالم تفرّق بفعـل تـدابير رسول الاسـلام الحكيمـة و أصـحابه بعـد شـهر من الانتظار خلف الخندق، و تقهقر و عادت أحزابه و من جملتهم يهود خيبر متشتتة متفرقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة و الخسران، و استعادت عاصمة الإسلام استقرارها و أمنها.

(۲) إن خيانـة، و خباثـة و لؤم يهود خيـبر حملت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله على أن يقضـى على بؤرة المؤامرة و مركز الفسـاد و الخطر هذا، و أن يجرّد سـكانها جميعا من السـلاح، لأنه كان يخشـى أن يعود هذا الشـعب المعاند الخبيث- ببذل الأموال الطائلة- إلى

تألیب العرب الوثنیین مرة اخری ضد المسلمین و یعیدوا قصة الأحزاب مرة اخری. و خاصة أن تعصّب الیهود لدینهم و معتقدهم کان أشدّ من تعصّب قریش للوثنیة، و لهذا التعصب کان یسلم ألف مشرک وثنیّ و لا یدع یهودی واحد دینه، و معتقده!!

(۳) ثم إنّ عاملا- آخر حمل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی تحطیم قدرة الخیبریین و شوکتهم، و انتزاع السلاح منهم و رصد تحریکاتهم بواسطة فرسانه و رجاله، أنه راسل الملوک و السلاطین، و دعاهم جمیعا و بشکل قوی الی الاسلام، فلم یکن من المستبعد أن یستغل «کسری» و «قیصر» یهود خیبر فیتعاونوا جمیعا للقضاء علی الاسلام و النهضة الاسلامیة فی مهدها، أو تحرک الیهود ذینک الملکین ضدّ الاسلام کما حرّکت من قبل المشرکین ضدّ هذا الدین، و تسبّبت فی وقوع مشاکل.

خاصة أن الشعب الیهودی کان ضلیعا فی الحروب التی دارت بین الروم

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۸۸

و الفرس فی تلک العصور، و کان الیهود یتعاونون مع أحد الطرفین.

من هنا رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ان من الحکمة بل و من الضرورة بمکان أن یطفئ شرارة الخطر هذه إلی الأبد.

(۱) و کانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل، لأنّ بال النبیّ کان قد فرغ من ناحیة الجنوب (أی قریش) بعد صلح الحدیبیة، و کان یعلم أنه لو أقدم علی عمل ضد الیهود لم تمتد ید من جانب قریش لمساعدتهم، و لکی یمنع من وصول أیّة مساعدات و امدادات لهم من ناحیة قبائل الشمال مثل «غطفان» الذین کانوا أصدقاء لیهود خیبر و المتعاونین معهم فی معرکة «الأحزاب» نفذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خطة سیأتی تفصیلها مستقبلا.

لهذه الاسباب و العوامل و الاعتبارات أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المسلمین بالتهیّؤ لغزو خیبر آخر مرکز من مراکز الیهود فی الجزیرة العربیة. و قال:

«لا تخرجوا معی إلّا راغبین فی الجهاد أما الغنیمة فلا».

ثم إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله استخلف علی المدینة «نمیلة بن عبد اللّه اللیثی»، و دفع رایة بیضاء الی «علیّ بن أبی طالب» علیه السّلام و أمر بالتوجه إلی خیبر، و لکی تسرع الابل فی سیرها اذن لعامر بن الاکوع أن یحدو بالابل لان الابل تستحثّ بالحداء، فأخذ یرتجز قائلا:

و اللّه لو لا اللّه ما اهتدیناو لا تصدّقنا و لا صلّینا

إنّا إذا قوم بغوا علیناو إن أرادوا فتنة أبینا

فأنزلن سکینة علیناو ثبت الأقدام إن لاقینا (۲) و قد عکست هذه الأبیات الجمیلة جانبا من هدف هذه الغزوة، فهی تفید أن الیهود ظلمونا، و أشعلوا نیران الفتنة و قد خرجنا لاطفائها، و تحملنا فی سبیل ذلک عناء هذا السفر.

و لقد سرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمضامین هذه الابیات فدعا لابن الاکوع، و قال: «یرحمک اللّه» و قد استشهد ابن الاکوع هذا فی هذه الغزوة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۸۹

(۱) هذا و قد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یراعی مبدأ الاستتار فی جمیع تحرکاته العسکریة، فقد کان یحب أن لا یعرف العدوّ بمسیره و مقصده حتی یفاجئ العدو و بیاغته، و یحاصره قبل أن یستطیع فعل شیء، هذا مضافا إلی ناحیة اخری و هی أن یظن حلفاء العدوّ الذی یقصده بأنه یقصدهم و یسیر إلیهم، فیغلقوا علی أنفسهم أبواب منازلهم و لا ینضم بعضهم الی بعض.

و ربما تصوّر البعض فی هذه الغزوة أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقصد منطقة الشمال (شمال المدینة) لتأدیب قبائل غطفان و فزارة الذین تعاونوا مع الیهود فی معرکة الاحزاب، لما وجدوه متوجها نحو الشمال.

(۲) و لکنه عند ما وصل إلی منطقة «الرجیع» عرج بجیشه صوب «خیبر» و بهذا قطع الطریق علی أیة إمدادات عسکریة من ناحیة

الشمال إلی خیبر، بقطع خطّ الارتباط بین قبائل غطفان و فزارة و یهود خیبر، فمع ان حصار خیبر طال مدة شهر واحد تقریبا لم تستطع القبائل المذکورة ان تمدّ حلفاءها الیهود بأی شیء «۱».

و لقد خرج مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی خیبر ما یقرب من ألف و ستمائة مقاتل، بینهم مائتا فارس «۲».

و عند ما أشرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی خیبر قرأ الدعاء التالی الذی یکشف عن نیته الحسنة:

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۳۰.

(۲) الامالی للطوسی: ص ۱۶۴، یذهب ابن هشام فی سیرته: ج ۲ ص ۳۲۸ إلی ان خروج النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی خیبر کان فی المحرّم، و بینما ذهب ابن سعد فی الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۷۷ إلی انه کان فی جمادی الثانیة من السنة السابعة، و حیث ان ارسال الرسل الی الملوک و الامراء تم فی شهر محرم من هذه السنة ذاتها لذلک یکون الرأی الثانی أقرب إلی الصحة، و خاصة أن مهاجری حبشة التحقوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی خیبر بعد وصول رسالة النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی النجاشی بوساطة «عمرو بن أمیّة» لان ذهاب رسول النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی الحبشة و عودته مع المهاجرین الی المدینة ثم خیبر بحاجة إلی زمان، و حیث ان توجه الرسل و السفراء کان فی شهر محرم لذلک یجب ان یکون قتال الخیبریین فی الاشهر التالیة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۰

اللهمّ ربّ السماوات و ما اظللن

و ربّ الارضین و ما اقللن

و ربّ الشیاطین و ما اضللن

و ربّ الریاح و ما أذرین

فإنا نسألک خیر هذه القریة و خیر أهلها، و خیر ما فیها و نعوذ بک من شرها و شر أهلها و شر ما فیها».

(۱) إن هذا الدعاء و ما رافقها من حالة التضرع، و ذلک أمام أعین ألف و ستمائة من الجنود الشجعان الذین کان کل واحد منهم شعلة متقدة من الشوق الی القتال فی سبیل اللّه یکشف عن أن النبی صلّی اللّه علیه و آله لم یکن یهدف من مسیره إلی هذه الأرض الاستعمار أو الانتقام بل جاء من أجل ان یقضی علی بؤرة الخطر التی کان من المحتمل أن یتحول فی کل لحظة إلی قاعدة انطلاق للمشرکین الوثنیین، حتی لا تهدّد النهضة الاسلامیة من هذه الناحیة فیما بعد.

و ستری أنت أیّها القارئ الکریم کیف أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد فتح القلاع و الحصون الیهودیة، و انتزاع السلاح من سکانها المتآمرین المشاغبین فوض إلیهم اراضیهم، و اکتفی منهم بأخذ الجزیة فی مقابل المحافظة علی أموالهم و أنفسهم، و بعد أن ربطهم بمعاهدة قویة ملزمة.

(۲)

احتلال النقاط و الطرق الحساسة لیلا:

کان لکل حصن من حصون خیبر السبعة اسم خاص یعرف به فهی عبارة عن: «ناعم» و «القموص» و «الکتیبة» و «النطاة»، و «شقّ» و «سطح»، و «سلالم»، و ربما سمّی بعض هذه الحصون باسم زعیم الحصن و سیّده، مثل حصن مرحب.

کما أنه کانوا قد بنوا عند کل حصن من تلک الحصون برجا للمراقبة، و لرصد کل التحرکات خارج الحصن، و لأجل أن ینقل الحراس و المراقبون المستقرون فی هذه الأبراج الأخبار إلی داخل الحصن.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۱

و قد كانت تلك البروج و الحصون قد شيّدت بحيث يسيطر سكانها على خارج الحصن سيطرة كاملة و كانوا يستطيعون- عن طريق المجانيق «۱» و غيرها من آلات الرمى- إبعاد أى عدو، و افشال أيّة محاولة للاقتراب الى الحصن، و ذلك برميه بالاحجار و ما شابهها.
(۱) و قد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفا، ألفان من الفرسان الشجعان و الصناديد الابطال الذين توفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام و الشراب، و الذين اعدت لهم فى المخازن كل ما يحتاجون إليه من الاسلحة و العتاد.
و كانت هذه الحصون من الإحكام و القوة بحيث كان من المستحيل إحداث أيّة ثغرة فى حيطانها أيضا، و من أراد الاقتراب إليها رمى بالاحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدّ هذه الحصون- فى الحقيقة- متاريس قوية لمقاتلى اليهود.
لقد واجه المسلمون فى هذه الغزوة مثل هذا العدوّ المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القوية، فكان لا بدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكرى دقيق.
و لهذا فان أوّل عمل قام به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه فى هذا السبيل هو احتلال كل النقاط و الطرق الحساسة ليلا.
و قد تم هذا العمل بسرية و سرعة بالغة جدا بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضا.
(۲) و لما كان صبيحة تلك الليلة خرج عمّال خيبر غادين إلى مزارعهم و بساتينهم و هم يحملون مساحيهم و مكاتيلهم و اذا بهم يفاجئون بجنود الاسلام الابطال و قد احتلوا بقوة الايمان جميع النقاط الحساسة و سدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدّموا شبرا لقبض عليهم، فأفزعهم ذلك و خافوا خوفا شديدا، فأدبروا

---

(۱) و هى أجهزة حديدية بدائية تقذف الحجر او الحديد.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۲

هرابا و هم يقولون: محمّد و الجيش معه. و بادروا فورا إلى إغلاق أبواب الحصون و إحكامها، و عقدوا شورى عسكرية فى داخل حصنهم المركزى.
(۱) و عند ما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مساحى اليهود و مكاتيلهم و غيرها من أدوات الهدم قال متفائلا:
«اللّه أكبر خربت خيبر أنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».
و كانت نتيجة الشورى العسكرية اليهودية فى هذه الغزوة هى أن يجعلوا الأطفال و النساء فى أحد الحصون، و يجعلوا الذخيرة من الطعام فى حصن آخر، و يستقر المقاتلون الشجعان على الأبراج و يدافعوا عن كل قلعة و حصن بالأحجار، و يخرج الابطال الصناديد من كل حصن و يقاتلوا المسلمين خارجه.
كانت هذه هى خطة اليهود لمواجهة جنود الاسلام، و قد أصروا على تنفيذها حتى آخر لحظة من القتال و لهذا استطاعوا أن يقاوموا فى وجه الجيش الاسلامى مدة شهر واحد تقريبا بحيث كانت محاولة فتح كل حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيام دون نتيجة.
(۲)

متاريس اليهود تتهاوى:

كانت هناك نقطة لا تحظى بأهمية تذكر من الناحية العسكرية و كان مقاتلو اليهود يسيطرون عليها سيطرة كاملة، و لم يكن فيها أى مانع من استهداف مخيم المسلمين و رميها من جانب العدو.
و لهذا جاء أحد المقاتلين المسلمين الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو «محمّد بن مسلمة» و قال له:
يا رسول اللّه صلّى اللّه عليك، إنك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر (الهى) امرت به فلا نتكلم فيه، و ان كان الرأى تكلمنا؟ يا

رسول اللّه دنوت من الحصن، و إن أهل النطاة مرتفعون علینا و هو أسرع لانحطاط نبلهم فتحوّل یا رسول اللّه الی موضع بریء من النخل و البناء حتی لا ینالنا نبلهم.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۳

(۱) فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یراعی واحدا من مبادئ الاسلام العظیمة (الشوری) و احترام الآخرین: «بل هو الرأی، انظر لنا منزلا بعیدا من حصونهم، بریئا من الوباء نأمن فیه بیاتهم»، فطاف محمّد حتّی انتهی إلی الرجیع (و هو واد بقرب خیبر) ثم رجع الی النبی صلّی اللّه علیه و آله لیلا فقال: وجدت لک منزلا، فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فحولت خیمة القیادة عند المساء إلی ذلک المکان الاکثر أمانا من بیات الیهود و غدرهم فکان النبی یغدو کل یوم فیقاتل أهل النطاة یومه إلی اللیل ثم إذا أمسی رجع الی الرجیع حیث غرفة القیادة، و کان یناوب بین أصحابه فی حراسة اللیل فی مقامه بالرجیع سبعة أیام «۱».

علی أنه لا یمکن البتّ فی تفاصیل واقعة خیبر و لکن المستفاد من المصادر التاریخیة هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع و الحصون حصنا تلو حصن، و حاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقیة الحصون تم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر.

(۲) و لقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها کانت مرتبطة ببعضها بارتباط سرّی، أو کان المقاتلون یدافعون عنها دفاعا مستمیتا، و لکن الحصون التی کان الرعب و الخوف یسیطر علی مقاتلیها و حرّاسها، أو التی ینقطع ارتباطها بالخارج بصورة کاملة کان یتم السیطرة علیها بسهولة، و تسفک فیها دماء أقلّ، و یتقدم العمل فیها بسرعة اکبر.

(۳) و ان أول حصن فتح علی أیدی المسلمین بعد شیء کبیر من الجهد- کما یذهب إلیه جمع من المؤرخین- هو حصن «ناعم». و لقد استشهد فی فتح هذا الحصن أحد المقاتلین المسلمین البارزین، یدعی «محمود بن مسلمة» الانصاری، و جرح خمسون رجلا من مقاتلی الإسلام، فقد استشهد الفارس المذکور بعد أن رماه الیهود بصخرة کبیرة من فوق الحصن فقتل من فوره، و قیل إنه توفی بعد ثلاثة أیام- حسب روایة ابن الاثیر فی اسد الغابة «۲» و نقل الجرحی الخمسون إلی

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۳۹.

(۲) اسد الغابة: ج ۴ ص ۳۳۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۴

منطقة اخری من المعسکر خصصت لغرض التضمید «۱»، کما انه سمح لبعض نساء بنی غفار بأن یأتین الی «خیبر» لمساعدة المسلمین و تضمید الجرحی و تقدیم غیر ذلک من الخدمات التی یلیق بهن فی المعسکر، و قد أظهرت تلک النسوة من أنفسهن تفانیا، و تضحیة عجیبة «۲».

(۱) و لقد رأت الشوری العسکریة الاسلامیة أن یعمد المقاتلون المسلمون- بعد فتح حصن «ناعم» إلی فتح حصن «القموص» الذی کان یرأسه أبناء «أبی الحقیق»، و لقد فتح هذا الحصن بفضل تفانی جنود الاسلام، و أسرت منه «صفیة بنت حیی بن أخطب» التی صارت فیما بعد من زوجات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و لقد قوّی هذان الانتصاران العظیمان معنویة الجنود المسلمین و ألقی رعبا شدیدا فی نفوس الیهود و لکن المسلمین وقعوا فی مخمصة شدیدة بسبب قلّة المواد الغذائیة بحیث اضطروا إلی أن یأکلوا من بعض الانعام المکروهة اللحم، و قد کان هناک بین حصون الیهود حصن مملوء طعاما الّا أن المسلمین لم یظفروا به حتی ذلک الحین.

(۲)

التقوی فی ظروف المخمصة الشدیدة:

فی مثل هـذه الحالـة التی كان قـد استولی فیها جوع شدید علی المسـلمین، اضـطروا معه إلی تناول لحوم ما كره أكله من الأنعام أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله راع أجیر للیهود یرعی لهم غنمهم، و رسول اللّه محاصر لبعض حصون خیبر فقال: یا رسول اللّه اعرض علیّ الاسـلام، فعرضه علیه، فأسـلم، و كان رسول اللّه لا یحقّر أحدا أن یدعوه إلی الاسلام و یعرضه علیه- فلما أسلم قال: یا رسول اللّه انی كنت أجیرا لصاحب هذه الغنم و هی أمانة عندی فكیف أصنع بها؟ فقال له رسول اللّه

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۴۰.

(۲) السیرة النبویة: ج ۳ ص ۳۴۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۵

صلّی اللّه علیه و آله أمام عیون المئات من جنوده الجیاع:

«أخرجها من العسكر ثم صح بها و ارمها بحصیات فإنّ اللّه عزّ و جلّ سیؤدّی عنك أمانتك».

ففعل الراعی ما أمره به رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و خرجت الغنم إلی صاحبها حتی دخلت الحصن كأنّ سائقا یسوقها، و قد قاتل ذلك الیهودی إلی جانب المسلمین حتی استشهد «۱».

(۱) أجـل لم یكتسب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله لقب «الامین» من قومه فی فترة شـبابه فقـط بـل كـان أمینـا فی جمیع الحالات و الظروف و هو القائل:

«ما من شـیء كان فی الجاهلیـة إلّا هو تحت قدمی إلا الامانة فانها مؤداة إلی البر و الفاجر» «۲»، و قد بقی تردد القطعان حرا طوال مدة الحصار و لم یفكر و لا واحد من المسـلمین بأخذ غنم منها لأنهم تعلّموا الأمانة و التقوی و الصدق و الورع من معلّمهم الاكبر «محمّد» الصادق الأمین صلّی اللّه علیه و آله.

نعم غلب الجوع الشدیـد علی العسـكر ذات یوم حتی كـادوا أن یهلكوا فأمر رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بأن تؤخـذ شاتان من غنم الیهود اضـطرارا، و اطلق البقیة لتدخل الحصن بامان «۳»، و لو لا ذلك الاضـطرار الذی یباح معه المحذور بقدره لما سـمح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بذلك، و لما رأی جوع أصحابه و تضوّرهم من شدّة السغب دعا قائلا:

«اللّهم انّك قـد عرفت حالهم و ان لیست بهم قوة، و ان لیس بیدی شـیء اعطهم إیاه فافتح علیهم أعظم حصونها عنهم غناء، و أكثرها طعاما» «۴».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۴۴ و ۳۴۵. امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۱۲- ۳۱۳.

(۲) مجمع البیان: عند تفسیر قول اللّه تعالی: «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ ...».

(۳) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۳۳۵- ۳۳۶.

(۴) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۲۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۶

و لم یكن یأذن لاحد من المسلمین بأن یأخذ شیئا من اموال الناس ابدا.

(۱) فی ضوء كـل هـذا تتضـح دسـائس جماعـة من المستشرقین فی تاریخنـا المعاصـر فهم یصـرّون علی القول بأن غزوات الاسـلام و معاركه كانت للإغارة و جمع الغنائم و مصادرة الأموال و السیطرة علیها و ان جنوده لم یكونوا یتقیّدون خلال تلك المعارك بمبادئ العدالة و الامانة، و ذلك كید منهم للاسلام، و محاولة بغیضة للحط من قیمة الاهداف الاسلامیة العلیا، و تشویهها.

و لكن النموذج المذكور هنا، و أمثاله ممّا یعدّ بالعشرات فی صفحات التاریخ الاسلامی تشهد بكذبهم، فإن النبی صلّی اللّه علیه و آله

لم يأذن و هو فى أشدّ الظروف و أصعبها و جنوده الاوفياء قد غلبهم الجوع و دنوا من الهلاك، بأن يخون راع فى أغنام كان يرعاها ليهودى، بل أمره بردّها إلى صاحبه و هو فى قتال مع اليهود على حين كان يمكنه مصادرتها جملة واحدة.

(۲)

فتح الحصون الواحد تلو الآخر:

بعد فتح القلاع المذكورة حمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، و سلالم، و لكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الاسلام الأبطال رغم كل التضحيات التى ذكرها كاتب السيرة المعروف ابن هشام فى موضع خاص من سيرته- ان يحرزوا انتصارا بل ظلوا يجالدون مقاتلى اليهود أكثر من عشرة أيام، و لكنهم كانوا يعودون فى كل يوم إلى مقرّهم من دون نتيجة.

و ذات يوم بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر و اعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، و لكنه رجع و لم يكن فتح و كل من الامير و الجنود يلقى باللوم على الآخر، و يتهمه بالجبن و الفرار.

(۳) فبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى يوم آخر «عمر بن الخطاب» على

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۳۹۷

رأس جماعة اخرى فكان كرفيقه إذ رجع و لم يحقق فتحا، بل عاد- حسب ما يروى الطبرى- «۱» فزعا مرعوبا و هو يصف شجاعة مرحب و قوّته البالغة، فأغضب هذا العمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فرسان الاسلام الابطال و قادة الجيش الاسلامى، فجمع رسول اللّه صناديد جيشه و قال:

«لاعطينّ الراية غدا رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله يفتح على يديه ليس بفرّار» أو: «كرار غير فرار» حسب نقل الطبرى و الحلبى «۲».

(۱) و قد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة و شجاعة و تفوّق ذلك الفارس الذى قدر أن يكون الفتح على يديه و تميّزه المعنوى على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش و قادته الشجعان.

فقد بات كل واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد و العظيم، و ان تصيب القرعة اسمه.

و لما بلغ عليا عليه السّلام مقالة النبى صلّى اللّه عليه و آله هذه و هو فى خيمته قال:

«اللهم لا معطى لما منعت و لا مانع لما أعطيت» «۳».

(۲) غطّى ظلام الليل كل مكان، و ذهب جنود الاسلام إلى أماكن نومهم، و بينما بقى الحراس يتحارسون طوال الليل، و يرصدون أوضاع العدوّ الغادر

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۳۰۰.

(۲) مجمع البيان: ج ۹ ص ۱۲۰، السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۳۷، السيرة النبوية: ج ۳ ص ۳۳۴ أمتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۱۴ و لقد انزعج المؤرخ الاسلامى المعروف ابن أبى الحديد من فرار هاتين الشخصيتين فقال فى ضمن قصيدة له:

و ما أنس لا أنس اللّذين تقدّماو فرّهما و الفرّ قد علما حوب

و للراية العظمى و قد ذهبا بهاملابس ذلّ فوقها و جلابيب

يشلّهما من آل موسى شمر دلطويل نجاد السيف أجيد يعبوب (الغدير: ج ۷ ص ۲۰۱ اقتباسا من القصائد العلويات).

(۳) السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۳۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۸

و تحركاته.

و عند الصباح و مع طلوع الشمس التى شقت بأشعتها رداء الظلام، و أضاءت السهل و الجبل، تجمّع قادة الجيش الاسلامى و صناديده و أبطاله و غيرهم من الرجال و فيهم الاميران المنهزمان بالأمس حول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، و قد تطاول لها أبو بكر و عمر «۱».

(۱) و لم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جدار الصمت هذا عند ما قال: «اين على»؟!

فقيل يا رسول اللّه به رمد، و هو راقد بناحية.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«ائتونى بعلىّ» «۲»

إنّ هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب عليا عليه السّلام من الرمد كان من الشدة بحيث سلبه القدرة على المشى، و عاقه عن الحركة. فأمرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يده الشريفة على عينى على عليه السّلام و دعا له بخير، فعوفى من ساعته، و استعادت عيناه عليه السّلام سلامتها افضل ممّا كانت بحيث لم يرمد عليه السّلام حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبوية المباركة.

(۲) ثم دفع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اللواء إلى علىّ عليه السّلام و دعا له بالنصر كما أنه أمره بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون الى الاسلام، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخبرهم بوظائفهم فى ظل الحكومة الاسلامية و أن عليهم أن يسلّموا أسلحتهم إلى الحكومة الاسلامية، و يعيشوا بحرية و أمان

---

(۱) هذه هى عبارة الطبرى: ج ۲ ص ۳۰۰، كنز العمال: ج ۶.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۸ و ۲۹، تاريخ الخميس: ج ۲ ص ۴۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۳۹۹

تحت ظل هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية «۱».

و اذا رفضوا ذاك و هذا قاتلهم، ثم قال لعلى الذى أوكل إليه قيادة تلك المجموعة:

«لئن يهدى اللّه بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم» «۲».

أجل إن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله يفكّر فى هداية الناس حتى فى أشد لحظات الحرب، و هذا يفيد بأن جميع حروب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كانت لهداية الناس لا غير.

(۱)

الانتصار الكبير فى خيبر:

عند ما كلّف علىّ (عليه السّلام) من جانب النبى صلّى اللّه عليه و آله بفتح قلعتى سلالم و الوطيح (و هما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان و وجها بفرارهما ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الاسلامى)، ارتدى درعا قويا و حمل معه سيفه الخاص ذا الفقار و راح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين، و الجند خلفه، حتى ركز الراية التى أعطاها له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على الأرض تحت الحصن.

و لما رأى اليهود انه دنا من الحصن خرج إليه كبار صناديدهم.

و كان أول من خرج إليه أخو مرحب و يدعى «الحارث» فتقدم إلى علىّ و صوته يدوى فى ساحة القتال بحيث تأخر من كان خلف

علیّ من شدة الفزع «۳».

و لکن لم یمض زمان حتی سقط الحارث علی الارض جثة هامدة بضربة قاضیة من علی علیه السّلام.

---

(۱) صحیح مسلم: ج ۵ ص ۱۹۵، صحیح البخاری: ج ۵ ص ۱۸.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۲ ص ۳۷.

(۳) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۱۴ قال: فانکشف المسلمون و ثبت علی.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۰

(۱) فغضب مرحب بطل خیبر المعروف لمقتل أخیه الحارث و خرج من الحصن و هو غارق فی السلاح، فقد لبس درعا یمانیا، و وضع علی رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، و تقدم الی علیّ علیه السّلام کالفحل الصؤول یرتجز و یقول:

قد علمت خیبر أنی مرحب‌شاکی السلاح بطل مجرب

إن غلب الـدهر فانی أغلب‌و القرن عندی بالدما مخضّب «۱» فأجابه علی علیه السّـلام مرتجزا و قد أظهر للعدو شخصـیته العسکریة فی رجزه:

أنا الّذی سمّتنی امّی حیدرةضرغام آجام و لیث قسورة

عبل الـذراعین غلیظ القیصـرةکلیث غابات کریه المنظرة (۲) و بعـد أن انتهی الطرفـان من إنشاد رجزهما تبادلا الضـربات بالسـیوف و الرماح، فألقت قعقعـة السـیوف و صوت الرماح رعبا عجیبا فی قلوب المشاهدین، و فجأة هبط سـیف بطل الاسـلام القاطع علی المفرق من رأس «مرحب» بطل الیهود قدّت خوذته نصفین و نزلت علی رأسه و شقته نصفین الی أسنانه!!

و لقـد کانت هذه الضـربة من القوة بحیث افرعت أکثر من خرج مع «مرحب» من أبطال الیهود و صـنادیدهم ففروا من فورهم، و لجئوا إلی الحصن، و بقی جماعة فقاتلوا علیا منازلة فقاتلهم حتی قتلهم جمیعا، ثم لاحق الفارین منهم حتی باب الحصن، فضربه عند الحصن رجـل من الیهود فطـاح ترسه من یـده فتنـاول علیه السّـلام بابـا کان علی الحصن و انتزعه من مکانه، فترس به عن نفسه فلم یزل ذلک الباب فی یـده و هو یقاتل حتی فتـح اللّه علی یـدیه ثم القاه من یـده حین فرغ، و قـد حاول ثمانیـة من أبطال الاسـلام و منهم أبو رافع مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یقلبوا ذلک الباب أو یحرکوه من مکانه فلم یقدروا علی ذلک «۲».

---

(۱) یروی ابن هشام فی سیرته أشعار مرحب بصورة اخری: ج ۲ ص ۳۳۲.

(۲) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۹۴، سیرة ابن هشام: ج ۲ ص ۳۴۹، تاریخ الخمیس: ج ۲ ص ۴۷- ۵۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۱

و هکذا فتحت القلعة التی عجز عن فتحها المسـلمون عشـرة أیام، فی مدة قصـیرة علی ید بطل الاسلام الأول «علی بن أبی طالب» علیه السّلام.

(۱) و یقول الیعقوبی فی تاریخه: ان الباب الذی قلعه علی علیه السّلام کان من الصخر و کان طوله أربعة اذرع و عرضه ذراعین «۱».

و یقول الشیخ المفید فی ارشاده بسند خاص عن امیر المؤمنین قصة قلعه ذلک الباب:

«لما عالجت باب خیبر جعلته مجنّا لی فقاتلتهم به، فلما أخزاهم اللّه وضـعت الباب علی حصـنهم طریقا ثم رمیت به فی خنـدقهم، و لما قال له رجل: لقد حملت منه ثقلا قال علیه السّلام:

«ما کان إلّا مثل جنّتی التی فی یدی فی غیر ذلک المقام» «۲».

و قـد نقل المؤرخون قضایا عجیبـة حول قلع باب خیبر هـذا و خصوصـیاته و مواصـفاته، و عن بطولات علی علیه السّـلام فی فتـح هذا

الحصن، و جمیعها لا تتمشی و لا تتیسر مع القدرة البشریة المتعارفة، و لا یمکن أن تصدر منها.

و یقول علی علیه السّلام نفسه فی هذا الصدد ما یرفع کل شک و إبهام قد یعترض المرء فی هذا المجال:

«ما قلعتها بقوّة بشریّة و لکن قلعتها بقوة إلهیة و نفس بلقاء ربّها مطمئنة رضیة» «۳».

(۲)

تحریف الحقائق:

لو أننا أردنا أن نلتزم بحدود الحق و الانصاف لوجب أن نقول انّ «ابن هشام» فی سیرته و «الطبری» فی تاریخه ذکرا قصة مبارزة علی علیه السّلام فی یوم

---

(۱) تاریخ الیعقوبی: ج ۲ ص ۴۶.

(۲) الارشاد: ص ۶۲- ۶۵.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۴۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۲

خیبر بصورة مفصلة، و نقلوا تفاصیلها بصورة دقیقة، و لکنهما ذکرا فی نهایة بحثهما التاریخی قصة خیالیة لا أساس لها و هی و ان مرحبا قتل علی یدی «محمّد بن مسلمة» و قالوا: و یری البعض أن مرحبا الیهودی قتله محمّد بن مسلمة انتقاما لأخیه الذی قتل عند فتح حصن «ناعم» علی أیدی الیهود، فقد کلّفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بقتال مرحب فبرز إلیه، فقتله.

إن هذا الاحتمال من الوهن و البطلان بحیث لا- یقاوم التاریخ الاسلامیّ المسلم و المتواتر، (۱) هذا مضافا إلی أن هذه الاسطورة التاریخیة تعانی من اشکالات، و مؤاخذات نذکرها للقارئ الکریم:

(۲) ۱- ان محمّد بن مسلمة لم یکن بذلک الرجل الشجاع، و البطل الصندید الذی تؤهله شجاعته لأن یکون فاتح خیبر و قاتل بطلها الاکبر، فإن التاریخ لا یذکر عنه نموذجا بارزا من بطولته و شجاعته، إنما کلّف فی السنة الثالثة من جانب النبی صلّی اللّه علیه و آله فقط بأن یغتال «کعب بن الاشرف» الذی حرّک المشرکین و الهم ضد الاسلام و المسلمین بعد معرکة بدر الکبری، و قد بقی ثلاثة أیام بلیالیها لا یطعم شیئا خوفا، فأنکر علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خوفه و سأله عن سبب ذلک فقال: یا رسول اللّه قلت لک قولا لا أدری هل أفینّ به أم لا؟

فلما رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله منه ذلک أرسل معه أربعة رجال آخرین لیعینوه فی هذه المهمّة، و یتخلصوا من «کعب» الذی کان یرید إعادة القتال بین المسلمین و المشرکین.

فخرجوا إلیه فی منتصف اللیل و قتلوا عدوّ اللّه کعبا وفق خطة خاصة و لکن «محمّد بن مسلمة» جرح أحد رفاقه من شدة الخوف و الوحشة التی اصابته، و لا شک أن صاحب مثل هذه النفسیة لا یمکنه أن یبارز صنادید «خیبر» المعروفین و ینازلهم.

(۳) ۲- ان فاتح «خیبر» لم یقاتل مرحبا و یقتله وحده، بل قاتل بعد مصرع مرحب من کانوا قد جاءوا معه إلی ساحة القتال من شجعان الیهود فلاحق

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۳

الفارّین، و نازل الذین بقوا و لم یفرّوا.

و إلیک أسماء من بقوا فی ساحة القتال و قاتلوا علیا علیه السّلام بعد قتله مرحبا:

۱- داود بن قابوس.

۲- ربیع ابن أبی الحقیق.

۳- أبو البائت.

۴- مرة بن مروان.

۵- یاسر الخیبری.

۶- ضحیج الخیبری.

و کل هؤلاء کانوا من صنادید الیهود و ابطالهم، و کانوا یقاتلون خارج حصن خیبر و یمنعون من أیة محاولة لفتح قلاع الیهود فی هذه الوقعة.

إن هؤلاء الستة قتلوا علی ید علی بن أبی طالب علیه السّلام و هم یرتجزون فی ساحة القتال و یطلبون المبارز و المناجز «۱».

فمن یکون و الحال هذه فاتح «خیبر» و قاتل مرحب؟

إذا کان «محمّد بن مسلمة» فانه لا یمکن أن یعود بعد قتل مرحب إلی معسکر المسلمین و یتجاهل اولئک الأبطال خلف مرحب بل لا بد أن یقاتلهم، فی حین اتّفقت کل السیر و التواریخ علی أن هؤلاء قتلوا جمیعا علی ید علی بن أبی طالب علیه السّلام.

(۱) ۳- ان هذه الاسطورة التاریخیة تتنافی مع الحدیث المنقول عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فانه صلّی اللّه علیه و آله قال فی حق علی علیه السّلام:

«یفتح اللّه علی یدیه» مع العلم بأن المانع الاکبر من فتح خیبر کان هو مرحب الذی أجبرت شجاعته الأمیرین السابقین علی الفرار، فاذا کان قاتل مرحب هو

---

(۱) ناسخ التواریخ: ج ۲ ص ۲۸۲- ۲۸۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۴

«محمّد بن مسلمة» لزم أن یقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جملته هذه فی حق «محمّد بن مسلمة» لا فی حق «علی» علیه السّلام الذی أعطاه الرایة بعد أن قال تلک الجملة: «یفتح اللّه علی یدیه».

(۱) یقول الحلبی کاتب السیرة المعروف: قیل: القاتل له (ای لمرحب) علی کرم اللّه وجهه و به جزم مسلم رحمه اللّه فی صحیحه. قال بعضهم: و الاخبار متواترة به و قال ابن الاثیر: الصحیح الذی علیه أهل السیر و الحدیث أن علیا قاتله کرم اللّه وجهه «۱».

و لقد وقع الطبری فی تاریخه، و ابن هشام فی سیرته فی شیء من الاضطراب و الفوضی و کتبا قصة هزیمة و رجوع الرجلین اللذین کلّفا قبل علی علیه السّلام بفتح قلاع الیهود بصورة لا تتفق مع مفهوم الجملة التی قالها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حق علی علیه السّلام.

فقد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حقه: «و لیس بفرّار» «۲» یعنی أن الذی سوف یعطیه الرایة لا یفر أبدا، و مفهوم هذه الجملة هو أن علیا علیه السّلام لا یفرّ و لا یجبن أمام العدوّ کما فر القائدان السابقان، و هذا یعنی أن القائدین السابقین فرّا أمام العدوّ، و أخلیا الساحة، فی حین أن الکاتبین المذکورین لا یذکران مسألة فرار القائدین المذکورین، و إنما یکتبان رجوعهما کما لو أنهما قد أدّیا وظیفتهما القتالیة و العسکریة علی الوجه الکامل، و لکنّهما لم یوفقا للفتح «۳».

(۲)

ثلاث نقاط مشرقة فی حیاة علی علیه السّلام:

و نختم هذا البحث بذکر ثلاث فضائل لفاتح خیبر ذکرها أحد خصومه لها ارتباط بموقفه علیه السّلام فی خیبر:

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۳۸، و راجع زاد المعاد: ج ۲ ص ۱۳۴ و ۱۳۵.

(۲) المغازى: ج ۲ ص ۶۵۳.

(۳) السيرة النبوية: ج ۳ ص ۳۴۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۰۵

أمر معاوية سعد بن أبى وقاص يوما فقال: ما منعک ان تسبّ أبا التراب؟

فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثا قالهنّ له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلن أسبّه لأن تكون لى واحدة منهنّ أحبّ إلىّ من حمر النعم.

ثم أخذ سعد فى عدّ تلک المناقب فقال:

(۱) ۱- سـمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم يقول له خلّفه فى بعض مغازيه فقال له على: يا رسول اللّه خلّفتنى مع النساء و الصبيان؟

فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم.

«أ ما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبوة بعدى» «۱».

(۲) ۲- و سمعته يقول يوم خيبر:

لاعطين الرايـة رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبه اللّه و رسوله. قال فتطاولنا لها فقال: ادعوا لى عليا. فاتى به أرمـد فبصق فى عينه، و دفع الراية إليه، ففتح اللّه عليه «۲».

(۳) ۳- و لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل ...» دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله] و سلّم عليّا و فاطمة و حسنا و حسينا فقال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى» «۳» «۴».

(۴)

عوامل الانتصار:

اشارة

فتحت حصون «خيبر»، و استسلم اليهود للمسلمين بشروط خاصة، و لكن يجب أن نرى ما هى العوامل التى ادت إلى هـذا الانتصار، فهذا هو فى الحقيقة

---

(۱) و هى اشارة إلى واقعة تبوک.

(۲) و هى اشارة إلى واقعة خيبر.

(۳) و هى اشارة إلى قصة مباهلة النبى نصارى نجران.

(۴) صحيح مسلم: ج ۷ ص ۱۲۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۰۶

النقاط الهامة فى هذا القسم.

إن انتصار المسلمين الساحق فی هذه الغزوهٔ یعود إلی عوامل یمکن الاشارهٔ إلیها علی نحو الاجمال ثم شرحها بالتفصیل فی ما بعد.

۱- التخطیط العسکری و التکتیک الحربی الدقیق.

۲- تحصیل المعلومات و معرفهٔ أسرار العدو الداخلیهٔ.

۳- تفانی الامام علی بن أبی طالب، و بطولته النادرهٔ. و هنا نحن ندرس هذه الامور الثلاثهٔ علی وجه التفصیل:

(۱)

۱- التخطیط و التکتیک العسکری الدقیق:

لقد هبط الجیش الاسلامی فی منطقهٔ قطع بها المسلمون ارتباط الیهود باصدقائهم القدامی (قبائل غطفان).

و قد کان بین قبائل غطفان فرسان کثیرون، و لو استطاعوا أن یعینوا الیهود فی هذه الموقعهٔ لما أمکن فتح حصون خیبر.

فان «غطفان» لما سمعت بمسیر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی خیبر خرجوا لیظاهروا الیهود علیه، و لکنهم ما أن سمعوا الشائعهٔ التی مفادها أن أصحاب محمّد قد قصدوهم من طریق آخر ظنوا انهم سیهاجمون أموالهم و أهلیهم فرجعوا من منتصف الطریق علی أعقابهم، و أقاموا فی أهلیهم و أموالهم و خلّوا بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و بین «خیبر».

یقول المؤرخون: إن هذه الشائعهٔ کانت نتیجهٔ نداء غیبیّ سمعه رجال غطفان فظنوا أن المسلمین داهموا أهلیهم «۱» و لکنه لیس من المستبعد أن تکون هذه الشائعهٔ من فعل المسلمین المتسترین من قبائل غطفان، و الذین امروا بأن یتظاهروا بالکفر، و یبقوا فی قبائلهم حتی یعینوا إخوانهم المسلمین فی اللحظات

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۶۵۱- ۶۵۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۷

المناسبهٔ.

فخططوا لهذه الموقعهٔ بمهارهٔ کبیرهٔ و کانوا فی ذلک ناجحین جدا الی درجهٔ أنّه تسبب فی أن تعدل إمدادات غطفان العسکریهٔ للیهود من مواصلهٔ مسیرها إلی «خیبر»، و العودهٔ إلی أهلیهم و ترک الیهود و شأنهم.

و قد سبق لهذا نظیر فی معرکهٔ «الاحزاب» یوم امتنعت قبائل غطفان عن نصرهٔ الیهود بسبب شائعهٔ بثها بینهم رجل من المسلمین من بنی غطفان یدعی «نعیم بن مسعود»، و تفرّق علی أثره جماعهٔ الاحزاب، و انفرط عقدهم.

(۱)

۲- تحصیل المعلومات حول العدوّ:

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کما أسلفنا مرارا یولی تحصیل المعلومات و معرفهٔ أسرار العدو، أهمیهٔ کبیرهٔ.

و لهذا بعث قبل محاصرهٔ «خیبر» طلیعهٔ من المسلمین و أمّر علیهم «عبّاد بن بشر» و وجّههم إلی «خیبر»، فالتقوا بیهودی قرب حصون «خیبر»، و بعد التحقیق معه تبین أنه عین للیهود یتجسّس لهم الاخبار فأخذوه إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسأله عن أوضاع الیهود فی حصون «خیبر».

فقال: أ فتؤمننی یا أبا القاسم علی أن اصدقک؟ فأمّنه عباد.

فقال الیهودی: القوم مرعوبون منکم خائفون و جلون لما قد صنعتم بمن کان بیثرب.

ثم قال: خرجت من حصن «النطاة» من عند قوم لیس لهم نظام ترکتهم یتسلّلون من الحصن فی هذه اللیلة الی «الشق» و قد رعبوا منک حتی أنّ أفئدتهم لتخفق، فاذا دخلت الحصن غدا و أنت تدخله، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إن شاء اللّه، قال الیهودی إن شاء اللّه أوقفک علی حصن الیهود الذی فیه منجنیق مفلکهٔ و دبابتان و سلاح من دروع و بیض و سیوف، فانصب المنجنیق علی حصن الشق و تدخل الرجال تحت الدّبابتین فیحفرون الحصن فتفتحه من

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۸

یومک «۱».

إن النبی صلّی اللّه علیه و آله و إن لم یستخدم هذه الادوات التخریبیهٔ إلّا أن المعلومات التی وقف علیها من ذلک الیهودی الأسیر کانت مهمهٔ لأنّها أوضحت نقطهٔ الحملهٔ غدا، و عرف النبی صلّی اللّه علیه و آله أن التغلّب علی حصن «النطاة» لا یحتاج الی قوهٔ کبیرهٔ، و أنه لا بدّ من رعایهٔ المزید من الحیطهٔ و الحذر عند فتح حصن «الشق».

(۱) نموذج آخر: عند فتح إحدی القلاع أتی یهودی إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله بعد ثلاثهٔ أیام مضت علی محاصرتها و قال- و لعلّه لتخلیص نفسه-: إنک لو اقمت شهرا ما بالوا، لهم جدول تحت الأرض یخرجون باللیل فیشربون بها ثم یرجعون إلی قلعتهم فیمنعون منک، فان قطعت مشربهم علیهم ضجهم.

و فی روایهٔ أن النبی صلّی اللّه علیه و آله لم یوافق علی قطع الماء عن العدو «۲».

و فی اخری؛ قطع علیهم مشاربهم موقتا فلم یطیقوا المقام علی العطش «۳».

(۲)

۳- تفانی امیر المؤمنین:

و لقد ذکرنا تفانی علی بن أبی طالب، و بطولته فی هذه الموقعهٔ بصورهٔ مجملهٔ، و ها نحن ننقل عبارهٔ قالها هو علیه السّلام عن هذه المسألهٔ:

وردنا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خیبر علی رجال من الیهود و فرسانها من قریش و غیرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخیل و الرجال و السلاح، و هم فی أمنع دار و أکثر عدد، کل ینادی و یدعو و یبادر إلی القتال، فلم یبرز إلیهم من أصحابی أحد إلا قتلوه حتی احمرّت الحدق، و دعیت إلی النزال، و أهمّت کل امرئ نفسه، و التفت بعض أصحابی إلی بعض و کل یقول: یا أبا الحسن انهض.

---

(۱) السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۳ ص ۳۵.

(۲) ناسخ التواریخ: ج ۲ ص ۲۹۹. المصدر السابق ص ۴۰.

(۳) الخصال: ص ۳۶۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۰۹

فأنهضنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی دارهم فلم یبرز إلیّ أحد منهم إلا قتلته، و لا یثبت لی فارس إلّا طحنته، ثم شددت علیهم شدّهٔ اللیث علی فریسته حتی أدخلتهم جوف مدینتهم مسدّدا علیهم فاقتلعت باب حصنهم بیدی حتی دخلت علیهم مدینتهم وحدی أقتل من یظهر فیها من رجالها، و أسبی من أجد من نسائها حتی افتتحتها وحدی و لم یکن لی فیها معاون إلّا اللّه وحده «۱».

(۱)

الرحمة فی ساحة القتال:

عند ما افتتح حصن «القموص» سبیت «صفیّة بنت حیی بن أخطب» و امرأة اخری، فمر بهما «بلال» علی القتلی فصاحت صفیة صیاحا شدیدا جزعة ممّا رأت، فکره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما صنع بلال و قال صلّی اللّه علیه و آله:

«أذهبت منک الرحمة؟ تمر بجاریة حدیثة السنّ علی القتلی؟».

فقال بلال: یا رسول اللّه ما ظننت أنک تکره ذلک، و أحببت أن تری مصارع أهلها «۲».

و لم یکتف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بهذا القدر من تطییب خاطر «صفیّة» بل احترمها، و عیّن لها مکانا خاصا للاستراحة فی المعسکر، و اختارها زوجة لنفسه، و بهذا الطریق أزال آثار ذلک الصنیع السیئ الذی قام به بلال.

لقد ترکت أخلاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تعامله الانسانی الرفیع مع «صفیة» أثرا حسنا فی نفسها، فقد صارت فی ما بعد من أزواج النبی صلّی اللّه علیه و آله الوفیّات المخلصات، و قد حزنت عند وفاته، و بکت له أکثر من بقیة ازواجه «۳».

---

(۱) الخصال: ص ۳۶۹ باب السبعة.

(۲) المغازی: ج ۲ ص ۶۷۳، تاریخ الطبری: ج ۳ ص ۳۰۲.

(۳) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۰۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۱۰

(۱)

مصرع کنانة بن الربیع:

منذ أن أجلی «بنو النضیر» عن المدینة و سکنوا «خیبر» أحدثوا صندوقا لجمع الأموال لإدارة شئونهم العامة، و لسد نفقات الحروب، و لإعطاء دیة کل من کان یقتل من بنی النضیر.

فبلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن هذا الکنز و هذه الأموال قد أودعت عند «کنانة بن الربیع» زوج «صفیة»، فلما افتتح صلّی اللّه علیه و آله خیبر طلب الربیع و سأله عن کنز الیهود، فأنکر ذلک فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بحبسه، ثم عرف بعد التحقیق من الیهود، بمکان ذلک الکنز، و قد کان بخربة، إذ قال له یهودی إنی رأیت کنانة یطیف بهذه الخربة کل غداة أیام الحرب فأمر رسول اللّه بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض ذلک الکنز، فسأل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «کنانة» عما بقی فأبی أن یؤدیه أو یخبر بموضعه، فدفعه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی محمّد بن مسلمة فضرب عنقه قصاصا لأخیه الذی قتل فی وقع خیبر «محمود بن مسلمة» و الذی قتله الیهود بالقاء رحی من حجر من فوق حصونهم علی رأسه، و انما قتل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کنانة بضرب عنقه، لتواطئه ضدّ الاسلام، و کتمانه مثل هذا الأمر، و تأدیبا لغیره من الیهود حتی یتورعوا عن حبک المؤامرات ضد رسول الاسلام و ضدّ أصحابه، و ضدّ الحکومة الاسلامیة، و کان «کنانة» آخر من قتل من یهود خیبر «۱».

(۲)

تقسیم غنائم الحرب:

بعد افتتاح حصون «خيبر»، و تجريد العدو من كل أسلحته، و جمع الغنائم أمر

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۳ ص ۳۳۷، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۱

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن تجمع الغنائم كلها فى مكان واحد، ثم أمر صلّى اللّه عليه و آله رجلا بأن ينادى فى الناس:

«أدّوا الخيط و المخيط، فانّ الغلول عار و شنار و نار يوم القيامة» «۱».

(۱) و لقد شدّد قادة الاسلام و ائمته الحقيقيون على أهميّة الامانة تشديدا بالغا حتى أنهم اعتبروا ردّ الامانة- مهما صغرت و دقت- من علائم الايمان، و الخيانة و عدم ردّها من علائم النفاق.

من هنا عند ما عثر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى رحل مسلم من المقاتلين شيئا من أموال الغنيمة لم يردّها إلى بيت المال لم يصلّ على جنازة ذلك الرجل عند ما استشهد، و إليك تفصيل هذه الحادثة.

لما انصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه من خيبر و مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غلام له، يقوم له بشئونه، و فيما كان ذلك يضع رحل النبى صلّى اللّه عليه و آله إذ أتاه سهم لا يعلم راميه فأصابه فقتله، فقال المسلمون:

هنيئا له الجنة.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«و الّذى نفس محمّد بيده إنّ شملته «۲» الآن لتحترق عليه فى النار، كان قد غلّها من فىء المسلمين يوم خيبر»!!

(۲) فسمع رجل من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و آله هذا الكلام فأتاه و قال:

يا رسول اللّه، أصبت شراكين لنعلين لى فقال صلّى اللّه عليه و آله «يقدّ لك مثلهما فى النار» «۳».

و هذه القصة تفضح أيضا دسائس بعض المستشرقين، لأنهم كانوا يصفون حروب الاسلام و معاركه العادلة بأنها كانت من أجل الاغارة على أموال الناس

---

(۱) وسائل الشيعة: ج باب جهاد النفس الحديث ۴، المغازى: ج ۲ ص ۶۸۱.

(۲) الشملة كساء غليظ يلتحف به.

(۳) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۳۹، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۲۳ و ۳۲۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۲

و مصادرتها كما يفعل قطاع الطرق، متجاهلين عمدا و كيدا الأهداف الإنسانية و الالهية العليا لهذه المعارك و الغزوات، و الحال أن مثل هذه الانضباطية و النظم و الورع ممّا لا يمكن تصوره فى قوم همهم الاغارة و النهب و السلب.

إن قائد شعب أو قوم هذا هو همهم و هذه هى همتهم لا يمكن أبدا أن يعتبر ردّ الامانة من واجبات الدين و من علائم الايمان، كما لا يمكنه أن يربى أتباعه و أصحابه بمثل هذا التربية الرفيعة، بحيث يجعله يجتنب عن سرقة صغيرة جدا مثل غلّ شراكى نعلين لا قيمة لهما تذكر.

(۱)

قافلة من أرض الذكريات:

قبل أن يتوجّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالمسلمين الى «خيبر» بعث «عمرو بن أميّة» إلى البلاط الحبشى لغرض إيصال رسالته

إلى ملك الحبشة النجاشيّ، و ليطلب منه أن يهىء المقدمات اللازمة لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشة الى المدينة.
فهيّأ النجاشى سفينتين لأولئك المهاجرين بعد أن جهزهم بجهاز حسن و امر لهم بكسوة، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القريبة من المدينة.
و لما علم المسلمون بمسير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى «خيبر» توجّهوا من فورهم الى «خيبر» فقدموا مع «جعفر بن أبى طالب» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم «خيبر» بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود و قلاعهم.
فلما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جعفر مشى فى استقباله (۱۲) خطوة ثم قبّل ما بين عينيه و التزمه و قال:
«ما أدرى بأيّهما أنا اسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟».
و فى رواية اخرى قال صلّى اللّه عليه و آله:
«لا أدرى بأيّهما أنا أشدّ فرحا بقدومك يا جعفر أم بفتح اللّه على أخيك خيبر».
ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لجعفر:
سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۳
«يا جعفر ألّا امنحك؟ أ لا اعطيك أ لا أحبوك؟».
فظن الناس أنه يعطيه ذهبا أو فضة، فتشوّف الناس لذلك. فقال له:
أنى اعطيك شيئا إن أنت صنعته فى كل يوم كان خيرا لك من الدنيا و ما فيها».
ثم علمه صلّى اللّه عليه و آله الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار «۱».
(۱)

حجم الخسائر و عدد القتلى:

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين فى هذه الغزوة ۲۰ شخصا و لكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، و قد سجل التاريخ أسماء ۹۳ رجلا منهم «۲».
(۲)

العفو بعد الانتصار:

المؤمنون باللّه و اصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبة عليه و الظفر به باللطف و الحب، و يعفون عنه و يتناسون روح الانتقام، أجل إنهم يشملون العدو منذ استسلامه بعطفهم و حنانهم و تلك هى حقيقة اثبتتها وقائع التاريخ الحية.
و كذلك فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند ما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة، و شملهم بعفوه، و لطفه رغم كل ما ارتكبوه فى حق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من ظلم و جناية و تأليب للعرب الوثنيين ضدّ الاسلام، و اشعال حروب كادت أن تودى بالحكومة الاسلامية و تستأصل المسلمين، و تقضى على جهود رسول الإسلام.
فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكّنهم فى خيبر كما كانوا، و أن يترك أراضيهم

(۱) فروع الكافى: ج ۱ ص ۱۲۹ و ۱۳۰، الخصال: ج ۲ ص ۸۲ و ۸۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۲۵.
(۲) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۴

و بساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنويا.

بل إن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله- كما يروى ابن هشام- هو الذى اقترح هذا الأمر على اليهود، و ترك لهم حرية التصرف فى مزارعهم و أراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر «۱».

(۱) لقد كان فى مقدور النبى صلّى اللّه عليه و آله، كأىّ فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعا، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم على اعتناق الاسلام، و لكنّه- خلافا لتصور زمرة مغرضة من المستشرقين، و طلائع الاستعمار الثقافى الذين يتصوّرون و يزعمون بأن الاسلام دين القهر و القوة، و ان المسلمين أجبروا الامم و الأقوام المغلوبة على ترك عقائدها، و اعتناق الاسلام لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحرارا فى ممارسة شعائرهم، و البقاء على ما كانوا يعتقدونه من اصول دينهم و فروعه.

(۲) و لم يحارب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه يهود «خيبر» إلّا لأنّ «خيبر» قد تحوّلت إلى بؤرة خطرة للمؤامرة، و الكيد بالاسلام و المسلمين، فقد كانوا يمدّون المشركين بكل ما يريدون للقضاء على الحكومة الاسلامية الحديثة التأسيس، و لهذا اضطر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى مقاتلتهم، و تجريدهم من أسلحتهم، حتى يعيشوا تحت ظل الحكومة الاسلامية بمنتهى الحرية، و يشتغلوا بمشاغلهم فى الزراعة، و يقيموا شعائرهم الدينية من دون أن يجدوا فرصة للمشاغبة و التآمر ضدّ رسالة التوحيد الكبرى، اذ كانوا يسببون مشاكل كبيرة للمسلمين- فى غير هذه الصورة- و يمنعون من تقدّم الاسلام و انتشاره.

(۳) و أما الجزية «۲» فقد كان لقاء دفاع الحكومة الاسلامية عنهم، و حمايتهم من الأعداء، و توفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم و أنفسهم من وظائف المسلمين.

ثم ان المحاسبة الدقيقة تقودنا إلى أن ما كان يدفعه المسلمون إلى الحكومة

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۳۷.

(۲) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمّة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۵

الإسلاميّة من الضرائب الاسلامية كان أكثر بكثير ممّا كان يدفعه اليهود.

و النصارى إلى الحكومة الاسلامية بعنوان الجزية.

فقد كان يتوجب على كلّ مسلم أن يدفع الى الحكومة الاسلامية الخمس و الزكاة و ربما توجب عليه ان يدفع شيئا من أصل ماله لسدّ نفقات و احتياجات الحكومة الاسلامية بينما كان اليهود و النصارى الذين كانوا يعيشون فى ظلّ الحكومة الاسلامية فى أمن و أمان و يتمتعون بجميع الامتيازات و الحقوق الاجتماعية الفردية يدفعون إلى الحكومة الاسلامية الجزية بدل ما كان يدفعه المسلمون، فالجزية شيء و الأتاوة شيء آخر، على خلاف ما يروّجه بعض الكتاب المغرضين.

(۱) و لقد كان عامل الجباية الذى كان يزور خيبر بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لتقدير حجم المحاصيل فيها، ثم تنصيفها رجلا عادلا ورعا إلى درجة أن اليهود أنفسهم أعجبوا بعدله، و اعترفوا بانصافه، و هو «عبد اللّه بن رواحة» الذى استشهد فيما بعد، فى موقعة «مؤتة».

فقد كان «ابن رواحة» يخمّن نصيب المسلمين من محاصيل خيبر، و ربما تصوّر اليهود أنه أخطأ فى التخمين و الخرص، و خمّن أكثر ممّا هو الحق فقالوا له:

تعديت علينا!

فكان عبد اللّه يقول: إن شئتم فلكم و إن شئتم فلنا.

فتقول اليهود- معجبة بهذا الانصاف العظيم و العدل الكبير الذى كان يتحلى به مخرّص الحكومة الاسلامية-: بهذا قامت السماوات و الارض «۱».

و لقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم «خيبر» على قطعة من التوراة، فطلبت اليهود من النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يعيدها إليهم، فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مسئول بيت المال باعادتها إليهم «۲».

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۵۴.

(۲) المغازى: ج ۲ ص ۶۸۰، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۲۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۶

و هذا يكشف عن احترام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للشرائع الاخرى.

(۱)

سلوک اليهود المتعجرف:

فى قبال كلّ هذه الألطاف لم تكف اليهود عن خيانتها و كيدها، بل ظلّت تخطّط- فى الخفاء- للايقاع برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه، و الحاق الاذى بهم.

و لنقف فيما يأتى على نموذجين من هذا الأمر:

(۲) ۱- لما اطمأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قرّرت جماعة من اليهود فى الخفاء أن تقضى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بدس سمّ إليه. فأهدت له «زينب بنت الحارث» زوجة «سلام بن مشكم اليهودى» شاة مشويّة و قد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقيل لها الذراع، فاكثرت فيها من السمّ، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. تناول الذراع، فلاک منها مضغة فلم يسغها، و معه «بشر بن البراء بن معرور» قد أخذ منها كما أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فأما بشر فقد ابتلعها، و أما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد لفظها و عرف بأنها مسمومة، و مات بشر من أكلته التى أكل ثم دعا زينبا، و قال لها: سمّمت الذراع؟ فاعترفت. فقال لها: ما حملک على ذلک، قالت: قتلت أبى و عمّى و زوجى، و نلت من قومى ما نلت فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، و ان كان نبيّا فسيخبر.

فعفا عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لم يلاحق من تواطئوا معها «۱».

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۳۷ و ۳۳۸ و المغازى: ج ۲ ص ۶۷۷ و ۶۷۸. و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۲۳. هذا و المعروف أن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال فى: مرضه الذى مات فيه: إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت بخيبر، فإن النبىّ، و ان كان لفظ-

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۷

(۱) لا شک لو أن مثل هذه الحادثة حدثت لغير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من القادة و الزعماء لصبغوا الارض بدماء من ظنوا أنه قصد قتلهم، أو ملأوا السجون بهم و حبسوهم، أعواما مديدة او اخضعوهم لاشد انواع التعذيب الجسدى و النفسى كما يحدّثنا بذلک التاريخ القديم و الحديث.

إن هذه المؤامرة الدنيئة التى قامت بها امرأة من اليهود جعلت الكثير من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يسيئون الظن بصفية اليهودية التى أصبحت فى عداد ازواج النبى صلّى اللّه عليه و آله.

فقد باتوا يتصوّرون أنها ربما أقدمت فى ليلة من الليالى على اغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لهذا عند ما أعرس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بها بخيبر أو فى أثناء الطريق بات «أبو أيّوب الانصارى» يحرس قبّهٔ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله التى دخل بها بصفيهٔ ليلهٔ عرسه بها، و بقى يطوف بالقبهٔ حتى أصبح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلما رأى أبا أيوب قال: مالك يا أبا أيوب؟

قال: يا رسول اللّه خفت عليك من هذه المرأهٔ، و كانت امرأهٔ قد قتلت أباها و زوجها و قومها و كانت حديثهٔ عهد بكفر، فخفتها عليك. فشكره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و دعا له بخير «۱».

(۲) ۲- و النموذج الثانى من جفاء اليهود، و كيدهم حتى بعد عفو النبى عنهم، و لطفه بهم أنّ «عبد اللّه بن سهيل» الذى كلّف من جانب النبى صلّى اللّه عليه و آله فى إحدى السنين بخرص محاصيل خيبر و تقديرها و حمل نصيب المسلمين منها إلى المدينهٔ قتله جماعهٔ مجهولهٔ من اليهود أثناء قيامه بواجبه فى خيبر و قد كسروا

المضغهٔ إلّا ان بقايا السمّ اختلط ببزاقه الشريف، و أثر فى جسمه المبارك حتى أودى بحياته المقدسهٔ بعد حين.

(۱) السيرهٔ النبويهٔ: ج ۲ ص ۳۳۹ و ۳۴۰، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۸

عنقه و ألقوه فى بئر، فقدم جماعهٔ من زعماء اليهود المدينهٔ و دخلوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبروه بهذه العمليهٔ الغادرهٔ المجهول فاعلها، و تقدم الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أيضا «عبد الرحمن» اخو عبد اللّه بن سهل و ابنا عمّه و كان عبد الرحمن من أحدثهم سنا و كان صاحب الدّم فلما تكلّم قبل ابنى عمّه قال رسول اللّه: الكبر الكبر (أى قدّموا الاكبر للكلام إرشادا إلى الأدب فى تقديم الأسنّ و هو خلق يدعو إليه الاسلام).

فذكروا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قتل صاحبهم و طلبوا القصاص فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أ تسمّون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلّمه إليكم».

(۱) و حمل هذا التعليم النبوى أولياء الدم على أن يجعلوا التقوى و الورع نصب أعينهم و لم يستسلموا لثورهٔ العاطفهٔ فقالوا: يا رسول اللّه ما كنّا لنحلف على ما لا نعلم.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أ فيحلفون (أى يحلف اليهود) باللّه خمسين يمينا ما قتلوه، و لا يعلمون له قاتلا، ثم يبرءون من دمه؟».

قالوا يا رسول اللّه ما كنا لنقبل أيمان اليهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم.

فكتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى يهود خيبر كتابا فيه: انه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه (أى أعطوا ديته).

فكتبوا إليه يحلفون باللّه ما قتلوه، و لا يعلمون له قاتلا.

فلما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن المشكلهٔ قد وصلت إلى طريق مسدودهٔ وداه بنفسه من عنده مائهٔ ناقهٔ «۱».

---

(۱) السيرهٔ النبويهٔ: ج ۲ ص ۳۵۴- ۳۵۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۱۹

و هكذا اثبت النبى صلّى اللّه عليه و آله لليهود مرهٔ اخرى بأنه ليس داعيهٔ حرب و لا طالب قتال و سفك دماء، و لو كان كغيره من الزعماء و السياسيين لاتخذ من قصهٔ مقتل عبد اللّه ذريعهٔ للقضاء على حياهٔ تلك الزمرهٔ المعتديهٔ، المشاغبهٔ المخلّهٔ بالأمن «۱»

إن النبى صلّى اللّه عليه و آله كما يصرّح بذلك القرآن الكريم و يصفه: نبى الرحمهٔ، فهو لا يحتكم الى السيف ما لم يبلغ الامر مداه.

(۱)

حیلة مجازة:

کان فی خیبر تاجر یدعی الحجّاج بن علاط السلمی له تجارة مع أهل مکة، و کان ممّن حضر یوم خیبر. و شاهد لطف النبی و رحمته فأسلم طائعا راغبا.

و لما فرغ المسلمون من أمر «خیبر» أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قال:

یا رسول اللّه إن لی بمکة مالا متفرقا فی تجار مکة فاذن لی یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن احتال لأخذها، فأذن له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بذلک لیستنقذ أمواله من المشرکین و غیرهم فی مکة.

فقدم مکة، فرآه رجال قریش اجتمعوا حوله و أخذوا یسألونه عن أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لم یکونوا علموا بإسلامه فأجابهم قائلا: لقد هزم محمّد بخیبر هزیمة لم تسمعوا بمثلها قط، و قتل أصحابه قتل لم تسمعوا بمثله قط، و اسر محمّد اسرا، و قالت الیهود: لا نقتله حتی نبعث إلی أهل مکة فیقتلوه بین

---

(۱) لم تنحصر تعدیات الیهود و تجاوزاتهم علی ما ذکرناه فلطالما خطّطوا و دبّروا الحیل لالحاق الأذی و الضرر بالمسلمین، و من جملة ذلک حادث عبد اللّه بن عمر الذی ذهب إلی خیبر فی عهد الخلیفة الثانی لعقد اتفاقیة مع أهلها فاعتدوا علیه بالضرب فلما عرف بذلک عمر رأی أن یجلیهم من خیبر لقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «لا یجتمعنّ بجزیرة العرب دینان» فقال لصحابة النبی صلّی اللّه علیه و آله من کان له حق عند الیهود فلیأخذه ثم أجلاهم من خیبر جزاء کیدهم و تآمرهم المستمر. (المصدر).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۰

أظهرهم انتقاما لمن أصاب من رجالهم.

(۱) ففرح سادة قریش لهذا الخبر الکاذب فرحا شدیدا، ثم قال الحجاج لهم.

أعینونی علی جمع مالی بمکة و علی غرمائی فإنی أرید أن اقدم خیبر فأصیب من محمّد و أصحابه قبل أن یسبقنی التجار الی ما هنالک فجمعوا له ماله کاسرع ما یکون.

فلما سمع «العباس بن عبد المطلب» هذا الخبر جاء الی الحجاج و قال یا حجاج ما هذا الخبر الذی جئت به، فأشار الحجاج إلی العباس بأنّه سیخبره بحقیقة الأمر، ثم التقی العباس خفیة و أخبره بأنه ماکر أهل مکة، و أنّ النبی ظفر بیهود خیبر، و طلب من العباس أن یکتم ذلک حتی یغادر مکة، و ینجو بنفسه و ماله.

فلما فرغ من جمیع ماله کله غادر مکة بسرعة فائقة. (۲) فلما مضی علی ذلک ثلاثة أیام و اطمأنّ العباس من نجاة الحجاج لبس حلة جمیلة، و تعطر و أخذ عصاه ثم خرج حتی أتی الکعبة فتعجبت قریش لذلک، و ظنت أنه فعل ذلک تجلّدا، فقالت للعباس: یا أبا الفضل هذا و اللّه التجلّد لحرّ المصیبة، قال: کلا، و اللّه الذی حلفتم به، لقد افتتح «محمّد» خیبر، و ترک عروسا علی بنت ملکهم، و أحرز أموالهم و ما فیها، و أصبحت له و لأصحابه.

فقالوا: من جاءک بالخبر.

فقال: الذی جاءکم بما جاءکم (و یعنی الحجاج الذی احتال علیهم). و لقد دخل علیکم مسلما، فأخذ ماله، و انطلق لیلحق بمحمّد و أصحابه، فیکون معه.

فغضبت قریش لهذه المکیدة و انزعجت انزعاجا شدیدا، و لکن بعد فوات الأوان، و لم یلبثوا أن جاءهم خبر انتصارات المسلمین الساحقة علی اعدائهم «۱».

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۴، زاد المعاد: ج ۲ ص ۱۴۰، و السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۴۵ و ۳۴۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۱

(۱)

۴۵ قصّة فدک

اشارة

کانت «فدک» منطقة خصبة، کثیرة الخیر، قرب خیبر، و هی تبعد عن المدینة بما یقرب من (۱۴۰) کیلومترا، و کانت تعتبر بعد حصون خیبر النقطة الهامة التی یعتمد علیها یهود الحجاز «۱».

و قد ملأت القیادة الاسلامیة- بعد أن هزم الیهود فی خیبر و وادی القری و تیماء الفراغ الذی حصل فی شمال المدینة- بالقوة العسکریة الاسلامیة.

و لأجل أن تنهی الوجود السیاسی الیهودی فی هذه المنطقة التی کانت بمثابة منبع خطر، و بؤرة شغب ضدّ الاسلام، بعثت القیادة الاسلامیة سفیرا الی سادة فدک و زعمائها، لمعرفة موقفهم فآثر «یوشع بن نون» الذی کان یرأس سکان تلک المنطقة، الصلح و السلام علی الحرب و القتال، و تعهّد بأن یسلّم کل سنة نصف محاصیل فدک الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۲».

و أن یعیش هو و قومه من الآن تحت رایة الحکومة الاسلامیة، و لا یشاغب و لا یتآمر ضدّ المسلمین، علی أن تتعهد الحکومة الاسلامیة- فی مقابل هذا المبلغ- بتوفیر الأمن فی المنطقة.

(۱) راجع کتاب «مراصد الاطلاع» ج ۳ ص ۱۰۲۰ ماده فدک.

(۲) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۵۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۳۱، فتوح البلدان: ص ۴۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۲

حکم الاراضی المفتوحة بلا قتال:

(۱) و من الجدیر بالذکر هنا أن الأراضی التی یسیطر علیها المسلمون بالحرب و القتال تعود ملکیتها الی عامة المسلمین و یکون إدارتها بید القائد الأعلی للامة.

أما الاراضی التی لم یوجف علیها بخیل و لا رکاب و لم یسیطر علیها المسلمون بالقتال فتکون لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الامام من بعده خالصة، فهو یتصرف فیها کما یشاء و یری، فله أن یهبها، و له أن یؤجّرها، و من جملة ماله أن یفعل فیها هو أن یهبها لأقربائه فیسدوا بها حاجتهم، و یدیروا بها معیشتهم «۱».

و علی هذا الاساس وهب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فدکا لابنته الطاهرة فاطمة الزهراء، و قد أرید من إیهاب هذه الارض لها- کما تشهد بذلک القرائن- أمران:

(۲) ۱- انّ قیادة الامة کانت بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کما صرّح النبی بذلک مرارا، ل: «علی بن أبی طالب»، و مثل هذه المسئولیة الثقیلة تحتاج و لا شک الی میزانیة کبیرة، فکان لعلیّ علیه السّلام أن یصرف من أموال فدک و عائداتها اذا صارت تحت تصرفه اکبر قدر ممکن لیحفظ به ذلک المنصب، و یستطیع القیام بمتطلباته.

و كأنّ جهاز الخلافـة- بعـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أدرك هذه الحقيقة، و لهذا عمد منذ الايام الاولى لوفاة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الى انتزاع فدك من أهل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(٣) ٢- لقـد كان من الواجب أن تعيش ذرية النبى صـلّى اللّه عليه و آله التى كان يتمثل مصداقها الكامل فى وحيدة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فاطمة الزهراء،

---

(١) و قـد طرحت هذه المسألة فى الآية ۶ و ۷ من سورة الحشـر و عولجت فى الكتب الفقهيـة فى بـاب الجهاد تحت عنوان «الفىء» «و الأنفال».

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۲۳

و ابنيها الحسن و الحسـين عليهما السّـلام بعد وفاة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بصورة تليق بمقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و شرفه، و مكانته السامية.

و لهذا الهدف وهب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فدكا لابنته فاطمة الزهراء عليها السّلام.

(١) يقول المفسرون و المحدّثون الشيعة و بعض علماء السنة انه لما نزل قوله تعالى:

«وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» «١».

دعا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ابنته فاطمـة و فوّض إليها فدكا «٢»، و قد روى هذا الأمر ابو سـعيد الخدرى و هو من كبار صحابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و يعترف جميع المفسرين، سنة و شيعة، بان هذه الآية نزلت فى حق أقرباء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و ابنته الزهراء اظهر و أقوى مصاديق «ذى القربى»، حتى انه كان على بن الحسـين السـجاد فى الشام بعـد واقعـة كربلاء، و سأله بعض الشاميين عن نسـبه، فتلا عليه السّـلام الآيـة المذكورة للتعريف بنفسه، و حيث إن مفاد الآية و المراد بها كان معلوما عند المسـلمين كافة قال الشامى متعجبا: و انكم للقرابة الذى أمر اللّه أن يؤتى حقه «٣».

(٢) و خلاصـة القول ان ثمة اتفاقا بين علماء السـنة و الشـيعة فى أن هذه الآية قد نزلت فى شأن الزهراء و ابنيها، نعم هناك خلاف فى ان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله وهب ساعـة نزول هـذه الآية فدكا لابنته فاطمة، أم لا، و لقد اتفق علماء الشـيعة على الشق الأول، و ذهبوا إلى ان النبى صلّى اللّه عليه و آله وهب فدكا عند نزول الآية لفاطمة و وافقهم على ذلك جمع من علماء السنة.

و قد أراد المأمون العباسى (لسبب ما) اعادة فدك إلى بنى الزهراء فكتب

---

(١) الاسراء: ٢۶.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ۴١١، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١۶ ص ٢۶٨، الدر المنثور: ج ۴ ص ١٧٧.

(٣) الدّر المنثور: ج ۴ ص ١٧۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۲۴

الى المحـدث المعروف «عبـد اللّه بن موسـى» و طلب منه أن يرشـده فى هـذا الامر، فكتب إليه عبـد اللّه بن موسـى الحديث المذكور الـذى يوضـح شأن نزول هـذه الآية، فاعاد المأمون فدكا الى أبناء الزهراء، و ذريتها «١» فكتب الخليفة العباسـى إلى واليه على المدينة يومذاك بأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وهب فدكا لابنته فاطمة الزهراء، و هذا أمر مسلم، و لا خلاف فيه بين ابناء الزهراء.

(١) و قد جلس المأمون ذات يوم على كرسـى خاص للاسـتماع إلى مظالم الناس و شكاياتهم، فكانت أول ما أعطى له، رسالة وصف صاحبهـا نفسه فيها بأنه يـدافع عن الزهراء، فقرأ المأمون الرسالـة و بكى مـدة، ثم قال: من هو المحامى عن الزهراء؟ فقام شـيخ كبير، و

قـال: أنـا هو ذا، فـانقلب مجلس المـأمون من مجلس القضاء الى مجلس حوار و مناظرة بین المأمون و بین ذلک الشـیخ، و أخیرا وجد المـأمون نفسه مغلوبا محجوجا فأمر رئیس دیوانه بان یکتب کتاب ردّ فـدک إلی ابناء الزهراء، فکتب ذلک الکتاب، و وشـحه المأمون بتوقیعه، و فی هذه المناسبة قام دعبل الذی حضر ذلک المجلس و أنشأ شعرا هذا مطلعه:

أصبح وجه الزمان قد ضحکابردّ مأمون هاشم فدکا «۲» (۲) و لیس الشـیعة بحاجة- فی اثبات ان فدکا کان ملکا طلقا و خالصا للزهراء فاطمة بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی الدلائل المذکورة، لأن الصدّیق الاکبر أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام قد صرّح بمالکیته بفدک فی إحدی رسائله الی والیه علی البصرة عثمان بن حنیف اذ قال:

«بلی کانت فی أیدینا فدک من کلّ ما أظلّته السماء فشحّت علیها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرین و نعم الحکم اللّه» «۳».

---

(۱) مجمع البیان: ج ۳ ص ۴۱۱ عند تفسیر قوله تعالی: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبی حَقَّهُ الاسراء: ۲۷ فتوح البلدان ص ۴۶

(۲) شرح ابن أبی الحدید: ج ۱۶ ص ۲۱۷.

(۳) نهج البلاغة: الکتاب ۴۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۵

(۱)

قصة فدک بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لقـد حرمت ابنـة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله العزیزة فاطمـة من ملکها الخالص (فـدک) بعـد وفاة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله لأغراض سیاسیـة خاصـة، و أخرجوا عمالها من تلک الارض، فعمـدت إلی إثبات حقّها و استرداد ملکها من جهاز الخلافـة عن طریق القانون.

ففی الدرجـة الأولی کانت قریـة فـدک فی یدها، و الید دلیل الملک، و لکن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلک دلیلا علی کون فدک ملکها، خلافا لکلّ الموازین القضائیة الاسلامیة.

إذ لا یطلب من أیّ واحـد له یـد علی شـیء (أی یکون ذلک الشـیء تحت تصـرفه) أن یقیم دلیلا علی ملکیته لذلک الشـیء، و لکن الخلافة لم تعر لید الزهراء علی «فدک» أهمیة، بل طالبتها بان تأتی بشاهد علی ملکیته.

و لهذا اضطرت فاطمة الزهراء علیها السّلام إلی ان تأتی للشهادة علی ذلک بشخصیّة ذات مکانة هامة کعلیّ علیه السّلام و امرأة تدعی أمّ أیمن التی شهد لها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأنها من نساء الجنة «۱».

(۲) و بعـتیق رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله «ربـاح» حسب روایـة البلاـذری «۲»، و لکن جهـاز الخلافـة لم یعر اهتماما لشـهادة هؤلاء الشهود، و حرم ابنة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من ملکها الذی وهبه ایاها والدها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و لقد کانت «الزهراء» و «علی» و ابناهما الحسن و الحسین علیهم السّلام مطهرین من کل رجس کما صرح بذلک قوله تعالی:

«إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» «۳».

---

(۱) الاصابة: ج ۴ ص ۴۳۲.

(۲) فتوح البلدان: ص ۴۴.

(۳) الاحزاب: ۳۳، راجع کتاب: آیة التطهیر فی احادیث الفریقین: ج ۱ و ۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۶

و لو أن هـذه الآيـة شـملت نسـاء النبى صـلّى اللّه عليه و آله لكـانت فاطمـة الزهراء من أوضـح مصاديقهـا قطعا و يقينا، و لكن الخلافة تجاهلت- مع الأسف- حتى هذا الدليل، و اعتبر الخليفة ادعاءها ادعاء غير مشروع.

(۱) و فى المقابل يرى علماء الشيعة أن الخليفة الاول أذعن فى نهاية الأمر لصحة رأى الزهراء و صحة ادّعائها و شرعيّته، و كتب كتابا يصرّح بـأن فـدكا ملـك خـالص للزهراء و أعطاها ذلك الكتاب، و لكن رفيق الخليفـة و صاحبه لما صادف الزهراء فى اثناء الطريق و عرف بأنها حصلت على اعتراف صريح من الخليفة بملكيتها لفدك أخذ منها ذلك الكتاب و اتى به الى الخليفة الاول و قال معترضا على شهادة على عليه السّلام و أم أيمن لها: ان عليا يجرّ إلى نفسه و أم أيمن امرأة.

ثم عمد إلى الكتاب فمحاه و خرقه «۱».

هـذا و يروى الحلبى فى سيرته هـذه الحادثـة بصورة اخرى اذ يكتب قائلا: ان ابا بكر كتب لفاطمـة بفـدك و دخل عليه عمر فقال: ما هـذا؟ فقـال: كتـاب كتبته لفاطمـة بميراثهـا من أبيهـا، فقال: ممّا ذا تنفق على المسـلمين و قـد حاربتك العرب كما ترى، ثم اخـذ عمر الكتاب فشقه «۲».

(۲) ما قاله أحـد متكلمى الشيعة، و هو ان أبى الحديـد يقول: قلت لمتكلم من متكلمى الاماميّـة يعرف بعلى بن تقى من بلـدة النيل: و هل كانت فـدك إلّا نخلا يسيرا و عقارا ليس بذلك الخطير! فقال لى: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدا، و كان فيها من النخل نحو مـا بالكوفـة الآـن من النخـل، و مـا قصـد ابو بكر و عمر بمنع فاطمـة عنهـا إلاـ ألّا يتقوّى علىّ بحاصـلها و غلّتها على المنازعـة فى الخلافـة، و لهـذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة و على و سائر بنى هاشم و بنى المطّلب حقّهم فى الخمس، فإنّ الفقير الذى لا مال له تضعف همته، و يتصاغر عند نفسه، و يكون مشغولا بالاحتراف و الاكتساب عن طلب الملك و الرئاسة «۳».

---

(۱) شرح ابن أبى الحديد: ج ۱۶ ص ۳۷۴.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۳۹۱.

(۳) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۱۶ ص ۲۳۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۲۷

(۱) و يكتب هـذا الكـاتب فى موضع آخر من كتابه أيضا: سألت على بن الفارقىّ مـدرّس المدرسـة الغربيـة ببغـداد، فقلت له: أ كانت فاطمة صادقة؟ قال:

نعم، قلت: فلم لم يـدفع إليها أبو بكر فدك و هى عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و حرمته و قلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فـدك بمجرد دعواها لجأت إليه غدا، و ادّعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقـة بشـىء، لانه يكون قـد اسـجل على نفسه على أنها صادقـة فيما تـدعى كائنا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة و لا شـهود. و هذا كلام صحيح، و ان كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل «۱».

لقـد بدأ منع بنى الزهراء من فدك فى عهد الخليفة الأول، و بعد ان قضـى على عليه السّـلام و تسـلّم معاوية زمام الامر، وزع فدكا بين ثلاثة هم: (مروان بن الحكم و عمرو بن عثمان، و ابنه يزيد).

(۲) و لما ولى الأمر «مروان» سيطر على فـدك بصورة كاملة، و وهبها لابنه عبد العزيز، و اعطاها عبد العزيز لولده «عمر بن عبد العزيز» «۲».

و حيث انه كان حاكما معتـدل السـيرة بين خلفاء بنى أميّـة لهـذا فان أول بدعة أزاحها كان هو اعادة فدك إلى بنى فاطمة، ثم انتزعها الخلفاء الذين توالوا بعده من ايدى بنى هاشم، و كانت بأيديهم حتى يوم انقرضت فيه حكومة الامويين.

(۳) و قـد اضـطرب أمر فـدك اضـطرابا عجيبـا ايـام الخلافـة العباسـية، فلما ولى أبو العباس السـفاح ردّها على عبـد اللّه بن الحسن بن

الحسن، ثم قبضـها ابو جعفر من بنی حسن، ثم ردّها محمّـد المهـدی ابنه، علی ولـد فاطمهٔ علیها السّـلام، ثم قبضـها موسـی الهادی بن المهـدی و هـارون أخوه، لاسـباب سیاسـیه خاصـهٔ، حتی وصـل الـدور إلی المـأمون فردهـا علی الفاطمیین اصـحابها الشـرعیین ضـمن تشریفات

---

(۱) شرح ابن أبی الحدید: ج ۱۶ ص ۲۸۴.

(۲) شرح ابن أبی الحدید: ج ۱۶ ص ۲۷۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۸

خاصهٔ و بصورهٔ رسمیهٔ.

ثم اضطرب امر فدک من بعده أیضا فربما سلبت من أصحابها و ربما ردّت إلیهم. و هکذا تراوحت بین السلب و الرد.

و لقد استغلّت فدک فی عهد الامویین و العباسیین فی أغراض سیاسیهٔ بحتهٔ قبل أن تستغلّ فی أغراض اقتصادیهٔ.

فلقـد کان الخلفاء فی صـدر الاسـلام یحتاجون إلی عائدات فدک المالیهٔ، مضافا إلی انهم انتزعوها من ید علیّ لغرض سیاسـی و لکن فی العصور المتأخرهٔ عن ذلک کثرت ثروهٔ الخلفاء و زادت زیادهٔ هائلـهٔ بحیث لم یکونوا بحاجـهٔ إلی عائـدات فـدک، و لهذا فان عمر بن عبـد العزیز لما أعاد فـدکا إلی بنی فاطمـهٔ احتـج علیه بنو أمیّهٔ و اعترضوا قائلین: هجّنت فعل الشـیخین، و إن أبیت إلّا هذا فامسـک الأصل و أقسم الغلّهٔ «۱».

(۱)

فدک فی محکمهٔ التاریخ:

إن دراسـهٔ و تقییم ملفّ «فدک» تثبت بوضوح أن منع ابنهٔ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله من حقها المشـروع کان عملا سیاسـیا بحتا، أی إنه ما کان یستند إلی أی مبرر شرعی مطلقا، و ان المسألهٔ کانت أوضح من أن تخفی علی خلیفهٔ العصر.

و قد أوضحت الصدیقهٔ الطاهرهٔ فاطمهٔ الزهراء علیها السّلام هذه الحقیقهٔ فی خطابها الساخن البلیغ اذ قالت:

هـذا کتاب اللّه حکما عـدلا و ناطقا فصـلا یقول: و یرثنی و یرث من آل یعقوب «۲» و ورث سـلیمان داود «۳» و بیّن عزّ و جلّ فی ما وزّع من الأقساط و شرع من الفرائض و المیراث» «۴».

---

(۱) شرح نهج البلاغهٔ لابن ابی الحدید: ج ۱۶ ص ۲۷۸.

(۲) مریم: ۶.

(۳) النمل: ۱۶.

(۴) الاحتجاج للطبرسی: ج ۱ ص ۱۴۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۲۹

إن البحث حول دلالهٔ الآیتین علی وراثهٔ أبناء النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله عنه، و الحدیث الذی رواه الخلیفهٔ وحده یوجب اطالهٔ الکلام، و فی امکان من یحبّ التوسع ان یراجع کتب التفسیر المفصلهٔ.

(۱)

السیطرهٔ علی وادی القری:

ان النبی صلّی اللّه علیه و آله لم یضع نهایة لنشاط القوی المضادة للاسلام فی هذه المنطقة (خیبر) فقط بل رأی ان یتوجه الی وادی القری التی کان یشکل مرکزا آخر من مراکز الیهود. فحاصر بنفسه حصونهم عدة أیام، حتی فتحها، ثم عقد بعد الفتح معاهدة مع أهلها علی غرار معاهدة «خیبر».

و بهذا طهرت أرض الحجاز من فتنة الیهود الاوغاد، و قد جرّدوا من اسلحتهم و وضعوا تحت حمایة المسلمین و مراقبتهم الدقیقة «۱».

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۱۵۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۰

(۱)

۴۶ عمرة القضاء «۱»

اشارة

کان یحق للمسلمین بعد التوقیع علی معاهدة صلح الحدیبیة أن یدخلوا بعد عام واحد من تاریخ یوم التوقیع مکة، ثم یغادروها بعد ثلاثة ایام یقیمون فیها شعائر العمرة و کان علیهم بموجب الاتفاق أن لا یحملوا معهم إلّا سلاح الراکب: السیف فی القرب، لیس غیر.

و الآن مضی عام واحد علی یوم التوقیع علی المعاهدة المذکورة، و آن الاوان لیستفید المسلمون من هذه المادة فی تلک الاتفاقیة، و ان یتوجه المسلمون المهاجرون الذین مضی علیهم سبعة أعوام ابتعدوا فیها عن بیوتهم و وطنهم و مسقط رءوسهم، و رجّحوا الحیاة فی الغربة، و تحمل متاعبها علی العیش فی الوطن للمحافظة علی عقیدة التوحید.

یتوجه مثل هؤلاء مرة اخری إلی زیارة بیت اللّه الحرام و لقاء الاحباب و الأقرباء و تفقّد المنازل و البیوت التی ولدوا فیها و ترعرعوا فی رحابها.

---

(۱) العمرة أعمال خاصة و مناسک معینة یمکن للمرء الاتیان بها طوال اشهر السنة علی العکس من أعمال الحج التی یجب أداؤها فقط فی شهر ذی الحجة و قد توجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی مکة فی یوم الاثنین السادس من شهر ذی القعدة من السنة الهجریة السابعة. و سمیت هذه العمرة عمرة القضاء لانها کانت بدلا عن العمرة التی منع النبیّ و المسلمون عنها فی عام الحدیبیة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۱

(۱) و لهذا عند ما أعلن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان یستعد من حرم من العمرة فی العام الماضی للعمرة، دب شوق عجیب فی نفوس المسلمین، و اغرورقت دموع الفرح فی عیونهم، فخرج مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ألفا شخص بدل ألف و ثلاثمائة و هم عدد الذین خرجوا معه فی السنة الماضیة.

و کان بین الخارجین مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جمع کبیر من شخصیات المهاجرین و الأنصار البارزة الذین کانوا یلازمون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طول سیره ملازمة الظل لصاحب الظل.

و ساق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه العمرة ستین بدنة و قد قلّدها «۱»، و أحرم من مسجد المدینة و اتبعه الآخرون، و خرج ألفان و هم یلبّون مرتدین أثواب الاحرام یقصدون مکة.

و لقد کان هذا الموکب العظیم من الجلال و المغزی المعنوی بحیث لفت نظر الکثیر من المشرکین إلی حقیقة الاسلام و معنویته الرائعة.

(۲) و لو قلنا: ان هذا السفر کان- فی حقیقته- سفرا تبلیغیا، و ان المشترکین فیه کانوا- فی حقیقة الامر- طلائع التبلیغ و الدعوة لما قلنا جزافا، فان آثار هذا السفر المعنوی ظهرت للتو فقد انبهر بمنظر سلوکهم و عبادتهم و نظامهم الد أعداء الاسلام أمثال «خالد بن الولید» بطل معرکة أحد و عمرو بن العاص داهیة العرب فرغبوا فی الاسلام، و أسلموا بعد قلیل.

و حیث ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لم یکن آمنا من غدر قریش فقد کان یحتمل أن یباغتوه و یباغتوا أصحابه فی أرض مکة، و یسفکوا دماء جماعة

---

(۱) البدنة الناقة تنحر بمکة و الجمع بدن و تقلید البدنة أن یجعل فی عنقها نعلا فیعلم أنها هدی.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۲

منهم و هم لا یحملون معهم إلّا سلاح الراکب اذ لم یکن مسموحا للمسلمین- حسب المعاهدة- أن یأخذوا معهم سلاحا غیر ذلک.

(۱) من هنا عمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تحسبا لأی طارئ إلی تکلیف مائتی رجل من المسلمین بالتسلح الکامل، و أمرّ علیهم «محمّد بن مسلمة» و حملهم علی مائة فرس سریع، و أمرهم بالتوجه صوب مکة أمام القافلة الکبری، و الاستقرار فی منطقة «مرّا لظهران» قرب الحرم، ینتظرون ورود رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من معه.

فعرف عیون قریش الذین کانوا یراقبون تحرکات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بقضیة الفرسان المسلّحین المائتین، و استقرارهم فی وادی «مرّ الظهران»، و أخبروا سادة قریش بالأمر.

(۲) فبعثت قریش «مکرز بن حفص» الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیکلموه فی هذا الإجراء فاتی مکرز الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّمه اعتراض قریش و انه تعهّد- قبل ذلک- أن لا یدخل مکة إلّا بسلاح المسافر.

فأجابه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

«لا ندخلها إلّا کذلک و لکن یکون هؤلاء قریبین منا».

و قد أفهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکرزا بهذه العبارة بأن قریش لو استغلّت عدم حمل النبی و اصحابه للسلاح الثقیل فباغتتهم أدرکتهم هذه القوة الاحتیاطیة المسلحة القویة المستقرة علی مقربة من الحرم، و مدّوهم بالسلاح و العتاد.

فعاد «مکرز» و اخبر قریشا بما سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فادرکت قریش حنکة رسول الاسلام و بعد نظره، و حسن تقدیره للامور،

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۳

ففتحت أبواب مکة فی وجه المسلمین، و خرج رءوس المشرکین و أهلوهم و من تبعهم الی رءوس الجبال، و خلّوا مکة، و قالوا: لا ننظر إلی محمّد و لا إلی اصحابه، و لکنهم کانوا یراقبون المشهد من بعید!! «۱»

(۱)

النبی یدخل مکة:

دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو علی راحلته القصواء و أصحابه متوشحو السیوف محدقون به یلبّون و هم ألفان، فدوّی صوتهم الموحّد بالتلبیة فی أرجاء مکة، و کانت نغمة هذه التلبیة الکبری من الجلال و الجمال بحیث بهرت کل سکان مکة، و سحرت قلوبهم و عطفها نحو المسلمین، و فی نفس الوقت أرعب اتّحاد المسلمین، و نظامهم، و التفافهم حول النبی قلوب المشرکین، و لم یقطع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله تلبیته حتی استلم الرکن.

فلما انتهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی البیت و هو علی راحلته و ابن رواحة آخذ بزمامها و قد صف له المسلمون حین دنا من

الرکن حتی انتهی إلیه، استلم الرکن بمحجنه مضطبعا بثوبه علی راحلته انشد عبد اللّه بن رواحة یقول:

خلّوا بنی الکفّار عن سبیله‌إنی شهدت أنه رسوله

حقا و کل الخیر فی سبیله‌نحن قتلناکم علی تأویله

کما ضربناکم علی تنزیله‌ضربا یزیل الهام عن مقیله

و یذهل الخلیل عن خلیله «۲»

(۲) و طاف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالبیت المعظم علی راحلته، و هنا أمر

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۳۷ و ۳۳۸.

(۲) زاد المعاد: ج ۲ ص ۱۵۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۴

صلّی اللّه علیه و آله ابن رواحة ان یردّد هذا الدعاء بلحن و نغم خاص؛ و ان یتبعه المسلمون:

«لا إله إلّا اللّه وحده وحده، صدق وعده، و نصر عبده و اعز جنده، و هزم الاحزاب وحده».

(۱) کانت مکة بجمیع مشاعرها فی ذلک الیوم تحت تصرف المسلمین، المسجد، الکعبة، الصفا، المروة، و غیرها. و قد کانت هذه الشعارات التوحیدیة الساخنة فی مکان کان طوال سنین مدیدة مرکزا للوثنیة، و الشرک توجّه ضربات روحیة قویة إلی نفسیّة سادة المشرکین، و أتباعهم، ممّا کان یوحی بغلبة «محمّد» صلّی اللّه علیه و آله علی کل أرجاء الجزیرة العربیة حتما و یقینا.

و لما قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نسکه دخل البیت فلم یزل فیه حتی حان الظهر، فصعد بلال الذی طالما عذّب فی هذا البلد بسبب اسلامه فوق ظهر الکعبة بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و اذّن لصلاة الظهر.

و لقد کان لهذا المنظر مردود عجیب فی نفوس المشرکین فبلال واقف فی نقطة طالما عدّت فیها الشهادة بالتوحید و برسالة محمّد، ذنبا لا یغتفر، و جریمة لا ینجو صاحبها من العذاب، یردد و یردد معه المسلمون ما یردّد من فصول الأذان فصلا فصلا فی خشوع و روحانیة بالغة.

(۲) لقد أزعج أذان بلال المشرکین و اعداء التوحید، حتی قال «صفوان بن أمیّة»: الحمد للّه الذین أذهب أبی قبل أن یری هذا، و قال خالد بن اسید:

الحمد للّه الذی أمات أبی و لم یشهد هذا الیوم، و لم یسمع هذا العبد الحبشیّ یقول ما یقول.

و اما «سهیل بن عمرو» فانه لما سمع تکبیر بلال غطّی وجهه بمندیل.

إنهم لم ینزعجوا من صوت «بلال» بل أحرجتهم مضامین فصول الأذان التی کانت ضدّ ما یحملونه من المعتقدات الباطلة الموروثة، و جعلتهم یعانون بسبب

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۵

ذلک من عذاب روحی شدید.

(۱) ثم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین أراد السعی بین الصفا و المروة سمع بأن قریشا تحدثت بینها أن محمّدا و أصحابه فی عسرة و جهد و شدة، و ان الذین هاجروا معه الی المدینة مرضی، و أنهم صفّوا له عند دار الندوة لینظروا إلیه و إلی أصحابه، فهرول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هرولة فی المکان المعلّم الآن فی المسعی، و تبعه المسلمین و قد قال لهم قبل ذلک.

«رحم اللّه امرأ أراهم الیوم من نفسه قوة» «۱».

و ذلک لیبطل ما اشاعته قریش حول المسلمین المهاجرین من الضعف و الهزال بسبب ظروف المهجر. و هذا إن دل علی شیء فانما

يدل على امرين:

أولا: جواز القيام بالأعمال السياسية في موسم الحج.

ثانيا: ان النبي صلّى اللّه عليه و آله كان حذرا جدا فكان يبطل كل خطط العدو أولا بأول.

يقول صاحب زاد المعاد: أمر النبي بذلك ليرى المشركون جلدهم و قوتهم، و كان يكايدهم (أي يبطل كيدهم) بكل ما استطاع «۲».

ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد أن فرغ من السعي نحر البدن، ثم قصّر من شعره، ثم خرج من إحرامه، و تبعه المسلمون في كلّ ما فعل.

ثم أمر صلّى اللّه عليه و آله مائتين من أصحابه بعد أن طافوا بالبيت و انتهوا من مناسك العمرة ان يذهبوا إلى أصحابه بمرّ الظهران فيقيموا على السلاح فيأتي الآخرون فيقضوا مناسكهم، ففعلوا.

(۲) انتهت أعمال العمرة و نسكها، و ذهب المهاجرون إلى منازلهم التي هجروها قبل سبعة أعوام، ليجدّدوا اللقاء بذويهم و أقربائهم بعد طول فراق، و استضافوا

---

(۱) تاريخ الطبري: ج ۲ ص ۳۰۹ و راجع نظيره في زاد المعاد: ج ۲ ص ۱۵۲.

(۲) زاد المعاد: ج ۲ ص ۱۵۲. و لنا مقال مفصل في هذا المجال تحت عنوان الحج عبادة و سياسة نشر في مجلة الشهيد فراجع.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۳۶

جماعة من الأنصار في بيوتهم وفاء لجميلهم و تقديرا لخدماتهم حين قدموا عليهم المدينة بعد الهجرة، فأسكنوهم و اكرموهم في منازلهم و خدموهم سنينا عديدة.

(۱)

النبي يغادر مكة:

تركت أحوال المسلمين و أوضاع الاسلام و جلال الموكب النبوي و عظمته أثرا بليغا و عجيبا في نفوس سكان مكة المشركين، فقد تعرفوا على نفسية المسلمين النبيلة الطيبة في هذه الزيارة اكثر من أي وقت مضى و كاد ذلك أن «يفعل» فعلته، و يحدث انقلابا روحيا في تلك البيئة.

و لما رأى زعماء المشركين أن توقف النبي و أصحابه في مكة سيؤثر في عقائد أهل مكة و يضعف تمسكهم بوثنيتهم، و يوجد علاقات المحبة بينهم و بين المسلمين، لهذا بعثوا أحدهم و هو حويطب الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- بعد انقضاء المدّة المقرّرة للاقامة في مكة في المعاهدة- ليطلب منه مغادرة مكة قائلا:

انه قد انقضى اجلك فاخرج عنا.

فانزعج بعض أصحاب النبي صلّى اللّه عليه و آله من مقالة مبعوث قريش هذا، و لكن النبي لم يكن بالذي يخالف ما تعهّد به، و لهذا أمر بأن ينادي في المسلمين بالرحيل فترك هو و المسلمون مكة فورا.

(۲) و لقد تأثرت «ميمونة» اخت أمّ الفضل زوجة العباس، بما شهدت من مشاعر المسلمين و روحانيتهم فأرسلت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن طريق عمّها العباس أنها ترغب في الزواج برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فوافق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱» و تزوجها، و بهذا قوّى علاقاته مع قريش.

ان رغبة فتاة في الزواج بمن يكبرها بسنين عديدة لدليل واضح على مدى التأثير الروحي و المعنوي الذي تركه النبي و المسلمون في النفوس حتى أن النبي

(۱) حیاة محمد: ص ۴۰۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۷

صلّی اللّه علیه و آله لما طلب من مبعوث قریش بأن یمهلوه بعض الوقت لیعرس بین أظهرهم، و یصنع لهم طعاما یحضروه، أبوا امهاله خوفا من تعاظم تأثیره فی النفوس، و قالوا له: لا حاجة لنا فی طعامک فاخرج عنا «۱».

(۱) فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یخرج المسلمون من مکة فی منتصف النهار و لم یبق بمکة إلی وقت الظهر، و خلّف ابا رافع لیحمل إلیه زوجته «میمونة» حین یمسی، فأقام أبو رافع حتی أمسی، فخرج بمیمونة و من معها فلقوا عناء من سفهاء المشرکین، و لاموا «میمونة» علی فعلها، و لکن کلامهم لم یؤثر قط فی نفسها، فقد رغبت فی الزواج برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بدافع الرغبة فی خلقه و سموّ أخلاقه.

و هکذا تحققت رؤیا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الصادقة التی رآها قبل سنة واحدة بأنه دخل البیت، و حلق راسه، و نزلت بعد هذه الوقائع الآیة ۲۷ من سورة الفتح تتحدث عن تحقق هذا الوعد حیث أخبرت ضمنا عن فتح قریب،- هو فتح مکة- الذی تحقق فی السنة الثامنة من الهجرة اذ یقول سبحانه:

«لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْیا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِینَ مُحَلِّقِینَ رُؤُسَکُمْ وَ مُقَصِّرِینَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِکَ فَتْحاً قَرِیباً» «۲».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۷۲، تاریخ الخمیس: ج ۲ ص ۶۲- ۶۵. سید المرسلین ج۲ ۴۳۷ النبی یغادر مکة: ..... ص : ۴۳۶

(۲) الفتح: ۲۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۸

(۱)

احداث السنة الثامنة من الهجرة

۴۷ معرکة مؤتة

اشارة

انقضت السنة الهجریة السابعة، و استطاع المسلمون بفضل معاهدة صلح الحدیبیة ان یزوروا معا بیت اللّه المعظم و یعتمروا فی أمان، و یردّدوا فی مرکز حکومة الوثنیین شعارات قویة لصالح عقیدتهم التوحیدیة إلی درجة انهم استطاعوا ان یستمیلوا نحو الاسلام قلوب جماعة من سراة قریش و زعماء المشرکین امثال «خالد بن الولید»، «و عمرو بن العاص» «۱» و «عثمان بن طلحة»، فلم یلبثوا أن جاءوا طائعین راغبین الی المدینة، و اعتنقوا الاسلام و قطعوا علاقاتهم بحکومة مکة الوثنیة المشرکة التی لم یبق منها إلّا جسم من دون روح، و هیکل من دون حیاة «۲».

(۲) و ذکر بعض المؤرخین اسلام خالد او ابن العاص فی السنة الخامسة من الهجرة.

و لکن هذا غیر صحیح قطعا لأن «خالدا» کان یقود فی الحدیبیة مائتین من فرسان قریش، و نحن نعلم أن اسلام هذین الرجلین تمّ فی وقت واحد.

کان ثمت أمن نسبیّ یسود اکثر مناطق الحجاز فی أوائل السنة الثامنة، و کان نداء الاسلام قد وصل إلی اکثر النقاط و لم یبق من نفوذ

الیهود شیء، و لم

(۱) لقد ذکر الواقدی فی مغازیه: ج ۲ ص ۷۴۳ و ۷۴۵ علة اسلام عمرو بصورة اخری.

(۲) الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۴ ص ۲۵۲– ۲۶۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۳۹

تعد قریش تهدّد المسلمین من ناحیة الجنوب، و لهذا فکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أن یرکز دعوته علی سکان المناطق الحدودیة للشام، و یستمیل الی الاسلام قلوب اولئک الاقوام التی کانت فی تلک الایام تعانی من ظلم السلطات الرومیّة.

(۱) و لهذا الغرض وجّه «حارث بن عمیر الازدی» مع کتاب إلی «الحارث بن أبی شمر الغسانی» ملک «بصری» الذی کان حاکم الشامات المطلق یومذاک، و کان یحکم من جانب قیصر.

فلما نزل مبعوث النبی «مؤتة» عرف به شرحبیل و کان حاکم المناطق الحدودیة، فقبض علیه، و حقق معه، فاعترف له بانه یحمل کتابا من جانب رسول الاسلام إلی حاکم الشامات المطلق (الحارث الغسانی)، فأمر بان یوثق و قدمه و ضرب عنقه صبرا مخالفا بذلک کل الأعراف العالمیة القاضیة باحترام السفراء و حصانتهم.

فعرف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بذلک و غضب لمقتل رسوله بشدّة و ندب الناس فأخبرهم بمقتل سفیره و من قتله، و دعا المقاتلین المسلمین الی الخروج للاقتصاص من قاتل «الحارث».

(۲)

حادثة أفجع من السابقة:

و اتفق أن وقعت فی نفس الایام حادثة اخری افجع من الأولی، أکّدت عزم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی تأدیب سکان المناطق الحدودیة الشامیة الذین سلبوا دعاة الاسلام حریة العمل و الدعوة، و قتلوا دون رحمة، و عذرا سفیر النبی، و جماعة الدعوة و التبلیغ و إلیک مفصل الحادثة الثانیة:

بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی شهر ربیع الاول سنة ثمان من الهجرة علی رأس خمسة عشر رجلا إلی منطقة «ذات أطلاح» من ارض الشام، خلف وادی القری لدعوة الناس الی الاسلام، فخرجوا حتی انتهوا إلی تلک

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۴۰

المنطقة فدعوا أهلها إلی الاسلام فلم یستجیبوا لهم، و رشقوهم بالنبل فلما رأی أصحاب النبی صلّی اللّه علیه و آله ذلک قاتلوهم اشدّ القتال، حتی قتلوا مؤثرین عز الشهادة علی ذل الأسر، و افلت منهم رجل جریح من القتلی، فلما جنّ اللیل تحامل حتی اتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فاخبره الخبر فشق ذلک علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) فتسبّب العدوان علی دعاة الاسلام و قتلهم فی ان یصدر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمرا بالخروج إلی الجهاد فی شهر جمادی، و وجّه جیشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لتأدیب المتمردین، و مزاحمی دعاة الاسلام.

فتجمع ثلاثة آلاف بعد الاذان بالجهاد فی معسکر خارج المدینة یدعی «الجرف» فخرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بنفسه الی ذلک المعسکر، و خطب فی المقاتلین خطابا، هذا نصه:

«اغزوا بسم اللّه ادعوهم الی الاسلام فإن فعلوا فاقبل منهم و اکفف عنهم و الّا فقاتلوا عدوّ اللّه و عدوّکم بالشام، و ستجدون فیها رجالا فی الصوامع معتزلین الناس، فلا تعرضوا لهم، و ستجدون آخرین للشیطان فی رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسیوف، و لا تقتلنّ امرأة و لا صغیرا مرضعا و لا کبیرا فانیا، لا تغرقنّ نخلا و لا تقطعنّ شجرا، و لا تهدموا بیتا» «۱».

(۲) ثم قال: جعفر بن أبی طالب أمیر الناس، فان قتل فزید بن حارثة، فان اصیب زید فعبد اللّه بن رواحة فإن اصیب عبد اللّه بن رواحة فلیرتضی المسلمون بینهم رجلا فلیجعلوه علیهم.

ثم امر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المقاتلین بالتحرک نحو الهدف، و خرج فشیّعهم مع جماعة من اصحابه حتی «ثنیة الوداع» و هناک ودّعهم و کان المسلمون المشیعون یقولون: دفع اللّه عنکم وردکم سالمین غانمین، صالحین.

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۷۵۷ و ۷۵۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۴۱

و لکن ابن رواحة أجابهم قائلا:

لکنّنی أسأل الرحمن مغفرةو ضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بیدی حرّان مجهزةبحربة تنفذ الاحشاء و الکبدا

حتی یقال إذا مرّوا علی جدثییا أرشد اللّه من غاز و قد رشدا «۱».

(۱) و أنت أیها القارئ الکریم یمکنک أن تعرف من خلال هذه الابیات عمق ایمان هذا الفارس القائد و حبه للشهادة فی سبیل اللّه.

ثم ان الناس رأوا عبد اللّه بن رواحة لما ودع من ودع بکی، فقالوا ما یبکیک یا ابن رواحة؟ فقال: أما و اللّه ما بی حب الدنیا، و لا صبابة بکم و لکنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقرأ آیة من کتاب اللّه عزّ و جلّ یذکر فیها النار:

«وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا» «۲».

فلست أدری کیف لی بالصدور بعد الورود «۳».

(۲)

خلاف حول من هو الامیر الاول؟

لقد کتب بعض المؤرخین: أن الامیر الاول کان هو زید بن حارثة ابن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالتبنی، ثم جعفر بن أبی طالب، ثم عبد اللّه بن رواحة، و لکن محققی الشیعة یرون عکس هذا فهم یعتبرون جعفر بن أبی طالب قائد الجیش و زیدا و عبد اللّه معاونین أو خلیفتین له علی الترتیب فیجب ان نری أی الرأی یوافق الحقیقة.

لتحصیل الحقیقة فی هذا المجال هناک طریقان:

(۳) ۱- ان زید بن حارثة لم یکن یعادل من ناحیة التقوی و العلم و المکانة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۶۰، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۲۸.

(۲) مریم: ۷۱.

(۳) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۷۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۴۲

الاجتماعیة جعفر بن أبی طالب (جعفر الطیار).

یقول ابن الاثیر عنه: جعفر بن أبی طالب کان اشبه الناس برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خلقا و خلقا، أسلم بعد إسلام أخیه علیّ بقلیل. روی أن أبا طالب رأی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و علیا رضی اللّه عنه یصلیان و علیّ عن یمینه، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمک و صلّ عن یساره «۱».

(۱) و جعفر رأس المهاجرين إلى الحبشة الذين هاجروا إليها حفاظا على دينهم و عقيدتهم من الفتنة و هو الذى استمال قلب النجاشى بما تكلم به عنده من الحجة وقرا عليه آيات من القرآن عن المسيح عليه السّلام و أمه مريم، و اثبت كذب مبعوثى قريش لاستعادتهم إلى ارض الحجاز، و هو الذى وفق لأن يخطب ودّ النجاشى و يكسب حمايته للمهاجرين الملاحقين إلى درجة أنه طرد مندوبى قريش «۲».

ان جعفرا هو الشخصية البارزة التى لما رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم خيبر و قد عاد من الحبشة مشى إليه (۱۲) خطوة و عانقه و ضمه و قبّل ما بين عينيه و بكى من فرط الشوق إليه و قال فى حقه:

«بايهما اسرّ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

(۲) إنه هو ذلك الرجل العظيم الذى كان يذكر علىّ عليه السّلام، بعد استشهاده شجاعته و بسالته، فعند ما سمع علىّ عليه السّلام بمبايعة عمرو بن العاص لمعاوية، و تقرّر أن يوكل معاوية حكومة مصر إلى عمرو إذا غلبا عليا، غضب علىّ عليه السّلام من هذا الامر و تذكر شجاعة عمّه حمزة و أخيه جعفر و قال:

لو أنّ عندى يا ابن حرب جعفرااو حمزة القرم الهمام الازهرا

---

(۱) اسد الغابة: ج ۱ ص ۲۸۷.

(۲) اسد الغابة: ترجمة جعفر بن أبى طالب، و غيره من المصادر فى هذا المجال.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۴۳ رأت قريش نجم ليل ظهرا «۱». فهل مع هذه المواصفات و الجهات التى نقلنا قسما منها هنا فقط يجيز العقل أن يفوّض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قيادة القوات إلى زيد و يجعل جعفر معاونه او خليفته الاول.

(۱) ۲- ان الأشعار التى انشدها شعراء الاسلام الافذاذ فى رثاء هؤلاء القادة بعد استشهادهم حاكية عن ان القائد الاعلى فى هذه المعركة الكبرى (مؤتة) كان «جعفر» و كان أمر المعاونة و الخلافة يرتبط بالرجلين الآخرين، فهذا «حسان» شاعر عصر الرسالة انشد شعرا بعد أن بلغه استشهاد اولئك القادة بصورته المفجعة قال فيه:

فلا يبعدن اللّه قتلى تتابعوابمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

و زيد و عبد اللّه حين تتابعواجميعا و أسباب المنية تخطر «۲» فكلمة تتابعوا تشهد بجلاء على أن مقتل هؤلاء القادة الذين ذكرهم تمّ على النحو الذى جاء ذكرهم، يعنى أن جعفرا كان اول الشهداء ثم تلاه فى قيادة الجيش الاسلامى ثم الشهادة زيد، ثم ابن رواحة.

(۲) و ان اوضح الادلة على ذلك قصيدة «كعب بن مالك» فى رثاء شهداء مؤتة، التى يصرح فيها بان جعفر كان هو القائد الأول، و قد كان صاحب هذه الأبيات ممن شاهد تفويض أمر القيادة العليا للجيش من جانب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى جعفر.

يقول كعب فى قصيدته:

إذ يهتدون بجعفر و لوائهقدّام أوّلهم فنعم الأول «۳» إن هذه القصائد الرثائية التى انشدت فى أعقاب استشهاد اولئك القادة، و سلمت من يد التحريف اقوى شاهد على ان ما كتبه مؤرّخو السنّة حول هذا

---

(۱) وقعة صفين: ص ۴۹.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۸۴.

(۳) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۸۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۴۴

المطلب يخالف الحقيقة، و أن الرواة اختلقوا هذا الترتيب لدوافع و أغراض سياسية لا مجال لذكرها، و بيانها هنا، و قد تبعهم فى ذلك

کتّاب السیرة و ادرجوه فی کتبهم من دون تمحیص و تحقیق.

و العجب أن ابن هشام الـذی نقل کل هـذه الابیات و القصائـد قال: ان جعفر کان المعاون الأول لزیـد بن حارثة، و لیس القائد الأعلی للجیش، و هو کما تری تناقض مکشوف «۱».

(۱)

جیشا الروم و الاسلام یتواجهان:

کانت «الروم» قد اصیبت یومذاک- نتیجة الحروب العدیدة و الطویلة مع منافستها ایران- بالفوضی، و الهرج و المرج الشدیدین.

فمع ان قادة الروم کانوا سکاری من نشوة الانتصار علی ایران إلّا أنهم قد بلغهم شـیء کثیر عن شجاعة المسلمین و بسالتهم النابعة من إیمانهم و التی کسبوا عن طریقها أمجادا عظیمة، و کانوا یراقبون علی الدوام تحرک جنود الاسلام و نشاطاتهم العسکریة.

و لهذا لما بلغ هرقل قیصر الروم بموعد توجه جنود الاسلام الی ناحیة الشام لتادیب عمیله شرحبیل الغسانی، أرسل جیشا عظیما و قویا لمواجهة جنود الاسلام البالغ عددهم ثلاثة آلاف.

و قد اعدّ «شرحبیل» حاکم ارض الشام وحده مائة ألف فارس من مختلف القبائل القاطنة فی الاراضی الشامیة و وجهه الی حدود الشام لإیقاف تقـدم الجیش الاسـلامی، و قـد أعـدّ قیصر قبل ذلک مائة ألف جندی رومی فنزل فی منطقة تدعی «مآب» من مدن البلقاء، و استقرّ هناک کقوة احتیاطیّة تتدخل عند اللزوم «۲».

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۸۰.

(۲) المغازی: ج ۲ ص ۷۶۰، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۷۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۴۵

(۱) و لقـد کان تجمیع هـذا القـدر الهائل من الجنود و المقاتلین لمواجهـة جیش یقلّ عـددا بکثیر عن هـذا القـدر نابعا من الانباء التی بلغت قادة الروم و الشام عن فتوحات المسـلمین و انتصاراتهم الساحقة، و عن الوقوف علی شـجاعتهم و بسالتهم التی ذاع صـیتها، و إلّا فان عشر هذا العدد، (أی عشرون ألف) یکفی لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل مهما کانت شجاعة هؤلاء.

کما أنه لدی المقارنة بین العسـکرین کان الجیش الاسلامی أضعف من جیش الروم بکثیر، سواء من ناحیة العتاد، أو من ناحیة المعرفة بفنون القتـال و تکتیکـاته العسـکریة، لان القادة العسـکریین الروم کانوا قـد کسـبوا خبرة حربیـة واسـعة نتیجة المشارکـة فی الحروب العدیـدة و الطویلـة التی دارت بین الروم و بین ایران، و عرفوا بالتالی مفاتیح الانتصار، بینما کانت معلومات الجیش الاسـلامی الناشـئ معلومات بدائیة و بسیطة فی هذا المجال.

هـذا مضافا إلی عـدم وجود التکافؤ بین الجیش الاسـلامی و الجیش الرومانی فی نوعیـة المعدّات الحربیـة و الاجهزة القتالیة و وسائل النقل و ما شابه ذلک.

و فوق هـذا و ذلـک فـان القوّة الاسـلامیة کانت تحارب فی أرض غریبـة علیها، و تقوم بـدور المهاجم، بینما کان الرومان یقاتلون فی بلادهم دفاعا و هم یتمتعون بجمیع مستلزمات القتال و متطلبات الحرب.

و فی مثل هذه الحالة یجب ان تکون القوة المهاجمة قویة جدا، بحیث یمکنها ملاقاة سلبیات الظروف غیر المساعدة.

و مع هـذا فإننا سـنری عما قریب کیف أن قادة الجیش الاسـلامی قاوموا و آثروا الصـمود و القتال علی الهروب و الفرار مع انهم کانوا یرون الموت علی بعد أقدام معدودة منهم، و بهذا أضافوا إلی أمجادهم أمجادا اخری، و سطروا اسطرا اخری فی سجلّ بطولاتهم.

(۲) منـذ أن ورد المسـلمون المناطق الحدودیـة للشام عرفوا باسـتعدادات العدوّ العریضة، و حجم قدراته العسـکریة الواسع فشـکّلوا من

فورهم شوری عسکریة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۴۶

فقال البعض: نكتب الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فنخبره الخبر، فإما يردنا و إما يزيدنا رجالا. و كاد هذا الرأى ان يلقى قبولاً من المشاورين الآخرين لو لا أن «عبد اللّه بن رواحة» الذى طلب ساعة خروجه من المدينة من اللّه ان يرزقه الشهادة كما اسلفنا، شجعهم على الصمود و قال: «و اللّه ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، و لا بكثرة سلاح، و لا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذى أكرمنا اللّه به، انطلقوا، و اللّه لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلّا فرسان، و يوم احد فرس واحد، و إنما هى إحدى الحسنيين، إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا اللّه و وعدنا نبينا، و ليس لوعده خلف، و إما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم فى الجنان».

(۱) فقوّت هذه الخطبة الحماسية الصادقة معنويات المقاتلين المسلمين و بث فيهم روح البسالة و المقاومة.

ثم تواجه الجيشان فى منطقة تدعى «مشارف» و لكن جنود الاسلام تأخروا و انسحبوا قليلا لبعض العلل، و نزلوا فى مؤتة. فقسم جعفر بن أبى طالب قائد الجيش، جنود الاسلام إلى اقسام: مختلفة، و أمّر على كل قسم اميرا، ثم بدأت المبارزة الفردية على نحو ما كان متعارفا فى حروب العرب، فكان على جعفر ان ياخذ اللواء بيده و يوجّه صفوف المقاتلين المسلمين، و يقاتل فى نفس الوقت.

ثم اننا نكتشف مدى الشجاعة الروحية و ثبات الارادة لتحقيق الهدف من خلال الرجز الذى أنشده «جعفر» خلال القتال فقد أخذ يرتجز و يقول:

يا حبّذا الجنة و اقترابهاطيبة و باردا شرابها

و الروم روم قد دنا عذابهاكافرة بعيدة أنسابها

علىّ إذ لاقيتها ضرابها «۱»

(۲) و لقد قاتل قائد الجيش الاعلى (جعفر) قتالا عظيما، فلما حاصره الأعداء فى ساحة القتال و أيقن بالشهادة وثب الى الارض ثمّ عقر فرسه فى الحال لكى

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۷۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۴۷

لا ينتفع به العدوّ و اخذ يقاتل، و هو آخذ باللواء بيمينه، فقطعت يمينه فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى لا يسقط لواء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على الأرض حتى قتل و قد وجد به ثمانون جراحة او تزيد!! «۱».

فلما قتل «جعفر» أخذ الراية «زيد بن حارثة» معاونه الاول فقاتل ببسالة عظيمة حتى قتل برماح القوم.

فاخذ الراية «عبد اللّه بن رواحة» معاونه الثانى، ثم تقدّم بها و هو على فرسه، فجعل يقاتل و يرتجز، فاحسّ بالجوع أثناء القتال، و ألحّ عليه، فاتاه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه و يشدّ به صلبه، فلم يأكل منه شيئا حتى سمع صوت هجوم العدوّ، فالقى الطعام من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.

(۱)

حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة:

و هنا بدأت حيرة المقاتلين المسلمين، فقد قتل القائد الأعلى للجيش و معاوناه و على الترتيب الذى ذكر.

و لكن النبى صلّى اللّه عليه و آله كان قد تحسّب لهذه الحالة، و ترك أمر اختيار القائد فى مثل هذا الوضع إلى الجنود انفسهم، فأخذ الراية «ثابت بن أقرم» و قال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح على «خالد بن

الوليد» الذى كان حديث عهد بالاسلام آنذاك.

و لقد كانت الساعة التى انيط فيها القيادة الى خالد ساعة خطيرة و حساسة جدا، حيث قد تغلّب الخوف و الرعب على المسلمين كافة. فعمد القائد الجديد إلى استخدام تكتيك عسكرى لم يعرف له مثيل، فقد

---

(۱) المغازى: ج ۲ ص ۷۶۱. و قد اثابه اللّه بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما فى الجنة و سمى فى ما بعد بجعفر الطيار، راجع السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۷۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۴۸

امر بالعسكر إذا جنّ الليل أن يحدث بعض التغييرات فى صفوفه من دون ضجيج فتنتقل الميسرة الى الميمنة، و الميمنة الى الميسرة، و تتأخر المقدمة الى مكان القلب، و يتقدم القلب الى موضع المقدمة. ففعل المسلمون ذلك، و استمرّت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.

(۱) كما أنه امر جماعة من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلاء و يذهبوا إلى مكان بعيد فاذا اسفر الصبح التحقوا بالمسلمين سريعا و هم يكبّرون حتى يظن العدوّ وصول امدادات عسكرية بشرية جديدة الى المقاتلين المسلمين و قد تسبب هذا التكتيك بنفسه فى أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمة المسلمين و استئصالهم، بعد ان قتل خيرة قادتهم.

فلما كان الصبح و رأى العدو وجوها جديدة، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعة عسكرية جديدة قالوا: قد جاءهم مدد. فرعبوا و انهزموا فقاتلهم المسلمون، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة، و قتل فى هذا الاثناء أحد الجنود المسلمين.

ثم ساد الموقف صمت رهيب، فاستفاد من هذا الصمت و الأمن الذى كان يخيم على الجيش فرجعوا من حيث اتوا.

إن اكبر انتصار للمسلمين هو ان قوة قليلة محدودة واجهت جيشا عظيما منظما ثلاثة أيام، و بالتالى نجوا بأنفسهم، و كان تدبير الامر الجديد تدبيرا حكيما خلّص المسلمين من موت محتم، فعادوا سالمين إلى المدينة، و كان هذا ممّا يشكرون عليه، و يستحقون الثناء و الثناء «۱».

(۲)

الجنود يعودون الى المدينة:

و قبل ان يقدم جنود الاسلام من «مؤتة» المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء انسحابهم و انباء سيئة عن وضع الجيش، من هنا ذهب المسلمون الى

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۸۱ و ۳۸۸ و ۳۸۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۴۹

منطقة الجرف لاستقبالهم.

و مع ان عمل القائد الجديد كان تكتيكا حكيما الّا ان مثل هذا الصنيع حيث انه كان يتنافى مع ما حققه المسلمون من أمجاد مشرقة و تنافى مشاعرهم و بسالتهم الذاتية و الاصيلة لذلك استقبلوهم بشعارات نابية و انتقادات جارحة و القوا بالتراب و الحجارة فى وجوه المقاتلين العائدين، و قالوا: يا فرّار، فررتم فى سبيل اللّه؟

و قد كانت ردة فعل بعض المسلمين قويّة جدا الى درجة انه اضطر بعض الشخصيات التى شاركت فى تلك المعركة إلى ان يقعد فى بيته، و لا يظهر فى الملأ، فكان الناس- إذا خرجوا- يشيرون إليهم بالاصابع و يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟ «۱».

و لقد كانت ردة فعل المسلمين تجاه عملية انسحاب جنود الاسلام الزكية، كاشفة عن روح الشهامة و الجهاد التى أوجدها الايمان باللّه و الايمان بيوم القيامة فى نفوسهم بحيث صاروا يعدّون القتل و الشهادة فى سبيل اللّه، أفضل من الانسحاب و التأخر.

(۱)

اسطورة بدل التاريخ الصحيح:

حيث إن الامام على بن أبى طالب عليه السّلام قد اشتهر بين المسلمين بأسد اللّه، لذلك أراد البعض أن ينحتوا تجاه هذا القائد قائدا آخر، و يمنحونه لقب سيف اللّه، و لم يكن ذلك إلّا خالد بن الوليد من هنا قالوا ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لقب خالد بن الوليد بعد رجوعه من معركة «مؤتة» بسيف اللّه «۲»

و لو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله منح مثل هذا اللقب لخالد فى مناسبة

---

(۱) المغازى: ج ۲ ص ۷۶۵.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۸۲، السيرة الحلبية: ج ۲ ص ۷۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۰

اخرى لما كان للبحث و النقاش مجال.

(۱) و لكن الاوضاع بعد معركة «مؤتة» ما كانت توجب بل و لا تسمح بأن يعطيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مثل هذا اللقب، فهل من يرأس فريقا يسميه المسلمون الفرّار، و يحثون فى وجوههم التراب يحسن أن يعطى فى مثل هذه المناسبة لقب سيف اللّه؟ أجل؛ لو أنّ خالدا كان مظهرا لسيف اللّه فى غزوات و معارك اخرى امكن القبول بذلك، أما فى هذه العركة فلم يكن مظهرا لسيف اللّه، و لم يصدر منه بعد تقليده إمارة الجيش إلّا تكتيك نظامىّ حكيم، و لما وصف هو و من معه بالفراريون، خاصة ان ابن سعد يكتب قائلا: فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، و انكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين «۱».

إن مختلقى هذه الاسطورة أضافوا لتاكيد مطلبهم هذه الجملة أيضا: قال خالد: لقد اندق يومئذ (أى يوم مؤتة) فى يدى سبعة أسياف فما ثبت بيدى إلا صفيحة يمانية «۲».

ان مختلق هذه الكذبة غفل تماما عن أن خالدا و جنوده لو كانوا ابدوا فى هذه المعركة مثل هذه البسالة و لو انجزوا فى هذه الحرب مثل هذا العمل العظيم فلما ذا سمّاهم أهل المدينة بالفرّار؟ او لما ذا حثوا التراب فى وجوههم؟ و لما وقع الناس فى خالد بعينه «۳»، إذ كان من اللازم فى هذه الصورة أن يزرعوا طريقهم بالورود، و يقربوا بين أيديهم القرابين ابتهاجا بعودتهم الظافرة و اعجابا بعملهم الجبار!!

(۲)

النبىّ يبكى بشدة لمقتل جعفر:

لقد بكى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مقتل ابن عمه «جعفر» بشدة

---

(۱) الطبقات: ج ۲ ص ۱۲۹، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۴۹.

(۲) اسد الغابة: ج ۲ ص ۹۴.

(۳) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۶۸ و غيره.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۵۱

و لكى تعرف زوجته اسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها، فقال لاسماء:

ايتينى ببنى جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمّهم و شمهم، ثم ذرفت عيناه ثم بكى، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت و بكت ثم خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى اهله و قال:

«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما، فإنّهم قد شغلوا بأمر صاحبهم».

و كان كلما تذكر جعفرا و زيد بن حارثة بكى «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۵۴، المغازى: ج ۲ ص ۷۶۶ و السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۶۸، و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۵۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۵۲

(۱)

۴۸ غزوة ذات السلاسل

اشارة

منذ أن هاجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينة، و أصبحت «المدينة» مركز الإسلام و قاعدته، و موضع تمركز المسلمين و عاصمتهم، ظلّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يراقب أوضاع أعداء الاسلام، و يرصد تحركاتهم، و مؤامراتهم، و كان يولى مسألة تحصيل المعلومات المفصّلة عن المتآمرين من المشركين و غيرهم اهتماما كبيرا، و يعمد دائما إلى اختيار أفضل العناصر لإرسالهم- بمختلف الحجج- إلى نواحى مكة، و بثّهم فى القبائل المشركة المختلفة لتجسس أخبارهم، و التعرف على نواياهم، و تدابيرهم.

و لقد استطاع النبى صلّى اللّه عليه و آله بفضل الاطّلاع المبكّر و الدقيق على المؤامرات التى كانت تحاك ضدّه أن يفشّل الكثير من خططهم.

فقد كان صلّى اللّه عليه و آله يباغت العدوّ، و يحاصره قبل أن يتحرك من مكانه، عن طريق المجموعات العسكرية التى كان يقودها بنفسه، أو التى كان يؤمّر عليها أحد أركان جيشه و يوجّهها صوب مكان تجمع العدو، فيفرّقون جمعهم، و يشتتون شملهم، و يقضون على المؤامرة فى مهدها، و بهذا كان الكيان الاسلامى فى أمن من خطر الأعداء، و كان هذا العمل و هذا التدبير يجنّب الطرفين المزيد من إراقة الدماء، و إزهاق الأرواح.

(۲) إنّ الاطّلاع المبكّر على أسرار العدوّ العسكرية، و معرفة حجم طاقاته، و مبلغ استعداداته، و اكتشاف خططه، و تكتيكاته يعدّ من العوامل الجوهرية، و المؤثرة فى

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۵۳

الظفر و الانتصار.

فللدّول الكبرى اليوم أجهزة طويلة و عريضة، و تشكيلات واسعة، و معقّدة لإعداد و تخريج الجواسيس البارعين، و إرسالهم إلى النقاط و المراكز المطلوب اكتشاف أسرارها، و التعرف على أوضاعها و خصوصياتها، و ترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض «۱».

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أوّل من ابتكر فى تاريخ الاسلام هذا العمل فى صورته المنظّمة، و تبعه فى ذلك الخلفاء الذين جاءوا من بعده، و بخاصّة الامام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب الذى كان يستعين بجواسيس و عيون كثيرين فى مجالات مختلفة، عسكرية، و إدارية.

فكان عليه السّلام إذا نصب واليا على بلد، جعل عليه عينا يراقب أعماله و تصرّفاته، و يخبر الإمام بها أوّلا بأوّل، فكان الإمام يكتب إلى ذلك الوالى، و يوبّخه على تصرفاته و انحرافاته إن بلغه شىء من ذلك «۲».

(۱) و لقد كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى السنة الثانية ثمانية رجال من المهاجرين، بالتوجّه تحت إمرة «عبد اللّه بن جحش» إلى موضع معين، و النزول فيه، للتعرف على نشاطات قريش، و مؤامراتهم.

و قد كان عدم مفاجأة قريش للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى معركة «احد» و خروجه المبكّر من المدينة بقواه، و جنوده، و النزول فى منطقة مناسبة عسكريا خارجها، و حفره المبكّر أيضا للخندق المعروف فى شمال المدينة، و الذى منع العدو (جيش الأحزاب) من اقتحام المدينة المنوّرة، كل ذلك كان نابعا من معرفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المسبقة و الدقيقة بأسرار العدوّ، و نواياه،

---

(۱) راجع: كتاب: المخابرات و العالم و غيره.

(۲) راجع: نهج البلاغة قسم الرسائل و الكتب، رقم ۳۳ و ۴۵ و كتاب الغارات.

هذا و قد بحثنا موضوع الاستخبارات و التجسس فى النظام الاسلامى بصورة مسهبة فى كتابنا: معالم الحكومة الاسلامية، فراجع.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۴

و حجم قواته، و بالأرض، و ذلك عن طريق عيونه و جواسيسه الاذكياء اللبقين، اليقظين الذين كانوا يرصدون- بدقة و باستمرار- أوضاع العدوّ، و تحركاته، و ينقلون معلوماتهم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بذلك كانوا يقومون بواجبهم الدينى فى مجال الحفاظ على عقيدة التوحيد، و صيانتها من خطر السقوط.

(۱) إنّ هذا التدبير الذكىّ، و الطريقة الحكيمة التى ابتكرها و أخذ بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تعتبر أكبر درس للمسلمين اليوم، و دائما.

و لهذا يتوجب على قادة المسلمين المخلصين أن يعرفوا بكل ما يحاك- فى بلاد الاسلام او فى غيرها من بلاد العالم- من مؤامرات ضدّ المسلمين، و ما يدبّر من خطط لتقويض دعائم الاسلام، و يبادروا إلى إطفاء شرارات الفتن فى مهدها، و قبل اشتعالها، و أن يسلكوا نفس المسلك الذى سلكه رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله ليحصلوا على ذات النتيجة، و لا شك أنّ مثل هذا العمل لا يتيسّر من دون أجهزة مناسبة، و من دون تشكيلات خاصّة.

و لقد استطاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى غزوة «ذات السلاسل» الذى هو موضوع بحثنا الآن، أن يطفئ نار الفتنة عن طريق استخدام المعلومات الدقيقة التى حصل عليها عن العدوّ.

و لو أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أغلق على نفسه هذا الباب لتحمّل خسائر لا تجبر، و لتعرّضت الكثير من جهوده المباركة فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية لخطر الفشل و الإخفاق.

تفاصيل هذه الغزوة:

(۲) لقد أبلغ العيون و عناصر المخابرات الاسلامية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن آلافا من الناس قد تحالفوا و تعاقدوا فى ما بينهم فى منطقة تدعى ب: «وادى اليابس» على التوجّه إلى المدينة المنوّرة للقضاء على الاسلام بكل ما لديهم من قوة، فإمّا أن يقتلوا فى هذا السبيل، أو يقتلوا «محمّدا» أو فارسه البطل الفاتح

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۵

«على بن أبى طالب»!!

(۱) و يقول على بن إبراهيم فى تفسيره: «نزل جبرئيل على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بقصتهم، و ما تعاقدوا عليه و تواثقوا» «۱».

غير أنّ شيخ الشيعة و محققهم الكبير المرحوم «الشيخ المفيد» (المتوفى عام ۴۱۳ ه) يقول: بأنّ أعرابيا جاء إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و أخبره باجتماع قوم من العرب بوادى الرمل «۲» للتآمر عليه، و على الاسلام، (و اضاف) بأنهم يعملون على أن يبيّتوه بالمدينة «۳».

فرأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يطلع المسلمين على هذا الأمر، فأمر مؤذنه بان ينادى: الصلاة جامعة و هى جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة و استماع أمر مهمّ و ذى بال.

فعلا مؤذن النبى صلّى اللّه عليه و آله مكانا مرتفعا و نادى: الصلاة جامعة، فسارع المسلمون إلى الاجتماع فى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و آله ثم رقى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله المنبر و قال فى ما قال:

«أيّها الناس، إنّ هذا عدوّ اللّه و عدوّكم قد عمل على أن يبيّتكم فمن لهم؟».

(۲) فانتدب جماعة أنفسهم لهذا الأمر، و أمّر عليهم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أبا بكر، فتوجه أبو بكر بتلك المجموعة إلى قبيلة «بنى سليم»، و لما سار بهم مسافة واجه أرضا خشنة و كانت قبيلة «بنى سليم» تسكن فى شعب واسع، فلمّا أراد المقاتلون المسلمون ان ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنو سليم و قاوموهم، فلم ير قائد المجموعة بدّا من الانسحاب بمجموعته و الرجوع بهم من حيث أتى!!

---

(۱) تفسير على بن ابراهيم: ج ۲ ص ۳۳۴ سورة العاديات.

(۲) يحتمل أن يكون وادى الرمل هو وادى اليابس نفسه. و ذلك للمناسبة بين الوصفين.

(۳) الارشاد: ص ۸۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۶

(۱) يقول على بن إبراهيم فى تفسيره: قالوا (أى بنى سليم لابى بكر): ما أقدمك علينا؟

قال: أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن أعرض عليكم الاسلام فان تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم ما لهم، و عليكم ما عليهم، و إلّا فالحرب بيننا و بينكم.

فهدّده زعماء تلك القبيلة- و هم يباهون بكثرة رجالهم و مقاتليهم- بقتله و قتل من معه، فارعب لتهديدهم و عاد بجماعته إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله رغم أن أفراده كانوا يصرّون على مقاتلة بنى سليم تنفيذا لأوامر النبى صلّى اللّه عليه و آله!!

و لقد أزعجت عودة الجيش الاسلامى بهذه الصورة المهينة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فأمر عمر بن الخطاب أن يتولى قيادة تلك المجموعة و يتوجه بها إلى «وادى اليابس»، ففعل عمر ذلك.

(۲) و لكن العدوّ كان قد ازداد- هذا المرة- يقظة و تحسبا فكمن عناصره عند فم الوادى، و اختبئوا وراء الاحجار و الاشجار بحيث يرون المسلمين، و لا يراهم من المسلمين أحد.

و لهذا خرجوا على المسلمين بغتة عند ما حلّ الجيش الاسلامى بذلك الوادى، و قابلوهم ببسالة و شجاعة، فأمر قائد المجموعة الاسلامية أفراده بالانسحاب، و عاد بهم إلى المدينة مهزوما مذعورا كسابقه، فلقى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما لقيه صاحبه من قبل من الاستياء، و الكراهية.

(۳) و هنا قال عمرو بن العاص و كان من دهاة العرب و ساسته الماكرين، و قد كان يومئذ قريب عهد بالاسلام: ابعثنى يا رسول اللّه

إليهم، فإن الحرب خدعة، فلعلّى أخدعهم!

فانفذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع جماعة و وصّاه فلما صار إلى الوادى خرج إليه بنو سليم فهزموه، و قتلوا من أصحابه جماعة!

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۷

(۱)

الامام علىّ ينتدب لقيادة العملية:

اشارة

هـذه الهزائم المتلاحقـة أزعجت المسـلمين و أحزنتهم بشدة فعمد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله إلى تنظيم مجموعة جديدة و اختار لقيادتها «علىّ بن أبى طالب»، و أعطاه راية.

و طلب علىّ عليه السّـلام من زوجته «فاطمـة» بنت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أن تأتى له بالعصابة التى كان يشدّها على جبينه فى اللحظـات الصـعبة، فتعصّب بهـا، فحزنت «فاطمـة» لمنظر زوجها و هو يتوجه بمثل هـذه الصورة إلى «وادى اليابس» للقيام بأمر خطير، و بكت إشفاقا عليه، فسلّاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هدّأها، و مسح الدموع عن عينيها «۱».

ثم انّه صـلّى اللّه عليه و آله شـيّع عليّا حتى بلغ معه مسـجد الأحزاب، و علىّ راكب على فرس أبلق، و قـد لبس بردين يمانيّين، و حمل رمحا هنديا بيده.

ثم توجّه علىّ عليه السّـلام بأفراده نحو الهدف، إلّا أنه سـلك طريقا غير الطريق المعروفة ليعمّى على العدوّ، حتى أن الذين خرجوا معه تصوّروا أنه يقصد العراق، و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى على عليه السّلام حينما وجّهه لهذه المهمة:

«أرسلته كرارا غير فرّار».

إن تخصـيص «علىّ» عليه السّـلام بهذه الجملة يكشف عن أن القادة الذين سـبقوه فى هذه الحادثة لم ينسحبوا فقط، بل كان انسحابهم مقرونا بالهزيمة القبيحة.

(۲)

عوامل انتصار الامام علىّ فى هذه الموقعة:

هذا و يمكن أن نلخّص عوامل انتصار الامام علىّ عليه السّلام فى هذه الموقعة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۸۱، الارشاد: ص ۸۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۸

فى ثلاثة امور اساسية هى:

(۱) ۱- أنه عليه السّـلام أخفى مسيره و وجهته على العدوّ، فلم يشـعر العدوّ بوجهته و مقصده، لأنّه غيّر مسـيره حتى لا يعرف العدو به بواسطة الأعراب من سكان البادية.

(۲) ۲- أنه عليه السّـلام اتّبع مبدءا هامّا من مبادئ العمل العسكرى، و استخدم تكتيكا مهمّا من التكتيكات الحربية و هو: مبدأ الكتمان

و التستّر، فقد كان عليه السّلام يسير بأفراده ليلا، و يكمن نهارا، يستريح خلاله.

و هكـذا حتى دنـا من ارض العـدوّ، و قبـل أن يصـل فم الوادى أمر جنوده بالنزول و الاستراحـة لاسـتعادة نشاطهم من جهـة، و لكى لا يحسّ العدو بمجيئهم من جهة اخرى.

و لهذا السبب الأخير نفسه أمر عليه السّلام جنوده بان يكمّوا أفواه خيولهم حتى لا يشعر العدوّ بوجودهم بصهيلها.

و عند الفجر صلّى «علىّ» عليه السّـلام بجنوده صـلاة الصـبح، ثم صعد بهم الجبل حتى وصل إلى القمة، ثم انحدر بهم- بسرعة فائقة- إلى الوادى حيث يسكن «بنو سليم» فاحـاطوا بهم و هم نيـام، فلم يسـتيقظوا إلّـا و قـد حاصـرهم المسـلمون، فاسـروا منهم فريقـا، و فرّ آخرون.

(۳) ۳- شـجاعة «علىّ» عليه السّـلام و بسالته النادرة فهو الـذى قتل الشـجعان الاربعـة المعروفين فى تلك الموقعـة فارعب العدو إرعابا شديدا فقد معه القدرة على المقاومة فى وجه علىّ عليه السّلام ففرّ تاركا وراءه شيئا كثيرا من الغنائم «۱».

و لقد عاد بطل الاسـلام الظافر إلى المدينة بفتح لا سابق له، فخرج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى جماعة من أصحابه لاستقباله، و استقبال من معه من جنود الاسلام.

---

(۱) تفسير فرات الكوفى: ص ۲۲۲- ۲۲۶، مجمع البيان: ج ۱۰ ص ۵۳۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۵۹

و مـا أن وقعت عينا القائـد الفاتـح على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حتى ترجّل من فرسه فورا، فقال له رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و هو يربت على كتفه:

«اركب فانّ اللّه و رسوله عنك راضيان».

(۱) و فى هذه اللحظة بالذات اغرورقت عينا «علىّ» عليه السّـلام بالدموع اسـتبشارا فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى شأن «علىّ» عليه السّلام قولته المعروفة:

«يا علىّ لو لا أنّى اشـفق أن تقول فيك طوائف من امتى ما قالت النصارى فى المسيـح لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بملإ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك» «۱».

و لقـد بلغت تضـحية «علىّ» عليه السّـلام و بسـالته، و شـجاعته فى هـذه الواقعـة من الأهميـة بحيث نزلت فيهـا سـورة كاملـة هى سـورة العاديات التى يقول سبحانه فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَ الْعادِياتِ ضَبْحاً فَالْمُورِياتِ قَدْحاً فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً».

إن القسم بخيول الغزاة المغيرين صبحا، و المشعلين بحوافرها شرارات الفتح و الانتصار.

إنّ هذا القسم الحماسىّ الجميل لهو تكريم رائع لبطولات جنود الاسلام فى هذه العملية الظافرة، و اكبار بروحهم القتالية العالية. (۲)

اعتراض و جواب

هذا و لقد اعترض بعض الملحدين ذات مرّة على هذا النوع من الأيمان

---

(۱) الارشاد: ص ۸۴- ۸۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۰

و الأقسام فی القرآن الکریم و قال ساخرا: و ما ذا یعنی القسم بالخیول الضابحة، العادیة، و الشرارات المنقدحة من حوافرها؟!

و لقد غاب عن هذا الملحد أن القسم بخیول الغزاة المجاهدین أو القسم بالشرارات المنقدحة من حوافرها بسبب احتکاکها بالصخور فی أرض المعرکة إنما إشعار بأهمیة الجهاد ضدّ الظالمین أعداء البشریة.

(۱) إنّ مثل هؤلاء الجنود البواسل لیسوا وحدهم الذین یحظون- فی نظر الاسلام- بمنزلة رفیعة و مکانة عالیة، بل خیولهم التی تحملهم فی هذا الجهاد المقدّس، و کذا الشرارات التی تنقدح من حوافرها تحظی بالقداسة و الأهمیة أیضا.

و أیة قیمة- تری- أعلی من محاربة الظالمین الجائرین، و انقاذ البشریة من براثن ظلمهم و جورهم، و من حیفهم و عسفهم؟؟

إنّ مثل هؤلاء و ما یمکّنهم من أهدافهم من الأدوات، و الوسائل مقدّسون جمیعا، لأنهم یحررون- بجهادهم- الانسان من قیود الطغاة، الظالمین، و یمهّدون لحاکمیة اللّه فی الأرض، و ای هدف أعلی و اعظم قدسیة من هذا الهدف؟

و لقد دعا القرآن الکریم المؤمنین- من خلال تقدیس خیول المجاهدین و ضبحهم و عدوهم و شرارات حوافرهم- إلی العنایة بالجهاد دائما، و إلی تجمیع قواهم، و الاستعداد لکسر القیود التی ترزح علی أیدی البشریة و أرجلها و عقولها، و الی تحطیم القلاع التی ضربها الطغاة علی الشعوب المغلوب علی أمرها.

أجل؛ إن فرق التحریر و الجهاد الاسلامیة لا- تستحق وحدها التقدیس و الاکبار بل تستحق خیولها و مراکبها، و شرارات حوافرها التقدیس کذلک.

و لقد استبدلت تلک الخیول هذا الیوم بالدبّابات و الطائرات فهی مقدسة أیضا، کما کانت خیول الغزاة و المجاهدین فی عصر الرسالة، کما و أن أزیر محرکاتها، هو الآخر یحظی بالتقدیس کما کانت أنفاس الخیول تحظی بالتقدیس فی عصر الرسالة لأنها تحقق ذات الهدف، و نفس الغایة المقدسة و هی: تحریر الانسان من براثن الظلم و الطغیان.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۱

(۱) هذا هو ملخص غزوة «ذات السلاسل» التی سجّلها و ضبطها مفسّرو الشیعة، و مؤرّخوهم، و رووها بإسناد صحیحة.

غیر أن مؤرّخی أهل السنة کالطبری «۱» روی هذه الواقعة بنحو آخر یختلف عما ذکرناه هنا، اختلافا شاسعا.

و لا یبعد أن یکون «ذات السلاسل» اسما لغزوتین نقل کل واحد من الفریقین: «السنّة و الشیعة» واحدة منها، و اعرض عن ذکر الاخری لأسباب خاصة.

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۳۱۵، السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۱۹۰ و ۱۹۱، و المغازی: ج ۲ ص ۷۶۹- ۷۷۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۲

(۱)

۴۹ فتح مکّة

اشارة

قصة «فتح مکّة» من قضایا التاریخ الاسلامی الجدیرة بالمطالعة و التأمل، لما تنطوی علیه هذه الحادثة من دروس و عبر، و لکونها تعکس- بصدق و جلاء- أهداف رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله المقدّسة، کما تکشف عن أخلاقه العالیة، و سیرته الحسنة، و اسلوبه الانسانی مع الصدیق، و العدوّ.

ففی هذا الفصل من التاریخ یتجلّی ما کان یتحلی به خاتم الأنبیاء صلّی اللّه علیه و آله من صدق و وفاء، کما یتبیّن صدق أصحابه، و وفاؤهم، و احترامهم لکلّ ما تعهدوا، و التزموا به للخصم فی معاهدهٔ «صلح الحدیبیهٔ»، بینما یتضح من جانب آخر نفاق المشرکین من قریش، و خیانتهم فی تنفیذ بنود اتفاقیهٔ الصلح، و بالتالی نقضهم للعهد و بالتالی عدم احترامهم لأیّ شیء من الالتزامات!!

(۲) إنّ دراسهٔ هذا الفصل تثبت لنا حنکهٔ النبی، و حسن تدبیره، و سیاسته الحکیمهٔ فی فتح أصعب و آخر قلعهٔ من قلاع العدوّ الکافر، المتصلب فی شرکه، و کفره، و المتمادی فی عناده و تعسّفه، و کأنّ هذا الرجل الالهیّ قد أمضی شطرا من حیاته فی إحدی المعاهد العسکریهٔ العلیا، فهو یخطط افضل من أی قائد محنّک قدیر، للفتح، و یکون تخطیطه من الدقهٔ و المتانهٔ، و العمق و الحکمهٔ، بحیث یصیب المسلمین فتحا عظیما بأقلّ قدر من المتاعب و المشاکل.

و بالتالی یتجلی فی هذا القسم من التاریخ الاسلامی الوجه الانسانیّ الرحیم الذی کان یتسم به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الذی کان یحرص علی دماء

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۳

أعداء الرسالهٔ الالداء، و أموالهم، و یسعی إلی حفظها و صیانتها، کما لو کانوا أصدقاء لا أعداء.

فهو یعفو بمروءهٔ کبیرهٔ، و بعد مدی واسع، و رؤیهٔ مستقبلیّهٔ عمیقهٔ عن قریش، و یغفر لهم جرائمهم و أذاهم و یصدر عفوا عامّا لم یعرف له تاریخ الفاتحین نظیرا فی أسبابه، و علله، و فی ظروفه و ملابساته.

و إلیک تفاصیل هذه الحادثهٔ الکبری من بدایتها إلی نهایتها.

تفاصیل فتح مکّهٔ:

(۱) لقد قرأنا فی ما مضی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عقد فی السنهٔ السادسهٔ معاهدهٔ صلح مع قریش، نصّت المادهٔ الثالثهٔ منها علی: أنّ لکل من قریش و المسلمین أن یتحالفوا مع من شاءوا من القبائل، فتحالفت «خزاعهٔ» مع المسلمین، و تعهّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لخزاعهٔ فی هذا التحالف بان یدافع عن أرضهم و أموالهم و أنفسهم کلما تعرّضوا لخطر، و طلبوا ذلک.

و تحالفت قبیلهٔ «بنی کنانهٔ»- و کانوا من أعداء خزاعهٔ التقلیدیین- مع قریش.

و لقد تم کل هذا فی ضوء عقد معاهدهٔ صلح مدتها عشر سنوات تعهّد فیها الطرفان بالحفاظ علی الأمن الاجتماعی، و السلام الشامل فی کافهٔ أرجاء الجزیرهٔ العربیهٔ.

و لقد تعهّد الطرفان- فی هذه المعاهدهٔ- بأن لا یقوم أی واحد منهما بعملیات عسکریهٔ و تحرکات عدائیهٔ، لا ضدّ الآخر، و لا ضدّ حلیف الطرف الآخر، کما لا یحرّک حلیفه ضد حلیف الطرف الآخر.

و لقد انقضت سنتان من تاریخ التوقیع علی هذه المعاهدهٔ، و عاش الجانبان فی هذه الفترهٔ فی سلام و رفاه، و أمن و استقرار إلی درجهٔ أنّ المسلمین استطاعوا- بعد مضیّ سنهٔ واحدهٔ من التوقیع علی تلک المعاهدهٔ، أن یزوروا- بکامل

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۴

حریتهم- بیت اللّه الحرام، فی مکهٔ المکرمهٔ، و یؤدوا مناسک العمرهٔ أمام عیون الآلاف من أعدائهم الوثنیین و هی العمرهٔ التی سمیّت بعدئذ بعمرهٔ القضاء کما عرفت.

(۱) و لقد بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی شهر جمادی الاولی من السنهٔ الثامنهٔ للهجرهٔ کتیبهٔ قوامها ثلاثهٔ آلاف مقاتل بقیادهٔ ثلاثهٔ فرسان من أرکان جیشه، إلی تخوم الشام و حدودها، لمعاقبهٔ و تأدیب المتمردین و الجناهٔ من ولاهٔ الروم و عمّالهم فیها، و بالضبط أولئک الذین قتلوا دعاهٔ الاسلام- الذین ابتعثهم صلّی اللّه علیه و آله للدعوهٔ و التبلیغ- من دون ذنب أو جرم.

و الجیش الاسلامی و إن استطاع أن ینجو بنفسه من هذه المعرکهٔ، و یخرج منها بسلام، من دون أن تکلّفه تلک المواجههٔ خسائر

کبری فی الأرواح سوی ثلاثـة هم قادة الجیش- علی ما مر فی قصـة غزوة مؤتـة- إلّا أنه ما عاد بانتصار باهر کان یأمله جنود الاسـلام المجاهدون، بل کانت العملیة فی هذه المعرکة اشبه ما تکون بعملیة الکرّ و الفرّ.

و قـد أوجب انتشـار هـذا النبـأ جرأة سـادة قریش و سـراتها، فقـد تصوروا أن المسـلمین تضاءلت فیهم (أو انعـدمت) روح الفروسـیة و الاقدام، و روح الشجاعة و البسالة.

(۲) من هنا قرّرت قریش أن تخلّ بالأمن و الهـدوء اللّـذین اسـتتبّا بعـد اتّفاقیـة الحدیبیة، فبادرت- أوّلا- إلی توزیع الاسـلحة علی قبیلة «بنی بکر» من کنانـة، و إلی تحریضـهم علی أن یبیّتوا «خزاعـة» المتحـالفین مع المسـلمین، فیغیروا علیهم لیلا، و یقتلوا فریقا، و یأسـروا آخرین!!

بل لم تکتف قریش بهـذا، إنما اشترک جماعـة من رجالها فی هذا العمل الغادر بصورة مباشـرة، و بذلک نقضوا عهدهم الذی أعطوه فی الحدیبیة، و أخلّوا عملیا بالأمن و السـلام، و أحلّوا الفوضی و القتال، مکان الاستقرار و الهدوء اللذین سادا الجزیرة خلال عامین فی أعقاب عقد معاهدة الحدیبیة!

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۵

(۱) أجل، لقـد حملت «بنو بکر» و من ساعـدهم من رجال قریش بتحریک من زعامـة مکـة علی «خزاعة» لیلا، و کان بعضـهم نیاما، و البعض الآخر یتهجـد و یعبـد اللّه لیلا، فقتلوا من خزاعـة جماعـة، و أسـروا آخرین، و غادر- منهم- فریق منازلهم تحت جنح الظلام، و لجئوا إلی مکة التی کانت للعرب یومئذ منطقة أمن لا یجیزون الاعتداء فیها علی لاجئ إلیها، و دخل الذین لجئوا إلی الحرم دار «بدیل بن ورقاء» «۱» و شکوا إلیه ما حلّ بهم علی ایدی رجال قریش، و حلفائهم من بنی کنانة لیلا، من قتل و أسر و تشرید!!

(۲) کما وعد المظلومون من خزاعة إبلاغ مظلمتهم إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فارسلوا رئیسهم: «عمرو بن سالم» فقدم المدینة علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فوقف علیه و هو صـلّی اللّه علیه و آله جـالس فی المسـجد بین ظهرانیی الناس، و أخبره بما لحق بحلفائه من خزاعة علی أیدی بنی بکر من کنانة بتحریک و تحریض من قریش، و أنشد أبیاتا یستغیث فیها برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اذ قال:

یا ربّ إنی ناشد محمّداحلف أبینا و أبیه الا تلدا

فانصر هداک اللّه نصرا أعتداو ادع عباد اللّه یأتوا مددا

فیهم رسول اللّه قد تجرداإن سیم خسفا وجهه تربّدا

فی فیلق کالبحر یجری مزبداإنّ قریشا اخلفوک الموعدا

و نقضوا میثاقک المؤکّداو جعلوا لی فی کداء رصدا

هم بیتونا بالوتیر هجّداو قتلونا رکّعا و سـجّدا و قد کان «ابن سالم» یعید البیت الأخیر و یکرّره إثارة لمشاعر المسـلمین، و یکرّر عبارة: قتلنا و قد أسلمنا.

---

(۱) کـان بـدیل من شخصـیات «خزاعـة» من ذوی السن و الشـرف فیهم، و کـان یعیش فی مکـة، و کان له من العمر آنـذاک ۹۷ عاما (أمالی الطوسی: ص ۲۳۹).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۶

(۱) فانزعج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من قریش لغدرها و نقضها للعهد، و وعد «خزاعة» بالنصرة، و قال:

«نصرت یا عمرو بن سالم».

و قد أفاض هذا الوعد القاطع و القوی حالة من الطمأنینة علی قلب مبعوث خزاعة: «عمرو بن سالم» اذ قد تیقّن أن رسول اللّه صلّی اللّه

علیه و آله سینتقم لخزاعة ممن غدروا بها و بیتوها، و فتکوا بأبنائها، و بخاصة من قریش التی حرّضت بنی بکر علی خزاعة، و اشعلت شرارة هذه الفتنة، و بالتالی کانت السبب الحقیقی وراء هذه الجریمة النکراء، و لکن ابن سالم ما کان یظن أن هذه المسألة ستنتهی بفتح مکة، و تقویض دعائم الحکومة الوثنیة الجاهلیة، و القضاء علیها إلی الأبد!!

و لم یلبث أن قدم المدینة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «بدیل بن ورقاء» فی جماعة من «خزاعة»، و أخبروه بما فعلته قریش و بنو بکر من قتل فتیان خزاعة، ثم عادوا قافلین إلی مکة.

(۲)

قریش تتوجس خیفة من ردّ النبیّ:

ندمت قریش بشدّة علی ما صنعت من تألیب بنی بکر علی خزاعة و مساعدتهم العملیة فی العدوان علی الأخیرة، و أدرکت للتوّ، بأنّ هذا الذی صنعته هو نقض للمدّة و العهد الذی بینهم و بین رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لن یدع هذه الجریمة النکراء تمرّدون ردّ قاطع و حاسم، و لهذا بادرت إلی إیفاد زعیمها «أبی سفیان بن حرب بن أمیّة» إلی المدینة المنورة لتطییب خاطر النبی صلّی اللّه علیه و آله، و تسکین غضبه و تاکید احترام قریش لمعاهدة الصلح.

فتوجّه أبو سفیان إلی المدینة، و التقی فی «عسفان» بدیل بن ورقاء الخزاعیّ و هو عائد من المدینة، فسأله: هل کان فی المدینة؟ و هل أخبر محمّدا بما أصاب

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۷

خزاعة؟

فقال بدیل: لا، و لکنی سرت فی بلاد کعب و خزاعة فی قتیل کان بینهم، فأصلحت بینهم.

قال هذا، و واصل سیره باتجاه مکة.

(۱) و لکن أبا سفیان عمد- لمعرفة ما إذا کان بدیل عائدا من المدینة أولا- إلی أبعاد لإبل «بدیل» و جماعته، ففتّها فوجد فیها نوی من تمر المدینة فایقن بأن القوم کانوا فی المدینة و أنهم جاءوا محمّدا، و أخبروه بما جری.

قدم أبو سفیان المدینة فدخل علی ابنته «أم حبیبة» زوجة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فلما أراد أن یجلس علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طوته أم حبیبة عنه، فقال: یا بنیّة ما أدری أرغبت بی عن هذا الفراش، أم رغبت به عنّی؟!

قالت: بل هو فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنت رجل مشرک نجس، و لم أحبّ أن تجلس علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و فی امتاع الاسماع أن ابا سفیان لما دخل علی ابنته أم حبیبة ذهب لیجلس علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فطوته دونه و قالت: أنت امرؤ نجس مشرک!

فقال: یا بنیّة! لقد أصابک بعدی شرّ.

قالت: هدانی اللّه للاسلام، و أنت یا أبتی سید قریش و کبیرها، کیف یسقط عنک دخولک فی الاسلام و أنت تعبد حجرا لا یسمع و لا یبصر!!

قال: یا عجباه! و هذا منک أیضا! أ أترک ما کان یعبد آبائی، و اتّبع دین محمّد!؟

(۲) أجل هذا هو منطق ابنة رجل حاک مؤامرات عدیدة و قاد جیوشا ضد الاسلام طیلة عشرین عاما تقریبا، و کانت تربطه بام حبیبة رابطة الابوة و البنوة الوثیقة، و لکن حیث إن تلک المرأة ترعرعت فی مهد الاسلام، و نشأت فی مدرسة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۸

التوحید حصل لها مشاعر دینیة قویة جدا حتی أنها رجحت المشاعر الدینیة علی المشاعر العاطفیة الشخصیة مقاومة فی هذا السبیل رغباتها الذاتیة، و میولها الشخصیة.

(۱) لقد أنزعج أبو سفیان من سلوک ابنته التی کان یتصور أنها ملجئوها و ملاذها الوحید فی المدینة، فخرج من منزلها فورا، حتی أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فکلّمه حول تجدید العهد، و استمراره، فلم یرد علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کنایة عن عدم اعتنائه به.

فذهب إلی بعض أصحابه صلّی اللّه علیه و آله یطلب منهم ان یشفعوا له عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أن یقنعوه بتجدید میثاق الصلح، و لکن دون جدوی.

و أخیرا دخل علی «علی بن أبی طالب» و عنده فاطمة الزهراء علیها السّلام و الحسن و الحسین و هما آنذاک غلامان یدبّان بین أیدیهما فقال: یا علی، أنک أمسّ القوم فیّ رحما، و إنی جئت فی حاجة فلا أرجعنّ کما جئت خائبا فاشفع لی إلی رسول اللّه.

فقال علیّ علیه السّلام: ویحک یا أبا سفیان، و اللّه لقد عزم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی أمر ما نستطیع أن نکلّمه فیه.

فالتفت إلی فاطمة- و هو یحاول إثارتها عاطفیّا- فقال: یا ابنة محمّد هل لک أن تأمری بنیّک هذا فیجیر بین الناس فیکون سید العرب إلی آخر الدهر؟

(۲) و لما کانت فاطمة (علیها السّلام) تعرف بنوایا أبی سفیان الشریرة لذلک قالت: ذلک إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّهما صبیان و لیس مثلهما یجیر «۱».

فقال أبو سفیان: یا أبا الحسن إنی أری الامور قد اشتدت علیّ، فانصحنی.

فقال علی علیه السّلام: ما أجد لک شیئا أمثل من أن تقوم فتجیر بین

---

(۱) امتاع الأسماع: ج ۱ ص ۳۵۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۶۹

الناس (أی تعطی الأمان للمسلمین) ثم الحق بأرضک.

(۱) فقال أبو سفیان: أ و تری ذلک مغنیا عنّی شیئا؟ قال: لا و اللّه، ما أظنّه، و لکنی لا أجد لک غیر هذا.

فقام أبو سفیان فی المسجد، و کان یثق بصدق علیّ فی نصیحته، فقال: أیها الناس؛ إنی قد أجرت بین الناس.

ثم رکب بعیره، و أنطلق راجعا إلی مکّة، و أخبر سادة قریش بما صنع، و ذکر نصیحة «علیّ» إیاه، فقال: إنّ علیّا نصحنی أن اجیر الناس، فنادیت بالجوار.

فقالوا: فهل أجاز ذلک محمّد؟

قال: لا.

قالوا: ویلک و اللّه ما زاد الرجل (و یقصدون علیّا) علی أن لعب بک، فما یغنی عنک ما قلت، لأن النبی لم یجز أمانه، و ما لا یجیزه الطرفان لا قیمة له فی میزان العهود.

ثم إنّ سادة قریش عقدوا مجلسا من فورهم للتشاور فی ما یطفئ غضب المسلمین، و یثنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن عزمه «۱».

(۲)

جاسوس یکتشف!

إنّ تاریخ رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله یکشف عن انه صلّی اللّه علیه و آله کان یسعی دائما الی أن یقنع العدوّ بالحق، و یجعله یستسلم لمنطق الدین، و لم یکن یهدف قط الانتقام من العدوّ و أبادته.

ففی الکثیر من الغزوات و المعارک التی شارک فیها صلّی اللّه علیه و آله بنفسه أو السرایا التی بعثها کان الهدف الأساسی هو القضاء علی مؤامرة العدو، و إفشالها، و تشتیت شمله، و تفریق اجتماعه قبل ان یقوم بعمل یضر بالاسلام

---

(۱) الغازی: ج ۲ ص ۷۸۰- ۷۹۴، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۳۸۹- ۳۹۷، بحار الأنوار: ج ۲۱، ص ۱۰۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۷۰

و المسلمین، فقد کان النبی صلّی اللّه علیه و آله یعرف جیدا أنه لو ازیلت الموانع و رفعت عن طریق الدعوة الاسلامیة لترک منطق الدین الحنیف أثره فی المجتمع الحرّ، و کان یعلم بأن الذین یعقدون الاجتماعات، و یقیمون التحالفات النظامیة لیحولوا دون تقدم الاسلام، و انتشاره، لو جرّدوا من أسلحتهم، و انهیت حالة الحرب بینهم و بین الاسلام، و ترکوا فکرة التغلب علی الاسلام عن طریق القوة العسکریة، و سمعوا منطق الاسلام فی جوّ بعید عن صخب القتال، لانجذبوا إلی عقیدة التوحید بدافع الفطرة و هدایتها، و لاستجابوا لنداء الضمیر، و صاروا من أنصار الاسلام، و مؤیدیه المخلصین الأوفیاء.

(۱) و لهذا السبب کانت الجماعات و الاقوام التی یتغلب علیهم جنود الاسلام، ثم یتسنی لهم مناخ التفکیر الحرّ فی العقیدة و التعالیم الاسلامیة السامیة فی جوّ بعید عن الضوضاء و الصخب، تنجذب إلی الاسلام، و ترغب فیه، و تعتنق بل تشمّر عن ساعد الجدّ لنشر العقیدة الاسلامیة التوحیدیة.

و قد تجلّت هذه الحقیقة فی موضوعنا الراهن و هو فتح مکة بصورة أکمل و أقوی، فقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یدرک جیّدا لو أنّه فتحت مکة، و جرّد العدوّ من السلاح و وفرت أجواء حرة آمنة بعیدة عن الکبت و الاضطهاد فانه لم یلبث أن یصبح هذا الفریق المعادی و المناهض للاسلام بشدة، من أنصار هذا الدین، و من المجاهدین الصادقین، الساعین فی نشره.

و لهذا یجب التغلب علی هذا العدوّ، و کسر شوکته، و لکن یجب عدم إفنائه و إبادته، بل ینبغی تجنب إراقة الدماء، و ازهاق الارواح ما أمکن.

(۲) و لأجل الوصول إلی هذه الغایة المقدسة (الغلبة علی العدوّ من دون إراقة الدماء) استخدم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اسلوب مباغتة العدوّ.

فقبل أن یفکّر العدوّ فی الدفاع عن نفسه، و یجمع قواه، و یستعدّ للمواجهة، کان النبی صلّی اللّه علیه و آله یحاصر العدوّ فی أرضه، و یجرّده من سلاحه، و یجهض محاولته، و مؤامرته.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۷۱

(۱) علی أنّ مبدأ «مباغتة العدو» إنما یمکن الاستفادة منه إذا بقیت جمیع الاسرار العسکریة للجانب المباغت طی الکتمان، و تمت الترتیبات اللازمة فی سریة کاملة، بحیث لم یعرف بها العدوّ، بل لا یعرف العدو أساسا هل ینوی النبی صلّی اللّه علیه و آله الهجوم علیه، أو لا، و علی فرض أنه ینوی ذلک لا یخبر أحدا شیئا عن موعد تحرک الجیش الاسلامی، و وجهته، إذ فی غیر هذه الصورة لا یمکن الاستفادة من مبدأ «مباغتة العدو».

و لقد أعلن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن التعبئة العامة لفتح مکة، و تحطیم أقوی قلعة من قلاع الوثنیة و ازالة حکومة قریش الظالمة التی کانت تمثّل أقوی مانع فی طریق تقدم الدعوة الاسلامیة، و انتشارها و توسعها، و قد طلب من اللّه سبحانه فی دعائه أن یعمّی علی عیون قریش و جواسیسهم فلا یعرفوا بشیء عن حرکة المسلمین و مقصدهم اذ قال:

«اللّهم خذ العیون و الأخبار من قریش حتی نباغتها فی بلادها».

أو قال:

«اللّهم خذ على قريش أبصارهم، فلا يرونى إلّا بغتة، و لا يسمعون بى إلّا فجأة» «۱».

(۲) فاجتمع فى مطلع شهر رمضان ناس كثيرون من مختلف المناطق خارج المدينة، و داخلها.

و يذكر المؤرخون جدولا تفصيليا بالطوائف و القبائل التى شاركت فى هذا الفتح العظيم، و إليك ما ذكروه:

المهاجرون: سبعمائة مع ثلاثمائة من الخيل و ثلاثة ألوية.

الأنصار: أربعة آلاف مع سبعمائة من الخيل، و ألوية كثيرة.

قبيلة مزينة: ألف مع مائة فرس، و مائة درع، و لواءان.

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۹۷، المغازى: ج ۲ ص ۷۹۶.

قبيلة جهينة: ثمانمائة مع خمسين فرسا، و أربعة ألوية.

قبيلة بنى كعب: خمسمائة مع ثلاثة ألوية.

و كان بقية الجيش من قبائل غفار، و اشجع، و بنى سليم «۱».

(۱) و يقول ابن هشام: كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بنى سليم سبع مائة، و يقول بعضهم: ألف، و من بنى غفار أربع مائة، و من أسلم أربع مائة، و من مزينة ألف و ثلاثة مائة نفر، و سائرهم من قريش، و الأنصار و حلفاءهم و طوائف العرب من تميم، و قيس و أسد «۲».

و لتحقيق مبدأ المباغتة و الكتمان وضعت جميع الطرق المؤدية إلى مكة تحت المراقبة الشديدة من قبل عناصر الحكومة الاسلامية، كما روقب بشدة تردّد المارة و المسافرين بواسطة الحرس «۳».

و بينما كان جيش الاسلام يتهيأ للتحرك باتجاه مكة، نزل جبرئيل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بأنّ أحد البسطاء من المسلمين أقدم على إرسال كتاب إلى قريش، يخبرهم فيه بتوجّه النبى و أصحابه إلى مكة، و أنّه أعطى ذلك الكتاب إلى امرأة تدعى «سارة»- و كانت مغنية من مغنيات مكة- لتوصله إلى مكة لقاء مال تقبضه.

(۲) و لقد كانت «سارة»- كما أسلفنا- مغنية بمكة، تغنّى لأهل مكة، و ربما شاركت فى مجالس العزاء فى قريش أيضا، و قد تعطّل عملها بعد معركة «بدر»، و مقتل جماعة من رجال قريش، و دخول الحزن فى كل بيوت مكة، فلم تعد تستطيع أن تغنّى و تطرب، من ناحية، و من ناحية اخرى كان أبو سفيان قد أمر الناس بأن لا يبكوا، و لا يقيموا المآتم و المناحات على قتلى بدر حتى لا يذهب

(۱) المغازى: ج ۲ ص ۸۰۰، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۶۴.

(۲) السيرة النبوية: ج ۴ ص ۶۳.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۳۰. و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۶۱.

غيضهم على «محمّد» صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه الذين قتلوا رجالا من قريش فى بدر.

(۱) من هنا تركت «سارة» مكة بعد عامين و قدمت المدينة، و عند ما عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمجيئها إلى المدينة سألها: هل أسلمت؟ فقالت:

لا- فقال لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و لما أتيت إلى المدينة؟ فقالت: إنّى مولاتكم، و قد أصابنى جهد، و أتيتكم أتعرّض

لمعروفكم «۱».

فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فكسيت و حملت و جهّزت.

و مع أن هـذه المرأة قـد شـملها الاسـلام بلطفه و رحمته و لكنها خانت النبى و المسـلمين عند ما تطوّعت للقيام بعملية جاسوسـية ضـد الاسـلام و المسـلمين بأخـذ كتاب «حاطب بن بلتعة» و اخفائه فى شـعر رأسـها لتبلغه الى قريش لقاء عشـرة دراهم، مفشـية بذلک سـرّا للمسلمين، تضيع- على أثره- جهود النبى صلّى اللّه عليه و آله و تفشل خطته!!

(۲) و لما عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بهذا الأمر إثر خبر من السماء بعث ثلاث رجال من فرسانه الاشاوس هم على و المقداد و الزبير، ليدركوا المرأة الخائنة، على طريق مكة و يأخذوا منها ذلک الكتاب الذى يحذّر قريشا ممّا أجمع رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عليه.

فخرج الرجال الثلاثـة فى طلبها مجـدّين حتى أدركوها فى منطقة تدعى «روضة الخاخ» «۲» فاسـتنزلوها، و فتشوا عن الكتاب فى رحلها فلم يجدوا شيئا، فسألوها عنه فانكرت فقال لها على عليه السّلام.

«إنى أحلف باللّه ما كذب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لا كذبنا، و لتخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنّک» «۳».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۳۶، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۶۲ و ۳۶۳.

(۲) و قال ابن هشام: فادركوها بالخليقة (ج ۲ ص ۳۹۹).

(۳) السيرة النبوية: ج ۴ ص ۴۱، و ذكر مؤلف الامتاع شخصين فقط هما الامام على و الزبير (ج ۱ ص ۳۶۲).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷۴

(۱) و لما رأت تلک المرأة هذا الجدّ من على عليه السّـلام و كانت تعرف أن عليّا لا يتركها حتى ينفّذ أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قالت: أعرض، فأعرض علىّ، فحلّت ضفائر شعرها فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فانزعـج رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لفعـل «حـاطب» و كـان من المسـلمين السابقين، فـدعاه من فوره و قال له عاتبا و مسـتفهما: يا حاطب ما حملک على هذا؟

فحلف حاطب باللّه و برسوله أنه لم يقصد شـرا، و قال: يا رسول اللّه، أما و اللّه إنى لمؤمن باللّه و رسوله، ما غيّرت و لا بدّلت، و لكنّى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل فصانعتهم عليه!!

(۲) و يسـتفاد من اعتـذار حـاطب هـذا أن أسـياد قريش كـانوا يضـغطون على من تخلّف فى مكـة من أقارب المهاجرين و عوائلهم، و يؤذونهم، و لا يتركون أذاهم إلّا إذا حصلوا منهم على أسرار المسلمين بالمدينة.

و هذا الاعتذار و ان كان غير وجيه، لأن ذلک لا يبرر إفشاء أسـرار المسـلمين لأعدائهم الحاقدين، غير أن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أصفح عنه، و خلى سبيله لمصالح معينة منها: سابقة «حاطب» فى الإسلام.

إلّا أنّ «عمر بن الخطاب» طلب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يضرب عنقه، فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله:

«و ما يدريک يا عمر لعلّ اللّه اطّلع يوم بدر على أصحاب بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» «۱».

و لكى لا يتكرر مثل هذا العمل الخطر و الاثيم أنزل اللّه سبحانه قرآنا بهذا الشأن فى عدة آيات اذ يقول:

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۶۳ و غيره.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ. إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ. لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ ما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنا رَبَّنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَ ظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «۱».

النبى يتحرك باتجاه مكة:

(۱) أخذا بمبدإ «المباغتة» كتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله موعد الحركة، و وجهتها، فلم يكن أحد يعرف أين يريد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على وجه التحديد «۲».

---

(۱) الممتحنة: ۱- ۶، راجع السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۹۹، مجمع البيان: ج ۹ ص ۲۶۹ و ۲۷۰.

(۲) المغازى: ج ۲ ص ۸۰۲، الامتاع: ج ۱ ص ۳۶۲ قال: و أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الناس بالجهاز و طوى عنهم الوجه الذى يريد، فظانّ يظنّ أنه يريد الشام و ظان يظنّ ثقيفا و ظان يظن هوازن.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷۶

و فى اليوم العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة أصدر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أوامره بالخروج، و كان قد أصدر أوامره للمسلمين كافة من قبل بالاستعداد و التهيؤ للخروج.

(۱) ثم إنه استخلف على المدينة رجلا من بنى غفار يدعى «أبا رهم» ثم استعرض جيشه خارج المدينة على عادته.

ثم لما كان صلّى اللّه عليه و آله بمكان يدعى «الكديد» طلب شيئا من الماء امام المسلمين، و افطر به فى تلك الساعة من النهار، و امر الجند بان يفطروا اقتداء به هم أيضا.

فافطر اكثر المسلمين، و أمسك البعض و لم يفطر ظنا بأن الجهاد فى حالة الصوم أفضل، و اكبر أجرا، و لم يعرف هؤلاء السذّج غير المفطرين، بان النبى صلّى اللّه عليه و آله الذى أمر بالافطار فى شهر رمضان فى تلك الحال، هو نفسه الذى أمر بالصوم أيضا

فاذا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قائد حق و دليل سعادة فانه- فى كلتا الحالتين- يريد سعادة الناس، و ينشد خيرهم، فلا معنى إذن لأن يطاع فى أمره، و لا يطاع فى نهيه.

و هذا غضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لامتناع ثلة من المسلمين عن الإفطار كما أمر و قال عنهم: «اولئك العصاة»!! «۱».

و أمرهم بأن يفطروا قائلا: «إنكم مصبحوا عدوّكم، و الفطر أقوى لكم».

(۲) إنّ مثل هذا التقدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تجاهل أمره ما هو فى الحقيقة إلّا نوع من الانحراف عن الحق، و هو يكشف عن ضعف فى ايمان الجماعة العاصية، المتمردة عن أمر النبى صلّى اللّه عليه و آله.

و لهذا نزل فيه قرآن يلومهم، و يوبّخهم على عصيانهم إذ قال سبحانه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» «۲».

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۷ ص ۱۲۴، السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۹۰، المغازى: ج ۲ ص ۸۰۲.

(۲) الحجرات: ۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷۷

(۱) هـذا و قـد كـان «العبـاس بن عبـد المطلب» من المسـلمين الـذين بقوا فى مكـة بـأمر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ليتجسـس له الأخبار، و يطلعه على نوايا قريش، و خططهم أوّلا بأوّل.

و قـد تظاهر العباس- بعد فتح خيبر- بإسـلامه، و لكنه بقى محافظا على علاقاته بسادة قريش و زعمائها، فقرّر أخيرا أن يكون آخر من يهاجر من بيوت المسـلمين، فغادر مكة متوجها إلى المدينة، و صادف خروجه مسـير رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله إلى مكة، فالتقى ببعض الطريق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و لقد كان بقاء العباس بن عبد المطلب فى مكة بعد هجرة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله مفيدا للجانبين: (قريش و المسلمين) فلو لم يكن العباس، و نشاطاته السياسية، الذكية، لما تيسّر فتح مكة من دون مقاومة قريش، و من دون إراقة دماء و إزهاق نفوس.

من هنـا لاـ يبعـد أن يكون خروج العباس من مكـة فى تلك اللحظات و الظروف الخطيرة قـد كان هو الآخر بأمر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لكى يستطيع القيام بدوره الإصلاحى، الذى سنأتى على ذكره قريبا.

(۲)

العفو عند المقدرة:

لقـد كـانت سوابق رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله المشـرفة، و اخلاـقه الحميـدة، و صـدقه و أمـانته، طوال حيـاته من الامور الواضـحة المعلومة عند أقربائه، و أبناء عشيرته.

فقـد كان الجميع يعلم بأن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لم يرتكب طيلـة حياته الشـريفة إثما، و لم يفكر فى ذنب، و لم ينو الاعتداء على أحد، و لم يقل بلسانه سوءا و لا قبيحا، و لا خان فى امانة، و لا افشى سرا و لا تخلف عن فضيلة.

و لهـذا اسـتجاب لـدعوته- فى الايام الاولى من دعوته العامة- الاكثرية الساحقة من قبيلته (بنى هاشم)، و التفّوا حوله، و تحمّلوا الدفاع عنه، و دعم

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷۸

مواقفه.

(۱) و لقـد اشار أحـد المستشـرقين المنصـفين إلى هذه الحقيقة، و اعتبرها دليلا على طهارة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و صدقه و نزاهته، فهو يقول: مهمـا كـان المرء متكتّمـا متسترا على أعمـاله و أفكـاره فـانه لاـ يسـتطيع بحـال أن يخفى تفاصـيل حياته عن ذويه و أقربائه، و لو كان لمحمد حالات نفسية أو أفعال سيئة لما خفيت على أقربائه، و لما كانوا ينقادون إليه بمثل هذه السرعة «۱».

نعم يسـتثنى من بنى هاشم عدة أشـخاص أحجموا عن الايمان برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و الاستجابة لدعوته، و يمكن الاشارة- فى هذا المجال- بعد أبى لهب المعروف بل و المصـرح بعداوته فى القرآن- إلى «أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» و «عبد اللّه بن أبى أميّة بن المغيرة» اللـذين خاصـما رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و عارضا دعوته بشـدة، و لم يكتفيا بعدم الايمان برسالته، بل منعا من انتشار الحق، و آذيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اشدّ الأذى و ألّبا عليه اكثر من أى شخص آخر.

(۲) و لقـد كان أبو سـفيان هـذا ابن عمّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و أخاه من الرضاعة، و كان يألف رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و

آله قبل البعثهٔ، و لكنه اختلف مع النبى بعد ابتعاثه بالرسالهٔ، و بنى على مخالفته و معاداته «۲».

و أما عبد اللّه بن أبى اميّهٔ فهو أخو أمّ سلمهٔ ابنهٔ عاتكهٔ عمهٔ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ابنهٔ عبد المطلب.

و لقد حدى انتشار الاسلام فى كل أنحاء الجزيرهٔ العربيهٔ بهذين الرجلين إلى أن يخرجا من مكهٔ و يلتحقا بالمسلمين.

(۳) فقد خرجا قبيل الفتح من مكهٔ، فلقيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه فى أثناء الطريق- و على وجه التحديد فى نقطهٔ تدعى بثنيهٔ العقاب،

---

(۱) الأبطال: لكارليل الانجليزى.

(۲) المغازى: ج ۲ ص ۸۰۶ و ۸۰۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۷۹

و النبى قاصد مكهٔ، فاستأذنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليدخلا عليه، و أصرّا على ذلك، فابى النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يأذن لهما.

(۱) و قد وسّطا أمّ سلمهٔ، و طلبا منها بلهجهٔ عاطفيهٔ أن تشفع لهما عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حتى يرضى عنهما، فكلّمته فيهما، و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أبى و قال:

«لا حاجهٔ لى بهما، أما ابن عمّى فهتك عرضى و أما ابن عمّتى و صهرى فهو الذى قال بمكهٔ ما قال» «۱».

و لما كان «علىّ» عليه السّلام أعرف الناس بنفسيّهٔ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخلاقه، و بطريقهٔ استعطافه، فقد كلّمه أبو سفيان فى الأمر، فعلّمه على بن أبى طالب عليه السّلام أن يأتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من قبل وجهه فيقول:

«قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ» «۲».

فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سيجيبه بما قاله يوسف لاخوته اذ قال لهم:

«قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» «۳».

لأنه صلّى اللّه عليه و آله لا يرضى بأن يتفوق عليه أحد فى حسن القول.

(۲) ففعل أبو سفيان هذا ما أشار عليه الامام على عليه السّلام و دخل من الطريق الذى بيّنه له، فعفا عنه رسول اللّه كما فعل يوسف باخوته، فانشد أبو سفيان قصيدهٔ أراد بها أن يكفّر عما سبق منه، قال فيها:

---

(۱) فهو ممن اقترح على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمكهٔ امورا غير معقولهٔ، و قد جاء ذكر هذه المقترحات فى الآيات: ۹۰- ۹۳ من سورهٔ الاسراء راجع مجمع البيان: ج ۶ ص ۴۳۹ و اسد الغابهٔ: ج ۵ ص ۲۱۳ و ۲۱۴.

(۲) يوسف: ۹۱.

(۳) يوسف: ۹۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۸۰ لعمرك إنى يوم أحمل رايهٔلتغلب خيل اللات خيل محمّد

فكالمدلج الحيران أظلم ليلهفهذا أوانى حين اهدى فأهتدى «۱» (۱) و يكتب «ابن هشام» فى سيرته قائلا: قال أبو سفيان و معه ابنه، لما أعرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عنه و أبى أن يأذن له: و اللّه ليقبلنّى، أو لأخذت بيد ابنى هذا فلأذهبنّ فى الارض حتى أهلك عطشا و جوعا و أنت أحلم الناس مع رحمى بك» «۲».

و قد سبق أن قالت أمّ سلمهٔ لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد كلّمته فى أبى سفيان: بأبى أنت و امّى يا رسول اللّه أ لم تقل: أنّ الاسلام يجبّ ما كان قبله؟ فرقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهما، و أذن لهما، فدخلا، و قبل اسلامهما «۳».

(۲)

تكتيك رائع لجيش الاسلام:

تقع «مرّ الظهران» على بعد عدة كيلومترات من مكة المكرمة، و قد قاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جيشه العظيم (و قوامه عشرة آلاف) حتى مشارف مكة بمهارة بالغة.

و مع أنّ عيون قريش و جواسيسها كانت تتجسّس الأخبار و كان هناك من يعمل لصالح قريش، و لكنّهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئا عن نوايا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هدفه.

و لما وصل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى مشارف مكّة عمد- لإرعاب أهل مكة حتى يتركوا مقاومة المسلمين عند دخول مكة و فتحها، و يتسنّى لهم تحطيم صرح الوثنية من دون إراقة الدماء- إلى إصدار أمر لجنوده باشعال النيران

---

(۱) الاصابة: ج ۴ ص ۹۰، و اسد الغابة: ج ۵ ص ۲۱۳ و ۲۱۴.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۰۲.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۱۴ و ۱۱۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۸۱

فوق الجبال و التلال، و للمزيد من تخويف سكان مكة و الإظهار بمظهر القوة أمر بأن يشعل كل واحد من الجنود النار وحده، في شريط طويل على الأرض.

(۱) كانت قريش و حلفاؤها يغطّون في نوم عميق آنذاك من جهة، بينما كانت النيران من جهة اخرى قد غطت كلّ المرتفعات المشرفة على مكة فلم تستيقظ إلا على منظر أرعب قلوبهم، و لفت أنظارهم.

و في هذا الاثناء كان بعض سادة قريش ك: «أبي سفيان بن حرب» و «حكيم بن حزام» و غيرهما قد خرجا من مكة يتجسّسون الأخبار.

ففكّر «العباس بن عبد المطلب» الذي لازم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من منطقة الجحفة، فكر في نفسه بأنه إذا ما اتفق أن واجه جنود الاسلام مقاومة من قريش عند دخول مكة لادّى ذلك إلى ان يقتل جمع كبير من قريش، و لهذا فان من الأفضل أن يقوم بدور عمليّ لصالح الطرفين، و يقنع قريشا بالتسليم، و عدم المقاومة.

(۲) فركب بغلة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله البيضاء و توجه صوب مكة ليخبر قريشا بمحاصرة مكة من قبل جنود الاسلام، و يخبرهم بكثرة عددهم، و بمبلغ شجاعتهم و إصرارهم على تحقيق أهداف النبي صلّى اللّه عليه و آله و يقنعهم بأنه لا- مناص من التسليم للأمر الواقع.

فبينما هو كذلك إذ سمع صوت أبي سفيان و بديل بن ورقاء يتحادثان في جوف الليل فيقول أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيرانا قط و لا عسكرا، فيقول بديل: هذه و اللّه خزاعة حمشتها الحرب.

فيقول أبو سفيان: خزاعة أذلّ و أقلّ من ان تكون هذه نيرانها و عسكرها.

فصاح العباس بأبي سفيان و قال: يا أبا حنظلة.

فقال أبو سفيان: يا لبيك، أبو الفضل ما لك؟

فقال العباس: هذا رسول اللّه في عشرة آلاف من المسلمين.

فارتعد أبو سفيان لما سمعه من العباس حول عظمة القوة الاسلامية، فقال و هو

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۸۲

یرتجف، و تصطکّ اسنانه من الفزع: فما الحیلهٔ فداک أبی و أمی؟

(۱) فقال العباس: ارکب فی عجز هذه البغلهٔ حتی آتی بک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فاستأمنه لک.

فرکب أبو سفیان خلف العباس، و رجع صاحباه (حکیم و بدیل) إلی مکهٔ.

و لقد کان مسعی العباس- کما تری- فی مصلحهٔ الاسلام کله، فقد أرعب شیطان قریش، و زعیمها و عقلها المدبّر أبا سفیان، و کان موفقا فی هذه الخطوهٔ جدا بحیث لم یعد یفکر أبو سفیان إلّا فی التسلیم، و إلقاء السلاح و الکفّ عن المقاومهٔ، بل و منعه العباس من العودهٔ إلی مکهٔ، فی نفس اللیلهٔ (لیلهٔ فتح مکهٔ) و أخذه معه إلی معسکر المسلمین بغیهٔ تقییده، و منعه من العودهٔ مکهٔ، إذ کان من المحتمل جدا أن یقع فریسهٔ أفکار المتطرفین فی الزعامهٔ المکیهٔ فیدبّرون معا خطهٔ لمواجهٔ جیوش الاسلام، فیقع- حینئذ- ما لا یحمد عقباه، من سفک الدماء، و ذهاب الأنفس و الارواح.

(۲)

العباس یصطحب أبا سفیان إلی خیمهٔ النبی:

دخل العباس- و هو علی بغلهٔ بیضاء و قد اردف خلفه أبا سفیان- فی معسکر المسلمین، و هو یقصد خیمهٔ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من خلال نیران المسلمین التی أمر النبی صلّی اللّه علیه و آله بإشعالها، و کان کلّما مرّ بنار من نیرانهم قالوا: عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلا یمنعون من مروره، حتی اذا لقیا عمر بن الخطاب فی الاثناء و رأی عمر أبا سفیان خلف العباس علی عجز البغلهٔ همّ بقتله فی المکان، و لکن عمّ النبی صلّی اللّه علیه و آله أجار أبا سفیان فی الحال، و منع بذلک عمر من إلحاق الأذی به، و هو فی جواره.

و أخیرا وصل العباس برفقهٔ أبی سفیان الی خیمهٔ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فترجّلا، فاستأذن العباس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله للدخول مع أبی سفیان علیه فاذن لهما، فوقعت مشادهٔ کلامیهٔ شدیدهٔ بین العباس و عمر بین

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۸۳

یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حول أبی سفیان و کان عمر یقول: أبو سفیان عدوّ اللّه فلا بد أن یقتل، و لکن العباس کان یقول: یا رسول اللّه إنّی قد أجرته، فقطع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دابر هذه المناقشهٔ عند ما قال:

«اذهب یا عبّاس إلی رحلک، فاذا أصبحت فاتنی به».

فذهب العباس بأبی سفیان إلی رحله، فبات عنده لیلته کما أمر، فلما أصبح غدی به إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱)

أبو سفیان بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

لما مثل أبو سفیان عند الصباح بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی خیمته قال له النبی صلّی اللّه علیه و آله:

«ویحک یا أبا سفیان؛ أ لم یأن لک أن تعلم أنه لا إله إلّا اللّه؟».

فقال أبو سفیان: بأبی أنت و أمی ما أحلمک، و أکرمک، و أوصلک و اللّه لقد ظننت أن لو کان مع اللّه آله غیره، لقد أغنی عنّی شیئا بعد.

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«ویحک یا أبا سفیان أ لم یأن لک أن تعلم أنّی رسول اللّه»؟

قال: بأبی أنت و أمی ما أحلمک، و أکرمک، و أوصلک، أما و اللّه فإنّ فی النفس منها حتی الآن شیئا!!

فغضب العباس من شک أبی سفیان، و لجاجته و عناده فقال له: ویحک، أسلم و اشهد أن لا إله الّا اللّه، و أن محمّدا رسول اللّه قبل أن یضرب عنقک.

فشهد أبو سفیان شهادة الحق، فاسلم و دخل فی عداد المسلمین.

(۲) أن إسلام أبی سفیان الذی حصل فی جوّ من الرعب و التهدید و إن لم یکن بالاسلام الذی کان یریده رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله و یطلبه دینه الحنیف، و لکنّ مصالح معیّنة کانت توجب أن یدخل أبو سفیان فی عداد المسلمین کیفما کان لیرتفع بذلک اکبر سدّ، و ینزاح اکبر مانع من طریق الدعوة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۸۴

الاسلامیة، لأنّ رجالا مثل «أبی سفیان» و «أبی جهل» و «عکرمة» و «صفوان بن أمیّة» و غیرهم، کانوا قد أوجدوا جوّا من الرعب و الخوف فی مکة استمرّ أعواما عدیدة، فلم یکن یجرأ أحد من المکیین فی مثل هذا الجوّ المشحون بالخوف أن یفکّر فی الاسلام، أو یظهر رغبته فی اعتناقه، و الانضواء تحت لوائه.

(۱) فإذا لم یکن إسلام أبی سفیان الظاهریّ و السطحیّ مفیدا من حیث الواقع، و لکنه کان مفیدا جدا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و للذین کانوا تحت سیطرة أبی سفیان و نفوذ زعامته من جماهیر مکة، و بالتالی لمن کانت له علاقات قربی معه.

و مع ذلک لم یسمح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بإخلاء سبیل أبی سفیان لأنه لم یکن آمنا- و حتی مع إظهاره الاسلام- من جانبه قبل أن یتمّ فتح مکّة، و لهذا أمر صلّی اللّه علیه و آله عمّه العباس بأن یحبسه بمضیق الوادی عند ممرّ الجنود لیبصر عظمة القوات الاسلامیة، و کثافتها قائلا:

«یا عبّاس احبشه بمضیق الوادی عند خطم الجبل (أی انفه) حتی تمرّ به جنود اللّه فیراها».

ثم إن العباس قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا رسول اللّه إنّ أبا سفیان هذا رجل یحب الفخر، فاجعل له شیئا.

(۲) و استجاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لهذا الطلب، و مع أن أبا سفیان کان قد عادی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الّب ضدّه طیلة عشرین عاما، و أثار فی وجه دعوته الحروب و الفتن الکثیرة، و وجّه بذلک ضربات کثیرة إلی الاسلام و المسلمین، فمنحه- رغم ذلک و لمصالح خاصة- مقاما، و قال کلمته التاریخیة فی حقه ... تلک الکلمة التی تکشف عن عظمة أخلاق رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله و سمو روحه، و عمق حکمته اذ قال:

«من دخل دار أبی سفیان فهو آمن.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۸۵

و من أغلق بابه فهو آمن.

و من دخل المسجد فهو آمن.

و من طرح السلاح فهو آمن» «۱».

(۱)

مکة تستسلم من دون إراقة دماء:

تقدّم جیش التوحید العظیم نحو مکة، حتی أصبح علی مقربة منها.

و قد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عازما علی أن یفتح مکة من دون إراقة دماء، و إزهاق أرواح، و أن یسلّم العدوّ من دون أیّة

شروط.

و كان من العوامل التى ساعدت على تحقيق هذه الغاية- مضافا إلى عامل التكتم و التستّر و مبدأ المباغتة- أنّ العباس عمّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله توجّه إلى مكة كداعية صلح و وسيط سلام بين قريش و النبى صلّى اللّه عليه و آله فكان أن أتى بأبى سفيان الى معسكر الاسلام كما أسلفنا، و بذلك توصّل إلى تحييد أبى سفيان، و لم يكن فى مقدور سادة قريش أن يتخذوا قرارا حاسما من دون أبى سفيان.

(۲) و عند ما خضع أبو سفيان أمام عظمة رسول الاسلام الفريدة و أظهر الاسلام، رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يستفيد منه لإرعاب المشركين اكثر قدر ممكن، فأمر العباس بأن يحبسه عند مضيق الجبل ليرى بام عينيه حشود المجاهدين من المسلمين- كما أسلفنا- فى وضح النهار مع كامل عدّتهم و اسلحتهم، و نظامهم و قوتهم، فيخبر قريشا بذلك، فيزيدهم خوفا و رهبة، فينصرفوا عن فكرة مقاومة الجيش الاسلامى عند دخوله الى مكة.

و فعل العباس ما أمره الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله فحبس أبا سفيان

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۰۰ و ۴۰۴، مجمع البيان: ج ۱۰ ص ۵۵۴- ۵۵۶، المغازى: ج ۲ ص ۸۱۶- ۸۱۸، شرح نهج البلاغة الحديدى: ج ۱۷ ص ۲۶۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۸۶

حيث أمر النبى صلّى اللّه عليه و آله.

(۱) فمرّت القبائل مع راياتها أمام أبى سفيان، و كانت بعض قطعات الجيش الاسلامى على النحو التالى:

(۲) ۱- كتيبة قوامها ألف مقاتل من بنى سليم بقيادة خالد بن الوليد، و فيها لواءان، أحدهما مع «عباس بن مرداس»، و الآخر مع «المقداد».

(۳) ۲- فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل بقيادة «الزبير بن العوام» الذى كان يحمل معه لواء أسودا، و كان اكثر أفراد هذا الفوج من المهاجرين.

(۴) ۳- فوج قوامه ثلاثمائة مقاتل من بنى غفار بقيادة «أبى ذر الغفارى» و كان لواؤه معه.

(۵) ۴- فوج قوامه اربعمائة مقاتل من بنى سليم بقيادة «يزيد بن الخصيب» و معه لواؤه.

(۶) ۵- فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل من بنى كعب بقيادة «بشر بن سفيان» و رأيته معه.

(۷) ۶- كتيبة قوامها ألف مقاتل من بنى مزينة، فيها ثلاثة ألوية، لواء مع النعمان بن مقرن، و لواء مع بلال بن الحارث، و لواء مع عبد اللّه بن عمر.

(۸) ۷- كتيبة قوامها ثمانمائة مقاتل من جهينة، فيها أربعة ألوية، لواء مع «معبد بن خالد» و «سويد بن صخرة» و «رافع بن مكيث» و «عبد اللّه بن بدر».

(۹) ۸- فوجان قوامهما مائتا مقاتل من بنى كنانة، و بنى ليث و ضمرة، بقيادة «أبى واقد الليثى»، و كان لواؤهما معه.

(۱۰) ۹- فوج قوامه ثلاثمائة، مقاتل من بنى أشجع، و فيها لواءان أحدهما بيد «معقل بن سنان» و الآخر مع «نعيم بن مسعود» «۱».

---

(۱) لقد سجّل المؤرخ الاسلامى الشهير «الواقدى» عدد أفراد هذه القطعات فى تاريخه «المغازى»:

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۸۷

(۱) و عند ما كانت هذه القبائل و القطعات تمرّ، سأل أبو سفيان العباس عن اسمها، و خصوصياتها، فكان العباس يوضح له كل ذلك.

و الـذى كان يزيـد هـذا الجيش المنظم جلالا و عظمـة أن قادة هـذه الافواج و الكتائب كانوا اذا مرّوا على العباس و أبى سـفيان كبّروا ثلاثا بأعلى أصواتهم و بشكل منظّم، و كبّر من ورائهم جنودهم بصوت واحد و منظم أيضا كأكبر شعار اسلامى.

و لقـد كـان لهـذه التكبيرات الهـادرة التى كانت تـدوّى فى وديان مكـة، و تردّدها الجبال و الوديان، أكبر الاثر فى نفوس الاصـدقاء و الاعداء، فكانت تزيد بهيبتها و جلالها من محبة الاصدقاء للنظام الاسـلامى العظيم، بينما ترهب أعداء اللّه، و تغرقهم فى خوف و رعب شديدين.

هـذا و كـان أبو سـفيان ينتظر بفارغ الصبر عبور الكتيبـة التى فيها رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و لهـذا كان يسأل العباس كلما مرّت قطعة من قطعات الجيش الاسلامى: أ فيها محمّد؟ أو ما مضى بعد محمّد؟!

(٢) فيقول العبـاس: لم يمض بعـد، لو رأيت الكتيبـة التى فيها محمّـد صـلّى اللّه عليه و آله رأيت الحديـد و الخيل و الرجال و ما ليس لأحد به طاقة.

و بينمـا همـا كـذلك إذ طلعت كتيبـة عظيمـة قوامهـا خمسـة آلاـف مقاتـل، فيهـا ألفـا دارع فقـط، فيها الرايات و الألويـة الكثيرة، فيها المهاجرون و الانصار، مع كل بطن و قبيلة من قبائل الأنصار راية و لواء، و كانت تسمى كتيبة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الخضراء لأن أفرادها كانوا فى الحديـد لا يرى منهم إلا الحـدق، و قد ركبوا الخيول العربية الاصـيلة، و الحمر من الإبل، و رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى وسطها راكب على ناقته القصوى، و قد أحدق به كبار الشخصيات من

- ج ٣ ص ٨٠٠ و ٨٠١ و ص ٨١٩ بشكل دقيق، و قد نقلها عنه ابن أبى الحديد فى ج ١٧ ص ٢٧٠ و ٢٧١.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:۴٨٨

المهاجرين و الانصار، و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله يحدّثهم.

فارعبت عظمـة هذه الكتيبة أبا سـفيان، بشدة، حتى أنه قال للعباس من دون اختيار: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقة يا أبا الفضل! و اللّه يا ابا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما.

فقال له العباس- بنبرة موبّخة-: ويحك يا أبا سفيان ليس بملك إنّها النبوّة.

فليس هذه العظمة و الجلال من أثر الملك المادّى الدنيوى إنما هو هو فعل الرسالة الالهية، إنه جلال النبوة، و انه بالتالى من فضل اللّه عزّ و جلّ الذى أدخل الاسلام فى قلوب هذه الجماهير المؤمنة، و هذه الجموع المجاهدة فى سبيل اللّه.

(١)

أبو سفيان يرجع إلى مكة:

إلى هنا قام العباس بدوره على أفضل صورة، فقد أرعب أبو سفيان من قوة الاسلام العسكرية الكبرى، و لهذا رأى النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يخلّى سبيله ليـذهب إلى مكـة قبـل دخول جنود الاسـلام فيهـا، فيخبر أهلهـا بعظمـة و قوة الجيش الاسـلامى القـادم إليهم، و يحذّرهم من مغبة المقاومة و المواجهة، و يدلهم على طريق الخلاص و النجاة، و هو التسـليم للأمر الواقع، و القاء السلاح، و الاستسلام من دون قتال و مقاومـة، و من دون قيـد و شـرط، لأن بمجرد تخويف أهل مكة من دون إرشادهم إلى طريق الخلاص ما كان ليتحقق هدف النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله، و هو الفتح من دون دماء.

(٢) فـدخل أبو سـفيان مكة، و قد بات الناس ليلتهم فى رعب شديد، و ترقّب رهيب حتى أصـبحوا، و لم يكن بامكانه أن يقرّروا شـيئا من دونه، فلما رأوه قادما أحاطوا به، فاخـذ يشير الى ناحيـة المدينة، و قد اصـفرّ وجهه، و انهارت قواه و صـرخ بأعلى صوته: يا معشـر قريش، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، أو قال:

هـذا محمّـد فی عشـرة آلاف فمن دخل دار أبی سـفیان فهو آمن. و من ألقی السـلاح فهو آمن، و من دخل المسـجد فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۸۹

علی أنّ رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله لم یکتف بهـذا بـل أضـاف إلی الأماکن الثلاثـة التی أعلنها للجوء الناس إلیها حتی یأمنوا من القتل، موضعا آخر، حیث عقد لابی رویحة «عبد اللّه بن عبد الرحمن الخثعمی» لواء و أمره أن ینادی:

«من دخل تحت لواء أبی رویحة فهو آمن» «۱».

(۱) و قـد تسبّب أبو سـفیان بنـدائه فی إضـعاف المعنویات عنـد أهل مکـة بشـدة حتی أنهم انصـرفوا عن فکرة المقاومة، لو کانت، و أثمرت جهود العباس و مساعیه فی اللیلة الفائتة، و أصـبح فتح مکة من دون مقاومة فی نظر أهل الرأی و عند من ینظر الی واقع الامور، أمرا مسلّما و قطعیا.

ففزع الناس، و تفرّقوا، و لجأ بعضـهم إلی دورهم، و البعض الآخر الی المسـجد، و أسـدی أعـدی أعـداء الرسالـة و نعنی أبا سـفیان، و نتیجة لتدبیر رسول اللّه الحکیم، أکبر خدمة لجنود الاسلام، حیث مهّد لهم- بما أوجده فی نفوس المکیین و قلوبهم من هزیمة نفسیة- طریق الفتـح العظیم بسـلام، و من دون مشاکـل تـذکر، اللّهم إلا «هنـد» زوجـة أبی سـفیان التی کانت تحرّض الناس علی المقاومـة، و راحت تشتم زوجها و تسبّه باقذع الشتائم و السباب، و تتهمه بالجبن و الذل.

بید أنّ الأمر کان قد قدر، و لم تعد تنفع أیّة محاولة معاکسة، و لم تکن تلک الکلمات و الأعمال المعارضة سوی هباء فی شبک!

(۲) و نظیر هـذا الـذی فعلته هند، ما فعله و قام به بعض الزعماء المتطرفین مثل «صـفوان بن أمیّة» و عکرمة بن أبی جهل» و «سـهیل بن عمرو» ممثّل قریش فی صـلح الحدیبیة، الذین تحالفوا فیما بینهم علی أن یعملوا علی منع قوات الاسـلام من دخول مکة، و انخدع بهم فریق من البسطاء و المغفلین، فشهروا السلاح فی وجه أول قطعة من قطعات الجیش الاسلامی، و سدّوا بذلک الطریق علیها فی محاولة

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۳۷۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۰

یائسة لتحقیق مآربهم.

(۱)

القوات الاسلامیة تدخل مکة:

و قبل ان تـدخل قوات الاسـلام مکة کان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله قد دعا جمیع قادة و امراء جیشه و قال لهم بانه یرید ان یفتح مکـة من دون إراقـة أیّـة دماء، و لهـذا امرهم ان لا یقاتلوا إلّا من قاتلهم، إلّا أنه أمر بقتل عشـرة و ان وجدوا تحت أسـتار الکعبة و هم: «عکرمة بن أبی جهل» و «هبار بن الاسود» و «عبد اللّه بن أبی سـرح» و «مقیس بن حبابة الکندی» و «الحویرث بن نقیذ» و «عبد اللّه بن خطل» و «صفوان بن أمیّة» و «وحشی بن حرب» قاتل حمزة.

و «عبـد اللّه بن الزبعری» و «حـارث بن طلالـة» و اربع نسوة و کان کل واحـد من هؤلاء قـد قتل أحـدا او ارتکب جنایـة أو شارک فی مؤامرة او حرب ضدّ الاسلام و المسلمین «۱».

و قـد بلغ الأمراء و القادة هـذا الأمر إلی جنودهم کافـة، و مع أن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله کان یعرف مسبّقا بمعنویات المکیین المنهارة، و عـدم قـدرتهم علی المقاومـة، إلا أنه- مع ذلک- لم یترک جانب الاحتیاط و الحـذر الـذی یفرضه العمل العسکری، عند دخول مکة، حیث رسم لدخولها خطة دقیقة.

(۲) فقـد وصل رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بجیشه کله إلی «ذی طوی» (و هو موضع مرتفع کانت تری منه بیوت مکهٔ و منازلها) و هو فی کتیبهٔ قوامها خمسهٔ آلاف، فلما رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله منازل مکهٔ اغرورقت عیناه بدموع الشوق و الحنین، فانحنی تواضعا للّه تعالی و شکرا، حتی رأی ما رأی من فتح اللّه، و کثرهٔ المسلمین حتی مسّت لحیته الشریفهٔ واسطهٔ الرجل أو یقرب منه.

---

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۲ ص ۴۱۰، تاریخ الخمیس: ج ۲ ص ۹۰- ۹۴ و قد ذکر صاحب تاریخ الخمیس تفاصیل ما ارتکبه هذه الجماعهٔ المهدورهٔ دماؤها و ما آل إلیه أمرهم بعد فتح مکهٔ.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۱

(۱) و مراعـاهٔ لجـانب الحـذر و الاحتیاط فرّق صـلّی اللّه علیه و آله جنوده فأمر البعض بأن یـدخلوا مکـهٔ من أسـفلها، و أمر البعض بأن یدخلوها من أعلاها، و لم یکتف بهذا بل أمر وحدات من الجیش بان تدخل من جمیع المداخل و الطرق المؤدیهٔ إلی داخل مکهٔ.

فـدخلت جمیع وحدات الجیش الاسـلامی و قطعاته و کتائبه و فرقه مکهٔ من دون قتال و من دون ان تلقی من أهلها مقاومهٔ، فقد کانت جمیع الأبواب مفتحـهٔ فی وجوههم الّا المـدخل الـذی دخل منه «خالـد بن الولیـد» بفرقته، فقـد عمـد جماعهٔ من المکیین بتحریض من «عکرمهٔ» و «صفوان» و «سهیل» علی شهر أسلحتهم فی وجوه المسلمین، و رموا بالنبل لمنعهم من دخول مکهٔ، و وقع قتال بین الجانبین، و لکن محرّضـی هـذه الجماعـهٔ اختفوا بعد شـیء من القتال و المقاومهٔ، و فرّ الآخرون بعد أن قتل منهم المسـلمون اثنی عشـر أو ثلاثهٔ عشر شخصا «۱».

(۲) و مرهٔ اخری قام أبو سـفیان و من حیث لا یشـعر بعمل آخر لصالح الاسـلام فی هذه الحادثهٔ، فانه کان لا یزال مرعوبا ممّا رأی من کثرهٔ الحشود العسکریهٔ الاسلامیهٔ و قوتها و کان یعلم ان المقاومهٔ لا تجدی نفعا و لا تجرّ علی أهل مکهٔ إلّا الضرر، و لهذا نادی بأعلی صوته- حقنا للدماء-: یا معشـر قریش علام تقتلون أنفسکم؟ من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن ... فلا یدفع محمّدا شیء، فضعوا اسلحتکم، و ادخلوا فی بیوتکم، و اغلقوا علیکم أبوابکم او ادخلوا المسجد، تسلموا.

(۳) فکان لنـداء أبی سـفیان هذا أثره فی نفوس الناس فجعلوا یقتحمون الدور، و یغلقون علیهم، و یطرحون السـلاح فی الطرقات حتی یأخذها المسلمون، بینما لجأ بعضهم إلی المسجد.

و لما ظهر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی «ثنیهٔ أذاخر» نظر إلی لمعان

---

(۱) السیرهٔ النبویهٔ: ج ۱ ص ۴۰۸، و حسب المغازی: ج ۲ ص ۸۲۵- ۸۲۶ قتل ثمان و عشرون رجلا.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۲

السیوف و هی تصعد و تهبط فقال: «ما هذه البارقهٔ؟ أ لم أنه عن القتال»؟

فقیل: یا رسول اللّه، خالد بن الولید قوتل، و لو لم یقاتل ما قاتل. فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: «قضی اللّه خیرا».

ثم إن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله دخل مکهٔ من ناحیهٔ أذاخر، و هی أعلی نقطهٔ فی مکهٔ فی موکب عظیم جلیل، فضرب له قبهٔ من أدم بالحجون (عند قبر عمّه العظیم أبی طالب) لیستریح فیها، و قد أصرّوا علیه صلّی اللّه علیه و آله بأن ینزل فی بعض بیوت مکهٔ فأبی صلّی اللّه علیه و آله «۱».

(۱)

کسر الاصنام و غسل الکعبهٔ:

لقد استسـلمت مکهٔ التی کانت مرکزا رئیسـیا للشرک و الوثنیهٔ طوال أعوام عدیدهٔ و مدیدهٔ، أمام قوات التوحید الظافرهٔ، و سیطر جنود

الاسلام على جميع نقاط تلك المدينة المقدسة.

و لقد استراح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.

ثم انه صلّى اللّه عليه و آله بعد أن اطمأنّ و اغتسل ركب راحلته «القصواء» و توجّه الى المسجد الحرام لزيارة بيت اللّه المعظم و الطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، و المغفر على رأسه، و تحيط به هالة من العظمة و الجلال، و يحدق به المهاجرون و الانصار، و قد صفّ له الناس من المسلمين و المشركين، بعض يغمره الفرح و السرور، و آخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.

(۲) و لما انتهى صلّى اللّه عليه و آله إلى الكعبة فرآها و معه المسلمون تقدّم على راحلته، و لم يترجّل منها لأسباب خاصة فاستلم الركن بمحجنه بدل استلامه بيده، و كبر فكبّر المسلمون لتكبيره، و رجّعوا التكبير حتى ارتجّت مكة لتكبيرهم

---

(۱) الامتاع: ج ۱ ص ۳۸۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۹۳

و دوّى صوتهم في الجبال و الوهاد، و سمعه المشركون الذين كانوا قد تفرّقوا فوق الجبال ينظرون إلى ذلك المشهد و قد بلغ من هياج المسلمين، و هم يطوفون بالبيت من شدة سرورهم جدا كاد أن يمنع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الطواف بالبيت بفكر هادئ فاشار إليهم صلّى اللّه عليه و آله أن اسكتوا، فسكت الجميع بأمره، و ساد الصمت كل أرجاء المسجد الحرام، فطاف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالبيت على راحلته، و قد أخذ بزمامها «محمّد بن مسلمة» و فيما احتبست الاصوات في الصدور، و اتجهت الأبصار إليه صلّى اللّه عليه و آله فوقعت عيناه الشريفتان- في الشوط الأول من طوافه- على الاصنام الكبرى «هبل» و «اساف» و «نائلة» منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كلّما مرّ بصنم منها يشير بقضيب في يده و يقول: «جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» فيقع الصنم لوجهه.

(۱) و أمر صلّى اللّه عليه و آله بهبل اكبر أصنام المشركين فحطم و كسر في مرأى من المشركين، و لقد كان هذا الصنم الكبير يهيمن على عقول الجاهليين في الجزيرة العربية، و يسيطر على أفكارهم أعواما عديدة.

و لما كسر المسلمون ذلك الصنم قال الزبير لأبي سفيان و كان ينظر إلى ذلك المشهد: يا أبا سفيان لقد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم «احد» في غرور، حين تزعم أنه قد أنعم.

فقال أبو سفيان: دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمّد غيره لكان غير ما كان.

(۲) و لما انتهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من طوافه بالبيت انصرف فجلس ناحية من المسجد، و الناس حوله، ثم أرسل بلالا إلى «عثمان بن طلحة» يأتيه بمفتاح الكعبة، و كان عثمان يومذاك سادن الكعبة، و قد كانت السدانة تتوارث جيلا بعد جيل.

فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يأمرك أن

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۴۹۴

تأتي بمفتاح الكعبة، فاستجاب عثمان، إلّا أنّ امّه منعته عن ذلك، و كان المفتاح يومئذ عندها و قالت له: اعيذك باللّه أن تكون الذي تذهب مأثرة قومه على يديه.

(۱) فقال لها عثمان: فو اللّه لتدفعنّه إليّ، أو ليأتينّك غيري فيأخذ منك، فسلّمته إياه. سيد المرسلين ج۲ ۴۹۴ كسر الاصنام و غسل الكعبة: ..... ص : ۴۹۲

تح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله به باب الكعبة و دخل البيت، و دخل من بعده صلّى اللّه عليه و آله اسامة بن زيد و بلال و عثمان و سادتها، ثم أمر النبيّ باغلاق باب الكعبة، و وقف خالد بن الوليد على الباب يذبّ الناس عن الباب.

و كانت جدران الكعبة من الداخل مغطّاة بصور الأنبياء و الملائكة و غيرهم، فأمر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بمحوها جميعا، و غسلها

بماء زمزم.

(۲)

علیّ علیه السّلام علی کتف النبیّ:

یقول المحدّثون و المؤرّخون: لقد کسرت بعض الأصنام الموضوعهٔ فی الکعبهٔ علی ید «علیّ بن أبی طالب» و ذلک عند ما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السّلام:

«اجلس».

فجلس إلی جنب الکعبهٔ ثم صعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی منکبی ثم قال: انهض بی إلی الصنم ... فحاول أن ینهض فلم یطق.

فلما رأی النبی ضعفه تحته، قال:

«اجلس».

فجلس علیّ علیه السّلام ثم نزل النبی صلّی اللّه علیه و آله عنه، ثم جلس صلّی اللّه علیه و آله ثم قال:

«یا علیّ اصعد علی منکبی».

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۵

(۱) فصعد علیّ علیه السّلام علی منکبه، ثم نهض به فالقی صنم قریش الاکبر، و کان من نحاس، ثم ألقی بقیّهٔ الاصنام إلی الارض و حطّمها.

و قد أنشد شاعر الحلهٔ الشهیر بابن العرندس، و هو من شعراء القرن التاسع الهجریّ قصیدهٔ ذکرها فیها هذه الفضیلهٔ بقوله:

و صعود غارب أحمد فضل لهدون القرابهٔ و الصحابهٔ أفضلا «۱» ثم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمر بان یفتح باب الکعبهٔ فوقف علی الباب، و أخذ بعضادتی الباب فاشرف علی الناس بطلعته المنیرهٔ و محیاه الجمیل و قال:

«الحمد للّه الّذی صدق وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده».

(۲) و لقد کان اللّه سبحانه قد وعد نبیّه الکریم فی آیهٔ من آیات الکتاب العزیز بأن یعیده الی مسقط راسه اذ قال: «إن الذی فرض علیک القرآن لرادّک إلی معاد قل ربّی اعلم من جاء بالهدی و من هو فی ضلال مبین» «۲».

و قد أخبر النبی صلّی اللّه علیه و آله بحمده هذا عن تحقّق وعد اللّه له، و برهن مرهٔ اخری علی صدقه، و صحهٔ دعواه.

و فی ما کان الصمت یخیّم علی أرجاء المسجد الحرام، و فی ما کانت الانفاس محتبسهٔ فی الصدور، و تجول فی رءوس الحاضرین و انفسهم أفکار مختلفهٔ، و خواطر شتی، و یتذکر أهل مکهٔ المشرکون ما ألحقوه برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اتباعه من الأذی و العذاب الشدید، فتذهب بهم تصوراتهم مذاهب شتی!!

(۳) إن الذی سبق لهم أن اشعلوا حروبا کثیرهٔ ضد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و قتلوا خیرهٔ شبابه و أصحابه، بل و تمادوا فی غیهم و عدوانهم حتی أنهم تآمروا

---

(۱) مسند احمد بن حنبل: ج ۱ ص ۸۴ باسناد صحیح، السیرهٔ الحلبیهٔ: ج ۳ ص ۸۶. تاریخ الخمیس: ج ۲ ص ۸۶ و ۸۷، مستدرک الحاکم: ج ۲ ص ۳۶۷، و راجع بقیهٔ المصادر فی موسوعهٔ الغدیر: ج ۷ ص ۱۰- ۱۳.

(۲) القصص: ۸۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۶

لاغتياله بالهجوم عليه فى منزله ليلا، و تقطيعه بالسيوف إربا إربا، ها هم الآن يرون أنفسهم أسرى فى قبضته، و هو صلّى اللّه عليه و آله قادر على أن ينتقم منهم كيفما شاء!!

(١) إن من الطبيعى أن يتحدث أهل مكة فى أنفسهم و هم يتذكّرون معاداتهم الشديدة و الطويلة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و جرائمهم الكبرى بحقه، و بحق دعوته و يقول بعضهم: أنه سيقتلنا حتما، أو يقتل فريقا منا، و يحبس آخرين، و يسبى ذريتنا و نساءنا، جزاء ما فعلنا.

و بينما كانوا- فى تلك اللحظات- فريسة هذه الافكار و التصورات الشيطانية، كسر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جدار الصمت الرهيب الذى يخيم على أرجاء المسجد الحرام و قال سائلا:

«ما ذا تقولون ... و ما ذا تظنون؟!».

فقال أهل مكة: و قد تملّكتهم حيرة شديدة، و خوف عظيم و هم قد عرفوا رحمة النبى و رأفته، و لطفه لطفه، و خلقه العظيم: نقول خيرا، و نظن خيرا، أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت.

فقال رسول اللّه و نبى الرحمة صلّى اللّه عليه و آله، و قد سمع هذه العبارات العاطفية:

فانى أقول لكم كما قال أخى يوسف «قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم و هو أرحم الراحمين» «١».

(٢) و كان أهل مكة قد اطمأنّوا إلى عفو النبى و صفحه قبل ذلك نوعا ما عند ما رأوا ردّ فعله الشديد على أحد قادة جيشه عند ما أخذ ينادى حين دخول مجموعته العسكرية مكة من احدى مداخلها:

اليوم يوم الملحمةاليوم تسبى الحرمة

---

(١) المغازى: ج ٢ ص ٨٣٥، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٧ و ١٣٢ و الآية المذكورة هى ٩٢ من يوسف.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٤٩٧

فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهذا الشعار و قال ردا عليه:

«اليوم يوم المرحمة» «١» (١) كما أنه أمر- لغرض تأديب من أطلق هذا الشعار- بأخذ اللواء منه، و أعطاه إلى شخص آخر، و قيل إنّه صلّى اللّه عليه و آله عزله عن قيادة المجموعة، و أمّر ابنه مكانه، و كان هذا الأمير هو سعد بن عبادة رئيس الخزرج.

و قد دفع هذا النوع من اللطف و الموقف الايجابى الذى لاحظه أهل مكة المشركون أن يأمل الناس المغلوبون فى العفو العامّ إلى درجة كبيرة، خاصّة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد أمّن من دخل المسجد الحرام أو بيت أبى سفيان، أو ألقى السلاح، أو أغلق على نفسه باب منزله.

كل هذه الامور كانت قد فتحت على أهل مكة بصيصا من الأمل فى العفو الشامل.

(٢)

النبى يعلن عن العفو العام:

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أعلن عن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله:

«ألا لبئس جيران النبيّ كنتم، لقد كذّبتم، و طردتم، و أخرجتم، و آذيتم، ثم ما رضيتم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلوننى اذهبوا فانتم الطلقاء» «٢».

(٣)

بلال یرفع الأذان علی سطح الکعبة:

ثم حان وقت صلاة الظهر، فعلا مؤذن الاسلام «بلال» الحبشی سطح الکعبة المعظمة، و رفع فی الحاضرین و بصوت عال نداء التوحید و الرسالة

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۸۲۱ و ۸۲۲.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۰۶، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۴۱۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۸

(الأذان)، فکان کل واحد من المشرکین یقول کلاما، غضبا و حنقا علی بلال.

فمنهم من قال: الحمد للّه الذی أکرم أبی فلم یسمع هذا الیوم!!

و قال أبو سفیان أما أنا فلا أقول شیئا، لو قلت شیئا لاخبرته هذه الحصباء!! «۱».

(۱) إن هذا العجوز الخرف المعاند الذی لم یشرق فی قلبه نور الإسلام حتی آخر لحظة من حیاته، خلط بین مسألة الاطلاع علی الغیب، و تلقّی الحقائق عن طریق الوحی، و بین مسألة التجسس الذی یعتمده جبابرة العالم و طغاته.

إن مسألة اطلاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی قضایا الغیب أمر یحصل بطرق غیر عادیة و لا متعارفة، فی حین تحصل معرفة جبابرة العالم بمجریات الامور فی بلادهم عن طریق استخدام عناصر بشریة، أو من یسمّون برجال المخابرات و الأمن.

و علی کل حال فان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله صلّی بالمسلمین صلاة الظهر ثم دعا «عثمان بن طلحة» و ردّ إلیه مفتاح الکعبة، و قال له:

«هاک مفتاحک یا عثمان، الیوم یوم بر و وفاء» «۲».

و روی أنه صلّی اللّه علیه و آله قال:

«خذوها یا بنی أبی طلحة تالدة خالدة لا ینزعها منکم أحد إلّا ظالم» «۳».

(۲) و لم یکن غیر هذا بمتوقع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

فإن النبی الذی بعثه اللّه سبحانه إلی الناس لیدعوهم إلی أداء الامانة- فیما یدعوهم إلیه- و لیبلّغهم قوله تعالی: «إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها» من المسلّم أن یکون أول من یلتزم بهذا التعلیم الالهی، فیعید مثل تلک الامانة الکبری إلی صاحبها.

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۴۱۳.

(۲) و (۳) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۴۱۲، المغازی: ج ۲ ص ۸۳۸ الطبقات الکبری لابن سعد: ج ۲ ص ۱۳۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۴۹۹

إنه لم یکن بالذی یهضم حقوق الناس و یدوسها، فی ظل ما أوتی من قوة، و یقول للناس بکل صراحة: «خذوها یا بنی أبی طلحة، تالدة خالدة لا ینزعها أحد منکم إلا ظالم».

ثم ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ألغی جمیع مناصب الکعبة التی کانت فی الجاهلیة إلّا ما کان نافعا للناس کالسدانة و الحجابة (و هی القیام بشئون أستار الکعبة) و سقایة الحجیج «۱».

(۱)

النبی یتحدث إلی أقاربه:

و لكى يعرف أقرباء النبى صلّى اللّه عليه و آله أن وشيجة القربى التى تربطهم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا ترفع عن كاهلهم أيّة مسئولية من المسئوليات، بل تزيد من مسئوليتهم ألقى فيهم خطابا خاصا بيّن فيه أن رابطة القربى مع النبى صلّى اللّه عليه و آله لا تبرّر لأحد من أقربائه بأن يتجاهل قوانين الحكومة الاسلامية، و يتخذ من انتسابه إلى زعيم هذه الحكومة ذريعة و غطاء لارتكاب ما لا يحل للآخرين كما هو الحال فى أنظمة الحكم البشرية.

و لقد شجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى خطابه هذا الذى خطبه فى اجتماع ضمّ رجال بنى هاشم و بنى عبد المطلب، كل تمييز، و تفضيل غير صحيح، و دعا إلى لزوم العدل و مراعاة المساواة، بين جميع الطبقات اذ قال:

(۲) «يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب إنّى رسول اللّه إليكم، و إنّى شفيق عليكم، لا تقولوا: إنّ محمّدا منّا، فو اللّه ما أوليائى منكم و لا من غيركم إلّا المتقون فلا أعرفكم تأتونى يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم و يأتى الناس يحملون الآخرة.

ألا و إنى قد أعذرت فيما بينى و بينكم، و فيما بين اللّه عزّ و جلّ و بينكم و إن

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱، ص ۱۳۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۰

لى عملى و لكم عملكم» (۱).

(۱)

خطاب النبى التاريخى فى المسجد الحرام:

اشارة

كان الاجتماع الذى شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعا عظيما جدا.

المسلمون و المشركون، و الصديق و العدو حضروا بأجمعهم فى ذلك الاجتماع، و كانت تجلل هالة من عظمة الاسلام و عظمة نبيه الكريم صلّى اللّه عليه و آله رحاب ذلك المكان المبارك، و كان الصمت و الهدوء، و حالة من الانتظار و الترقب، تخيم على اجواء مكة.

لقد آن الأوان- الآن- لأن يكشف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للناس عن الملامح الحقيقية لدعوته المباركة و يوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش على معالم رسالته العظمى، و مبادى دينه الحنيف، و بالتالى أن يكمل حديثه الذى بدأه قبل عشرين عاما و لكنّه لم يوفق لإتمامه بسبب مضايقات المشركين، و معارضتهم، و بسبب ما أوجدوه من عقبات و عراقيل فى طريقه.

و لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ابن تلك المنطقة، و تلك البيئة، و لهذا كان عارفا- تمام المعرفة- بأمراض المجتمع العربى، و أدوائه، و علاج تلك الأدواء و دوائها.

(۲) لقد كان يعرف صلّى اللّه عليه و آله علل انحطاط المجتمع المكىّ و اسباب تخلفه عن ركب الحضارة و المدنية، و عن اللحاق بقافلة التكامل البشرى الصاعد.

من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء فى ذلك المجتمع المريض، و أن يعالج امراض البيئة العربية بشكل كامل، و كأى طبيب حاذق، و حكيم ماهر.

و نحن هنا ندرج أبرز المقاطع فى الخطاب التاريخى الذى ألقاه سيد المرسلين

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۱۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۰۱

صلّی اللّه علیه و آله علی الحشود الکبیرة المتجمعة فی ذلک الیوم عند بیت اللّه المعظم.

تلک المقاطع التی یعالج کل واحد منها مرضا اجتماعیا خاصا من أمراض المجتمع فی ذلک العصر و حتی فی عصرنا الحاضر.

(۱)

۱- التفاخر بالنسب:

کان التفاخر بالنسب و القبیلة و العشیرة من الامراض المستحکمة المتجذرة فی البیئة العربیة الجاهلیة، و کان من اکبر أمجاد المرء أن ینتسب إلی قبیلة معروفة، و یتفرع نسبه عن عشیرة بارزة کقریش مثلا:

و لقد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی خطابه المذکور لإبطال هذه السنّة الجاهلیة المقیتة.

«أیّها الناس إنّ اللّه قد أذهب عنکم نخوة الجاهلیة و تفاخرها بآبائها.

ألا إنّکم من آدم، و آدم من طین.

ألا إنّ خیر عباد اللّه عبد اتّقاه».

لقد عمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی خطابه- لإفهام العالم البشری بأن ملاک الشخصیة و التفوق انما هو (التقوی) و الورع فقط- إلی تصنیف الناس الی صنفین لا ثالث لهما، و اعطی الفضیلة و المنزلة لأهل التقوی و الورع خاصة.

و بهذا التصنیف الواقعی فی ملاکاته أبطل جمیع المعاییر الخیالیة و الملاکات و المقاییس المصطنعة إذ قال:

«إنما الناس رجلان:

مؤمن تقی کریم علی اللّه.

و فاجر شقیّ هین علی اللّه».

(۲)

۲- التفاضل بالقومیة العربیة:

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعلم جیدا أن هذه الجماعة من

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۰۲

البشر تعتبر (العربیة) و الانتساب الی العرق العربی من المفاخر الکبری، و کانت النخوة العربیة قد ترسخت فی قلوب تلک الجماعة و عروقها کداء دفین و مرض مزمن، فقال فی خطابه لمعالجة هذا الداء الخبیث و تحطیم هذا الصرح الموهوم:

«إن العربیة لیست بأب والد، و لکنه لسان ناطق، فمن قصر عمله لم یبلغ به حسبه».

و هل نجد کلاما أعمق مغزی، و أوضح مرادا، و أقوی وقعا فی النفوس من هذا الکلام؟!

(۱)

۳- لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض:

لقد قال داعية الحرية الحقيقية، و رائد حقوق الانسان الواقعى بهدف تقوية و دعم مبدأ المساواة بين الافراد و الجماعات البشرية:
«إنّ الناس من آدم الى يومنا هذا مثل اسنان المشط، لا فضل للعربى على العجمى، و لا للأحمر على الأسود إلّا بالتقوى».
و قد ألغى رسول الانسانية الاعظم بهذا البيان الصريح كل انواع التمييز الظالمة، و كل ألوان التشدد مع الآخرين، و فعل و بيّن فى ذلك العصر ما لم يفعله و لم يبينه ميثاق حقوق الانسان مع كل هذه الضجة الاعلامية التى نشهدها فى عالمنا الحاضر.
(۲)

۴- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة:

لقد نشأت الاقوام العربية- نتيجة اشتغالها المستمر بالحروب الداخلية المتلاحقة و الطويلة- على الحقد و الضغينة.
فقد كانت نيران الحروب مشتعلة فى المجتمعات العربية على قدم و ساق و من دون انقطاع.
و لقد واجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد سيطرته الكاملة على الجزيرة
سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۳
العربية هذه المشكلة.
فقد كان يتوجب عليه- بغية إقرار الأمن و الهدوء و الحفاظ عليهما فى البيئة الاسلامية- أن يبادر الى وضع نهاية لهذه المعضلة، و أن يعالج هذا الداء المزمن فلم يجد دواء لهذا الداء إلّا أن يطلب من الناس كافة أن يتنازلوا عمّا لهم من دماء فى أعناق الآخرين سفكت فى العهد الجاهلى، و أن تعتبر جميع ملفات العهد القديم باطلة، و منتهية، ليمكن عن هذا الطريق الحيلولة دون إراقة الدماء التى تعرض المجتمع الاسلامى الناشئ للخطر، و حتى ينتزع من أذهانهم و نفوسهم فكرة الاغارة و القتل العشوائى الذى كان يتم بحجة القصاص فى حين كان من الممكن ان يتم بشكل القصاص الحقيقى العادل، فقال صلّى اللّه عليه و آله للوصول إلى مثل هذه الغاية السامية.
ألا إن كلّ مال و مأثرة و دم فى الجاهلية تحت قدمىّ هاتين».
(۱)

۵- الاخوة الاسلامية:

و لقد ارتبط قسم من خطاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين و وحدة كلمتهم، و حق المسلم على اخيه المسلم.
و قد كان مقصوده صلّى اللّه عليه و آله من بيان هذه الحقوق المتبادلة بين المسلمين التى تعتبر من مميزات الدين الاسلامى الحنيف، هو أن يرغّب غير المسلمين فى الاسلام إذا هم سمعوا و رأوا مثل هذه الحقوق، و مثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين.
فقد قال فى هذا الصعيد:
«المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوة و هم يد واحدة على من سواهم، تتكافؤ دماؤهم، ليسعى بذمتهم أدناهم» «۱».

---

(۱) لقد نقلنا هذه المختارات من: روضة الكافى: ص ۲۴۶، السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۱۲، المغازى: ج ۲ ص ۸۳۶، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۰۵، شرح ابن أبى الحديد: ج ۱۷، ص ۲۸۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۴

(۱)

معاقبة المجرمين:

اشارة

ليس من شك فى أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان مظهرا كاملا للانسانية و الرحمة و مثلا أعلى فى العفو و الصفح، فهو رغم مشاعر بعض المتطرفين الملتهبة، أصدر عفوه العام عن أهل مكة كافة.

بيد أنه كان هناك بين المكيين عدة أشخاص تجاوزوا الحد فى معاداتهم للنبى و معارضتهم للرسول، و ارتكبوا فى هذا السبيل جرائم لا تغتفر، فلم يكن من الصالح- مع كل ما تسبّبوه من فجائع و فضائع- أن يعيشوا بين المسلمين فى أمان و راحة، إذ كان من الممكن أن يسيئوا استخدام العفو النبوىّ فيعودوا إلى مشاغبتهم، و تآمرهم ضدّ الاسلام مرة اخرى و يتسببوا فى ظهور مشاكل أمنية جديدة لا يعرف مداها، و تبعاتها.

و قد قتل بعض هؤلاء المجرمين على أيدى المسلمين فى الطرقات، و لجأ اثنان منهم إلى بيت «أم هانى» بنت أبى طالب اخت الامام على عليه السّلام، فلاحقهما «على» و هو غارق فى الحديد لا يعرف، فدخل بيت أمّ هانئ يطلبهما «۱» فواجهت أم هانئ فارسا لا يعرف فقالت: أنا امرأة مسلمة و قد أجرت هذين، و جوار المسلمة محترم.

و فى اكثر المصادر أنها قالت: يا عبد اللّه أنا أم هانى ابنة عم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اخت على بن أبى طالب، انصرف عن دارى.

(۲) و هنا عمد الامام على عليه السّلام إلى الكشف عن هويته لتعرفه، فنزع المغفر عن رأسه، و اسفر عن وجهه.

فما أن وقعت عينا أم هانى على أخيها «على» بعد فراق طال سنينا عديدة

---

(۱) يقول ابن هشام إن الرجلين هما: «الحارث بن هشام» و «زهير بن أبى أميّة بن المغيرة (السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۱۱).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۵

و مديدة إلا و انحدرت منهما دموع الشوق و الفرحة، و اعتنقت أخاها، ثم توجها معا الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليعطى رأيه فى أمانها، و جوارها فامضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جوار تلك المرأة المسلمة، و أمانها قائلا:

«قد أجرنا من أجرت و أمّنّا من أمّنت فلا يقتلهما» «۱».

و قد كان عبد اللّه بن أبى سرح الذى أسلم ثم ارتدّ عن الاسلام احد العشرة الذين أمر النبى بقتلهم، و لكنه نجا من القتل بشفاعة عثمان له.

(۱)

قصّة عكرمة و صفوان:

و لقد فرّ «عكرمة بن أبى جهل» أحد كبار مثيرى الحروب و مشعلى الفتن ضد الاسلام و المسلمين، إلى اليمن، إلا أنّه نجا من القتل هو الآخر بشفاعة زوجته، فى قصة مفصلة.

و أمّا «صفوان بن اميّة» فانه مضافا إلى جرائمه الفادحة، كان قد قتل مسلما انتقاما لأبيه «أميّة بن خلف» الذى قتل على أيدى المسلمين فى بدر، و ذلك عند ما صلبه أمام حشد كبير من أهل مكة فى وضح النهار، و لهذا أهدر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دمه، فعزم ان يخرج من الحجاز عن طريق البحر فرارا من القتل، و بخاصة عند ما علم بأنه من جملة العشرة الذين أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بقتلهم و أهدر دمهم.

(۲) فطلب «عمير بن وهب» من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يعفو عنه، فقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شفاعته، و أعطاه عمامته ليدخل بها مكة كعلامة أمان من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و يصطحب معه إلى مكة «صفوان بن أميّة»، فذهب عمير إلى جدّة، و أخبر صفوان بذلك، و قدم به مكة

---

(۱) الارشاد: ص ۷۲ إعلام الورى بأعلام الورى: ص ۱۱۰، السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۱۱، الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۱۴۴ و ۱۴۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۶

على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فلما وقعت عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على كبير المجرمين بل اكبرهم يومئذ قال له ردّا عليه لما سأله قائلا: أن عمير يزعم أنك قد أمنتنى؟

«صدقت، انزل أبا وهب».

ثم دعاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الى الاسلام فقال: اجعلنى بالخيار شهرين، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أنت بالخيار فيه أربعة أشهر» «۱».

و بهذا أمهله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أربعة أشهر كفرصة يفكّر فيها فى الاسلام، و دعوة النبى.

(۱) إن دراسة اجمالية و سريعة لهذا الموقف تكشف القناع عن حقيقة مسلّمة فى الاسلام و فى تاريخه العظيم يحاول المستشرقون المغرضون إنكارها و إخفاءها، و هو أن رءوس الشرك كانوا أحرارا فى اختيار العقيدة الاسلامية و اعتناقها.

فهم اختاروها و اعتنقوها بمحض إرادتهم من دون إكراه أو إجبار، و لا إرعاب أو تخويف، بل كانت القيادة الاسلامية تسعى دائما إلى أن يتم اعتناق عقيدة التوحيد عن طريق التدبر و التفكير الصحيح، لاعن طريق الارعاب و التخويف.

هذا هو أبرز حوادث فتح مكة و اكثرها عبرة، و بقى أن نتعرض لذكر حادثتين جديرتين بالاطلاع و التأمل استكمالا لهذه الدراسة.

و تانك الحادثتان هما:

(۲)

۱- مبايعة النبى نساء مكة:

بعد بيعة «العقبة» كانت هذه هى المرة الاولى التى اخذ رسول اللّه صلّى

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۱۸ المغازى: ج ۲ ص ۸۵۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۷

اللّه عليه و آله البيعة من النساء بشكل ظاهرىّ و رسمىّ، و لقد بايعنه على الامور التالية:

۱- أن لا يشركن باللّه شيئا.

۲- و لا يسرقن.

۳- و لا يزنين.

۴- و لا يقتلن أولادهن.

۵- و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهنّ.

۶- و لا يعصين النبى فى معروف.

(۱) و لقد تمت هذه البيعة بالكيفية التالية و هى: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمر بقدح من ماء ثم ألقى فى الماء شيئا من الطيب و العطر ثم ادخل يده فيه و تلا الآية «۱» التى وردت فيه الامور المذكورة ثم نهض من مكانه و قال صلّى اللّه عليه و آله للنساء: «من أرادت أن تبايع فلتدخل يدها فى القدح فانى لا اصافح النساء» «۲».

و كانت العلّة فى أخذ مثل هذه البيعة- الخاصة فى موادها و بنودها- من نساء مكة هى وجود عدد كبير من النسوة الفاسدات بينهن، فلو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم يقدم على أخذ مثل هذه البيعة منهن لكان من المحتمل أن تستأنف تلك النسوة الفاسدات عملهنّ القبيح حتى فى السرّ.

(۲) و كانت «هند» زوجة أبى سفيان بن حرب، و أمّ معاوية ذات السوابق السوداء و الفاضحة من بين تلك النسوة.

و قد كانت هذه المرأة لفضاضة فى طبعها و خشونة فى سلوكها، تهيمن على عقلية زوجها أبى سفيان، و لطالما فرضت عليه آراءها، حتى أنها يوم قرّر أبو سفيان الاستسلام للأمر الواقع، و رغّب أهل مكة فى السلام حرّضت الناس على القتال

---

(۱) الممتحنة: ۱۲.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۱۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۸

و سفك الدماء و مواجهة جنود الاسلام.

(۱) إن تحريضات هذه المرأة بالذات هى التى أشعلت نيران الحرب فى «احد»، تلك النيران التى كلّفت، رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سبعين شهيدا كان أبرزهم «حمزة» الذى بقرت تلك المرأة الفاسدة الفاجرة الحاقدة و بمنتهى القسوة و الفضاضة بطنه، و شقّت صدره، و استخرجت كبده، و قطعته بأسنانها نصفين.

لم يكن لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بدّ من أخذ هذا النوع من البيعة من هذه المرأة و أمثالها فى مرأى و مسمع من الناس.

و قد تلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ما نزل من قوله تعالى من شروط البيعة عليهن، فلما بلغ إلى قوله: «و لا يسرقن» نهضت هند- و كانت آنذاك متنقبة متنكرة- و قالت: إنّ أبا سفيان رجل ممسك و اللّه إنى كنت لأصبت من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة و ما كنت أدرى أ كان ذلك حلالا أم لا؟

(۲) فنهض أبو سفيان و قال: ما أصبت من مالى فيما مضى و فيما غبر فهو لك حلال.

فعرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من خلال هذا الحوار بين هند و أبى سفيان أن المتكلمة هى «هند» بنت عتبة فقال صلّى اللّه عليه و آله لها سائلا: «و انك لهند بنت عتبة»؟!

قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا اللّه عنك!

و لما بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى قوله تعالى: «و لا- يزنين» نهضت هند مرة اخرى و ذكرت و هى تبرّئ نفسها من هذه الوصمة، و ذكرت جملة كشفت عن خبيئة نفسها من دون شعور.

فلقد قالت: يا رسول اللّه أو تزنى الحرة؟!

لقـد كان هذا الدفاع يعدّ- من منظار علم النفس- نوعا من كشف القناع عما فى السـريرة و الافصاح عما فى الضـمير. و حيث إن هندا كانت تعرف أنها كانت فيما مضى تفعل مثل هذا، و كانت واثقة من ان الناس عند سماع هذه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۰۹

العبارة سـيلتفتون بانظارهم إليها لـذلك لهذا سارعت فورا- و يهدف صـرف الأنظار عن نفسـها- إلى القول: و هل تزنى إلّا الأمة دون الحرة.

و من الصـدف انه كـان من الرجـال فى ذلك المجلس بعض من سـبقت له معها علاقات غير مشـروعة فى العهـد الجاهلى فتعجب من إنكارها، فضحك حتى استغرق فى الضحك، و تسبّب دفاع هند عن نفسها فى المزيد من افتضاحها «۱».

(۱)

هدم بيوت الاصنام بمكة و ما حولها:

كانت فى مكة و ضواحيها بيوت عديدة و كثيرة للاصـنام التى كانت تقدّسـها، و تحترمها القبائل المختلفة القاطنة فى تلك المناطق، و حتى يقضـى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله على جـذور الوثنيـة فى أرض مكـة قام بارسال فرق عسـكرية متعـددة إلى تلكم المناطق لهدم تلك المعابد، و البيوت، و إزالة الاصنام و الاوثان.

كمـا أنّه صـلّى اللّه عليه و آله أعلن فى مكـة نفسـها أن من كـان فى بيته صـنم فليكسـره، و فى هـذا السـياق أرسـل «عمرو بن العاص» لتحطيم صنم «سواع» و سعد بن زيد لهدم صنم «منات».

و توجه «خالـد بن الوليـد» على رأس فرقة عسـكرية الى «تهامة» لدعوة قبيلة «جذيمة بن عامر» إلى الاسـلام، و هدم صـنم «عزى»، و قد نهاه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حين كلّفه بهـذه المهمـة عن القتال و إراقـة الدماء و بعث معه «عبد الرحمن بن عوف» ليعينه على ذلك.

و كانت قبيلـة بنى جذيمـة قد قتلت عمّ خالد بن الوليد «۲» و والـد عبـد الرحمن لدى رجوعهما من اليمن فى ايام الجاهلية و صادرت أموالهما، و لهذا كان «خالد»

---

(۱) مجمع البيان: ج ۵ ص ۲۷۶.

(۲) هو الفاكه بن المغيرة بين عبـد اللّه بن عمر بن مخزوم راجع للوقوف على اصل هـذه الواقعـة السـيرة النبويـة: ج ۴ ص ۷۴ و تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۶۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۱۰

يحقد عليهم.

(۱) فلما التقى «خالد» بنى جذيمة فى أرضـهم، وجدهم قد أخذوا السـلاح، و تهيّأوا لقتاله فأمّنهم و قال لهم: ضـعوا السـلاح فان الناس قد أسلموا.

فرأى زعماء القوم ان يضع الناس السـلاح، و يسـلّموا لجنود الاسـلام، و لكن رجلا من القوم أدرك بفطنته سوء نية خالد، فقال لزعماء القبيلة: و اللّه لا أضع سلاحى أبدا، فما بعد وضع السلاح إلا الإسار، و ما بعد الإسار الّا ضرب الاعناق!

و لكن بنى جذيمـة رفضت قوله، و أخـذت برأى أسـيادها فوضـعت السـلاح، و امّن النـاس، فـأمر خالـد جنوده فورا بـان يكتّفوا رجال القبيلة، و باتوا فى وثاق.

فلما كان فى السحر أمر بأن يقتل فريق منهم، و أطلق سراح آخرين.
(۲) و عند ما بلغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نبأ هذه الجريمة النكراء غضب صلّى اللّه عليه و آله على خالد غضبا شديدا، و دعا عليا من فوره، و أعطاه مبلغا كبيرا من المال و أمره بالتوجه الى بنى جذيمة، و ان يدفع دية من قتل أو جرح خالد من رجالهم، و ثمن كل ما خسروه أو فقدوه من أموالهم بدقة و عناية كاملتين.
فودى على عليه السّلام لهم كل ما أصاب خالد، حتى أنه ليدى ميلغة الكلب (و هى الاناء الذى يلغ فيه الكلب) حتى اذا لم يبق شىء من دم و لا مال إلّا وداه بقيت معه بقية من المال، فدعا رؤساء تلك القبيلة المنكوبة و قال لهم: هل بقى لكم من دم أو مال لم يود لكم؟
فقالوا: لا.
فقال عليه السّلام: فانى اعطيكم هذه البقية من المال احتياطا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ممّا يعلم و لا تعلمون.
ففعل ثم رجع الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاخبره الخبر فقال صلّى اللّه عليه و آله:
سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۱۱
«أصبت و احسنت».
(۱) ثم قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و استقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى ممّا تحت إبطيه و قال:
«اللّهم إنّى أبرأ ممّا صنع خالد بن الوليد».
قالها ثلاث مرات «۱».
لقد تلافى على عليه السّلام جميع الخسائر المادية و الروحية التى لحقت ببنى جذيمة، و قد أعطى شيئا من ذلك المال لمن ارتاع، و فزع من صنع خالد و جنوده، و طيّب خواطرهم و قال: و هذه لروعة القلوب.
و عند ما عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بصنيع علىّ عليه السّلام و إجراءاته العادلة و الانسانية مع بنى جذيمة المنكوبين قال فى حقه:
«و اللّه ما يسرّنى يا علىّ أنّ لى بما صنعت حمر النعم «۲» ... أرضيتنى رضى اللّه عنك ... يا علىّ أنت هادى أمّتى، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبّك و أخذ بطريقتك، ألا إن الشقىّ كل الشقىّ من خالفك و رغب عن طريقتك إلى يوم القيامة ...» «۳».
(۲)

جرائم اخرى لخالد:

لم تقتصر جرائم خالد التى ارتكبها طيلة حياته الاسلامية فى ظاهرها على ما ذكر بل لقد ارتكب جريمة اخرى فى أيام حكومة «أبى بكر» اكبر و افضع ممّا مرت، و إليك خلاصة هذه الواقعة:
لقد ارتدّت بعض القبائل- بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، أو

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۲۰، الكامل لابن الاثير: ج ۱ ص ۱۷۳ و ۱۷۴ امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۰۰.
(۲) الخصال: ص ۵۶۲.
(۳) مجالس ابن الشيخ: ص ۳۱۸.
سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۱۲
بالأحرى و فى الحقيقة رفضت الاعتراف بخلافة أبى بكر، و امتنعت عن أداء الزكاة إليه، فبعث أبو بكر فرقا عسكرية مختلفة لقمع

تلک الجماعات المتمردهٔ.

(۱) و بعث خالـد بن الولید علی رأس فرقهٔ عسـکریهٔ الی قبیلهٔ «مالک بن نویرهٔ» لمقاتلتها بحجهٔ الارتداد، و کان «مالک» و جمیع أفراد قبیلته علی استعداد للقتال، و کانوا یقولون: نحن مسلمون، فلا معنی لمقاتلتنا.

فمکر بهم خالـد علی نحـو مکره ببنی جذیمـهٔ فی عهـد رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله، و أمّنهم، و طلب منهم إلقـاء اسـلحتهم، فلما وضعوا أسلحتهم، أمر بحبسهم، ثم قتلهم و قتل زعیمهم المسلم الصالح «مالک بن نویرهٔ» و اعتدی علی زوجته فی نفس اللیلهٔ «۱».

فهـل یصـح أن یوصف هـذا الرجل- علی هـذه السوابق السوداء، و مع هـذا الملفّ المخزی- بسـیف اللّه، و أن یعـدّ من امراء الاسـلام المجاهدین الصالحین؟!! «۲».

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۳ ص ۱۴۹، أسـد الغابهٔ: ج ۴ ص ۲۹۵ تاریخ ابن عساکر: ج ۵ ص ۱۰۵، ۱۱۲ تاریـخ ابن کثیر: ج ۶ ص ۳۲۱، تاریخ الخمیس: ج ۱ ص ۲۳۳.

(۲) لقد ورد ذکر هذه الحادثهٔ فی کتب التاریخ فی حوادث السنهٔ الأولی من حکومهٔ «أبی بکر» بصورهٔ مفصلهٔ و قد ذکرناها ملخصهٔ.

و للوقوف علی تحلیل هذه القضیهٔ المؤسفهٔ راجع کتاب النص و الاجتهاد ص ۶۱- ۷۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۱۳

(۱)

۵۰ معرکهٔ حنین

اشارهٔ

کانت طریقهٔ رسول للّه صـلّی اللّه علیه و آله عند فتح أیّهٔ منطقهٔ من المناطق هی أن یقوم بنفسه بادارهٔ شـئونها السیاسیهٔ و الدینیهٔ ما دام هو فیهـا، فـإذا أراد أن یغادرهـا عیّن أفرادا صـالحین للقیام بتلک الأمور، و شـغل تلک المناصب لأن الناس فی تلک المناطق کانوا قد اعتـادوا علی النظـام المباد، و لم یکن لهم معرفـهٔ بالنظام الجدیـد، هـذا من جهـهٔ، و من جهـهٔ اخری فإن الاسـلام دین متکامل، و نظام سیاسـی، اجتمـاعی، أخلاـقی، و معنوی یسـتمد قوانینه من منبع الوحی الطـاهر، و یحتـاج إیقاف الناس علی تلکم القوانین و التعالیم، و تطبیقهـا العملی إلی أفراد صـالحین متمرسـین و مـدرّبین علی التثقیف و التطبیق الصـحیحین، لیمکنهم إیقـاف الناس فی تلک المناطق علی مبادئ الاسلام و اصوله الصحیحهٔ، و تنفیذ البرنامج السماوی الاسلامی فی حیاتهم علی النحو الصحیح.

(۲) و قد فعل رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله هذا عند فتح مکهٔ، فانه صلّی اللّه علیه و آله بعد أن قرر مغادرهٔ مکهٔ و المسیر إلی قبیلتی «هوازن» و «ثقیف» عیّن «معـاذ بن جبـل» لیعلّم النـاس القرآن، و أحکـام الاسـلام، و «عتـاب بن أسـید» الـذی کان رجلا مؤهّلا، لادارهٔ الامور، و الصلاهٔ بالناس جماعهٔ، ثم غادر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مکهٔ بأصحابه بعد أن مکث فیها خمسهٔ عشر یوما متوجها إلی أرض هوازن «۱».

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۳۷، و المغازی: ج ۳ ص ۸۸۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۱۴

(۱)

جیش قلیل النظیر:

کـان الجیش الـذی سـاربه رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله إلی هـوازن یبلغ (۱۲) ألفا من الجنود المسـلحین: عشـرة آلاف هم الـذین صحبوه من المدینـة، و شارکوا فی فتـح مکة، و ألفان من رجال و شـباب قریش الذین أسـلموا بعد الفتح، و قد أوکل النبی صـلّی اللّه علیه و آله قیادتهم إلی أبی سفیان «۱».

و لقد کان مثل هذا الجیش العظیم و الجمع الکبیر قلیل النظیر، و نادر المثیل فی تلک العصور، و قد صارت هذه الکثرة ذاتها سـببا فی هزیمته فی مبـدأ الأمر، فقـد أعجب أفراد هـذا الجیش بکثرتهم- علی خلاف ما مضـی- فتجاهلوا التکتیکات النظامیـة الدقیقة، و غفلوا عن خطـط العـدو و نوایـاه فکـان ذلک داعیا إلی هزیمتهم!! فقـد قال أبو بکر لما رأی کثرة المسـلمین: لو لقینا بنی شـیبان ما بالینا، لن نغلب الیوم من قلة «۲».

و لکنه لم یکن یعرف أن الانتصار لیس هو بکثرة الافراد و ضخامة الجیش، بل ان هذا العامل غیر مهمّ بالقیاس إلی بقیة العوامل.

و لقد أشار القرآن الکریم إلی هذه الحقیقة اذ قال تعالی:

«لَقَـدْ نَصَـرَکُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ کَثِیرَةٍ وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَـیْئاً وَ ضاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ» «۳».

(۲)

تحصیل المعلومات العسکریة:

بعـد فتـح مکـة دبّت حرکـة خاصـة فی قبائل هوازن و ثقیف، و جرت اتصالات مکثفـة بینها، و کان حلقة الاتصال، و المدبر الحقیقی لهذه التحرکات شاب عرف

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۳۹، المغازی: ج ۳ ص ۸۸۹.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۵۰، المغازی: ج ۳ ص ۸۸۹.

(۳) التوبة: ۲۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۱۵

بالفروسیة و الشجاعة یدعی «مالک بن عوف النصری».

(۱) و قد تقرّر بعد سلسـلة من الاتصالات و المداولات بین زعماء هوازن و ثقیف أن تبادر القبیلتان المذکورتان الی توجیه ضربة قویة الی جیش الاسلام عبر خدعة عسکریة، قبل أن یغزوها جنود الاسلام فی عقر دورها.

فقـد اختـارت لقیـادة هـذه المهمـة شابا متهورا فی العقـد الثالث من عمره هو مالک بن عوف النصـری الـذی أشـرنا إلیه عما قریب، و اشترک فی هذه الغزوة جمیع قبائل هوازن و ثقیف بصورة موحّدة.

فکـان من تـدبیر هـذا القائـد أن اقترح علی جیشه أن یجعلوا النسـاء و الاطفـال و الاموال وراء ظهورهم و عنـد ما سألوه عن علـة ذلک الاجراء قال: اردت من جعل کل رجل أهله و ماله و ولده و نساءه خلفه حتی یقاتل عنهم «۱».

فقبل المشترکون فی تلک العملیة بأمر قائدهم هذا بالاجماع، و جعلوا أموالهم و أهلیهم خلفهم.

(۲) و قد خالف شـیخ مجرب حنّکته الحروب منهم یدعی «درید بن الصـمة» هذه الخطة عند ما سمع رغاء البعیر، و ثغاء الشاء، و خوار البقر، و بکاء الصغیر، و جادل فیها مالکا، و اعتبرها خطة فاشلة من الناحیة العسکریة و قال للناس:

یا قوم إن هذا فاضحکم فی عورتکم، و ممکّن منکم عدوّکم، و هل یرد المنهزم شیء؟

و لكن مالكا لم يعر كلام هذا الشيخ و نصيحته اهتماما و قال:- و هو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثة-: أنك قد كبرت، و كبر علمك، و حدث بعدك من هو أبصر بالحرب منك.

و لقد اثبت المستقبل صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنّك فان إشراك النساء و الاطفال و الانعام فى الحرب، و إخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلى

---

(۱) المغازى: ج ۳ ص ۸۹۷.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۱۶

ثقيف و هوازن مشاكل كثيرة، فيما بعد.

(۱) ثم إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما سمع بتحركات هاتين القبيلتين بعث «عبد اللّه بن حدرد الأسلمى»، و أمره أن يدخل فى هوازن و ثقيف فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم و خططهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأخبارهم.

و كان «مالك بن عوف» قائد هوازن و ثقيف قد بعث بدوره ثلاثة جواسيس ليتجسسوا له على المسلمين، و يأتوه بأخبارهم، فعادوا بأجمعهم فزعين ممّا شاهدوه من قوة المسلمين و كثرتهم.

فقرر قائد العدوّ أن يجبر ضعف جنوده و قلتهم باستخدام الخدع العسكرية، و التوسل باسلوب المباغتة ليفرق- بهجوم مفاجئ- صفوف المسلمين، و يهدم نظامهم و انسجامهم، و يصيبهم بالهرج و المرج، و الفوضى و الحيرة ليختلّ باختلال الجيش أمر القيادة، فلا تتمكن من ضبط الامور، و تحقيق انتصار على المسلمين.

(۲) و لتحقيق هذا الهدف هبط «مالك بن عوف» بجيشه فى واد ينحدر الى منطقة «حنين»، و أمر بأن يختفى الجنود و المقاتلون خلف الصخور و الاحجار، و فى شغاف الجبال، و كل ما ارتفع من ذلك الوادى و نشز، حتى إذا انحدر جنود الاسلام فى هذا الوادى فى غفلة من هذا التدبير خرج رجال هوازن و ثقيف من مكامنهم، و كمائنهم، و رموا المسلمين الغافلين عن خطة العدو، بالحجارة و النبل، ثم يخرج إليهم فريق فى أسفل الوادى و يضربونهم بالسيوف!!

(۳)

تجهيزات المسلمين:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عارفا بقوة العدوّ و عناده فدعى «صفوان بن أميّة» قبل مغادرة مكة، و استعار منه مائة درع بأداتها كاملة عارية مضمونة، و لبس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه درعين كما لبس المغفر و البيضة، و ركب بغلته البيضاء و سار خلف جيشه و سار حتى دنوا جميعا من

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۱۷

الوادى فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادى، و مع غلس الصبح انحدرت كتيبة «بنى سليم» بقيادة «خالد بن الوليد» فى وادى «حنين»، و بينما دخل اكثر جنود الاسلام ذلك الوادى حمل عليهم رجال هوازن من كمائنهم فى مضيق الوادى و شعابه حملة رجل واحد، و أخذوا يرشقونهم بالاحجار و النبال، فالقت أصوات الاحجار و النبال فزعا شديدا فى قلوب المسلمين الذين مطروا بالسهام و النبال و الاحجار من جانب، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم و وقعوا فيهم ضربا و قتلا.

(۱) أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها فى قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، و أصابت المسلمين بالفوضى، و خلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، و قد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدوّ بهم.

ففرح المنافقون فی جیش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لهذا الحادث، و سروا به سرورا عظیما حتی قال أبو سفیان شامتا: لا ینتهی هزیمتهم دون البحر، و قال آخر: الا بطل السحر الیوم، و قال ثالث: لا یجتبرها محمّد و أصحابه، و عزم رابع علی اغتیال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی ذلک الوضع المضطرب و إطفاء شعلة رسالته المقدسة «۱».

(۲)

استقامة النبی و من ثبت من أصحابه:

لقد ازعج فرار المسلمین الذی کان نابعا- فی الدرجة الاولی من الفزع و الفوضی التی أصابتهم، رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و أدرک صلّی اللّه علیه و آله بأنه لو تأخّر لحظة واحدة عن فعل ما یجب أن یفعله لتغیّر وجه التاریخ و لتبدّل مسار البشریة، و لحطّم جیش الشرک جیش التوحید.

---

(۱) المغازی: ج ۳ ص ۹۰۹- ۹۱۰، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۴۴۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۱۱ و ۴۱۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۱۸

من هنا صاح بأعلی صوته و هو علی بغلته:

«یا أنصار اللّه و انصار رسوله أنا عبد اللّه و رسوله».

(۱) قال هذا و اندفع ببغلته الی ساحة القتال فی المکان الذی جعله «مالک» و جنوده مسرحا لمهاجمة المسلمین و مباغتتهم و قتالهم، و مشی معه من لازمه فی تلک اللحظات و ثبتوا معه کعلی بن أبی طالب علیه السّلام و العباس بن عبد المطلب، و الفضل بن العباس، و أبی سفیان بن الحارث الذی لم یغفلوا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله منذ بدء القتال لحظة واحدة، و امر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عمّه العباس الذی کان صاحب صوت عظیم أن ینادی فی المسلمین الذین کانوا یواصلون فرارهم، و لا یلوون علی شیء:

«یا معشر الانصار، یا معشر السمرة» «۱».

و یقصد من السمرة الشجرة التی کانت عندها بیعة الرضوان، فکان هذا النداء تذکیرا بتلک البیعة التی تعهدوا فیها لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بان ینصروه حتی الموت.

(۲) فبلغت صرخات العباس مسامع المسلمین فثارت حمیتهم، و أخذوا یثوبون الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هم یقولون: لبیک لبیک.

لقد أوجبت نداءات العباس المتلاحقة التی کانت تخبر و تنبئ فی الحقیقة عن سلامة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هی نادمة علی فرارها ندما شدیدا، و نظّموا صفوفهم أمام العدو من جدید أفضل ممّا مضی، ثم حملوا حملة رجل واحد علی العدوّ الغادر بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، و استطاعوا فی أقصر مدة من الوقت ان یجبروا العدوّ علی الانسحاب و الفرار و الرسول القائد صلّی اللّه علیه و آله یقول تشجیعا لهم، و تقویة لمعنویاتهم:

---

(۱) و لقد ذکر المغازی فی ج ۳ ص ۹۰۲ جانبا من بطولات علی علیه السّلام و تضحیاته فی هذه الموقعة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۱۹

«أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب».

(۱) و قد تسبّب استخدام هذا التدبیر العسکری الحکیم فی إرعاب رجال هوازن و من ساعدهم من ثقیف المقاتلین، بشدة بحیث

انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحة و منكرة، تاركين وراءهم اموالهم و نساءهم و صبيانهم الذين أتوبهم الى ساحة المعركة، و جعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك- كما أسلفنا، و فروا بعد أن قتل منهم جماعة إلى منطقة أوطاس و نخلة، و قلاع الطائف.

(۲)

غنائم الحرب:

لقد بلغت خسائر المسلمين من الارواح فى هذه المعركة ثمانية أشخاص فى مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو.

كما و أن المسلمين غنموا فى هذه الواقعة أربعة و عشرين ألف بعير، و أربعين ألف رأس غنم، و أربعة آلاف اوقية «۱» من الفضة.

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمر بأن يؤخذ الاسرى و الغنائم الى منطقة تدعى الجعرانة (و هى ماء بين الطائف و مكة) و كلّف أشخاصا معيّنين بحراستها و حفظها و جعل الأسرى فى بيوت خاصة، كما أمر بأن تحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد فى ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد ان يلاحق فلول العدو الذى فرّ الى أوطاس و نخلة و الطائف «۲».

لقطتان من الخلق النبوى العظيم:

و ينبغى ان نشير هنا إلى قصتين تدلان على سمو الاخلاق النبوية، و عمق

---

(۱) الرطل ۲۵۶۴ غرام و الاوقية ۱۲/ ۱ من الرطل فعلى هذا تكون الاوقية ۲۱۳ غراما، و أربعة آلاف أوقية تساوى ۸۵۲ كيلو غراما.

(۲) كتب ابن هشام فى سيرته أن عدد القتلى فى هذه المعركة كان أربعة أشخاص، و لكن معركة واسعة مثل هذه يتوقع أن يكون قتلاها اكثر من هذا العدد.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۲۰

الرحمة الاسلامية:

۱- بعد أن أعاد النبى المسلمين الهاربين إلى ساحة المعركة فكرّوا على هوازن و هزموهم هزيمة قبيحة، قالت أمّ سليم بنت ملحان للنبى صلّى اللّه عليه و آله: يا رسول اللّه! ما رأيت هؤلاء الذى أسلموا و فرّوا عنك و خذلوك!! لا تعف عنهم اذا أمكنك اللّه منهم، تقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال صلّى اللّه عليه و آله: يا أم سليم! قد كفى اللّه، عافية اللّه أوسع «۱».

و هكذا نجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يعفو عن أصحابه الهاربين الذين خذلوه فى تلك الموقعة.

۲- حنق المسلمون على المشركين فى وقعة حنين فقتلوهم حتى اخذوا فى قتل الذرية، فلما بلغ ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا لا تقتل الذرية.

فقال اسيد بن الحضير: يا رسول اللّه أ ليس إنما هم أولاد المشركين!

فقال: أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، و أبواها يهوّدانها أو ينصّرانها «۲».

---

(۱) و (۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۰۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۲۱

(۱)

۵۱ غزوهٔ الطائف

اشارهٔ

«الطائف» من مصایف الحجاز و من المناطق الخصبهٔ، الکثیرهٔ الزرع فیها، و تقع الطائف فی الجنوب الشرقی من مکهٔ علی بعد (۱۲) فرسخا منها، و قد کانت و لا تزال بسبب مناخها اللطیف، و بساتینها المثمرهٔ، و نخیلها الکثیرهٔ مقصدا بل مرکزا و موطنا لطلاب اللذهٔ و الراحهٔ من أهل الحجاز.

و قد کانت قبیلهٔ ثقیف التی کانت تعدّ من القبائل العربیهٔ القویهٔ الکثیرهٔ العدد تسکن فی هذا البلد.

و کانت أعراب ثقیف من الـذین شارکوا فی معرکـهٔ «حنین» ضدّ الاسـلام و المسـلمین، ثم لجئوا بعد الهزیمهٔ المنکرهٔ التی لحقت بهم علی أیدی جنود الاسلام الظافرین إلی بلدهم الذی کان لهم آنذاک فیه حصن قویّ و منیع.

و لتکمیل الانتصار الاسلامی أمر الرسول القائد صلّی اللّه علیه و آله بملاحقهٔ الهاربین المنهزمین فی معرکهٔ حنین.

(۲) من هنا کلّف صلّی اللّه علیه و آله أبا عامر الأشعری و أبا موسی الأشعری و فریقا من جنود الاسلام بملاحقهٔ من لجأ منهم إلی «أوطاس» فقتل القائد الأوّل فی هذه الواقعهٔ، و استطاع الثانی أن یحرز انتصارا کبیرا علی العدو و یفرق جمعه «۱».

و أما النبی صلّی اللّه علیه و آله نفسه فقد توجه بالبقیهٔ من جیشه الی

---

(۱) المغازی: ج ۳ ص ۹۱۵ و ۹۱۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۲

الطائف «۱»، و مرّ فی طریقه علی حصن مالک بن عوف النصری مثیر فتنهٔ «حنین» و رأس المؤامرهٔ، فهدمه و سوّاه بالأرض.

علی أن تهدیم حصن «مالک» لم یکن بدافع انتقامیّ بل کان لأجل ان لا یترک وراءه نقطهٔ اعتماد و ملجأ للعدوّ.

(۱) تحرکت أعمدهٔ الجیش الاسلامی الواحدهٔ تلو الاخری، و استقرت حول مدینهٔ الطائف.

کان حصن الطائف حصنا منیعا، مرتفع الجدران، قوی البنیان، فیه أبراج للمراقبهٔ مسیطرهٔ علی خارج الحصن سیطرهٔ کاملهٔ.

و منذ أن استقرّ الجیش الاسلامی خارج الطائف بدأ حصاره لها، غیر أنّ الحصار لم یتکامل بعد حتی عمد العدو إلی رمی المسلمین للحیلولهٔ دون تقدّمهم نحو المواقع المرسومهٔ لها، فقتل بهذا جماعهٔ من المسلمین فی بدایهٔ هذه الواقعهٔ.

فأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الجیش بالانسحاب و التراجع التکتیکی الی نقطهٔ بعیدهٔ عند مرمی العدوّ، و التمرکز فیها ریثما تصدر الاوامر الجدیدهٔ

و هنا اقترح «سلمان الفارسی» الذی سبق له أن اقترح حفر الخندق فی معرکهٔ الاحزاب، و کان ذا خبرهٔ بفنون القتال، اقترح علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأن یرمی الحصن بالمنجنیق «۲»، و کان هذا الجهاز الذی کان یستخدم فی حروب تلک الأعصر یؤدی نفس دور الدبابهٔ فی الحروب الراهنهٔ.

فقام امراء الجیش الاسلامی بنصب المنجنیق بارشاد و توجیه من سلمان، و أخذوا یرمون الحصن المذکور و أبراجها الشاهقهٔ بالحجارهٔ طوال عشرین یوما متوالیهٔ.

و لکن العدوّ لم یسکت تجاه هذه العملیات القویهٔ التی بدأها المسلمون،

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۶۳.

(۲) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۱۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۳

فزاد من رمیه و استمر فی ذلک، فوقعت بین المسلمین بعض الاصابات نتیجة ذلک «۱».

(۱) و الآن یجب أن نری کیف حصل المسلمون علی جهاز المنجنیق، هذا؟

یری البعض أن سلمانا هو الذی صنع هذا الجهاز و علّم المسلمین کیفیة استخدامه فی هذه الغزوة «۲».

و یری آخرون ان المسلمین حصلوا علی هذا الجهاز و غنموه من الیهود فی خیبر عند فتح قلاعهم و حصونهم و اصطحبوه معهم إلی الطائف و استخدموه فی غزوها.

و لا یبعد أن الصحابی الجلیل سلمان الفارسی قد ادخل بعض التحسینات علی ذلک الذی جلبه المسلمون من خیبر، و علّم المسلمین کیفیة نصبه و استخدامه فی القتال، فانه یستفاد من التاریخ أن المنجنیق لم یکن منحصرا فی المنجنیق الذی حصل علیه من یهود خیبر، لأن النبی صلّی اللّه علیه و آله بعث الطفیل بن عمرو الدوسی لتحطیم أصنام لقبیلة «دوس» فی وقت متزامن مع خروجه الی معرکة حنین ثم الطائف فعاد الطفل فاتحا مع من خرجوا تحت إمرته من جنود الاسلام الاربعمائة، و کانوا برمتهم من أبناء قبیلته، فقدم الطائف علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع عدد واحد من جهاز المنجنیق و عربتین حربیتین خاصتین، و قد استخدمت هذه الآلیات فی غزوة الطائف.

(۲)

شدخ جدار الحصن بالمنجنیق:

کان لا بدّ لاخضاع العدو و دفعه إلی الاستسلام من القیام بحملات واسعة و من مختلف الاطراف و النواحی، و لهذا تقرر أن یقوم جنود الاسلام، مضافا إلی

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۵۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۴ ص ۱۲۶، و ابن هشام یری أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هو اول من أستخدم المنجنیق فی الجزیرة العربیة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۴

رمی الحصن بالمنجنیق، إیجاد ثغرة فی الجدار واجه مشکلة کبری، لأن السهام و الاحجار، و النیران کانت تنصبّ علی رءوس المقاتلین المسلمین کالمطر، و لم یکن فی مقدور أحد منهم الاقتراب و الدنوّ من جدار الحصن، فکان أفضل وسیلة لتحقیق هذا الهدف هو استخدام الدبابة التی کانت فی جیوش العالم الکبری فی تلک العصور فی صورتها البدائیة.

و کانت الدبابة آنذاک تصنع من الخشب و تغطی بجلود البقر، و یدخل تحتها جماعة من الجنود الاقویاء ثم تتحرک نحو الحصن حتی تدنو إلیه، و یقوم الجنود بعملیة إیجاد ثغرة او نقب فی جدار الحصن، فاستخدم نفر من جنود الاسلام الشجعان الاشداء هذا الجهاز بالطریقة المذکورة، بید أن العدو قد حال دون هذا العمل إذ ألقی علی الدبابة سکک الحدید المحماة بالنار فاخرب سقفها، و اضطرّ أفرادها الی الخروج منها، فرمتهم ثقیف بالنبل فقتلت منهم رجلا واحدا و لم ینتج هذه التکتیک القتالی، و لم یتحقق أی نجاح فی هذا المجال، فانصرف المسلمون عن استخدامه «۱».

(۱)

ضغوط اقتصادیهٔ و نفسیهٔ:

إن تحقیق الانتصار لا ینحصر فی مجرد استخدام الطرق و التکتیکات العسکریهٔ، بل للقائد الحکیم أن یستخدم- لاضعاف قوهٔ العدو و کسر صموده- الضربات و الضغوط الاقتصادیهٔ و یجبره علی الاستسلام.

و قد تکون الضربهٔ النفسیهٔ و الاقتصادیهٔ اقوی مفعولا بدرجات أی إن أثرها تفوق بمراتب عدیدهٔ أثر الضربهٔ العسکریهٔ، و الإضرار البدنی الذی یلحق بجنود العدو و أفراده.

و لقد کانت أرض الطائف أرض زراعهٔ، و نخیل و أعناب، و کانت معروفهٔ

---

(۱) المغازی: ج ۳ ص ۹۲۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۵

فی الحجاز بخصبها، و کثرهٔ محاصیلها و خیراتها، لأن أهلها کانوا یجهدون کثیرا فی تنمیهٔ نخیلهم و أعنابهم و رعایتها، و یولون الحفاظ علیها اهتماما کبیرا، و یعطون هذا الأمر القسط الاکبر من جهودهم.

(۱) فأعلن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لتهدید المتمردین اللاجئین إلی الحصن، و المعتصمین به، بأنه سیعمد إلی قطع أعناب ثقیف، و إفناء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم و لم یسلموا للمسلمین.

فلم یکترث العدو بهذا التهدید لأنه لم یک یتصور أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- و هو النبی الذی عرف برحمته و رافته- یستخدم مثل هذه الطریقهٔ.

و فجأهٔ وجدت «ثقیف» أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أصدر أوامره بقطع الأعناب، و اتلاف المزارع و تحریقها، فوقع المسلمون فیها یقطعون و یحرقون.

فعجّت «ثقیف» لذلک و ضجّت، و استغاثت برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أقسمت علیه بالرحم و القرابهٔ أن یکف عن ذلک، فترکها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله احتراما لوشیجهٔ القربی التی کانت بینه و بین «ثقیف».

(۲) ان المعتصمین بحصن الطائف و ان کانوا من مثیری معرکهٔ حنین و الطائف، و تانک الغزوتان اللتان کلّفتا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الکثیر من الخسائر و المتاعب غیر أنه صلّی اللّه علیه و آله قبل مع ذلک التماس العدو و طلبه هذا، فابدی و للمرهٔ الاخری وجه الاسلام الرحیم و کشف عن إنسانیته فی التعامل مع العدوّ اللدود فی میدان القتال، و أمر أصحابه بالکف عن قطع الاعناب و تحریقها.

ثم إن مع ما نعرفه و نعهده من أخلاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أسالیبه الانسانیهٔ فی مجال التعامل مع العدوّ، یمکننا أن ندرک بسرعهٔ أن الامر بقطع الاعناب و تحریق المزارع کان مجرد تهدید و محاولهٔ ضغط علی العدو بحیث إذا لم تنجح هذه الطریقهٔ معه لکفّ عنها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتما.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۶

(۱)

آخر محاولهٔ لفتح حصن الطائف:

کانت قبیلهٔ «ثقیف» جماعهٔ ثریّهٔ، و ذات مال کثیر، و عبید و إماء کثیرین، و لکی یحصل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی معلومات

دقيقة عن الاوضاع فى داخل الحصن، و يعرف بالتالى حجم امكانات العدو و مدى استعداداته من جهة، و يوجد الاختلاف فى صفوفه من جهة اخرى أمر أن يعلن عن القرار التالى: و ينادى: أى عبد نزل من الحصن و خرج إلينا فهو حرّ.

و نفعت هـذه الطريقـة إلى حـدّ ما، فقـد خرج من الحصن بطريقة ماهرة حوالى بضـعة عشـر رجلا من عبيد ثقيف و رقيقهم، و التحقوا بصفوف المسلمين فعرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من خلال التحقيق معهم أنّ المعتصمين بالحصن لا ينوون الاستسلام، و أنهم مسـتعدون للمقاومـة حتى لو طال الحصار عاما واحـدا، فإنهم قـد أعـدّوا لمثل هذا الحصار الطويل الطعام الكافى، و لن يقعوا فى أزمة بسبب طول الحصار.

(۲)

جيش الاسلام يعود الى المدينة:

اسـتخدم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فى هـذه الغزوة جميع الاساليب و التكتيكات العسـكرية الماديـة و النفسـيّة ضـدّ العـدوّ، و قد اثبتت التجربـة أن فتح الحصن يحتاج إلى مزيد من الصبر و العمل على حين لم تكن ظروف الجيش الاسـلامى و امكاناته- يومذاك- لتسمح بذلك القدر من الصبر و الترقب، و الانتظار و التوقف، اكثر ممّا توقف و مكث فى تلك المنطقة و ذلك:

(۳) أولا: لأنه قتل فى اثناء هذه المحاصرة (۱۳) مسلما سبعة منهم من قريش، و أربعة من الانصار، و رجل واحد من قبيلة اخرى.

هـذا مضافا إلى من استشـهد من المسـلمين فى وادى «حنين» إثر هجوم العدوّ الغادر، و انفراط صـفوف الجيش الاسـلامى، و الذين لم يذكر التاريخ مع

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۲۷

الأسف أسماءهم، و خصوصياتهم، و لهذا كان قد دبّ نوع من التعب فى نفوس جنود الإسلام لم يكن من الصالح تجاهله.

(۱) و ثانيا: أن شـهر شوال قد انتهى، و بدأ شـهر ذى القعدة الذى كان معدودا عند العرب من الاشـهر الحرم و قد أيّد الاسلام فيما بعد هذه السنّة، و أكّد حرمة الاشهر الحرم.

من هنا كان من الضـرورى- حفاظا على هذه السنّة- «۱» إنهـاء الحصار فى أقرب وقت لكى لا تتّهم عرب ثقيف رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بمخالفة السنّة الصالحة و خرقها.

أضف إلى ذلك دنوّ حلول موسم الحج، مع العلم بأن إدارة ذلك الموسم و مناسـكه كانت فى ذلك العام للمسلمين، بعد أن كانت- قبل ذلك- تدار بواسطة المشركين و برعايتهم.

(۲) و لا شك أن موسم الحـج الذى كان سـببا لحصول اجتماع بشـرىّ عظيم من سـكان الجزيرة العربية كان يوفّر اكبر و افضل فرصـة لتبليغ الاسـلام، و بيان حقيقة التوحيد، و كان على النبى صـلّى اللّه عليه و آله ان يسـتغل هذه الفرصة العظيمة التى اتيحت له لأوّل مرة، فى مجـال الـدعوة، و يسـتفيد منها اكثر قـدر ممكن و يولى اهتمامه لقضايا اخرى اكثر أهمـيّة و خطورة من فتـح حصن واقع فى منطقة نائية.

مع أخـذ هـذه الظروف بنظر الاعتبـار ترك الرسول القائـد صـلّى اللّه عليه و آله حصـار الطائف و عاد بجيشه إلى الجعرّانـة التى جعلها محلا لحفظ أسرى حنين و غنائمها.

---

(۱) و يـدلّ على هذا الأمر أنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله ترك مكة متوجها إلى الطائف فى الخامس من شـهر شوال و اسـتغرقت مدة الحصار عشرين يوما، و صرفت بقيّة الايام (و هى خمسة) فى المسير إلى حنين، و فى المعركة.

و قولنا بأن الحصار طال عشـرين يوما يستند إلى رواية نقلها ابن هشام، إلّا أن ابن سعد ذكر مدة الحصار أربعين يوما (الطبقات الكبرى

ج ۲ ص ۱۵۸).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۸

(۱)

حوادث ما بعد الحرب:

اشارة

انتهت حوادث معركة «حنين» و «الطائف» و عاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من دون تحقيق نتيجة قطعية الى «الجعرانه» لتقسيم غنائم معركة «حنين».

و الغنائم التى حصل عليها المسلمون فى معركة «حنين» كانت من اكبر الغنائم التى غنموها طوال المعارك الاسلامية كلّها، لأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم قدم «الجعرّانة» كان هناك ستة آلاف أسير و (۲۴) ألف من الإبل و اكثر من (۴۰) ألف رأس غنم و (۸۵۲) كيلو غرام من الفضة يحافظ عليها فى مركز الغنائم «۱» و كان من الممكن أن تسدّد القيادة من هذه الغنائم قسما كبيرا من ميزانية الجيش الاسلامى.

لقد مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى «الجعرّانة» ثلاثة عشر يوما، و فى هذه المدة قسّم تلك الغنائم بطريقة خاصة ملفتة للنظر و جديرة بالتأمل و الدراسة.

(۲) فقد خلّى سبيل بعض الأسرى، و تركهم لذويهم، و خطّط لاخضاع (او بالاحرى إسلام) مالك بن عوف النصرى مثير معركة حنين و الطائف الهارب، كما أظهر تقديره و شكره لمواقف الاشخاص فى هاتين الغزوتين و خدماتهم، و جذب بسياسته الحكيمة افئدة أعداء الاسلام، و رغّبها فى عقيدة التوحيد الشريفة، و أنهى نقاشا حدث بينه و بين جماعة الأنصار حول طريقة تقسيم الغنائم بخطبة جميلة.

و إليك تفصيل الكلام فى المواضيع المذكورة:

(۳) ۱- لقد دأب رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله على احترام حقوق الأفراد، و تثمين جهودهم مهما ضؤلت و دقّت، و على أن لا يبخس أحدا عمله، فإذا أحسن

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۱۵۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۲۹

إليه أحد قابل إحسانه بما يزيد عليه أضعافا مضاعفة. و كان ذلك من أبرز صفاته و أخلاقه صلّى اللّه عليه و آله.

فقد رضع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ترعرع فى قبيلة بنى سعد التى هى من قبائل هوازن، و قد ارضعته امرأة من هذه القبيلة تدعى «حليمة السعدية»، و قد بقى فى تلك القبيلة خمسة أعوام.

(۱) و قد شاركت قبيلة بنى سعد فى معركة حنين ضدّ الاسلام فسبيت بعض نسائهم و أطفالهم على أيدى المسلمين، كما وقعت بعض أموالهم بأيديهم أيضا، و قد ندمت على فعلها ندما شديدا.

و قد كانوا يعلمون أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نشأ و ترعرع فيهم، و رضع بلبن نسائهم هذا من ناحية، و من ناحية اخرى كانوا يعرفون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ملء قلبه الرحمة و المروءة و معرفة الجميل، فاذا سنح لهم أن يذكّروه بذلك لأطلق أسراهم

حتما.

فقدم أربعة عشر رجلا من رؤسائهم الذين كانوا قد أسلموا جميعا «الجعرانة» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قد أمّروا على أنفسهم شخصيتين من رجالهم أحدهما هو «زهير بن صرد» و الآخر عم للنبى صلّى اللّه عليه و آله من الرضاعة، فقالوا: يا رسول اللّه إنّما فى هذه الأسرى من يكفلك من عماتك و خالاتك، و حواضنك، و قد حضنّاك فى حجورنا و ارضعناك بثدينا، و لقد رايتك مرضعا فما رأيت مرضعا خيرا منك، و رأيتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك، و رأيتك شابا فما رأيت شابا خيرا منك، و قد تكاملت فيك خلال الخير، و نحن مع ذلك أهلك و عشيرتك فامنن علينا منّ اللّه عليك.

و قال زهير بن صرد: يا رسول اللّه إنّما فى هذه الحظائر عماتك و خالاتك و حواضنك اللاتى كنّ يكفلنك، و لو أننا ملحنا للحارث بن أبى شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به رجونا عطفه و عائدته علينا و أنت خير المكفولين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۰

(۱) فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم:

«إن أحسن الحديث أصدقه، و عندى من ترون من المسلمين، فابناؤكم و نساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم»؟

قالوا: يا رسول اللّه خيّرتنا بين أحسابنا و أموالنا و ما كنّا نعدل بالأحساب شيئا، فردّ علينا أبناءنا و نساءنا.

فقال صلّى اللّه عليه و آله:

«أما ما لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم و اسأل لكم الناس و إذا صلّيت الظهر بالناس فقولوا: إنا لنستشفع برسول اللّه الى المسلمين، و بالمسلمين الى رسول اللّه فانى سأقول: لكم ما كان لى و لبنى عبد المطّلب فهو لكم و سأطلب لكم إلى الناس».

فلما صلّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الظهر بالناس قاموا فتكلموا بالذى أمرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقالوا: إنا نستشفع برسول اللّه الى المسلمين و بالمسلمين إلى رسول اللّه.

(۲) فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أما ما كان لى و لبنى عبد المطلب فهو لكم.

و بهذا وهب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لهم نصيبه من الاسرى.

فقال المهاجرون: أمّا ما كان لنا فهو لرسول اللّه.

و قال الانصار: ما كان لنا فهو لرسول اللّه.

و هكذا وهب الانصار و المهاجرون نصيبهم من الاسرى تبعا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لم يتأخر عن ذلك إلّا قليلون مثل «الاقرع بن حابس» و «عيينة بن حصن» فقد امتنعا عن أن يهبا نصيبهما، و يطلق سراح ما عندهم من السبايا، فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و قال: إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين و قد استأنيت بهم، فخيّرتهم بين النساء و الأبناء، و الأموال، فلم يعدلوا بالأبناء و النساء، فمن كانت عنده منهنّ شيء فطابت نفسه أن يردّه فليرسل،

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۱

و من أبى منكم و تمسك بحقه فليردّ عليهم، فله بكل انسان ست فرائض (أى سوف أعطيه بدل الواحد ستا) من أول ما يفىء اللّه به علينا «۱».

(۱) فكان لعمل النبى صلّى اللّه عليه و آله هذا أثر عظيم فى نفوس المسلمين حيث خلّوا سبيل جميع من كان فى أيديهم من الاسرى و السبايا إلا امرأة عجوز امتنع «عيينة» من ردّها إلى ذوبها.

و هكذا أثمر عمل صالح غرست شتيلته- قبل ستين عاما- فى أرض قبيلة بنى سعد على يدى حليمة السعدية، فاتت اكلها بعد مدة طويلة، و اطلق بفضل ذلك العمل الصالح سراح جميع الاسرى و السبايا من هوازن «۲».

ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دعا اخته من الرضاعة «الشيماء» «۳» و بسط لها رداءه ثم قال: اجلسى عليه، و رحّب بها، و دمعت

عيناه، و سألها عن امّه و ابيه من الرضاعة، فاخبرته بموتهما فى الزمان، ثم قال صلّى اللّه عليه و آله لها:

«إن أحببت فأقيمى عندنا محبّبة مكرّمة و إن أحببت أن امتّعك و ترجعى الى قومك فعلت».

فقالت: بل تمتّعنى و تردّنى إلى قومى، فمتّعها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ردّها الى قومها، بعد أن أسلمت طوعا و رغبة، و أعطاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثلاثة أعبد و جارية «۴».

و قد قوّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باخلائه سبيل جميع أسرى هوازن و سباياها من رغبة هوازن فى الاسلام، فاسلموا من قلوبهم، و هكذا فقدت

---

(۱) المغازى: ج ۳ ص ۹۴۹- ۹۵۳.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۱۵۳ و ۱۵۴، السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۹۰، و الحادثة التاريخية هذه جسّدت مضمون قول اللّه تعالى: «مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ۹۷).

(۳) هى الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى.

(۴) البداية و النهاية: ج ۲ ص ۳۶۳ و ۳۶۴، الامتاع: ج ۱ ص ۴۱۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۲

«الطائف» آخر حليف من حلفائها.

(۱)

۲- اسلام مالك بن عوف:

فى هذا الأثناء اغتنم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الفرصة ليعالج مشكلته مع «مالك بن عوف النصرى» مثير حرب حنين، عن طريق وفد بنى سعد و ذلك بترغيبه فى الاسلام، و عزله عن حليفه: «ثقيف».

و لهذا سألهم عن مالك ما فعل؟ فقالوا يا رسول اللّه هو بالطائف مع ثقيف.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أخبروا مالكا أنّه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائة من الابل».

فبلّغ وفد هوازن مالكا كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أمانه المشروط، فقرّر مالك الذى كان يرى بامّ عينيه تعاظم أمر الاسلام، و اشتداد أزره كما رأى رحمة النبى و لطفه، أن يخرج من الطائف، و يلتحق بالمسلمين، و لكنه كان يخشى أن تعرف «ثقيف» بنيته فتحبسه فى الحصن، و لهذا عمد الى خطة خاصة للفرار، فقد أمر باعداد راحلته فهيّئت له، و أمر بفرس له فأتى به إلى الطائف، فركب فرسه و ركّضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها، فلحق برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فادركه بالجعرانة أو بمكة، فردّ عليه النبى صلّى اللّه عليه و آله أهله و ماله، و أعطاه مائة من الابل كما وعد من قبل، و اسلم فحسن إسلامه، ثم استعمله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على من أسلم من قومه و قبائل «ثمالة» و «سلمة» و «فهم».

(۲) و قد انشد «مالك بن عوف» أبياتا عند ما أسلم يصف فيها خلائق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الكريمة، و يمدحه أجمل مديح اذ يقول:

ما إن رأيت و لا سمعت بمثلهفى الناس كلّهم بمثل محمّد

أوفى و أعطى للجزيل إذ اجتدىو متى تشأ يخبرك عما فى غد

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۳ و إذا الكتيبة عرّدت أنيابهابالسمهرىّ و ضرب كلّ مهنّد
فكأنّه ليث على أشبالهوسط الهباءة خادر فى مرصد و صار يقاتل بتلك القبائل ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلّا أغار عليه حتى ضيّق عليهم لما حصل عليه من مكانة و عزة فى الاسلام، و بعد أن أدرك قبح موقف «ثقيف» «۱».
(۱)

۳- تقسيم الغنائم:

كان أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يلحّون عليه أن يسرع فى تقسيم غنائم الحرب، و لكى يدلّل النبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله على حياده الكامل فى تقسيم الغنائم قام إلى بعير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال:
«أيّها الناس و اللّه مالى فى فيئكم و لا هذه الوبرة إلّا الخمس، و الخمس مردود عليكم، فادّوا الخياط و المخيط فإن الغلول (أى الخيانة فى بيت المال) يكون على أهله عارا، و نارا، و شنارا يوم القيامة».
ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قسّم أموال بيت المال بين المسلمين، و اما الخمس الذى هو حقه الخاص به فقد وزّعه بين أشراف قريش الحديثى العهد بالاسلام يتألّفهم، و يتألف بهم قومهم، فأعطى من هذا المال ل: أبى سفيان بن حرب، و ابنه معاوية، و حكيم بن حزام، و الحارث بن الحارث، و الحارث بن هشام، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و العلاء بن جارية و صفوان بن أميّة، و غيرهم ممّن كانوا يعادونه الى الأمس القريب من رءوس الشرك و رموز الكفر، لكلّ واحد منهم مائة بعير «۲».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۹۱ و عرّدت أى عوّجت.
(۲) راجع المحبّر: ص ۴۷۳، المغازى: ج ۳ ص ۹۴۴- ۹۴۸، السيرة النبوية: ج ۳ ص ۴۹۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۲۳.
سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۴
(۱) و قد كان لهذا العطاء السخىّ أثره الطيب و البالغ فى نفوس تلك الجماعة التى شملها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله برحمته، و لطفه، و عنايته، و كرمه، و اشتدت رغبتهم فى الاسلام.
و هذا الفريق هم من يصطلح عليهم فى الفقه الاسلامى بالمؤلفة قلوبهم، و هم يشكّلون إحدى مصارف الزكاة بنص القرآن الكريم.
و يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى بعد ان ذكر قصة هذا التقسيم الخاص للغنائم: و أعطى ذلك كله من الخمس و هو أثبت الاقاويل عندنا «۱».
و لقد شق هذا النوع من الاسلوب فى تقسيم الغنائم و هذا النمط من البذل الذى مارسه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، شقّ على بعض المسلمين، و بخاصة الانصار و قد جهلوا بالمصالح التى كان يراعيها، و الأهداف العليا التى كان يتوخّاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من هذا النوع من البذل و العطاء (و هو تخصيص حديثى العهد بالاسلام باكثر الغنائم).
لقد كانوا يتصورون ان التعصب القبلى هو الذى دفع بالرسول القائد صلّى اللّه عليه و آله إلى أن يقسم خمس الغنيمة بين أبناء قبيلته حتى أن احدهم (و هو ذو الخويصرة التميمى) قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بكل وقاحة: يا محمّد قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم، لم أرك عدلت!!
(۲) فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من كلامه هذا و قال:
«ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون»؟!
فطلب عمر بن الخطاب من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يأذن له بقتله، فلم يأذن له النبى و قال صلّى اللّه عليه و آله:

«دعه فانّه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين (أى يتتبعون أقصاه) حتى

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۳ ص ۱۵۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۵

يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة» «۱».

(۱) و قـد كان هذا الرجل- كما قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله زعيم فرقة الخوارج فى عهد حكومة الإمام علىّ عليه السّـلام، فهو الذى قاد تلك الفرقة الخطرة، غير أن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لم يقدم على عقوبته على ما بدر منه فيما بعد لأن القصاص أو العقاب قبل الجناية يخالف قواعد الإسلام.

و لقد رفع «سعد بن عبادة» شكوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله لسعد: اجمع من كان هاهنا من الأنصار فى هذه الحظيرة.

(۲) فجمع سـعد الانصـار فى تلـك الخطيرة، فلمـا اجتمعـوا دخـل عليهم رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و عليه جلال النبـوة، و هيبة الرسالة، فحمد اللّه و اثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال:

«يا معشـر الأنصار ما مقالـة بلغتنى عنكم و جـدة وجـدتموها فى أنفسـكم؟ أ لم آتكم ضـلّالا فهـداكم اللّه وعالة فاغناكم اللّه، و أعداء فألّف اللّه بين قلوبكم»؟

قالوا: بلى اللّه و رسوله أمنّ و افضل!

قال:

أ لا تجيبونى يا معشر الانصار»؟

قالوا: و ما ذا نجيبك يا رسول اللّه و لرسول اللّه المنّ و الفضل؟

قال:

«أما و اللّه لو شئتم قلتم فصدقتم أتيتنا مكذّبا فصدّقناك و مخذولا فنصرناك

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۹۶، السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۱۲۲، و فى المغازى: ج ۳ ص ۹۴۸ أن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله قال فيه: «دعه إنّ له أصـحابا يحقّر أحدكم صـلاته مع صلاتهم، و صيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السـهم من الرمية ... يخرجون على فرقة من المسـلمين». و راجع امتاع الاسـماع: ج ۱ ص ۴۲۵ و جاء فى السـيرة الحلبية انه أصل الخوارج.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۶

و طريدا فآويناك و عائلا فآسيناك! «۱» وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى شىء من الدّنيا تألّفت به قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أ فلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير، و ترجعوا برسول اللّه إلى رحالكم؟

و الذى نفس محمّد بيده لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار».

(۱) ثم ترحّم على الأنصار و على أبنائهم و على أبناء أبنائهم فقال:

«اللّهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار».

و قـد كانت كلمات النبى صـلّى اللّه عليه و آله هـذه من القوة و العاطفيّة بحيث أثارت مشاعر الأنصار، فبكوا بعد سـماعها بكاء شديدا حتى اخضلّت لحاهم و ابتلّت بالدموع و قالوا: رضينا يا رسول اللّه حظّا و قسما!!!

ثم انصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تفرّقوا «۲».

ان هذه القصة تكشف عن عمق حكمة النبى صلّى اللّه عليه و آله و عن حنكته السياسيّة البالغة، و كيف أنه كان يعالج المشاكل باساليب مناسبة و بروح الصدق و اللطف.

(۲)

رسول اللّه يعتمر:

ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خرج من الجعرانة معتمرا، بعد ان قسم الغنائم، فلما فرغ من عمرته انصرف راجعا الى المدينة، فقدم المدينة فى اواخر شهر ذى القعدة، أو أوائل شهر ذى الحجة.

---

(۱) إن هذا يفيد ان النبى صلّى اللّه عليه و آله ما كان ينسى فضل أحد عليه و ان كان هو صلّى اللّه عليه و آله صاحب الفضل الاكبر على الناس اجمعين.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۴۹۸ و ۴۹۹، المغازى: ج ۳ ص ۹۵۷ و ۹۵۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۷

(۱)

۵۲ لاميّة كعب بن زهير المعروفة «بانت سعاد ...»

اشارة

فرغ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى منتصف شهر ذى القعدة، من السنة الثامنة للهجرة من قسمة غنائم حنين فى الجعرانة، و كان موسم الحج على الأبواب، و كانت هذه السنة هى السنة الاولى التى كان يتوجب على الحجيج العرب، مسلمين و مشركين، أن يقوموا بمناسك الحج تحت رعاية الحكومة الاسلامية.

و كان اشتراك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى هذه الشعائر يزيد الحج عظمة و جلالا، و كان من الممكن- و بفضل قيادته الحكيمة- أن تتم فى ذلك الحشد الهائل و الاجتماع العظيم دعوة صحيحة و قوية و واسعة إلى الاسلام، بينما كانت ثمة مسئوليات فى المدينة تنتظر عودة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و قد مضى على مفارقته المدينة ما يقرب من ثلاثة أشهر، و كانت الأعمال التى يجب أن يقوم بها هو بنفسه قد تعطّلت طوال هذه المدة.

(۲) و بعد دراسة هذه المسألة من جوانبها المختلفة رأى الرسول القائد صلّى اللّه عليه و آله أن يكتفى بعمرة، يغادر بعدها مكة ليصل الى المدينة فى أقرب وقت ممكن.

و لكنه صلّى اللّه عليه و آله رأى أنه لا بدّ أن يعيّن شخصا صالحا لادارة الامور السياسية و الدينية فى المنطقة الحديثة العهد بالفتح الاسلامى (نعنى مكة) حتى لا تحدث فى غيابه أزمة فيها، و حتى تجرى الامور على النسق الصحيح و المطلوب.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۸

(۱) من هنا استخلف النبى صلّى اللّه عليه و آله «عتّاب بن اسيد» على مكة، و كان عتاب شابا لبيبا يتسم بالصبر و الجلد، و كان له من العمر اذ ذاك عشرون سنة، و قد قرّر له النبى راتبا قدره درهم واحد كل يوم.

و بهـذا العمل (أى تعيين شاب حـديث العهـد بالاسـلام و الايمان فى مقتبل العمر، و لكن كفؤ لتسـيير الامور فى مكة، و تفضـيله على كثير من الشيوخ و كبار السنّ) حطّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سدّا خياليا، و مفهوما باطلا فى مجال التوظيف و التأمير.

فان جماعة من الناس لما أمّر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله «عتابا» على أهل مكة قالوا: إن محمّدا لا يزال يسـتخفّ بناحتى ولّى علينا غلامـا حـدث السنّ ابن ثمانيـة عشـر سـنة، و نحن مشايـخ ذو و الاسـنان فاجابهم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بقوله فى كتاب كتبه لعتاب:

«لا يحتجّ محتجّ منكم فى مخالفته بصـغر سنّه، فليس الاكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الاكبر و هو الاكبر فى موالاتنا و موالاة أوليائنا و معاداة أعدائنا فلذلك جعلناه الأمير عليكم و الرئيس عليكم فمن أطاعه فمرحبا به و من خالفه فلا يبعد اللّه غيره» «۱».

(۲) و بهـذا أثبت صـلّى اللّه عليه و آله عمليا أن حيازة المناصب الاجتماعية إنما تدور فقط حول معيار الأهلية و الجدارة، و الكفاءة، و أنّ صغر السنّ لا يمنع من ذلك اذا كان صاحبه يتمتع بكفاءة عالية.

ثم ان «عتّابـا» قـام فخطب فى النـاس فقال: أيّها الناس أجاع اللّه كبـد من جاع على درهم، فقـد رزقنى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله درهما كل يوم، فليست بى حاجة إلى أحد «۲».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۲۲ و ۱۲۳. امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۳۲ و ۴۳۳.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۰۰.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۳۹

(۱) و أحسن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله الاختيـار أيضا عنـد ما عيّن «معاذ بن جبل» ليعلّم الناس القرآن و يفقههم فى الـدين، فقد كان معاذ ممن عرف بالفقه، و المعرفة باحكام القرآن بين أصـحاب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله حتى أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لما بعثه للقضاء، الى اليمن سأله صلّى اللّه عليه و آله: بم تقضى إن عرض قضاء فقال: أقضى بما فى كتاب اللّه.

قال: فان لم يكن فى كتاب اللّه؟

قال: أقضى بما قضى به الرسول.

قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟

قال: أجتهد رأيى و لا آلو.

فضرب النبى صلّى اللّه عليه و آله صدره، و قال:

«الحمد اللّه الّذى وفّق رسول اللّه لما يرضى رسول اللّه» «۱».

(۲)

قصة كعب بن زهير بن أبى سلمى:

كان «زهير بن أبى سـلمى» من شـعراء العرب البارعين فى العهـد الجاهلى، فهو صاحب إحـدى المعلّقات السبع التى بقيت منصوبة فى الكعبة المعظّمة حتى قبيل نزول القرآن الكريم، و كانت تفتخر بها العرب، و تبدأ معلّقته تلك بقوله:

أ من أمّ أوفى دمنة لم تكلّمبحومانة الدرّاج فالمتثلّم و قد توفى «زهير» قبل عصر الرسالة، و خلّف ولدين هما: «بجير»، و «كعب» و كان الأول ممّن آمن برسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و نصـره، و أحبّه، بينما عادى الثانى (كعب) رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله بشدّة، و حيث أنه كان ذا قريحة شعرية موروثة قوية، لهذا كان يهجو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى قصائده

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۳۴۷ و ۳۴۸، و يكتب الجزرى فى اسد الغابة: (ج ۳ ص ۳۵۸) كان عتاب رجلا خبيرا صالحا فاضلا.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۴۰

و أشعاره و يؤلّب الناس ضدّ الإسلام.

(۱) و لما قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المدينة فى الرابع و العشرين من شهر ذى القعدة كان «بجير» قد شارك مع النبى صلّى اللّه عليه و آله فى فتح مكة، و حصار الطائف، و قد شاهد عن كثب كيف هدّد النبى صلّى اللّه عليه و آله بالقتل بعض الشعراء الذين كانوا يهجون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يؤلّبون الناس ضدّ الإسلام، و أهدر دماءهم.

فكتب بهذا إلى أخيه (كعب) و نصحه فى آخر كتابه قائلا: إن كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا.

فاطمأنّ كعب بكلام أخيه، و توجّه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتهيأ لصلاة الصبح، فصلّى مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأوّل مرّة ثم جلس إليه، و وضع يده فى يده، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يعرفه، فقال: يا رسول اللّه إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: نعم.

قال: أنا يا رسول اللّه كعب بن زهير «۱».

(۲) ثم أخرج كعب قصيدته اللاميّة العصماء التى مدح فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و التى كان قد أنشأها من قبل، و انشدها بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد ليتلافى بها ما سبق أن بدر منه من هجاء و طعن فى سيد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله «۲».

---

(۱) روى أنه وثب على كعب- فى تلك الحال- رجل من الانصار فقال: يا رسول اللّه دعنى و عدوّ اللّه أن أضرب عنقه، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله: دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا (عما كان عليه) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۰۱.

(۲) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۴۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۴۱

(۱) و هذه القصيدة الرائعة هى من أفضل قصائد كعب و قد اعتنى المسلمون بحفظها و نشرها منذ أن أنشدها الشاعر المذكور بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى المسجد، و قد شرحها علماء الإسلام كثيرا، و عدد ابيات هذه اللامية (أى التى تنتهى قوافيها باللام المضمومة) ۵۸ بيتا و مطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبولمتيم إثرها لم يغد مكبول لقد بدأ كعب قصيدته هذه- على عادة شعراء العهد الجاهلى (الذين كانوا يبدءون قصائدهم بمخاطبة محبوبتهم او مخاطبة الاطلال)- بذكر سعاد زوجته و ابنة عمه، و لقد خصّها بالذكر لطول غيبته عنها، لهروبه من النبى صلّى اللّه عليه و آله فيقول: فارقتنى سعاد فراقا بعيدا فقلبى اليوم أسقمه الحبّ، و أضناه، فهو ذليل لغيبتها لم يخلص من الأسر و القيد.

(۲) ثم يمضى فى هذه النمط من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السيّئ فقال:

نبّئت أنّ رسول اللّه أوعدنىو العفو عند رسول اللّه مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ و تفصيل

لا تأخذنّى بأقوال الوشاة و لماذنب و لو كثرت فىّ الأقاويل إلى أن قال:

إن الرسول لنور يستضاء بهمهنّد من سيوف اللّه مسلول «۱» «۲»

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۰۱- ۵۱۴.

(۲) یقال: إن کعبا عند ما فرغ من إنشاء قصیدته کساه النبی صلّی اللّه علیه و آله بردة کانت علیه، فلما کان زمن معاویة أرسل الی کعب أن بعنا بردة رسول اللّه، فقال: ما کنت لاوثر بثوب رسول اللّه أحدا، فلما مات کعب اشتراها معاویة من أولاده بعشرین ألف درهم و هی البردة التی کان یلبسها الخلفاء الامویون و العباسیون (راجع الکامل فی التاریخ ج ۲ ص ۲۷۶). و جاء فی ناسخ التواریخ الجزء الثالث من المجلد الثانی ان کعبا لما قال «ان النبی لسیف یستضاء به» قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «إن النبی لنور».

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۴۲

(۱)

حزن قارن فرحا:

فی أواخر السنة الثامنة للهجرة فقد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کبری بناته: «زینب»، و قد تزوّجت زینب قبل البعثة بابن خالتها أبی العاص، و آمنت بأبیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد البعثة من دون تأخیر، و لکنّ زوجها ظلّ علی شرکه، و شارک فی «بدر» ضدّ الإسلام و المسلمین، و أسر فی تلک المعرکة فخلّی رسول اللّه سبیله، شریطة أن یبعث بابنته «زینب» إلی المدینة.

و فعل ابن العاص ذلک فجهّز زوجته «زینب» و بعثها برفقة أخیه إلی المدینة، غیر أن سادة قریش عرفوا بذلک، فکلّفوا من یعیدها إلی مکة، فلحق بها الرجل فی أثناء الطریق، فضرب هودجها برمحه ففزعت زینب ابنة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و اسقطت حملها من شدّة الفزع، و لکنها لم تنصرف عن الذهاب الی المدینة، فقد واصلت سیرها حتی قدمت المدینة و هی علیلة، و قضت بقیة عمرها مریضة حتی توفّیت فی أواخر السنة الثامنة من الهجرة.

و لکنّ هذا الحزن قارنه فرح و سرور فقد رزق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أواخر نفس ذلک العام ولدا اسماه «ابراهیم» من زوجته «ماریة القبطیة» (و هی الجاریة التی أهداها المقوقس حاکم مصر إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله).

و الجدیر بالذکر أنه عند ما بشّرت سلمی (المولّدة) رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بذلک، أعطاها هدیة ثمینة، و عقّ له فی الیوم السابع من ولادته، و حلق شعره، و تصدّق بوزن شعره، فضة فی سبیل اللّه «۱».

(۱) تاریخ الخمیس: ج ۲ ص ۱۳۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۴۳

(۱)

حوادث السنة التاسعة من الهجرة

۵۳ علی بن أبی طالب فی أرض طیّ (۲) إسلام عدیّ بن حاتم:

اشارة

انقضت السنة الهجریة الثامنة بکل حوادثها المرّة و الحلوة، فقد سقطت اکبر قاعدة من قاعدة الوثنیة و الشرک فی أیدی المسلمین، و عاد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المدینة ظافرا منتصرا علی أعداء الإسلام انتصارا کاملا، و قد هیمنت ظلال القوة العسکریة

الإسلامية على اكثر أنحاء الجزيرة العربية و نقاطها.

كما أخذت القبائل العربية المتمرّدة التى لم تكن تتصور إلى ذلك اليوم أن يتحقق مثل هذه الانتصارات لدين التوحيد، أخذت تفكّر شيئا فشيئا فى التقرب الى المسلمين و قبول معتقداتهم، و اعتناق دينهم.

من هنا كانت وفود القبائل العربية المختلفة، و أحيانا مجموعة من أفراد قبيلة ما بقيادة رئيسها تقدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تعلن عن إسلامها، و قبولها للرسالة المحمدية.

و قد ازداد قدوم وفود القبائل هذه على عاصمة الإسلام (المدينة المنورة) فى هذا العام حتى سمّى بعام الوفود «۱».

---

(۱) لقد سجّل المؤرخ المعروف محمّد بن سعد- فى كتابه- خصوصيات و اسماء هذه الوفود و تفاصيل القسم الاكبر من تفاصيل ما دار بينها و بين النبى صلّى اللّه عليه و آله و ما خصّهم به رسول

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۴۴

(۱) و عند ما قدم وفد من قبيلة «طىّ» و فيهم سيدهم «زيد الخيل» على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تحادث مع النبى صلّى اللّه عليه و آله أعجب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعقل زيد و حكمته و وقاره فقال عنه:

«ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى إلّا رأيته دون ما يقال فيه إلّا زيد الخيل، فانه لم يبلغ كل ما كان فيه».

ثم سمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله زيد الخير «۱».

إن دراسة قصة الوفود، و الإمعان و التدبر فى ما دار بينهم و بين رسول الاسلام يفيد بوضوح و جلاء ان الاسلام انتشر فى شبه الجزيرة العربية عن طريق الدعوة و التبليغ.

(۲) على أن طواغيت ذلك العصر أمثال أبى سفيان و أبى جهل كانوا يحاولون الحيلولة دون انتشار هذا الدين، فكانت لأجل ذلك حروب النبى صلّى اللّه عليه و آله فمضافا إلى أن اكثرها كان لإفشال تلك المؤامرات، كان الهدف منها

الاسلام من الطف لا يسع المجال لذكره هنا، و قد ذكر اسماء ثلاثة و سبعين وفدا من تلك الوفود التى وفدت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله طوال السنة التاسعة من الهجرة او ما قبلها بقليل (الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۲۹۱- ۳۵۹).

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۷۷. هذا و ينبغى الاشارة هنا و بالمناسبة إلى أنه كان من سيرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يغيّر الأسماء القبيحة التى اعتاد الجاهليّون على تسمية أبنائهم بها ايثارا للاسم الحسن و لأن الاسم يورث الاحساس بالشخصية لدى صاحبه على العكس من الاسم القبيح، و قد ثبت هذا نفسيا، بل ربما غيّر الاسماء التى قد يشعر معها الانسان بالعظمة، و الفخر و الزهو منعا من أن تحدث لأصحابها مثل ذلك. فعن الامام جعفر بن محمّد الصادق عن ابيه عليهما السّلام: إنّ رسول اللّه كان يغيّر الأسماء القبيحة فى الرجال و البلدان (قرب الاسناد ص ۴۵) و لهذا غيّر أسماء كثيرة لرجال و نساء فغيّر اسم ابنة لعمر كانت يقال لها عاصية فسماها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جميلة (صحيح مسلم: ج ۶ ص ۱۷۳) و غيّر اسم غافل بن البكير فسمّاه عاقلا، و قد روى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال: «إن أوّل ما ينحل احدكم ولده الاسم الحسن» (بحار الأنوار: ج ۲۳ ص ۱۲۲). سيد المرسلين ج۲ ۵۴۵ ۵۳ على بن أبى طالب فى أرض طى(۲) إسلام عدى بن حاتم: ..... ص : ۵۴۳

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۴۵

هو قمع أولئك الطواغيت الذين كانوا يصدّون عن سبيل اللّه و يمنعون من دخول مجموعات الدعوة و التبليغ الاسلامية إلى مناطق الحجاز و نجد و غيرها.

(۱) إنّ من البديهىّ أن لا يتيسّر انتشار أىّ دين، و تطبيق أى برنامج إصلاحى من دون تحطيم الطواغيت، و إزالة الأشواك من طريقه.

و من هنا نری أنّ جمیع الأنبیاء و الرسل، و لیس رسول اللّه فقط کانوا یجتهـدون قبل أی شـیء فی تحطیم الطواغیت و إزالهٔ السدود و الموانع، من طریق الدعوهٔ.

و یتحـدث القرآن الکریم فی سورهٔ خاصـهٔ عن قـدوم هـذه الوفود علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و ما حققه الإسـلام من فتـح و انتصار ساحق اذ یقول:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ. وَ رَأَیْتَ النَّاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللَّهِ أَفْواجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ کانَ تَوَّاباً» «۱».

(۲) و بالرغم من هـذا الإقبال المتزائـد علی الإسـلام لدی القبائل و قدوم الوفود المتلاحق علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فقد قام فی السـنهٔ التاسـعهٔ من الهجرهٔ ببعث عدهٔ سـرایا، و وقعت غزوهٔ واحدهٔ، و کانت السـرایا هذه لأجل إفشال المؤامرات التی کانت تحاک ضدّ الاسلام و المسلمین، و کانت فی الأغلب لهدم الأصنام الکبیرهٔ التی کانت لا تزال القبائل العربیهٔ المشرکهٔ تقدسها و تعبدها، و من جملهٔ هذه السـرایا سـریهٔ علی بن أبی طالب علیه السّلام التی وجّهت إلی أرض «طیّ» بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و من بین ما وقع فی السنهٔ التاسعهٔ یمکن الاشارهٔ إلی غزوهٔ «تبوک».

ففی هذه الغزوهٔ غادر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المدینهٔ متوجها إلی أرض تبوک، و لکنه لم یلق فیها أحدا، فعاد من غیر قتال، إلّا أنّه مهّد الطریق لفتح البلاد الحدودیهٔ لمن یأتی فی المستقبل.

---

(۱) النصر: ۱- ۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۴۶

(۱)

هدم بیوت الاصنام:

لقد کانت الوظیفهٔ الاساسـیهٔ الاولی من وظائف النبی صلّی اللّه علیه و آله هی: نشر عقیدهٔ التوحید، و اجتثاث جذور کل نوع من أنواع الشـرک، و قد کان صلّی اللّه علیه و آله یسلک- لتحقیق هذه الغایهٔ، و لارشاد الضالّین و الوثنیین- طریق المنطق و الاستدلال، قبل أی شیء فکـان یلفت أنظارهم بالأدلـهٔ الواضـحهٔ و البراهین الساطعـهٔ إلی بطلان الشـرک و الوثنیـهٔ، فاذا لم یجـد معهم المنطق المبرهن، و الارشـاد المسـتدلّ، و لجّوا فی کفرهم و شـرکهم سـمح لنفسه بـأن یتوسّـل بـالقوهٔ، و یـداوی أولئـک المرضـی روحا و فکرا و الـذین یمتنعون عن استعمال الدواء و بمحض اختیارهم، بالمعالجهٔ الجبریهٔ.

فـانّه إذا شـاع داء الکولیرا فی بلـد من البلـدان مثلا، و امتنع فریق من الناس عن قبول تلقیحهم بالمصل اللازم لمکافحـهٔ ذلک المرض، فـإنّ المسـئول فی ذلـک البلـد یری لنفسه الحق فی أن یجبر تلک الجماعـهٔ الضـیّقهٔ التفکیر التی تعرّض سـلامهٔ نفسـها و سـلامهٔ غیرها للخطر من حیث لا تشعر علی الرضوخ لعملیهٔ التلقیح المذکورهٔ.

(۲) لقد أدرک رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فی ضوء تعالیم الوحی أنّ الوثنیهٔ أشـبه شیء بجرثومهٔ «الکولیرا» تهدم فضائل الانسان، و شـرفه، و تقضـی علی مکـارم الاخلاـق، و تحـطّ من مکانـهٔ الانسـان الرفیعـهٔ، و تجعله کائنا حقیرا أمام الطین و الحجر و الموجودات المنحطّهٔ.

و علی هـذا الاساس امر من جانب اللّه تعالی بأن یجتثّ جـذور الشـرک من کیان ذلک المجتمع الموبوء، و یزیل کل مظاهر الوثنیهٔ، و کل أنواعها و أشکالها، و اذا ما قاومت جماعهٔ هذا العمل، و عارضت هذا الاجراء حطّم مقاومته بالقوهٔ العسکریهٔ، و القبضهٔ الحدیدیهٔ.

إنّ التفوّق العسکری أعطی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فرصهٔ بعث

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۴۷

الفرق العسکریة لتحطیم و هدم کل بیوت الأصنام، و أن لا یبقوا فی منطقة الحجاز صنما إلّا هدّموه.

(۱)

علی فی أرض طیّ:

و لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعرف من قبل، أن فی قبیلة طیّ صنما کبیرا یقدّس إلی الآن و من هنا بعث صلّی اللّه علیه و آله بطل جیشه الشجاع علی بن أبی طالب علیه السّلام علی رأس مائة و خمسین فارس إلی أرض طیّ، و أمره بأن یحطّم صنم طیّ، و یهدم بیته.

و قد أدرک قائد هذه السریة أن القبیلة المذکورة ستقاوم جنود الاسلام، و أنّ الأمر لن یتمّ من دون قتال، و لهذا حمل بأفراده علی موضع ذلک الصنم، عند الفجر و الناس نیام، فاستطاع أن یأسر جماعة من تلک القبیلة ممن قاوم، و ان یعود بهم و بالغنائم الی المدینة و قد فرّ «عدیّ بن حاتم الطائی» الذی انضمّ فیما بعد الی صفوف المسلمین، المجاهدین فی سبیل اللّه، و کان یرأس تلک القبیلة، حین سمع بتوجه علی علیه السّلام نحوها.

(۲) و لنستمع إلی عدیّ الطائی نفسه و هو یقصّ علینا قصة هروبه.

یقول عدیّ: ما من رجل کان أشدّ کراهیة لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حین سمع به، منّی.

أمّا أنا فکنت امرأ شریفا، و کنت نصرانیا، و کنت اسیر فی قومی بالمرباع (أی آخذ الربع من الغنائم لأنی سیدهم) فکنت فی نفسی علی دین، و کنت ملکا فی قومی لما کان یصنع بی. فلما سمعت برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کرهته، فقلت لغلام کان لی عربیّ، و کان راعیا لابلی: لا أبا لک أعدد لی من إبلی أجمالا ذللا سمانا، فاحتبسها قریبا منّی، فاذا سمعت بجیش لمحمد قد وطیء هذه البلاد فآذنّی؛ ففعل؛ ثم أنه أتانی ذات غداة، فقال: یا عدیّ ما کنت صانعا اذا غشیتک خیل محمّد، فأصنعه الآن، فانی قد رأیت رایات، فسألت

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۴۸

عنها، فقالوا: هذه جیوش محمّد. قال: فقلت: فقرّب إلیّ أجمالی فقرّبها، فاحتملت بأهلی و ولدی، ثم قلت: ألحق بأهل دینی من النصاری بالشام فسلکت الجوشیة «۱» و قد ترکت أختی فی قومی.

(۱) ثم تغزو خیل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قومی فتصیب (اختی) ابنة حاتم فیمن أصابت، فقدم بها علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی سبایا من طیّ، و قد بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هربی الی الشام.

فجعلت ابنة حاتم فی حظیرة بباب المسجد کانت السبایا یحبسن فیه، فمرّ بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقامت إلیه اختی و کانت امرأة جزلة، فقالت:

یا رسول اللّه هلک الوالد، و غاب الوافد، فامنن علیّ منّ اللّه علیک.

قال: و من وافدک؟

فقالت: عدیّ بن حاتم.

قال: الفارّ من اللّه و رسوله؟

(۲) ثم مضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ترکنی حتی إذا کان من الغد مرّ بی، فقلت له مثل ذلک، و قال لی مثل ما قال بالأمس، حتی إذا کان من الغد مرّ بی و قد یئست منه، فاشار إلیّ رجل من خلفه أن قومی فکلّمیه، فقامت إلیه، و قالت: یا رسول اللّه هلک الوالد، و غاب الوافد، فامنن علیّ منّ اللّه علیک، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«قد فعلت فلا تعجلی بخروج حتی تجدی من قومک من یکون لک ثقة حتی یبلغک إلی بلادک ثم آذنینی».

تقول اختی: فسألت عن الرجل الذی أشار إلیّ أن أکلمه فقیل: علی بن أبی طالب رضوان اللّه علیه.

(۳) ثم إن أختی أقامت حتی قدم رکب من بلّی او قضاعة قالت: و أنما ارید أن

---

(۱) الجوشیة: جبل للضباب قرب ضریة. من أرض نجد.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۴۹

آتی أخی بالشام. قالت: فجئت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقلت:

یا رسول اللّه قد قدم رهط من قومی لی فیهم ثقة و بلاغ.

قالت: فکسانی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و حملنی، و اعطانی نفقة، فخرجت معهم حتی قدمت الشام.

(۱) قال عـدیّ: فو اللّه إنی لقاعد فی أهلی إذ نظرت إلی ظعینة (و هی المرأة فی هودجها) تصوّب إلیّ تؤمنا قال: فقلت ابنة حاتم، قال: فإذا هی هی، فلما وقفت علیّ أخذت فی اللوم تقول: القاطع الظالم، احتملت أهلک و ولدک، و ترکت بقیّة والدک عورتک.

فقلت: أی أخیّة، لاـ تقولی إلّا خیرا، فو اللّه ما لی من عـذر، لقـد صـنعت ما ذکرت، ثم نزلت فاقامت عنـدی فقلت لها، و کانت امرأة حازمة: ما ذا ترین فی أمر هذا الرجل؟

قالت: أری و اللّه أن تلحق به سریعا، فان یکن الرجل نبیا فللسابق إلیه فضله، و ان یکن ملکا فلن تذل فی عز الیمن، و أنت أنت. فقلت: و اللّه إنّ هذا الرأی.

(۲) قال عـدیّ: فخرجت حتی أقدم علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله المدینة فدخلت علیه، و هو فی مسـجده، فسـلّمت علیه، فقال: من الرجـل؟ فقلت: عـدیّ بن حـاتم، فقـام رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فانطلق بی إلی بیته، فو اللّه إنه لعامـد بی إلیه، إذ لقیته امرأة ضعیفة کبیرة فاستوقفته، فوقف لها طویلا تکلّمه فی حاجتها. فقلت فی نفسی: و اللّه ما هذا بملک.

ثم مضـی بی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله حتی إذا دخـل بی بیته تنـاول و سادة من أدم محشوّة لیفا فقـذفها إلیّ، فقال: اجلس علی هـذه، فقلت: بـل أنت فـاجلس علیهـا فقـال: بـل أنت، فجلست علیهـا، و جلس رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بالأـرض (و هـو عظیم الحجاز) فقلت فی نفسی: و اللّه ما هذا بأمر ملک ثم قال: إیه یا عدیّ بن حاتم، أ لم تک رکوسیّا (و هو دین بین دین النصاری

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۰

و الصابئین)؟

قلت: بلی.

قال: أولم تکن تسیر فی قومک بالمرباع؟

قلت: بلی.

قال: فان ذلک لم یحل لک فی دینک.

(۱) قلت: أجل و اللّه، و عرفت أنه نبی مرسل، یعلم ما یجهل، ثم قال: لعلّک یا عدیّ إنما یمنعک من دخول فی هذا الدین ما تری من حاجتهم، فو اللّه لیوشکنّ المال أن یفیض فیهم حتی لا یوجد من یأخذه، و لعلّک إنما یمنعک من دخول فیه ما تری من کثرة عدوّهم و قلة عددهم، فو اللّه لیوشـکنّ أن تسـمع بالمرأة تخرج من القادسیة علی بعیرها حتی تزور هذا البیت، لا تخاف، و لعلّک إنما یمنعک من دخول فیه أنّک تری أنّ الملـک و السلطان فی غیرهم و أیم اللّه لیوشـکن أن تسـمع بـالقصور الـبیض من أرض بابـل قـد فتحت علیهم.

قال عدیّ: فاسلمت.

و کان عـدیّ یقول: قد مضت اثنتان و بقیت الثالثة و اللّه لتکوننّ، قد رأیت القصور البیض من أرض بابل قد فتحت، و قد رأیت المرأة تخرج من القادسیة علی بعیرها لا تخاف حتی تحجّ هذا البیت، و أیم اللّه لتکونن الثالثة، لیفیضنّ المال حتی لا یوجد من یأخذه «۱».

(۲) و لقـد نقل العلامة الطبرسـی فی تفسـیر قوله تعالی: «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِیحَ ابْنَ مَرْیَمَ» «۲» اللقاء الـذی تمّ بین عـدی و رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و یقول: قال عـدیّ انتهیت إلی رسول اللّه و هو یقرأ من سورة البراءة هـذه الآیة (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ ...) حتی فرغ منها،

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۹۸۸ و ۹۸۹، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۷۸- ۵۸۱، الدرجات الرفیعة فی طبقات الشیعة الامامیة: ص ۳۵۲- ۳۵۴، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۴۵.

(۲) التوبة: ۳۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۱

فقلت له: انّا لسـنا نعبـدهم، فقـال: أ لیس یحرّمـون مـا أحـلّ اللّه فتحرّمـونه، و یحلّون مـا حرّم اللّه فتسـتحلّونه، فقلت: بلی، قـال: فتلک عبادتهم «۱».

---

(۱) مجمع البیان: ج ۳ ص ۲۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۲

(۱)

۵۴ غزوة تبوک

اشارة

کانت القلعة القویّة، الرفیعة الجدران المقامة عند عین ماء علی الشریط الحدودی السوری فی طریق «حجر» و «الشام» تسمّی تبوکا.

و کانت سوریة آنذاک من مستعمرات إمبراطوریة الروم الشرقیة، التی کان عاصمتها القسطنطنیة.

و کان جمیع سـکان المناطق الحدودیة للشام نصاری علی دین المسـیح عیسی بن مریم علیه السّلام و کان أکثر زعمائها ولاة منصوبین من قبل حاکم الشام الذی کان یمثّل هو بدوره إمبراطور الروم، و یمتثل أوامره.

و لقد کان لانتشار الاسـلام السـریع فی شـبه الجزیرة العربیة و فتوحات المسـلمین المشرقة فی الحجاز صداه فی خارج الحجاز ینعکس بالوسائل الموجودة فی ذلک الیوم، و کان ذلک یرعب الأعداء، و یدفعهم إلی التفکیر فی حیلة.

(۲) و لقـد دفع سـقوط حکومـة «مکـة» الوثنیـة، و اعتنـاق زعمـاء الحجاز الکبار للـدین الاسـلامی، و بطولات جنود الاسـلام الباهرة و بسالتهم و تفانیهم الفریـد فی طریق عقیـدتهم، بامبراطور الرّوم إلی أن یحشد جموعا کبیرة، و یتهیّأ لمهاجمة المسـلمین و غزوهم بغتة، لأنّه کان یری تزلزل سلطانه مع انتشار الاسلام المطّرد، و کانت مخاوفه تزداد یوما بعد یوم و هو یری تعاظم القوة الاسلامیة العسکریة، و انتشار نفوذه السیاسیّ.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۳

(۱) کانت الروم- آنذاک- المنافسة الوحیدة، و القویة لإیران، و کانت تملک أعظم قوة عسـکریة، و کانت مغترّة أشدّ الغرور بنفسـها، لما أصابته من فتوحات و انتصارات فی معارکها الکبری مع إیران، و ما ألحقته من هزائم نکراء بإیران فی تلک العصور.

و قد كان جيش الروم يتألّف من أربعين ألف فارس و راجل، و كان مجهّزا بأحدث أسلحة و تجهيزات ذلك العصر، و قد استقرّ هذا الجيش على الشريط الحدوديّ لأرض الشام، و التحقت به قبائل عديدة تسكن الحدود مثل قبيلة «لخم» «عاملة» «غسان» «جذام»، و تقدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة «البلقاء».

(۲) و لقد بلغ نبأ استقرار فريق من جنود الروم على الشريط الحدودى للشام إلى مسامع النبى صلّى اللّه عليه و آله عن طريق القوافل التجارية التى تعمل على طريق الحجاز- الشام فلم ير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بدّا من أن يردّ على هؤلاء المعتدين، بجيش عظيم، و يحافظ بذلك على الدين الّذى قام بفضل الدماء الزكية التى اريقت من أصحابه، و بفضل تضحياته هو صلّى اللّه عليه و آله و هو الآن على أبواب أن يعمّ العالم نوره و هداه، من ضربات العدوّ المفاجئة.

و لقد بلغ هذا الخبر المقلق أهل المدينة، و أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم، و الناس فى زمان عسرة، و شدة من الحرّ، و جدب من البلاد، و قد طابت الثمار، و الناس يحبّون المقام فى ثمارهم و ظلالهم، و يكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه.

و لكن الدوافع المعنوية، و روح الحفاظ على الأهداف المقدّسة، و الجهاد فى سبيل اللّه مقدّم- عند عباد اللّه المؤمنين الصالحين- على كل تلك الامور.

(۳)

تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يعرف على نحو الاجمال مدى و حجم

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۵۴

استعدادات العدوّ، و طاقاته، و قدرته على القتال.

من هنا كان مطمئنا إلى أن الانتصار فى هذه المعركة بحاجة- مضافا إلى الخلفية المعنوية القوية و هى الايمان باللّه و القتال ابتغاء لمرضاته- الى قوة عسكرية كبيرة جدا و لهذا بعث رجالا إلى مكة، و نواحى المدينة يدعون المسلمين إلى المشاركة فى الجهاد فى سبيل اللّه، و يحثّون أهل الغنى و الثروة، على تهيئة نفقات الجهاد فى سبيل اللّه من الزكاة.

و أخيرا أعلن ثلاثون ألفا من المسلمين استعدادهم للمشاركة فى هذه الغزوة و اجتمعوا فى معسكر عند «ثنية الوداع» و تهيّأ قدر كبير من نفقات القتال عن طريق الزكاة، و كان الجيش الاسلاميّ يتألف من عشرة آلاف فارس، و عشرين الف راجل.

و قد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها.

(۱)

المتخلّفون عن القتال:

كانت غزوة «تبوك» خير محكّ لمعرفة المجاهدين الصادقين و تمييزهم عن غير الصادقين من أدعياء الإيمان و المنافقين لأن التعبئة العامّة لهذه الغزوة اعلنت فى وقت كان الناس يستعدّون فيه للحصاد من جهة، و كان الحرّ على أشدّه من ناحية اخرى، فكشف تخلّف البعض- بالأعذار و الحجج المختلفة- القناع عن وجههم الحقيقى و نزلت آيات فى ذمّهم جميعها فى سورة البراءة.

لقد تخلّف البعض عن المشاركة فى هذه الغزوة للاسباب و العلل التالية:

(۲) ۱- عند ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للجدّ بن قيس،- و كان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة-:

«أبا وهب هل لک العام تخرج معنا»؟

فقال: یا رسول اللّه أو تأذن لی، و لا تفتنّی «۱» فو اللّه لقد عرف قومی ما أحد

(۱) أی أخشی الافتتان ببنات الروم فلا تفتنی بهنّ یا رسول اللّه.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۵

اشدّ عجبا بالنساء منی، و انی لأخشی إن رأیت بنات بنی الأصفر (الروم) لا أصبر علیهنّ.

فاعرض عنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد أن سمع منه ذلک العذر الصبیانی، و قد نزل فیه قول اللّه تعالی:

«وَ مِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ ائْذَنْ لِی وَ لا تَفْتِنِّی أَلا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکافِرِینَ» «۱».

(۱) ۲- المنافقون: إن جماعة ممن تظاهروا بالإسلام و الإیمان و هم منه خلو، أخذوا یثبّطون الناس عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی غزوة تبوک، و ربما تحجّجوا بشدة الحرّ فقالوا: یغزو محمّد بنی الأصفر مع جهد الحال و الحرّ، و البلد البعید، إلی ما قبل له به، یحسب محمّد أن قتال بنی الاصفر اللعب، فنزل فیهم قول اللّه تعالی:

«وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا فِی الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ کانُوا یَفْقَهُونَ فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلًا وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً جَزاءً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ» «۲».

و قد کان بعض المنافقین یخوّفون المسلمین من المشارکة فی هذه الغزوة، و کانوا یقولون فی هذا الصدد: تحسبون قتال بنی الأصفر کقتال غیرهم، و اللّه لکأنّا بکم غدا مقرّنین فی الحبال؟! «۳».

(۲)

اکتشاف شبکة جاسوسیّة فی المدینة:

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کما أسلفنا یولی مسألة تحصیل المعلومات عن العدو و تحرکاته اهتماما کبیرا، و کان اکثر انتصاراته تعود إلی حسن استخدامه لهذه الوسیلة و بالتالی لمعرفته الدقیقة بتحرّکات العدو و نشاطاته، و علی

(۱) التوبة: ۴۹.

(۲) التوبة: ۸۱ و ۸۲.

(۳) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۵۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۶

هذا الاساس کان یقضی علی الکثیر من المؤامرات فی مهدها.

(۱) و لقد بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن ناسا من المنافقین یجتمعون فی بیت «سویلم» الیهودی، و یخطّطون لتثبیط المسلمین عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الغزوة، فبعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «طلحة بن عبید اللّه» فی نفر من أصحابه لإرهاب اولئک المتآمرین حتی یکفّوا عن التآمر، و أمره بأن یحرّق علیهم بیت «سویلم». ففعل طلحة ذلک إذ اقتحم البیت بغتة، و هم یخطّطون، و یدبّرون مؤامرة، و احرق البیت، ففرّوا وسط ألسنة اللهب، و أعمدة الدخان، و افلتوا، و انکسرت رجل أحدهم حین الفرار.

و قد کان هذا الاجراء مفیدا فی ردع المنافقین المشاغبین عن العودة إلی مثلها حتی قال أحد رءوسهم و هو «الضحّاک بن خلیفة»:

کادت و بیت اللّه نار محمّدیشیط بها الضحّاک و ابن أبیرق

و ظلت و قد طبّقت کبس سویلمأنوء علی رجلی کسیرا و مرفقی

سلام علیکم لا أعود لمثلهاأخاف و من تشمل به النار یحرق «۱» (۲) ۳- البکّاءون: لقد أتی رجال من المسلمین رسول اللّه صلّی اللّه

علیه و آله کانوا یرغبون فی الخروج مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی هذه الغزوة، و طلبوا منه ما یحملهم علیه من دابّة فقد کانوا أهل حاجة فقراء، فقال لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«لا أجد ما أحملکم علیه».

فتولوا و أعینهم تفیض من الدمع حزنا، ألّا یجدوا ما ینفقون.

فاذا کان بین أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله رجال نافقوا، و ترکوا الخروج مع رسول اللّه متعلّلین بالأعذار السخیفة، فقد کان إلی جانب ذلک أیضا من کان یبکی بکاء مرّا لعدم تمکّنه من المشارکة فی الجهاد المقدس حتی عرفوا

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۱۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۷

فی التاریخ الاسلامی بالبکائین، و نزل فیهم قرآن اذ یقول تعالی:

«وَ لا عَلَی الَّذِینَ إِذا ما أَتَوْکَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُکُمْ عَلَیْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْیُنُهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا یَجِدُوا ما یُنْفِقُونَ» «۱».

(۱) ۴- المتخلفون: و لقد أبطأ بعض أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن الخروج، و تخلّفوا لا عن شکّ و ارتیاب، أو رغبة عن الجهاد فی سبیل اللّه، و قد کانوا أهل صدق لا یتّهمون فی إسلامهم، إنّما تخلّفوا حتی یلتحقوا برکب النبی صلّی اللّه علیه و آله بعد أن یفرغوا من الحصاد و القطاف و هم (المخلّفون) الثلاثة حسب تعبیر القرآن الکریم الذین فاتتهم غزوة تبوک، فوبّخهم اللّه تعالی و عاقبهم علی تخلّفهم لیکون فی ذلک عبرة لمن سواهم کما ستعرف تفصیل ذلک عمّا قریب.

(۲) ۵- المجاهدون الصادقون: الذین لبّوا نداء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و تهیّأوا من فورهم للخروج معه فی شوق بالغ، و رغبة عظیمة فی الجهاد.

(۳)

عدم مشارکة «علیّ» فی غزوة تبوک:

لقد کان من أبرز فضائل علیّ بن أبی طالب علیه السّلام أنه شارک فی جمیع المعارک، و لازم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی جمیع غزواته،- و کان هو حامل لوائه فی تلک المعارک و الغزوات- ما عدا تبوک حیث بقی فی المدینة بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لم یشارک فی هذا الجهاد المقدس لأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان یدرک جیّدا أن بعض المنافقین و المتربّصین، و المتحینین الفرص من رجال قریش سیستغلّون فرصة غیبة النبی القائد عن المدینة (مرکز الدولة الاسلامیة) فیثیرون فیها فتنة، و یجهزون علی الحکومة الاسلامیة الفتیة بانقلاب أو ما شابه ذلک، و أن مثل هذه الفرصة انما تسنح لهم إذا قصد رسول اللّه صلّی

---

(۱) التوبة: ۹۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۵۸

اللّه علیه و آله مکانا نائیا، و انقطع ارتباطه بعاصمة الاسلام (المدینة)!!

(۱) و لقد کانت «تبوک» أبعد نقطة خرج إلیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی جمیع غزواته، فکان یحدس- بقوة- أن تقوم القوی المضادّة للاسلام بقلب الاوضاع فی غیابه، و یجمعوا من یروا رأیهم و یذهب مذهبهم من شتی أنحاء الحجاز، و یتحدوا لضرب الدولة الاسلامیة و القضاء علیها من الداخل.

و لهذا- رغم أنه استخلف «محمّد بن مسلمة» على المدينة- قال للامام «على بن أبى طالب»:

«أنت خليفتى فى أهل بيتى و دار هجرتى و قومى.

يا على إنّ المدينة لا تصلح إلّا بى و بك».

(۲) و لقد أزعج بقاء علىّ عليه السّلام فى المدينة، المنافقين الذين كانوا يتربّصون بالاسلام الدوائر، و يتحيّنون الفرصة، و يفكرون فى انقلاب فى غيبة النبىّ صلّى اللّه عليه و آله لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يعودوا يستطيعون مع وجود علىّ عليه السّلام فى المدينة، و مراقبته الدقيقة لتحرّكاتهم و نشاطاتهم فعل أى شىء ممّا كانوا ينوون القيام به، و لهذا أرجفوا به، و بثّوا شائعات خبيثة حوله، بغية إجباره على مغادرة المدينة فقالوا: ما خلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا إلّا استثقالا له، و تخفّفا منه، أو: أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دعاه إلى الخروج لتبوك، و لكن عليا امتنع من الخروج بحجّة الحرّ الشديد، و بعد الطريق و إيثارا للدعة و الراحة و الرفاهية!!

(۳) و لإبطال هذه الشائعة الخبيثة، و تكذيب هذا الكلام، أخذ على عليه السّلام سلاحه، و خرج حتى أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو نازل بالجرف (و هو موضع على ثلاثة أميال من المدينة) فقال:

«يا نبى اللّه، زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتنى أنّك استثقلتنى و تخفّفت منّى».

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حينئذ كلمته التاريخية الخالدة التى تعتبر

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۵۹

من أبرز الادلة و أقواها و أوضحها على إمامة علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و خلافته بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بلا فصل:

«كذبوا، و لكنّنى خلّفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى و أهلك أ فلا ترضى يا علىّ أن تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى» «۱».

فرجع علىّ عليه السّلام الى المدينة المنورة، و مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على سفره «۲».

(۱)

جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك:

لقد دأب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ خرج لتأديب قوم يكيدون بالاسلام، و يمنعون من تقدمه و انتشاره أو يقصدون الهجوم على المدينة و اجتياحها، أو إيجاد فتن فيها، على أن لا يبوح بمقصده و وجهته لجنوده و امراء جيشه، و أن يسير بالجيش فى طريق آخر غير الوجه الذى ينويه باطنا، حتى لا يعرف به العدو فيهيّأ لمواجهته، و بذلك يتسنى له صلّى اللّه عليه و آله أن يباغت العدوّ، و يحقّق الانتصار الساحق عليه «۳»

غير أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عدل عن هذه السيرة فى قضية غزو الروميّين الذين اجتمعوا فى حدود الشام و هم يتأهّبون للهجوم على عاصمة الاسلام.

فقد بيّن للناس- منذ أعلن التعبئة العامة- الوجهة التى يقصدها، و كان السرّ فى ذلك هو أن يعرف المجاهدون أهمية هذا السفر و صعوبته، و أن يحملوا الزاد الكافى و العدة اللازمة.

---

(۱) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۴۹ و ۴۵۰.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۲۰، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۰۷ و ۲۰۸، و للوقوف على دلالة هذا الحديث على امامة امير المؤمنين عليه السّلام راجع كتب العقائد و الكلام.

(۳) المغازی: ج ۳ ص ۹۹۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۰

(۱) هذا مضافا إلی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان مضطرّا- لتقویة الجیش الاسلامی- إلی أن یستعین بقبائل «تمیم» و «غطفان» و «طیّ» التی کانت تسکن فی مناطق بعیدة عن المدینة.

و قد عمد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لهذا الغرض إلی مراسلة زعماء تلک القبائل، و ساداتها کما کتب إلی «عتّاب بن اسید» أمیر مکة الشاب دعا فیه رجال تلک القبائل، و فتیان مکة إلی المشارکة فی هذا الجهاد المقدس «۱».

و مثل هذا النوع من الدعوة الصریحة العامة لا ینسجم مع الکتمان و السریّة، لأنه کان لا بدّ أن یخبر صلّی اللّه علیه و آله رؤساء القبائل فی هذا الموضوع، و یذکر لهم أهمیّته، لیحملوا معهم الزاد و العدة اللازمة الکافیة.

(۲)

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله یستعرض جیشه:

و لما حان موعد تحرک الجیش استعرض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله جیشه فی معسکر المدینة العظیم، المؤلّف من المؤمنین الفدائیین الغیاری علی الإسلام، و الذین فضّلوا المشقة و الموت فی سبیل الهدف علی الاستراحة فی الظلال، و التجارة، و کسب المال و اکتناز الثروة، و خرجوا یستقبلون الموت فی سبیل الدین بقلوب تفیض إیمانا و یقینا.

لقد کان هذا المشهد جمیلا و رائعا جدا، و کان له أثر قوی فی نفس المتفرجین.

و فی هذه المناسبة ألقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خطبة مهمة، لتقویة معنویات المجاهدین، قد شرح فیها هدفه من هذه التعبئة العامة الواسعة.

فبعد أن حمد اللّه و أثنی علیه بما هو أهله قال:

«أیّها الناس! أما بعد، فإن أصدق الحدیث کتاب اللّه و أوثق العری کلمة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۴۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۱

التقوی و خیر الملل ملة إبراهیم علیه السّلام و خیر السنن سنن محمّد و أشرف الحدیث ذکر اللّه و أحسن القصص هذا القرآن و خیر الامور عواقبها و شرّ الامور محدثاتها و أحسن الهدی هدی الأنبیاء و أشرف القتل قتل الشهداء».

إلی آخر الخطبة التی وردت بکاملها فی المصادر التاریخیة و التی ادرج فیها مجموعة کبری و هامّة من التعالیم الاسلامیة الهامة فرغب الناس فی الجهاد لما سمعوا هذا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۱» ثم أصدر رسول اللّه أوامره للجنود بالتوجه الی ثغور الشام من الطریق الذی عیّنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

(۱)

قصة مالک بن قیس:

رجع مالک بن قیس «ابو خیثمة» بعد أن سار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أیاما إلی أهله فی یوم حار، فوجد المدینة فارغة، و عرف بمسیر جنود الإسلام ثم دخل فی عریش له، فوجد امرأتین له قد رشّتا الماء فی العریش، و برّدتا له ماء، و هیأتا له طعاما، فلما دخل قام

علی باب العریش، فنظر إلی امرأتیه، و ما صنعتا له، و فکّر فی ما فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أصحابه من الحال، و قد انطلقوا إلی جهاد العدوّ فی شدّة الحرّ فقال: رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الشمس و الریح و الحرّ، و أبو خیثمة فی ظل بارد، و طعام مهیّأ، و امرأة حسناء فی ماله مقیم؟

ما هذا بالنصف.

ثم قال: لا أدخل عریش واحدة منکما حتی ألحق برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أصحابه المجاهدین فهیئا لی زادا، ففعلتا ثم قدّم بعیره فارتحله، ثم خرج فی طلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی أدرکه حین نزل تبوک، و قد لقی فی أثناء الطریق أبا خیثمة «عمیر بن وهیب الجمحی» و هو یطلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۲».

---

(۱) المغازی: ج ۲ ص ۱۰۱۶ بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۱۰- ۲۱۲.

(۲) السیرة النبویة: ج ۱ ص ۵۲۰ و قد ذکر الواقدی هذه القصة باختلاف یسیر و نسبها الی عبد اللّه بن خیثمة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۲

(۱) لقد کان هذا الرجل ممّن لم یوفّق- فی بدایة الامر- لمرافقة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلّا أنه التحق برکبه المقدس و نال السعادة العظمی بحسن اختیاره الذی یستحق الاکبار و التقدیر، و لم یکن مثل اولئک الذین طلبتهم السعادة و لکنهم رفضوها، و ابتعدوا عنها، و آثروا البقاء فی ضلالهم و شقائهم.

فهذا «عبد اللّه بن ابی» رئیس المنافقین و کبیرهم الذی عزم علی أن یشارک مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الغزوة أقام خیمته فی معسکر المسلمین، و لکنه لخبث سریرته، و عدائه الشدید للاسلام و نبیّه الکریم صلّی اللّه علیه و آله بدّل رأیه ساعة رحیل الجیش الاسلامی، و عاد الی المدینة مع أصحابه لیقوم بالشغب، و حیث إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان علی علم بنفاقه، و خبث سریرته و کان یدرک جیدا أن مشارکة هذا العنصر المنافق و جماعته فی ذلک الجهاد لن تعود علی المسلمین بفائدة، لذلک لم یهتم صلّی اللّه علیه و آله بانفصاله عن الجیش الاسلامی و رجوعه الی المدینة.

(۲)

مصاعب الطریق:

لقد واجه جیش الاسلام فی أثناء الطریق متاعب و مشاق کثیرة، و لهذا سمّی هذا الجیش بجیش «العسرة» و لکن ایمانهم العمیق باللّه، و حبّهم الشدید للهدف المقدس سهّل لهم تلک المصاعب، و هوّن علیهم تلک المشاق، التی استقبلوها بصدور رحبة.

و عند ما وصل جیش الاسلام إلی أرض ثمود غطّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله وجهه بثوبه، و استحثّ راحلته و مرّ علی بیوتهم، و أطلالهم بسرعة و قال لأصحابه:

«لا تدخلوا بیوت الّذین ظلموا إلا و أنتم باکون خوفا أن یصیبکم مثل ما أصابهم».

و هو بذلک یحث أصحابه علی التدبر فی أحوال من مضی من الاقوام

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۳

و الشعوب، و التفکّر فی مصائرهم و ما آلوا علیه بسبب عتوّهم و عنادهم، و تمرّدهم علی الحق، فان ضلال الموت التی کانت تخیّم علی تلک الربوع، و الأطلال الصامتة خیر عبرة للاجیال و الاقوام الاخری.

(۱) ثم نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الناس عن أن یشربوا من مائها شیئا، و أن لا یتوضئوا به للصلاة، و أن لا یحاس به حیس، و لا یطبخ به طعام، و أن العجین الذی عجن به، أو الحیس الذی فعل به یعلف الإبل، و أن الطبیخ الذی طبخ به یلقی، و لا یأکلوا منه

شيئا «۱».

ففعل الناس ما أمرهم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثم ان الناس ارتحلوا من تلك المنطقة حتى إذا مضى من الليل بعضه وصلوا إلى البئر التى كان يشرب منها ناقة صالح النبى عليه السّلام، فنزلوا عليها بأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(۲)

تعليمات احتياطيّة:

ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يعرف بالرياح الشديدة و السامّة و العواصف القوية التى كانت تهبّ فى تلك الأرض بين الحين و الآخر، و تبلغ من الشدة و القوة بحيث ربما تحتمل البعير بصاحبه، و تلقيه فى واد آخر.

و لهذا أصدر صلّى اللّه عليه و آله إلى أصحابه تعليمات احتياطية مشدّدة فأمرهم بأن يعقلوا آبالهم و لا يخرج أحد منهم فى تلك الليلة وحده، بل يخرج من خبائه مع صاحبه.

و قد اثبتت التجارب و الاحداث فيما بعد أن التعليمات الاحتياطية النبوية المذكورة كانت مفيدة جدا، لأن شخصين من بنى ساعدة من الّذين كانوا فى ركب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تجاهلا هذه التعليمات فخرجا منفردين من

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۲۱ و ۵۲۲، السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۱۳۴ و ۱۳۵.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۶۴

خبائهما ليلا، فاختنق أحدهما لشدة الرياح، بينما احتملت الريح الرجل الآخر، و ضربت به الجبل، و لما علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بذلك انزعج بشدّة و قال:

«أ لم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلّا و معه صاحبه» «۱».

(۱) هذا و قد استعمل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على حرس العسكر «عباد بن بشر» فكان يطوف فى أصحابه على العسكر.

ثم اصبح الناس و لا ماء معهم، و حصل لهم بسبب العطش ما كاد يقطع رقابهم، حتى حمل ذلك بعضهم على نحر إبلهم ليشقوا اكراشها، و يشربوا ماءها، بينما صبر آخرون، و انتظروا حصول الماء على ظمأ شديد، و قلوب ملتهبة عطشا.

و لقد أعان اللّه تعالى الذى كان قد وعد نبيّه الكريم بالنصر أصحابه المسلمين الأوفياء، مرة اخرى إذ أرسل سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس، و احتملوا ما يحتاجون إليه.

(۲)

علم رسول اللّه بالمغيّبات:

لا شك فى أن فى مقدور رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يطلع على الغيب ممّا يخفى على الناس، و يخبر به كما يصرح القرآن الكريم بذلك، إلّا أنّ هذا العلم لا ريب محدود، و يحتاج إلى تعليم اللّه سبحانه. يقول تعالى:

«عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ» «۲».

من هنا يمكن أن تخفى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى بعض الاحايين، أبسط الامور، كأن يفقد مفتاحا، أو يضيّع مالا و لا يعرف بمكانه و مصيره، بينما يقدر صلّى اللّه عليه و آله أن يعلم بأخفى الامور الغيبية و اشدها غموضا فيثير حيرة

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۱۳۴، السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۲۲.

(۲) الجن: ۲۶ و ۲۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۵

الناس و دهشتهم و عجبهم.

و السبب فی کل ذلک هو ما ذکرناه، فان مشیئة اللّه سبحانه لو تعلّقت بأن یعلم نبیّه بشیء من عالم الغیب و یخبر به علم و أخبر، و إلّا کان صلّی اللّه علیه و آله کغیره من أفراد البشر العادیین.

و فی ضوء هذا البیان لا بد أن ننظر الی القصة التالیة:

(۱) لما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ببعض الطریق إلی تبوک ضلّت ناقته، فخرج أصحابه فی طلبها، فقام أحد المنافقین، و قال: أ لیس محمّد یزعم أنه نبی، و یخبرکم عن خبر السماء، و هو لا یدری أین ناقته؟

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هو یکشف النقاب ببیانه الرائع:

«إن رجلا قال: هذا محمّد یخبرکم أنه نبیّ و یزعم أنه یخبرکم بأمر السماء، و هو لا یدری أین ناقته؟ و إنی و اللّه ما أعلم إلّا ما علّمنی اللّه، و قد دلّنی اللّه علیها و هی فی هذا الوادی فی شعب کذا و کذا و قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتی تأتونی بها».

فذهب بعض الصحابة من فورهم، و جاءوا بها «۱».

(۲)

إخباره بمغیّب آخر:

لقد تخلّف أبو ذر عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إذ أبطأ به بعیره، فانتظره المسلمون ریثما یقوم بعیره، و لکن دون جدوی فترک أبو ذر البعیر، و أخذ متاعه فحمله علی ظهره ثم خرج یتبع أثر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ماشیا، و نزل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی بعض منازله و نزل المسلمون لیستریحوا فیه بعض الوقت، و فجأة لاح من بعید رجل، فلما نظر إلیه ناظر من المسلمین قال: یا رسول اللّه هو و اللّه أبو ذر، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۲۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۵۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۶

«رحم اللّه أبا ذر یمشی وحده و یموت وحده و یبعث وحده» «۱».

(۱) و قد کشف المستقبل عن صحة هذه النبوءة، فقد توفی أبو ذر فی صحراء «الربذة»، و عنده ابنته بعیدا عن الناس فی حالة مأساویة «۲».

لقد تحققت نبوءة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی معرکة تبوک بعد ثلاثة و عشرین عاما، فقد نفی هذا الصحابی المجاهد الصادق إلی الشام ثم الی الربذة لا لشیء إلّا لأنّه جهر بالحق، و طالب بالعدل، و فقد قواه و طاقاته البدنیة شیئا فشیئا حتی غدی طریح الفراش، فی تلک المنطقة الوعرة.

و فیما کان یمضی الدقائق الاخیرة من حیاته الحافلة بالاحداث و التطورات، و امرأته جالسة عنده ترمق محیّاه المشرق المتعب و قد عرق جبینه، و هی تمسح بیدها العرق و تبکی قال لها: ما یبکیک؟

فقالت: أبکی أنه لا ید لی بتغییبک (أی لیس لی من یعیننی علی دفنک، أ و لیس عندی ثوب یسعک کفنا)!

فارتسمت علی شفتی أبی ذر ابتسامة مرّة و قال: لا تبکی علیّ، فانی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ذات یوم و أنا عنده فی نفر

يقول: ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين (ثم قال:) فكلّ من كان معى فى ذلك المجلس مات فى جماعة و قرية، فلم يبق منهم غيرى، و قد أصبحت بالفلاة أموت فراقبى الطريق، فانك سوف ترين ما أقول لك فانى و اللّه ما كذبت و لا كذبت.

قال هذا و فاضت روحه المباركة «۳».

(۲) و لقد صدق أبو ذر، فقد كانت ثمة قافلة من المسلمين تضم شخصيات

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۲۵.

(۲) المغازى: ج ۳ ص ۱۰۰۰ و ۱۰۰۱.

(۳) اسد الغابة: ج ۱ ص ۳۰۲، الطبقات الكبرى: ج ۴ ص ۲۲۳، حلية الاولياء: ج ۱ ص ۳۰۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۷

كبرى مثل «عبد اللّه بن مسعود» و «حجر بن عدى» و «مالك الاشتر» تتقدم نحو تلك المنطقة.

رأى «عبد اللّه» من بعيد مشهدا عجيبا ... مشهد جسد بلا روح على قارعة الطريق، و عند ذلك الجسد امرأة و صبىّ و هما يبكيان.

فعطف «عبد اللّه» زمام راحلته نحو ذينك الشخصين و تبعه من معه فى القافلة أيضا، و ما أن وقعت عينا عبد اللّه على ذلك الجسد حتى عرف صاحبه، فهذا هو رفيقه و أخوه فى الاسلام أبو ذر!!

فاغرورقت عيناه بالدموع، و وقف عند جثمان أبى ذر، و تذكّر نبوءة رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله فى غزوة تبوك و قال: رحم اللّه أبا ذر يمشى وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده».

(۱) ثم صلى ابن مسعود على أبى ذر، ثم واراه الثرى، و بعد أن فرغ من دفنه، وقف مالك الاشتر عند قبره و قال:

اللّهمّ إنّ هذا صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عبدك فى العابدين، و جاهد فيك المشركين، لم يغيّر و لم يبدّل لكنّه رأى غريبا منكرا فغيّره بلسانه و قلبه، حتى جفى و نفى و حرم و احتقر ثم مات وحيدا غريبا «۱».

و قد اشار السبكى فى ابيات له إلى هذا كما فى السيرة الحلبية:

و عاش أبو ذر كما قلت وحدهو مات وحيدا فى بلاد بعيدة

---

(۱) ذكر المؤرخون قصة وفاة أبى ذر و دفنه بصور مختلفة، فيستفاد من بعض المصادر التاريخية أن أبا ذر كان على قيد الحياة عند ما قدمت القافلة المذكورة و تحدث مع رجالها، و لكن بعض المصادر الاخرى تنص على أنه مات قبل قدوم تلك القافلة الى تلك المنطقة كما أنه صرح البعض أن زوجة أبى ذر و ابنه حملا- جثمانه إلى قارعة الطرق بينما قال آخرون أن زوجته و ابنه جلسا على قارعة الطريق و دلّا القافلة على محل جثمانه الطاهر، راجع للوقوف على ذلك الطبقات الكبرى:

ج ۴ ص ۳۴- ۲۳۲، و الدرجات الرفيعة: ص ۵۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۸

(۱)

جيش الإسلام فى أرض تبوك:

حلّ جيش التوحيد فى مطلع شهر شعبان سنة تسع من الهجرة فى أرض تبوك، و لكن دون أن يرى أثرا عن جيش الروم، و كأنّ جنود الروم لمّا علموا بكثرة جنود الاسلام، و بشهامتهم و تضحيتهم النادرة التى شهدوا نموذجا منها عن كثب فى معركة «مؤتة» رأوا من

الصالح ان ینسحبوا إلی داخل بلادهم و لا یواجهوا المسلمین، و یثبتوا بذلک عملیّا نبأ اجتماعهم ضدّ المسلمین، و یتظاهروا بأنه لم تراودهم فکرة الهجوم علی المسلمین قط، و أن هذا النبأ لم یکن إلّا شائعة لا أکثر، فیثبتوا من هذا الطریق حیادهم بالنسبة للحوادث و الوقائع التی تحدث فی الجزیرة العربیة «۱».

(۲) فی هذه اللحظة جمع رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله قادة جیشه الکبار، و تبعا للاصل الاسلامی «و شاورهم فی الأمر» تحادث معهم حول التقدّم فی أرض العدوّ أو الرجوع إلی المدینة و شاورهم فی ذلک.

فکانت نتیجة التشاور هی أنّ علی الجیش الاسلامی الذی تحمّل مشاق کثیرة فی هذه السفرة، أن یعود إلی المدینة، لیستعید نشاطه، و قواه، هذا مضافا إلی أن المسلمین حققوا هدفهم السامی من هذه السفرة و هو تفریق جیش الروم و تبدید اجتماعهم بعد القاء الرعب الشدید فی قلوبهم، و قد یبقی هذا الرعب فی قلوب الرومیین إلی مدة مدیدة بحیث یصرفهم عن فکرة تسییر جیش للهجوم علی المسلمین، و هذا القدر من النتیجة التی من شأنها أن تضمن أمن الحجاز من ناحیة الشمال ردحا من الزمن تکفی للمسلمین فعلا حتی یقضی اللّه ما یقضی فی المستقبل.

---

(۱) یکتب الواقدی فی المغازی: ج ۳ ص ۱۰۱۴ و ۱۰۱۵ أقام رسول اللّه بتبوک عشرین لیلة و هکذا یقول: إن النبی بعد أن صلی الفجر ذات یوم جمع الناس، فخطب فیهم خطبة بلیغة ضمّنها مواعظ و تعالیم عظیمة کثیرة ثم ادرج نص الخطبة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۶۹

(۱) و لقد اضاف کبار المشیرین- حفاظا علی مکانة الرسول القائد، و إشعارا بان رأیهم هذا قابل للأخذ و الرد- قائلین: إن کنت امرت بالسیر فسر «۱».

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«لو امرت به ما استشرتکم فیه».

و هکذا احترم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله آراء مشاوریه و رضی بالعودة إلی المدینة «۲».

و حیث کان هناک حکام و ولاة یعیشون فی المناطق الحدودیة السوریة و الحجازیة لهم نفوذ کبیر فی قبائلهم و مناطقهم، و کانوا جمیعا نصاری، و لهذا کان من المحتمل بقوة أن یستغل الروم قواهم ضد الاسلام، و یحملوا بمساعدتهم علی الحجاز.

(۲) و لهذا کان یتعین أن یعقد معهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله معاهدة عدم اعتداء، لیأمن جانبهم و یحصل علی أمن أوسع، فأجری صلّی اللّه علیه و آله اتصالات مباشرة مع اولئک الحکّام و الولاة الذین کانوا یعیشون علی الشریط الحدودی علی مقربة من تبوک و عقد معهم معاهدات عدم تعرض و اعتداء بشروط خاصة کما أرسل مجموعات إلی النقاط النائیة عن تبوک لیحقق بذلک مزیدا من الأمن للمسلمین.

لقد اتصل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله شخصیا بزعماء «أیلة» و «أذرح» و «الجرباء»، و تمّ عقد معاهدة عدم تعرّض و اعتداء بین الجانبین. و «أیلة» مدینة ساحلیة تقع علی ساحل البحر الأحمر، و لا تبعد عن الشام کثیرا، و کان زعیم تلک المنطقة هو «یوحنا بن رؤبة»، فهو یوم اتی به إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و علیه صلیب من ذهب علی عادة النصاری، قدّم لرسول اللّه صلّی اللّه علیه

---

(۱) المغازی: ج ۳ ص ۱۰۱۹.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۱۴۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۷۰

و آله فرسا أبیضا، و أعلن عن طاعته لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فاحترمه النبی و اکرمه، و صالحه، و کساه بردا یمینا.

(۱) و قد قبل «یوحنا» هذا أن یبقى على نصرانیته شریطة أن یدفع للنبی جزیة قدرها ثلاثمائة دینار سنویا و على أن یحسن إلى من یمرّ على أیلة من المسلمین و کتب له رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله کتاب أمان وقّعه الطرفان، و إلیک نص الکتاب المذکور:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم، هـذا أمنـة من اللّه و محمّد النبیّ رسول اللّه لیوحنا بن رؤبة و أهل أیلة لسـفنهم و سـیاراتهم فی البرّ و البحر، لهم ذمة اللّه و ذمة محمّد رسول اللّه و لمن کان معهم من أهل الشام و أهل الیمن و أهل البحر، و من أحدث حدثا، فانه لا یحول ماله دون نفسه، و أنه طیّبة لمن أخذه من الناس و انه لا یحلّ أن یمنعوا ماء یردونه و لا طریقا یریدونه من برّ و بحر.

هـذا الکتاب یکشف عن قاعدة مهمّة فی السیاسة الاسـلامیة و هی أن أیّ شـعب أراد أن یسالم المسـلمین و فرّ الاسـلام له کل أمن و سلام «۱».

ثم إن رسول اللّه صـلّى اللّه علیه و آله صالـح بقیـة الحکـام الحـدودیین مثـل سـادة أقوام «أذرح» و «جربـاء» التی کـانت تتمتع بـاهمیة استراتیجیة، و بذلک ضمن أمن المنطقة الاسلامیة من ناحیة الشمال.

(۲)

بعث خالد إلى دومة الجندل:

على طریق تبوک کانت تقع منطقة عامرة خضـراء ذات أشـجار و زروع و میاه جاریة تضم حصنا منیعا، و تبعد عن الشام بما یقرب من خمسین فرسخا، تسمى «دومة الجندل» «۲» و کان یحکمها یومذاک رجل مسیحی یدعى «اکیدر بن

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۲۶، السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۱۴۱، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۶۰.

(۲) یقول الواقدی فی المغازی: ج ۳ ص ۱۰۲۵ تقع دومة الجندل على عشرة امیال من المدینة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۷۱

عبد الملک».

(۱) و حیث أنّ رسول اللّه صـلّى اللّه علیه و آله کان یخشـى هجوما آخر من الروم، و الاستعانة بحاکم دومة المسیحی و بهذا یعرّضون أمن الحجاز للخطر، لذلک رأى صلّى اللّه علیه و آله أن یستفید من قوته الحاضرة أکبر قدر ممکن فبعث مجموعة من المقاتلین بقیادة خالد بن الولید الى المنطقة المذکورة لتطویعها و تطویع حاکمها.

فتوجه خالد مع فرسانه الى دومة الجندل حتى اقتربوا إلى حصنها، و کمنوا قریبا منه.

و فی تلک اللیلة خرج «اکیدر» و أخوه «حسان» من الحصن و معه نفر من اهل بیته للصید فلما ابتعدوا عن الحصن حاصرهم خیل خالد و أسروا «اکیـدرا» بعد قلیل من القتال و المواجهة، و قتل اخوه «حسان» و لجأ البقیة إلى الحصن، و اعتصـموا به، فصالح خالد «اکیدرا» على أن یطلب له و لقـومه الأمـان من رسـول اللّه صـلّى اللّه علیه و آله لقـاء أن یفتـح أبواب الحصن فی وجوه المسـلمین و یلقی أهلها الاسلحة.

(۲) فـأمر اکیـدر الـذی کـان یثـق بصـدق المسـلمین و احـترامهم لوعـودهم و عهـودهم، أمر قومه أن یفتحوا أبواب الحصن و یسلّموا للمسـلمین، و یلقوا اسـلحتهم و یترکوا القتال، و کانت الاسـلحة تبلغ أربعمائـة درع، و أربعمائة رمح و خمسـمائة سـیف ثم توجه خالد باکیدر و قومه و ما حصل علیه من الغنائم الى رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله فخلبت منظر الدیباج المخوّص بالذهب عیون جماعة من طلاب الدنیا.

فاخذوا یتلمسونه بأیدیهم و یتعجّبون منه فقال رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و هو لا یکترث بتلک الثیاب:

«فو الّذی بنفسی لمنادیل الجنة أحسن من هذا».

لقد حضر «اكيدر» عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و امتنع عن قبول الاسلام إلّا أنه رضى بأن يعطى الجزية للمسلمين، و صالحه النبى صلّى اللّه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۷۲

عليه و آله على ذلك و كتب له كتابا، ثم أهدى له صلّى اللّه عليه و آله هدية و استعمل على حرسه «عباد بن بشر» ليوصله الى دومة الجندل سالما «۱».

(۱)

تقييم إجمالى لغزوة تبوك:

إن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله و إن لم يلق فى هذا السفر الشاق كيدا و لم يواجه العدوّ، و لم يقاتل إلّا أنّ هذه السفرة عادت عليه بسلسلة من الفوائد المعنوية و الروحية هى:

(۲) أولا: صعود مكانة و سمعة الجيش الاسلامىّ، فقد زاد من عظمته و قوته فى قلوب سكان الحجاز، و حكّام المناطق الحدودية السورية، و عرف الصديق و العدوّ أن المقدرة العسكريّة الاسلاميّة بلغت من القوة و العظمة بحيث أصبح فى مقدورها أن تواجه اكبر القوى العالمية و تقارعها، و تلقى الرعب و الخوف فى قلوبها.

إن انتشار هذا الموضوع بين القبائل العربية التى عجنت جبلّتها بروح التمرّد و الطغيان أوجب أن تتخلى عن فكرة الطغيان و المعارضة، و التآمر ضدّ الاسلام ردحا من الزمن، و أن لا تفكّر فى هذه الامور.

و لهذا السبب أخذت وفود القبائل التى لم تخضع للاسلام حتى ذلك اليوم تفد تباعا على رسول الاسلام صلّى اللّه عليه و آله بعد رجوعه من تبوك الى المدينة، و تظهر لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله طاعتها و خضوعها حتى سمّى ذلك العام بعام الوفود لضخامة عدد تلك الوفود و البعثات التى قدمت المدينة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(۳) ثانيا: ضمن المسلمون عن طريق عقد المعاهدات المختلفة المتعدّدة مع حكّام المناطق الحدودية الحجازية و السورية أمن هذه المنطقة، و اطمأنوا بسببها إلى أنهم سوف لن يتعاونوا مع جيش الروم، و لن يدخلوا مع تلك الدولة فى مؤامرة ضدّ

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۱۶۶، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۴۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۷۳

الاسلام و المسلمين.

(۱) ثالثا: مهّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام، فقد عرف قادة جيشه طرق هذه المنطقة و مشاكلها، و علمهم كيفية تجييش الجيوش الكبرى فى وجه القوى العظمى فى ذلك العصر، من هنا كانت الشام و سورية هى أوّل منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

(۲) رابعا: تميّز المؤمن عن المنافق فى هذه التعبئة العامة و حصلت عملية تصفية و فرز كبيرة و عميقة فى جماعة المسلمين.

(۳)

المنافقون يخطّطون لاغتيال النبى:

أقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مدة بضع عشرة يوما فى تبوك «۱» و بعد أن بعث خالد إلى «دومة الجندل» توجه بالمسلمين الى

المدینة. ولدی العودة تآمر (۱۲) منافقا ثمانیة منهم من قریش و الباقی من أهل المدینة لاغتیال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أثناء الطریق و قبل أن یصل إلی المدینـة، و ذلک بتنفیر ناقـة النبی صـلّی اللّه علیه و آله فی عقبـة بین المدینة و الشام لیطرحوه فی واد کان هناک. و عند ما وصل الجیش الاسلامی إلی بدایة تلک المنطقة (العقبة) قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

«من شاء منکم أن یأخذ بطن الوادی فإنّه أوسع لکم».

(۴) فأخـذ النـاس بطن الوادی، و لکن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله أخـذ طریق العقبـة فیما یسوق «حـذیفـة بن الیمان» ناقـة النبی، و یقودها «عمار بن یاسر» فبینما هم یسیرون إذ التفت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی خلفه، فرأی فی ضوء

---

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۲۷ و ذهب ابن سعد فی الطبقات انه مکث بتبوک عشرین یوما (ج ۲ ص ۱۶۸).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۷۴

لیلة مقمرة فرسانا متلثمین لحقوا به من ورائه لینفّروا به ناقته، و هم یتخافتون، فغضب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و صاح بهم و أمر حذیفة أن یضرب وجوه رواحلهم. قائلا: اضرب وجوه رواحلهم.

(۱) فـأرعبهم رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله بصـیاحه بهم إرعابا شدیـدا، و عرفوا بان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله علم بمکرهم و مؤامرتهم، فاسرعوا تارکین العقبة حتی خالطوا الناس.

یقـول حذیفـة: فعرفتهم برواحلهم و ذکرتهم لرسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و قلت: یـا رسـول اللّه أ لاـ تبعث إلیهم لتقتلهم؟ فاجـابه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی لحن ملؤه الحنان و العاطفة:

«إن اللّه أمرنی أن اعرض عنهم، و اکره أن یقول النـاس أنّه دعـا اناسـا من قومه و أصـحابه إلی دینه فاسـتجابوا له فقاتل بهم حتی ظهر علی عدوّه ثمّ أقبل علیهم فقتلهم و لکن دعهم یا حذیفة فانّ اللّه لهم بالمرصاد» «۱».

و قد أنزل اللّه سـبحانه إثر هذه الحادثة الآیة ۶۵ من سورة التوبـة التی قـال تعـالی فیها: «و لئن سألتهم لیقولنّ إنّما کنّا نخوض و نلعب» .«۲»

(۲)

النیة تقوم مقام العمل:

لیس ثمة مشهد أعظم جلالا من مشهد جیش فاتح یعود إلی أحضان الوطن، کما لیس هناک أمر ألذّ و أهنأ عند الجندی المجاهد من الغلبة علی العدوّ، التی تحفظ أمجاده، و تضـمن بقاء کیانه، و سـلامته، و قد تجلّی هذان الأمران عند عودة الجیش الاسـلامی المنتصـر إلی المدینة.

لقد دخل الجیش الاسلامی الفاتح المدینة بجلال عظیم بعد أن طوی المسافة

---

(۱) المغازی: ج ۳ ص ۱۰۴۲- ۱۰۴۵، مجمع البیان: ج ۳ ص ۴۶ بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۴۷، الدرجات الرفیعة: ص ۲۹۸ و ۲۹۹ و امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۴۷۷.

(۲) راجع مجمع البیان: ج ۳ ص ۴۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۷۵

بین «تبوک» و «المدینـة»، و کـانت تغمر جنود الاسـلام فرحـة کبیرة، و تظهر علی کلماتهم و أعمالهم أمارات الاعتزاز لما أحرزوه من غلبة علی العدوّ، و من أداء لحق الجندیة، و کان السـبب واضـحا لأنّهم أرعبوا دولة قویّة سـبق لها أن هزمت الامبراطوریة الایرانیة، فهم

أخافوا الروم التی انسحبت من تبوک قبل وصول المسلمین إلیها، و هم طوّعوا حکّام و زعماء المدن و المناطق الحدودیة السوریة و الحجازیة، و أخضعوهم للدولة الاسلامیة.

(۱) لا شکّ أنّ الغلبة علی العدوّ فخر عظیم أصاب هذا الجیش، و کان طبیعیا أن یفتخر أفراد هذا الجیش و یتباهوا علی الذین تخلّفوا فی المدینة من دون عذر، و لکن حیث أن مثل هذا النمط من التفکیر و هذه العودة الظافرة کان من الممکن أن یوجد غرورا لدی البعض فیسیئوا إلی بعض الذین تخلّفوا فی المدینة الذین بقوا فیها لعذر و قلوبهم مع جنود الاسلام، و یشارکونهم بافئدتهم فی أفراحهم، و أتراحهم لهذا التفت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و هم علی مشارف المدینة و قد توقّفوا خارج المدینة بعض الوقت:

«إنّ بالمدینة لأقواما ما سرتم سیرا و لا قطعتم وادیا إلّا کانوا معکم».

قالوا یا رسول اللّه: و هم بالمدینة؟

قال: «نعم، حبسهم العذر» «۱».

أجل أنهم کانوا یتشوّقون إلی الجهاد هذا الواجب الاسلامی الکبیر، و لکن العذر منعهم من الاشتراک فیه.

(۲) إن النبی الاکرم بهذه العبارة المقتضبة اشار- فی الحقیقة- إلی واحد من البرامج الاسلامیة التربویة، و ذکّر بأن النیة الطیبة و الفکر الصالح یقوم مقام العمل الصالح الطیب، و أن الذین یحرمون من القیام بالأعمال الصالحة لافتقادهم القدرة علیها أو فقدان الامکانیات یمکنهم أن یشارکوا الآخرین فی

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۱۶۳، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۷۶

ثواب العمل الصالح اذا نووا ذلک، و اشتاقوا إلیه قلبیا.

إذا کان الاسلام یهتمّ باصلاح الظاهر، فانه یهتمّ أکثر باصلاح القلب و الفکر، باصلاح الباطن و السریرة، لأن اصلاح العقیدة و طریقة التفکیر هو منبع جمیع الاصلاحات، و أعمالنا کلها ولیدة أفکارنا و نوایانا.

إذا خفّف النبی الاکرم بقوله هذا من غلواء المجاهدین و غرورهم، و حفظ مکانة المعذورین من المخلفین فلا یلحق بهم هوان إلّا أنه قرّر فی نفس الوقت أن یوبّخ المتخلفین من دون عذر و یلقّنهم درسا لن ینسوه، و للنموذج ننقل هنا قصة ثلاثة من المتخلّفین.

(۱)

أخذ المتخلّفین بالعقاب النفسیّ:

یوم اعلن فی المدینة عن التعبئة العامة تخلّف ثلاثة من المسلمین فی المدینة هم: «هلال بن أمیّة»، و «کعب بن مالک» و «مرارة بن الربیع» فقد حضر هؤلاء عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لدی خروجه إلی تبوک و اعتذروا إلیه بمعاذیر عن الاشتراک فی الجهاد، فاعتذر أحدهم، بأن الوقت هو وقت إدراک الثمر، و أنهم سیلتحقون بجیش الاسلام إذا فرغوا من الحصاد و القطاف.

إن هؤلاء و امثالهم ممن یریدون الدین و الدینار، و تهمّهم مصالحهم المادیة الشخصیة و الاستقلال السیاسی معا یعانون من نظرة ضیقة و قصیرة تعادل اللذائذ المادیّة العابرة بالحیاة الانسانیة الشریفة، التی تتحقق تحت لواء الاستقلال الفکریّ و السیاسیّ و الثقافی، بل ربما رجّحوا الاولی علی الثانیة.

و لهذا کان علی النبی صلّی اللّه علیه و آله- بعد العودة- أن یؤدب مثل هذه العناصر حتی لا تسری عدوی هذه الحالة المرضیّة إلی الآخرین.

(۲) إنهم لم یتخلّفوا عن هذا الجهاد فحسب، بل لم یعملوا بالعهد الذی أعطوه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أیضا، فإنهم انشغلوا

بالتجارة، و جمع المال حتى فوجئوا بعودة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المظفّرة إلى المدينة فبادروا عند

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۷۷

ذلك لملاقاة ما بدر منهم من تخلّف إلى الحضور عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للتسليم عليه و تقديم التهانى إليه كما فعل الآخرون.

إلّا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أعرض بوجهه عنهم و لم يكترث بهم، و عند ما تحدث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالكلام فى ذلك الاجتماع العظيم وسط موجة من الفرح و الابتهاج كان أوّل ما قاله هو:

«لا تكلمنّ أحدا من هؤلاء الثلاثة».

(۱) و مع أن عدد المتخلفين كان يقارب التسعين شخصا، إلا أن اكثرهم حيث كانوا من المنافقين، و لم يكن يتوقع منهم أن يشاركوا المسلمين فى جهاد العدوّ لهذا تركّز ثقل هذه القطيعة على هؤلاء المسلمين الثلاثة الذين كان بعضهم سبق منه أن اشترك فى غزوة بدر مثل «مرارة» و «هلال»، و كانت لهم شخصية و مكانة بين المسلمين!!

و لقد تركت سياسة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الحكيمة التى كانت جزء لا ينفك من دينه أثرا عجيبا، فقد تعطّلت التجارة و الأخذ و العطاء مع المتخلفين، و كسدت بضائعهم، و لم يشترها أحد، و قطع أقرب أقرباء المخلّفين روابطهم و علاقتهم مع المخلفين المذكورين اتّباعا لأوامر النبى صلّى اللّه عليه و آله، و تركوا حتى الحديث العابر معهم.

ففعلت مقاطعة الناس للمخلفين فعلتها، و ضغطت عليهم نفسيا بشدة حتى ضاقت عليهم الأرض على رحابتها فى نظرهم كما يقول القرآن الكريم.

«حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» «۱».

(۲) و لكن هؤلاء الثلاثة المقرون بفراسة كاملة أدركوا أن العيش فى البيئة الاسلامية لا يمكن إلا بالالتحاق الحقيقى بصفوف المسلمين، و أنه لا دوام لحياة الأقليّة الصغيرة أمام الاكثرية القاطعة، و بخاصة اذا كانت الأقلية تتألف من

---

(۱) التوبة: ۱۱۸، و تذكر التفاسير كيفية توبتهم و إنابتهم على وجه التفصيل فليراجعها من يريده.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۷۸

جماعة مشاغبة و مغرضة.

هذه المحاسبات من جانب، و الانجذاب الفطرىّ من جانب آخر دفعت بهؤلاء المخلفين إلى العودة إلى حظيرة الايمان الواقعى، و أن يظهروا ندمهم على فعلهم القبيح بالتوبة الى اللّه، و الانابة إليه، و قبل اللّه تعالى توبتهم، و أخبر نبيّه الكريم بعفوه عنهم فبادر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله من فوره إلى الاعلان عن عفوه و رفع المقاطعة عنهم «۱».

(۱)

قصة مسجد الضّرار:

كانت «المدينة» و «نجران» تعتبران بالنسبة إلى أهل الكتاب منطقتين واسعتين و مركزيتين فى شبه الجزيرة العربية، فقد كانوا يتمركزون فى هاتين المنطقتين اكثر من أى مكان آخر، و لهذا اعتنق فريق من عرب الأوس و الخزرج الدين المسيحى و اليهودى.

و يبدو أن «ابا عامر» والد «حنظله غسيل الملائكة» المستشهد فى غزوة احد، كان قد رغب فى الدين المسيحى فى العهد الجاهلى، فانسلك فى صفوف الرهبان، فلمّا ظهر نجم الاسلام من افق المدينة بعد هجرة النبى إليها، و احتوى الدين الجديد الأديان الاخرى انزعج «أبو عامر» من هذه الظاهرة بشدة، فشرع بصدق فى التعاون مع منافقى الأوس و الخزرج. و قد عرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و

آله بخططهم التخريبية، و أراد اعتقاله، فخرج «أبو عامر» من المدينة الى مكة، و من مكّة الى الطائف، و هرب من الطائف بعد سقوطها إلى الشام، و اخذ يقود من هناك شبكة تجسّسيّة لحزب المنافقين.

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۱۶۵، بحار الأنوار: ج ۱۰ ص ۱۱۹ و هذا النوع من المحاربة التى سلكها النبى مع المخلفين علّم المسلمين درسا كبيرا و مفيدا فى مقابل الاقليات الصغيرة، و هو لا يحتاج إلّا إلى الاخلاص و الاتحاد و العزم هذا و يذكر الواقدى فى المغازى: (ج ۳ ص ۱۰۴۹– ۱۰۵۶) قصة هؤلاء المخلفين بصورة اكثر تفصيلا ممّا ذكرناه هذا.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۷۹

(۱) و قد كتب الى المنافقين فى المدينة فى إحدى رسائلهم ان استعدّوا و ابنوا مسجدا فى قباء فى مقابل مسجد المسلمين و صلّوا فيه فى أوقات الصلاة ليمكنكم– تحت غطاء أداء الفرائض– التحدث حول الامور المتعلقة بالاسلام و المسلمين، و كيفية تنفيذ المؤامرات الحزبية ضدهم.

لقد كان «ابو عامر» على غرار أعداء الاسلام فى العصر الحاضر يرى أن أفضل وسيلة لهدم و استئصال الدين فى بلد يسوده الدين هو الاستفادة من نفس سلاح الدين، و من المعلوم أنه يمكن توجيه الضربة إلى الدين باسم الدين أكثر من أيّ عامل أو وسيلة اخرى.

لقد كان «ابو عامر» يعلم أن النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يسمح لحزب المنافقين بإقامة مركز لهم مطلقا إلّا إذا كان لذلك صبغة دينية، و كان تحت عنوان مسجد.

(۲) عند ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يتجهّز إلى «تبوك» أتاه جماعة من المنافقين و طلبوا منه ان يسمح لهم ببناء مسجد فى محلتهم بقباء بحجة أن ذوى العلة و الحاجة لا يمكنهم أن يقطعوا المسافة بين قباء و مسجد النبى للصلاة معه صلّى اللّه عليه و آله فى الليلة المطيرة و الليلة الشاتية، فأوكل النبى صلّى اللّه عليه و آله أمر النظر فى طلبهم الى ما بعد العودة من تبوك «۱».

غير أن حزب النفاق بادروا الى اختيار نقطة من الأرض فى قباء، و اسرعوا فى اقامة مركز لهم تحت غطاء المسجد و لما عاد النبى صلّى اللّه عليه و آله من تبوك حضروا عنده و طلبوا منه أن يصلى فيه ركعتين ليسبغوا بذلك الشرعيّة على مركزهم، و فى هذا الاثناء نزل جبرئيل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أخبره بحقيقة هذا الأمر، و سمّاه فى آيات نزل بها على النبى بمسجد الضرار، و وصفه بأنه مركز بنى لايجاد الفرقة بين المسلمين، و التآمر عليهم إذ يقول تعالى:

---

(۱) المغازى: ج ۳ ص ۱۰۴۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۸۰

«وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ» «۱».

(۱) فأمر النبى صلّى اللّه عليه و آله فورا بإحراق ذلك المسجد و تسويته بالأرض فحرّق و هدّم و سوّى بالأرض و تحوّل مكانه إلى مزبلة فيما بعد «۲».

إن تحريق و هدم مسجد الضرار كانت ضربة قاضية لحزب النّفاق فمنذئذ تلاشت و شائج و روابط ذلك الحزب الخبيث، و هلك حاميهم الوحيد عبد اللّه بن أبى بعد شهرين من غزوة تبوك.

و لقد كانت غزوة تبوك آخر الغزوات الاسلامية التى شارك فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ لم يشارك صلّى اللّه عليه و آله بعدها فى أى قتال.

(۱) التوبة: ۱۰۷ و ۱۰۸.

(۲) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۳۰، بحار الأنوار: ج ۲۰ ص ۲۵۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۸۱

(۱)

۵۵ وفد ثقیف فی المدینة

اشارة

انتهت غزوة تبوک بکل مشاکلها، و متاعبها الکثیرة و عاد جنود الاسـلام المجاهـدون الی المدینة بابدان متعبة من وعثاء السـفر، و بعد الطریق، و لم یلق جنود الاسـلام کیدا و لم تحصل بینهم و بین الجیش الرومی ایة مواجهة کما و لم یواجهوا عدوا طوال ذلک الطریق، و لم یغنموا غنیمة. من هنا اعتبر بعض السذّج من المسـلمین تسییر هذا الجیش الضخم عملا لغوا و عبثا، و ذلک لأنهم لم یعرفوا بالآثار و النتائج غیر المرئیة لهذه الحرکة العسـکریة الواسـعة، و لم یمض وقت کبیر إلّا و اتضـحت نتائجها، فقد أسلمت علی أثر هذه المناورة العسـکریة العظمی أشـد القبائل عداء و عنادا للاسـلام، و خضـعت لسـلطان المسـلمین، بایفاد مندوبیها و وفودها إلی المدینة، و إظهار الطاعـة و الاسـلام عن طریقهـا، کما أنها عمـدت الی فتـح أبواب حصونها الحصـینة فی وجه المسـلمین لیحطّموا أصـنامها و أوثانها، و ینصبوا علی حطامها ألویة التوحید.

(۲) ان الجماعات السـطحیة التفکیر القصـیرة النظر تهتم- عادة- بالنتائـج المرئیة الحاضـرة، فمثلا إذا واجه جنود الاسـلام خلال الرحلة عدوّا، و قاتلوه و قضوا علیه، و غنموا غنائم من أمواله قالت هذه الجماعة: لقد حققت هذه العملیة العسکریة نتائج باهرة!!

و لکن أصـحاب الرؤیـة العمیقـة و النظرة البعیـدة یحلّلون الامور علی غیر هـذا النمط، فهم یمتـدحون أی عمل یخدم الهدف و النتیجة النهائیة و یعتبرونه نجاحا باهرا.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۸۲

(۱) و من حسن الاتفاق أن غزوة تبوک خـدمت هـدف النبی صـلّی اللّه علیه و آله و هو اجتـذاب الاقوام العربیـة الی الاسـلام- خدمة کبری-، لأنه قـد شاع فی جمیع انحاء الجزیرة العربیـة أن الرومیین (الذین غلبوا الایرانیین الذین طالما سادوا نصف المعمورة فی ذلک الوقت و حکموا حتی الیمن و ما حولها فی آخر حروبهم، و استعادوا منهم صلیبهم و اعادوه إلی بیت المقدس) ارعبوا بالقوة الاسلامیة الکبری، و انصرفوا عن مقابلة جنود الاسلام.

لقد دفع هذا النبأ اشدّ القبائل عنادا، و التی کانت حتی یوم أمس غیر مستعدة للتعایش مع الاسلام و الخضوع له، دفعها إلی أن تغیّر من مواقفها المتعنتة المتصـلبة، و تفکّر فی التعاون و التعایش مع المسلمین، و لکی تسلم من عدوان القوی الکبری فی ذلک الیوم (إیران و الروم) انضوت تحت لواء الاسلام، و اعلنت عن انتمائها إلیه. و إلیک فیما یلی نموذج من هذه التطورات التی حدثت فی مواقف تلک القبائل العربیة المعادیة للاسلام.

(۲)

وقوع الفرقة و الاختلاف فی قبیلة ثقیف:

کانت قبیلـة ثقیف معروفـة بطغیانها و عنادها العجیب بین القبائل العربیـة، و لقـد قاوموا حصار الجیش الاسـلامی لهم مـدة شـهر واحد

معتصمين بحصونهم فى الطائف و لم يسلّموا «۱».

هذا و كان «عروة بن مسعود الثقفى» و هو أحد سادة ثقيف قد علم بانتصار المسلمين الكبير فى أرض تبوك، فقدم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قبل أن يدخل المدينة، و أسلم على يديه و استأذنه فى أن يذهب إلى الطائف، ليدعو قبيلته إلى دين التوحيد فحذره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من مخاطر هذا العمل لأنه صلّى اللّه عليه و آله كان يعرف أنّ فيهم نخوة الامتناع الذى كان

(۱) المغازى: ج ۲ ص ۹۲۲- ۹۳۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۸۳

منهم.

و قال له: انهم قاتلوك.

فقال عروة: يا رسول اللّه أنا أحبّ إليهم من أبكارهم، (أو من أبصارهم)، و كان فيهم كذلك محبّبا مطاعا.

و لقد كان قوم عروة و سائر قادة ثقيف لم يدركوا بعد ما أدركه عروة من عظمة الاسلام، و كان فيهم نخوة و كبر يمنعانهم من الخضوع للحق.

و لهذا قرّرت أن ترشق بالنبال و السهام أول داعية أتاها ليدعوها إلى الاسلام ... و هكذا رشقوا بالنبال «عروة» فى الوقت الذى كان يدعوهم إلى الاسلام، فقال و هو يلفظ أنفاسه الأخيرة: كرامة اكرمنى اللّه بها، و شهادة ساقها اللّه إلىّ «۱».

(۱)

وفد ثقيف:

ندم رجال ثقيف- بعد مقتل عروة- على فعلهم هذا بشدة و عرفوا بأن الحياة لم تعد ممكنة و ميسّرة لهم فى قلب الحجاز الذى رفعت على جميع مناطقه ألوية التوحيد و خاصّة بعد أن أصبحت جميع المراعى و الطرق التجارية تحت رحمة المسلمين، فقرّروا فى ندوة مشاورة عقدت لدراسة مشكلاتهم أن يبعثوا مندوبا من قبلهم إلى المدينة ليتفاوض مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يعلن له عن استعداد قومه لاعتناق دين التوحيد ضمن شروط معيّنة، و اتفقوا على إيفاد «عبدياليل» إلى المدينة و ابلاغ رسالتهم إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لكن عبد ياليل رفض القيام بهذه المهمّة و قال: لست فاعلا ذلك حتى ترسلوا معى رجالا، لأنه كان لا يثق بثبات رأيهم، و كان يخشى أن يصنعوا به ما صنعوا بعروة بن مسعود. فاتفقوا ان يبعثوا معه خمسة رجال من ثقيف ليقوموا جميعا بالقدوم

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۳۷ و ۵۳۸.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۸۴

على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و التفاوض معه.

(۱) توجه هذا الوفد السداسىّ إلى المدينة، و نزلوا بعد طىّ مسافة خارج المدينة عند قناة فألفوا عندها المغيرة بن شعبة الثقفى يرعى خيولا لأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فلما رأى المغيرة زعماء قبيلته و عرف هدفهم وثب يشتد الى المدينة ليبشّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد أن ترك الخيول عند الثقفيين، و ليخبره بقرار قبيلة ثقيف التى طال عنادها، فلقيه أبو بكر قبل أن يدخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاخبره المغيرة عن ركب ثقيف، فرجاه أبو بكر أن يسمح له بتبشير النبى صلّى اللّه عليه و آله قبل أن يحدثه المغيرة بالأمر ففعل المغيرة فدخل أبو

بكر على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فأخبره بقدومهم عليه و أنهم جاءوا ليعتنقوا الاسلام بشروط، فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باكرامهم، و ضرب لهم قبة فى ناحية مسجده، و كلّف خالد بن سعيد بالقيام بشئون ضيافتهم.

ثم حضر وفد ثقيف عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و مع أن المغيرة كان قد علّمهم كيف يحيّون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فانهم حيّوه بتحية الجاهلية تكبّرا منهم و غرورا ثم أخبروا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله برأى ثقيف و أضافوا أنهم مستعدون لاعتناق الاسلام ضمن شروط خاصة، سوف يعرضونها عليه فى جلسة تالية.

و استمرت مفاوضات وفد ثقيف مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عدة أيّام، و كان «خالد بن سعيد» هو الذى يمشى بينهم و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى هذه المفاوضات.

(۲)

شروط وفد ثقيف:

قبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كثيرا من شروط ثقيف حتى انه ضمن لاهل الطائف- ضمن ذلك العهد- أمن منطقة الطائف و ما يرتبط بالطائفيين من

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۸۵

أراض، و لكن بعض شروطهم كانت غير صحيحة، و وقحة الى درجة أن النبى صلّى اللّه عليه و آله غضب بسببها، و لا بأس بأن نتعرض لذكر بعض هذه الشروط:

قال وفد ثقيف: ان قبيلة ثقيف مستعدة لان تعتنق الاسلام شريطة أن يترك بيت أصنامهم على حاله، و أن يعبدوا «اللات» و هو صنم القبيلة الاكبر مدة ثلاث سنين فأبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فلما رأوا غضب النبى و اباءه أخذوا يتنازلون عن المدة التى ذكروها سنة سنة و هو يأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا، فابى عليهم أن يدعها و لا يوما.

(۱) و لقد كان مثل هذا الطلب من النبى صلّى اللّه عليه و آله الذى كان نشر التوحيد، و هدم بيوت الاصنام، و تحطيم الاوثان يشكل هدفه الاساسى كان طلبا مخجلا جدا، و لقد كان مثل هذا الطلب يكشف عن أنهم كانوا يريدون إسلاما لا يضر بمصالحهم الماديّة و ميولهم الباطنية، أما إذا كان غير هذا فلن يقبلوه و لن يرضوا به.

و لهذا عند ما عرف وفد ثقيف بقبح مطلبهم هذا بادروا إلى التعلل و الاعتذار بأنهم إنما أرادوا بذلك إرضاء نسائهم و ذراريهم و سفهاء قبيلتهم، حيث إنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام، فاذا أبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليهم ذلك فليبعث معهم شخصا من غير قبيلتهم ليهدمها، فوافق النبى صلّى اللّه عليه و آله على هذا الشرط، لأنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله كان يريد محو و ازالة جميع المعبودات الباطلة عن الحياة البشرية سواء أتمّ هذا على أيدى الطائفيين أم على أيدى غيرهم.

(۲) و الشرط الآخر هو أن يعفيهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الصلاة.

فلقد كانوا يتصوّرون أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يمكنه التصرّف فى الأحكام الإلهية كما يفعل قادة أهل الكتاب، حسب زعمهم، حيث كانوا يكلّفون جماعة بهذه الاحكام، بينما يعفون جماعة اخرى منها، و ذلك غفلة منهم عن

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۸۶

أنّه صلّى اللّه عليه و آله يتبع الوحى الالهىّ، و لا يمكنه التغيير فيه قيد شعرة.

(۱) إن هذا الشرط كان يكشف عن انه لم يكن قد ترسّخت فى أفئدتهم روح التسليم المطلق بعد، و أنّ اعتناقهم للاسلام كان نتيجة ظروف ساقتهم إلى اسلام ظاهرىّ سطحىّ، و إلّا فلا داعى و لا مبرّر للايمان ببعض ما جاء فى الاسلام دون بعض، فيقبلوا شيئا و

يرفضوا شيئا آخر.

إن الاسلام، و الايمان باللّه إن هو إلّا نوع من التسليم الباطنى الروحىّ، و الخضوع القلبى الذى يقبل المرء فى ظلّه جميع التعاليم و الدساتير الإلهية عن طواعية و رغبة، و فى مثل هذه الحالة لا غير لا تجد فكرة التبعيض فى التعاليم الإلهية طريقا إلى روح إنسان و مخيّلته.

و لأجل هذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جوابهم:

«لا خير فى دين لا صلاة فيه» «۱».

إن المسلم الذى لا يسجد و لا يركع للّه تعالى فى اليوم و الليلة و لامرة واحدة، و لا يذكر ربّه لا يكون مسلما بالمعنى الصحيح.

(۲) هذا و عند ما اتفق الطرفان على شروطهما نظمت معاهدة تشمل المواد و الشروط المتّفق عليها، وقّع عليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و حينئذ أذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لوفد ثقيف بالعودة إلى قومهم، و اختار منهم أحدثهم سنا و هو «عثمان بن أبى العاص» الذى كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام، و تعلّم القرآن خلال وجوده بالمدينة فأمّره عليهم، و جعله نائبا دينيا، و سياسيا عنه فى قبيلة ثقيف و أوصاه- فيما أوصاه- بأن يصلّى بالناس جماعة مراعيا أضعفهم قائلا له:

«يا عثمان تجاوز «۲» فى الصلاة و أقدر الناس بأضعفهم فانّ فيهم الكبير

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۳۱۷.

(۲) تجاوز: أى خفف الصلاة و أسرع بها.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۸۷

و الصغير و الضعيف و ذا الحاجة».

(۱) ثم كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «أبا سفيان بن حرب»، و «المغيرة بن شعبة» بالتوجّه الى الطائف مع وفد ثقيف لهدم الاصنام فيها، أجل إن أبا سفيان الذى كان و حتى يوم أمس من حفظة الأصنام و هو الذى أراق فى سبيلها أنهرا من الدّماء، يمشى الآن إلى الطائف و هو يحمل فأسه و معوله لتحطيم الأصنام فيها، و يحوّلها الى تلّ من الحطب، و يبيع ما يتعلق بها من ذهب و فضّة و حلىّ ليقضى بأموالها ديون «عروة» و «الأسود» حسب اوامر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۱».

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۵۳۷- ۵۴۳، السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۱۶- ۲۱۸، و لقد وردت قصة وفد ثقيف فى كتاب «اسد الغابة»: ج ۱ ص ۲۱۶ و ج ۳ ص ۴۰۶ أيضا.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۸۸

حوادث السنة التاسعة من الهجرة (۱)

۵۶ إعلان البراءة من المشركين فى منى

اشارة

فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة نزل أمين الوحى جبرئيل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعدة آيات من سورة التوبة (سورة البراءة)، و كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأن يبعث بها رجلا إلى مكّة ليتلوها مع عهد ذى أربعة بنود فى موسم الحج.

و لقد رفع الأمان فى هذه الآيات عن المشركين، و الغيت جميع العهود (إلّا العهود و المواثيق التى التزم بها أصحابها و لم ينقضوها)، و

ابلغ إلى رءوس الشرك و أتباعهم أن عليهم أن يوضحوا مواقفهم من الحكومة الاسلامية التى تقوم على اساس التوحيد- و ذلك خلال أربعة أشهر، و إذا لم يتركوا الشرك و الوثنية خلال هذه الأشهر الاربعة نزعت منهم الحصانة، و رفع عنهم الأمان.

(٢) عند ما ينتهى المستشرقون إلى هذه القصة و هذا الفصل من التاريخ الاسلامى يصوبون رماح حملاتهم إلى الاسلام و يعتبرون هذا الموقف الحاسم و الحكيم مخالفا لمبدإ الحريّة الاعتقادية، و لكنهم اذا طالعوا صفحات التاريخ الاسلامى من دون أىّ تعصب و انحياز، و درسوا الدوافع الحقيقية وراء هذا الاجراء، و التى ذكرت فى هذه السورة، و فى النصوص التاريخية لسلموا من كثير من هذه الاخطاء، و لصدّقوا و اعترفوا بأن هذا العمل لا ينافى حرية العقيدة التى يحترمها عقلاء العالم، أبدا و إليك فيما يأتى الدوافع وراء صدور هذا العهد (البراءة).

(٣) ١- كان التقليد السائد عند العرب فى العهد الجاهلى هو أن على زائر

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٥٨٩

الكعبة ان يعطى الثوب الذى يدخل به الى مكة المكرمة للفقير و يطوف بثوب آخر، و اذا لم يكن له ثوب آخر، فان عليه أن يستعير ثوبا و يطوف به حتى لا يضطرّ إلى الطواف عريانا، و إن لم يمكنه ان يستعير ثوبا طاف بالبيت المعظم عاريا، بادى السوأة.

و قد دخلت امرأة ذات جمال كبير، ذات يوم المسجد الحرام، و حيث أنّها لم تك تملك ثوبا آخر، لذلك اضطرّت تبعا لذلك التقليد الجاهلىّ الخرافى أن تطوف عارية بالبيت المعظّم، و من الواضح أنّ مثل الطواف الفاضح أى الطواف بالجسد العارى فى أقدس بقعة من بقاع العالم على مرأى من جموع الطائفين بالبيت ينطوى على نتائج سيّئة بالغة السوء.

(١) ٢- لقد نزلت الآيات الاولى من سورة التوبة بعد أن انقضت عشرون سنة على بعثة النبى الكريم صلّى اللّه عليه و آله، و فى هذه المدة كان منطق الاسلام القوى حول المنع من الوثنية و الشرك قد بلغ الى مسامع المشركين فى شبه الجزيرة العربية فاذا كانت جماعة قليلة منهم لا يزالون يصرّون على الشرك و الوثنية لم يكن ذلك إلّا عن عصبية و عناد.

من هنا كان الوقت قد جان لأن يستخدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله آخر علاج لإصلاح ذلك المجتمع المنحرف، و أن يستعين بمنطق القوّة لضرب كل مظاهر الوثنيّة، و أن يعتبرها نوعا من العدوان على الحقوق الالهية و الإنسانية، و بهذه الطريقة يقضى على منبع و منشأ مئات العادات السيئة فى المجتمع.

(٢) و لكن المستشرقين الذين اعتبروا هذا العمل مخالفا لمبدإ حرية الاعتقاد الذى هو أساس الدين الاسلامى و قاعدة المدنية الراهنة، قد غفلوا عن هذه النقطة لأن مبدأ حرية العقيدة محترم ما دام لا يضرّ بسلامة الفرد و المجتمع، إذ فى غير هذه الصورة يجب مخالفتها حتما بحكم العقل و سيرة جميع المفكّرين.

فإذا كان فى أوربا اليوم مثلا جماعة من الشباب المنحرفين ينادون بحرية العرى انطلاقا من افكار منحرفة فاسدة و قاموا- على أساس أن إخفاء بعض

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٥٩٠

الأقسام من الجسد يثير الفضول و يوجب تحريك الغريزة و يسبب فساد الاخلاق- بتشكيل نوادى العرى السرية، فهل يسمح الفكر الانسانى الرشيد بأن يسمح لمثل هذه الجماعة بأن تفعل ما تريد تحت قناع حرية العقيدة، و يقول: إن الاعتقاد أمر محترم، أو أن العقل يقضى بان نحارب مثل هذه الفكرة الحمقاء حفاظا على سعادة تلك الجماعة نفسها، و سعادة المجتمع و هذا الموقف ممّا لا يتخذه الاسلام فحسب بل هو موقف جميع العقلاء فى العالم من جميع الاتجاهات و الحركات الهدامة التى تهدّد مصالح المجتمع بالخطر، فهم يحاربونها بلا هوادة، و هذه الحرب هى فى الحقيقة هى محاربة المعتقدات الحمقاء لدى الجماعات المنحطة.

إن الوثنية ليست سوى حفنة من الأوهام و الخرافات التى تستتبع مئات العادات الدنيئة، و قد بذل رسول الاسلام جهودا كبرى و كافية فى سبيل هدايتهم، و بعد أن انقضى اكثر من عشرين عاما من دعوته كان الوقت قد حان لاستئصال جذور الفساد باستخدام القوة

العسكرية كآخر وسيلة.

(۱) ۳- و من جانب آخر فان الحج هو أكبر العبادات و الشعائر الاسلامية و لم تكن الصراعات و المواجهات التى وقعت بين الاسلام و رءوس الشرك لتسمح حتى يوم نزول هذه السورة بأن يعلّم الرسول الكريم المسلمين مناسك الحج على الوجه الصحيح و بعيدا عن أىّ نوع من أنواع الشوائب و الزوائد.

من هنا كان يتوجب أن يقوم النبى الكريم بنفسه بالمشاركة فى هذا المؤتمر الاسلامى العظيم، و يعلّم المسلمين هذه العبادة الكبرى بصورة عمليّة، و لكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله انما كان يمكنه المشاركة فى هذه المراسم و المناسك اذا خلّت منطقة الحرم الإلهى و نواحيها من كافة المشركين الذين أعطوا مقام العبودية و العبادة للأصنام الخشبية، و الحجرية، و يطهّرها من كل معالم الشرك و الوثنية، و يصبح الحرم الإلهى خالصا للموحدين و العباد الواقعيين.

(۲) ۴- إن جهاد النبى لم يك له أىّ ارتباط بحرية العقيدة، فالعقيدة ليست شيئا يمكن أن يفرض على أحد، و يوجد او يمحى بالقهر. إن روح الانسان و نفسه

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۹۱

هو مركز الاعتقاد و مقرّه، و ظرفه و مكانه، و هو لا يخضع لأى قهر أو تسخير، و إن ظهور العقائد فى منطقة الضمير يتوقف على سلسلة من المقدمات و الأوليّات التى توجب حصول العقيدة، و ظهور العقيدة و حصولها من دون تلك المقدمات أمر محال.

و على هذا الأساس فإن مسألة الاعتقاد لا تخضع للقهر، و لا تقبل الفرض، بل كان نضال النبى ينحصر فى النضال ضدّ مظاهر هذه العقيدة و هى عبادة الاوثان.

من هنا هدم كل بيوت الاصنام، و حطّم الأوثان بينما ترك الانقلاب فى العقائد و الضمائر لعامل الزمن الذى كان مروره يستتبع- لا محالة- مثل هذا التطور و التحول و الانقلاب.

(۱) ان العوامل الاربعة المذكورة دفعت برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى أن يستدعى أبا بكر ثم يعلّمه الآيات الاولى من سورة التوبة و يأمره بأن يذهب برفقة اربعين رجلا من المسلمين «۱» الى مكة، و يتلو هذه الآيات التى تتضمن البراءة من المشركين فى يوم الأضحى على مسامع الناس.

فتهيأ أبو بكر للقيام باداء هذه المهمة، و توجه نحو مكة، إلّا أنه لم يلبث أن نزل أمين الوحى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله برسالة من اللّه سبحانه و هى:

«إنّه لا يؤدّى عنك إلّا أنت أو رجل منك».

(۲) و لهذا استدعى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا و أخبره بالخبر ثم قال له:

اركب ناقتى العضباء و الحق أبا بكر فخذ براءة من يده، و امض بها الى مكة و انبذ بها عهد المشركين إليهم، أى اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى انحاء الجزيرة العربية براءة بما فيها النقاط الاربعة التالية:

---

(۱) و قد ذكر الواقدى انهم كانوا ثلاثمائة (المغازى: ج ۳ ص ۱۰۷۷).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۹۲

۱- أن لا يدخل المسجد مشرك.

۲- أن لا يطوف بالبيت عريان.

۳- أن لا يحجّ بعد العام مشرك.

۴- أنّ من كان له عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عهد فهو له إلى مدته، أى إنّه محترم ميثاقه و ماله و نفسه إلى يوم انقضاء العهد،

و من لم يكن له عهد و مدة من المشركين فإلى أربعة أشهر فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، و ذلك بدءا من هذا اليوم (العاشر من شهر ذى الحجة).

أى إن على هذا الفريق من المشركين أن يحددوا موقفهم من الحكومة الاسلامية، فإمّا أن ينضوا الى صفوف الموحدين، و ينبذوا وراء ظهورهم كل مظاهر الشرك و يحطموها، و إما أن يستعدوا للقتال مع المسلمين «١».

(١) فخرج على عليه السّلام على ناقة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله العضباء مع جماعة منهم «جابر بن عبد اللّه» الأنصارى حتى ادرك أبا بكر فى الجحفة فأبلغه أمر النبى صلّى اللّه عليه و آله فدفع أبو بكر آيات البراءة إلى على عليه السّلام.

و يروى محدّثو الشيعة و جماعة من محدّثى السنّة أن الامام على بن أبى طالب قال لأبى بكر: أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن اخيّرك بين أن تسير معى أو ترجع إليه فرجّح أبو بكر العودة الى المدينة على المسير مع على عليه السّلام الى مكة ...:

بل أرجع إليه، و عاد إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله، فلما دخل عليه قال: يا رسول اللّه إنك أهلتنى لأمر طالت الاعناق إلىّ فيه، فلمّا توجهت له رددتنى عنه، ما لى أنزل فىّ قرآن؟!

فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله: لا و لكنّ الأمين جبرئيل هبط إلىّ عن اللّه عزّ و جلّ بأنّه لا يؤدّى عنك إلا أنت أو رجل منك، و علىّ منّى، و لا يؤدّى عنّى إلّا علىّ» «٢».

---

(١) فروع الكافى: ج ١ ص ٣٢٦.

(٢) الارشاد: ص ٣٧.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۹۳

(١) إلّا أن بعض روايات أهل السنّة تفيد أنّ أبا بكر أنيط إليه امارة الحجيج فى ذلك العام، بينما كلّف على عليه السّلام وحده بمهمة قراءة آيات البراءة و النقاط الاربعة المذكورة على الناس يوم الحج الاكبر بمنى «١».

دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام مكة و فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة، صعد على جمرة العقبة و قرأ على الناس الآيات الثلاث عشرة من صدر سورة التوبة (البراءة) و أذان رسول اللّه المتضمن للنقاط الاربعة، رافعا صوته به، بحيث يسمعه جميع من حضر، و ذلك بمنتهى الشجاعة و الجرأة، و أخبر المشركين الذين لا عهد و لا مدة لهم مع النبى صلّى اللّه عليه و آله بأن لهم أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر ابتداء من يوم قراءة ذلك الاعلان، فاذا انقضت هذه المدة قتلوا اذا وجدوا على الشرك، فعليهم أن يبادروا خلال هذا الأجل المضروب إلى تطهير بيئتهم من كل أنواع الوثنية و إلّا سلبت عنهم الحصانة، و رفع عنهم الأمان.

لقد كان أثر هذه الآيات و هذا الأذان النبوىّ هو أنه لم يمض على قراءتهما أربعة اشهر إلّا و أقبل المشركون على اعتناق عقيدة التوحيد أفواجا افواجا، و هكذا استأصلت جذور الوثنية فى شبه الجزيرة العربية فى أواسط السنة العاشرة من الهجرة.

(٢)

تعصّب بغيض فى تحليل هذا الحدث:

لا ريب أن عزل أبى بكر عن مقام إبلاغ آيات البراءة، و تنصيب على بن أبى طالب مكانه لأداء تلك المهمة بأمر اللّه تعالى يعدّ من ابرز فضائل على و مناقبه المسلّمة التى لا تقبل الانكار و الشك، و لكن جماعة من الكتّاب المتعصبين وقعوا فى الخطأ و الانحراف مع ذلك عند تحليل و دراسة هذه الحادثة.

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٤٦ و راجع للوقوف على المصادر العديدة لهذه القضية الغدير: ج ۶ ص ٣٣٨- ٣٥٠.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۹۴

فهذا «الآلوسی البغدادی» یکتب فی تفسیره عند دراسة و تحلیل هذه الحادثة: النکتة فی نصب الامیر کرم اللّه تعالی وجهه مبلّغا نقض العهد فی ذلک المحفل ان الصّدیق رضی اللّه تعالی عنه لما کان مظهرا لصفة الرحمة و الجمال کما یرشد إلیه ما تقدم فی حدیث الاسراء و لما کان علی کرم اللّه وجهه و الذی هو أسد اللّه و مظهر جلاله فوض إلیه نقض عهد الکافرین الذی هو من آثار الجلال و صفات القهر «۱».

(۱) إن هذا التفسیر النابع من منبع التعصّب لا ینسجم مع کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأنه قال عند الإجابة علی أبی بکر: «إنّ هذه الآی لا یؤدّیها إلّا أنا أو رجل منّی» أی لا یصلح لأدائها غیر هذین الرجلین و لیس فی هذا الکلام أی اشارة إلی الرأفة و الشجاعة. هذا مضافا إلی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المظهر الکامل للرحمة و الرأفة و بناء علی ما قاله الآلوسی یجب أن لا یکلف حتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بابلاغ هذه الآیات، علی حین أن الوحی قال: هذه الآیات لا یؤدیها إلّا أنت أو رجل منک».

(۲) و لقد برّر جماعة اخری هذا المطلب بنحو آخر فقالوا: لقد کان التقلید المتّبع عند العرب فی نقض العهود مهما کانت هو ان یقدم نفس الموقّع علی العهد أو أحد أنسبائه علی نبذ العهد و نقضه، اذ فی غیر هذه الصورة کان المتعارف عندهم أن یبقی العهد علی حاله، و حیث إن علی بن أبی طالب کان من اقرباء النبی لهذا کلّف بإبلاغ هذه الآیات التی تضمنت نبذ العهد.

(۳) و لکن هذا التفسیر و التوجیه غیر مقنع، لأنه کان ثمة بین أقرباء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من هو أقرب إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مثل عمّه العباس، فلما ذا لم یکلّف بابلاغ آیات البراءة، و نبذ العهد الی المشرکین.

---

(۱) روح المعانی: ج ۱۰ ص ۴۵ تفسیر سورة التوبة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۹۵

ثم لما ذا لم یتبع النبی صلّی اللّه علیه و آله هذه العادة من أول الأمر و هو العارف بتقالید مجتمعه؟

إذا أردنا أن نقضی فی هذه القضیة التاریخیة بالقضاء المحاید المنصف وجب أن نقول: إن علة هذا العزل، و النصب لم یکن لا دافع الرغبة فی المقام، و الطموح الی السلطة، و لا وشیجة القربی مع علی علیه السّلام بل کان الغرض من هذا التغییر هو الکشف عملیا عن أهلیّة أمیر المؤمنین علی علیه السّلام و صلاحیّته للقیام بالمهامّ المتعلّقة بالحکومة الاسلامیة، و لیعلم الناس أنه عدیل النبی صلّی اللّه علیه و آله فی الجوانب الروحیة، و فی مجال الأهلیّة، و الصلاحیة.

(۱) و انه اذا ما غابت شمس الرسالة بعد حین وجب أن تسلّم مقالید الحکم، و ازمّة التصرّف فی المسائل و الامور المتعلّقة بشئون الخلافة الی علیّ علیه السّلام إذ لا یصلح لهذا العمل الخطیر سواه، و انه یجب أن لا یقع المسلمون بعد وفاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الإشکال و التشتت، و الاختلاف و الحیرة فی هذا الأمر، لأنهم قد رأوا بام عینهم کیف نصب «علی» من جانب النبی بأمر اللّه تعالی لنبذ العهود مع المشرکین، الذی هو من صلاحیات و اختیارات، الحاکم الاسلامی و شئونه.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۹۶

(۱)

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

۵۷ فی رثاء الولد العزیز

اشارة

«یا إبراهیم إنّا لن نغنی عنک من اللّه شیئا إنّا بک لمحزونون تبکی العین و یحزن القلب و لا نقول ما یسخط الربّ، و لو لا أنّه وعد صادق و موعود جامع فانّ الآخر منّا یتبع الأول لوجدنا علیک یا إبراهیم وجدا شدیدا ما وجدناه» «۱».

هذه العبارات قالها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی رثاء ولده العزیز «إبراهیم» فی اللحظات التی کان یلفظ فیها أنفاسه الأخیرة فی حجر أبیه الرحیم، و بینما کان الوالد العظیم واضعا شفتیه علی خدّ ابنه، و یودّعه بروح ملؤها المشاعر و العواطف، من جانب، و راضیة بالتقدیر الإلهی.

إنّ حبّ الأولاد و الأبناء من أرفع و أظهر تجلّیات الروح الانسانیة، کما انه خیر دلیل علی سلامة الروح و لطافتها.

لقد کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول دائما: «اکرموا أولادکم» «۲» و ذهب إلی أبعد من ذلک إلی درجة أنّه اعتبر مودّة الأبناء و العطف علیهم من مکارم أخلاقه و محاسن سجایاه «۳».

(۲) ففی السنین و الأعوام الماضیة واجه النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله مصیبة

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۳۱۱ بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۱۰۴ ص ۹۵ عن مکارم الاخلاق.

(۳) المحجة البیضاء: ج ۳ ص ۳۶۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۹۷

افتقاد ثلاثة من أولاده هم: «القاسم و الطاهر، و الطیب» «۱» و ثلاث من بناته و هن: «زینب» و «رقیّة» و «أمّ کلثوم» و لقد حزن لفقدهم حزنا شدیدا و کانت «فاطمة» هی البنت الوحیدة التی بقیت له من زوجته الکریمة خدیجة.

(۱) لقد بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی السنة السادسة من الهجرة سفراء إلی البلاد المختلفة خارج الجزیرة العربیة و کان من جملة الکتب التی أرسلها إلی الامراء و الملوک هی رسالته إلی حاکم مصر یدعوه فیها إلی الاسلام، و إلی عقیدة التوحید، و هذا الحاکم و إن لم یلبّ نداء النبیّ فی الظاهر، و لم یقبل دعوته إلّا أنه اجاب علی کتاب النبی باجابة حسنة مضافا إلی أنه أرسل إلیه صلّی اللّه علیه و آله هدایا منها جاریة تدعی «ماریة».

و لقد نالت هذه الجاریة فیما بعد شرف تزوج النبی الکریم بها و ولدت له ابنا سماه «إبراهیم» أحبّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حبّا شدیدا.

و لقد خفّفت ولادة إبراهیم الکثیر من الاحزان التی کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعانی منها بسبب افتقاده لأولاده الستة، و اشعلت فی نفس النبی صلّی اللّه علیه و آله بصیصا من الأمل، و لکن هذا البصیص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانیة عشر شهرا، و انطفأ.

(۲) لقد خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من بیته ذات یوم لعمل، و عند ما عرف بتدهور خطیر فی صحة ولده الحبیب الوحید «إبراهیم» عاد من فوره الی منزله، و اخذ ابنه من حضن أمه، و فیما کانت تعلو ملامحه علامات الغم و الاضطراب نطق بهذه العبارات.

إن حزن النبی صلّی اللّه علیه و آله و بکاءه فی موت ابنه «إبراهیم» دلیل حیّ علی عاطفته الانسانیة التی استمرت حتی بعد وفاة ذلک الولد الحبیب، و إن إظهار تلک العواطف و الإعراب عن الحزن و الأسی کان یکشف عن روح

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۶۶، و لکن بعض علماء الشیعة قالوا: أولاده الذکور من خدیجة اثنان فقط راجع ج ۲۲ ص ۱۵۱ من بحار الأنوار.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۵۹۸

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله العاطفية التى كانت تبرز من دون اختيار فيما دلّ تجنب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله التكلم بما يسخط اللّه فى هذه المصيبة المؤلمة على إيمانه و رضاه بالتقدير الالهىّ الذى لا مفرّ لأحد منه.

(۱)

اعتراض غير وجيه:

استغرب عبد الرحمن بن عوف الأنصارى من بكاء النبىّ على ولده «إبراهيم»، فاعترض على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أو لم تكن نهيت عن البكاء، و أنت تبكى؟

إن هذا المعترض لم يكن جاهلا- بمبادئ الاسلام و قواعده الرفيعة فحسب، بل كان غافلا- حتى عن العواطف و المشاعر الانسانية الخاصّة التى أودعتها يد الخالق فى ضميره أيضا.

إن جميع الغرائز الانسانية خلقت فى الكيان البشرى لأهداف خاصة و يجب ان يتجلى كل واحد منها فى وقته المناسب و موقعه اللازم، فالشخص الذى لا يحزن لفقد أحبّائه و أعزّائه و لا يغتم لفراقهم، و لا تدمع عيناه لذلك، و بالتالى إذا لم يظهر من نفسه أية ردة فعل عند فراقهم لم يكن سوى قطعة من الصخر، و لا يستحق اسم الانسانية.

(۲) و لكن ثمة نقطة مهمة و جديرة بالانتباه، و هى أنّ هذا الاعتراض و ان كان اعتراضا غير موجّه، إلّا أنه يكشف عن وجود حرية كاملة، و ديمقراطية حقيقية فى المجتمع الإسلامى الحديث التأسيس إلى درجة أنّ شخصا عاديّا من الناس تجرّأ على أن ينتقد عمل قائده بمطلق الحريّة و من دون خوف أو وجل، و سمع الجواب.

و من هنا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«لا، إنّما هذا رحمة، و من لا يرحم لا يرحم» «۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۱.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۵۹۹

او قال:

«لا، و لكن نهيت عن خمش وجوه و شقّ جيوب و رنة شيطان» «۱».

و لقد كلّف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمير المؤمنين على بن أبى طالب «۲» بتجهيز «إبراهيم» و غسله و كفنه و تحنيطه، ثم إنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله شيّعه مع جماعة من أصحابه، و مضى حتى انتهى به إلى قبره فى البقيع.

ثم إن النبى صلّى اللّه عليه و آله رأى فى قبر «إبراهيم» خللا فسوّاه بيده ثم قال:

«إذا عمل أحدكم عملا فليتقن» «۳».

(۱)

مكافحة الخرافات:

عند ما مات إبراهيم بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله انكسفت الشمس فتصوّر البعض ممن جهل سنن الطبيعة و قوانين العالم الطبيعىّ أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم.

و لا- شك أنّ مثل هذا التصور الباطل و ان كان قضية خيالية و وهما سخيفا إلّا أنه كان من شأنه أن ينفع النبى، و يعزّز مكانته فى

المجتمع الذی طالما آمن بالخرافة و عشقها.

و لو أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قائدا عادیا و مادیّا لکان من الجائز أن یؤیّد صحّة هذا التصور لیکتسب من وراء ذلک عظمة و قوة.

و لکن النبی صلّی اللّه علیه و آله علی عکس هذه التوقّع رقی المنبر، و أطلع الناس علی حقیقة الأمر و قال:

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۳۱۰ و ۳۱۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۶، و روی فی السیرة الحلبیة ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کلّف الفضل بن العباس (ابن عم النبی) بتجهیز إبراهیم.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۵۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۰۰

«أیّها الناس إن الشمس و القمر آیتان من آیات اللّه تجریان بأمره مطیعان له فلا ینکسفان لموت أحد و لا لحیاته» «۱».

(۱) إن النبی الکریم صلّی اللّه علیه و آله علی عکس ما یفعله النفعیون الوصولیون الذین لا- یکتفون بتفسیر الحقائق و تجییرها لمصالحهم، و استخدامهم لمآربهم، بل طالما یحاولون استغلال جهل الناس و نزعهم إلی الخرافات لصالحهم.

إنّ رسول الاسلام علی عکس هذه الجماعة لم یکتم الحقیقة، و لم یستفد من جهل الناس و غفلتهم لصالح نفسه.

و لو أن النبی صلّی اللّه علیه و آله کان یسبغ فی ذلک الیوم لباس الصحة علی مثل هذه الفکرة الباطلة و هذا التصور الخیالی لم یمکنه أن یطرح نفسه قائدا خالدا للبشریة و رسولا- مختارا من جانب خالق الطبیعة، و المؤسس الحقیقی لقوانین العالم المادیّ، فی العالم الراهن الذی کشف فیه القناع عن اسرار الطبیعة، و اتضحت فیه قوانین العالم المادیّ و نوامیسه، و علل الکسوف و الخسوف و غیرهما من تفاعلات الطبیعة.

(۲) إن دعوة النبی الا-کرم لم تکن مختصة بجماعة العرب کما أنها لا- تخضع لحدود زمانیة أو مکانیة، فلو أنه کان نبی الاقوام و الاجیال الغابرة، فهو کذلک نبیّ عصر الفضاء، و قائد عصر اکتشاف أسرار الطبیعة و رموزها.

إن احادیث هذا النبی العظیم، و کلماته من القوة، و المتانة و من الصحة، و الاتصاف بالواقعیة بحیث لم یتطرق إلیها أی إشکال حتی مع التطورات العلمیة الاخیرة التی قلبت کثیرا من معارف البشر القدیمة رأسا علی عقب.

(۱) المحاسن: ص ۳۱۳، السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۳۱۰ و ۳۱۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۰۱

(۱)

۵۸ وفد نجران فی المدینة

اشارة

تقع «نجران» بقراها السبعین التابعة لها، فی نقطة من نقاط الحجاز و الیمن الحدودیة، و کانت هذه المنطقة فی مطلع ظهور الاسلام المنطقة الوحیدة التی غادر أهلها الوثنیة لأسباب معیّنة و اعتنقوا المسیحیة «۱» من بین مناطق الحجاز.

و قد کتب رسول الاسلام کتابا إلی اسقف نجران «۲» «أبو حارثة» یدعو أهلها فیه الی الاسلام یوم کتب کتبا إلی ملوک العالم و

رؤسائه.

و إليك مضمون هذا الكتاب:

«بسم إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب من محمّد رسول اللّه إلى أسقف نجران و أهل نجران إن أسلمتم فإنّى أحمد إليكم اللّه إله إبراهيم و اسحاق «۳» و يعقوب أمّا بعد فإنى أدعوكم الى عبادة اللّه من عبادة العباد، و أدعوكم إلى ولاية اللّه من ولاية العباد، فان أبيتم فالجزية، فان أبيتم فقد آذنتكم بحرب و السلام».

(۲) و اضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أن النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله كتب فى ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب «۴» و التى تدعوهم إلى عبادة اللّه الواحد القهار.

---

(۱) ذكر الياقوت الحموى فى معجم البلدان: ج ۵ ص ۲۶۶- ۲۷۷ علل اعتناقهم للمسيحية.

(۲) الاسقف معرب كلمة يونانية هى ايسكوپ و تعنى الرقيب و المناظر و هو اليوم منصب اعلى من منصب القسيس.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۸۵.

(۴) المراد من تلك الآية هو قوله تعالى: «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ «شَيْئاً» (آل عمران: ۶۴. الاقبال: ص ۴۹۴).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۰۲

قدم سفير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نجران و سلّم كتابه المبارك الى أسقف نجران، فقرأ ذلك الكتاب بعناية و دقة متناهية، ثم شكّل جماعة للمشاورة و تداول الأمر و اتخاذ القرار مكوّنة من الشخصيات البارزة الدينية و غير الدينية، و كان أحد أعضاء هذه المجموعة «شرحبيل» الذى عرف بعقله و نبله، و تدبيره و حكمته، فقال فى معرض الاجابة على استشاره الاسقف اياه: قد علمت ما وعد اللّه ابراهيم فى ذرية اسماعيل من النبوّة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل، ليس لى فى النبوة رأى، لو كان أمر من امور الدنيا أشرت عليك فيه و جهدت لك.

(۱) فقرر المتشاورون ان يبعثوا وفدا إلى المدينة للتباحث مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و دراسة دلائل نبوته، فاختير لهذه المهمة ستون شخصا من أعلم أهل نجران و أعقلهم، و كان على رأسهم ثلاثة اشخاص من اساقفتهم هم:

۱- «أبو حارثة بن علقمة» اسقف نجران الأعظم و الممثل الرسمى للكنائس الروميّة فى الحجاز.

۲- «عبد المسيح» رئيس وفد نجران المعروف بعقله و دهائه، و تدبيره.

۳- «الأيهم» و كان من ذوى السن و من الشخصيات المحترمة عند أهل نجران «۱»

قدم هذا الوفد المسيحى المدينة و دخلوا المسجد على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هم يلبسون أزياءهم الكنسيّة و يرتدون الديباج و الحرير، و يلبسون خواتيم الذهب و يحملون الصلبان فى اعناقهم، فأزعج منظرهم هذا و خاصة فى المسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فشعروا بانزعاج النبى و لكنّهم لم يعرفوا سبب ذلك، فسألوا «عثمان بن عفان» و «عبد الرحمن بن عوف» و كانت بينهم صداقة قديمة، فقال الرجلان لعلى بن أبى طالب: ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم؟

قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه و خواتيمهم ثم يعودون إليه.

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۱۱ و ۲۱۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۰۳

(۱) ففعلوا ذلك ثم دخلوا على النبى صلّى اللّه عليه و آله فسلّموا عليه فرد عليهم السّلام، و احترمهم، و قبل بعض هداياهم التى

أهدوها إليه صلّى اللّه عليه و آله، ثم إن الوفد- قبل ان يبدءوا مفاوضاتهم مع النبى صلّى اللّه عليه و آله قالوا: إن وقت صلاتهم قدحان و استأدنوه فى أدائها، فاراد الناس منعهم و لكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اذن لهم و قال للمسلمين: دعوهم فاستقبلوا المشرق، فصلّوا صلاتهم «۱».

و بذلك اعطى النبى صلّى اللّه عليه و آله درسا فى التسامح الدينى يدفع افتئات اعداء الاسلام على هذا الدين.

(۲)

مفاوضات وفد نجران مع النبى:

لقد نقل طائفة من كتّاب السيرة، و المحدثين الاسلاميين نصّ الحوار الذى دار بين وفد نجران المسيحى و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لكن المرحوم السيد ابن طاوس نقل نص هذا الحوار و قضية المباهلة بنحو أدقّ و اكثر تفصيلا ممّا ذكره الآخرون من المحدثين و المؤرخين.

فقد ذكر جميع خصوصيات المباهلة من البداية الى النهاية نقلا عن كتاب المباهلة لمحمد بن المطلب الشيبانى «۲». و كتاب عمل ذى الحجة للحسن بن اسماعيل «۳»، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى التى قصّر حتى فى الاشارة إليها اشارة عابرة بعض أصحاب السير أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب، و لهذا فاننا نكتفى بنقل جانب من هذا الحوار الذى نقله رواه الحلبى فى

---

(۱) السيرة الحلبية: ج ۳ ص ۲۱۲.

(۲) هو محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن عبيد اللّه بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ۲۹۷ ه و المتوفى عام ۳۸۷ ه.

(۳) من اراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخية فليراجع كتاب الاقبال للمرحوم السيد ابن طاوس ص ۴۹۶- ۵۱۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۰۴

سيرته «۱». سيد المرسلين ج۲ ۶۰۴ مفاوضات وفد نجران مع النبى: ..... ص : ۶۰۳

۱) عرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على وفد نجران و تلا عليهم القرآن، فامتنعوا و قالوا: قد كنّا مسلمين قبلك.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث:

عبادتكم الصليب، و أكلكم لحم الخنزير، و زعمكم أنّ للّه ولدا.

فقالوا: المسيح هو اللّه لأنه أحيا الموتى، و أخبر عن الغيوب، و أبرأ من الأدواء كلها، و خلق من الطين طيرا.

فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله هو عبد اللّه و كلمته ألقاها الى مريم.

فقال أحدهم: المسيح ابن اللّه لأنّه لا أب له.

فسكت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عنهم فنزل الوحى بقوله تعالى:

إنّ مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب» «۲».

(۲) فقال وفد نجران: إنا لا نزداد منك فى أمر صاحبنا إلّا تباينا، و هذا الأمر الذى لا نقرّه لك، فهلمّ فلنلاعنك أيّنا أولى بالحق فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين «۳».

فانزل اللّه عزّ و جلّ آية المباهلة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ» «۴».

فدعاهم إلى المباهلة، فقبلوا، و اتفق الطرفان على ان يقوما بالمباهلة فى اليوم اللاحق.

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۲۳۹.

(۲) آل عمران: ۵۹.

(۳) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۲۰، و لکن آیة المباهلة، و کما یستفاد من السیرة الحلبیة تفید ان النبی هو الذی اقترح المباهلة ابتداء کما تفید عبارة «تعالوا ندع ابناءنا ...».

(۴) آل عمران: ۶۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۰۵

(۱)

خروج النبی للمباهلة:

تعتبر قصة مباهلة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع وفد نجران من حوادث التاریخ الإسلامیّ المثیرة و الجمیلة، و هی و إن قصّر بعض المفسّرین و المؤرخین فی روایة تفاصیلها، و تحلیلها، إلّا أنّ ثلة کبیرة، من العلماء کالزمخشری فی الکشاف «۱» و الإمام الفخر الرازی فی تفسیره «۲» و ابن الاثیر فی الکامل «۳» أعطوا حق الکلام فی هذا المجال و ها نحن ننقل هنا نصّ ما کتبه الزمخشری فی هذا المجال:

حان وقت المباهلة ... و کان النبی صلّی اللّه علیه و آله و وفد نجران قد اتفقا علی أن یجریا المباهلة خارج المدینة، فی الصحراء ... فاختار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من المسلمین و من عشیرته و أهله أربعة أشخاص فقط و قد اشترک هؤلاء فی هذه المباهلة دون غیرهم، و هؤلاء الاربعة لم یکونوا سوی علی بن أبی طالب علیه السّلام و فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الحسن و الحسین لأنه لم یکن بین المسلمین من هو أطهر من هؤلاء نفوسا، و لا أقوی و أعمق إیمانا.

(۲) طوی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله المسافة بین منزله، و بین المنطقة التی تقرر التباهل فیها فی هیئة خاصة مثیرة، فقد غدا محتضنا الحسین «۴» آخذا بید الحسن و فاطمة تمشی خلفه و علی خلفها، و هو یقول: إذا دعوت فأمّنوا.

کان زعماء وفد نجران و رؤساؤهم قد قال بعضهم لبعض- قبل أن یغدو

(۱) ج ۱ ص ۳۸۲ و ۳۸۳.

(۲) مفاتیح الغیب: ج ۲ ص ۴۷۱ و ۴۷۲.

(۳) ج ۲ ص ۱۱۲.

(۴) جاء فی بعض الروایات أن النبی غدا آخذا بید الحسن و الحسین تتبعه فاطمة و بین یدیه علیّ (بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۳۸).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۰۶

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی المباهلة: انظروا محمّدا فی غد، فإن غدا بولده و أهله فاحذروا مباهلته، و إن غدا بأصحابه فباهلوه فانه لیس علی شیء. و هم یقصدون أن النبی إذا جاء إلی ساحة المباهلة محفوفا بابهة مادیة، و قوة ظاهریة، تحف به قادة جیشه و جنوده فذلک دلیل علی عدم صدقه، و إذا أتی بولده و أبنائه بعیدا عن أیّة مظاهر مادیة و توجه إلی اللّه بهم و تضرع الی جنابه کما یفعل الأنبیاء دلّ ذلک علی صدقه لأنّ ذلک آکد فی الدلالة علی ثقته بحاله و استیقانه بصدقه، حیث استجرأ علی تعریض أعزته، و أفلاذ کبده، و أحبّ الناس إلیه لذلک، و لم یقتصر علی تعریض نفسه له، و علی ثقته بکذب خصمه.

(۱) و فیما کان رجال الوفد یتحادثون فی هذه الامور اذ طلع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الاغصان الاربعة من شجرته المبارکة

بوجوه روحانیة نیّرة فاخذ ینظر بعضهم إلی بعض بتعجب و دهشة، کیف خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بابنته الوحیدة، و أفلاذ کبده و کبدها المعصومین للمباهلة، فادرکوا أن النبی صلّی اللّه علیه و آله واثق من نفسه و دعوته وثوقا عمیقا، اذ ان المتردد غیر الواثق بدعوته لا یخاطر بأحبائه و اعزته و یعرضهم للبلاء السماوی.

و لهذا قال اسقف نجران: یا معشر النصاری إنی لأری وجوها لو شاء اللّه أن یزیل جبلا من مکانه لازاله بها، فلا تباهلوا فتهلکوا، و لا یبقی علی وجه الأرض نصرانی إلی یوم القیامة «۱».

---

(۱) یروی العالم الشیعی الکبیر السید ابن طاوس فی کتاب «الاقبال»: أقبل الناس من أهل المدینة من المهاجرین و الأنصار، و غیرهم من الناس فی قبائلهم و شعاراتهم من رایاتهم و احسن شاراتهم و هیئتهم ... و لبث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی حجرته حتی متع النهار ثم خرج آخذا بید علی و الحسن و الحسین أمامه، و فاطمة علیها السّلام من خلفهم فاقبل بهم حتی أتی الشجرتین فوقف بینهما من تحت الکساء علی مثل الهیئة التی خرج بها من حجرته، ثم أرسل الی وفد نجران لیباهلهم.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۰۷

(۱)

انصراف وفد نجران عن المباهلة:

لما رأی وفد نجران هذا الأمر (و هو خروج النبی باحبّته و اعزته) و سمعوا ما قاله اسقف نجران تشاوروا فیما بینهم ثم اتفقوا علی عدم مباهلة النبی صلّی اللّه علیه و آله، معلنین عن استعدادهم لدفع الجزیة للنبی کل سنة، لتقوم الحکومة الاسلامیة فی المقابل بالدفاع عن أنفسهم و أموالهم، فقبل النبی صلّی اللّه علیه و آله بذلک، و تقرّر أن یتمتع نصاری نجران بسلسلة من الحقوق فی ظل الحکومة الإسلامیة لقاء مبالغ ضئیلة یدفعونها سنویا، ثم قال النبی صلّی اللّه علیه و آله:

«أما و الّذی نفسی بیده لقد تدلّی العذاب علی أهل نجران، و لو لاعنونی لمسخوا قردة و خنازیر و لأضرم الوادی علیهم نارا و لاستأصل اللّه تعالی نجران و أهله».

عن عائشة: إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله خرج (أی یوم المباهلة) و علیه مرط «۱» مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسین فادخله، ثم فاطمة، ثم علیّ، ثم قال: «إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» «۲».

ثم یقول الزمخشری فی نهایة هذا الکلام: و فیه دلیل لا شیء أقوی منه علی فضل أصحاب الکساء (علیهم السّلام)، و فیه برهان علی صحة نبوة النبی صلّی اللّه علیه و آله، لأنه لم یرو أحد من موافق و لا مخالف أنهم أجابوا إلی ذلک.

(۲)

صورة العهد النبویّ لأهل نجران:

سأل وفد نجران النبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یکتب مقدار الجزیة التی اتفق علی دفعها من قبل أهالی نجران الی النبی صلّی اللّه علیه و آله فی کتاب، و أن

---

(۱) کساء.

(۲) الاحزاب: ۳۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۰۸

يضمن النبى صلّى اللّه عليه و آله أمن نجران فى ذلك الكتاب، فكتب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب بأمر النبى كتابا هذا نصه:

(۱) «بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبى محمّد رسول اللّه لنجران و حاشيتها، إذ كان له عليهم حكمهٔ فى كل ثمرهٔ و صفراء و بيضاء و سوداء و رقيق فأفضل عليهم و ترك ذلك لهم: ألفى حلهٔ من حلل الأواقى فى كل رجب ألف حلهٔ، و فى كل صفر ألف حلهٔ، كل حلهٔ أوقيهٔ، و ما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقى فبالحساب، و ما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب، و عليهم فى كل حرب كانت باليمن ثلاثون درعا، و ثلاثون فرسا، و ثلاثون بعيرا عاريهٔ مضمونهٔ لهم بذلك، و على أهل نجران مثواهٔ رسلى (و استضافتهم) شهرا فدونه، و لهم بذلك جوار اللّه و ذمهٔ محمّد النبى رسول اللّه على أنفسهم و ملتهم و ارضهم و اموالهم و بيعهم و رهبانيتهم على أن لا يعشّروا و لا يأكلوا الربا و لا يتعاملوا به فمن أكل الربا منهم بعد ذلك فذمّتى منه بريئهٔ» «۱».

(۲)

اكبر فضيلهٔ:

تعتبر واقعهٔ المباهلهٔ و ما نزل فيها من القرآن أكبر فضيلهٔ تدعم موقف الشيعهٔ على مر التاريخ. لأن ألفاظ الآيهٔ النازلهٔ فى المباهلهٔ و مفرداتها تكشف عن مكانهٔ و مقام من باهل بهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الذين يتخذهم الشيعهٔ قادهٔ لهم.

فهذه الآيهٔ اعتبرت الحسن و الحسين ابناء لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فاطمهٔ الزهراء المرأهٔ الوحيدهٔ التى ترتبط برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يصدق عليها عنوان «نسائنا». و قد عبّر عن علىّ عليه السّلام بانفسنا فكان على عليه السّلام تلك الشخصيهٔ العظيمهٔ بحكم هذه الآيهٔ بمنزلهٔ نفس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، ترى أيهٔ فضيلهٔ أعظم و أسمى من أن ترتفع مكانهٔ المرء من

---

(۱) فتوح البلدان: ص ۷۶، امتاع الاسماع: ص ۵۰۲ و اعلام الورى: ص ۷۸ و ۷۹.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۰۹

الناحيهٔ المعنويهٔ ارتفاعا و تسمو سموا عظيما حتى أنه يوصف صاحبها بانه بمنزلهٔ نفس النبى «۱».

أ ليست هذه الآيهٔ شاهد صدق على أفضليهٔ أمير المؤمنين على عليه السّلام على جميع المسلمين.

لقد ذكر الفخر الرازى الذى عرف الجميع اسلوبه فى الابحاث الكلاميّهٔ و مواقفه من القضايا المرتبطهٔ بالإمامهٔ، ذكر استدلال الشيعهٔ بهذه الآيهٔ ثم أورد على هذا الاستدلال اعتراضا قليل الأهميهٔ ممّا لا يخفى جوابه على أرباب العلم و أهل المعرفهٔ.

هذا و يستفاد من الأحاديث الواردهٔ عن ائمهٔ أهل البيت أنّ المباهلهٔ لا تختص بالنبى الاكرم بل يجوز أن يتباهل كل مسلم فى القضايا الدينيهٔ مع من يخالفه و يجادله فيها، و قد جاءت طريقهٔ المباهلهٔ و الدعاء المخصوص بها فى كتب الحديث، و للوقوف على هذا الامر يراجع كتاب «نور الثقلين» «۲».

---

(۱) و قد استند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلى هذه الآيهٔ فى قوله: «على منى كنفسى».

(۲) نور الثقلين: ج ۱ ص ۲۹۱ و ۲۹۲، و راجع أيضا الكافى ج ۲ كتاب الدعاء باب المباهلهٔ، و قد اشار العلامهٔ الطباطبائى فى احدى رسائله إلى هذه الموضوع أيضا، و يعتبره من معاجز الاسلام الخالدهٔ.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۱۰

(۱)

۵۹ تأريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما

اشارة

إن حادثة المباهلة من قضايا التاريخ الاسلامى المعروفة المتواترة التى جاء ذكرها فى كتب التفسير، و التاريخ و الحديث بصورة مبسوطة و مفصّلة لمناسبة و اخرى، و تتلخص هذه القصة فيما يلى:

لقد كتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله- يوم راسل ملوك العالم و امراءه يدعوهم الى الاسلام- كتب كتابا الى اسقف نجران «ابو حارثة» دعا فيه أهل نجران إلى الاسلام و لما تسلّم أبو حارثة كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله شاور جماعة من اصحابه، فاشاروا عليه بأن يبعثوا وفدا يمثلون أهل نجران إلى المدينة، ليتفاوضوا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن كثب.

و فعلا قدم الوفد المذكور المدينة، و التقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و بعد مداولات و مفاوضات كثيرة اقترح النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله على ذلك الوفد المباهلة بأمر اللّه سبحانه، بأن يخرج الجميع (الطرفان) إلى الصحراء، و يدعو كل واحد من الجانبين على الآخر فرضوا باقتراح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لكنّهم أحجموا عن المباهلة لما شاهدوا ما عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من حالة معنوية، و روحانية عظيمة، حيث أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اصطحب معه إلى المباهلة أربعة انفار من أفضل أحبته و أعزته، و تقرّر أن ينضوى نصارى نجران تحت مظلة الحكومة الاسلامية و هم على دينهم شريطة أن يدفعوا جزية (و هى مبلغ ضئيل).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۱۱

هذه هى خلاصة قضية المباهلة التى لا يستطيع انكارها و إخفاءها أى مفسّر أو مؤرخ على النحو الذى ذكر، و الآن يجب أن نرى متى و فى أى يوم و شهر و عام وقعت هذه الحادثة الاسلامية الكبرى.

(۱)

عام المباهلة حسب المشهور:

يقول مؤلف كتاب مكاتيب الرسول فى هذا الصدد: لا خلاف عند المؤرخين ان كتاب الصلح كتب سنة عشرة من الهجرة، فيكون سنة المباهلة نفس هذه السنة أيضا، لان كتاب الصلح هذا انما كتب عند ما أحجم الوفد النجرانى النصرانى من مباهلة النبى صلّى اللّه عليه و آله.

و قد ادرج نص كتاب الصلح هذا فى مصادر عديدة نذكر بعضها فى الهامش «۱».

(۲)

الشهر و اليوم الذى وقعت فيه المباهلة:

إن المشهور بين العلماء هو أن المباهلة وقعت فى اليوم الخامس و العشرين من شهر ذى الحجة، و ذهب المرحوم الشيخ الطوسى إلى أنها وقعت فى اليوم الرابع و العشرين من ذلك الشهر، و روى فى كتابه دعاء خاصا فى هذه المناسبة «۲».

و اما المرحوم السيّد ابن طاوس فقد نقل حول يوم المباهلة أقوالا ثلاثة، و ذكر بأن أصح تلك الأقوال و الروايات هو القائل بان يوم المباهلة هو الرابع و العشرون من شهر ذى الحجة، و قد ذهب البعض إلى أنه اليوم الواحد و العشرون بينما ذهب آخرون إلى أنه اليوم السابع و العشرون «۳».

(۱) تاريخ اليعقوبى: ج ۲ ص ۶۵، الدر المنثور: ج ۲ ص ۳۸.

(۲) مصباح المتهجد: ص ۷۰۴.

(۳) الإقبال: ص ۷۴۳.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۱۲

(۱) ثم انه رحمه اللّه روى فى آخر كتابه «۱» قصة المباهلة بصورة مفصّلة لم ترد فى أى كتاب أو مؤلّف آخر، و نوّه بأن محتويات هذا الباب اقتبست من الكتابين التاليين:

۱- كتاب المباهلة تأليف أبى المفضل محمّد بن عبد المطلب الشيبانى «۲».

۲- كتاب عمل ذى الحجة تصنيف الحسن بن اسماعيل بن أشناس «۳».

إلى هنا اتضح أن يوم المباهلة على المشهور هو اليوم الرابع و العشرون أو الواحد العشرون أو الخامس و العشرون أو السابع و العشرون من شهر ذى الحجة.

و أمّا رأينا حول التاريخ الدقيق لهذه الواقعة من حيث العام و السنة.

إن خلاصة القول هى أنّ هذه الأقوال و الآراء حول عام و يوم المباهلة لا- توافق النقول التاريخية الاخرى التى يتسم بعضها بطابع القطعية إلى حدّ بعيد، و إليك ادلتنا على ذلك فيما يلى:

(۲)

رأينا حول عام المباهلة:

(۳) ۱- لقد جاء فى ختام الكتاب الذى بعثه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الى اسقف نجران عبارة: «و إن أبيتم فالجزية»، و قد جاءت لفظة الجزية فى القرآن الكريم

(۱) الاقبال: ص ۷۴۳.

(۲) لم ينقل المرحوم السيد نسبه بصورة صحيحة، فقد ذكر النجاشى نسبه على النحو التالى: محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن عبد اللّه بن بهلول بن الهمام بن المطلب و على هذا الاساس يكون جده المطلب و ليس عبد المطلب كما انه يكون المطلب جده الخامس. و ينبغى الاشارة هنا إلى أن لمحمّد بن عبد اللّه- حسب ما يرى النجاشى- فترتين من الحياة، كان فى إحداهما موثوقا به، و فى الاخرى غير موثوق به و هذا يقول: اجتنب الرواية عنه الّا عند ما يروى الثقات عنه ايام استقامته و صلاحه (راجع فهرست النجاشى ص ۲۸۱- ۲۸۲).

(۳) جاء ذكره فى اسناد الصحيفة السجادية و هو من مشايخ الطائفة الامامية و قد توفى عام ۴۶۰ ه و قد نقل احاديث المباهلة (راجع الذّريعة ج ۱۵ ص ۳۴۴).

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۱۳

فى سورة التوبة و الظاهر أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله استخدم هذه الجملة و اللفظة فى الكتاب المذكور اتباعا للآية المذكورة، و قد نزلت سورة التوبة قبيل غزوة تبوك بقليل، و قد وقعت هذه الغزوة بعد شهر رجب من السنة التاسعة.

و بناء على هذا يبعد أن يكون رسول اللّه قد كتب لأهل نجران كتابا، بعثوا بجوابه إليه صلّى اللّه عليه و آله بعد عام و نصف العام على يد وفدهم.

إن هذه الواقعة التاريخية تحكى عن أن هذه الحادثة قد وقعت فى السنة العاشرة من الهجرة.

(۱) ۲- اتفق كتّاب السيرة على أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعث عليّا عليه السّلام إلى اليمن للقضاء و تعليم الاحكام الدينية، و قد مكث على عليه السّلام هناك ردحا من الزمان لأداء مهامّه المخوّلة إليه، و عند ما علم بتوجه النبى صلّى اللّه عليه و آله الى مكة للحج، خرج هو أيضا إلى مكة على رأس جماعة من أهل اليمن، فلقى النبىّ بمكة، و قدّم إليه الف حلة من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية التى فرضت و كتبت عليهم فى معاهدة الصلح «۱».

إن هذه القضية التاريخية تفيد ان واقعة المباهلة و كتابة العهد لا ترتبط بالسنة العاشرة من الهجرة، و ذلك لأن أهل نجران تعهدوا فى وثيقة الصلح أن يدفعوا الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى كل سنة ألفى حلة (مخيّطة و غير مخيّطة)، الف حلة منها فى شهر رجب، و الف حلة اخرى فى شهر صفر «۲».

(۲) فاذا سلّمنا بأن وثيقة الصلح كتبت فى شهر ذى الحجة وجب أن نقول ان المقصود منه هو شهر ذى الحجة من الاعوام السابقة على السنة العاشرة.

لأنه كيف يمكن أن نقول بأن كتابة وثيقة الصلح، و تنفيذها بواسطة الامام

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۰۲ و ۶۰۳، الارشاد: ص ۸۹.

(۲) الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۳۴۸، و الارشاد: ص ۹۲.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۱۴

على عليه السّلام قد تمّا معا فى السنة العاشرة.

و إذا ارتضينا القول المشهور حول اليوم و العام الذى كتبت فيهما وثيقة الصلح، امكن فى هذه الصورة أن يكون عقد الصلح قد تمّ فى السنة العاشرة، و لكن يجب أن نرجع تاريخ كتابته إلى ما قبل شهر رجب لأن الفرض هو أن الامام عليا عليه السّلام قد استلم أول قسط من الجزية المقررة فى شهر رجب فى السنة العاشرة.

(۱) و الخلاصة أنه مع ملاحظة هذه القضية التاريخية (و هى أن الامام عليا استلم القسط الاول من الجزية من أهل نجران فى شهر رجب و سلمه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مكة فى شهر ذى الحجّة) وجب أن نختار احد القولين التاليين:

الف: إذا سلّمنا بان يوم و شهر تنظيم وثيقة الصلح هو شهر ذى الحجة وجب ان نقول إن المقصود منه هو أشهر ما قبل السنة العاشرة.

باء: إذا ترددنا فى يوم و شهر كتابة الصلح على نحو التردد فى تحديد عامه، أمكن فى هذه الصورة ان نقول بان يوم المباهلة و كذا يوم تنظيم وثيقة الصلح يرتبطان باشهر ما قبل شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة.

(۲)

زمن المباهلة يوما و شهرا:

إلى هنا اتضح انه من غير الممكن ان يكون عام المباهلة هو السنة العاشرة من الهجرة حتما، إلّا فى صورة واحدة و هى أن نغيّر رأينا فى اليوم و الشهر اللذين تمت فيهما كتابة وثيقة الصلح.

و قد حان الحين الآن لأن نحدّد تاريخ المباهلة من حيث اليوم و الشهر فى ضوء الاحداث و الوقائع التاريخية، فنقول: إن الشهر و اليوم اللّذين وقعت فيهما قضية المباهلة هما- حسب ما هو مشهور بين العلماء كما أسلفنا- شهر ذى الحجة

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۱۵

و اليوم الرابع و العشرون أو الخامس و العشرون، و على قول: الحادى و العشرون، أو السابع و العشرون من ذلك الشهر.

(١) و الآن يجب أن نرى هل تنطبق هذه الاقوال على غيرها من الحوادث التاريخية القطعية أم لا؟
إن الدراسة التالية تثبت لنا أن قضية المباهلة من غير الممكن أن تكون قد وقعت فى شهر ذى الحجة من السنة العاشرة مطلقا، لأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد توجّه الى مكة المكرمة لتعليم مناسك الحج فى السنة العاشرة من الهجرة، و فى اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (و هو يوم الغدير) نصب فى منطقة غدير خم التى تبعد عن الجحفة «١» بميلين «٢»، عليا خليفة على المسلمين من بعده.
و لم تكن حادثة الغدير بالحادثة التى تنتهى ذيولها فى يوم واحد ليتابع النبى سفره الى المدينة فورا لأن النبى- بشهادة التاريخ- أمر بعد نصب على عليه السّلام للخلافة أن يجلس على فى خيمة، و ان يدخل عليه المسلمون الحاضرون ثلاثة ثلاثة، و يهنئونه بالخلافة و الإمرة و قد استمر هذا العمل حتى الليلة التاسعة عشرة من شهر ذى الحجة، و قد هنّأت «امهات المؤمنين» عليا عليه السّلام فى نهاية

---

(١) «الجحفة» على وزن طعمة تقع على بعد ثلاثة منازل من مكة و سبعة منازل من المدينة و تبعد عن البحر الاحمر بستة اميال تقريبا و تقرب من رابغ التى تقع الآن على الطريق بين مكة و المدينة راجع كتاب التحرير للنووى و التهذيب له أيضا، هذا و يقول الياقوت الحموى فى مراصد الاطلاع ص ١٠٩: ان الجحفة تقع على بعد أربعة أميال من مكة و هى ميقات أهل مصر و الشام، و تبعد عن البحر بستة أميال، و عن غدير خم بميلين. و هى الآن تبعد عن مكة- حسب المقاييس الحديثة- بمائتين و عشرين كيلومترا و يقول المسعودى فى كتابه «التنبيه و الاشراف» ص ٢٢١- ٢٢٢ أيضا:
أن غدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة، و ولد على رضى اللّه عنه و شيعته يعظمون هذا اليوم.
(٢) الميل عبارة عن ثلاثة آلاف ذراع، و الفرسخ عبارة عن تسعة آلاف ذراع و قيل: ان الميل عبارة عن أربعة آلاف ذراع، و الفرسخ عبارة عن اثنى عشر الف ذراع، و على أيّة حال فان الميل ثلث الفرسخ، و ثلاثة اميال تعادل فرسخا كاملا (راجع القاموس مادة: ميل).
سيد المرسلين ،ج٢،ص:۶١۶
مراسيم التهنئة «١».
(١) من هنا لا يمكن القول بان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غادر ارض غدير خم فى اليوم التاسع عشر، خاصة ان تلك المنطقة كانت المحل الذى تتشعب فيه طرق المدنيين و المصريين و العراقيين، و بناء على هذا لا بدّ أن الجماعات المختلفة الاوطان التى كانت تريد التوجه إلى أوطانها قد ودّعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و لا شك أن عملية التوديع هذه قد أوجبت مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أرض الغدير مدة أطول.
و حتى لو فرضنا- افتراضا- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله توجه نحو المدينة فى اليوم التاسع عشر، فهل يمكن ان نقول- فى ضوء المحاسبات التى نملكها من التاريخ حول مقدار طىّ هذه المسافة- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قدم المدينة فى اليوم الرابع و العشرين أو الخامس و العشرين، و اخذ بمقدمات قضية المباهلة ثم كتب وثيقة الصلح بينه و بين أهل نجران؟، كلا حتما، لأن المسافة بين مكة و الجحفة كما ذكرنا فى الهامش المتقدم هى ثلث المسافة بين مكة و المدينة.
(٢) و يجب أن نرى الآن كم كان يستغرق من الزمن مجموع سفر القوافل- آنذاك- من مكة المكرمة الى المدينة المنورة؟
لا توجد هنا أيّة وثيقة توضح ذلك إلّا حديث سفر النبى الاكرم صلّى اللّه عليه و آله نفسه الذى وضعه التاريخ تحت تصرفنا فان التاريخ يقول: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قطع هذه المسافة عند هجرته من مكة الى المدينة فى مدة تسعة أيام «٢».

---

(١) جاء تفصيل مراسم التهنئة فى موسوعة الغدير: الجزء ١ ص ٢۴۵- ٢۵٧.
(٢) غادر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مكة مهاجرا الى المدينة فى الليلة الرابعة من شهر ربيع، و وصل إلى محلة «قبا» حوالى الظهر فى اليوم الثانى عشر من نفس ذلك الشهر، و تدلّ القرائن على أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قطع هذه المسافة بسرعة بسبب

ملاحقة قريش له (السيرة النبوية: ج ۲ ص ۳۹۹، الطبقات الكبرى: ج ۱ ص ۱۳۵).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۱۷

كما أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قطع هذه المسافة فى مدة أحد عشر يوما «۱».

(۱) و سبب التفاوت بين هاتين الرحلتين هو أن النبى صلّى اللّه عليه و آله قطع المسافة المذكورة فى الرحلة الاولى برفقة شخصين، بينما قطع تلك المسافة فى الرحلة الثانية بصحبة جيش قوامه عشرة آلاف رجل، و من الطبيعى أن تتم الحركة فى الصورة الثانية بصورة اكثر بطؤا.

و لنفترض أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غادر أرض «غدير خم» فى اليوم التاسع عشر، فاننا إذا اتخذنا تسعة ايام مقياسا لتقييمنا وجب أن نقول أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا بدّ أنه قطع المسافة بين الجحفة و المدينة فى ستة أيام لأن المسافة بينهما هى ثلثا مجموع المسافة بين مكة و المدينة، و بالتالى دخل المدينة فى اليوم الرابع و العشرين.

و اذا اعتبرنا الثانى (أى احد عشر يوما) انه هو المقياس وجب أن يقطع تلك المسافة (أى بين الجحفة و المدينة) فى سبعة ايام و نصف اليوم، فيكون- حسب القاعدة- قد قدم المدينة فى اليوم السادس و العشرين حوالى الظهر منه.

فهل يمكن القول- فى ضوء هذه المحاسبة- بأن قضية المباهلة وقعت فى اليوم الرابع و العشرين أو الخامس و العشرين او السابع و العشرين.

(۲) إن بطلان هذا القول، و خلوّه عن الصحة يتضح اكثر اذا عرفنا بأن وفد نجران قبلوا بالتباهل بعد سلسلة من المفاوضات و المداولات، و قد انصرفوا عن التباهل فى المآل و وقّعوا على وثيقة صلح بينهم و بين النبى صلّى اللّه عليه و آله، تحت شروط خاصة.

فإن أعضاء الوفد المذكور دخلوا المدينة و هم يرتدون ثيابا راقية من الديباج و الحرير، و فى أيديهم خواتيم من ذهب، و على صدورهم صلبان من ذهب، و توجه

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۱۸

فور قدومهم- و على هذه الهيئة- إلى مسجد النبى صلّى اللّه عليه و آله و لكن النبى واجههم بالكره بسبب الهيئة التى دخلوا بها عليه.

(۱) فانتهى هذا اللقاء من دون عمل شىء و تفرق أعضاء الوفد، و هم فى حيرة من موقف النبى صلّى اللّه عليه و آله فالتقى الوفد عليا عليه السّلام و سألوه عن سبب استياء النبى و اعراضه عنهم، فأخبرهم الامام على عليه السّلام بأن عليهم أن ينزعوا تلك الثياب و الحلىّ عنهم، و يدخلوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بثياب عادية حتى يرتاح إليهم النبىّ و يستقبلهم بوجه منبسط.

فعاد أعضاء الوفد و دخلوا على النبى صلّى اللّه عليه و آله ثانية و لكن بثياب عادية خالية عن الزينة و الحلىّ، فاستقبلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ببشاشة خاصة، و رحّب بهم ترحيبا كبيرا، ثم سألوا النبى صلّى اللّه عليه و آله أن يؤدوا صلاتهم فى المسجد، فاذن لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بذلك، ثم دخلوا مع النبى صلّى اللّه عليه و آله فى مناظرات و مناقشات مفصّلة، و بعد مناظرات مفصلة ذكرها اكثر المفسرين و المؤرخين و منهم ابن هشام فى سيرته «۱» اتفقوا على أن يحسموا الأمر بالمباهلة، و حدّد يوم المباهلة.

و لما كان ذلك خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ذلك اليوم مع ابنته الزهراء و صهره علىّ بن أبى طالب، و سبطيه الحسن و الحسين، إلى الصحراء للمباهلة مع وفد نجران.

(۲) و لكن وفد نجران بعد أن رأوا النبى و من معه و ما هم عليهم من البساطة و الجلال انصرفوا عن الدخول فى المباهلة و رضخوا طائعين لدفع جزية سنوية الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فهل هذه الوقائع التى استغرقت- كما يقول بعض المؤرخين- اربعة مجالس يمكن أن تكون قد تمّت فى يوم واحد؟

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۵۷۵، مجمع البیان: ج ۱ ص ۴۱۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۱۹

(۱) إن المحاسبات تقضی و تفید بأن مراسیم المباهلة، و کتابة وثیقة الصلح من غیر الممکن أن تکون قد وقعت فی الیوم الواحد و العشرین أو الرابع و العشرین، أو الخامس و العشرین أو السابع و العشرین من شهر ذی الحجة من السنة العاشرة للهجرة.

هذا مضافا إلی أن «نجران» مدینة حدودیة بین الحجاز و الیمن، و لا بد أن تردّد القبائل کان من شأنه ان ینقل الی مسامع النجرانیین أنباء وجود رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مکة لاداء مناسک الحج، و لهذا فان من المستبعد ان یکون وفد نصاری نجران قد اقدم علی التوجه إلی المدینة للحضور عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل التأکّد الکامل من عودته إلی المدینة و الاستقرار الکامل فیها.

(۲)

هل کانت قضیة المباهلة فی السنة التاسعة؟

هنا یمکن أن یقال بأن قضیة المباهلة وقعت فی شهر ذی الحجة من السنة التاسعة، و قد ذهب إلی هذا الرأی بعض المؤرخین أیضا «۱».

و لکن المحاسبات التاریخیة تثبت أیضا بطلان هذا الرأی، و ذلک لأن الامام علیا الذی کان من الشاهدین لقضیة المباهلة، کما أنه هو الذی کتب وثیقة الصلح بیده الشریفة کان قد کلّف فی التاسع من شهر ذی الحجة من هذه السنة (التاسعة) من قبل النبی صلّی اللّه علیه و آله بمهمة إبلاغ آیات البراءة- علی

(۱) جاء ذکر هذا عند تفسیر سورة التوبة. نقل صاحب الغدیر: فی ج ۶ ص ۳۱۸- ۳۲۱ هذا الرأی من اثنین و سبعین شخصا من علماء السنة، و کأن قضیة المباهلة بین النبی و وفد نجران وقعت فی آخر هذه الستة (التاسعة)، لأنه ورد أن هذا الأمر قدتم فی شهر ذی الحجة بعد فتح مکة، و لا بد ان المراد بذی الحجة لیس هو ذو الحجة من عام حجة الوداع و هی السنة العاشرة التی وقعت فیها قضیة الغدیر فاذن هو ذو الحجة من السنة السابقة علی عام الغدیر و استغرقت اربعة مجالس (بتلخیص).

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۰

المشرکین فی یوم الحج الاکبر بمنی، و فی الحقیقة کانت السنة الثانیة التی کانت قد انیطت امارة الحج و ادارة امر الحجیج إلی المسلمین، و کان قد اختیر أمیر المؤمنین أمیرا علی الحج فیها.

(۱) و نحن نعلم أن مناسک الحج تنتهی فی الیوم الثانی عشر من شهر ذی الحجة، و لا شک أن شخصیة بارزة و مسئولة کالامام علی علیه السّلام الذی کان یرأس الحج فی ذلک العام من غیر الممکن أن یکون قد غادر مکة فی الیوم الثالث عشر و یتوجه الی المدینة و هو الذی کانت له أقرباء و انسباء کثیرون فی مکة، هذا مضافا إلی أن حرکة الحجیج لم تکن فی تلک العصور حرکة انفرادیة حتی یستطیع کل واحد منهم أن یقطع الفیافی القفراء و الصحاری القاحلة الموحشة بمفرده فکان علی من یریدون الحج ان یتوجّهوا بصورة جماعیة الی مکة أو یغادروها إلی بلادهم.

و لهذا فان علیّا علیه السّلام مهما اسرع و جدّ فی السیر قافلا الی المدینة، و قطع المسافة بین مکة و المدینة بسرعة فائقة فانه من غیر الممکن أن یکون قدم المدینة قبل الیوم الرابع و العشرین، و لهذا کیف یمکن أن یقوم بارشاد وفد نجران و دلالتهم علی ما یجب ان یفعلوه حتی یستقبلهم النبی ببشاشة و یرحّب بهم، و یشهد المباهلة مع المتباهلین.

(٢) إن الشواهد و الادلة التاريخية تشهد بان النظرية المشهورة حول زمن المباهلة (يوما و شهرا و عاما) لا تحظى بالاعتبار الكافى، و لا بدّ- لمعرفة زمن هذه الحادثة التى هى من مسلّمات القرآن و التفسير و الحديث- من مزيد التحقيق، و مزيد الدراسة، و التقصّى.

و هنا يبقى سؤال لا بدّ من الإجابة عليه و هو: كيف اختار المشهورون من العلماء مثل هذه النظرية حول يوم المباهلة و شهرها و عامها.

(٣) و الجواب هو: أن المرحوم الشيخ الطوسى اختار هذا القول استنادا الى رواية مسندة نقلها فى كتابه و لكن فى سند الحديث المذكور رجالا غير ثقات فى نظر

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٦٢١

علماء الرجال، نظراء:

١- محمّد بن أحمد بن مخزوم استاذ التّلعكبرىّ فى الحديث فهو ممن لم يوثّق «١».

٢- الحسن بن على العدوىّ و قد ضعّفه العلامة «٢».

٣- محمّد بن صدقة العنبرى و قد وصفه الشيخ الطوسى بالغلوّ «٣».

و قد ذكر المرحوم السيد ابن طاوس فى كتاب «الاقبال» امورا تتعلق بالمباهلة نقلا عن كتاب أبى المفضل و قد ذكرنا فى الهامش (ص ٢٠٧٣) أن ابا المفضل له فترتان فى حياته، فهو موثق فى حال و غير موثق فى حال آخر، و لا يدرى فى أى حال من الحالين كتب أبو المفضل قضايا المباهلة، و اخذها عنه العلماء.

كما ان السيّد استند فى كتابه المذكور (ص ٧٤٣) على حديث مرفوع (و هو ما فيه نقص فى رجال سنده)، و ذكر فى ضوئه ان يوم المباهلة هو اليوم الرابع و العشرون على حين لا تقوم مثل هذه الرواية باثبات المدعى.

---

(١) و ان حاول المامقانى فى تنقيح المقال توثيقه لكونه استاذ حديث.

(٢) تنقيح المقال: ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) رجال الشيخ الطوسى: ص ٣٩.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٦٢٢

١٦٠- تقييم البراءة من المشركين ٢- وفود القبائل فى المدينة

اشارة

(١) تركت البراءة القوية التى أعلنها امير المؤمنين على عليه السّلام فى موسم الحج فى السنة التاسعة بمنى بامر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و التى أعلن فيها بصراحة و بصورة رسمية ان اللّه و رسوله بريئان من المشركين و الوثنيين، و أن على المشركين أن يضعوا حدّا لشركهم خلال أربعة أشهر فإما أن يسلموا و يكفّوا عن عبادة الاصنام و يهجروها، و إما أن يستعدوا لمواجهة شاملة.

لقد ترك إعلان هذه البراءة الصريحة أثرها العميق و السريع، فقد ارتبكت القبائل العربية القاطنة فى شتى أنحاء الجزيرة العربية التى كانت بسبب عنادها و لجاجتها ترفض الخضوع لمنطق القرآن و الاستجابة لنداء التوحيد و تصر على المضى فى عاداتها الشنيعة، و العكوف على الاوهام و الخرافات و عبادة الاصنام و الأوثان.

(٢) لقد ارتكبت هذه القبائل، على اثر تلك البراءة الصريحة القوية، فعمدت إلى إيفاد وفود و مندوبين من جانبها إلى المدينة عاصمة الإسلام، و قد دار بين كل واحد من هذه الوفود و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حوار خاص.

و قد ذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى «١» مواصفات و خصوصيات اثنين

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۹۱- ۳۳۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۳

و سبعین وفدا من تلک الوفود.

إن توافد هذه البعثات و الوفود العجیب و خاصة فی أعقاب إعلان البراءة یکشف عن أن مشرکی العرب فقدوا فی السنة العاشرة من الهجرة کل حصین یمنعهم عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، و الّا لکانوا یلجئون إلیه، و یتظاهرون علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و لم تنته المدة المضروبة (اربعة أشهر) بعد إلّا و دخلت کل مناطق الحجاز و کل أقوامها تحت رایة التوحید، و لم یبق فی الحجاز بیت تعبد فیه للاصنام و الاوثان ظاهرا حتی أن فریقا من سکان الیمن و البحرین و الیمامة انتبهوا الی الاسلام فاقبلوا علیه و اعتنقوه. (۱)

محاولة اغتیال النبی:

عرفت قادة بنی عامر من بین القبائل العربیة- یومئذ- بالشر و الطغیان، و قد اعتزم ثلاثة اشخاص منهم هم: «عامر» و «أربد» و «جبار» علی أن یدخلوا المدینة راس وفد من بنی عامر، و یتظاهروا بالتفاوض مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، ثم یغدروا به فی المجلس و یغتالوه.

و کانت الخطة تقضی: بأن یتحدث «عامر» الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یفاوضه، و فیما هو یفعل ذلک یبادر «أربد» الی ضرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بسیفه.

و لم یخبر بقیة اعضاء الوفد بنوایا هؤلاء الثلاثة و خطتهم، و لهذا أعلنوا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن رغبتهم الصادقة فی الاسلام، و وفائهم لشخص النبی صلّی اللّه علیه و آله، و لکن «عامرا» احجم عن أی نوع من انواع

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۴

التظاهر بالإسلام فی ذلک المجلس و کان یصرّ علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أن یخلو به فی مکان آخر لیتحدث معه علی انفراد تمهیدا لتنفیذ الخطة المشؤومة و هو ینظر الی أربد و ینتظر منه ما کان أمره به و اتفقا علیه، و لکنه لا یزداد نظرا إلی «اربد» إلّا و یزداد «اربد» حیرة و دهشة هذا و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول لعامر کلما قال: خالّنی: لا و اللّه حتی تؤمن باللّه وحده لا شریک له.

(۱) فلما أیس «عامر» من «اربد»، و کأنّ «اربدا» کلما عزم أن یجرد سیفه و یهجم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله هاب النبی، و منعته عظمته و مهابته، فانصرف عن نیته، قال عامر و هو یترک مجلس النبی صلّی اللّه علیه و آله: أما و اللّه لأملأنّها علیک خیلا و رجالا و هو بذلک یکشف عن عناده و عتوه.

فقابله رسول اللّه بحلم کبیر، و لم یرد علی کلامه و تهدیده و انما اکتفی بأن دعا علیه و علی صاحبه بعد أن غادر مجلس النبی صلّی اللّه علیه و آله.

و لقد استجاب اللّه لدعاء نبیه سریعا فقد خرج هو و صاحبه راجعین إلی بلادهم حتی اذا کانوا فی اثناء الطریق بعث اللّه الطاعون فی عنق «عامر» فقتله ذلک المرض الوبیء فی بیت امرأة من بنی سلول فی صورة فضیعة، و حالة سیئة.

و أما «اربد» فارسل اللّه علیه و علی جمله صاعقة و هو فی الصحراء فاحرقتهما، و قد تسببت هاتان الحادثتان الفضیعتان اللتان أصابتا عدوّین لدودین من أعداء النبی صلّی اللّه علیه و آله فی أن یزداد تعلق بنی عامر برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یتضاعف حبهم له

صلّی اللّه علیه و آله.

(۲)

أمیر المؤمنین فی ربوع الیمن:

لقد مکّن اقبال اهل الحجاز علی الاسلام، و أمن النبی صلّی اللّه علیه و آله

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۵

جانب القبائل العربیة، مکّن النبی من العمل علی مدّ شعاع الاسلام إلی البلاد المتاخمة للحجاز.

فکان أول ما فعل صلّی اللّه علیه و آله فی هذا الصعید هو بعث أحد أصحابه العلماء و هو «معاذ بن جبل» الی الیمن لیبلّغ إلی اهلها نداء التوحید و یشرح لهم معالم الاسلام و تعالیمه المقدسة، و قد أوصاه بوصایا کثیرة و مفصلة منها قوله صلّی اللّه علیه و آله.

«یسّر و لا تعسّر و بشّر و لا تنفّر و إنک ستقدم علی قوم من أهل الکتاب یسألونک ما مفتاح الجنة: فقل شهادة أن لا إله الّا اللّه وحده لا شریک له».

(۱) و یبدو أن معاذا رغم انه کان ملمّا بالکتاب العزیز و السنة النبویة و تعالیمها و احکامها، إلا انه لما سألته امرأة عن حق الزوج علی الزوجة لم یملک لها جوابا مقنعا، و لهذا رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بأن یوجه الی الیمن تلمیذه المتمیز «علی بن أبی طالب» علیه السّلام حتی یتمکن فی ضوء دعوته الدائبة، و احادیثه المبرهنة، و ما یمتلک من شجاعة أدبیة نادرة، و قوة عقلیة متمیزة من نشر الإسلام العظیم فی تلک الربوع.

هذا مضافا إلی أن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان قد بعث «خالد بن الولید» «۱» الی الیمن من قبل لیزیل المشکلات التی کانت تعرقل تقدّم الاسلام فی تلک الدیار و لکنه لم یوفّق فی مدة بقائه لعمل شیء فی هذا المجال «۲».

(۲) فاستدعا النبی صلّی اللّه علیه و آله علیا علیه السّلام و أخبره بأنه یرید أن یذهب الی الیمن لیدعو أهلها إلی الإسلام، و لیخمّس رکازهم، و یعلّمهم

---

(۱) صحیح البخاری: ج ۵ ص ۱۶۳.

(۲) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۲۶۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۶

الاحکام، و یبین لهم الحلال و الحرام، و إلی أهل نجران لیجمع صدقاتهم و یقدم علیه بجزیتهم، فقال علی علیه السّلام بتواضع بالغ:

«یا رسول اللّه تبعثنی و أنا شاب أقضی بینهم و لا أدری ما القضاء» أی ما فعلته قبل هذا.

فضرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بیده فی صدر علیّ علیه السّلام و قال:

«اللّهم اهد قلبه و ثبّت لسانه».

(۱) ثم قال صلّی اللّه علیه و آله:

«یا علیّ لا تقاتلنّ أحدا حتی تدعوه و أیم اللّه لئن یهدی اللّه علی یدیک رجلا خیر لک ممّا طلعت علیه الشمس و غربت و لک ولاؤه یا علی».

ثم أوصاه صلّی اللّه علیه و آله بوصایا أربع هامة إذ قال:

یا علی أوصیک:

۱- بالدّعاء فإن معه الإجابة.

۲- و بالشکر فانّ معه المزید.

۳- و إیّاک أن تخفر عهدا أو تعین علیه.

۴- و أنهاک عن المکر، فانه لا یحیق المکر السیّئ إلّا بأهله، و أنهاک عن البغی، فانه من بغی علیه لینصرنه اللّه».

(۲) و لقد بقی علی علیه السّلام یقوم بالقضاء طیلة ایام اقامته فی الیمن بصورة عجیبة محیّرة، و قد دونت اکثر اقضیته فی کتب التاریخ و الحدیث.

هذا و یروی «البراء بن عازب» و کان من الذین صحبوا علیا علیه السّلام فی سفره هذا الی الیمن انه لما انتهی علی علیه السّلام و من معه إلی أوائل أهل الیمن، و بلغ القوم الخبر، فخرجوا إلیه صفّ علیّ علیه السّلام الجنود الذین کانوا

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۷

قد استقروا هناک من قبل بقیادة خالد بن الولید، ثم صلّی بهم صلاة الفجر، ثم دعا قبیلة همدان کلّها، و کانت اکبر القبائل الیمنیة، لیقرأ علیهم کتاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فحمد اللّه، و اثنی علیه، ثم قرأ علی القوم کتاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فاسلمت همدان کلها فی یوم واحد متأثرة بجلال المشهد، و حلاوة البیان، و عظمة المنطق النبوی، فکتب امیر المؤمنین علیه السّلام بذلک إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلمّا قرأ کتابه استبشر و ابتهج و خرّ ساجدا شکرا للّه تعالی ثم رفع رأسه و جلس و قال:

«السلام علی أهل همدان. السلام علی أهل همدان».

ثم تتابع- علی أثر اسلام همدان- أهل الیمن علی الاسلام «۱».

---

(۱) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۳۰۵، بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۶۰- ۳۶۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۸

(۱)

۶۱ حجة الوداع

اشارة

تعتبر مراسیم الحج و مناسکه من أعظم العبادات الاسلامیة الجماعیة التی یؤدیها المسلمون، جلالا و ابهة، و ذلک لأنّ أداء مراسیم الحج و مناسکه فی کل سنة مرة واحدة یمثّل بالنسبة للامة الإسلامیة أکبر مظاهر الاتحاد، و الوحدة و دلیلا کاملا علی الترفع علی المناصب و الدرجات و تکون نموذجا بارزا للمساواة بین جمیع أبناء البشر، و سبیلا إلی تقویة أواصر الاخوة المتینة بین المسلمین، فاذا کان المسلمون لا ینتفعون بهذه المائدة الکبری التی منحها ربهم لهم، و اذا کانوا لا یستفیدون من هذا المؤتمر الاسلامی السنوی العظیم (الذی یمکنه بحقّ أن یجیب و یعالج الکثیر من مشکلاتنا الاجتماعیة، و یکون نقطة تحول عمیق فی حیاتنا) استفادة کاملة لائقة، فانّ ذلک لیس- و بدون ریب او شک- ناشئا من قصور فی القانون الاسلامی، بل هو دلیل علی قصور قادة المسلمین و تقصیر حکامهم الذین لا یولون هذه المراسم و هذا الموسم العظیم اهتماما مناسبا، و لا یفکرون فی استغلاله علی الوجه المطلوب.

(۲) فمنذ أن فرغ إبراهیم الخلیل علیه السّلام من اقامة صرح الکعبة المعظّمة و دعا الموحّدین إلی زیارتها، و الحج إلیها لم تزل هذه البنیة الشریفة کعبة القلوب، و مطاف الشعوب و الاقوام و الجماعات الموحّدة التی تأتی إلیها کل عام من شتی نقاط العالم، و من مختلف انحاء الجزیرة العربیة، و یؤدّون عندها المناسک التی علّمها إیاهم النبی العظیم إبراهیم الخلیل علیه و علی نبینا السّلام.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۲۹

(۱) و لکن تقادم العهد، و انقطاع شعب الحجاز عن قیادة الأنبیاء، و أنانیة قریش، و سیادة الوثنیة علی عقول العرب أوجب أن تتعرض مراسم الحج و مناسکه- من حیث الزمان و المکان- لعملیة تحریف و تغییر، و ان تفقد صبغتها الحقیقیة و وجهها الواقعیّ.

لهذه الجهات امر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی السنة العاشرة من الهجرة، و من قبل اللّه سبحانه ان یشارک فی مراسم الحج شخصیا، و یقوم بتعلیم مناسک الحج للناس، و یوقفهم علی واجباتهم فی هذه العبادة الکبری عملیا، کما یقوم بإزالة کلّ ما علق بها من زوائد طیلة السنوات الغابرة، و یعیّن حدود «عرفات» و «منی» و یوم الإفاضة منها و لهذا فانّ السفر کان سفرا ذا طابع تعلیمی، قبل أن یکون ذا طابع سیاسیّ و اجتماعی.

(۲) أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الشهر الحادی من العام العاشر للهجرة (أی شهر ذی القعدة) بأن ینادی فی المدنیة و بین القبائل بأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقصد مکة للحج هذا العام، فاحدث هذا الاعلان شوقا و ابتهاجا عظیمین فی نفوس جمع کبیر من المسلمین، فتهیّأ عدد هائل منهم لمرافقة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ضربت مضارب و خیم کثیرة خارج المدینة المنورة بانتظار حرکة النبی صلّی اللّه علیه و آله و توجّهه الی مکة «۱».

و فی الیوم السادس و العشرین من شهر ذی القعدة خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من المدینة متوجها الی مکة و قد استخلف مکانه فی المدینة أبا دجانة الانصاری، و قد ساق معه ما یزید عن ستین بدنة.

و عند ما بلغ الموکب النبوی العظیم إلی «ذی الحلیفة» (و هی نقطة فیها مسجد الشجرة أیضا) أحرم بلبس قطعتین عادیتین من القماش الأبیض من مسجد الشجرة، و دخل الحرم، و لبّی عند الاحرام قائلا:

---

(۱) السیرة الحلبیة: ج ۳ ص ۳۸۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۳۰

«لبّیک اللّهم لبّیک لبّیک لا شریک لک لبّیک إنّ الحمد و النعمة لک و الملک لبّیک لا شریک لک لبّیک».

و هو بذلک یلبی نداء إبراهیم، کما أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یکرّر هذه التلبیة کلّما شاهد راکبا، أو علا مرتفعا من الأرض، أو هبط وادیا.

و لما شارف مکة قطع التلبیة المذکورة.

(۱) و فی الیوم الرابع من شهر ذی الحجة، دخل صلّی اللّه علیه و آله مکة المکرمة و توجّه نحو المسجد الحرام رأسا، ثم دخله من باب بنی شیبة و هو یحمد اللّه و یثنی علیه و یصلی علی إبراهیم علیه السّلام.

ثم بدأ من الحجر الأسود فاستلمه «۱» أولا، ثم طاف سبعة أشواط حول الکعبة المعظمة، ثم صلی رکعتین خلف مقام إبراهیم و عند ما فرغ من صلاته سعی بین الصفا و المروة «۲» ثم التفت إلی حجاج بیت اللّه الحرام و قال:

«من لم یسق منکم هدیا فلیحلّ و لیجعلها عمرة (أی فلیقصّر أی یأخذ من شعره و ظفره فیحلّ له ما حرم علیه بالاحرام) و من ساق منکم هدیا فلیقم علی إحرامه».

(۲) و قد کره البعض هذا و اعتذروا بانه یعزّ علیهم (أولا یلذّ لهم) أن یخرجوا من الاحرام فیحلّ لهم ما یحرم علی المحرم فیلبسوا الثیاب و یقربوا النساء و یتدهنوا و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی إحرامه أشعث أغبر.

---

(۱) المراد من الاستلام هو مسح الحجر الاسود بالیدین قبل الشروع بالطواف و فلسفة هذا العمل هی أن هذا الحجر کان یقف علیه ابراهیم لدی بناء جدران الکعبة و اقامتها و رفعها، و استلامه نوع من تجدید المیثاق مع الخلیل علیه السّلام و العمل علی نصرة عقیدة التوحید علی نحو ما فعل ابراهیم.

و لقد اعتمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الفترة المدنیة مرتین، إحداهما فی السنة السابعة و الاخری فی السنة الثامنة بعد فتح مکة، و کانت هذه ثالث عمرة یقوم بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مع الحج (الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۷۴).

(۲) الصفا و المروة جبلان علی مقربة من المسجد الحرام و السعی هو المشی بینهما ابتداء من الصفا و انتهاء بالمروة.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۳۱

و ربّما قالوا: لا یصحّ هذا، کیف تقطر رءوسنا من الغسل «۱» و نحن زوّار بیت اللّه؟

(۱) فالتفت النبی صلّی اللّه علیه و آله الی عمر و کان ممن بقی علی احرامه و قال له: ما لی أراک یا عمر محرما؟ أسقت هدیا؟

قال عمر: لم أسق.

فقال النبی: فلم لا تحلّ و قد أمرت من لم یسق بالإحلال؟

قال عمر: و اللّه یا رسول اللّه لا أحللت و أنت محرم.

فغضب النبی لموقف الناس المتلکی هذا و قال:

«لو کنت استقبلت من أمری ما استدبرت لفعلت کما أمرتکم».

و هو صلّی اللّه علیه و آله یعنی: أننی لو کنت أعلم بالمستقبل و لو عرفت بموقف الناس المتردّد و خلافهم هذا من قبل لما سقت الهدی، و لفعلت ما فعلتموه من عدم سوق الهدی، و لکن ما ذا عسای أن أفعل الآن و قد سقت الهدی، و لا یمکننی الإحلال من الإحرام، فیجب علیّ أن أبقی علی إحرامی «حتی یبلغ الهدی محلّه» أی أنحر هدیی بمنی کما أمر اللّه سبحانه، و أما أنتم فمن لم یسق الهدی منکم فانّ علیه أن یحلّ إحرامه، و احسبوها عمرة، ثم أحرموا للحج مرة اخری «۲».

(۲)

الامام علی یعود من الیمن:

لما علم علی علیه السّلام بتوجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الی مکة

---

(۱) هذه العبارة کنایة عن مقاربة الازواج و غسل الجنابة لان مقاربتهن هی أحد محرمات الحرام و ترتفع هذه الحرمة بالتقصیر و هو أخذ شیء من شعر الرأس أو اللحیة أو تقلیم الظفر.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۳۱۹، و هذه القصة توقفنا علی تعنّت فریق من الصحابة و تمرّدهم علی تعلیمات النبی و أوامره الاکیدة و هم یعلمون أنه لا ینطق عن الهوی إن هو إلا وحی یوحی و ثمة شواهد و موارد اخری کثیرة علی الموضوع، و قد جمعها المغفور له العلامة السید عبد الحسین شرف الدین العاملی فی کتاب اسماه «النص و الاجتهاد».

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۳۲

للمشارکة فی مراسم الحج خرج هو و جنوده و قد ساق معه (۳۴) هدیا للمشارکة فی الحج، و اصطحب حللا من بزّ الیمن و حریرها قد أخذها من اهل نجران و هی الجزیة التی تقرّر دفعها الی النبی صلّی اللّه علیه و آله.

(۱) و لقد تعجل علیّ علیه السّلام إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و استخلف علی جنده الذین خرجوا معه إلی الحج رجلا من أصحابه لقیادتهم حتی مکة، فالتحق برسول اللّه و لقیه علی مشارف مکة فسر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله به، و بما أحرزه من نجاحات فی مهمته التی بعثه بها إلی أرض الیمن، و قد أخبر بها النبی صلّی اللّه علیه و آله علی وجه التفصیل.

فلما فرغ من بیان اخبار سفره قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: انطلق فطف بالبیت، و حلّ کما حلّ أصحابک.

فقال علی: یا رسول اللّه إنی اهللت کما أهللت.

فسأله النبی صلّی اللّه علیه و آله عن کیفیة إهلاله ساعة أحرم للحج فقال علی علیه السّلام: یا رسول اللّه إنی قلت حین أحرمت: اللّهم إنی اهلّ بما أهلّ به نبیّک و عبدک و رسولک محمّد صلّی اللّه علیه و آله.

قال النبی و قد أخبره بانه یشارکه فی الحکم ما دام أهلّ بهذه الکیفیة: فهل معک هدی؟

قال علی: نعم و هو یشیر إلی الهدی الذی ساقه معه من الیمن.

فاشرکه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الحکم، و ثبت علی إحرامه مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتی فرغا عن الحج و نحر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الهدی عن نفسه، کما نحر علی هدیه أیضا «۱».

(۲) ثم إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمر علیا علیه السّلام بأن یرجع إلی جنوده الذین فارقهم، و یصطحبهم الی مکة، فلما رجع علی علیه السّلام إلیهم

(۱) الارشاد: ص ۹۲، ان هذا یدل علی أن النیة الاجمالیة کافیة و لا یلزم وقوف الناوی علی تفاصیل العمل و جزئیاته.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۳۳

وجد أن الرجل الذی استخلفه علی اولئک الجنود قد عمد فکسا کلّ رجل من القوم حلة من البزّ الذی کان قد أخذه علی من أهل نجران لیسلّمها الی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فانزعج من هذا التصرّف غیر المشروع و قال له: ویلک ما هذا؟

قال: کسوت القوم لیتجملوا به اذا قدموا فی الناس بمکة فقال علی علیه السلام: ویلک! أنزع قبل أن تنتهی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فانتزع ذلک الرجل الحلل من الجنود، و ردّها إلی مکانها مع الأشیاء الاخری من جزیة أهل نجران.

فانزعج جماعة من اولئک الجنود ممن یزعجهم العدل و النظام دائما و یریدون أن تسیر الامور وفق أهوائهم و مشتهیاتهم و ان خالفت سنن الحق و مبادئ العدالة، و أبدوا شکواهم من ما صنع بهم من استرداد الحلل و الثیاب.

و لما قدموا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمکة اشتکوا علیا علیه السّلام فقام رسول اللّه خطیبا فی الناس و قال:

«أیّها الناس، لا تشکوا علیا، فو اللّه إنه لأخشن فی ذات اللّه (أو فی سبیل اللّه) من أن یشکی» «۱».

(۱)

مراسم الحج تبدأ:

انتهت أعمال العمرة، و کان النبی صلّی اللّه علیه و آله یکره أن ینزل و یمکث فی دار أحد فی المدة التی بین العمرة و الحج و لهذا أمر بأن تضرب له خیمة خارج مکة.

لقد حلّ الیوم الثامن من شهر ذی الحجة، فخرج زوّار بیت اللّه الحرام فی ذلک الیوم من مکة إلی أرض عرفات لیقفوا فی الیوم التاسع و هو یوم عرفة من ظهر ذلک الیوم و حتی الغروب منه.

(۱) السیرة النبویة: ح ۴ ص ۶۰۳ و فی البحار: ج ۲۱ ص ۳۸۵: أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله منادیا أن ینادی فی الناس: «ارفعوا ألسنتکم عن علیّ فانه خشن فی ذات اللّه غیر مداهن فی دینه».

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۳۴

و قد قصد النبی عرفات أیضا فی الیوم الثامن من شهر ذی الحجة (الذی یدّعی یوم الترویة أیضا) من طریق منی، و توقّف فی «منی» إلی طلوع الشمس من الیوم التاسع ثم رکب بعیره، و توجه نحو عرفات، و نزل فی خیمة کانت قد ضربت له فی مکان یدعی «نمره».

و قد ألقی فی ذلک الاجتماع الهائل خطابا تاریخیا هاما و هو علی ناقته.

(۱)

خطاب النبيّ التاريخي في حجة الوداع:

... في ذلك اليوم الذى كانت عرفات تشهد فيه اجتماعا عظيما و حشدا بشريا هائلا، لم يشهد مثله شعب الحجاز من قبل حتى ذلك اليوم، كان نداء التوحيد و شعار الاسلام يدوّى في ربوع تلك المنطقة التى كانت فيما مضى من الزمان موطن المشركين و مسكن الوثنيين و لكنها قد تحولت الآن إلى قاعدة الموحّدين، و ملتقى عباد اللّه المؤمنين.

في هذه المنطقة بالذات (أى أرض عرفات) نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و صلّى الظهر و العصر و هو يؤم مائة الف، ثم خطب فيهم خطابه التاريخيّ و هو راكب على راحلته، و كان أحد اصحابه- و كان رفيع الصوت قويه- يكرر كلماته صلّى اللّه عليه و آله ليسمعه آخر من في ذلك الحشد.

لقد بدأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذلك الخطاب هكذا:

«أيّها الناس اسمعوا قولي و اعقلوه فاني لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا.

أيّها الناس إنّ دماءكم و اموالكم «۱» عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم».

و تأكيدا لحرمة أموال المسلمين و دمائهم قال صلّى اللّه عليه و آله لربيعة بن أميّة:

---

(۱) في الخصال: ج ۲ ص ۴۸۷ أيضا: و أعراضكم.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۳۵

(۱) «قل يا أيّها الناس إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: هلّا تدرون أيّ شهر هذا»؟

فاجابوا: الشهر الحرام الذى يحرم فيه القتال و اراقة الدماء. فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله لربيعة:

«قل لهم: إن اللّه قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا».

ثم قال صلّى اللّه عليه و آله لربيعة:

«قل: يا أيّها الناس إن رسول اللّه يقول هل تدرون أيّ بلد هذا؟»

فاجابوا جميعا: البلد الحرام، الذى يحرم فيه القتال و العدوان. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لربيعة:

«قل لهم: إن اللّه قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة بلدكم هذا».

(۲) ثم قال صلّى اللّه عليه و آله لربيعة:

«قل لهم: هل تدرون أى يوم هذا؟».

فأجابوا بأجمعهم: يوم الحج الاكبر.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لربيعة:

«قل لهم: إنّ اللّه قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا.

أيّها الناس: إن كل دم كان في الجاهلية موضوع، و إن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث (و كان من أقرباء النبى)».

و هكذا ألغى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عادة الثارات الجاهلية المشؤومة و بدأ بأقربائه.

ثم قال صلّى اللّه عليه و آله:

«إنّكم ستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم و قد بلّغت فمن كانت

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۳۶

عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها.

(۱) أيّها الناس إنّ كل ربا موضوع و لكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون و إنّ ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله. أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به ممّا تحقرون من أعمالكم (أو رضى منكم بمحقّرات الأعمال)، فاحذروه على دينكم.

أيّها الناس إن النسيء «۱» زيادة فى الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما و يحرّمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم اللّه فيحلّوا ما حرّم اللّه و يحرّموا ما أحلّ اللّه و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السماوات و الأرض و إن عدة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية (ذو القعدة و ذو الحجة و شهر المحرم و رجب).

(۲) أيّها الناس إن لكم على نسائكم حقا و لهنّ عليكم حقا:

لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه (أى لا تضيّفن فى بيوتكم من تكرهونه).

و عليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيّنة فإن فعلن فان اللّه قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع، و تضربوهنّ ضربا غير مبرّح، فان انتهين فلهنّ رزقهنّ و كسوتهن بالمعروف و استوصوا بالنساء خيرا فإنّهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئا، و إنكم انما أخذتموهنّ بأمانة اللّه و استحللتم فروجهنّ بكلمات اللّه فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلّغت و قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدا أمرا بيّنا كتاب اللّه و سنة نبيّه «۲»

(۳) أيها الناس اسمعوا قولى و اعقلوه تعلّمنّ أنّ كل مسلم أخ للمسلم و إنّ

---

(۱) شرحنا النسيء فى ص ۸۳ من هذا الكتاب فراجع.

(۲) لقد اوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الامة فى هذه الخطبة التاريخية بالكتاب و السنة،

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۳۷

المسلمين إخوة فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلّا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنّ أنفسكم ألا فليبلّغ شاهدكم غائبكم لا نبىّ بعدى و لا أمّة بعدكم «۱».

«ألا كل شىء من أمر الجاهليّة تحت قدمى موضوع» «۲».

و هنا قطع النبى صلّى اللّه عليه و آله خطابه، و رفع سبّابته نحو السماء (كعلامة على الشهادة) و هو ينكتها الى الناس و قال:

«اللّهم اشهد

اللّهم اشهد

اللّهم اشهد» «۳»

(۱) و لقد مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى عرفات حتى غروب اليوم التاسع، و عند ما اختفى قرص الشمس عن الافق، و اظلمّ الفضاء بعض الشىء ركب ناقته، و افاض إلى المزدلفة و امضى فيها شطرا من الليل و لم يزل واقفا من الفجر إلى طلوع الشمس فى المشعر، ثم توجّه فى اليوم العاشر إلى «منى» و أدّى مناسكها من رمى الجمار و الذبح و التقصير ثم توجّه نحو مكة لأداء بقية مناسك الحج.

و لكنه أوصى فى خطبة الغدير و فى اخريات حياته بالكتاب و العترة، و حيث ان هذين الحديثين وردا فى واقعتين فلا تنافى بينهما، لانه يصح ان يجعل النبى صلّى اللّه عليه و آله السنة عدلا للكتاب فى واقعة، و يوصى بالعترة و الخلفاء من أهل بيته فى موضع آخر و يؤكد على اتباعهم الذى هو أخذ بالسنّة أيضا.

و قد تصور بعض اعلام السنة كالشيخ محمود شلتوت فى تفسيره ان النبى صلّى اللّه عليه و آله تحدث بمثل هذا الكلام فى واقعة واحدة فقط، و لهذا جعل لفظ «عترة» فى الهامش نسخة بدل فى حين لا نحتاج الى مثل هذا التصحيح ابدا لانه لا تعارض بين النقلين أساسا ليعالج بهذه الطريقة.

(۱) الخصال: ص ۴۸۷.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۴۰۵.

(۳) امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۵۲۳ و الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۱۸۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۳۸

(۱) و هكذا علّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الناس مناسك الحج بصورة عملية، و حدّد أو أكّد على مشاعره بصورة دقيقة.

و يطلق على هذه الحجة التاريخية فى كتب التاريخ و الحديث «حجة الوداع» تارة، و «حجة البلاغ» اخرى، و «حجة الإسلام» ثالثة، و إنما يطلق كل عنوان من هذه العناوين على هذه الحجة لمناسبة لا تخفى على القارئ البصير «۱».

هذا و نلفت نظر القرّاء الكرام فى خاتمة هذا الفصل إلى أن المشهور بين المحدثين هو أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ألقى هذا الخطاب التاريخى الخالد فى يوم عرفة و لكن يذهب بعض المؤرّخين إلى أن هذه الخطبة القيت فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة، و يرى آخرون أن النبى صلّى اللّه عليه و آله خطب خطبا عديدة فى هذه الحجة مستغلا كل فرصة سانحة لابلاغ مبادئ رسالته الإلهية.

هذا و قد وقعت فى أثناء هذه الرحلة المقدسة قضايا و وقائع لطيفة و جديرة بالدرس و التأمل و التملى، و قد تركنا ذكرها هنا رعاية للاختصار «۲».

---

(۱) راجع امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۵۱۰ هذا و لعلّ الوجه فى تسمية هذه الحجة بالوداع لانها آخر حجة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و بالبلاغ هو نزول قوله تعالى «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» فى أعقابها و بالتمام و الكمال هو نزول قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي».

(۲) راجع بحار الأنوار: ج ۱ ص ۳۷۸- ۴۱۳، امتاع الاسماع: ج ۱ ص ۵۱۰- ۵۳۴.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۳۹

(۱)

۶۲ إكمال الدين الإسلامى بتعيين الخليفة

اشارة

الخلافة حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصب إلهىّ يعطى من قبل اللّه تعالى لأفضل أفراد الامة، و أصلحهم، و أعلمهم، و الفرق الواضح بين الامام و النبىّ هو: أن النبى مؤسس قواعد الشريعة، و هو الذى يوحى إليه، و ينزل عليه الكتاب من السماء، و الامام و ان كان لا يتمتع بأى واحد من هذه الشؤون إلّا أنه مضافا إلى شئون الحكومة و القيادة هو المبيّن لما جاء به رسول اللّه من الدين ممّا لم يوفق- بسبب الظروف المعاكسة او عدم الفرص المناسبة- لبيانه أو اظهاره، و ترك مهمة بيانه على عاتق اوصيائه و خلفائه.

(۲) و على هذا الاساس فان الخليفة- من وجهة نظر عقيدة الشيعة الإمامية ليس مجرد حاكم زمنىّ للمسلمين و ليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسة و الحافظ للحقوق الاجتماعية، و الحارس لثغور المسلمين و حدود بلادهم المدافع عنها، فحسب بل هو علاوة على كل ذلك الموضح لما خفى من معالم الدين، و المكمّل المبيّن لذلك الجانب من أحكام الشريعة و قوانينها الذى لم يبيّن من قبل

مؤسس الشريعة لبعض الاسباب.

أمّا الخلافة فى عقيدة أهل السنة فهى منصب عادىّ و ليس الهدف منها إلّا حفظ الكيان الظاهرى و الشؤون المادية للامة الإسلامية، و لخليفة لا ينصب إلّا باختيار الناس و انتخابهم أحدا لشغل منصب الحكم و القضاء و إدارة الامور السياسية و الاقتصادية و ما شابهها، و ذكر تفصيل ما بيّنه صاحب الشريعة من

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۴۰

الأحكام على نحو الاجمال.

(۱) و أما بيان ما لم يوفق النبى لبيانه لأسباب خاصة فهو يرتبط بعلماء الإسلام و فقهاء المسلمين فهم يعالجون ما يستجدّ للناس من مشكلات فقهية و دينية من هذا النوع عن طريق الاجتهاد، و الرأى.

و على أساس هذا الاختلاف فى الموقف من قضية الخلافة و حقيقتها و النظرة إليها انشطرت الامة الاسلامية إلى طائفتين و اتجاهين لا يزالان باقيان إلى هذا اليوم.

و بناء على النظرية الاولى يكون الامام مشاركا للنبىّ فى بعض شئونه، فيشترط فى الإمام أيضا ما يشترط فى النبى. و إليك الشرائط المعتبرة فى النبى، التى تشترط فى الإمام أيضا:

(۲) ۱- يجب أن يكون النبى معصوما، يعنى أن لا يحوم حول الإثم و المعصية طول حياته أبدا، و لا يزلّ أو يخطأ فى بيان أحكام الدين و حقائقه، و عند الاجابة على أسئلة الناس و استفساراتهم الدينية، و يشترط فى الامام ذلك أيضا، و الدليل فى الموردين واحد.

(۳) ۲- يجب أن يكون النبى أعلم الناس بالشريعة، و يجب أن لا يخفى عليه شىء من مسائل الشريعة مطلقا، و هكذا يجب أن يكون الامام اعلم الناس باحكام الدين و مسائله لكونه مكمّلا أو مبينا لما لم يبيّن من مسائل الشريعة فى زمن النبى.

(۴) ۳- إن النبوة منصب تعيينى و ليس منصبا انتخابيا، بمعنى أنّ النبى لا يكون نبيا إلّا اذا عيّنه اللّه و ابتعثه، و نصب فى مقام النبوة من جانبه سبحانه، لأنه تعالى دون سواه يميّز المعصوم عن غير المعصوم، و هو سبحانه دون غيره يعلم من بلغ درجة العصمة عن الخطأ و المعصية فى ظل العناية الربانية الغيبية الخاصة، بحيث يعرف كل تفاصيل الدين و جزئياته.

إن هذه الشرائط الثلاثة كما هى معتبرة فى النبى، كذلك هى معتبرة و مشترطة فى خليفته و القائم مقامه.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۴۱

(۱) و لكن بناء على النظرية الثانية لا يشترط أىّ شىء من هذه الشروط المعتبرة فى النبى، فى الخليفة فلا تجب العصمة، و لا العدالة، و لا يجب العلم و الاحاطة بالشريعة و لا يشترط فيه التعيين من جانب اللّه، و الارتباط بعالم الغيب، بل يكفى فى استحقاق الخلافة أن يكون الشخص قادرا فى ظلّ ذكائه، و مشورة المسلمين على حفظ الكيان الاسلامىّ، و قادرا على إقرار الأمن فى البلاد بتطبيق قوانين الشريعة الجزائية، كما و يتمكن من توسيع رقعة الأرض الاسلامية فى ظل الدعوة الى الجهاد.

و علينا الآن ان نعالج هذه المسألة (أى هل الخلافة و الامامة منصب تنصيصى أو انتخابى و هل على النبى ان يعيّن بنفسه من يخلفه، أو يوكل الامر الى الامة لتختار من تريد). و ندرسها فى ضوء المحاسبات الاجتماعية ليلمس القارئ بوضوح أنّ الأحوال و الظروف الاجتماعية كانت توجب أن يقوم النبى صلّى اللّه عليه و آله بتعيين خليفته فى حياته و يحلّ بذلك مشكلة الخلافة من بعده، و لا يوكل الأمر إلى الأمة.

و إليك توضيح هذا القسم و بيانه:

(۲)

اقتضاء المحاسبات الاجتماعية فى مسألة الخلافة:

اشارة

لا شک فی أن الدین الاسلامی دین عالمی، و شریعة خاتمة، و قد کانت قیادة الامة الاسلامیة من شئون النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله ما دام علی قید الحیاة، و کان علیه أن یوکل مقام القیادة من بعده إلی أفضل أفراد الامة و اکملهم.

إن فی هذه المسألة و هی هل أن منصب القیادة بعد النبی صلّی اللّه علیه و آله هل هو منصب تنصیصی تعیینی أو انه منصب انتخابی اتجاهین:

فالشیعة یرون أن مقام القیادة منصب تنصیصی و لا بد أن یتعیّن خلیفة النبی من جانب اللّه سبحانه.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۴۲

(۱) بینما یری أهل السنة أن هذا المنصب منصب انتخابی جمهوری، أی أن علی الامة أن تقوم بعد النبی باختیار فرد من أفرادها لادارة البلاد.

إن لکل من الاتجاهین المذکورین دلائل ذکرها أصحابهما فی الکتب العقائدیة، إلا أنّ ما یمکن طرحه هنا هو تقییم و دراسة المسألة فی ضوء دراسة و تقییم الظروف السائدة فی عصر الرسالة فان هذه الدراسة کفیلة باثبات صحة هذا الاتجاه او ذلک.

إن تقییم الأوضاع السیاسیة خارج المنطقة الاسلامیة و خارجها فی عصر الرسالة یقضی بأن خلیفة النبیّ کان لا بدّ أن یعیّن من جانب اللّه تعالی و لا یترک الأمر من دون مثل هذا التعیین الالهی، فإن المجتمع الاسلامی کان مهدّدا علی الدوام من جانب الخطر الثلاثی (الروم- إیران- المنافقون) بشنّ الهجوم الکاسح، و إلقاء بذور الفساد و الاختلاف بین المسلمین.

کما أن مصالح الامة کانت توجب أن یوحّد صفوف المسلمین فی مواجهة الخطر الخارجی و ذلک بتعیین قائد سیاسیّ من بعده، و بذلک یسدّ الطریق علی نفوذ العدوّ فی جسم الامة الاسلامیة و السیطرة علیها، و علی مقدراتها.

و إلیک بیان و توضیح هذه المطلب:

(۲) لقد کانت الامبراطوریة الرومیّة احد اضلاع المثلث الخطر الذی یحیط بالکیان الاسلامی و یتهدده من الخارج و الداخل.

و کانت هذه القوة الرهیبة تتمرکز فی شمال الجزیرة العربیة، و کانت تشغل بال النبی القائد علی الدوام حتی إن التفکیر فی امر الروم لم یغادر ذهنه و فکره حتی لحظة الوفاة، و الالتحاق بالرفیق الأعلی.

و کانت اولی مواجهة عسکریة بین المسلمین، و الجیش المسیحیّ الرومی وقعت فی السنة الهجریة الثامنة فی أرض فلسطین و قد آلت هذه المواجهة إلی مقتل القادة العسکریین البارزین الثلاثة و هم: «جعفر الطیار»، و «زید بن حارثة» و «عبد اللّه بن رواحة».

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۴۳

(۱) و لقد تسبّب انسحاب الجیش الاسلامیّ بعد مقتل القادة المذکورة إلی تزاید جرأة الجیش القیصری المسیحی فکان یخشی بصورة متزایدة أن تتعرض عاصمة الاسلام للهجوم الکاسح من قبل هذا الجیش.

من هنا خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی السنة العاشرة للهجرة علی رأس جیش کبیر جدا إلی حدود الشام لیقود بنفسه أیّة مواجهة عسکریة، و قد استطاع الجیش فی هذه الرحلة الصعبة المضنیة أن یستعید هیبته الغابرة و تجدّد حیاته السیاسیة.

غیر أنّ هذا الانتصار المحدود لم یقنع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فأعدّ قبیل مرضه جیشا کبیرا من المسلمین و أمّر علیهم «اسامة بن زید» و کلّفهم بالتوجه إلی حدود الشام، و الحضور فی تلک الجبهة.

(۲) أما الضلع الثانی من المثلّث الخطیر الذی کان یتهدد الکیان الاسلامی فکان الامبراطوریة الایرانیة (الفارسیة) و قد بلغ من غضب هذه الامبراطوریة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و معاداتها لدعوته أن أقدم امبراطور ایران «خسرو ابرویز» علی تمزیق رسالة النبی، و توجیه الاهانة الی سفیره باخراجه من بلاطه و الکتابة إلی والیه و عمیله بالیمن بان یوجه إلی المدینة من یقبض علی رسول

اللّه صلّی اللّه علیه و آله، أو یقتله ان امتنع!!

و «خسرو» هذا و إن قتل فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلّا أن موضوع استقلال الیمن- التی رزحت تحت استعمار الامبراطوریة الایرانیة ردحا طویلا- من الزمان- لم یغب عن نظر ملوک إیران آنذاک، و کان غرور اولئک الملوک و تجبّرهم، و کبریاؤهم لا یسمح بتحمّل منافسة القوة الجدیدة (القوة الاسلامیة) لهم.

(۳) و الخطر الثالث کان هو خطر حزب النفاق الذی کان یعمل بین صفوف المسلمین فی صورة الطابور الخامس، علی تقویض دعائم الکیان الاسلامی من الداخل إلی درجة أنهم قصدوا اغتیال رسول اللّه، فی طریق العودة من تبوک إلی

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۴۴

المدینة.

فقد کان بعض عناصر هذا الحزب الخطر یقول فی نفسه: ان الحرکة الاسلامیة سینتهی أمرها بموت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و رحیله و بذلک یستریح الجمیع «۱».

(۱) و لقد قام أبو سفیان بن حرب بعد وفاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمکیدة مشئومة لتوجیه ضربة الی الامة الاسلامیة من الداخل، و ذلک عند ما أتی علیا علیه السّلام و عرض علیه ان یبایعه فی مقابلة من عیّنه رجال السقیفة، لیستطیع بذلک تشطیر الامة الاسلامیة الواحدة إلی شطرین متحاربین متقاتلین فیتمکن من التصیّد فی الماء العکر.

و لکن الامام علیا علیه السّلام أدرک بذکائه البالغ نوایا أبی سفیان الخبیثة، فرفض مطلبه و قال له کاشفا عن دوافعه و نوایاه الشریرة:

«و اللّه ما أردت بهذه إلّا الفتنة و انک و اللّه طالما بغیت للإسلام شرا ...

لا حاجة لنا فی نصیحتک»!! «۲».

(۲) و لقد بلغ دور المنافقین التخریبی من الشدة بحیث تعرّض القرآن لذکرهم فی سور عدیدة هی سورة آل عمران، و النساء، و المائدة، و الانفال، و التوبة، و العنکبوت، و الاحزاب، و محمّد، و الفتح، و المجادلة، و الحدید، و المنافقین، و الحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الاعداء الخطرین و الاقویاء الذین کانوا یتربّصون بالاسلام الدوائر، و یتحیّنون الفرص للقضاء علیه یصحّ أن یترک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله امته الحدیثة العهد بالاسلام، الجدیدة التأسیس من دون ان یعیّن لهم قائدا دینیا سیاسیا.

إن المحاسبات الاجتماعیة تقول: انه کان یتوجب ان یمنع رسول الاسلام

---

(۱) الطور: ۳۰.

(۲) الکامل فی التاریخ: ج ۲ ص ۲۲۲، العقد الفرید: ج ۲ ص ۲۴۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۴۵

بتعیین قائد للامة، من ظهور أیّ اختلاف و انشقاق فیها من بعده، و ان یضمن استمرار و بقاء الوحدة الاسلامیة بایجاد حصن قوی و سیاج دفاعی متین حول تلک الامة.

(۱) إن تحصین الامة، و صیانتها من الحوادث المشؤومة، و الحیلولة دون حدوث ظاهرة مطالبة کل فریق الزعامة لنفسها دون غیرها، و بالتالی التنازع علی مسألة الخلافة و الزعامة لم یکن لیتحقق إلّا بتعیین قائد للامة، و عدم ترک الامور للقدر.

إن المحاسبة الاجتماعیة تهدینا إلی صحة نظریة «التنصیص علی القائد بعد رسول اللّه»، و لعلّ لهذا الجهة، و لجهات اخری طرح رسول الاسلام مسألة الخلافة فی الایام الاولی من میلاد الرسالة الاسلامیة و ظلّ یواصل طرحها و التذکیر بها طول حیاته حتی الساعات الأخیرة منها حیث عیّن خلیفته و نصّ علیه بالنص القاطع الواضح الصریح فی بدء دعوته، و فی نهایتها أیضا.

و إلیک بیان کلا هذین المقامین:

(٢)

١– النبوة و الامامة توأمان:

بغضّ النظر من الأدلـة العقليـة على صـحة المحاسـبة الاجتماعيـة التى تثبت حقانيـة الرأى الأـول بصورة قطيعـة هنـاك أخبار و روايات وردت فى المصادر المعتبرة تثبت صـحة الموقف و الرأى الذى ذهب إليه علماء الشيعة، و تصدقه، فقد نص النبى صلّى اللّه عليه و آله على خليفته من بعده فى الفترة النبوية من حياته مرارا و تكرارا، و اخرج موضوع الامامة من مجال الانتخاب الشعبى، و الرأى العام.

فهـو لم يعيّن (و لم ينص على) خليفته و وصـيه من بعـده فى اخريـات حيـاته فحسب، بـل بـادر إلى التعريف بخليفته و وصـيّه فى بـدء الـدعوة يوم لم ينضو تحت رايـة رسالته بعـد سوى بضع عشـرات من الاشـخاص، و ذلك يوم أمر من جانب اللّه العلى القدير أن ينذر عشيرته الاقربين من العذاب الالهى الاليم، و أن يدعوهم

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٦۴۶

إلى عقيدة التوحيد قبل ان يصدع برسالته للجميع و يبدأ دعوته العامة للناس كافة.

(١) فجمع أربعين رجلا من زعماء بنى هاشم و بنى المطلب ثم وقف فيهم خطيبا فقال:

«أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم».

فاحجم القوم، و قام علىّ عليه السّـلام، و اعلن مؤازرته و تأييده له، فاخذ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله برقبته و التفت الى الحاضرين و قال:

«إنّ هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم» «١».

و قد عرف هذا الحديث عند المفسرين و المحدثين ب: «حديث يوم الدار، و «حديث بدء الدعوة».

على أن رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله لم يكتف بـالنص على خليفته فى بـدء رسـالته، إنمـا صـرح فى مناسـبات شـتى، فى السـفر و الحضـر، بخلافه على عليه السّـلام من بعـده و لكن لا يبلغ شـىء من ذلك فى الاهميـة و الظهور و الصـراحة و الحسم ما بلغه حـديث الغدير.

(٢)

٢– قصة الغدير:

اشارة

لما انتهت مراسيم الحج، و تعلم المسلمون مناسكه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، قرّر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الرحيل عن مكة، و العودة الى المدينة، فأصدر أمرا بذلك.

و لما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ» «٢» التى تبعد عن

---

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢١۶، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ۶٢ و ۶٣ و قد مر مفصله فى هذه الدراسة فراجع.

(٢) رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة و المدينة.

سيد المرسلين ،ج٢،ص:٦۴٧

«الجحفة» «۱» بثلاثة أمیال نزل أمین الوحی جبرئیل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمنطقة تدعی «غدیر خم» و خاطبه بالآیة التالیة: «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ» «۲».

(۱) إن لسان الآیة و ظاهرها یکشف عن أن اللّه تعالی ألقی علی عاتق النبی صلّی اللّه علیه و آله مسئولیة القیام بمهمة خطیرة، و أی أمر اکثر خطورة من أن ینصب علیا علیه السّلام لمقام الخلافة من بعده علی مرأی و مسمع من مائة ألف شاهد.

من هنا أصدر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أمره بالتوقّف، فتوقفت طلائع ذلک الموکب العظیم، و التحق بهم من تأخّر.

لقد کان الوقت وقت الظهیرة، و کان الجو حارا الی درجة کبیرة جدا، و کان الشخص یضع قسما من عباءته فوق رأسه و القسم الآخر منها تحت قدمیه، و صنع للنبی صلّی اللّه علیه و آله مظلة و کانت عبارة عن عباءة القیت علی أغصان شجرة، (سمرة) و صلّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالحاضرین الظهر جماعة، و فیما کان الناس قد احاطوا به صعد صلّی اللّه علیه و آله علی منبر اعدّ من أحداج الإبل و أقتابها، و خطب فی الناس رافعا صوته و هو یقول:

(۲) «الحمد للّه و نستعینه و نؤمن به و نتوکّل علیه و نعوذ به من شرور أنفسنا و من سیئات أعمالنا، الذی لا هادی لمن ضلّ و لا مضلّ لمن هدی و أشهد ان لا إله إلّا هو و أن محمّدا عبده و رسوله.

أمّا بعد، أیّها الناس قد نبّأنی اللطیف الخبیر أنّه لم یعمّر نبی إلّا مثل نصف الذی قبله، و إنی أوشک أن ادعی فأجیب و أنی مسئول و انتم مسئولون فما ذا انتم قائلون؟

---

(۱) من مواقیت الاحرام و تنشعب منها طرق المدنیین و المصریین و العراقیین.

(۲) المائدة: ۶۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۴۸

قالوا: نشهد أنّک قد بلّغت و نصحت و جهدت فجزاک اللّه خیرا (۱) قال صلّی اللّه علیه و آله:

«ألستم تشهدون أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمّدا عبده و رسوله و أنّ جنّته حق و أنّ الساعة آتیة لا ریب فیها و أنّ اللّه یبعث من فی القبور»؟

قالوا: بلی نشهد بذلک.

قال صلّی اللّه علیه و آله:

«اللّهمّ اشهد».

ثم قال صلّی اللّه علیه و آله:

«إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا أبدأ».

فنادی مناد: بأبی أنت و أمّی یا رسول اللّه، و ما الثقلان؟

فقال صلّی اللّه علیه و آله:

«کتاب اللّه سبب طرف بید اللّه و طرف بأیدیکم فتمسکوا به و الآخر عترتی و إنّ اللطیف الخبیر نبّأنی أنّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض فلا تقدموهما فتهلکوا و لا تقصّروا عنهما فتهلکوا».

(۲) و هنا أخذ بید «علیّ» علیه السّلام و رفعها حتی رؤی بیاض آباطهما و عرفه الناس اجمعون ثم قال:

«أیّها الناس من أولی الناس بالمؤمنین من انفسهم؟».

قالوا: اللّه و رسوله أعلم.

فقال صلّی اللّه علیه و آله:

«إن اللّه مولای و أنا مولی المؤمنین و أنا أولی بهم من أنفسهم فمن کنت مولاه فعلیّ مولاه «۱»، اللّهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه و انصر من نصره، و اخذل من خذله و احب من احبه و ابغض من ابغضه و ادر الحق معه حیث دار» «۲».

(۱) لقد کرر النبی صلّی اللّه علیه و آله هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لأی التباس أو اشتباه.

(۲) راجع للوقوف الکامل علی مصادر هذا الحدیث المتواتر موسوعة الغدیر للعلامة الامینی.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۴۹

(۱)

واقعة الغدیر خالدة الی الأبد:

لقد تعلّقت المشیئة الربانیة بأن تبقی واقعة الغدیر التاریخیة فی جمیع القرون و العصور کتاریخ حیّ یجتذب القلوب و الافئدة، و یکتب عنه الکتّاب الاسلامیون فی کل عصر و زمان و یتحدثون حوله فی مؤلفاتهم المتنوعة فی مجال التفسیر و التاریخ و الحدیث و العقائد، کما یتحدث حوله الخطباء فی مجالس الوعظ و من فوق صهوات المنابر، و یعتبرونها من فضائل الإمام «علی» الذی لا یتطرق إلیها أی شک أو ریب.

و لم یقتصر هذا علی الکتّاب و الخطباء بل استلهم الشعراء من هذه الواقعة الکبری التی فجرت بالتفکیر حول هذه الحادثة، و بالاخلاص لصاحب الولایة ینابیع التعبیر فی وجودهم فأنشئوا أروع القصائد، و جادت قرائحهم بأنواع مختلفة من القصید الجمیل، و خلّفوا لمن بعدهم و بلغات مختلفة آثارا أدبیة ولائیة خالدة.

(۲) و لهذا قلّما نجد حادثة تاریخیة حظیت فی العالم البشری عامة و فی التاریخ الاسلامی و الامة الاسلامیة خاصة بمثل ما حظیت به واقعة الغدیر، و قلما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدّثین و المفسرین و الکلامیین و الفلاسفة، و الشعراء و الأدباء، و الکتّاب و الخطباء، و ارباب السیر و المؤرخین کما استقطبت هذه الحادثة، و قلّما اعتنوا بشیء مثلها اعتنوا بها.

إن من أسباب خلود هذه الواقعة الکبری و دوام هذا الحدیث هو: نزول آیتین من آیات القرآن الکریم فیها «۱»، فما دام القرآن الکریم باقیا مستمرا یتلی آناء اللیل و أطراف النهار تبقی هذه الحادثة فی الاذهان و النفوس و لا تمحو خاطرتها من العقول و القلوب.

(۱) المائدة: ۶۷ و ۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۰

(۱) و حیث أن المجتمع الاسلامیّ فی العصور الغابرة و کذا الطائفة الشیعیة کانوا یعتبرون هذا الیوم عیدا کبیرا من الأعیاد الدینیة، و کانوا یقیمون فیها ما یقیمونه من المراسیم فی الاعیاد الاسلامیة لهذا فان هذه الحادثة التاریخیة (حادثة الغدیر) قد اتخذت طابع الابدیّة و الخلود الذی لا تمحی معه خاطرتها من الأذهان و الخواطر.

هذا و یستفاد من مراجعة التاریخ بوضوح أن الیوم الثامن عشر من شهر ذی الحجة الحرام کان معروفا بین المسلمین بیوم عید الغدیر و کانت هذه التسمیة تخطی بشهرة کبیرة إلی درجة أن ابن خلّکان یقول حول «المستعلی بن المستنصر»: فبویع فی یوم غدیر خمّ و هو الثامن عشر من شهر ذی الحجة سنة ۴۸۷ «۱».

(۲) و قال فی ترجمة المستنصر باللّه العبیدی: و توفی لیلة الخمیس لا- ثنتی عشرة لیلة بقیت من ذی الحجة سنة سبع و ثمانین و اربعمائة، قلت: و هذه هی لیلة عید الغدیر اعنی لیلة الثامن عشر من شهر ذی الحجة و هو غدیر خم «۲».

و قد عدّه ابو ریحان البیرونی فی کتابه «الآثار الباقیة» ممّا استعمله أهل الاسلام من الأعیاد «۳».

و لیس ابن خلّکان و ابو ریحان البیرونی، هما الوحیدان اللذان صرّحا بکون هذا الیوم هو عید من الاعیاد، بل هذا الثعالبیّ قد اعتبر هو الآخر لیلة الغدیر من اللیالی المعروفة بین المسلمین «۴».

إن عهد هذا العید الاسلامی و جذوره ترجع إلی نفس یوم «الغدیر» لأن النبی صلّی اللّه علیه و آله أمر المهاجرین و الانصار بل أمر زوجاته و نساءه فی ذلک

---

(۱) وفیات الأعیان: ج ۱ ص ۶۰.

(۲) وفیات الأعیان: ج ۱ ص ۶۰.

(۳) ترجمة الآثار الباقیة: ص ۳۹۵ الغدیر: ج ۱ ص ۲۶۷.

(۴) ثمار القلوب: ص ۵۱۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۱

الیوم بالدخول علی «علیّ» علیه السّلام و تهنئته بهذه الفضیلة الکبری.

یقول زید بن ارقم: کان أول من صافق النبی صلّی اللّه علیه و آله و علیا:

أبو بکر و عمر و عثمان و طلحة و الزبیر و باقی المهاجرین و الانصار و باقی الناس «۱».

(۱)

الدلائل الاخری علی أبدیّة الغدیر:

و یکفی فی أهمیّة هذا الحدث التاریخی أنّ هذه الواقعة التاریخیة رواها مائة و عشرة صحابیّ، علی أن هذه العبارة لا تعنی أنّ روایة هذه الواقعة اقتصرت علی هؤلاء المائة و العشرة من ذلک الحشد الهائل بل یعنی أن هؤلاء جاء ذکرهم فی کتب أهل السنّة و مصنفاتهم.

صحیح أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ألقی خطابه المذکور الذی تضمّن نصب علیّ علیه السّلام للخلافة فی مائة الف او یزیدون من الناس و لکن کثیرا منهم کانوا قد أتوا من مناطق نائیة من الحجاز و لهذا لم یروعنهم هذا الحدیث، کما ان کثیرا من الذین حضروا ذلک المشهد التاریخی العظیم رووا و نقلوا للآخرین هذا الحدیث و لکن التاریخ لم یوفق لذکر أسمائهم، أو إذا تمّ ذلک لکن لم یصل إلینا.

(۲) ثم إنّه روی هذا الحدیث فی القرن الثانی الاسلامیّ و هو عصر التابعین تسعة و ثمانون تابعیا.

و قد بلغ عدد من روی حدیث «الغدیر» فی القرون اللاحقة فی کتابه من علماء أهل السنة و فضلائهم ثلاثمائة و ستون شخصا، و صحّحه جمع کبیر منهم و اعترفوا بتواتره.

ففی القرن الثالث رواه اثنان و تسعون عالما.

و فی القرن الرابع رواه أربعة و اربعون.

---

(۱) راجع مصدره فی الغدیر: ج ۱ ص ۲۷۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۲

و فی القرن الخامس رواه أربعة و عشرون.

و فی القرن السادس رواه عشرون.

و فی القرن السابع رواه واحد و عشرون.

و فی القرن الثامن رواه ثمانیة عشر.

و فی القرن التاسع رواه ستة عشر.

و فی القرن العاشر رواه أربعة عشر.

و فی القرن الحادی عشر رواه اثنا عشر.

و فی القرن الثانی عشر رواه ثلاثة عشر.

و فی القرن الثالث عشر رواه اثنا عشر.

و فی القرن الرابع عشر رواه عشرون عالما.

(۱) و لم یکتف البعض بنقل و روایة هذا الحدیث فی کتبهم و مؤلّفاتهم بل ألّفوا حوله رسائل أو کتبا مستقلة.

و قد ألّف المؤرخ الاسلامی الکبیر «الطبری» کتابا فی هذا المجال أسماه «الولایة فی طرق حدیث الغدیر» روی فیه هذا الحدیث عن النبی بخمس و سبعین سندا.

و لقد روی «ابن عقدة» فی رسالة «الولایة» هذا الحدیث بمائة و خمسین حدیثا.

و روی أبو بکر محمّد بن عمر البغدادی المعروف بالجمعانی هذا الحدیث بخمس و عشرین سندا.

کما روی من علماء الحدیث هذه الواقعة نظراء:

أحمد بن حنبل الشیبانی ب ۴۰ سندا

ابن حجر العسقلانی ب ۲۵ سندا

الجزری الشافعی ب ۸۰ سندا

أبو سعید السجستانی ب ۱۲۰ سندا

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۳

الأمیر محمّد الیمنی ب ۴۰

النسائی ب ۲۵۰ سندا

أبو العلاء الهمدانی ب ۱۰۰ سندا

أبو العرفان الحبان ب ۳۰ سندا

(۱) و بلغ عدد من ألّف رسالة خاصة أو کتابا مستقلا حول هذه الواقعة و خصوصیاتها و تفاصیلها ۲۶ شخصا و لعلّ هناک غیرهم ممن ألّف کتابا أو رسالة مستقلّة حول هذه الحدث التاریخی الهامّ لم یذکر التاریخ أسماءهم، أو ضاعت مؤلفاتهم مع التطورات التی طرأت علی الامة الإسلامیة و ضیّعت الکثیر من تراثها الفکریّ خلال عملیات الاغارة و النهب أو الهدم و الإحراق (و لقد اقتبسنا کل هذه الاحصاءات من کتاب الغدیر الجزء الاول).

و لقد کتب علماء الشیعة کتبا قیمة حول هذه الواقعة أجمعها و اشملها کتاب «الغدیر» بقلم العلامة الجلیل و الکاتب الاسلامی القدیر المرحوم آیة اللّه الشیخ الأمینی رحمه اللّه، و الذی یقع فی أحد عشر مجلدا فی ما یقرب من ستة آلاف صفحة، و قد استفدنا کثیرا من تلک الموسوعة فی تنظیم الفصل الحاضر.

(۲) ثم ان النبی صلّی اللّه علیه و آله لم یلبث ان نزل علیه قوله تعالی بعد نصبه علیا لإمرة المسلمین فی تلک الواقعة:

«الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً» «۱».

فکبّر النبی صلّی اللّه علیه و آله بصوت عال ثم أضاف قائلا:

«الحمد للّه علی إکمال الدین و إتمام النعمة و رضی الربّ برسالتی، و ولایة علیّ بن أبی طالب من بعدی».

ثم نزل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من ذلک المنبر المصنوع من حدائج

---

(۱) المائدة: ۱ و ۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۴

الابل و أمر امیر المؤمنین علیّا علیه السّلام أن یجلس فی خیمة و أمر أطباق الناس و کلّ من حضر المشهد من امته و منهم الشیخان و مشیخة قریش و وجوه الأنصار کما أمر امّهات المؤمنین بالدخول علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و تهنئته علی تنصیبه لمنصب الامامة و الخلافة بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

ففعل الناس ذلک و انکبّوا علی «علی» علیه السّلام بایدیهم و کان أول من صافق و هنأ علیّا أبو بکر و عمر واصفین إیاه بالولایة.

(۱) و هنا قام «حسان بن ثابت الأنصاری» شاعر الاسلام و استأذن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أن ینشد شعرا بهذه المناسبة، فأذن له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قائلا: قل علی برکة اللّه.

فقام حسان و قال:

ینادیهم یوم الغدیر نبیهم‌بخم و أسمع بالنبیّ منادیا

و قد جاءه جبریل عن أمر ربّه‌بأنّک معصوم فلا تک وانیا

و بلّغهم ما انزل اللّه ربهم‌إلیک و لا تخشی هناک الأعادیا

فقام به إذ ذاک رافع کفّه‌بکف علیّ معلن الصوت عالیا

فقال فمن مولاکم و ولیّکم‌فقالوا و لم یبدوا هناک تعامیا

إلهک مولانا و أنت ولیّناو لن تجدن فینا لک الیوم عاصیا

فقال له: قم یا علیّ فإننی‌رضیتک من بعدی إماما و هادیا

فمن کنت مولاه فهذا ولیّه‌فکونوا له أنصار صدق موالیا

هناک دعا اللّهم وال ولیّه‌و کن للذی عادی علیّا معادیا

فیا ربّ انصر ناصریه لنصرهم‌امام هدی کالبدر یجلو الدیاجیا (۲) و لقد کان هذا الحدیث علی مدی التاریخ الاسلامی اکبر دلیل علی أفضلیة علی علیه السّلام علی جمیع صحابة النبی صلّی اللّه علیه و آله کافة، حتی أن أمیر المؤمنین علیا علیه السّلام احتج به مرارا فقد احتج به فی مجلس الشوری الذی عقد لتعیین الخلیفة عقیب وفاة الخلیفة الثانی، و فی أیام خلافة عثمان و فی أیام

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۵

خلافته علیه السّلام أیضا، کما أن شخصیات کثیرة من وجوه المسلمین احتجوا به علی منکری حق علیّ و أفضلیته و کان ذلک دأبهم دائما و أبدا.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۶

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

۶۳ (۱) ۱- المتنبئون کذبا «۱» [أدعیاء النبوة] ۲- التفکیر فی أمر الروم

اشارة

بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفة فى «غدير خم» انفصلت جموع الحجيج المشاركة فى مراسم «حجة الوداع» من الوافدين من الشام و مصر، عن النبى صلّى اللّه عليه و آله فى أرض الجحفة و الذين شاركوا فى هذه المراسم من «حضرموت» و «اليمن» انفصلوا عنه فى هذه النقطة أو فى نقطة سابقة و قفلوا راجعين إلى أوطانهم.

و لكنّ العشرة آلاف الذين خرجوا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عادوا مع النبى صلّى اللّه عليه و آله إلى المدينة، و وصلوها قبل أن تأتى السنة العاشرة من الهجرة على نهايتها.

(۲) كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و المسلمون فرحين جدا لانتشار الاسلام فى شتى نقاط الجزيرة العربية، و لانتهاء عهد الحاكمية الوثنيّة و الشرك فى كل مناطق الحجاز، و بالتالى لزوال جميع الموانع و العراقيل التى كانت تحول دون نفوذ الإسلام، و انضواء الناس تحت لوائه المبارك.

لم يكن شهر ذى الحجة من السنة العاشرة قد انتهت بعد يوم قدم نفران من «اليمامة» المدينة، و سلّما كتابا من «مسيلمة» الذى عرف فيما بعد ب «مسيلمة

---

(۱) كانت مراسلة مسيلمة للنبى صلّى اللّه عليه و آله فى نهايات السنة الهجرية العاشرة و كذا ادعاء الاسود العنسى للنبوة، و قد دمجنا ذكرهما فى حوادث الفصل الثالث و الستين تقليلا لفصول هذا الكتاب.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۵۷

الكذّاب» إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

ففتح أحد كتاب النبى صلّى اللّه عليه و آله الرسالة و قرأها عليه فكان مضمونها ان شخصا باليمامة يدعى «مسيلمة» يدّعى النبوة و يشرك نفسه مع رسول الإسلام فى أمر الرسالة، و يريد من خلال كتابه أن يبلغ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بذلك، و يعرّفه بنبوته.

(۱) و قد اثبتت كتب السير و التواريخ الاسلامية نصّ الكتاب المذكور.

و يوحى اسلوب الرسالة المذكورة بأنّ صاحبها اراد تقليد الاسلوب القرآنى فى البيان و التعبير و لكن محاولته باءت بالفشل فلم يستطع تقليده، و اتى بعبارات خاوية خالية من روح، يفوقها الكلام العادى فى القوة بدرجات.

فلقد كتب «مسيلمة» فى كتابه هذا: «۱».

أما بعد، فانى قد اشركت فى الأمر معك، و ان لنا نصف الأرض، و لقريش نصف الارض، و لكنّ قريشا قوما يعتدون.

و لما وقف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على مضمون الرسالة، التفت إلى من حملها إليه و قال: «أما و اللّه لو لا أنّ الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما لأنكما أسلمتما من قبل و قبلتما برسالتى فلم اتبعتما هذا الاحمق و تركتما دينكما».

(۲) ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أملى على كاتبه كتابا إلى مسيلمة قصير المحتوى، مفحم المفاد. و إليك نصّ رسالة النبى صلّى اللّه عليه و آله:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم.

من محمّد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذّاب السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فانّ الارض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين» «۲».

---

(۱) و من شدة جهله أنه لم يبدأ كتابه باسم اللّه، بل و لم يفعل ما فعله حتى المشركون فى العهد الجاهلىّ.

(۲) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۰۰ و ۶۰۱ و تكفى مقارنة بين نص الكتابين فى معرفة حقيقة الشخصين.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۵۸

(۱)

لمحة عابرة عن هویة مسیلمة:

کان مسیلمة من الأشخاص الذین وفدوا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی المدینة فی السنة العاشرة من الهجرة و أسلم فی من اسلم، و لکنه بعد أن عاد إلی موطنه ادّعی النبوة، و أجابه طائفة من السذّج و البسطاء، و ربما من المتعصبین من قومه. و لم یکن نجاح دعوته الباطلة فی «الیمامة» دلیلا علی شخصیته الواقعیة، بل التفّ حوله فریق ممن تبعه تعصبا و حمیة مع أنهم علموا بکذبه، و زیف دعوته إذ کانوا یقولون: «کذّاب ربیعة أحب إلینا من صادق مضر» و قد قال هذه العبارة أحد اتباعه لما سأل مسیلمة ذات مرة: من یأتیک؟ قال: رحمان، قال: أ فی نور أو فی ظلمة؟ فقال: فی ظلمة، فقال أشهد أنّک کذاب و أن محمّدا صادق و لکن کذّاب ربیعة احبّ إلینا من صادق مضر «۱».

إن من المسلّم أنّ الرجل قد ادعی النبوّة، و تبعه علی ذلک فریق من قومه، و لکنه لم یثبت قط أنه تصدّی لمعارضة القرآن، و ما اثر عنه- فی النصوص التاریخیة- من عبارات و جمل فی معارضة القرآن لا یمکن أن تکون من کلام رجل فصیح کمسیلمة لأن عباراته العادیة و احادیثه الأخری فی غایة البلاغة و الإتقان، فکیف تصدر منه هذه العبارات الضعیفة.

(۲) و لهذا یمکن القول بأن ما نقل عنه- علی غرار ما نقل عن معاصره «الاسود بن کعب العنسی» الذی ادعی النبوة معه فی الیمن- إنما هی امور نسبت إلیه، و الصقت به الصاقا لاسباب خاصّة لان عظمة القرآن و بلاغته الفائقة فی حدّ لا یجرأ معها أحد علی التفکیر فی معارضة القرآن و مقابلته، و یعلم کل عربیّ بحکم فطرته الالهیة أنّ هذا الاسلوب الجذّاب و أنّ عظمة المعانی القرآنیة و سمّوها تجعل القرآن الکریم فوق حدود الطاقة البشریة، فکیف یحاول أحد معارضته و مقابلته.

---

(۱) تاریخ الطبری: ج ۲ ص ۵۰۸ و یقصد بالاول مسیلمة و بالثانی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۵۹

(۱) ثم ان مواجهة المرتدین من العرب کان أول ما قام به الخلفاء بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لهذا حوصرت منطقة «مسیلمة» من قبل جنود الاسلام، و ضیّق علیه الحصار شیئا فشیئا، حتی اذا اتضحت هزیمة ذلک الکذاب، قال له بعض اتباعه السذج: أین ما کنت تعدنا (من النصر الالهی) فقال مسیلمة: أما الدین فلا، قاتلوا عن أحسابکم.

و لکن الدفاع عن الاحساب و الکرامة لم یجد مسیلمة و لا اتباعه شیئا، فقد قتل هو و فریق منهم فی بستان علی أیدی المسلمین، و انتهت بذلک خرافة نبوته المدّعاة «۱».

إن هذه العبارة القصیرة تکشف عن انه کان رجلا- فصیحا و ناطقا بلیغا، کما انها تفید انه لم یکن صاحب تلک العبارات الباردة الخاویة التی نسبت إلیه- فی التاریخ و السیرة- فی معارضة القرآن الکریم.

(۲)

التفکیر فی أمر الروم:

مع أن ظهور مثل هؤلاء المتنبئین الکذبة فی شتی مناطق الحجاز کان خطرا علی وحدة أهلها الدینیة، فان التفکیر فی أمر الروم الذین کانت الشامات و فلسطین من مستعمراتهم آنذاک- کان یستأثر باهتمام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اکثر من غیره لأنه کان یعلم بأنّ القادة اللائقین فی الیمامة و الیمن قادرین علی مواجهة المتنبئین، و لهذا قضی علی «الاسود العنسی» و هو رجل آخر ادّعی النبوة

كذبا فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ذلك بعد يوم من وفاة النبى على والى اليمن.

لقد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله متيقنا و واثقا من أن الدولة الرومية التى تلاحظ اتساع رقعة النفوذ الاسلامى الصاعد، و التى رأت كيف أن رسول

---

(۱) تاريخ الطبرى: ج ۲ ص ۵۱۴- ۵۱۶. سيد المرسلين ج۲ ۶۶۰ التفكير فى أمر الروم: ..... ص : ۶۵۹

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۶۰

الاسلام استطاع أن يقتلع جذور اليهودية من الحجاز، و فرض الجزية على فريق النصارى يدفعونها للحكومة الاسلامية، غاضبة لذلك اشدّ الغضب.

(۱) لقد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله منذ أمد بعيد يعتبر خطر الروم خطرا جديّا لا يمكن التغاضى عنه و احتقاره، و لهذا السبب نفسه وجه فى السنة الثامنة من الهجرة جيشا كبيرا قوامه ثلاثة آلاف بقيادة «جعفر بن أبى طالب» و «زيد بن حارثة» و «عبد اللّه بن رواحة» إلى تخوم الشام حيث يسيطر الروم، و قد استشهد فى هذه المعركة القادة الثلاثة، و قفل الجيش الاسلامى راجعا إلى المدينة من دون انتصارات بتدبير من خالد بن الوليد.

و فى السنة التاسعة عند ما بلغه نبأ استعداد الروم لمهاجمة الحجاز و هو آنذاك فى المدينة خرج صلّى اللّه عليه و آله بشخصه على رأس جيشه قوامه ثلاثون ألفا إلى تبوك، و عاد من دون مواجهة إلى المدينة.

(۲) و لهذا كان هذا الخطر جديا فى نظر النبى صلّى اللّه عليه و آله.

و من هنا فانه صلّى اللّه عليه و آله لما عاد من «حجة الوداع» الى المدينة هيّأ جيشا من المهاجرين و الانصار اشرك فيه اشخاصا معروفين بارزين مثل أبى بكر و عمر و أبى عبيدة و سعد بن الوقاص و. و. و أمر بأن يشارك فيه كل من هاجر إلى المدينة خاصة «۱».

ثم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لتحريك مشاعر المجاهدين عقد بيده «۲» لواء لأسامة بن زيد الذى أمّره على ذلك الجيش. و قال له:

---

(۱) السيرة النبوية: ج ۲ ص ۶۴۲، النص و الاجتهاد: ص ۱۲.

(۲) يذهب كتّاب السنّة إلى أن النبى عقد اللواء المذكور فى ۲۶ صفر، و حيث أن وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله حسب روايتهم كانت فى ۱۲ ربيع الاول لهذا فان من الممكن ان تقع الحوادث التى سيأتى ذكرها مستقبلا تدريجا فى مدة ۱۶ يوما، و لكن حيث أن الشيعة يرون تبعا لما رواه عترة النبى أن وفاة النبى صلّى اللّه عليه و آله كانت فى ۲۸ صفر لهذا يجب أن يكون عقد اللواء قد تمّ قبل ۲۶ صفر بمدة ليمكن وقوع كل هذه الحوادث الكثيرة فى هذه المدة.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۶۱

«سر الى موضع قتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحا و شنّ الغارة على أهل ابنى» «۱».

فاعطى «اسامة» اللواء الى «بريدة» و عسكر بالجرف «۲» ليلتحق به جنود الاسلام أفواجا أفواجا، و ليتحرك الجميع فى وقت واحد.

(۱) لقد اختار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لقيادة هذا الجيش شابا فى مقتبل العمر، و أمّره على طائفة كبيرة من شيوخ الانصار و المهاجرين، و لقد أراد صلّى اللّه عليه و آله من فعله هذا أمرين:

أولا: أن يجبر- من خلال ذلك- ما لحق من المصيبة باسامة بسبب مقتل والده «زيد بن حارثة» الذى استشهد فى معركة مؤتة مع الروم، و ليرفع من شخصيته.

ثانيا: أراد أن يؤكد قانونه فى مجال التوصيف و توزيع المناصب و المسئوليات و يجعل ذلك على اساس الكفاءة و الشخصية القيادية

ان المناصب و المسئولیات الاجتماعیة لا تحتاج إلی غیر الکفاءات و الموهّلات و لا ترتبط بحال بالعمر و السن. لقد فعل النبی ذلک حتی یهیّی الشباب الذین یتمتعون بالموهّلات الکافیة لتسلّم المسئولیات الاجتماعیة الثقیلة و یحلموا أن المناصب و المهامّ- فی النظام الاسلامی- ترتبط ارتباطا مباشرا بالکفاءة و المؤهلات القیادیة، لا العمر و السنّ.

(۲) ثم ان الاسلام الواقعی هو الانضباطیة الشدیدة و الانقیاد الکامل تجاه التعالیم الالهیة السامیة، و المسلم الحقیقی هو من ینقاد لتعالیم اللّه تعالی و اوامره تعالیمه و یقبل بها من کل قلبه کجندی فی ساحة القتال، سواء أ کانت له فیها نفع أم لا، و سواء أ کانت تضرّ به أم لا، و سواء أ کانت مطابقة لأهوائه و مطامحه أم لا.

---

(۱) «ابنی» من مناطق البلقاء و تقع فی الأراضی السوریة و قرب مؤتة بین «عسقلان» و «الرملة».

(۲) منطقة واسعة علی بعد ثلاثة أمیال مدینة من جانب الشام.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۲

(۱) و لقد بیّن الامام علی علیه السّلام حقیقة الاسلام فی عبارة موجزة و لکن بلیغة و معبرة اذ قال: «الاسلام هو التسلیم» «۱».

إن الذین یؤمنون ببعض تعالیم الاسلام دون بعض، کلما واجهوا ما لا یوافق اهواءهم الباطنیة منها اعترضوا علیه و حاولوا التملّص من المشارکة فی تنفیذه بشتی المعاذیر و الحجج.

لا شک أن هذا الفریق یفتقر إلی روح الانضباطیة، و التسلیم الواقعیّ و الانقیاد الکامل الذی یمثل روح الاسلام و أساسه.

لقد کان تأمیر قائد شاب یدعی «اسامة بن زید» الذی لم یکن یتجاوز یومذاک- العشرین عاما «۲» شاهد صدق علی ما نقول، لأنّ تأمیره علی لفیف من الصحابة یکبرون عنه فی العمر أضعافا شقّ علی البعض، لأنهم اعترضوا علی الاجراء، و طعنوا فی اسامة، و اطلقوا عبارات تکشف جمیعها عن افتقارهم لروح الانقیاد و الطاعة و التسلیم الذی یجب أن یتحلی بها الجندی المسلم تجاه قائد الاسلام الأعلی (النبی)، و اوامره و تعییناته.

و لقد کان محور کلامهم هو أن النبی أمّر شابا صغیر السنّ علی شیوخ من الصحابة «۳».

(۲) و لکنهم غفلوا عن المصالح و الأهداف التی توخّاها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من هذا الإجراء، و کانوا یقدّرون کل عمل بعقولهم الضیقة المحدودة، و یقیسونه بمقاییسهم الشخصیة.

فرغم أنهم لمسوا من قریب کیف أن النبی صلّی اللّه علیه و آله کان یحرص علی تعبئة هذا الجیش و بعثه، و لکن عناصر مشبوهة أخّرت حرکة الجیش المذکور

---

(۱) نهج البلاغة: قصار الحکم ۱۲۵.

(۲) ذهب البعض مثل السیرة الحلبیة إلی انه کان فی السابعة عشرة من عمره و ذهب آخرون إلی انه کان فی الثامنة عشرة من عمره. المهم انهم اتفقوا علی انه لم یتجاوز العشرین سنة.

(۳) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۹۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۳

من معسکر «الجرف» و توجهه إلی النقطة المطلوبة، و کانت تسعی لعرقلة هذه المهمة.

(۱) و بعد یوم من عقد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله اللواء لاسامة تمرّض صلّی اللّه علیه و آله بشدة و أصابه صداع شدید ترکه طریح الفراش و استمر هذا المرض عدة أیام حتی قضی صلوات اللّه علیه.

و قد علم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مرضه أنّ هناک من تخلّف عن جیش اسامة و أن هناک من یعرقل توجّهه نحو المنطقة

التی عیّنها، و أن هناک بالتالی من یطعن فی اسامهٔ فغضب صلّی اللّه علیه و آله لذلک غضبا شدیدا، و خرج و هو یلتحف قطیفهٔ، و قد عصّب جبهته بعصابـهٔ إلی مسـجده لیتحـدث إلی المسـلمین من قریب، و یحذّرهم من مغبّهٔ هذا التخلّف، فصـعد المنبر علی ما هو علیه من حمّی شدیدهٔ و بعد أن حمد اللّه و اثنی علیه قال:

«أمّا بعـد أیّها الناس فما مقالهٔ بلغتنی عن بعضـکم فی تأمیری اسامهٔ، و لئن طعنتم فی إمارتی اسامهٔ لقد طعنتم فی إمارتی أباه من قبله و أیم اللّه کان للإمارهٔ خلیقا و إن ابنه من بعده لخلیق للإمارهٔ، و إن کان لمن أحبّ الناس إلیّ و انّهما لمخیلان لکل خیر، و اسـتوصوا به خیرا فانه من خیارکم».

(۲) ثم نزل صلّی اللّه علیه و آله و دخل بیته و اشتدت به الحمی، فجعل یقول لمن یعوده من أصحابه:

«أنفذوا بعث اسامهٔ» «۱».

و لقد بلغ من إصرار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی بعث جیش اسامهٔ انه کان یقول و هو فی فراش المرض:

«جهزوا جیش اسامهٔ، لعن اللّه من تخلّف عنه» «۲».

و قد تسببت هذه التاکیدات فی أن یحضر جماعهٔ من المهاجرین و الأنصار

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۹۰.

(۲) الملل و النحل: ج ۱ المقدمهٔ الرابعهٔ ص ۲۳.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۴

عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله للتودیع و الخروج عن المدینهٔ تلقائیا و الالتحاق بجیش اسامهٔ فی معسکره بالجرف.

(۱) و فیما کان اسامهٔ یتهیّأ للتوجه بجیشه إلی حیث أمر الرسول الکریم صـلّی اللّه علیه و آله بلغ بعض الصـحابهٔ الحاضرین فی الجیش انباء عن تدهور صـحهٔ النبی صـلّی اللّه علیه و آله فتسـببت فی عدولهم عن الحرکهٔ حتی کان یوم الاثنین، فحضر اسامهٔ عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لیودّعه فرأی آثار التحسن بادیهٔ علی ملامح النبی صلّی اللّه علیه و آله.

فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حاثا اياه علی المبادرهٔ و المسارعهٔ فی الخروج:

«اغد علی برکهٔ اللّه» «۱».

(۲) فعاد اسامهٔ إلی المعسکر و أمر بالتحرک فورا، و لکن الجیش لم یکن قد غادر «الجرف» بعد، حتی جاء نبأ من المدینهٔ بأن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یحتضـر، فعمد من کانوا یبحثون عن حجهٔ للتخلف عن جیش اسامهٔ، و الذین حاولوا خلال سـتهٔ عشر یوما أن یعرقلوا توجهه بشتی المعاذیر و الحجـج إلی التوسل هـذه المرهٔ بقضـیهٔ احتضار النبی صـلّی اللّه علیه و آله و عادوا إلی المدینهٔ فورا، و عاد الجیش برمته هو الآخر إلی المدینهٔ متجاهلین- جمیعا- أوامر النبی صلّی اللّه علیه و آله بالخروج.

و لم یتحقق أحـد آمال النبی الاکرم صـلّی اللّه علیه و آله فی أیام حیاته بسـبب اللاانضـباطیهٔ التی ابداها فریق من شـیوخ القوم و اعیان الجیش.

(۳)

الاعذار غیر المقبولهٔ:

إن خطأ کبیرا کهذا ارتکبه بعض من تسلّم أمور الخلافهٔ بعد رسول اللّه

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۱۹۰.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۵

صلّى اللّه عليه و آله و سموا أنفسهم خلفاء النبى لا يمكن أن يبرّر أبدا.

و لقد أراد بعض علماء السنة أن يبرّروا هذا التخلف بطرق و وجوه مختلفة إلّا أنهم عجزوا- رغم ذلك- أن يخرجوا عذرا مقبولا و دليلا مرضيا لأولئك المتخلفين عن جيش اسامة.

و للاطلاع على ما نحت لذلك من أعذار سقيمة راجع «المراجعات» «۱».

و «النص و الاجتهاد» «۲».

(۱)

الاستغفار لأهل البقيع:

كتب فريق من اصحاب السيرة ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله خرج فى الليلة التى توفى فى صبيحتها مع أبى مويهبة خادمه إلى البقيع مع ما كان عليه من شدة الحمّى و الوجع ليستغفر لأهل البقيع «۳».

و لكن المؤرخين الشيعة يرون أن النبى صلّى اللّه عليه و آله يوم أحس بالوجع اخذ بيد «علىّ» عليه السّلام و خرج معه إلى البقيع و خرج خلفه جماعة فقال لمن خرج معه:

«إنّى امرت أن استغفر لأهل البقيع».

و عند ما جاء البقيع سلّم على أهل القبور هناك و قال:

«السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أوّلها».

(۲) ثم استغفر و دعا لأهل البقيع طويلا. ثم التفت إلى علىّ عليه السّلام و قال: يا علىّ إنّى خيّرت بين خزائن الدنيا و الخلود فيها أو الجنّة فاخترت لقاء ربّى و الجنّة. إن جبرئيل كان يعرض علىّ القرآن كلّ سنة مرّة و قد عرضه علىّ العام مرّتين و لا

---

(۱) المراجعة ۹۰ و ۹۱.

(۲) ص ۱۵- ۱۶.

(۳) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۲۰۴.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۶

أراه إلّا لحضور أجلى» «۱».

(۱) انّ الذين ينظرون إلى الكون من المنظار المادى البحت و يحصرون كل الوجود فى أطار المادة و آثارها، فالوجود عندهم يساوق المادة قد يتردّدون فى قبول هذا الأمر، و يقولون: كيف يمكن مخاطبة الأرواح؟ و كيف يمكن الاتّصال بهم؟

كيف يمكن أن يعرف المرء بموته و أجله؟

و لكن الذين كسروا جدار المادية هذا و اعتقدوا بوجود الروح المجردة عن البدن المادى العنصرى لا ينكرون مسألة الارتباط و الاتصال بالارواح «۲»، و يعتبرونه امرا ممكنا و واقعيا.

ثم ان النبى الذى يتحلى بالعصمة فى مجال ارتباطه بعالم الوحى و العوالم المجرّدة من المادة، يمكنه- على وجه القطع و اليقين- أن يخبر عن حلول أجله بأمر اللّه و اذنه و إخباره إياه.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۴۶۶ و ۴۷۲، الطبقات الکبرى: ج ۲ ص ۲۰۴.

(۲) طبعا نحن لا نعترف بکل ما یدعیه ادعیاء الاتصال بالارواح فان لذلک طریقه الصحیح، و أسلوبه المشروع.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۷

(۱)

حوادث السنة الحادیة عشرة من الهجرة

۶۴ الکتاب الذی لم یکتب

اشارة

تعدّ الایام الاخیرة من حیاة رسول الاسلام صلّى اللّه علیه و آله من اکثر حقول التاریخ الاسلامی أهمیّة و حساسیة و دقة.

لقد مرّ الاسلام و المسلمون فی تلک الایام بساعات مؤلمة، و حرجة.

إن مخالفة بعض الصحابة الصریحة لاوامر النبی صلّى اللّه علیه و آله و تخلّفهم عن جیش اسامة کل ذلک کان یکشف عن نشاطات سریة تنبئ عن عزمهم المؤکّد على الاستیلاء على زمام الحکومة و الإمارة و القیادة السیاسیة فی المجتمع الاسلامی بعد رحیل النبی صلّى اللّه علیه و آله و إزاحة الخلیفة الذی نصبه رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله فی الغدیر للإمارة عن مسند الحکم.

(۲) و لقد کان النبی صلّى اللّه علیه و آله نفسه عارفا بنوایاهم على نحو الاجمال و لهذا کان یصرّ على خروج جمیع أعیان الصحابة فی جیش اسامة و مغادرة المدینة فورا لمقاتلة الروم، لکی یعطل بذلک خطتهم.

و لکن دهاة السیاسة اعتذروا عن الخروج مع اسامة بحجج و معاذیر معینة، لکی یستطیعوا من تنفیذ خططهم بل و عرقلوا مسیر الجیش المذکور حتى توفی رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله.

فعادوا إلى المدینة- بعد توقّف دام ۱۶ یوما- على أثر تدهور صحة النبی و احتضاره، فلم یتحقق ما کان یریده رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله من تفریغ المدینة منهم، فلا یکون أحد منهم فیها یوم وفاته لیستطیع خلیفته المنصوب للامارة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۸

یوم غدیر خم (نعنی الامام علیا) من تسلم زمام الحکم دون منازع و مزاحم من المعارضین السیاسیین.

(۱) إنهم لم یکتفوا فقط بالعودة إلى المدینة بل حاولوا أن یحولوا دون أی عمل من شأنه أن یؤدی إلى دعم و تثبیت منصب الامام علی و خلافته لرسول اللّه بلا فصل، فحاولوا منع النبی صلّى اللّه علیه و آله و صرفه عن البحث فی هذه المسألة بشتى الوسائل، و السبل.

فعمد رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله الذی عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض اولئک الصحابة، المشین، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ما کان علیه من الحمّى و الوجع، و وقف إلى جانب المنبر و قال للناس بصوت عال سمع خارج المسجد:

«أیها الناس سعّرت النار، و أقبلت الفتن کقطع اللیل المظلم، و إنّی و اللّه ما تمسّکون علیّ بشیء، انی لم احلّ إلّا ما أحلّ اللّه، و لم احرّم إلّا ما حرّم اللّه» «۱».

إنّ هذه العبارة تکشف عن القلق الشدید الذی کان یحمله النبی صلّى اللّه علیه و آله على مستقبل الاسلام بعد وفاته، فما هو المقصود- ترى- من النار التی سعرت؟

أ لیس هی فتنة الاختلاف و الافتراق التی کانت تنتظر المسلمین، و التی اشتعلت بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و تعالى لهیبها، و لا یزال ذلک اللهیب مشتعلا، و تلک النار مستعرة؟!

(۲)

ایتونی بقلم و قرطاس:

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعرف بما یجری من نشاطات خارج

(۱) السیرة النبویة: ج ۲ ص ۶۵۴، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۱۵ و ۲۱۶.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۶۹

منزله للسیطرة علی مقالید الحکم، و لهذا قرر بغرض الحیلولة دون انحراف مسألة الخلافة من محوره الأصلی و الحیلولة دون ظهور الاختلاف و الافتراق- أن یدعم مکانة علیّ و یعزز امارته و خلافته و خلافة أهل بیته، و ذلک بأن یثبت الأمر فی وثیقة حیّة و خالدة تضمن بقاء الخلافة فی خطها الصحیح.

(۱) من هنا یوم جاء بعض الصحابة لعیادته اطرق برأسه إلی الارض ساعة ثم قال بعد شیء من التفکیر و قد التفت إلیهم:

«ایتونی بدواة و صحیفة اکتب لکم کتابا لا تضلون بعده».

فبادر عمر و قال: ان رسول اللّه قد غلبه الوجع، حسبنا کتاب اللّه «۱».

فناقش الحاضرون رأی الخلیفة، فخالفه قوم و قالوا: هاتوا بالدواة و الصحیفة لیکتب النبی ما یرید، و ناصر آخرون عمر و حالوا دون الاتیان بما طلبه النبی، و وقع تنازع بینهم و کثر اللغط فغضب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بشدة لتنازعهم و لما وجّه إلیه من کلمة مهینة، و قال:

«قوموا عنی لا ینبغی عندی التنازع»

قال ابن عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة المؤسفة: «الرزیّة کلّ الرزیّة ما حال بیننا و بین کتاب رسول اللّه» «۲».

(۲) إن هذه الواقعة التاریخیة قد نقلها فریق کبیر من محدثی الشیعة و السنة و مؤرخیهم و تعتبر روایتها- حسب قواعد فنّ الدرایة و الحدیث- من الروایات المعتبرة الصحیحة غایة ما فی الأمران اغلب محدّثی أهل السنة نقلوا کلام «عمر» بالمعنی لا باللفظ، و لم یورد نص الکلمات الجارحة النابیة التی نطق بها فی ذلک

(۱) الملل و النحل: ج ۱ المقدمة الرابعة ص ۲۲. طبعا لم یکن الهدف من «اکتب» أن یکتب النبی بیده ذلک الکتاب فالنبی لم یکتب شیئا فی حیاته أبدا کما هو مبحوث فی ابحاث أمیّة النبی بل المقصود هو الإملاء علی کاتب.

(۲) صحیح البخاری کتاب العلم: ج ۱ ص ۲۲ و ج ۲ ص ۱۴، صحیح مسلم: ج ۲ ص ۱۴ مسند أحمد: ج ۱ ص ۳۲۵، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۴۴، الملل و النحل: ج ۱ ص ۲۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۰

المجلس المقدس.

(۱) و لا یخفی أن الإحجام عن نقل نص عبارته لیس لأجل أن العبارات التی تفوه بها تعدّ إهانة لمقام النبوة، بل ان هذا التصرف لأجل الحفاظ علی مقام الخلیفة و مکانته حتی لا یسیء الآخرون النظرة إلیه اذا عرفوا بما قاله فی حق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

من هنا عند ما بلغ أبو بکر الجوهری مؤلف کتاب «السقیفة» فی کتابه إلی هذا الموضع من القضیة قال عند نقل کلام عمر هکذا: و قال عمر کلمة معناها أن الوجع قد غلب علی رسول اللّه «۱».

و لکن بعضا آخر عند ما یرید نقل ما قاله الخلیفة لا یصرّح باسمه حفظا لمقامه فیقول: فقالوا: هجر رسول اللّه «۲».

إن من المسلّم ان مثل هذه العبارة الجارحة النابیة لو صدرت عن أی شخصیة مهما کان مقامها لعدّت ذنبا لا یغتفر لأن النبی صلّی اللّه علیه و آله بنص القرآن مصون من أی نوع من انواع الخطأ و الاشتباه و الهذیان فهو لا ینطق إلّا بالوحی.

(۲) إن اختلاف الصحابة لدی رسول اللّه الطاهر المعصوم صلّی اللّه علیه و آله و فی محضره کان عملا سیئا، و مشینا إلی درجة أن احدی أزواجه صلّی اللّه علیه و آله اعترضت علی هذه المخالفة و قالت من وراء حجاب: أ لا تسمعون النبی صلّی اللّه علیه و آله یعهد إلیکم؟ ائتوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بحاجته.

فقال عمر: اسکتن فانکن صویحبات یوسف. اذا مرض عصرتنّ اعینکنّ.

و اذا صحّ أخذتنّ بعنقه «۳».

---

(۱) شرح نهج البلاغة الحدیدی: ج ۲ ص ۲۰.

(۲) صحیح مسلم: ج ۱ ص ۱۴، مسند أحمد: ج ۱ ص ۳۵۵.

(۳) کنز العمال: ج ۳ ص ۱۳۸، الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۴۴. و فی الطبقات: ان النبی قال (فی الرد علی عمر) هنّ خیر منکم

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۱

(۱) ان بعض المتعصبین و ان التمسوا لمخالفة الخلیفة لطلب النبی اعذارا «۱» فی الظاهر إلّا انّهم خطّئوا کلامه الذی قال فیه «حسبنا کتاب اللّه»، و اعتبروه کلاما غیر صحیح، و صرّحوا جمیعا بأن الرکن الاساسی للاسلام هو السنة النبویة، و لا یمکن أن یغنی کتاب اللّه الامة الاسلامیة عن احادیث رسول الاسلام صلّی اللّه علیه و آله و اقواله.

و لکن الاعجب من کل ذلک أن الدکتور «هیکل» مؤلف کتاب «حیاة محمّد» «۲» ضمن دفاعه عن الخلیفة کتب یقول: ما فتئ ابن عباس بعدها یری أنهم أضاعوا شیئا کثیرا بأن لم یسارعوا إلی کتابة ما أراد النبیّ إملاءه. أمّا عمر فظلّ و رأیه أن قال اللّه فی کتابه الکریم: «ما فرّطنا فی الکتاب من شیء» «۳».

(۲) فلو أنه لاحظ ما قبل هذه الجملة القرآنیة و ما بعدها لما فسرها بمثل هذا التفسیر، و لما أیّد الخلیفة فی مقابل نصّ النبی المعصوم المطاع، لأن المقصود من الکتاب فی الآیة هو الکتاب التکوینی، و صفحات الوجود، فان لکل نوع من الانواع فی عالم الوجود صفحة من کتاب الصنع، و تشکل کل الصفحات غیر المعدودة کتاب الخلیقة و الوجود و إلیک نص الآیة:

«وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ» «۴».

و حیث أن ما قبل الجملة التی استدل بها یرتبط بخلقة الدواب و الطیور، و یرتبط ما بعدها بموضوع الحشر فی یوم القیامة یمکن القول بصورة قاطعة بان المراد من الکتاب فی الجملة المستدل بها و الذی لم یفرّط فیه من شیء هو الکتاب التکوینی، و صفحة الخلق.

---

(۱) رد العلامة المجاهد السید شرف الدین فی کتاب المراجعات المراجعة ۸۶ جمیع هذه الاعذار بصورة رائعة.

(۲) حیاة محمّد: ص ۵۰۱.

(۳) الانعام: ۳۸.

(۴) الانعام: ۳۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۲

(۱) ثم اننا لو قبلنا بأن المقصود من الکتاب هو القرآن الکریم فان من المسلّم أن فهم هذا الکتاب- و بحکم تصریحه- یحتاج إلی بیان النبی و هدایته کما یقول:

«و أنزلنا إلیک الذکر لتبیّن للناس ما نزل إلیهم» «۱».

تأمل فى هذه الآية فانها لا تقول «لتقرأ» بل تقول بصراحة: «لتبيّن».

و على هذا الاساس اذا كان كتاب اللّه كافيا لم نحتج إلى توضيح النبى و بيانه احتياجا شديدا «۲».

و لو كان حقا أن الامة الاسلامية لا تحتاج إلى النبى فلما ذا كان حبر الامة و عالمها الكبير ابن عباس يقول: يوم الخميس و ما ادراك ما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خده كأنها نظام اللؤلؤ و قال: قال رسول اللّه ايتونى بالكتف و الدواة أو اللوح و الدواة اكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا ...

فقالوا ... «۳».

فمع هذا الحزن الذى كان يبديه ابن عباس، مضافا إلى الاصرار الذى أظهره رسول اللّه كيف يمكن القول بان القرآن يغنى الامة الاسلامية من هذه الوصية (أو الكتاب) الذى كان النبى يريد كتابته.

و الآن إذا كان النبى لم يوفق لكتابة الكتاب و املائه فهل يمكن ان نحدس- فى ضوء القرائن القطعية- ما ذا كان ينوى النبيّ كتابته فى هذه الرسالة؟

(۲)

ما ذا كان الهدف من الكتاب؟

إن الطريقة الجديدة و القويمة فى تفسير القرآن الكريم التى اصبحت اليوم موضع عناية المحققين و العلماء فى هذا العصر هو رفع إبهام الآية و اجمالها فى موضوع معين بواسطة آية اخرى تتحدث عن ذلك الموضوع ذاته و لكنها أوضح من الاولى

---

(۱) النحل: ۴۴.

(۲) ان بيان مدى حاجة القرآن إلى بيان النبى خارج عن نطاق هذه الرسالة، فاطلبه فى محله.

(۳) مسند احمد: ج ۱ ص ۳۵۵. صحيح البخارى: كتاب الجزية ج ۴ ص ۶۵ و ۶۶.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۷۳

دلالة و مفادا، و بعبارة اخرى الاستعانة فى تفسير آية بآية اخرى.

إن هذه الطريقة لا- تختصّ بتفسير آيات القرآن بل تنسحب على الأحاديث و الروايات الاسلامية أيضا اذ يمكن رفع الاجمال عن حديث بحديث مشابه، لأن القادة الكبار يتحدثون فى موضوع مهمّ و خطير بصورة مؤكدة و مكررة لا تتشابه و لا تتحد فى دلالتها، فقد تكون دلالتها على الآية واضحة و قد يكون بيان المقصود فيها بالاشارة و الكناية حسب المقتضيات.

(۱) قلنا ان النبى صلّى اللّه عليه و آله طلب من اصحابه و هو فى فراش المرض دواة و صحيفة ليملى عليهم شيئا لا يضلّون بعده أبدا ثم تسبب التنازع الذى حدث بين الحاضرين فى ان ينصرف من كتابة ما اراد.

يمكن أن يسأل سائل: ما ذا كان يريد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كتابته فى ذلك الكتاب.

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة لأنه مع أخذ الأصل الذى ذكرناه فى مطلع البحث بنظر الاعتبار يجب القول بأن هدف النبى لم يكن الّا تعزيز الوصيّة و دعم خلافة الامام أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و امرته و التأكيد على لزوم اتباع اهل بيته الذى صرح به النبى صلّى اللّه عليه و آله فى الغدير و غيره.

(۲) و هذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثى السنة و الشيعة، لأن النبى صلّى اللّه عليه و آله قال فى شأن الكتاب الذى نوى كتابته:

انه يبتغى كتابة شيء لا يضلون بعده ابدا. و قد جاءت هذه العبارة بعينها فى حديث الثقلين اذ يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

معتبرا عدم الضلال بعده معلولا لاتباع الکتاب و العترة اذ قال:

«إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسکتم بهما لن تضلّوا: کتاب اللّه و عترتی أهل بیتی» «۱».

---

(۱) صحیح الترمذی: ج ۵ ص ۳۲۸ ح ۳۸۷۴ جامع الاصول: ج ۱ ص ۱۸۷ راجع المراجعات: المراجعة ۸.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۴

(۱) أ لا یمکن بعد ملاحظة هذین الحدیثین و التشابه الموجود بینهما الحدس- بصورة قطعیة- بان ما کان یهدفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من طلب الدواة و الصحیفة هو مفاد کتابة حدیث الثقلین، أو ما هو أعلی ممّا یفیده حدیث الثقلین و هو تعزیز و دعم ولایة الامام علی علیه السّلام و خلیفته مباشرة و بلا فصل و هو الذی عیّنه للإمارة و الخلافة فی الثامن عشر من شهر ذی الحجة عند مفترق طرق الحجاج المدنیین و العراقیین و المصریین و الحجازیین و أعلن عن ذلک بصورة شفاهیة.

هذا مضافا إلی أن مخالفة من شکّل شوری الخلافة فی سقیفة بنی ساعدة بعد وفاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و رشح رفیقه القدیم للخلافة بصورة خاصة بعد رحیل رسول اللّه إلی ربّه، و حصل هو بدوره علی اجرته عند موت الأوّل بصورة نقدیّة و عینه للخلافة خلافا لجمیع القواعد و الاصول، خیر شاهد علی أن القرائن التی کانت فی مجلس النبی و کلامه کانت تکشف عن أن النبی صلّی اللّه علیه و آله کان یرید أن یملی علی کاتبه امرا یتعلق بخلافة المسلمین و الامارة و القیادة التی اثبتها لعلی و اهل بیته الطاهرین فی احادیثه و خطبه.

و لهذا خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدة و حالوا دون الاتیان بالقلم و القرطاس بوقاحة، و خالفوا کتابة شیء، و إلّا فلما ذا أصرّوا فی مخالفتهم ...

و ارتکبوا ما ارتکبوا.

(۲)

لما ذا لم یصرّ النبی فی کتابة الکتاب؟

کان فی إمکان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله رغم معاکسات جماعة من أصحابه أن یطلب کاتبه و یکتب الکتاب الذی کان یرید، فلما ذا لم یتصرف هکذا، و لم یستغل مکانته القویّة بل امتنع عن ذلک؟

إن الاجابة علی هذا السؤال واضحة: فلو أن النبی کان یصرّ علی کتابة الکتاب لأصرّوا فی الاساءة الی النبی الذی قالوا عنه انه غلبه الوجع أو هجر،

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۵

و لعمد أنصارهم إلی اشاعة و بثّ هذا الأمر الرخیص، و صنعوا لاثباته الافاعیل فکانت تتسع رقعة الاساءة إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی هذه الحالة و تستمرّ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

من هنا عند ما قال البعض للنبی- ملافاة لما لحق به من الأذی- أبعد الذی قلتم؟ فقال:

«أبعد الذی قلتم؟ لا و لکن اوصیکم بأهل بیتی خیرا» «۱».

(۱)

ملافاة الأمر و تدارکه:

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة و إن صرفت النبى عن الكتابة إلّا انه بلّغ مقصوده من طريق آخر، فهو- بشهادة التاريخ- بينما كان يعانى المرض، و الوجع الشديدين، خرج إلى المسجد و هو متوكئ على «على بن أبى طالب» و «ميمونة» مولاته فجلس على المسجد ثم قال:

«يا أيّها الناس إنى تارك فيكم الثقلين».

و سكت، فقام رجل فقال: يا رسول اللّه ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمرّ وجهه ثم سكن، قال:

«ما ذكرتهما إلّا و أنا اريد أن أخبركم بهما و لكن ربوت فلم استطع، سبب طرفه بيد اللّه، و طرف بايديكم، تعلمون فيه كذى، ألا و هو القرآن، و الثقل الأصغر أهل بيتى».

ثم قال:

«و أيم اللّه إنى لأقول لكم هذا و رجال فى اصلاب أهل الشرك أرجى عندى من كثير منكم».

ثم قال:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۴۶۹ نقلا عن الارشاد و اعلام الورى.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۷۶

«و اللّه لا يحبّهم عبد إلّا أعطاه اللّه نورا يوم القيامة حتى يرد علىّ الحوض، و لا يبغضهم عبد إلّا احتجب اللّه عنه يوم القيامة» «۱».

(۱) هذا و قد روى ابن حجر العسقلانى تدارك ما فات بصورة اخرى، و لا تنافى بين الصورتين، اذ يمكن وقوع كليهما.

انه يقول: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لاصحابه و قد امتلأت بهم الحجرة و هو فى مرضه الذى قبض فيه:

«أيّها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا، فينطلق بى، و قد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنّى مخلف فيكم كتاب اللّه ربى عزّ و جلّ و عترتى أهل بيتى».

ثم أخذ بيد على عليه السّلام فقال:

«هذا علىّ مع القرآن و القرآن مع على، خليفتان نصيران، لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض فاسألهما ما ذا خلّفت فيهما» «۲».

(۲) فمع أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذكر حديث الثقلين «۳» قبل مرضه فى مواضع متعددة و بألفاظ مختلفة، و لفت نظر الناس إلى أهميّة هذين الثقلين، و لكنه لفت الأنظار مرة اخرى و هو فى فراش المرض أمام جمع اصحابه الذين حالوا دون كتابة ما اراد إلى عدم افتراق القرآن و العترة يمكن الحدس بأن الهدف من التكرار هو تدارك ما فات من كتابة الكتاب الذى لم يوفق لكتابته.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ نقلا عن مجالس المفيد.

(۲) الصواعق المحرقة: الباب ۹ من الفصل الثانى ص ۵۷ و كشف الغمة: ص ۴۳.

(۳) حديث الثقلين من الروايات المتفق عليها بين الشيعة و السنة و قد نقل عن الصحابة باكثر من ۶۰ طريقا يقول ابن حجر العسقلانى فى الصواعق ص ۱۳۶: و قد خصص المرحوم مير حامد حسين الهندى قسما من موسوعته «العبقات» بذكر اسناده حديث الثقلين و دلالته. و قد طبعت فى ستة أجزاء مؤخرا.

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۶۷۷

(۱)

تقسيم الدنانير:

دأب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مجال بيت المال أن يوزع أمواله فى أقرب فرصة سانحة بين الفقراء و المحتاجين.

و عنـد ما كان فى فراش المرض تذكّر أن هناك دنانير عند إحدى زوجاته فطلبها فورا، فاحضـرتها عنده فاخذها صـلّى اللّه عليه و آله بيده و قال:

«ما ظنّ محمّد باللّه لو لقى اللّه و هذه عنده؟ انفقيها».

ثم أمر عليا عليه السّلام فتصدّق بها «۱».

(۲)

غضب النبى من الدواء الذى سقى:

لما كانت أسـماء بنت عميس و هى من قريبات «ميمونـة» زوجـة النبى صـلّى اللّه عليه و آله، و التى اقامت ايام الهجرة زمنا فى الحبشـة تعلّمت من أهلها صـنع عقار مركب من النباتات و الاعشاب المختلفـة، فلما اشـتكى و اغمى عليه تصورت ان الذى دهاه هو داء: «ذات الجنب»، و كانوا فى الحبشة يداوون هذا المرض بذلك العقار، فعمدت إلى معالجته بذلك الدواء، بصبّ شـىء منه فى فم النبى صلّى اللّه عليه و آله و لما أفاق و عرف بما صنعوا غضب و قال:

«ما كان اللّه ليسلّط علىّ ذات الجنب» «۲».

(۳)

وداع النبى مع أهله:

خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى أيام مرضه إلى مسجده مرارا يصلّى بالناس، و يذكّرهم امورا.

و ذات يوم من أيام مرضه اخرج الى مسجده معصوب الرأس متكئا على

---

(۱) الطبقات الكبرى: ج ۲ ص ۲۳۸ و ۲۳۹.

(۲) الطبقات: ج ۲ ص ۲۳۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۸

«على» عليه السّلام بيمنى يديه و على الفضل باليد الاخرى فصعد المنبر فحمد اللّه و اثنى عليه ثم قال:

«أما أيها الناس فان قد حان منى خفوق بين اظهركم فمن كانت له عندى عدة فليأتنى أعطه اياها، و من كان له علىّ دين فليخبرنى به».

(۱) فقام إليه رجل فقال: يا رسول اللّه ان لى عندك عدة، انى تزوجت فوعدتنى ان تعطينى ثلاثة أواقى.

فقال صلّى اللّه عليه و آله انحلها يا فضل ثم نزل و عاد إلى بيته.

فلما كان يوم الجمعة- ثلاثة ايام قبل وفاته- صعد المنبر فخطب و قال فيما قال:

«أىّ رجل كانت له قبل محمّـد مظلمـة إلّا قام فالقصاص فى دار الـدنيا أحبّ إلىّ من القصاص فى دار الآخرة على رءوس الملائكـة و الاشهاد».

فقـام إليه رجـل يقـال له سوادة بن قيس فقـال: انـك لما اقبلت من الطائف اسـتقبلتك و أنت على ناقتك العضـباء و بيـدك القضـيب الممشوق فرفعت القضيب و أنت تريد الراحلة فاصاب بطنى.

فقال صلّى اللّه عليه و آله لبلال: قم الى منزل فاطمة فائتنى بالقضيب الممشوق.

ان طلب النبی صلّی اللّه علیه و آله هذا بان یقتص منه من له ذلک لم یکن مجرد مجاملة اخلاقیة بل کان صلّی اللّه علیه و آله یریدان ینبه الناس إلی أهمیة مثل هذه الحقوق جدا «۱» و لما أتی بالقضیب إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال صلّی اللّه علیه و آله: این الشیخ؟ قال سوادة: ها انا ذا یا رسول اللّه بابی أنت و أمی فقال صلّی اللّه علیه و آله:

(۱) هذا مضافا إلی ان ضرب بطن سوادة بالقضیب من قبل النبی لم یکن عمدا و لهذا لم یکن له الحق إلّا فی اخذ الدیة دون القصاص، مع ذلک أراد النبی أن یلبی طلبه لما قال ارید ان اقتص.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۷۹

«فاقتصّ منّی حتی ترضی».

فقال سوادة: فاکشف لی عن بطنک.

ثم انه وسط دهشة الصحابة و حزنهم و غمهم و بکائهم تقدم سوادة إلی النبی و قال: أ تأذن لی ان اضع فمی علی بطنک؟ فاذن له، فقال اعوذ بموضع القصاص من بطن رسول اللّه، و قبّل بطن النبی و صدره الشریف. فدعا له رسول اللّه و قال:

اللّهم اعف عن سوادة بن قیس کما عفی عن نبیک محمّد «۱».

(۱) مناقب آل أبی طالب: ج ۱ ص ۲۳۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۰

(۱)

۶۵ اللحظات الأخیرة

اشارة

کان القلق و الاضطراب یلفّ المدینة المنورة بأسرها فصحابة النبی یحیطون ببیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعیون باکیة و قلوب حزینة لیطّلعوا علی صحته، و کانت تخرج من منزله بین الحین و الآخر أخبار عن اشتداد مرضه، و تفاقم وجعه، لتقضی علی کل أمل بتحسّن حالته، و تجعل الناس علی یقین بانه لم یبق من حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الّا سویعات قلائل، و انه سرعان ما تنطفئ الشعلة المقدسة، التی أنارت العالم بضیائها.

کان فریق من الصحابة یودّون أن یزوروا نبیّهم و قائدهم من قریب و لکن تدهور صحته ما کان لیسمح لذلک، فلم یکن من الممکن ان یتردد علی غرفته إلّا أهل بیته خاصة.

(۲) و لقد کانت ابنته الکریمة و ودیعته الوحیدة فاطمة الزهراء علیها السّلام جالسة عند فراش ابیها، تنظر إلی وجهه المشرق کانت تری کیف ان عرق الموت یتحدر علی جبینه و خده مثل حبات اللؤلؤ، فراحت تردد أبیاتا من الشعر و قلبها یعتصره الحزن، و یملأ عیونها دموع الاسی و الحزن و یکاد یخنقها الغصة:

و أبیض یستسقی الغمام بوجهه‌ثمال الیتامی عصمة للارامل و فی هذه اللحظات بالذات فتح رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عینیه و قال لابنته الزهراء بصوت خافت:

یا بنیّة هذا قول عمّک أبی طالب لا تقولیه و لکن قولی:

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۱

«وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» «۱».

(۱)

النبی یتحدث مع ابنته الزهراء:

لقد کشفت التجربة عن ان عواطف الشخصیات الکبری تجاه ابنائهم تتضاءل اثر تراکم النشاطات و تزاید الاهتمامات و الهموم، لأنّ الاهداف الکبری، و الاهتمامات العالمیة تشغل بالهم و فکرهم إلی درجة لا تترک لهم مجالا لمشاعرهم العاطفیة بالظهور و التجلّی، بید أنّه یستثنی الشخصیات الروحانیة و المعنویة الکبری من هذه القاعدة فهم مع ما یشغل بالهم من الاهداف الکبری، و الاهتمامات العالیة، و الشواغل الیومیة الکثیرة یمتلکون روحا کبری و نفسیة طیبة سامیة فلا یمنعهم عمل عن آخر، و لا یشغلهم شغل عن آخر، فلا مکان للضمور العاطفی عندهم، و لا مکان للجمود الاحساسیّ فی حیاتهم الاجتماعیة و العائلیة.

إن محبة النبی صلّی اللّه علیه و آله لابنته الوحیدة فاطمة کانت من ابرز التجلیات العاطفیة الانسانیة فی شخصیة النبی الاکرم صلّی اللّه علیه و آله، و لهذا لم یعهد أن یسافر رسول اللّه من دون أن یودع ابنته، کما لم یعهد أن یرجع المدینة من دون ان یزور ابنته قبل أی أحد، کما کان یحترمها عند زوجاته احتراما لائقا بها و یقول لاتباعه:

«فاطمة بضعة منّی فمن أغضبها أغضبنی» «۲».

(۲) کما أن رؤیة فاطمة کانت تذکرة باشد نساء العالمین طهرا و وفاء، و عطفا و لطفا، (خدیجة) التی تحملت فی سبیل أهداف زوجها المقدس متاعب کبیرة،

---

(۱) آل عمران: ۱۴۴.

(۲) صحیح البخاری: ج ۵ ص ۲۱.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۲

و بذلت ثروتها کلها فی سبیل تلک الاهداف باخلاص و رغبة.

کانت فاطمة الزهراء علیها السّلام تلازم فراش والدها النبی صلّی اللّه علیه و آله طوال ایام مرضه، و لا تفارقه لحظة واحدة، و فجأة أشار النبی إلی ابنته یطلب منها ان تقرب رأسها إلی فمه لیحدّثها، فانحنت فاطمة حتی صار رأسها قریبا من فمه الشریف ثم راح النبی صلّی اللّه علیه و آله یحادثها بصوت ضئیل و لم یعرف من کان هناک ما ذا قاله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لابنته الطاهرة فی تلک النجوی.

و انما شاهدوا الزهراء تبکی بشدة لما انتهی والدها من حدیثه و سالت دموعها بغزارة، و لکنهم شاهدوا ان النبی اشار إلیها مرة اخری و حدثها بشیء فسرّت فاطمة و تهلّلت اساریر وجهها، و تبسمت مستبشرة.

(۱) فاثارت هاتان الحالتان المتضادتان المتزامنتان الحضور و بعثتهم علی التعجب و الدهشة، فلما سألوها عن سرّ ذلک الحزن، و هذه الفرحة، و طلبوا منها ان تذکر لهم علة هاتین الحالتین المتضادتین قالت:

«ما کنت لافشی سرّه».

ثم بعد أن قضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کشفت الزهراء علیها السّلام عن الحقیقة بناء علی اصرار عائشة و قالت: اخبرنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله انه قد حضر اجله و انه یقبض فی وجعه هذا، فبکیت، ثم اخبرنی أنی أول اهله لحوقا به فضحکت «۱».

(۲)

مسواک النبی قبیل وفاته:

کـان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یسـتاک کل لیلـهٔ قبل النوم کما کان یسـتاک بعـد ان یستیقظ من نومه و کان مسواک النبی من شجرهٔ الأراک التی تنفع

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۴۷، الکامل، ج ۲ ص ۲۱۹.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۳

جدا فی تقویهٔ اللثهٔ، و إزالهٔ الاوساخ و بقایا الطعام عن الاسنان.

و ذات یوم دخل اخو عائشـهٔ عبـد الرحمن علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله لیعوده و بیده سواک اخضـر فنظر النبی إلیه- و هو فی یـده- نظرا عرف أنه یریـده فقال عبـد الرحمن: یا رسول اللّه تریـد أن أعطیک هـذا السواک. فقال نعم، فقـدّمه إلی النبی فورا فاخـذه صلّی اللّه علیه و آله و استاک به أحسن استیاک، و نظف اسنانه به بدقهٔ و عنایهٔ بالغهٔ «۱».

(۱)

وصایا النبی صلّی اللّه علیه و آله قبیل رحیله:

کـان رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله خلاـل فترهٔ مرضه و وجعه یولی إعطـاء التعالیم و التـذکیر بما فیه هدایـهٔ الناس اهتماما بالغا، فقد کان یوصی بالصلاهٔ و رعایهٔ الرقیق فی الایام الاخیرهٔ من حیاته الشریفهٔ و یقول:

«الصّلاهٔ الصلاهٔ و ما ملکت أیمانکم، ألبسوا ظهورهم و أشبعوا بطونهم و ألینوا لهم القول» «۲».

و قد سأل کعب الاحبار عمر بن الخطاب بعد وفاهٔ رسول اللّه و فی ایام خلافهٔ الأخیر ما کان آخر ما تکلّم به رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله فقال عمر: سل علیّا.

فسأل علیا علیه السّلام:

فقال امیر المؤمنین علیه السّلام:

«أسندته إلی صدری فوضع رأسه علی منکبی فقال: الصلاهٔ الصلاهٔ.

فقال کعب: کذلک آخر عهد الأنبیاء و به امروا و علیه یبعثون «۳».

و قد فتح النبی صلّی اللّه علیه و آله عینیه فی آخر لحظهٔ من حیاته الشریفهٔ و قال:

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۳۴، السیرهٔ النبویهٔ: ج ۲ ص ۶۵۴.

(۲) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۵۴.

(۳) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۶۲.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۴

«أدعوا لی أخی».

(۱) فعرف الجمیع بأنه یرید علیا علیه السّلام فدعوا له علیا فقال:

«ادن منّی».

فدنا منه علیّ علیه السّلام فاستند إلیه فلم یزل مستندا إلیه یکلّمه «۱».

فلم یلبث أن بدت علیه صلّی اللّه علیه و آله علامات الاحتضار.

سأل رجل ابن عباس: هل توفّی رسول اللّه فی حجر أحد قال: توفی و هو لمستند إلی صدر علی.

فقال السائل: قلت: فان عائشة قالت: توفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بین سحری و نحری.

فکذبها ابن عباس و قال: أتعقل؟ و اللّه لتوفّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنه لمستند إلی صدر علیّ و هو الذی غسّله، و أخی الفضل بن عباس «۲».

(۲) و قد صرح أمیر المؤمنین علی علیه السّلام فی إحدی خطبه حیث قال:

«و لقد قبض رسول اللّه و إنّ رأسه لعلی صدری ... و لقد ولیت غسله و الملائکة أعوانی» «۳».

و ینقل بعض المحدثین أن آخر جملة قالها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی آخر لحظة من حیاته الشریفة هی جملة: «لا، إلی الرفیق الأعلی»، و کأنّ ملک الموت خیّره عند قبض روحه الشریفة فی أن یصحّ من مرضه و یبقی أو یلبی دعوة ربّه، و یلتحق بالرفیق الأعلی، فعبر بجملته هذه عن رغبته فی اللحاق بربه، لیعیش مع الذین أشار إلیهم قوله سبحانه:

«فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَداءِ

---

(۱) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۶۳.

(۲) المصدر: ج ۲ ص ۲۶۳.

(۳) نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۵

وَ الصَّالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِیقاً» «۱».

قال النبی صلّی اللّه علیه و آله هذا و لفظ أنفاسه الشریفة «۲».

(۱)

یوم الوفاة:

فی منتصف یوم الاثنین الثامن و العشرین من شهر صفر «۳» طارت روح النبی الاکرم المقدّسة إلی بارئها، و الی جنان الخلد، فسجّی ببرد یمانی، و وضع فی حجرته بعض الوقت، و ارتفعت صرخات العیال، و علا بکاء الاقارب فعرف من کان فی خارج المنزل أن النبی صلّی اللّه علیه و آله قد قضی، فلم یلبث أن انتشر نبأ وفاته فی کل أنحاء المدینة التی تحولت بسرعة إلی مناحة کبری، و مأتم عظیم.

فصاح الخلیفة الثانی خارج البیت و لأسباب خاصّة أنّ النبی لم یمت انما عرج بروحه کما عرج بروح موسی، و انه لا یموت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله! و أصرّ علی هذا الموقف و هدّد کل من یخالف ذلک، و کاد أن یوافق علیه فریق من الناس لو لا أن أحد الصحابة تلا علیه قول اللّه سبحانه:

«وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ».

حتی فرغ من الآیة، فسحب عمر موقفه، مستغربا من وجود مثل هذه الآیة قائلا: هذا فی کتاب اللّه؟ «۴»

(۲) ثم قام أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام بتغسیل جسد النبی الطاهر و کفنه لأن النبی صلّی اللّه علیه و آله کان قد قال: «یغسلنی أقرب

---

(۱) النساء: ۶۹.

(۲) إعلام الوری: ص ۸۳.

(۳) و هو ما اتفق علیه محدثو الشیعة و مؤرخوهم، و نقل فی السیرة النبویة ج ۲ ص ۶۵۸ بصورة: قیل.

(۴) الطبقات الکبری: ج ۲ ص ۲۶۷.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۶

الناس إلیّ» و لم یکن ذلک سوی علیّ علیه السّلام.

و لما فرغ «علی» من تغسیل النبی صلّی اللّه علیه و آله کشف الازار عن وجهه صلّی اللّه علیه و آله و قال و الدموع تنهمر من عینیه الشریفتین:

«بأبی أنت و أمّی طبت حیّا و طبت میتا، انقطع بموتک ما لم ینقطع بموت أحد ممّن سواک من النبوة و الانباء. و لو لا أنّک أمرت بالصبر، و نهیت عن الجزع لأنفذنا علیک ماء الشؤون و لکان الداء مماطلا، و الکمد محالفا و قلّا لک، و لکنّه ما لا یملک ردّه و لا یستطاع دفعه! بأبی أنت و امّی اذکرنا عند ربک، و اجعلنا من بالک؟» «۱».

(۱) ثم ان الامام أمیر المؤمنین «علی بن أبی طالب» علیه السّلام کان أوّل من صلّی علی جثمان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم صلّی علیه المسلمون جماعة جماعة، ثم تقرر دفنه صلّی اللّه علیه و آله فی حجرته المبارکة.

فقام أبو عبیدة الجراح و زید بن سهل بحفر قبر له صلّی اللّه علیه و آله و إعداده ثم دفن صلّی اللّه علیه و آله فی تلک الحفرة علی ید أمیر المؤمنین علی علیه السّلام یساعده فی ذلک الفضل و العباس.

و هکذا غربت شمس أعظم شخصیة غیّرت مسار التاریخ البشری بتضحیاته الکبری و جهوده المضنیة، و اعظم رسول الهی فتح امام الانسانیة صفحات جدیدة و مشرقة من الحضارة و المدنیة.

(۲) و لکن ظهرت علی الساحة برحیله مشکلات عدیدة کان لها أثر فی استمرار رسالته، و مواصلة أهدافه التی من أهمها مسألة الخلافة و موضوع القیادة فی المجتمع الاسلامی و قد بدت بعض بوادر الاختلاف فی الاوساط الاسلامیة حتی قبل رحیله.

غیر أن هذا القسم و إن کان قسما مهما و خطیرا من تاریخ الاسلام، فهو

---

(۱) نهج البلاغة: الخطبة رقم ۲۳۵.

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۷

خارج عن اطار بحثنا هذا (و هو دراسة و تحلیل الشخصیة المحمدیة و حیاة النبی الرسالیة و السیاسیة و العسکریة).

من هنا فاننا نختم حدیثنا هذا بالشکر للّه تعالی علی هذه النعمة الکبری، و الحمد للّه رب العالمین «۱».

قم المقدّسة- الحوزة العلمیة

جعفر السبحانی

شعبان المعظم ۱۳۹۰ ه

---

(۱) ثم تدوین هذه المحاضرات و توثیقها و تحقیقها فی شهر شعبان المعظم عام ۱۴۰۹ هجریة فی مدینة قم و الحمد للّه رب العالمین.

جعفر الهادی

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۸۹

الفهارس

اشارة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۹۱

(۱) فهرس الآیات القرآنیة

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۹۲

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۹۳

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۹۷

(۲) فهرس الأحادیث الشریفهٔ

نصّ الحدیث/ القائل/ الصفحهٔ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۶۹۸

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۰۴

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۰۷

(۳) فهرس الأشعار

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۱۰

(۴) فهرس الأعلام

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۱۱

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۱۴

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۱۵

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۱۹

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۲۰

(۵) فهرس القبائل و الامم

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۳۲

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۳۳

(۶) الکنی و الألقاب

«الکنی» الرجال:

(۷) فهرس الوقائع و الایام

(۸) فهرس الأماكن و البلدان

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۴۵

(۹) فهرس المذاهب و الأدیان و نظم الحکم

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۲

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۳

(۱۰) فهرس الموضوعات العلمیة المبحوثة ضمنا

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۴

(۱۱) فهرس المصادر

۱- الآثار الباقیة/ للبیرونی

۲- الأبطال/ لتوماس کارلایل

۳- ابو طالب مؤمن قریش/ للخنیزی

۴- الإتحاف/ للشبراوی

۵- الاحتجاج/ للطبرسی

۶- إحیاء العلوم/ للغزالی

۷- أخبار أصفهان/ لابی نعیم الاصفهانی

۸- الاخبار الطوال/ للدینوری

۹- الارشاد/ للمفید

۱۰- إرشاد الساری/ للقسطلانی

۱۱- از پرویز تا جنکیز/ لتقی زاده

۱۲- الاستغاثة/ لأبی القاسم الکوفی

۱۳- الاستیعاب/ لابن عبد البر

۱۴- اسد الغابة/ لابن الاثیر الجزری

۱۵- الاسفار الاربعة/ لصدر الدین الشیرازی

۱۶- اسلام و جاهلیت (بالفارسیة)/ للنوری

۱۷- الاشارات و التنبیهات/ لابن سینا

۱۸- الإصابة فی تمییز الصحابة/ لابن حجر

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۵

۱۹- أصالة روح (بالفارسیة)/ لصاحب الدراسة سید المرسلین ج۲ ۷۵۵ (۱۱) فهرس المصادر ..... ص : ۷۵۴

- الاصنام/ للکلبی

۲۱- اعلام النساء/ لکحالة

۲۲- إعلام الوری بأعلام الوری/ للطبرسی

۲۳- أعیان الشیعة/ للسید محسن العاملی

۲۴- الأغانی/ للراغب الاصفهانی

۲۵- الاقبال/ لابن طاوس

۲۶- الامالی/ للطوسی

۲۷- الامالی/ للصدوق

۲۸- الامامة و السیاسة/ لابن قتیبة

۲۹- إمتاع الاسماع/ للمقریزی

۳۰- الاحوال/ لابن سلام

۳۱- الانجیل/

۳۲- أنیس الاعلام/ لفخر الاسلام

۳۳- اوائل المقالات/ للمفید

۳۴- ایران در عهد ساسانیان (بالفارسیة)/ ارتو کریستن‌سن

(ب) ۳۵- بحار الانوار/ للمجلسی

۳۶- البدایة و النهایة/ لابن کثیر

۳۷- برهان رسالة (بالفارسیة)/ صاحب الدراسة

۳۸- بلوغ الادب فی معرفة احوال العرب/ للآلوسی

(ت) ۳۹- التاج الجامع للاصول/ لناصف

۴۰- تاریخ اجتماعی ایران (بالفارسیة)/ لجماعة من المؤلفین

۴۱- تاریخ الامم و الملوک/ للطبری

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۶

۴۲- تاریخ بغداد/ للبغدادی

۴۳- تاریخ تمدن ایران در عهد ساسانیان (بالفارسیة)/ لذبیح اللّه صفا

۴۴- تاریخ الخلفاء/ للسیوطی

۴۵- تاریخ الخمیس/ للدیار بکری

۴۶- تاریخ سنی ملوک الارض و الأنبیاء/ لحمزة الاصفهانی

۴۷- تاریخ العرب/ لفیلب

۴۸- تاریخ علوم و ادبیات در ایران (بالفارسیة)/ لصفا

۴۹- تاریخ القرآن/ للزنجانی

۵۰- تاریخ الیعقوبی/ للیعقوبی

۵۱- تأسیس الشیعة لعلوم الاسلام/ للصدر

۵۲- تحریر الاحکام/ للعلامة الحلی

۵۳- التحریر/ للنووی

۵۴- تحف العقول/ لابن شعبة الحرانی

۵۵- تحفة الأجلة فی معرفة القبلة/ للکابلی

۵۶- تذکرة الخواص/ لسبط ابن الجوزی

۵۷- التراتیب الدرایة/ للکتانی

۵۸- الترغیب و الترهیب/ للمنذری

۵۹- تفسیر ابو الفتوح الرازی/

۶۰- تفسیر البرهان/ للبحرانی

۶۱- تفسیر التبیان/ للطوسی

۶۲- تفسیر روح المعانی/ للآلوسی

۶۳- تفسیر صحیح آیات مشکلهٔ (بالفارسیهٔ)/ صاحب الدراسهٔ

۶۴- تفسیر الدر المنثور/ للسیوطی

۶۵- تفسیر الطبری/ للطبری

۶۶- تفسیر مفاتیح الغیب/ للفخر الرازی

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۷

۶۷- تفسیر الکشاف/ للزمخشری

۶۸- تفسیر العیاشی/ للعیاشی

۶۹- تفسیر فرات الکوفی/ لفرات الکوفی

۷۰- تفسیر فی ظلال القرآن/ لسید قطب

۷۱- تفسیر القرطبی/ للقرطبی

۷۲- تفسیر القمی/ للقمی

۷۳- تفسیر مجمع البیان/ للطبرسی

۷۴- تفسیر المنار/ لعبده- رشید رضا

۷۵- تفسیر المیزان/ للطباطبائی

۷۶- تفسیر نور الثقلین/ للحویزی

۷۷- التقریب/ للحافظ العراقی

۷۸- تقیید العلم/ للبغدادی

۷۹- التنبیه و الاشراف/ للمسعودی

۸۰- تنقیح المقال/ للمامقانی

۸۱- التوراهٔ/

۸۲- تهذیب الاصول/ لصاحب الدراسهٔ

۸۳- تهذیب الاسماء و اللغات/ للنووی

۸۴- تهذیب التهذیب/ للعسقلانی

(ث) ۸۵- ثمار القلوب/ للثعالبی

(ج) ۸۶- جغرافیای کشورهای اسلامی (بالفارسیهٔ)/ الفقیهی

۸۷- جمهرهٔ خطب العرب/ لصفوهٔ

۸۸- جهان‌بینی اسلامی (بالفارسیهٔ)/ للشهید المطهری

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۸

(ح) ۸۹- حجهٔ الذاهب الی ایمان ابی طالب/ لفخار بن معد

۹۰- حلیهٔ الاولیاء/ لابی نعیم الاصفهانی

۹۱- حیاهٔ محمد/ لهیکل

(خ) ۹۲- الخرائج و الجرائح/ للراوندی

۹۳- الخصائص/ للنسائی

۹۴- الخصال/ للصدوق

(د) ۹۵- دائرة المعارف/ وجدی

۹۶- در مکتب وحی/ لصاحب الدراسة

۹۷- الدرجات الرفیعة/ للسید علی خان المدنی

۹۸- الذریعة الی تصانیف الشیعة/ لآغا بزرک الطهرانی

۹۹- دیوان أبی طالب/

(ذ) ۱۰۰- ذخائر العقبی/ للطبری

(ر) ۱۰۱- بزرک رسالت (بالفارسیة)/ لصاحب الدراسة

۱۰۲- رجال الشیخ الطوسی/

۱۰۳- الروض الانف/ للسهیلی

۱۰۴- روضة الکافی/ للکلینی

۱۰۵- روضة المتقین/ للمجلسی

۱۰۶- الریاض النضرة/ لمحبّ الدین الطبری

(ز) ۱۰۷- زاد المعاد/ لابن القیم

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۵۹

(س) ۱۰۸- سفینة البحار/ للقمی

۱۰۹- السقیفة (کتاب)/ لابی بکر الجوهری

۱۱۰- سنن البیهقی/ للبیهقی

۱۱۱- سیرة الملائی/ لعمر بن محمد

۱۱۲- السیرة النبویة/ لابن هشام

۱۱۳- السیرة النبویة/ لدحلان

۱۱۴- السیرة الحلبیة/ للحلبی

(ش) ۱۱۵- شرح نهج البلاغة/ لابن أبی الحدید

(ص) ۱۱۶- صحیح البخاری/ للبخاری

۱۱۷- صحیح الترمذی/ للترمذی

۱۱۸- صحیح مسلم/ لمسلم

۱۱۹- الصحیفة السجادیة/ للامام السجاد (ع)

۱۲۰- الصواعق المحرقة/ للهیثمی

(ط) ۱۲۱- الطبقات الکبری/ لابن سعد

(ع) ۱۲۲- عبقات الانوار/ لمیر حامد

۱۲۳- عدة الاصول/ للطوسی

۱۲۴- العقد الفرید/ لابن عبد ربه

۱۲۵- علل الشرائع/ للصدوق

۱۲۶- عمدة الطالب/ لابن المهنا

۱۲۷- عیون اخبار الرضا/ للصدوق

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۶۰

۱۲۸- عیون الاثر/ لابن سید الناس

۱۲۹- عیون المجالس/

(غ) ۱۳۰- الغارات/ للثقفی

۱۳۱- الغدیر/ للامینی

(ف) ۱۳۲- فتوح البلدان/ للبلاذری

۱۳۳- فتوح الشام/ للواقدی

۱۳۴- فرائد السمطین/ للجوینی

۱۳۵- الفصول المهمة/ لابن الصباغ

۱۳۶- الفهرست/ للنجاشی

۱۳۷- الفهرست/ لابن الندیم

(ق) ۱۳۸- القاموس المحیط/ للفیروزآبادی

۱۳۹- قرب الاسناد/ للحمیری

۱۴۰- قرة العیون المبصرة/ للحنفی

(ک) ۱۴۱- الکامل فی التاریخ/ لابن الاثیر

۱۴۲- الکافی اصولا و فروعا/ للکلینی

۱۴۳- کشف الظنون/ لخلیفة

۱۴۴- کشف الغمة/ للاربلی

۱۴۵- کشف المراد/ للعلّامة الحلی

۱۴۶- کشف الیقین/ للعلّامة الحلی

۱۴۷- کفایة الطالب/ للکنجی

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۶۱

۱۴۹- کنز الفوائد/ للکراجکی

۱۵۰- کنوز الحقائق/ للمناوی

۱۵۱- کنوز الدقائق/ للمناوی

(ل) ۱۵۲- اللئالی المصنوعة/ للسیوطی

۱۵۳- لسان المیزان/ لابن حجر

۱۵۴- اللوامع الالهیة/ للفاضل المقداد

(م) ۱۵۵- ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمین/ للندوی

۱۵۶- المباهلة (کتاب)/ لابی المفضل الشیبانی

۱۵۷- المبدأ و المعاد/ للملا صدرا

۱۵۸- المحجة البيضاء/ للفيض

۱۵۹- مجالس ابن الشيخ/ للطوسى

۱۶۰- المجالس/ للمفيد

۱۶۱- المحاسن و المساوى/ للبيهقى

۱۶۲- المحبّر/ لمحمد بن حبيب

۱۶۳- مروج الذهب/ للمسعودى

۱۶۴- المراجعات/ لشرف الدين

۱۶۵- المسند/ لابن حنبل

۱۶۶- المستدرك على الصحيحين/ للحاكم النيسابورى

۱۶۷- مصباح الظلام/ للدمياطى

۱۶۸- مصباح المتهجد/ للطوسى

۱۶۹- معالم العترة/ للجنابذى

۱۷۰- معجم البلدان/ للحموى

۱۷۱- المفصل فى تاريخ العرب/ للدكتور جواد على

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۶۲

۱۷۲- مقتل الخوارزمى/ للخوارزمى

۱۷۳- المغازى/ للواقدى

۱۷۴- مفاهيم القرآن/ لصاحب الدراسة

۱۷۵- مقاتل الطالبيين/ لابى الفرج الاصفهانى

۱۷۶- مقدمة ابن خلدون/

۱۷۷- مكاتيب الرسول/ للأحمدى

۱۷۸- مكارم الاخلاق/ للطبرسى

۱۷۹- الملل و النحل/ للشهرستانى

۱۸۰- من لا يحضره الفقيه/ للصدوق

۱۸۱- مناقب آل أبى طالب/ لابن شهرآشوب

۱۸۱- المناقب/ للخوارزمى

۱۸۲- مناهل العرفان/ للزرقانى

۱۸۳- المنتقى/ لابن تيمية

۱۸۴- منهاج السنة/ لابن تيمية

۱۸۵- المواهب اللدنية/ للقسطلانى

۱۸۶- المواقف/ للايجى

۱۸۷- الموسوعة العربية الميسرة/ لجماعة من المؤلفين

۱۸۸- میزان الاعتدال/ للذهبی

(ن) ۱۸۹- ناسخ التواریخ/ لسپهر

۱۹۰- نزهة المجالس/ للصفوری

۱۹۱- النص و الاجتهاد/ للسید شرف الدین

۱۹۲- النهایة/ لابن الاثیر

۱۹۳- نهج البلاغة/ للشریف الرضی

۱۹۴- نور الابصار/ للشبلنجیّ

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۶۳

(و) ۱۹۵- الوثائق السیاسیة/ للبروفیسور حمید اللّه

۱۹۶- وسائل الشیعة/ للحر العاملی

۱۹۷- فاء الوفاء/ للسمهودی

۱۹۸- وفیات الأعیان/ لابن خلکان

۱۹۹- وقعة صفین/ لابن مزاحم

۲۰۰- الولایة فی طرق حدیث الغدیر/ للطبری

(ه) ۲۰۱- الهدی الی دین المصطفی/ للبلاغی

(ی) ۲۰۲- ینابیع المودة/ للقندوزی

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۶۴

(۱۲) فهرس المواضیع

سید المرسلین ،ج۲،ص:۷۶۵

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۶۸

سيد المرسلين ،ج۲،ص:۷۶۹

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ عليّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا و يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّهٔ و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

الميزانيّهٔ الحاليّهٔ لهـذا المركز، شـَعبيّهٔ، تبرّعيّهٔ، غير حكوميّهٔ، و غير ربحيّهٔ، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّهٔ و العلميّهٔ الحاليّهٔ و مشاريع التوسعهٔ الثّقافيّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّهٔ) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحهٔ بقيّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.